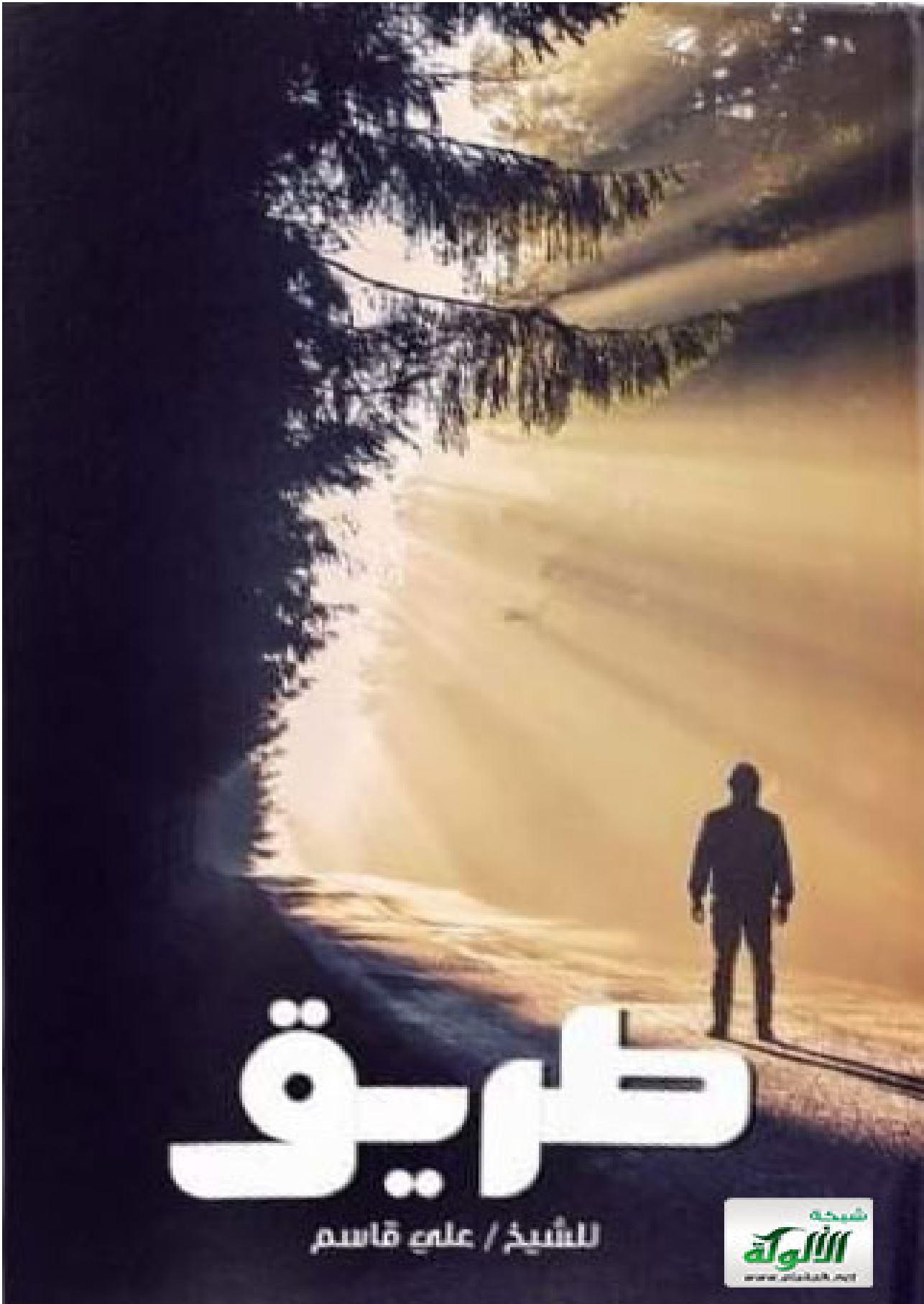




طريق

للشيخ / علي قاسم

سلسلة (تحت العشرين)



طريق..

(خط سير شمولي للشباب المسلم الجامعي)

كتبه

أخوك المحب في الله الشيخ / علي قاسم علي

عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه وعموم المسلمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿رَبَّنَا نَقْبَلُ مِنْكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

الطبعة الأولى

٢٠١٨م / ١٤٤٠هـ

رقم الإيداع: ٢٦١١٧ / ٢٠١٨م

الترقيم الدولي: ٧ - ٦٥ - ٦٦١٨ - ٩٧٧ - ٩٧٨

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع

المنصورة - شارع عزية عقل - شارع المكتبات الإسلامية
33 شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر أمام نقطة شرطة الغورية

dar_elollaa@hotmail.com

01007711665 - 01007868983

المقدمة



المقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وآله الشرفا، وأتباعه إلى يوم اللقاء، وبعد؛

- فإن الشباب مرحلة القوة والنشاط والحيوية، يتميز فيها الشخص بالفتح الذهني، والقوة البدنية، وخصب العاطفة، والآمال الكبيرة والتطلعات الكثيرة، والحرص الشديد على الأخذ من كل ألوان الحياة بأكبر نصيب.

- ولعلّ نظرة فاحصة في المعاجم اللغوية المختلفة ستبين لك أن كلمة «شَبَبَ» تدور حول هذه المعاني المذكورة سلفاً، فهي تعني «الحياة والقوة والمنعة والحيوية».

وعليه؛ فالشباب بهذه الخصال وتلك الخصائص، قوة لا تعدلها قوة في إخصاب الحياة ونموها وازدهارها - خاصة - إذا أحسن استغلاله ونشاطه في جميع المجالات وكل التخصصات... في المزارع، والمصانع، والمتاجر، والمؤسسات، ودور العلم، وساحات القتال، ومجالات التعمير، وسائر ميادين النشاط العام والخاص.

- ومن المعلوم أن القوة البدنية من نعم الله تعالى على بني آدم، كي يؤدي الإنسان واجبه ويبلغ أهدافه، ويؤدي الحقوق المادية والأدبية المفروضة عليه.

ولهذا نرى كتاب ربنا نوه على هذه «الحلية» وتلك المزية - خاصة في الوظائف القيادية العامة - فمثلاً في الوظائف القيادية: نجد إن اليهود لما اعترضوا على أن بعث الله فيهم مَنْ





يقودهم ويربهم الحق ﴿قَالُوا أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

- فكانت طبيعة القوم في تقدير الأشخاص بالمال تهيمن عليهم، وتطل من وراء حكمهم على الأمور، فأفهمهم الله -جلَّ شأنه- أن الرجال الكبار يكونون كبارًا بالمعادن التي يصاغون منها والمواهب التي يرزقون بها، والقوة العلمية والبدنية التي تجعلهم يستطيعون النهضة بما يحملوا من أعباء، قال سبحانه وتعالى موضحًا هذه الحقائق: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

ولعلَّ معنى البسطة في العلم: أن يكون القائد والحاكم حكيماً فقيهاً مدرّكاً للأمور، واضعاً كل شيء موضعه دون مغالاة أو مجافاة.

ومعنى البسطة في الجسم: أن يستطيع الإنسان أداء ما عليه، وأن ينطلق في الوجه الذي يبتغيه دون أن يغلبه إعياء أو يقف به داء^(١).

وكذلك نجد في موضع آخر من كتاب الله على لسان بنت نبي الله شعيب × هذا الوصف الذي قال الفقهاء فيه: أنه جمع الكفايات والمواهب والمؤهلات التي لابدَّ منها في كل وظيفة، فإن البنت قالت لوالدها: ﴿يَتَأَبَّتْ أَسْتَجِرُّهُ^ط إِبْنُ خَيْرٍ مِّنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

(١) انظر: (تفسير الطبري) (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر (٥/ ٣١٣) ط. دار المعارف - مصر.





والقوة هاهنا: هي الطاقة المادية المعينة على الوفاء بما يُطلب، والأمانة يقصد بها: قوة الديانة وزيادة الرقابة الروحية، وبقظة الضمير التي تجعل الإنسان يدرك مسؤوليته، ويؤرقه خوف التفريط فيها^(١) (فهو أمين قوي) فأمانته تجعله يؤدي ما عليه بدقة، وقدرته تجعله ينهض بما عليه دون إزعاج.

ولأن هذه القوة بهذه المثابة في جميع الوظائف القيادية والعامة، كانت رحلة الشباب من أخطر المراحل في حياة الناس، وكان لها حساب خاص عند الله، لما؟ لأنها مرحلة القوة، فإن الإنسان يبدأ وبه ضعف الطفولة، وينتهي وبه ضعف الشيخوخة، يبدأ ضعيفاً مفتقراً للقوة المادية والأدبية، وينتهي وقواه المادية ضعيفة وإن كان واسع التجربة أو كثير المعرفة.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

لهذا أولى الإسلام رعاية خاصة بالشباب، نلمح هذا من خلال التدقيق في معنى قول ربنا ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرِدَّنَهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

وتدبر آيات الكتاب العزيز وهو يحدثنا عن شباب يوسف عليه السلام وكيف زانته العفة؟! وعن شباب موسى عليه السلام وكيف كان قوياً حكيماً، وعن نبي الله إبراهيم عليه

(١) راجع (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٢٦٩/١٤) ط. مكتبة ابن تيمية - القاهرة، وانظر (البحر المحيط في التفسير) للإمام/ أبي حيان الأندلسي (١١٤/٧) ط. مطبعة السعادة بمصر.



السلام وكيف أنه ناول الأَصنام بلسانه، ثم بيده، حتى أضحي حديث الناس ﴿سَمِعْنَا فَنُذَكِّرُهُمْ بِقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠].

كذلك حث نبينا ﷺ على العناية التامة بالشباب المسلم (إيمانياً وصحياً ونفسياً وجسدياً وعقدياً وفكرياً) في كثير من توجيهاته الشريفة، ومن ذلك قوله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(١).

كذلك بين ﷺ أن لفترة الشباب حساباً خاصاً فقال ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه؟»^(٢).

وبين ﷺ جزاء استقامة الشاب على الطريق القويم، طريق (السنة المحمدية) فقال ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله...»^(٣).

لهذا لما كانت فترة الشباب أعمر الفترات وأملأها بالخيال وأعتاها بالطاقات المادية والأدبية على السواء، وهذه الخواص التي حفت بفترة الشباب جعلت لهذه الفترة ولأصحابها مكانة خاصة.

والتأمل لسيرة نبينا محمد ﷺ يجد أنه ﷺ كان يحتفي دائماً بهذا الزهر المتفتح من الشباب الذين وهبوا لله أعمارهم وكرسوا له قواهم، فاستطاعوا أن يكونوا مشاعل النور التي أضاء

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٧)، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٦٦/٢).

(٣) رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١)، (٩١).





بها الظلمة، كما استطاعوا أن يكونوا طلائع الفجر، الذي طلع على الدنيا بحضارة الإسلام، فأغناها روحياً ومادياً بعد أزمت روحية ومادية طحنت البشرية وأسقطت قدرها، وجعلت هممتها خسيصة وحركتها كليلة.

- فلما ظهر هذا الشباب المؤمن حول محمد ﷺ بدأ الإسلام يؤدي رسالته تأدية رائعة جليلة، فانتشر الخير في ربوع الأرض.
- النبي ﷺ نفسه بُعث في اكتمال شبابه، على سن الأربعين، (وإن كانت خصائص الشباب من قوة بنيان وسعة أفق ورحابة صدر وعاطفة حرة وإقبال عارم) كل ذلك بقي في الكيان النبوي حتى لحق بالرفيق الأعلى، فامتد الشباب مع عمره الشريف ولم ينكمش.
- كذلك فإن الناظر إلى سير شباب الصحابة رضي الله عنهم سيجد في أعمارهم نضارة، فهم الذين بذلوا الجهود المضنية في تأديب الباطل، وقمع غروره، ورفع راية الحق وإعلان ثوابته ومبادئه.
- حينما أنظر إلى بعض الرجال من الصحابة الكرام... أتذكر مَنْ قتلوا في مؤتة (زيد بن حارثة، جعفر بن أبي طالب، عبد الله بن رواحة) رضي الله عنهم كانوا شباباً تقريباً في الثلاثين من أعمارهم، كانوا جميعاً يمثلون كبرياء الإيمان فتراهم يحتقرون الكفر وأهله، فكان الواحد منهم يرى أن القوة البدنية والطاقة المادية للروم لا تساوي شيئاً ولا تعلي خسيصة أحد، ولا ترفع قدر مبدأ، لذا قاتلوا الروم بكل استعلاء للإيمان، واحتقار للوثنية.
- كذلك أتذكر شاباً صغيراً يبلغ ثمانية عشر من عمره يُولى القيادة، ويتولاها بجدارة إنه (أسامة بن زيد).



- وأتذكر أيضًا شباب الصحابة ممن بذلوا وضحووا في بدر وأحد وغيرها من الغزوات والسرايا، إنهم شباب زانه الإيمان، وزانته المغامرة في سبيل الله، والرفض التام لعبودية الطواغيت والشرك المستبد.
 - هذا من الناحية العسكرية، أما من الناحية العلمية: فعندما أنظر إلى أئمة هذه الأمة أرى أنهم كانوا شبابًا ف (عبد الله بن عباس رضي الله عنه) كان فقيهاً حتى إنَّ عمر بن الخطاب جعله في مشيخة الأمة رغم صغر سنه، كذلك كان (عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عمر، العبادلة الأربعة، أبو هريرة رضي الله عنه).
 - كذلك وجدنا الأئمة من بعدهم يحملون نضارة الشباب، حتى إنَّ حلاوة العلم عندهم أذهلتهم عن حلاوة المادة والبحث ورائها والاستكثار منها، (كالإمام الشافعي رحمه الله، وأحمد رحمه الله... وغيرهم) كثير في مختلف المجالات ممن حققوا على مر العصور للأمة النهم العلمي، والنصر العسكري، والتقدم الرياضي، والنظام الاجتماعي، فكانوا بحق خير مثال يحتذى به.
- ولما كان الشباب هم عدة الأمة ومستقبلها، وسر نهضتها وتقدمها، وأملها المشرق -بإذن ربي- وضعت الشريعة الغراء أحكامًا شرعية تخص هذه الفئة منذ بداية بلوغهم، مرورًا بأخصب فترات الشباب، والمعروفة في عصرنا الراهن «بالمراهقة»^(١).

(١) مصطلح المراهقة من المصطلحات الأكثر شيوعًا في عالمنا المعاصر. والمراهقة: مأخوذة من «رهق». قال ابن فارس: «الراء، والهاء، والقاف» أصلان متقاربان، فأحدهما: غشيان الشيء الشيء، والآخر: العجلة والتأخير. - فأما الأول: فقوله «رهقة الأمر»: غشيه، قال سبجانه وتعالى: (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة).





والمراهق: الغلام الذي داني الحلم، وأرهق القوم الصلاة: أخروها حتى يدنو وقت الصلاة الأخرى، والرَّهَق: العجلة والظلم، قال سبحانه وتعالى: (فلا يخاف بخسا ولا رهقا) [الجن: ١٣] والرهق: عجلة في كذب وعيب. [راجع «مقاييس اللغة» لابن فارس: (٢/٤٥١) ط. دار الفكر]].

وذكر ابن منظور عدة معاني للرهق، منها: الكذب، والخفة، والحدة، والسفه، والتهمة، وغشياً المحارم وما لا خير فيه، والعجلة، والهلاك، والعيش. [راجع «لسان العرب» لابن منظور: (١٠/١٢٨-١٣١) ط. دار صادر]. ومعظم هذه المعاني موجودة لدى المراهق، وراهق الغلام: إذا قارب الاحتلام. [راجع «الصحاح» للجوهري: (٤/١٥٠٤) ط. دار العلم للملايين]].

وعليه؛ فالمراهقة: تدرج نحو النضج الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي. والمراهقة على أنواع:

المراهقة المبكرة من (١٢ إلى ١٤ سنة) وتقال المراحل الإعدادية.

المراهقة الوسطى من (١٥ إلى ١٧ سنة) وتقابل المرحلة الثانوية.

المراهقة المتأخرة من (١٨ إلى ٢١ سنة) وتقابل المرحلة الجامعية. [راجع «سيكولوجية المراهق المسلم المعاصر»، تأليف د/ عبد الرحمن العيسوي ص ١٤ ص. دار الوثائق ١٤٠٧ هـ، وكتاب «علم نفس النمو» تأليف: حامد عبد السلام زهران ص ٢٩٣ ط. عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٩ م]].

* والملاحظ: أن المعنى الشائع حول المراهقة منذ بداية هذا القرن الميلادي، فيه كثير من المبالغة والخطأ، إذ يرى بعض العلماء الغربيين: أن المراهقة هي فترة من القلق والاضطراب، وهي عاصفة شديدة، تكتنفها الأزمات النفسية، وتسودها المعاناة والإحباط والصراع والقلق، فإنها فترة قيمة يمر بها كل إنسان.

- حتى إن بعضهم شبه حياة المراهق بحلم طويل في ليل مظلم، تتخلله أضواء ساطعة تخطف البصر، أكثر مما تضيء الطريق، فيشعر المراهق بالضيق، ثم يجد نفسه عند النضج، وقد صرَّح بذلك عدد من علماء النفس الغربيين ك(ستانلي هول) والذي اعتبر فترة المراهقة هي مرحلة ثورة وتوتر. [للتوسع راجع كتاب: «تربية الشباب المسلم للأباء والدعاة»، للأستاذ/ خالد الشنتوت ص ٣، ص ١٢، ص ١٣ ط. دار المجتمع للنشر والتوزيع، وكتاب: «المراهقون» لـ (سمير جميل راضي) ص ٢ ط. مطابع التراث بمكة]].

وهذا المعنى هو المعنى الشائع في الفترات الماضية، بينما "الدراسات الحديثة" تنفي أن تكون المراهقة بالضرورة مرحلة عواصف وضغوط، بينما هي مرحلة نمو سريع، وتحول من الطفولة إلى الرشد، وأنكر علم النفس الحديث: أن مرحلة

=



وتستمر هذه الأحكام معهم لتنظم حياتهم الاجتماعية والسلوكية والأخلاقية والاقتصادية والحركية.

ولعل الغاية من ذلك: توظيف طاقات هؤلاء الشباب توظيفاً صحيحاً لنجعل منهم رجالاً صالحين في ذواتهم، مصلحين لغيرهم، نافعين لأمتهم ومجتمعاتهم. والحقيقة: أن الشباب رغم أنهم محط كل اهتمام في الإسلام، إلا أن الواقع العملي يبرز لنا إهمالاً واضحاً لأهم قطاع في أي أمة.

لذا نرى حديث المسؤولين عن الشباب مجرد كلام، وأحاديث، وخطب طويلة، دون اهتمام حقيقي بهم وبطاقاتهم، متناسين أن بناء الشباب أهم من بناء الجسور وتعبيد الطرق، وأخطر من تشييد العمارات الشاهقة؛ لأنه لا قيمة لهذه الأشياء إذا كانت القوى الشبابية فاسدة أو منهكة.

المراهقة مرحلة مصحوبة بمظاهر سلوكية، تدل على الانحراف أو سوء التوافق، بل يرى أن هذه المظاهر ما هي إلا حالات عارضة، تصاحب النمو السريع للمراهق بسبب عوامل بيئية وأسرية وتعليمية ومجتمعية. [1] للاستزادة: راجع: «علم النفس التربوي»: د/ أحمد زكي صالح ص ١٩٥، ص ١٩٦ ط. مكتبة النهضة المصرية، وانظر: «دراسة مقارنة في مشكلات المراهقين في المدن والريف» لـ (خليل عوض) ص ١٨٩، نقلاً عن: «سيكولوجية الطفولة والمراهقة» لـ د/ الجسmani ص ١٤٤، ص ١٤٥ ط. منشورات مكتبة آفاق عربية، ومكتبة الفكر العربي- بغداد، وانظر كتاب: «علم النفس التكويني» للأستاذ/ عبد الحميد الهاشمي، ص ١٨٩، ص ١٩٠ ط. دار المجتمع، وكتاب: «علم نفس النمو»: للأستاذ/ حامد عبد السلام زهران، ص ٢٩٢ ط. عالم الكتب، ورسالة دكتوراه بعنوان: «دور الأسرة في تربية أولادها تربية إسلامية في مرحلة البلوغ» للدكتور/ عبد الرحمن عبد الخالق حجر، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التربية ١٤١١هـ، ص ٦، ص ٧، وانظر مقال: «المربون في مواجهة تحديات مرحلة المراهقة» للواء/ محمد جمال الدين محفوظ، بالمجلة العربية بالرياض (العدد: ١٢٣) ربيع ثاني ١٤٠٨هـ، ص ٩٠.]]





كذلك وجدت نفس الإشكالية في الأوساط الدعوية، حيث نجد انقطاعاً واضحاً بين العلماء والمربين، وبين أغلب فئات الشباب، الأمر الذي أدى بالدعوة للفشل في انتزاع هذه الأجيال من أيدي أعدائهم، لذا فإننا بحاجة ماسة إلى مزيد من الجهود الدعوية المعاصرة لمعرفة مشكلات الشباب وما يدور في خلجات نفوسهم، وداخل عقولهم، لتتمكن من توجيههم توجيهاً صحيحاً.

وإلا فإن غيرنا من أعدائنا بالداخل والخارج سيتمكنون من السيطرة التامة على عقول شبابنا وبناتنا، وسيفرضون عليهم النموذج الليبرالي الغربي، أو النموذج الإباحي اللا أخلاقي، وعندها سنندم ندماً شديداً، ولات ساعة مندم!!

هذا وقد كان أصل هذا البحث المكتوب بين يديك -أخي القارئ الكريم- لقاءات وكلمات قلتها بلساني وسطرتها ببناي لزملائي وإخواني في مسجد الجامعة، للطلاب -عامة- ولقسم اللغة العربية -خاصة- منذ سنين مضت يوم كنت طالباً في الجامعة.

وقد كنت حريصاً آنذاك أن أسطر هذه المعاني لنفسي ومن حولي، ولم يخطر لي على بال، أو يسنح لي في الخيال أن أسطرها لتكون مادة مفردة، وأن أدفع بها للنشر، لكن في أثناء السنة التمهيدية للماجستير نظرت إلى واقع شباب وبنات الجامعات، فوجدته واقعاً مريعاً جداً، حيث تغيرت الجامعة تغيراً كبيراً، وأضحى الحال يزداد سوءاً يوماً بعد يوم.

حيث انتشرت الأفكار الضالة، والعقائد الفاسدة، والرؤى الكاسدة، وكثرت العوامل المفسدة، فضلاً عن انتشار الانحرافات السلوكية والأخلاقية بشكل لا يصدق العدو قبل الصديق.

وهذا أصابني بما ذكره القائل:

لمثل هذا يموت القلب من كمدٍ إن كان في القلب إسلام وإيمان

نبض الكتاب:

لهذا كله [وبعد الاستشارة والاستشارة] عقدت النية والعزم، واستعنت بالرب -جل وعلا- على جمع مادة هذا السفر من دفاتري القديمة، وعمدت إلى الكتب والمصادر والمراجع التي توفرت لي في مكتبتي آنذاك، واجتهدت في كتابة هذا المؤلف لأخدم به إخواني من الشباب المسلم (في المرحلة الجامعية وهي المرحلة الانتقالية الأكبر والأخطر في حياتهم).

- وحاولت قدر استطاعتي أن يكون هذا البحث نافعا سهلا ميسورا للشباب في أول طريق صلاحهم، وأن يكون رفيقا لهم في درب استقامتهم، عسى أن يكون بمثابة النور الهادي، والمرشد البصير لكل من سلك طريق الالتزام والاستقامة، وأن يكون نافعا لكل أخٍ مصلح في جامعته أو كليته أو معهده، وأن يكون معينا لكل شيخ مربّي متخصص في إصلاح وتوجيه وتربية هذه الفئة الشبابية.
- وحرصتُ أيما حرص على ذكر الأدواء مُذَيَّلَةً بالدواء الناجع من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ لأكون سببا في إعانة إخواني وأخواتي ممن ضلوا الطريق، أو سقطوا في براثن الفتن، أو استولى الشيطان عليهم في غفلةٍ من الغفلات، أو سقطوا من السقطات، وقد سميت هذا المبحث (طريق) ليكون بمثابة الدستور (العلمي والعملي) المتوازن للشباب المسلم الملتزم في أثناء دراسته الجامعية وما بعدها، وما بعدها وهو في مقدمة، وثمانية فصول، وخاتمة، وإليك خطة البحث، وهي تتضمن العناصر التالية:

* الفصل الأول: افهمونا:

- المبحث الأول: التأصيل اللغوي، والاصطلاحي لمعنى كلمة (الشباب).
- المبحث الثاني: متى تبدأ مرحلة الشباب؟ ومتى تنتهي؟ وأنواع النمو لدى الشباب، وخصائص المرحلة الشبابية.





- المبحث الثالث: لماذا الحديث إلى الشباب - خاصة - شباب الجامعات؟! -
- المبحث الرابع: أقسام الشباب.
- المبحث الخامس: بينت فيه خطورة انحراف الشباب، وأسبابه، وركزت الحديث في هذا العنصر على الأسباب المباشرة الواقعية، وكُبريات المشاكل التي تندرج تحتها الكثير من الجزئيات، والتي لها أكبر الأثر في إفساد شباب المسلمين بالفعل، على النحو التالي:
- المطلب الأول: الجهل.
- المطلب الثاني: وسائل التعليم.
- المطلب الثالث: وسائل الإعلام.
- المطلب الرابع: الفجوة الكبيرة بين الآباء والأبناء.
- المطلب الخامس: ثم ذكرت بعض الحلول العلمية والعملية المختصرة للقضاء على هذا الانحراف.
- * الفصل الثاني: وداعاً.. للثانوية، وأهلاً.. بالكلية:
- المبحث الأول: بينت ما يجب على الشباب فعله عند انتهائه من المرحلة الثانوية، وظهور نتيجته الدراسية على النحو التالي:
- المطلب الأول: بيان معنى الحمد.
- المطلب الثاني: بيان فضل هذه الشعيرة المباركة.
- المطلب الثالث: ذكرت بعض أقوال العلماء في التفريق بين الحمد والشكر.
- المبحث الثاني: الاستخارة، لاختيار الكلية المناسبة التي تعين الشاب على أمر دينه ودنياه، على النحو التالي:



- **المطلب الأول:** بيان معنى الاستخارة.
- **المطلب الثاني:** بيان فقه الاستخارة بشيء من التفصيل.
- **المطلب الثالث:** بيان فقه الاستشارة.
- **المبحث الثالث:** اجتهدت من خلاله في الإجابة على سؤال (كيف ينجح الطالب المسلم في دراسته الجامعية؟!) منذ بداية الدراسة الجامعية وحتى الانتهاء من الحياة الجامعية بإذن الله تعالى، فذكرت أن أهم العوامل المساعدة على ذلك:
- **المطلب الأول:** الإخلاص، بينت فيه شيئاً من الأدلة على أهمية الإخلاص وحقيقته، وتفصيلات هامة يحتاجها الشاب المسلم، ثم حذرته من الرياء وغوائله، وعاقبة صاحبه في الدنيا والآخرة، وبينت بعد ذلك (كيف يتحلى الطالب المسلم بالإخلاص؟!).
- **المطلب الثاني:** ذكرت فيه بعض العوامل المساعدة على التفوق وسميتها: (مفاتيح التفوق)، وذكرت له (ترتيب اليوم المثالي للطالب الجامعي المتميز)، ومن ذلك:
- **الفرع الأول:** النوم مبكراً والاستيقاظ مبكراً - مع بيان فقه هذه المسألة، ثم رسمت برنامجاً واقعياً للشاب المسلم فبينت له: متى ينام؟ وكيف ينام؟ وما هي السنة في النوم؟ وماذا يفعل عند الاستيقاظ من النوم؟ وماذا يجب أن يفعل عند دخول الخلاء؟ وكيف يتطهر من الحدثين؟ ووصفت له الوضوء الثابت عن رسولنا ﷺ كما ثبت في صحيح السنة.
- **الفرع الثاني:** بينت فيه شيئاً يسيراً من فقه (المسح على الخفين، أو الجوربين) وأن هذا الأمر يحتاج إليه الطلاب، خاصة بعض الطلاب المغترين المسافرين.
- **الفرع الثالث:** بينت فيه (بعض البدع المنتشرة المتعلقة بالوضوء) ثم اجتهدت في حثه على: حضور صلاة الفجر في المسجد جماعة، مبيناً أهمية ذلك، وفضائل هذا الأمر، وخطورة التكاسل عن أداء هذه الفريضة العظيمة.





- الفرع الرابع: بينت فيه (فقه الصلاة) وكيف يصلي كما صَلَّى رسول الله ﷺ بشيء من الاختصار، وما هي الأذكار الصحيحة التي ينبغي أن يقولها في أثناء ذهابه وإيابه، وبينت أنه يستحب أن يحجي السنة المهجورة عمومًا، وسنة: المكث في المسجد بعد صلاة الفجر حتى طلوع الشمس، مبيّنًا فضل ذلك من الكتاب وصحيح السنة.
- المطلب الثالث: أظهرت فيه الأمر ببر الوالدين، على النحو التالي:
- الفرع الأول: فضل بر الوالدين في الكتاب، وصحيح السنة.
- الفرع الثاني: التحذير من العقوق في هذه الأزمان.
- الفرع الثالث: بيان كيفية البر بالوالدين بطريقة عملية.
- الفرع الرابع: فقه التعامل مع الوالدين.
- المطلب الرابع: بينت له ماذا يفعل عند إرادة الخروج من المنزل، على النحو التالي:
- الفرع الأول: إظهار نعمة اللباس.
- الفرع الثاني: خطورة اتباع الموضة الغربية المخالفة للشريعة الإسلامية في الملابس والمظاهر.
- الفرع الثالث: حكم الإسبال، وحكم التشبه بغير المسلمين في الملبس والزّي.
- الفرع الرابع: بينت فيه حكم الانتعال واقفًا، وبينت له السنة في لبس النعل.
- الفرع الخامس: بينت فيه ماذا يفعل الشاب عند العزم على الخروج من البيت؟!
- المطلب الخامس: بينت فيه للشباب ماذا يفعل في أثناء سيره إلى الجامعة، وفصلت في هذه الجزئية على النحو التالي:
- الفرع الأول: بينت للشباب كيف يستثمر وقته حتى يصل إلى الجامعة؟!
- الفرع الثاني: أهمية الحرص على الذكر، مبيّنًا له فضل الذكر، وبعض أحكام الذكر، ونماذج مما صح عن رسول الله ﷺ من الأذكار.



* الفصل الثالث (بمعنوان: للطريق... أحكام!!):

- المبحث الأول: أول حق من حقوق الطريق (وهو غض البصر) وفصلت في هذه النقطة على النحو التالي:
- المطلب الأول: الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على وجوب غض البصر.
- المطلب الثاني: الشبهات التي يلقيها الشيطان على السنة بعض الشباب ليتذرعوا بها عند الوقوع في هذه المعصية الخطيرة.
- المطلب الثالث: بينت فيه الحلول العملية لهذه المشكلة.
- المبحث الثاني: ذكرت فيه (إلقاء السلام) باعتباره شعيرة من أعظم شعائر الإسلام، على النحو التالي:
- المطلب الأول: معنى السلام لغة، واصطلاحًا.
- المطلب الثاني: حكم السلام، وأدلته من الكتاب والسنة.
- المطلب الثالث: فقه السلام، وكيفيته.
- المطلب الرابع: بدع السلام، والمنهيات الخاصة به.
- المبحث الثالث: ذكرت فيه معنى (الحق الثالث من حقوق الطريق، وهو كف الأذى) على النحو التالي:
- المطلب الأول: خطورة الأذى على الإسلام والمسلمين.
- المطلب الثاني: الأدلة على تحريم الأذى من الكتاب والسنة.
- المطلب الثالث: خطورة ما يفعله بعض الشباب المستهتر في الشوارع والطرق العامة.
- المبحث الرابع: بينت فيه الحق الرابع من حقوق الطريق (وهي مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) بشيء من التفصيل، على النحو التالي لما وقع من خلل في فهم كثير من





الأحكام الشرعية الخاصة بهذه الشعيرة المباركة -خاصة- عند اشتداد الفتن في المدارس والجامعات:

- المطلب الأول: معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لغة، واصطلاحاً.

- المطلب الثاني: حكم الأمر بالمعروف.

- المطلب الثالث: لماذا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر؟!

- المطلب الرابع: صور من المناكير المنتشرة الواجب تغييرها.

- المطلب الخامس: كيفية إنكار المنكر بطريقة علمية وعملية؟!

* الفصل الرابع: (الدحيح: وطريق الـ ١٠٠٪):

- المبحث الأول: ذكرت فيه ماذا يفعل الشاب عند اقترابه من أسوار الجامعة؟!

- المبحث الثاني: أصّلت فيه ما يمكن فعله عند دخول الجامعة، وبالتحديد عند دخول قاعة المحاضرات؟!

- المبحث الثالث: ذكرت فيه أهمية التفوق في الدراسة الجامعية، وبينت له أكثر من عشرة أسباب لبيان أهمية التفوق الدراسي -خاصة- للشباب الملتزم.

- المبحث الرابع: فصّلت فيه ما يجب أن يتحلّى به الطالب المسلم من سمات وصفات لكي يكون طالب علم نجيب متميز، وقد فصلت في هذه النقطة، لما أراه من فساد أخلاقي واسع منتشر في أوساط كثير من شباب المسلمين عامة، وطلاب العلم -خاصة- إلا من رحم ربي.

- المبحث الخامس: ذكرت بعض الحدود الشرعية، والآداب المرعية التي يجب أن يتحلّى بها الشاب الدارس مع أستاذه في الجامعة، واجتهدت على إحياء (خلق الأدب) مع الأستاذ والمعلم مبيّناً بعض آثار السلف حول هذا الخلق الفاضل.



- المبحث السادس: وضعت فيه جدولاً شاملاً كاملاً لتنظيم وقت طالب العلم بصورة عملية طوال الأسبوع، حتى لا يطغى وقت الدراسة النظامية الدنيوية على الدراسة الشرعية، ثم أجبت على بعض الأسئلة الهامة على النحو التالي:

- المطلب الأول: ذكرت فيه كيف أذاكر؟!

- المطلب الثاني: كيف أنظم وقتي؟!

- المطلب الثالث: الحلول المقترحة التي نصح بها علماء الشرع، وعلماء النفس والطب للتغلب على العقبات التي تقابل الطالب في أثناء دراسته، ومذاكراته كالإهمال والنسيان والسرхан.

*** الفصل الخامس: نقطة بداية STARTING POINT:**

- المبحث الأول: ذكرت فيه الواقع المزري للجامعات بنوعيتها الحكومي والخاص.

- المبحث الثاني: بينت فيه أهمية الاستقامة على دين رب العالمين، على النحو التالي:

- المطلب الأول: التأصيل اللغوي والشرعي لمعنى الالتزام والاستقامة.

- المطلب الثاني: لماذا نلتزم بدين الله؟!

- المطلب الثالث: ما هي مراحل الالتزام؟!

- المطلب الرابع: كيف ألتزم بديني؟!

- المبحث الثالث: بينت فيه أهمية تزكية النفس البشرية المسلمة على النحو التالي:

- المطلب الأول: لماذا نهتم بجانب التربية؟!

- المطلب الثاني: لماذا نهتم بإحياء الربانيّة؟!

- المطلب الثالث: بينت فيه معالم المنهج التربوي المتوازن الصحيح.

- المبحث الرابع: ذكرت فيه كيف يربي الإنسان نفسه؟! وجعلتها في محاور على النحو التالي:





- **المطلب الأول:** التربية الإيمانية عند أهل السنة بتفصيل كبير مبيّنًا الفارق بين أهل السنة وبين الصوفية -هداهم الله- في تربيتهم لأتباعهم على النحو التالي:
- **الفرع الأول:** ذكرت أسباب إحياء التربية الإيمانية.
- **الفرع الثاني:** ذكرت عوامل إحياء التربية الإيمانية عن طريق مجاهدة النفس، دراسة أسماء الله وصفاته، كثرة الذكر، استشعار الخوف من الله، الإكثار من التعبد، النظر في سير سلفنا الصالح.
- **الفرع الثالث:** ركزت فيه على القرآن ودوره في إصلاح النفس البشرية.
- **المطلب الثاني:** التربية السلوكية والأخلاقية عند أهل السنة، على النحو التالي:
- **الفرع الأول:** ذكرت فيه طرفًا من أهمية التحلي بالأخلاق الحميدة من الكتاب وصحيح السنة.
- **الفرع الثاني:** ذكرت فيه عوامل تنمية التربية السلوكية والأخلاقية.
- **الفرع الثالث:** عددت فيه عددًا كبيرًا من الأخلاق الحميدة التي يجب على المسلم الملتزم أن يتحلّى بها.
- **المطلب الثالث:** التربية العلمية المنهجية، وذكرت فيه تفاصيل حول هذه الجزئية الهامة، على النحو التالي:
- **الفرع الأول:** ذكرت فيه لماذا نطلب العلم؟!
- **الفرع الثاني:** ذكرت فيه فضل طلب العلم الشرعي من القرآن وصحيح السنة، ومن آثار سلفنا الصالح.
- **الفرع الثالث:** فصلت فيه كيفية تحقيق التربية العملية، وعوامل نجاح ذلك.



- الفرع الرابع: فصلت فيه أهمية المنهجية في طلب العلم.
- الفرع الخامس: بينت فيه كيف يمكن للشباب دراسة العلم الشرعي؟ وكيف يمكن للشباب أن يستفيد من الكتب العلمية؟!
- الفرع السادس: بينت فيه للشباب المسلم مَنْ هو العالم الذي يؤخذ عنه العلم؟!
- الفرع السابع: عرضت لأسماء كثير من العلماء المشهورين بصحة الاعتقاد، وسلامة المنهج من لدن النبي ﷺ وحتى عصرنا هذا، ليسهل على الطالب مراجعة كتب وفتاوى وآثار هؤلاء الأسياف الأثبات.
- الفرع الثامن: ذكرت فيه آفات العلم التي قد تلحق ببعض طلبة العلم.
- الفرع التاسع: وصفتُ فيه كيف يقرأ طالب العلم الكتب؟ ولمن يقرأ؟
- الفرع العاشر: وضعت جدولاً علمياً يتضمن المراحل التي يبدأ بها الطالب في كل فن بإذن الله تعالى.
- المطلب الرابع: ذكرت فيه أهمية التربية الاجتماعية، وبينت فيه عوامل البناء الاجتماعي السليم في حياة الشاب الجامعي.
- * الفصل السادس: المسار:**
- المطلب الأول: وذكرت أهمية التربية النفسية السليمة في حياة الشاب الجامعي.
- المطلب الثاني: أشرت فيه إلى التربية الدعوية السليمة المتزنة القائمة على الوجهين.
- المبحث الثالث: ذكرت فيه خطورة الانتكاس، الذي قد يلحق بالشباب بعد فترة من استقامته، وكيفية مواجهة ذلك على التفصيل التالي:
- المطلب الأول: معنى الانتكاس وخطورته.





- المطلب الثاني: ذكرت أنواع الانتكاس.

- المطلب الثالث: ذكرت فيه مظاهر التآكل الإيماني، والخلل البين في حياة بعض من يسمون بالملتزمين من الناحية السلوكية.

- المطلب الرابع: ذكرت علاج (الخلل في الالتزام) العلمي والعملية.

* الفصل السابع: الالتزام وفوقيا:

- المبحث الأول: وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: ذكرت فيه عددًا من الشبهات التي قد يلقيها الشيطان على ألسنة بعض الشباب، فتشني آحادهم عن الالتزام بدين الله، وقمت بالرد عليها من كلام الله تعالى، وما صح من كلام نبينا المصطفى ﷺ، وبينت كلام العلماء قديمًا وحديثًا في تفنيد هذه الشبهات، والرد عليها... وكل هذا أدرجته تحت عنوان (لماذا لا نلتزم؟!).

- المطلب الثاني: قمت فيه بالرد على شبهات بعض غلاة الشباب ممن هجروا الدراسة في كليات الطب والهندسة وغيرها بسبب شبهات فكرية خاطئة وباطلة.

* الفصل الثامن: طريق النجاة

اجتهدت فيه على النحو التالي:

- المطلب الأول: معنى كلمة الدعوة لغة واصطلاحًا.

- المطلب الثاني: وضّحتُ فيه فضل الدعوة إلى الله.

- المطلب الثالث: بينت فيه حكم الدعوة إلى الله.

- المطلب الرابع: ذكرت تأصيلًا وتفصيلًا لواقع الأمة.



- المبحث الثالث: ذكرت فيه أن الوظيفة الغالية التي يجب على كل شاب مسلم في الجامعة أن يشغلها هي (الدعوة إلى الله) مبيّناً أهمية ذلك.

- المبحث الرابع: بينت فيه لماذا نجتهد في دعوة الناس إلى الله تعالى؟

- المبحث الخامس: أجبت فيه عن بعض الشبهات التي تثار من الشباب الملتزم عن التحرك الصحيح لدين الله؟! ثم قمت بالرد عليها بفضل الله تعالى.

* الفصل التاسع: الرجل الألف:

- المبحث الأول: ذكرت فيه ذخائر نجاح الأخ الملتزم في الجامعة، والسمات التي تؤهل هذا الشاب المستقيم لينصر دين الله تعالى داخل أسوار الجامعة، عن طريق:

- المطلب الأول: أن يكون هذا الأخ مفتقراً لربه وخالقه.

- المطلب الثاني: أن يكون الأخ ربانياً ذا روحانية.

- المطلب الثالث: أن يكون شعاره في دعوته (إياك أريد وفق ما تريد) وبينت معنى ذلك:

- الفرع الأول: أن الإخلاص سببٌ للانتصار الدعوي، فذكرت أهمية تحلي الأخ الداعي إلى الله بالإخلاص، ووضحت أسباب ذلك منها:

- الغصن الأول: ذكرت علامات الداعية المخلص.

- الغصن الثاني: ذكرت فيه أثر الإخلاص في الدعوة.

- الفرع الثاني: ذكرت فيه أهمية اتباع النبي ﷺ وكيف أن هذا الأمر من الأمور اللازمة للأخ الملتزم في أثناء دعوته إلى ربه؟!!

- الفرع الثالث: وفرّعت عن ذلك غصوناً:

- الغصن الأول: ذكرت معنى الاتباع لغة واصطلاحاً.





- الغصن الثاني: لماذا نتبع النبي ﷺ؟
- الغصن الثالث: وضحت فيه خطورة الابتداع.
- المطلب الرابع: أصّلت فيه لأهمية المنهجية في الأمور الدعوية، ومدى أثر ذلك على نجاح العمل الدعوي -عمومًا- وفي الجامعة -خصوصًا- على النحو التالي:
 - الفرع الأول: بينت فيه كيف يمكن للأخ ضبط الحماس بالشرع.
 - الفرع الثاني: وضحت أن له منهجًا يمتاز بالشمولية في العلم والعمل والاعتقاد والسلوك والدعوة والأخلاق، وهو منهج أهل السنة والجماعة.
 - الفرع الثالث: وضحت فيه معنى (مصطلح أهل السنة والجماعة) و(مصطلح السلف الصالح).
- الفرع الرابع: أجبت من خلاله عن الأسئلة التي تدور في الأذهان حول هذا المنهج.
- الفرع الخامس: ذكرت فيه لماذا نتبع منهج السلف الصالح؟!
- الفرع السادس: ذكرت فيه خصائص أتباع منهج أهل السنة والجماعة.
- المطلب الخامس: دافعت فيه -ولله الحمد- عن هذا المنهج المبارك الشامل، وأجبت على الشبهات التي تكال لهذا المنهج وحملمته، واجتهدت أن يكون ردي ردًا علميًا ناضجًا بعيدًا عن الغلو والجفو، وقد التزمت في أثناء الرد بالأدب الذي علمنا الإسلام إياه.
- المطلب السادس: وضحت فيه خطورة الأفكار والمناهج الوافدة على شباب الإسلام - خاصة- في الجامعات عن طريق الشبكة العنكبوتية، التي تحث الشباب وتدفعهم للتمرد على الأحكام الشرعية.



- **المطلب السابع:** تكلمت فيه عن قضية (الوسائل الدعوية) وناقشت هل الوسائل توفيقية أم لا؟! وما هي أهم الوسائل الدعوية النافعة التي تصلح في دعوة شباب الجامعات؟!
 - **المبحث الثاني:** مهَّدْتُ حديث حول (صفات الأخ الداعي في الجامعة) كصفة التوكل على الله، اليقين، صفة الحكمة في الدعوة إلى الله، وصفة الصدق والأمانة، الحلم والرفق واللين وصفة الصبر، والتواضع للشباب ولين الجانب، التجرد لله تعالى، العدل والإنصاف في الحكم على (الأشخاص، الجماعات، الكتب) وعلو الهمة، أهمية القدوة والعمل بما يقول، أن يكون ذا عاطفة حسية؟ ثم ذكرت بعض الوسائيس التي قد تعرض لبعض إخواننا الشباب في أثناء دعوتهم إلى الله تعالى، وأجبت عليها بالتفصيل مستعرضًا الأحكام الشرعية الخاصة بهذه المشاكل.

*** الفصل العاشر: «دستور الملتمزم الجامعي» (قانون.. احرص واحذر):** حيث عرضت لبعض

المخالفات التي قد تقع من شباب الجامعات.

- **المبحث الأول:** احرص على.

- **المبحث الثاني:** احذر من:

أ- المخالفات العقدية. ب- المخالفات الفكرية. ج- المخالفات الفقهية.

د- المخالفات الخلقية والسلوكية. هـ- مخالفات ما بعد الجامعة.

- **المبحث الثالث:** المخالفات السلوكية والأخلاقية.

- **المبحث الرابع:** بعض المخالفات التي يقع فيها بعض أساتذة الجامعات.

وأخيرًا: جَمَعْتُ الفتاوى النافعة لشباب الجامعة، من فتاوى كبار أهل العلم في زماننا تحت عنوان (فتاوى شبابية).





وبعد:

- فقد عزَّ أن أجد كتابًا، يقدم صورة عملية لتربية شبابنا المسلم في هذه المرحلة العمرية الخطيرة، مستلهمًا في ذلك الأصول الشرعية والخبرة الحياتية الواقعية العملية.
- لذا خطر لي أن أحاول وضع لبنة في هذا المشروع الكبير بغرض (هداية شباب الإسلام -عمومًا-، وشباب الجامعات -خصوصًا-) عسى أن يهتدي هؤلاء إلى الحق والحقيقة، فأنتفع بذلك ومنٌ بعدي.
- كذلك رجوت بهذه المحاولة المتواضعة أن تتوالى محاولات المصلحين والمربين من هنا وهناك، لإلقاء الضوء على هذا الموضوع الخطير والإجابة على ما يخطر ببال هؤلاء الشباب أو سنع في خيالهم قبل ضياع المزيد من هذه الأجيال التائهة.
- وقد اجتهدت في الاستعانة بري، وسألته المدد والتوفيق، وعزمت على العمل في هذا المبحث بعد التوكل عليه سبحانه وتعالى، رغم قلة البضاعة، وقصر باع الكاتب، وتجربته المحدودة، فجهدت في جمع مادة هذا السفر منذ كنت طالبًا في المرحلتين الثانوية والجامعية، وسهرت في ترتيبه وتركيبه ما شاء الله لي أن أسهر، حتى ارتفع بناؤه، واكتملت قواعده، فصار هيكله واضحًا بعد التركيب والتبويب... فله الحمد والمنة.

* ونظرًا للظروف الاقتصادية التي يمر بها قطرنا المصري، فضلًا عن عزوف الكثير من الشباب عن قراءة المطولات، فقد أشار علي الناشر أن يقسم الكتاب إلى جزأين لتسهيل قراءته



والاطلاع عليه، فاستجبت لرغبته في ذلك، فكان هذا هو الجزء الأول من هذا المبحث، على وعِدٍ بإخراج الجزء الثاني المكمل له والذي يحوي فصلي: "طريق النجاة"، و"الرجل الألف" في كتاب مستقل بعنوان: (النجاح الدعوي) إن يسر الله ذلك.

وإني لأرجو ربّي - سبحانه وبحمده - أن ينفع بهذا السفر من كتبه وقرأه ونظر فيه، وأن يؤتي أكله كل حين بإذن ربه، فيكون زادًا للمسافر، مذكرًا للغافل، معلمًا للجاهل، هداية للمبتدئ وبلغة للمقتصد، خفيف الجمل، سهل التناول، مفيدًا لفئات الشباب المختلفة، ودافعًا للنقاش والتذاكر بينهم، حتى يحيا العلم من جديد، وترسخ المعاني التربوية في الأذهان. وقد حاولت أن آتي ولو ببعض ما قال الأول:

في سبعةٍ حصروا مقاصد العقلا من التأليف فاحفظها تنل أملًا
أبدع، تمام، بيان، لاختصارك في جمعٍ ورتب وأصلح يا أخي الخلا

وأختم فأقول:

أيها الجيل المسلم المعتز بدينه، أحبيكم والتحايا مفاتيح القلوب، وأهديكم والهدايا طريق القلوب، ونعم الوصال بالشرع المطهر، والعلم، والذكر، والكتاب، فنعم الحداء ونعم المسير. فما أهدى المرء المسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدى أو يرده بها عن ردى.





فيا أيها الشاب الناظر بعين الرضا في هذا الكتاب: هذه بضاعة صاحبها المزجة مسوقة إليك، وبنات أفكاره تزف إليك، وهذا فهمه وعقله معروض عليك، لك غنمه وعلى مؤلفه عزمه، ولك ثمرته، وعليه عائدته، فإن عدم منك حمداً وشكراً، فلا يعدم منك مغفرة وعذراً. فأحسن بجامعه الظن وإن لم يكن من أهل هذا الفن، واصفح عما به زلل وصحح ما طغى به القلم، ولك من الله عظيم الأجر، ومني جزيل الشكر.

سائلاً الله أن تكون هذه الكلمات من خير الزاد في الحياة وبعد الممات، ومن الباقيات الصالحات لي ولوالدي ولأهل بيتي - ليوم تعز فيه الحسنات، وأن يعفو عما فيه من الزلات والهفوات، وأن يكون كتاباً مباركاً على مر الأزمان والسنوات.

وقبل أن أضع القلم!!

فإني أحمد الله سبحانه وتعالى الذي أعانني على هذا العمل، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبله مني بالقبول الحسن، وأن يكتب له القبول، وأن يديم نفعه، وأن يجعله في موازين الحسنات.

وامثالاً مني لبنينا ﷺ القائل: (مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ).

فإني أحمد الله تعالى وأشكره على ما أفاء به عليّ من نعم لا تُعدّ ولا تُحصى، وأشكر كل مَنْ تفضّل عليّ بمراجعة هذا المبحث المتواضع كالشيخ مصطفى العدوي - حفظه الله تعالى -،

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٥٨، ٢٩٥، ٣٠٣)، ورواه (أبو داود) في الأدب (٦٧١)، ورواه الترمذي: (١٩٥٥) وقال أبو عيسى الترمذي: حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني رحمه الله.



والشيخ أبي المنذر/ عبد المنعم مطاوع - حفظه الله-، والشيخ محمد رزق ساطور - حفظه الله-
والدكتور/ محمود عبد الملك - حفظه الله تعالى- والشيخ العلامة النحوي/ أبي النصر علي
علي متولي، وفضيلة الشيخ الدكتور/ فتحي جمعة -أستاذ اللغويات بكلية دار العلوم جامعة
القاهرة.

أسأله -سبحانه- أن يجزيهم الجزاء الأوفى وأن يجعلهم دائماً أبداً مفاتيح للخير مغاليق
للشر.

وكتبه

من بسنجر بربه من عذابه، وبسأله وعداً حسناً

علي فاسم علي

١٠/١/١٤٢٦هـ

ثم جرى فيه فلم الإصلاح سنين عدداً،

إلى أن فبر ربي أن يخرج إلى النور

في ٢٠/٤/١٤٤٠هـ





الفصل الأول

افهمونا

الشباب

الشباب: جمع مفردة «شاب» والذي يُجمع أيضًا على «شبان وشبيه»، وشباب الشيء أوله، يقال: لقيت فلانًا في شباب النهار أي: في أوله، وقد يكون مصدرًا لعمل «شَبَّ» الذي يكون مصدره أيضًا شبيه، وهو خلاف الشيب، ويقال للرجل «شاب» وللمرأة «شابة وشبة»^(١).

وقال العلامة أحمد بن علي المقرئ الفيومي في مادة «شَبَّ»: شَبَّ الصبي يشب من باب ضرب شابة، والجمع: شواب، مثل: دابة ودواب، وشَبَّ الفرس، يشب نشط ورفع يديه جميعًا شابًا بالكسر وشيئًا^(٢)، وعليه؛ فكلمة «شباب» تعني في أصلها اللغوي النماء والقوة.

س: متى تبدأ مرحلة الشباب ومتى تنتهي؟

تبدأ مرحلة الشباب بالبلوغ، كما في قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَذِنُوا كَمَا اسْتَذِنَ الَّذِينَ

مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩]، وفي الحديث عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «رُفِعَ القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يشب، وعن المعتوه حتى يعقل»^(٣)، فالإنسان لا



(١) راجع: كلام ابن منظور في لسان العرب: (١/ ٤٨٠) مادة «شَبَّ»، ط. دار الكتب العلمية.

(٢) راجع: المصباح المنير في غريب شرح الكبير: (١/ ٦٠)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس: (٣/ ١٧٧) ط. دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي.

(٣) رواه أحمد: (١/ ١١٦)، وأبو داود: (١/ ٤٤٠٣)، والترمذي: (١٤٢٣)، وابن ماجه: (٢٠٤٢)، وصححه الألباني في الإرواء: (٢٩٧) وفي صحيح الجامع الصغير: (١/ ٦٥٩) ط. المكتب الإسلامي.





يكون أهلاً للتكاليف الشرعية إلا إذا كان عاقلاً بالغاً، قد وصله الأمر وبلغته الذكرى، غير مكروه ولا مضطر، ولا جاهل^(١)، فالبلوغ: هو الاحتلام للذكر، والحيض للأُنثى.

وله علامات ظاهرة: فمن علاماته في الإناث: إدراك سن البلوغ، زيادة نمو الجسم، نمو الثديين، نزول الحيض، إنبات شعر العانة^(٢).

ومن علاماته في الذكور: ظهور شعر الوجه -الشارب واللحية- وانشقاق أرنية الأذن، وغُلْظُ الصوت، ونزول الحنجرة.

(١) أشار القرآن إلى ذلك فبيّن سن الطفولة دون سن التمييز، وغيره من المراحل العمرية كالبلوغ، كما في قوله سبحانه وتعالى: (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) قال ابن كثير رحمه الله: «يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك، فلا بأس بدخوله على النساء، = أما إن كان مرافقاً أو قريباً منه بحيث يعرف ذلك ويدريه، فلا يُمكنُ من الدخول على النساء». [راجع «تفسير ابن كثير» (٢٧٨/٢) ط. مكتبة مصر].

وذكر البغوي في تفسير هذه الآية: «وقيل: لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر، وهو قول مجاهد». [راجع «تفسير البغوي» (٩١/٧) ط. دار طيبة].

وقال أبو بكر الجصاص: «قول مجاهد أظهر، لأن معنى أنهم لم يظهروا على عورات النساء، إنهم لا يميزون بين عورات النساء والرجال، لصغرهم وقلة معرفتهم بذلك، وقد أمر الله تعالى الطفل الذي قد عرف عورات النساء بالاستئذان في الأوقات الثلاثة بقوله سبحانه وتعالى: (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم) وأراد به الذي عرف ذلك واطلع على عورات النساء، والذي لا يؤمر بالاستئذان أصغر من ذلك». [راجع «أحكام القرآن» للجصاص: (١٧٧/٥) ط. دار الكتب العلمية].

- وجاء التقسيم نفسه في السنة النبوية كما في قوله ﷺ: (علموا أولادكم الصلاة لسبع سنوات، واضربوهم عليها عند عشر). رواه الترمذي: (٢٧٢) وقال: حديث حسن صحيح، ورواه أبو داود: (٤١٧)، وأحمد: (٦٤٦٧)، والحاكم في مستدركه: (٢٨٩/١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وصحيح ابن خزيمة: (١٠٢/٢).

(٢) يعرف البلوغ بأنه: مرحلة انتقالية من مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضج، وفي هذه المرحلة تحدث عدة تغيرات للفتيات، من أهمها:

١- تغيرات عضوية جسدية.

٢- تغيرات فسيولوجية وسيكولوجية واجتماعية. [راجع رسالة: البلوغ والمراهقة لدى البنات، إعداد: د/فريال، الأستاذ/فريال الأستاذ ص٦، ٧، ٨ ط. دار بلنسية بالرياض].



ذكر د/ عمر محمد التومي الشيباني: أنه عند محاولة تحديدنا لمرحلة الشباب ندرك تمامًا أن هذا التحديد لا يعدو أن يكون أمرًا تقريبياً يغلب عليه العنصر الذاتي، لأنه من الصعب جدًا تحديد بداية هذه المرحلة، وتحديد نهايتها تحديدًا زمنيًا دقيقًا، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: إن تقسيم نمو الكائن البشري إلى مراحل مختلفة - كما هو موجود في كتب علم النفس - هو في الواقع تقسيم اصطلاحي فقط، لأن واقع الحياة لا يمكن أن يخضع لتقسيم محدد خالٍ من التداخل، فحياة الإنسان تعتبر وحدة متصلة لا يمكن تجزئتها إلى قطاعات ومراحل منفصلة بعضها عن بعض، ولا ينتقل الطفل من طور نمو إلى آخر انتقالًا مباشرًا، فهو لا يراهم مثلاً بين عشية وضحاها.

- ولو دققنا النظر في خصائص أية مرحلة من مراحل النمو المصطلح عليها لوجدناها عبارة عن امتداد واستمرار لخصائص المرحلة السابقة عليها، وتمهيد لخصائص المرحلة اللاحقة لها.

- فكثير من الصفات التي نلاحظها في سن المراهقة مثلاً - لاسيما - في مجال النمو الانفعالي والاجتماعي نجد أصولها قد تكونت في مرحلة ما قبل المراهقة أو في مرحلة الطفولة بصورة عامة.

- ومن المبادئ الأساسية التي تقوم عليها دراسة النمو البشري: أن عمليات النمو عمليات مستمرة، ولا يوجد حد فاصل بين مرحلة من النمو والمرحلة التي تليها، إذ أن التقسيم إلى مراحل ما هو إلا عملية يقصد بها سهولة الدراسة.

ثم قال: يختلف العلماء في تقسيمهم لمراحل النمو طبقاً لاختلاف أساليبهم في الدراسة، فالعالم (جيزال Jesel) اتخذ أسلوب تحديد خصائص لكل سنة من سنوات العمر بالتفصيل.





- وهناك من يقسم هذه المرحلة طبقاً لما يجب أن تكون عليه مراحل التعليم معطياً الخصائص العامة لكل مرحلة من المراحل التعليمية، ويؤثر البعض الآخر عدم الربط بين مراحل النمو ومراحل التعليم، ويُفضل اتخاذ النمو البيولوجي كأساس للتقسيم.

- أما العالم الأمريكي (هافجهرست) فقد اتخذ اتجاهًا مخالفًا لإبراز مظاهر كل مرحلة من مراحل النمو، وهو اتجاه «العمليات الارتقائية» وهي عمليات يرى أنها تقع في منتصف الطريق بين الحاجة الفردية وما يتطلبه المجتمع.

ثانيًا: هناك فروق فردية واضحة بين الأفراد في بدء أية مرحلة من مراحل نموهم وفي نهايتها وفي درجة ومعدل نموهم داخل إطار كل مرحلة من المراحل، وعليه؛ فالطور الحقيقي لمرحلة الشباب ونقطة بدئها ونهايتها يختلفان من فرد إلى آخر.

ثالثًا: كذلك فإنَّ طولَ فترة المراهقة يختلفان باختلاف الثقافات والمناخات، وباختلاف المستوى الاقتصادي والاجتماعي والحضاري للمجتمع الذي يعيش فيه الفرد.

ثم ذكر (التحديد التقريبي لفترتي المراهقة والشباب) فقال: ذهب فؤاد الشربيني إلى أن فترة الشباب: هي تلك الفترة من النمو والتطور الإنساني التي تتسم بسمات خاصة تميزها وتعطيها صورتها المميزة، وتنقسم هذه الفترة في نظره إلى أربع مراحل، وهي:

١ - مرحلة المراهقة: وهي تمتد من سن (١٢) إلى (١٥) سنة، وتمتاز بسرعة النمو البدني، وظهور الأعراض الجنسية الثانوية، وما يصحبها من تغيرات في إفراز الهرمونات الجنسية، وباقي الهرمونات الأخرى.

٢ - مرحلة البلوغ: وهي المرحلة التي تشمل السن من (١٥) إلى (١٨) سنة، ويستمر فيها النمو البدني ولكن بسرعة أقل من المراهقة.



٣- مرحلة الشباب المبكر: وهي التي تشمل الفترة من (١٨) إلى (٢١) سنة من العمر، والتي يأخذ فيها النمو البدني اتجاهاً وظيفياً وتتجه فيها التغيرات العاطفية نحو الاستقرار، ويصل فيها النمو العقلي مداه.

٤- مرحلة الشباب البالغ: وهي المرحلة التي تمتد من (٢١) إلى (٢٥) سنة من العمر، والتي يحقق فيها الفرد قمة النضج والتأقلم مع الحياة والمجتمع، والنهج الواقعي الاجتماعي المثالي السليم.

وقسم د/ سعد جلال فترتي المراهقة والشباب إلى ثلاث فترات رئيسة:

١- فترة ما قبل الحلم: وهي التي تقابل كلمة (Pubescence) من سن ١٠ إلى ١٣ سنة.

٢- فترة ما بعد الحلم: من (١٤) إلى (٢١) سنة.

٣- فترة الرشد: من سن (٢١) إلى سن (٣٠) سنة.

وذهب الأستاذان: محمد عبد المنعم هاشم، وإسماعيل صفوت... إلى تحديد مرحلة الشباب بأنها فترة العمر التي تقع بين سن (الخامسة عشر والثلاثين) وقد أخذ مؤتمر وزراء الشباب العرب بوجهة نظر وفد جمهورية مصر العربية في تحديد مرحلة الشباب من سن (١٤) سنة إلى (٢٥ سنة) فإننا لا نفكر أن النضج الجنسي لا يحتاج إلى هذا التحديد العمري^(١).

(١) راجع كتاب: الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب، د/ عمر محمد التومي الشيباني، من ص ٣١ إلى ص ٣٩ ط. الدار العربية للكتاب، وكتاب: علم النفس التربوي: الرياض، للأستاذ د/ سعد جلال، محمد علاوي، ص ١٠١، ص ١٠٣ ط. دار المعارف، وانظر: المرجع في علم النفس: د/ سعد = جلال، ص ٢٣٥، ص ٢٣٦ ط. دار المعارف، وراجع: توصيات المؤتمر الأول لوزراء الشباب العرب، بالقاهرة، جامعة الدول العربية ١٩٦٩ م.





كذلك ذكر د/ فؤاد أبو حطب بعد استقراء نصوص الكتاب والسنة أن هناك أعمارًا ثلاثة للإنسان:

- حيث ذكر أنه من الواضح أن الحساسية نحو المصطلح -أقصد مصطلح (المراهقة)- تجعلنا نتعامل معه بحدة، لذا تعالوا لنرى تقسيمًا جديدًا جدًا لمراحل العمر، من خلال المصطلح القرآني، وسنجد أن هذا الاستنباط يزيل الكثير من الحساسية ناحية المصطلحات^(١)..

وقد بنى الدكتور/ أبو حطب هذا التقسيم على قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

فعلى هذا الأساس هناك مراحل ثلاث لنمو الإنسان بعد الميلاد، وهي التي سماها: الأعمار الثلاثة للإنسان^(٢):

العمر الأول: الضعف الأول (لحظة الولادة - ٢٠ سنة):

١ - الطفولة.

٢ - البلوغ المراهقة: أ- المبكرة. ب- الوسطى. ج- المتأخرة: طور بلوغ السعي.

(١) راجع: نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين: الدكتور/ فؤاد أبو حطب، والدكتورة/ آمال صادق، ص ٤٥، ص ٤٦ بتصرف، مكتبة الأنجلو- القاهرة، ط ١٩٩٢م.
(٢) راجع كتاب (شباب بلا مشكلات - رحلة من الداخل) لـ د/ أكرم رضا ص ٣١ ط. دار التوزيع والنشر الإسلامية.

العمر الثاني: القوة (٢٠-٦٠ سنة):

١ - (٢٠-٤٠ سنة): (الرشد المبكر) الشباب: أ- طور بلوغ السعي. ب- طور بلوغ الرشد.

٢ - (٤٠-٦٠ سنة): (بلوغ الأشد) الكهولة.

العمر الثالث: الضعف الثاني (الشيخية) (٦٠- القبر):

١ - الشيخوخة. ٢ - الهرم (أرذل العمر).

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الأطوار في أكثر من موطن.

١ - بلوغ السعي:

عن طور بلوغ السعي، قال سبحانه وتعالى عن إسماعيل، وعلاقته بأبيه إبراهيم عليه السلام:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

قال القرطبي في تأويل قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾، أي: فوهبنا له الغلام، فلما بلغ معه المبلغ الذي يسعى مع أبيه في أمور دنياه معيناً له على أعماله، وقال مجاهد: «أي: شبَّ وأدرك سعيه سعي إبراهيم»^(١).

٢ - إيناس الرشد:

وقد جاءت كلمة الرشد في بيان حال اليتيم في سورة النساء مقيدة كبداية عمر القوة^(٢)،

فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦].

(١) راجع: الجامع لأحكام القرآن الكريم: للإمام/ أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (٨/ ٥٥٤٣ ط). دار الريان للتراث.





فجمع بين القوتين؛ قوة البدن وهي بلوغ النكاح، وقوة المعرفة وهي إيناس الرشد، فلو تمكن اليتيم من ماله قبل حصول المعرفة، وبعد حصول قوة البدن لأذهبه في شهواته وبقي صعلوكاً^(١)، ومن الإشارات القرآنية اللطيفة هنا طلب إيناس الرشد، والتعرف على علاماته ومؤثراته، وهذا يعني أن الرشد ليست له حدود زمنية محددة يصل إليها الجميع في زمن واحد.

٣- بلوغ الأشد (اكتمال الرشد، وبلوغ سن الأربعين):

وهي مرحلة المسؤوليات الكبرى؛ لأنها عمر الرسالة والنبوة، وهي الطور الثاني من عمر (القوة)، يقول سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]^(٢).

ولعل هذا هو ما يشير إليه القرآن -والله أعلم- بمرحلة الكهولة؛ يقول سبحانه وتعالى عن عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [٤٦] آل عمران: ٤٦ [المقصود في الآية: ﴿إِذْ أَيْدَتْكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [المائدة: ١١٠] الكهولة فيها مجتمع الأشد، وهي سن التكليف بالمسؤوليات الكبرى؛ فقد كُلف الرسل بحمل الرسالة في هذا السن^(٣).

وعليه؛ فاستخدام المصطلح القرآني أزال كثيراً من الحساسية نحو المصطلحات الأخرى، وبِغَضِّ النظر عن المصطلح فنحن نعيش مرحلة الانتقال الكامل من الطفولة إلى الرشد. وهناك فرق بين المراهقة والبلوغ:

(١) وكمدخل للرشد: راجع اختلاف العلماء في تفسير "الرشد": انظر تفسير القرطبي: (٣/ ١٦٠٩).

(٢) راجع: تفسير القرطبي: (٤/ ٧١).

(٣) راجع: تفسير القرطبي: (٩/ ٦٠١٤).

(٤) راجع: تفسير القرطبي: (٤/ ٢٣٦٠).

فالببلوغ يعني: اكتمال الوظائف الجنسية عنده، وذلك بنمو الغدد الجنسية، وقدرتها على أداء وظيفتها.

أما المراهقة: فتشير إلى التدرج نحو النضج الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي. وعلى ذلك فالببلوغ ما هو إلا جانب واحد من جوانب المراهقة؛ كما أنه من الناحية الزمنية يسبقها، فهو أول دلائل دخول الطفل مرحلة المراهقة^(١).

ويشير ذلك إلى حقيقة مهمة، وهي أن النمو لا ينتقل من مرحلة إلى أخرى فجأة، ولكنه تدريجي ومستمر ومتصل، فالمراهق لا يترك عالم الطفولة ويصبح مراهقاً بين عشية وضحاها، ولكنه ينتقل انتقالاً تدريجياً ويتخذ هذا الانتقال شكل نمو وتغير في جسمه وعقله ووجدانه.

وجدير بالذكر أن وصول الفرد إلى النضج الجنسي لا يعني بالضرورة أنه قد وصل إلى مرحلة النضج العقلي، وإنما عليه أن يتعلم الكثير والكثير ليصبح راشداً ناضجاً.

وللمراهقة والمراهق نموه المتفجر في عقله وفكره وجسمه وإدراكه وانفعالاته، مما يمكن أن نلخصه بأنه نوع من النمو البركاني، حيث ينمو الجسم من الداخل فسيولوجياً وهرمونياً وكيمياوياً وذهنياً وانفعالياً، ومن الخارج والداخل معاً عضوياً^(٢).

* ملحوظات مهمة:

١ - في المجتمعات الريفية الزراعية والمدن الصغيرة لاحظ الباحثون أن الغلام أو الفتاة ما إن يصل إلى سن البلوغ (١٢-١٥ سنة) حتى تُوكَل إليهما أعمال الراشدين، فيكتسبا صفات الرشد، ثم إن هذا المثال واضح جداً في بيئة الإسلام؛ ولعل هذا يحمل تفسيراً علمياً لموقف في تاريخ الإسلام العظيم: وهو إسلام علي بن

(١) راجع كتاب: سيكولوجية المراهق المسلم المعاصر: للأستاذ/ عبد الرحمن العيسوي، ص ١٤ ط. دار الوثائق/ الكويت.

(٢) انظر كتاب: فن التعامل مع المراهقين: للأستاذ/ ناصر الشافعي، ص ١٤، ص ١٥ ط. دار البيان للترجمة والتوزيع.





أبي طالب وهو في العاشرة من عمره، وقيادة أسامة جيش كبير وهو في السادسة عشرة، وزواج عائشة في التاسعة، وفاطمة في الخامسة عشرة، وأسماء بنت عميس في الثانية عشرة، وتزوجها جعفر فكان قائدًا للمهاجرين، والمتحدث الرسمي باسم المهاجرين أمام ملك الحبشة، كل هذا وسنه في حدود هذه المرحلة، وهذا شاهد أن بلوغ الشباب الرشد هو نتاج للمجتمع الراشد.

٢- زيادة اعتمادية الفرد، وعدم استقلاله: ثم بسبب النمو الصناعي أصبح على الفرد أن يزداد من الثقافة المؤهلة للعمل.

وظهر التعليم الجامعي الذي أطال فترة التعليم أكثر، وأجَّل الانغماس في محيط العمل، الذي أجَّل -بالتالي- الاستقلال الاقتصادي، مما أدى إلى تأجيل الزواج وتكوين الأسرة. وهذان العاملان إن وجدا -الاستقلال الاقتصادي، وتكوين الأسرة- يكون الشاب والفتاة قد دخلا المجال الواسع لمرحلة الرشد.

تأجيل الرشد: طول مدة التعليم -تأجيل العمل- تأجيل الاستقلال الاقتصادي -تأجيل الزواج- تأجيل المسؤوليات الأسرية، كلها يؤدي بالترتيب إلى (تأجيل الرشد). ولذلك نستطيع أن نلخص أهم مظهرين من مظاهر مشكلات الشباب في:

١- البطالة الاقتصادية.

٢- البطالة الجنسية.

والخلاصة:

يمكن تلخيص بداية المرحلة في:

١- اقتراب شكل الجسم ووظائفه من آخر درجات النضج، واكتساب شكل الرجولة الكاملة، وانتهاء مرحلة التَّرهُّل الطفلي.

٢- الإحساس بأنه لم يعد صغيرًا، بل ويعيش دور الكبير.

٣- اعتراف الآخرين بأنه لم يعد طفلًا وإن كانوا يترددون في الاعتراف به كرجل.



ونهاية المرحلة:

كذلك فإن نهاية المرحلة في سن ٢٥ تقريبًا.

- ١ - يترك التعليم بعد استكماله.
- ٢ - يلتحق بعمل دائم.
- ٣ - يتزوج.
- ٤ - يترك فترة الطلب، ويبدأ في حياة الراشدين.

الاستقرار:

إن خصائص الانتقال من المراهقة إلى الشباب تتلخص في كلمة واحدة (الاستقرار). فكان أهم ما يميز مرحلة المراهقة التقلب وعدم الاستقرار في الميول المهنية، والهوايات، ونوع الملابس، وأساليب الترويح، والصداقات، والتقلب المزاجي، والتأثر بالدعاية والإعلان وآراء الآخرين، يتحول كل ذلك في هذه المرحلة إلى الاستقرار والثبات؛ وخاصة استقرار النظر إلى المهنة والهوايات.

ومن الأسباب التي تعوق الاستقرار:

- أن يعيش مع أسرته طوال الوقت.
- مبالغة الوالدين في الحماية.

والحل في استقلال الفتى في هذا السن ببعض حياته بعيدًا عن أسرته، مثل ما يحدث في المعسكرات، والمدن الجامعية، والتجنيد، والاندماج الاجتماعي في النوادي والجمعيات الخيرية؛





لأن الأقران والمشرفين في هذه المجتمعات لا يقبلون منه عودة القلب والتذبذب؛ فهم أقل تسامحاً في هذا المجال، وهذا يعطي شكلاً من أشكال التدريب على الاستقرار^(١).

(١) راجع كتاب: شباب بلا مشكلات-رحلة من الداخل: للدكتور/ أكرم رضا، ص ٤٥، ص ٤٦، ص ٥٠، ص ٥١ بتصرف.

خصائص المرحلة الشبابية

المرحلة التي نتحدث عنها هي مرحلة الشباب، ويقع جزء كبير منها في مرحلة المراهقة، وهي مرحلة متميزة لها سماتها وخصائصها، وهي من أخطر المراحل الانتقالية في حياة الإنسان، فالمراهق ليس طفلاً كما أنه ليس رجلاً، لذا فهي من أخطر المراحل التي تتسم بالتجدد المستمر، والترقي في معارج الصعود نحو النضج الإنساني الرشيد، ومكمن الخطر في هذه المرحلة هي التغيرات الكثيرة التي تصيب المراهق، مما قد يؤدي إلى صراعات متعددة داخلية وخارجية.

ومن ثم فمن المهم التعريف بخصائص هذه المرحلة وسماتها، والحديث المفصل عنها قد يطول، لذا سنتحدث هاهنا بإيجاز عن أهم خصائص المرحلة وسماتها، وهذا لا يغني المربي عن الرجوع إلى الكتب المتخصصة للاستزادة حول هذا الموضوع.

هناك أمور يشترك فيها معظم الناس وتسود في أغلب المجتمعات، وثمة صفات مرتبطة بالإنسان من حيث هو إنسان، إلا أن ذلك لا يعني أن المجتمعات والناس سيصبحون نسخة واحدة، فليس ما يصدق على أحدهم يصدق على سائر الناس، وهذا له صلة كبيرة بموضوع حديثنا.

لذا فالعوامل المختلفة في المجتمعات تترك أثرها في حياة المراهقين، فيختلفون من عصر آخر، ففي العصور السابقة التي كان يدخل فيها المراهق ميدان العمل في وقت مبكر، ويتزوج وهو صغير، كان المراهق أسرع نضجاً وأقل مشكلات من هذا العصر الذي تطول فيه مدة التعليم والاعتماد على الأسرة، ويتأخر الزواج وتحمل المسؤولية.

وهم يختلفون من مجتمع لآخر، ويختلفون في المجتمع الواحد من بيئة لأخرى؛ فالمراهق في الريف والبادية يختلف عن المراهق في الحاضرة، والمراهق في المجتمع الصناعي يختلف عنه في





المجتمع الزراعي، كما يختلف في المجتمع القبلي المترابط عنه في المجتمع المدني المعاصر الذي تقل فيه الروابط الأسرية والقبلية.

ولذا فالمراهق في المجتمعات الإسلامية التي كانت تعيش صفاء الإسلام بخلاف غيره ممن يعيش في ظل المجتمعات المعاصرة والتي أكثرها (علماني).

وتبدو سمات المراهق في جوانب النمو - خاصة - حتى سن (١٧ سنة) كما يلي:

أ) النمو الجسمي:

- لما كانت المراهقة تعني بداية دخول الشاب عالم الرجال، ودخول الفتاة عالم النساء، فمن سنة الله في خلقه أن يتهياً جسمه لذلك، فينمو بما يؤهله للانتقال إلى المرحلة الجديدة.

- فيبدأ المراهق في مواجهة عملية تحول كاملة في وزنه، وحجمه، وشكله، في الأنسجة والأجهزة الداخلية، والأعضاء الخارجية... بينما كان النمو العضوي في المراحل السابقة للطفل متدرجاً بطيئاً، فإن النمو في مرحلة المراهقة يأتي سريعاً ومتتابعاً، ومفاجئاً أحياناً، يحس به الفرد بشكل واضح.

- فالهيكل العظمي تستطيل عظامه، وتأخذ سُمكاً جديداً سريعاً، وتأخذ العضلات في التكور والاشتداد^(١).

ويشمل النمو الجسمي مظهرين:

١ - النمو الداخلي (الفسيولوجي): وهو النمو في الأجهزة الداخلية غير الظاهرة للعيان، ويشمل ذلك بوجه خاص النمو في الغدد الجنسية.

(١) راجع كتاب: المراهقون: د/ عبد العزيز النغمشي، ص ١١ ط. دار المسلم للنشر بالرياض.



فعلى سبيل المثال:

عندما يصل الجسم إلى عمر معين (٨-١٣) سنة في الإناث (١٠-١٥) سنة في الذكور يفرز الدماغ هرموناً يكون هو المسئول عن بداية هذه المرحلة.

يصل هذا الهرمون إلى الغدة النخامية في الدماغ وهي بدورها تقوم بإفراز هرمونين آخرين إلى الدم، واعتماداً على الجنس يعمل هذان الهرمونان.

كل هذه التغيرات التي تحدث في جسم الفتى أو الفتاة إنما هي نتيجة للرسائل الكيميائية التي تحدث في الجسم.

ونتيجةً لعمل الهرمونات يتغير الجسم من الشكل الطفولي لشكل البلوغ، كذلك فإن زيادة الوزن عند الشاب ليست راجعة إلى زيادة أنسجة العضلات والعظام، وقد يحدث تغير في الشكل والنسب، وقد تمثل العضلات ٤٥٪ من وزن الجسم، وتحدث أكبر زيادة في العضلات في الفترة من (١٢-١٥ سنة).

التحولات البيولوجية خلال المراهقة:

تحدث في هذه المرحلة طفرة في النمو وزيادة في سرعته لمدة ثلاث سنوات (١٠-١٤ عند الإناث) (١٢-١٦ عند البنين).

- يزداد الطول زيادة سريعة ويتسع الكتفان ويزداد طول الجذع وطول الساقين.
- يزداد نمو العضلات والقوة العضلية بصفة عامة.
- يزداد الوزن زيادة سريعة نتيجة لنمو العضلات والعظام.
- يتم النضج الهيكلي تماماً في هذه المرحلة.
- تتضح النسب الجسمانية الناضجة وتتعديل نسب الوجه وتستقر ملامح وجه الراشد.





تكتمل الأسنان الدائمة ففي ما بين ١٧ سنة وحتى نهاية المرحلة تظهر أربع ضروس خلفية أخيرة تسمى ضروس العقل^(١).

٢- أما المظهر الثاني: فهو النمو العضوي: ويتمثل في نمو الأبعاد الخارجية للمراهق، فيزداد طوله ووزنه، وتبدو العلامات التي تميز الشاب عن الفتاة، فيخشن صوت الشاب، ويبدأ نمو الشعر في مواطن معينة من جسمه، وفي المقابل يبرز الثديان لدى الفتاة، وتبدو لديها مظاهر الأنوثة^(٢).

(١) عندما يبلغ المراهق تؤدي القفزة السريعة في النمو الجسدي إلى تضخم هائل في القابلية، فالصبي يحتاج إلى ٢٧٠٠ وحدة حرارية في اليوم، والفتاة تحتاج إلى ٢٢٠٠ وحدة حرارية، إن الكالسيوم مهم جداً للنمو العظمي، وثمة حاجة إلى كميات إضافية من الحديد لدعم الكتلة العضلية والمقدار الدموي عند الصبيان، وللتعويض عن الدم المفقود عند البنات في الدورة الشهرية.

إن هذا الازدياد في المتطلبات الغذائية يأتي في وقت تكون العادات الغذائية رديئة جداً، فكلنا يعلم أن المراهقين في معظم أنحاء العالم يميلون لاستهلاك أغذية غير صحية! إذ يتناولون الطعام بسرعة، ويفضلون تناول الوجبات السريعة في المطاعم بدلاً من الطعام المغذي المطهي في المنزل، إن هذه العادات لو استمرت لفترة طويلة، وأصبحت النمط الغذائي الوحيد لدى المراهقين ستؤدي إلى مفعول مؤذٍ على صحتهم.

- إن أكثر المشكلات الغذائية شيوعاً خلال المراهقة هي النقص في الحديد وتشير الإحصاءات إلى أن ما يقارب من ٧٥٪ من المراهقين يعانون من هذه المشكلة (أقصد مشكلة فقر الدم «الأنيميا»)، ومعظم المراهقين لا يحصلون على الكميات الكافية من الكالسيوم والفيتامين - خاصة - فيتامين (B) والمغنيسيوم التي تدعم عملية الأيض والاستلاب.

• كذلك فإن الشاب في بداية بلوغه يشعر بتغيرات جسدية تؤثر على أشياء أخرى كفقدان توازنه الحركي، وعدم ضبط ردود الأفعال، والشعور بمشاعر مختلفة كالخجل والإحراج أحياناً، والحساسية الشديدة أحياناً أخرى، وقد تؤثر الناحية الجسمية على المراهق نفسياً لذا كان لزاماً على المربين الاهتمام بالتربية الجسدية وأغراضها. راجع: [سيكولوجية الطفولة والمراهقة: د/عبد عبد الجسماني، ص ١١١ ط. منشورات مكتبة آفاق عربية]، وكتاب: [سيكولوجية المراهقة - د/بيلر ورفيقه]، ص ١٠٦ ط. دار النهضة العربية].

(٢) فائدة: قال الحافظ ابن حجر / في كتابه: [فتح الباري في شرح صحيح الإمام البخاري: (٢٢٨-٢٢٩) ط. دار التراث]،

اختلف الفقهاء في تحديد سن البلوغ:

=

ويتميز النمو الجسمي في مرحلة المراهقة بسرعه الكبرية، وقد ينشأ عنها عدم تناسق بين أجزاء الجسم المختلفة مما قد يسبب الحرج له، كما أن النمو الجسمي لا يسير في توازن مع سائر المظاهر، فقد يسبق النمو الجسمي النمو العقلي أو الاجتماعي: فينتظر منه مَنْ حوله لن ينتقل

- أ) فذهب الجمهور إلى أن حد البلوغ خمس عشرة سنة للذكر والأنثى، وهذا رأي الشافعي وأحمد وابن وهب.
 ب) وذهب المالكية إلى أن حد البلوغ ثمان عشرة سنة للذكر والأنثى.
 ج) وذهب الأحناف إلى أن حد البلوغ ثمان عشرة سنة للذكر، وسبع عشرة سنة للأنثى.
 والبلوغ في الشريعة يُعرف بأحد هذه الثلاثة:

- ١- الاحتلام: لقوله ﷺ: (رفع القلم عن ثلاثة: الصبي حتى يحتلم، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق) [الحديث صحيح أخرجه البخاري معلقاً: (٢٠٠/٩)، وتكلم عليه الحافظ وعلى مَنْ وصله في الفتح (٢٠٥/٩)، وراجع أيضاً سنن أبي داود: (٥٦٠/٢)، والترمذي: (٢٢/٤)، وابن ماجه: (٦٥٨/١)، وابن حبان: (موارد ص ٣٦٠ ح ١٤٩٧)، والحاكم: (٢٥٨/١) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه وأقره الذهبي -رحمهما الله-].
 - ٢- ظهور شعر العانة: عن عطية القرظي قال: عُرِضْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ قَرِيظَةَ فَكَانَ مَنْ أُنْبِتَ قُتِلَ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ خُلِّيَ سَبِيلَهُ، فَكَنْتُ مِمَّنْ لَمْ يُنْبِتْ فَخُلِّيَ سَبِيلِي) [الحديث صحيح أخرجه أبو داود: (٥٦١/٤)، والترمذي: (٢١٥-٢١٤/٣) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه: (٢٥٤١ ح)، والنسائي: (٤٩٩٦)، وأحمد في المسند: (٢١٠٧/٤) وصححه شيخنا الألباني في صحيح الترمذي: (١٦٤٩ ح) قال الترمذي: والعمل على هذا عند بعض أهل العلم، فإنهم يرون الإنبات بلوغاً وإن لم يعرف احتلامه ولا سنه، وهو قول أحمد وإسحق، راجع سنن الترمذي: (٢١٥-٢١٤/٣) ط. دار الفكر].
 - ٣- إذا بلغ خمس عشرة سنة: عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: قال عُرِضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَيْشٍ، وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ فَلَمْ يَقْبَلْنِي، ثُمَّ عُرِضَتْ عَلَيْهِ مِنْ قَابِلٍ فِي جَيْشٍ وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةٍ فَقَبِلْنِي) صحيح [أخرجه البخاري: (٢٧٦/٥)، ومسلم: (١٤٩٠/٢)].
 ولهذا ترجم الإمام الترمذي باب (ما جاء في حد بلوغ الرجل، ومن يُفرض له) (٣١)، كتاب الجهاد ٢٤، وقال نافع يحدث بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز، فقال: (هذا حد ما بين الصغير والكبير، ثم كتب أن يفرض عمن بلغ الخمسة عشرة) وفي رواية بلفظ: (هذا حد ما بين الذرية والمقاتلة ولم يذكر أن كتب أن يحضر) [راجع: سنن الترمذي: (١٧١٧ ح)].
 قلت: وفي هذا الحديث فوائد كثيرة راجعها في الفتح (٢٢٩/٥).
 - ٤- بلوغ النساء أيضاً يعرف بالحيض، يقول الحافظ: «وقد أجمع العلماء على أن الحيض بلوغ في حق النساء». قلت: وأرى -والله أعلم بالصواب- أنه لا يُصَارُ إِلَى الْحُكْمِ بِظُهُورِ الْعَانَةِ إِلَّا إِذَا تَعَذَّرَ مَعْرِفَةُ الْإِحْتِلَامِ وَالسِّنِّ، كَمَا نَقَلَ ذَلِكَ عَنِ الْإِمَامِ التِّرْمِذِيِّ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.
- وراجع هذه المسألة في بحث: (البيان المأمول من علم الأصول) للشيخ: عبد الرحمن عبد الخالق، ص ٦٤ ط. دار الإيمان بالاسكندرية.





إلى عالم الرجال وهو لما يزال طفلاً بعد، وقد يحدث العكس فيتأخر النمو الجسمي ويُعامل على أنه طفل بينما هو يشعر أنه قد تجاوز ذلك.

ونعود فنؤكد أن بداية الشباب هو منذ بلوغ الإنسان وحتى سن الثلاثين، فالشباب يتصل بمرحلة من عمر الإنسان هي الحد الأوسط بين الطفولة الساذجة القاسية في الفكر والمهتمة بالمحسوسات والماديات، وبين الشيخوخة بخصائصها التي يصور بعضها قول الله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَوَّلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٠]^(١).

* في هذه الفترة (أقصده فترة البلوغ والمراهقة) يحدث الكثير من التغيرات الفسيولوجية والسلوكية أثناء البلوغ: مثل التعب والكسل والإرهاق السريع، وكثيراً ما يخطئ الآباء والأمهات عندما يكلفون الابن أو الابنة في هذه المرحلة بالكثير من الأعباء والمسؤوليات، التي لا يقوى عليها.

ويجب أن نلاحظ هنا أن البالغ في هذه المرحلة يكون أقل قدرة على القيام بنجاح بكل الأعباء والمسؤوليات، مما يؤدي إلى الضغط النفسي، وزيادة التوتر العصبي، وزيادة الانفعالية.

وعادة ما تحدث اضطرابات هضمية بسبب التغيرات الغددية والتغيرات الداخلية في أعضاء الجسم.

ويشيع في هذه المرحلة حدوث الأنيميا (فقر الدم) بسبب عادات الطعام غير المنتظمة، ويعاني البالغ من آلام الصداع وآلام الظهر والهزال، وهذه الأعراض أكثر شيوعاً عند البنات بصفة خاصة في فترة الدورة الشهرية، وتمر هذه المرحلة بسلام إذا كانت الصحة العامة للبالغ جيدة.

(١) راجع كتاب: المنهاج النبوي في دعوة الشباب: للشيخ/ سليمان بن قاسم العيد، ص ١٦ ط. دار العاصمة.



وعلينا أن نلاحظ أن التغيرات السلوكية نحو البلوغ تعتبر نتيجة للتغيرات الاجتماعية بالدرجة الأولى، وإن كنا لا ننكر أثر التغيرات الغددية والفسولوجية في التوازن الجسمي، أي أن حالة البالغ المراهق تعتمد على درجة تفهم المحيطين به لأحواله مع عدم الضغط عليه بأكثر مما يطيق، أما عن مقدار تأثير هذه التغيرات على البالغ المراهق، فهي تعتمد على درجة النضج وعلى معلوماته... والإعداد النفسي الذي حصل عليه، فقد وجد أنه في حالة توفير معلومات غير صحيحة تتكون اتجاهات خاطئة نحو المراهقة والبلوغ، ونذكر من الجوانب السلبية ما يلي:

- الرغبة في العزلة والبعد عن الآخرين.
- عدم الرغبة في العمل وبذل أي مجهود أو القيام بأي نشاط.
- عدم التأزر بسبب اختلاف نسب النمو.
- الملل السريع من الأنشطة والرغبة في التغيير، ويبدو ذلك من رفضه الاشتراك في الأنشطة المختلفة، وأحياناً يصاب اللامبالاة، والإحساس بالنبد والرفض إذا لم يقبل الآخرون ما يقوم به.
- عدم الاستقرار النفسي والعضوي، حيث تتغير اتجاهاته مثلما يتغير جسمه مع الإحساس بمشاعر التوتر والقلق.
- الرفض والعناد حيث يوجد رفض ومعاداة للأسرة والأصدقاء والمجتمع عموماً.
- ولذلك يغلب عليه الحزن والاعتماد، ويعارض الآخرين ولا يتعاون معهم، ويرفض رغباتهم، وتغلب عليه الغيرة من إخوته ويتصارع معهم، ويكون كثير الجدل والنقاش لمجرد المناقشة وإثارة المتاعب والمشغبة فقط، ولكن لا تلبث هذه الحالة أن تتغير مع التقدم في العمر للمرحلة التالية.





• مقاومة السلطة والرغبة في الاستقلال، وفي هذه الفترة يحدث أكبر قدر من الصراع والنزاع بين الأبناء والآباء وخاصة مع الأم، ويرجع السبب في ذلك لكون الأم هي الأكثر اتصالاً بالمرهق داخل المنزل، وكلما وجد البالغ المراهق أنه لا يحقق نصرًا في نزاعه؛ ازدادت حدة مقاومته وعناده وقد يلجأ إلى الانسحاب ويصدر عنه أنواع مختلفة من سوء السلوك.

• الانفعالية الشديدة بسبب التوتر والاضطراب الناتج عن النمو والتغيرات الجسمية، حيث يكون المراهق شديد الحساسية، مع زيادة المخاوف المتهمة، مما يؤدي إلى زيادة القلق والشك في كفاءته الشخصية والاجتماعية، ويظهر الشعور بالكآبة، وقد يشعر بأنه لم يعد محبوبًا أو مرغوبًا فيه.

• نقص الثقة في النفس، حيث يشك في قدراته وكفاءته، ويبدو أن هذا هو السبب في الكثير من سلوك الرفض والعناد، ويكون مفهوم الذات غير مستقر مما قد يكون سببًا في الأخطاء التي يقع فيها المراهق، حيث يرجع ذلك إلى رغبته في تأكيد ذاته.

وقد يعود السبب في نقص الثقة إلى نقص المقاومة الجسمية والتعب السريع، والضغط الاجتماعي المتعددة، وتكليفه بأكثر مما يطيق، ونقد الكبار لطريقته وأسلوبه في أداء العمل، والاهتمام بمسائل الجنس بسبب نمو الأعضاء الجنسية ونمو الغدد الجنسية، وقد يشغل معظم تفكيره، ويحاول الحصول على بعض المعلومات الجنسية بأساليب مختلفة، وقد يلجأ إلى المصادر غير الدقيقة، وقد يؤدي ذلك إلى بعض المشكلات الجنسية، وخاصة ممارسة العادة السرية، ومع احتمال النضج تنحصر المشكلات وتقل حدتها خاصة، إذا توافرت ظروف تربوية جيدة.

استغراق وقت المراهق في أحلام اليقظة: وهي من أفضل وسائل قضاء الوقت عند المراهق في سن البلوغ؛ حيث يكون بطلها المراهق نفسه، وهي مصدر مهم للتعبير عن



انفعالاته وإشباع دوافعه، وكلما زاد اندماج المراهق البالغ في هذه الأحلام؛ كلما ازداد بعداً عن الواقع ونقص تكيّفه الاجتماعي.

الحياء الشديد: زيادة حياء المراهق؛ حيث يشعر بالخجل الشديد من أن يراه أحد أثناء تغيير ملابسه مثلاً، أو أثناء الاغتسال، وهذا الشعور يأتي نتيجة للتغيرات الجسمية، ولكن ذلك يعتبر أساساً للشعور الأخلاقي فيما بعد^(١).

كذلك فإن النمو الجسدي للمراهق يمر بالمرحلة الثانية (من ١٥ إلى ٢١ سنة):

تعد مرحلة وسط بين المراهقة والرشد، وتبدأ مع التعليم الثانوي بين سن (١٥-١٦ سنة)، وبوصول الشاب إلى عمر (٢١ سنة) الأصل أنه يصبح راشداً، وإن كان بعض الدارسين يرى أن نهاية هذه المرحلة تنتهي بسن الخامسة والعشرين؛ لأنها السن التي تحدث عندها تحولات مهمة في حياة الفرد، حيث يتخرج في الجامعة، ويحاول الالتحاق بالعمل، ثم الزواج وتكوين الأسرة بعد ذلك، ويطلق البعض على هذه المرحلة (المراهقة المتأخرة).

من مظاهر التغير في هذه المرحلة:

النمو الجسدي: تنخفض سرعة النمو الجسدي مما يساعد على إحداث التكامل بين مختلف وظائف الجسم العضلية، ويستقر الطول والوزن حيث تكون الزيادة ضئيلة جداً، وتوضح الدراسات أن النمو الجسدي يسير باضطراب حتى عمر (١٥ سنة) عند البنات، وحتى عمر (١٧ سنة) عند الذكور، أي أن النمو الجسدي في هذه المرحلة يصل إلى مرحلة الثبات والاستقرار، ونلاحظ ذلك أيضاً في الجوانب السلوكية.

(١) راجع كتاب: الأسس النفسية للنمو: للأستاذ/ فؤاد البهي السيد، ص ٢٠٠ ط. دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٥٦م.





وتتزايد الفروق بين الجنسين في الوزن أكثر من الفروق في الطول، لأن الوزن يتأثر بظروف التغذية، وأيضًا بسبب الظروف البيئية والاجتماعية والثقافية.

وفي هذه المرحلة يختفي عدم التناسب بين أجزاء الجسم تدريجيًا حتى يصل إلى النسب الصحيحة، ويصل إلى الشكل الجيد للرجل الناضج أو المرأة الناضجة.

ومع نهاية هذه المرحلة تكتمل الخصائص الجنسية الثانوية والوظائف الأولية، ويزول حب الشباب وغيره من أمراض الجلد، ويظهر ضرس العقل.

وأُسرع معدلات النمو في هذه المرحلة تكون في القلب، حيث يصل لحجمه الكامل في سن (١٨) بالنسبة للذكور، وفي سن (١٧) سنة) بالنسبة للإناث، وتصل سعة الرئتين عند الإناث إلى قمة النضج في سن (١٧) أيضًا، بينما يتأخر نضجها عند الذكور.

أما عن صحة الجسم، فإن هذه المرحلة مرحلة صحية جيدة ومقاومة للأمراض، وتنخفض نسبة الوفيات انخفاضًا كبيرًا، وترجع معظم الوفيات إلى الحوادث أكثر منها إلى المرض، وقد يعاني بعض الشباب من الصداع واضطرابات الجهاز الهضمي، ومن توهم المرض أحيانًا رغبة في الهروب من تحمل بعض المسؤوليات.

- ويكتمل التأزر الحركي، وتزداد القدرة على التحكم في أجزاء الجسم المختلفة، ويزداد تعلم المهارات الحركية المعقدة.

النمو الجنسي:

لا شك أن هذه الفترة من أبرز أسباب النمو الجنسي.

الخطوة الأولى:

البداية كانت عند ضمور الغدة التيموثية قبل البلوغ بوقت قليل، وكانت من مهمّاتها إيقاف عمل الأجهزة التناسلية التي وُلِدَ الإنسان وهي موجودة فيه.



الخطوة الثانية:

وتبدأ في الدماغ؛ بتأثير ما يسمى الهيبوثالموس Hypothalamus الذي يفرز مادتين، كلتاهما تؤثران على الغدة النخامية في الدماغ أيضًا؛ لتحفزها على إفراز هرمونين؛ أحدهما: هرمون أنثوي يُنشطُ الغدة الجنسية الأنثوية (المبيض)، والآخر: هرمون ذكري يُنشطُ الغدة الجنسية الذكرية (الخصية).

الخطوة الثالثة:

حيث تبدأ هاتين الغدتين الجنسيتين (المبيض والخصية) في العمل؛ فالغدة الذكرية (الخصية) تنتج هرمون الأندروجين، والغدة الأنثوية (المبيض) تنتج هرمون الأستروجين والبروجيسترون، بالإضافة إلى أن كل غدة تنتج كمية قليلة من هرمون النوع الآخر.

الخطوة الرابعة:

تفرز الغدة الكظرية (فوق الكلية) Suprarenal كميات كبيرة من هرمون الأندروجين في الجنسين.

ومن هذا العرض البسط يتبين لنا أن هناك عدة حلقات متصلة من التأثير على مقادير الهرمونات الجنسية في كلا الجنسين، وأن أي اضطراب أو عطل في أي حلقة من هذه الحلقات قد تؤدي إلى اضطراب في النواحي الجنسية.

مهمة الهرمونات:

- ليست مهمة الهرمونات ضبط الغريزة الجنسية كما يظن البعض، ولكن مهمة الهرمونات هو ضبط العمل الجنسي في عدة مجالات، هي:
أولاً: علاقة الهرمونات بتحديد الهوية الجنسية (ذكر وأنثى):





النظرية التي يؤخذ بها هنا أن تقرير كون الجنس ذكرًا أو أنثى يأتي عن طريق الجينات في البيضة الملقحة التي تتحول إلى جنين، وهذه الجينات تقرر هل ستكون الغدة الجنسية مبيضةً أنثويًا أم خصية ذكرية.

والهرمون الأساسي الذي له التأثير الأكبر في نمو هذه الغدد واتجاهها نحو نوع معين هو (هرمون الأندروجين) الذي إذا زاد دفع إلى الاتجاه الذكري، وإذا قل دفع إلى الاتجاه الأنثوي، وإذا انعدم جاء الجنين أنثى.

ثانيًا: علاقة الهرمونات بتكوين الخصائص الجنسية الثانوية لكل من الجنسين:

حيث إن الهرمونات الذكرية تؤدي إلى ظهور الميزات الخاصة بالذكر؛ من نمو الحنجرة، وشكل العضلات، وتركيب الجسم، وغزارة الشعر.

وكذلك الهرمونات الأنثوية تعطي الأنثى ميزات الأنثوية عند البلوغ^(١).

ثالثًا: أثر الهرمونات على السلوك الجنسي (الدافع والأداء الجنسي):

١ - عند الذكر:

لهرمون (الأندروجين) تأثير مهم على الدافع والأداء الجنسي عند الذكر؛ فتوافر الهرمون يزيد في الدافع الجنسي لكل من الذكر والأنثى، ونقصه يؤدي إلى إنقاص الدافع؛ وذلك لتأثيره على المراكز الجنسية في الدماغ.

(١) انظر ذلك بالتفصيل في كتاب: [شباب بلا مشكلات، تأليف د/ أكرم رضا ص ٧٤، ص ٧٥، ص ٧٦، ص ٧٧] بتصرف.



و(هرمون التستوستيرون) الذي يفرز في خصية الذكر له أيضًا تأثير على الاهتمام بالأمور الجنسية والانتصاب، ونقصه بسبب مرض أو جراحة يؤدي إلى فقدان هذا الاهتمام عند الذكر، وهو نفس التأثير الذي يسببه الاختصاص^(١).

وهذا التأثير نفسه يحدث عند إعطاء أدوية تضاد عمل (الأندروجين)، أو إعطاء أدوية بها الهرمون الأنثوي (الاستروجين).

٢ - عند الإناث:

أثر الأندروجين فيهن يشبه أثره في الذكور؛ فله دور المنشط للدافع الجنسي في الأحوال العادية، ودور المقوي في حالة قلة الدافع الجنسي أو ضعفه.

ويلاحظ أن الأنثى فقدت المصدر الطبيعي للأندروجين تفقد اهتمامها بالجنس، فإذا أُعطيَ هرمون (الأندروجين) و(التستوستيرون) كعلاج تعود أشد اهتمامًا.

ولكن يسبب هذا العلاج ظهور خصائص الذكور؛ كنمو الشعر، واختلاف نبرة الصوت.

وليس هناك من برهان على أن الهرمونات الأنثوية (الاستروجين والبروجيستيرون) Oestrogen, Progesterone لها أي تأثير على الدافع الجنسي عند الأنثى؛ حيث إن إزالة المبيض -الذي هو المصدر الأساسي لهذين الهرمونين- لا يؤدي إلى أن تفقد الأنثى الدافع الجنسي، بعكس هرمون (الأندروجين).

رابعًا: أثر هرمون (الأندروجين) على السلوك غير الجنسي:

(١) الاختصاص: هو قطع الخصيتين وعضو الذكر؛ ليُصَرَّفَ عن الدافع الجنسي فينمو جسده ويكثر لحمه.





تأثير هذا الهرمون على السلوك الإنساني يتجاوز تأثيره المتخصص على الرغبة الجنسية؛ حيث يعطي قوة عضلية، ويدفع إلى النشاط والتنفس، وزيادته عند المراهقين تؤدي إلى العدوانية والجنوح، والعكس عند قِلَّتِهِ.

- ومن هنا ندرك أن الهرمونات - وخاصة (الأندروجين) - لها أهمية قُصوى في ثلاثة مجالات:

- ١ - إعطاء الجسم الخاصية الجنسية (ذكر وأنثى)؛ سواء بنمو الأعضاء الجنسية، أو بظهور المظاهر الجنسية الثانوية.
- ٢ - التأثير على الدافع والرغبة الجنسية (السلوك الجنسي).
- ٣ - التأثير على بعض السلوكيات الأخرى غير الجنسية.

وعند البلوغ تبدأ الغدد الجنسية الذكرية (الخصيتان) في تصنيع وإفراز الحيوانات المنوية (المنّي)، وتبدأ الغدد الجنسية الأنثوية (المبيضان) في تصنيع (البويضات) وإخراجها إلى الرحم؛ حيث تخرج مع دم الحيض شهرياً عند عدم حدوث الحمل، ومع استمرار النمو في مرحلة المراهقة يستمر نمو ونضج هذه الأجهزة، وتنضبط (فسيولوجية) هذه العمليات، وذلك حتى نهاية مرحلة بلوغ السعي (المراهقة المتأخرة) التي تعتبر قمة النضج لهذا النمو الجنسي.

السلوك الجنسي:

سؤال: هل ننداوى بالهرمونات حتى نوقف هذا الدافع لدينا لحين الزواج؛ حتى لا نقع في الحرام؟!

فكان الجواب: إن (السلوك الجنسي) يتكون من شقين هما:

- ١ - الدافع الجنسي.

٢- الرغبة الجنسية.

فالدافع الجنسي: فطرة فطر الله الناس عليها، وجعله عند الذكر والأنثى ولكن بشكل مختلف؛ فالحاجة لإشباع هذا الدافع موجودة في الإنسان.

وشعور الذكر بالأنثى -والعكس- موجود داخل الإنسان وجزء من تكوينه.

• ويختلف هذا الدافع في الإنسان عن الحيوانات؛ لأنه دافع يستطيع الإنسان السيطرة عليه وضبطه تبعاً للتقاليد والقيم التي تحكمه.

الرغبة الجنسية: ومهما كان الأمر فإن هناك عمليات فسيولوجية (وظيفية) تحدث في الجسم تجعل من الضروري -عند معظم الناس- أن تُثار أعضاؤهم الجنسية بين الحين والحين.

والإنسان يستطيع أن يقلل أو يزيد من هذه العمليات عن طريق التعامل مع ما يُسمّى بـ (الحافز الجنسي) الذي يؤثر في الشهية الجنسية، أو يؤدي إلى (الرغبة الجنسية)، أو قيام السلوك الجنسي، وهذا الحافز له ثلاثة محفزات رئيسية:

١- التفكير: أن يتوجه ذهن الفرد إلى الناحية الجنسية، والصور الخيالية الجنسية.

٢- الإثارة الحسية: وذلك عن طريق البصر، أو السمع، أو الشم أو اللمس.

٣- الإثارة الموضعية: للمناطق والأعضاء الجنسية في الجسد.

والرجل يختلف عن الأنثى في تحفيزه الجنسي؛ حيث إن الرجل -في الغالب- يثار بصورة تلقائية؛ عن طريق الحافزين الأولين -التفكير والإثارة الحسية- ويأتي الحافز الأخير كدروة لهذه الإثارة.





أما الأنثى فهي تثار عادة بحوافز موضوعية فعلية؛ فهي تتأثر بالحافز الأخير -الإثارة الموضوعية- أكثر من الحافزين الأولين (التفكير والإثارة الحسية).
وعلى هذا؛ فإن ضبط السلوك الجنسي يتوقف على تقليل أو زيادة منافذ هذه الإثارة الثلاثة.

النضج الجنسي:

سؤال: ما هو الاختلاف في النمو الجنسي في مرحلة الشباب؟
في البداية نقول: إن النمو الجنسي ككل نواحي النمو في هذه المرحلة يتجه نحو النضج.
ويكون هناك اختلاف في الاهتمام بين الجنسين؛ فاهتمام الذكور: يكون بتحقيق الاتصال الجنسي، واهتمام الإناث: ينصب أكثر على تحقيق الاتصال الانفعالي.
ومع النضج تندمج مشاعر الرغبة الجنسية، مع انفعال الحب والتقدير والرعاية.
ويزداد الارتباط بين الجنسين ليكون تفكيرهم الأساسي هو تكوين بيت يستشعرا فيه تحقيق أعلى حد من الأمان عند الاستجابة للطلبات الجنسية أو الانفعالية.

ومن سمات النضج الجنسي في مرحلة (بلوغ السعي):

- التخفيف أو الامتناع عن الاستمنااء.
- التعلق العاطفي بأحد أفراد الجنس الآخر.
- الانشغال بالرياضة والترفيه.
- بروز الهواية.
- التوجيه الخلقي والديني.
- الخوف من عواقب التصريف الجنسي غير الشرعي، أو غير الطبيعي.



- السعي إلى الزواج.

- زيادة الاحتلام (القذف المنوي أثناء النوم)، وتصاحبه أحياناً أحلام جنسية.

الذكور أكثر ميلاً إلى العدوان الجنسي والسيطرة في هذه المرحلة، والوقوع في الحب يقلل هذه الميول، ولكن يعيده عدم القدرة على الارتباط الآمن بمن يحب، وهذا يؤدي إلى زيادة الميل نحو التفكير في الزواج، والاستقرار الجنسي والعاطفي والأسري.

وتكثر الخطبة للإناث في هذا السن أكثر من الذكور الذين هم في السن نفسه، ولذا يكثر الصراع الجنسي في هذه الآونة.

الصراع الجنسي:

الصراع الجنسي في هذه المرحلة له مصدران:

الأول: الدافع الجنسي القوي، سواء الطبيعي داخلياً، أو المستثار خارجياً.

الثاني: ديانة المجتمع وقيمه الأخلاقية التي تضبطه^(١).

(١) إن هناك تجربة واقعية في هذا المجال؛ حيث أطلقت الحضارة الغربية العنان للشهوات، ولم تضع أي عائق أمامها، فماذا كانت النتيجة؟!

دلت الإحصائيات أن أبناء الزنا من المراهقات قد يصل عددهم إلى الملايين في أمريكا ودول أوروبا، وزادت نسبة الانتحار في قطاع الشباب لدرجة مخيفة هناك، بينما نرى في الحقيقة أن النمو الجنسي في المراهقة لا يؤدي بالضرورة إلى أزمات في ظل الالتزام بالإسلام وتشريعاته المحكمة، ولكن النظم الاجتماعية العلمانية الحديثة هي المسؤولة عن أزمات المراهقة.

وكما تقول (مارغريت ميد): في المجتمعات البدائية تختفي مرحلة المراهقة وينتقل الفرد من الطفولة إلى الرشد مباشرة، بمجرد إقامة حفل تقليدي له ويعهد إليه بمسؤوليات الرجال فيقوم بالصيد والرعي ويتزوج ويكون أسرة" [راجع: سيكولوجية المراهق المسلم المعاصر، للأستاذ/عبد الرحمن العيسوي، ص ١٠٥ ط. دار الوثائق/الكويت].

=





قد يقول قائل: إن المصدر الأول (الدافع الجنسي) في الغالب يكون أقوى من المصدر الثاني (قيم المجتمع)، ولذلك يقع كثير من الشباب في كارثة الازدواجية.

- مما يؤدي إلى أسباب الوقوع في الممارسة الجنسية المحرمة، ولذلك أسباب تنحصر في غفلة الشباب عن حضور الضياع الاجتماعي والديني، ولا مبالاة بالقيم الاجتماعية والأخلاق الدينية، بجانب طغيان الإثارة حوله، ودعم الحكومات العلمانية للانحلال الخلقي بهدف تقويض انتشار الدعوة الإسلامية، فضلاً عن نفاق المجتمع وعدم التزامه بما يتشدد به من قيم ودين وأخلاق.

والحل:

- تقليل المثيرات، ومحاصرة محفزات الغرائز، والاستعلاء على الشهوات المحرمة. خاصة وأن مَنْ يقع في الممارسة المحرمة يستشعر لذة مؤقتة، ثم يعقبها الشعور بالإثم، وتأنيب الضمير، ومع المنع والضبط الاجتماعي قد يرتكب الواحد الجريمة في سبيل الحصول على هذه اللذة، فتكثر حوادث الاغتصاب، والاعتداء على المحارم وغيرها.

- وعليه؛ فهذه المشكلة الكبرى (أقصد مشكلة النمو الجنسي) التي نتحدث عنها كتب التربية وعلم النفس ما هي إلا مشكلة مفتعلة، إذ الجانب الجنسي في الإسلام ليس مشكلة أو معضلة، فقد خلق الله في الإنسان طاقة حيوية لتعمل لا لتكبت، ولكن بأطر شرعية حلال، وعليه؛ فالإسلام يقر هذا الجانب مثله مثل كل الدوافع، ثم يرشد الإسلام أمرها فهو لا يغلق مجراها ولكن يرفعها ويضبط منصرفها، بحيث يكون الأمر أشبه بالقناطر التي تقام أمام التيار (النهر)، والجاهلية (العالم الغربي) تعترف بضرورة التنظيم والضبط لكل دوافع الفطرة إلا الجنس. للتوسع حول هذه المسألة راجع كتاب: [منهج التربية الإسلامية: للأستاذ/محمد قطب (١٩٦/٢) ط. دار الشروق] وكتاب: [الإسلام والجنس: للأستاذ/فتحي يكن من ص ٢٣ إلى ص ٣٦ ط. مؤسسة الرسالة] وكتاب: [الإسلام والمشكلة الجنسية: للدكتور/مصطفى عبد الواحد، ص ٢٣، ص ٢٤، ص ٢٩، ص ٤٠، ص ٤١، ص ٤٢ ط. دار الاعتصام] وكتاب: [الأمراض الجنسية عقوبة إلهية: للدكتور/عبد الحميد القضاة، ص ١٥١، ص ١٥٢، ص ١٥٣ ط. دار عالم الكتب للنشر والتوزيع] انظر رسالة: [الإسلام والجنس: للدكتور/عبد الله ناصح عنوان، ص ١٧، ص ١٨، ص ١٩ ط. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة] وكتاب: [العلاقات الاجتماعية بعد الزواج: للأستاذ/محمد عبد الهادي ط. مشروع ابن باز الخيري لمساعدة الشباب على الزواج بالرياض].



- والسبب الأساسي هو ضغط المثيرات في المجتمع، مما يؤدي إلى الدافع الجنسي.

- إلحاح الدافع الجنسي له سببان:

الأول: خارجي؛ عن طريق الإثارة.

الثاني: داخلي ذاتي؛ بالتفكير والفعل.

والملاحظ على فترة المراهقة في هذه المرحلة الاهتمام الشديد بالموضوعات الجنسية؛ فيكثرُ الشاب المراهق من قراءة الروايات الجنسية، والمشاهد الجنسية، والنكت الجنسية، ويزداد التعرض للمثيرات الجنسية؛ مثل: الصور، المحادثات، الكتابات، الأفلام، الملامسة، أحلام اليقظة، ويكثر حديث كل نوع عن النوع الآخر.

- إنها مرحلة سيادة التفكير الجنسي، والسعي وراء الجنس الآخر (ولو في الحرام).

وعندما تقع الممارسة... فلا تُعد مصائبها:

- ١ - الوقوع في كبيرة من أكبر الكبائر.
- ٢ - فقدان العفة للذكور مع البكارة للإناث.
- ٣ - الشعور المحبط بالإثم، الذي قد يؤدي إلى القنوط والبعد الكامل عن الله.
- ٤ - خوف من الحمل أو حدوثه فعلاً.
- ٥ - اللجوء إلى وسائل محرمة: كغشاء البكارة المصنوع، أو الإجهاض.
- ٦ - ضعف الثقة المتبادلة بين الطرفين.
- ٧ - الفشل إن استمرت العلاقة وأخذت الثوب العرفي - غالباً -.
- ٨ - الفضيحة الاجتماعية للفتى والفتاة ولأسرتيهما.



وهنا يبرز تساؤل: ما الفرق بين هذه المرحلة والمرحلة السابقة؟!

الجواب:

ملخص الفرق هو: الانتقال من الجنسية المثلية Homosexuality إلى الغيرية Heterosexuality فكما قلنا: ينتقل الاهتمام بالكامل إلى الجنس الآخر في رحلة للبحث عنه، تتمثل في:

- الحديث عنه، الاطلاع على حياته، مع الميل الشديد من الإناث إلى إبراز مفاتنهن في اللباس والحركة والتصرفات، وميل الذكور الشديد إلى النظر إلى النساء برغبة وشهوة، مع الاستعراض وحب التواجد في محيط الجنس الآخر.

- وكذلك البنات؛ وبهذا تنتشر العلاقات المتعددة، فينتقل الفتى من علاقة إلى أخرى، ويقل هذا غالباً في الإناث، وتنتشر العلاقات بين الفتيان والفتيات أو ما يطلق عليه (الارتباط).

- ويصبح أمام الفتى أو الفتاة لتصريف الشهوة الجنسية أحد طريقتين؛ إما الزنا، أو الاستمنا (الحرام)، وإما: الاستغفاف والزواج (الحلال المباح).

قال -: ﴿وَلَيْسَتَغْفِفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣]^(١).

وقد سن النبي طريقاً للاستغفاف، فقال غ: (يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء)^(٢).

(١) راجع: رسالة: ٤٠ وسيلة لتيسير الزواج، إعداد/ عبد الكريم بن عبد المحسن التركي، ط. مشروع ابن باز الخيري لتيسير الزواج، الرياض.

(٢) رواه البخاري: حديث رقم (٤٦٧٧).



ملحوظة: الاستعفاف نظام حياة، وليس مجرد كلمة نردها فنصل إليها بسهولة:

بل إنه مجموعة من الخطوات كالتالي:

١ - إدراك الذات:

حيث يتعرف الفتى أو الفتاة على هويتها، ويستطلعاً مهمتها في الحياة، ويدركا طبيعة علاقتهما بما حولهما، والتي تلخص كلها في قوله -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

المستوى الأخلاقي:

حيث يدرك كل منهما حدود القيم، وواجبات المجتمع الصغير والكبير، والالتزام بالمسؤولية المشتركة في المجتمع، والتي هي التعريف الصحيح للحرية.

ويتضح ذلك جيداً في الحادثة التالية:

(عن أبي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابَا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أئْذَنُ لِي بِالزَّنا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فزَجَرُوهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَهْ مَهْ، فَقَالَ ﷺ: ادْنِهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا فَجَلَسَ، قَالَ ﷺ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ ﷺ: وَلَا النَّاسَ يُحِبُّونَهُ لِأُمِّهَاتِهِمْ، قَالَ ﷺ: أَفُتَحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ ﷺ: وَلَا النَّاسَ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ ﷺ: أَفُتَحِبُّهُ لِأَخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ ﷺ: وَلَا النَّاسَ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ ﷺ: أَفُتَحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ ﷺ: وَلَا النَّاسَ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ ﷺ: أَفُتَحِبُّهُ لِحَالَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ ﷺ:





ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال ﷺ: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء^(١).

٣- الدافع الديني:

الذي يتلخص في التقوى، والمراقبة، وشعاره: ﴿لَتَعْلَمَنَّ اللَّهُ يُرَى﴾ ﴿العلق: ١٤﴾.

ويتضح هذا في الموقف التالي:

أراد أعرابي أن يراود امرأة عن نفسها بسبب حاجتها فرأها خائفة، فقال لها: لا يرانا من أحد إلا الكواكب، فقالت له: فأين مكوكبها؟ (خالق الكواكب)، فقام عنها وأعطائها حاجتها وانصرف.

٢- الأمن العاطفي في البيت.

٣- منع المثيرات: كالخلوة والاختلاط المحرم.

ج) النمو العقلي والمعرفي: يستمر التغير الكمي والكيفي، حيث يصبح المراهق في مرحلة البلوغ أكثر قدرة على إنجاز المهام العقلية بسهولة وسرعة وكفاءة، وتحدث أيضاً تغيرات في طبيعة العمليات المعرفية الصورية، وهي المرحلة الرابعة في النمو العقلي والمعرفي عند الإنسان.

في هذه الفترة يشهد المراهق طفرة في هذا النوع من النمو العقلي بحيث يمكن المراهق من التفكير بدرجة عالية من المرونة في بيئته وعالمه، ويستطيع تناول المفاهيم المجردة، وتصبح العمليات المعرفية أكثر ارتباطاً بأنماط السلوك، ويستخدم المراهقون الاتجاه الفرضي الاستنباطي، وهم بذلك أقرب إلى التفكير

(١) رواه أحمد في مسنده: حديث رقم (٢١١٨٥) وصححه إسناده الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند للإمام أحمد (٣٦/٥٤٥) ح (٢٢٢١١)، وقال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٦٩/١): وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح.



العلمي والاكتشاف العلمي، ويصاحب ذلك نمو في مفهوم الزمن والقدرة على إدراك المستقبل ووضع الأهداف.

والقدرة على التفكير المجرد تجعل المراهق في موقف يستطيع معه أن يتساءل عن الحكمة من الأخذ بقضايا، أو بأوضاع معينة، كان يسلم بها دون مناقشة في المراحل السابقة.

• وتلعب التغيرات العقلية والمعرفية دورًا مهمًا في مساعدته على التوافق مع المطالب التربوية والمهنية المعقدة.

• ويترتب على نمو المراهق المعرفي والعقلي أشياء كثيرة، منها: تغير في علاقته بالآخرين، وفي سمات شخصيته، وفي تخطيطه لمستقبله التعليمي والمهني مع زيادة الاهتمام بالأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، وكذلك ينشغل المراهق بالتفكير في ذاته فيزداد عنده الاستبطان والتأمل الذاتي، والتحليل الذاتي، ويتميز هذا التفكير بقدرة المراهق على فحص أفكاره ومشاعره وسمات شخصيته ومظهره، وتقويمها ونقدها، ويترتب على ذلك زيادة الشعور بالذات، مما يجعل المراهق ينشغل بنفسه أكثر مما ينجذب إلى الآخرين أو يجذبهم إليه، وفي هذه المرحلة يهتم المراهق بالمسائل العقلية المجردة مثل الأفكار الفلسفية (كالحرية وغيرها) ويسير النمو العقلي تدريجيًا نحو الاستقرار الذي يحل بالمراهق مع الرشد.

كذلك فمن أبرز جوانب النمو في هذه المرحلة:

١ - اطراد نمو الذكاء، في الوقت الذي اكتمل فيه نمو المخ العضوي، ويتوقف نمو الذكاء في المتوسط عند سن الثامنة عشرة، وتصبح الفروق بعد ذلك عائدة إلى الخبرة، فلو وجهت أسئلة للذكاء لا تعتمد على الخبرة لمجموعتين، الأولى في العشرين من العمر والثانية في الثلاثين فلن تجد فرقًا.

٢ - بروز القدرات الخاصة، ويقصد بها: النشاط العقلي المقتصر على مجال معين، وهي متعددة، ومن أبرزها: القدرة الرياضية التي تتعلق بالتعامل مع الأرقام والمعادلات، والقدرة اللفظية، والقدرة اللغوية، والقدرة المكانية التي تتعلق بالقدرة





على التعامل مع المسافات والأحجام والاتجاهات، ويشمل التغير في القدرات الخاصة في مرحلة المراهقة ما يأتي:

أ- اتضاها فهي ضئيلة في مرحلة الطفولة، وتتضح غالباً في الخامسة عشرة.

ب- الثبات النسبي، فلو أجري قياس لها في الخامسة عشرة، ثم في الثامنة عشرة لكانت النتائج متقاربة.

ج- اتضاح الفروق الفردية.

د- اتضاح الفروق بين الجنسين، فيتميز الرجال بالتفوق في القدرات الرياضية، والمكانية، والميكانيكية، والمنطقية الاستدلالية، وتتفوق النساء في القدرات: اللغوية، وإدراك العلاقات الاجتماعية.

٣- تكوّن الاتجاهات وتبلورها، والاتجاه: موقف عقلي تجاه موضوع معين يجعله يسلك سلوكاً واحداً في المواقف المتشابهة، ومن مخاطر الاتجاهات استمرارها غالباً وصعوبة تعديلها بعد سن المراهقة، وأن الشخص يبدأ يتعامل مع المواقف من خلال هذا الاتجاه، فالذي يتعارض معه يقوم بتأويله بما يتفق مع هذا الاتجاه.

ومن الأمثلة على ذلك: أن يتكون لدى الشاب من خلال مواقف عديدة اتجاه سلبي ضد المتدينين، وحين يقابل بعد ذلك أشخاصاً متدينين يتسمون بحسن الخلق واللباقة فإنه سيفسر ذلك بأن هذه الخلائق لأجل مصالح، أو أنها مجاملة... إلخ.

٤- يظهر التفكير المجرد لدى المراهق، وهذا من أبرز التغيرات العقلية، والمقصود بالتفكير المجرد: القدرة على القيام بالعمليات العقلية دون التقيد بالمحسوس، فالطفل لا يفهم إلا المحسوس، أو ما يقرب له بصورة المحسوس، فهو يفهم الحب على أنه تصرفات والده أو والدته تجاهه، أما المراهق فيفهم الحب على أنه أمر قلبي، ويفرق بين حقيقة الحب ومظاهره.



ومن مظاهر التغير في التفكير لدى المراهق:

- أ- التفكير في أمور جديدة، لم يكن يفكر فيها من قبل، ومن هنا ينشأ التفكير في الكون والحياة والخلق.
 - ب- إثارة أسئلة لم يكن يسألها من قبل.
 - ج- المبالغة في تحليل الأمور، وقد يناقش كثيرًا من الأمور التي كان يعدها مسلمات فيما مضى.
 - د- المقارنة بين الكائن والممكن، فهو يستطيع تصور واقع أفضل من الواقع الذي يعيشه، وينتقد واقعه وتصرفات الكبار، أما في مرحلة الطفولة فقد كان يأخذ الأمور على أنها مسلمات.
 - هـ- استخدام الرموز للتعبير عن رموز أخرى، فيستطيع أن يستخدم نظامًا رمزيًا من الدرجة الثانية، ولهذا فهو يستطيع تعلم الجبر، ويفهم التعبير المجازي والصور البلاغية.
 - و- القدرة على افتراض الفروض لمشكلة معينة، واختبارها والاختيار بينها^(١).
- وتؤدي قدرة المراهق على التفكير المجرد ونقص الخبرة لديه إلى مشكلتين رئيسيتين، الأولى: المثالية في التفكير، والثانية: الحيرة بين البدائل.
- ٥- يصبح التعلم منطقيًا لا آليًا، ويتعد عن طريق المحاولة والخطأ.

(١) في المرحلة الجامعية يصبح الشاب أكثر تعودًا أو قدرة على استخدام العمليات الصورية، كما تزداد قدرته على التحصيل وتزداد القدرة على الاتصال العقلي مع الآخرين، والاستقلال في التفكير والتفكير الابتكاري.





٦- تزداد القدرة على التذكر عند المراهق وتقوى حافظته، وثمة فرق بين الأطفال والمراهقين في الحفظ، فالأطفال يميلون إلى التذكر الآلي، بخلاف المراهقين فهم يميلون إلى تذكر الموضوعات التي حفظت بطريقة منطقية.

٧- تزداد القابلية على إدراك مفهوم الزمن، فيتوقع المستقبل ويخطط له.

٨- ينمو الانتباه في مداه ومدته ومستواه، فيستطيع المراهق استيعاب مشكلات طويلة معقدة في سهولة ويسر، ويستطيع التركيز لزمن أطول من مرحلة الطفولة.

٩- تزداد القدرة على التعميم وفهم التعميمات والأفكار العامة، فهو يعمم فهمًا معينًا من خلال حدث أو أحداث تمر عليه.

١٠- يخرج من التفكير السلبي إلى التفكير الإيجابي فيبحث عن المسؤولية، ويتساءل عن نظرة الناس له، ويشعر بالهامشية حين يكون منبوذًا، وبالقيمة حين يكون مسؤولًا.

ويمثل الجانب العقلي أكثر الجوانب التي يفتقر معظم المربين اليوم إلى معرفتها، وهو أكثرها غموضًا لديهم، ففئة كبيرة من المربين لا تعرف عن المراهقة إلا أنها مرحلة طيش وعناد وسفه، ومرحلة تظهر فيها مشكلة الشهوة، ويجهلون هذه الجوانب المهمة.

ولاشك أن إدراك هذه الجوانب له أثره الكبير في صياغة الأهداف والبرامج التربوية، وأثره على اللغة التي ينبغي أن تسود في التعليم، وفي الحوار والإقناع.

ولا ينبغي أن يتصدى امرؤ للتربية ويتحمل مسؤوليتها وهو يجهل صفات من يقوم على تربيته وخصائصه، ومرحلة تعميم التجارب الشخصية، والنظر للآخرين من خلال ما مر بالشخص في مرحلة المراهقة، والمحاولة والخطأ، هذه المرحلة ينبغي أن تتجاوزها^(١).

(١) للتوسع راجع كتاب: الأسس النفسية للنمو: للأستاذ/ فؤاد البهي السيد، ص ٢١٧، ص ٢١٨ ط. دار الفكر العربي بالقاهرة، وكتاب: التوجيه التربوي والمهني: ل عطية محمود هنا، ص ١٤٩، ص ١٥٠، ص ١٥١ ط. مكتبة النهضة المصرية.



د) النمو الانفعالي:

يتفق العلماء على أن مرحلة المراهقة تمثل أزمة، ويطلق عليها البعض اسم (مرحلة الضغوط والعواصف)، ويجمع العلماء على أن أزمة المراهقة تختلف من مجتمع إلى آخر.

- إذن، فالأزمة ليست لأسباب داخلية، ولكن نتيجة لأساليب استجابات البيئة للمراهق، وبالتالي يمكن القول: إنه ليس من الضروري أن يمر جميع المراهقين بسوء التوافق والاضطراب النفسي.

• ومن الباحثين من يقسم أشكال المراهقة إلى المراهقة التوافقية، والمراهقة الانسحابية الانطوائية، والمراهقة العدوانية المتمردة، والمراهقة المتقلبة، وتختلف الأنماط الانفعالية في المراهقة عنها في الطفولة في نوع المثيرات، وفي أساليب التعبير عنها، فبعد الاستقرار النفسي خلال فترة الطفولة تحول المراهق إلى مرحلة تتسم بقوة الانفعالات وتقلب المزاج، والميل إلى التمرد، فالمراهق يغضب بسرعة بسبب النقد أو السخرية من الأصدقاء أو الوالدين أو المعلمين، وحين يحرم من بعض الامتيازات التي يعتبرها من حقه أو حين يعامل كطفل، وحين لا تستقيم في نظره الأمور، وحين يعجز عن فعل شيء يريده، وحين يتدخل آخر في شؤنه، أو يقطع عليه أفكاره^(١).

• كذلك فهو عجول متطرف العواطف فإذا أحبَّ أسرف وبالعكس^(٢).

• كذلك فهو يشعر بالإحباط إذا ما أعيق عن إشباع حاجاته إلى الاستقلال، وأحياناً ما يستخدم المراهق العنف والعدوان الصريح، والصراخ والبكاء عند الإناث، ولكنه تدريجياً يتحكم فيه، ويحل محلها مسائل التعبير اللفظي، وتختلف

(١) راجع كتاب: المراهقون: لـ د/ عبد العزيز النغمشي، ص ٢٤، ص ٢٥ ط. دار المسلم للنشر بالرياض.
(٢) نقلاً عن: المراهقون... ظاهرة الانحراف وأسبابها: لـ عبد الله نجيب سالم، ص ٥٣ ط. نشر دار حراء، ودار ابن حزم.





صور التعبير العدواني باختلاف المستوى الاقتصادي والاجتماعي للمراهق، وتزول مخاوفه السابقة، ويعاني من مخاوف جديدة ترتبط بالمواقف الاجتماعية، ويزداد شعوره بالخجل والارتباك بسبب شكله أو مظهره أو ملابسه.

• كذلك فهو يعتد بنفسه، وبسرعة تصرفه وانفعاله، وهو متقلب المزاج، متمرد على كل شيء، وأي شيء، متراسي في واجباته^(١).

• كما أن الامتحانات تمثل مصدرًا رئيسًا لقلق المراهق، وخاصة بسبب المبالغة في تقدير الشهادات، ويحدث القلق أيضًا بسبب العلاقة بين الجنسين، وصعوبة تكوين صداقات، ونقص وسائل الملاءمة، وبسبب الاختيار التعليمي والمهني، وإزاء بعض الموضوعات الدينية والصحية، وبعض المشكلات الشخصية، مثل: عدم القدرة على الضبط الانفعالي، وهذه الانفعالات غير المريحة قد تدفع المراهق إلى اتخاذ أسلوب أو آخر من الأساليب اللاتوافقية التي قد تساعده -ولو مؤقتًا- على التخلص من ذلك التوتر الذي يعانيه، ومن هذه الأساليب الشائعة: المبالغة في المثالية، والنشاط الزائد، والإعزاق في التقمص، والانعزال والانزواء^(٢).

كذلك من أبرز سمات النمو الانفعالي لدى الشاب في مرحلة المراهقة:

• مفهوم الذات، ويقصد به: الفكرة التي يحملها الفرد عن نفسه، فقد تكون سلبية، وقد تكون إيجابية، وهي تنشأ من ردود أفعال الآخرين تجاه الشخص، وهو يبدأ في مرحلة الطفولة لكن هناك تغيرات تلحق به في مرحلة المراهقة، ومنها:

(١) راجع: أصول علم النفس: للدكتور/ أحمد عزت راجح، ص ١٤٢ ط. المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر.
(٢) راجع: سيكولوجية الطفولة والمراهقة: ل د/ عيد عيد الجسماني، ص ٢٨٥، وانظر الفكرة في كتاب: خلاصة علم النفس: د/ أحمد فؤاد الأهواني، ص ٥٤ ط. مطابع مذكور مصر ١٩٥٤م، وانظر مذكرات في علم النفس: ل د/ محمود عبد المعطي بركات، ص ٤١-٤٢ (د،ث)، وكتاب: الدراسات النفسية عند المسلمين: ل د/ عبد الكريم العشماوي، ص ٢٥١ ط. مكتبة وهبة، وكتاب: القرآن وعلم النفس: ل د/ جمال ماضي أبو العزائم، (٢١/١) ط. كلية التربية بجامعة الرياض.



أ- الاستقرار والتبلور، حتى يصبح تأثيره بما يقوله الآخرون عنه أو ما يحدث له ضعيفاً.

ب- الانخفاض النسبي في مفهوم الذات لدى كثير من المراهقين، بسبب التغيرات التي يحتاج إلى التكيف معها، والإحباطات التي تمر به.

ج- التغير الجذري عند بعض المراهقين، فقد يحصل لدى بعضهم تغير جذري ينعكس على سلوكه فيتحول من طالب مجد مؤدب إلى مهمل كسول مشاغب، أو العكس.

ويستفاد من مفهوم الذات كثيراً في علاج بعض مشكلات المراهقين، من خلال السعي لتغييره وتعزيز الشعور الإيجابي للمراهق تجاه ذاته.

ومن هنا فالإفراط كثيراً في لوم المراهق وتأنيبه وانتقاده محدود الجدوى في علاج مشكلاته، بل ربما يزيدا تعقيداً.

د- الشعور بالأنا، ذلك الكيان المستقل عن والديه، إرادة وأحاسيس ومشاعر، مما يكون له أثر في ظهور الانفعالات التالية، كما يضغط عليه بأسئلة ملحة عن ماهيته وماذا يريد؟^(١)

هـ- غزارة الانفعال وقوته، فانفعالات المراهق قوية وشديدة، فهو إذا أحب أو كره بالغ في ذلك، وإذا غضب يحطم ما بيده، ويتصرف تصرفات غير متزنة، ويضعف تحكمه فيها فقد يضحك في مواقف لا يليق أن يضحك فيها^(٢).

و- التذبذب الانفعالي وتقلب المراهق بين سلوك الأطفال وتصرفات الكبار.

(١) راجع كتاب: المراهقون: للدكتور/ عبد العزيز النغمشي، ص ٢٧، ص ٢٨، ص ٣١، وكتاب: تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس: للدكتور/ محمد السيد الزعبلوي، ص ٤٦٩-٤٧٥، ط. مكتبة التوبة بالرياض.

(٢) راجع كتاب: رعاية المراهق: لـ يوسف ميخائيل أسعد، ص ١٤٥، ص ١٤٦.





ز- الذاتية والاعتداد بالنفس، لذا فهو يملك حساسية مفرطة لنقد الآخرين له، ويعتقد أن الآخرين ينظرون إليه دائماً، ومن ثم يبالغ في الاهتمام بمظهره.

ح- تبدو ظاهرة أحلام اليقظة لدى المراهق، فينتقل فيها من عالم الواقع إلى عالم الخيال، وهي - ما لم تخرج عن حد الاعتدال - لا تمثل مشكلة^(١).

علامات النضج الانفعالي:

- ابتداءً ما هي العلامات المميزة للنضج الانفعالي؟

- أو بشكل أوضح: ما هي أهداف هذه المرحلة للوصول إلى درجة النضج الانفعالي؟

إليك الجواب:

هناك مجموعة من الملامح الانفعالية التي تبدأ في الظهور على الشباب إذا استطاع أن ينميها، فسوف يستكمل نضجه الانفعالي؛ مثل:

١- الواقعية، ورد الفعل للمواقف، وإدراك وتفسير الأمور من خلال نظرة غير جانحة في الخيال.

(١) للتوسع: انظر كتاب: السلوك الإنساني... نظرة علمية: د/ سلوى عبد الرحمن الملا وآخرون، ص ٢٥٠، ص ٢٥١ ط. دار الكتب الجامعية - القاهرة، وكتاب: الإسلام والعلاج النفسي: ل د/ عبد الرحمن العيسوي، ص ١٣٩ ط. دار الفكر الجامعي، وانظر كتاب: علم النفس والإنسان: ص ١٤- ص ٤٢ ط. دار المعارف بمصر، وكتاب: القرآن وعلم النفس: ل د/ محمد عثمان نجاتي، من ص ٦٦ إلى ص ١٠٠ ط. دار الشروق، وكتاب: قلق الموت: ل د/ أحمد محمد عبد الخالق، ص ٢٧ ط. عالم المعرفة بالكويت، وكتاب: العلاج النفسي الحديث... قوة للإنسان: ل د/ عبد الستار إبراهيم، ص ٢٩- ٢٣١ ط. مكتبة مدبولي، وانظر أيضاً كتاب: جولة في ذات المسلم... البناء النفسي للمسلم المعاصر: تأليف: خليفة عبد الله التونسي، من ص ٨٤ إلى ص ٩٢ ط. مكتبة البيان - الكويت، وكتاب: غرائز النفس البشرية وأمراضها ومنهج الإسلام في معالجتها - القسم الثاني: تأليف: د/ مرسى شعبان السويدي، من ص ٤٠٠ إلى ص ٤٢٠ ط. دار الصحابة بطنطا.

- ٢- إدراك قيمة الأولويات، والتميز بدقة بين نسبة كل عامل من عوامل الحياة، ومعرفة المهم فالأهم، وعدم تقديم الصغائر من الأمور على كبرها.
- ٣- إدراك الأهداف بعيدة المدى؛ حيث التسامح وتقبل تأجيل إشباع بعض الحاجات من أجل تحقيق أهداف أهم في المستقبل.
- ٤- تقبل المسؤولية، والمحافظة على العمل المنظم، وزيادة الفاعلية من خلاله، وتحمل ضوابطه.
- ٥- تحمل الإحباط؛ حيث تحمل الفشل، وتحمل الظروف غير المواتية لتحقيق النجاح، وموصلة بذل الجهد للوصول إلى الأهداف.
- ٦- المشاركة الوجدانية؛ فيخرج المراهق من دائرة ذاته إلى الاهتمام بالآخرين، والبحث الجدي عن الهوية والانتفاء الاجتماعي.
- ٧- التدرج في رد الفعل، وهنا يحدث ما يسمى بالضبط الانفعالي؛ حيث التحكم في شدة المشاعر، ويكون السلوك الانفعالي متعلقاً بكل ظرف على حدة دون خلط بين المواقف.
- ٨- الاستجابات الاجتماعية، ومراعاة القيم، حيث القدرة على ضبط السلوك الفردي مع المعايير والظروف الاجتماعية المقبولة، سواء الخُلُقِيَّة أو الدينية أو الأعراف.

ملحوظة:

المطلوب أن تدرك أن هذه السمات الانفعالية الثمانية هي ما نسعى إليه، وكل منا يقف على درجة من درجاتها؛ فقد يتصف واحد بثلاث أو خمس أو ست من الثمانية، وإذا وصل إلى الثمانية يكون ناضجاً.





فقد يكون الواحد منا فيه كل سمة من هذه السمات بنسبة معينة؛ فمننا من تكون عنده ٨٠٪، أو ٧٠٪، أو ٥٠٪ تبعاً لاختلاف المواقف، والحالة النفسية، والظروف الاجتماعية، وعوامل البيئة المحيطة حيث تعلو النسبة وتنخفض.

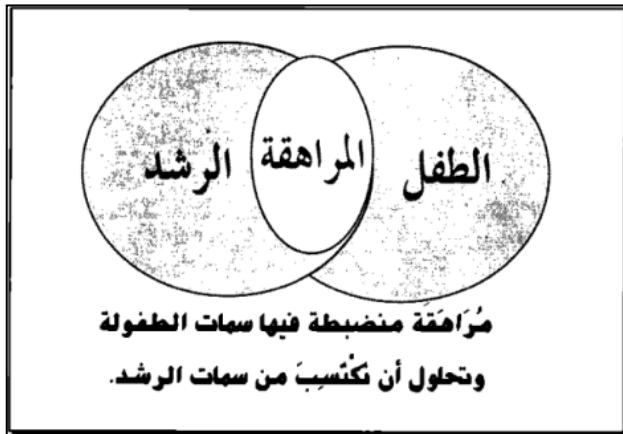
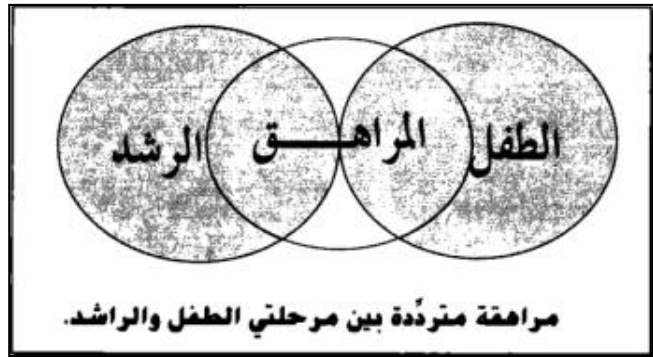
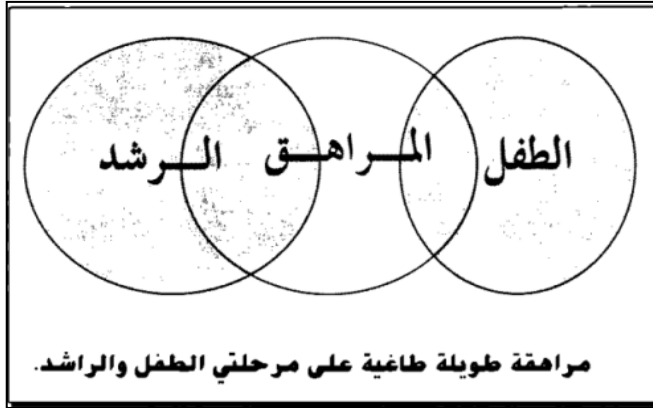
معوقات النضج الانفعالي:

- لا بد من إدراك أننا لسنا آلات، ولسنا جمادات، ولكننا مشاعر وأحاسيس، وعقول وقلوب، وهذه الضوابط العلمية ما هي إلا مرشحات، نقول من خلالها للشباب: اسع للوصول إلى النضج، وندرك تمامًا أن هناك عشرات المعوقات أمام هذا الوصول.

من هذه المعوقات:

١ - اختلاط الأدوار:

وهي مشكلة التداخل بين المراحل العمرية.





وأصل المشكلة ليس المراهق، وإنما المشكلة تكمن في الذين يتعاملون معه؛ فالمراهق ينقسم إلى جزأين نفسيين: جزء يحمل سمات الطفولة، وجزء يحمل سمات الراشد. أو هو يسحب كل متعلقاته الباقية من مرحلة الطفولة ليدخل مرحلة الرشد، وهنا يحدث:

- أ- غموض في معاملة الكبار له؛ هل يعاملونه كطفل، أم كرجل؟
ب- غموض في مفهومه عن ذاته؛ هل هو كبير أم ما زال طفلاً، وهذا الغموض يعترض طريق نضجه.

٢- الصدمات المبكرة:

ويمكن أن تحدث بسبب النقطة السابقة؛ فقد يُحْمَلُ بمسؤوليات الرجولة قبل اكتمال مؤهلاتها عنده فيفشل، مما يجعله يقف عند هذه المرحلة ولا يستكمل نضجه.

٣- الحرمان المبكر من العطف:

حيث يسارع الكبار بانتزاع كل وسائل العطف والرعاية التي كان يعطونه إياها وهو طفل صغير بحجة أنه أصبح رجلاً، مما يؤدي إلى الشعور بالخوف من الفشل، وعدم وجود السند والمعاون، مما يعوق النضج الانفعالي.

٤- نقص الخبرة:

وهي نتيجة لكل ما سبق، مما يؤدي إلى عدم وجود كل أدوات التدريب على مواقف الحياة، التي هي في أساسها وسيلة ضرورية للنضج الانفعالي.

٥- نقص التدريب:

لا زلنا ندور في نفس الحلقة؛ حيث إن نقص التدريب يعوق النضج، وأسباب هذا النقص هي كل ما سبق تقريباً.

٦- الصراعات الداخلية:

وخاصة إذا لم يجد لها حلاً، وأكثرها صراعات القيم مع الحاجات.

٧- حيل الدفاع النفسي:

وهي أسرع وسيلة للهروب النفسي؛ لتعويض نقص الخبرة، وذلك يعوق الدخول في التدريب للحصول على الخبرات.

٨- العيوب الحيوية:

وهذه لا دخل للمراهق أو المجتمع فيها؛ حيث إن بعض النقص الجسدي يعوق التدريب على النضج، وأحياناً يحدث سوء توافق نفسي يعوق النضج بسبب العجز الجسدي أيضاً.

- والشباب في هذا الطور -طور الشباب- قادر على مواجهة المشكلات بطريقة أكثر موضوعية، وقادر على اتخاذ القرارات دون أن يُعوّل كثيراً على الوالدين أو المعلمين أو الأصدقاء، ثم إنه قادر على الدفاع عن قراراته، والسعي لتحقيقها ما لم تتوفر له أدلة على خطأ هذه القرارات.

ومن ثم فإن مشكلات الشباب في عمومها تشبه مشكلات المراهقة، أما كيفية مقابلة الشاب لهذه المشكلات، وكيفية السعي لحلها بطريقة ناضجة، فهنا تظهر خبرات التربية التي اكتسبها في المراحل السابقة.

نماذج من مشكلات الشباب:

معظم المشكلات التي تسود في هذا الطور تتعلق بالجاذبية الشخصية، والتكيف الاجتماعي والأسري، والعمل، والنقود، والنجاح الأكاديمي، والعلاقات الجنسية، لنأخذ نموذجاً من الشباب (الشباب المصري) الذي من مشكلاته:

١- مشكلات صحية:





وقد أكدت الدراسات التي أجريت على الشباب المصري أن لديهم الكثير من المشكلات الصحية على نحو يوحى بحاجتهم إلى التربية الصحية السليمة؛ حيث يفتقد هذا الجيل أبسط مبادئ الغذاء السليم، والرياضة الصحية، والوقاية من الأمراض.

٢- مشكلات عاطفية جنسية:

وتوجد نسبة عالية من الشباب العربي -عمومًا- والمصري -خصوصًا- من الجنسين تزداد لديهم المشكلات العاطفية؛ فهو يريد أن يعرف كيف يجعل أفراد الجنس الآخر يهتمون به، وغالبية الأفراد من الجنسين يود أن يعرف شيئًا عن أساليب السلوك الاجتماعي الصحيح في وجود الجنس الآخر، كما إنهم يريدون معرفة بعض المسائل التي تتعلق بالزواج والحياة الزوجية المقبلة، كما إنهم في حاجة إلى معلومات جنسية علمية ولكن يقف أمامهم الاتهام بالعيب، والنقد الاجتماعي لتلك الرغبات، ولو وضعت في إطارها الصحيح خُلُقِيًّا ودينيًّا واجتماعيًا لكان خيرًا للمجتمع.^(١)

٣- مشكلات دراسية ومهنية:

أما عن مشكلات المستقبل الدراسي والمهني للشباب فقد أثبتت الدراسات المصرية أن نسبة كبيرة من الشباب من الجنسين يشعرون بالقلق إزاء هذا المستقبل، وخاصة عندما يواجه بانتهاء الدراسة في المرحلة الثانوية.

ولعل حدة هذه المشكلة ترجع إلى نظام القبول بالتعليم الجامعي والعالي، والذي أصبح نوعًا من المسابقة، بينما نظام التوجيه المهني أصبح نوعًا من العقاب على ضعف المستوى في التعليم الثانوي، ولهذا فإن معظم الشباب لا يدرون شيئًا عن ميولهم المختلفة؛ أي أنهم في حالة شك من حقيقة هذه الميول.

(١) انظر الكلام عن التربية الجنسية في الإسلام في كتاب: «الإسلام والمشكلة الجنسية» د/ مصطفى عبد الواحد، ص ٦٥، ص ٧٥، ط. دار الاعتصام، وكتاب: «الإسلام والجنس» للأستاذ/ فتحي يكن، من ص ٦٠ إلى ص ٧٢. ط. مؤسسة الرسالة.

ومع ضغط الإعلام في قضية البطالة يستشعر الشاب أن ليس له مستقبل، وليس له دور في الحياة، فيصاب بكافة الأمراض النفسية.

٤ - مشكلة الميول والهوايات:

من أبرز المشكلات الناتجة عن النمو الانفعالي لدى الشباب في فترة المراهقة.

• هذه الانفعالات الناتجة من تلك المشكلات:

أ- انفعال الغضب.

ب- مشاعر الحب.

ج- حدة العواطف.

ويحدث نمو وتطور في الجانبين الانفعالي والوجداني - خاصة - في المرحلة الجامعية وما بعدها.

حيث تخف تدريجياً الحدة الانفعالية التي كانت موجودة في المرحلة السابقة مع توافر أنماط توافقية تتناسب مع المطالب الجديدة، ويتعرض الشباب في هذه المرحلة للتوتر الانفعالي بسبب المشكلات الجديدة التي يتعرض لها، والتي يكون السبب فيها هو التمرد على الكبار وسلطتهم.

وتزداد القدرة على التحكم في الانفعالات، ويكون انفعال الغضب هو الانفعال الأكثر حدوثاً، أما مشاعر الحب فهي تتوجه إلى شخص من الجنس الآخر مع إضفاء الصفات المثالية عليه، ولا يعني ذلك التخلي عن المشاعر الوجدانية الموجهة نحو جماعة الأصدقاء من نفس الجنس.

والشباب في هذه المرحلة قادر على مواجهة المشكلات بطريقة موضوعية، وقادر على اتخاذ القرارات والسعي لتحقيقها ما لم تتوفر أدلة على خطأ هذه القرارات، ومعظم المشكلات





التي تظهر في = هذه المرحلة ترتبط بالجاذبية الشخصية والتوافق الاجتماعي والأسري والتفوق والنجاح الأكاديمي والعلاقات الجنسية.

وتتحدد ميول الشباب بعاملين هما: البيئة والجنس، وتظهر أهمية الجنس هنا، لأن هذه الفترة هي التي تحدد نهائياً نمط السلوك المناسب لكل من الذكور والإناث.

وتوجد ميول مشتركة بين الجنسين أهمها ما يتصل بالميول الشخصية والمظهر والاستقلال والمستقبل.

هـ) النمو الاجتماعي:

من أهم مطالب النمو في هذه المرحلة تحقيق مطالب التوافق الاجتماعي والتوافق النفسي، ويزداد بُعد المراهق عن الوالدين، ويقضي معظم وقته مع الرفاق مما يجعل للجماعة أثر كبير على سلوكه واتجاهاته، وحتى يحقق المراهق مكانة في جماعة، ويصبح عضواً مقبولاً يزداد تأثره بهذه الجماعة، ولذلك يلتزم بالانضباط السلوكي معهم، وقد يتخلى عن تفوقه الدراسي حتى يظل مقبولاً من الجماعة إذا تعارض تفوقه مع أهداف الجماعة، ومع تقبلها له.

- ومن أخطر مشكلات المراهق تفضيله لمعايير الجماعة التي تتعارض مع معايير الكبار والوالدين، ومن هنا قد يحدث الصراع بين الآباء والأبناء المراهقين، فهو يريد أن يكون محبوباً من والديه، مقبولاً من رفاقه، وعادة ما يختار معيار الجماعة بسبب حاجته إلى النمو الاجتماعي الخارجي.

- وفي المراهقة أيضاً تظهر أنواع من الجماعات يطلق عليها اسم العصابات، كما يتم تكوين الجماعات الحميمة، فيختار المراهق أو المراهقة أحد الأشخاص، يجعله موضع سره، وهذا الصديق يشيع في المراهق الكثير من حاجاته الاجتماعية، ويقضي معه معظم الوقت، وعادة ما يكون هذا الصديق من نفس الجنس، ولديه نفس الميول والقدرات، وتكون العلاقة بينهما وثيقة، وعلى الرغم من الاختلافات التي قد تنشأ



بينهما، فإن صلة الصداقة تكون أقوى بكثير، وقد تتكون الجماعة (الشلة) من عدة أصدقاء حميمين، ويتركز نشاطها في المذاكرة الجماعية أو الذهاب إلى النادي أو السينما أو مشاهدة المباريات الرياضية أو محادثات التلفون، والمراهق يساير معايير (الشلة) التي ينتمي إليها ثم تتكون الجبهة وهي أكبر من (الشلة)، وقد تتكون من عدة (شلة)، وليس من الضروري أن يكون الأعضاء هنا متجانسين، وقد يوجد فيها أفراد من الجنس الآخر، وتكون ذات أنشطة اجتماعية.

وبعض المراهقين ذوو العلاقات الاجتماعية السيئة ليس لهم من نشاط سوى التسكع على نواصي الطرقات، مكونين أنواعاً من العصابات، ويقومون بسلوكيات لا أخلاقية في المجتمع، وقد يقومون ببعض أعمال العنف.

ويحاول المراهق أن يتقمص شخصية أحد الكبار وتقليده، ويبدو ذلك واضحاً في سلوك التدخين الذي هو في الأصل عبارة عن تقليد لسلوك بعض الكبار، ويظهر أيضاً في الرغبة في قيادة السيارة.

ومن السلوكيات الاجتماعية المهمة أيضاً العلاقة بين الجنسين، حيث يتحول المراهق من النفور من الجنس الآخر في المرحلة السابقة، إلى الشغف به، ومحاوله استراق البصر والسمع، ويرتبط ذلك بالنمو الفسيولوجي الذي حدث للمراهق.

وتنشأ ميول جديدة نتيجة للتغيرات الجسمية والاجتماعية، وتنقسم هذه الميول إلى ثلاثة أقسام، تتمثل في: الميول الاجتماعية، والميول الشخصية، والميول الترفيهية.

وترتبط الميول الاجتماعية بالأنشطة الاجتماعية التي يساهم فيها، وتتمثل في خدمة البيئة والميول السياسية الداخلية والخارجية، أما الميول الشخصية فتظهر في سلوكه الشخصي؛ متمثلاً في ارتداء أنواع معينة من الملابس، وفي طريقة تصفيف الشعر، وهذا السلوك يهدف إلى





تحقيق نوع من التقبل الاجتماعي عن طريق الالتزام بمعايير الجماعة من ناحية، ويهدف تحقيق المراهق لذاته كشخص، وهذا يؤدي إلى ظهور الموضوعات والتقاليع بين شباب المراهقين. ويشكو المراهق عادة من القيود الدراسية فهو غير راضٍ عن أساتذته ولا عن المواد الدراسية.

أما الميول الترويحية فهي محدودة بسبب ضغط العبء الدراسي والحياتي والبيئي، ويفضل المراهق الأعمال الرياضية التي تتطلب بذل مقدار كبير من الطاقة، وتقع السباحة على قمة الهوايات الرياضية، أما الفتيات فيستمتعن بمشاهدة الرياضة والمسابقات الغنائية.

وتقل ميول القراءة في هذه المرحلة عن ذي قبل، ويفضل الشباب القراءة حول الاختراعات والعلوم، أما البنات فيفضلن الروايات والقصص الرومانسية، ويفضل كلا الجنسين قراءة المجلات على قراءة الكتب، ويحبون القصص الفكاهية، ويفضل المراهقون مشاهدة الأفلام الرومانسية -بالنسبة للبنات-، وأفلام المغامرات والأفلام الكوميدية -بالنسبة للبنين.

ويُعدُّ الذهاب إلى السينما والكافيهات وصلات البلياردو وأماكن (البلاي استيشن) من الأنشطة المهمة في حياة المراهقين، كذلك يحب المراهقون الاستماع للموسيقى ومشاهدة الأفلام، وأحياناً يشاهدون برامج التلفزيون رغم نقدها اللاذع للمراهقين إلا أنها لا تشبع حاجاتهم، ويقضي المراهقون وقتاً كبيراً في أحلام اليقظة، ويؤثر ذلك على تكوين مفهوم غير واقعي عن الذات، ومع ذلك فهو مفيد بعض الشيء في حل الصراع النفسي.

الخلاصة:

- أن أهم مظاهر النمو الاجتماعي لدى المراهق:

١ - الاهتمام بالمظهر الشخصي والاعتناء به.



- ٢- تحقيق الذات والميل إلى الاستقلال الاجتماعي، والانتقال من الاعتماد على الغير إلى الاعتماد على النفس.
- ٣- الميل إلى الأصدقاء والارتباط بهم والثقة الكبيرة بهم، ومن هنا تنشأ لدى المراهق ظاهرتان^(١):
- أ- الظاهرة الأولى: الصديق الحميم، حيث يرتبط بأحد أصدقائه ارتباطاً قوياً، فيتحدثان سوياً، ويذهبان سوياً^(٢).
- ب- الظاهرة الثانية: مجموعة الرفاق، حيث يشكل المراهقون مجموعات صداقة، وتتسم هذه المجموعة بمحدودية عددها، وشدة تماسكها، وقوة ضغطها على أفرادها.
- ٤- الانجذاب للشخصيات اللامعة ومحاولة محاكاتها.
- ٥- زيادة الوعي بالمسؤولية الاجتماعية، والمكانة الاجتماعية والطبقة التي ينتمي إليها.
- ويمكننا توضيح كل ما سبق، حيث وجد بالبحث العلمي النفسي تطور واضح للسلوك الاجتماعي في مرحلة المراهقة كالآتي:
- الفتى:

(١) راجع هذه الجزئية بالتفصيل في بحث: الصداقة من منظور علم النفس: تأليف: د/ أسامة سعد أبو سريع، (ص ٥٨، ص ٦٢، ص ٧٤، ص ٧٦، ص ٧٧، ص ٧٨، ص ٢١٤، ص ٢١٥، ص ٢١٦، ص ٢٢١، ص ٢٢٢، ص ٢٢٤) ط. سلسلة (عالم المعرفة) رقم ١٧٩ - الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت.

(٢) يفسر كثير من المربين هذه الظاهرة تفسيراً سيئاً، ويرون أنها من مظاهر الإعجاب المرضي، ويبالغون في التعامل معها، ومع أنها قد تؤدي لشيء من ذلك، لكنها سمة طبيعية في هذه المرحلة، وليست بالضرورة مَرَضِيَّة.





- ١ - من سن ١٢-١٥ سنة (البلوغ): مرحلة التقليد الاجتماعي.
 - ٢ - من سن ١٥-١٨ سنة (المراهقة): مرحلة الاعتزاز بالشخصية.
 - ٣ - من سن ١٨-٢١ سنة (الشباب): مرحلة النضج الاجتماعي؛ حيث تتحدد (الهوية الاجتماعية)، و(الذات الاجتماعية)، مما يؤدي إلى الاتزان.
- الفتاة:

- ١ - قبل المراهقة حتى أوائلها: مرحلة الطاعة. ٢ - من ١٢-١٥ سنة: مرحلة الاضطراب.
 - ٣ - من ١٥-١٧ سنة: مرحلة تقليد الفتيان. ٤ - أواخر المراهقة: الاتزان الاجتماعي.
- ويأخذ النمو الاجتماعي في بدايته أحد شكلين:
- ١ - تآلف:

- الميل إلى الجنس الآخر. - الثقة وتأكيد الذات. - الخضوع لجماعة النظائر.
- البصيرة الاجتماعية. - اتساع دائرة التفاعل الاجتماعي.

٢ - تنافر:

- التمرد. - السخرية. - التعصب. - المنافسة.

شلة الأصدقاء:

في مرحلة الشباب يكون هناك ميل لتقليل دائرة الأصدقاء (القرناء)، ويكون الاهتمام بِكَيْفِ الأصدقاء لا بِكَمِّهِم.

والقبول الاجتماعي - بمعنى الاحترام والمكانة - في هذه المرحلة مصدر سعادة الشاب.

ويبرز الشباب - من حيث قبولهم الاجتماعي - في ثلاثة أنماط:



١ - قمة القبول. (النجم)

٢ - القبول المنخفض. (العادي)

٣ - لا قبول. (المنزل)

وتبدو مظاهر النمو الاجتماعي في شكلين:

١ - البحث عن الذات. ٢ - مسيرة الجماعة.

وتكون السمات العامة لهذه المظاهر:

١ - البحث عن نموذج يحتذى به. ٢ - اختيار المبادئ والقيم والمثل.

٣ - تكوين فلسفة الحياة، وتنبع الرغبة في أخذ مكانة في المجتمع.

٤ - فهم المشكلات العامة. ٥ - التعاون مع الزملاء.

٦ - التشاور واحترام الآراء. ٧ - المحافظة على سُمعة الجماعة.

٨ - وبذل الجهد في سبيلها. ٩ - احترام الواجبات الاجتماعية.

١٠ - الميل إلى مساعدة الآخرين في شكل الإيثار والتضحية.

١١ - الاهتمام باختيار الأصدقاء.

١٢ - الميل إلى الانضمام إلى جماعات مختلفة؛ مثل النوادي والأحزاب.

١٣ - الرغبة في مقاومة السلطة، والتحرر من الراشدين، والإناث أكثر ميلاً إلى قبول السلطة عن الذكور.

١٤ - يزداد الوعي الاجتماعي، والميل إلى النقد، والرغبة في الإصلاح، ولكن دون دراسة وتأنٍ، وقد يلجأون إلى العنف والتضحية في سبيل تحقيق ذلك. والبعض يلجأ إلى إثبات ذاته بطريقة (خَالِفُ تُعْرِف).





وتستوي المرحلة في نهايتها اجتماعيًا في شكل السعي إلى الاستقلال الاجتماعي:

١ - الزواج. ٢ - العمل.

مراحل التطبيع الاجتماعي:

- ١ - تعلم الثقة، في مقابل عدم الثقة.
- ٢ - تعلم الذاتية أو الاستقلالية، في مقابل الشعور بالعار.
- ٣ - تعلم المبادئ، مقابل الشعور بالذنب.
- ٤ - تعلم الاجتهاد، في مقابل الشعور بالنقص.
- ٥ - تعلم الهوية، في مقابل اضطرابات الهوية.
- ٦ - تعلم الصداقة الحميمة، في مقابل العزلة.
- ٧ - تعلم الإنتاجية، في مقابل الاستغراق في الذات.
- ٨ - تعلم التكامل، في مقابل اليأس.

من مشكلات التكيف الاجتماعي:

- ١ - الناحية الاقتصادية كعقبة للزواج.
- ٢ - لا يسمح للفرد في الغالب الاختيار بنفسه، وخاصة الفتيات.
- ٣ - الضغط والسلطة من الآباء.
- ٤ - توقع أن يسلك المراهق سلوك البالغ رغم أنه لم ينضج.
- ٥ - تضيق فرص الاتصال الاجتماعي بين المراهقين والمراهقات.
- ٦ - ارتفاع متوسط سن الزواج.

المشكلات مع الراشدين:

من أهم أسباب الصراع مع الراشدين (قائمة الممنوعات) على المراهق التي نَحِلُّ للراشد،
مثل:

- ١ - عدم البقاء خارج المنزل لوقت متأخر.
 - ٢ - عدم التدخين والبعد عن المخدرات.
 - ٣ - عدم الذهاب للسينما أو النوادي.
 - ٤ - التبرج وعدم الإفراط في الزينة (للفتيات خاصة).
 - ٥ - عدم الابتذال في الملابس.
 - ٦ - تضييع الأوقات أمام وسائل الاتصال الحديثة.
- مما يؤدي إلى إخفاء التصرفات، وتكوين العلاقات الخاصة، والثورة ضد الآباء الذين يصابون -من جراء ذلك- بالحيرة والدهشة، والشعور بأن الابن غير مجهز لتلك الحرية.

من مظاهر النضج الاجتماعي في هذه المرحلة:

- ١ - نمو القيم بسبب التفاعل مع البيئة.
 - أ - القيمة النظرية: الميل إلى معرفة العالم من حوله.
 - ب - القيمة الاقتصادية: الاهتمام باستغلال ما هو نافع من العالم المحيط به؛ كوسيلة للحصول على الثروة وزيادتها.
 - ج - القيمة الجمالية: اهتمام الفرد وميله إلى ما هو جميل وما هو متوافق.
 - د - القيمة الاجتماعية: الميل إلى غيره من الناس وحبهم، وميله إلى مساعدتهم.
 - هـ - القيمة السياسية: الاهتمام بحل مشكلات الجماهير، وقضايا وطنه وأمته، مع ميل إلى القيادة والتحكم والسيطرة.
 - و - القيمة الدينية: الاهتمام بقضايا الغيب، ومفردات الإيمان، مع محاولة وصل نفسه بالله.
- وتختلف هذه القيم من فرد إلى آخر؛ قوةً وضعفًا وترتيبًا.





ويحدث في نهاية المرحلة ما يسمى بـ (الغطام الاجتماعي) ويساعد عليه الدافع الجنسي نحو الآخر، والرغبة في تكوين أسرة فيسعى إلى الاستقلال عن الأسرة الكبيرة؛ حيث تنتهي المراهقة إما بالاستقلال أو سوء التوافق.

وتعتبر المهنة والزواج آخر خطوتين كبيرتين نحو النضج؛ فالتقدم إلى عالم العمل يؤدي إلى:

١- الإسراع بالنضج.

٢- التوافق مع السلطة.

٣- الشعور بالمسؤولية والمكانة.

٤- التطبيع الاجتماعي.

مظاهر النضج الاجتماعي:

١- الاعتزاز بالشخصية.

٢- ظهور آراء شخصية معتدلة متوافقة مع القيم والتقاليد.

٣- زيادة الاهتمام بالجماعة، والتحلل من فكرة (وحداني أو نفسي).

٤- زيادة فهم الذات والآخر بصورة أكثر موضوعية.

٥- نمو الميل إلى الزعامة، والزعيم الموصوف بصفات الشخص المثالي.

٦- بداية اختيار النموذج أو القدوة.

٧- المشاركة في واجبات المجتمع كالخدمات العامة والاجتماعية.

- في المرحلة الجامعية وما بعدها يزداد النمو الاجتماعي لدى الشاب المراهق.

ملحوظة:

حيث تضيق دائرة الأصدقاء المقربين، وتتسع دائرة الجماعات، ويتجه اهتمام الشباب إلى اكتشاف عالم الجنس، وتزداد رغبة الشباب في الاعتراف به كفرد، ومحاولة الابتعاد عن الذوبان في شخصية الجماعة.

وينمو الاستبصار الاجتماعي لدى الشباب، ويصبحون أكثر قدرة على الحكم على الآخرين، ولذلك يحققون التوافق الاجتماعي بدرجة أفضل، وبزيادة المشاركة الاجتماعية تزداد الكفاءة الاجتماعية، وينتج عن ذلك زيادة الثقة في النفس.

وأخيرًا:

حقوق المراهق الاجتماعية:

- ١- حق الحرية المنضبطة بضوابط الشرع والأخلاق والأعراف الصحيحة في اختيار الأصدقاء، والنشاط، والملابس، والهوايات، والتعبير عن آرائه.
- ٢- حق ارتكاب بعض الأخطاء، مع مراعاة الآداب الشرعية في تقويمها.
- ٣- حق السعي نحو الاستقلال المنضبط.
- ٤- حق التمتع بثقة الوالدين، وإطلاعه على شئون الأسرة.
- ٥- حق التربية الجنسية العلمية وفق الأطر الشرعية والخلقية.
- ٦- حق الخلوة والخصوصية في غير معصية.
- ٧- حق تعزيز ذاته، ونمو مفهوم موجب للذات.

و) النمو الخُلُقِي:

مع بدايات مرحلة المراهقة وخاصة عند دخول المرحلة الجامعية تتكون لدى الفرد -من خلال الخبرات السابقة- مفاهيم محددة عن الصواب والخطأ، وعن الحق والباطل، وعن الفضيلة والرذيلة.

ويصبح أكثر قدرة على التعامل مع المواقف المختلفة من خلال منظومة القيم لديه، دون ضغط من الخارج.





ومن أخطر ما يحدث في هذه المرحلة زيادة التسامح مع بعض السلوكيات غير الأخلاقية، بل وإيجاد شبه عقد بين الأفراد على التنازل المتبادل عن هذه الأخلاق؛ للوصول إلى إشباع بعض الحاجات، مثال ذلك: الغش في الامتحانات، والاختلاط بين الجنسين، وبعض الممارسات التي تُعدُّ من قبيل الحرام؛ مثل: تكشُّف البنات، والتبذل في ملابسهن، فضلاً عن الانحرافات الجنسية الخطيرة التي تظهر بقوة في المجتمعات الطلابية.

المعايير المزدوجة:

ومما يزيد من هذا التسامح الخاطئ في بعض الأخلاق المخالفة للقيم اطلاع الشباب على قصص الناجحين الذين وصلوا إلى ذلك النجاح الدراسي بالغش والخداع، فيتخذهم الكثير من الفتيان والفتيات مثلاً يحتذى به؛ وخاصة في أسلوب التفكير وطريقة الحياة والملابس وغيرها، وهذا يخلق مشكلة (المعايير المزدوجة) لدى الشباب، والتي تؤدي إلى إعاقة النمو الأخلاقي.

- ومن المشكلات الأخرى الملازمة لهذا النمو ثقة الشباب في قدرته على أن يحدد مدى الصواب والخطأ في أي فعل يفعله، وذلك من خلال حكمته الشخصية بغض النظر عن قيم المجتمع.

- ومن المشكلات -أيضاً- تعدد معايير السلوك؛ فقد يقبل الفتى أن يرتبط بفتاة، ولكن يرفض بشدة أن ترتبط أخته بشاب، وكذلك نظرة الوالدين لهذا الأمر نظرة ازدواجية، فقد يتساهلون مع الفتى فيه، وفي الوقت نفسه ينفجر البيت غضباً إذا قامت به الفتاة^(١).

(١) أنصح بالاطلاع على كتاب: الإشكالية المعاصرة في تربية الطفل المسلم: للشيخ/ سعيد عبد العظيم، من ص ٧٨، إلى ص ٩٤ ط. دار الإيمان بالأسكندرية.



ومن أسباب سلوكيات الشباب الخاطئة، على الرغم من إقراره بخطئه:

- ١ - الرغبة في خوض التجربة.
 - ٢ - بقايا المراهقة؛ مثل: محاولة لفت الأنظار.
 - ٣ - إجبار الآخرين على الاعتراف بشخصيته وكيانه.
- ولكن بسبب معرفته لمعايير السلوك، فإن انحرافه السلوكي يؤدي إلى:

- ١ - الشعور بالقلق.
- ٢ - الشعور بالاكئاب.
- ٣ - رفض الذات والتقليل من شأنها، مما يؤدي إلى القنوط، فتزداد الانتكاسة الأخلاقية.

ويتصارع الشاب في هذه المرحلة مع ثلاثة مفاهيم أخلاقية:

- ١ - المفاهيم الأخلاقية للراشدين:
- والتي تنبع من أعراف الأسرة، وتقاليد المجتمع، وموروثات دينية عرفية غير منضبطة وفق أصول وكميات الشريعة تحتل كلها الصواب والخطأ.
- ٢ - المفاهيم الأخلاقية السليمة للمجتمع:
- والتي تبثها بقايا وسائل الإعلام المنضبطة؛ مثل: المسجد، والكتاتيب، والفصائيات، ووسائل التواصل الاجتماعي الهادفة.
- ٣ - مفاهيم الشباب الأخلاقية الخاصة:
- التي يولدها في الغالب عدم اكتمال النضج، والتشبث بأسوار الرشد.
- وتعارض هذه المفاهيم يؤدي إلى الصراع وتولد المشكلات.





ولكن إذا توحدت هذه المفاهيم وصل المراهق إلى النضج الأخلاقي بسرعة، واستشعر الهدوء النفسي المطلوب.

من أسباب الخلل الخُلقي^(١):

- ١ - عيش المراهق بعيداً عن أسرته.
- ٢ - اتساع فجوة القيم بين الأجيال.
- ٣ - عدم اهتمام الكبار بالمعايير الأخلاقية؛ خاصة في السلوك الجنسي.

ملحوظة:

إن تعلم ضبط الدافع الجنسي المتدفق في المراهقة يمثل أكبر مشكلات المراهقين الأخلاقية، ويجب أن تحكمه التعاليم الدينية، والمعايير الاجتماعية، والقيم الأخلاقية الإسلامية.

النمو الخُلقي وسط الجماعة:

يتعلم المراهق أيضاً ما تتوقعه الجماعة ويشكل سلوكه في هذا الإطار، ومعنى ذلك أن المراهق يُجَلِّ المبادئ الخلقية محل المفاهيم السابقة، كما يحل الضوابط الداخلية للسلوك محل الضوابط الخارجية، فيصبح هو مصدر الضبط، وليس المعلمون أو الوالدان.

(١) راجع: مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة: د/ خالد بن حامد الحازمي، من ص ١٤٥ إلى ص ١٦٧ ط. وكالة المطبوعات والبحث العلمي بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية ١٤٢٥هـ، وكتاب: سوء الخلق - مظاهره - أسبابه - علاجه: للشيخ/ محمد بن إبراهيم الحمد، من ص ٦٢ إلى ص ٧٠ ط. وزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية.



ويقع المعلمون أو الآباء في بعض الأخطاء عندما لا يهتمون بتدريب المراهق على إدراك العلاقة بين المبادئ الخاصة التي تعلمها سابقاً، والمبادئ العامة التي تعد جوهرية في ضبط السلوك في المراهقة وفي المراحل التالية.

ولا يكون المراهق مستعداً لتقبل المفاهيم الأخلاقية دون أن يقتنع بها، مما يؤدي إلى قلق المراهق واضطرابه.

ويظهر في حياة المراهق ازدواجية المعايير -التي سبقت الإشارة إليها- فمثلاً: المسموح به للذكور غير المسموح به للبنات، وهناك كذب مقبول وآخر غير مقبول، وهناك الغش في الامتحانات، وأصبح الارتباط ومغازلة الجنس الآخر شيئاً عادياً، وكلها أفعال يتساهل فيها المجتمع.

وفي هذه المرحلة تظهر قوة الضمير ومشاعر الذنب، وهي استجابة انفعالية تحدث حين يدرك المراهق أن سلوكه لا يلتزم بالمعيار القيمي الشرعي، ويحدث في هذه المرحلة أيضاً الإحساس بالعار.

- وتعتبر المراهقة مرحلة البحث عن الكمال، ولذلك يضع المراهقون معايير أخلاقية مرتفعة يصعب الوصول إليها، ويشعر المراهق بالذنب بسبب عجزه عن الوصول إليها.

- وتتميز المراهقة أيضاً بأنها مرحلة يقظة دينية، ويزيد اهتمام المراهق بالأمور الدينية، كما أنه مطالب بممارسة العبادات بشكل جيد وجدي.

- وقد يظهر الشك الديني لدى بعض المراهقين، وهو أشد عند الذكور منه عند الإناث، وهو أقل حدوثاً لدى أبناء الأسر التي تهتم بأمور الدين.





حاجات المراهق:

يختلف علماء النفس اختلافاً واسعاً في تصنيف حاجات المراهق وترتيبها، وجزء كبير من هذا الاختلاف أمر اصطلاحي يتعلق بالتصنيف والترتيب، ومن أبسط التصنيفات، تصنيف النغميشي، حيث صنفها إلى:

- أ- حاجات نفسية، وتشمل: الحاجة للعبادة، الحاجة للأمن، الحاجة للقبول.
 - ب- حاجات اجتماعية، وتشمل: الحاجة للرفقة، الحاجة للزواج، الحاجة للعمل والمسؤولية.
 - ج- حاجات ثقافية، وتشمل: الحاجة للاستطلاع، الحاجة للهوية الثقافية.
- وسياتي تناول الحاجات بشيء من التفصيل في الجانب النفسي، بمشيئة الله تعالى.

المراهق والتدين^(١):

تشهد هذه المرحلة اتجاهاً قوياً لدى الشاب والفتاة نحو التدين، إذ التدين من مؤشرات الصحة النفسية، حيث يؤدي إلى التوافق الشخصي، فيسهم في تحقيق السعادة والأمن، ويدفع إلى الكفاءة المهنية، ويتمثل في التفكير والتأمل، وفي الاعتناء بممارسة الشعائر الدينية، وقد

(١) المراهقة فترة مصحوبة بكثير من تقلبات المزاج، وقد يؤثر هذا في مدى تمسك المراهق بالقيم الدينية، فتجده أحياناً شديد التحمس للدين، وفي وقت آخر تجده قد ذبل حماسه الديني حيناً آخر، وربما يكون المراهق وقت فتوره وتمرد فريسة لبعض الملحدّين المضلين فينحرفون به، وقد يزرعون في نفسه الشبهات والشكوك، فإذا كانت الأسرة راعية لمثل هذه المواقف، فإنها بتدنيها تستطيع حماية أبنائها من مثل هذه الاحتمالات، وتستطيع أن تقدم البراهين المضادة من أجل ترسيخ الإيمان بالله وإزالة الشك من ذهن المراهق.

راجع: [رعاية المراهقين: د يوسف ميخائيل أسعد، ص ١٠٦ ط. مكتبة غريب- القاهرة، وكتاب: الشباب قضية ورعاية ودور: د خليل الفاعوري، ص ١٩٦، ص ١٩٧ ط. مطبعة الناج- عمان].

أثبتت ذلك دراسات نفسية عديدة، حتى في المجتمعات التي يعتبر الدين فيها أمراً هامشياً،
كالمجتمعات الغربية اليوم، فكيف بالمجتمعات المتدينة؟

إنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ
النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠)
﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١) ﴿[الروم: ٣٠ -
٣١].

عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: (ألا إن ربي
أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت
عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت
لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً) (١).

وبين ﷺ في الحديث الآخر أن العوامل الطارئة هي التي تصرف المرء عن اتباع الدين،
فقال: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج
البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (فطرة الله التي
فطر الناس عليها) (٢).

ولما كانت هذه المرحلة هي مرحلة التكليف الشرعي، كان من حكمة الله أن تتجه النفس
السوية فيها للتدين، وأن يقوى فيها هذا الجانب.

«وإذا كان الطفل منذ نعومة أظفاره يدرك عدداً من المعاني الدينية بتأثير هذه الفطرة التي
أودعها الله إياها، فإن هذا الإدراك هو شعور غير محدد، فهو يبدي عدداً من الانفعالات، ويثير

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) رواه البخاري: (١٣٥٨)، ومسلم: (٢٦٥٨).





جملة من الأسئلة عن الله خالق الكون... فإن المعاني الدينية تتضح أكثر عند المراهق، بسبب نضجه العقلي الذي وصل إليه، فلا تكاد المراهقة تبلغ أوجها -حوالي السادسة عشرة تقريباً- حتى تكون مستويات المراهق الإدراكية قد تفتحت وتسامت، وذكاؤه قد بلغ أوجه، كما تتحدد في هذه المرحلة اهتمامات المراهق، ويتحرر من الشطحات والخيال، ويميل إلى القراءة والاطلاع، ويصبح قادرًا على التجريد وإدراك المعنويات، وتجاربه في البيت والمدرسة والمجتمع قد تنوعت، كل تلك العوامل العقلية والاجتماعية تتضافر في إيجاد وعي ديني عند المراهق، يختلف عن الاهتمام الديني عند الأطفال... والمراهق كغيره يجد في الدين أملاً مشرقاً بعد يأس مظلم، ويجد فيه أمناً من خوف، وفكراً يسد فراغه النفسي وقلقه الانفعالي، وهذا كله يدفع بالمراهق إلى المبالغة في العبادة والتعمق فيها أحياناً^(١).

والاتجاه نحو التدين عند المراهق فرصة ينبغي الاعتناء بها واستثمارها الاستثمار الأمثل حتى تسهم في تربية الشاب وإصلاحه، وهي فرصة «يمكن أن يعاد فيها تشكيل النفس كلها إن كانت في حاجة إلى إعادة التشكيل، فإذا كانت فترة الطفولة قد أفلتت -لأي سبب من الأسباب- فستتهياً في الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها فرصتان هائلتان لإعادة التشكيل، إحداهما: هذه السابقة للبلوغ، والأخرى: التي تحدث في مرحلة البلوغ»^(٢).

وحين ننظر إلى هذا الجانب، وننظر من زاوية أخرى في سمات المرحلة وخصائص النمو ندرك حكمة الباري جل وعلا حين اختار هذا السن للتكليف؛ فشخصية المرء بكافة جوانبها تقوده نحو الشعور بأنه دخل عالم الرجال؛ ومن ثم يعيد النظر في ذاته ويتأمل حاله؛ فيدرك الغاية من خلقه، ويسعى للالتزام بالعبودية لله لأ.

(١) انظر مقال: الشعور الديني عند المراهق: للأستاذ/ عثمان جمعة ضميرية، بمجلة البيان، (العدد: ٣٧) ص ٥٩-٦٠.

(٢) راجع كتاب: منهج التربية الإسلامية: محمد قطب، (٢/ ٢٠٢) ط. دار الشروق.

النضج الديني:

في أثناء محاولات الكثير من الشباب للاندفاع نحو التدين هروباً من الآثام والمحرمات يقع معظم الشباب -غالباً- بين شقي رحى التشدد المسرف، أو التهاون الشديد.

والنضج الديني هو الوسط^(١) بين التشدد المسرف والتهاون الشديد، وهو الذي يسعى إليه الشاب في هذه المرحلة؛ ليطمئن له الدخول إلى رشد قوي البنيان؛ الداخلي والخارجي.

(١) شذرات في فقه التدين :

- ١- الإيمان شعب، والأعمال الصالحة شعب؛ والعبد مندوب إلى تحصيل الإيمان، وتكثير الأعمال الصالحة، باختيار الميسور من الشعب ومجاهدة النفس لدرك المعسور منها؛ وسيظل يحاول إكمال نقصه حتى يلقى الله .
- ٢- التدين المتزن يدير نوازح الإنسان، لا يثيرها ولا ينفيتها، يحثُّ على أن تُقدِّم مراد الله على مرادك؛ دون إنكار لطبيعتك ولا تمرد على خالقك .
- ٣- لا طبقية دينية في الإسلام؛ فوصف فئة معينة أنهم ملتزمون على الدوام دون غيرهم فيه محاذير، من التزكية الممنوعة، وحصر التدين في بعض الشعب دون غيرها .
- ٤- فكرة أن هناك شعبة ظاهرة إذا ذهب ذهب وصف التدين عنك فكرة خاطئة؛ فالإيمان عندنا ليس كتلة واحدة يحضر جميعه ويغيب جميعه .
- ٥- الصحيح أن وزان الأعمال يجب أن يكون بالميزان الشرعي، وما يسوغ فيه الخلاف فقهيًا يسوغ فيه الخلاف في ميزان التدين بيننا، وتفاضل الأعمال وحجمها وثقلها يكون بالميزان الفقهي لا السائد شعبيًا أو عالميًا .
- ٦- أحب للمرأة أن يلبس غالب لبس أهل بلدته إلا ما حرم منه، ويكون تفاوت أنواع اللباس بحسب المقام لا الشخص؛ فالمساجد لها لبسها، والمناسبات العامة لها لبسها، والنزهة لها لبسها، والإنسان يراعي في ملبوسه الشرع والسن والجسم والعرف الاجتماعي والذوق الشخصي .
- ٧- حفاظ الإنسان على الشعب الظاهرة يعينه على تحصيل شعب تدينية أكثر من غيره؛ وهذا ملاحظ ومعهود من طبيعة النفس، ثم إن انتشار الهدى الظاهر معين للآخرين على خلق أجواء تدينية تساعدهم على أنفسهم، والمجاهرة تهون على الضعيف فعل الغلط؛ وكلنا ضعفاء .
- ٨- نحن نعامل تديننا بنظرية التدهور الحتمي، نفترض أن نقطة البداية أكمل وما بعده تنازلات؛ وهذا غير دقيق، فالتغير صفة محايدة لا تمدح لذاتها، ولا تدم لذاتها؛ التغير نحو الأفضل محمود، والتغير نحو الأدنى مكروه .

=





والتشدد الديني: سببه الأساسي النشأة الاجتماعية؛ حيث يجب توجيه الشاب دينيًا في مرحلة الطفولة المتأخرة والبلوغ؛ لأنه في هذه الفترة يكون في مرحلة شك وغموض. ويكون التوجيه في هذه المرحلة عن طريق القدوة العملية، وإدخاله الشاب في بيئة إيمانية متوازنة متدرجة ربانية.

أشكال الانحراف الديني:

١ - الشك والإلحاد العقدي أو الفكري أو النفسي.

- ٩- لم يأمرنا الله أن نكون متطابقين، فالتدين منطقة لا نقطة، والنصوص تتعامل بالتأطير العام لا التحديد المعين؛ نحن نلبس تديننا صفاتنا النفسية، وتجاربنا العملية، وظروف النشأة الاجتماعية، وأذواقنا الشخصية؛ وهذا مقبول ما لم يخرج عن إطار المسموح لنا في الشريعة.
- ١٠- نخلط أحيانًا بين الطمأنينة وبين عموم اللذة، فالتدين الصحيح يمنحك الطمأنينة وطيب الحياة، لاتساقه مع الفطرة وتسكينه للنفس اللوامة فيك، لكن عنصر مشقة التكليف سيزيد عما هو عليه من اختار التفلت واتباع الهوى؛ فالدنيا دار حرث لا دار حصاد.
- ١١- إذا غلبت نفسك على معصية فلا تفرط العقد كاملاً، جاهد على الإكمال، ونقّ ما عكر صفوك بالمكاثرة من الأعمال الصالحة، فالمهم هو ميزان الأعمال يوم القيامة؛ فكّر برجحانه بالصالحات من أي نوع.
- ١٢- معيار صحة التدين وانحرافه يكون بمقياس الوحي؛ القيم العامة كالأخلاقيات المشتركة بين الأمم جزء من التدين لا كله، هذا الغلط يقع فيه أصحاب التدين "الكبوت"، إسلام منخفض الكلفة.
- ١٣- الاندماج المتزن في المجتمع لعموم الولاء للمسلمين مقصد عظيم لكثير من العبادات، مع الحفاظ على الصحبة الصالحة، والبعد عن من يضعف إيمانك، فالعيش في المحميات الفكرية له محاذيره.
- ١٤- التعامل مع من ضعف تدينه من إخواننا يكون على هدي الوحي؛ فالمعاصي متفاوتة، وأحوال المصالح الشرعية مختلفة، ومقامات الشدة واللين تحتاج فقهاً واجتهاداً لكل حالة بحسبها.
- ١٥- إذا رأيت نفسك تعظم النكير أكبر من حجم المنكر حقيقة فاعلم أنك على خطر؛ إما لجهلك برتب المسائل، أو لأنك تدافع بهذا التضخيم رغبة فيك لارتكابه، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره.
- ١٦- إذا تغير رأيك -اجتهاداً أو تقليداً- في مسألة من مسائل التدين؛ إن كان من الأيسر إلى الأشق فلا تحقر من لازال على رأيك السابق، وإن كان من الأشق إلى الأيسر فلا تندم على ما سلف منك لتحقيق الأجر بإذن الله في الحالين ..



- ٢- اتباع الأفكار الوضعية العلمانية والليبرالية واليسارية والناصرية والقومية والاشتراكية والشيوعية، وغيرها من الأفكار الوضعية.
- ٣- التقصير في العبادات، وإصابته بالفتور الإيماني.
- ٤- الانحراف السلوكي، والوقوع في المعاصي والكبائر^(١).
- ٥- التطرف والتشدد المذموم.

التفريغ الديني:

وذلك عن طريق زيادة الحماس الديني والمشاعر الإيمانية الصادقة، حيث يشعر الشاب بأحاسيس مختلفة لذا كان من الواجب على المربين أن يقوموا بأشكال مختلفة لتفريغ هذه المشاعر بشكل منضبط عن طريق:

- ١- جماعات البرّ: حيث تساعد على تفريغ طاقة العطاء، في فعل العمل الخيري التطوعي وهي ملائمة للفتيات.
- ٢- نشاط اجتماعي: حيث التواجد وإثبات الذات، وتجربتها مع الجماهير.
- ٣- جماعة «أهل الحسبة»: وهي عمل دعوي لإقامة دعائم الفضيلة في المجتمع، ومحاربة الإباحية والانحراف، وهذا يُنمّي عند المراهق حاجته إلى الأمن النفسي.

(١) في المرحلة الجامعية وما بعدها تزداد الخبرات وتتكون مفاهيم محددة عن الصواب والخطأ، وعن الخير والشر، والحق والباطل، والفضيلة والرذيلة، وبذلك يصبح الشاب أكثر قدرة على التعامل مع المواقف الجديدة، إلا أنه من الملاحظ أن وسائل الإعلام المختلفة تعوق النمو الأخلاقي للشباب المراهق، وتؤدي به إلى الانحراف، وتدفعه دفعاً للحرام، وتساعده -لاسيما- في فترة الدراسة الجامعية على الانخراط في منظومة أخلاقية متردية.





٤- الغلو: حيث يستشعر المراهق قمة رفضه للأوضاع السائدة، مع ضعف قدرته على التغيير، فضلاً عن عدم وجود قوة مساندة للمتدينين في ظل الأنظمة العلمانية العسكرية الاستبدادية القمعية، مما يعين على نشر أفكار الغلو والتشدد.

٥- التصوف الزائف: وهو نفس أسباب التطرف، ولكن يصاحبه شخصية منطوية تتوقع داخل ذاتها.

٦- التحرر من البدع: مع رمي الناس بالابتداع أو التكفير أو التفسيق دون مراعاة لضوابط الشريعة الإسلامية في ذلك.

٧- التفكير البدعي الخرافي: مثل الإفراط في التفاؤل والتشاؤم، والتوسل بالمقبورين، وقراءة الأوراد المبتدعة، ويكثر هذا في محيط الفتيات -خاصة- في البيئات الريفية.

٨- إعلان الدافع الجنسي: الذي يعتبره الشباب المعوق الأساسي بينه وبين الله، فيكون من التنفيس الإعلان عنه، المجاهرة به دون حياء، ويظهر ذلك في شكل ملابس الفتيات، أو السلوكيات الشاذة للفتيان، وعلى العكس تماماً؛ تكون الحساسية المرفهة لأي مخالفة جنسية في المجتمع، والنقد المستمر للعري، بل ويأخذ أحياناً أسلوب النهي عن المنكر بغير ضوابط، ويتجلى ذلك سلوكياً في محاولته لإيذاء المتبرجات والسافرات.

ز) النمو النفسي:

سبق وأن ذكرنا شيئاً من أنواع النمو التي تحدث للشباب البالغ المراهق، مثل: النمو الجسمي والجنسي والانفعالي والعقلي والاجتماعي والأخلاقي، وكلها مفردات للنمو النفسي لدى الشاب المراهق، وبقي أن نذكر بأهمية النمو النفسي المتوازن في حياة الشاب البالغ، وهذا

أمرٌ من الأهمية بمكان -خاصة- في هذه العصور وتلك الأزمان، أزمة القلق والاضطراب^(١).

(١) يطلق على عصرنا هذا عصر القلق، وهذا ما ذكره (جيمس كولمان) حيث قال: «إذا كان القرن السابع عشر يوصف بأنه عصر التنوير، وإذا كان القرن الثامن عشر وصف بأنه عصر العقل، وإذا كان القرن التاسع عشر يوصف بأنه عصر التقدم، فإن القرن العشرين هو عصر القلق».

وعندما نتحدث عن النمو النفسي للشباب، فلا بد من التطرق للحديث عن الصحة النفسية وهي الحالة التي تشير إلى: - الخلو من الأمراض والاضطرابات النفسية والتوترات الزائدة.

- الخلو من الانحرافات. - تحقيق التوازن بين كافة المطالب.
- تحقيق التوافق والسلم النفسيين. - تحقيق الذات.
- الاعتدال في تحصيل حاجات الجسم والنفس والروح.
- حسن التوافق مع الناس. - الحصول على السعادة. - الرضا عن النفس.
- حسن الخلق. - حسن التوافق مع المجتمع. - الاكتفاء بالله عن الناس.
- الاجتهاد في تنمية النفس. - الاستمتاع بعمل الصالحات، والإقبال على الآخرة.

فالصحة النفسية هي حالة من التكامل المستمر مع الفرد في نمو وإشباع جوانبه، ولها ركائزها الطبيعية، والإنسانية، والثقافية، والجسمية، والروحية، والعقلية، والانفعالية، والاجتماعية بشكل سوي.

للتوسع راجع: (موسوعة علم النفس والتحليل النفسي) للأستاذ/ عبد المنعم الحفني، (١/ ٤٧٢) ط. مكتبة مدبولي، وكتاب: مبادئ الصحة النفسية: للأستاذ/ محمد خالد الطحان، ص ٤٧ ط. دار القلم، وكتاب: المدخل إلى علم الصحة النفسية: للأستاذ/ كمال إبراهيم مرسى، ص ١١٣، ص ١١٤ ط. دار القلم بالكويت، وكتاب: الصحة النفسية: د/ علاء الدين الكفافي، ص ٧٩ ط. دار هجر للطباعة والنشر، وكتاب: قوانين العقل الباطن: للأستاذ/ مصطفى رشدي، ص ٦٠ ط. مؤسسة حورس الروائية، وكتاب: النمو النفسي: للأستاذ/ عبد المنعم المليجي، ص ٤٥ ط. مكتبة مدبولي، وكتاب: الإنسان وصحته النفسية: د/ سيد صبحي، ص ٣٤، ص ٣٥، ص ٣٦ ط. مكتبات دار إحياء التراث الإسلامي بالسعودية.

وللتوسع حول معرفة الاختلالات النفسية بأنواعها المختلفة، وعلاقة التدين بالصحة النفسية في الدراسات الغربية والعربية، انظر بحث: الصحة النفسية من منظور إسلامي بين علماء الإسلام وعلماء النفس: إعداد: د/ صالح بن إبراهيم بن عبد اللطيف الضبيح، ص ١٤، ص ١٥ ط. دار الهادي النبوي بمصر، ودار الفضيلة

=



وعند النظر إلى الجانب النفسي أو الشخصي والذي يمكن أن تناوله من خلال قضيتين أساسيتين:

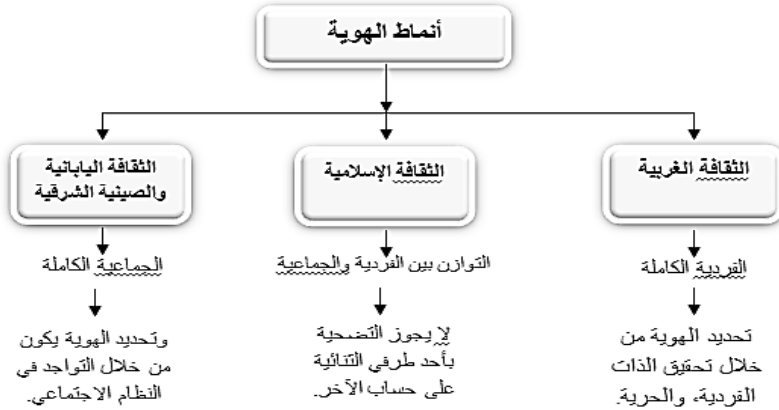
١ - تحديد الهوية.

٢ - ضبط الانتهاء^(١).

وأظن أن هاتين القضيتين ستربطان جميع الجوانب السابقة؛ ليسهل على كل منا أن يتعرف على شخصيته من الداخل في رحلته من بلوغ السعي إلى الرشد.
أولاً: تحديد الهوية:

ومعناها: الحاجة إلى أن يدرك الفرد نفسه على أنه شخص متوازن السلوك، متميز عن الآخرين.

ولتقريب معنى الحاجة إلى تحديد الهوية نذكر ثلاثة أنماط للهوية من خلال ثلاث ثقافات مختلفة:



بالرياض، وراجع أيضًا بحث: أسرار التربية النفسية: إعداد: أ/ سعد كريم الفتى، من ص ١٢ إلى ص ١٦ ط. الدار العالمية للنشر والتوزيع.

(١) راجع كتاب: الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب تأليف د/ عمر محمد التومي الشيباني، ص ١٢٤، ص ١٢٥ ط. الدار العربية للكتاب.



مسارات البحث عن الهوية:

في طريق بحث الإنسان عن الهوية هناك مسارات يسير فيها، فمن سار في المسار الصحيح وجد هوية منضبطة، وإلا كان العكس أمراضاً نفسية وخللاً في الشخصية.

ومن هذه المسارات:

١ - التلقين:

ويتضح شكله في كثير المنظمات الشبابية والأحزاب السياسية؛ حيث تصب الهوية صباً من خلال الشعارات، والأناشيد، والمحاضرات، والمحاسبة والمراقبة.

وهذا يؤدي إلى التبلور المبكر للهوية قبل الأوان، وهذا معوق للتكوين الصحيح للهوية، مما ينتج مراهقاً ينشد تقدير الآخرين واعترافهم، ويبالغ في تقدير السلطة، ويكون أكثر مسaire، وأقل استقلالاً، ويحمل قيماً جامدة، وطرقاً صلبة للتفكير.

٢ - التدرج:

الذي يؤدي إلى السعي الإيجابي الحثيث نحو تحديد الهوية بالتعاون مع المناخ الملائم، وهذا يعطي شعوراً قوياً بالذات، مع استقلال وإبداع وتفكير منظم.

ويبدو واضحاً في البيئات التي تأخذ بالتربية الهادئة المتدرجة، والتي تعتمد في أسلوبها على النقاش والحوار، وعدم الفزع من الاعتراض، وإعمال العقل المؤمن، والنظر الحر المنضبط بضوابط الشرع في مسألة «علاقة العقل بالنقل»^(١).

٣ - الخلط:

حيث عدم التحديد للهوية، والعيش في مسار مفتوح من خلط الهويات.

(١) ألف شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - مؤلفاً فذاً بعنوان: «درء تعارض النقل مع العقل» تحقيق د/ محمد رشاد سالم.. أنصح بقراءته فهو مؤلف فذ في بابه، ولا أعلم له نظيراً.





والمراهقون في هذا المسار يصفون أنفسهم بـ (الباحثين عن الذات) ولا يجدونها، مما يؤدي إلى ضعف تقدير الذات، ومنتج منافقين ذوي نظام خُلقي غير مكتمل، فيواجهون صعوبات في تحمل المسؤولية الشخصية، ويتسمون بالاندفاعية، وعدم تنظيم الأفكار.

الهوية المهنية:

والمراد بها: الحصول على عمل، مع تقدير المجتمع لهذا العمل، بجانب إتقان الفرد لهذا العمل، وذلك كله يؤدي إلى تقدير الذات؛ حيث إن الهوية المهنية المستقرة تؤدي إلى رشد منضبط، وهو حل لمشكلة الاستقلال التي تحدثنا حولها سابقاً.

ويعوق هذا الاستقرار المهني:

- ١ - وصف الشباب أنهم عمالة زائدة، وفائض خريجين، وجيوش بطالة.
- ٢ - يدرك الشباب بعد جهد الدراسة أن مهنته لا مكانة لها من الناحية التقديرية، وذلك مقارنة بالراقصين والممثلين والمغنيين والاستعراضيين والرياضيين.
- ٣ - تجبر الظروف الشاب أن يلتحق بعمل لا يرضى عنه، مما قد يؤدي إلى الشك في الذات، ونقصان تقديرها، أو غموض الهوية (هوية سلبية).

تحديد الهوية

الفشل

الشعور
بالاغتراب
.Alienation

النجاح

الانتقال السليم
نحو الرشد.

أعراض الاغتراب

عدم
إدراك

فقدان
الجذور

سيادة
الشعور
بالوحدة

الانعزال

الرفض

نتيجته

الانتحار

التطرف

الإيمان

الانحراف





- لهذا فإننا نظلم أنفسنا عندما نتجاهل هذه المعوقات المفسدة للهوية.
- ثم نظلم شبابنا عندما لا ندرك مدى التأثير الرهيب للفشل في تحديد الهوية.

ثانيًا: ضبط الانتماء:

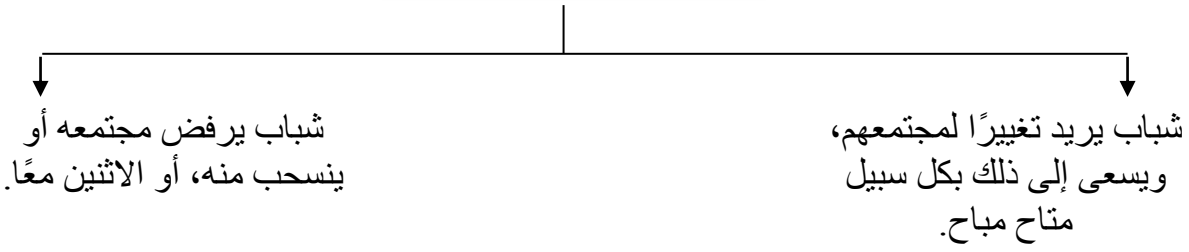
ومعنى الانتماء: النمو داخل جماعة أو بيئة أو وطن، وهذا النمو يتطلب من الشخص المنتمي قدرًا كبيرًا من تحمل المسؤولية.

ويعرّف (الشخص المسؤول) بأنه ذلك الشخص الذي يؤدي عمله بانتظام، ويضطلع بواجبه، ويؤدي ما عليه من التزامات بغير حاجة إلى رقابة أو توجيه من جانب شخص آخر.

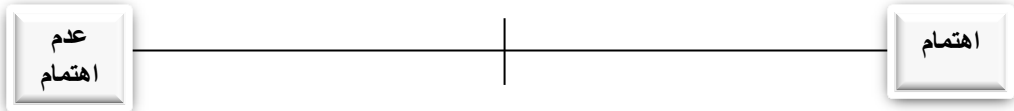
منظومة أنماط الشباب

ونجاح فترة الشباب يبدو في بدء ظهور الارتباط بين الذات والمجتمع، ونهايتها السعيدة تعني توصل الفرد إلى دور اجتماعي يناسبه؛ ليستطيع من خلاله أن يحقق ما لديه من قدرات وإمكانات خلاقة.

وهناك نوعان من الشباب



وبين طرفي هذين النوعين نجد منظومة متكاملة من أنواع الشباب، يمكن تمثيلها بالنموذج الآتي: ^(١)



هذا النموذج عبارة عن بُعْدَيْن، يمثل كل منهما اتجاهاً يمكن أن يتبناه الشاب حيال النظام الاجتماعي الذي ينتمي إليه ويعيش فيه.

(١) فكرة المنظومة عن Blocx. ١٩٦٨ وقمت بإعادة صياغتها لمناسبة المجتمع المسلم، [راجع كتاب: شباب بلا مشكلات، للدكتور/أكرم رضا، ص ١٧٤، ص ١٧٥].





البُعدُ الأول: الأفقي، ويمثل درجة الاهتمام، وحرص الفرد على معاشة الأمور والقضايا الاجتماعية والسياسية في مجتمعه، وله طرفان على المحور الأفقي.

البُعدُ الثاني: الرأسي، ويمثل درجة التقبل، أو الرفض للقيم السائدة في المجتمع، ومسايرته للمعايير السلوكية الخاصة بهذا المجتمع، وله طرفان على المحور الرأسي.

فيكون شكل المنظومة هكذا:

3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100	تقبل	١ عدم اهتمام الشباب الهادئ (الخاصل) Apathetic youth	٢ اهتمام الشباب النشط (المحافظ) Individualist youth
		٣ الشباب المغترب Alienated youth (المنسحبون) المنحرفون	٤ الشباب المتفاعل Activist youth (الثوري) المتحرر المبادئ النشط
	رفض	درجة الاهتمام	

وواضح من خلال الرسم أربعة أنماط من الشباب بالنسبة لدرجة التفاعل مع مجتمعهم.

الشباب المغترب المنسحب:

وهم المتواجدون في (المربع ٣) الذي يمثل أقل درجات التقبل، وأقل درجات الاهتمام.

٣	



يضم هذا النمط الشباب الذين يرفضون القيم الاجتماعية، والمؤسسات القائمة في مجتمعاتهم.

ويتبنون لأنفسهم نظاماً قيمياً مختلفاً.

وقد يعمدون إلى إنشاء تنظيمات تجمعهم وتعبر عنهم، وينقسم الشباب المغترب إلى فئتين:

أولها: فئة الشباب المنسحقين Disaffiliates ومثلهم جماعات (الهيبيز) Hippies التي ظهرت في ستينيات القرن الماضي، وهم يتخذون موقف الانسحاب تجاه النظام الاجتماعي الذي يعيشون فيه.

والثانية: فئة الشباب المنحرفين Delinquents، وهؤلاء يقاومون النظام الاجتماعي القائم ويحاربونه، ليس بهدف تغييره، بل بهدف أن يوفرُوا لأنفسهم نوعاً من الإشباع؛ يحتاجون إليه، ويمثلهم البلطجية، والذين يستخدمون العنف في التغيير.

- ومصدر الإحساس بالغربة لدى هؤلاء الشباب يتمثل في علاقاتهم بالديهم؛ خاصة مع آبائهم الذين يعاملونهم بفتور، ويتركز اهتمامهم حول مكانة خاصة يسعون إلى تحقيقها لأنفسهم، والخبرات التي تعزز الإحساس بالاغتراب تبدأ دائماً في محيط الأسرة.

	٤

الشباب المبادئ المتفاعل:

وهم الذين يحملون أعلى درجات الاهتمام، مع أعلى درجات الرفض، ويسكنون (المربع ٤).

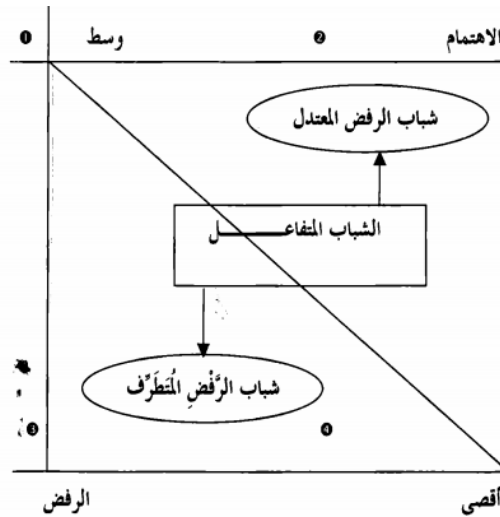
ويضم هذا النمط قطاعين من الشباب:

أولهما: الشباب الذين يهتمون بأمور مجتمعتهم، وما يعيشه هذا المجتمع من أحداث وتطورات.

والثاني: الشباب الذين يرفضون هذا المجتمع.

ويسعى شباب هذا النمط بقطاعيه تجاه تغيير ما لا يرضون عنه في المجتمع الذي يعيشون فيه، ويكمن الاختلاف بينهما في المنحى المستخدم في تحقيق هذه الغاية.

ففي الوقت الذي نجد فيه شباب الرفض المتطرف يميل إلى اتخاذ منحى ثوري متطرف أحياناً؛ لتحقيق وإحداث التغييرات التي يتطلع إليها، يعمل شباب الرفض المعتدل من خلال الأطر والمؤسسات الموجودة في المجتمع لتقويم ما يعتقد أنه خطأ.



- وبمراجعة الشكل المرفق نجد أن القطاع المعتدل أقرب إلى النمط المحافظ (مربع ٢)، وكلما قل رفضه كلما أصبح في هذا المربع، والقطاع المتطرف أقرب إلى النمط المغترب (مربع ٣).



وشباب هذا النمط بقطاعيه يتخذ من الأساليب السلمية وسيلة لتغيير المجتمع، ويرفض في مسعاه إلى تحقيق هذه الغاية أعمال العنف والقمع والقسوة، كما أنه لا يتطلع إلى السلطة كهدف، ويمكن الحديث عن النوعين، كل على حدة كالآتي:

أ- شباب الرفض المعتدل:

يتألف شباب هذا القطاع من أولئك الشباب الذين يسعون إلى الاشتراك في النشاطات التطوعية كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً؛ مثل: مشروعات خدمة البيئة، وبرامج محو الأمية، والتطوع للعمل في المستشفيات، وغير ذلك من نشاطات مماثلة.

وفي الوقت الذي نجد فيه شباب هذا القطاع يبدي اهتماماً بالغاً بكل ما من شأنه تخفيف آلام الإنسان ومتاعبه، وتحقيق آمال هذا الإنسان في عالم أفضل، فهم لا يُقَدِّمُونَ على تحدي سلطات وهيئات النظام الاجتماعي القائم، كما أنهم لا يعصون الراشدين الذين يتكفلون بهم، ويعيشون بينهم.

وبينما يعمل الشباب المتطوع على نحو يُؤثِّرُ فيه غيره على نفسه؛ من خلال تفضيل الانخراط في نشاطات تعود بالنفع على غيره بدلاً من أن يسعى إلى تدعيم وتعزيز حياته المهنية، فهو يجد في هذه الأعمال التطوعية فرصاً متعددة ومتنوعة لاستكشاف ذاته وتقييمها. وبينما هو يُكْرِسُ ولاءه لمبادئ ومُثُلٍ عليا معينة توجد في المجتمع، فهو يتهيأ بهذه الطريقة لتركيز وتأمل آخر يتصل بذاته، وينتهي به إلى نوع من الولاء أوسع وأعمق.

خط التماس:

ويمكن القول بعدم وجود خط قاطع يفصل ما بين شباب الرفض المعتدل، والشباب المتطرف؛ حيث يشترك بعض أفراد النمط الأول فيما يقوم به أفراد النمط الثاني من نشاط سياسي بهدف الاحتجاج والاعتراض على بعض ما يجري في المجتمع من أحداث وقضايا.

ويبدو أن القاسم المشترك بينهما يتمثل في ظروف وأساليب من خبرات متماثلة؛ إذ يتميز آباء الفريقين بالتعقل، والنزعة الإنسانية، ويحرص هؤلاء الآباء على تبصير الطفل بماهية النتائج التي يمكن أن تترتب على سلوكه بالنسبة لذاته، وبالنسبة للأفراد الآخرين، ويشجعونه على أن يستشعر المسؤولية، وأن يكون قادرًا على التأثير فيما يحدث له، وفيما يحدث للآخرين.

إن تنشئة الأطفال في مثل هذه الظروف تخلق منهم شبابًا قادرًا وتوافقًا إلى مقاومة السلطة الاستبدادية والزائفة عندما يتم إشراكهم في بعض الأمور عن طريق تفعيل الشورى، ولا يكون هذا غالبًا إلا مع آباء ذوي مستويات تعليم مرتفعة، ويتصفون بعدم التعصب، ويتوقع هؤلاء الشباب أن يأتي سلوك الأفراد وتنظيمات المجتمع ومؤسساته على نحو يتطابق مع الحقيقة والمنطق.

ب- شباب الرضى المتطرف^(١):

يُمَثِّل السعي المتواصل من جانب الفرد لتغيير المجتمع، وإعادة تشكيله، وهم الشباب الذين يتميزون بالفتح الشديد للتغيير؛ سواء كان ذلك فيما يتصل بالعالم المحيط أو بذواتهم، وهم يرون أن المستقبل مفتوح، ومداه غير محدود، وبالتالي فهم يركزون جهدهم في الحاضر، ويتوحدون مع نفس جيلهم بدلًا من التوحد مع أي واحد من القادة؛ مما يعزز إحساسهم بعدم الاتصال، أو الارتباط بالأجيال والأيدولوجيات الأخرى.

(١) القارئ الجيد لتاريخ مصطلحات التطرف، التعصب، التشدد، سيجدها مصطلحات حادثة لها دلالاتها اللغوية والاصلاحية، إلا أن الحداثيين والعلمانيين قاموا بتحريف دلالاتها عن عمد انتقاصًا وانتقادًا لكل مسلم متدين مستمسك بأصوله وثوابته، ومن أراد التوسع فليراجع كتاب: معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام: د/ محمد عمارة ط. دار نهضة مصر للطباعة والنشر بالقاهرة، وكتاب الإرهاب نظرات لغوية وشرعية وقانونية مقارنة (المصطلح ودوافع التهمة) د/ عثمان بن جمعة ضميرية، ط. كتاب البيان.





ويحاول الشباب المتطرف أن يستوعب الأشياء الغريبة ويحافظ عليها، طالما أن هذه الأشياء تنتمي إلى حاضره، وتتصل به، وتعيش فيه، ويتقبل أفراد هذا النمط مشاعرهم وبواعثهم وأوهامهم الذاتية، وقيمون نوعاً من التكامل بينهم بدلاً من التحايل عليها عن طريق كبته، وإنكارها، أو رفضها.

وهم يتقبلون ويحترمون كل أبناء وطوائف الشعب، وتحظى قيمة احترام فردية الفرد، أو شخصيته بأهمية بالغة لدى شباب هذا النمط، ويقصدون بذلك حق الفرد في أن يكون على النحو الذي يريد، ويرى أنه يتفق مع ما لديه من استعدادات وقدرات وإمكانات، وأن يكون الفرد أميناً مع الآخرين، وأن يسهم في تحقيق عالم يحترم الإنسان فيه أخيه الإنسان ويرعى حقوقه.

وتتطلب أهمية الفرد التي يدين بها شباب هذا النمط أن يقوم الفرد بدور ما في اتخاذ القرارات التي تخصه، وتلك التي تمس حياته، ويتمتع الحب والسلام لديهم بقيمة كبرى، وهم كغيرهم من طوائف الشباب المتفاعل يكرهون الحرب، ويقاومون العنف الشخصي المتبادل، وكل صور الاستغلال والسيطرة.

وهذا عرض جيد لأنماط الشباب الاجتماعية، ولكن للأسف هو ناتج جهد غيرنا.^(١) لذا فإننا ننبه إلى أمر غاية في الخطورة... أننا -نحن المسلمين- لنا دين يضبط أفكارنا وتصوراتنا وقواعدنا المنهجية، أما غيرنا فهم يرصدون الواقع ويؤصلونه، ويبتكرون المصطلحات التي قد تخالف في دلالتها ومضمونها ما عندنا تماماً. ولذلك نحن ندعو إلى قياس كل علم إنساني تجريبي على منهج الوحي المعصوم (كتاباً وسنة)؛ لنعرف الخبيث من الطيب.

(١) الفكرة منقولة عن عالم النفس الأمريكي W. Bolcx.



سؤال: ما هي أسماء أنماط الشباب في هذا التقسيم من وجهة نظركم؟

سيكون الجواب:

٣	

- مربع الاغتراب؛ (رقم ٣).

وسبق أن ذكرنا أن الدارس لأسباب اغتراب هؤلاء الشباب في تلك المجتمعات يجد أن أهم الأسباب لاغترابهم وانحرافهم ليس عيباً في شخصهم فقط، بقدر ما هو

نظرتهم إلى مجتمع الكبار؛ حيث انهدام كل أنواع القيم عند هؤلاء الكبار.

لقد وصل المجتمع الغربي في انحداره -في أواخر القرن الماضي- إلى مستوى جعل هؤلاء الشباب يستشعرون تلك الغربة، والرفض التام للمجتمع، مع عدم وجود حد أدنى من الاهتمام، فانقلبوا على المجتمع وتمردوا على قيمه، وبالطبع هم لا يستطيعون مواجهة المجتمع، فانقلبوا على أنفسهم، فبدؤوا تخريب المجتمع من داخلهم وشعورهم باللامبالاة^(١).

ونلاحظ أن شباب الرفض المعتدل كلما زاد من تطرفه في الاهتمام وعدم الرفض، فإنه ينحاز إلى مربع الشباب المحافظ.

ولكن إذا توافقت عقيدة وقيم الشاب مع المجتمع تراه نشيطاً، قليل الرفض، منحازاً إلى قيم هذا المجتمع ومشاريعه، متميماً إليه، واضح الهوية، يسير في منظومته بلا نشاز، فيعلو الاهتمام إلى قمته، ويقل الرفض إلى الصفر.

من يأخذ بأيدينا؟:

(١) كما حدث في ثورة الشباب في أوروبا في بداية التسعينيات في القرن الماضي.





	١

أما إذا حدث انحراف من أحد الاتجاهين، أقصد: إما أن يخالف المجتمع قيم وعقيدة الشاب، وإما أن يخالف الشاب قيم وعقيدة المجتمع؛ فنراه يتحول إما إلى (المربع ١)؛ المربع الأعلى، مربع الخمول والسلبية ثم اللامبالاة.

٣	

وإما أن يتوجه بزاوية حادة إلى مربع الاغتراب (مربع ٣).

	٤

أو تكون عقيدة الشاب أقوى، وتوجهه أسلم، وهناك من يأخذ بيده فيهاجر إلى مربع التفاعل (مربع ٤)؛ حيث الرفض المعتدل.

قد يقل قائل: وماذا عن شباب الرفض المتطرف؟

فسيكون الجواب:

نفس الدورة، ولكن تبدأ من مربع الاغتراب؛ حيث الانسحاب أو الانحراف.

فالمنسحبون قد يصلون إلى مستوى الخمول، والمنحرفون قد يبدوون في الاهتمام الشديد، فيبدؤون في التغيير بالعنف والخشونة، فيدخلون مربع التفاعل ولكن من باب الرفض

المتطرف، وقد لا يجد الشاب المتفاعل من يدلّه على المنهج السليم الواضح، فيبدأ في نهج سلوك الرفض؛ وذلك من شدة رفضه.

ولعل المنهج السليم الواضح في سنة التغيير ذكر في كتاب الله تعالى في عدة مواضع منها:

١ - ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

٢ - ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨].

٣ - ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].^(١)

ولعل المقصود هو المستويان من هذه الآيات الثلاث؛ فالمستوى الأول يدور في فلك كلمة: «يغيروا ما بأنفسهم»، وكلمة: «على بصيرة»، وكلمة: «بالحكمة والموعظة الحسنة».

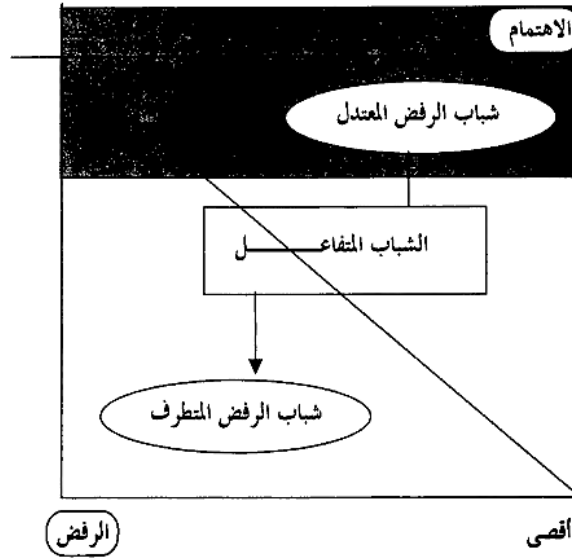
فهذا هو المنهج السليم للتغيير؛ يبدأ من النفس، ويكون بعلم وبصيرة، ويكون بالحكمة والموعظة الحسنة، ومن هنا يتكون الإنسان الصالح، فإذا تم ذلك وتوثق ينتقل إلى الإنسان المصلح من خلال كلمات: «يغير»، و«أدعو إلى الله»، و«ادع إلى سبيل ربك».

فقدّر الله في تغيير المجتمع جعل له وسيلة؛ هي الإنسان الصالح المغيّر لنفسه، والذي يكون تغييره على منهج الله.

وهذا المنهج منهج علمي؛ حيث قمة الاهتمام، ووسطية الرفض والقبول.

(١) ومن أراد التوسع فليراجع كتاب: السنن الاجتماعية في القرآن الكريم وعملها في الأمم والدول: تأليف: د/ محمد أمحزون، ط. دار طيبة، وكتاب: السنن الإلهية في الأمم والأفراد في الشريعة الإسلامية: تأليف: د/ عبد الكريم زيدان، ط. مؤسسة الرسالة، وكتاب «الوسطية في القرآن الكريم» تأليف د/ علي الصلابي ط. مكتبة الصحابة بالشارقة - الإمارات، وانظر: سنن التداول ومآلات الحضارة د/ محمد هيشور..ضمن سلسلة (روافد) الإصدار ٦١ يناير ٢٠١٣ م صفر ١٤٣٤ هـ، ط. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت.





وفي هذا يقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]^(١).

(١) راجع كتاب: شباب بلا مشكلات: د/ أكرم رضا، ص ١٩٤، ص ١٩٥، ص ١٩٦ بتصرف.

خلاصة أهم خصائص النمو في مرحلة المراهقة





ختامًا: إليكم هذا الجدول الذي يبين القضايا الرئيسة في المراهقة المبكرة والمتوسطة والمتأخرة^(١):

التغير	المراهقة المبكرة	المراهقة المتوسطة	المراهقة المتأخرة
العمر بالسنوات	من ١٠-١٣ سنة	من ١٤-١٦ سنة	١٧-٢٠ وما بعدها
تصنيف النضج الجنسي SMR	٢-١	٣-٥	٥
التغيرات الجنسية	صفات جنسية ثانوية تبدأ بنمو سريع غير متناسب	يبلغ النمو الطولي ذروته، يتغير شكل وتكوين الجسم، يظهر العد والرائحة، بدء الحيض أو الاحتلام	نمو أبطأ
التغيرات الجنسية	يتفوق الاهتمام الجنسي عادة على الفعالية الجنسية	يجيش الدافع الجنسي والتجريب والأسئلة حول التوجه الجنسي	تعزيز الهوية الجنسية
معرفيًا وأخلاقيًا	العمليات المنطقية، الأخلاقيات	ظهور التفكير المجرد،	المثالية، والقطعية (الاحتمية)

(١) المرحلة المتوسطة: هي مرحلة المراهقة المبكرة، أما صلب مرحلة المراهقة المتوسطة: فيكون في المرحلة الثانوية، والمرحلة الجامعية هي مرحلة المراهقة المتأخرة، وهذه القسمة تقريبية وليست دقيقة، إذ الأمر مختلف باختلاف البيئات والأشخاص، لكن بالقواعد الأغلبية يمكن أن نصل إلى الأغلب بالنسبة للناس، ولا شك أن هذا التقسيم من الأهمية بمكان -لا سيما- وأن هذه المراحل اعتبرها الشارع الحكيم وأناط بها أحكامًا شرعيًا، راجع ما ذكر عند كل من د/ عباس محجوب في كتاب: مشكلات الشباب، الحلول المطروحة والحل الإسلامي: ص ٢٢ ط. كتاب الأمة ربيع الأول ١٤٠٦ هـ، وراجع كتاب المسؤولية... معالمها... وتربية الناشئة عليها: لـ د/ عبد الكريم البكار - جزاء الله خيرًا - ص ٥٠ ط. مكتبة (نحو القمة) للطباعة، وراجع كتاب: مواجهة مع المراهقة: د: عبد الكريم بكار، ص ٤٣ ط. مكتبة (نحو القمة) للطباعة والنشر بسوريا -فرج الله كرب أهلها-.



	التقليدية	أسئلة استفسارية، التمحور حول الذات	
مفهوم الذات	الانشغال بتغيرات الجسم، الشعور بالذات	الاهتمام بالجاذبية، ازدياد الاهتمام بالآراء الذاتية	تصور ثابت نسبياً عن الجسم
العائلة	يسعى لزيادة الاستقلالية، والتناقض الوجداني	استمرار الصراع للحصول على القبول بالاستقلالية الذاتية	استقلال عملي، ولكن تبقى العائلة القاعدة الآمنة
الأقران	مجموعات من نفس الجنس، والتجمع في عصابة، الانسجام	مواعيد، نقص أهمية مجموعة الأقران	صداقات حميمة، من الممكن أخذ العهود
العلاقة مع المجتمع	توافق مع المرحلة المتوسطة دراسياً (الإعدادية)	يقدر مدى مهارته وفرصه	قرارات مسيرته، مثلاً: ترك العمل، الكلية ^(١)
التغيرات النفسية السلوكية ^(٢)	مرحلة المراهقة المبكرة (١٢-١٤ سنة): * تحقيق الاستقلالية: - الصراع من أجل إثبات الذات. - تقلب المزاج.	مرحلة المراهقة الوسطى (١٤-١٨ سنة): * تحقيق الاستقلالية: - الشكوى من تدخل الآباء لنيل استقلاليتهم. - الاهتمام بالمظهر وبشكل	مرحلة الطفولة المتأخرة (١٧-٢١ سنة): * تحقيق الاستقلالية: - تعريف الذات. - القدرة على تأجيل إشباع النفس. - القدرة على التعبير عن الأفكار

(١) راجع كتاب: فن التعامل مع المراهقين: للأستاذ/ ناصر الشافعي، ص ٤٢، ص ٤٣ ط. دار البيان للترجمة والتوزيع.

(٢) ومن أعراضها أن يُصاب المراهق بحالة من الشد ويقل نومه ويكثر سُهاده حين يلاحظ التغيرات التي تحدث في جسمه عمومًا.





في صورة كلمات. -روح الدعابة والفكاهة. -اهتمامات مستقرة. -استقرار عاطفي بدرجة أكبر. -القدرة على أخذ قرارات مستقلة. -القدرة على الوصول إلى الحل الوسط. -الكبرياء في العمل. -الاعتماد على النفس. -إظهار اهتمام للآخرين. * الاهتمامات: -المهارات العقلية. -تحول بعض الطاقات الجنسية والعدوانية إلى اهتمامات إبداعية. * التطور الجنسي: -الاهتمام بالجاذبية الجنسية. -تغيير العلاقات. -مشاعر الحب والعاطفة. * توجيه النفس: -تطور فكرة المثاليات	الجسم. -عدم تقدير الآباء وانحراف المشاعر بعيداً عنهم. -السعي إلى خلق أصدقاء جدد. -التنافسية وحب السيطرة على النظراء. -فترات من الحزن. -اختبار التجارب الداخلية لتشمل كتابة المذكرات. * الاهتمامات: -المهارات العقلية. -تحول بعض الطاقات الجنسية والعدوانية إلى اهتمامات إبداعية. * التطور الجنسي: -الاهتمام بالجاذبية الجنسية. -تغيير العلاقات. -مشاعر الحب والعاطفة. * توجيه النفس: -تطور فكرة المثاليات	-تحسين القدرات لاستخدام الكلام للتعبير عن النفس. -عدم الإنصات للآباء، مع إظهار عدم الاحترام لهم في بعض الأحيان. -تأثير الأصدقاء والتأثر بتصرفاتهم وتقليدهم. نشاط مفرط. -لميل إلى التصرفات الطفولية. -تحديد أخطاء للآباء. -البحث عن أشخاص آخرين لإعطاء الاهتمام والحب لهم بالإضافة إلى الآباء. * الاهتمامات: -التفكير في المستقبل الحاضر والقريب. -قدرة كبيرة على العمل والإنتاج. * التطور الجنسي: -الخلج. -التباهي بالصفات الشخصية. -الميل إلى الخصوصية. -صداقة الفتاة لفتاة والفتى	
--	---	--	--



- بعد النظر. - التركيز على الكرامة واحترام الذات. - القدرة على وضع أهداف محددة مع اتباعها. - قبول العادات الحضارية والاجتماعية.	واختيار القدوة. - ظهور دور الضمير. - القدرة العالية على تحديد الأهداف ورسمها.	لفتى (أي صداقة من نفس النوع). - بعد البنات عن البنين. * توجيه النفس: - القدرة على الأفكار المجردة. - تجربة السجائر والكحوليات والمخدرات.	
---	--	---	--

التغيرات النفسية في سن المراهقة:

- يصاب المراهق بحالة من الشد ويقل نومه ويكثر سُهاده حين يلاحظ التغيرات التي تحدث في جسمه عمومًا.
- حالة الضياع والقلق فهو لم يعد الطفل الصغير وفي الوقت نفسه لم يكتمل نضجه ويرفض الاعتماد على والديه ويفضل أن ينفصل عنها في حين أنه لا يكون قادرًا على الاستقلالية التامة والاعتماد على نفسه.
- العصبية، ويستثار بسهولة لأقل سبب من الأسباب أو يفقد شهيته للطعام ويقل نومه ويكثر سُهاده.





الشباب لماذا؟!!



الشباب لماذا؟!!

لفضل هذه المرحلة العمرية في الكتاب والسنة: فنحن عند تدبرنا للقرآن الكريم نجد فيه أمثلة كثيرة لشباب ذوي عزم وإيمان، فمثلاً: أثنى الله - في كتابه على مجموعة من الشباب تمسكوا بالإيمان الكامل والتزموا به، فكانوا قدوةً صالحةً ومثلاً يُقتدى به لجميع الشباب في جميع العصور، قال الله عنهم: ﴿إِنَّهُمْ فَتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ ﴿١٣﴾ [الكهف: ١٣] هؤلاء الشباب ممن عرفوا بلقب أهل الكهف تسابقوا في طريق الهداية والإيمان، ولم ينخرطوا في سلك الغواية والضلال، ولم ينغمسوا في رذائل المجتمع، ولعل السر في ذلك هو أنهم اكتسبوا من شبابهم قوة العزم والإرادة التي دفعتهم إلى اقتحام المخاطر والصعاب، خاصة منذ آمنوا واعتقدوا أن ذلك هو طريق الصواب^(١).

كذلك فلقد كان نبي الله لوطاً من الشباب الذين آمنوا بدعوة الخليل إبراهيم ونصروا هذه الدعوة، وفي ذلك يقول الله: ﴿فَأَمَّا لُوطُ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وهذا نبي الله إسماعيل كان شاباً فتياً قوياً في مقتبل عمره، يخبره أبوه أن قدم نفسك ذبيحاً طوعاً وامثالاً لأمر الله، اختباراً من الله لهما، فإذا به يعلن امتثاله وإذعانه لأمر ربه، فيقول كما حكى القرآن على لسانه: ﴿قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الصافات: ١٠٢]، وقد كان في إمكان إسماعيل عليه السلام أن يرفض هذا الأمر، لكنه استعلى على نفسه، ودفعت قوة إيمانه بربه إلى المبادرة بالإذعان والاستسلام لأمره - سبحانه جل شأنه - وبذلك استحق ثناء الله تعالى عليه، وتخليد ذكره في كل الأجيال، فقال:

(١) راجع كتاب بحوث وفتاوى إسلامية: للشيخ/ جاد الحق علي جاد الحق، شيخ الأزهر الراحل - رحمه الله وطيب ثراه - (٣٩٦/٤) ط. الأزهر الشريف.





﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يُأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥].

وسبق أن ذكرنا أن التأصيل اللغوي لكلمة الشباب يدل على أمرين هما: النماء والقوة، وفي الإسلام أمثلة كثيرة للشباب المؤمن المخلص القوي الفتى، فلقد ورد في كتاب الله أمثلة تبين بجلاء كيف أن العقيدة إذا رسخت في القلوب والأذهان تكون أقوى وأثبت من الجبال الراسيات، فهذا سعد بن أبي وقاص ت أسلم وهو شاب، وحاول أبواه رده عن دينه بكل وسيلة، واجتهدا اجتهدا شديدا في صدّه عن طريق الهدى والنور أملا في إبعاده عن إسلامه، فما كان منه إلا الإصرار على التمسك بدينه وإسلامه، بل لم يتزعزع إيمانه ولم يختل يقينه في ربه -جل وعلا- فعن مصعب بن سعد عن أبيه: (أنه نزلت في سعد آيات من القرآن الكريم، قال: حَلَفْتُ أُمُّ سَعْدٍ أَلَّا تَكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفِرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: زَعَمْتُ أَنَّ اللَّهَ وَصَاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ وَأَنَا أَمْرُكَ هَذَا، قَالَ: فَمَكَثْتُ ثَلَاثًا حَتَّى أَغْشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عِمَارَةُ فَسَقَاهَا فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ لَهَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان: ١٤، ١٥] (١).

ومن استقرأ آيات القرآن الكريم بشيء من التمهّل والبصيرة سيجد أن للشباب منزلة كبرى لا تدانيها منزلة في آيات القرآن، ولولا خشية الإطالة لفصلت في ذلك.

عناية السنة النبوية بالشباب:

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، (١٧٤٨).



لقد عنيت السنة المطهرة بالشباب، وقدمت لهم أفضل المقومات، وأرقى المؤهلات، وأقوم السبل، لإيجاد شباب سويٍّ، مؤمن، جلد قويٍّ، له شخصيته المميزة، أهلٌ لحمل الرسالة وتأدية الأمانة وقيادة سفينة النجاة لإنقاذ الإنسانية من حيرتها، والوصول بها إلى طريق النور والهداية والرشاد والأمن والاستقرار والسعادة.

ولما كان للشباب هذه الأهمية فقد ورد ذكرهم في بعض الأحاديث النبوية الصحيحة للدلالة على ضرورة الاعتناء بهم باعتبارهم القوة الحقيقية للأمة^(١)، ومن ذلك حديث أبي هريرة ت عن النبي ﷺ قال: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شاله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)^(٢).

وعن علقمة -أحد أصحاب عبد الله بن مسعود ت قال: كنت أمشي مع عبد الله بمنى فلقية عثمان رضي الله عنه فقام معه يحدثه، فقال له عثمان: يا أبا عبد الرحمن ألا نزوجك شابة لعلها تذكرك بعض ما مضى من زمانك، فقال عبد الله: لئن قلت ذلك فلقد قال لنا رسول الله ﷺ: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)^(٣).

(١) لمعرفة عناية السنة النبوية بمرحلة الشباب وما يتعلق بها من أحكام، فليراجع كتاب: أربعون حديثاً للشباب: للشيخ/ بدر راشد آل دخنان الدوسري، ط. دار الصميعي، وكتاب: الخلاصة في شرح الأربعين الشبابة: للشيخ/ علي بن نايف الشحود، وهو منشور على الشبكة العنكبوتية على موقع (صيد الفوائد).

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.



وقال ﷺ: (يقال لأهل الجنة: إن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً)^(١).

وعن عقبة مرفوعاً أن النبي ﷺ قال: (إن ربك ليعجب للشباب ليس له صبوة)^(٢).

لله دُرُّ هذا الشاب الصالح!! ما أعظم مكانته!! فلو لم يكن له من ثناء إلا أن يعجب ربه منه لكفى، «يعظم عنده قدرًا فيجزل له أجرًا لكونه ليست له صبوة، أي: ميل إلى الهوى بحسن اعتياده للخير وقوة عزمته في البعد عن الشر، قال حجة الإسلام: وهذا عزيز نادر، فلذلك قُرِنَ بالتعجب»^(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة عند ربه، حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق، وماذا عمل فيما علم»^(٤)!

ولله دُرُّ حفصة بنت سيرين حين قالت: «يا معشر الشباب اعملوا فإني رأيت العمل في الشباب هو القوة، فالشمس لا تملأ النهار في آخره كما تملؤه في أوله»^(٥).

والسنة النبوية زاخرة بالأحاديث الصحاح التي تدل دلالة واضحة على اهتمام نبينا ﷺ بالشباب المسلم فوق أي أرض وتحت أي سماء^(٦)، وكيف لا تنصرف همه رسول الله ﷺ إلى

(١) رواه مسلم: (٢٨٣٧).

(٢) إسناده جيد: رواه الروياني في مسنده، وأحمد والطبراني في الكبير، وأبو يعلى وابن أبي عاصم في السنة وجود إسناده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٣٥/٦).

(٣) راجع كتاب: [فيض القدير] للمناوي (٢/٢٦٣) ط. مكتبة مصر للطباعة والنشر.

(٤) رواه الترمذي عن ابن مسعود، وحسنه الألباني في صحيح الجامع [٧٢٩٩].

(٥) راجع كتاب [ترطيب الأفواه بذكر من يظلمهم الله] للدكتور/ سيد العفاني (١/٢٦٣) ط. معاذ بن جبل.

(٦) من المقرر سلفاً: أن النبي ﷺ هو خير الناس تعليمًا وتربية، وقد كان يعامل الشباب البالغين كما يعامل سائر الرجال، ففي الجهاد الذي يكون فيه القتل وإراقة الدماء (والذي لا يحتمله الأشداء من الرجال) كان ﷺ يأذن



العناية بالشباب وقد بُعث ﷺ وهو في زهرة شبابه، وآزره ونصره جماعة من الشباب القويّ
الفتيّ فكانوا الحصن الواقى للدعوة الإسلامية آنذاك.

وما كان اختيار الله - سبحانه وتعالى - ذاك الجيل الأول ليكون فرطاً للأمة، وحاملاً
لِلرسالة عبثاً، بل عن حكمة بالغة منهم، فهم خير قلوب العباد، حيث اصطفى ربنا محمداً
لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه
خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، وحماة دينه وشرعه، فله درهم أجمعين!!

والحديث حول هذا المعنى طويل الذيل، فمن رغب في الاستزادة فليراجع دواوين السنة،
وكتب السير والتراجم ليقف على إحصاء أسماء أكثر شباب الصحابة، وكيف تعامل معهم
رسول الله ﷺ؟! وحقيقة موقف نبينا ﷺ من توجيه الشباب والاعتناء بهم في كافة

لِلشباب الذين تأهلوا له بالمشاركة فيه مع المسلمين شأنهم شأن سائر الرجال، فقد كان ﷺ حين يخرج للغزو
يتفقد الجيش فمن رآه صغيراً أعاده، ومن كان غير ذلك أذن له.

وجعل النبي ﷺ مقياساً واضحاً في التفريق بين الصغير والكبير وهو البلوغ، فلقد أخبر ابن عمر رضي الله عنهما عن ذلك فقال
عرضني رسول الله ﷺ يوم أحد في القتال وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يُجزني، وعرضني يوم الخندق وأنا ابن
خمس عشرة سنة فأجازني». رواه البخاري ومسلم.

وعليه.. فقد ردّ النبي ﷺ سبعة عشر من الصحابة، وهم أبناء أربع عشرة سنة؛ لأنه لم يرههم بلغوا، ثم عرضوا عليه
وهم أبناء خمس عشرة فأجازهم، والمراد بقول ابن عمر: وأنا ابن أربع عشرة سنة: أي طعنت فيها، وبقوله: «وأنا
ابن خمس عشرة سنة، أي استكملتها؛ لأن غزوة أحد كانت في شوال سنة ثلاث، والخندق كانت في جمادى سنة
خمس... فائدة... قال القموي: قال الشافعي.. ردّ النبي ﷺ سبعة عشر من الصحابة وهم أبناء أربع عشرة لأنه لم
يرهم بلغوا، ثم عرضوا عليه وهم أبناء خمس عشرة فأجازهم، منهم زيد بن ثابت، ورافع بن خديج، وابن عمر..
راجع «مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج» شرح الشيخ/ محمد الشربيني الخطيب على متن المنهاج للإمام
النووي (١٦٦/٢) ط. دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي.



المجالات^(١).

(١) هذا إحصاء لأكثر شباب الصحابة -رضوان الله عليهم- جمعناه من بطون كتب أهل العلم -رحمهم الله تعالى-.

أسماء شباب الصحابة

م	اسم الصحابي	
١	إبراهيم بن الحارث بن خالد	ولد بالحبيشة
٢	الأرقم بن أبي الأرقم	توفي ٥٣ وهو ابن ٨٣
٣	أسامة بن زيد	ولد في الإسلام ومات النبي ﷺ وله ٢٠ سنة
٤	أسماء بن حارثة	توفي سنة ٦٦ وعمره ٨٠ سنة
٥	أسيد بن ظهير بن رافع	استصغر يوم أحد
٦	أنس بن مالك	كان عمره عند الهجرة ١٠ سنين
٧	أوس بن ثابت الأنصاري	استصغر في أحد
٨	إياس بن معاذ	أسلم وهو غلام قبل الهجرة
٩	أيمن بن خزيمة	أسلم يوم الفتح وهو غلام يفعه
١٠	البراء بن عازب	استصغر في بدر
١١	بسر بن أرطأة	مات النبي ﷺ وهو صغير
١٢	بشر بن معاذ الأسدي	صلى خلف النبي ﷺ وهو ابن ١٠
١٣	بكر بن الشداخ الليثي	كان ممن يخدم النبي ﷺ وهو غلام
١٤	بلال بن الحارث	مات سنة ٦٠ وله ٨٠ سنة
١٥	ثابت بن رفاعه الأنصاري	كان يتيمًا في حجر عمه

=



١٦	ثابت بن الضحاك الخزرجي	ولد في عهد النبي ﷺ
١٧	ثعلبة بن أبي مالك القرظي	كان ممن لم ينبت في بني قريظة
١٨	جابر بن عبد الله بن رثاب	استصغر في أحد
١٩	جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام	مات ٧٨ أو ٧٤ أو ٧٣ أو ٧٧
٢٠	جعفر بن أبي طالب	كان أسن من علي بعشر
٢١	جندب بن عبد الله البجلي	كان على عهد النبي ﷺ غلامًا حزورًا
٢٢	الحارث بن حاطب بن الحارث	ولد في الحبشة
٢٣	حارثة بن سراقه	استشهد في بدر وهو غلام
٢٤	حبيب بن مسلمة	عمره عند وفاة النبي ﷺ ١٢ سنة
٢٥	الحسن بن علي بن أبي طالب	ولد في الإسلام
٢٦	الحسين بن علي بن أبي طالب	ولد في الإسلام
٢٧	حشرج	ولد في الإسلام
٢٨	حمزة بن عمرو الأسلمي	توفي سنة ٦١ وهو ابن ٧١ أو ٨٠
٢٩	حنظلة بن حذيم	لجده صحبة، دعا له ﷺ ومسح رأسه
٣٠	خالد بن البكير	استشهد يوم الرجيع وعمره ٣٤

=





٣١	خباب بن الأرت	مات سنة ٣٧ وعمره ٧٣، وقيل ٦٣
٣٢	ذؤيب بن شعثم	لقي النبي ﷺ وهو غلام صغير
٣٣	رافع بن خديج	استصغر يوم بدر
٣٤	رافع بن عمرو بن هلال المزني	سمع من النبي ﷺ وهو وصيف
٣٥	ربيعة بن أكثم بن سخرية	استشهد بخيبر وهو ابن ثلاثين
٣٦	رفاعة بن قرظة القرظي	كان ممن لم يثبت في بني قريظة
٣٨	الزبير بن العوام	أسلم وله ١٢ سنة، وقيل ٨
٣٩	زياد بن عبد الله بن مالك	وفد مع قومه وهو شاب
٤٠	زيد بن أرقم	استصغر يوم أحد
٤١	زيد بن ثابت	استصغر يوم بدر
٤٢	زيد بن جارية	استصغر يوم أحد
٤٣	زيد بن خالد الجهني	مات ٧٨ وقيل ٦٨ وعمره ٨٥
٤٤	السائب بن الأقرع الثقفي	مسح النبي ﷺ رأسه وهو غلام
٤٥	السائب بن عثمان بن مضعون	استشهد في اليمامة وهو ابن بضع وثلاثين
٤٦	السائب بن يزيد	حج مع النبي ﷺ وهو ابن سبع أو ست
٤٧	سالم بن حرملة	قدم إلى النبي ﷺ وهو حدث يكاد أن يبلغ
٤٨	سالم مولى أبي حذيفة	بلغ مبلغ الرجال في عهده ﷺ
٤٩	سعد بن بجير	استصغر في أحد

=



٥٠	سعد بن خولة	شهد بدرًا وهو ابن ٢٥
٥١	سعد الدوسي	كان من أقران أنس
٥٢	سعد بن مالك (أبو سعيد الخدري)	استصغر في أحد
٥٣	سعد بن أبي وقاص	كان عمره حين أسلم ١٧ سنة
٥٤	سعيد بن حريث	شهد الفتح وهو ابن ١٥ سنة
٥٥	سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص	ولد بالحبشة
٥٦	سعيد بن زيد	مات سنة ٥٠ أو ٥١ أو ٥٢ وعاش بضعة وسبعين سنة
٥٧	سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص	عمره يوم مات النبي ﷺ ٩ سنين
٥٨	سلمة بن سلامة بن وقش	مات سنة ٤٥ وهو ابن ٧٠
٥٩	سلمة بن أبي سلمة	هاجرت أمه وهو في حجرها
٦٠	سلمة بن عمرو بن الأكوع	مات سنة ٧٤ أو ٦٤ وعمره ٨٠
٦١	سلمى بن نوفل بن معاوية الدثلي	كان في آخر العهد النبوي ابن ٩
٦٢	سليط بن سليط	ولد في الحبشة
٦٣	سمرة بن جندب	رده النبي ﷺ في الغزو
٦٤	السميدع الكناني	قدم إلى النبي ﷺ وهو صغير
٦٥	سنان بن أبي سنان	كان عمره في الخندق ٢٠
٦٦	سهل بن أبي حثمة	مات النبي ﷺ وهو ابن ٨ أو ٧ سنين

=





٦٧	سهل بن سعد	مات النبي ﷺ وعمره ١٥ سنة
٦٨	سهل بن صخر بن واقد الليثي	قدم على النبي ﷺ وهو غلام
٦٩	سهل بن عمرو الأنصاري	كان غلاماً وقت الهجرة
٧٠	سهيل بن عمرو الأنصاري	كان غلاماً وقت الهجرة
٧١	شافع بن السائب المطليبي	لقي النبي ﷺ وهو مترعر
٧٢	شبات بن خديج البلوي الأنصاري	ولد ليلة العقبة
٧٣	شداد بن أوس	مات ٥٨ وهو ابن ٧٥
٧٤	شماس بن عثمان	من السابقين، قتل في أحد وهو ابن ٣٤
٧٥	شندي بن عجلان (أبو أمامة)	مات النبي ﷺ وعمره ٣٣ سنة
٧٦	صهيب بن سنان الرومي	من السابقين مات سنة ٣٨ أو ٣٩ وهو ابن ٧٠
٧٧	الضحاك بن قيس الفهري	مات النبي ﷺ وهو غلام يافع
٧٨	طلحة بن البراء البلوي	أسلم وهو غلام
٧٩	طلحة بن عبيد الله	مات سنة ٣٦ وله ٦٤
٨٠	طليب بن عمير بن وهب	قتل سنة ١٣ وعمره ٣٥
٨١	عاقل بن البكير	استشهد ببدر وعمره ٣٤

=



٨٢	عامر بن أبي عامر الأشعري	كان أصغر أهل السفينة
٨٣	عامر بن وائلة (أبو الطفيل)	آخر من مات من الصحابة
٨٤	عباد بن تميم الأنصاري	كان في الخندق ابن ٥ سنين
٨٥	عبد الرحمن بن الأسود	ولد في عهد النبي ﷺ
٨٦	عبد الرحمن بن أزهر بن عوف	رأى النبي ﷺ يوم حنين وهو محتلم
٨٧	عبد الرحمن بن أبي سبرة بن يزيد	أتى النبي ﷺ مع أبيه وهو غلام
٨٨	عبد الرحمن بن سهل بن زيد	كان صغيراً في خيبر
٨٩	عبد الرحمن بن عثمان بن مظعون	أدرك من حياة النبي ﷺ ٩ سنين أو أكثر
٩٠	عبد الرحمن بن عمارة بن الوليد	ولد قبل الهجرة
٩١	عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب	ولد في الإسلام
٩٢	عبد القدوس الإسرائيلي	أسلم عند موته وهو غلام

=





٩٣	عبد الله بن بسر المازني	مات سنة ٨٨ وعمره ٩٤ أو سنة ٩٦ وعمره ١٠٠
٩٤	عبد الله بن أبي بكر الصاديق	في حديث الهجرة: وهو غلام شاب فطن.
٩٥	عبد الله بن ثعلبة بن صُعيّر	رأى النبي ﷺ وهو صغير
٩٦	عبد الله بن جعفر بن أبي طالب	ولد في الإسلام
٩٧	عبد الله بن الحارث بن جزء	مات سنة ٨٦
٩٨	عبد الله بن أبي حبّية	رأى النبي ﷺ وهو غلام
٩٩	عبد الله بن أبي حدر	مات سنة ٧١ وعمره ٨١
١٠٠	عبد الله بن حنظلة	ولد بعد أحد
١٠١	عبد الله بن حواله	توفي سنة ٥٨ وعمره ٦٢ سنة
١٠٢	عبد الله بن خباب بن الأرت	ولد في عهد النبي ﷺ
١٠٣	عبد الله بن ربيعة بن الحارث	أرسلته أمه وهو غلام في إثر النبي ﷺ
١٠٤	عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب	عمره يوم توفي النبي ﷺ نحو من ٣٠ سنة
١٠٥	عبد الله بن الزبير بن العوام	أول مولود للمسلمين في المدينة

=



١٠٦	عبد الله بن زمعة بن الأسود	كان له في الهجرة ٥ سنين
١٠٧	عبد الله بن ساعدة بن عائش	ولد في عهد النبي ﷺ
١٠٨	عبد الله بن سعد بن خيثمة	شهد العقبة وهو رديف أبيه
١٠٩	عبد الله بن سهيل بن عمرو العامري	من مهاجري الحبشة، استشهد باليامة وعمره ٣٨
١١٠	عبد الله بن عامر بن ربيعة	ولد في الإسلام
١١١	عبد الله بن العباس	ولد في الإسلام
١١٢	عبد الله بن عبد بن هلال	ذهب به أبوه إلى النبي ﷺ وهو صغير
١١٣	عبد الله بن عبد الله بن أبي أمية	قبض النبي ﷺ وله ٨ سنين
١١٤	عبد الله بن عبدنهم (ذو البجادين)	أسلم يوم أسلم وهو يتيم في حجر عمه عهد النبي ﷺ قد قارب المائة
١١٥	عبد الله بن عتبة بن مسعود	ولد في عهد النبي ﷺ
١١٦	عبد الله بن علقمة (أبي أوفى)	مات سنة ٨٦ أو ٨٨ وقد قارب المائة
١١٧	عبد الله بن عمر بن الخطاب	استصغر في أحد

=





١١٨	عبد الله بن عمرو الحضرمي	ولد في عهد النبي ﷺ
١١٩	عبد الله بن عمرو بن العاص	مات سنة ٦٥ أو ٦٩ أو ٦٨ وعمره ٧٢
١٢٠	عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة	ولد في الحبشة
١٢١	عبد الله بن أبي ليلي الأنصاري	توفي النبي ﷺ وهو غلام يافع
١٢٢	عبد الله بن مخزومة	من السابقين شهد بدرًا وهو ابن ٣٠
١٢٣	عبد الله بن مسعدة بن حكمة	أعتقته فاطمة وهو صغير فتربى عندها
١٢٤	عبد الله بن المطلب بن أزهر	ولد في الحبشة
١٢٥	عبد الله بن مطعون	من السابقين مات سنة ٣٠ وهو ابن ٦٠
١٢٦	عبد الله بن مكمل	من أقران عبد الرحمن بن أزهر
١٢٧	عبد الله بن هشام بن زهرة	ولد سنة ٤ للهجرة
١٢٨	عبد الله بن الوليد بن المغيرة	دخل على النبي ﷺ وهو غلام
١٢٩	عبد الله بن يزيد الأنصاري	شهد بيعة الرضوان وهو ابن ١٧ سنة
١٣٠	عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب	كان أصغر من أخيه عبد الله بسنة

=



١٣١	عبيد بن سُليم الأنصاري	قال ﷺ إيتوني بأصغر القوم فأتي به
١٣٢	عبيد الله بن شيبه بن ربيعة	له عند وفاة النبي ﷺ ٨ سنين وزيادة
١٣٣	عتاب بن أسيد	استعمل على مكة وعمره نيف وعشرين سنة
١٣٤	عتبة بن عبد	سماه النبي ﷺ وهو غلام حدث
١٣٥	عزابة بن أوس	استصغروا يوم أحد
١٣٦	عطية القرظي	لم يقتل في بني قريظة
١٣٧	عقبة بن عمرو (أبو مسعود البدر)	كان شابًا من أقران جابر في السن
١٣٨	علي بن أبي العاص بن الربيع	توفي وقد ناهز الاحتلام
١٣٩	علي بن أبي طالب	أول من أسلم من الصبيان
١٤٠	عمارة بن حمزة بن عبد المطلب	ولد في عهد النبي ﷺ
١٤١	عمر بن أبي سلمة	ولد في الحبشة
١٤٢	عمرو بن حريث القرشي	ولد في الإسلام
١٤٣	عمرو بن سلمه	أم قومه وهو صغير
١٤٤	عمير بن حبيب	بايع النبي ﷺ عند احتلامه
١٤٥	عمير بن سعد	كان يتيمًا في حجر الجلاس
١٤٦	عمير بن أبي وقاص	استشهد في بدر وهو ابن ١٦ سنة
١٤٧	عوف بن الفقعاق	وفد به أبوه إلى النبي ﷺ وهو غلام

=





١٤٨	عون بن جعفر بن أبي طالب	ولد في الحبشة
١٤٩	عضيف بن الحرث	كان صبيًا يرمي نخل الأنصار
١٥٠	فرقد العجلي	ذهبت به أمه إلى النبي فمسح رأسه
١٥١	الفضل بن عباس	كان شابًا في حجة الوداع
١٥٢	قثم بن العباس بن عبد المطلب	ولد في عهد النبي ﷺ
١٥٣	قدامة بن مظعون	توفي سنة ٣٦ وعمره ٦٨
١٥٤	كثير بن السائب القرظي	لم يثبت في بني قريظة
١٥٥	كعب بن سليم القرظي	لم يثبت في بني قريظة
١٥٦	كعب بن عمرو الأنصاري	شهد بدرًا وهو ابن ٢٠ سنة
١٥٧	مالك بن الحويرث	قال: أتينا النبي ﷺ ونحن شبيهة متقاربون
١٥٨	مجمع بن جارية	كان حدثًا قد جمع القرآن
١٥٩	محمد بن أنس بن فضالة	ولد قبل الهجرة بأسبوعين
١٦٠	محمد بن الجند بن قيس	ولد في عهد النبي ﷺ
١٧٠	محمد بن جعفر بن أبي طالب	ولد في الحبشة
١٧١	محمد بن حاطب	ولد في الحبشة
١٧٢	محمد بن أبي حذيفة بن عتبة	ولد في الحبشة

=



١٧٣	محمد بن صيفي بن أمية	ولد في عهد النبي ﷺ
١٧٤	محمد بن ضمرة	سماه النبي ﷺ محمداً
١٧٥	محمد بن طلحة بن عبيد الله	ولد في عهد النبي ﷺ
١٧٦	محمد بن عباس بن نضله	سماه النبي ﷺ محمداً
١٧٧	محمد بن عبد الله بن جحش	ولد في الإسلام قبل الهجرة بخمس
١٧٨	محمد بن عثمان بن بشر	ولد في عهد النبي ﷺ
١٧٩	محمد بن عمرو بن العاص	صحاب النبي ﷺ وهو صغير
١٨٠	محمد بن عياض الزهري	رفع إلى النبي ﷺ وهو صغير
١٨١	محمد بن مخلد بن سحيم الأنصاري	ولد في عهد النبي ﷺ
١٨٢	محمد بن هلال بن المعلى	سماه النبي ﷺ محمداً
١٨٣	محمود بن الربيع	عقل من النبي ﷺ حجة وهو ابن ٥ سنين
١٨٤	محمود بن لبيد	كان قريب السن من محمود بن الربيع
١٨٥	مدلج الأنصاري	أرسله النبي ﷺ وهو غلام لعمر
١٨٦	المستورد بن شداد	كان غلاماً يوم قبض النبي ﷺ
١٨٧	مسطح بن أثانة	توفي سنة ٣٤ وعمره ٥٦

=





١٨٨	مسعود بن ربيعة بن عمرو	توفي سنة ٣٠ وقد نيف على الستين
١٨٩	مسلم بن خشينة	وفد وهو صغير وغير النبي ﷺ اسمه
١٩٠	مسلم بن شيبه بن عثمان بن طلحة	جده صحابي
١٩١	مسلمة بن مخلد	ولد في عهد النبي ﷺ
١٩٢	المسور بن مخرمة	سمع خطبة النبي ﷺ وهو محتلم
١٩٣	معاذ بن جبل	شهد بدرًا وهو ابن ٢١
١٩٣	معاذ بن الحارث بن الأرقم	قتل في الحرة ٦٣ وعمره ٦٩
١٩٤	معاذ بن الحارث بن رفاعه	شهد بدرًا وهو غلام
١٩٥	معاذ بن عمرو بن الجموح	شهد بدرًا وهو غلام
١٩٦	معبد بن خالد الجهني	مات سنة ٧٢ وعمره بضع وثمانون
١٩٧	معبد بن أبي معبد الخزاعي	كان غلامًا وقت الهجرة
١٩٨	معتب بن عوف	مات سنة ٥٧ وعمره ٧٨
١٩٩	معقل بن سنان الأشجعي	قتل سنة ٦٣ وله نيف وسبعون سنة
٢٠٠	معمر بن حبيب	كان فتى في غزوة بدر
٢٠١	معن بن يزيد	جده صحابي
٢٠٢	معوذ بن الحارث	شهد بدرًا وهو غلام وقتل فيها

=



٢٠٣	المغيرة بن نوفل	ولد في عهد النبي ﷺ
٢٠٤	المقدام بن معد يكرب	مات سنة ٨٧ و قيل ٨٦ و قيل ٨٣ وعمره ٩١
٢٠٥	موسى بن الحارث القرشي	مات بالحبشة وهو صغير
٢٠٦	مولة بن كثيف الكلابي	أتى النبي ﷺ وهو ابن عشرين سنة
٢٠٧	نافع بن سليمان العبدى	رأى النبي ﷺ وهو صغير
٢٠٨	النعمان بن بشير	كان أكبر من ابن الزبير بستة أشهر
٢٠٩	النعمان بن عدي	كان يتيمًا في حجر نعيم بن النحام
٢١٠	الهرماس بن زياد الباهلي	أبصر النبي ﷺ يخطب وهو صغير
٢١١	وبر بن مشهر الحنفي	قدم إلى النبي ﷺ وهو غلام
٢١٢	الوليد بن عمار بن الوليد	ولد قبل الهجرة
٢١٣	وهب بن عبد الله السواني (أبو جحيفة)	كان مرافقًا وقت وفاته ﷺ من أسنان ابن عباس
٢١٤	يحيى بن أسيد بن حضير	كان صغيرًا وأبوه يقرأ القرآن
٢١٥	يزيد بن الأسود الكندي	وفد به أبوه على النبي ﷺ وهو صغير
٢١٦	يزيد بن كعب الأنصاري	أبوه من الشباب

=





٢١٧	يزيد بن مسافع بن طلحة	أقل ما أدرك من حياة النبوة ست سنين ونصفاً
٢١٨	يوسف بن عبد الله بن سلام	ولد في عهد النبي ﷺ
٢١٩	أبو إبراهيم مولى أم سلمة	أعتقته أم سلمه حين بلغ
٢٢٠	أبو أسيد الساعدي	مات سنة ٦٠ وعمره ٧٨
٢٢١	أبو بشير الأنصاري	شهد أحداً وهو غلام
٢٢٢	أبو بصرة الغفاري	جده صحابي
٢٢٣	أبو جندل بن سهيل بن عمرو	من السابقين استشهد في اليمامة وعمره ٣٨
٢٢٤	أبو سعيد بن أوس بن المعل	عمره عند الهجرة ١٠
٢٢٥	أبو عطية البكري	انطلق به أهله إلى النبي ﷺ وهو غلام شاب
٢٢٦	أبو قتادة بن ربيعي الأنصاري	مات سنة ٥٤ وله ٧٢ سنة
٢٢٧	أبو قدامة بن الحارث	كان ابن ٥ في أحد
٢٢٨	أبو مرة بن عروة بن مسعود	ولد في عهد النبي ﷺ
٢٢٩	أبو واقد الليثي	مات سنة ٦٥ وله ٧٥، وقيل ٨٥

ملحوظات:

١ - لم أورد في هذا الملحق إلا من يغلب على الظن دخوله ضمن هذه المرحلة.

=



٢- لأهمية مرحلة الشباب: فالشباب مرحلة التكليف والقوة والنشاط^(١)، يتميز فيها الشخص بالفتح الذهني، والقوة البدنية، وخِصَبِ العاطفة، والأمل الواسع، والحرص الشديد على الأخذ من كل ألوان الحياة بأكبر نصيب، فالشاب لا يهدأ له بال حتى يرضى شهوته، ويحقق طموحه، مهما كانت النتيجة، ومهما كلفه من ثمن - خاصة - إذا كان بعيداً عن

٢- قد يوجد من اختلف في صحبته، والتحقيق في ذلك يصعب فاعتمدت في ذلك من ترجم لهم الحافظ ابن حجر في القسم الأول في الإصابة، ومال إلى اعتبار صحبتهم، ووضعت علامة (*) لمن أشار للخلاف في صحبته.

٣- الذين ولدوا في الإسلام لم أدرج منهم إلا مَنْ كان ضمن القسم الأول كما سبق.

٤- كثير ممن وردت أسماؤهم في هذا الملحق لم يرد لهم مواقف في أثناء البحث، إما لأني لم أجد شيئاً في ذلك، أو وجدت ما لم يصح، أو لأن ما حفظ من مواقفهم كان بعد أن تجاوزوا هذه المرحلة.

٥- من أراد التفاصيل حول تراجم هؤلاء الصحب الكرام، فليراجع (الإصابة في تمييز الصحابة) للحافظ ابن حجر العسقلاني، ت: عادل عبد الموجود، وعلي معوض ط. دار الكتب العلمية ١٤١٥ هـ - وكتاب (أسد الغابة في معرفة الصحابة) لابن الأثير، ت: عادل عبد الموجود، وعلي معوض ط. دار الكتب العلمية.

الطبقات الكبرى لـ محمد بن سعد الزهري ط. دار صادر.

معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني، ت: محمد راضي ط. مكتبة الدار ومكتبة الحرمين ط. ١٤٠٨ هـ.

(الصحيح المسند من فضائل الصحابة) للشيخ/ مصطفى بن العدوي ط. دار الهجرة بصنعاء ١٤١٠ هـ.

(١) رتب الشرع على بلوغ سن التكليف أحكاماً شرعية، حيث فرض الشرع المحكم على الشاب المكلف جميع أحكام الرجال بلا فرق، ومما نصّ الشرع فيه على ذلك:

أ- استحقاق الشاب لماله وزوال حكم اليتيم عنه: وذلك أنه حين يرث مالا من غيره فإنه لا يعطى إياه وهو صغير،

فحين يبلغ سن التكليف، يختبر فإن كان يحسن التصرف في المال أعطى هذا المال، قال تعالى: ﴿وَابْتَالُوا أَلَيْسَ لَكُمْ حَقٌّ إِذَا

بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦].

ب- أنه لو فعل جريمة توجب الحد كالسرقة والقتل والزنا ونحو ذلك، فإنه يقام عليه الحد بخلاف الصغير.

ج- قبول شهادته في الحقوق والحدود وإجراء الأحكام بناء عليها، شأنه شأن سائر الرجال، ولو شهد برؤية هلال رمضان أو شوال عمل بشهادته، فصام المسلمون وأفطروا.

راجع... رسالة «يا بني لقد أصبحت رجلاً» للشيخ/ محمد بن عبد الله الدويش ص ١٢، ١٣ ط. مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان.



الله عَزَّ وَجَلَّ.

والشباب بهذه الصفات وتلك الخصائص، قوة لا تعدلها قوة، في إخصاب الحياة بالخير ونموها وازدهارها - لا سيما-، إذا أُحْسِنَ استغلاله فيستثمر نشاطه في جميع المجالات وكل التخصصات.. في المزارع والمصانع، والمتاجر، والمؤسسات، ودور العلم، وساحات القتال، ومجالات التعمير، وسائر ميادين النشاط العام، فالشباب مرحلة من عمر الإنسان تمتاز بوفرة النشاط، وقوة الجسد، وفتوة الجسم، وسعة الأمل والطموح.

* والقوة في هذه المرحلة هي في كل شيء فهي [قوة في البدن، وفي الحواس، والعمل، والتكسب، وأيضا قوة في التحصيل العلمي، وبمقدار ما يبذل الشباب من جهد في هذه المرحلة تكون النتيجة المرجوة للنهوض بالمجتمع -إن شاء الله تعالى-.

٣- لأنهم عماد الأمم: فالشباب هم عماد حضارة الأمم وسر نهضتها وحاملوا لوائها، فهم العُمد الأساسية للمجتمع تشد قوته وتصون وجوده وتسير به للأمام في طريق الرقي والتقدم والنهوض، فلا تنهض أمة في مجال ولا تسود إلا بعقول شيوخها ومفكرها وسواعد أبنائها وشبابها، لذا فإنَّ الشباب في كل أمة وجيل موضع الفخر والاعتزاز، وقفوا في الصفوف الأولى في كل ميدان وبرزت مواهبهم في كل مكان لينهضوا بمجتمعاتهم، خاطروا بأرواحهم على متون الطائرات، وبين أمواج البحار وفي السفن والغواصات، وبجهدهم استخرجت كنوز الأرض، وقامت النهضة، وبطموحهم كانت حركات التحرر وصيحات الاستقلال، وبإصرارهم فَتَحَ اللهُ على أيديهم البلاد وفتح لهم قلوب العباد.. لأجل هذا كله كانوا موضع العزة والفخر في أممهم^(١).

(١) الدين والعلم في مواجهة مشكلات الشباب للأستاذ/ رمضان عبد المطلب عثمان، ص١٦، ص١٧ ط/ سلسلة دراسات إسلامية العدد رقم (٤٢) ط. وزارة الأوقاف بالتعاون مع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.



٤- لأنَّ الشباب أسرع استجابة من غيرهم: من نافلة القول أن أي فكرة لا تنجح إلا إذا قوي الإيمان بها، وتوفر الإخلاص لأصحابها، وازدادت حماسهم لها، ووجدوا في أنفسهم استعدادًا يحملهم على التضحية والعمل على تحقيقها، وتكاد تكون هذه الأربعة (الإيمان، والإخلاص، والحماية، والعمل) من خصائص الشباب؛ لأن أساس الإيمان القلب الذكي، وأساس الإخلاص الفؤاد النقي، وأساس الحماسة الشعور القوي، وأساس العمل العزم الفتي، وهذه كلها لا تكون إلا للشباب، ومن هنا كان الشباب قديمًا وحديثًا في كل أمة عماد نهضتها، وفي كل نهضة سر قوتها، ولكل دعوة حامل رايتها، وهذه حقيقة ثابتة.. فالشباب على مدار التاريخ وفي جميع الأطوار وفي أي قطر وعلى اختلاف الدعوات هم أكثر الناس تأثيرًا وأسرعهم استجابة، وباستقراء التاريخ فإن دولة الإسلام الأولى ودعوة الإسلام التي انبعثت في المجتمع الجاهلي وعمَّ نورها بعد ذلك أرجاء المعمورة، إنما كان عمادها وجنودها العُصبة المؤمنة من الشباب الذين جاهدوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل إرساء دعائم تلك الدولة، ونشر رسالة الإسلام للعاملين؛ فرسولُ الله كان عمره أربعين سنة عند البعثة، وأبو بكر الصديق كان أصغر من النبي بثلاث سنوات، وعمر كان أصغر منهما، وعلى كان أصغر من الجميع، وهكذا كان عبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، والأرقم بن أبي الأرقم، وسعيد بن زيد، ومصعب بن عمير، وبلال بن رباح، وعمار بن ياسر، وعشرات غيرهم بل مئات كلهم كانوا شبابًا..

لا شك ولا ريب أننا بحاجة ماسة لتسليط الضوء على سير الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ودراسة تاريخهم وأحوالهم ومواقفهم - خاصة - في هذه المرحلة الحرجة^(١)

(١) لماذا سير شباب الصحابة؟ يجيبك على هذا التساؤل الشيخ المربي/ محمد بن عبد الله الدويش - حفظه الله تعالى، فيقول: لا شك أن قراءة المرء في سير الصالحين وعلى رأسهم أصحاب النبي ﷺ أمر لا يجادل مجادل في أهميته وضرورته، لكن قد يتساءل متسائل: وما قيمة تخصيص البحث للحديث إلى الشباب دون غيرهم؟

=





وهو تساؤل جدير بأن يجاب عليه لإبراز النتائج المترتبة على ذلك:
أولاً: أن الشباب قد يرى نفسه على حال من الصلاح والتقوى والعبادة أو الاجتهاد في طلب العلم الشرعي أو الجهاد في سبيل الله ﷻ، أو أي عمل آخر، ويرى أنه قد فاق أقرانه وأنه قد جاوز ما عليه كبار السن والرجال، فقد يكون ذلك مدخلاً للشيطان ليوقع في نفسه العجب والبطر، وهذا عنوان الهلاك وبداية الضلال همانا الله منه.
لكنه حين يقرأ سير القوم ويطلع على أحوالهم يدرك أنه مهما فعل فهناك من فاقه وسبقه فيحترق نفسه وعمله ويتطلع للمزيد.

بل كيف يعجب الشاب بعمل ويدل به على مولاه سبحانه، وهو يعلم أن النبي ﷺ لن ينجي عمله كما قال: «لن ينجي أحداً منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمديني الله برحمة، وسددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا» [رواه البخاري (٦٤٦٢) ومسلم (٢٨١٦)].
ثانياً: أن قراءة السير والأمثلة الواقعية لها الأثر الفعال في النفوس، إذ هي ناهج أكثر رسوخاً وتأثيراً، وليس أدل على ذلك من كثرة إيراد القرآن الكريم لقصص الأنبياء والأمم السابقة، وفيها النماذج الضالة للحذر منها، وفيها النماذج الخيرة للتأسي بها، كما ذكر القرآن قصة أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون، وقصة أصحاب الكهف، وأصحاب الأندلس.

وكما ذكر النبي ﷺ قصة التائب من بني إسرائيل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً، وقصة أصحاب الغار، وقصة الغلام المؤمن، وغيرها كثير.

ثالثاً: سيطرت على مجتمعات المسلمين النظرة الدونية للشباب واحتقارهم، واعتبارهم كأطفال لا وزن لهم ولا قيمة، وهي قضية لن تحتاج إلى عناء لاكتشافها والتعرف عليها، فيكفيك لإدراك ذلك المشاركة في مناسبة اجتماعية، أو زيارة أحد الآباء في منزله، لتدرك من ذلك كيف ينظر المجتمع إلى الشباب ويتعامل معهم.
وينعكس أثر هذه النظرة على الشباب أنفسهم فيضعون أنفسهم حيث ينظر الناس إليهم ويطول أمد الطفولة والصبوة لديهم.

لذا فإن قراءة الآباء لسير شباب أصحاب النبي ﷺ ستغير حتماً من نظرتهم لأبنائهم وسترفع من تطلعاتهم، وقراءة الأبناء لهذه السير ستدفعهم إلى تجاوز هذه النظرة التي يواجهونها بها المجتمع.
رابعاً: ورث المجتمع المسلم المعاصر اليوم ضمن تركة الهزيمة والتخلف مفاهيم تربوية غريبة غريبة عليه وبعيدة عنه، وتحولت إلى جزء من تفكير الناس فانصرفوا عن المراجعة والمناقشة لهذه المفاهيم.
ومن ذلك النظرة للمراهق إذ لا يرى علم النفس الغربي في المراهق إلا الطيش والخفة، ولا يعرف عنه إلا الانحراف والجنوح حين يسيطر عليه مفهوم (أزمة المراهقة)، وانتقلت هذه العدوى إلى المسلمين وورثوها كما ورثوا غيرها.

=



والعجيب أنه في الوقت نفسه الذي بدأ علم النفس المعاصر يعيد نظرتَه للمراهق. [راجع كتاب «منهج التربية الإسلامية» للأستاذ/محمد قطب (٢٤١/٢)].

لا يزال كثير من الآباء المسلمين يعتبر ابنه معذورًا في كل ما يقارف ويفعل إذ هو مراهق. إن قراءة سير شباب أصحاب النبي ﷺ الذين يعيشون في هذه المرحلة التي يصفها هؤلاء بأنها سن المراهقة تعطي الدليل القاطع أن الجزء الأكبر من مشكلة المراهقين في مجتمعاتنا إنما هو نتاج وضع تربوي واجتماعي ومؤثرات معاصرة أكثر منه مرحلة ملازمة لكل من عاش هذا السن.

ونحن إذ نقول ذلك لا ننكر أن للمراهق طبيعته الخاصة، ومشكلاته التي ليست لغيره، لكن الأمر ليس كما يصوره علم النفس المعاصر، وكما يسيطر على نظرة الكثير من الآباء اليوم. وما أجددنا أن نلتزم الأسماء الشرعية فنعتبرها مرحلة (البلوغ) أو (التكليف الشرعي) وفيها يجري على الشاب ما يجري على سائر الرجال.

خامسًا: من خصائص الشباب في هذه المرحلة (القابلية للاستهواء) فيتعلق الشاب بالنماذج ويعجب بها، ويستثمر الأعداء هذه الخصلة فيبرزون أمام الشباب العديد من النماذج التي تستهويهم وتأسرهم «وهذا الاستعداد الشديد للاستهواء في تلك المرحلة من العمر لم يخلقه الله عبثًا، ولم يخلقه ليكون مشكلة للإنسان ولا ليكون في ذاته مصدر خطر عليه، ولكنه -ككل ما أودع في الفطرة من الطاقات والاستعدادات- يؤدي مهمته في البناء السليم للنفس حين يوجه التوجيه الصالح» لذا فإن العناية بإبراز هذه النماذج أمام الشاب يخدم جانبًا فطريًا مهمًا لديهم، ويحميهم في الوقت نفسه ويوفر لهم البديل دون أبطال الرياضة والفن وغيرهم.

سادسًا: لقد قامت الدعوة الإسلامية اليوم بقدراتها المتواضعة بجهد تربوي رائع، فأخذت بأيدي الشباب وانتشلتهم من براثن المؤثرات الفاسدة، ولا تزال بحمد الله اليوم مؤسسات الدعوة التربوية تقدم لنا المزيد. لكن نقص الخبرة، وقلة الدراسات التربوية المتاحة تجعل المساحة المتاحة للاجتهاد والتجارب الشخصية تتجاوز مداها الفعلي.

ومن ذلك: أن كل مرب لا بد أن ترسم في ذهنه صورة يتطلع للوصول بالشباب إليها، فكيف يتصور المربي حدود هذه الصورة؟ أو بعبارة أخرى ما الهدف والمستوى الذي يريد الوصول إليه؟
إننا كثيرًا ما نصبح أسرى تجاربنا ومداركنا الشخصية، فيستمد كل مرب من تاريخه وتجاربه السابقة صورة يتطلع إليها، فيرى أنه حين يصل بطلابه إلى المرحلة التي وصل إليها زيد أو عمرو فقد بلغ الغاية.
ويرى أن القدر المرضي من الجدية هو ما وصل إليه فلان، وأن منتهى الصبر والتضحية هو ما بلغه فلان.... الخ.

=





٥- لأنَّ الأعداء يتربصون بالشباب: سبق أن ذكرنا آنفًا أن الشباب في كل أمة هم مصدرُ حيويتها وقوتها، وبمقدار حصانته وعزمه واستقصائه على الاختراق المعادي.. بمقدار ذلك يكون أمن الأمة وسلامها وسلامتها بعيدًا عن الأخطار، - لا سيما - وأن ديار العالم الإسلامي مستهدفةٌ

إن استعراض هذه النماذج من سير شباب الصحابة -رضوان الله عليهم- يساهم في رسم صور يتطلع المربون إلى الاقتراب منها بأنفسهم وبمن يقومون على تربيته وتوجيهه، وإن لم يصلوا بالضرورة إليها فإنها تظل تحفز همهم وتستثير عزائمهم، وفي ذلك تربية لهم وصقل لمواهبهم.

أين أنا من هؤلاء؟

لا شك أن كثيرًا من الشباب سوف يتساءل حين يطالع هذه النماذج، ويطلع على هذه السير العطرة: أين أنا من هؤلاء؟ وأنى لي أن أصل إلى أحوالهم وأنا المقصر المفرط، ثم إن هؤلاء شباب اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ فأروه وصحبوه ورباهم وشهدوا التنزيل فهل يمكن أن تقارن حالنا بحالهم؟ أو أن تطالبنا أن نكون مثلهم؟ وهو تساؤل جدير بأن نجيب عليه، فنقول:

أولاً: حينما يتطلع المرء لمثل هذه النماذج فهذا لا يعني بالضرورة أن يرى في نفسه أنه قادر على أن يكون مثلهم أو أن يصل إلى منزلتهم، لكنه قد يضعهم نموذجًا أعلى له يسعى قدر الإمكان إلى الاقتراب من حالهم ولو لم يصير مثلهم. ثانيًا: حين يقرأ الشاب سيرهم تتعلق نفسه بهم، ويحبهم، ويلهج بذكرهم، وهو وإن قصرت نفسه عن اللحاق بهم، فإنه جدير بوعد النبي ﷺ الذي يرويه أبو موسى رضي الله عنه قال قيل للنبي ﷺ: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ قال: «المرء مع من أحب».

ثالثًا: لقد كان لأولئك -رضوان الله عليهم- دور بارز في مجتمعهم في كافة الميادين، وبرزوا بالرغم من وجودهم مع أمثالهم من الرجال الكبار الذين صحبوا النبي ﷺ كما صحبه هؤلاء، وتلقوا منه كما تلقى منه هؤلاء. وهذا يعني بمنطق بدهي أن الشاب في أي مجتمع يمكن أن يفوق أقرانه، وأن يكون له دور، وأن يصل لمنزلة أعلى مما يضعها لنفسه، ونحن نريد من الشباب أن يكونوا في مجتمعهم كما كان شباب الصحابة في مجتمعهم.

هؤلاء الشباب هم الذين حملوا على كواهلهم أعباء الدعوة وهم الذين استعذبوا في سبيلها أسمى آيات الصبر والعذاب والتضحية، وهم الذين واصلوا ليلهم بنهارهم حتى حققوا لهذا الإسلام انتشاره وكيانه، ولهذا الدين انتصاره وتمكينه [راجع كتاب «ترطيب الأفواه بذكر حديث من يظلم الله»، د/سيد العفاني، ٢٦٦/١، ط: دار العفاني]، ولا تزال في هذا العصر وما سبقه من دهور وما سيتلوه من عصور نجنى ما غرسه أولئك الأبرار من الشباب من أصحاب رسول الله ﷺ. [راجع كتاب «نظرات في مشكلات الشباب وكيفية معالجتها»، د/حمزة بن حسين ص٩٩، ص٥٥، ط/دار الأندلس الخضراء].



من القوى المعادية للإسلام داخلياً وخارجياً لضرب العصب الفعّال والمؤثر في حياة الامة وهم الشباب.

وليس هذا بجديد بل هو قديم قدم التاريخ، وقدم الصراع على البقاء، وقدم ما بين الحق والباطل من تنازع، وتلك سنة قدرية كونية قدّرها ربنا - سبحانه وتعالى - على أتباع المنهج الحق في كل زمان ومكان، والناظر بعين البصيرة يجد أن أمتنا المسلمة تعيش اليوم حالة جزر سياسي يستعلى فيه الأعداء، ويعلنون تحديهم واتجاههم إلى فرض هيمنتهم على ديار المسلمين، لهذا اجتهد الأعداء أن تكون كل إمكانيات الاختراق والغزو وفي صدارتها البث الإعلامي المباشر، والشبكة المعلوماتية العالمية «الإنترنت» وأدوات التواصل الاجتماعي الحديثة كـ «الفيسبوك، تويتر، والواتس، تليجرام...» كلها موجهة لتفريغ الشباب من طاقاته الإيمانية والأخلاقية والثقافية والفكرية حتى يصبحوا أشياخا غير ذوي تأثير في بناء أمتهم، ألا فلنعلم أن الشباب محط اهتمام جميع البلاد الشرقية والغربية وأصحاب الدعوات الهدامة [كالعلمانية والليبرالية والشيوعية والماركسية والناصرية والقومية والاشتراكية]، بل إننا نجد كثيراً من الأمم الكافرة - [والتي لا تتورع عن سلوك أي سبيل يوصلها إلى مقصودها] - تعتمد إلى وضع الخطط الدقيقة المحكمة لإفساد شبابنا، وتبذل الجهود الكبيرة والأموال الطائلة لإنجاح تلك الخطط بشكل استباقي، قد يكون ذلك عن طريق المخدرات التي تيسر دخولها إلى بلاد المسلمين بكميات كبيرة وتبيعها بأثمان زهيدة للمروجين حتى يجتهدوا في تحصيل أكبر قدر من الربح كلما زاد عدد المتعاطين لها والمقبلين عليها، أو عن طريق نشر العهر والممارسات الجنسية البالغة الفجر والإسفاف باسم «الحرية المطلقة للإبداع والفن والثقافة والفكر» لكي يحطموا في الشباب طاقة المقاومة والالتزام الديني والأخلاقي، وتكون النتيجة الحتمية أن تنتهي بهم الأمور إلى الضياع والفشل والإحباط والتخلف والذلة والتبعية، وغير ذلك مما لا يغيب عن ذهن المتأمل اللبيب لأحوال شباب المسلمين على اختلاف طبقاتهم وتوجهاتهم.

٦ - لعناية الإسلام بهم أشد أنواع العناية.. لقد عُنِيَ الإسلامُ بأتباعه - عامة - وشباب





المسلمين - خاصة - أشد أنواع العناية؛ لأن الشباب يعني مرحلة العطاء ومرحلة الإنتاج؛ ومرحلة الحيوية في عمر الإنسان؛ لأن مرحلة الشباب هي المرحلة التي تلي مرحلة المراهقة، وتأتي بعدها مرحلة الكهولة، والشيخوخة، ولذلك كانت لهذه المرحلة من عمر الإنسان خصائصها وطبيعتها التي تنفرد بها عن غيرها.

لذا قدم الإسلام إلى الشباب أفضل المقومات وأقوم السبل لإيجاد شباب سوى، مؤمن جلد، أهل لتحمل الصعاب في سبيل الله..



ومن أهم تلك المقومات^(١):

* تربيتهم على الجلد والخشونة والرجولة.. حيث طالب الإسلام أتباعه بالتعود على خشونة العيش؛ لأن المتقلب في الترف والنعيم عندما يكبر يسترسل في الترف والملذات، فيختار دائماً الطريق الأسهل، ولا يمكن أن يركب الصعب، وقد يهرب من تحمل المسؤولية، ويجبن عند لقاء الأعداء، بل قد يفر في معارك الرجال وذلك لأنه نشأ نشأةً ليّنةً طريةً، لا رجولة فيها ولا خشونة، ولا صبر فيها ولا مصابرة، وقد يشعر دائماً بالعجز عن القيام بالأهداف العظام ومعالي الأمور؛ لأن ذلك يحتاج إلى بذل وجهد وتضحية لا طاقة له به، فقد اعتاد الأخذ فقط، ولم يتعود على العطاء، وقد يتعرض للفشل تلو الآخر؛ لأنه لا طاقة له على العمل الدؤوب الجاد، فلا يمكن الاعتماد عليه بحالٍ من الأحوال، والأمة التي تُنشئ شبابها على الترف الزائد وعلى الميوعة تُنشئ جيلاً ناعماً لا يصلح لشدائد الحياة يكون حاله كما قال القائل:

(١) راجع رسالة دكتوراه بعنوان [منهج السنة النبوية في تربية الإنسان وقايةً وعلاجاً]، لصاحبها د/ بدير محمد بدير، [٩٣/١]، ط/ مكتبة الدعوة الإسلامية.



مُرُّ النسيم يَجْرُحُ خديه ولمُس الحرير يُدْمِي بنانه^(١)

* كذلك حرص الإسلام أن يكون الشاب المسلم رجلاً واضح الرجولة، وأن تكون الأنثى واضحة الأنوثة، وكَرِهَ الإسلامُ التخنث والميوعة وتشبه كل جنسٍ بالآخر، فعن ابن عباسٍ رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»^(٢).

لأجل هذا حَثَّ الإسلامُ الشباب على التدريب على الرياضة والفروسية: كما حَثَّ على تعلم فضيلة الرمي والمناضلة والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل الله، وكذلك سائر أنواع استعمال السلاح والمسابقة بالخيول وغيرها، وفقاً للضوابط الشرعية المنصوص عليها، والمراد بذلك كله التمرن على القتال والتدريب والتحذق فيه، ورياضة الأعضاء بذلك، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]^(٣).

ولا شَكَّ أن الرياضة التي تتقوى بها أجسامُ الشباب من باب الإعداد الذي أمرنا به، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»^(٤).

(١) المصدر السابق، [٩٧/١].

(٢) رواه البخاري، (٥٨٨٥).

(٣) للوقوف على فضائل الرياضة من الناحية الشرعية «أنصح بالاطلاع على «أربعين حديثاً في فضائل الرياضة»، تأليف: محمد خير رمضان يوسف ط. دار طيبة ١٤٢٦هـ.

(٤) رواه مسلم [١٩١٧].





وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سابق بالخيّل التي أُضمرت^(١) من الحيفاء، وكان أمدّها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل، التي لا تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق... وكان ابن عمر فيمن سابق^(٢).

قال النووي رحمه الله: وفي الحديث جواز المسابقة بين الخيل، وجواز تضميرها، وهما مجمع عليهما للمصلحة في ذلك وتدريب الخيل ورياضتها وتمرينها على الجري وإعدادها لذلك ليتنفع عند الحاجة في القتال كراً وفراً^(٣).

قال عمر رضي الله عنه: «لا تزالون أصحاب ما نزعتم ونزوتهم، نزعتم في القسي ونزوتهم على ظهور الخيل»^(٤).

ولمكانة الرمي في الإسلام، وعظيم فائدته جاء التهديد لمن يفرط فيه بترك استعماله حتى ينساه بعد أن علمه، ولهذا فإن الإمام النووي رحمه الله بعد تعليقه على فضل الرمي والحث عليه قال:

«إن نسيانه بعد تعلمه مكروه كراهة شديدة لمن تركه بلا عذر».

(١) أضمرت: وهو أن يقلل علفها مدة وتدخل بيتا كنيما وتُجَلَل فيه لتعرق ويَجَفَ عرقها فيجفَ لحمها وتقوى على الجري. وثنية الوداع فهي عند المدينة سميت بذلك؛ لأن الخارج من المدينة مصر المودعون إليها. قاله الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٤/١٣).

(٢) متفق عليه.

(٣) راجع شرح صحيح مسلم (١٣/ص ١٤، ص ٦٣، ص ٦٥).

(٤) راجع «منهج السنة النبوية في تربية الإنسان تأليف د/ بدير محمد بدير (١٠١/١) وعزاه إلى العقد الفريد. لابن عبد ربه (٢٧١/٦) ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.



لأن النبي ﷺ قال: «من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى»^(١).

أغراض الرياضة^(٢):

إن من خصائص الشريعة الإسلامية شمولها وواقعيتها، ومن مظاهر واقعيتها أنها لم تغفل عن طبيعة الإنسان وما جُبل عليه وهي تشريع له الأحكام، وعلى هذا الأساس كان في اللعب والتريض إباحة..

ولعلَّ السبب في ذلك: أن الشارع الحكيم الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، علم - سبحانه - أن من طبيعة الإنسان وما جُبل عليه أنه لا يتحمل الجِدَّ باستمرار وعلى وجه

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣٥٤٣)، راجع صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/٦٣ - ٦٥) ط. المطبعة المصرية، ومكتبها بالقاهرة، ومعنى قوله ﷺ: «ليس منا»: [أي ليس على سيرتنا الكاملة وهدينا الصحيح الكامل].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا مضت السنة بأن الشروع في العلم والجهاد، يلزم كالشروع في الحج، يعني أن ما حفظه من علم الدين وعلم الجهاد ليس له إضاعته، لقول النبي ﷺ: «من تعلم الرمي ثم نسيه، فليس منا» رواه مسلم [راجع مجموع الفتاوى ١٨٧/٢٨].

وقال أيضاً: «فحيث نفى الله الإيثار عن شخص، فلا يكون إلا لنقص ما يجب عليه من الإيثار، ويكون من المعرضين للوعيد، ليس من المستحقين للوعد المطلق، كما في قوله ﷺ: «من غشنا فليس منا، ومن حمل علينا السلاح فليس منا» كله من هذا الباب، لا يقوله إلا لمن ترك ما أوجب الله عليه، أو فعل ما حرم الله ورسوله، فيكون قد ترك من الإيثار المفروض عليه ما ينفي عنه الاسم لأجله، فلا يكون من المؤمنين المستحقين للوعد، السالمين من الوعيد» [راجع مجموع الفتاوى (٢٠، ٢١)].

قال البغوي في شرح السنة: (لم يرد ﷺ) به نفيه عن دين الإسلام إنما أراد به ترك اتباعي، إذ ليس هذا من أخلاقنا وأفعالنا، أو ليس هو على سنتي وطريقتي في مناصحة الإخوان، هذا كما يقول الرجل أنا منك، يريد به الموافقة والمتابعة، قال الله - سبحانه وتعالى - إخباراً عن إبراهيم - عليه السلام - ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [راجع شرح السنة للإمام البغوي ١٦٧/٨ ط. المكتب الإسلامي].

(٢) راجع الضوابط الشرعية للألعاب الرياضية للشيخ سعيد عبد العظيم ص ١١ ط. دار الإيمان بالأسكندرية.





الدوام، وإذا ما أراد أن يحمل نفسه على ذلك أصابه الملل والسآمة ثم الإعياء، وربما الانقطاع عن الجِد المطلوب منه، ويدل على ذلك.. أن رسول الله ﷺ كان يتخول أصحابه الموعظة في الأيام كراهة السآمة عليهم^(١).

قال الإمام الغزالي: إنما أبيع اللعب لما فيه من ترويح القلب إذ راحة القلب معالجة له في بعض الأوقات؛ لأن القلوب إذا أكرهت عميت، وترويحها إعانة لها^(٢).

وبلاحظ هنا: أن ما أباحته من أنواع اللعب والرياضيات، يحقق لها بعض مقاصدها، وهذا من دقيق ولطائف تشريعاتها، فهذه الأنواع من اللعب تبدو في ظاهرها لعباً وهواً فقط، وليس فيها غير هذا الظاهر من اللعب أو اللهو المباح المقصود به ترويح النفس، ولكن عند التأمل فيها يجد أنها تحقق بعضاً من مقاصد الشريعة، وبالتالي تعتبر من الجِد المطلوب من المسلم فعله، وليس من اللعب المخير له تركه أو فعله، وإن جاء بصورة اللعب واللهو المباح، وقد أشار إلى هذا المعنى الشيخ أحمد شاه ولي الله الدهلوي بقوله: «وأما اللعب بآلات كالمناضلة، وتأديب النفوس، واللعب بالرماح، فليس من اللعب في الحقيقة لما فيه من مقصد شرعي»^(٣).

فما أباحته: الشريعة الإسلامية من أنواع اللعب يحقق غرضين في آنٍ واحد:

الأول: ترويح عن النفس.

(١) راجع فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١/ ١٦٢ - ١٦٣)، ومعنى «يتخول» أي: يتعهدهم. ط. المطبعة السلفية بالقاهرة.

(٢) إحياء علوم الدين.. لأبي حامد الغزالي (٢/ ٢٥٠ - ٢٥٣) بتصرف ط. المطبعة العثمانية بالقاهرة ١٣٥٢هـ.

(٣) راجع «حجة الله البالغة» للشيخ/ أحمد شاه ولي الله الدهلوي (٢/ ٨٣٤) ط. دار الكتب الحديثة بالقاهرة ومكتبة المثني ببغداد.



والثاني: تحقيق بعض مقاصد الشريعة، ومنها الإسهام في إعداد القوة للمسلمين^(١).

* يقول الشيخ أبو بكر الجزائري^(٢): إن الغرض من جميع هذه الرياضات التي كانت تعرف في صدر الإسلام بالفروسية هو الاستعانة بها على إحقاق الحق ونصرته والدفاع عنه، ولم يكن الغرض منها الحصول على المال وجمعه، ولا الشهرة وحب الظهور، ولا ما يستتبع ذلك من العلو في الأرض والفساد فيها، كما هو حال أكثر الرياضيين اليوم، إنما المقصود من كل الرياضات على اختلافها هو التقوي واكتساب القدرة على الجهاد في سبيل الله، وعلى هذا يجب أن تفهم الرياضة في الإسلام، والأصل في مشروعيتها الرياضة قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ وما صَحَّ عن النبي ﷺ في الصحيح أنه ﷺ قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف».

* والقوة في الإسلام تشمل السيف والسنان، والحجة والبرهان، ومن أجل هذا الغرض أذن النبي ﷺ للحبشة أن يلعبوا بالحرايب في مسجده الشريف وأذن لزوجته عائشة ؓ أن تنظر إليهم وهو يقول لهم: «دونكم يا بني أرفدة»، وهي كنية ينادى بها أبناء الحبشة عند العرب، وتقول عائشة ؓ ولقد رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا التي أسامه، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن (الصغيرة) الحريصة على اللهو^(٣).

* زد على ذلك أن الرياضة لها عدد من الفوائد والقيم منها: القيمة الجسدية، التربوية، الاجتماعية، الخلقية، الإبداعية، الذاتية والعلاجية، كذلك فهي من أكثر أسباب الحركة من

(١) راجع الكتاب المانع والمسمى بـ«المفصل في أحكام المرأة وبيت المسلم في الشريعة الإسلامية» تأليف د/ عبد الكريم زيدان (٩٧/٤، ٩٨، ٩٩) ط. مؤسسة الرسالة.

(٢) راجع كتاب «الضوابط الشرعية للألعاب الرياضية» للشيخ/ سعيد عبد العظيم ص ١٨ ط. دار الإيمان.

(٣) متفق عليه.





أقوى أسباب حفظ الصحة، فإنها تسخن الأعضاء، وتسيل فضلاتها، فلا تجتمع على طول الزمان، وتعودُ البدن على الخفة والنشاط وتجعله قابلاً للغذاء، وتُقوي الأوتار، وتؤمن جميع الأمراض المادية وأكثر الأمراض المزاجية، إذا استعمل القدر المعتدل منها في وقته، وكان باقي التدبير صواباً، ووقت الرياضة يحصل انحدار الغذاء وكمال الهضم، ومن المعلوم أن أي عضو كثرت رياضته قوي، وخصوصاً على من اعتاد هذا النوع من الرياضة، بل كل قوة فهذا شأنها، فإن مَنْ أَسْتَكْثَرَ من الحفظ قَوِيَتْ حافظته، وَمَنْ أَسْتَكْثَرَ من الفكر قَوِيَتْ قوته المفكرة، ولكل عضوٍ من الأعضاء رياضةٌ تخصه منها: مثلاً إن رياضة السمع بسمع الأصوات، والكلام بالتدرج، فينتقل من الأخف إلى الأثقل، وكذلك رياضة تخصه منها مثلاً أن رياضة السمع بسمع الأصوات، والكلام بالتدرج، فينتقل من الأخف إلى الأثقل، وكذلك رياضة اللسان في الكلام، وكذلك رياضة البصر وكذلك رياضة المشي بالتدرج شيئاً فشيئاً، أما ركوب الخيل ورمي النشاب والصراع، والمسابقة على الأقدام فرياضة للبدن كله، وهي مذهبةٌ للأمراض المزمنة كالجذام والقولنج^(١).

وتهدف الرياضة إلى تنمية اللياقة البدنية، والنمو الجسمي للشباب بما يحقق لهم درجة عالية من التحمل لمشاق العمل، ويعمق في نفوسهم معاني الشجاعة والإقدام، فيكونوا قادرين على حماية مجتمعهم من الفساد والتحلل وحفظهم من الغزو بأنواعه.

إن الإسلام في حاجة إلى كيانٍ سليمٍ قويٍ فيّاضٍ، متحركٍ متمكّنٍ من الحياة؛ لأن رسالته هي رسالة القوة في الحق، والشدة في البناء والتعمير، والقوة في حمل الأمانة بشتى صورها وأشكالها، والقوة في القيام بمقتضياتها، والقوة في الجهاد في سبيلها، والمسلم المجاهد القوي

(١) راجع كلام الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه زاد المعاد في هدى خير العباد (٤/٢٤٦، ٢٤٧) ط. مؤسسة الرسالة.



من أزهّد الناس في متاع الحياة الدنيا وزينتها إنما هي زهادة القوي لا زهادة من لا يبالي^(١).

سياسة الإلهاء بالرياضة:

تتفنن شياطين الإنس والجن... وتتضافر قواهم في الإفساد... والإلهاء وإشغال الناس عن دين ربهم، والإعلاميون بصفة خاصة لهم دور خطير في هذا المجال لإلهاء الرأي العام وترويضه، فهم يسلكون عدة مسالك منها سياسة الإلهاء بنعيم الدنيا الزائل، وكل مظاهر الترف واللهات وراء المال.

ومن أهم هذه السياسات سياسة الإلهاء بالرياضة، إلى أن تصبح هدفاً وغاية في ذاتها، لا حديث للناس إلا عنها، وبينما يعرف الناس دقائق التفصيلات عن أخبار الرياضة والرياضيين، لا يكادون يعرفون شيئاً عن دينهم، وينخرط كبار السن والنساء فضلاً عن الشباب المراهقين في ذلك!!

وبهذا يتم تخدير الشباب وصدهم عن ذكر الله، وعن دين الله، وتفرغ طاقاتهم في اللهو واللعب ليلاً ونهاراً - دون مبالاة أو اهتمام بما يحدث للمسلمين في بلادهم أو عالمهم الإسلامي، وقد يُستخدم المشجعون (الأولتراس) في إثارة بعض الفتن الداخلية، وهم لا يدرون.

وكل هذا برعاية يهودية صهيونية عالمية وأذنانهم، ومن أراد الوقوف على هذا فليراجع كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون».

تربيتهم على التنافس والتسابق على الخير:

المنافسة: أي الرغبة في الشيء والانفراد به، وهو من الشيء النفيس الجيد في نوعه،

(١) راجع منهج السنة النبوية في تربية الإنسان (١/ ١٠١)، وراجع كتاب «الفروسية» للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى.





ونافستُ في الشيء منافسة إذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم^(١).

ولقد حثَّ ربنا المؤمنين على إيجاد روح التنافس والغبطة في فعل الخير كما في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، والآية تتضمن الحثَّ على المبادرة والاستعجال إلى جميع الطاعات بالعموم^(٢)، وقال جلَّ شأنه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون^(٣) [المطففين: ٢٦]، [أي: الراغبون في المبادرة إلى طاعة الله تعالى]^(٤) لقد كان النبي ﷺ يأمر بالمبادرة إلى العمل الصالح قبل حلول العوائق والفتن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يُمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»^(٥).

قال النووي رحمه الله: الحديث يحثُّ على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم الليل المظلم لا القمر^(٦). وعن عابس الفغاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «بادروا بالأعمال خصالاً ستاً، امرأة

(١) انظر لسان العرب لابن منظور (٦/٤٥٠٣) ط. دار المعارف.

(٢) راجع تفسير الإمام القرطبي (١/٥٤٧) ط. دار الريان للتراث.

(٣) راجع «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» للعلامة الألوسي (٣٠/٩٧) ط. دار إحياء التراث العربي، وهنا فائدة: يقول الشيخ/ عطية محمد سالم - رحمه الله - في تتمته على كتاب «أضواء البيان» للشيخ/ محمد الأمين الشنقيطي: وفي هذه الآية الكريمة نعت لأول السورة إذا كان أولئك يسعون لجمع المال بالتطفيف فلهم الويل يوم القيامة، وإذا كان الأبرار لفي نعيم يوم القيامة، وهذا شراهم هو محل المنافسة لا في التطفيف من الحب أو أي مكيل أو موزون. [راجع أضواء البيان (٨/٢٣٦) ط. دار الفكر.

(٤) روه البخاري (١٣/٣٠، ٣١)، ومسلم (١٨٤٧).

(٥) شرح صحيح مسلم (٢/١٣٣).

السفهاء، كثرة الشرط، وقطيعة الرحم، وبيع الحكم، واستخفافاً بالدم، ونشواً يتخذون القرآن مزامير يقدمون الرجل ليس بأفقههم ولا أعلمهم ما يقدمونه إلا ليغنيهم^(١).
وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال الأعمش ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺ قال: «التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة»^(٢).

سباق نحو الجنان:

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتسابقون إلى فعل الخيرات، ولعل من أصدق الأمثلة على ذلك: ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق فوافق ذلك ما لا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت مثله، قال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له الرسول ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قال: «أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسألك إلى شيء أبداً»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَنْفَقَ زوجين في شيء من الأشياء في سبيل الله، دُعِيَ من أبواب الجنة يا عبد الله، هذا خيرٌ فَمَنْ كان من أهل الصلاة دُعِيَ من باب الصلاة، وَمَنْ كان من أهل الصيام دُعِيَ من باب الريان، وَمَنْ كان من أهل الصدقة دُعِيَ من باب الصدقة» فقال أبو بكر: هل يدعي أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ قال: (نعم، وأرجو أن تكون منهم)^(٤).

-
- (١) أخرجه أحمد (٤٩٤/٣) وأبو عبيد الله في فضائل القرآن، وابن أبي الدنيا وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٥٧٩).
(٢) أخرجه أبو داود (١٥٧/٥) (٤٨١٠)، والبيهقي في الزهد (٨٨/١) والحاكم (٦٤/١)، وصححه ووافقه الذهبي.
(٣) أخرجه أبو داود (٣١٣/٢) (١٦٧٨) والترمذي (١٦١/١٠) (٣٧٥٧) وقال: حسن صحيح والحاكم (٤١٤/١) وصححه ووافقه الذهبي.
(٤) متفق عليه.



تربيتهم على الاستقامة والجدية:

الاستقامة: لغة الاعتدال، وقام بالشيء، واستقام: اعتدل واستوى^(١).

ولقد أمر الله ﷻ عباده - عامة - والشباب منهم - خاصة - بالاستقامة على الأوامر الشرعية واجتناب النواهي وهذا مطابق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠]، أي وَحَدُّوا الله وآمنوا به، ثم استقاموا فلم يحيدوا عن التوحيد، والتزموا طاعته سبحانه وتعالى إلى أَنْ تُوفُوا على ذلك، والاستقامة لا يطبقها إلا الأكابر؛ لأنها بمثابة الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يَدَيِ الله تعالى على حقيقة الصدق^(٢)، لهذا قال النبي ﷺ: «قل آمنت بالله ثم استقم»^(٣)، وهذا من جوامع كلمه ﷺ، كذلك بينت السنة النبوية المطهرة أن الشاب الذي ينشأ مستقيماً على عبادة الله، يكون في ظل الله ﷻ في يوم تكون أرض المحشر كلها ناراً، وليس فيها إلا ظله - سبحانه وتعالى - فقال ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومنها: شاب نشأ في عبادة الله»^(٤) فالاستقامة على أمر الله - ولا سيما - في فترة عنفوان الشباب منه عزيمةٌ ونعمةٌ جليّةٌ وخاصة إذا كثرَت الشبهات والفتن.

حسن تصريف الطاقات:

من المعلوم أن الشباب يملك طاقات هائلة، لو أُحسن تصريفها وأُجيد إنفاقها، ووجهت إلى أبواب الخير وميادين الصلاح كانت سبباً في إيجاد حضارة راشدة، وحياة آمنة سعيدة مستقرة، وعلى العكس فلو أُسيء تفريغها وتصريفها كانت سبباً في التدمير والهدم، وإيجاد جو

(١) راجع لسان العرب لابن منظور (٥/ ٣٧٨٢) ط. دار المعارف.

(٢) قاله النووي في شرح مسلم (٩/ ٢).

(٣) رواه مسلم (راجع مجموع الفتاوى) (١/ ٦٥)، (٣٨/ ٦٢).

(٤) أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (٩١) (١٠٣١).

كله قلق وتوتر، وجهل وتحلف وفقر ومرض، والإنسان مجبول على أن غرائزه لا ترضى ولا تشبع، ومن هنا فلا بد من مجاهدتها وتوجيهها الوجهة الراشدة فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لو كان لابن آدم واديان من مال، لا بتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»^(١).

والمعنى: أن الآدمي مجبول على حب المال، وأنه لا يشبع من جمعه إلا من حفظه الله تعالى، ووقفه لإزالة هذه الجبلية عن نفسه وقليل ما هم^(٢).

إن هذه الطاقات التي يفرزها الكيان الإنساني، هي طاقات حيوية تصلح للخير، وتصلح للشّر تصلح للبناء وتصلح للهدم، فلما جاء الإسلام وجهها ووجهتها الصحيحة^(٣).

والحقيقة: أنه باستقراء أحكام الشريعة الغراء نجد أن الإسلام أولى عنايته ورعايته بتربية الشباب ليخرج جيلاً مسلماً متوازناً قادراً على البناء لا الهدم.

وبذلك يقي النفس من كثير من أنواع الانحراف، فيفرغ طاقة الكره في كره الشيطان وأتباعه، والشر الذي ينشئه وأتباعه على وجه الأرض، وبهذه الطريقة لا يتحول الكره إلى طاقة سامة لنشاط الإنسان وكيانه، ويفرغ طاقة الحب في حب الله والناس والخير بوجه عام؛ لأنه إن لم يفرغ، وحوله الإنسان إلى نفسه وذاته، فيعشق نفسه ويعبدها وينشأ الحب الفاسد من الناس والأفكار والأشياء، وعلى هذا النحو يفرغ الطاقة الحيوية في الجهاد والزرع والتعمير والإنتاج تفريغاً بنائياً إنشائياً، يهدم الباطل ويزيل ما يخلفه من أنقاض، ويملاً فراغ الإنسان بالعبادة والذكر حتى لا يوجد في حياة الإنسان فراغ يشغله الشر والفساد والتفاهات^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٦٤٣٦)، ومسلم (١١١٦) (١٠٤٨).

(٢) فتح الباري (٢٦١/١١).

(٣) منهج السنة النبوية تربية الإنسان وقاية وعلاجاً (١/١٠٨).

(٤) انظر كتاب «منهج التربية الإسلامية» للأستاذ د/ محمد قطب (١/٢٥١، ٢٥٢) ط. دار الشروق.



أقسام الشباب

إذا نظرنا نظرةً فاحصةً في الشباب أمكننا أن نحكم من حيث العموم بأن الشباب ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الشباب المستقيم:

وهذا القسم من الشباب مفخرة الأمة، ورمزٌ حياتها وسعادتها، وهو الشباب الذي نرجو الله ﷻ من فضله أن يصلح به ما فسد من أحوال المسلمين، وينير به الطريق للسالكين، وهو الشباب الذي سينال سعادة الدنيا والآخرة بإذن الله ﷻ.

- فهو شبابٌ مؤمن بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فهو مؤمن بدينه إيماناً المحب له، والمقتنع به، والمغتبط به، يرى الظفر به غنيمة، والحرمان منه خسراناً.
- شباب يعبد الله - وحده لا شريك له - مخلصاً له الدين.
- شباب يتبع رسوله محمداً ﷺ في قوله وعمله وسلوكه وأخلاقه وفكره ودعوته ونهجه سائر أمور حياته.
- شباب يؤمن بالله خالقه وخالق السماوات والأرض؛ لأنه يرى من آيات الله سبحانه ما لا يدع مجالاً للشك والتردد في وجود الله - سبحانه وتعالى -.
- شباب يؤمن بملائكته لأن الله أخبر عنهم في كتابه، كذلك أخبر عنهم رسوله ﷺ في سنته الصحيحة.
- شباب يؤمن بكتب الله التي أنزلها على رسله هدايةً للخلق.
- شباب يقيم الصلاة على الوجه الأكمل بقدر ما يستطيع؛ لأنه يؤمن بما في الصلاة من الفوائد الدينية والدنيوية وما يترتب على إضاعتها من عواقب وخيمة للأفراد والشعوب.
- شباب يؤتي الزكاة إلى مستحقيها كاملةً من غير نقص.
- شباب يصوم شهر رمضان فيمتنع عن شهواته ولذاته صيفاً أو شتاءً لأنه يؤمن



بأن ذلك في مرضاة الله.

- شباب يؤدي فريضة الحج إلى بيت الله الحرام.
- شباب يؤمن بأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام.
- شباب يؤمن باليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.
- شباب يدين بالنصيحة لله ولكتابه ولسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.
- شباب يدعو إلى الله على بصيرة، ويأمر بالمعروف بمعروف وينهي عن المنكر بغير منكر، على النحو الذي جاء عن رسول الله ﷺ : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(١).
- شباب يقول الصدق ويعيش بالصدق.
- شباب يحب الخير لعامة المسلمين لأنه يؤمن بقول النبي ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٢).
- شباب يشعر بالمسؤولية أمام الله وأمام أمته ووطنه فيسعى لما فيه مصلحة الدين والأمة والوطن بعيداً عن الأنانية التي ورثها الأجيال من نظم الحكم [العلمانية والقومية والليبرالية والرأسمالية والاشتراكية والشيوعية]، والتي تدعي الوطنية^(٣).
- شباب يجاهد لله وبالله وفي الله، يجاهد بإخلاص لا رياء فيه ولا سمعة؛ غير معجب بنفسه مستعيناً بالله في كل وقت وحين.

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) وإني لأتذكر قول الشاعر معروف الرصافي:

لا يحدعك هتافُ القوم بالوطن فالقوم في السر غير القوم في العلن
ووالله هذا هو حال هذه النظم العلمانية الطاغوتية، والتي رَسَخَتْ في شعوبها العصبية للقومية والوطنية، وعلمتهم كل قبيح، ورَبَّتْ الأجيال على كل سيئ، وإلى الله المشتكى؟!





- شباب ذو خلق ودين فهو مهذب الأخلاق، مستقيم الدين، ليّن الجانب، رحب الصدر، كريم النفس، طيب القلب، صبور، شجاع لكنه حازم لا يضيع الفرصة، ولا يُغلب العاطفة على جانب العقل والإصلاح.
 - شبابٌ متزنٌ منظمٌ؛ يعملُ بحكمة وصمت، مع إتقان وجودة في العمل، لا يضيع فرصة من عمره إلا شغلها بما هو نافعٌ له ولأُمته.
- وهو بعيد عمّا يناقض دينه وأخلاقه من الكفرِ والإلحادِ والفسوقِ والعصيانِ والأخلاقِ المردولة السافلة والمعاملة السيئة.

هذا النوع من الشباب -نسأل الله له مزيداً من الثبات والستاد والتوفيق.

القسم الثاني: الشباب المنحرف

- فهو شؤم على نفسه ونكبة على مجتمعه، يجرُّ أُمته إلى أسفلِ سافلين، ويحولُ بينها وبين العزة والكرامة، جرثومة وبيئة قتالة صعبة العلاج إلا أن يشاء الله.
- هذا الشباب منحرف في عقيدته، متهورٌ في سلوكه، مغرورٌ بنفسه، منغمسٌ في رذائله، لا يقبل الحق من غيره، ولا يمتنع عن باطل في نفسه، أناني في تصرفاته كلها.
 - شبابٌ عنيد لا يلين للحق، ولا يُقلع عن الباطل.
 - شبابٌ لا يبالي بما أضاع من حقوق الله ولا من حقوق الآدميين.
 - شبابٌ فوضوي فاقدُ الاتزان في تفكيره وسلوكه وفي جميع تصرفاته.
 - شبابٌ معجب برأيه؛ كأنما يجري الحق على لسانه؛ فهو عند نفسه معصومٌ من الزلل كأنه يأتيه الوحي من السماء، أمّا غيره فمعرضٌ للخطأ والزلل؛ ما دام مخالفاً لما يراه.

- شباب متمرّد على الدين، والأخلاق، والأسرة، والحياة، وعلى نظم المجتمع المسلم، فهو غربي الهوى، عربي النشأة لا يعرف عن الإسلام إلا اسمه وعن الشرع

إلا رسمه.

• شبابٌ ناكبٌ عن الصراطِ المستقيمِ في دينه، وبعيد كل البعد عن التقاليد الاجتماعية الإسلامية في سلوكه، قد زُيِّنَ له سوءُ عمله فرآه حسنًا، فنسأل الله له الهداية.

القسم الثالث: الشباب المغرور

وهو الشبابُ الحائر المتردّد بين مفترق الطرق، عَرَفَ الحقَ واطمأن به وعاش في مجتمعٍ محافظٍ إلا أنه انفتحت عليه أبواب الشر من كل جانب.

تشكيك في العقيدة، وانحراف في السلوك، وفساد في العمل، وخروج عن المعروف من الأعراف الأخلاقية والتقاليد المجتمعية الإسلامية والعربية، تتقاذفه تيارات الباطل المتنوعة فهو في دوامة فكرية ونفسية - خاصة - بعد ظهور العديد من مصادر المعرفة والتلقي - خاصة - على الشبكة العنكبوتية «الإنترنت» وغيرها من وسائل التواصل الحديثة.

وقف هذا النوع من الشباب أمام هذه التيارات حيراناً لا يدري ما هو الحق؟، وما هو الباطل؟، فتارةً تراه مؤيداً لما يجد من هذه الأفكار والمبادئ والمسالك، وتارةً أخرى يسير وفق ما كان عليه سلفه الماضي ومجتمعه المحافظ، فهو متردد قلق يُرجح هذا تارةً وذاك أخرى حسب قوة التيارات العاصفة به.

* وهذا القسم يكثر في شباب نالوا بعضاً من الثقافة الإسلامية لكنهم درسوا من العلوم الإنسانية الأخرى التي تعارض الدين في الواقع أو في ظنهم فوقفوا حيارى أمام الثقافتين.

ويمكنهم التخلص من هذه الحيرة بالتركيز على الثقافة الإسلامية وتلقيها من منبعها الأصلي (الكتاب والسنة) على أيدي العلماء المتخصصين وما ذلك عليهم بعزير^(١)، مع

(١) رسالة «من مشكلات الشباب» للشيخ العلامة/ محمد صالح العثيمين ص ١٨، ص ١٩. ط. دار الطرفين.





الاستفادة من كل العلوم الإنسانية الأخرى، ولكن بعد تأسيس الثقافة الإسلامية الصحيحة وترسيخها في القلوب والعقول.

واخترت أن أوجه كلماتي إلى الصنف الثاني ألا وهو الشباب «المنحرف» لكثرتهم في مجتمعاتنا، ولانتشاره بما يمثل «ظاهرة كارثية» بحاجة إلى تسليط الضوء عليها، [إعمالاً للقاعدة الفقهية.. الحكم للغالب والنادر لا حكم له]^(١).

انحراف الشباب.. لمانا؟

المتأمل في واقع شبابنا المعاصر يُصاب بنوع من الحيرة والاضطراب، ويجلس يتساءل:

❖ لماذا انحرف أكثر الشباب عن الجادة؟^(٢)

(١) راجع «شرح القواعد الفقهية» للأستاذ/ مصطفى أحمد الزرقا (١/ ٢٣٥) ط. دار القلم - دمشق.

(٢) الانحراف هو: ميل الفرد عن طريق الاستقامة والصلاح، هذا من حيث العموم، أما من حيث كوننا في مجتمع

مسلم فهو جنوح الفرد عن طريق الحق والصراط المستقيم إلى غيره من الطرق أيّا كان قال - سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ

هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وللانحراف أشكال متعددة: لعل أبرزها ثلاثة أمور:

١- الانحراف العقائدي: وهو خللٌ في عقيدة المسلم يقدح في صحة عقيدته وسلامتها، وجراء هذا الشكل من الانحراف نشأت عدة فرق كالخوارج والشيعة والمعتزلة (المدرسة العقلية) والمرجئة والصفائية الأشعرية والجبرية، وما انشق عنها من فرق فرعية كثيرة منها الباقي في الساحة بنفس الاسم والكيان، ومنها المندثر، ومنها ما بقي فكره وعقيدته وإن تغير المسمى والشكل.

٢- انحراف منهجي وفكري: وهو خلل في منهج المسلم جنح به عن منهج السلف الصالح وأهل السنة والجماعة، وسبب هذا الشكل من الانحراف.. فهم النصوص القرآنية والنبوية فهماً سقيماً (كالفائلين ب علمنة النصوص الشرعية، وأنسنة النصوص القرآنية والنبوية، ونتج عن هذا النوع من الانحراف ظهور ناشئة من الشباب الصغير يتناولون على علماء الأمة وفقهائها (بالقدح والتشكيك)، كذلك ازداد الانحراف عند هؤلاء فظهر الغلو في التبديع والتكفير والتفسيق والتضليل وذوبان مبدأ التأصيل في حياتنا وضياح الأصول العلمية المنهجية وفقه المقاصد...

=



* ولماذا ضلَّ أكثرهم طريق الحق وسبيل الرشاد؟، لماذا وقع أكثرهم في التيه والضلال؟

* لماذا انغمسوا في الشهوات والملذات؟

* لماذا انحرفوا عن طريق الطاعات والقربات؟

* ولماذا أقبلوا بنهمٍ وشغفٍ على المحرمات؟

* ولماذا اجتهدوا في الظفر بالمنهيات والمكروهات؟

* أسألك أخي سؤال المحب لك، المشفق عليك..

أسألك..

* لماذا لم تقدر الله العظيم قدره؟

* ولما جاهدت واجتهدت وبذلت الغالي والنفيس لا من أجل إرضاء ربك، ولكن من

أجل الظفر بمعصية من المعاصي؟

* أسألك - أخي - لما لم تُقدر لنبيك قدره؟ لما لم تطعه فيما به أمرك، ولما لم تنته عَمَّا عنه

نهاك؟

٣- انحراف سلوكي: وهو خلل في تطبيق الإسلام كرد فعل طبيعي لفساد التصور، أو لضعف الإرادة (كالاستهانة بالصلاة، والاستخفاف بالواجبات والحقوق، وانتشار فوضى الحرية وسوء الأخلاق، وقتل الوقت في غير فائدة، ارتكاب جرائم الزنا واللواط والتحرش... وسيأتي معنا هذا بالتفصيل).

راجع رسالة «الانحراف أشكاله، نتائجه، الوقاية منه» تأليف/ خالد محمد عطية ص ١٦، ١٧، ط. دار الطرفين.
وراجع أيضًا: بحث «الانحراف في مراحل النمو المختلفة» لمجموعة من الباحثين، منشور ضمن كتاب: الانحراف أسبابه وعلاجه» ص ١١٢، ١١٤، ١٦٣ طبع على نفقة صاحب السمو الأمير/ محمد بن سعود بن عبد العزيز، (د/ث). للتوسع انظر بحث «الإسلام على مفترق الطرق» ل محمد أسد ص ٤٤ ط. دار الاعتصام بالقاهرة (د/ث)، و«الإسلام والدعوات الهدامة» للأستاذ/ أنور الجندي ص ٢٧٣، ٢٧٤ ط. دار الكتاب اللبناني، بيروت، وراجع أيضًا كتاب «المؤامرة على الإسلام» للأستاذ/ أنور الجندي - رحمه الله تعالى - ص ٢٧٣ ط. دار الاعتصام.





* أسأل - أخي وحبيبي - لما عاونت إخوانك وأقرانك في الغواية والضلال والإفساد؟
لما.. ولما.. وتكثر الأسئلة وتكثر معها التأوهات والزفرات، ويكثر البكاء والنحيب على واقع
أكثر شباب المسلمين اليوم..

ويبقى السؤال قائماً: لماذا انحرف الشباب عن الحق؟ ولماذا انجرفوا إلى طريق
الباطل؟

أسباب انحراف الشباب

والجواب لأولي الأبواب:

* أنه لا شك أن لانحراف الشباب أسباباً كثيرة:

ذكر أكثرها فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق - شيخ الأزهر السابق رَحِمَهُ اللهُ فقال:
مشكلات الشباب تنحصر في النقاط التالية^(١):

١- الفراغ الديني وسوء فهم حقيقة الدين^(٢).

٢- التحلل من كل القيم والثوابت الأخلاقية الإسلامية.

٣- الاستهانة بالآباء والمربين، والقذوات والمثل الصالحين، والاستهزاء بهم في الإعلام بكافة
أشكاله وصوره بدعوى «حرية النقد» مما أدى إلى غياب دور الناصح -خاصة- من
الجيران والأقارب.

(١) راجع بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة تحت إشراف فضيلة الشيخ «جاد الحق على جاد الحق» - شيخ
الأزهر الراحل - (٤/ ٣٩٤) ط: الأزهر الشريف.

(٢) لعل السبب في ذلك: هو الخلل في منهج التلقي: ومن مظاهر ذلك: أخذ العلم عن غير أهله، الاستقلالية عن
العلماء، ازدياد العلماء واحتقارهم، تنلذذ الأحداث على يد طلاب العلم الصغار، دعوى اتباع الأئمة على هدى
وبصيرة تقليداً لا اتباعاً، التقصير في فهم حقيقة الخلاف، التشدد في الدين، العصبية، الفلسفات والأفكار
الوافدة، دعاوى التجديد التخريبية، مع التساهل في مقاومة البدع، ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة
كل ما له علاقة بالدين. [راجع كتاب «قضايا عقديّة معاصرة د/ناصر بن عبد الكريم العقل من ص٢٣ إلى ص٤٤ ط. دار الفضيلة].



- ٤- الانحراف بمعنى التدين إلى التطرف دون تفرقة بين الدين والتدين^(١).
- ٥- الأفكار الوافدة في صور عادات أو ثقافات دون القدرة على تمييز ما يصلح لمجتمعنا وما يتنافى مع الدين ومصالح المجتمع المسلم الذي نعيش فيه.
- ٦- ضالة المعارف والمعلومات التي تُمكنُ الشباب من مواجهة هذه الأفكار والوقوف على حقيقة انحرافاتهما.
- ٧- افتقاد القدوات الرائدة في المجتمع المعاصر.
- ٨- سوء فهم الوالدين والمربين لواجبات الشباب وحقوقهم حيث يقتصر دور الآباء على توفير الإيواء والغذاء والكساء، ويكتفي المربون بإملاء الدروس وشرحها دون التحام بالشباب والتعرف على نفسياتهم وطرق تفكيرهم المعاصرة^(٢)، الأمر الذي يؤدي إلى الفشل في استيعاب طاقة هؤلاء الشباب وتفرغها تفرغاً صحيحاً.
- ٩- التركيز على الحياة الرأسمالية والوصول إليها بأي طريق ممكن، واعتبار ذلك الهدف الوحيد في الحياة.
- ١٠- الشعور بالضياع وعدم الانتماء إلى أمة ذات كيان اجتماعي مترابط، لما يبدو للشباب من تناقض للأقوال والأعمال للنظم الحاكمة - خاصة - [الأنظمة العلمانية والليبرالية

(١) راجع بحث «التطرف الديني والعادة أمنيًا وسياسيًا واجتماعيًا» للشيخ/ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر، والذي صدر مع مجلة الأزهر الشريف.

(٢) من أبرز أسباب انحراف الشباب: عنف أحد الوالدين الأمر الذي قد يدفعه إلى اللجوء إلى أحضان الفاسدين، ومن أسباب الانحراف غياب الرقابة في البيت، وعدم متابعة الأبناء خارج البيت بدعوى (إعطاء الثقة المطلقة للأولاد) فضلاً عن سبب رئيس من أسباب الانحراف ألا وهو كثرة المشكلات الأسرية الأمر الذي يولد اضطرابات مختلفة وعقد نفسية وعقلية لدى الأبناء، وإهمال مسألة ميول الأبناء. من أبرز أسباب فساد الأبناء. وأنصح بمراجعة سلسلة «محو الأمية التربوية» د/ محمد إسماعيل المقدم، وذلك بالشبكة العنكبوتية الإنترنت.





واليسارية والقومية والاشتراكية].

١١ - سوء فهم الحقوق والواجبات والحريات وتربية الشباب على عدم الجدية في التصرفات، نتيجةً للقصور في التوعية في سن مبكرة، وملء أوقات الفراغ، بالنافع من المشروعات الفردية والجماعية.

١٢ - تفشي الأمراض الاجتماعية وإهمال مواجهتها، ثم التقليد الأعمى للغرب دون تمييز بدعوى «الحريات المطلقة» وأن هذا هو طريق «التمدن والحضارة».

تلك هي العناصر التي أراها مسببةً لمشكلات الشباب، وبعده عن الطريق السوي^(١).

- ولقد رأيت أن أركز الحديث على كبريات المشكلات وكلياتها طلباً للاختصار، وذلك لأن أكثر المشكلات الأخرى تندرج تحتها، وبقية الأزمات إنما هي فرع عنها^(٢).. والله تبارك

(١) وهناك أسباب أخرى أدت إلى الانفصام والإزدواجية بين العقيدة الدينية والسلوك المعاصر لدى شبابنا استعرضها فضيلة الدكتور/ إبراهيم علي أحمد محمد خليل في رسالته التي نال بها درجة الدكتوراة وهي بعنوان «ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك» دراسة ميدانية على عينة من طلبة الجامعات المصرية ط. دار السلام من ص ٢٥٥ إلى ص ٣٤١.

وذكر من هذه الأسباب: أسباباً ثقافية وتعليمية، وإعلامية، وذكر أسباباً أسرية، واجتماعية، وأسباباً سياسية واقتصادية، فلترجع هذه الأسباب لأهميتها.

(٢) للانحراف نتائج خطيرة منها:

(١) الكثير من الأزمات التي أرهقت كاهل الأمة الإسلامية بشتى أنواع المضلالات والمشكلات والعقبات والمعاناة اللامتناهية، وبالتالي تكبدت الأمة المسلمة الكثير من الخسائر في شتى المجالات البشرية والمالية والمنهجية والدينية والاجتماعية، وعلى كافة الأصعدة.

(٢) ضياع شباب هذه الأمة وهدر طاقاتهم -إلا من رحم الله.

(٣) إحياء مبادئ هدامة في الأمة ورعايتها بشكل رسمي في الدول (كمبادئ العلمانية - الليبرالية - الشيوعية - اليسارية - الناصرية - القومية - الاشتراكية - الوجودية - الإلحادية، الأمر الذي ينتج عنه انتشار التحلل والفساد من جهة، والتطرف والتكفير والقتل من جهة أخرى.

=

وتعالى أعلم وسيله أهدى وأقوم..

وأولى هذه المشكلات وأهمها:

١ - الفراغ الديني وسوء فهم مقاصد الدين وحقائق الشريعة:

من الحقائق الجلية التي تظهر بجلاء لكل مَنْ تتبع أحوال أكثر شباب أمتنا أن أكثر شبابنا يعاني حالة خطيرة من الخواء الديني، حتى إنك قد ترى شاباً بالغاً لكنه ولشديد الأسف لا يُحسن قراءة شيء من كتاب الله، بل لا أكون مبالغاً إن قلت إنه لا يحسن قراءة الفاتحة قراءةً صحيحةً مجودةً بل بلغ الأمر بالسواد الأعظم من أبناء الأمة أنهم يجهلون أساسيات دينهم وأصول الحلال والحرام فضلاً عن الجماليات والآداب، وتزداد الحسرات والآلام إذا وجدت شاباً مسلماً يجب دين الله ﷻ، ويرغب في الالتزام بهذا الشرع والتمسك بتعاليم هذا الدين، ثم تراه بعد ذلك يسأل في أبجديات الإسلام والتوحيد، كذلك فهو لا يحسن فهم دينه فهماً صحيحاً، بل لا يدرك فهم

(٤) تصدع حقيقي في وحدة صف الأمة الإسلامية الأمر الذي يؤدي إلى خسائر فادحة نتيجة لانحراف الشباب وتصرفاتهم العشوائية اللا مسئولة والا منطقية.

(٥) تأثر الشباب بأصحاب الفكر والمناهج المنحرفة أنشأ أجيالاً بلا وعي ولا ثقافة ولا فهم سليم.

(٦) تفشي أمراض القلق والتوتر والاكتئاب والكبت والملل والعقد النفسية المختلفة والخوف من المستقبل والتردد والحيرة والته والتشتت، وعدم القدرة على اتخاذ القرار المناسب.

(٧) جعل سلوكيات أبناء هذه الأمة ردود أفعال، مما خلق أجيالاً مقلدة لا مبدعة.

(٨) ضياع الكثير من جهود الأمة وطاقاتها وقدراتها في القضاء على الانحراف، ولو أن تلك الجهود المتضاربة وجهت لمقاومة أعداء الأمة من الخارج لكان أولى.

[راجع كتاب «مشكلات الشباب الحلول المطروحة والحل الإسلامي» للدكتور/عباس مجبوب (ص ٨، ٩)، كتاب الأمة رقم (١١)، نشر رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بقطر - جمادى الأولى ١٤٠٦هـ، وكتاب «الشباب المسلم بين تجربة الماضي وأفاق المستقبل» للدكتور/عبد الحليم عويس (ص ٧٢) ط. دار الوفاء، وكتاب: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي للدكتور/علي محمد جريشة، والأستاذ/محمد شريف الزبيق (ص ٦٥، ٦٦) ط. دار الاعتصام بالقاهرة، وبحث «الثغرات التي يتسلل منها الغزو الفكري وسبل تلافيها»، تأليف: د/عبد القادر بن محمد عطا صوفي من (ص ٢٣) إلى (ص ٧٩) ط. مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة. ومقال: «عندما يكون الإنعاد أذكى» للشيوخ/محمد الغزالي، وهو مقال نشرته مجلة الأمة في العدد الثاني والثلاثين ص ٨، وهي صادرة عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في قطر].





مقاصد الشريعة الغراء^(١)، فهو لا يفهمُ مراد الله ومراد رسوله؛ لأن كثيرًا من الناس أوتوا علمًا ولكن لم يؤتوا فهمًا، فكم من أناسٍ استدلوا بالنصوص على غير مراد الله ورسوله فيحصل بذلك الضلال ويُساء بذلك للشرع الإسلامي الحنيف، ويرتد إليك بصرك خاسئًا وهو حسير إذا رأيت فساد تنزيل هؤلاء، للنصوص الشرعية الصحيحة على واقع غير ملائم مما يؤدي إلى الاضطراب والفساد والخلل في أثناء التطبيق والعمل، وكل هذا راجعٌ إلى سببٍ واحد وهو الجهل.

والجهل قد يكون هو عدم العلم، أو عدم اتباع العلم، فمن قال خلاف الحق عالمًا أو غير عالم فهو جاهل.. وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل، فمتى صدَرَ خلافه فلا بدَّ من غفلة القلب بمقاومة ما يعارضه، وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم، فتصير جهلاً بهذا الاعتبار^(٢).

وعليه فالجهل^(٣) نقيض العلم، وهو يولد الغضب والاندفاع والسفه والطيش، والجهل بمعانيه كلها مذمومة شرعًا وعقلًا وعرفًا. - كما سيأتي معنا.

(١) للتوسع في هذه الجزئية راجع الموافقات للإمام الشاطبي (٣٧/٢، ٣٣٣، ٣٣٤)، ط. دار المعرفة وكتاب «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» للإمام العز بن عبد السلام (٨/١) ت: طه عبد الرؤوف سعد. ط. مكتبة الكليات الأزهرية، وكتاب (مقاصد المكلفين) د/ عمر سلمان الأشقر ط. دار النفائس، ونظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي تأليف/ أحمد الريسوني ص ٣٣، ٣٤ ط. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وراجع أيضًا بحث مقاصد الشريعة الإسلامية تأصيلًا وتفعيلًا، للدكتور/ محمد بكر إسماعيل حبيب من ص ٨٨ إلى ص ١٣٢ ط. دار طبية الخضراء - مكة المكرمة.

(٢) راجع مادة (جَهْل) في لسان العرب، (٧١٣/١) ط. دار المعارف.

أنواع الجهل^(١):

ذَكَرَ ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أَنْ الجهل نوعان: عدم العلم بالحق النافع، وعدم العمل بموجبه ومقتضاه، فكلاهما جهل لغة وعرفاً وشرعاً وحقيقة، ومنه قول نبي الله موسى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]، لما قال له قومه «أتخذنا هزوا...» أي من المستهزئين.. وسمي عدم مراعاة العلم جهلاً، إما لأنه لم ينتفع به، فنزل منزلة الجهل، وإما لجهله بسوء ما تحبني عواقب فعله^(٢).

- ولقد تكاثرت نصوص الكتاب والسنة وآثار السلف في بيان ذم الجهل وبيان قبح أثره.. قال تعالى: ﴿وَجُوزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [١٣٨] إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَنَطَلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ [الأعراف: ١٣٨، ١٣٩]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُوا لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَّا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُُلْقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرِيتُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ [٢٩] [هود: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [٥٤] أَيْتَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ [النمل: ٥٤، ٥٥]، وموطن الشاهد في الآية وكلها شاهد ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ﴾ فوصفهم بالجهل إذ يفعلون ما يفعلون. وسواء أكان جهلاً مطلقاً بالتحريم - فقد وقعوا فيها يخالف الطبع -، أو كان جهلاً بالعاقبة - فقد وقعوا فيها يخالف الشرع - سواء أكان هذا أم ذاك فقد وقعوا في هذا المحرم العظيم

(١) ذكر بعض المحققين من أهل اللغة أن الجهل اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه، وقيل الجهل هو اعتقاد قضية مخالفة للحق الثابت والواقع الصحيح، ومثلوا لذلك ب: عبادة الأصنام... فتأمل كلامهم -رحمك الله. (وراجع في ذلك: التعريفات للجرجاني - تحقيق: إبراهيم الإبياري ص ١٠٨ ط. دار الريان للتراث).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٦٩، ٤٧٠).





بالجهل، ولو لم يكن في ذم الجهل إلا هذه لكفت وشفّت^(١).

- وانظر إلى قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

* قال القرطبي في هذه الآية ثلاث كلمات تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات، فقوله [خذ العفو] دَخَلَ فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين، ودخل في قوله تعالى: «وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ» صلة الأرحام وتقوي الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار.. وفي قوله: «وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ» الحض على التخلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتتزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة بالأنبياء^(٢).

ولقد وَرَدَ في السنة النبوية الشريفة ما يدلُّ على ذم الجهل وأهله..

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيُثَبَّتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيُظْهَرَ الزَّنا»^(٣).

* قال ابن حجر: «يُرفَع العلم» المراد برفعه موت حملته، وقوله «يُثَبَّت الجَهْل» أي ينشر، وقوله «يُشْرَب الخمر» المراد كثرة ذلك وانتشاره، «ويُظْهَر الزَّنا» أي «يفشو»^(٤).

فانظر كَيْفَ جَعَلَ النَّبِيُّ رَفَعَ العلم، وفشو الجهل من أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، ومعلوم أن الساعة لا تقوم على الأرض وفيها من الخير من أحد لإخبار النبي أن شرار الخلق مَنْ تقوم الساعة

(١) كتاب ذم الجهل وبيان قبح أثره لأبي عبد الله محمد سعيد ص ٢٤ ط، مكتبة التوعية الإسلامية.

(٢) تفسير القرطبي ٤/ ص ٢٧٨٠ إلى ص ٢٧٨٣ ط. دار الريان للتراث.

(٣) متفق عليه.

(٤) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١/ ٢٣٦) ط. الرياض

تقديم وتحقيق وتعليق الشيخ/ عبد القادر شيبه الحمد - رحمه الله تعالى رحمة واسعة.



عليهم وهم أحياء، فلذا كان الجهل لقبحه وشينه - مناسباً لتلبسه بهم، فهم جُهَال أشرارٌ.. ولعلَّ هذا يتضح باستقراء حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ صُدُورِ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبَقِّ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(١).

- قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم ليس هو محوه من صدور حفاظه؛ ولكن معناه، أنه يموت حملته، ويتخذُ الناس جُهَالًا يحكمون بجهالتهم فيضلون ويضلون.. وفيه التحذير من اتخاذ الجهال رؤوساء^(٢).

- وعن حميد بن عبد الرحمن قال: سمعت معاوية خطيباً يقول: سمعت النبي ﷺ وهو يقول: «مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يَعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»^(٣)، قال ابن حجر: «ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين - أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع - فقد حرم الخير»^(٤).

* وقد أخرج أبو يعلى حديث معاوية من وجه آخر ضعيف زاد في آخره، «وَمَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ لَمْ يَبَالِ اللَّهُ بِهِ»^(٥)، والمعنى صحيح، فيصح أن يوصف بأنه ما أُريد به الخير، وفي ذلك بيان ظاهرٌ لفضل العلماء على سائر الناس، ويفضل الفقه في الدين على سائر العلوم.

(١) متفق عليه.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٢٤).

(٣) فتح الباري (١/ ٢٤٧).

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه الدرامي والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.





- ولقد حثنا سلفنا الصالح على طلب العلم واجتناب الجهل وأهله ومن ذلك: ما ذكره ابن مسعود، قال: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، وتتخذ سنة، فإن غُيرت يوماً قيل: هذا منكر، قيل: ومتى ذلك؟ قال: إذا قَلَّتْ أُمْنَاؤُكُمْ، وكَثُرَتْ أُمْرَاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ، وكَثُرَتْ قَرَاؤُكُمْ، وتُفْقِه لغير الدين، والتُمست الدنيا بعمل الآخرة....^(١).

- وعن سفيان بن عيينة، قال: تدرّون ما مثل الجهل والعلم؟ مثل دار الكفر ودار الإسلام، فإن تَرَكْ أهل الإسلام الجهاد جاء أهل الكفر فأخذوا الإسلام، وإن ترك الناس العلم صار الناس جهالاً^(٢).

- قال بعض السلف: خير المواهب العقل وشر المصائب الجهل^(٣).

- وقال ابن عبد البر، قالوا: الجاهل صغير وإن كان شيخاً، والعالم كبير وإن كان حدثاً. واستشهدوا بقول الأول:

تَعَلَّمَ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُؤَلَّدُ عَالِماً وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
وإنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ إِذَا تَفَقَّطَ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ

واستشهدوا بأن عبد الله بن عباس: كان يستفتي وهو صغير، وأن معاذ بن جبل وعَتَّاب ابن أُسيد كانا يفتيان الناس وهما صغيرا السن، وَوَلَّاهُما رسولُ الله الولايتَ مع صغر سنهما. ومثل هذا في العلماء كثير^(٤).

(١) أخرجه الدارمي (١٨٦)، وابن وضاح في البدع والنهي عنها ص ٩٦، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (ح ٣٧١٤٥)، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣٥٩ / ١١) عن قتادة عن ابن مسعود.

(٢) راجع تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة الكنايني ص ١٠ ط. الكتب العلمية.

(٣) راجع الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٣٥ / ١) ط. دار التوعية الإسلامية بالجيزة.

(٤) راجع جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢١٢ / ١) ط. دار ابن الجوزي.



- وقال ابن القيم: «العامل بلا علم كالسائر بلا دليل».

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «مَنْ فارق الدليل ضَلَّ السبيل، ولا دليل إلا بما جاء به الرسول، فالعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح...»^(١).

* كذلك فإن الجهل سبب عظيم وأصل أصيل للذنوب والمعاصي.. قال قتادة: «أَجْمَعَ أصحابُ رسولِ الله أن كل ما عُصِيَ اللهُ به فهو جهالة...» وقال غيره: أَجْمَعَ الصحابةُ أن كل مَنْ عصى الله فهو جاهل.. ومن المعلوم أن الذنوب والمعاصي هي منبع الشر في العالم، وحمأة الداء فيه، ولَمَّا كان الجهلُ أصلها وهي فرعُ عنه، كان الجهل هو سببُ الشرِّ وموطنُ البلاء في هذا الوجود، ولكنه ليست طبقة واحدة بل هو دركات أسفل منها دركات^(٢).

الجهل نوعان:

- ولقد قَسَمَ الشيخُ ابن عثيمين الجهل إلى: جهل بسيط و جهل مركب.. قال: فَأَمَّا الجهلُ البسيطُ: فهو عدم الإدراك بالكلية، والجهل المركب: هو إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه.. وَمَثَلُ الشيخِ للجهل البسيطِ فقال: مثلُ أن يُسأل متى كانت غزوة بدر؟ فيقول: في السنة الثالثة من الهجرة...»^(٣).

وإن أعظم أنواع الجهل.. أن يجهل المسلم كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ^(٤).

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٨٣) ط. مكتبة الإيمان بالمنصورة.

(٢) راجع كتاب ذم الجهل لأبي عبد الله أنه محمد بن سعيد ص ١٣٦ ط. مكتبة التوعية الإسلامية.

(٣) راجع الأصول من علم الأصول الشيخ/ ابن عثيمين ص ١٣ ط. دار البصيرة.

(٤) وهناك أنواع أخرى من الجهل خطيرة كالجهل بمنهج السلف الصالح، والجهل بمقاصد الشريعة، والجهل بالسنن الربانية، والجهل بحقيقة الإيمان وعلاقته بالأعمال، والجهل بمراتب الناس، والجهل باللغة العربية، والجهل بالتاريخ، والجهل بالواقع المعاصر.. وقد استعرض هذه الأسباب المتعلقة بالجهل د/ عبد الرحمن بن معلا اللويحي

=



❦ خطورة الجهل بكتاب الله تعالى:

إن القرآن الكريم هو عمدة الملة، وكلية الشريعة، وينبوع الحكمة، ولا طريق إلى الله ﷻ سواه، ولا نجاة لأحد بغيره وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه؛ لأنه معلوم من الدين بالضرورة، فإذا كان الأمر كذلك لزم من رام الإطلاع على كليات الشريعة، وطمع في إدراك مقاصدها أن يتخذ سميره وأنيسه على مرّ الليالي، نظرًا وعملاً لا اقتصاراً على أحدهما^(١)، وحتى يمكن الاستفادة من هذا الكتاب العزيز لا بد من تفهمه وتدبره وتعقله وهذا ما ندب الله إليه الناس في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ولقد كان عدم فهم الكتاب العزيز، والجهل بمقاصده سبباً في انحراف أقوام من المبتدعة، فقوم صرفوا دلالاته عن معانيها إلى معان أخرى مرجوحة، واعتمدوا على العقل في تفسير القرآن الكريم، وقوم جعلوا للقرآن ظاهراً وباطناً ولبسوا على عوام الناس بذلك، وقوم اعتمدوا على العقل في تفسير القرآن الكريم، وقوم جعلوا للقرآن ظاهراً وباطناً ولبسوا على عوام الناس بذلك، وقوم اعتمدوا في تفسير القرآن على الرأي المجرد والأهواء والظنون، من بين الأمثلة على ذلك الخوارج، فإنه ما انحرف الخوارج في القديم إلا بسبب جهلهم بالقرآن وعدم فقههم له لهذا وصفهم النبي ﷺ بقوله: «يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم»^(٢)، أي إنهم يأخذون أنفسهم بقراءة القرآن الكريم

في كتابه الفذ «مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر» (المجلد الأول من ص ٨٣ إلى ص ١٧٩) ط. مؤسسة الرسالة.

(١) الموافقات للشاطبي (٣/ ٣٤٦) ط. دار المعرفة للطباعة والنشر.

(٢) متفق عليه.



وإقراءه ولكنهم لا يتفقون فيه، ولا يعرفون مقاصده^(١).

* وفي الحياة المعاصرة ضروب من هذا الجهل: سببها الرئيس سوء الفهم لآيات التنزيل فمن ذلك قول القائل بتحريم التعليم، والدعوة إلى الأمية استدلالاً بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٣].

وفي الاستدلال بهذه الآية على تحريم التعليم وجهان من الخطأ: الأول: الظن بأن الأمية المرادة هنا أمية الحرف مع أن المراد ليس ذلك، وإنما هو أن الأمة التي أنزل الله عليها هذا الكتاب كانت أمة أمية لم ينزل عليها كتاب من الله من قبل ذلك، يقول تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠]، فغايَر بين أهل الكتاب والأُمِّيِّين الذين لم ينزل عليهم الكتاب كما قال ابن عباس رضي الله عنه وذكره القرطبي في تفسيره^(٢)، الثاني: أن الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣]، على أن المراد باللاحقين من الأمة أنه يجب أن يكونوا أميين لا يصح، إذ ليس قوله: «وآخرين» عطف على «أميين»؛ لأن العطف يقتضي المغايرة لما قبله، وعليه فإنه صادق على غير العرب، فهو إما معطوف على الضمير «عليهم» من قوله «يتلو عليهم» أي ويتلو على آخرين، وإما أن يكون قوله «وآخرين» مفعولاً معه، والتقدير يتلو على الأميين آياتنا ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة مع آخرين^(٣). وعليه.. تبين من هذا أنه لا حجة للمستدلين بهذه الآية على تحريم التعليم المعاصر،

(١) مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر [الأسباب - الآثار - العلاج] تأليف د/ عبد الرحمن بن معلا اللويحي (١/ ٧٢) ط. مؤسسة الرسالة.

(٢) راجع كلام العلماء في معنى الأمية، وانظر ما ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٩١).

(٣) ينظر في تفسير الآية «التحرير والتنوير» للطاهر بن عاشور (٢٨/ ٢١٠ - ٢١٢).





ولاشك أن هذا مغاير لما يدعو إليه الإسلام من الحرص على العلم والتعلم، وما فعلَ النبي ﷺ في غزوة بدر منَّا ببعيدٍ، حيث إنه جعل فداء بعض المشركين الذين وقعوا في الأسر هو تعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة.

وهذا غيض من فيض عن خطورة الجهل بكتاب الله تلاوة وحفظاً وفهماً واستدلالاً وتطبيقاً.

ثانياً: خطورة الجهل بالسنة النبوية الصحيحة:

من المعلوم لدى كل مسلم بصير أن السنة النبوية هي جميع ما صدرَ عن الرسول من قول أو فعل أو تقدير وأقرَّه الله عليه، وهي على ذلك وحي من عند الله أو بمنزلته، وكل ما كان كذلك فهو حجة على العباد: يلزمهم العمل بمقتضاه^(١)، فحجية السنة ضرورة دينية، ولقد تضافرت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة الصحيحة على حجية السنة الصحيحة ووجوب اتباعها والعمل بما جاءت به من أحكام وأخلاق وتوجيهات، سواءً في ذلك «المتواتر من الأحاديث أو الأحاد» كما دلَّ على ذلك إجماع الأمة واقتضاه الدليل.. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَنَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

* ولقد ذكر القرطبي: أن معنى (ردوا) أي: ردوا ذلك الحكم إلى كتاب الله، وإلى رسوله بالسؤال في حياته، أو بالنظر في سنته بعد وفاته.. ومن لم يرَ هذا اختل إيمانه، لقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النور: ٢]^(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ

(١) راجع حجية السنة تأليف د/ عبد الغني عبد الخالق ص ٣٤١ ط دار الوفاء.

(٢) راجع الجامع لاحكام القرآن (١٥/ ٢٦١).

وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ^{٢٤} وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ [الأنفال: ٢٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا﴾ ﴿٨٠﴾ [النساء: ٨٠].

قال الشافعي: فأعلمهم أن بيعتهم رسوله بيعته، وكذلك أعلمهم أن طاعتهم إياه طاعته^(١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وروى اللالكائي - في أصول اعتقاد أهل السنة - عنه أن قال: فكانت علامة حبهم إياه: اتباعهم سنة رسول الله^(٢)، كذلك قد ورد في السنة الكثير والكثير من الأحاديث الصحيحة، منها ما صحَّ عن النبي من حديث المقدم بن معدٍ كَرَبَ رحمته الله عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ، وَلَا لُقْطَةٌ مُعَاهِدٌ، إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يَغْصِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهِ»^(٣)، وفي لفظ الترمذي: «أَلَا مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ»^(٤).

وأيضاً منها ما أورده البخاري في صحيحه في كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة عن أبي

(١) راجع الرسالة للإمام الشافعي ص ٨٢، ط. مكتبة دار التراث.

(٢) انظر كتاب «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» تأليف الشيخ الإمام/ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي باب سياق ما روي عن النبي ح في الحث على التمسك بالكتاب والسنة وعن الصحابة والتابعين ومن بعدهم والخالفين لهم من علماء الأمة ي (١/ من ص ١٣٣ إلى ص ١٦٤ ط. المكتبة الإسلامية بالقاهرة).

(٣) رواه أبو داود في سننه، وأحمد في مسنده، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٤٣-١٢٢٩).

(٤) رواه الترمذي والدارمي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٥٧) والمشكاة (١٦٣).





هريرة رحمته الله قال: قال رسول الله «كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»^(١).

وقد أجمع أهل العلم على وجوب الرجوع إلى الرسول نفسه عند التنازع في حياته وإلى سنته بعد مماته، ومضى على ذلك أهل العلم من الصحابة فَمَنْ بَعْدَهُمْ^(٢)، فمن ذلك ما كتبه

(١) رواه البخاري.

(٢) قال الآجري في كتاب الشريعة (١/١٢٤) ط. مؤسسة قرطبة (علامة من أراد الله به خيرًا سلوك هذا الطريق: كتاب الله وسنن رسول الله ﷺ، وسنن أصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء مثل: الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام.

وللرد على الشبهات التي يثيرها القراءون ومنكروا السنة المعاصرون - لا سيما - جمال البنا وإبراهيم عيسى وعدنان إبراهيم وراجع إن شئت: الاعتصام للإمام الشاطبي - خاصة - الباب الأول والذي يشتمل على أهمية إحياء السنن ١/٢٦، ط. مكتبة التوحيد الشيخ/ مشهور بن حسن آل سليمان، وكتاب «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع» للحافظ الأسبوطي ت. مشهور حسن سلمان ص ٣٣ إلى ص ٥٧ ط. دار ابن عفان، وكتاب «ما جاء في البدع» للإمام/ محمد بن وضاح القرطبي ت عبد البر من ص ٢٩ إلى ص ٣٥ ط. دار العميفي، وانظر: كتاب «الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ﷺ وعليه حواشي لجماعة من العلماء منهم الأمير الصنعاني» تصنيف الإمام المجتهد/ محمد بن إبراهيم الوزير، تقديم الشيخ العلامة/ بكر أبو زيد - رحمه الله تعالى - ط. دار عالم الفوائد. وانظر رسالة «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة» للإمام السيوطي ط. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وانظر رسالة «إمام المتقين وأثر سنته في فهم القرآن» للشيخ/ مصطفى العدوي من ص ٥١ إلى نهاية البحث ط. مكتبة مكة، وراجع أيضًا كتاب «دفاع عن السنة» للأستاذ/ محمد بن محمد أبو شهبه - خاصة - القسم الأول «دفاع عن السنة» من ص ١١ إلى ص ٣٢ ط. مكتبة السنة، وراجع «السنة النبوية ومكانتها للدكتور/ مصطفى السباعي»، وكتاب «السنة والتشريع» للدكتور/ موسى شاهين لاشين... هدية مجلة الأزهر لشهر شعبان ١٤١١هـ، وانظر «بحث السنة النبوية الشريفة» للدكتور/ أحمد محمود كريمة... هدية مجلة الأزهر لشهر ربيع الأول ١٤١٨هـ، وراجع كتاب الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية - عرض وتفنيد - ونقض لفضيحة الدكتور/ عبد العظيم المطعني... (انظر الرد على الشبهة الثالثة عشر: السنة ليست حيًا في الجزء الأول ص ١٠٧، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - سلسلة قضايا إسلامية - الصادر في شهر صفر ١٤٣١هـ - يناير ٢٠١٠م.

=

عمر رضي الله عنه إلى شريح لَمَّا وَلَّاه قضاء الكوفة: قال فيه: ما استبان لك من كتاب الله فلا تسأل عنه، فإن لم يَسْتَبِنْ لك في كتاب الله فَمِنْ سَنَةِ رَسُولِهِ، فإن لم تجد في السنن فاجتهد رأيك^(١). فلما جهل الناس الصحيح الثابت من سنة رسولنا ﷺ كانت العاقبة أن سلك بعضهم سبل الضلال وطرق الانحراف والغلو.

أمثلة الجهل بالسنة:

أ-نقل ونشر الأحاديث من غير تأكد من صحة هذه الأحاديث المروية: فنخشى على من روي كل ما سمع ويسمع، ولم يميز بين المنقولات، ولم يتثبت من أحاديثه يُخْشَى عليه أن ييؤء بالإثم ويستحق الوعيد المذكور في الحديث الصحيح عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ ككَذِبِ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٢)، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: المنقولاتُ

وانظر الرد على الشبهة الرابعة والعشرين «الاكتفاء بالقرآن عن السنة ص ٦٧، والشبهة الثانية والعشرين «مخالفة السنة للقرآن ص ١٠٢، والشبهة الثالثة والثلاثون: السنة ليست حجة في الدين ص ١٥٤» في الجزء الثاني الصادر من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - سلسلة قضايا إسلامية - الصادرة في ربيع أول ١٤٣١ هـ - فبراير ٢٠١٠ م

وراجع كتاب «زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً» تأليف/ صلاح الدين مقبول من ص ٣٥ إلى ص ٤٥ ط. دار عالم الكتب بالرياض، وانظر: تاريخ تدوين السنة وشبهات المستشرقين د/ حاكم عيسى المطيري ط. مجلس النشر العلمي بالكويت ٢٠٠٣ م، وبحث «السنة قبل التدوين» د/ محمد عجاج الخطيب ط. دار الفكر.

كما أنصح برسالة دكتوراه بعنوان: القرآنيون في مصر وموقف الإسلام منهم تأليف د/ عبد الرحمن محمد يوسف، تقديم الأستاذ الدكتور/ عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي ط. دار البيان للنشر والتوزيع، وأنصح بالاطلاع على موسوعة بيان الإسلام - الرد على الإفتراءات والشبهات - القسم الثالث: السنة النبوية... إعداد لجنة من العلماء ط. مكتبة نهضة مصر.

(١) نقلاً عن «إعلام الموقعين عن رب العالمين» للإمام ابن القيم (١/ ٨٥) ط. المكتبة التوفيقية.

(٢) متفق عليه.





فيها الكثير من الصدق وكثير من الكذب، والمرجع في التمييز بين هذا، وذاك إلى أهل علم الحديث، كما نرجع إلى النحاة في الفرق بين نحو العرب ونحو غير العرب... فلكل علم رجالٌ يعرفون به، والعلماء بالحديث أجُلُّ هؤلاء قدرًا، وأعظمهم صدقًا، وأعلامهم منزلةً وأكثرهم دينًا^(١).

قبل أن تقول.. قال رسول الله ﷺ

اعلم أن من أعظم الأسباب التي أوقعت أهل البدع في البدع: اعتماد الكثير منهم على الأحاديث الواهية الضعيفة والمكذوبة على النبي ﷺ، والتي لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليها.

لذا أنصح كل مسلم أن يرفع شعار «قبل أن تقول» قال رسول الله ﷺ تثبت من صحة الحديث، فإن لم تكن عالمًا متخصصًا في ذلك، فقلد أشهر علماء هذا الفن تسلم وتغنم^(٢).

٢- سوء فهم النصوص النبوية: لقد أتى بعض أهل البدع من سوء فهمهم للنصوص، إما لعدم فهم معاني ألفاظها من جهة اللغة، وإما من جهة عدم فهم معانيها في استعمال الشارع، وقد كان هذا سببًا رئيسًا من أسباب ضلال أهل البدع (فإن عامة ضلال أهل البدع كان لهذا السبب فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدَّعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك)^(٣).

(١) راجع كلامه في كتاب منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - (٧/ ٣٤، ٣٥) ط. جامعة الإمام محمد بن سعود بالملكة.

(٢) راجع مقدمة الشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - في كتابه الفذ «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» من ص ٣٩ إلى ص ٥١ ط. مكتبة المعارف، وانظر مقدمة كتاب «النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة» للشيخ/ أبي إسحق الجويني من ص ١٢ إلى ص ١٨ ط. دار الصحابة للتراث.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ١١٦).

لكل داء دواء:

وبعد هذا العرض فإن داء الأمة العضال هو الجهل بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، ودواؤها في العلم بالكتاب والسنة والعمل بهذا العلم، وليس العلم الذي تبرأ به الأمة من سقمها وتشفي به من عللها هو العلم الذي يعتمد على أقوال الرجال وعلى آراء القوم، ولكن العلم الحق هو العلم الذي يقوم أصله على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ولقد أحسن ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تعالى إذ يقول:

الْجَهْلُ دَاءٌ قَاتِلٌ وَدَوَاؤُهُ أَمْرَانِ فِي التَّرْكِيبِ مُتَّفِقَانِ
نَصٌّ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنْ سُنَّةِ وَطَبِيبٌ ذَاكَ الْعَالَمُ الرَّبَّانِي

ولقد أحسن الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ^(١) النصح لعامة شباب الإسلام، وهو يوجه بعض الضوابط، التي تساعد على نجاح الدعوة الإسلامية من قال: إن الصحوة والله الحمد شاملة عامة في جميع البلاد الإسلامية، كما يصل إلينا ذكرها، ولكن يجب أن تكون هذه الصحوة على أساس متين من كتاب الله وسنة رسوله؛ لأنها إن لم تكن قائمة على ذلك كانت صحوة هوجاء عاصفة ربما تدمر أكثر مما تعمّر، ولكنها إذا بُنيت على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الثابتين، صار لها أثرها الفعّال في الأمة الإسلامية وغيرها، ثم إن من الأمور التي يجب أن تركز عليها الصحوة هي العلم بشريعة الله ﷻ بالتلقي الصافي من مصدرين أساسيين لا ثالث لهما: وهما كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة.

فالعلم هو أساس الدعوة ومادة الدعوة، وكل دعوة لا علم فيها فإنها لا بُدَّ أن يكون فيها انحراف وضلال، لأجل ذلك نري كثيرًا من الأخوة الذين عندهم هذه الصحوة قد اندفعوا بالعاطفة الدينية، ولا شك أن هذا خيرٌ لأنه إذا لم تكن هناك حرارة وعاطفة فلن يكون هناك

(١) انظر كتاب الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات للشيخ ابن عثيمين ص ٢٤ ط دار العقيدة للتراث.





إقدام، لكنَّ العاطفة لا تكفي وحدها، بل لأبَد من العلم الذي يسير عليه الإنسان في علمه ودعوته، ولهذا قال النبي ﷺ «بلغوا عني ولو آية»^(١)، ولا يمكن أن نبلغ إلا ما علمناه من شريعته....» وبهذا يتضح لنا أهمية العلم فالعلم سببٌ لمرضاة الله، وسببٌ للحياة الطيبة في الدنيا والحياة البرزخية وفي الحياة الأخرى، وبالعلم تقوم الأخلاق ويهذب السلوك وهو سببٌ للنجاة من الشرور على اختلاف أنواعها وأجناسها لمن أخلص النية لله في طلبه وتطبيقه، وبالعلم يعبد المسلم ربه على بصيرة، وبالعلم تنهذب الأخلاق وتزول الأحقاد وتتألف القلوب فصاحب العلم قدوة في كلامه وفي لباسه وفي جميع شئونه.. وبالجملـة: فهو كالغيث أينما حلَّ نفع^(٢)، ولو لم يكن في العلم -خاصة- العلم الشرعي إلا القرب من رب العالمين، والالتحاق بعالم الملائكة وصحبة الملائ الأعلـى، لكفى به شرفاً وفضلاً، فكيف وعز الدنيا والآخرة منوطٌ به، مشروط بحصوله^(٣)، ومتى ما تحصن الشباب بالعلم، فإنهم سيقدرـون على مواجهة الصعاب، وتحمل المشاق.

* الجهل بالعلوم الإنسانية والتجريبية

الناظر في أحوال المسلمين اليوم يجد دلائل كثيرة على أنهم من أقل أمم الأرض معاناة للقراءة والكتابة وتعاملاً معها، كما أن ما ينفقونه على العلم والبحث العلمي متواضع إلى حد بعيد إذا ما قورن مع ما تنفقه الدول الصناعية والدول الأخرى الأقل نمواً.

وخير ما يعبر عن هذه الحالات ذكر بعض الإحصاءات والأرقام التي تنطق بشكل واضح بحجم المأساة التي يعاني منها العالم الإسلامي في هذا الصدد، وهذه بعض المفردات التي تصور ذلك.

(١) رواه البخاري رقم (٣٤٦١).

(٢) انظر كتاب: معالم في طريق طلب العلم للشيخ/ عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان ص ١٣ ط دار العاصمة.

(٣) مفتاح دار السعادة للإمام/ ابن القيم الجوزية (١٠٨/١) ط دار بالإيمان.



١- الأمية: حالة الأمية في العالم الإسلامي عالية جدًا، حيث تزيد نسبة الأمية في بعض الدول على ٩٠٪ (مثل: اليمن الشمالي، ومالي، وبوركينا فاسو)، وهناك دول تتراوح نسبة الأمية فيها بين ٦٠٪ و ٩٠٪ مثل (بنين وموريتانيا والمغرب وبنغلادش والسودان)، وهناك دول تتراوح نسبة الأمية فيها بين ٣٠٪ و ٦٠٪ مثل (ماليزيا والبحرين وأندونيسيا وتركيا ومصر والجزائر)^(١).

وفي ذات الوقت نسبة الأمية في أمريكا والاتحاد السوفياتي -سابقًا- لا تزيد على ١٪، وفي أوروبا على ٣٪، ومتوسط الأمية في العالم الثالث يصل إلى نحو ٤٥٪، أما في العالم الإسلامي فإنه يصل إلى نحو ٥٨٪، الأمر الذي يؤكد أن أعلى نسبة للأمية بين البالغين في العالم هي في العالم الإسلامي المعاصر.

ومن مؤشرات الخطر التي تدل على عدم قدرة كثير من الدول الإسلامية على تخفيف منابع الأمية في الوقت الحاضر أن نسبة طلاب المدارس بين سن (٥ أعوام و ١٩ عامًا) لا تتعدى ٣٧٪ من مجموع تعداد السكان في العالم الإسلامي، بينما تتخطى هذه النسبة ٧٥٪ في دول الشمال، وتصل إلى ٤٨٪ في دول العالم الثالث بصفة عامة^(٢).

ولا تتوقف الكارثة على مجرد هذه الأرقام وتلك النسب الصادمة، بل الناظر إلى المضامين والدلالات سيجد فاجعة أخرى تزيد على الأرقام الصماء التي ذكرناها، حيث إن طرق التعليم لدينا تقوم على التلقين والحفظ والتكرار، لا على التفكير والإبداع، وهذا خرج أجيالاً

(١) انظر (مجلة السياسة الدولية: (٦٩)، العدد (٩٩) عام (١٩٩٠م) مقال (ظاهرة التخلف في العالم الإسلامي) د/ عبد المنعم المشاط، وكتاب (قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر.. تأليف د/ زغلول النجار ص ١١٩، ١٢٠ ط. سلسلة كتاب الأمة، قطر، صفر ١٤٠٩ هـ.

(٢) انظر (جدلية التخلف والتنمية) د/ غسان بدر الدين ص ٤٠، ٤١ ط. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ط. ١٤١٣ هـ.





ذات مركب عقلي غير مبادر، ولا قادر على حل المشكلات أو التكيف مع المستجدات^(١).

٢- الإنفاق على البحث العلمي: لا يعود انتشار الأمية في العالم الإسلامي إلى عدم الرغبة في التعليم لدى الناس، وإنما إلى الظروف السيئة السائدة، فكثير من الدول لا تملك القدرة على الإنفاق الجيد على التعليم بسبب ضعف مواردها، أو بسبب عدم الاهتمام أصلاً بالتعليم وجعله في ذيل قائمة الاهتمامات، حيث تذهب أموال طائلة إلى الإنفاق على التسليح العسكري أو إلى مجالات أخرى، فضلاً عن الكثير من الظواهر الاجتماعية السيئة التي تدفع في اتجاه الجهل وترك التعلم مثل: الفقر والعوز، وفقدان رب الأسرة، وعدم تقدير حاملي الشهادات العلمية.

وإذا نظرنا في قوائم ما ينفق على البحث العلمي في العالم الإسلامي فربما أصبنا بنوع من خيبة الأمل حيث إننا نأتي أيضاً في ذيل القائمة، وهذا مع أن كثيراً من الباحثين ما عادوا يرون أن قطاعات التعليم والبحث العلمي مصنفة في قطاعات الخدمات - كما كان يظن سابقاً - وإنما في مجال الاستثمار المريح، وباستعراض نتائج دراسات عدد من كبار الاقتصاديين أمثال (دينسون) و(شولتز) عن الاستثمار في التعليم اتضح أن ما ينفق من أموال على التعليم يتم تعويضه خلال ٩ أو ١٠ سنوات في حين أن تعويض القروض الطبيعية التي تؤخذ من أجل التنمية تحتاج إلى فترة تتراوح بين (١٢ - ١٨ سنة) وفي حين أن برنامج استصلاح أراضي جديدة لا يسد نفقاته قبل ١٢ - ١٥ سنة^(٢).

وتشير بعض الدراسات إلى أن الدول المتقدمة صناعياً تنفق ما بين ٢ و ٤٪ من إجمالي ناتجها القومي في توظيف البحث العلمي من أجل التنمية على حين أن الدول الإسلامية لا يتعدى

(١) راجع (نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي) بقلم د/ عبد الكريم بكار ص ٧٢، ٧٣ ط. دار القلم، دمشق، (وهو الجزء الأول من سلسلة المسلمون بين التحدي والمواجهة).

(٢) راجع كتاب (إنتاجية مجتمع) تأليف د/ محمود سفر ص ١٣٣ ط. جدة، تهامة ١٤٠٤ هـ.

ما تنفقه في هذا المجال ٠.٣٪ على ضخامة الدخول القومية في الدول الكبرى، وضآلتها في الدول النامية.

وعلى هذا فإن مجموع إنفاق الدول النامية لا يمثل أكثر من ١.٦٪ من إجمالي الدول الصناعية على عمليات البحث العلمي وتوظيفه في تطوير التقنية^(١).

وتشير إحصاءات أخرى إلى أن مجموع ما أنفقه العرب على البحث العلمي في عام ١٣٩٠هـ كان حوالي ١١٥ مليون دولار، وقد ارتفع هذا الرقم بعد عشر سنوات ليصبح عام ١٤٠٠هـ نحوًا من ١٠٢٧ مليون دولار، وهي زيادة لا بأس بها، لكن إذا نظرنا إلى ما تنفقه الدول المتقدمة لرأينا الفرق الأساسي وتطوره في الفترة نفسها، فقد ذكر أن الدول المتقدمة أنفقت عام ١٣٩٠هـ حوالي ٦٢ مليار دولار، أما في ١٤٠٠هـ فقد كان حجم الإنفاق ١٩٥ مليار دولار، أي: زيادة تفوق ثلاثة أضعاف ما كانت عليه وهذا يعني أن الهوة بيننا وبينهم آخذة في الاتساع في هذا المجال.

وقد أدى ضعف الإنفاق على البحث العلمي النظري إلى ركود حركة الثقافة وقلة أعداد الكتب والعلماء الناشرين في العالم الإسلامي - الذي يقطن السواد الأعظم من أبنائه في آسيا وأفريقيا - ومن خلال إحصائية تقريبية تبين أن أكثر ما أنتج من كتب عام ١٣٩٣هـ كان من حظ الدول المتقدمة فقد كانت نسبة سكان أوروبا للعالم آنذاك ١٢.٥٪ ومع ذلك فإن نصيبها من الكتب المنتجة كان ٤٥٪، وكانت نسبة الاتحاد السوفياتي - سابقًا - ٦.٥٪ من سكان العالم، وأنتج ١٤٪ من مجموع كتب العالم على حين كانت أفريقيا تمثل ٩.٧٪ من سكان العالم، وكان إنتاجها حوالي ١.٧ فقط^(٢).

(١) راجع كتاب (قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي) د/ زغلول النجار ص ٢٦.

(٢) راجع كتاب (التراث والمعاصرة) تأليف د/ أكرم العمري ص ٧٦ ط. كتاب الأمة، قطر ١٤٠٥هـ.





كذلك فإن الزهد في نشر الرسائل العلمية التخصصية كان من أسباب الركود العلمي، ولعلّ السبب في ذلك هو عدم ربط البحث العلمي بحاجات التنمية الفعلية للعالم الإسلامي.

٣- قلة أعداد العلماء والتقنيين في العالم الإسلامي:

إن انتشار الأمية وضعف الإنفاق على البحث العلمي وركود بحوث استنبات التقنية ستؤدي مجتمعة إلى نتيجة واحدة هي: ضعف نسبة أعداد العلماء والتقنيين إلى مجموع السكان في العالم الإسلامي، حيث إن المؤسسات التي يمكن أن تضم هؤلاء قليلة، كما أن حركة التصنيع لدينا ما زالت في البداية، كما يضاف إلى ذلك هجرة أعداد منهم إلى البلدان الصناعية حيث يجدون المختبرات والشركات الكبرى التي تحتاج إلى بحوثهم.

يقول أحد الباحثين: تبلغ نسبة العلماء والتقنيين ذوي المستوى العالي إلى مجموع تعداد السكان في الدول الإسلامية رقمًا لا يكاد يذكر إذا قورن بنسبتهم في دول التقدم العلمي والتقني إذ تراوح بين ٢١ في المليون كما في (بنجلادش) و ١٩٠ في المليون كما في مصر.

بينما تراوح نسبتهم عند غير المسلمين بين ٤٣٠٠ في المليون في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، و ٨٢٠٠ في الاتحاد السوفياتي -سابقًا- وأوروبا الشرقية والصين، ويبلغ متوسط تلك النسبة في الدول النامية بصفة عامة نحوًا من ١٠٠ في المليون.

وحسب إحصائية لنسبة الطلاب المسجلين في التعليم الثانوي نجد أن الطلاب الذين سجلوا منهم في التعليم المهني في تراجع في أكثر الدول العربية وذلك خلال العشرين سنة بين ١٣٨٠هـ - ١٤٠٠هـ على نحو ما نجده في اليمن وسوريا ومصر وقطر وعمان وغيرها^(١).

وهذه كارثة لأن التعليم التقني يمثل مرحلة مستقلة من مراحل التعليم العالي، وهو

(١) راجع (التطورات السياسية والاقتصادية في الوطن العربي) تأليف: إلياس توما، ترجمة: عبد الوهاب الأمين ص ١٢٦ ط. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.



يهدف إلى إعداد أطر تقنية تكون حلقة وصل بين الجامعيين والعمال المهرة، حيث يكون مثلاً: مقابل كل مهندس من (٣-٤) من التقنيين، كما تحتاج إلى نحو من ٤٠ من العمال المهرة، كما تشير بعض تقارير (اليونسكو) إلى أن عدد الطلبة المسجلين في التعليم التقني في كافة الأقطار العربية لا يتجاوز ٢٨ طالباً لكل ١٠٠ ألف نسمة من السكان مقارنة بـ (١٨٠) في بريطانيا و (٥١٥) في سنغافورا^(١).

٤- هجرة الأدمغة العلمية عن العالم الإسلامي: نتيجة للاضطراب السياسي السائد كما أنها جاءت نتيجة للشعور بالهزيمة والفقر والنقص وضعف الإمكانيات العلمية، في مقابل الجاذبية العامة للدول الغربية. بما توفره من رفاهية ومختبرات ومحفزات للباحثين، وقد أشار (جورج سيلتز) أمام لجان الكونجرس الأمريكي التي شكلت لدراسة ظاهرة هجرة الكفاءات النادرة إلى أمريكا إلى خطورة الوضع في الدول العربية التي تستنزف قواها البشرية، وتخسر قياداتها الفكرية بشكل مستمر، ففي استقراء لبعض الطلاب الذين يدرسون في أمريكا حينما سألوا عن «حلم العودة لأوطانهم» أجابوا أن نحو ٤٠٪ من المصريين، و ٢٢٪ من الأتراك، و ١٨٪ من اللبنانيين أجابوا بالعزم على البقاء في الخارج، كما أكد تقرير علمي صادر عن حكومة «باكستان» أن (٩٠٪) من أطباء بلادهم قد تقدموا بطلبات لأداء امتحانات في السفارة الأمريكية والبريطانية.

كذلك هاجر خلال المدة من ١٩٦٧/٦/٣ م حتى ١٩٦٨/٦/٣ م نحو ١٥٩٧٣ من العلماء والمهندسين العرب، وخلال المدة نفسها من العام التالي هاجر ٣١٩٨١، وأما العام الثالث فكان نصيبه: ١٦٤٩٢ مهاجرًا إلى أمريكا وحدها.

* هذا يؤكد أن العالم الإسلامي قد خسر صفوة أبنائه العلماء، وخسر أيضًا كل ما أنفق

(١) راجع (إنتاجية مجتمع) د/ محمود سفر ص ١٥١.





على تعليمهم في المراحل المختلفة، هذه الخسائر تقدر بالمليارات من الدولارات، وتزداد الكارثة الآن عند زيادة الشعور بالاغتراب في الفترة الأخيرة بعد أحداث الربيع العربي الأخيرة^(١).

* «الغزو.. القديم.. الحديث»:

إن انحراف شباب المسلمين اليوم -إلا من رحم ربي- إنما هو نتيجة حتمية للإفساد الذي نخر بالأمة في سنين كثيرة مضت، حيث مُنيت الأمة الإسلامية بالاختلاف والتشردم والتفرق، حيث فارق بعضهم بعضًا، وتحولوا عما كان عليه المسلمون في القرون الأولى (في غالب أحوالهم) من الائتلاف والوحدة والتعاقد.

واستمر هذا الحال حتى بدايات القرن التاسع عشر الميلادي، وهو بداية الاحتلال الأجنبي لبلادنا الإسلامية.

هذا الاحتلال الأجنبي عمل على تخريب وتحريف الشخصية المسلمة وغزوها بكافة السبل^(٢)، بغية تفريق المسلمين وعدم اجتماع كلمتهم في وحدة إسلامية قوية جامعة، ليبقى

(١) راجع (هجرة العلماء من العالم الإسلامي) تأليف د/ محمد عبد العليم مرسي ص ٥٣، ٩١، ٩٨، ٩٩. ط. مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) تدور مادة (غزا): غزا الشيء غزوًا، أَرادَه وطلبه، والغزوة -بالكسر- ما غُزي وطلب، ومغزى الكلام مقصده، وعرفت ما يُغزى من هذا الكلام: أي ما يَراد منه، والغزو: القصد.

وبهذا تنحصر معاني هذه المادة: في الطلب والقصد والإرادة ومعرفة ما يَراد، واليوم لم يعد خافيًا ما يتعرض له المسلمون في بلدانهم من غزو وعدوان شامل، تداعت إليه أمم الكفر من كل حذب ينسلون، وهذا مصداق قوله

ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها...» رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٧٨/٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٨٢).

وقد أخذ هذا الغزو صورًا متعددة كل واحدة منها لا تقل خطرًا عن أختها.

ويمكن إجمال أنواع الغزو الذي يتعرض له بلدان المسلمين اليوم فيما يلي:

١ - الغزو العسكري.

=



هذا الاحتلال سيداً لكافة هذه الدول.

وفي أثناء هذا الاحتلال الذي سمي زوراً وبهتاناً بـ «الاستعمار» تم اختراق جسد الأمة عقدياً وفكرياً وثقافياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً وإعلامياً وعسكرياً....»
وبدأت تتدهور كافة مظاهر الحياة وأشكالها - لا سيما - الحياة الدينية والأخلاقية، وما كان ذلك ليحدث إلا نتيجة الصراعات والمؤامرات التي دبرت لهذه الأمة بليل بغرض تضييع هوية هذه الأمة، وصر فهم عن دينهم وجهادهم^(١)، وصدق ربنا تبارك وتعالى إذ يقول:

٢- الغزو الإباضي وإثارة الشهوات.

٣- الغزو الفكري والثقافي، وإثارة الشبهات حول الإسلام.

ولعل النوع الثالث هو الأخطر، حيث كان ولا زال هو سبيل الكفار لتركيعة الدول العربية والإسلامية، ويتجلى هذا الأمر بقوة في هذه الآونة الخطيرة والتي يستخدم فيها أعداؤنا ما سمي بـ «حروب الجيل الرابع لإنتاج الشرق الأوسط الجديد» وذلك بعد الحرب التقليدية، والحرب الباردة، والحرب على ما سموه «الإرهاب» والمقصود بالغزو الفكري: تلك الوسائل غير العسكرية التي اتخذها العدو لإزالة مظاهر الحياة عند الخصم، وصرفه عن التمسك بعقيدته ودينه، وما يتصل بهما من أفكار وقيم وتقاليد وأنماط وسلوك.

(١) هذا أمر قديم جداً قدم التاريخ.. فمنذ احتلال الأمة المسلمة نجد أن أعداءنا حرصوا على تزييف ثوابت أمتنا - خاصة - الهوية؛ لأن الأمة لا تكون أمة إلا حين تنتهي لها هوية مستقلة، فالهوية هي الرابط الذي يربط بين أفراد الأمة، ويحدد سلوك أفرادها، وكيف ردود أفعالها تجاه الأحداث، وبهذا نضمن للأمة استقلالها، وتميزها، وبقائها، وعدم بقائها في الأمم الأخرى، فإنه ما لم تكن للأمة هوية مستقلة فإنها ستذوب في الأمم القوية الغالبة. لهذا حرص أعداء الأمة على مسخ الهوية الإسلامية - لا سيما - في البلدان المحتلة، واجتهدوا على تشجيع إحياء القوميات التي عفا عليها الدهر مثل: الفرعونية في مصر، الآشورية في العراق، الفارسية في إيران، الفينيقية في سوريا وفلسطين، والبربرية في المغرب العربي. [راجع «الإسلام والحضارة الغربية» للدكتور/محمد محمد حسين ص ١٢٩ ط. دار رسالة للنشر والتوزيع].

واجتهد هؤلاء في ترسيخ أفكار العلمانية والوطنية لتحقيق تجزئة العالم الإسلامي كمرحلة أولى، وانتشرت آنذاك فكرة الدعوة إلى القومية في مواجهة «مشروع الخلافة الإسلامية»، وبدأ في الظهور السعي لنشر أحزاب عقائدية (أيديولوجية): كالأحزاب الاشتراكية والعلمانية والليبرالية والبعثية (تحقيقاً لقاعدتهم الهدم ثم البناء).

=





كذلك حرص المحتل القديم ألا يخرج من بلدٍ من بلادنا إلا بعد أن يتأكد من تحقيق أهدافه، ولتحقيق هذه الأهداف تم وضع خطط طويلة المدى تستهدف تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية:

الهدف الأول: السيطرة المباشرة بالاحتلال.

الهدف الثاني: إعادة صياغة المجتمع الإسلامي وفق النموذج الغربي - خاصة - بعد التركيز على إعداد نخبة تابعة لهم.

الهدف الثالث: تحقيق انكماش النظم الاجتماعية الإسلامية لصالح النظم الغربية. وسعى هؤلاء للوصول إلى تحقيق هذا الهدف الخبيث بأساليب ثلاثة.. بدأوها:

- بمرحلة التجهيز والدراسة والتمهيد، وبدأت في بلادنا بالحملة الفرنسية، ولبيان فظائع هذه الحملة (راجع ما ذكره الجبرتي في كتابه عجائب الآثار ٢/٣٦، ط. مطبعة الأنوار المحمدية.
- انطلقوا لتحقيق مرحلة (الإجهاز والهدم والإزالة): وتمثلها وظيفة الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢م، والذي جاء ليرسم خريطة تقسيم للعالم الإسلامي، وليؤسس أنظمة موالية لا علاقة لها بالإسلام، ومن هنا كان كتاب «التاريخ السري لاحتلال مصر» لمؤلفه الفريد بلنت والذي راجعه ووافق عليه الشيخ/محمد عبده ط. مكتبة الآداب القاهرة.
- عرف ماذا كان يفعل هؤلاء، وكيف ساعدهم أناس من بني جلدتنا، بالإضافة إلى دور النصاري في مساعدة المحتلين، (فعلى سبيل المثال) في عام ١٨٨٣م تم إصدار لائحة المحاكم الوطنية، والتي مهّدت لها «نوبار باشا» وزير إسماعيل المسيحي بإنشاء محاكم مختلطة عام ١٨٧٥م بالاشتراك مع المحامي الفرنسي «مانوري» وبذلك حلت المحاكم الوطنية الأجنبية محل المحاكم الشرعية، وتدعيماً لهذه المحاكم تم إنشاء مدرسة القضاء، ومدرسة الحقوق، ومدرسة الألسن..

واستمر الأمر حتى فيما سمي بـ (ثورات التحرير)، يقول: جايل ماير في كتابه الولايات المتحدة وثورة ٢٢ يوليو ١٩٥٢م ترجمة د/عبد الرؤوف أحمد عمر ص٦٤ ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب «أنه في مارس ١٩٥٢م، وفي مايو ١٩٥٢م بعث السفير الأمريكي جيفرسون كافري بتقرير مؤكداً أن الجيش قادر الآن على حسم الموقف وتشكيل حكومة وطنية تستطيع القوى المدنية أن تبدأ معها محادثات ناجحة، وأعلن رسمياً أن الملحق العسكري «دافيد إيفاتر» كان على صلة وثيقة بالضباط الأحرار ليلة الانقلاب

وفي أول تصريح لقادة الثورة ذكر «ماير» أن الضباط الأحرار يبغضون الاتجاه الشيوعي والإخوان المسلمين. وبالفعل نجح هؤلاء في إفساد الثقافة المجتمعية - خاصة - بعد تراجع التعليم الديني في مقابل التعليم العلماني. في السياسة والحكم: فصل الدين عن الحياة.

في النظام الاقتصادي: تم بناء الاقتصاد على أسس المنفعة واللذة.

وفي الأخلاق والسلوك: تم غزو الحياة الاجتماعية حيث افتتحت السينما الأولى بالقاهرة ١٨٩٦م، وافتتحت الخمارات في كل مكان حتى تغلغت إلى الريف، وفتحت دور البغاء المرخصة من الحكومة، وتجراً الناس

=



على ارتكاب الموبقات، والجهر بذلك بدعوى الحرية الشخصية التي لم يفهموا منها إلا أن يحل الناس أنفسهم من كل قيد لا يتعلق بدين ولا دنيا».

ولا شك أن الغزو الفكري هو شكل من أشكال الحروب الخفية لأعداء الإسلام، وهذا النوع من الغزو لم تسلم منه بلد من بلدان المسلمين، إلا أنه في هذا الزمان أشد وأخطر لاستخدام الغزاة كافة التقنيات الحديثة لنشر شبهاتهم وخدمة أغراضهم وأهدافهم، ولتكون معاول هدم لثوابتنا العربية والإسلامية بغرض إذابة الشعوب الإسلامية وسلخها عن عقيدتها وهويتها وحضارتها، لتصبح مسخاً مشوهاً تابعاً ذليلاً لغيرها، يقول الدكتور/ عبد الستار السعيد: «الغزو الفكري تعبير دقيق بارع يصور خطورة الآثار الفكرية التي يستهين بها كثير من الناس، لأنها تمضي بينهم في صمت ونعومة... هذه الحرب لا تضع أوزارها حتى تترك ضحاياها بين أسير أو قتل أو مسيخ.

ويقول الشيخ الدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني:

* كلنا يعلم أن أعداء الإسلام والمسلمين، حينما عجزوا عن تحقيق غاياتهم الرامية إلى هدم الإسلام في نفوس الأمة الإسلامية، وهدم وحدة هذه الأمة، عن طريق الحروب المادية المسلحة بأدوات القوى القتالية، لجأوا إلى خطة هي أكثر مكرًا ودهاء، وأقوى تأثيرًا، وأنفذ إلى أعماق النفوس والقلوب، هي ما أسميناه خلال الثلث الماضي من هذا القرن بالغزو الفكري، وذلك بعد أن أدرك المفكرون من المسلمين خطورة هذا الغزو، ولمسوا كثيرًا من آثاره.

* إن الغزو الفكري الذي يقوم به الأعداء في وسائلهم المسلحة بالفكرة، والحيلة، والتعليم، والتقدم المادي التكنولوجي، والإغراءات النفسية، وتطبيقات السلوك غير الإسلامي، وشراء ضماير فئات شتى لها سلطان أو توجيه أو أي تأثير ما من فئات الأمة الإسلامية، إن الغزو الفكري هذا معناه ومضمونه وغايته التضليل الفكري للمسلمين، ييث المفاهيم الفاسدة عن الدين والحياة والوجود، وعن الاجتماع والأخلاق والسلوك، وعن شروط التقدم الحضاري ووسائله، وعن النفس والوجدان والضمير، وعن الغاية من هذه الحياة، ووسائل اغتنام السعادة فيها، إلى غير ذلك مما يمكن أن يهدم شخصية الفرد المسلم والأمة الإسلامية.

واعترافًا بالواقع نقول: إن كتاب بل جيوش الغزاة من أعداء الإسلام، والمسلمين الذين يمثلون أحفاد أعداء القرون القديمة واللقطاء الذين التقطوهم من داخل الشعوب الإسلامية واحتضنهم، ثم ردوهم إلى أهلهم، بعد أن فصموا شخصياتهم، قد استطاعت أن تدخل بين المسلمين، في مختلف حقولهم الاجتماعية والفكرية، لبث ما تريد بثه من أفكار مضللة لهم، بالوسوسة والإيحاءات الفكرية التي تسري سريان الداء، وبالمخالطة

=





المقرونة بالإغراء، والمحفوظة بالشهوات المزيّنة للنفس، فمن الشهوة والمتعة المزيّنة طريق سري يعبث بالأفكار ويفسدها.

وحين تفسد الفكرة وتتولد القناعة المنحرفة عن سبيل الحق تستثار العاطفة إثارة ملائمة لهذه القناعة، فتخضع الإرادة ثم توجه السلوك الداخلي والخارجي على وفقها.

وهذا هو غرض جيوش الغزاة من الغزو الفكري، أن يكون التحويل والتضليل ذا أثر في سلوك المسلمين الفردي والجماعي إذ يميل بهم عن المنهج القويم، ويعدل بهم عن الصراط المستقيم، ويدفع بهم إلى أودية المهالك والتشتت والضيايق.

وذلك لأن معظم أعمال الناس في حياتهم إنما هي آثار من آثار المفاهيم المسيطرة على قلوبهم وعواطفهم، فحينما تكون هذه المفاهيم سليمة قديمة يكون السلوك في غالب أحواله سليماً قوياً، إلا في عاطفة آسرة، أو شهوة قاسرة، أو رغبة نفسية جامحة، أو عادة مستحكمة جانحة. وحينما تكون المفاهيم منحرفة عن منهج الحق فإن السلوك في غالب أحواله يكون منحرفاً عن الصراط المستقيم، إذ يحلو للإنسان عندئذ أن ينطلق ويتفلت من الضوابط الدينية والخلقية، والروابط الاجتماعية، والقيود الحادة من حرية أهوائه وشهواته، فيشذ وينحرف، وتقوده الشياطين والطواغيت إلى مواطن هلاكه.

لقد تناول البث التضليلي الذي يقوم به الغزاة التحويل عن معظم الأسس التي تتكون منها عناصر الشخصية الإسلامية الفذة، وعناصر الأمة الإسلامية الكبرى ذات الوحدة العالمية، التي ليس لها حدود قومية، ولا عرق، ولا لغوية، ولا إقليمية، وإنما لها حدود فكرية يدخل الحق في إطارها ويخرج الباطل عنه، ولها حدود خلقية وعلمية تضم أنواع الخير والفضيلة في داخلها، وتمنع أنواع الشر والرذيلة من أن تقرب منها.

أما التضليلات الفكرية التي تبثها الأجهزة الإلحادية، والاستعمارية، والتبشيرية، والاستشراقية، فكثيرة جداً، وربما يملأ الحديث عنها مجموعة من مجلدات البحث العلمي الهادئ، الخالي من الثورات الانفجالية والجميل الخطابية الجوفاء.

فمن هذه التضليلات ما يكون الغرض منه النفوذ إلى أسس العقائد والتشريعات الإسلامية الربانية الحققة، بغية اقتلاعها من عقول وقلوب ونفوس فريق من أبناء المسلمين، وبذلك يتكون منهم فيلق مرتد عن الإسلام، خارج عن الملة، معاد للمسلمين، مهمته تحويل الأجيال الناشئة عن دينها، وتجنيدتها في جيوش الردة.

ومن هذه التضليلات ما يكون الغرض منه إيجاد فريق من المسلمين، يتحلون باسم الإسلام، ويتعصبون له تعصباً شديداً، ولكن المفاهيم التي يستمسكون بها على أنها جزء من الإسلام مفاهيم فاسدة مدسوسة، ليست

=



من الإسلام في شيء، فلا يشهد لصحتها نص ولا إجماع ولا قياس صحيح، وقد تشهد هذه المصادر على عكسها، ويمثل هذا الفريق قوة الصد عن الإسلام والتنفير منه.

وبالفريقين المرتد عن الإسلام والمخطئ في فهمه المتعصب لخطئه، يجتمع على الأجيال الناشئة قوتان، قوة من خارج الحدود الإسلامية، تقوم بمهمة بناء المجاري التحويلية عن الإسلام، وإجراء الأجيال الناشئة فيها، وقوة أخرى من داخل الحدود الإسلامية بحسب الظاهر، وهي تقوم بمهمة الصد عن الإسلام والتنفير منه كمهمة الكتل الصخرية التي تقف في الأنهر عند مواطن التحويل، لتمنع الناييع من أن تجري في مجاريها الطبيعية، وبذلك تسنى لبناء المجاري التحويلية أخذ أكبر قدر منها إلى مجاريها المصطنعة.

ويرافق كلاً من التضييلات الأولى والتضييلات الثانية تضييلات تعتمد على عنصر الإغراء المادي، ومن أمثلة ذلك الأفكار الدعائية التي توهم المسلمين أن التقدم المادي في شئون المدنية الحديثة رهن بترك الاستمسك بتعاليم الإسلام، وأن الإسلام عقبة في طريق التقدم، ويغابى الذين ييثون هذه التضييلات عن الحقيقة الناصعة التي عليها الإسلام الحق، وهي أن الإسلام يدفع المسلمين بقوة إلى كل تقدم حضاري ومدني سليم من الآفات الفكرية، والنفسية، والخلقية، والاجتماعية، ويقدم الذين ييثون التضييلات مزاعم كثيرة خالية من كل سند واقعي، لدعم الأفكار الدعائية التي يضللون بها، على أن البحث المتأنى الهادئ كفيلاً بأن يقدم لطالبي الحق الحقيقة الناصعة عن الإسلام.

للتوسع حول هذه المعاني الخطيرة:

راجع كتاب «المواجهة بين الإسلام والغرب» للدكتور/محمد مورو ص ٦، ٢١ ط. نشر الدار الإسلامية للنشر والتوزيع، وكتاب «شبهات التفريب في غزو الفكر الإسلامي» للأستاذ د/أنور الجندي ص ٩١، ٩٢ ط. المكتب الإسلامي، وكتاب «الاستشراق والمستشرقون - وجهة نظر» لـ د/عدنان محمد وزان ص ١٣٢، ١٣٣ ط. مطبعة رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة العدد (٢٤) - ربيع أول ١٤٠٤هـ - يناير ١٩٨٤م.

وانظر كتاب «روح الشرائع» لـ «شارل لويس مونتسكيو» ص ٤٣٥ - ترجمة (عادل زعيتير) ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٠م. وانظر كتاب «مصر بين الدولة الدينية والدولة المدنية» مناقرة بين الإسلام والعلمانية ١٩٩٢م ص ٤٥، ٤٦ ط. دار الإعلام العربي - القاهرة ١٩٩٢م.

وانظر كتاب «ولو شاء ربك ما فعلوه» للأستاذ الدكتور/عبد العزيز بن ناصر الجليل من ص ٨٥ إلى ص ١٠٩ ط. مكتبة العبيكان. وراجع أيضاً رسالة «الاستشراق والمستشرقون.. ما لهم وما عليهم» د/مصطفى السباعي من ص ٢١ إلى ص ٢٨ ط. دار السلام. تقرير الحالة الليبرالية في مصر لـ د/طارق عثمان ط. المركز العربي للدراسات الإنسانية.

وانظر كتاب «ثقافة التلبس» لـ «سليمان بن صالح الغراشي» ص ٣٦، ٤٥ ط. دار الآل والصحب للنشر والتوزيع. وانظر بحث «الانفتاح الفكري» لـ د/عبد الرحيم بن صمايل السلمي ص ١٢، ١٤ ط. مركز التأصيل للدراسات والبحوث. وانظر «مجلة البيان - العدد (٢٠، ٢١) مقال «وسائل الغزو الفكري في دراسة التاريخ» د/محمد بن صامل السلمي.

=





أما الحقول الاجتماعية والفكرية التي دخلت ككائب الغزاة فيها لبث تضليلاتهم الفكرية بين المسلمين فكثيرة، منه الحقول التالية:

١- المدارس والمعاهد والكليات على اختلاف مسئولياتها واختصاصاتها -لا سيما- المدارس والجامعات الأجنبية.

٢- الأندية وقاعات المحاضرات وسائر مراكز التوجيه الثقافي الخاصة أو العامة.

٣- الجمعيات العلمية والثقافية والأدبية والفنية والأنشطة الرياضية ونحوها.

٤- الكتب والمجلات والصحف والنشرات الدورية المدعومة.

٥- وسائل الإعلام المختلفة، السمعية، والسمعية البصرية -لا سيما- الأمريكية اليهودية مثل شبكة (CNN)، وشبكة (ABC)، وشبكة (CBS)، ومؤسسات صحفية مثل: «واشنطن بوست»، وصحيفة «نيويورك تايمز»، وصحيفة «وول ستريت جورنال»

٦- الأحزاب والهيئات السياسية والاجتماعية.

٧- المراكز الصحية على اختلاف مستوياتها.

٨- المعامل والمؤسسات التجارية والصناعية والإدارية وغيرها.

٩- الأحزاب السياسية العلمانية، وما سمي بـ(منظمات المجتمع المدني).

١٠- كذلك يستخدمون بعض الثغرات المتعددة ليتسللوا إلى المجتمع المسلم كالمسلمين المقيمين بين أظهر المسلمين، وغير المسلمين المقيمين بين المسلمين، والخادمت والمربيات الأجنبية.

١٠- إرسال البعث والإرساليات التنصيرية إلى بلاد المسلمين مغلفة في شكل مساعدات للفقراء، وقوافل طبية - خاصة- بعد إعلان الكثير من الدول الحرب على الجمعيات الإسلامية واعتبارها (سبباً لنشر الإرهاب).

١١- الابتعاث.

١٢- نشر الكتب المفسدة التي تشغل شباب المسلمين عن ثقافتهم الأصلية.

١٣- نشر المجلات الخليعة والأفلام الماجنة.

١٤- تمجيد الحضارة والثقافة الغربية حتى يفتن الشباب بمباهجها، والعمل على تمجيد وإحياء الحضارات القديمة لتكون هوية للأمة بدل الإسلام.

١٥- إلغاء المحاكم الشرعية ونشر القوانين الوصفية والاهتمام بتعليمها.

١٦- اختراق المجتمعات المسلمة ومحاولة تفريق صنف وتشيت كلمته اتباعاً للسياسة العالمية الحديثة «شوش تسد».

=



وأما التلاعب عن طريق القبض على مواطن الضعف من الإنسان، وهي أهواؤه وشهواته، وغرائزه، ودوافعه النفسية، فحيله وحبائله كثيرة، والغزاة يستخدمون أشكالاً وألواناً وصوراً منها لا تكاد تحصر، وقد ترجع في أفرادها إلى الأنواع الرئيسة التالية:

١ - الأموال على اختلاف أصنافها، وتباين طرق تحصيلها.

٢ - النساء وزيتتهن وما يتصل بشهوات الجنس.

٣ - الجاه والسلطان وسائر أشكال الحكم ومراتبه.

٤ - المآكل والمشارب وما يتصل بشهوات البطون.

٥ - متع السمع والبصر، وما يتصل بها من زينات.

٦ - السياحات والرحلات والزهات والتنقل في أرجاء الأرض.

٧ - اللهو واللعب والدعة والمضحكات والمسليات.

ومن البديهي أن ميل النفوس إلى هذه الأنواع أمر فطري لا يحتاج إلى تعليم أو إقناع بالحجج والبراهين، ولا يتطلب معاكسة أو مخالفة لهوى أو غريزة على أن درجات ميل النفوس إلى كل منها متفاوتة، كما أن أفراد الناس مختلفون في نسبة ميول كل فرد منهم إلى كل نوع منها، أما ضوابط الحق والخير والفضيلة فإنها تحتاج إلى تعليم وإقناع، وتربية على كبح جماح شهوات النفوس، ومخالفة أهوائها المرسله.

ومن أجل ذلك تغدو مهمة المفسدين في الأرض كمهمة مطلق الخيول من أعتتها، أو مطلق الوحوش الضارية من أقفاصها، إذ يتركونها ترتع وتفسد في الحقول المختلفة، والرياض الغناء حسب أهوائها، وعلى مقدار شراستها، أما مهمة المصلحين فإنها كمهمة سائسي الخيول أو مروضي الوحوش الذين يكبحون جماحها ويعقدون الأعنة في رؤوسها، ويطوعونها، ويكسرون حدة شراستها، فيطعمونها ويسقونها بحكمة على مقدار حاجتها ولا يدعونها تفسد الحقول، وتتلغ الزروع، وتسطو على ذوات الضروع، وتكسر الشجر، وتبدد الثمر.

وهذا ما كان يهرب أعداءهم، إلى أن اكتشفوا الخطط الشيطانية التي يستطيعون بها العبث بالعناصر الرئيسة التي تم فيها تكوين شخصيتهم الإسلامية الموحدة القوية في العالم، فعمدوا إلى قواعد بنيانهم الإسلامي في محاولات شتى لنقضها قاعدة فقاعة.

فأرادوا أن يضعوا بدل الوحدة الفكرية عند المسلمين أشتاتاً وأخلاقاً فكرية متناقضة أو متضادة، أو متخالفة، لينجم عن هذه الأشتات والأخلاق المتعارضة الدخيلة أشكال الصراع الفكري بين الأمة الإسلامية، كما أرادوا أن يتلاعبوا بمناهج البحث السليمة عند المسلمين، وهي المناهج التي أرشدتهم الإسلام إليها، وأن يضعوا لهم بدلها مناهج قصيرة النظر، تقف عند حدود الظواهر المادية فقط ولا تتعداها إلى الحقائق الكامنة وراءها.

=





وأرادوا أن يضعوا بدل الوحدة الاعتقادية المهيمنة على قلوب المسلمين أشتاتاً أخرى، من أخلاط اعتقادية فاسدة لا أساس لها من الحق، أو اتجاهات وجودية إحادية تعمل على تحويل الإنسان إلى مخلوق أناني متوحش، يستخدم كل ذكائه لإشباع رغباته الأنانية المتوحشة.

وأرادوا أن يضعوا بدل الوحدة السلوكية النظرية والتطبيقية التي جعلت من المسلمين نسيجاً رائعاً ممتداً على كل الأرض التي يقطنونها، قطعاً ممزقة بالية، واهية الخيوط، تتلاعب بها الرياح الكونية ولو لم تكن عاتية، وتتقاذفها ذات الغرب مرة وذات الشرق أخرى.

وأرادوا أن يضعوا بدل الوحدة العاطفية المستندة إلى أساس ديني متين راسخ، والتي كانت تحركهم بقوة هائلة تحريكاً واحداً، أشتاتاً عاطفية متباينة متناقضة، فمنها أناني شخصي، ومنها إقليمي، ومنها قومي، ومنها مصلحي مادي، ومنها طائفي، ومنها طبقي، إلى آخر ما يدخل في هذه الأشتات العاطفية المختلفة فيما بينها اختلافاً كثيراً. وبالخطط الماكرة الذكية، وبالأعمال التنفيذية الدائبة، استطاع الأعداء الغزاة أن ينجنوا من ثمرات إفسادهم الاجتماعي للأمة الإسلامية الواحدة، ما حققوا به قدراً كبيراً من أهدافهم الظلمة الآثمة.

وفرق عظيم بين المهتمين في العمل وفي الغاية، فعمل المفسدين هين لين، ولكن نتائجه فساد كثير، وشر مستطير، في حين أن عمل المصلحين كدح دائم، ومشقات مستمرة، لكن نتائجه بناء وتعمير، وخير وفير، وجمال وزينة.

الإفساد الاجتماعي:

ويبرز من مظاهر الغزو الفكري الذي تقوم به جيوش الغزاة الإفساد الاجتماعي ويتضمن هذا الإفساد كل خطة ترمي إلى حل التماسك، وفك الترابط الجماعي بين أفراد الأمة الواحدة، حتى لا تكون لهم شخصية موحدة قوية تصد عنها مطامع الغزاة.

ومن أهم العناصر التي تتم بها الشخصية الجماعية الموحدة التقاء أفراد الأمة على الوحدات التالية:

١ - الوحدة الفكرية مع وحدة مناهج البحث.

٢ - الوحدة الاعتقادية حول النفس والكون والحياة وسر الوجود والغاية من خلق الإنسان، مع وحدة المصادر الاعتقادية.

٣ - الوحدة السلوكية النظرية والتطبيقية.

٤ - الوحدة العاطفية نحو الأمور المشتركة بين الأفراد.

ولذلك كانت هذه الوحدات في المسلمين بمثابة المقاتل التي يسدد الأعداء الغزاة إليها سهامهم المسمومة التي يعملون على تفتيتها، وإحداث التناقض فيما بينها، لينحل التماسك، وتنقطع الأربطة الجامعة بين أفراد الأمة

=



الإسلامية، ومتى انحل التماسك وتقطعت الأربطة الجامعة انفرط عقد الجماعة الواحدة، وفقدت قوتها الجماعية، وغدت كمنائر الرمال، ومتى حدث التناقض والتخالف وتعارض المصالح بين أفرادها. وتلاعبت بهم الأهواء، اتجهت القوى الفردية تتصارع فيما بينها تصارعاً يضعها في طريق الفناء والزوال، ويتيح لأعدائها أن يحققوا كل مطامعهم، وهم في منأى عن أن يصيبهم شيء من القرص الذي يحدثه التصارع الداخلي. وقد سبق أن منح الإسلام الذين آمنوا به صادقين مخلصين والتزموا تعاليمه كل الوحدات المطلوبة لتكوين الأمة الواحدة، فكانوا بذلك قوة جماعية كاملة، لا تستطيع قوة جماعية أخرى مساوية لها في القوة أو تزيد عليها، بمقدار ضعفها أن تغلبهم في صراع.

الإفساد الخلقي والسلوكي:

حرص هذا المحتل الغاشم على بث الفواحش وذويعها والعمل على نشر الحرب الجنسية في مجتمعاتنا بغرض هدم الأخلاق في مجتمعنا، وهدم الأخلاق سبب رئيس لإنهاك الأمة، ويؤكد على ذلك البيان الشيوعي الصادر عن ماركس وإنجلز: (إن القوانين والقواعد الأخلاقية والأديان أوهام تدمر حلقتها مصالح برجوازية. واكتشف الغزاة طريقين للوصول إلى إفساد أخلاق الشعوب، والهبوط بها من قمة الكمال الإنساني إلى حضيض النقص والذيلة.

الطريق الأول: العبث بالمفاهيم والحقائق الخلقية.

الطريق الثاني: الغمس بالمجتمعات ذات الأخلاق الفاسدة المنحرفة.

وقد ظهر العبث بالمفاهيم والحقائق الخلقية في حشد النظرات الفلسفية الأخلاقية المنحرفة عن الشرائع الربانية المستندة إلى مبادئ الخير والشر، والنفع والضرر، والمصالح والمفاسد. ومن نظرياتهم ما يعتمد على تمجيد اللذة الفردية، وإباحة كل ما يحققها، مهما أضر ذلك بجسم الفرد أو عقله، أو أضر بالجماعة، أو خالف أوامر الله لعباده.

ومنها النظريات التي تعتمد على تمجيد قوة الجماعة، التي تمثلها دولة سياسية، فكل ما يفضي إلى دعم هذه القوة أو إيمائها فإنه لا ينافي الأخلاق الكريمة لدى هذه النظريات المنحرفة.

ومنها التضييقات التي تدس بين الشعوب المسلمة أن الأخلاق أمور اعتبارية تتوضع عليها الشعوب، إذ تملئها عليها مصالح أو دوافع نفسية، أو أحوال خاصة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو غيرها، وليس لها أصول فكرية ثابتة، ويضربون الأمثلة على ذلك من تقاليد بعض الشعوب البدائية، أو مما تواضعت عليه بعض الشعوب المنحلة خلقياً، كأن التقاليد البدائية أو الانحلال الخلقي من الصور المعترية التي يصح أن توضع في جداول الأخلاق الفاضلة لدى التصنيف الذي يقوم به متبعو الحقيقة بالبحث العلمي المتجرد النزبه.

=





أما الغمس في المجتمعات ذات الأخلاق الإباحية الفاسدة المنحرفة فقد جند الغزاة له أعمالاً وطاقات كثيرة، هدفها إفساد الشعوب والأجيال المسلمة إفساداً سلوكياً ليكون ذلك وسيلة للتحويل الفكري، ومن المعروف المجرب أن الاستغراق الطويل في الانحراف السلوكي من الوسائل الممهدة لتقبل الكفر والانتقال إليه، ولو بعد التدرج في مراحل.

وأهم العناصر التي تستخدم للإفساد السلوكي العناصر التالية: المال - النساء - الخمر - المادية البحتة - أنماط العيش التي تعتمد على الرفاهية والمتعة واللذة وعدم المبالاة إلا بما يمتص طاقات الفكر والجسد من متعة، ولذة ولهو ولعب.

ومن مظاهر ذلك: الإقبال على المخدرات والخمور، والفواحش والفجور، والقمار والربا بشتى أنواعه وصوره، فضلاً عن انتشار ظاهرة الارتباط المحرم، والعلاقات الجنسية المبكرة، ونشر الأنماط الأخلاقية الغربية والتي استهوت كثيراً من شباب الإسلام، مما أدى إلى انتشار التحلل الأخلاقي في المجتمع المسلم. خطط الغزاة التفصيلية في أعمال الغزو الفكري:

ولتحقيق الفصل الكلي أو الفصل الجزئي فصلاً فكرياً وتطبيقياً أو فصلاً تطبيقياً فقط تمهيداً للفصل الفكري، اتخذ الغزاة عدة خطط من خطط الهجوم الظالمة الأثمة.

منها الخطط التالية:

- ١ - إثارة الشبهات حول القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأحكام الإسلام وتشريعاته.
- ٢ - دس الأفكار الفاسدة، وإغراء بعض ضعفاء النفوس أو ضعفاء العقول من المسلمين باعتناقها، على أنها من تعاليم الإسلام ومفاهيمه، ثم محاربة الإسلام بها.
- ٣ - اختلاق الأكاذيب والافتراءات على الإسلام وتاريخ المسلمين وتشويه غايات الفتح الإسلامي.
- ٤ - مقابلة بعض أحكام الإسلام وأركانه وتشريعاته بالاستهزاء والسخرية والازدراء ووصف المستمسكين بها بالرجعية والتأمر والتعصب والجمود، ونحو ذلك من العبارات التي تضعف حماس المتدينين للتمسك بدينهم، وتفت في أعضادهم وتسوقهم في ركب المتحللين من الدين.
- ٥ - احتقار علماء الدين الإسلامي وازدراؤهم ونعتهم بـ«الظلامية - التخلف - الرجعية - التطرف - التجارة بالدين - والإرهاب - والانتماء إلى (التنظيمات المحظورة، والجماعات الإرهابية)، وإلجاؤهم إلى أضيق مسالك اكتساب الرزق، لتنفير المسلمين منهم ومن طريقتهم، ثم تقديم جهلة منحرفين إلى مراكز الصدارة ليعطوا صورة مشوهة سيئة عن التطبيق الإسلامي، توصلًا إلى تشويه الإسلام نفسه عن طريقهم.

=



- ٦- متابعة تركيز الهجوم ضد الإسلام وتكريره بإلحاح، أملاً في حدوث الغفلة من الدعاة المسلمين الذين ينشرون المفاهيم الإسلامية ويحذرون من دسائس الغزاة. ونحن نعلم ما للتكرار الملح من تأثير خطير في نفوس الناس ولو كان مضمونه كذباً وباطلاً، إذ القاعدة الإعلامية أن «ما تكرر تقرر» وصدق أحدهم حين قال: «أعطني إعلاماً بلا ضمير.. أخرج لك شعباً بلا وعي أو تفكير: [التوسع: راجع (المثاليون بالعقول، تاليف هلبير شيلر، ترجمة: عبد السلام رضوان، ط. سلسلة عالم المعرفة، عدد ٢٤٣، سنة ١٩٩٩م، ط. المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون بالكويت)]».
- ٧- بث النظريات والأفكار والمبادئ الإلحادية، والنظريات والأفكار والمبادئ المناقضة والمخالفة لأسس الإسلام، وتعاليمه، وشرائعه، وأحكامه في مختلف المجالات الاعتقادية، والأخلاقية، والعملية، مما يتعلق بأحكام العبادات المحضة، أو أحكام المعاملات.
- وتبرز هذه النظريات في الفلسفة، وفي العلوم الإنسانية، كعلم النفس وعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد، وفي علم التاريخ وتفسير ظواهره، وفي علم القوانين الوضعية وتعليل نظرياتها، إلى غير ذلك.
- ٨- التهوين من عقائد الإسلام -عموماً- وعقيدة الولاء والبراء -خصوصاً- وتشويهها وتسييط معاول الهدم عليها، مثل:
- أ- الإنكار على من يعلن الولاء والبراء بدعوى أن هذا ضد سماحة الإسلام، وأن الجهر بهذا المعتقد ضد «التسامح الديني» و«التعايش السلمي مع الآخر».
- ب- استخدام معول «الوطنية» و«القومية» لهدم عقيدة الولاء والبراء، وجعل الانتماء للوطن هو المعيار لكل من يعيش تحت مظلة هذا الوطن الواحد ولو كان مشركاً أو زنديقاً أو فاسقاً، ورفعوا شعار «الدين لله والوطن للجميع».
- ج- إعلاء قيمة (المواطنة) بالمفهوم العلماني المعاصر على أسس وقواعد الإسلام وعقائده، ومن ذلك: إعلاء الولاء للدولة على أي ولاء آخر ولو كان للدين أو للشرع، وإحلال الرابطة (القومية) محل الرابطة الدينية كأساس لتجانس الجماعة السياسية.
- د- فصل العلاقة السياسية عن العلاقة الدينية لتحقيق المواطنة المزعومة.
- والمطالبة بقانون موحد لدور العبادة، والعمل على فتح الكنائس والمعابد الوثنية في بلاد المسلمين.
 - وإعادة النظر في مناهج التعليم والإعلام في بلادنا المسلمة، وحذف كل ما يشير «الآخر» أو يشير إلى عداوة الكافر، وحذف كل الآيات والأحاديث التي تدل على ذلك ولو من بعيد.
 - وفتح المجال للدعوة للتنصير في بلاد المسلمين، وإطلاق يد المنظمات والجمعيات التنصيرية لتقوم بمهامها في الوقت الذي تحارب فيه الجمعيات الإسلامية أو تصادر أموالها، وتجفف منابعها، وتوصف بأنها ممولة للتطرف والإرهاب.

=





هـ- الدعوة إلى الإنسانية العالمية بين البشر، وحوار الأديان، وثمره ذلك: التطبيع مع اليهود.
و- محاربة ثوابت الإسلام ومصادره، وشعائره (كالجهاد، والتحاكم إلى الشريعة)، وحذف كل ما له علاقة بذلك من المناهج الإعلامية والتعليمية والثقافية، وإثارة الشبهات القديمة الحديثة حول هذه الثوابت، العقديّة والدينية.

ز- تشويه التاريخ الإسلامي وكتب التراث، والدعوة إلى نبذ وإهمال هذه الكتب التراثية والتاريخية بزعم أنها كتب صفراء، وأنها السبب في «تخلف المسلمين»، وانتشار التطرف والإرهاب، وأنها ضد التقدمية والتحررية وحقوق الإنسان، وترسيخ الديمقراطية، بل هي لا تعترف بالآخر وحقوقه..»

ح- الدعوة إلى استخدام المنهج العلماني في البحث والنقد -خاصة- في مجالات الأدب العربي كما حدث من علي عبد الرازق صاحب كتاب «الإسلام وأصول الحكم» والذي طعن صراحة في الشريعة الإسلامية، وطه حسين في كتاباته في «الأدب الجاهلي» و«الشعر الجاهلي» و«الفتن الكبرى» وهي تعد طعنًا صريحًا في القرآن والرسول والإسلام، فضلًا عن كتابه «حديث الأربعاء» والذي يعد إحياءًا للأدب الفاضح، وزكي مبارك في كتابه «النثر الفني في القرن الرابع الهجري» والذي يتضمن طعنًا صريحًا في القرآن الكريم.

ط- الدعوة إلى فتح باب الحريات -خاصة- حرية الاعتقاد، والتدين، والرأي والاجتهاد والتفكير، ومحاربة ما يعرف بـ «ازدراء الأديان»، فضلًا عن المطالبة بالحريات السياسية والجنسية.

ي- محاصرة التوجه الإسلامي وفي القلب منه «التوجه السلفي» ومحاولة استبداله بالتوجه «الصوفي الليبرالي الحدائي المعتدل» -زعموا-.

ك- إثارة الشبهات حول المرأة المسلمة والأسرة المسلمة.

ل- الهجوم على الاقتصاد الإسلامي، والعمل على إثارة الشبهات التي يحلون بها الربا والمكاسب المحرمة.

٩- استدراج فريق من أبناء المسلمين لجامعاتهم، لمنحهم الشهادات العليا في علوم الشريعة الإسلامية، وعلوم اللغة العربية، والعلوم الإنسانية، ومحاولة التأثير فيهم وتشويه صورة الإسلام والتاريخ الإسلامي والعلوم الإسلامية في أفكارهم وفي نفوسهم، ليكونوا جنودًا مقنعين لهم، يحققوا أغراضهم داخل شعوبهم المسلمة، والوصول بهم إلى مناصب حساسة تسوغ لهم صناعة القرار واتخاذ اللازم لسن القوانين والتشريعات المخالفة للإسلام.

جاء في كتاب «المشكلة الشرقية» طبع لندن عام ١٩٥٧م ما يلي: «لا شك أن المبشرين فيما يتعلق بتخريب وتشويه عقيدة المسلمين قد فشلوا تمامًا. ولكن هذه الغاية يمكن الوصول إليها من خلال الجامعات الغربية، فيجب أن تختار طلبة من ذوي الطبائع الضعيفة والشخصية الممزقة، والسلوك المنحل من الشرق، ولا سيما من البلاد الإسلامية، وتمنحهم المنح الدراسية، وحتى نبيع لهم الشهادات بأي ثمن، ليكونوا المبشرين

=



المجهولين لنا، لتأسيس السلوك الاجتماعي والسياسي الذي نصبو إليه في البلاد الإسلامية. إن اعتقادي القوي بأن الجامعات الغربية يجب أن تستغل استغلالاً تاماً جنون الشرقيين بالدرجات العلمية والشهادات واستعمال أمثال هؤلاء الطلبة كمبشرين ووعاظ ومدرسين لأهدافنا ومآربنا باسم تهذيب المسلمين والإسلام» ويظهر أن الجامعات الغربية بعامة قد عملت بنصيحة صاحب كتاب «المشكلة الشرقية».

١٠ - إقرار العلمانية كنظام فكري للدول الإسلامية بغرض:

عزل الدين تماماً عن المجتمع، وإتاحة الفرصة لقيام تربية لا دينية، وقيام نظام سياسي لا يستهدي بالشرعية، وتأسيس الاقتصاد على النظام الربوي.

إبعاد قطاع أصيل من الفكر الإنساني، وهو جانب الروح والوحي وعالم الغيب، وعزله عن الفكر والحياة.

إعلاء كلمة العقل والمادية والإلحاد بشكل عام.

اعتماد الديمقراطية كنظام للحكم وهو الوجه السياسي للعلمانية.

الدعوة للحريات المطلقة بلا أدنى قيد شرعي أو خلقي أو عرفي.

١١ - التفرغ والملاءمة. وتتلخص هذه الخطة الخبيثة بثلاثة عناصر، هي أخطر ما عرف الكون من عوامل هدم لمقومات أمة ذات مجد عظيم فكري ونفسي وأخلاقي وتاريخي.

العنصر الأول:

* تفرغ أفكار الأجيال الناشئة وقلوبهم ونفوسهم من محتوياتها ذات الجذور العقلية والعاطفية والوجدانية والأخلاقية وانتزاع كل آثار لها، وهو ما يسمى بعملية «غسل الدماغ»، ولا يتم ذلك إلا عن طريق:

أ- السيطرة على برامج التعليم في تلك البلاد الإسلامية، وتوجيهها الوجهة العلمانية، وفتح المجال أمام المدارس والجامعات الأجنبية الخاصة.

ب- السيطرة على الإعلام، والعمل على نشر الغثاء الفكري والسلوكي بشكل ممنهج مدروس.

* العنصر الثاني:

ملء فراغ عقولهم وقلوبهم ونفوسهم بمخترعات فكرية وعاطفية مزورة مزيفة، تخدم غايات العدو الطامع الغازي، وتهدم كيان الأمة الموضوعة هدفاً للغزو.

* العنصر الثالث:

تسخير طواير الجيش الجديد الذي تصطنعه أيدي العدو في هدم كل مقوم من مقومات أمته، ومحاربة كل ما يتبقى لها من فكر وعقيدة، أو خلق وسلوك، أو تاريخ ومجد.

=





واتخذ الغزاة عدة وسائل لتفريغ أفكار الأجيال من أبناء المسلمين، وتفريغ قلوبها ونفوسها، من محتوياتها ذات الجذور العقلية والوجدانية والعاطفية والأخلاقية.

فمن هذه الوسائل ما يلي:

الوسيلة الأولى:

فصل العلوم الدينية عن العلوم الأخرى فصلاً يجعل بينهما هوة سحيقة، واصطناع الخلاف والشقاق ثم العداء بين علوم الدين وعلوم الدنيا، وبين علماء هذين القسمين، وتيسير سبل المال والمجد الديني لمتعلمي علوم الدنيا، وحجبها عن نظرائهم من متعلمي علوم الدين، ولم تقتصر عملية الفصل هذه على مستوى التعليم التخصصي العالي، ولكن المكيدة كانت شاملة، تهدف إلى عزل طلاب علم الدنيا عن الدراسات المتعلقة بعلوم الدين عزلاً تاماً في الصيغة والطريقة والمضمون، وإلى عزل طلاب علوم الدين عن الدراسات المتعلقة بعلوم الدنيا عزلاً تاماً أيضاً، لئلا تتكشف الملاءمة التامة بين الأصول الصحيحة لقسمي علوم الدين وعلوم الدنيا، فينصر الحق من كل منهما الحق من صاحبه، وينفي عنه الدخيل الدعي، ولئلا تتكامل منهما المعرفة على صراط الله المستقيم، فيحتل المسلمون الصادقون مجد الدنيا والآخرة.

ومن طبيعة هذا الفصل أن يولد مع الزمن تعصب كل فريق لنوع دراسته ولمنهج بحثه، ولطريقة تقصيه للحقائق، وإن كان فيها نقص لا يأتي تكميله إلا بالتعاون والتآزر مع الفريق الآخر.

وما دامت مواكب المتعلمين ستتجه لدراسة علوم الدنيا وفق الصيغة التي وضعت لها، بما تحمله هذه الصيغة من عداء مدموس أو سافر لأصول الدين وأحكامه، وتزييف في بعض المعارف الإنسانية وبعض النظريات، فإن النتيجة التي يقدرها واضعو الخطة هي انتصار هذه العلوم، وانتصار ما دس فيها، فجاء مرافقاً لها، وهزيمة علوم الدين بكل ما فيها من حق وخير ومجد عظيم للناس.

وعلى أثر هذا الفصل المصطنع كان على دارسي العلوم الدينية في معظم بلاد المسلمين أن يكونوا بعيدين عن كل مجال حيوي إلا مجال المساجد وما فيها من عبادات، وبعض الوظائف ذات الاختصاص الديني، مع تضيق موارد الرزق فيها وإلجاء القائمين بها إلى طرق من الكسب تثير النقد اللاذع والازدراء والتندر.

أما فيما عدا ذلك من المجالات فإنهم يحجبون عنها حججاً تاماً، حتى يظلوا معزولين عن معظم مجالات المجتمع، وحتى لا يكون لأفكارهم تأثير في التوجيه والتخطيط العام للأمة، وحتى لا يكون لهم رقابة على من يتولى ذلك من غيرهم ممن لا يدين للإسلام

والحجة في الحجب عدم توافر الاختصاص اللازم.

=



وفي مقابل ذلك وضعت الخطة في حسابها أيضًا عزل دارسي علوم الدنيا في معظم بلاد المسلمين عن دراسة علوم الدين، وحين يؤذن لهم بشيء من ذلك تحت تأثير ضغط جماهير المسلمين، فإنما يؤذن لهم منه بالنذر اليسير، الذي لا يكون عندهم ملكة المعرفة بأصول الدين وبنظمه الإنسانية التي تكفل للناس سعادتهم وتركز الخطة فيما تأذن به على اختيار الموضوعات التي ليست من أسس العقيدة ولا من أسس المعاملة، ولا من أسس إقامة المجتمع الإسلامي، ولا من أسس إقامة الحكم الإسلامي وتحاول استرضاء الضغط العام ببعض مباحث الأخلاق المشتركة بين الإسلام وغيره وبعض صور من التاريخ الإسلامي المشوه، وبعض صور من نشأة بعض العلوم عند المسلمين، وبعض مظاهر الحضارة المادية التي أنجزها المسلمون إبان عصورهم الذهبية.

ثم نفتح لهؤلاء الدارسين وفق هذه الخطة مجالات الحياة كلها، ويمرور الزمن يتم الفصل بين الدين والحياة، وحينئذ تجد الأمة نفسها مضطرة لأن تقتبس لنظام حياتها من الأنظمة المستوردة من صادرات أعدائها، وهي أنظمة قائمة على أسس لا صلة لها بالدين، ولا تعترف بشريعة الله.

وبذلك يحقق الغزاة هدفهم من غزو الأفكار والنفوس والقلوب، وهدفهم من غزو سلوك المسلمين، وهذا يمهّد لعمليات الاحتلال الكامل، الذي تعدو به على الأمة عوادي الكفر.

وقد تم عند الجماهير المخضرمة المصالحة الصورية بين عقيدتها وسلوكها أما عقيدتها فالإسلام كما تدعي، وأما سلوكها فعلى مناهج الكفر كما تطبق، وهذا ازدواج في الشخصية لا تثبت عليه أمة أكثر من جيل واحد، إذ يأتي الجيل الجديد فيأخذ السلوك المطبق، ويختار له عقيدة ثلاثمه، وعندئذ يتم التحويل الكامل إلى الكفر، وتنسلخ الشخصية الإسلامية انسلًا تامًا، ويتحقق بذلك المسخ المعنوي.

الوسيلة الثانية:

تسخير وتشجيع فئات تدخل في المفاهيم الإسلامية أغاليط وأكاذيب وتلفيقات ومبتدعات ما أنزل الله بها من سلطان، وتعمل على تشويه حقائق الإسلام الناصعة، بغية طعن الإسلام بها من جهة، وإبعاد الأجيال الناشئة عنه من جهة أخرى، تذرعًا بهذه التشويهات الدخيلة عليه والغريبة عنه.

ويقوم الأجراء والمنخدعون بتنفيذ خطة العدو، ويتلقون منه التعليمات والتوجيهات في ذلك. ففي الوقت الذي ضيق فيه المستعمرون الخناق على المدارس الإسلامية والعلوم الدينية الصحيحة، وجدناهم يدعمون ويشجعون مجموعات من الجهلة بالدين، تمارس طقوسًا من البدع المخترعة التي لم يعرفها الصدر الأول من المسلمين، والممزوجة بشيء كثير من حظوظ النفس.

وهذا اللون من التحويل في مفاهيم الدين وفي تطبيقاته له آثار سيئة جدًا منها الآثار التالية:

=





١ - إبعاد هذه المجموعات عن دراسة علوم الدين دراسة صحيحة تعدهم لتفهم غاياته وأحكامه التي يأمر بها، والتي منها عزة المسلمين، ووجوب مجاهدة الكافرين، والعمل على بسط سلطان الحكم الإسلامي في البلاد.

٢ - امتصاص شحنة الطاقة الدينية الكامنة في نفوس المسلمين، والدافعة لهم إلى العمل بواجبات الإسلام التي تعتبر العبادات المحضة لوناً روحياً من ألوانها ويكون امتصاص هذه الطاقة بما تورثه هذه الأعمال المجاهدة المحببة للنفوس من القناعة الداخلية بقيام الفرد نحو ربه بجهد كاف، ثم هو يطالب ربه بعدها بأن يحقق للمسلمين النصر على عدوهم، دون أن يشارك هو بعمل فعال من شأنه أن يضيف إلى قوة المسلمين قوة، أو إلى صفوف مكافحيهم جنداً عاماً.

٣ - تحويل المسلمين عن تعاليم الإسلام الأصلية، وإضافة أشياء جديدة إليه قابلة للتنوع بين مختلف المجموعات، ثم بعد أن قد يطول أو يقصر تصبح هذه المحدثات هي الأصل الديني عند هذه الفئات، وتصبح أركان الإسلام الأصلية شيئاً ثانوياً.

٤ - تغيير الأجيال المثقفة ثقافة عصرية عن الإسلام، تذرّعاً بهذه الأخلاط المبتدعة البعيدة عن سمو الشريعة وكمالها، والتي تصمه بأنه مزيج مقتبس من العبادات الوثنية، وما هي في الحقيقة إلا أمور دخيلة عليه، محدثة ما أنزل الله بها من سلطان.

الوسيلة الثالثة:

تولية قيادات دينية تعطي صورة سيئة عن الإسلام في مفاهيمها، أو في سلوكها، وإبعاد كل عنصر صالح يدرك حيل أعداء الإسلام، ويكافح لإحباط مخططاتهم.

وبهذه الوسيلة يحاربون الإسلام بسلاحين خطيرين: سلاح يطعن به المسلمون أنفسهم، وسلاح آخر في أيدي عدوهم يطعنهم به في الخفاء، وقد يعلنه متى واثته الفرصة.

الوسيلة الرابعة:

التضييق على طلاب العلوم الدينية والمعارف المتصلة بها (كطلاب الأزهر، وأصول الدين، والجامعة الإسلامية) وغيرها.. وتزهيدهم فيها، وتوجيه ألوان الاضطهاد للدعاة إلى الإسلام منهم، ومحاربة كل حركة إصلاحية تظطلع بأعباء رسالتها هيئة منظمة أو يقودها مصلح ذو شخصية مؤثرة وذلك بإضعاف قواها المادية، وإثارة الشكوك حولها، والإيقاع بينها، وبين غيرها من المؤسسات الإصلاحية، وإدخال عناصر مدسوسة فيها، تعمل على تفتيت طاقاتها وتحويل اتجاهها السليم.

الوسيلة الخامسة:

=



إثارة الشكوك والشبهات حول عقائد الإسلام، ومبادئه، ونظمه، وعباداته، لإضعاف ثقة المسلمين بكمال دينهم الذي كان سر مجدهم، ولإقناعهم بأن تقدمهم في مختلف مجالات العلوم التي تخرجهم من واقع التخلف هو بتركهم لدينهم، ولتعاليمه، ولنظمه.

وهنا يستعملون دسيستهم المشهورة، وهي قياسهم العالم الإسلامي على أوروبا، مع مغالطة فاحشة في عناصر القياس.

وفساد القياس أت من الواقع المتباين ما بين الإسلام الحق الذي لم يدخل فيه التحريف والتغيير، وبين غيره من الأديان المحرفة التي لم تبق على أصولها الصحيحة الربانية، فلم تعد صالحة للحياة بسبب التحريف الإنساني الذي دخل فيها.

الوسيلة السادسة:

إثارة ألوان الاستهزاء والسخرية، وأنواع التهكم والازدراء بعلماء الدين الإسلامي، وبالأحكام الإسلامية، والعبادات وممارسيها. ولهذا السلاح أثره القوي لدى ضعفاء النفوس، الذين توجههم الضغوط الاجتماعية، إذ يتخاذلون أمامها، ويجنبون عن فعل الحق والخير وسلوك سبيل الهدى، أمام استهزاء المستهزئين، وسخرية الساخرين، وتهكم المتهمكين، وما أكثر ما يستعمل دعاة الباطل هذا السلاح الحقيق ضد أنصار الحق من المؤمنين.

وقد انتشرت في المجتمعات المسلمة المختلفة الأجهزة المأجورة لاستخدام هذه الوسائل. وواجب أهل الرأي والغيرة والعمل أن يقابلوا كل سلاح بما يبطله ويفني أثره، وأن يقوموا بحركة غزو مضادة على مواقع أعداء الإسلام الفكرية والنفسية والسلوكية، حتى يحبطوا كيدهم وينصروا دين ربهم، ويستعيدوا مكانهم القيادي في العالم.

الوسيلة السابعة:

إلصاق التهم بالدين والمتدينين، بإطلاق عبارات [الرجعية والتأخر والتخلف والتطرف، والانتماء إلى جماعات دينية محظورة، على كل تمسك بالدين وفضائله وإطلاق عبارات التقدم والتمدن والتحضر ونحو ذلك على نبذ الدين وفضائله.

* أمثلة من خطط الغزو التفصيلي لغزو الإسلام بتفريغه من مضامينه الصحيحة:

بفعل كيد مدبر يتصيد الغزاة بعض المفاهيم غير الصحيحة لعناوين إسلامية أو يشون هم بأنفسهم هذه المفاهيم، ويستأجرون من يتبناها من المنتسبين إلى الإسلام، فإذا قبلها جمهور من المسلمين غدا الإسلام في حدود هذه المفاهيم مفرغاً من مضامينه الصحيحة ومشغولاً في أفكار هذه الجماهير بمفاهيم دخيلة، ومتى استقرت هذه

=





المفاهيم الدخيلة وتوسعت دائرتها غدا عنوان الإسلام لغير حقيقة الإسلام من جهة، واستطاع الأعداء الغزاة أن يهاجموا الإسلام به من جهة أخرى.

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- أ- التحريف في مفهوم التوكل على الله.
- ب- سوء فهم معنى الرضا بالقضاء والقدر.
- ج- التحريف في مفهوم الجهاد في سبيل الله لإلغاء مضمونه الصحيح من واقع المسلمين، وأفكارهم، وقلوبهم، وعواطفهم، واستخدم لهذا التحريف فئات مأجورة أو مخدوعة، منشقة عن الإسلام أو منحرفة في مفاهيمها مع عدم خروجها عن دائرته العامة، ومن الفئات المنشقة البهائية والقاديانية.
- د- محاولات تفريغ الإسلام من أحكام المعاملات وسائر شئون الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وإحلال القوانين المدنية العلمانية محل الأحكام الإسلامية وإحلال نظم الأسرة الغربية محل نظام الأسرة الإسلامي، وادعاء أن الشريعة الإسلامية لا تصلح كنظام للحكم في العالم المعاصر.
- هـ- التلاعب بالأحكام الإسلامية بحيلة المرونة في الشريعة واستغلال مرونة الشريعة الإسلامية في بعض الفروع التفصيلية لكسر الأصول الصلبة منها.
- و- خلط معنى التمسك بالمحمود بالحق بمعنى التعصب الجاهلي المذموم.
- ز- دس المفاهيم القومية الضيقة غير الإسلامية والمفاهيم الاشتراكية المخالفة لأحكام الإسلام، والمفاهيم الديمقراطية أو الدكتاتورية في حدودها التي لا تقبل بها الأحكام الإسلامية، ونحو ذلك ضمن عنوان الإسلام العام.
- ح- التلاعب بمعاني النصوص الإسلامية، على الطريقة الباطنية، القديمة، أو على الطريقة الاجتهادية المائعة الحديثة، التي أخذت تملئها وتصدرها المؤسسات الاستشراقية والتبشيرية، ومن ورائهما الدوائر الاستعمارية، والمنظمات اليهودية الماسونية.
- ط- محاولة صرف الشعوب الإسلامية عن اللغة العربية، لإبعادها عن مفاهيم الإسلام الصحيحة، التي تحتويها النصوص الأصلية المنزلة باللسان العربي المبين، ومحاربة اللغة العربية وقواعدها وكتابتها، وتاريخ الإسلام، بكل الوسائل التي رأي فيها الغزاة ما يحقق أهدافهم.
- ي- الطعن المباشر وغير المباشر في كافة مصادر الإسلام «القرآن - السنة - الإجماع - القياس - وبقيّة أدلة الأحكام ومصادرها» بدعوى «مسيرة الحداثة»، و«الاجتهاد وتجديد الخطاب الديني» كما فعل «إسلام البحيري» و«عدنان إبراهيم» و«أحمد ناجي الخيال» عندما طعنوا في كافة مصادر الإسلام وادعوا «أنسنة القرآن»

=



وطعنوا في السنة ورجالها، والفقه وأسسها، وهاجموا «أفهام العلماء» بضراوة، وتلاعبوا بشروحات العلماء في كتب التراث على طريقة الاستشراقين، ولم ينطق أحدهم بكلمة ولم يطبق منهجية النقد الحدائي على التراث الكنسي أو اليهودي أو حتى البوذي - كما فعلوا جاهدين متوترين متورين - مع تراثنا العربي والإسلامي.

التيارات المعادية للإسلام:

وحين نحاول حصر التيارات المعادية للإسلام تبرز أمامنا التيارات التالية:

- ١ - الإلحاد واللا دينية، والعلمانية، والليبرالية، واليسارية.
 - ٢ - القوميات الضيقة ذات المحتوى المابين للعقيدة الإسلامية أو لأحكام الإسلام أو لوحدة الأمة الإسلامية.
 - ٣ - الشيوعية، والاشتراكيات المسماة بالاشتراكية العلمية، والماركسية.
 - ٤ - الرأسمالية القائمة على الحرية الفردية المطلقة في مجال الاقتصاد والتي تبيح الربا والربح الفاحش والغش والاحتكار ونحو ذلك ولا تؤدى الحقوق التي فرضها الله.
 - ٥ - الوثنيات المختلفة القديمة والحديثة، ومن الوثنيات الحديثة عبادة المادة وعبادة الأوثان الوهمية كالوطنية، والقومية، وبعض الفنون، المنافرة للإسلام.
 - ٦ - الباطنية وذيلها ومخلفاتها.
 - ٧ - الاستعمار وأجراؤه وعملاؤه والعاملون في فلكه، والأحزاب السياسية الموصولة به، وما يعرف بمنظمات المجتمع المدني، والمراكز الثقافية الأجنبية الاستشراقية.
 - ٨ - الصليبية وأجراؤها والعاملون في فلكها، والأحزاب الموصولة بها.
 - ٩ - اليهودية العالمية، والصهيونية، والأحزاب العاملة في فلكها أو الموصولة بها كالماسونية ونواصي الليونز.
 - ١٠ - كل منظمة أو مؤسسة أو جمعية موصولة أو مدفوعة أو مستأجرة من قبل تيار من التيارات السابقة.
 - ١١ - دعم الفرق والجماعات الهدامة: كالبهائية والقاديانية والأحمدية والشيعة والطرق الصوفية لضرب الإسلام عقيدة وشريعة، وإشاعة الفرقة العقيدة والفكرية بين المسلمين.
- [ولمزيد من المعلومات راجع رسالة في الطريق إلى ثقافتنا للشيخ/ أبي فهر محمود شاكر من ص ٦٠ وحتى نهاية الرسالة ط..... الديني بالقاهرة، وكتاب «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» د/ محمد محمد حسين (٢٤٤/١) ط. دار الرسالة، وكتاب «بين المدنية العربية والأوربية» تأليف/ محمد كرد علي من ص ١٦٧ إلى ص ١٩٠ ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

=





وانظر كتاب «الإسلام والحضارة الغربية» تأليف أ/ محمد كرد علي (١/ ٣٥٢ إلى ص ٣٨٥) ط. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر وراجع أيضًا كتاب تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي (٢/ ٤٣٦) ط. مطبعة الأنوار المحمدية.

وراجع كتاب «الثغرات التي يتسلل منها الغزو الفكري وسبل تلافيها» تأليف د/ عبد القادر بن محمد عطا صوفي ص ٩، ص ١٠ ط. مكتبة العلوم والحكم.

راجع بحث «الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام» إعداد الأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن حسين حبنكة الميداني ضمن سلسلة بحوث مقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٣٩٦ هـ، من ٤٩٨ إلى ص ٥١٧ ط. إدارة الثقافة والنشر بالجامعة - المجلس العلمي (١٨).

وراجع أيضًا «سقوط العلمانية» للأستاذ الراحل/ أنور الجندبي ص ٢١، ص ٧٠ ط. دار الكتاب اللبناني، ومؤلفاته مثل:

«الإسلام والدعوات الهدامة» ص ٢٧٣ ط. دار الكتاب اللبناني، كيف يحطم المسلمون قيد التبعية والحصار ص ٧٩ ط. مؤسسة الكتب الثقافية.

وانظر كتاب «أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها» التبيشر - الاستشراق - الاستعمار لـ عبد الرحمن حسين حبنكة الميداني ص ٣٧، ٧٥ ط. دار القلم.

وانظر «أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي» للدكتور/ علي محمد جريشة، والأستاذ/ محمد شريف الزبيق ط. دار الاعتصام، (د - ث)

وانظر «علمانية المدفع الإنجيل - التحالف غير المقدس بين المدفع والإنجيل» للدكتور/ محمد عمارة من ص ٤٧ إلى ص ٧١ ط. مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، وانظر كتابه أيضًا «الإسلام والسياسة.. الرد على شبهات العلمانيين» من ص ٥٩ إلى ص ٧٣ ط. مكتبة الشروق الدولية.

كذلك انظر بحث «الإسلام.. فكرة وحركة وانقلاب» للأستاذ د/ فتحي يكن من ص ١٠ إلى ص ٣٥ ط. مؤسسة الرسالة، وانظر بحث «كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة» للشيخ/ عبد الرحمن حبنكة الميداني ص ٢٠٠ ط. دار القلم بدمشق، وكتاب «تحرير المرأة» لمؤلفه قاسم أمين - خاصة - المقدمة ص ١٥، ١٦ ط. مكتبة الآداب، وانظر الرد على هذا الكتاب «تربية المرأة والحجاب» تأليف/ محمد طلعت حرب. ط. مكتبة الآداب، وكتاب «عودة الحجاب» د/ محمد إسماعيل المقدم (١/ ٧٩-٨٦) ط. دار طيبة، وكتاب «واقعة المعاصر» للأستاذ/ محمد قطب من ص ٢٧٦ إلى ص ٢٨٥].

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

وحتى لا يُتهم الكاتب بأنه من المعتنقين لـ (نظرية المؤامرة) سأورد لك -أخي القارئ- شيئاً مما صرّح به كبار القوم، وما بدا من أفواه ساستهم (وما تخفي صدورهم أكبر)، لتدرك كيف كان هؤلاء ولا يزالون يخططون ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً للقضاء على الإسلام، واستئصال شأفته من الوجود.

وبدا هذا جلياً بعد ما جاهدت مؤسسات الهيمنة الاستعمارية الغربية، التي طاردت الدين واللاهوت في بلادها، وهمشت دور الكنيسة في مجتمعاتها قد ظلت وفية للروح الصليبية في مواجهتها مع الإسلام والمسلمين، واستمرت في استخدام الدين والكنيسة والتنصير سلاحاً في الزحف الإمبريالي على عالم الإسلام^(١).

فعلى سبيل المثال لا الحصر...

«لويس التاسع» هو قائد آخر الحملات الصليبية على بلاد المسلمين، وقد منّ الله على المسلمين بأسره، وظلّ في الأسر وقتاً ليس بالقليل، في هذا الوقت الذي أسر فيه خبر شيئاً من طبائع المسلمين وأخلاقهم، ودرس الكثير من أحوالهم، وتأمّل في سر قوتهم، وتعرف على سبب عظمتهم فأدرك أنه الاستمساك بالإسلام.

فلما أطلق سراحه وعاد إلى بلاده قال:

«إن التغلب على المسلمين بالسلاح وحده غير ممكن، وأن على أوروبا إذا أرادت التغلب

(١) وهدف هؤلاء من علمنة الإسلام والمسلمين، كسر شوكة المقاومة الإسلامية للاحتلال الغربي، وذلك عن طريق نشر ما يعرف بالإسلام الحدائي وتحويل الإسلام إلى روحانية فردية معزولة عن السياسة والاجتماع، وفتح الأبواب والميادين للكنائس لتنصير المسلمين، مع الاستعانة برؤوس العلمانية (ممن تربوا على أعين الغربيين) وذلك لإتمام عملية التغريب والتبعية والإلحاق.. كي يتأبد النهب الاقتصادي والمسخ الحضاري.. [راجع بحث.. علمانية المدفع والإنجيل لـ د/ محمد عمارة ص ١٧ ط. مكتبة الإمام البخاري].





على المسلمين أن تحاربهم داخل نفوسهم أولاً، وأن تقتلع العقيدة الإسلامية من قلوبهم»^(١).
وها هو عدد آخر للإسلام وأهله يقال له القس «صمويل زويمر» وكان آنذاك لا يشغل منصب «رئيس جمعيات التنصير»، ها هو يعبر عن بعض ما يحيك في صدره في مؤتمر القدس عام ١٩٣٥ م فيقول: «يجب أن نُعدَّ شباباً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد معرفتها، ويجب أن نخرجه من الإسلام بكل سبيل ممكن، ليخرج الشباب مطابقاً لما أردنا لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل، ويسعى للحصول على شهواته بأي أسلوب وتكون هدفه في الحياة»^(٢).

وهذا المنصّر «روبرت ماكس» يعلنها صريحة بلا موارد أو مدهانة عقدية أو سياسية فيقول: «لن نتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويُقام قداس الأحد في المدينة»^(٣).

ولم تتوقف الروح الصليبية عن عدائها للإسلام وأهله، فبعدما يقرب من أربعين عاماً على

(١) راجع كتاب «المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام» تأليف الأستاذ/ محمد محمود الصواف ص ٤٠ ط. دار الاعتصام.

(٢) انظر رسالة «الصراع بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي»، للأستاذ/ محمد قطب ص ١٤، ١٥ ط. مكتبة السنة، وانظر كتاب «جذور البلاء» للأستاذ عبد الله العقل ص ٢٧٥، ط. دار القلم، ولمعرفة المزيد عن تصريحات أعداء الإسلام ومخططاتهم الآنية والمستقبلية.. أنصح بمراجعة كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون» ترجمة د/ إحسان حقي ط. دار النفائس، وكتاب «أحجار على رقعة الشطرنج» لمؤلفه: وليام غاي كار ترجمة: سعيد جزائري - خاصة - مقدمة المترجم والمؤلف من ص ٧ إلى ص ٤١ ط. دار النفائس.

(٣) راجع كتاب «استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي» للدكتور/ محمد عمارة ص ٢٣ ط. مركز دراسات العالم الإسلامي، وأنصح بالاطلاع على بحث (٣٧ نصيحة للمنصرين في العالم الإسلامي) لأبي إسلام أحمد عبد الله ص ٦، ٩ ط. التنوير الإسلامي، وبحث «٧٧٨ خطة للتنصير ونشر الإنجيل» لأبي إسلام أحمد عبد الله ص ٢٤، ٤٦ ط. التنوير الإسلامي.

انتصار الثورة الفرنسية - ذات التوجه العلماني المتوحش - والتي همشت النصرانية وكنيستها - نجد الروح الصليبية حية ومتوقدة وحاقدة في مواجهة الإسلام وحضارته، ومما يُذكر في ذلك:

أن رفاة الطهطاوي [وكان شاهد عيان عند احتلال فرنسا للجزائر ١٨٣٠م إذ كان يومئذ مقيمًا (بباريس) ذكر أن المطران الفرنسي الكبير لما سمع بأخذ الجزائر، قال يومها للملك «شارل العاشر» «إنه يحمد الرب على كون الملة المسيحية قد انتصرت نصرًا عظيمًا على الملة الإسلامية، وما زالت كذلك»^(١)

وبعد قرنٍ من الزمان على احتلال فرنسا للجزائر... احتفلت فرنسا العلمانية بمرور قرنٍ على احتلالها لهذا البلد المسلم وذلك ١٩٣٠م، ويومئذ لم تنس فرنسا الروح الصليبية المعادية للجزائر المسلمة، والحاقدة على إسلام الجزائريين.. فخطب أحد كبار الساسة الفرنسيين في مهرجانات هذه الاحتفالات، فقال: «إننا لن نتصر على الجزائر ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم، وأن نفتلح العربية من ألسنتهم»^(٢).

وخطب سياسي آخر فقال: «لا تظنوا أن هذه المهرجانات من أجل بلوغنا مائة سنة في هذا الوطن، فلقد أقام الرومان قبلنا فيه ثلاثة قرون، ومع ذلك خرجوا منه، ألا فلتعلموا أن مغزى هذه المهرجانات هو تشييع جنازة الإسلام بهذه الديار!!»

وقال أحد كرادلة الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية - بهذه المهرجانات - «إن عهد الهلال في الجزائر قد غُبر، وإن عهد الصليب قد بدأ، وإنه سيستمر إلى الأبد وإن علينا أن نجعل الجزائر

(١) راجع علمانية المدفع والإنجيل ص ١٨.

(٢) المصدر السابق ص ١٩.





مهذا لدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بنور مدينة منبع وحيها الإنجيل»^(١).

وهذا يتضح لنا أن العلمانية الأوربية تكييل بمكيالين: فهي تطارد المسيحية في بلادها في الوقت الذي تجعل العلمانية مطية لمطاردة الإسلام إبان الزحف الإمبريالي على بلاد المسلمين^(٢).

وهذا كله يحدث برعاية القوة الأمريكية -الفرعونية والقانونية- بواسطة «التحالف المسيحي واليمين الديني والمحافظين الجدد والصهيونية العالمية ضد ما سموه الأصولية والإرهاب والجهاد الإسلامي»

ولم تتوقف جهود هؤلاء لمحاربة الإسلام وغزو المسلمين -لا سيما- في السنوات الأخيرة بدعوى «صراع الحضارات»

حيث وجدنا الكثير من مفكري الغرب يحذرون من خطر الإسلام، فعلى سبيل المثال تنبأ (أرنولد توينبي) (arnold Toynbee) منذ خمسينات القرن الماضي بأن الإسلام سيكون القوة الكبرى الصاعدة التي سيتعين على حضارتنا مواجهتها قبل نهاية القرن»^(٣).

لم يتوقف الأمر عند تصريحات بعض المفكرين أو المراكز البحثية كمؤسسة راند، وغيرها، بل وجدنا على الجانب الحكومي الرسمي لبعض الدول أن العداء للإسلام بات حقيقة مؤكدة، حيث نظقت ألسنة أقطاب النظام الدولي بها، وترجمتها أفعالهم إلى واقع محسوس.

(١) المصدر السابق ص ١٩

(٢) المصدر السابق ص ١٩

(٣) راجع كتاب «أعداء الحوار، أسباب اللا تسامح ومظاهرة» تأليف: مايكل أنجلو ياكوبوتشي، ترجمة د/ عبد الفتاح حسن من ص ٢٨٣ إلى ص ٢٩٠، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠ م.

فمثلاً: في إطار حملته الانتخابية عام ١٩٩٢م صرّح الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش بما يحمله في صدره عن حقيقة شعوره تجاه الإسلام والمسلمين، فقال: «إني هنا أمثل أمريكا التي تمثل بدورها الحضارة اليهودية المسيحية التي تقوم عالم اليوم بلا منافس».

وفي سبيل تقرير ذلك عملياً نشرت مجلة «نيوزويك» الأمريكية -إبان- الحرب على العراق عدد ١١ - ٣ - ٢٠٠٣م أن الرئيس الأمريكي «بوش الصغير» قد أقنع نفسه، وأعلن أن حربه على العراق هي «حرب عادلة، وفق المفهوم المسيحي» كما شرّحه القديس أغسطين [٣٥٤ - ٤٧٠م] في القرن الرابع، وكما فصله كل من القديس توما الإكويني، ومارتن لوتر وآخرون، وأنه رأى بوش - قد «نبش كلمة الأشرار» التي أطلقها على العراق وأفغانستان وإيران - وكل قوى الممانعة الإسلامية - من سفر المزامير وأنه يبدأ عمله صباح كل يوم بالمطالعة - بناء على توصية القس «بيل جراهام» في كتاب القس «أوزوالد شامبرز» الذي مات ١٩١٧م وهو يعظ الجنود البريطانيين والأستراليين بالزحف على القدس لانتزاعها من أيدي المسلمين.

كما نشرت المجلة -الأمريكية- في ذات العدد، دعم «المؤتمر الممعداني الجنوبي» وقساوسته السياسيين - من أمثال «ريتشار لاند» و«فرانكلين جراهام» لغزو العراق، ولتنصير المسلمين فيه، وبعبارة مجلة «نيوزويك»: «فإن هؤلاء المبشرين الإنجيليين لا يخفون رغبتهم في تحويل المسلمين إلى المسيحيين، حتى ولا سبياً في بغداد»^(١).

وفي نفس السياق نشرت «نيويورك تايمز» في عددي (٥، ٦) من شهر أبريل ٢٠٠٣م - إبان غزو العراق - أن جيشاً من المنصرين الأمريكيين قد صحب الجيش الأمريكي الزاحف على العراق من الكويت لتقديماً لدعم المادي والروحي للشعب العراقي باسم يسوع المسيح.

(١) راجع مجلة «نيوزويك» في ١١/٣/٢٠٠٣م.





ومن بين هؤلاء المبشرين «فرانكلين جراهام» -الذي دشن حفل تنصيب «بوش» رئيسًا لأمريكا- والذي وصف الإسلام بالشر والعنف والإرهاب.

ووالده «بيل جراهام» الذي وصف بني الإسلام بأنه إرهابي ووثني.

ولقد تحدثت «نيويورك تايمز» في عددها الصادر في تاريخ ٦/٤/٢٠٠٣ عن العقيدة المسيحية الصهيونية الموجهة لأركان الإدارة الأمريكية - التي شنت الحرب على العراق- والتي أعلنت الحملة الصليبية ضد الإسلام في ١٦/٩/٢٠٠١م فقالت: الصحيفة الأمريكية: «إن السيد «كولن باول» يصف نفسه بأنه عاشق للطقوس الكنسية المسيحية الصهيونية، والسيدة «كوندليزا ريس» كان والدها قسيسًا بإحدى كنائس المسيحية الصهيونية بولاية ألاباما و«ديك تشيني» يؤمن بنفس المنهج التبشيري للرئيس جورج بوش، والقائم على فكرة أن الطرق إلى استئصال الإسلام يبدأ بالمدفع والإنجيل.

ونفس الأمر ينطبق على وزير الدفاع «دونالد رامسفيلد» في حين تؤثر ديانة «بول وولفوتيز» اليهودية -على توجيهاته السياسية- مما دفع بعض المراقبين للقول: «إن سياسة الخارجية للإدارة الأمريكية الحالية تتم صياغتها والتعبير عنها طبقًا للمعتقدات التنصيرية، وتقسيم العالم إلى مؤمنين ووثنيين».

وصرّح «دان كويل» نائب الرئيس الأمريكي الأسبق/ جورج بوش: أن أحط ثلاث حركات في القرن العشرين هي: النازية، والشيوعية، والحركة الإسلامية.

وعن الفكرة نفسها عبر «ريتشارد سيفتر» [مساعد وزير الخارجية الأمريكية الأسبق] بقوله: إن الإسلام يمثل تهديدًا كبيرًا للاستقرار العالمي^(١).

لقد أعلن هذا الغرب الإمبريالي الحرب على الإسلام وأمتة وحضارته وعالمه، وعن هذه

(١) نقلًا عن [صحيفة الأسبوع] القاهرة - في ١٤/٤/٢٠٠٣م.



الحقيقة كتبت مجلة [شئون الدولية] الصادرة في «كمبردج» بلندن - عدد يناير ١٩٩١م، تقول: «لقد شعر الكثيرون بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحلّ محلّ التهديد السوفيتي وبالنسبة لهذا الغرض فإن الإسلام جاهز في المتناول»!!

إن أوروبيين كثيرين يتساءلون عمّا إذا كان من الممكن جعل الإسلام يقبل بقواعد المجتمع العلماني بهدف استئصاله^{(١)(٢)}.

(١) هذا هو الهدف الحقيقي المعلن لهؤلاء فهم لا يخافون من أيديولوجية معينة لدى بعض من أبناء الإسلام، وإنما هو خوف من الإسلام ذاته، إنهم يخالفون من ظهور الإسلام مرة ثانية من خلال أسلمة الدولة في نظمها وإيقاع حياة أفرادها، بحيث يلعب الدين الأكبر في المجتمع الإسلامي - خاصة - في مصر. يقول «ستيفن كوك»: على المعارضة المصرية أن تقلق من «أسلمة» الدولة أكثر من الأخونة [راجع جريدة المصري اليوم الأربعاء ١٥ / ٥ / ٢٠١٣م].

وهذا يؤكد أن هؤلاء يعملون عملاً حثيثاً للصدّ عن الإسلام بتبني أفكار الحضارة الغربية الحديثة القائمة على التحررية الليبرالية والعلمانية الصريحة وفصل الدين عن الدولة، وتمكين «المجتمع المدني». - وقد حرص هؤلاء وأذنابهم في بلادنا على تخدير شعوبنا المسلمة وتغيير مصطلحات خطابهم، ونسق جمل أطروحاتهم، طلباً لتحقيق أهدافهم.

يقول أحد عتاة العلمانية العربية (عزمي بشارة الفلسطيني): إن ازدياد استخدام المثقفين العرب لمفهوم «المجتمع المدني» راجع إلى الحاجة لوضع أيديولوجية جديدة بيد خطاب التحديث الفاشل في الوطن العربي في مواجهة الخطاب الإسلامي، ليس الهدف إذن فهماً أفضل لآليات تطور المجتمع المدني، وإنما أداة في مكافحة المد الإسلامي.

(٢) راجع كتاب [المجتمع المدني، دراسة نقدية] - عزمي بشارة ص ٢٧١ ط. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٨م.

وهذا يتبين أن «العلمانية ليست دعوة علمية خالصة لوجه الحق، ولم تكن تستهدف تحرير الإنسان العربي، وإنما كانت تستهدف إخراجه من ذاتيته وقيمه ومزاجه النفسي وتركيبه الاجتماعي كله، لتقذف به في أتون العالمية والأممية.

وفي كلمات وجمل محددة، فالنظام العلماني يرى - مثلاً - أن المناداة بالشرعية:

١ - تعصب وتشدد، وتعزيز لمشاعر السخط لدى الأقليات والفتات.

=





إن الإسلام، من بين الثقافات الموجودة في الجنوب، هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة، ليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدٍّ فعلي وحقيقي لمجتمعات يسودها مذهب اللا أدريّة وفتور الهمة واللا مبالاه، وهي آفات من شأنها أن تؤدي إلى هلاك تلك المجتمعات مادياً، فضلاً عن هلاكها معنوياً^(١).

وقد اتضحت هذه الحرب الممنهة على الإسلام وأهله منذ بداية ٢٠٠٠م، وحتى ظهور ما يعرف بـ (ثورات الربيع العربي) في كثير من بلاد عالمنا الإسلامي السنيّ، وقد أظهرت (وثائق بنما) مدى التخطيط المحكم لأعداء الإسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والواقع يشهد بنجاح أعداء الأمة في بعض مخططاتهم فشلبنا -إلا من رحم ربي- لا

٢- محاربة مفهوم المواطنة، لتجعل من غير المسلمين درجة ثانية.

٣- جعل التشريع الإسلامي [الذي يحوي غيبات وأساطير]، هو بمثابة إلغاء لحقوق الفرد في حريته الفكرية والثقافية.

٤- تغذية مفاهيم العنصرية والطائفية والفئوية على حساب الدولة ومفهوم المواطنة، وهذا ينافي مفهوم التسامح الإسلامي وثقافته.

٥- يترتب على الدعوة إلى «إيجاد أمة إسلامية واحدة مما يقضي على خصوصية كل دولة، وحق المواطنة وانتماء كل فرد إلى وطنه، مما يؤدي إلى انتهاك سيادة الدول.

٦- احتكار العمل السياسي وتغيب الشراكة.

وأمام كل هذا يرمي هؤلاء الغربيون أنه لا أيديولوجية في المستقبل تشكل ندًا أو طرحًا نقيضًا للأيديولوجية الليبرالية الغربية، وهو طرح بعض مفكري الغرب الليبراليين -لا سيما- (فوكوياما) وكتابه (نهاية التاريخ) راجع كتاب «سقوط العلمانية» لـ أنور الجندي ص ٧، ١١، ١٣ ط. دار الكتاب اللبناني، ومقال «الديمقراطية الغربية ونهاية العالم» لـ «حازم محفوظ» جريدة الشعب ١٤/١١/٢٠١٤م..

(١) راجع مجلة [شئون دولية] عدد يناير ١٩٩١م، ملف عن الإسلام والمسيحية لعالم الاجتماع (إدوارد مورتيمر) العدد السنوي: ديسمبر ٢٠٠١م، فبراير ٢٠٠٢م، وأنصح بالاطلاع على ملحق مجلة البيان العدد (٢٥٥) - ذو القعدة ١٤٢٩هـ - عن الانتخابات الرئاسية الأمريكية، وانظر التقرير الاستراتيجي السادس ١٤٣٠هـ الصادر عن مجلة البيان.

يعرف شيئاً في شيء، خاصة في أمور دينه وشرعه، بل كل ما يعرف هؤلاء الإقبال بنهم على الخمر والفجور والقمار والربا بشتى صوره وأنواعه، والانغماس في الحياة المادية الخالصة بدعوى «المدنية»

فانحرف أكثرهم عن نهج الإسلام القويم، واستهوتهم المظاهر الخداعة الوافدة مع الغزاة المحتلين لبلادنا المسلمة المترامية الأطراف.

حتى أضحى أكثر شبابنا العربي المسلم ضعيف العقيدة، هزيل العبادة، مختل السلوك، حتى أن بعضهم لا يعرف في هذه العصور فروض الأعيان^(١)، بل صار ألعوبة في أيدي أصحاب الفلسفات الضالة والمذاهب الفكرية المنحرفة، حتى صارت العلاقات الجنسية والنزعات الإباحية هدفاً لدى كثير من شبابنا نتيجةً لدراسات تعليمية فلسفية ك «دراسة فلسفة فرويد، والتي تهدم الأخلاق وتعلي من شأن الجنس، وترجع كل الميول والعلاقات الاجتماعية إلى الغريزة الجنسية، فضلاً عن ظهور دعاة تحرير المرأة المسلمة من ربقة دينها وشرع ربها»^(٢).

كذلك فقد سلكت وسائل الإعلام المختلفة نفس المسلك التدميري لهوية الأمة وعقيدتها

(١) فرض العين: هو ما توجه فيه الطلب من الشارع إلى كل مكلف فلا يسقط قيام البعض به المؤاخذه عن الباقين، كالصلوات الخمس فإنها واجبة على كل مسلم [راجع في ذلك: نزهة الخاطر العاطر. لابن بدران (٩٩/١) مطبوع مع [روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد] تأليف: موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة ط. دار الزاحم للنشر والتوزيع، وانظر أيضاً: «معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة» تأليف محمد بن حسين بن حسن الجيزاني ص ٢٩٩ ط. دار ابن الجوزي، ومذكرة «أصول الفقه للشيخ/ محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق الشيخ/ سامي العربي ص ٣٤ ط. دار اليقين، وانظر: المهذب في أصول الفقه المقارن» تأليف د/ عبد الكريم النملة (١/ ١٦١) ط. مكتبة الرشد بالرياض.

(٢) راجع «بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة» تحت إشراف الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق - شيخ الأزهر الراحل ٣٩٤/٤ ط. الأزهر الشريف.





وفكرها ابتغاء الربح الوفير وكثرة الغنى من جانب، واتباعاً لأوامر السلطات الحاكمة من جانب آخر، الأمر الذي دفع شباب الأمة إلى الانحراف، وأدى بالأسر إلى الفساد، وأنتج انهياراً واضحاً في الفضائل الأخلاقية والاجتماعية، ونشر الفوضى الهدامة لكل الثوابت العقدية والمجتمعية^(١).

والواقع المرير يشهد على نجاح أعداء الأمة، كما قال الله: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

فهم ينفقون المليارات والطاقات والأعمار ليصرفوا الأمة عن دينها، وينتجوا جيلاً لا يعرف الصلة بالله، ولا يهتم بديانته، وإنما يعشق سفساف الأمور.

هذه الحرب على الإسلام والمسلمين تستهدف الإسلام وأهله أصلاً وفرعاً، ديناً وكياناً، تراثاً، وتاريخاً، جماعات وأفراداً عقيدة ومبدأ، داراً ووطناً، رزقاً ومتاعاً، ومالاً ونظاماً، فهم يعملون منذ زمن بعيد على استئصال الإسلام من جذوره خوفاً من استيقاظ المارد الإسلامي من نومه^(٢).

(١) وعليه فإن على المسلمين الصادقين معرفة العلاج الناجح لمصيبة تسلط عدوهم على بلادهم ومقدراتهم ودينهم، وأن يتفطنوا إلى أن مصيبة المسلمين ليست في العدو الخارجي فحسب، وإنما تكمن أيضاً في تولية أكابر المنافقين والعلمانيين مقاليد الأمور، وهم أصل كل بلاء وفتنة إما أصالة أو شراكة ﴿هُرَّ الْعَدُوُّ فَأَحْذَرَهُمْ﴾ [المنافقون: ٤].

(٢) تعجبت كثيراً من خوف الأعداء من أمتنا المسلمة رغم أننا أمة مهزومة حضارياً، ومع هذا يخافون منا، ويريدون سحق ديننا، وهذا عجيب في منطق الغالبيين، إذ لا ينبغي للأمة القاهرة الظافرة من الغربيين وأذنانهم أن يحاربوا بشراسة المغلوبين المقهورين مادياً ومعنوياً وعقدياً.

فهمت بعد ذلك أن كبار منظري القيادات الغربية يعتقدون أن عليهم انتهاز الفرصة قبل إفاقة المسلمين من غفوتهم، حتى إن أحدهم ألف كتاباً بعنوان «انتهزوا الفرصة»، فهم يدركون أننا في اوضاع استثنائية لن تدوم، وأن ما يفعله

=



* التحلل من القيم الدينية والأخلاق السلوكية:

اهتم الإسلام بإقامة دعائم العفاف في المجتمع، فحُصِّ على الأخلاق الحميدة، ونهى عن الأخلاق الرذيلة، واهتم بإغلاق أبواب الانحراف والانحلال، حتى أضحت سمة العفاف سمة ملازمة للمجتمع المسلم الصالح ولل فرد المسلم الصالح، ولكن من سنة الله الجارية أن هذه الأمة ستسلك سبل الأمم السابقة حذو القذة بالقذة، وأولئك كانوا على العفاف حين كانوا على الحق وعلى منهج الأنبياء، قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

وهذا بعينه ما وقع لأقوام من هذه الأمة - لا سيما - الشباب، فقد تبدلت وتغيرت المعايير السلوكية والأخلاقية لدى كثير من شبابنا الذين ينتسبون لهذا الدين العظيم، حتى أضحي الانحلال الأخلاقي لدى كثير من هؤلاء - خاصة - في بعض البلدان هو السمة الظاهرة - ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا التفسخ الأخلاقي الناتج عن الشهوات البشرية، التي جبل عليها الإنسان، فهذه الشهوات مستعرة في النفوس فإذا لم يزمها دين يردع المرء عن الحرام أو شك أن يكون أسيراً لها^(١).

هؤلاء من إهانات ممنهجة للإسلام والدين، والعرب والمسلمين سيكون سبباً في إهلاكهم إلى الأبد - إن شاء الله - وقد أشار إلى ذلك «شارل مونتسكيو» في كتابه «روح الشرائع» ترجمة (عادل زعير) ص ٢١٤ ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٠م، حيث ذكر أن عدم احترام عادات وعقائد الشعوب سبب للثورة الدامية، كما حدث مع فرنسا عند احتلال إيطاليا وعدم احترام عقائد الإيطاليين وعاداتهم، حيث طردت فرنسا من إيطاليا. (١) راجع (مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر) تأليف د/ عبد الرحمن معلل اللويحق (٢/ ٥١٦) ط. مؤسسة الرسالة، وانظر رسالة (صلة الأخلاق بالعقيدة والإيمان) للشيخ سليمان بن صالح الغصن (ص ٥٦، ٥٧)، ط. دار العاصمة.





وهناك أسباب كثيرة أدت بالأمة إلى هذا التدهور الأخلاقي والسلوكي منها:

١ - ضعف التربية الأخلاقية (والسبب في ذلك) أن أكثر مجتمعاتنا لم يربوا على القيم الأخلاقية وأنها جزء من الدين، وهي أوامر شرعية لا خيار للمؤمن والمؤمنة في أخذها أو رفضها.

وإنما ربوا على العادات والتقاليد، ومعلوم أن العادات والتقاليد تبلى وتتغير بحسب تغير الأزمان، وتقدم العصور، وقد ظهر هذا عند النظر في دوافع المدافعين عما يسمى بـ (قضية المرأة) والتي يستغلونها كـ (نقطة ضعف) في مجتمعاتنا، -زعموا-، فدعوا إلى إخراج الدين من القضية^(١).

(٢) البعثات الطلابية إلى البلاد الغربية: والتي أدت إلى إصابة جمهرة من شباب المسلمين بما يمكن تسميته بـ (صدمة الحضارة) إذ انتقلوا من بلاد تعاني التخلف إلى بلاد متقدمة، فأرادوا الأخذ بكل ما رأوه هناك، وكان أول ذلك العادات والأخلاق التي يساعد على أخذها نزعات الأهواء والشياطين^(٢).

وقد دافع أحدهم (وهو رفاة الطهطاوي) عن هذه الحياة الغربية، وزعم أن الرقص نوع من الفن والثقافة - كما عند الفرنسيين - فقال: «إن الرقص عندهم من الفنون، فهو نظير المصارعة في موازنة الأعضاء، ودفع قوى بعضها إلى بعض، فليس كل قوي يعرف المصارعة، وما كل راقص يقدر على دقائق حركات الأعضاء، وفي فرنسا يتعلق بالرقص كل الناس، بخلاف الرقص في أرض مصر، فإنه من خصوصيات النساء لأنه لتهييج الشهوات، أما في

(١) راجع (واقعنا المعاصر) للأستاذ/ محمد قطب ص ٢٧٣، ٢٧٤ ط. مؤسسة المدينة بجدة.

(٢) انظر الإسلام والحضارة الغربية للأستاذ/ محمد محمد حسين ص ١٧، ١٨ ط. دار الإرشاد، وكتاب (عودة الحجاب) د/ محمد إسماعيل المقدم (١/ ٢٥) ط. دار طيبة.



باريس فإنه نمط مخصوص لا يشم منه رائحة القهر أبدًا، وكل إنسان يعزم امرأة ترقص معه، فإذا فرغ من الرقص عزمها آخر للرقصة الثانية، وهكذا سواء كان يعرفها أم لا»^(١)

٣- التأثير بالوجه المنحل للحضارة الغربية: حيث لم يأخذ كثير من أبناء هذه الأمة عن البلاد الغربية إلا أسوأ ما عندهم حيث أقبل كثير منهم على الخمر والفجور والقمار والربا، ثم دبّ ديب التهاون في تطبيق أوامر الدين فتكاسل أكثر الناس عن أداء العبادات والعقائد وغيرها من أنواع الانحلال، فتكاسل الناس عن أداء العبادات وانتشرت في الجو ضروب من الفلسفة والمذاهب الهدامة، فاستمالت قطاعات من الشباب، وصارت العلاقات الجنسية والنزعة الإباحية الشغل الشاغل للسينما والمسرح والقنوات الفضائية، وتابعتهم على ذلك الكثير من المجلات والصحف ابتغاء وفرة الربح والدخل فانحرف الشباب وفسدت روابط الأسرة ثم عمّ السيل وطمّ فانهارت الفضائل الاقتصادية والاجتماعية^(٢).

(١) راجع كتاب (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) لمؤلفه (رفاعة رافع الطهطاوي) ص (٢١٣) ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة التنوير ١٩٩٣ م.

(٢) للتوسع حول هذه الجزئية.. أنصح بقراءة (بحث سوء الخلق - مظاهره - أسبابه - علاجه)، تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد (من ص ٦٢: ص ٧١) ط. وكالة المطبوعات والبحث العلمي - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية.





ومظاهر التحلل من القيم والأخلاق الإسلامية:

لعلّ من أبرز هذه المظاهر شيوع (الانحرافات الجنسية) التي يقع فيها بعض الناس كالزنا والسحاق واللواط وهي أمراض جاهلية حرمها الإسلام وحاربها وقبل البدء في إيضاحها لا بد من بيان حقيقتها الشرعية.

- فالزنا مثلاً: هو كل وطء وقع على غير نكاح صحيح أو شبهة نكاح أو ملك يمين وهذا متفق عليه بالجملة بين علماء المسلمين^(١).

- واللواط: مصدر (لاط) الرجل لواطاً ولاوط أي: عمل عمل قوم لوط^(٢).

- والسحاق: (فهو الدق أو دون الدق) والسحق: الثوب البالي، والسحق: البعد امرأة ساحقة [نعت سوء وهو مباشرة دون الإيلاج]^(٣).

- بواعث الانحرافات الجنسية في عالم الشباب كثيرة، منها: -

أ- التصورات الخاطئة لدى بعض الشباب من أن التلذذ الجنسي مع عددٍ غير محدود من الجنس الآخر يحقق المتعة واللذة.

ب- المثيرات الإعلامية في كافة الصحف والمجلات والروايات الأدبية، فضلاً عن الفيديو، ولا تنس دور السينما والمسرح والتلفاز -عموماً- في نشر العري والفواحش.

* من مظاهر التحلل من القيم والأخلاق الإسلامية:

- انتشار ظاهرة التبرج والسفور.

(١) راجع (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) لمحمد بن أحمد بن محمد بن رشد (٢/ ٤٦٧) ط. مكتبة الكليات

الأزهرية، وانظر (تفسير أضواء البيان) للشيخ/ محمد الأمين الشنقيطي (٥/ ٣٧١) ط. دار الفكر.

(٢) انظر (المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني (ص ٤٥٦)، ط. دار المعرفة، بيروت.

(٣) راجع (القاموس المحيط) للفيروز أبادي (٣/ ٢٤٤) ط. دار الفكر.



- القنوات الغنائية التي تعرض الفيديو كليب الراقص.

- التأخر في سن الزواج.

- انشغال الزوجين عن بعضهما البعض.

- التربية الفوضوية والحريات المطلقة بغير قيد أو شرط.

هذه بعض الأسباب المؤدية للفوضى الأخلاقية والجنسية، وبسببها أصبح العالم الإنساني -عامة-، والإسلامي -خاصة- يعيش حالة من الإثارة الجنسية العارمة المنذرة بالهلاك والدمار، فلا يكاد الإنسان ينظر يمينه أو شماله إلا ويجد تلك الإثارة التي تدغدغ الرغبات الجنسية في الرجل والمرأة وتلهب نار الشهوات بينهما، وإن الناظر للشوارع مثلاً يجد أن الرجال يختلطون بالنساء المتبرجات اختلاطاً مستهتراً ويجهرن ببعض عبارات الغزل، والإغراء بالفاحشة بين الجنسين^(١)، وقد انطلقت عيون الشباب تترقب نظرة أو حركة من الفتيات المتهتكات حتى يلحقوا بهنَّ أملاً في تحقيق مآربهم الخبيثة.

وانتشرت العلاقات المحرمة بين الشباب والفتيات بما يعرف بـ «الارتباط»، وظهرت ظاهرة «إدمان المواقع الإباحية»، والكلام المحرم على «الشات»، و«الخاص»، و«الفيس بوك»، فضلاً عن انتشار ظاهرة «التحرش الجنسي» في الشوارع والطرق بشكل علني.

وقد زادت الانحرافات الجنسية وشاعت في بعض البلاد المنتسبة إلى الإسلام حتى وصل الأمر إلى إباحة الزنا في قوانينها، وتنظيم عملية البغاء، والمطالبة بالسماح بفتح دور للدعارة المنظمة، إلى جانب الترخيص بفتح الملاهي، والمراقص، مما يسوق هذه الدول وأنظمتها إلى الهلاك والهاوية، بل إنَّ الفوضى الجنسية العارمة أدت إلى انتشار ظاهرة «العادة السرية» وهي: العبث في الأعضاء التناسلية بطريقة منتظمة ومستمرة بغية استجلاب الشهوة والاستمتاع

(١) راجع رسالة «الحجاب» لأبي الأعلى المودودي ص ٤٤، ٥٢ ط. الدار السعودية للنشر.





بإخراجها، كذلك انتشر الشذوذ الجنسي والسحاق بصورٍ جديدة ومنظمة وقوية - خاصة -
[عبر الشبكة العنكبوتية الإنترنت]^(١)، مما جعل قضية المثلية والتي هي إكتفاء الرجل بالرجال،
والنساء بالنساء، مشكلة خطيرة تنذر بالهلاك، وانتشار أمراض جديدة فتاكة لا علاج لها^(٢).
ويستمر مسلسل «الانحرافات الجنسية» - خاصة - وأن أمتنا ابتليت بإعلام يقوم على
تسييس «الفجور» وتقنين «الفواحش» حتى تصبح مكوناً رئيساً من الشخصية المعاصرة -
وإننا لله وإننا إليه راجعون^(٣).

-
- (١) راجع كتاب مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة للدكتور/ عدنان حسن صالح باحارث
ص ٤٢٥ ط. أصدقاء المجتمع.
(٢) راجع هذه المسألة في كتاب (الإسلام والمشكلة الجنسية) تأليف د/ مصطفى عبد الواحد ص ٢٣، ٨٧ ط. دار
الاعتصام بالقاهرة.
(٣) للتوسع راجع كتاب «التبرج الميسس» للشيخ/ عبد الله بن عبد الرحمن الوهبي ط. مركز تكوين.

الحصاد المرُّ

وبسبب ما يعانيه الشباب المسلم المعاصر من مشكلة الانحلال الأخلاقي لكثير من مجتمعاتنا المعاصرة، ينشأ لديه نوع من أنواع الصراع النفسي والجنسي، والسبب في ذلك: هو التناقض بين المبادئ والقيم الدينية وبين ما يراه الشاب في المجتمعات من ابتذال للجنس في البيت والشارع ووسائل الإعلام (في الأغاني والأفلام والإنترنت) وهنا يقع في صراع حاد بين المبادئ التي يسميها وبين الممارسات الاجتماعية الفعلية^(١).

مما يولد لديه -غالبًا- سلوكًا شاذًا خارجًا عن المألوف والمعتاد بسبب عدم القدرة على إشباع الحاجات العضوية (كالحاجة إلى الزواج والعفاف)^(٢).

ولقد أجريت دراسة علمية على الشباب المصري بين عامي (٢٠٠٠م، ٢٠٠١م) فكتشفت تلك الدراسة عن أن ٣٢٨٪ من عينة الدراسة تعاني من مشكلات جنسية، ورغم ما يبدو من الانخفاض الظاهري لدرجة المعاناة إلا أن من الواضح أن هناك من يشبع غرائزه بطرق محرمة، أو من يمنعه حياؤه من إبداء معاناته من هذا الأمر^(٣).

-
- (١) انظر كتاب «الشخصية السوية» للدكتور/ سيد عبد الحميد مرسي ص ٦٨، ٦٩. نشر مكتبة وهبة بالقاهرة.
- (٢) انظر كتاب «الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام» لـ د/ محمد عودة محمد ود/ كمال إبراهيم موسى ص ٧١ ط. دار العلم - الكويت.
- (٣) انظر كتاب «الشباب والمجتمع»: ملامح الاتصال والانفصال لد/ علي ليلة ص ١٧٧، ١٧٨ ط. مكتبة الحرية الحديثة للنشر.





الخلاصة: إن كثيرًا من المجتمعات صارت مفتوحةً أمام (الفوضى الأخلاقية) (١).

(١) * الحلول العلمية لهذه المشكلات:

* بعد أن تبين لك - أخي الشاب - خطورة مثل هذه الانحرافات الجنسية على الفرد والمجتمع، وأثر ذلك عليك - أخي الشاب - وعلى أسرتك وعلى إخوانك ورفاقك، كان لزامًا أن نقدم نوعًا من أنواع الحلول العلمية والعملية والتي أسأل الله أن ينفع بها كل من قرأها:

أولاً: الحلول العلمية:

١ - تعرف على عظمة منْ تعبد:

لأن الإنسان إذا أدرك عظمة الإله الذي يعبد، فإنه ولاشكَّ يزداد حبه له وتعظيمه إياه، وأنه إذا استقرَّ في النفوس السوية أنه ما من مصنوع إلا وله صانع، وما من موجود إلا وله موجد، فإن ذلك كله يدعو المرء لتعظيم ربه وحبه إياه، فإذا نظرت مثلاً إلى السماء الجميلة ذات البروج والنجوم المضيئة اللامعة، وإلى الأرض المزهرة والماء، وإذا نظرت إلى الكواكب والنجوم تجدد ما يدعو إلى التعجب والتأمل، فكل شيء يسير في مداره دون أدنى اختلاط، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، قال البيهقي: يعني انظروا إلى الآيات الواضحات والدلالات النيرة، وهذا لأنك إذا تأملت هنيهة هذا العالم بصرك واعتبرتها بفكرك، وجدته كالبيت المبنى المعد فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد، فالسماء مرفوعة كالسقف المرفوع، والأرض مبسوطة كالسطح والنجوم متقدة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، والزرور والنبات مهياة للمطاعم والملابس والمآرب، وصنوف الحيوان مسخرة للمراكب مستعملة في المرافق، والإنسان كالملك الذي يعيش في هذه الحياة، وفي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام وأن له صانعاً حكيماً تام القدرة بالغ الحكمة. [راجع الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة للإمام الحافظ أبي بكر البيهقي ص ٧. تصحيح ونشر أحمد محمد موسى الناشر: حديث أكاديمي، نشاط آباد فيصل آباد، باكستان]،

فبعد النظر في الكون وفي مخلوقاته وبعد الاستمتاع بهذا الكون الجميل، والتأمل في عجيب صنع الله، ولا شكَّ بعد تعرفك على هذه النعم وعلى عظمة وجلال وكمال المنعم، فإنك قد تُحسُّ بالحياء من الله تعالى لما يراه الله منك من التقصير في حقه سبحانه، ولما يعلمه من تجرؤك عليه بالإتيان بالمحرمات والاكتراث بالمكروهات وغيرها في كثير من الأوقات خاصة - في أوقات الخلوات...

ألا فاقدر لربك قدره، وخَفْ من بطش ربك بعد حلمه عليك وستره لك..

٢ - فإذا علمت قدر ربك ومدى عظمته.. فأوصيك بالفرار إليه - خاصة -: إذا استقر لديك أن خالق الشيء أدري

=



بخلقه، أعلم بما يصلحهم وبما يفسدهم، أعلم بمواطن القوة والضعف لديهم، فإنه يلزمك أن تسأل هذا الخالق - أن يحفظك بحفظه - من الانزلاق في منعطف الشهوات، كذا يلزمك أن تتوسل إليه وأن تستغيث به وحده.. أن يمتن عليك بمرتبة العظيمة ألا وهي «العبودية لله وحده» وأن يجعلك عبدًا له وحده وأن يجنبك عبودية الشهوات، وأن يحفظك من سائر الانحرافات - خاصة الانحرافات الجنسية - وهذا لا يتحقق إلا بالفرار إلى الله وحده..

قال ربي جلَّ شأنه: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرِيمٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠]، قال ابن عطية في تفسيره. [راجع تفسير المهرجور الوجيز في تفسير الكتاب العزيز] للقاضي/أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: السيد عبد العال السيد إبراهيم (٢٧/١٤) ط. دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، ودار الفكر العربي].

وقد نبه الله إلى مثل هذا بقوله «ففرُّوا إلى الله» أي أمر بالدخول في الإيوان، وجعل الأمر بذلك بلفظ الفرار لينبه على أن وراء الناس عقابًا وعذابًا وأمراً، حقه أن يفر منه، فجمعت لفظة «ففرُّوا» بين التحذير والاستدعاء، وينظر إلى هذا المعنى في قوله [لا مجأً منك إلا إليك]، قال الحسين بن الفضل: من فرَّ إلى غير الله لم يمتنع من الله ﷻ. ولقد ذكر ابن القيم في منزلة الفرار حقيقة الفرار من الناحية اللغوية وهو الهرب من شيء، إلى شيء وهو نوعان فرار السعداء وفرار الأشقياء؛ فرار السعداء الفرار إلى الله ﷻ، وفرار الأشقياء الفرار منه لا إليه، وأما الفرار منه إليه فرار أوليائه. [مدارج السالكين ١/٤٦٩].

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي فروا منه إليه واعملوا بطاعته. [راجع تفسير البغوي] [معالم التنزيل] للإمام/مجيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٢٧٩/٧) ط. دار طيبة - الرياض].
* فيا من أمر بالفرار إلى مولاه ولم يجب!

ويا من نودي عليه بالتوبة ولم ينب، ستندم حين لا ينفع الندم وتكبي الدم حين تَرُلَ القدم، ولا تنفع ساعة مندم. ويا مَنْ قَصَرَ في الواجبات وَأَصَرَ على المحرمات؛ وسَدَرَ في الغفلات! ألا تستعد قبل المات؟، ألا تتزود قبل الفوات؟ أم لك احتيال في دفع الموت وسكراته؟ أو لك احتمال لتجرع الفوت وحسرته؟ [الفرار إلى الله للشيخ محمد شومان الرملي ص ٥ ط دار ابن عفان].

٣- ذكر نفسك دومًا بأفات وعواقب الانحرافات الجنسية في الدنيا والآخرة:

ففي الآخرة:

أ- أنها تجلب الإثم والعقاب: حيث قرن الله الزنا بالشرك وقتل النفس كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

ب- عقاب الزناة دليل على شناعة هذا الفعل: فعقاب الزناة من غير المحصنين الجلد دون رافة أو شفقة عليهم، قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَدَاؤُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

=





وقال ﷺ: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم». [رواه مسلم (١٣١٦/٢)، رقم (١٦٩٠/١٢)].

وأما إذا كان متزوجاً أو سبق وأن تزوج فحدّه الرجم سواء الزاني أو الزانية، فقد رجم ﷺ الغامدية وماعز -رضي الله عنه-. [رواه مسلم (١٣٢١-١٣٢٢/٢)، رقم (١٦٩٥/٢٢)].

كذلك اللوطي يستأصل من المجتمع (الفاعل والمفعول به)، قال ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به، ومن وجدتموه وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة». [رواه أبو داود (٤٤٦٢)، والترمذي (١٤٥٦)، وابن ماجه (٢٥٦١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٨٩)، (٢٢٥٧)، وصحيح سنن الترمذي (١١٧٧-١٤٩٧)].

وصفة الحد للوطي: يُحرق بالنار، وقيل: يرمى من أعلى بناء منكساً، وقيل: يرجم. [انظر (سبل السلام) للإمام/محمد إسماعيل الأمير الصنعاني (١٢٨٤/٤ - ١٢٨٥)، ط. دار الجيل].

ج- الفواحش تجلب الخزي، وتوجب الفقر، وتقصر العمر، وتكسو صاحبها سواد الوجه، كذلك فإنه يورث المقت بين الناس، ويشتت القلب ويمرضه إن لم يمته، ويجلب الهم والحزن والخوف، ولذلك شرع فيه القتل على أشنع الوجوه وأفشعها فأصعبها، كذلك فإنه يذهب بالغيرة والحياء والأخلاق الفاضلة. [راجع (الداء والدواء) للإمام ابن القيم الجوزية ص ٢٨٦ ط. دار التراث بالمدينة المنورة، وانظر (دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث) للأستاذ/توفيق محمد عز الدين ص ٤١٠ ط. دار السلام للطباعة والنشر بالقاهرة].

د- أن الفواحش مضیعة للأخلاق: يقول الإمام ابن حزم: «طالب اللذات من غير حل متشبه بالبهائم، والعاقل لا يغتبط بصفة يفوقه فيها سبع أو بهيمة أو جمد، وإنما يغتبط بتقدمه في الفضيلة التي أبانها الله تعالى بها عن السباع والبهائم والجمادات، وهي التمييز الذي يشارك فيه الملائكة». [راجع (الأخلاق والسير في مداواة النفوس للإمام/ابن حزم ص ١٨، ١٩، يتصرف ط. دار الكتب العلمية ١٩٨٥)].

فإذا ضاعت الأخلاق هلك الإنسان في الدنيا قبل الآخرة.

في الدنيا:

أ- الانحرافات الجنسية خطر على قوة الأمة العسكرية حيث تضعف الجسم وتنهكه، ودليل ذلك: تجربة فرنسا المريعة حيث أدى الانحراف الجنسي في الجيش الفرنسي إلى اضمحلال قواهم الجسدية، وتدرجها إلى الضعف يوماً فيوماً، فمنذ أوائل القرن العشرين وحكام الجيش الفرنسي يتساهلون في شروط مستوى القوة البدنية المطلوبة في المتطوعة للجنود الفرنسي، فقد كان عدد الجنود الذين اضطرت الحكومة إلى أن تعفيهم من العمل، وتبعثهم إلى المستشفيات في الستين الأولين من سنين الحرب الأولى لإصابتهم بمرض الزهري خمسة وسبعين ألفاً، وابتلي بهذا المرض في آن واحد (٢٤٢) جندياً في ثكنة متوسطة. [راجع رسالة العجايب لأبي الأعلى المودودي ص ١٠١، ١٠٢ ط. الدار السعودية، جدة].

ب- ظهور الأمراض وانتشارها في الجسم بسبب (الانحرافات الجنسية): كمرض الزهري، (والسيلان)، و(الجزائينولوما الأربية)، و(الإيدز). [انظر: (مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت ضوء الشريعة الإسلامية) للأستاذ/عبد الرحمن واصل ص ١٤٨، ١٤٩ ط. دار الشروق].

=



٤- اجتنب الفتن وأسبابها: إن فتن الشهوات خطيرةٌ لكثرة أشكالها وتعدد صورها، من أجل ذلك كان من الضروري الحظر منها والفرار من شرورها بل صار من الحتمي لمن أراد لنفسه النجاة منها أن يسعى جاهداً لاتخاذ الأسباب الواقية منها، والفرار من غوائلها.

* والفرار من الفتن يعني: دفعها قبل وقوعها والسلامة منها بعد وقوعها والتوبة منها بعد التلوث بها. [«ففرّوا إلى الله» للشيخ عبد العزيز بن ناصر الجليل ص ٣٠ ط دار طيبة].
* أخي الشاب يا من تعيش في أجواء الفتن.. اعلم أن الثبات على الحق والعصمة والنجاة من الفتن وأسبابها لا يملكه سوى ربك فأسأله التثبيت، وأكثر من التضرع والدعاء في أوقات الإجابة وأماكنها فهذا بابٌ عظيم من أبواب التوفيق، ومناورة مضيئة من منارات النجاة من الفتن، فعن أبي سعيد الخدري رحمته الله قال حدثنا زيد ابن ثابت عن رسول الله ﷺ قال: «تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن! قلنا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. [أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥/١٥)، وقال المباركفوري في تخريج السنن، وأصله عند الإمام مسلم في الفتن انظر صحيح مسلم حديث رقم (٢٨٦٧)].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات». [متفق عليه]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي قال: «عائذ بالله من شرور الفتن». [رواه البخاري (٧٠٩١)].
كيف نقضي على الزنا واللواط والسحاق عملياً؟!

عليك أخي الشاب - لا سيما - إذا كنت في الجامعة أن تجتنب أسباب الفتن فلقد ذكر ابن الجوزي عن بعض أشياخ الشام أنهم قالوا: مَنْ أعطى أسباب الفتنة من نفسه، لم ينجُ أخراً ولو كان جاهداً. [ذم الهوى لابن الجوزي ص ٢١ ط. دار اليقين].

فمثلاً: فتنة النساء فتنة عظيمة حذرَ منها رسول الله ﷺ بقوله: «ما تركت فتنة بعدني أضّر على الرجال من النساء» [متفق عليه]، فَمَنْ ابتلى بفتنة النساء فليجتهد في اجتناب الفتن وأسبابها، وَمِنْ ذلك: أَنْ يجتهد في غض بصره عن الأجنيات من النساء حتى لا يسقط في حبالهن، ولا يُصاب بسهام إبليس اللعين، ومن ذلك أيضاً: ترك النظر إلى صورهن سواء كان في التلفاز أو الكمبيوتر أو عبر شبكة الانترنت. [راجع حكم الإسلام في وسائل الإعلام] للشيخ/عبد الله ناصح علوان ص ٨، ٩، ١٠، ٤٨، ٤٩ ط. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع].

وألا يقرأ الروايات الجنسية أو العاطفية المثيرة، وأن يهجر قراءة القصص الرومانسية وقصص الحب والعشق والجنس التي تؤدي إلى إثارة الغرائز وثوران الشهوة، والتحرز من مشاهدة (المسلسلات)، وبرامج (ستار أكاديمي) وغيره. [راجع فتوى الشيخ/عبد الرحمن بن ناصر البراك عن حكم متابعة برنامج (ستار أكاديمي) على قناة (LBC)، والتقنوات التي تعرض (الفديو كليب)، وانظر (بيان اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء) في التحذير من برنامج (ستار أكاديمي) وما شابهه من البرامج، وهو منشور على الشبكة العنكبوتية الإنترنت].

=





ومن ذلك أيضاً: احذر فتنة الهاتف المحمول ومحادثة الفتيات لغير حاجة مما يجر إلى الافتتان بالنساء والوقوع في الحرام فيعقب ذلك خراب في البيوت، وفساد في الأعراض، فكم من هتكٍ للأعراض كانت بدايته اتصالاً هاتفياً. [راجع **آداب الهاتف** للعلامة/بكر أبو زيد ط. دار العاصمة - الرياض].

كذلك فتحفظ من الاختلاط بالنساء في المجامع العامة والخاصة والخلو بهن سواء كان ذلك في الجامعات أو المستشفيات أو الحدائق أو الأسواق، أو أماكن الدروس، الشواطئ والمنزهات مما يؤدي إلى انتشار العلاقات المحرمة على كافة أشكالها وصورها. [انصح بقراءة رسالة (الاختلاط.. تحرير.. وتقدير.. وتعقيب) للشيخ/عبد العزيز الطريفي ط. دار طبية الخضراء بالرياض].

كذلك فاحذر السير في طرق تكثر فيها تجمعات النساء حيث التبرج والسفور وإبداء الزينة، والغزل المعلن بين المراهقين، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لا يجوز ارتياد الأماكن التي يُشاهد فيها المنكر ولا يمكن إنكاره إلا لضرورة شرعية [مجموع الفتاوى (٢٨/٢٣٩)].

ومن قبل ومن بعد عليك بالاستعانة بالله، وغض البصر - ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وقد بينت فضائل غض البصر كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

واجتهد في تحقيق العفة بالصدوم، وممارسة الرياضة، والاحتراز من هتك ستر النساء.

الحرص على الزواج الحلال، والأخذ بأسبابه المتاحة والمباحة. [راجع رسالة «الإسلام والجنس» د/عبد الله ناصح علوان ص ١٥، ١٦ ط. دار السلام للطباعة والنشر والترجمة/وانظر كتاب (الزواج والعلاقات الجنسية في الإسلام» للأستاذ/عادل عبد المنعم أبو العباس. وانظر في هذا: كتاب (صور من الطفيان المعاصر) د/سعيد عبد العظيم ص ٢٧٠، ٢٧١ ط. دار الكوثر للكتب الإسلامية، ورسالة (تحذير ولاية الأمور من المغالاة في المهور) تأليف/محمد بن موسى البيضاوي، تقديم الشيخ/مقبل بن هادي الوادعي ط. مكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي].

وحتى نقضي على اللواط والشذوذ الجنسي:

فإننا لابد وأن نجتنب هذه الفتنة وأسبابها وهي:

- ١- الميوعة، والتخنث الذي ابتل به بعض الشباب كمن يطيل شعره إلى منكبيه تشبهاً بالنساء.
- ٢- مَنْ يلبس بنطالاً ساقطاً أو ضيقاً أو شفافاً واصفاً لبدنه.
- ٣- مَنْ يتكسر ويتأرجح في مشيته، ويلبس الذهب والحريير ويأكل العلك كالنساء.
- ٤- من يقوم بالتردد على الأماكن المشبوهة، أو المواقع الإلكترونية المشبوهة...
- ٥- من يكثر من السفر إلى بلاد الكفار، التي تتبنى مثل هذه الانحرافات التي لا يقبلها إنسان مهما كانت ديانتها، خاصة- في البلاد التي استطاع فيها المثليون تأسيس جمعيات رسمية تحمي زواج الشواذ، وتنظم عملهم القبيح، ولا يقتصر نشاط هذه الجمعيات على البالغين فقط بل أصبح إتيان الصغار في أمريكا معروفاً ومصرحاً به، وله جمعيات خاصة - شريطة التراضي بين الطرفين -، بل وفي نيويورك يستغل أكثر من ٢٠٠٠٠ ألف طفل في أغراض جنسية بواسطة شركات الدعارة المنظمة [انظر صحيفة المسلمون عدد ١٤٦، ص ٢٣ (مقال أندية الشواذ تهدد المجتمع)].

=



ومن عجيب انحرافات هؤلاء أن تجرأ أحدهم وطلب تدريس مناهج الشذوذ الجنسي في المدارس للطلاب كأسلوب جديد للحياة، واجترأ بعضهم مؤخراً فطالبوا بوضع مواد في الدستور تكفل لهم حرية التمتع الجنسي، وقضاء الوطر بالطريقة التي تسعدهم.

* هذه بعض الأسباب التي تساعد هؤلاء الشاذين على اقتراف فعلتهم الآثمة من غير رادع. [راجع كتاب (الأمراض الجنسية عقوبة إلهية) تأليف د/عبد الحميد القضاة من ٣٩ إلى ص ٨٧ ط. دار عالم الكتب للنشر والتوزيع - الرياض]، [راجع كتاب الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها للأستاذ محمد علي الباز ص ٤٧، ٥٩ ط دار المنارة الجديدة].

مَنْ لِلإنسان سوى الإسلام!!! إن إيراد مثل هذه الاحصائيات عن المجتمع الغربي لا يعني أن المشكلات لا تخص المجتمع المسلم، فإن العالم اليوم يُعدُّ قرية واحدة لعنق الصلات والمصالح المشتركة، وسهولة المواصلات والاتصالات بأنواعها مما ينذر باحتال انتشار مثل هذه الجرائم الشنيعة بين أوساط المسلمين بصورة كبيرة، ولا يعني ذلك خلو بعض البلاد الإسلامية من هذه الفاحشة الممقوتة والتي تظهر في كل مجتمع مع فروق في النسبة.

* لقد ابتلى بعض المسلمين بالميل إلى المرد: (والأمرد هو مَنْ لا تنبت له لحية وهو ذو شكل جميل) ومجالستهم وربما قام بعض المنحرفين جنسياً بعمل هذه الفعل القبيحة مع أحد هؤلاء إذا تحقق ما هو معروف عندهم «بالسالب والموجب».

الحلول الواقعية لهذه المشكلة:

- إن قاعدة الإسلام العظيمة «سد الذرائع» هي قاعدتنا التي تنطلق منها للتوقي بها من هذه الفعل القبيحة ومن ذلك: تربية الولد المسلم على الرجولة والشجاعة وعلى معاني الفضيلة والطهر.
- ١- تربية الأجيال الصاعدة على الاحتفاظ بأخلاقياتها الإسلامية وسمتها الإسلامية بعيداً عن التشبه بالنساء أو تقليد الغربيين في لباسهم أو محاكاتهم في أحوالهم وحياتهم الخاصة المخالفة للشرع.
- ٢- التأكد من عدم وجود خلوة بين الشباب المسلم بعضهم ببعض، وألاً يُطلع أحد منهم على عورة إخوانه - لا سيما - في النوادي ومراكز الشباب ومراكز «الجيم».
- ٣- التقليل من مجالسة المردان.. ولهذا كان بعض السلف يجذرون من مجالسة المردان وينهون عن حضوره إلى حلقهم خشية الفتنة به، وقد نصَّ ابن قدامة في المغني على: أن الأمرد والذي يُخاف الفتنة بالنظر إليه لم يُجْزَ تعمد النظر إليه. [راجع المغني لابن قدامة ٤٣٦/٧ ط دار الكتاب العربي بيروت].
- ٤- لا مانع من عرض المبتلى بالمثلية أو غيرها نفسه على طبيب مسلم أمين ثقة. [من المعلوم أنه ما أنزل الله من داءٍ إلا وأنزل الله له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله، -ولا شك- أن الشرع المحكم أمر بالأخذ بالأسباب الشرعية والكونية لعلاج مثل هذه الأمراض وتلك الانحرافات، فمن الأساليب الشرعية الدينية التي تحدث تأثيراً كبيراً على أولئك المنحرفين.
- أسلوب ضرب الأمثال (كقصة قوم لوط) الوارد ذكرها في سورة العنكبوت آية (٢٨-٢٥) وسورة (الشعراء) آية (١٦٠-١٧٥)، وسورة (هود) آية (٨٠-٨٢)، وأسلوب القصة التي تشرح العفاف كما في قصة يوسف -خاصة- آية (٢٢-٢٤)، وحواره المقنع كحواره ح للذي جاء يستأذنه في الزنا.. كما في الحديث الذي رواه أحمد (٢٥٦/٥، ٢٥٧) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٠)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما فعل ﷺ مع الفضل بن عباس.

=





مما أدى إلى صرف الشباب عن الزواج، وانتشار دور اللهو والمجون التي يقصدها مرادة

ولا مانع من الاستفادة من العلم التجريبي الحديث وطرقه وأساليبه التخصصية الجديدة في علاج هذه الأمراض -خاصة- (اللواط والسحاق) لكن بشرطين:
(١) أن يقوم بهذا الأمر طبيب مسلم ثقة دين.
(٢) أن يستخدم وسائل وأساليب مشروعة ومباحة أثناء علاجه وأنصح بمراجعة بعض الأبحاث المعنية على العلاج: (شفاء الحب) للدكتور أوسم وصفي من ص ٨٩ إلى ص ١٩٧ ط. برنامج حياة، (مع الحذر من فكر الكاتب وبعض أساليب علاجه التي قد تصطدم بالشرعية الإسلامية، و) (برنامج المقبلين على الزواج.. دورة (حصانة العلاقة الحميمة) للدكتور/عمرو أبو خليل ط. مركز الاستشارات العائلية بالأسكندرية، وكتاب (عودة للحياة) للأستاذ/محمد درويش، تقديم د/ياسر عبد القوي، وهو منشور على الشبكة العنكبوتية الإنترنت)].

وأخيراً: فإنه يلزم الآباء الاجتهاد لحماية أولادهم من الشاذين بطرق أخرى منها: ألا يسمح للأولاد أن يضطجعوا بجوار بعضهم البعض، وألا يلتحفوا بلحاف واحد، بل يجب، على الآباء أن يفرقوا بين أبنائهم في المضاجع حتى لو كان هؤلاء إخوة النسب. [راجع رسالة (معاذة شاب) للشيخ/فهد العماري ص ٢٥، ٢٦ ط. دار طبية الخضراء].

٤- كما تدين تدان: فإن من الحلول العملية والتي تدفع هؤلاء المنحرفين للبعد عما هم فيه من الغواية والضلال تذكيرهم دوماً بخطورة هذه الأمراض الخبيثة والأوبئة الفتاكة والتي تنتج عن ارتكاب مثل هذه الجرائم فمثلاً: ينتج عن ارتكاب هذه الفواحش مضاراً جسيمة كثيرة أقلها الابتلاء بمرض نقص المناعة (الإيدز) ذلك المرض الفتاك الذي لم يجد له العالم دواءً ناجحاً رغم السعي الحثيث والمحاولات الكثيرة لعلاجه، وانتشار الزهري أو مرض السيلان إلى غير ذلك من الأمراض الخبيثة، كذلك فإن الواحد من هؤلاء (الزناة أو اللواطيين) لو أدرك (أن الجزء من جنس العمل، إذ أنه ولا شك كلما ارتكب الحرام مع النساء وكلما فعل أفعال العائنين، أن هذا قد يرد له في زوجه أو ابنته أو أبنائه أو أسرته، لما تجرأ على مثل هذه الأفعال.

فيا عبد الله: إن الله تعالى قضى ولا راداً لقضائه، وحكم ولا راداً لحكمه أنه كما تدين تدان... فالحذر الحذر -أخي الشاب- من فتن والشهوات، والله في طاعة رب الأرض والسموات... بالنسبة للدور الحكومي:

فإنه يجب على النظام الحاكم سد السبل والثغرات التي تُسهل هذه الفعلة، واستتابة أصحابها ثم إقامة الحد الذي شرعه الله على مرتكبي هذه الفعلة الشنيعة [قتل الفاعل والمفعول به دون النظر إن كان محصناً (متزوجاً) أو غير محصن لأن هذه الفعلة تُفسد فساداً كبيراً في الأرض، وتزيل معاني الرجولة من الفاعل والمفعول به. [انصح شبابنا المغرور بكلام العلمانيين بمراجعة كتاب «أثر الحدود الشرعية على استقرار المجتمع» د/محمد حسين الذهبي ط. مكتبة وهبة، وكتاب «الجرائم والعقوبات في الشريعة الإسلامية» تأليف/توفيق علي وهبة.. هدية مجلة الأزهر ١٣٩٤هـ - ص ٤٩، وكتاب «نظام التعزيم والعقاب في الإسلام مقارناً بالقوانين الوضعية (الحدود - القصاص - الدية» تأليف المستشار/علي علي منصور من ص ٧٦ إلى ص ٨٨ ط. مؤسسة الزهراء للإيمان والخير بالمدينة المنورة، وكتاب «الحدود والتفريعات عند ابن القيم» (تأليف الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد» ط. دار العاصمة، وكتاب «السنن وموجباته في الشريعة الإسلامية» تأليف د/محمد بن عبد الله الحريري ط. ماسة الإمام محمد بن سعود، وانظر كتاب «الحدود الشرعية وأثرها في تحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع» تأليف الغزالي خليل عيد ص ٤٢ ط. المعارف وانظر رسالة دكتوراه بعنوان «تقرير المقوبة ببيان أحكام تنفيذ العقوبة» تأليف/عيسى بن عوافي بن عبد الواحد من ص ٧٠ إلى ص ٧٩. توزيع دار ابن الجوزي).



الإنس والتي تعمل عملها في توهين رباط الحياة والعفة في الناس.

كذلك فإن انتشار المشاهد المثيرة تفقد الإنسان زمامه، ويفسق عن أمر ربه، ويطمح إلى الحرام.

وفي ظل المسكرات والمخدرات تفتح الأبواب المغلقة، وتوقظ الفتن النائمة، وينصرف الناس إلى ألوان النزوات فتتهدم الأسر، وتقوض البيوت.

٤- من أسباب الانحراف: الفجوة الواسعة بين الآباء والأبناء:

من المعلوم بدهة أن الإنسان إذا انتقل من طورٍ إلى طورٍ فإنه تختلف قواه، وقدراته، ومداركه، وعلومه، وتجاربه، وعواطفه.

وتعد فترة الشباب أميز أطوار حياة الإنسان، ويعد الشباب أهم شرائح المجتمع، لأنهم وإن شاركوا في الحاضر إلا أنهم بناة المستقبل، بل إن بناء الأمة ونجاح خططها قائم -بعد فضل الله- على سواعد الشباب القوية وأذهانهم الفتية.

فالشباب في المجتمع يعبر عن تلك الفئة التي تتسم بأعلى درجة من النشاط والحيوية، وذلك من حيث خصائصها المتفردة، غير أن الشباب عادة لا يدرك أن الوسط الاجتماعي المحيط به ليس نتاج نشاط فحسب بل هو نتاج لأنشطة قامت بها أجيال سابقة، وبدلاً من أن يبدأ الشباب من حيث انتهى الآخرون يريد أن يبدأ بداية قوية وجديدة.

وقد تكون هذه الظاهرة هي المسؤولية عن الصراعات والتناقضات بين الأساليب التقليدية للحياة، والأساليب الجديدة التي يسعى الشباب إلى توكيدها.

مرحلة الشباب والصراع النفسي:

مرحلة الشباب هي مرحلة الأزمات والصراع النفسي، وقد أشار بعض المختصين في علم





النفس إلى ألوان الصراع التي يمر بها الشباب، منها^(١):

(١) صراع الجنس: والسبب في ذلك هو التناقض بين المبادئ والقيم الإسلامية، وبين ما يراه الشاب في المجتمعات من ابتذال للجنس في الأغاني والأفلام والوسائل الأخرى فيقع في صراع بين المبادئ التي آمن بها وبين الممارسات الاجتماعية في هذا المجال.

(٢) صراع القيم: سبب الازدواجية في المعايير التي يلاقيها الشاب في مجتمعه، الأمر الذي قد يفضي إلى الرغبة في الانتقام.

(٣) صراع الأجيال^(٢):

إن الفجوة بين الآباء والأبناء أو ما يسمونه في لغة الصحف (صراع الأجيال) ويقصدون بذلك (جيل الشيوخ وجيل الشباب) أمرٌ مشاهد ملحوظ، وهذا أمر تقتضيه طباع البشر وأساليب تربيتهم، فجيل الشيوخ لا يتكلمون إلا في المثل العليا والأخلاق الرفيعة، ولا يريدون من الشاب أبداً أن يفكر في اللعب والراحة ويريدونه ملكاً يمشي على الأرض، والشباب ينظرون إلى هذا الجيل من الشيوخ على أنهم جيلٌ قد تجاوزه الزمن فلم تعد توجيهاتهم صالحة لمسايرة هذا العصر، وأولى بهم أن ينقمعوا في بيوتهم، وأن يكفوا عن توجيهاتهم، وقد تزداد الفجوات بين الشباب وبين الكبار لأسباب كثيرة تؤدي لتفكك

(١) انظر بحث «الشباب العربي والتغيير الاجتماعي» للدكتور/ محمد علي محمد ص ٢٩، ٣٠ ط. دار المعرفة الجامعية الأسكندرية.

(٢) ومن أسباب هذا الصراع: الفراغ المعنوي لدى أكثر الشباب الموروث عن آباءه الذين وقعوا فريسة للقلق، فقامت المادة عندهم محل الجوانب الروحية فوقع بذلك تمرد الشباب المؤدي إلى الثورة أو الانتحار.. انظر كتاب الهلال عدد (٢٥٠) نوفمبر ١٩٧١ م. للأستاذ/ أحمد فراج ص ٨٩، وبحث الشباب الإسلامي في حاضره ومستقبله.. للدكتور/ حامد عبد العزيز الفقي ص ٦١٧ ندوة ضمن ندوات مؤتمر الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية عام ١٣٩٦ هـ.

الأسرة منها:

* انحلال الأسرة تحت تأثير الرحيل الإرادي لأحد الزوجين عن طريق الانفصال أو الطلاق أو الهجر وفي بعض الأحيان قد يستخدم أحد الزوجين حجة الانشغال بالعمل ليبقى بعيداً عن المنزل، وبالتالي عن شريكه لأطول فترة ممكنة.

* التغيرات البيئية والثقافية لكل من الأبوين مما قد يؤدي إلى صراع دائر بين الآباء وأبنائهم، بل قد يصل الأمر إلى ما يعرف بـ «أسرة القوقعة الفارغة» وفيها يعيش الأفراد تحت سقف واحد، وتكون علاقتهم في الحد الأدنى، وكذلك اتصالاتهم ببعضهم، ويفشلون في علاقاتهم معاً وخاصة - من حيث الالتزام بتبادل العواطف.

* كذلك يمكن أن تنحل الأسرة بسبب أحداث خارجية وذلك مثل الغياب الاضطراري المؤقت أو دخول أحد الأبوين السجن، أو بانشغال أحد الأبوين أو كلاهما في العمل الدنيوي.

* كثرة الخلافات الزوجية من أكثر أنماط تفكك الأسرة، مما قد يدفع الشاب إلى الشك والوحدة، فيكون عرضة للأمراض النفسية، وفرنسية لأهل السوء^(١).

* غياب القدوة الحقيقية في الأسرة فعلى سبيل المثال:

عند مخالفة الأمر للأمر.. يحدث «الاضطراب والتناقض» فمثلاً: عندما ينصح الوالد ابنه بالامتناع عن فعلٍ ما باعتبار أنه من المحرمات شرعاً، ثم يرى الابن والده وقد وقع في نفس هذا الفعل المحرم فإن هذا سيورث لدى هذا الابن نوعاً من الاضطراب والحيرة والتناقض، أو ما يمكن أن نطلق عليه ازدواجية المعايير، ولسان حاله يقول «خذ بقولي، ولا تأخذ بفعلي»، فينتج عن هذا الفجوة بين الشباب والكبار مما يؤدي إلى تفكك المجتمع، فينظر كلُّ

(١) راجع (التوتر الأسري وجنوح الأبناء) لـ (يحيى بن محمد الخبراني من ص ١٦ إلى ص ٢٣ ط. مكتبة العبيكان.





من الشباب والكبار إلى بعضهم نظرة الازدراء والاحتقار وتزداد بينهما حدة الاختلاف في وجهات النظر، وردود الأفعال، والحكم على الأمور وتفسير الأشياء، وهذا من أكبر الأخطار التي تُهدد بالمجتمعات^(١).

(١) لعلاج هذه المشكلة نقترح أن يحاول كل من الشباب والكبار تذويب هذه الفجوات، وأن يقتنع الجميع بأنه لا نجاة لهذه الأمة، ولا فلاح ولا تماسك لهذا المجتمع إلا بتحقيق الآتي:

١ - أن يكون الآباء قدوة لأبنائهم: إذ أن القدوة من أهم وسائل التربية إن لم تكن أهمها على الإطلاق، وذلك لوجود تلك الغريزة الفطرية الملحة في كيان الإنسان والتي تدفعه نحو التقليد والمحاكاة، خاصة الأطفال الصغار فهم أكثر تأثرًا بالقدوة ويظهر ذلك في تقليدهم لكل ما يفعله الكبار عمومًا، وما يفعله الوالدين خصوصًا، ولا شك أن هذا التقليد دليل على حب الأولاد لأبائهم، وليس نابعًا عن خوف أو خشية، بل هو ميل حقيقي قد امتلك واستهوى قلوب الأبناء نحو آبائهم، ولنعلم أن التلقين السالب لا يثمر مع الأبناء - خاصة - الشباب منهم، بل يجب أن يعلم الجميع أنه مهما استعمل الآباء جميع أنواع وسائل التربية فإن لم توجد القدوة الصالحة التي تكون بمثابة ترجمة عملية للمعاني المجردة فلا قيمة لأي وسيلة أخرى من وسائل التربية. [انظر كتاب منهج التربية الإسلامية للأستاذ/محمد قطب (١٨٠/١)، ط دار الشروق]. وراجع [أصول التربية الإسلامية في البيت والمدرسة والمجتمع] للأستاذ عبد الرحمن النعلاوي ص٢٣١، ص٢٣٢، ص٢٥٧، ص٢٥٨ ط. دار الفكر، وانظر الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة في مرحلة المراهقة تأليف: حنان عطية الجهني (الجزء الثاني ص٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣ ط. كتاب البيان ٢٠٠٨م، (تربية الأولاد في الإسلام) للدكتور/عبد الله ناصح علوان (١٢٦/١) ط. دار السلام، وانظر إلى (أخطاء شائعة في التعامل مع المراهقين) للأستاذ/عادل فتحي عبد الله ص٥٦، ٥٧ ط. دار الإيمان بالاسكندرية - وانظر رسالة المسؤولية - معالمها وتربية الناشئة عليها» للدكتور/عبد الكريم بكار من ص٢٩ إلى ص٣٦ ط. (نحو القمة للطباعة والنشر، وانظر رسالة (أخطاء شائعة في تربية البنات) للأستاذ/عادل فتحي عبد الله ص٧٦، ٧٧ ط. دار الإيمان بالاسكندرية].

نداء عاجل إلى الآباء والمربين:

* إن الناظر في أوضاع المجتمعات الإسلامية يجد أن عقيدتنا وأخلاقنا وقيمنا تكاد تكون في جانب، وحياتنا العامة الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية في جانب آخر، كأنهما يقيضان لا يلتقيان، فكيف ينشأ مع هذا الوضع أطفالاً صالحون وهم يرون ويشاهدون المتناقضات في حياة الأمة؟! خاصة إذا سمعوا من المربين والمؤدبين شيئاً، ورأوا منهم نقيصه، وعليه فإنه سيحدث بداخلهم صراع بالغ الخطورة، ينتهي إلى أنهم لن يفعلوا إلا ما تشربته نفوسهم من صور سلبية كردة فعل طبيعي لأنماط السلوك المتباينة التي تقع من المربين.

فالواجب عليكم أيها الكبار:

* أن تجتهدوا في إصلاح أنفسكم، فهذا عمرو بن عتبة ينبه معلم ولده لهذا الأمر فيقول: «ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقيح عندهم ما تركت». [راجع (تأديب الناشئين بأداب الدنيا والدين) لابن عبد ربه ص١٢٥، نقلًا عن كتاب مسؤولية الأب المسلم تأليف د/عدنان با حارث ص٦٨].

=



* كذلك على الكبار أن يزيحوا اليأس الجاسم على نفوسهم من صلاح الشباب فإنه لا يقع في كون الله إلا ما اراده الله، والله على كل شيء قدير، فكم من ضال هداه الله فكان مشعل هدايه وداعية إصلاح.

* كذلك على الكبار أن يشعروا بعظم المسؤولية الملقاة على عواتقهم نحو شبابهم، وأن يكونوا رحماء بهم، دعاة لهم لا أن يكونوا كالجلادين والمحاربين لهم. [أنصح الآباء والمعلمين والمشتغلين بامر تربية الأجيال بمطالعة كتاب نماء.. وهو منهج بناء الشخصية الإسلامية من الرضاعة إلى ما بعد الجامعة - إعداد مؤسسة المربي].

(٤) على الآباء والكبار تفهم الطبيعة النفسية والسيكولوجية للشباب - خاصة - في بداية المراهقة، إذ أنه من الطبيعي في مراحل المراهقة أن يحدث تغيرات جسمية وعقلية وانفعالية واجتماعية، يصاحب هذه التغيرات الجسدية تغيرات سلوكية تدفع أصحابها إلى القلق والسخط وعدم الرضى، فالشباب رافض لكل القيم والتقاليد والأوضاع القائمة، تجعله قادراً للأمل في قدرته على الإصلاح والإتيان بالجديد، وأنه يلزم لتحقيق ذلك استخدام أساليب مختلفة غير تقليدية، فلا بد من مراعاة الآتي:

(١) إدراك أهمية الأسرة في حياة المراهق بشكل علمي حقيقي لا تقليدي، وهذا يتطلب الاجتهاد في التعلم والتثقيف من الوالدين. [انظر كتاب (تربية المراهق بين علم النفس والإسلام، للأستاذ/محمد السيد الزعبلوي ص٤١٨ ط. مؤسسة الكتب الثقافية)].

(٢) فهم الدور التربوي للآباء والكبار تجاه الشباب، ومن ذلك: تعزيز المراهق على الاستقلال وتحمل المسؤولية في حدود معقولة - خاصة - وأن الشاب يسعى لكي يكون الأبوان موضع ثقته، فلا ينتظر من أبويه أن يجعلاه موضع شك وريبة.

(٣) استخدام الحوار والمناقشة مع الشباب، عند طرح الآراء في المجالس، وعند تقويم الأحداث والأفكار والأشخاص، مع الالتزام بضوابط وآداب الحوار.

(٤) عند حدوث اختلاف أو مشكلة فلا بد من مراعاة «الثبت، البحث عن أصل المشكلة ومحل الخلاف، حسن التوجيه ويأتي بعد المكاشفة والمصارحة، الهدوء وضبط النفس والقدرة على احتواء الأزمة، الموازنة بين الإيجابيات والسلبيات، والمصالح والمفاسد الواقعة على الشاب، مخاطبة الشاب بلغته يفهمها مع اختيار الوقت المناسب للتوجيه والنصح، وإشعاره بالمحبة والتقدير والخوف عليه بشكل متوازن. [راجع كتاب «المربي وحل المشكلات» للأستاذ/عبد الرحمن بن خلف العبود من ص٧٩ إلى ص١٠٧ ط. كنوز إشبيلية].

(٥) لا بد من فهم أسباب ما يسمى بـ (مشكلة الصراع بين الآباء والأبناء)، ومن أبرزها: كثرة اللوم وإظهار العيوب أو المبالغة في التذليل، أو المبالغة في الضغط والسيطرة، أو النبذ والإهمال الزائد، والتربية على الأنانية والسيطرة،

التأرجح بين الشدة واللين، سوء استخدام اللهو والترفيه. [راجع كتاب «جولة في ذات المسلم» (البناء النفسي للمسلم المعاصر) تأليف/خليفة عبد الله التونسي من ص٧٩ إلى ص٨٥ ط. مكتبة البيان وكتاب «تربية المراهق في رحاب الإسلام» تأليف/محمد حامد الناصر - جولة درويش من ص١٦٠ إلى ص١٧٠ ط. دار المعالي، وكتاب النمو الطفولة إلى المراهقة. تأليف/د/فاروق عبد السلام من ص٤٧٤ إلى ص٤٧٦ ط. نشر تهامة بجدة، وكتاب المسؤولية. د/محمد أمين المصري ص٢٧ ط. دار الأرقم - الكويت].

=





(٦) لابد من الحذر من الأمية التربوية وأساليبها: كأسلوب سياسة الأسلوب الواحد، أو سياسة سأرييه كما رباني أبي، أو سياسة اللامبالاة والصغر.

وبهذا تزول -إن شاء الله- الإشكالية المعاصرة والمعروفة بـ (صراع الأجيال).

ويتم -بإذن الله- احتواء الأجيال الجديدة في ظل تحديات الداخل والخارج، وتحول العلاقة بين الأجيال إلى علاقة تفاعل، لا إلى علاقة «صراع لا ينتهي إلا بضيايع الطرفين». [راجع كتاب «رعاية المراهقين» تأليف/يوسف أسعد ص ٧٣ ط. مكتبة الغريب، وكتاب (التربية الوالدية- رؤية إسلامية) تأليف د/سعيد إسماعيل علي من ص ٣، إلى ص ٧٧ ط. وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - سلسلة دراسات إسلامية العدد (١٢٢)، الصادر في جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ - يوليو ٢٠٠٦م]، راجع كتاب (القواعد العشر - أهم القواعد في تربية الأبناء) للدكتور/عبد الكريم بكار ص ١٣ ط. دار السلام، وكتاب (أبناء الملزمين.. توريث الالتزام.. آباء تهوي وأبناء تابى للأستاذ/عبد الرحمن ضاحي من ص ٣١ إلى ص ٣٦ ط. الدار العالمية للنشر والتوزيع، وكتاب (دليل التربية الأسرية) د/عبد الكريم بكار من ص ٢٠١ إلى ص ٢٠٤ ط. دار السلام].

٢- وعلى الشباب أن يلزموا الأدب مع الكبار - عموماً - والوالدين -خصوصاً- اعلم - أخي الشاب [رزقني الله وإياك حسن الأدب، وسَهِّلْ لنا ولك طرائقه وَحَبِّبْ إلينا ولك مسالكه، وزين لنا ولك فضائله] أن الأدب خلق كريم، ومنته عظمى لا يُعطاه إلا مَنْ كان من أهل الخير والتقوى.

✽ فالأدب كما ذكر الإمام ابن القيم هو: علمٌ لإصلاح اللسان والخطاب، وصيانته عن الخطأ والخلل.

وقال في موطن آخر: الأدب هو استعمال الخلق الجميل. [راجع (تهذيب مدارج السالكين) للأستاذ/عبد المنعم صالح الغريب (٢٧٦)، (٢٧٧) ط. الإمارات العربية المتحدة].

وليس أدل على أهمية الأدب من كثرة اهتمام العلماء والأخيار به، وحثهم على تعلمه وسلوك طريقه فلقد ذكر الثوري - رحمه الله - «أن مَنْ لم يتأدّب للوقت، فوقته مقت»، وقال بعض العطاء «الأدب يستر قبح النسب»، وقال ابن المبارك: «نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم». [راجع كتاب لبياب الآداب. للأمير أسامة بن منقذ ص ٢٨٨ ط المكتبة السلفية].

✽ ومراتب الأدب تتفاوت بحسب المتأدّب معه: إذ ليست تلك المراتب على درجة واحدة مع جميع الناس فليس الأدب مع الله كالأدب مع أنبيائه، وليس الأدب مع الأنبياء كالأدب مع سائر الناس، وليس للتعامل مع الناس أدب واحد بل لعلمائهم وكبارهم أدب خاص، وليس الأدب مع العلماء كالأدب مع الآباء، فلا بد وأن يُعامل كل واحد بما يليق به، فمثلاً: من المعلوم إسلامياً أن العلاقة بين الأبناء والآباء علاقة وطيدة، فالبر أقرب القربات بعد التوحيد، بينما يعتبر العقوق من أكبر الكبائر حتى لو كان أحد الأبوين مشركاً، فالطاعة واجبة في غير معصية، هذه هي العلاقة بين الأجيال في الإسلام، علاقة ودودة كريمة، نابعة من ثقة واطمئنان، لهذا كان من الأدب مع الوالد مثلاً: ألا تخاطبه باسمه مجرداً، ولا ترفع صوتك في أثناء مناقشته، أو تعرض عنه أثناء مخاطبته إياك، ولا تُؤلّه قفالك إذا هو نادك، ولا تتصجّر منه ولا من كلامه، واجتهد في طاعته هو وأملك غاية الاجتهاد، فإن هذا من البر وبر الوالدين له من الأجر العظيم، والثواب الجزيل ما لو علمته لَقَبَلْتَ رجليهما فاسمع لهما وأطع -في المعروف-.

=

٥- ومن الأسباب المهمة في انحراف شباب المسلمين.. الفراغ..

حيث يعد الفراغ ووفرة الوقت لدى الناس - عامة - والشباب - خاصة - مشكلة من كبريات المشكلات التي يعانون منها، فإن كثيراً من مظاهر الانحرافات السلوكية المختلفة كان الفراغ من أهم الأسباب الدافعة إليها، إذ أن وفرة الوقت دون عملٍ أيًا كان، يوقع صاحبه في أسر الوسواس الشيطانية والأفكار والهواجس النفسية الخطيرة، فيبدي له من التصورات والأفكار الجديدة والكثيرة ما لا يمكن تحصيله أثناء الانشغال بعملٍ ما.

- ومشكلة الفراغ لدى كثير من الشباب اليوم تقود في حقيقتها إلى الفراغ الروحي،

كذلك أنصح إخواننا - شباب الإسلام - باحترام العلماء، وإجلال الكبراء والأخذ بتجارب هؤلاء الشيوخ والاستفادة منهم غاية الاستفادة، كذلك أن يحملوا لكبارهم مشاعر الإكرام والتوقير واحترام الآراء وقبول التوجيه وإن خالفهم الرأي؛ لأنهم أدركوا من التجارب وواقع الحياة ما لم يدركه هؤلاء. والمسلمون يؤمنون بالتقاء الأجيال وتكاملها ولا يؤمنون بصراعها، فهم يفرقون بين فرضية تقديم التجربة الكاملة من أهل جيل سابق إلى جيل جديد، وبين ما يوصف بأنه وصاية على الأجيال الجديدة. ذلك أنه من حق الأجيال الجديدة على الأجيال السابقة. أمانة التجربة أو الالتزام بإضاعة الطريق أمام الناشئة، حتى تستطيع أن تمتلك إرادتها، وتلتفت إلى ما في الطريق من عقبات.

أما الجيل الجديد: فمن حقه أن يقبل التجربة القديمة أو ينقدها ولكن لا بد أن يبنى على نفس الأساس وإذا أراد أن يجدد أو يغير، فلا يكون ذلك إلا في الفروع والجزئيات، أما جوهر البناء، فهو ملتزم به، لأنه ليس ميراثاً عن الآباء فحسب، بل لأنه قائم على دعامة منهج أصيل متميز رباني غير وضعي ولا بشري.

وعليه «الحياة الإسلامية تعرف ظاهرة الاختلاف بين الأجيال، لكنها لا تعرف أبداً ظاهرة الصراع بين الأجيال. [انظر بحث: إطار إسلامي للفكر المعاصر. للأستاذ/أنور الجندي ص ٢٤٧، ٢٤٨، ط. المكتب الإسلامي - بيروت. وأنصح كل شاب بالاطلاع على كتاب «كيف تتمتع بالثقة والقوة في التعامل مع الناس» تأليف/لس جيلين ط. مكتبة جريب،] لأن القاعدة الإسلامية في التربية تقوم على ركيزتين متوازيتين: الأولى: تتمثل في إعطاء الأبناء قدرة على الحركة نحو المستقبل. الثانية: في إعطاء الأبناء قدرة على الثبات، داخل قيم الدين والأخلاق».

فإذا التفت حكمة الكبار بقوة الشباب نال المجتمع سعادته بإذن الله. [راجع [مشكلات الشباب] للشيخ ابن عثيمين ص ١٧ ط مكتبة الطرقيين، وراجع أيضاً: كتاب صراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية لأبي الحسن الندوي ص ١٢٥ ط النور بالقاهرة ١٩٧٧م، وأنصح كل شاب بمطالعة كتاب (٥٠ شعبة لإضاءة دروبكم) للدكتور/عبد الكريم بكار (ص ٤٤، ٤٥) ط. دار الإيمان بالأسكندرية، وكتاب (تربية الناشئ المسلم) د/علي عبد الحليم محمود (من ص ٤١٥: ٤١٥) ط. دار الوفاء للطباعة والنشر ١٩٩٤م].





وخواء القلب من كمال الإيمان الذي يشعر بالأُنس والاطمئنان، وهي مشكلة ناتجة عن زيف الحضارة الجاهلية المنحرفة، أو بعبارة أخرى فإن نشوء هذه المشكلة يرجع إلى: انعدام الهدف في هذه الحياة، وهذه هي الحقيقة: إذ إن الفراغ الفكري ناشئ عن انعدام التصور الصحيح لهذه الحياة، وعدم معرفة سبب وجودنا فيها، ومهمتنا الموكلة إلينا في هذا الوجود، ومصيرنا ومصير الكون، والغاية من هذا التنظيم الرائع للكون، ومن هذا الإبداع العجيب الدقيق المحكم للإنسان ولسائر الأحياء والكائنات، ولقد أكدت بعض الدراسات النفسية في هذا المجال على أنه كلما قلَّت القيم الصحيحة عند الشباب وكَثُرَ وقت فراغهم كلما نقصت الاهتمامات عندهم، وكلما ضعفت المهارات اللازمة لاستغلال أوقات الفراغ، زادت فرص اليأس والملل والاعترا ب والإباحية والأنانية والعنف والجريمة، والإدمان - خاصة - بين الشباب^(١).

(١) راجع كتاب [مسئولية الأب المسلم ص ٥٧٠].

[فكانت النتيجة المُرّة]

إذا تتبعنا الآثار السيئة والسلبية للفراغ - لا سيما - لدى الشباب المراهق سنجد الكثير من الأضرار والمفاسد الناجمة عنه منها:

١- الشعور بالضياع، وعدم الانتماء إلى أمة ذات كيان اجتماعي مترابط.. مما يؤدي إلى خلخلة المجتمعات المسلمة وإفسادها.

٢- الشعور بالغربة والوحدة، حتى في الأسرة التي يعيش معها.

٣- ضعف الاهتمام بمعرفة الحقوق والواجبات، مما يدفعه إلى عدم الجدية في التصرفات حتى إنك تراه يطلق لنفسه ولشهوواته العنان بحجة «أنه حر» فتراه مضيّعاً للصلوات، غافلاً عن التسييح والذكر، وتراه مفرطاً في تعلم كتاب الله، هاجراً قراءته، تراه تفاهاً ساقطاً لا همّ له سوى إرضاء ملذاته وشهواته، وكثيرٌ من هؤلاء إذا نظرت إلى حياته علمت كيف يقضي يومه في السفاهة والتفاهة؟!

٤- الاضطراب الفكري والسلوكي والأخلاقي والمعرفي بسبب الفراغ وحالة الضياع التي تصاحب الشخص الفارغ.

- هذه حياة أهل الضياع..

هذا نموذج من نماذج الضياع فهو شاب مستهتر ينام نهاراً، ويصحو ليلاً مخالفاً بذلك أعراف الناس وحياتهم الصحيحة وتقاليدهم النافعة، فمنهم من يصحو عصراً، وقد يستيقظ من نومه مغرباً، أو قبيل المغرب بلحظات لا ليتدارك ما فاتته من صلوات، ولا ليستغفر ربه على تضييع الأعمار والأوقات هباءً منثوراً، ولكن ليتناول الطعام، ويشرب الشراب، ثم تراه ينطلق مهرولاً لمشاهدة ما يعرض بجهاز التلفاز، فإن لم يجد بغيته (من أفلام أو مسلسلات أو مباريات أو غناء ماجن)، تراه يقضي وقت فراغه في متابعة مواقع التواصل الاجتماعي أو الاتصال بأي رقم تقع عليه يده بغرض التسلية وإضاعة الوقت، وهذه المعاكسات





والمشاغبات لا تقتصر على الفتيات فحسب، بل قد يمتد الأمر لمضايقة الرجال وكبار السن، بل تراه يعكف على هاتفه المحمول بالساعات لتحديد المواعيد الغرامية، والمقابلات الشيطانية، فإذا حان وقت نزوله من بيته تراه يلبس أفخر الثياب، وتراه يركب سيارته الفارهة، ليلتقي بأقرانه وأصحابه في النوادي أو الكافيهات، وبعد جلوسه مع رفاقه تارة يشرب السجائر ويلعب الكوتشينة والطولة وغير ذلك، تراه يتنافس وأصحابه في الإنطلاق بسياراتهم بشكل جنوني لملاحقة فتاة من الفتيات الفاسقات الداعرات، أو تراه ينطلق هو و«شلتة» بعيداً عن أعين الناس ليتعاطوا المخدرات بكافة أنواعها وأشكالها (كالبانجو - الهيروين - الحشيش وأي حبوب مخدرة)، أو تراه يسرع هو وأمثاله إلى محلات الرقص المعروفة عندهم باسم «النوادي الليلية» حيث تراه يرقص مع الراقصين، ويعبث بنفسه مع العابثين، فيشرب ما حَرَّمَ الله «كالخمور»، ويأكل ما حَرَّمَ الله «كلحم الخنزير» وهو بذلك يزعم «الرجولة والحرية»، وإن شئت فقل: يقتل وقته وزهرة عمره فيما لا ينفع في الدين أو الدنيا أو الآخرة، ثم ينطلق إلى بيته وقد صارت الشمس في كبد السماء، فيعود إلى بيته ليتناول طعام الإفطار، وقد لا يكتفي بما قتله من وقت في أثناء الليل، فتراه إذا عاد إلى بيته صباحاً يجلس الساعات الطوال يشاهد الأفلام، والمسلسلات عبر أجهزة البث المباشر أو يجلس الساعات الطوال على الفيس بوك، أو «تويتر» أو غير ذلك حتى يغلبه النوم، ثم ينام كما تنام الأنعام ليصحو من نومه ليعيد الكرة ويفعل كل ما ذكرنا آنفاً دون وازع من دين أو رادع من خلق، بحجة [أنه يسلي نفسه، ويعمل على شغل وقت فراغه بما يحقق له السعادة الحسية] زعم-.

والسؤال الذي أوجهه إلى مَنْ هذا حاله؟

أترضي بمثل هذه الحياة والتي تشبه حياة الأنعام؟

فيا مَنْ صَيَّع وقته والعمر في التفاهات، لنا أن نسألك:

- أترضى بمثل هذه الحياة...؟!



- أترضى أن يفني عمرك وأنت بهذه الطريقة؟!

لا شك أنك - أخي الشاب - سئمت هذه الحياة ومللت تضييع وقتك وعمرك هكذا في التفاهات، فهيا بنا - أخي الشاب - لنملأ أوقاتنا ونقضي على هذا الفراغ.. القاتل الذي تحياه^(١).

(١) وهنا قد تسألني.. كيف أستمتع بحياتي، وأقضي على وقت فراغي؟!

وإليك الجواب بحول الملك الوهاب:

١- التسلح بسلاح الإيمان المقرون بالعمل الصالح:

أخي الشاب - إن المؤمنين بالله إيماناً صادقاً ينطلقون في العمل الصالح المصلح للقلوب والأخلاق في الدنيا والآخرة، ولعل السبب في ذلك أن أصولاً دينية يتعاملون بها مع كل ما يرد عليهم - لا سيما - في زمان الفتن وأوقات الفراغ حيث لا رقيب سوى الله.

لهذا أوصيك - أخي الشاب - بالتسلح الكامل بالإيمان، فهذا هو الزاد الذي يعينك على مجاهدة نفسك في أثناء أوقات فراغك [رواه مسلم (٢٩٥٦)].

ولتعلم أن الجزاء من جنس العمل، كما قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

٢- معرفة حقيقة الدنيا:

أخي الشاب - إن المؤمن يعلم أن الدنيا فانية، ومتاعها قليل، وما فيها من لذة فهي مكدر، فهي لا تصفو لأحد إن ضحكت قليلاً أبكت طويلاً، وإن أعطت يسيراً منعت كثيراً، ولقد أخبر النبي ﷺ عن هذا بقوله: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» [راجع الفوائد لابن القيم ص ١٥٩ ط. دار البيان].

فينبغي على شباب المسلمين أن يعلموا حقيقة الدنيا، وأن ينظروا بعين البصيرة إلى عاقبتها، وليعلم الشباب أن هموم الدنيا تُشتت النفس وتفرق شملها، فإذا جعل العبد الآخرة همه فلم يُبدد وقته بفعل الحرام، ولم يقتل وقته باتباعه لهواه، جمع الله له شمله وقويت عزيمته، قال ابن القيم - رحمه الله: [أخرجه الترمذي (٥٢٢)، وأبو يعلى في المسند (٢٥٤/٢)، بإسناد صحيح].

«إذا أصبح العبد وأمسى وليسه همه إلا الله وحده، تحمّل الله عنه سبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمه، وفرّغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكوره، وجوارحه لطاعته، وإن أصبح وأمسى والدنيا همه حمّله الله همومها وغمومها وأنكادها، ووكله إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته

=





بخدمتهم وأشغالهم، فهو يكدح كدح الوحوش في خدمة غيره، فكل مَنْ أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته يُبتلى بعبودية المخلوق ومحبه وخدمته».

٣- الوقت هو الحياة:

الوقت في حياة المسلم هو كل شيء، هو رأس ماله الحقيقي الذي يحتاجه لدينه وأخرته، فهو أضمن ما يملك على الإطلاق؛ لأن الوقت هو الوعاء لكل عمل يقوم به الإنسان، فكل الأعمال النافعة الصالحة التي يحتاجها الإنسان في الدنيا والآخرة تفتقر إلى الوقت، ذلك الوعاء الذي يكون محلاً لإيقاع العمل والإنتاج، ولولا الزمن والوقت ما كان هناك عمل، أو إنتاج.

لأجل هذا جاءت السنة النبوية تؤكد قيمة الوقت، وتقرر مسئولية الإنسان عنه أمام الله ﷻ يوم القيامة حتى إن الأسئلة الأربعة الأساسية التي توجه إلى المكلف يوم الحساب يخص الوقت منها سؤالان رئيسان، وهكذا يسأل الإنسان عن عمره عامة، وعن شبابه خاصة، والشباب جزء من العمر ولكن له قيمة متميزة باعتبار سن الحيوية الدافقة والعزيمة الماضية، ومرحلة القوة بين ضعفين.

وفي هذا عدد من الأحاديث النبوية الصحيحة منها:

حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفق، وعن جسمه فيما أبلاه». [أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٤٨/٤)، والخطيب في اقتضاء العلم العمل ص ١١٠، وأحمد في الزهد، والبيهقي في شعب الإيمان، والحاكم (٢٠٦/٤) موصولاً من طريق أخرى عن ابن عباس رفعه وإسناده صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٨٩٨)]. وعن عمرو بن ميمون الأزدي قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك». [أخرجه البخاري (٢٣٢/١١) ح (٦٤١٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ». [راجع البيهقي في شرح السنة (٢٢٥/٤) ط. المكتب الإسلامي].

وهذه نصيحة حسنة من الإمام الحسن البصري -رحمه الله- فيقول:

«أدركت أقواماً أحدهم أشح على عمره منه على درهمه» [انظر رسالة دكتوراه بعنوان «منهج السنة النبوية في تربية الإنسان - وقاية وعلاج» تأليف/بدير محمد بدير - رحمه الله- (١١١/١) ط. مكتبة الدعوة الإسلامية بالمنصورة]. فالوقت هو الحياة، وهو رأس مال المسلم ولا ينبغي أن ينفقه المسلم في غير طاعة، حتى لا يغبن فيه، لأنه إن ضاع رأس ماله بلا ربح، عاد بالخسران المبين، فيجب ملء الفراغ وشغل الوقت بكل ما هو نافع ومثمر يعود على المرء وعلى أهله ومجتمعه والإنسان جمعاء بالخير في الدين والدنيا والآخرة. [راجع [الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي والمعروف بـ (الداء والدواء)] لابن القيم ص ١٨٤ ط دار الفتوة الجديدة].

فيا - أخي الشاب - إن وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو ماله حياته الأبدية في النعيم المقيم، وهو يمر أسرع من

=



السحاب فمن كان وقته لله وبالله فهو على الحقيقة حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته وإن عاش فيه عاش عيش البهائم، فإذا قَطَعَ وقته في الغفلة والسهو والأمانى الباطلة فموتٌ هذا خيرٌ له من حياته. فعليك أن تستثمر وقتك خير استثمار في: الإتيان بالطاعات [من قراءة للقرآن، والاهتمام بقراءة الأذكار، وإقامة الصلوات وأدائها بخشوع وتدبر، وكثرة الصيام والمثابرة على قيام الليل].

كذلك عليك أن: تستثمر وقتك وعمرك في تحصيل العلوم النافعة في أمور دينك ودنياك، وعليك بممارسة جانب من الرياضة البدنية المنظمة المباحة ولا تغفل عن تعلم حرفة أو صنعة أو أي عمل تكفي به نفسك وترضي به ربك وتسعد به أهلك ومن حولك...

المهم أن تستثمر وقتك خير استثمار على مثل هذا المنوال. وتذكر دومًا أن وقتك أغلى من المال، فإن كنت تستطيع أن تحافظ على مالك وتنميهِ وتستثمره، فإن ضياع الوقت قاتل وقاطع والأنفاس لا تعود.. ولعل قضية أهمية تنظيم الوقت ستأتي معنا في مبحث قريب - إن شاء الله تعالى.

٤- إياك والتقليد الأعمى:

إن كثيراً من شباب المسلمين من الله تعالى عليه بالعديد من المواهب والكثير من النعم، ولكنها وللأسف الشديد تصير معه وعليه إلى نقم ومحني ومأس وذلك نتيجة: لوفرة الوقت - لا سيما - في الأجازات، والتي تطول فيها أوقات الفراغ، فنرى الكثير من هؤلاء يعمد إلى استغلال وقته في تقليد الفاسدين ومحاكاة الفاسقين، فتراه يقلد هذا الضال في طريقة كلامه، ويحاكي هذا الفاسق المخنث في طريقة مشيته، وتراه يقلد فلاناً من الممثلين الفاسقين في طريقة ملابسه وتصفيفه لشعره، حتى إنك لتعجب ممن يقلدون غيرهم ويتابعونهم في كل شيء حتى فيما يضرهم دينياً وصحياً وجسدياً ونفسياً، فترى الكثير من هؤلاء الشباب - لا سيما بعض الشباب في الجامعات - قد استغل وفرة الوقت لديه في الظفر بامرأة داعرة أو شرب المسكرات وتعاطي المخدرات (ولا حول ولا قوة إلا برب الأرض والسماوات).

لأجل هذا رأيت لزماً أن أبين خطر التشبه بأهل الكفران، وأهل الفسوق والعصيان: ولعل هذا مقرر بجلاء في نصوص الكتاب والسنة لمن استقرأها وفقهها ووعى عللها وحكمها، ولقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مؤلفاً ممتعاً وهو كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم)، ولقد بين فيه - رحمه الله تعالى - خطر التقليد لأهل الكفر والفسق، كما حذّر من التشبه بأهل الكفر والفسوق كاليهود والنصارى والملحدون والعلمانيين..... إلخ. [راجع كتاب (الفراغ وأزمة التدين عند الشباب المعاصر.. الداء والدواء) تأليف د/عبد العظيم المغنني ص ٢٥٦، ٢٥٧ ط. دار الأنصار بالقاهرة ط. ١٩٧٨م].

فاتقوا الله شباب المسلمين، وترسموا هدى رسول الله ﷺ وهدى أصحابه، فإن هديهم خير هدى وطريقتهم أكمل طريقة.

=





* وإياكم وهذه التقاليد الفاسدة التي لا خير فيها: فليس كل جديد أو حديث يكون مقبولاً، وليس كل قديم يكون مرفوضاً، وإنما العدل والقسط الذي ينبغي أن تسيروا عليه قبول الحق من أي أحدٍ كائنًا من كان، شريطة ألا يصطدم بثوابت ديننا، وحقائق شرعنا، وإننا لنأسف كلَّ الأسف أن يأخذ أقوامٌ من هذه الأمة بكل ما ورد إليهم من عاداتٍ أو تقاليدٍ أو شعاراتٍ من غير أن يتأنوا فيها وينظروا إليها بنظر الشرع والعقل؛ ويتأملوا سائلين أنفسهم بحق وصدق: هل ما يفعلونه يخالف شريعة الله أم لا؟

* فإن كانت تخالف شريعة الله رفضوها واجتنبوها كما يرفض الجسم السليم جرثومة المرض، ثم نصحبوا مَنْ كان كذلك من إخوانهم -خاصة- الذين عُرِّرَ بهم فنقلوها إلى مجتمعاتنا بدون تأملٍ أو نظرٍ إلى مآلات هذه الأفكار والسلوكيات الخاطئة، ولعلَّ هذا هو الواجب على كل شاب مؤمن تجاه إخوانه المقلدين لكل ما هو غربي، حتى ينشأ شباب قوِّي الشخصية، نافذَ العزيمة، بصير التفكير، صالحًا مصلحًا، أما إذا كانت هذه التقاليد الواردة إلينا لا تخالف الشريعة فلننظر إليها بنظر العقل، كذلك فلننظر إلى نتيجتها في الحاضر أو المستقبل القريب والبعيد؛ لأنه قد لا يكون لها تأثير ملموس في الحاضر لكن لها تأثيرٌ مرتقبٌ في المستقبل، ومتى سرنا بهذا الاتجاه وعلى هذا الخط الفكري المتوازن فمعنى ذلك إننا سنسير على بصيرة وفي اتجاه سليم، وبه نصل إلى التوفيق في الدنيا والآخرة.

فاحرص - أخي الشاب - على أن تتشبه بالصالحين، وأن تقلد الفالحين، ولقد قالوا قديماً

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم *** إن التشبه بالكرام فلاحٌ

[ومن أراد مراجعة الأدلة من الكتاب والسنة على تحريم التشبه بأهل الكفر والعصيان فليراجع كتاب «الولاء والبراء في الإسلام» لفضيلة د/محمد بن سعيد القحطاني ط. دار الصفوة، وكتاب «الموالات والمعاداة» للشيخ/محماس بن عبد الله ط. دار اليقين، وكتاب «حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة» لمؤلفه/سيد سعيد عبد الغني ط. دار ابن حزم - بيروت].

٥ - اعلم أن الفراغ مشكلة: ليس لها حل باعتبار، ولها حلول باعتبارات أخرى، ليس لها حل ما دمنا لا نفكر في إيجاد حل لها، أو نفكر بلا تنفيذ، ولها حلول إذا أوليناها أهمية بحثنا عن تلك الحلول، ثم إذا توصلنا إلى منفذ لم نتهاون لحظة في تنفيذه، وفيما يلي إسهام متواضع لضروب من الحلول أثبتتها هنا حسب تصوري لها، فمثلاً:



تصوري لطلاب الجامعات:

أن طلاب الجامعات ينقسمون إلى:



بالنسبة لشباب المرحلة الثانوية: يمكن توجيه طاقاتهم للرياضة والتنمية الذاتية، ومحاولة أخذ (كورسات) قبل الالتحاق بالجامعة، والاستفادة بقوتهم في أعمال بدنية، وأعمال الخير، وحفظ القرآن الكريم، وغيرها، مع الحرص على تنمية «مهاراتهم» و«هواياتهم» المباحة. [راجع الضياء اللامع من الخطب الجوامع. للعلامة/محمد بن صالح العثيمين ص٢٥؛ ط. دار الفلاح بالمملكة العربية السعودية].

٦- اجتنب ما يضرك:

ذكرت آنفاً أن الفراغ عند الشباب منحة ومحنة، ونعمة ونقمة، والكثير من شباب المسلمين لا يقتلوا أوقاتهم في التفاهات والترهات فحسب -وكفى بها بلية-، ولكنهم يدمرون قوتهم وصحتهم، ويقتلون أنفسهم عن طريق تعاطي المخدرات بشتى صورها وكافة أنواعها.

(أ) بداية الخطر: عندما يخرج الشاب من بيته إلى الشارع حيث شياطين الإنس، فيجتذبه أهل الضلال والانحلال رفقاء السوء، لشرب المسكرات والمخدرات مثلاً، وترى الواحد منهم يوسوس إليه شيطان مارد، فيقول له: ما المانع أن تتعاطى المخدرات؟

اشربها ولو على سبيل التجربة!، اشربها فإنها ستعمل على إسعادك وستجلب لك المرح والسرور، إنها ستساعدك على تناسي الهموم وستخفف عنك المشكلات، وستدفعك للتعاي على أحزانك -لا سيما- وهموم الحياة كثيرة وبالفعل يستجيب هذا المسكين المخدوع لوساوس أهل الفساد فيتعاطى بعض المخدرات كالبانجو والحشيش وغيرها، كل هذا يفعله هذا الشاب على سبيل التجريب وحب الاستطلاع لعله يصل إلى بغيته وممراته من إسعاد حقيقي لنفسه أو بمصطلح العصر لدى الشباب اليوم لعله [يعيش حياته]، فما إن يفعل ذلك حتى يصبح أسيراً لهذه المخدرات وتكون النتيجة المعروفة لنا جميعاً...

ألا وهي: ضياع قوة الشباب والتي تؤدي حتماً إلى فشلهم في الحياة، وتدفع بهم إلى عدم الثقة بالنفس، والعزلة عن المجتمع مما يؤدي إلى إحداث خلل كبير في المجتمع المسلم.

(ب) ثم يبدأ الشاب في التدرج من التعاطي إلى الإدمان، فتراه يتقلب ليلاً ونهاراً في شرب مثل هذه السموم المخدرة، حتى يصير كالجثة الهامدة، وبالتالي لا يقوى على القيام بأي عمل من الأعمال، ولا يتحمل أعباء المسؤولية. [مما يؤكد ما ذكرناه آنفاً أنه قد أجريت إحدى الدراسات حول أسباب انتشار المخدرات انتشاراً مفرغاً في مصر - فوجد أن من أهم العوامل في انتشار المخدرات: (إجراء سياسة الانفتاح مع الكيان الصهيوني، ومحاولة تطبيع العلاقات بينهما، مما يسهل على مروجي المخدرات من اليهود إدخال كميات كبيرة إلى مصر، وقد يحدث هذا تحت سمع وبصر بعض المسؤولين بلا تكير حقيقي...) راجع مجلة الشرق الأوسط عدد (٦٦) ص١٨].

(ج) ومن ثم تسهل سيطرة الأعداء على مقدرات الأمة الاقتصادية والثقافية والفكرية وتقع الأمة في شباك التبعية لهؤلاء المجرمين، ويحدث ما يصبو إليه هؤلاء من القضاء على قوة هذه الأمة المتمثلة في شبابها بعد جهد جهيد،

=



٦- مناهج التعليم في المدارس والجامعات:

من نافلة القول: أن طلب العلم الشرعي من المبادئ الأساسية في الإسلام حيث كانت أوائل الآيات التي نزلت في القرآن الكريم الدعوة إلى تعلم القراءة التي هي مفتاح من مفاتيح العلم، قال -سبحانه- ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]، وامتناناً على البشر بتعليمهم الكتابة التي هي من طرق حفظ العلم، ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [سورة العلق: ٤-٥].

وقد شهد تاريخ المسلمين منذ فجر الإسلام نهضة فكرية علمية واسعة، وألفت في تاريخ المسلمين مؤلفات كان لها تأثير في تاريخ البشرية كلها.

واتخذ المسلمون المسجد من البدء داراً للتعليم، ثم أوجدت الكتاتيب لتكون مكاناً لتعليم الناشئة القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن الكريم، ثم أنشئت المدارس المستقلة التي أوقف عليها الموسرون أوقافاً تساعد على استمرار التدريس فيها، ولم تكن تلك المدارس قاصرة على العلوم الشرعية بل كانت تدرس الأدب والتاريخ والتراجم والحساب والفلك والطب.

والتعليم من أخطر الأمور في حياة الأمم، فبسببه ترتفع الأمم إلى أعلى القمم، وبضعفه تنحدر إلى القيعان والهاوية، بل من الممكن أن يكون التعليم وسيلة من وسائل الرقي والتقدم والنهضة، ومن الممكن أن يكون وسيلة من وسائل التأخر والتخلف، وقد عبّر الفيلسوف المسلم عن هذا فقال: «إن التعليم هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي، ثم يكونها كما يشاء، إن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيراً من أي مادة كيميائية، وهو الذي يستطيع أن يحول جبلاً شامخاً إلى كومة من التراب»^(١).

لإضعافهم وإفسادهم صحياً وجسدياً ومعنوياً وثقافياً ودينياً.

(١) انظر كتاب الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، للشيخ/ أبي الحسن الندوي، ص ١٠٦، ط. دار الصحو.



العقائد وأثرها في التعليم

لا شك أن التعليم مرتبطٌ بعقائد الأمم وأفكارها وتصوراتها، فمثلاً: العلوم التي تدرس عند الغربيين تكون مصطبغةً بعقيدة كتابها، فالعلوم التي تدرس في الديار التي تحكمها الشيوعية تتباين وتختلف مع المناهج التي تدرس في بلاد الإسلام، يقول «جوفرن» وهو أحد كبار رجال التربية في الديار الروسية: «إن العلم الروسي ليس قسمًا من أقسام العلم العالمي، إنه قسم منفصل بذاته، يختلف عن سائر الأقسام كل الاختلاف، فإنه سمةُ العلم السوفيتي الأساسي أنه قائمٌ على فلسفةٍ واضحةٍ متميزة، وأن التحقيقات العلمية في حاجةٍ إلى أساس، وأن أساس علومنا الطبيعية الفلسفة المادية التي قدّمها «ماركس» و«إنجلز» و«لينين» و«ستالين»، إننا نريد أن نخوض - وفي أيدينا هذه الفلسفة - في العلم الطبيعي العالمي، ونصارع جميع التصورات الأجنبية التي تناهض فلسفتنا الشيوعية والماركسية بكل حزم وقوة^(١).

إذن في عالم الغرب لا يوجد تعليم لا يقوم على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها، كما يقول «سيبرسي نن»، وفي روسيا نرى أن التعليم كان ولا زال يقوم على أسس الفلسفة المادية، فإذا كان هؤلاء - وهم أهل ضلال وإفساد - يصبغون تعليمهم بأسس ثقافتهم وأصول معتقداتهم، فمن باب أولى واجبٌ علينا - نحن المسلمين - أن نأخذ العلوم الطبيعية ثم نقيمها وفق الإسلام، أعنى على أصول الإسلام وعقيدة الإسلام، وليس هذا تعصبًا أو تحيزًا بل إن الباحث المنصف يجد أن الإسلام أكرم أمة الإسلام بالرسالة الخاتمة التي حوت من النصح والإرشاد وتبيين الأمور ما يشكل كل الخطوط العريضة لصالح الإنسان ونجاحه في كل نواحي الحياة...

(١) راجع رسالة أسلمة التعليم في ديار المسلمين، د/ عمر سليمان الأشقر ص ١٥، ط. دار النفائس.



ونحن إذ ننادي بالتعليم الإسلامي فلا نقصد به^(١) تعلم العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه وغيرها من علوم الأصول والآلات التي تدرس في المعاهد والكلية التي تعنى بدراسة الشريعة الإسلامية، وإنما مرادنا صبغ جميع العلوم التي تدرس في المدارس والجامعات في ديار الإسلام بالإسلام، بحيث يقوم التعليم في مختلف فروعه على أصول الإسلام، وتصطبغ العلوم بروح الإسلام وتوجهاته، ثم يكون الإسلام ضابطاً للعلوم كلها.

قد يقال: إن علوم الرياضيات وعلوم الطبيعة علوم محضة، ليس للعقائد دخل فيها، فليس هناك علمٌ طبٍ روسي، وآخر فرنسي، وثالث أمريكي، وهذا صحيحٌ من ناحية، وخطأٌ من ناحية أخرى، صحيح إذا نظرنا إلى أن الذين ألفوا هذه العلوم صبغوها بالصبغة التي يعتقدونها، فمثلاً: العلوم التي ألفها اليونان صُبغت بالعتيدة الشريكة التي كانت تسيطر على عقولهم، وقد كان أفلاطون يعتقد أن هناك إله لها شأن في تدبير أمور الكون، وهي قوى متوسطة بين الخالق والمخلوق، وكان يعتقد أن الشر إنما يأتي من هذه الآلهة المتوسطة، وأن إله الذي كان يسميه بالعقل الفعّال لا يصدر منه إلا الخير، وعندما صعد أحد الرواد الشيوعيين إلى الفضاء، قال: صعدت إلى أعلى ولم أجد الله، لهذا نرى أن كل العلوم المبنية على الفلسفة الشيوعية العلمية تحاول في منطلقاتها ونتائجها أن تؤكد على النظرية الكفرية التي تنكر الخالق

(١) قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى: العلوم قسمان:

الأول: علوم الدين التي تركزى بها النفوس، وتهذب بها الأخلاق، وتصلح بها العقائد، وتكون الأعمال بها صالحة مثمرة للخير، وهذه هي العلوم الشرعية المبنية على الوحيين، ويلحق بها ما هو مكمل لها كعلوم اللغة.
الثاني: علوم الدنيا التي لا يقصد بها تهذيب الأخلاق، وإصلاح العقائد والأعمال، وإنما يقصد بها المنافع الدنيوية فقط.
فالقسم الأول هي علوم السيادة التي تتعلق بها نصوص مدح العلم والثناء على العلماء.
وأما العلوم البشرية: فهي علوم الخدمة، لأنها تدور حول تحقيق الرفاهية لبدن الإنسان وعيشه المادي، وأحكامها تختلف باختلاف مقاصد المتعلم، فإن قصد بها الخير، وبنيت على الإيمان والدين صارت علوماً دنيوية دينية محمودة. انظر: الفتاوى السعدية ص ١٠٤، ١٠٥ ط. مكتبة المعارف.





والآخرة، وتكذب بالرسول وتتنكر للكتب، إذن فإن مرادنا بالتعليم الإسلامي: هو التعليم الذي يقوم على عقيدة الإسلام^(١)، الموافق للإسلام في نظره للحياة والتي تدعوه إلى الاستفادة من الكون الذي سُخِّرَ له^(٢).

(١) راجع رسالة (أسلمة التعليم في ديار المسلمين) للدكتور/ عمر سليمان الأشقر، ص ١١، ١٥، ١٨، ١٩.
(٢) راجع رسالة دور الطلبة في بناء مستقبل العالم الإسلامي، للشيخ / أبي الأعلى المودودي، ص ١١، ص ١٢، ص ١٤ ط. الاتحاد العالمي للنظمات الطلابية - بتصرف -.

التعليم بين الأمس واليوم

كانت العلوم والمعارف عبر التاريخ الإسلامي مصطبغةً بالإسلام ومنضبطةً بإطاره ونظامه الكلي، ولم يُحسَّ المسلمون بفجوة بين العلم والدين توجب مصالحة واحد منهما ومعاداة الآخر، فكان علماء الشريعة في كثير من الأحيان - هم الأطباء والمهندسون وعلماء الهيئة، وقد تعمق العلماء المسلمون في مختلف العصور في جميع العلوم التي أباح الشارع أو حَبَّبَ أو أوجب تعلمها والنظر فيها وصبغوها بالصبغة الإسلامية، وقد أخذ العلماء آنذاك بكل مباح ومتاح لديهم، بل حرصوا على الاجتهاد المنضبط لتحديد المناهج والأساليب التربوية التي تحقق غاية الشريعة في حياة بني البشر، وتساعد على تكوين الناشئة، وإعدادهم للعيش في حياة كريمة آمنة ومنتجة، ولقد أصاب هؤلاء العلماء في بعض اجتهاداتهم وجانبهم الصواب في أشياء لكن حسبهم أنهم قدموا ما استطاعوا في هذا الوقت.

ولكن ما لبث الأمر أن تغير وصار المسلمون إلى تأخر وتخلف في العلوم الشرعية، والبشرية، وذلك لأسباب كثيرة... ثم جاءت الطامة الكبرى عندما غزا الكفار ديارنا، واحتلوا بلاد المسلمين، وعاثوا فيها الفساد، وكان من أخطر ما أنزلوه بنا احتلال من طراز خاص، ذلكم المسمى «بالغزو الفكري» حيث أنزلوا بالمسلمين الكثير من الهزائم من طراز خاص هو أشد وأنكى من حربهم المسلحة؟!

حيث قاموا بإرسال جيوش من الإرساليات التعليمية والتنصيرية إلى بلاد المسلمين، وخصصت الميزانية المالية لتقديم المعونات الفنية والمادية لبناء المدارس والكلليات، ورسم الخطط الدراسية، فضلاً عن انتشار «الابتعاث العلمي» وصدّم كثير من الناس بحضارة الغرب بما يمكن تسميته بـ (الصدمة الحضارية) حيث هالهم التقدم الغربي وأولعوا به، فلم يفرقوا بين ضاره ونافعه...

واجتهد الغزاة في استخدام التعليم لتحقيق مآربهم الخبيثة، فأوقدوها معركةً فكريةً خبيثةً





ماكرةً، ونازًا موقدة، وسيوفًا خفية على قلوب المسلمين باستعمارها عقيدة وفكرًا ومنهج حياة، ليصبح العالم الإسلامي غريبًا في أخلاقه ومقوماته، متنافرًا مع دين الإسلام الحق، وكان أنكى وسائله «جلب نظام التعليم الغربي»، و«المدارس الاستعمارية الأجنبية العالمية» إلى عامة بلاد العالم الإسلامي^(١).

يقول المستشرق (جب): السبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب أو «الفرنجة» هو أن نتبين إلى أي حد يجري التعليم على الأسلوب الغربي، وعلى المبادئ الغربية، وعلى التفكير الغربي - هذا هو السبيل الوحيد ولا سبيل غيره، وقد رأينا المراحل التي مر بها طبع التعليم بالطابع الغربي في العالم الإسلامي، ومدى تأثيره على تفكير الزعماء المدنيين، وقليل من الزعماء الدينيين^(٢).

ويقول اللورد ميكالي - إبان استعمار بريطانيا للهند -: (يجب علينا أن ننشئ جماعة تكون ترجائًا بيننا وبين الملايين من رعيتنا، وستكون هذه الجماعة هندية اللون والدم، وإنجليزية في الذوق والرأي واللغة والتفكير)^(٣).

ولقد كان من أهدافهم أنهم كانوا إذا وضعوا سياسة تعليمية لبلد تخضع لسلطان دولتهم المتسلطة المحتلة، فإنهم يجعلون من أول المواد التي يقررونها في هذه السياسة التعليمية تربية جيل يدين لهم ولقومهم بالولاء والطاعة، وينسلخ عن ولائه لدينه أو لقومه وينصهر بالتدرج في قومية ودين الشعب الغالب المحتل، ويتقمص بالتدريج كل أو جل مفاهيم هذا الشعب

(١) راجع كتاب المدارس العالمية الأجنبية والاستعمارية تاريخها ومخاطرها، لفضيلة الشيخ العلامة/ بكر أبو زيد، ص٦٤، ط. دار العاصمة.

(٢) راجع «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» لمؤلفه د/ محمد محمد حسين (٢/ ٢١٦-٢١٧)، ط. دار الرسالة للنشر والتوزيع.

(٣) راجع كتاب «نحو التربية الإسلامية الحرة» للشيخ/ أبي الحسن الندوي ص ٢٩ ط. المختار الإسلامي.



المحتل، وأنواع سلوكه الفردي والاجتماعي، حتى لا يجد في نفسه حرجاً من أن يكون مسخرًا أو مستذلاً منسوب الذات والأرض والثروات والكرامة، لهذا الشعب الغالب المحتل مهما طال الاحتلال..

فعلى سبيل المثال لا الحصر: حددت السياسة التعليمية في مصر الصادرة بقرار مجلس الوزراء عام ١٩٧٢م أهدافاً منها:

في المرحلة الابتدائية: التنشئة على الوطنية، والقومية العربية، وتأهيله للحياة في المجتمع الديمقراطي الاشتراكي.

وعمدت بعض الحكومات إلى قوة القرار السياسي في تغيير التعليم وإنهاء دور التعليم الشرعي كما هو الحال في تركيا^(١).

أما عن الخطة الدراسية: الملاحظ في الخطط الدراسية الموضوعية لكثير من البلاد الإسلامية عدم مراعاة ذلك إما بنقص التعليم الشرعي، أو بالتعارض بين العلوم الشرعية وغيرها من العلوم، وهذه جملة من الشواهد..

العلوم الشرعية وحصة التربية الدينية لا تزيد عن حصة واحدة في الأسبوع، وهي بهذا تتساوى مع حصة الموسيقى أو التربية الرياضية أو التربية الفنية، ويزيد على ذلك أنها مادة

(١) اعلم -أخي القارئ- أن أركان التعليم الرئيسة أربعة:

(أ) السياسة التعليمية وهي المشتملة على أهداف التعليم الكبرى، والأسس التي يقوم عليها.

(ب) الخطة الدراسية، ويقصد منها: تحديد المواد الدراسية وتحديد عدد ساعات الدراسة لكل مادة.

(ج) الكتاب: المعتمد في شرح هذه المادة.

(د) المعلم: وهو الشارح للمعلومة للطلاب، ويسير وفق السياسة التعليمية والمنهاج والكتاب.

راجع كتاب «غزو في الصميم» للشيخ/ عبد الرحمن حبنكة الميداني ص ١٠، ١١ ط. دار القلم، وكتاب «التعليم العام في

البلاد العربية» لمؤلفه/ محمد منير موسى ص ١٩٦ ط. عالم الكتب - القاهرة.





إضافية لا تضاف للمجموع وغير ذات أثر في نجاح الطالب ورسوبه، أو في معدلاته النهائية^(١).

وعليه فصارت مسألة تعليم القرآن الكريم وأمور الدين مسألة شخصية منوطة بجهد من يريدّها، وهذا قليل وآخذ في القلة يوماً بعد يوم وذلك لانعدام أسبابه من رغبة الآباء من جهة، وعدم توفر المعلمين المتميزين من جهة أخرى.

وإن وجد معلم للعلوم الشرعية فهو يدرس الدين بطريقة علمانية تفصل الدين عن العلم والحياة المعاصرة، فضلاً عن وجود تناقضات بين مادة الدين وبعض المواد التي تدرس في عقل الطلاب نظريات دارون وكلامه عن خلق الإنسان، ونظريات «فرويد» في علم النفس.

أما عن الكتاب المدرس: فمن البين الواضح لنا «العناية بكل الكتب الدراسية من حيث الشكل وجودة الطباعة إلا كتب التربية الإسلامية، وبسبب ذلك تنصرف نفوس الطلاب إلى الكتب العصرية المعنى بها وتزهّد في الكتب الأخرى التي منيت بالإهمال والتقصير وعدم العناية.

أما عن محتويات الكتب الدراسية سواء كانت كتباً علمية أو أدبية أو لغات فإن في كثير منها ما يتعارض مع الدين والأخلاق - خاصة - بعد ما يُسمى بـ (تطوير التعليم - وجودة التعليم)^(٢).

وقد بيّن مؤلفوا كتاب (المؤامرة على الأخلاق في كتب اللغات الأجنبية) للأستاذ/ عادل

(١) راجع كتاب «المؤامرة على مناهج اللغة العربية والتربية الإسلامية» لـ أ/ محمد عبد الرحمن طبل، أ/ نبيل عزام ص ٥٥ ط. دار الوفاء.

(٢) انظر كتاب «التطوير بين الحقيقة والتضليل» للدكتور/ جمال عبد الهادي أ. علي أحمد لبن ص ٢٥، ٥٦ ط. دار الوفاء.



المرزوقي، والأستاذ/ إسلام هاشم وآخرين ط. دار الوفاء شيئاً من ذلك، حيث بيّنا شيئاً من الفساد التعليمي في جانب الأخلاق مثل: كالحض على العري والاختلاط، والعشق المحرم، والذهاب إلى السينما، والعمل على إضعاف الحس الإسلامي والوطن.

كما بيّن صاحب كتاب «المؤامرة على التاريخ الإسلامي» عدداً من المخالفات في مناهج مادة التاريخ: ك (إغفال الهدف التربوي من دراسة التاريخ - إحياء النزعات القومية والعنصرية - إهدار الجانب الروحي وإغفال دوره في الحضارات، واعتبار الدين من اختراع العقل البشري.

وأما عن المعلم: فقد تمّ إهانة مهنة المعلم أشد الإهانة، وصار هدف أكثر هؤلاء هو المكافآت الربحية فقط، وبالنسبة لمواد الدين فإنه يقوم على تدريسها أناس غير متخصصين، لا يملكون أدوات علمية حقيقية لشرح هذه المواد^(١).

كذلك فإن (المعلم) قد ينفذ (المنهج المستتر) الذي قد يدمر مجموعة المعتقدات والقيم والعادات غير المكتوبة التي قد يتم تسريبها إلى الطلاب عن طريق تصرفات سلوكية مضطربة للمعلم والذي يفترض أن يكون قدوة^(٢).

وبالفعل نجح أعداء الله من عبّاد الصليب وغيرهم من الكافرين المحتلين في إفساد التعليم، فحرفوا مساره ووجّهوه وجهة لا يرتضيها الإسلام، وخلطوه بالنظرية الغربية التي قطعت الصلة بالله وبدنيه المنزل، وفصلوا العلم الديني، في كثير من بلاد المسلمين - عن التعليم المدني وعلوم الحياة - وهكذا أدرك المستعمرون والمنصرون خطورة التعليم فاتخذوا منه أسلوباً لإفساد الأفراد والأمم ومسحهم من دينهم وعقيدتهم، وطبعهم بالطابع الغربي،

(١) انظر كتاب «المؤامرة على التعليم والمعلم» للأستاذ/ حسن جودة، وأ/ محمد خفاجة، وأ/ صلاح الدين محمد وغيرهم ط. دار التوزيع للنشر.

(٢) راجع [حول التربية والتعليم] للدكتور/ عبد الكريم بكار ص ٣٤٨ ط. دار القلم - دمشق.





كما يقول اللورد «كرومر» أن المصري الذي خضع للتأثير الغربي، فإنه وإن كان يحمل الاسم الإسلامي لكنه في الحقيقة ملحد مرتاب، والفجوة بينه وبين عالم أزهري لا تقل عن الفجوة بين عالم أزهري وبين أوربي^(١).

- (١) راجع كتاب الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص ١١٠.
- ولشديد الأسف نجح كثير من الغزاة المحتلين في إفساد السياسات التعليمية الإسلامية في كثير من البلاد التي احتلوها:
- ١- ففي الجزائر: حاول المحتل الفرنسي القضاء على التعليم الإسلامي وفرض التعليم الفرنسي الصليبي لجعل الجزائر جزءاً من فرنسا وإبعاد المجتمع الجزائري عن كل ما هو إسلامي.
 - ٢- وفي المملكة المغربية: اتخذ المحتل الفرنسي الترتيبات اللازمة لجعل التعليم في المملكة المغربية العربية الإسلامية تعليمًا علمانيًا يهدف إلى تربية الولاء الكامل للمحتل، ويضعف ولاء أبناء الشعب المغربي لدينه وقومه...
 - ٣- في شبه القارة الهندية وباكستان: في عام ١٧٨١م أنشأ المنصر «درن هستنكر» مدرسة، وكان التركيز فيها على إعداد جيل من المسلمين يخدمون في دور الحكومة ويتولون القضاء، واختارت هذه المدرسة في البداية العلوم الإسلامية التقليدية، وكانت فترة الدراسة فيها لمدة سبع سنوات، وفي عام ١٨٥٠م فتحت فيها أماكن لتدريس اللغة الانجليزية لتحل محل اللغة العربية واللغات المحلية.
 - وبدأ من النصف الثاني للقرن التاسع عشر قام المحتل الانكليزي بالتخطيط المركز للقضاء على تأثير علماء المسلمين ومراكز نفوذهم، ليتمكنوا بعد ذلك من نشر ديانتهم النصرانية.
 - وهذا يتضح أن هدف القوم كان ولا زال هو تنصير الأجيال، وتنشئة هذه الأجيال تنشئة علمانية معادية للإسلام.
 - ٤- وفي مصر: اتخذ الاحتلال البريطاني سنة ١٨٨٢م من مديونية عصر الخديوي إسماعيل سبباً لإغلاق المدارس ومناهضة التعليم الوطني، وحصر التعليم في أضيق نطاق، ثم صبغه بالصبغة الانكليزية حتى صارت اللغة الانكليزية هي لغة التدريس، متجاهلة المواد القومية الوطنية والمواد الشرعية الدينية وكل ما له صلة بالإسلام من قريب أو بعيد، واقتصرت أهداف التعليم على تخريج موظفين للوظائف الحكومية الدنيا، أما الوظائف القيادية فقد قصرت على المستعمرين وأذنابهم ممن تلقوا التعليم في المدارس الأجنبية.
 - ٥- وفي السودان: اتخذ المحتل البريطاني في السودان ما اتخذته المحتل في مصر وغيرها في ميدان التعليم، وكانت حكومة الغزاة صارمة في كبت أنشطة المعاهد الدينية القديمة إلى الحد الذي تمّ فيه شق اثنين على مشهد من الجمهور،

=



لهذا قام المنصرون ومن حذا حذوهم من العلمانيين والمستغربين بإفساد التعليم على النحو التالي:

١ - إنشاء المدارس وجامعات أجنبية في أنحاء العالم الإسلامي: فأنشأوا لهم مدارس في استانبول عاصمة الخلافة الإسلامية، وفي لاهور بالهند، وفي القاهرة، ولبنان، حتى كان لهم في سوريا وحدها مائة وأربع وسبعون مدرسة منتشرة في المدن والقرى^(١).

٢ - الاهتمام بمدارس البنات بصفة خاصة - لا سيما - المدارس الداخلية للبنات، وكان هدفهم من ذلك إفساد هذه المرأة لأنه بفسادها يفسد الجيل، ويتحول المجتمع المسلم إلى كومة من البشر مجردة من القيم الإسلامية الأصيلة، ولعل هذا يتضح بجلال عند استقراء الكثير من العقائد الضالة والأفكار المنحرفة والتي تُلقن للفتيات في كثير من هذه المدارس كفكرة «تحرير المرأة من ربقة دينها وعرفها ومجتمعها»، كذلك فهم يعلمون الناشئة أن الإسلام هو مجرد طقوس وشعائر تؤدي

أحدهما من شال السودان، والآخر من أوسط السودان، وكانت التهمة الموجهة هي الأعمال الهدامة المناوئة للحكم.

٦ - وفي سوريا: احتل الفرنسيون سوريا سنة ١٩٢٥ م، وأخذ هذا المحتل يوجه سياسة التعليم فيها وفق الأهداف التي ترمى إلى سلخ أبناء المسلمين من دينهم عقيدة وسلوكاً، وتغريهم فكراً وعملاً وعاطفة، وتغذى الولاء في نفوسهم للدولة المحتلة والشعب الفرنسي.

كذلك عملوا جاهدين على إحلال أفكار القومية والمذاهب الفكرية المعاصرة المناقضة للشرع والدين محل العقائد والمفاهيم والأخلاق والنظم الشرعية الإسلامية [راجع: غزو في الصميم، دراسة واعية للغزو الفكري والنفسي والخلقي والسلوكي في مجالات التعليم المنهجي والتثقيف العام، ونظرة عامة للتعليم في العالم، للأستاذ/عبد الرحمن حنيفة البيداني، ص: ٣٠٤، ط. دار القلم].

(١) راجع رسالة [قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله] للأستاذ/عبد الودود يوسف، ص: ١٤ ط. دار السلام.





وفقط ولا دخل له بحياة المجتمعات، ثم ظهر هذا بجلاء عندما تمَّ تغيير لباس الطالبات «المريول» كانت بداية للترجيل، حيث أثبت التاريخ أن هذا التغيير في المحاضن الدراسية المحتشمة هو بداية النهاية للباس الشرعي، وبداية التحول إلى التبرج بلباس قصير يكشف عن الساقين مع سترهما بالشراب، ثم إلى كشفهما، ثم إلى التشبه بغير المسلمات بتقليد رابطة العنق «الكرفطة» وهكذا في الأكمام، حتى تتحطم ضوابط اللباس الشرعي عند البنات، ويكثر الخلط، ويصعب الضبط، ويتم.. ما يرمون إليه من السفور والحسور، وتغير الحذاء النسائي إلى حذاء رياضي، تمهيداً لبداية العمل الرياضي للبنات دون ضوابط من دينٍ أو خلق، وهكذا يستمر التغيير الهادف إلى «ترجيل البنات» ودفعهن إلى التشبه بالكافرات كما حصل في مصر لمدارس البنات^(١).

* كما اهتموا بصفة خاصة بالحضانات وروضات الأطفال واعتبروا دخول الطفل في مدارسهم صيداً ثميناً لا يُقدَّرُ بِأَلٍ نظرًا لما في الأطفال الصغار من قابلية التشكيل بالشكل الذي يريدونه^(٢)، ولا بدَّ من التنبيه هنا على أن دعاة الإباحية لهم بدايات تبدو خفيفة، وهي

(١) راجع رسالة «حراسة الفضيلة» للعلامة / بكر عبد الله أبو زيد، ص ١١٢، ط. دار العاصمة.

(٢) أنصح كل شاب غيور على دينه بالاطلاع على كتاب «احذروا الأساليب الجديدة في مواجهة الإسلام» د/ سعد الدين سعد صالح ص ١١٤، ص ١١٥، ط. دار التقوى ببليس، ومن أمثلة هذه المدارس والكليات الخطيرة في مصر مدرسة الأمريكان وهي مدرسة ابتدائية أنشئت في عام ١٨٢٨م وألحقت بالكنيسة الأرثوذكسية في بولاق مصر، وفي عام ١٨٢٩م أنشئت مدرسة أخرى في الموسكي بالقاهرة، وكانت تدرس فيها اللغات: العربية والفرنسية، والإيطالية ثم تنابعت المدارس المختلفة التابعة للإرساليات ك (المدارس الكاثوليكية، ومدارس الكنيسة الإنجليز، والمدارس الألمانية، كذلك فهناك العديد من هذه المدارس كمدارس الفرير، مدارس الراهبات، مدارس الأسقفية الإنجليز بسراى القبة، مدرسة الأزيكية للبنات، مدار الفرنسيكان بالفجالة، كلية التجارة بالعطارين بالأسكندرية، الجامعة الأمريكية، كلية البنات الأمريكية بشارع رمسيس، كلية البنات



تحمل مكاييد عظمى منها: وضع لنبذة الاختلاط وتأسيسها، حيث يبدؤون بها من رياض الأطفال، ليألف الأطفال مسألة الاختلاط بالجنس الآخر، وليشربوا على ذلك، فالدعوة إلى الاختلاط في رياض الأطفال، وكذلك الصفوف الأولى من الدراسة الابتدائية دعوة خبيثة يَهْدُفُ أصحابها إلى مرامي خبيثة.

- ولم يكتفِ أعداء الإسلام بتوجيه الشباب المسلم توجيهًا كاملاً عن طريق المدارس والجامعات الأجنبية، وإنما حاولوا أن يتدخلوا في مناهج التعليم في المدارس والجامعات الوطنية فوضعوا لها منهاجاً يحقق لهم الأغراض التالية:

أولاً: إخراج القرآن والسنة وتاريخ الإسلام من البرامج التعليمية.

ثانياً: تخريج أجيال مضطربة دينياً وعقلياً ونفسياً، لكي تظل عقولهم وقلوبهم مرتبطة بالغرب أكثر من ارتباطها بالإسلام، وبالتالي تظل هذه الأجيال «تابعة خاضعة ذليلة للغرب».

ثالثاً: تجهيل أبناء الإسلام بلغتهم العربية وتراثهم القديم.

الأمريكية بأسبوط، كلية البنات الأمريكية بالأقصر وللتوسع يمكنك مراجعة كتاب «تاريخ ونظام التعليم في جمهورية مصر العربية» ص ٩٠، ٩١ ط. مكتبة الأنجلو المصرية.

ولما حلت هذه النازلة ببلاد الإسلام - أقصد فتح المدارس الأجنبية الاستعمارية في بلادنا المسلمة - تصدى لها عدد غفير من المصلحين الغيورين من العلماء وغيرهم في شتى أقطار العالم الإسلامي، وأعلنوا موقفهم الإسلامي الصريح من تلك المدارس المقطوعة الصلة بالإسلام عقيدة ومنهجاً ولغة وتاريخاً، ووصفوها بأنها معاقل للخيانة والإضلال للمسلمين، وأنها بحق البيت المظلم، وأنها الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون فأصاب منهم مقاتل متعددة، وأفتى العلماء - رحمهم الله تعالى: بأنه لا يجوز لأهل الإسلام تمكين أهل الكفر والضلال والنحل الباطلة من يهود ونصارى ومجوس وملاحدة وغيرهم من الدعوة إلى باطلهم والإذن لهم بفتح المكاتب أو المدارس، من ذلك أيضاً: المؤسسات التعليمية على كافة المستويات ابتداءً من رياض الأطفال وحتى الجامعة، ولا يجوز للمسلمين أن يدخلوا أبنائهم مثل هذه المدارس، [راجع بحث المدارس العالمية، د/ بكر أبو زيد، ص ٧٦].





رابعاً: تنشئة أجيالٍ مفصولة روحياً وذهنياً عن تاريخها وماضيها، فاقدة الثقة بنفسها ورسالتها فلا تفكر في إعادة الماضي المشرق للإسلام.

وكل هذا يتم عن طريق وسائل الإغراء الحديثة، والتي تتبعها بعض هذه المدارس الاستعمارية فمثلاً: تراهم يشيعون عن طريق الإعلام العميل الموجه أنهم يهدفون إلى تثقيف الأولاد، وإكسابهم مهارات علمية واجتماعية تتناسب مع العصر الحديث، وهذا لا يمكن إلا بالالتحاق بالمدارس الأجنبية، أو السفر والبعثات العلمية ليتدرب الأولاد على العلوم الإنسانية، وليتعلموا كافة التطورات الحديثة بدلاً من التعليم المتخلف في بلادنا الإسلامية.

وإليك الخطوط العامة التي وضعها أعداء الإسلام لضرب مناهج التعليم في العالم الإسلامي^(١):

- ١ - إنشاء مدارس وجامعات مدنية تدرس علوم الدنيا فقط، ولا صلة لها بالدين.
- ٢ - جعل اللغة الإنجليزية هي لغة التدريس لسائر العلوم كالرياضيات والتاريخ والجغرافيا والرسم، وبذلك ضيَّق على اللغة العربية محاولين بذلك القضاء عليها^(٢).
- ٣ - جعل الدين مادة ثانوية ليس لها أهمية كمادة الرسم أو الأشغال أو حتى الموسيقى والرقص البلدي في معاهد البالية، بل تَجَرَّأت بعض البلاد على حذف المناهج الدينية بالكلية ووضع مواد مشتركة يدرسها المسلمون مع

(١) الفكر الإسلامي مقدمات العلوم والمناهج، أ/ أنور الجندي، ص ٢٧، ط. دار الصحوة بالقاهرة.

(٢) وقد أصَّل ذلك فضيلة الشيخ الدكتور/ فتحي جمعة في كتابه «اللغة الباسلة» في الفصل الأول.. مبحث «مناهج تعليم اللغة العربية ص ٨٠، ص ٨٩ ط. مكتبة النهار للطباعة والنشر، وراجع رسالة «محنة اللغة العربية» للأستاذ الدكتور/ إبراهيم على أبو خشب - رحمه الله - من ص ٣٢: ص ٥٠ ط. هدية مجلة الأزهر المجانية لشهر صفر سنة ١٤٣٠ هـ.



غيرهم تحت مسمى مادة «الأخلاق» بحجة تحقيق التكافؤ بين الفرص للطلاب، وتفعيل قانون المواطنة العلماني.

٤- محاولة تحرير كتب المطالعة واللغة العربية من كل ما له مساس بالدين حتى إنه تمَّ إلغاء الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة من الكتب الدراسية - لا سيما - التي تحث على الجهاد، وتدعو للولاء والبراء، وتكفير اليهود والنصارى..»، ووضع بعض نصوص من الإنجيل للاستشهاد بها مع النصوص القرآنية والنبوية بحجة تربية الأجيال على ثقافة المواطنة، وتكريس مفاهيم مشتركة بين الأديان، وتجفيف منابع التطرف والإرهاب -زعموا-.

٥- التركيز على إحياء النعرات القومية والشعور الوطني، وتنحية وتمزيق الشعور الإسلامي، وإبراز ذلك على أنه تعصب وتخلفٌ ورجعية وظلامية.

٦- وضع تاريخ مشوه للإسلام يدرسه الطلاب -خاصة- الخلافة العثمانية، مع التوسع الواضح في دراسة تاريخ الفراعنة وتاريخ الفلاسفة.

٧- الانفصام المتعمد للدلائل الشرعية والدلائل الكونية في المناهج الدراسية، وبهذا تكون المناهج شبه خالية من الاستدلال بآيات الله في الآفاق والأنفس...

٧- العمل الحثيث على توسيع الفجوة بين الطالب وأستاذه، فينتج عن ذلك: ضياع القدوة للطالب، بل ونبذ كل منها للآخر.

٨- الترويج لبعض الأفكار الهدامة - عن قصد - كالإلحاد والإباحية وإنكار الأديان، أو رسالة الرسل، كذلك السعي الحثيث لفرض النزعة العلمانية التي تهدم مفهوم حاكمية الإسلام في مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية، مع التركيز على مفاهيم الليبرالية والاشتراكية واليسارية والشيوعية والقومية والتي تدعو جميعها إلى الفصل الواضح بين الدين والحياة -خاصة- في بناء



٩- العمل الجاد على تنفير عامة الناس من العلوم الشرعية وأصحابها، يقول المستشرق جب: (ومع أن الوحدة الإسلامية قد انتهت من الناحية القانونية الرسمية ومع أن الثقافات القومية قد أخذت مكانها في المدارس ومع أن الفوارق الاجتماعية قد أصبحت أكثر وضوحًا، ومع أن الثقافة الدينية التقليدية قد أصبحت محصورة في عددٍ قليلٍ محدود، ومع ذلك كله فالمعاهد الدينية نفسها لا تزال قائمة، ولا يزال حفاظ القرآن ودارسوه كما كانوا لم ينقص عددهم، ولم يضعف سحر آيات القرآن وتأثيرها على تفكير المسلمين)^(٢).

ومما يظهر من الكلام السابق ضيق المستشرقين بالمعاهد الدينية الإسلامية، لذا كان أول ما سعوا إليه إمادة دور الحواضر التعليمية الكبرى في البلاد الإسلامية، ففي مصر مثلاً: (حاول محمد علي في أول الأمر أن يدخل العلوم الحديثة ضمن مناهج الأزهر إلا أنه خشي معارضة الأزهرين فقام على الفور بإنشاء نظامه التعليمي الحديث وهكذا انقسم التعليم في مصر إلى نظام ديني ونظام مدني حديث.

ولكن هذه الثنائية لم تترسخ إلا في عهود الاحتلال، يقول اللورد كرومر: إن التعليم الوطني عندما قدم الإنجليز إلى مصر كان في قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك

(١) لمعرفة خطورة مناهج العلمانية والليبرالية وغيرها.. راجع كتاب «العلمانية» د/ سفر الحوالي ص ١١٥ ط. دار الفتح الإسلامي، «العلمانية» للشيخ/ محمد شاکر الشریف ص ١٥ ط. دار الوطن للنشر، وكتاب «حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها..» د/ عبد الرحيم السلمي، وكتاب «الإسلام والليبرالية.. مواجهة صريحة».. تأليف د/ علاء بكر ط. مكتبة فياض، كما أنصح بالإطلاع على كتاب «الفكر الليبرالي تحت المجهر الشرعي» للأستاذ الدكتور/ محمد الصاوي ط. دار بلال بن رباح، ودار ابن حزم، وكتاب «مذاهب فكرية في الميزان» د/ علاء بكر.. ط. دار العقيدة، «موسوعة المذاهب والأديان المعاصرة» تأليف د/ معبد الجهني ط. دار الندوة بالعالم الإسلامي.

(٢) راجع: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر.. د/ محمد محمد حسين (٢٠٢٠).



بالدين، والتي كانت أساليبها الجافة القديمة تقف أمام أي إصلاح تعليمي وكان الطلبة الذين يتخرجون في هذه الجامعة يحملون معهم قدرًا عظيمًا من التعصب الديني، ولا يصيبون إلا قدرًا ضئيلاً من مرونة التفكير والتقدير، فلو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركة تنبثق من داخله لكانت خطوة جليلة إلى الأمام، ولكن إذا بدا أن مثل هذا الأمر غير متيسر تحقيقه فحينئذ يصبح الأمل محصوراً في التعليم اللا ديني الذي ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح وعندئذ سوف يجد الأزهر نفسه أمام أحد أمرين: إما أن يطور نفسه، وإما أن يموت ويختفي^(١).

وبالفعل عمد هؤلاء المجرمون إلى إنهاء دور المؤسسات التعليمية الإسلامية فأهملوها وحاربوها، وراحوا يبنون المدارس المدنية (العلمانية) وجعلوا معايير لتوظيف خريجي المدارس لا تنطبق إلا على خريجي مدارسهم وجامعاتهم.

وجدير بالذكر أن هذا المنهج الموضوع لتدمير التعليم في بلادنا مطابق تماماً للخطة اليهودية، فقد ورد في بروتوكولات حكماء صهيون: [أننا - معاشر التلموديين - سنقوم بدراسة المستقبل بدلاً من الكلاسيكيات، وبدراسة التاريخ القديم الذي يشمل على مثل سيئة أكثر من اشتاله على مثل حسنة، وسنطمس في ذاكرة الإنسان اليهودية العصور الماضية التي قد تكون شؤماً علينا، ولا نترك الحقائق التي ستظهر أخطاء الحكومات في ألوان فاضحة]^{(٢)(٣)}.

(١) انظر رسالة «الغارة على العالم الإسلامي» ص ١٥ نقلاً عن كتاب «مشكلة العلو في الدين في العصر الحاضر» تأليف/ عبد الرحمن بن معلا اللويحي (١/ ٤١٤).

(٢) راجع (بروتوكولات حكماء صهيون) ص ٩٨.

(٣) حلول مقترحة للنهوض بالتعليم:

إننا كثيراً ما نسمع من كبار المسؤولين أهمية تطوير التعليم ومدى خطورة هذا الأمر، وهذا والله ما نريده وما نصبو إليه،





ولكن أي تطوير يقصدون؟!، وكيف يكون هذا التطوير؟، وعلى يد مَنْ يكون هذا التطوير؟
- لا سيما - ونحن نرى أن التعليم في ديار المسلمين أثبت فشله وبجدارته في استخراج أجيال مفكرة، وعقول وطاقت مدبرة، بل إن جودة التعليم في أكثر الدول العربية صار آخر الاهتمامات، لهذا فإن المتعين إجراؤه للنهوض بالتعليم في بلادنا أمام هذا التوجه هو ما يأتي:

١ - نصيحة لمن ولاه الله أمراً من أمور المسلمين فنقول...

أ) إن المسئولية - عليكم - كبيرة، فليس المقصود بالولاية بسط السلطة ونيل المرتبة، وإنما المقصود بها تحمل مسؤولية عظيمة تركز على إقامة الحق بين الخلق بنصر دين الله، وإصلاح العباد دينياً ودنياً، فيحب على الولاة والمسؤولين صغاراً أو كباراً إخلاص النية لله.

ب) الاستعانة به - سبحانه - في جميع أمورهم على ما حَمَلَهُمْ من هذه الأمانة، وعليهم أن يطبقوا أحكامه - سبحانه وبحمده - بحسب استطاعتهم على الشريف والوضيع والقريب والبعيد. [راجع كتاب الضياء اللامع من الخطب الجوامع، للشيخ/ابن عثيمين، ص ٦٥٩، ط. مؤسسة الراجحي الخيرية].

ج) من اللازم والمتعين على من بسط الله يده إصدار الأوامر الحاسمة بإعادة صياغة التعليم في كل المراحل التعليمية وفق شرع الله تعالى، وتبعاً لما أقره الشارع الحكيم جلَّ شأنه.

د) يجب على المسئولين أن يعملوا أن تكون الأسس العامة التي يقوم عليها التعليم متوافقة وشرع الله تعالى، ومن هذه الأسس:

١ - تعميق الإيمان بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً.

٢ - العمل على تعميق التصور الإسلامي الكامل للكون والإنسان والحياة وأن كل هذا خاضع لما سَنَّهُ الله - تعالى - ليقوم كل مخلوق بوظيفته دون اضطراب أو خلل.

٣ - أن الرسالة المحمدية هي المنهج الأقوم لهذه الحياة لكافة أشكالها «الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية...».

٤ - كذلك ينبغي توجيه المتعلمين إلى أن الحياة الدنيا مرحلة إنتاج وعمل.. ثم يعقبها دار الحساب في الآخرة.

هـ) وضع عقوبات صارمة لا يجامل فيها أحد ولا يماري فيها مخلوق، إذا خرج أحد عن طور الإسلام الخفيف في أثناء عمله في مجال التعليم والتدريس والتوجيه.. إلخ، مع التأكيد على أن يشرف على وضع المناهج التعليمية جماعة من الخبراء والمتخصصين مع الرجوع إلى كبار أهل العلم والدين - لا سيما - في المسائل الخاصة بالشرعية، ورعاية الطلاب والعناية بتعليم الأولاد (ذكوراً وإناثاً) الإسلام الحق عقيدة وأحكاماً وأخلاقاً وأدباً، والتأكيد على أنه لا يجوز تفرغ برامج التربية والتعليم من ذلك، ولا مزاحمة دين الإسلام بغيره من العقائد والمذاهب والآراء الباطلة بحجة «حرية الفكر»، و«الافتتاح المطلق على الآخر» - على الأقل - في المراحل التأسيسية للطلاب الصغار...

=



و) كذلك فإنه يجب على ولاية الأمور سواء كانوا حكامًا أو أولياء للأبناء أن يخضعوا لكلام علماء المسلمين الذين أفتوا بتحريم فتح المدارس الأجنبية ذات الأيديولوجيات العقدية الفاسدة والأفكار الضالة، والتي تفسد عقول وقلوب أبنائنا المسلمين ولقد أفتى بذلك كبار أهل العلم في زماننا ومنهم: فضيلة الشيخ: محب الدين الخطيب - رحمه الله -، وفضيلة الشيخ: محمد أحمد الغمراوي، وفضيلة الشيخ: محمد الخضر حسين - شيخ الأزهر الراحل، وفضيلة الشيخ: محمد رشيد رضا، والعلامة الشيخ: عبد الله بن حميد - رحمه الله -، والشيخ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله -، واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية برئاسة شيخنا العلامة الراحل الشيخ: ابن باز - رحمه الله تعالى. [راجع بحث المدارس العالمية «الأجنبية» الاستعمارية، تاريخها ومخاطرها» للشيخ العلامة الراحل/ بكر أبو زيد، ص ٧٦: ١١٩... بتصرف يسير ط. دار العاصمة للطباعة والنشر، بالرياض].

٢- التعريف بمحاسن الإسلام للقضاء على الأفكار الهدامة:

إن كثيرًا من شياطين الإنس كالملاحدين والعلمانيين والليبراليين والشيوعيين والإباحيين، يشوهون صورة معالم هذا الدين الخفيف - لا سيما - في الكتب الدراسية في كافة المراحل التعليمية - خاصة - المرحلة الجامعية، فهم يرسمون أشنع صورة وأشدها تنفيرًا عنه، يصورون لنا هذا الدين على أنه حبس للطاقات وكبت للحريات، وحجر على العقول والأفكار، وتضييق على العباد، وأنه مانع من التقدم والرفاهية.. إلخ، هكذا يُصوّر هؤلاء للشباب دينهم حتى لا ينفروا عنه، ولا يتمسكوا به، ولكن العاقل إذا نظر إلى الدين بعلم وعدل وجده بريئًا من كل هذه الصفات فهو دين الحرية الحقّة والمعتدلة، نجده دين السَّعة والسهولة والتقدم والسعادة، إنه دين يهذب الأخلاق، ويُصلِّح القلوب، ويُقوِّم الأحوال، إنه دين يحرر أتباعه من عبودية النفس والهوى وعبودية الدنيا والمخلوقين، ويأمرهم بعبودية رب العالمين ذى المنِّ والإنعام (وحده لا شريك له)، لذا فهو مفخرة عظيمة لأهله فهو يأمر بكل خلق نافع فاضل، وينهى عن كل خلق وضيع سافل، يأمر بكل تقدم إلى ما فيه الخير، وينهى عن كل تأخر يؤدي إلى الشر...

دينٌ ويأمر أتباعه بالتوحد ونبد الفرقة والاختلاف، فالوحدة الدينية هي الوحدة النافعة والتي تجمع أفرادها للدفاع عن عقيدتهم ودينهم، لأن الإشراف في العقيدة والدين هو أعظم مقومات الوحدة.

* وفي مقام المعاملة بين الخلق يأمر الإسلام بإعطاء كل ذي حق حقه، فللنفس حق يجب أن تُعطاه، وللأهل حقٌ يجب بذله لهم، وللأصحاب حقٌ يجب ألا يجرمهم، ولمن تعامله حق يجب أن يُعامله به كالصدق في البيان والوفاء وغير تلك الصفات الحميدة، فالإسلام حقًا هو الدين الحق الكفيل بسعادة الدنيا والآخرة للأفراد والشعوب والحكومات.

وفي هذا ردٌّ على المشككين في الإسلام، الرافضين للتحاكم إليه في عالمنا المعاصر.. بدعوى «أنه لا يمكن لأحدٍ من البشر أن يدعى أن معه الحقيقة المطلقة أو أن دينه هو الحق المطلق في هذه الحياة» وهذا الكلام ظاهره الرحمة، وباطنه العذاب. [وانصح كل شاب بالإطلاع على رسالة «الدرة المختصرة في محاسن الدين الإسلامي» للشيخ العلامة الراحل/عبد الرحمن السعدي ط. انصار السنة، ورسالة «محاسن الدين الإسلامي» للشيخ/عبد العزيز السلطان ط. دار البيان بالمملكة العربية السعودية].

=



٣- التوحيد أمام هجمات الأعداء الفكرية والثقافية:

✽ لقد جاء الإسلام كدعوة عالمية، وجاء محمد ﷺ للعالمين بشيراً ونذيراً، ومن هنا فإن الإسلام لا يقبل لأهله أن ينصهروا في بوتقة «العولمة»، أو يندمجوا في أي وحدة أخرى [كالوحدة الأوروبية، أو وحدة الحضارة، أو وحدة العالم الحر، أو العالم الشيوعي أو اتفاقية الجات ذات البعد الثقافي التخريبي]. [أنصح بالاطلاع على كتاب «أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي» للمستشار/علي جريشة، و/محمد شريف الزبيق ط. دار الاعتصام، ورسالة «الانفتاح الفكري.. حقيقته وضوابطه» للدكتور/عبد الرحيم بن صبايل السلمي ط. مركز تاصيل للدراسات والبحوث، وبحث «فضاءات الحرية...» د/سلطان العميري ط. المركز العربي للدراسات الإنسانية].

ومن هنا ونحن نواجه تحديات أعدائنا وغزوهم الفكري والثقافي لنا، فلا بد أن يتوحد العالم الإسلامي مرة أخرى، كما تَوَحَّد أهل الإسلام قديماً عندما هاجم الصليبيون بلادهم، فاستجابت الأمة إلى نداء توحيد الجبهة الإسلامية لمقاومة الحملات الصليبية، وكانت هذه القوة المستمدة مصدراً لتخلص العالم الإسلامي من الصليبيين والتتار والباطنية جميعاً. [راجع كتاب الوحدة الإسلامية، ضرورتها والوسائل العلمية لتحقيقها، /أنور الجندي، ص١٢، ١٤، ط. دار الصحو].

✽ إنَّ وحدة الأمة الإسلامية واجب ديني، وعلى كل مسلم أن يجاهد لتحقيقها وحفظها بالإخاء والإحسان والتعاون، ولن يتم ذلك إلا عن طريق: تطبيق الشريعة الإسلامية والتي هي المدخل الحقيقي لإعادة الأمة إلى حظيرة الإسلام، وتحقيق الوحدة الجامعة بين أبناء الأمة بعيداً عن الحدود المصطنعة التي وضعها المحتلون الغزاة لتعرقل وحدة الأمة المسلمة.

٤- إعادة الدور الفعال للمؤسسات التعليمية، -عموماً- وللمعلم -خصوصاً- لنصل إلى تقويم الطلاب:

- إن مما جَدَّ فيه أعداؤنا تهميش دور المدارس والجامعات، والعمل الحثيث على الاستهزاء بالمعلم وتسطيح صورته أمام طلابه، ولعلَّ هذا يتضح عند تأمل إجابة طالب هارب من مدرسته لما فعلت ذلك؟ فقال: مللْتُ الجلوس بها فهي عندي كالسجن سواء بسواء.

مثل هذه الكلمات تؤكد أنه علينا إعادة الصلة والرابطة بين المتعلم وأماكن التعليم المتمثلة في المدارس والجامعات للقضاء على الفوضى والتسيب والذي درج عليه كثير من الطلاب. [حتى نعيد الدور الفعال للمؤسسات التعليمية في بلادنا فلا بد من وضع أسس ورؤى وخطط علمية تربوية قيمة إستراتيجية واضحة لتحقيق ما نصبوا إليه من نمو وريادة لهذه المؤسسات، وفي هذا أنصح بمراجعة بحث «العمل المؤسسي» للأستاذ/محمد أكرم العدلوني على «الإنترنت»، ورسالة «المؤسسات بين المركزية واللامركزية» للأستاذ/عصام محمد خضر ط. دار الصفوة للنشر والتوزيع ٢٠٠٨م، ومقال (العمل المؤسسي.. معناه ومقومات نجاحه)، للأستاذ/عبد الحكيم بن محمد بلال مجلة -البيان- العدد (١٤٣) - نوفمبر ١٩٩٩م، ورسالة (التنشئة والتعليم والتكوين العلمي والسلوكي للباحث والأستاذ الجامعي.. تأليف د/إبراهيم جميل بدران من ص١٥ إلى ص٢٥ ط. هدية مجلة الأزهر المجانية شهر جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ].

٥- لُتُعدَّ للمعلم كرامته المسلوكة:

✽ إن مهنة التعليم هي من أرقى وأشرف المهن، ولعلَّ السبب في ذلك أنها: تبنى الإنسان وتنشئ الأجيال، وشرفت مهنة التعليم؛ لأنها تعمل على تكوين العقول، وتربية الأفراد، فالمعلم هو حامي الثغور، وصانع العقول، وهو باني الإنسان، وباعث الهممة والنهضة، وإن العجب لا يتقضي عندما نرى طفلاً غريباً، انتزعَ مِنْ أحضان أبويه وجرَّ به



إلى المدرسة، وسلّمه أهله إلى المعلم، وهو لا يعرف كيف يُمسك بالقلم؟!، ولا يتقن النطق، لتبدأ العملية الشاقة التي يُسهلها المعلم بصبره ودأبه وخبرته، فيتحوّل هذا الطفل بعد فترة وجيزة إلى قارئ، وكاتب، ويستمر عطاء المعلم له، حيث يقوم بتغذية عقله بأنواع العلوم والمعارف، حتى يشب ويكبر، وتستمر عملية تعليمه في أدرج الجامعة، وأعلى منها، ثم يطرّق أبواب المستقبل، فكان منهم الطبيب ومنهم الداعية، ومنهم المهندس، ومنهم... والفضل بعد الله يعود للمعلم الذي حوّل عجمة الطلاب إلى فصاحة. [راجع كتاب واجبات المعلم التعليمية والتربوية والدعوية والاجتماعية.. للأستاذ/مازن محمد الشاميس ص ١٥، ص ١٨، ص ٢٥ بتصرف ط. دار البيان الحديثة، وراجع أيضاً كتاب «المدرسة والمجتمع» للأستاذ/مصطفى محمد متولي ص ٢٠١ ط. دار الخريجي للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة].

فالمعلم المسلم الكفء يهدي الأجيال الحالية والمقبلة إلى طريق الخير والصالح، ويثبت فيها المبادئ الدينية والأخلاقية والاجتماعية والوطنية، وينشر بينها العلم والمعرفة، ويسهم بنصيب وافر في نجاح الخطط الإنشائية في مجتمعه، ويدفع بأمته للنهوض إلى أسمى درجات الحضارة والتقدم.

وعليه فمنزلة المعلم عالية، فـ الله - سبحانه وتعالى - يصلي عليه وملائكته الكرام الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وحتى سائر أهل السماء وأهل الأرض، وهذا أمر يدركه الجميع»
شخصية المعلم والأستاذ الجامعي: أوجز بعض المسائل المهمة التي ينبغي أن يتحلّى به المعلم من سيات وما يحمله من ثقافة، بالإضافة إلى المهارات والمسؤوليات الملقاة على عاتقه.

- ١- كن قدوة لطلابك، مقتدياً بنبيك في ذلك (حيث كان ﷺ رمزاً يقتدى به في التعليم والهداية والتزكية، قال سفيان بن عيينة: (إذا كان نهارى نهار سفيه، وليلي ليل جاهل.. فما أصنع بالعلم الذي كتبت...)
- ٢- المعلم مربّب: فلا يصح أن تقتصر مهمة المعلم المنوطة به على تقديم بعض المعارف وبعض التوجيهات، وإنما تتعداها إلى تعليم أساليب الحياة وتربيته وفق الإسلام، فأنت كالوالد للطلاب تماماً بتمام.
- ٣- المعلم مجدّد المعرفة: كتب الأئمة والعلماء السالفين تشكل الجذور العميقة لوجودنا الثقافي والحضاري، ولكن تطور اللغة واختلاف الذائقة الثقافية لدى الأجيال الجديدة يجعل الاستفادة من الكتب والخبرات التراثية محدودة، وهنا تبرز براعة المعلم الكفء في إعادة صياغة اللغة التي يستخدمونها في التعليم حتى تلائم الذائقة الثقافية الجديدة.
- ٤- لا بدّ من التعلم الدائم -خاصة- في ظل تفجر المعلومات المدهش والمتسارع، وإلا فسيعيش المعلم على هامش الحياة.

٥- اجتهد على تنمية نفسك بشكل شمولي متوازن، ولا تستجب لضغوط البيئات النامية المتخلفة التي تضع القيود المختلفة أمامك، لتعوقك عن الاستمرارية في تنمية ذاتك لتحقيق نموذج منفرد، ينشد الكمال، ويتجاوز العقبات التي أمامه، واحذر الاستسلام للواقع الحياتي أو العملي الذي يفرض عليك نظريتهم الفاشلة «أنه ليس في الإمكان أبداً مما كان»

=





٦- اكسر الرتابة أثناء شرحك: وقم بتجديد كل ما يتصل بالتعليم ووسائله وطرقه وأدواته، واستطلع آراء الطلاب عن ذلك، وأجري معهم حوارات بأسلوب لطيف هادئ، وتودد إليهم، وشجعهم، وحفزهم.

٧- إن للمعلمين انماطاً: فمنهم المعلم المهمل الذي يمثل عبئاً على المهنة التعليمية، ومنهم: المعلم المستبد وهو الذي يفتقر للروح الرياضية والمرونة الذهنية، ويغلب عليه طابع الحرفية والتمسك بالقوانين والأنظمة دون أن يأخذ بعين الاعتبار الظروف التي يمر بها بعض الطلاب، المهم عنده هو إنهاء المنهج الدراسي فقط، وضبط الفصل الدراسي.

ومنهم: المعلم الفوضوي: وهو عكس المعلم المستبد، ومنهم: المعلم العادي: ونمط هذا المعلم هو السائد في مدارسنا فالمعلم العادي يحرص على تطبيق النظم والقانون، وإنهاء المناهج لكن مع ذلك يتيح للطلاب نوعاً من المشاركة، كما يتيح فرصة محدودة لطرح الأسئلة، كذلك فإن تنميته لنفسه ضئيلة جداً.

٨- لا بد من التحلي ببعض الصفات: الذكاء وحسن الفهم، السلامة القلبية والصحة النفسية السوية، الصبر، التواضع، التوازن، تحقيق الأهداف.

كان أئمة السلف يقولون: «لا يؤخذ العلم من أربعة، ويؤخذ من سوى ذلك: لا يؤخذ من سفيه معلى بالسفه، ولا من كذاب، ولا من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من شيخ له فضل وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث».

[راجع أصول التربية والتعليم كما رسمها القرآن الكريم] د/أحمد بن أحمد شرشال الجزائري من ص ٦١ إلى ص ٨٢ ط. دار الحرمين، وكتاب [مفاتيح التربية البناءة] تأليف: رونالد موريس، ترجمة: عبد اللطيف الخياط من ص ٧٢ إلى ص ٧٨ ط. دار الثقافة للجميع، دمشق، وكتاب [حول التربية والتعليم] بقلم د/عبد الكريم بكار من ص ١٦٢ إلى ص ١٧٤ ط. دار القلم، دمشق، وكتاب [بناء الأجيال] د/عبد الكريم بكار من ص ١١٠ إلى ص ١٢٤ ط. كتاب البيان، وكتاب [أصول التربية الإسلامية] د/أمين أبو لاوي من ص ١٥٤ إلى ص ١٩٨ ط. دار ابن الجوزي - الرياض، [كيف ربى المسلمون أبناءهم؟ للأستاذ/محمد شعبان أيوب من ص ١١ إلى ص ٢٧ ط. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، وكتاب [المربي الناجح.. أسس الرعاية الإيمانية والتربوية] تأليف د/خالد سعد الفجار، من ص ١٥١ إلى ص ٢٦٠ ط. دار الكوثر].

وبعد أن قدمنا هذه المقدمة عن فضل المعلم ودوره الحقيقي في المجتمع المحلي بصفة عامة - والمجتمع المدرسي بصفة خاصة - باعتبار أنه حجر الزاوية في العملية التربوية والمسؤول عن أئمن ثروة يملكها المجتمع.. فلا بد وأن نعيد للمعلم كرامته.. عن طريق توفير حياة كريمة رغدة له تتناسب ومهنته في إعداد الأجيال والعقول، وألا نحجر عليه عن طريق قوانين ساذجة تُفسد أكثر مما تصلح، وأن نعطيه حق تقويم الطالب بالطرق المناسبة لذلك من غير إكراه له ومن غير إيجاد ضغوط عليه.

كذلك فإنني أوجه نصيحتي إلى كل من المعلم والمتعلم فأقول:

- إن على المعلمين «وأساتذة الجامعات» عدة واجبات:

- أولاً: الواجب التعليمي:

* عن طريق صياغة عقل الطلاب وزرع الطموح وعلو الهمة فيهم، وغرس الرغبة في الطالب والطالبة لحب العلم والتحصيل؛ لأنه بذلك يكون قد صنع عالماً ينفع نفسه ووطنه وأمتة، ومن المهام الأساسية للمعلم: أن يحاول إقناع

=



طلابه بأن التعلم شيء أكثر من هذا وأعمق، وأنه أمر حيوي لهم ومستقبلهم، فإن نجح المعلم أن يعمق هذا الأمر لديهم فإنه سوف يولد فيهم الرغبة في الاستزادة من العلم، والإقبال على طلبه وتحصيله بدافع داخلي. ينصح الشيخ العلامة الراحل/ محمد بن صالح العثيمين المعلمين والمعلمات فيقول: على المدرس واجبات كبيرة في توجيه الطلاب الذين جعله الله راعياً عليهم، فهو مسؤول عنهم أمام الله، ثم أمام أوليائهم، ثم أمام حكوماتهم ثم أمام مواطنيهم.

ومسؤول عنهم - ليس في إيصال العلم لهم فحسب - بل في التربية والتوجيه أيضاً. فعلى المدرس: أن يعتني بما يوكل إليه من مادة علمية، سواء أكانت شرعية أم اجتماعية أم رياضية أم غير ذلك، مما يسند إليه مما قرر.

وعليه أيضاً: أن يعتني - غاية الاعتناء - بتربية الطلاب وتوجيههم بمقاله وحاله. والذي يقول: إنه من حين أن يدخل إلى حين أن يخرج لابد أن يكون جامداً على المقرر، في مقالته نظر. كل إنسان حريص ناصح لابد أن يجد مجالاً للتوجيه بالحال والسمت أو المقال. كذلك فعلى المدرس أن يعرَى الأمانة في العدل بين الطلاب فلا يحابي قريباً لقربته، ولا غنياً لغناه، ولا فقيراً لفقره، وإنما يكون الطلاب عنده على حد سواء.

وعليه أيضاً: أن يكون هاضماً لمادته التي يقوم بتدريسها لأنه إذا لم يكن كذلك فإنه لن يتمكن من شرحها الشرح الوافي الذي تبرأ به الذمة.

والعجب: أن بعض الأساتذة إذا كان لا يعرف جواب السؤال الذي ورد إليه ينهر الطالب ويوبخه وهذا لا شك غلط، إذا كنت -أيها المدرس- لا تعرف الجواب، فقل له: يا بني، هذا يحتاج إلى مراجعة، وسوف نراجعها، ونبحث فيه مع إخواننا الأساتذة، وتأتي بالجواب غداً.

كذلك على المدرس: حين يلقي درسه الثاني بعد الدرس السابق أن يربط بينهما ولو عن طريق السؤال فيما مضى وسبق، ويجعل هناك جائزة للمتفوقين، ويقوم بتكميل المناهج والمقررات الدراسية والعلمية للطلاب.

[راجع رسالة «توجيهات للمعلمين والمعلمات والطلاب والطالبات» للشيخ/ابن عثيمين - رحمه الله - ص ٢٠، ٢١، ٢٢ بتصرف ط. دار الأندلس الغضاء للنشر والتوزيع].

وعلى الأستاذ الجامعي والمعلم أيضاً: العمل الجاد على تنمية الاتجاهات العلمية والفكرية والأخلاقية والنفسية والروحية بشكل متوازي لدى الطلاب ليحدث التوازن والتكامل لعناصر شخصية الطالب، وهذا لن يتم إلا بعمليات متواصلة تهدف إلى تعريف الطلاب بالفارق بين الصواب والخطأ، والحلال والحرام... مما يؤدي إلى صقل الشخصية.

=





كذلك على الأستاذ أن يجر عقل طلابه من الأغلال، والعادات العقلية العقيمة السقيمة التي تصد صاحبها عن التفكير الصحيح، وتؤدي إلى (قولية) عقلية الطالب، وتحدد آفاق فكره، كما تحدد طبيعة امتصاصه للمعارف، وطبيعة تحليلها والاستفادة منها، ولا يمكن هذا إلا فإن يكون المعلم جسراً بين الأجيال وتراثها العلمي، ثم عن طريق مساعدتهم على تحديد أهدافهم، وإثارة الفضول العلمي لديهم، وإعانتهم لتتضح الأفكار لديهم، وبهذا يضع الطلاب على طريق التفوق الدراسي والاجتماعي المتوازن الصحيح.

كذلك على الأستاذ الاجتهاد في تطوير أساليب التعليم والتدريس: لأن التعليم عمل مُرضٍ ومجزٍ وممتع إذا مارسناه بطريقة صحيحة، وهو عمل شاق ومزعج ومحبط للمعلم والمتعلم إذا مارسناه بطريقة خاطئة.

فعليك أيها الأستاذ (بالتوسط في التعامل مع الناشئة - فلا إفراط ولا تفريط، ولا بأس باستخدام طرق الحفظ والتلقين مع استعمال مهارات الفهم والفقه والحرص على الجمع بينهما، ولا مانع من ضرب الأمثلة لتقريب العلوم وتيسيرها، حتى يكون التعليم تطبيقياً وأكثر التصاقاً بالواقع وحقائق الأشياء، ولا مانع من التعود على تكليف الطلاب بالأبحاث العلمية عوضاً عن الاختبارات القاسية لتكون شخصية الباحث الصغير) في الطالب، وتلخيص الكتب، وتهذيب الكتب الكبيرة، مع عمل جوائز تشجيعية متميزة للمجتهدين، والشناء عليهم، فإشاعة روح الدعاية والمزاح معهم ومع زملائهم لتخفيف الضغوط عليهم، وتشعرهم بالحب والأمان.

فالأصل أن يمتلك المعلم القدرة المهنية التي تمكنه من تقديم اعوجاج الطلاب وحملهم على القيام بواجباتهم دون اللجوء إلى الضرب أو التهديد بعقوبة جسدية قاسية؛ لأن «الضرب والتهديد والسخرية والتنازع بالألقاب تترك في عقل الطالب ونفسه آثاراً سيئة، وتجعل إنتاجيته تنخفض، لذا فلا يلجأ المعلم إلى العقاب البدني إلا مضطراً، والأفضل جعل ذلك للمدير أو الوكيل حتى لا تهدم العلاقة الأدبية والقلبية بين المعلم والطالب، ويمكن عمل عقوبات أخرى مثل: عمل جوائز تشجيعية للمتميزين من الطلاب، وحرمانه منها، استدعاء ولي أمره إذا كان في مراحل تعليمية صغيرة). [انظر كتاب [بناء الأجيال] د/عبد الكريم بكار من ص ١٤٥ إلى ص ١٦٠، وكتابه [حول التربية والتعليم] من ص ١٦٢ إلى ص ١٩٦ بتصرف].

وأختم بنصيحتي إلى أساتذة الجامعات: إذا كان من المعلوم أن الجامعات تعدُّ رمزاً من رموز السيادة الوطنية، وعنصراً مهماً من عناصر تكوين الدول، لذا كان من الواجب على أساتذتها ما يلي:

* إرساء تقاليد وقواعد وقوانين علمية تحكم الدراسات الأكاديمية الجامعية مثل: الأمانة العلمية، والدقة في النقل، والاعتراف بالفضل لأهله، والموقف الموضوعي من الأخبار المنقولة، والانفتاح على الجديد، وتقبل النقد البناء، والتشجيع عليه، والتفكير المنطقي.

* العمل الدؤوب لتمليك الطالب أدوات التعامل مع المعرفة والعلم.

=



* تكوين الرجل الواعي بمتطلبات واقعة، وضرورة التعايش في ظل عالم متغير مع الحفاظ على ثوابتنا العقدية والتاريخية واللغوية.

* إثراء البحث العلمي -خاصة- في أقسام الدراسات العليا، والاهتمام بالأبحاث النافعة الآن، والبعد عن الفرعيات والنظريات التي عفى عليها الزمن.

* المشاركة في الخدمة المجتمعية عن طريق تقديم الاستشارات العلمية للهيئات والحكومات والمؤسسات العامة والخاصة، وعقد دورات علمية للموظفين، وإقامة ندوات ومؤتمرات للتوعية. [راجع كتاب: (حول التربية والتعليم) د/عبد الكريم بكار من ص ٢٢٩ إلى ص ٢٣٥، وانظر [أفاق تربوية متجددة المعلومون بناة ثقافة.. رسائل إلى الذين يتحاربون على اتغاذ التدريس مهنة] تأليف: باولو فرييري، ترجمة د/حامد عمار، د/عبد الراضي إبراهيم من ص ٩٧ إلى ص ١٢٠ ط. مكتبة الأسرة - مشروع القراءة للجميع ٢٠٠٥م (سلسلة الفكر) وكتاب «المدرس ومهارات التوجيه» تأليف د/محمد بن عبد الله الدويش من ص ١١٠ إلى ص ١٢٠ ط. دار مدار الوطن للنشر والتوزيع، ورسالة (١٠ سنوات معلماً) بقلم د/محمد الدويش من ص ٢٧ إلى ص ٣٨ ط. مؤسسة رسالة البيان ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م].

كذلك ليعلم المعلم أن حضور الطلاب وتواجههم العضوي أو الجسمي في القاعات الدراسية، لا يعني أن أذهانهم حاضرة معه، ولا أن عقولهم تتابع ما يقول، كذلك لا يعني ذلك أنهم مقتنعون بما يُقدمه لهم من علم، أو بما يثيرُ عليهم من قراءات - لا سيما - وأن أكثر الطلاب يفكرون بشكل محبط، فهو يخشى أن يفشل في دراسته النظرية فيزدرية أهله وقومه، ثم هو يتسائل في نفسه: إذا أتممت الدراسة فأين سأعمل؟، وماذا سأحصل من الأموال؟، وما جدوى دراستي كل هذه الأعوام لأصبح بعد ذلك في صفوف القاعدين البطالين؟! لهذا تراه يقول في نفسه: لماذا لا أبحث عن عمل كريم منذ الآن، وأترك العلم والتعليم لأهله؟!

كل هذه الأمور تضعف الدافعية إلى التعلم عند الطالب، وتقلل الحوافز التي تشجعه على طلب العلم، فعليك - أخي العلم - أن تغرس في نفوس المتعلمين أهمية ما تقوله لهم، عن طريق الحوار الهادئ الرصين، وربط التعليم بالواقع المعاصر، وتذكيرهم بسير أسلافهم الصالحين، وعن طريق الفعالية الاجتماعية مع الطلاب. [راجع رسالة «استاذ الجامعة ونهضة الأمة» للاستاذ الدكتور/محمد الدسوقي ص ٤٩ ط. مكتبة الشروق].

ثانيها: الواجب التربوي:

يلعب المعلم دوراً مهماً في التأكيد على القيم الأخلاقية والتربوية في المجتمع، حيث يقدم خدمات إرشادية موجهة في القيم الدينية والسلوكية وهي جميعها مطالب تربوية وأخلاقية منذ أقدم العصور في تنشئة الطالب، فالحاجة إلى القيم الأخلاقية أصبحت أكثر إلحاحاً في ظل الصراع المستمر بين فكر وسلوكيات عصر المعلومات والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية من ناحية وبين المنهج التربوي السلوكي الديني والأخلاقي والعادات والتقاليد من ناحية أخرى.

ويلعب المعلم بجانب الأسرة ومؤسسات المجتمع الأخرى الدور الأكبر في تحقيق هذا الهدف الأخلاقي، على أن يكون التعلم والتعليم في هذا الجانب بالأفعال لا بالأقوال، ويكفي معرفة مدى المخاطر التي تسخ من معلم

=





يؤدي وظيفة دون الالتزام بقيم دينية وأخلاقية واجتماعية، ومن هذه المخاطر تجرد التلميذ أو الطالب من القيم وتشكيل سلوكه في صور المنفعة والاحتمالات والمتناقضات والتشويش والتردد. [راجع كتاب «المعلم» إعدادة ومكانته وأدواره في التربية العامة والتربية الخاصة - الإرشاد النفسي - «دراسات تربوية ونفسية» للأستاذ/محمود أحمد سفيان، والأستاذ/سعيد طه محمود ص ٢٢٨ ط. مكتبة الجامعة - الزقازيق، وانظر رسالة (احتياجات حتى لا يفنح الأبناء) للأستاذ/عادل فتحي عبد الله ص ٢٧، ٢٨ ط. دار الإيمان، الإسكندرية].

ولأن المعلم أوسع علمًا فإن واجبه أن يؤثر بهذا العلم في سلوك المتعلم وحياته؛ لأن العلم الذي لا يؤثر في صاحبه ولا في شخصه سيجعله أبعد ما يكون عن التربية، وبالتالي فسيؤثر سلبًا لأنه سيتحول إلى مجرد شيء من المعارف التي يكتسبها الإنسان ويفقدها بطول الوقت، لذلك كان لزامًا على المعلم أن يكون مربيًا لا أن يكون ناقلًا للمعلومات فحسب، ومعنى أن يكون مربيًا: أي أن يملك زادًا من الخبرة والعلم تمكنه من نقل أبناء الأمة من حال إلى حال أحسن لأجل هذا عليه أن يكون مدرّكًا لعظم أمر التربية عند النشء وضرورتها - وخاصة - التربية الأخلاقية، فالمعلم يتولى توجيه تلميذه، وتركيبته وتطهيره، والسمو به، وانتزاع ما هو مرغوب عنه، ودعم ما هو مرغوب فيه، وإحداث التغيير اللازم على ضوء ذلك، كذلك فمن الواجب أن يكون المعلم كالوالد لطلابه، فالمعلم بحكم سنه وخبرته وتأهيله فهو في موقع الوالد بالنسبة لطلابه، فهو الذي يقوم بتربية الطالب ورعايته وتقويم سلوكه وتهذيب أخلاقه، والمربي هو الذي يؤدب النشء ويربهم على الأخلاق الفاضلة والعادات الحميدة، فهو بمثابة المؤدب الذي لا يحابي طالبًا على حساب آخر، وعلى هذا المبدأ تُبنى التربية الحديثة اليوم، كذلك لزامًا أن يكون رفيقًا حليًا معهم. [راجع رسالة واجبات المعلم التعليمية - التربوية - الدعوية الاجتماعية للأستاذ/مازن محمد الشاميس من ص ١٨ إلى ص ٢٥، ومن ص ٣٩ إلى ص ٤٦].

كذلك فعلى المعلم استخدام الأساليب العلمية الحديثة في المجال التنموي التربوي لتنمية قدرات التفكير الإبداعي لطلابه مجتنبًا في ذلك: العصف الذهني وتجاهل المعلم لقدرات الطلاب. [راجع كتاب (سيكولوجية الإبداع) - دراسة في تنمية السمات الإبداعية. للأستاذ/عبد الرحمن العيسوي ص ٩٢، ٩٤ ط. دار النهضة الحديثة، وكتاب (المعلم ودوره في تنمية الفكر الإبداعي، تأليف د/أحمد بن سالم باهمام ص ١٤٢، ١٤٣ ط. دار الصميعة للنشر والتوزيع، وراجع رسالة (ظل الربوة تربية الأستاذ لتلميذه تأليف د/عبد الله بن أحمد قادري ص ٢٧، ٢٨، ٢٩ ط. دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، وأنصح بمراجعة بحث: «المبادئ الأخلاقية للمعلم الجامعي في ضوء الكتاب والسنة» تأليف د/هدى بنت دليجان الدليجان (بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية) العدد (٨٨) - ربيع الآخر سنة ١٤٢٣هـ - مارس سنة ٢٠١٢م (من ص ٤٠٢: ص ٤٥٢)].

ثالثها: الواجب الدعوي:

الدعوة إلى الله ميادينها واسعة ورحبة.. فيمكن للمعلم في المدرسة أن يكون أكبر داعية للطلاب، بحكم التصاقه بهم ساعات طويلة، فهو أكبر داعٍ إلى العقيدة والتوحيد قولًا وعملاً، لهذا فإن على المعلم أن يعلم ويفهم هذه الغاية وتلك الرسالة.. ومن ذلك: أن يعلم طلابه الغاية من طلب العلم كي يحوزوا سعادة الدنيا والآخرة، وينقذوا أنفسهم وأهليهم من النار، وسخط الخالق - جل شأنه -، وكذلك فهو يذكرهم دومًا أنهم ما خلقوا إلا ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فيعلمهم أن لكل منهم غاية محددة وهدفًا واضحًا وليحرص على خلق المسلم الواعي البصير بحقائق دينه، المدرك



لأحكامه وقيمه ليكون مؤمناً قوياً، قادراً على المشاركة الإيجابية الفعالة في المجتمع، عاملاً على تقدمه وازدهاره، كذلك فليجتهد المعلم غاية الاجتهاد في توظيف خبرته التربوية للدعوة إلى الله بأسلوب سهل هين لئلا يُحبب المدعوين في هذه الدعوة، ثم على المعلم أن يبت في طلابه روح الدعوة إلى الله؛ لأن أمة أو جماعة ليس فيها روح الدعوة إلى الله.. فهي أمة لا تحافظ على وجودها، ولا على مبادئها وعقيدتها، وأن موقف المدافع موقف الضعيف المعرض للخطر، وأن مَنْ لا يكون داعياً يكون هدفاً لدعوة أخرى، وقد ثبت بالتجربة أن خير وسيلة للإيمان بالمبدأ والثبات عليه، ومثانة العقيدة والاستماتة في سبيلها، هو الدعوة إليها. [راجع كتاب **نحو التربية الإسلامية الحرة**] لأبي الحسن الندوي ص ١٩ ص ٢٠ مؤسسة الرسالة، وكتاب **كيف تكون معلماً ناجحاً للتربية الإسلامية** للأستاذ/رزق عبد الكريم عامر ص ٢١، ٢٢. ط. كلية التربية - بورسعيد (د. ت) وانظر رسالة **التربية الجادة ضرورة** للشيخ/محمد بن عبد الله الدويش من ص ٢٥ إلى ص ٤٤ ط. دار الصفوة، القاهرة].

كذلك فمن الواجب الدعوي على المعلم المسلم: الحرص على الكلمة الطيبة والبعد عن التجريح في الطلاب وغيرهم، وبدأ الدرس بالبسملة، وتذكير الطلاب بأداب المجلس، مع تذكيرهم بأمثلة من القرآن والسنة.

* الحفاظ على عقائد الطلاب من البدع والشركيات والضلالات والخرافات الصوفية، والحروز والتهايم، والكهانة وقراءة الفنجان والكف وحظك هذا الأسبوع، وتحذير الطلاب من البدع ك (الاحتفال بالموالد، والمشاركة في مجالس بدعية)...

مع تحذير الطلاب من الأخطاء العقائدية في (بردة) البوصيري، وتحذيرهم من روايات وأشعار الحداثيين والعلمانيين المناهضة للدين.

يا معلم اللغة العربية والتربية الإسلامية: علم طلابك عقيدتهم الصحيحة، والالتزام بالوحيين كتاباً وسنة رسوله ﷺ، وعلمهم التجويد والسنة النبوية الصحيحة، والدروس والعبر من السيرة.

اجتهد أن تحبب إليهم لغة القرآن الكريم، وأن تسهل لهم دراسة النحو والصرف بمختلف الأساليب. حذرهم من الأدباء المنحرفين، ودعاة العامة المناهضين للغة العرب مثل (أحمد لطفي السيد، وسلامة موسى، ولويس عوض، وطه حسين،... ويُنن لهم خطورة الاعتماد في التاريخ على كتب الأدب ك«الأغاني لأبي فرج الأصفهاني الشيعي» وكتاب (ألف ليلة وليلة) و(كليلة ودمنة)، ورسائل (إخوان الصفا)، و(العقد الفريد) لابن عبد ربه. [راجع كتاب: (كتب حذر منها العلماء يجب الحذر منها) تأليف/أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط. دار الصمعيي].

يا معلم التاريخ: درس التاريخ من منظور إسلامي عقائدي، ولا تكتفي بسرد تاريخ الأفراد والأسر والمجتمعات والدول والأمم، بل يبن لهم سنن الله الكونية التي لا تتبدل ولا تتغير، وعلمهم «منهج كتابة التاريخ الإسلامي» بعيداً عن النزعات القومية والشيوعية والليبرالية التي حرّفت التاريخ الأموي والعباسي والعثماني، ونشرت الأساطير والإسرائيليات الكاذبة.

يا معلم الأحياء والفيزياء: بين لطلابك أن الله خلق الكون بنظام دقيق محكم، وبين حكم الله البالغة في نسبة الماء

=





واليابس وبعد الشمس عن الأرض وبعد القمر عن الأرض، وما يترتب على ذلك من منتجات زراعية وثروة زراعية.

وحذر طلابك من نظرية «دارون» التي كانت سبباً في إلحاد الكثيرين، بل علق قلوب الطلاب برهم -سبحانه وتعالى.

يا معلم علم النفس وعلم الاجتماع: علّم الطلاب ما وافق الكتاب والسنة، وإياك ونظرية فرويد، ووليم جيمس، ودور كايم، وجون سارتر وغيرهم من اليهود، وقرب إليهم الهدي النبوي لعلاج النفس البشرية.

يا معلم اللغة الإنجليزية: بين لطلابك الهدف من دراسة اللغة الإنجليزية، وعلمهم أن من تعلم لغة قوم أمن مكرهم، وأن الرسول ﷺ أمر زيد بن حارثة رضي الله عنه أن يتعلم السريانية لسد حاجة المسلمين.

يا أستاذ التربية الرياضية: علّم طلابك أن الرياضة وسيلة لا غاية، فهي وسيلة لإيجاد الشاب المسلم القوي الذي ينتصر على نفسه وعلى شيطانه وقرناء السوء ليستعد لجهاد أعداء الله -سبحانه-، وحُبَّ إليهم الرياضة النافعة بعيداً عن المخالفات الشرعية وإظهار العورات والتعصب الجاهلي لفريق من الفرق الكروية.

يا أستاذ التربية الفنية: تجنب رسم ذوات الأرواح لثبوت تحريم ذلك بالأدلة الشرعية، وإياكم وقصر الفن على الرقص والعري والفحش والتصوير العاري.

ولي نصيحة أخيرة في هذا الباب:

الأصل أن تقوم النساء على تعليم الفتيات - خاصة - البالغات منهن اجتناباً للاختلاط المحرم، ودرءاً للمفاسد التي نسمع عنها «كاعتداء الأستاذ «فلان» على الطالبة «فلانة»، ولكن إذا دعت الضرورة لذلك.. فهل يجوز للرجل أن ينظر إلى المرأة الأجنبية عنه عند تعليمها؟ والجواب: اختلف الفقهاء في حكم نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية عند تعليمها على مذهبين: المذهب الأول: يرى الشافعية جواز نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية عنه عند تعليمها، سواء أكان يعلمها علماً واجباً، أو مندوباً إليه، أو ما تحتاج إليه من الصنائع، إلا أنهم اعتبروا الجواز نظره إليها حينئذ الشروط التالية:

- ١- أن لا توجد امرأة تقوم بتعليم المرأة هذه العلوم أو وجدت، ولم يمكنها ذلك.
- ٢- أن لا يوجد محرم أو زوج صالح لتعليمها ذلك.
- ٣- أن يتعذر تعليم الرجل الأجنبي لهذه المرأة من وراء حجاب.
- ٤- أن يوجد ما يمنع الخلوة معها كمحرم المرأة سواء كان أبياً أو أخياً أو امرأة كأماً أو أختها، أو كان معها زوجته، أو امرأة ثقة أخرى أو أكثر، وخلوته بامرأتين أجنبيتين عنه في حال ما إذا كانا مع المرأة إحدى محارمها من النساء، أو كان معها امرأة ثقة أجنبية عنها بناءً على الراجح في المذهب لمن جوز ذلك.

=



٥- أن يكون نظره إليها بقدر الحاجة فلا يحل له أن يجاوز في نظره إليها.

٦- أن لا يكون نظره إليها بشهوة.

المذهب الثاني: يرى المالكية أنه لا يجوز النظر إلى المرأة الأجنبية عنه عند تعليمها سواء كان يعلمها العلم أو غيره.

وروى عن أحمد كراهة نظر الرجل إلى وجه الشابة الأجنبية عنه فمقتضى هذا أنه يكره نظره إليها، ولو كان يعلمها.

والراجح - والله أعلم - أنه يجوز النظر إلى المرأة من أجل التعليم، ولكن بالشروط التي اعتبرها الشافعية. [راجع: بحث

فقه النظر: لأخيها في الله / مصطفى أو الفيض عبد الحي، ص ١١٨، ط. دار ماجد عسيوي للنشر والتوزيع.. فهو بحث فقهي حديثي نافع جدا في بابيه].

[راجع رسالة (أمانة التعليم).. رسائل إلى المديرية والمعلمة والمراقبة) للأخت/ أم عبد الرحمن من ص ٢٢ إلى ص ٢٧ ط. دار القاسم، ورسالة (إلى المدرسين والمدرسات) للأستاذ/ عبد الواحد بن عبد المحسن المهديب من ص ٢٤ إلى ص ٤٧ ط. رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ورسالة إلى معلمة للأستاذ/ عبد الله بن عبد الرحمن العيادة من ص ٢١ إلى ص ٣١ ط. دار الوطن للنشر، وكتاب (مبادئ تدريس العلوم الدينية) د/ محمد عيسى من ص ٥١ إلى ص ٦٧ ط. دار النشر الإسلامية وكتاب (الأصول التربوية في تعليم العلوم الإسلامية ومواد اللغة العربية) للأستاذ/ عدنان سبيعي من ص ٢٨ إلى ص ٦١ ط. دار قتيبة - دمشق، وكتاب (التقييم الذاتي لمعلم التربية الإسلامية) بقلم د/ أمين أبو لاوي ط. دار ابن الجوزي السعودية].

* وأخيراً وليس آخراً: أقول لأخي المعلم:

- أخي المعلم: أنت تقوم بأحد وظائف الأنبياء، فالله الله في الصدق والأمانة والإخلاص، فإنه متى علم الله منك ذلك، بارك في علمك، وضاعف مثوبتك، وطيب غرسك.

- ارفع شعار «الرحمة قبل العلم»، وتأمل ثناء الله على الخضر بقوله ﴿ءَايَتُنْهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝١٥﴾، فبالرحمة - مع النصح والحزم - تظفر.

- تذكر دوماً: أنك كنت يوماً من الدهر في نفس مقعد تلاميذك، فما كنت تحبه من جميل تصرفات أستاذك فافعله، وما كنت تكرهه من ذلك فاجتنبه.

- وصف معاوية بن الحكم رضي الله عنه النبي ﷺ فقال: «ما رأيت معلماً أحسن منه»، فأوصيك وصية محب أن تملأ قلبك

وعينيك وأذنك بالاطلاع دوماً على سيرته العطرة قراءة وساماً وتذكيراً لتتفع بهديه في تعليم أصحابه رضي الله عنه.

- أخي المعلم: تذكر أنه لو لم يتخرج على يديك إلا طالب واحد ينفع الله به الأمة لكفى، ولتحسن النية أن تكون شريكاً له في كل نفع يجريه الله على يديه، لأنك قد تكون سبباً مباشراً فيه.

[كانت فكرة الاحتساب وطلب المثوبة من الله - تعالى - تسيطر على حس الكثيرين من المعلمين المسلمين في

الماضي، حتى إنهم كانوا لا يكلفون طلابهم بشيء من أمور الدنيا، وكانوا يرفضون قبول خدماتهم، وأخبارهم في

ذلك كثيرة، منها: أن الإمام أحمد بن حنبل رفض قبول الدواء من أحد طلابه قائلاً: أنت تسمع مني...، وقال

(جرير بن عبد الحميد): مرَّ بنا حزة الزيات، فاستسقى الماء وقعد، ودخلت البيت فلما أردت أن أناوله الماء نظر

إليّ، وقال: أنت هو؟ قلت: نعم قال: أليس تحضرنا في القراءة؟ قلت: نعم، قال: رُدَّه، وأبى أن يشرب وقام ومضى.

- إن هذه الصور التي ترسم أعلى درجات التعفف تدل بوضوح على سمو نظرتهم للتعليم، وعلى حرصهم على نقائه

=





من الشوائب المادية، كما تبين لك لماذا قامت الحضارة الإسلامية على أسس العلم، والفهم والإخلاص والتقوى؟! [انظر «بناء الأجيال» للدكتور/عبد الكريم بكار ص ١٣٧، ١٣٨ ط. كتاب البيان].
- طلابك يقتبسون من سميتك وأخلاقك أكثر من كلامك، ولا نزال نتذكر أساتذة فضلاء، بقيت آثار أخلاقهم أكثر من معلوماتهم.

- علّق العلامة (عبد الرحمن السعدي) - رحمه الله - على قوله تعالى ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]، فقال: والمعلم مأمور بحسن الخلق مع المتعلم ومباشرته بالإكرام والتحنن إليه، ففي ذلك معونة له على مقصده. [انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، تأليف/عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ١٠٩٥، ط. دار أصدقاء المجتمع-القصيم].
- أخي المعلم: اجتهد في تربية الطالب وذلك عن طريق:

- أ- تغيير القناعات (ويشمل ذلك تربيته على العقيدة الصحيحة، والمبادئ السليمة، والقيم، والطموحات، وفهم الحياة.
- ب- تغيير الاهتمامات (ليستثمر عمره في النافع).
- ج- تنمية المهارات (الرياضية، الفنية، العقلية، الاجتماعية...)
- د- فهم قواعد العلاقات.
- هـ- تغيير القدوات.

* هذه هي التربية، وغيرها يسمى «رعاية» فقط.
نحن جميعاً عابرون في هذه الحياة، ولن يبقى إلا ما عملنا، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، ولنتذكر أن طلابنا أمانة، وسنُسأل عنها - بين يدي الله - فترى كيف سنحجب ربنا إذا سألنا عنها؟!
وأخيرًا.. عليك بالدعاء، والتضرع لربك أن يعينك على أداء هذه الأمانة بإتقان، وأن يوفقك للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يقر عينيك بصلاح ذريتك وطلابك.

[ننصح بمراجعة رسائل (الموظف المسلم ومسؤولياته) للشيخ/عبد الرحمن حسن جبنكة الميداني) من ص ٢٥ إلى ص ٣٩ ط. رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، و(كيف يؤدي الموظف الأمانة؟ للشيخ/عبد المحسن بن العباد البدر ط. الدار الحديثة بمصر، ورسالة إلى كل عامل وموظف يؤمن بالله للشيخ/سعيد عبد العظيم ط. دار الإيمان بالاسكندرية].
* هذه نصيحة موجزة إلى كل أستاذ يتصدر لتعليم الشباب في المراحل التعليمية -عمومًا-، والمرحلة الجامعية - خصوصًا-...

* أما نصيحتي للمتعلم: أن ينوي بطلب العلم (رضا الله)، والدار الآخرة، وإزالة الجهل عن نفسه، وإحياء الدين، وإبقاء الإسلام صحيحًا فإن بقاء الإسلام بشكل صحيح لا يكون إلا بالعلم، ولا يصحُّ الزهد والتقوى مع الجهل.

* كذلك ينوي بطلب العلم: الشكر الجزيل على نعمتي سلامة العقل وصحة البدن، ولا ينوي به إقبال الناس عليه أو استجلاب حطام الدنيا [كنيل منصب، أو الحصول على وظيفة معينة]، ولعل هذا سيأتي بشيء من التوسع في ثنايا البحث - بإذن الله - جل جلاله.

=



ثم عن سلوك الطالب مع معلمه فأوضح قائلاً: اعلم - أخي الشاب المتعلم - أن المتعلم لا ينال العلم. ولا ينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله وتعظيم الأستاذ وتوقيره، ومن تعظيم العلم تعظيم المعلم، ومن توقير المعلم: ألا يمشي أمامه، ولا يجلس مكانه، لا يبتدئ بالكلام عنده إلا بأذنه، ولا يُكثر الكلام عنده ولا يُسأل شيئاً عند ملأته، والحاصل: أنه يطلب رضاه ويحتب سخطه، ويمثل أمره من غير معصية لله تعالى، واعلم - أخي - أن مَنْ تأذى منه أستاذه فإنه يُحرّم بركة العلم، ولا ينتفع بالعلم إلا قليلاً. [تعليم المتعلم طريق التعلم للإمام برهان الدين الزرنوجي ص ٢٦، ص ٢٧، ط. ابن كثير دمشق [بتصرف يسير]، وانظر (فوائد في آداب المعلمين والمتعلمين) تأليف الشيخ/عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ٦، ط. دار المدائن العلمية، بالقاهرة].

- وهذا غيَضٌ من فيضٍ فيما يجب فعله مع المعلم خلافاً لما يُفعل في هذه الأزمنة الغابرة من انتقاص حق المعلم، وازدراء واحتقار له، والسخرية منه، وقد يصل الأمر في بعض الأحيان إلى سبه وشتمه وضربه ولطمه.. وسيأتي الكلام موسعاً على حق المعلم قريباً إن شاء الله تعالى. [وانصح كل شاب مسلم بالاطلاع على كتاب «قواعد في التعامل مع العلماء» للشيخ عبد الرحمن اللويقي، وكتاب «الإعلام بجرمة أهل العلم والإسلام» للشيخ/محمد إسماعيل المقدّم].

٦- للمعلم حقوق كما أن عليه واجبات:

من الواضح أن الناس يعولون على المدارس أكثر من أي وقت مضى، فهم يطلبون منها الكثير والكثير، وترتب على هذا زيادة المهات الإضافية التي سيقوم بها المعلم، كما أن هناك من وجه آخر شعوراً عاماً لدى المعلمين بأنهم لا ينالون حقوقهم المادية التي يستحقونها، ولا يلقون الاحترام والدعم الذي يؤملونه، وفي نفس الوقت نجد اتهاماً من قبل الآباء والأمهات للمدرسين بأنهم لا يراعون أبناءهم، فصارت الاهتمامات متبادلة بين الطرفين.

ولكن الحقيقة: أن هناك فجوة حقيقية بين الممكن والمطلوب، والواجب والحاصل فعلاً، فهناك انخفاض في الدخل الخاص بالمعلم في أكثر الدول الإسلامية، وهذا يمنع المعلم من القيام بوظيفته ورسالته السامية.

كذلك فإن الحكومات لا تسعى لحل هذه المشكلة الخطيرة، بل بعضها تجعل قطاع التعليم ك (قطاع الخدمات) غير المنتجة، مما دفع المعلم إلى (إعطاء الدروس الخصوصية والتي صارت في كثير من البلدان منافساً قوياً وأحياناً بديلاً عن المدرسة)، أو أن يعمل المدرس عملاً آخر إلى جوار عمله في التدريس لتحسين دخله، ولهذا تكثر الأسئلة عن حكم الشريعة الإسلامية في حكم الدروس الخصوصية. [كثرت الأسئلة عن حكم الشريعة الإسلامية في الدروس الخصوصية فكان الجواب: الأصل في مثل هذا العمل الإباحة لعدم وجود ما يمنع منه شرعاً، لكن بشروط نجعلها فيما يلي:

- ١- ألا يكون ذلك من رجل لامرأة أو العكس مع حصول خلوة مجرمة، أو فتنه متوقعة.
- ٢- ألا يكون المدرس مجانياً لمن يدرس لهم على حساب بقية زملائهم الذين لم يفعلوا ذلك.
- ٣- ألا يكون في ذلك إخلال بعمله الأصلي ولا بما تشارط عليه هو وجهة العمل الذي يعمل فيه، لأن المسلمين على شروطهم...

[راجع الفتوى (١٦٣٧٤)، والفتوى (١٨٠٨٥) على موقع إسلام ويب على النت.

وافقت وزارة الأوقاف المصرية بأن الدروس الخصوصية بوضعها الحالي تؤدي إلى كوارث منها:

المساعدة على عدم تعليم الأولاد مطلقاً، وذلك لعدم إعانتهم على دفع المصاريف الخاصة بالمدارس والدروس الخصوصية، مما قد يؤدي لضياع العلم، فضلاً عن انتشار انتهاك الحرمات والانحراف الخلقي في كثير من الدروس، وترى وزارة الأوقاف البديل في عمل فصول تقوية في المدارس والمساجد والجمعيات الخيرية..

(انظر نشرة «الدين والحياة» - الدروس الخصوصية وموقف الإسلام منها» الصادرة عن وزارة الأوقاف المصرية - القطاع الديني، الإدارة العامة لبحوث الدعوة).

=





أما عن حقوق الأستاذ الجامعي: فلا بد أولاً من توفير كافة السبل العلمية المتاحة والمباحة للارتقاء بمستواه، ولا يكون ذلك إلا عن طريق مركز متخصص بكل جامعة يعني بتقديم المهارات والمعلومات والخبرات ذات الصلة بمهنة التدريس لكل من ينتسب إلى التدريس بالجامعات، وعمل معايير للجودة تساعد الأستاذ الجامعي على الرقي والتقدم وفق آخر منظمه ومعروفة داخل النظام الجامعي.

- كما أنصح بتنشيط تبادل الأساتذة الزائرين بين الجامعات من أجل انتقال الخبرات بينها.
- السماح للأستاذ الجامعي بعمل أبحاث علمية محكمة، والإشراف عليها من لجنة علمية متخصصة كبيرة، وتذليل الصعاب الخاصة بالبحث العلمي، ومكافئة الأستاذ الجامعي على أبحاثه المتميزة التي تثري الساحة العلمية.
- ينبغي على الأستاذ الجامعي العمل على استرداد هويته وثقافته ولغته، وأن يبرهن على أهمية ذلك من خلال أدبياته وأبحاثه العلمية الأكاديمية، مع الحذر من السرقات العلمية والفكرية، والاعتداء على حقوق التأليف والمؤلف.
[لمعرفة أهمية «تعريب العلوم الدراسية» راجع كتاب «اللفة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي» للدكتور/مازن المبارك ص ٥٩، ٥٠ ط. دار الرسالة، بيروت، وكتاب (حول التربية والتعليم) د/عبد الكريم بكار ص ٢٤٦، ٢٤٧].
فلا بد من بيان أن الاقتباس من كلام العلماء والباحثين السابقين، مع عزو القول لقائله، واسم كتابه، وتوثيق ذلك جائز شرعاً، أما النقل الكامل وأخذ المجهود كله، أو جلّه ونسبته إلى النفس، فهذه سرقة محرمة بلا خلاف، وما يترتب عليها محرم وباطل شرعاً.

وأرى - والله أعلم - أنه لا بد من وضع حلول علمية أكيدة وسريعة لكل مشكلات المعلم والأستاذ قبل فوات الأوان.
[يمكن الاستفادة من مجال الوقف الإسلامي لدعم الحركة التعليمية في بلادنا، راجع بحث «الوقف في مجال التعليم والثقافة» د/عبد الفتاح مصطفى غنيمه. القسم الثاني من ص ٧١ إلى ص ٨٧ ط. وزارة الأوقاف سلسلة (قضايا إسلامية رقم ٩٠)].
٧- التخلص من التعليم العقيم الذي لا فائدة منه في الدنيا والآخرة: إن مما يجب التسليم به أن جيل كل أمة هو وارث أهدافها ومنفذ سياستها، وأنه يتم تشكيله في محاضن التربية ومعاهد التعليم من خلال المناهج الدراسية المصاغة بحنكة لتحقيق توجهات معينة لعقول ونفوس الناشئة، وإذا نظرنا إلى أكثر مناهجنا التعليمية تجدها تعتمد على طرق قديمة متخلفة، حيث يجبر الطالب على دراسة مقررات بعينها، تلك المقررات لا تسمن ولا تغني من جوع، بل تصيب الناشئة بنوع من أنواع اللامبالاة، والكراهية، وتقتل روح الابتكار وتضيع أعمار الطلاب هباءً، بل وعلى المعلمين.. حتى إن كثيراً من المعلمين قد يصابوا (باللامبالاة)، فلا تراه مهتماً بشرح الدروس للطلاب، - خاصة - في المدارس والجامعات الحكومية، وكرد فعل طبيعي ترى الطالب معرضاً عن التعليم، زاهداً في الجد والتحصيل.. [لمعرفة كيف يمكننا الارتقاء بالتعليم الشرعي، والتعليم الجامعي، والتعليم المهني، وكيفية النهوض بالبحث العلمي، والخروج من أزمة التعليم واستشراف المستقبل العلمي الأكاديمي الصحيح. أنصح من سويداء قلبي مراجعة كتاب (حول التربية والتعليم) للدكتور/عبد الكريم بكار - جزاء الله خير الجزاء. ط. دار القلم، دمشق].

اعرف عدوك

عند عقد مقارنة بسيطة بيننا وبين أعدائنا من اليهود - قاتلهم الله - ستعرف كيف ينشأ أبناؤنا؟، وكيف ينشأ شبابهم؟

إنهم يُربون أبنائهم على منطلقات اعتقادية يهودية خالصة.. وفي مقدمة هذه المنطلقات: ١- أن هناك شعباً يهودياً، كان في الماضي البعيد يعيش في وطنه (أرض إسرائيل) موحدًا، ثم تشتت بفعل الاحتلال الأجنبي لهذا الوطن.

٢- وخلال سنوات الدياسبورا (الشتات) كان الشعب اليهودي يحلم بالعودة إلى وطنه، وعكست أساطيره الدينية وموروثاته الثقافية والاجتماعية هذا الحلم.

٣- ومع بدء النشاط إلى العودة إلى الوطن كان (القويم زد الأغيار) أي: العرب لا يزالون يقيمون في هذه البلاد، يسيطرون عليها ويحتلونها، ويعيثون فيها الفساد.

٤- أسطورة أن الوطن المنتظر مأهولٌ بالأغيار، فثمة حاجة ضرورية للقيام بعدة اقتحامات في وقت واحد، أبرزها: اقتحام الأرض، واقتحام العمل والإنتاج، اقتحام الدراسة، وتعبُّ الكتب المدرسية الإسرائيلية وخاصة كتب الديانة والتراث والتاريخ واللغة والأدب، بالنصوص التي تُعبر عن ذلك ولعل خير مثال على ذلك: أسطورة التشريد الصهيوني، وهي من النصوص المدرسية الإسرائيلية التي تدرس للناشئة اليهود، وتتحدث عن استمرارية الوجود اليهودي في فلسطين وتهدف إلى تهميش الوجود الإسلامي والعربي وطمسه لحد الإلغاء، وهذه الأسطورة جاءت في كتاب أصدرته وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية عام ١٩٧٥م، وقد ركزت في مقدمة الكتاب على ما يُسمى بالحق اليهودي المطلق لشعب إسرائيل في العودة والاستيطان على أرض آبائه وأجداده.. وهذا الكتاب يقع في ثلاث مجلدات كبار ويحتوي على الكثير من القصائد



والقصص والأخبار^(١)...

التاريخ اليهودي كيف يدرس؟

الناظر إلى الخطاب التربوي الصهيوني الخاص بالتاريخ اليهودي وحق العودة وملكية الأرض نجد أنه يرمى إلى ترسيخ جملة من القناعات العقائدية والفكرية في عقول وقلوب الناشئة اليهود، تلك القناعات تشكل ردودًا على التساؤلات التي قد تُثار حول ضرورة تهجير المسلمين والعرب من فلسطين (وهو المعروف الآن بسياسة الإبعاد) وهذه أبرز الغايات التي يريدون تربية الناشئة عليها:

١ - إيجاد ارتباط وثيق بين الناشئة اليهود، وبين ما يسمى أرض إسرائيل على نحو يُبعد عن أذهانهم ارتباط أي شعب آخر بهذه الأرض.

٢ - تربية الناشئة على الاعتقاد الجازم بأن عودة آبائهم الأخيرة إلى وطنهم هي عودة مبررة بادعائهم أن الشعب اليهودي هو وحده الذي يملك البلاد منذ قديم الزمان.

* وفي سبيل ذلك: يُربى الناشئة على أنهم مظلومون وأن العرب برابرة فاشيون وظلمة محتلون، لأجل ذلك ما أخذ بالقوة فلا يسترد إلا بالقوة [هذا في حد زعمهم].

٣ - تصنيفُ العربي بأنه عنصر غريب عن البلاد، دخيل على رسالتها وتطلعاتها، فهو يعيش الآن فوق ترابها ويستغل خيراتها، ولا بد أن نحاربه كما حاربنا مَنْ سبقه من الغزاة والأجانب الذين استولوا على البلاد في العهود الغابرة ونهبوا ثرواته...

* هذه بعض القراءات في مناهج أعدائنا والغرض من تقديمها إلى الأخ القارئ هي تحفيز

(١) للتوسع.. انظر كتاب (التربية في التوراة - العهد القديم) (عرض وتقديم) بميزان الإسلام) تأليف د/ عابد توفيق الهاسمي من (ص ٦٩ إلى ص ٨٤)، ومن ص ١٤٥ إلى ص ١٤٩ ط. مؤسسة الرسالة، بيروت.



الهمة، وإثارة الغيرة بالنفس، وتحريك الضمير الناعس، فإذا كان أهل الباطل يفعلون كل هذا في سبيل استمرارية باطلهم وتوريثه للأجيال من بعدهم، فأين أنتم يا أصحاب الحق؟ وإذا كانت المناهج الدراسية قد نالتها أيدي عابثة مخربة مدمرة سلختها من أدق خصائصها وهي الحفاظ على هوية الأمة، فأين دوركم في صدّ هذه الهجمة الشرسة عن مناهج التعليم في بلادنا؟!^(١)

٦- وسائل الإعلام بأنواعها:

يتأثر الناس بجملة من وسائل التوجيه التي تشكل شخصية كل فرد من أفراد الأمة، ولقد شهد العالم قديمًا وسائل للتوجيه بدائية غير معقدة محدودة الأثر من جهة المكان والزمان والموضوع.

وأما في العصور المتأخرة فقد استحدثت وسائل للتوجيه والتأثير ذات خطر وأثر لا يقارن بالوسائل السابقة، فلئن كانت الوسائل القديمة خاصة بأسرة أو حي أو قرية صغيرة، فإن وسائل الإعلام اليوم تؤثر في العالم كله إذ تميز العصر الذي نعيشه -فيما تميز به- بثورة إعلامية شاملة حيث أضحي العالم (قرية واحدة) يرى المقيم بأرض ما يفعله المقيم بأرض أخرى تبعد آلاف الأميال.

ولئن كانت الوسائل القديمة قاصرة على التوجيه اللفظي المباشر، فإن وسائل الإعلام اليوم تؤثر بالصوت والحرف والصورة، بل بالصوت المحسن والصورة الملونة والخط المنمق.

ولئن كان إنسان الأمس يستطيع مناقشة الموجه له والمؤثر فيه فإن الأمر يختلف اليوم، إذ تميز الطرح الإعلامي بأنه طرح يوجه من خلاله المرء لما يريده القائمون على الإعلام دون خيار أو معارضة، وإذا كان هناك لون من المعارضة القلبية فإنها سرعان ما تنهار وتتلاشى ويرضى المرء

(١) راجع رسالة منطلقات مناهج التعليم في إسرائيل للأطفال والناشئة. للأستاذ/ عبد المنعم إبراهيم ص٦، ٧، ٩، ١١، ٢٥، ٢٦ ط. دار البناء للتوزيع.





ويتابع بسبب كثرة الإمساس.

والوسائل الإعلامية وإن كانت في حقيقتها (وسائل محايدة) أي ليست في حد ذاتها مفسدة أو مصلحة وإنما هي بحسب ما يعرض فيها، إلا أن استعراض عمل تلك الوسائل شاهد على أن المادة المعروضة تعد منفذًا للغزو الفكري المدمر لدين الأمة وقيمها وأخلاقيها.

ولا يخفى على أحد ما للإعلام بأشكاله وأساليبه ووسائله وصوره المختلفة من الأثر الكبير على الشعوب وثقافتها وتصوراتها وتوجهاتها، ولقد ازداد الإعلام وتنامي نموًا مطردًا مع تطور المجتمعات البشرية ونموها وازدياد حاجتها للمعرفة على مختلف مستوياتها وبكافة أشكالها.

ولا شك أن ثورة الاتصالات العالمية أمر ملحوظ بحيث صار الكون وكأنه قرية صغيرة بما يسمى في عصرنا «بالعولمة»، ولأجل ذلك فقد حَرَصَت الدول ذات القوة العسكرية والسيطرة السياسية وغيرها على استغلال هذا الجانب بما يخدم مصالحها ويحقق طموحاتها، وهذا هو الشاهد والملموس اليوم^(١).

وتجدر الإشارة إلى أن اليهود لما وقفوا على أهمية الإعلام وتأثيره في حياة الشعوب هبوا للاستئثار به وتصريفه وفقًا لما يريدون، ولقد كَشَفَتْ تداعيات أحداث سبتمبر ٢٠٠١م، عن هذه الحقيقة بجلاء ووضوح، فلقد قامت الحركة الصهيونية العنصرية المسيطرة على قطاعات رئيسة من المؤسسات السياسية، ومراكز صنع القرار السياسي، والمراكز العلمية والبحثية فضلًا عن المؤسسات العسكرية والمالية، قامت هذه الحركة وغيرها في تعميق الكراهية للإسلام والمسلمين لدى العالم الغربي ولا سيما صنَّاع القرار فيه^(٢).

(١) راجع رسالة القنوات الفضائية وآثرها العقدي والاجتماعية والأمنية للشيخ/ خالد عبد الرحمن الشايع ص ٧ ط. أصدقاء المجتمع.

(٢) الإعلام والدعوة الإسلامية وتدابير أحداث ١١ سبتمبر ص ٤٤ ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.



- بل وصار الإعلام العالمي لعبة في أيدي اليهود - قاتلهم الله - ففي مجال وكالات الأنباء: نجد أن وكالة «رويترز» هي جوليوس رويتر «اليهودي» ووكالة «اسوشيتدبرس» هي شركة تأسست عام ١٩٠٠م من قبل صحف ومجالات أمريكية تقع معظمها تحت سيطرة اليهود.

- وفي مجال الصحافة: اشترى مليونير يهودي ويدعى [روبرت ميردوخ] عددًا من الصحف والمجلات البريطانية من أمثال: صحيفة «التايمز»، و«الصندي التايمز»، ومجلة «الصن» و«نيوز اوف ذا ورلد»، و«ستي مجازين»، وفي أمريكا: اشترى اليهود «أودلف اوش» أشهر صحيفة أمريكية وهي «نيويورك تايمز» وذلك عام ١٨٩٦، واليهود سيطروا على صحف أخرى سيطرة كاملة وهي أكثر من ٢٢٠ صحيفة يومية ومجلة أسبوعية، أو شهرية أو دورية، جميعها يهودية ١٠٠٪^(١).

وفي شبكات التلفزة العالمية الشهيرة وقعت كثير من الشبكات التلفزيونية تحت سيطرة اليهود، ومن أشهرها الشبكات الثلاث المسماة (A.B.C- B.S- N.B.S) فالأولى رئيسها يهودي يدعى «ليونارد جونسون»، والثانية رئيسها ومالكها يهودي «ويليام بيلي»، والثالثة يرأسها اليهودي «الفرد سلفرمان»^(٢).

* فإذا كان اليهود هم أصحاب السيطرة الحقيقية على وسائل الإعلام فهم في الحقيقة، أصحاب السيطرة على المجتمع والدولة في الولايات المتحدة، بل أصحاب السيطرة على العالم كله، ينشرون ما يريدون، ويوجهون العقول حسب ما يودون.

يقول الأستاذ الراحل/ أنور الجندي «لا ريب أن هناك زحفًا خطيرًا عن طريق الفن

(١) انظر بروتوكولات حكماء صهيون، البروتوكول الثاني عشر ص ١١٦.

(٢) راجع رسالة النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية ط. للشيخ/ خالد عبد الرحمن الشايع ص ٣٥ دار أصدقاء المجتمع.





والقصة إلى قلب المجتمع الإسلامي حيث تقوم الصحافة بالدور الأكبر منه، فإن كل المفاهيم المسمومة والضالة تقدم في سهولة ويسر وبساطة عن طريق هذه الأجهزة، وتستوعب عقول الشباب الغض، والمرأة في البيت، وتثير روحاً جديدة مخالفة تماماً لروح الإسلام^(١).
ولذلك سعى الأعداء لاستخدام هذه الوسائل لتكون منافذ للغزو الفكري للأمة المسلمة.

ففي كثير من بلاد العالم الإسلامي انتشرت مظاهر هدم الدين والأخلاق - خاصة - بعد انتشار عدة أشياء منها.

الفرق السينمائية والمسرحية... (والتي كان لها الأثر الكبير في التغيير الديني والفكري والاجتماعي، فساهمت تلك الفرق بمشاهدها في خلخلة القيم والأخلاق في المجتمع وهذا ما صرّحت به (روز اليوسف) في مذكراتها.. حيث كانت قد طلبت إعانة لمسرحها من الحكومة، وكانت مصر آنذاك خاضعة للنفوذ البريطاني المباشر، فنصحها المندوب السامي البريطاني في مصر أن تذهب إلى الريف، وتعرض مسرحياتها هناك، فإن فعلت ذلك نالت الإعانة في الحال^(٢).

الصحافة: ساهمت الصحافة في شيوع حالة التشّت والفوضى الفكرية، فضلاً عن إشاعتها للفواحش والانحلال وذلك بتركيزها على موضوعات المرأة ونوادي الرقص والمسرح والسينما ومسابقات ملكات جمال العالم وكثرة الصور المثيرة للغرائز^(٣).

(١) راجع كتاب (الصحافة والأقلام المسمومة) للأستاذ/ أنور الجندي ص ١٢١، ١٢٢ ط. دار الاعتصام.

(٢) راجع كتاب (واقعنا المعاصر) للأستاذ/ محمد قطب ص ٢٩١، ٢٩٢.

(٣) ظلت الصحافة المصرية... اللبنانية المسيحية المارونية.. تتحدث عن البغاء وعن كونه (ضرورة اجتماعية) في العالم المتحضر لـ (عشرات السنين)، وكان القصد تهيئة الأذهان لليوم الذي يراد فيه نشر البغاء في المجتمع الإسلامي المصري، وجعله جزءاً من كيان المجتمع تحرسه الدولة بقوانينها وتسهر عليه، وشواهد ذلك كثيرة... منها ما كتبه



وكل هذه الأشياء مهدت الأمور أمام وسائل الإعلام الحديثة، والتي أضحت هي الأخرى في أغلبها وسائل هدم، وتحولت إلى أبواق للاتجاهات المحاربة لدين الأمة، فهذه صحيفة ماركسية، وأخرى شيوعية، وثالثة صحيفة ليبرالية.

كذلك فإن الكثير من إعلامنا صار مركزاً على الترويج لكل أسباب الإغراء للرأى أو القارئ وإثارة غرائزه ودعوته إلى الإباحية، ونشر كل ما يتصل بالأهواء واللذات وصار السباق محمومًا في تجارة رخيصة تستهدف استدرار الموارد بيع هذه السموم^(١). وصدق أحدهم حين قال: «أعطني إعلامًا بلا ضمير أعطك شعبًا بلا وعي أو تفكير»^(٢).

-
- إحسان عبد القدوس في إحدى مقالاته قائلاً: (إنني أطالب كل فتاة أن تأخذ صديقها في يدها، وتذهب إلى أبيها، وتقول له: هذا صديقي)، وكتب أنيس منصور في مقال له في جريدة (أخبار اليوم): أنه قد زار إحدى الجامعات الألمانية، ورأى هناك الأولاد والبنات أزواجاً أزواجاً مستلقين على الحشائش في فناء الجامعة، قال: فقلت في نفسي: متى أرى ذلك المنظر في جامعة أسيوط لكي تراه عيون أهل الصعيد، (راجع واقعنا المعاصر ص ٢٤٤).
- (١) الصحافة والأقلام المسمومة.. ص ١٢٤.
- (٢) للتوسع راجع: «المتلاعبون بالعقول»، تأليف/ هلبر شيلر، ترجمة: عبد السلام رضوان، ط. سلسلة عالم المعرفة، عدد (٢٤٣) سنة ١٩٩٩ م، ط. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت.



الإعلام بخطر أجهزة الإعلام

- سبق آنفاً أن ذكرنا أن وسائل الإعلام وأجهزتها المتنوعة تشغل حيزاً كبيراً في حياة الإنسان، فلا يكاد يخلو منها بيت أو مقهى أو متجر أو نادي أو جامعة وذلك لما اشتملت عليه هذه الأجهزة من تقنية متطورة، وجاذبية فائقة إلا أن هذه الوسائل تتفاوت في حدة التأثير، إذ تمثل الأفلام السينمائية والتلفزيونية أخطر الأدوات الثقافية والتربوية لأنها تجسد أفكاراً حية تعيش أمام المشاهد ولذلك فإن تأثيرها لا يقتصر على الأفكار النظرية بل ينطبع بصورة قوية على السلوك والمظهر لأنها تبدو للرأي حقيقة معاشة وواقعاً منظوراً، ويُعدُّ جهاز التلفزيون من أكثر هذه الوسائل انتشاراً، وتأثيراً في الناس فلقد تعلق قلوب الكبار به قبل الصغار، فهو من أقوى وأقرب وسائل الاتصال الشخصي وأكثرها فاعلية حيث يستغرق حاستي السمع والبصر، ويشد المشاهد إليه بحيث لا يسمح له بمزاولة أي نشاط آخر أثناء مشاهدته، فالصورة الواقعية الحوية، المصحوبة بالمؤثرات الصوتية، تصله بآفاق العالم الخارجي وهو متكئ على أريكته أو وهو راقد على فراشه لذلك يستأثر الرأي (التلفاز) بنصيب وافر من أوقات الناس، ومن ثمَّ فإن تأثيره يتجاوز الأفكار النظرية إلى السلوك الحياتي، والعلاقات الإنسانية، والأنشطة الاجتماعية والحكم على المثل والأشخاص وتحديد المواقف، وصياغة القيم صياغة جديدة، حتى صار الناس بحق على دين تليفزيوناتهم^(١).

✦ برامج التلفزيون وما تحمله لنا:

تنقسم برامج التلفاز إلى نوعين: برامج تخص الشباب والكبار، وأخرى تخص الأطفال الصغار، ونظراً لمشاركة الأطفال للكبار في مشاهدة جميع برامجهم الخاصة تقريباً، وذلك من جرّاء الفوضى التي تعيشها الأسرة المسلمة، فلا بد من استعراض واقع برامج الكبار، وأثرها

(١) الاجهاز على التلفاز د/ محمد بن إسماعيل المقدم - حفظه الله - ص ٧، ٨. دار الصفوة.

على المشاهد، وخاصة وقد لوحظ «أن البرامج التي تستدعي انتباه الأطفال هي البرامج المعدة للكبار»^(١).

واقع برامج الكبار:

تحتل البرامج المعدة للكبار وبالبالغين المساحة الكبرى في التلفزيون، حيث تتضمن المسلسلات والمسرحيات والمسابقات، والنشرة الإخبارية، وبعض البرامج الرياضية، وغيرها من الفقرات الحوارية، ولكن الملاحظ أن أكثر هذه البرامج إن لم تكن كلها - لم تصبغ بالصبغة العقدية الإسلامية، ولم تراغ فيها الآداب الشرعية، واحترام ثوابت الإسلام، بل على العكس أضحت معظم البرامج مغايرة لأصول الإسلام هادمة لثوابته العامة، مع التنفير من الدين وتشويه صورة التدين والدعاة إليه، والتنفير عنه، بما يعرف بـ (الإسلاموفوبيا) إلا أن أغلب خطط وسائل الإعلام تدور حول القصص والروايات والمسرحيات، والتمثيلات والبرامج الحوارية المشجعة للانحلال الفكري والخلقي، فأكثر المعروف عندهم، «لا يزيد على شرعة العلاقات غير المشروعة بين رجل وامرأة، أو بين شباب وفتاة، كما أن مظاهر الحب والغرام والعشق بين الجنسين هي المحور الرئيس، والقاعدة الأساسية التي تدور عليها أحداث المسلسلات، والمسرحيات والكثير من الحوارات التلفزيونية.

كما يتضمن النظام اليومي للبرامج المعروضة مقاطع موسيقية وغنائية تسمى «بالفيديو كليب» يقوم بأدائها رجال، أو نساء، وهي تتضمن كثيرًا من عبارات الفحش، والغرام، والتحريض على فعل الفاحشة، إلى جانب تبرج المغنيات، وظهورهن في كامل زينتهن، وتمايلهن، وتكسرنهن، مما يثير الكامن والساكن عند المشاهدين والكارثة أن بعض الأنظمة العلمانية الحاكمة سمحت بفتح قنوات للرقص المباشر كما حدث في مصر وغيرها، وإلى الله

(١) التلفزيون بين الهدم والبناء للأستاذ د/ محمد كامل عبد الصمد ص ٢١ ط. دار الدعوة.



المشكى^(١).

* أما البرامج الدينية: فمحلها المرتبة الأخيرة من اتهامات المسؤولين، حيث لا تتعدى مساحتها واحداً بالمائة، إلى جانب أن أوقات بثها غير مناسبة، أوبلغة أهل الإعلام «أوقات مية»، ويستضاف فيها مَنْ يهرف بما لا يعرف، ومن يوجه الناس إلى الضلال عن طريق تجميع القضايا الدينية والفتاوى الشرعية، بهدف تسطيح المعلومات الدينية لدى المشاهدين، أما المحاضرات أو الندوات فهي قليلة وغير مركزة، وغير مشوّقة وأكثر موضوعاتها تدور حول أمور تافهة لا تهم الناس في دينهم، ولا في دنياهم... أو أمور موجهة من قبل الأنظمة الحاكمة من باب «تسييس علماء الدين».

- أما البرامج الأجنبية المستوردة، والتي تستخدم اللغة الأجنبية، فمعظمها مستورد من أمريكا، حيث بلغت نسبة البرامج الأمريكية المستوردة لمنطقة الخليج ٨١.٦٢٪ من مجموع البرامج الأجنبية المستوردة من الدول الأجنبية الأخرى^(٢).

* وبالنسبة لبرامج الأطفال^(٣) فإنّ النصيب الأكبر والمساحة الإعلامية الأوسع بالنسبة لبرامج الأطفال تخص الصور المتحركة حيث تعرض بصورة مستمرة في أوقات منتظمة أثناء

(١) من النتائج الخطيرة لهذه القنوات وتلك البرامج:

* نزع الغيرة والشهامة من الرجال، حتى إنك قد ترى الرجل يساعد ابنته على التجول المفسد في الشوارع والطرق بدعوى التباهي بمحاسن ابنته والفخر بجملها، وما كان هذا أن يحدث إلا يوم أن استقر في قلوب وعقول هؤلاء الرجال أن هذه هي الحرية وتلك هي المدنية، وأن ضد ذلك هو التخلف والرجعية والتشدد المذموم.

ومما اجتهد الإعلام في تأصيله عند عموم الناس: محاولة تشويه صورة الإسلام والمسلمين الملتزمين بتعاليم الدين، وتصوير المسلم الملتزم بدينه بأنه متزمت رجعي متخلف إرهابي إخواني جاهل بالواقع.. إلخ.

(٢) راجع مجلة التربية «مقال دور التلفزيون الخليجي في توازن الثقافة والترفيه والتوجيه عدد(٦٦) ص٩، نقلاً عن [مسؤولية الأب المسلم ص٤٨٦].

(٣) المرجع السابق ص٤٩٠.



البث اليومي، وإنَّ معظم هذه الأفلام من إنتاج أجنبي، وتدور معظم أحداث رواياتها حول عنصر الصراع والحرب، أو القتال فتارةً يكونُ بين القططِ والفئران، وأخرى بين المركبات الفضائية، إضافةً إلى أن أفلام الفضاء والأفلام الخيالية بما تحويه من الصراع والعنف فإنها تحمل عقيدة وثنية، إذ تعرض هذه القصص والروايات أنواع الصراع بعيداً عن الله ﷻ وكأنَّ الكون ليس محكوماً بقدرة الله تعالى ومشيئته، إلى جانب تركيزها على قضية وجود أعداء وهميين في هذا الكون يهددون البشر، وهذا يخالفُ عقيدة المسلمين التي أخبر بها القرآن من وجود الملائكة والإنس والجن، الشاهد أن هذا النوع من الخرافة يُفسدُ منهج التفكير عند الطفل، ويطبعه بطابع خيالي جامح بعيداً عن العلم الصحيح، وبعض هذه الأفلام تدور قصصها حول الحب والغرام كما هو الحال بالنسبة للمسلسلات للكبار، حيث تدور أحداث بعض هذه الأفلام على غرامياتٍ بين ذكرٍ وأنثى من البشر، أو الحيوانات أو الحشرات.. مما يساعد على تحريك الشهوة للطفل، ولفتِ نظره لتكوينِ العلاقاتِ والغرامِ مع القربيات من الإناث.

وقد ذكرت الدراسات والأبحاث أن بعض الطلاب عندما يتخرج من المرحلة الثانوية يكون قد أمضى تقريباً أمام أجهزة التلفزيون قرابة (١٥٠٠٠) ألف ساعة، بينما يكون قد أمضى في حجرات الدراسة أكثر من (١٠٨٠٠) عشرة آلاف وثمانمائة ساعة على أقصى تقدير^(١).

وفي دراسة عنوانها: القيم الاجتماعية المقدمة والرقابة في مصر للدكتور/ سمير علام أظهرت النتائج أن ٩٩.٦٪ من أفراد عينة البحث يشاهدون [التلفاز] ويفضلونه على وسائل الإعلام الأخرى المطبوعة والمسموعة والمرئية.

(١) راجع مبحث «الحاجة إلى تنسيق وتكامل إعلامي» د/ حمود البدر ص ١٣ نقلاً عن كتاب (مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر الأسباب - الآثار - العلاج) تأليف أ. عبد الرحمن بن معلا اللويحي (٢/ ٥٩٤، ٥٩٥).





كما أكدت دراسة أخرى عنوانها: (الدراما التلفزيونية للدكتور/ محيي الدين عبد الحليم تبين ٩٢.١٧٪ من الشباب يشاهدون (التلفاز) وأن الذين يشاهدون المسلسلات والتمثيلات منهم بلغوا ٩١.٦٧٪، كما بينت هذه الدراسة أيضًا أن ٦٠٪ من الشباب الجامعي أفادوا أنهم يتأثرون تأثرًا كاملاً أو جزئيًا بهذه المسلسلات والتمثيلات.

وقد صارت المسلسلات والمسرحيات الهزلية وحوارات (التوك شو)، والبرامج الغنائية والهزلية تقوم على إهدار القيم المجتمعية والاستخفاف بالثقافة الإسلامية، وبالتالي تلهية الناس عن واقع حياتهم عن طريق الفكاهة المفتعلة، وهي في مجموعها محاولات لخداع الناس سواء عن واقعهم أو خداعهم عن المفاهيم الأصلية.

بل إن بعض المسؤولين في «الإذاعة والتلفزيون» يدافع دفاعًا حارًا وجادًا عن الركائز المسمومة الضارة التي أقامها النفوذ الأجنبي والاحتلال في مختلف بلاد العالم، وفي مقدمتها الدفاع عما يعرض في جهاز التلفزيون سواء القنوات الرسمية أو الخاصة من (فن وغناء وتمثيل ورقص).

حتى أضحت وسائل الإعلام -عمومًا-، والتلفزيون -خصوصًا- مدارس لتعليم القبايح الفكرية، والردائل السلوكية.

فتنة البث المباشر:

ثم فَتَحَ شياطينُ الإنس باب فتنة التلفاز، وتوأمه الشرير «الفيديو»، ومن بعد ذلك فتنة البث المباشر ف«الدش» ثم «الستلايت»، والذي يُجمعُ العقلاء على أن تأثيره بالغ الضرر؛ لأنه يجعل قنوات التلفاز في كل بلاد العالم عند أطراف أصابع الإنسان العادي^(١)، - لا سيما - إذا كان هذا الجهازُ في بيتٍ منحلٍ ليس فيه أدنى رقابة، ولا تُنتقي منه البرامج التربوية الهادفة،

(١) راجع الاجهاز على التلفاز ص ٩.

ففي مثل هذه الحالة يمكن أن تعرض فيه مواد إعلامية منحرفة (كأفلام الجنس التي تهدم الأخلاق والآداب، وأفلام الرعب وأقل ما تسببه الميل إلى العنف والعدوانية) ولقد أظهرت إحصائية ضمن رسالة علمية جامعية بعضًا من السلبيات المنعكسة على الأسرة بسبب متابعتها للقنوات الفضائية وجاء ضمن ذلك: ٨٥٪ يحرص على مشاهدة القنوات التي تعرض المناظر الإباحية - خاصة - القنوات الغنائية، وقنوات «الرقص والطرب».

٥٣٪ قلت لديهم الرغبة في تأدية الفرائض الدينية.

٣٢٪ فتر تحصيلهم الدراسي.

٤٢٪ يتطلعن للزواج ولو كان عرفيًا، وإقامة علاقات محرمة بما يعرف بـ«الارتباط العاطفي»، و(التحرر من القيود والأخلاق والأعراف السائدة).

٢٢٪ تعرضوا للإصابة بأمراض جسيمية نتيجة ممارسة عادات خاطئة كالعادة السرية^(١).

وقد قام أحد الأساتذة المتخصصين في الإعلام بتحليل مضمون أحد عشر فيلمًا عرضت خلال عامي ١٩٩١م، ١٩٩٢م بلغت مدة عرضها جميعًا (١٨ ساعة و ٣٥ دقيقة) وقد تبين من خلال ذلك التحليل أن هذه الأفلام تعرض فيما تعرض لحملة من الأعمال والأنشطة المحرمة في الإسلام، ويمكن أن يتبين ذلك من الجدول الآتي^(٢):

النشاط أو العمل	عدد مرات تكراره	النسبة المئوية
الرقص	٦	٧.١
تجارة المخدرات	٦	٧.١

(١) راجع القنوات الفضائية وآثارها العقدية والاجتماعية والأمنية ص ١٢.

(٢) راجع بحث «أضواء على أفلام الفيديو» لد/ محمد يوسف عبده ص ١٦٣، ١٦٤.





٥.٩	٥	سرقة بأنواعها
٨.٣	٧	الرشوة (تقديمها أو قبولاً)
٩.٢	٨	تعاطي المخدرات
٣.٢	٣	فعل فاضح لا يصل للزنا
١٦.٦	١٤	ارتكاب الزنا
٤.٧	٤	شرب الخمر
١.١	١	التزوير وكتان الشهادة والتستر على جريمة التجسس
٩.٢	٨	القتل أو الاغتيال
١.١	١	النصب والاحتيال
٣.٢	٣	انتهاك حرمة القبور
١.١	١	التجارة في أعضاء الموتى
١.١	١	نقل عدوى المرض القاتل للآخرين
١.١	١	الشروع في القتل
٢.٣	٢	إدارة مكان للهو المحرم (كباريه)
١.١	١	الدجل والشعوذة
١.١	١	تهريب من الجمارك
١٠٠	٨٤	المجموع

ويمكن أن يدل هذا المجموع على جملة من الدلالات:

١ - مسألة إثارة الغرائز والشهوات لها نصيب وافر، إذ تصل مشاهد جريمة (الزنا) ١٤

مرة بنسبة ١٦.٦٪

٢- عرض جرائم القتل بالتفاصيل.. حيث تأتي نسبة مشاهد القتل ٩.٢٪ من مجموع الأعمال غير المشروعة، وهذا القتل قتل غير مشروع.

٣- تعاطي المخدرات وتأتي بنسبة ٩.٢٪

٤- أعمال غير مشروعة مع الموظفين لتسهيل الخدمات بنسبة ٨.٣٪

٥- الحث على شرب الخمر، والتزوير، وكتمان الشهادة، وقد بلغت النسبة في كل منها ٤.٧٪

٦- مشاهد الخلوة والاختلاط ما بين ٤٧.٧٦٪ إلى ٤٧.٩٠٪، وأن هذه المشاهد أدت إلى أن نسبة علاقات الحب والغرام بلغت ٣٠٪ وأن نسبة التبرج وصلت إلى ٦٦.٣٣٪.

٧- أظهرت الدراسة أن نسبة الموضوعات ذات الأثر السلبي بلغت ٤٥.٤٣٪ بينما بلغت الثانية ٤٥.٥٧٪^(١).

الإنترنت ما له وما عليه:

* ثم اجتهد شياطين الإنس في شغل الناس - عامة - والشباب - خاصة - عن قضايا واقعهم وأمتهم، عن طريق الشبكة العنكبوتية الإنترنت، والتي ملأت الدنيا وشغلت الناس، فما من مكان الآن إلا وظهرت فيه الشبكة العنكبوتية «الإنترنت»، وما من زمان إلا وتجد الناس مقبلة على أجهزة الكمبيوتر لتصفح المواقع الإلكترونية، والجلوس [للشات، والفيس بوك، وتويتر] في أي وقت من ليل أو نهار - خاصة الأطفال والشباب.

(١) راجع بحث «القيم في المسلسلات التلفازية» لـ (مساعد بن عبد الله المحيا) ص ٢٩٢، نقلاً عن (مشكلة الغلو في الدين) للشيخ/ عبد الرحمن بن معلا اللويحي (٢/ ٦٠٢).





ومن نافلة القول: أن الإنترنت له الكثير من الفوائد والمنافع العظيمة، كذلك فإن للإنترنت العديد من المضار الأخلاقية والسلوكية الناجمة عن استخدامه دون قيد أو نظام، ومن هذه الاضرار الخطيرة الأضرار العقدية: حيث إن الشبكة العالمية الإنترنت هي بمثابة باب مفتوح يلجّه كل من طرق الباب وأراد الدخول دون قيد أو شرط؛ لأجل ذلك: حيث يجد المتصفح للمواقع الإلكترونية العنت الكثير بسبب السيولة الفكرية والمعرفية والتي قد تصل إلى حد التضاد والتباين، فكل من أراد أن ينشر شيئاً نافعاً هادفاً منضبطاً حسبما ورد في شريعتنا الإسلامية يجد المجال أمامه مفتوحاً لنشر هذه الأفكار، وكل من أراد نشر شيء يخالف الشرع الحنيف، تقليداً للكافرين أو الملحدين أو الشيوعيين أو الليبراليين ومن هذا حذوهم، ولَفَّ لفهم سيجد الباب مفتوحاً على مصراعيه دون رقيب أو حسيب، كذلك فإن للإنترنت العديد من المضار الأخلاقية والسلوكية: من المعلوم سلفاً إن كثيراً من الناشئة يمكنون أمام شبكة الإنترنت الساعات الطوال، وينفقون الكثير من الأموال والأوقات والأعمار أمام مواقع التواصل الاجتماعي على «الإنترنت».

وهنا تظهر أعراض مختلفة في سلوك هؤلاء الناشئة كردة فعل لما يرونه على النت، (والسلوك مرآة الفكر)، وعليه يترجم هؤلاء ما يرونه ترجمة عملية إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، والمتابع لأكثر «المستعملين للإنترنت» يجد واقعاً يبعث على الأسى والحزن، يجد شباباً ضيّع عمره في تفاهات لا تعود عليه إلا بالضرر البالغ، ويجد أن أكثر هؤلاء قد امتنع عمّا يجب عليه فعله في وقت الشباب الذي هو زهرة العمر، فتراه مضيعاً للصلوات، وقراءة القرآن وحفظه، مضيعاً للطاعات، مفرطاً في الأوقات والأعمار، بل وتراه سباباً، شتاًمًا لعائناً، بذئ اللسان، وترى الكثير من هؤلاء يقبلون على الإنترنت بكل حرص وشدة باحثين عن الصور الجنسية، والأفلام الخليعة، كما تراهم يجتهدون غاية الاجتهاد في مشاهدة الأغاني والأفلام الراقصة، والتي تظهر فيها النساء عاريات تماماً أو شبه عاريات، فضلاً عن تضييع الأوقات في متابعة المباريات وحوارات (التوك شو)، والقنوات الإخبارية -خاصة-

السياسية.

الشباب والشات:

* وما أمر الطريقة الحوارية التي يستخدمها كثيرٌ من الشباب على شبكة الإنترنت للتعارف منا ببعيد وهذه الطريقة الحديثة هي الموسومة والمعروفة عالمياً باسم «الشات»، حيث ترى الكثير من هؤلاء يدخلون على «الشات» ليتعارفوا على بعضهم البعض، ثم تتوالى الشتائم والألفاظ البذيئة، والأقوال السيئة، وقد يستغل «الشات» والفيس بوك، وتوتير في تحديد مواعيد لقاءات محرمة بين الشباب والفتيات، كما يستغل في إثارة الغرائز الكامنة عند عموم مَنْ يدخلون على هذه الشبكة.

احذر الإدمان:

* الملاحظ أن كثيراً ممن أدمنوا الجلوس أمام شبكات التواصل الاجتماعي -خاصة- الفيس بوك، الواتس آب، تويتير... قد أصيبوا بمرض (التوحد) و(اللامبالاة) حيث تراهم لاهمة لهم في عمل، ولا قوة لهم على تحصيل علم أو مال، والمتابع الجيد لواقع شباب المسلمين يجد أن أكثر الشباب قد يمكث أمام جهاز الإنترنت ما يقارب من العشرين ساعة متصلة، لا يبالي بضياع وقته أو جهده أو صحته، في حين أنه لو كُلف بعمل من الأعمال الدينية أو الدنيوية تراه ضعيفاً متكاسلاً لا يقوى على أدائه بإتقان، كذلك - فإن أكثر هؤلاء ينامون نهاراً ويسهرون ليلاً أمام هذا الجهاز، وقد يقع الواحد منهم في هجر الآباء والأمهات بسبب ذلك، بل لقد أثبتت بعض الأبحاث العلمية.. أن نسبة السرقة فيمن يتعاملون مع جهاز الإنترنت تصل إلى ٤٨.٧٪ من جملة المستعملين لهذه الشبكة، حيث يسرق كثير من الأبناء آبائهم وأمهاتهم، وبعضهم يظل مديناً لمالك المكان (والمشهور باسم السير)



والذي تستعمل فيه شبكة الإنترنت^(١).

* كذلك انتشر ما يُعرف بـ«اختراق» حسابات البنوك عن طريق النت، وكثر العمل عن طريق الشبكة العنكبوتية في التسويق الشبكي، والتسويق الهرمي، وإنا لله وإنا إليه راجعون^(٢)!!

(١) مستفاد من كتاب (مسئولية الأب المسلم) ص ٤٩٤.

(٢) من المقرر أنه لم تُعدّ وظائف وسائل الإعلام والاتصال الحديثة تقتصر على نقل الأحداث والوقائع وتفسيرها من وجهة نظرها، بل أصبح لها دور في صنع هذه الأحداث وصياغة القرارات وتوجيه الرأي العام وتنميط سلوكه وأفكاره، كما أصبحت القدرة على استقبال المعلومات ونشرها وتداولها من بين أهم مرتكزات القدرة على السيطرة على سائر الأعمال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وأضحى الإعلام اليوم قادرًا بفضل التطور الهائل لتقنياته، على المساهمة في بناء الإنسان أو هدمه، وعلى ترسيخ القيم أو تخريبها، كما أنه أصبح قادرًا على تعزيز التفاهم والاحترام بين الشعوب، بقدر ما هو قادر كذلك على أن يشوه الآخرين ويضفي التعقيم على قضاياهم. فعلى المستوى العالمي: ومنذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠١١م، لم يعرف الحديث عن واقع صورة الإسلام والمسلمين في الغرب من الاهتمام والبحث والدراسة ما يعرفه الآن، حيث إن المتتبع لتداعيات تلك الأحداث لا يملك إلا أن يستغرب لفظاعة الصورة التي تكونت في الإعلام الغربي عن الإسلام والمسلمين، حيث وجد في الصورة المصطنعة عن الإسلام مادة خصبة لنسج صور نمطية موهلة في الازدراء والاستخفاف بتعاليم الإسلام ومبادئه من جهة، وعادات وتقاليده وسلوكيات بعض المسلمين من جهة أخرى.

وإذا كانت ظاهرة صنع صورة مسيئة للإسلام والمسلمين في الغرب ذات جذور تاريخية وفكرية امتدت إلى قرون عديدة ابتداءً من المرحلة الصليبية خلال القرون الوسطى ومرورًا بالمرحلة الاستشراقية، فإنه يمكن القول إن هذه الظاهرة السلبية قد استأثرت بها في السنوات الأخيرة وسائل الإعلام الغربية، حيث أمست ظاهرة تشويه صورة الإسلام والحضارة الإسلامية في وسائل الإعلام ظاهرة حقيقية، وليست متوهمة أو مبالغًا فيها. حيث استطاعت الأجهزة الإعلامية الغربية والقنوات الإعلامية المحلية العملية أن تنقل صور التشويه والتهميش من بطون الكتب والدراسات الاستشراقية إلى أن تكون زادًا مثيرًا تقتات منه وسائل الإعلام في كل مكان، وغدت تلك الصور «جماهيرية» بعد أن كانت «نخبوية».

=



يقول د/باسم خفاجي «ساهم المفكرون الأوروبيون الدينيون وغيرهم من خلال الموقف الأوروبي التاريخي من الإسلام إلى جعله دينًا كريهًا بغضًا لدى العامة لكي تحتفظ أوروبا بابتعادها عن الوقوع تحت سيطرة القوة الأخلاقية والفكرية الآسرة للدين الإسلامي.

عليه فإن الصورة المشوهة عن الإسلام في الغرب لم تكن بسبب جهل أوروبا به، لكنها في الواقع نتيجة معرفة حقيقية بالإسلام غلفت بالحقد والخوف من تناسي تأثير هذا الدين على أوروبا نفسها وعلى العالم أجمع، لذا فإنهم يعملون على شيطنة صورة الإسلام، وأظن أن الصورة النمطية عن بني الإسلام ودينه هي صورة بشعة وليست إيجابية.

وهناك أربع فئات رئيسة في العالم الغربي تهاجم الإسلام بشكل متواصل ومنظم طوال الأعوام الأخيرة، إنهم: رموز عدد من الكنائس الأوروبية الأمريكية الكبرى، والقادة السياسيون في الكثير من دول أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية، والعديد من وسائل الإعلام الغربية (صحافة - تلفاز - سينما - كتب - إعلام إلكتروني)، وأخيرًا الرموز

الفكرية للتيارات العلمانية. [للتوسع راجع كتاب «لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام» د/باسم خفاجي ص ٥٧ ط. كتاب البيان رقم (٧٧) ط. منتدى البيان بلندن]. انظر كتاب "الغرب والعالم الإسلامي" أبحاث ندوة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالتعاون مع المجلس الأعلى للثقافة، تحرير عبادة كحيلة ط. المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٩.

حيث أضحى حديث هؤلاء وغيرهم عن الإسلام بشكل وجبة دسمة في مختلف وسائل الإعلام الغربي، والتي برعت في إلصاق تهمة العنف والإرهاب به وبأتباعه، مما فاقم من حدة الاهتمام والمبالغة والمتابعة لكل ما يرتبط بالعالم الإسلامي الذي أمسى منبع الخوف والريبة بالنسبة إلى الغربيين، ولا شك في أن الإعلام الغربي، بما يمتلكه من إمكانيات جبارة وقوة الجذب والتأثير، قد استطاع أن يجعل الشأن الإسلامي ضمن اهتمامات الإنسان الغربي، الذي أصبح في الآونة الأخيرة ينظر إلى المسلم في الديار الغربية نظرة حذر وارتياح وخوف، لذلك باتت الصور الكاريكاتيرية العنصرية واللقطات الإعلامية أكثر الصور انتشارًا وذيوعًا، فعلى سبيل المثال: نذكر «الصور المسيئة للرسول» التي نشرت صحيفة دنهاركية، ثم صحيفة «تشارلي إيبدو» والتي نشرت صورًا مسيئة للرسول في ٢٠٠٥م، ثم أعادت نشرها مرة أخرى في ٢٠١٥م في أعقاب حادثة «الاعتداء على مقرها»، وتبعها «رسوم مسيئة للرسول في صحف ألمانية وبريطانية وبلجيكية».

وأصبحت الآلة الإعلامية الغربية لا تجد غضاضة في نهج مختلف السبل لعرض الإسلام وتحليله وتصويره بشكل يجعله «معروفًا» وفق طريقتها، للقراء والمُشاهدين الغربيين، فتكونت من جراء ذلك صور مشوهة عن ديننا، فأصبحتنا نقرأ ونسمع أوصافًا فظيعة وتهائمًا مكذوبة وأراجيف مختلفة توجه ضد الإسلام والمسلمين، وتعمل على تشويه الصورة وتزييف الحقائق مما أدى إلى إقناع الإنسان الغربي بأن الإسلام دين «مخيف» بما عرف به «الإسلاموفوبيا» حيث ذكر د/أسعد زرووق في موسوعة «علم النفس» طبعة بيروت ١٩٧٩، في مادة «فوبيا»: أن المصطلح الأكثر تعبيرًا عن عقدة الخوف والهلع من انتشار الإسلام ونفوذ قوته الدينية والثقافية والبشرية داخل المجتمعات

=





الغربية، حيث تدل هذه اللفظة على الخوف المرضي والرهبنة والخوف اللا شعوري مما تمّ ترسيبه وإشاعته عن هذا الشيء.

ويمكن إجمال أسباب تفاقم الخوف من الإسلام في الجهل وسوء الفهم لهذا الدين، والإرث الاستعماري، والخوف من السياسة والحكام ممن تمدد وانتشار الإسلام وغزو البلاد الغربية، وقد تصدى لهذه الظاهرة بعض المنصفين. [راجع على سبيل المثال: M.Boisard: I'humanisme de - ٣٨ ١٩٩٢ P١' Islam. Paris Francois Burgat: L'Islam ١٩٩٨ au Magreb - ed Karthala. ١٢٠ P.

وكتاب جون سيو زيتو، التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة. طبعة القاهرة ص٢١٤].

أما على المستوى الإقليمي والمحلي: نرى أن الإعلام الفضائي الرسمي والخاص يتضخمه بصورة متصاعدة عامًا بعد عام، والسؤال الجدير بالمناقشة: ما الرسالة الإعلامية التي تحملها هذه الفضائيات؟، وما الرصيد الفكري والثقافي الذي تسعى لنشره؟، لا نجافي الحقيقة إذا جزمنا أن أغلب تلك القنوات تحمل رسالة ضيقة لا تتجاوز الغناء والرقص وإشاعة الرذيلة الأخلاقية، والفجور الفكري المعادي للدين، لكن الجديد في هذا الفضاء الفكري انطلاق فضائيات متخصصة في ألوان جديدة من الإفساد والتحريف منها: فضائيات تنصيرية مصرية وعربية، وفضائيات شيعية ارتفع صوتها الطائفي، فأسقطت «التقية» التي تتدين بها وراحت تجهر بعداها العقدي، وقنوات السحر والشعوذة، والقنوات الحوارية التي يدعمها أو يملكها كبار رجال الأعمال الفاسدين وهدفها كسر المشروع الإسلامي السني، وقنوات ما سموه «الإسلام الواسطي» أو إن شئت تسميه «الفكر العصري المتأمر» الذي يسعى لمسخ الهوية.

وبالتالي أصبح أمر التقصي والوصول إلى صحة الخبر صعبًا شاقًا، الأمر الذي قد يضطر لبعض اللجوء إلى أيسر الطرق، التي نظن أنها ستنهي المشكلة وتعطينا صحة الخبر، نادرًا ما تجد أفكارًا بناءة بل على العكس تجد إرجافًا وكذبًا وضلالًا وتجارة في الكلام، إنه أمر يؤدي بنا إلى الهلاك ورواج الفتن، لما فيه من إشاعات وأخبار مفبركة. والواقع أن كثيرًا من هذه الفضائيات ذات التوجهات العلمانية أصبحت تحصر فكر المشاهد تحت هدف ملء عقله بالأكاذيب والاستخفاف بعقله، وتشعر وكأنك ترى وشاةً مفوهين بكلام محفوظ يبدو لك معسولاً حتى يداروا عيوبهم وأخطاءهم على حسابنا، الأمر الذي ينذر بالخطر - خاصة - وأن الأفكار البناءة وكل شيء يتعلق بالإيجابية أصبح في خبر كان.

لذا نذكر أخي القارئ أن يقاطع هذه القنوات «الضرار» وأن يجتهد في تحمل المسؤولية بحسن اختيار المصدر الإعلامي الشريف الذي يستقي منه معلوماته.

ونقول أيضًا للعاملين في الحقل الإسلامي.. في ظل هذه الغياهب المظلمة، لزامًا علينا أن نسعى سعيًا حثيثًا لإيجاد بدائل إعلامية قوية تسير وفق مخطط ورواية إعلامية واضحة ناضجة عصرية لتواجه ذلك الركام المتهاالك من تلك

=

نتائج محزنة

بناءً على ما تقدم من بيانات وإحصاءات تبين لك خطورة أجهزة الإعلام الغربية والعربية ومدى أثرها البالغ على الناس عامة وعلى الناشئة - خاصة - أنه قد انتشرت الأوضاع الشاذة والمزرية، والتي تبنى رعايتها ونشرها الإعلاميون العلمانيون ودعاة المدنية المزعومة والثقافة التغريبية، وفيما يلي نستعرض هذه المضار^(١).

- ١ - مغايرة معظم المناهج والبرامج الإعلامية في الإعلام الرسمي أو الخاص لروح الإسلام وعقيدته، وتشويه حقائقه، واتباع سياسة «شوش تسد».
- ٢ - إثارة الشهوة الجنسية عند مشاهدي ومتابعي البرامج الإعلامية لا سيما في الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية والإعلانات، والمشاهد الغنائية.
- ٣ - إفساد أجهزة الإعلام - إلا من رحم ربي - التربية التي تقدمها الأسرة الصالحة والمدرسة الجادة للأطفال، وذلك لأن للقدوات التلفزيونية نفس الفاعلية والتأثير الأكبر في نقل السلوك المنحرف وأنماطه.
- ٤ - بث الغناء الخليع الماجن، والموسيقى المحرمة في جميع ما يعرض في أجهزة الإعلام تقريباً بحجة «الترويج عن النفس» و«الانفتاح على العالم المعاصر» ومسايرة «المدن المتقدمة»، وإننا في زمن الحريات كل هذا أدى إلى انتشار ظاهرة الانحلال الخلقي.
- ٥ - إعطاء الأطفال صورة خاطئة عن حياة البالغين، وتسهيل تنفيذ عمليات القتل والسطو

الفضائيات الرخيصة. [راجع كتاب «الفضائيات الإسلامية رؤية نقدية» د/محمد يسري من ص ٢٩ إلى ص ٣١ ط. دار اليسر، كما ننصح بقراءة مقال: وسائل الدعوة والتأثير على الجماهير للشيخ/إبراهيم بن عبد العزيز الخميس بمجلة البيان - العدد ٢٤٧ ربيع الأول ١٤٢٩هـ، مارس ٢٠٠٨ م ص ١٢، ١٣، ١٤].

(١) كان هذا في بداية ظهور الشبكة العنكبوتية في بلادنا المصرية، أما الآن فقد انتشرت أجهزة الكمبيوتر في كل مكان، وتطورت صناعته ووصل تقريباً إلى أكثر البيوت المصرية، وكثرت الشركات المتخصصة في هذا المجال.





والاغتصاب والتحرش الجنسي.

٦- تصوير المتزمين بالدين بأنهم [متخلفون ورجعيون وجاهلون بالواقع]، وتشويه صورة رموز الأمة وعلمائها ودعاتها ووصفهم بأنهم «علماء سلطة»، وعملاء للأجهزة الاستخباراتية، لا يفهمون في الحياة السياسية، يستخدمون الأساليب التقليدية المعتمدة على العاطفة لا العقل.

٧- خلو معظم وسائل الإعلام من الوسائل التربوية النافعة، وافتقاد معايير الحيادية الإعلامية، في كثير من الإعلام المقروء والمسموع والمرئي.

٨- تأثر أكثر الناشئة والشباب بما يسمعون من عبارات وكلمات نابية وشتائم، ولغة عامية، وعبارات سوقية عن طريق المسلسلات والبرامج الحوارية حيث تراهم يقلدون قائلها ويحاكون فاعلها دون إدراكٍ لمعانيها وآثارها.

٩- تزيد أجهزة الإعلام من النزعة السلبية عند المشاهد، إذ يتقبل ما يعرضه هذا الجهاز دون أن يكون له أدنى نشاط يذكر تجاه ما يشاهده ويسمعه.

١٠- بعض أجهزة الإعلام التي تعتمد على الإثارة لا الإنارة سببت الكثير من الأضرار الجسيمة، والمفاسد العظيمة منها: تشجيع الأولاد على ممارسة الزنا، وتعاطي المخدرات، بل قد وصل الأمر إلى حد تقليد الأطفال الصغار لبعض ما يشاهدونه من خلال أجهزة الإعلام.. (تلفزيون - دش - انترنت).

١١- نشر الإعلام لبعض المواد الإعلامية سواء كانت أفكارًا أو آراء مخالفة لمفاهيم الدين الإسلامي، حيث تُستغل بعض المسلسلات والأفلام في نشر وبث هذه الأفكار وترويجها باسم (حرية الفكر والإبداع الفني)، ومن هذه الأفكار التي يحرص الإعلام الموجّه على إرسائها قضية العلمانية وهي فصل الدين عن حياة الإنسان، والدعوة إلى التآخي بين المسلمين والنصارى واليهود، والدعوة إلى الفواحش الفكرية والخلقية باسم «الرقى



والتمدن والحداثة».

١٢- أكثر وسائل الإعلام لا تخدم إلا الأعداء، وفي هذا يقول اليهود في البروتوكول الثاني عشر: «والأدب والصحافة قوتان تعليميتان كبيرتان وستصبح حكومتنا مالكة لمعظم الصحف والمجلات، وإذا سمحنا بظهور عشر مجلات مستقلة، فيجب أن يكون لنا ثلاثون صحيفة مقابلهما، ولن نجعل الناس يشكون في سيطرتنا على هذه الصحف، ولذا فسنجعلها من النوع الذي يناقض بعضه بعضاً في الأفكار والاتجاهات لنحصل على ثقتهم، ولنجتذب خصومنا الذين لا يتطرق إليهم الشك في قراءتها، فيقعون في الشرك الذي نصبناه لهم، ويفقدون كل قوة على الإضرار بنا».

وقد أعرب قادة اليهود عن امتلاكهم الفعلي لناصرية الصحافة في العالم، وعن استخدامهم لها في أغراضهم وتحقيق مقاصدهم: فجاء في البروتوكول الثاني: «إن الصحافة التي في أيدي الحكومات القائمة هي القوة العظيمة التي يحصل بها على توجيه الناس، فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور، وتعلن شكاوى الشاكين، وتولد الضجر أحياناً بين الغوغاء... غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة بالطريقة الصحيحة، فسقطت في أيدينا، ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذاً، وبقينا نحن وراء الستار، وبفضل الصحافة كدسنا الذهب، ولو أن ذلك كلفنا أنهاراً من الدماء، فقد كلفنا التضحية بكثيرٍ من جنسنا، ولكن كل تضحية من جانبنا تعادل آلافاً من غير اليهود أمام الله»^(١).

إن هؤلاء يهاجمون الدين، ويطالبون بمحوه من ضمير الفرد المسلم، ويعملون ليل نهار لإفساد عقول الناس وأخلاقهم، ويخططون لكي ينغمس المسلم في اللهو واللعب والشهوات والشبهات وذلك عن طريق الإعلام بكافة أشكاله وصوره.

(١) راجع كتاب «مكائد يهودية» للأستاذ/ عبد الرحمن حبنكة الميداني ص ٣٣٢، ٣٣٣ ط. دار القلم.





وفي سبيل هذه الغاية «إفساد المجتمع المسلم» توحدت قوى الشر من يهود، ونصارى، وماسونية، وشيوعية، وصليبية، وعلمانية، وليبرالية، فصارت هذه القوى (على ما بينها من اختلافات) متضافرة متفاهمة متعاونة، وقد وصل هؤلاء إلى تحقيق الكثير من أهدافهم الخبيثة وغايتهم الدنيئة، حتى رأينا شباباً وشابات من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ويتسبون إلى إسلامنا، قد انطلقوا وراء الغرائز والشهوات، وانزلقوا في مزالق التحلل والميوعة والتقليد الأعمى.. وأصبحوا في حالة يرثى لها لا همَّ لهم ولا غاية سوى التقلب في حمأة الرذيلة والفاحشة، والانصراف إلى مشاهدة فيلم داعر على الإنترنت، أو مسرحية فاجرة، أو تمثيلية ماجنة، أو ارتياد صالة يذبحون على أعتابها معاني النخوة والرجولة والشرف، وهكذا يفعلون..^(١)

(١) الحلول العملية لإصلاح الوسائل الإعلامية:

١- لا بد من تكتل كبير للبلاد الإسلامية، لصنع إعلام إسلامي وعربي:

سبق أن نبهت على أهمية الوحدة بين البلاد الإسلامية لمواجهة مكائد ومخططات أعدائهم، وها نحن ننبه ونقول: إن الإعداد في أي أمة هو أساس من أسس تقدمها، وجانب عظيم من جوانب حضارتها، وركن ركين وعماد قوي من أعمدة التقدم والازدهار لهذه الأمة، لهذا كان حتمًا على البلاد الإسلامية أن تحافظ على هويتها وثقافتها ودينها، عن طريق اجتماع صناع القرار ووزراء الإعلام في البلاد الإسلامية للبحث عن كيفية عملية لوضع إعلام يتوافق وإسلامنا، وكذا الاجتهاد لبث قنوات وأقمار صناعية تبين للعالم كله عظمة الإسلام، ومحاسن هذا الدين الحنيف للرد على مزاعم بعض المغرضين [بأن الإسلام دين إرهاب، وأن أتباعه متخلفون وفاشيون ومعقدون وراغبون في سفك دماء الآخرين].

متى تكون لنا كلمة؟

المهم أن يخرج المجتمعون بعد هذه الاجتماعات بحلول عملية فعلية لا نظرية سلبية، ولنعلم يقينًا أن الاقتصاد القوي هو الذي يستطيع أن يؤسس الإعلام الحر، فلن نستطيع الأمة أن تحرر من التبعية المخزية لأعدائها إلا بالاجتهاد في تأسيس اقتصاد قوي وسليم وفق التشريعات الإسلامية، فإذا وصلت الأمة إلى مرادها من تأسيس الاقتصاد القوي الحر، فإن العالم كله سيحترم كلمتها وثقافتها والتي سيُعبّر عنها الإعلام المسلم.. فلن تكون لنا كلمة، ولن تكون

=



لكلمتنا قيمة، إلا بالاقتصاد الإسلامي الحر.. ورحم الله مَنْ قال: [لا تكون الكلمة من الرأس حتى تكون اللقمة من الفأس].

٢- تحذير شباب الأمة من المارد لهم:

سبق أن بيّنا أن أعداء الأمة يبذلون طاقاتهم وجهودهم ليلاً ونهاراً لإفساد شباب المسلمين، بأي وسيلة من الوسائل، وبأي سبيل من السبل، المهم عندهم أن يخرج هذا الشباب مخنثاً، فاقداً لهويته وديانته ورجولته، ومن أجل هذه الغاية باتوا يفكرون كيف السبيل إلى إفساد شباب المسلمين؟ فوجدوا أن أسرع الوسائل وأنجحها هي ربط الشاب بوسائل الإعلام المختلفة، حتى تكون بالنسبة له مصدراً أساسياً من مصادر التلقي، ولما كانوا هم المسؤولون عن الإعلام، صارت عقول الشباب لعبة بأيديهم يوجونها كيف شاءوا؟!

فلنحذر -إخواني الشباب- من الغارات الإعلامية الموجهة والتي تهدف تدمير عقول الشباب المسلم وصرهم عن دينهم وتزهيدهم في اتباع رسولهم، والقضاء على وحدتهم، وإشاعة الكفر والإلحاد بينهم، وزرع عوامل التحلل والفساد في صفوفهم، وفوق ذلك كله تحويل مواطن القوة والعزة فيهم إلى مواطن ضعفٍ وذلةٍ، وبذلك يقع المسلمون فريسة بين أنياب عدوهم وتكون لهم الغلبة عليهم، والتحكم في ثرواتهم، والسيطرة على مقدراتهم.

* نصيحة من شيخ الأزهر

ينصح شيخ الأزهر السابق الشيخ/ جاد الحق علي جاد الحق القائمين على أمر الإعلام في بلادنا فيقول: (لابد لوسائل الإعلام المتنوعة أن تبأشر حو اراً جاداً مثمراً بين كافة التيارات وفي كافة القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، مبصراً بالمخاطر الحقيقية التي يمثلها التطرف والعنف والإرهاب، بغض النظر عن الثوب الذي يرتديه، وهل هو محلي أو وافد أو موفد. وأن تكف وسائل الإعلام عن إشاعة الفرقة والتنازع بالألقاب والأحقاد، فإن الشباب غض القلب والإهاب يتأثر بما يقرأ ويسمع من تقاذف بالتهم والطعن في الذمم).

لابد وأن تكف وسائل الإعلام عن تقديم ما يضر بالمجتمع دينياً وثقافياً واجتماعياً وسياسياً، وأن تكون الكلمة مثمرة لا مدمرة، فلا يحق لوسيلة إعلامية أن تطعن المجتمع في دينه، أو أن تقوم بتجريح المجتمع، ونشر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وازدراء المتدينين والعلماء، وقلب الحقائق وتزييف التاريخ) [انظر رسالة «التطرف الديني وأبعاده الأمنية» سياسياً واجتماعياً» لفضيلة الشيخ/ جاد الحق علي جاد الحق ص ٢٠، ط. وهو ملحق لمجلة الأزهر، ضمن بعوث مؤتمر الساعة الأمنية تحت المجهر - أكاديمية الشرطة - القاهرة].

٣- إليك البديل النافع:

إن الناظر إلى الحياة يجد أن الناس صنفان: صنف مؤمن عاقل متبع لمولاه -جل جلاله-، وصنف أحمق جاهل

=





متبع لهواه..

فأما الصنف الأول.. فهو إذا قيل له: اتق الله.. ولا تفعل كذا، أو اعلم أن الله قد حَرَّمَ كذا فلا تقربه، يقول بلسان حاله ومقاله: سمعت وأطعت لكلام الله وكلام رسوله ﷺ.

* خلافاً للصنف الثاني.. فهو صنفٌ أحمقٌ جاهل، عنيدٌ عدوٌّ لما يجهل، بالإضافة إلى ذلك فهو منقادٌ لهواه، متبعٌ لنزواته وملذاته.. فهذا إن ذكرته بقول، أو وَجَّهَتْ له نصيحة تراه ينظر إليك نَظْرَ المعشِّي عليه، ويقول لك: (هذا لا يتوافقُ والعقلُ العصريُّ، أو أنا لا أؤمن بما تقول، أو أنا أحتاج إلى البدائل.. إلخ).

فهؤلاء وأمثالهم.. أوجه لهم نصيحتي فأقول مستعيناً به - سبحانه وبحمده - : لاشك أن الأصل في طبيعة الإعلام ووسائله أنه سلاح محايد ذو حدين، فإذا استُعملت وسائل الإعلام في الخير أفادت ونفعت، وإذا استُعملت في الشر أضرت وأفسدت، والواقع الحالي الذي نعيشه - خاصة - بعد ثورات الربيع العربي يؤكد أن كثيراً من هذه الوسائل تُستعمل وتستغل استغلالاً كاملاً لحساب الشر والباطل، إلا في الجانب اليسير منها.

- فمثلاً التلفاز: لو استُعمل لنشر الخير والحق لأفاد الناس جميعاً كبيرهم وصغيرهم، ولو استُعمل في نشر تعاليم الإسلام الصحيحة، ونشر الجوانب المشرقة لتاريخ المسلمين وأبطاله، وإبراز بعض الآداب الإسلامية والخلقية [كالأمانة، والصدق والصبر، والتضحية، والغيرة..] لكان خيراً، فلو وَجَّه الإعلام في البلاد الإسلامية بأنواعه المختلفة وعلى رأسها التلفزيون نحو الالتزام بمنهج الإسلام فيما يُعرض، ويُسمع ثم تعاونت معه المؤسسات التربوية الأخرى كالأسرة والمسجد، والمدرسة لتغير وجه الدنيا في زمن قصير ولن يزد الأمر على جيل واحد، أما إن ظلَّ الإعلام مسلطاً على عقول الناس وقلوبهم وأفكارهم فتستمر الأمور من سيء إلى أسوأ، لأجل هذا فإن الحل الواقعي هو إقصاء الفاسد منه» من حياتنا، لعلتين:

أولهما: أن أهل العلم المعترين في زماننا أفتوا بحرمة اقتناء أجهزة الفتن والإفساد وبنوا - رحمهم الله جميعاً وغفر لهم - فتاواهم على الأدلة الشرعية الكثيرة المتعلقة بالنظر إلى المحرمات، واستحالة إمكانية التحكم في عرض البرامج النافعة دون الضارة منها، فضلاً عن انتشار فتن الشبهات والشهوات بسبب هذه الأجهزة.. ومن هؤلاء المفتين بحرمة اقتناء أجهزة الفساد الإعلامية الحالية، سماحة الشيخ/ ابن باز، وفضيلة الشيخ/ ابن عثيمين، والإدارة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالملكة العربية السعودية، والشيخ/ محمود شلتوت - شيخ الأزهر الراحل، ود/ محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر السابق، د/ عبد الله ناصح علوان [راجع مجموع الفتاوى للشيخ عبد العزيز بن باز (١٩٢/١٩١) ط. دار أصدقاء المجتمع. وراجع أسئلة مهمة للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ٢٢ ط. مكتبة الإيمان، ومجلة البحوث الإسلامية لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد عدد (١٨) ص ٧٦].

وقد كتب الشيخ/ محمود شلتوت خطاباً إلى نائب رئيس الجمهورية نشر في مجلة الأزهر جاء فيه: استنكار الأزهر لمشاهد عرضت في فيلم اسمه (والإسلاماء) حيث يهوي المصلون إلى السجود بعد التكبير (تكبيرة الإحرام) دون

=



قراءة أو ركوع، فضلاً عن مشاهد عرضت للإمام العز بن عبد السلام وهو يحضر حفلًا راقصًا [انظر مجلة الأزهر - عدد [جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ]].
وأفتى د/ محمد سيد طنطاوي أن مشاهدة البرامج والأفلام التي يعرضها التلفزيون خلال شهر رمضان حرام شرعاً، وليس لها علاقة بالصوم لاحتوائها على ابتذال ينهي الله عنه [جريدة الرياض عدد (٩٠١٩) ١٤١٢/٩/١١هـ. وراجع رسالة: «حكم الإسلام في وسائل الإعلام» للدكتور/ عبد الله ناصح علوان من ص ١٤ إلى ص ٢١ ط. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. فائدة: والخلاصة: أن حكم الإسلام في وسائل الإعلام المختلفة... هو أنه لا بأس بالانتفاع بأي وسيلة إعلامية مباحة بشروط منها: ألا تتضمن مضموناً إباحياً أو علمانياً، أو لبرالياً، أو غيرها من المذاهب الوضعية المخالفة في كثير من أصولها للإسلام.

كذلك ألا تكون هذه الوسيلة الإعلامية داعية إلى تحلل وضيع، أو إباحية فاجرة.
كذلك ألا تتخذ مذهباً مناقضاً للإسلام كـ (الشيوعية)، أو هيئة تنصيرية.
كذلك ألا تثير شبهات حول نظام الإسلام، وثوابت الملة.
وأي تشويه حضارة الإسلام، وتاريخ المسلمين.

كذلك ألا تمس عصمة الأنبياء، وشخصيات الصحابة والأئمة والسلف الصالح.
ثانياً: لأن هذا هو واقع أكثر إعلامنا في هذه الأيام.

فإن اعتقدت ما سبق فأنصحك أن تثبت على ما وفقك الله له، وإياك أن تقول: بل أشاهد مثل هذا الإعلام وأحافظ على ديني، فهذا من حبال الشيطان إذ أن أكثر مَنْ قال بقولك، التزموا بكلمتهم وعهدهم في بداية الأمر، ثم غلبهم شيطانهم، وغلبتهم أهواؤهم، حتى إن أحدهم صار يرى النساء في الأفلام، وقد تكشفن منهن الصدور وتعرن منهن النهود، ثم تراه بعد ذلك يقول: هذه مجرد صور والمهم أن الإيمان في القلب..

أما عن - الإنترنت - فأوصيك باستخدامه فيما أباحه الله - تعالى - عند الضرورة، ولنعلم «أن الضرورات تبيح المحظورات وتقدر بقدرها [كما قرر ذلك علماء الأصول]، فلا بأس باستخدام الإنترنت ولكن بضوابط ذلك وشروطه، حتى لا يقع المستخدم في الحرام، فيبوء بالمعاصي والآثام.

وأما البديل عن (التلفاز - الفيديو الدش) فهو جهاز الكمبيوتر، فهو يُعدُّ من الأجهزة التقدمية النافعة، والتي يستطيع كل فرد أن يتحكم فيما يُعرض فيها.. ومرد ذلك كله إلى ديانة المستخدم، والتزامه بأحكام الشريعة الغراء، ومراقبته لله تعالى في السر والعلن والله أسأل أن يظهر مجتمعنا من الحرام [راجع رسالة «المتهم الأول.. التلفزيون» للشيخ/وحيد بالي ص٥٥، ط. مكتبة الصحابة بالشارقة - الإمارات]، وننصح للتوسع بمراجعة رسالة دكتوراه بعنوان "برامج القنوات الفضائية الإسلامية وضوابطها الشرعية" د/ سامي بن خالد الحمود، ط. مكتبة الرشد، وكتاب الأحكام الفقهية للإعلام الإلكتروني د/ ياسر الفقي، ط. دار اليسر، وكتاب الاعتداء الإلكتروني د/ عبد العزيز الشبل، ط. كنوز إشبيلية.



الفصل الثاني

وداعا للثانوية..

وأهلا بالكلية

نصائح

ما إن تتسرب الأنباء عن ظهور النتيجة النهائية لطلاب الثانوية العامة والأزهرية إلا وتجذ أنه يسود اضطراب وقلق بالغ في البيوت. وتغلب الحيرة والفرع على الأفئدة، ويصاب الطالب بحالة من الهلع النفسي.

لذا أنصحك -أخي الطالب- بهذه النصائح الخاصة بـ (ليلة النتيجة).



أولاً: استعن بالله على نفسك ومن حولك.

ثانياً: عش ليلتك بشكل عادي قدر الاستطاعة.

ثالثاً: قبل النوم: توضأ وقم للصلاة (كان النبي إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة).

رابعاً: أكثر من الدعاء والتضرع والمناجاة لربك.

خامساً: نم ولا تسهر، وتكلف ذلك.

سادساً: قم مبكراً لصلاة الفجر، وأقم الصلاة في المسجد جماعة.

سابعاً: إذا علمت بظهور النتيجة على الشبكة العنكبوتية «الإنترنت» فاستعن بالله،

وابحث عنها، وقبل ظهورها وأثناء البحث عنها، وبعد ظهورها فأنصحك بدوام الذكر والدعاء والحمد.

ثامناً: إذا ظهرت النتيجة فاسجد سجدة شكر، وارض بقضاء الله وقدره، واحمده على كل حال، وإياك والتسخط أو إساءة الظن بربك وخالقك فهو -سبحانه- العليم بما يصلحك.

تاسعاً: احذر الحسد أو الحقد أو الشفي أو الانتقاص من إخوانك ورفاقك.

عاشراً: كن على يقين أن نتيجة الثانوية العامة ليست نهاية العالم، ومآلاتها ليست إلى الجنة



أو النار.

المهم أن توفق في اختياراتك للكلية (التي تتوافق مع أهدافك وميولك وقدراتك) والأهم: أن تنجح في حياتك الجامعية. والأخطر: أن توفق في حياتك الدنيا، لتكون الدنيا مزرعة للأخرة.

وأخيراً: رسالة عاجلة من الله لكل طلاب المرحلة الثانوية.

* لكل طالب كان التفوق أهم آماله في الحياة.
* لكل من اعتقد أن تحصيل مجموع معين هو سبيل النجاة، وأن ما سوى ذلك هو الفشل ونهاية الحياة.
* إلى كل طالب حاقدا لا زال يردد عن زملائه أنهم مجموعة من الغشاشين، وأنهم وصلوا إلى ما وصلوا إليه بالوساطة والرشاوي.
* أقول لك: كلامك هذا يعبر عن حالة من ضعف الإيمان، وقلة اليقين، والحق العنيف المصحوب بالغل والضغينة وكرهية الخير للناس.
* لماذا لا تؤمن بقضاء الله وقدره (خيرته وشره) بعد أخذك بكل الأسباب الشرعية والكونية الممكنة؟

* لماذا تستكثر فضل الله على زميلك، ولما تعتبر أن تفوقه عليك محض صدفة؟!
* ولماذا تفترض أن تفوقه عليك في المجموع الكلي أصلاً يعني أنه خير منك في كل شيء؟!

* من زاوية أخرى لماذا لا تنظر بنفس المنطق لنفسك عندما تتفوق على الآخرين، ولما تكاد تموت غيظاً لو قيل في حقك بعض هذه الأوصاف؟!



* ثم دعني أسألك سؤالاً محرّجاً: لما لا تشعر بنفس الحمية والاستشارة عندما تجد من تفوق عليك في دينك تفوقاً حقيقياً يفوق هذا بمرات - كمًا وكيفًا -؟!*

* لماذا لا تفهم أن هذه النتيجة مشهد مرحلي في حياة كل منا، وأنها ليست المطاف، وأن النجاح فيها ليس نهائياً ولا دليلاً على الفلاح الأبدي؟*

* لما لا تدرك أن هذه أقدار قدرها الله على الجميع من قبل خلقهم في بطون أمهاتهم؟!*

* لما لا تفهم أن الخير كل الخير هو ما قضاه الله لك ولزملائك، بشرط الرضا منك والشكر منهم؟!*

* لماذا تتعامل مع أقدار الله بنفسية المتسخط؟، ولما تتعامل مع نجاحات الناس وإنجازاتهم بنفسية الحاقق؟!*

* لما تسيئ الظن بربك وتحسن الظن بنفسك، وتقول متبجحاً متسخطاً: أنا أستحق أكثر من ذلك، ولقد ظلمت في التقييم أو رصد الدرجات (وقد يكون هذا صحيحاً) - ولكنك توقن أنك لم تبذل من الجهد ما تستحق به المجموع الفلاني؟!*

- يا أخي الكريم -

قدرك قد حصلت عليه، ولعلّ حكمة تقدير الله لهذا القدر تتضح لك فيما بعد، وعلى كلّ إن كانت لك مظلمة متيقنة، فطريق التظلم من الثانوية مفتوح - إن كان لديك جدية -، وأبشر فقد حصل به أناس على حقوقهم، فاسلك هذا السبيل وخذ بأسباب الوصول إلى حقك، ثم بعد ذلك ارض بنصيبك، ولا تنظر إلى من هو فوقك، بل انظر إلى مَنْ هو دونك، واحمد الله تعالى.

- وأخيراً:-

يا أيها الفرح الفخور بدرجاتك .. إياك والعجب المهلك، والفخر المؤدي للكبر والغرور، واحذر أن يكون لسان حالك أو مقالك (التسخط على أخبار الله) ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ،





عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴿[القصص: ٧٨].

ويا أيها الشاكي الباكي المتسخط على الله.

يا أيها المكتئب، ويا من تفكر في الانتحار والتخلص من حياتك، (رغم أن هذا من أكبر الكبائر، وأفزع الفظائع).

يا من تظن بالله ظن السوء بسبب مجموعك في دراسة مستهلكة للعمر بلا فائدة.
أقول لك أبشر

فإنك لا زلت حيًّا في دار الحياة الدنيا، فأعد، وأتقن، وارض، وستكون عاقبتك إلى خير.
وتذكر: يا دائم الشكوى أن كل هذه الأمور زوبعة في فنجان، ستذهب سريعًا ويبقى الوزر، والإثم، والعار عليك إن افترت أو كذبت أو حتى حسدت أحدًا من زملائك.
فاستعن بالله، وارض به، وارض بأقداره تعش أبد الدهر سعيدًا، وتذكر جيدًا فضل الله عليك ظاهرًا وباطنًا.

فاحمد الله على نعمه -عمومًا-، ونعمة الحياة بالإسلام -خصوصًا-.
وقل: اللهم يسِّر لي أمري في المراحل القادمة من حياتي.

(قبل اختيار الكلية... ماذا تفعل؟)

أخي في الله..

* ها أنت مقبل على مرحلة علمية متقدمة، ومرحلة جديدة من مراحل حياتك، فأنت مقبلٌ على اختيار عسير يحتاج إلى كثير من التأني، كما يحتاج إلى المزيد من الحكمة والاستشارة - خاصة - وأن حياتك العلمية والعملية في المستقبل ستبنى على اختيارك لكليتك، من أجل ذلك أوصيك - أخي في الله - بتذكر أسرار النجاح ومفاتيح الخير والبركة والفلاح، والتي تعينك بعد توفيق الله تعالى على الاختيار الدقيق للكلية التي تحب أن تدرس فيها لتخدم دينك، ولتتفع أمتك، وتسعد أهلك وعشيرتك.

مفاتيح النجاح

١ - حمد الله تعالى على نعمة النجاح:

فما أجهل أن يحمد العبد ربّه على كل نعمة يمتن عليه بها سبحانه وتعالى - ولا سيما - إذا كان من المؤمنين الخُلص الذين يحبون ربهم حباً جماً. قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) [الفاتحة: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: ١١١]، وقال تعالى: ﴿وَعَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠) [يونس: ١٠]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّنَا هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، فالحمد لله كلمة كل مؤمن، كذلك فهي كلمة كل شاكِر؛ فإن العاطس إذا عطس قال: الحمد لله، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم»^(١)، وكلمة الحمد يقولها الشخص إذا رأى رؤيا يحبها؛ كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها...» الحديث^(٢)، بل ومما يدل على استحباب حمد الله - تعالى - في كل الأحوال - خاصة - عند في الطعام والشراب حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمد عليها»^(٣)، هذه الكلمة المباركة يقولها الإنسان في سائر أحواله.. فما أعظم نعمة الحمد للرب الخالق سبحانه

(١) رواه البخاري (١٢٥/٧).

(٢) رواه البخاري (١٧١/٣)، ومسلم (١٧٧٢/٤).

(٣) مسلم (٢٧٣).





وتعالى!!.

ولله در مَنْ قال:

لَكَ الْحَمْدُ يَا رَبَّ عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ *** وَمِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ قَوْلِي لَكَ الْحَمْدُ

ما معنى الحمد؟!

- قال الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله تعالى - ومعنى «الحمد لله»: أي الشكر خالصاً لله - جلَّ ثناءؤه - دون سائر ما يُعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، وبما أنعم على عباده من النعم التي لا يُحصيها العدد، ولا يحيط بعدها أحد، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذاهم من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم ذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم. فلربنا الحمد على ذلك كله أولاً وآخرًا^(١).

- وقيل إن الحمد لله: هو الثناء على الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل بجميع الوجوه^(٢).

- وأضاف الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى: أن الحمد ليس معناه الثناء فقط؛ بل الحمد: هو وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم^(٣)، ثم استدل الشيخ بحديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال الله عز وجل: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين...»^(٤).

(١) راجع: جامع البيان عن تأويل القرآن، المسمى بتفسير الإمام / محمد بن جرير الطبري (١/ ١٣٥). ط. دار المعارف بمصر.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن، للشيخ / عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٣٩)، ط. مكتبة أولى النهي.

(٣) شرح العقيدة السفارينية، للشيخ / ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - ص ٦٧، ص ٦٨ ط. دار الفلاح. بتصرف.

(٤) رواه مسلم.



- ووجه الدلالة قوله: «فإذا قال الحمد لله، قال: حمدي عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم، قال: أثنى عليَّ عبدي...» فَفَرَّقَ بين الحمد والثناء.

فإذا علمت معنى الحمد، ومدى فضله؛ فأكثر من حمد ربك وشكره، واعلم بأن الحمد والشكر نعمتان يُغبط عليها صاحبهما..

* وهنا يطرأ سؤال على ذهنك - أخي الشاب: هل هناك فارق بين الحمد والشكر؟!
* والجواب: نعم.. فالحمد ثناء على الممدوح من غير سابقة إحسان، والشكر ثناء على المشكور بما أولى وأعطى من الإحسان، ويكون الحمد (بالقول) على ما قدمنا، ويكون الشكر بالجنان واللسان والأركان، وعلى ذلك يكون الحمد أعم من الشكر^(١).

- وذكر ابن عبد الهادي، نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى: أن الحمد أعمُّ من جهة أسبابه التي يقع عليها، فإن يكون على جميع الصفات، والشكر لا يكون إلا على الإحسان، والشكر أعم من جهة ما به يقع، فإنه يكون بالاعتقاد بالفعل والقول، والحمد يكون بالفعل أو بالقول أو بالاعتقاد^(٢).

- وبنحو هذا القول قال الشيخ/ السفاريني في تعليقه على منظومة الآداب، وبالأخص في تعليقه على قول الناظم..

بحمدك ذي الإكرام ما دُمْتُ ابتدئ كثيراً كما ترضى بغير تحدد^(٣)،^(٤)

(١) التسهيل لتأويل التنزيل (تفسير سورة البقرة)، للشيخ أبي عبد الله/ مصطفى بن العدوي (١/ ٣٩) ط. مكتبة الهدى بميت غمر.

(٢) العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لأبي عبد الله/ محمد بن أحمد بن عبد الهادي، ص ١٠٢، ط. دار الفاروق الحديثية للطباعة والنشر.

(٣) راجع: غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، للشيخ/ محمد السفاريني (١/ ١٨)، ط. مكتبة الحكومة بمكة - شرفها الله.





- فأوصيكَ - أخي الشاب - بدوام حمد الله تعالى على نعمه، وخاصة - نعمة التفوق والتميز والسداد، ولتعلم - أيها الأخ الكريم - أن دوام النعم لا يكون إلاّ بشكر المنعم - سبحانه وتعالى.

٢- الجأ إلى ربك وتضرع إليه أن يلهمك الصواب في اختيار الدراسة التي تعينك على أمر دينك ودنياك، وهذا لا يكون - والله تعالى أعلم - إلاّ بصدق التوجه إلى الله، وإخلاص التقرب إليه - سبحانه - ولعلّ من أسمى وأرفع وأجل علامات الصدق في اللجوء إلى الله «صلاة الاستخارة»^(١).

صلاة الاستخارة

* قد يقول قائل: وما المقصود بصلاة الاستخارة؟، ولماذا تُصلى هذه الصلاة؟، وكيف تؤدي هذه الصلاة؟، وهل لها فقه خاص بها أم هي كبقية الصلوات؟، وما هي ثمرات هذه الصلاة؟ وهل يفعل المسلم شيئاً بعد هذه الصلاة؟
وللإجابة عن كل هذه الأسئلة.. أقول مستعيناً بالله تعالى:
* اعلم - أخي الشاب - أن الاستخارة في اللغة تعني: طلب الخيرة في الشيء، وهو

(١) هذا وقد ذكر أبو جعفر. محمد بن جرير الطبري: أنه لا تمنع بين أهل المعرفة بلغات العرب من الحكم، لقول القائل: «الحمد لله شكراً»، بالصحة، فقد تبيّن - إذا كان ذلك عند جميعهم صحيحاً - أن الحمد لله قد يُنطق به في موضع الشكر، وأن الشكر قد يوضع موضع الحمد؛ لأن ذلك لو لم يكن كذلك، لما جاز أن يُقال «الحمد لله شكراً»، فيستخرج من قول القائل «الحمد لله».. مصدّر: أشكرك؛ لأن الشكر لو لم يكن بمعنى الحمد، كان خطأ أن يُصدّر من الحمد غير معناه وغير لفظه» راجع التفسير (١/ ١٣٨)، ولكن نقد كثير من العلماء والمفسرين ما ذهب إليه الطبري - رحمه الله تعالى، خاصة - شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث صنف شيخ الإسلام ابن تيمية مؤلفاً خاصاً في التفريق الدقيق بين «الحمد والشكر» راجع كلام شيخ الإسلام حول هذه النقطة في مجموع الفتاوى، فليراجعه من أراد التوسع في هذه المسألة.

(٢) راجع بحث: صلوات مهجورة، للشيخ/ محمد بن بيومي ص ٤٣، ط. مكتبة الإيمان بالمنصورة.



استفعال منه، يُقال: استخر الله يَحْزُرْ لك، وَخَارَ الله لك: أي أعطاك ما هو خير لك.
 * ومنه دعاء الاستخارة: اللهم خِرْ لي، أي: اختر لي أصلح الأمرين، واجعل لي الخيرَ فيه^(١).
 والاستخارة «شرعاً» هي: دعاء مخصوص يدعو به المسلم عقب صلاة ركعتين من غير الفريضة، يستلهم فيه المستخير الله ليهديه إلى خير النجدين، ويأخذ بيده إلى أقوم الطريقين.
 كذلك - فاعلم - وفقني الله وإياك لمراضيه - أن الاستخارة مشروعة: وقد أجمع العلماء على مشروعيتها لعدة أحاديث وردت في إثباتها منها حديث جابر، وحديث ابن مسعود عند الطبراني وابن حبان والحاكم، وحديث أبي سعيد وأبي هريرة أخرجهما ابن حبان في صحيحه، وحديث ابن عمر وابن عباس حديث واحد أخرجه الطبراني وليس في شيء من هذه الأحاديث ذكر الصلاة سوى حديث جابر، إلا أن لفظ «أبي أيوب» «اكتب الخطة وتوضاً فأحسن الوضوء، ثم صل ما كتب الله لك» فالتقيد بركعتين خاص بحديث جابر وعليه فلا خلاف بين أهل العلم في مشروعيتها، وهي سنة من السنن المستحبة، ولم يقل أحد من أهل العلم بوجوبها، والله أعلم^(٢).

صلاة الاستخارة لماذا؟!

١ - لأن الاستخارة من الدلائل الظاهرة على صدق إيمان العبد بربه وخالقه.. إذ العبد لا يفرغ إلى استخارة ربه فيما يعرض له من الأمور إلا وهو مؤمن بإيماناً جازماً بأن له رباً مالِكاً متصرفاً في الكون، متّصفاً بصفات الكمال، منزهاً عن كل نقص، وكل هذا يظهر بجلاء ووضوح في أثناء استخارة العبد لربه وخالقه.

(١) راجع فتح الباري (١٤ / ٢٨١)، ط. دار أبي حيان، وراجع أيضاً [النهاية في غريب الحديث والأثر] لابن الأثير، ص ٢٩١، ط. دار ابن الجوزي.

(٢) أما حديث «إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات» فهو حديث باطل لا أصل له .. أخرجه ابن السني (٦٠٣) وسنده واهٍ، وانظر الميزان (١ / ٢١).





- كذلك فالاستخارة تتضمن الإقرار بوجود الله - سبحانه، والإقرار بصفات كماله مثل: كمال العلم والقدرة والإرادة، والإقرار بربوبيته، وتفويض الأمر إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، والخروج من عهدته نفسه والتبري من الحول والقوة إلا به، واعتراف العبد بعجزه عن علمه بمصلحه نفسه وقدرته عليها وإرادته لها، وأن ذلك كله بيد وليّه وفطره وإلهه الحق^(١).

٢- كذلك فالاستخارة فيها تحقيق للعبودية لرب البرية أن الإنسان مهما أوتي من علم وعقل وحكمة وفتوة وخبرة وذكاء وطاقة يظل محتاجاً إلى ربه في كل لحظة، لا غنى له عنه طرفة عين.

ومن هنا تتجلى رحمة الله تعالى بعباده حيث شرّع لهم سبحانه وتعالى هذه العبادة العظيمة، والتي تدفع العبد إلى التذلل لله تعالى، والتوجه له - سبحانه - بالقلب واليد واللسان والرجاء، أو بمعنى أدق.. فإنّ هذه الصلاة تُمثل قمة العبودية لله - تبارك وتعالى - حيث يتجه فيها العبد لسيدّه - سبحانه وتعالى - بجوارحه وأحاسيسه وكيانه كله. وهذا في حقيقته عبودية عظيمة لله المعبود - جلّت قدرته وتقدست أسماؤه؛ لأن العبد يكون في حال إقبالٍ وعودةٍ وإنابةٍ وتذللٍ وخضوعٍ لله - جلّ جلاله.

كذلك فالاستخارة تُظهر حال العبد المستخير على حقيقته وفطرته التي لا كذب فيها ولا رياء ولا تكلف، ألا وهي: حالة الفقر التام والعجز التام والجهل التام بعواقب الأمور، كذلك فهي تُظهر مدى احتياج العبد لربه ومولاه، وتدفعه إلى الكفر بكل ما يُعبد في الأرض من دون الله من حجر أو بشر^(٢).

(١) زاد المعاد، لابن القيم، (٢/٤٤٣، ٤٤٤)، ط. مؤسسة الرسالة.

(٢) راجع رسالة مَنْ يَحْيِي هذه السنن المهجورة، للأستاذ/ شهاب البدر ياسين، ص ٥٩، ط. مكتبة منهاج النبوة، وتوزيع دار ابن الجوزي.



٣- الاستخارة تعمق إيمان العبد بالقضاء والقدر:

فلاستخارة تزيد العبد إيماناً و يقيناً أنه لا يقع في هذا الكون إلا ما أَراده الله - جلّ جلاله، ولعلّ هذا الأمر نراه واقعاً مشاهداً في حياتنا، حيث إنه كثيراً ما يُقدم الإنسان على فعل أمر من الأمور، وقد خطط له تخطيطاً بالغاً، واتخذ لإنجاحه كافة الوسائل، ووضع في حسابه جميع التقديرات، ثم يتبين له فيما بعد أنه قد أخطأ الطريق، ولم تغن عنه تقديراته..

وفي هذا يقول ربنا في محكم التنزيل: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ [القصص: ٦٨].

يقول ابن كثير - رحمه الله: يُخبر تعالى أنه المنفرد بالخلق والاختيار، وأنه ليس له في ذلك منازع ولا معقب.. فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالأمور كلها خيرها وشرها بيده ومرجعها إليه^(١).

٤- لأن الاستخارة فيها إحياء لسنة نبوية مهجورة، كذلك ففيها مجانبة للسبل الرديّة، والبعد عن الشراكيات الجاهلية:

فلاستخارة سنة من سنن الهدى التي سنّها رسول الله ﷺ للمسلمين إذا همّ أحدهم بأمر من الأمور، وذلك بأن يتوجه المسلم إلى ربه - جلّ وعلا- فيصلّي ركعتين من غير الفريضة، ثم يدعو الله عز وجل بهذا الدعاء العظيم الذي كان رسول الله ﷺ يعلمه صحابته كما يعلمهم السورة من القرآن كما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا همّ أحدكم بالأمر^(٢) فليركع

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/ ٤١١، ط. مكتبة مصر.

(٢) هذا العموم يتناول العظيم من الأمور والحقير، فلا يُحتقر أمرٌ لصغره فترك الاستخارة فيه، فرب أمر يسخفُ بشأنه يكون في الإقدام عليه أو الإجماع عنه ضرر عظيم.





ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، أنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر [ويسمي حاجته]، خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله - فاقدري لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رَضني به»^(١).

ولشديد الأسف.. فإن هذه السنة وغيرها صارت من السنن المهجورة والتي غابت عن كثير من المسلمين لأسباب عدة^(٢)، لا يتسع المقام لسردها واستقصائها.

* كذلك فإنَّ صلاة الاستخارة فيها مجانبة للبدع الرديّة، التي كانت منتشرة في أيام الجاهلية.. ومن هذه البدع التي أبطلتها صلاة الاستخارة.

(أ) التطير «الطيرة».. وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير، فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يمينه تيمّن به واستمر، وإن رآه طار يساره تشاءم به ورجع^(٣).

فجاء الإسلام وأبطل هذه الخرافات، ويّٰن نبي الإسلام أن الطيرة نوعٌ من الشرك؛ لأن أصحابها كانوا يعتقدون أن التطير جلب لهم نفعًا أو يدفع عنهم ضرًا، لهذا قال رسول الله ﷺ: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٦٢، ١١٦٦، ٦٣٨٢، ٧٣٩).

(٢) بيّن هذه الأسباب الإمام الشاطبي - رحمه الله - في كتابه الفذ المائع «الاعتصام» (١/ من ص ١١ إلى ص ٤٠)، تحقيق الشيخ/ مشهور حسن آل سلمان، ط. مكتبة التوحيد، وانظر مقدمة كتاب (تحذير المسلمين من الابتداع والبدع في الدين) للشيخ/ أحمد بن حجر آل بو طامي، ط. دار الوفاء.

(٣) فتح الباري (١٣/ ١٢٦).

(٤) رواه أبو داود (١٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٢٩).



ب) الاستقسام بالأزلام: وهو طلب معرفة ما قُسم للإنسان من الخير والشر بواسطة ضرب القداح، وكان الواحد منهم في الجاهلية إذا هُمَّ بأمرٍ من الأمور أجال هذه القداح اعتقاداً منه أن ضربها يُظهر له وجه الخير والصواب فيما يُقدم عليه^(١).

وقد ثبت في الصحيح أن سراقه بن مالك لما خرج في طلب النبي ﷺ وأبي بكر، وهما مهاجران إلى المدينة قال: «..... فقمتم فأهويت يدي إلى كنانتي، فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها: أضرهم أم لا؟، فخرج الذي أكره...»^(٢).

لماذا استقسم العرب بالأزلام؟!

كان العرب في الجاهلية في حيرةٍ من أمرهم: أديان شتى، وقبائل شتى، لا نظام لهم يجتمعون عليه، ولا حكومة موحدة يرجعون إليها أو يقفون عند الحدود التي ترسمها، والصحراء التي يضطربون فيها فتغتهم حيناً وتبسط عليهم جناح الأمن حيناً، وكذلك حال الفرع التي كانت تصاحبهم من أشباح الحرب والغارات التي تُصَبِّحهم وتمسيهم وتُفاجئهم في ساعةٍ من ليل أو ساعةٍ من نهار، وكذلك حالتهم المعيشية التي تصيبهم بالبؤس المدقع والجوع القاتل أحياناً، لاضطراب الحياة الاقتصادية، وكثرة حوادث القتل والاعتقال التي يتعذر عليهم إصدار حكم فيها..

كُلُّ أولئك جَعَلَهُمْ في حيرةٍ من أمرهم وألقى عليهم ظلاً ممتداً قائماً من التردد والحيرة، فكان لابدَّ لهم مما يُذهب عنهم هذه الحيرة القاتلة، فلجئوا إلى وسائل شتى ظنوها تجلب إليهم شيئاً من الراحة والطمأنينة^(٣)، ومن هذه الوسائل الاستقسام بالأزلام.. حتى أن العربي

(١) رواه البشارة في أحكام الاستخارة، لمؤلفه: أحمد حمدان، ص ١٠، ط. مكتبة المختار.

(٢) رواه البخاري (٣٩٠٦).

(٣) انظر رسالة الميسر والأزلام، دراسة تاريخية اجتماعية أدبية دعوة إلى إصلاح اجتماعي للشيخ/ عبد السلام هارون، ص ٦٢، ط. مكتبة السنة.





القديم كان إذا أراد السفر، أو إذا ابتغى التجارة، أو عزم على الزواج كان يضطر إلى الاستقسام بالأزلام^(١) ليجتلب قوة العزيمة بما ضعفت عزيمته فيه، وليقطع عنه الشك قطعاً بذلك الحكم الحاسم، الذي تعود أن يخضع له خضوعاً كاملاً.

فلما جاء الإسلام.. نهى الشارع الحكيم المؤمنين عن هذا العمل، فقال سبحانه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْنَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسْقٌ﴾ [المائدة: ٣].

ثم من رحمة الله بعباده، وكمال فضله ومنتته عليهم أن شرع لهم صلاة الاستخارة بدلاً من الأفعال الشركية التي اعتادها العرب في جاهليتهم، وهذه الصلاة لا تكلف العبد شيئاً سوى بضع دقائق يقضيها بين يدي ربه وخالقه، يستخيره في جميع أموره، جليلها وحقيرها، كبيرها وصغيرها، فهي يسيرة العمل عظيمة النفع مهما طال الأجل.

٥- لأن الاستخارة تضيء لك طريقك في الدنيا قبل الآخرة: فهي سبب من أسباب فلاح العبد في الدنيا قبل الآخرة، لا يخيب - في جميع الأحوال - فاعلها، ولا يوفق - إلا من شاء الله - مجتنبها، فخذُ بها وعُضَّ عليها بالنواجذ تنجح وتفلاح في دنياك وأخراك.

قصة حقيقية

* وهذه قصة حقيقية لك تظهر لك مدى أهمية الاستخارة، وتبين لك أن التخطيطات

(١) والاستقسام بالأزلام عند العرب في الجاهلية: هو أن يأتي أحدهم بأقداح ثلاثة، يكتب على أحدها: أمرني ربي، وعلى الآخر: نهاني ربي، والثالث: (غفل) لم يكتب عليه شيء ويسمح المنح، فإذا أراد أمراً أجال القداح وحركها، فإذا أجالها فخرج سهم الأمر معنى في قضاء حاجته، وإن طلع سهم النهي ترك الفعل وأعرض عن الإقدام عليه، وإن طلع السهم الفارغ أعاد الأمر مرة أخرى.

البشرية لا تُغني عن استخارة رب البرية..

عظة وعبرة

هذه قصة شاب أتمّ دراسة المرحلة الثانوية، ثمّ ها هو قد عزم على دخول الجامعة وعلى وجه الخصوص «كلية الطب»، وبعد مضي ثلاثة أسابيع من بداية العام الدراسي تقريباً جاء يقول: كرهت الدراسة بهذه الكلية لأسباب عدة، وفي نهاية الأسبوع الرابع كان السبيل قد بلغ الزبى، والصبر قد نفد فلم أعدّ أحتمل البقاء في هذه الكلية، ثم ذهبت إلى البيت وأنا أبكي.

وفجأة!!

قدّر الله أن يتصل عليّ أحد زملائي ممن كانوا معي في المرحلة الثانوية، فأخبرته بما حدث لي وما يدور في خلجات صدري من تركي الدراسة بكلية الطب فنصحني قائلاً: هل استخرت الله عز وجل قبل إقدامك على الدراسة في هذه الكلية؟ فقلت: لا، قال: إن الإنسان مهما أوتى من عقل وفهم وحكمة يظل محتاجاً إلى ربه وخالقه في كل لحظة لا غنى له عنه طرفه عين، وكثيراً ما يُقدّم الإنسان على فعل أمر من الأمور وقد خطّط له تخطيطاً بالغاً، ثم يتبين له فيما بعد أنه قد أخطأ الطريق وخانته جميع حساباته ولم تغن عنه عن سائر تقديراته، فقلت له: إذاً أستخير الله، فاستخرتُ فشرحَ اللهُ صدري لإكمال الدراسة بهذه الكلية، والحمد لله وفقته الله وصرت من الفائقين المتميزين في دراستي^(١).

ماذا تفعل قبل الاستخارة؟!

عليك قبل أن تستخير الله عز وجل أن تبذل وسعك في معرفة الخير في الأمر الذي يهيك، وذلك بالبحث والاستقصاء، واستشارة العلماء والفضلاء، وغير ذلك من وسائل

(١) كيف تنجح في أعمالك؟ للشيخ/ محمد المسند، ص ١٠، دار السلام بالرياض.





التحري، فإن عَجَزَتْ فتوجه إلى الله الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فإن الله عز وجل رَكَّبَ فيك عقلاً تميز به الخبيث من الطيب، والخير من الشر، وأوجب عليك استعماله في تهيئة ما ينفعك في دينك ودنياك، فإن فعلت فقد أدبت ما عليك، وبَقِيَ عليك أن تستعين بمولائك عز وجل في تحقيق المطالب وبلوغ الآمال^(١).

كيف تؤدي صلاة الاستخارة؟!

هي ركعتان^(٢) من غير الفريضة^(٣)، يؤديها العبد في أي وقت شاء لأن النبي ﷺ لم يعين لها وقتاً محدداً^(٤)، إلا أنه يحسن بالمستخير أن يقتنص أوقات الإجابة (كالثلث الأخير من الليل،

(١) انظر الفقه الواضح، تأليف د/ محمد بكر إسماعيل، ١/ ٢٨٧، ط. دار المنار.

(٢) قال الشيخ العلامة بكر أبو زيد -رحمه الله: وصلاة الاستخارة ركعتان، ولا يشرع أن يصلها العبد أربعاً أو ركعتين فكل هذا غير مشروع، راجع كتاب: تصحيح الدعاء، ص ٤٨٧، ط. دار العاصمة، قلت «على»: واعلم أن السنة في الاستخارة ركعتان من غير الفريضة، وأن الأحاديث الدالة على جواز الزيادة على الركعتين في صلاة الاستخارة لا تثبت عن رسول الله ﷺ خلافاً للشوكاني...

(٣) قال النووي في الأذكار ص ١١٣ ط. مكتبة القدس قال العلماء: تستحب الاستخارة بالصلاة والدعاء المذكور، وتكون الصلاة ركعتين من النافلة، والظاهر: أنها تحصل بركعتين من السنن الرواتب، وتبعية المسجد وغيرها من النوافل، ولكن نقل الشوكاني، أن أهم بالأمر ينبغي أن يسبق الصلاة. وقال القرافي: وإن كان همه بالأمر قبل الشروع في الراتبة ونحوها، ثم صلى من غير نية الاستخارة وبدا له بعد الصلاة الإتيان بدعاء الاستخارة فالظاهر حصول ذلك.

(٤) لم يعين النبي ﷺ وقتاً لهذه الصلاة، بل علّق فعلها على سبب ألا وهو العزم على فعل أمر يريد استخارة الله فيه، فمتى وجد السبب جازت الصلاة، وقد ثبت الخلاف بين أهل العلم في صلاة الاستخارة وقت النهي، والراجح ما ذكره العلامة ابن عثيمين - رحمه الله تعالى: من أن الاستخارة تصلى ركعتين من غير الفريضة في غير وقت النهي إلا في الأمر الذي يُخشى فواته قبل خروج وقت النهي فلا بأس أن يستخير العبد ولو في وقت النهي، أما إذا كان الأمر واسعاً فلا يجوز أن يستخير في وقت النهي، فلا يُصلى بعد العصر وكذلك بعد الفجر حتى ترتفع الشمس مقدار رمح وكذلك عند زوالها حتى تزول الشمس إلا في أمر يفوت. راجع شرح رياض الصالحين، ٣/ ٣٩، ٤٠، ط. دار الحديث.



وبين الأذان والإقامة)، ويقرأ في صلاته بفاتحة الكتاب وما تيسر من القرآن، ولا يتقيد بقراءة شيء مخصوص من القرآن لا إيجاباً ولا استحباباً^(١)، ثم يدعو بما ثبت عن النبي ﷺ .

هل الاستخارة دعاء؟!

والجواب: أن الاستخارة وإن كانت تتضمن دعاءً إلا أنها أخص من الدعاء؛ لأن النبي ﷺ كان يعلمها أصحابه كما يعلمهم السورة من القرآن، ثم هي تزيد على مطلق الدعاء بصلاة ركعتين، كما أن لها دعاء خاصاً حدده الشارع، إلا أنه يُشترط لقبول الاستخارة ما يُشترط لقبول الدعاء من توفر الشروط وانتفاء الموانع..

ومن هذه الشروط: الثقة بالله، والإيمان به وبكمال قدرته وسعه علمه، وصدق التوجه إليه والتوكل واليقين به، والموانع ضد ذلك: من ضعف الثقة به -سبحانه وتعالى- وتعلق القلب بغيره، ودعاء غيره، والإصرار على المعاصي والذنوب، وأكل الحرام؛ فإذا تمت هذه الشروط وانتفت الموانع، وصدق العبد مع ربه، لم يُحِبَّ الله دعاءه، واختار له الخير في أموره كلها^(٢).

(١) راجع: تصحيح الدعاء، ص٤٨٧، وهذا هو الراجح خلافاً لما ذكره النووي -رحمه الله تعالى-: من أنه يشرع للمصلي أن يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة: «قل يا أيها الكافرون» وفي الثانية: «قل هو الله أحد»، وعلل ذلك بقوله: ناسب الإتيان بهما في صلاة يراد منها إخلاص الرغبة وصدق التعويض وإظهار العجز، ولا دليل على ذلك.

(٢) كيف تنجح في أعمالك؟ للشيخ / محمد المسند، ص٢٩.

فائدة مهمة: اعلم -رحمك الله- أن الأدعية والتعوذات والرقى بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه لا يحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً، والساعد ساعداً قوياً، والمحل قابلاً والمانع مفقوداً، حصلت به النكايه في العدد، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير، فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثم مانع من الإجابة، لم يحصل الأثر.

والدعاء سبب شرعي لتحقيق المطلوب، فالأسباب قدرية كالأكل سبب للشبع، والشرب سبب للري، والجماع سبب للولد، فالدعاء سبب لمطلوبه، وكله ينفع بإذن الله تعالى، فالتعلق بالأسباب شرك في التوحيد، والإعراض عن الأسباب قذح في الشرع بالكلية، فالله -سبحانه- هو الذي يقذف في قلب العبد الهمة للدعاء، وهو الذي

=





صفة هذا الدعاء: يُفْضَلُ للمستخير بعد الفراغ من الصلاة^(١)، أن يستقبل القبلة^(٢)، رافعاً

يجعل الدعاء سبباً لتحقيق الخير الذي قدره، فالله هو الذي وفق العبد للعمل، ثم أثاب عليه، وهو الذي وفقه للدعاء، ثم أجابه.

قال مطرف بن عبد الله: نظرت في هذا الأمر فوجدت مبدأه من الله وتماهه على الله، ووجدت ملاك ذلك الدعاء، فالدعاء سبب يدفع البلاء، فإذا كان أقوى منه دفعه، وإن كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه، لكن يُخَفِّفه فالدعاء نافع في كل حال.

فالاستخارة أخذ بجميع طرق النجاح والتوفيق، فإن الله يعلم الخير، فإما أن يشرح صدر الإنسان ويسر له الأسباب أو يعسرها ويصرفه عن ذلك.

[راجع .. مجلة التوحيد - العدد السابع - رجب ١٤١٨ هـ - باب السنة - مقال «صلاة الاستخارة» لفضيلة الشيخ الراحل / محمد صفوت نور الدين ص ١٨، ١٩ ط. أنصار السنة.

(١) ابتداءً: اعلم - أخي الحبيب - أن في مسألة موقع دعاء الاستخارة من الصلاة خلافاً بين أهل العلم، فمنهم من ذهب إلى أن الأفضل الدعاء قبل السلام، كشيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١٧٧/٢٣) فقال: «يجوز الدعاء في صلاة الاستخارة قبل السلام وبعده، والدعاء قبل السلام أفضل فإن النبي ﷺ أكثر دعائه كان قبل السلام، والمصلي قبل السلام لم ينصرف من صلاته «وهذا أحسن والله أعلم».

* ومنهم من يرى كالحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٥٠)، أن دعاء الاستخارة يكون بعد الفراغ من أذكار الصلاة ودعائه فيقول المستخير بعد الفراغ وبعد السلام، والظاهر من لفظ الحديث - والله أعلم - أن دعاء الاستخارة إنما يكون بعد الفراغ من الصلاة لقوله ﷺ في حديث الاستخارة - الذي سبق ذكره - «فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل...»، و«ثم تفيد الترتيب مع التراخي - كما يقول أهل اللغة، أي: وقوع الدعاء عقب الفراغ تماماً من الصلاة» وهو قول جمهور أهل العلم ومنهم الأئمة الأربعة، راجع تصحيح الدعاء، ص ٤٨٦.

ومما يقوى هذا القول: أنه لا يوجد مستند صحيح لمن قال: أنه يُدعى به في السجود أو عقب التشهد إلا العمومات التي تفيد أن السجود، وما بعد التشهد مواطن دعاء، راجع: جامع أحكام النساء للشيخ / مصطفى بن العدوي - حفظه الله، (٣/ ٢١٩)، ط. دار ابن عفان.

(٢) والأحاديث في استقبال القبلة عند الدعاء كثيرة، وهي تدل على مشروعية استقبال القبلة وقت الدعاء، وأن ذلك أفضل وأكمل للداعي، إلا أن ذلك ليس لازماً ولا واجباً في الدعاء؛ لأنه قد ثبت أن النبي ﷺ قد دعا وهو غير مستقبل القبلة، راجع: فقه الأدعية والأذكار، للشيخ / عبد الرازق بن عبد المحسن البدر، ١٩٩/٢، ط. دار بن عفان.



يديه كذلك يَحْسُنُ بالمستخير أن يبدأ دعاءه بالحمد والثناء على الله - تعالى - بما هو أهله سبحانه، ثم يُثْنِي بالصلاة على النبي ﷺ^(١)، ثم يدعو بالدعاء السابق: «اللهم إني أَسْتَخِيرُكَ.....»^(٢)، ويجدر بالمستخير أن يكون حريصاً كامل الحرص على تدبر معاني كلمات الدعاء التي يقولها بلسانه^(٣)، كذلك فعلى المستخير أن يكون حاضر القلب، موقناً بالإجابة، بعيداً عن غفلة القلب وعدم حضوره لأن هذا من موانع إجابة الدعاء^(٤).

وإليك طرفاً من الأحكام المتعلقة بصلاة الاستخارة ودعائها:

١ - اعلم - وفقني الله وإياك لمراضيه - أنه يشرع للمسلم أن يستخير الله - تعالى - في أموره المباحة والمهمة إلا أنه يستثنى من ذلك بالضرورة أمران:

(١) أفاده الإمام النووي في الأذكار، ص ١٥١، ولعلّ دليل القائلين بالاستحباب هو قول النبي ﷺ: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه»، ثم ليصل على النبي ﷺ، ثم يدعُ بعد بما شاء» والحديث رواه أبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٣٤٧٧)، من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه وحسن إسناده الشيخ الألباني - رحمه الله - إلا أن هذا من آداب الدعاء، وليس بواجب ولا مستحب.. وهذا هو الذي رجحه العلامة بكر أبو زيد في تصحيح الدعاء، ص ٤٨٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٦٢)، (١١٦٦)، (٦٣٨٢)، (٧٣٩٠).

(٣) ومما يعين على تدبر هذا الدعاء فهم معاني كلماته.. وإليك شرح سريع لمعاني بعض كلمات هذا الدعاء المبارك، قوله ﷺ: «إني استخيرك: أي بسبب أنك عالم، أو مستعيناً بعلمك، واستقدرك: أطلب منك أن تجعل لي على ذلك قدرة، وأسألك من فضلك: وذلك إشارة إلى أن عطاء الله ونعمه فضله ومنة منه تبارك وتعالى، إن كنت تعلم هذا الأمر: أي يسمي هذا الأمر بعينه، والظاهر من السياق النطق بالأمر الذي يريده، ويحتمل الاكتفاء باستحضاره بقلبه عند الدعاء، معاشي: حياتي ودنياي، فاقدته لي: أي اجعله مقدوراً لي، اصرفني عنه: وذلك حتى لا يبقى قلبه بعد صرف الأمر عنه متعلقاً به، ثم رضني به: أي اجعلني به راضياً والرضا هو سكون النفس إلى القضاء». راجع كتاب: زاد المسافر، للشيخ/ أحمد سيد أحمد، ص ١٧، ط. مؤسسة قرطبة.

(٤) راجع كلام ابن القيم في مدارج السالكين، ١/ ٣٢، ط. دار الحديث.





أ) الواجبات والمستحبات فلا استخارة في فعلها لأنها مطلوبة الفعل^(١)، كذلك المحرمات والمكروهات لا استخارة في تركها لأنها مطلوبة الترك^(٢).

ب) الأمور الاعتيادية التي تتكرر باستمرار كالأكل والشرب ونحوها لا تشرع لها الاستخارة، ومثل هذه الأمور لها آدابها الشرعية التي من التزم بها المسلم أمن الضرر^(٣).

* إذن فموضوع الاستخارة إنما هو في الأمور المهمة عادة بحيث يكثر أن يترتب عليها منافع أو مضار لها وقع، أما ما عدا ذلك فيكفي فيه أدعية الصباح والمساء من سؤال خير ذلك اليوم والليلة، والاستعاذة من شرهما^(٤).

٢- تُشرع الاستخارة عند بداية العزم وإرادة الفعل، ولا يُستخار في الخواطر الطارئة التي تخطر على بال صاحبها، كما هو ظاهر الحديث.

٣- يشرع للمسلم أن يستخير ربه في أموره كلها سواء تردد أم لم يتردد؛ لأنه لا يعلم عواقب الأمور إلا الله العليم الخبير^(٥).

(١) لكن إذا تراحم عليه واجبان ولم يترجح أحدهما، فحينئذ تُشرع الاستخارة لتعيين أحدهما، كذلك تشرع الاستخارة في الواجبات التي وقتها موسع كالحج، عند من يرى أنه يجب على التراخي، بمعنى أنه يستخير هل يحج هذا العام أو الذي يليه؟ كذلك تشرع الاستخارة في المستحبات عند تواردها، وتعارضها، فمثلاً: أراد الرجل أن يتطوع بعمرة، وبدا له أن يذهب لمكان آخر لتعلم العلم الشرعي لخدمة دينه وأهل بلده، فيجوز له حينئذ أن يستخير، والله تعالى أعلم انظر (جامع أحكام النساء ٢١٨/٣).

(٢) فلا يستخير إنسان هل يصلي الظهر أم لا؟ أو هل يأكل الربا أم لا يأكل؟ أم هل يصوم شهر رمضان أم لا؟.

(٣) كيف تنجح في أعمالك؟ للشيخ/ محمد المسند، ص ٢٠.

(٤) راجع: [فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد]، للشيخ العلامة/ فضل الله الجيلاني، (٢/ ١٦٣)، ط. المكتبة السلفية.

(٥) وهنا سؤال: إذا أراد الإنسان أمراً تعددت بدائله.. كيف يستخير؟ مثال ذلك: إذا كان يريد الزواج، فيجد أمامه أكثر من امرأة فيها الصفات التي يريدونها في المرأة التي تكون زوجة له فماذا يفعل؟

=



٤- قال بعض العلماء باشتراط التجرد عن الميل إلى أمرٍ بعينه قبل الاستخارة فيه، إلا أن الصحيح - والله أعلم - أنه لا يشترط ذلك وأن اشتراطه أمر زائد؛ لأن النبي ﷺ لم يشترطه لَمَّا عَلَّمَ أُمَّتَهُ الاستخارة، ولو كان ذلك شرطاً لما سكت النبي عنه وَلَبَّيْتهُ؛ لأنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة - كما هو معلوم عند الأصوليين والذين اشتراطوا هذا الشرط ظنوا أن المستخير ينشرح صدره بعد الاستخارة، فخشوا أن يحصل اللبس والخلط بين ميل النفس قبل الاستخارة، وانشرح الصدر بعد الاستخارة^(١).

٥- كذلك تُشرع الاستخارة في الأمر وإن كان ظاهره الخير، وذلك لما ثبت أن أم المؤمنين زينب قد استخارت ربها عندما أرسل النبي ﷺ لخطبتها.

٦- اعلم أنه ليس في تكرار الاستخارة حديث يصح، وإن كان الأصول جواز ذلك لعموم الأمر بالاستخارة، ولأن النبي ﷺ كان إذا دعا، دعا ثلاثاً، لحديث أبي هريرة: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: قد دعوت فلم يستجب لي»^(٢)، وعليه يجوز تكرار الاستخارة للأمر الواحد على ألا يعتقد المستخير استحباب ذلك أو سنيته.

٧- لا تنعقد صلاة الاستخارة ولا تصح إلا من الفرد ذاته، ولا يجوز أن يصلي أحد

والجواب: لا تكون الاستخارة في حالة التردد بين بدائل متعددة لأنه ﷺ قال: «إذا همَّ أحدكم بالأمر»، ولأن الدعاء جميعه يدل على هذا، فإذا كان المسلم متردداً في أمرٍ فيه بدائل متعددة، وأراد الاستخارة، فعليه أن يختار منها أمراً ويستخير عليه، ثم بعد الاستخارة يمضي فيه، فإذا كان خيراً يسره الله له، وإلا صرفه عنه، راجع كتاب «بغية المتطوع في صلاة التطوع»، للشيخ الفاضل د/ محمد بن عمر بازمول، ص ١٠٥، ط. دار الهجرة.

(١) راجع البشارة في أحكام الاستخارة، ص ٢٨، والأفضل: أن يشرع المستخير في استخارته وهو خالي الذهن غير عازم على أمر معين حتى لا يشوش ميله على سلوكه بعد الاستخارة.

(٢) رواه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥).





صلاة الاستخارة عن غيره؛ لأن لفظ الحديث صحيح في أن كل إنسان مخاطب بها من نفسه.

٨- إذا تعذرت الصلاة على مَنْ أراد الاستخارة «كالمرأة الحائض أو نفساء أو غير ذلك» فإنه في مثل هذه الحالات يستخير بالدعاء فقط، كما قال النووي - رحمه الله -^(١)، كذلك إذا كان المستخير لا يستطيع حفظ دعاء الاستخارة، فلا بأس أن يقرأه من ورقة، فإن لم يستطع دعا بأقرب لفظ يؤدي المعنى، والله تعالى يقول: ﴿فَأَنقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ويقول النبي ﷺ: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»^(٢).

ولا ينبغي أن يتعذر العبد لجهله أو سوء حفظه - لا سيما - في أمور الدين، بل ينبغي له أن يجتهد وأن يحرص على حفظ هذه الصيغة، لكن إذا لم يقدر على حفظ هذه الصيغة الواردة، ولم يمكنه أن يقرأها من كتاب^(٣)، جاز له أن يدعو بالفاظ تؤدي المعنى.

٩- هل تصلي الاستخارة في أوقات النهي؟! ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - إلى أن النهي عن الصلاة في أوقات النهي من باب سد الذرائع لئلا يتشبه بالمشركين فيفيض إلى الشرك وما كان منهيًا عنه لسد الذريعة لا لأنه مفسدة في نفسه، فإنه يشرع إذا كان فيه مصلحة راجحة ولا تفوت المصلحة لغير مفسدة راجحة، بل هي ذريعة إلى مفسدة، فإذا تعذرت المصلحة إلا بذريعة شرعت واكتفى بها إذا لم يكن هناك مصلحة وهو التطوع المطلق، فإنه ليس في المنع مفسدة ولا تفويت مصلحة لإمكان فعله في سائر الأوقات (حتى قال): وذوات الأسباب

(١) راجع الأذكار للنووي، ص ١١٠، ١١١، ط. مكتبة القدس.

(٢) متفق عليه.

(٣) ونصح مَنْ هذا حاله أن يقرأ الدعاء من كتاب «قبس مختار من صحيح الأذكار» للشيخ أبي عبد الله / مصطفى بن العدوي، ط. مكتبة مكة، أو من أي كتاب من كتب الأذكار الصحيحة.



كلها تفوت إذا أخرت عن وقت النهي، مثل: سجود التلاوة، وتحية المسجد، وصلاة الكسوف، ومثل الصلاة عقب الطهارة، كما في حديث بلال، وكذلك صلاة الاستخارة إذا كان الذي يستخير له يفوت إذا أخرت الصلاة^(١).

فإذا كانت الاستخارة سيفوت وقتها -إن أخرت عن وقت النهي- جازت الصلاة لذلك والله أعلم بالصواب...

١٠- أما ما يفعله العبد بعد الاستخارة، ففيه خلاف.. والراجح - والله أعلم - ما نقله الحافظ ابن حجر عن العز بن عبد السلام حيث يقول: يفعل ما اتفق^(٢)، أما ما ألفه الناس من الاستخارة المناسبة أو الكف أو الفنجان أو السبحة أو الكوتشينة، فكل هذا لا أصل له في دين الله - تعالى - وشرعه، وهو من المنكرات والضلالات، فإنه لا يعلم الغيب إلا رب الأرض والسموات^(٣).

(١) راجع مجموع الفتاوى (٢٣) / من ص ٢١٠ إلى ص ٢١٦.

(٢) والمقصود بفعل ما اتفق له: أن يمضي المستخير بعد الاستخارة في الأمر المستخار فيه، فإن كانت الخيرة في فعله أعين عليه، وإن كان الخير في تركه حيل بينه وبينه.

(٣) انظر كتاب «السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات» للشيخ/ محمد بن أحمد بن محمد عبد السلام خضر الشقيري الحوامدي ص ١٠٦ ط. دار الريان للتراث.

فائدة: بعض الناس قد يستفتح ويستطلع الغيب من المصحف أو الرمل أو القرعة وهذا لا يجوز لحرمته، قال الطرطوشي وأبو الحسن المغربي وابن العربي: هو من الأضلال، لأنه ليس لأحد أن يتعرض للغيب ويطلبه، لأن الله -تعالى- قد رفعه بعد نبيه ﷺ إلا في الرؤيا - أقول: والرؤيا إنما بقي منها المبشرات - لا أن يطلب بها علم غيب يريد بحشفه، وقال القشيري في السنن والمبتدعات: ولقد أعرضوا ويا للأسف عن هذا العلم اللطيف السهل الساوي في الاستخارة بما سماه الله فسقاً في قوله: {وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق} [المائدة: ٣] وسماه الله فسقاً، لأنه تعرض لدعوى علم الغيب وضرب من الكهانة، فتراهم يستخيرون عند ضراب الودع والرمالين الذين قال فيهم الرسول ﷺ «من أتى عرافاً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد»، وتارة تراهم يستخيرون بالسجدة ييمنون عليها، ثم يعدون قائلين: الله، محمد، علي، أبو جهل فسيحان الله، ما أسخف عقولهم!، وما أشد حقهم وجهلهم إذ يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير.

=





نتيجة الاستخارة

فإن أدى العبد الاستخارة فإنه ينبغي له أن يخلي نفسه من الميل والهوى ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، كذلك ينبغي على العبد بعد الاستخارة أن يتوكل على ربه ومولاه، وأما عن نتيجة الاستخارة:

فإما أن يُصرف عن المستخير الأمر الذي استخار الله فيه، وإما أن ييسر له هذا الأمر.
* فإذا يَسَّرَ الله لك أمرك فاحمد الله - تعالى - على نعمة التيسير، وأحسن شكر هذه النعمة حتى لا تزول عنك، وامض في فعل هذا الأمر بكل ثقة في الله تعالى.
أما إذا كانت الأخرى.. فلا تحزن ولا تضجر، بل حسن ظنك بربك، وارض بقضاء الله وقدره، وأيقن أن الخير كل الخير فيما اختاره الله عز وجل^(١).

ويقول الساعاتي في بلوغ الأمان: «ومن البدع استخارة التبيت فتراهم إذا أهمهم أمر من أمور الدنيا أسرعوا إلى مَنْ يتوسمون فيه الصلاح، أو من يحفظ القرآن، أو يدعي علم الغيب، ويسألونه عمل الاستخارة، ويخبرهم بالنتيجة في المستقبل رجماً بالغيب، ولا يرشدهم إلى الاستخارة الشرعية..
(راجع مجلة التوحيد - العدد السابع - رجب ١٤١٨ هـ - مقال «صلاة الاستخارة» للشيخ الراحل: محمد صفوت نور الدين - رحمه الله - ص ٢٣ ط. أنصار السنة المحمدية.

(١) من أهل العلم من اعتبر انشراح الصدر وجعله من علامات قبول الاستخارة أو منهم مَنْ لم يشترطه وهو الأوفق لعدم ثبوت هذا القيد (انشراح الصدر) في الحديث الصحيح، وإنما ورد في حديث أنس إلا أنس إذا هممت بأمرٍ فاستخر ربك فيه سبع مرات، ثم انظر إلى الذي يسبق إلى قلبك، فإن الخير فيه» قال النووي في الأذكار: إسناده غريب، وفيه من لا أعرفهم، ونقل العيني في العمدة عن شيخه زين الدين قوله: بعضهم معروف بالضعف الشديد، بل فيه مَنْ يتهم بالوضع، فالحديث ساقط لا حجة فيه، وعليه فالأحاديث الصحيحة جاءت تطلب أن يقدّر الله له الخير حيث كان، وأن ييسر الله المقادير لتحقيق الخير، وذلك يعني: أن يسلك العبد كل سبيل نحو تحقيق هدفه، ويخشى أن يكون تعليقها على راحة النفس تعلق بها للشيطان فيه هدف وأثر؛ لأن النفس يميلها الشيطان ويغويها - خاصة - إذا بدأ العبد الاستخارة والهوى متغلب عليه.

كذلك فليعلم العبد أن الاستخارة ليست طلب معرفة لعلم الغيب الذي ستره الله، إنما هي طلب تيسير المقدور من عنده - سبحانه - أما راحة النفس ورؤيا النوم فهي تعلق بأمر غيب كشف للعبد، وذلك من أبواب الشيطان،

=



كذلك فاعلم أن قضاء الله - تعالى - لعبده المؤمن عطاء، وإن كان في صورة المنع، ونعمة وإن كان في صورة المحنة، وبلاؤه عافية وإن كان في صورة بلية، ولكن لجهل العبد وظلمه لا يَعُدُّ العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذبه في العاجل، وكان ملائماً لطبعه ولو رُزق من المعرفة حظاً وافراً لَعَدَّ المنع نعمة والبلاء رحمة، وتلذذ بالبلاء أكثر من لذته بالعافية، وتلذذ بالفقر أكثر من لذته بالغنَى، وكان في حال القلة أعظم شكرًا من حال الكثرة^(١).

قصة شاب

ولعل في أمثلة الدنيا ما يبين بجلاء هذه الحقيقة: فهذه قصة شاب رأى فتاة فأحبها، فعزم على الزواج منها، فاستخار الله عز وجل فلما أراد أن يتقدم لخطبتها رفض أخوه هذه الفتاة، وطلب منه أن يبحث عن فتاة من أسرة أخرى، حاول هذا الشاب أن يقنع أخاه، ولكن باءت محاولاته بالفشل، فلم يجد بُدًّا من الرضا والاستسلام، وتزوج من فتاة أخرى، وبعد أيام معدودة توفيت الأولى، فكان رفض أخيه له عين الخيرة له^(٢).

فسيحان الله الذي يده مقادير الأمور!!!

إنَّ العبد من أهل الدنيا يكره المرأة لو صف من أوصافها، وله في إمساكها خير كثير لا يعرفه، ويحب المرأة لو صف من أوصافها، وله في إمساكها شر كثير لا يعرفه، فالإنسان كما وصفه به خالقه ظلوم جهول، فلا ينبغي أن يُجعل المعيار على ما يضره وينفعه ميله وحبه ونفرته وبغضه، بل المعيار على ذلك ما اختاره الله عز وجل.

فيا عبد الله!!!

والاستخارة جاءت إظهارًا للعبودية، ومن تمامها: تسليم العبد بأن علم الغيب لله، وهذا هو الذي أوقع بعض الناس في الضلال والبدع.

(١) مدارج السالكين، (٢/٢١٥، ٢١٦).

(٢) كيف تنجح في أعمالك؟! ص٧.





ارَضَ عن الله في جميع ما يفعل بك، فإنه ما مَنَعَكَ إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أمرضك إلا ليشفيك، ولا أمانك إلا ليحييك، فإياك أن تفارق الرضا عنه طرفة عين فتسقط من عينه^(١).

كذلك فاحذر - أخي الحبيب - شياطين الإنس والجن ممن يُثْنُوك عن الإقدام على صلاة الاستخارة بحجج هي أوهى من بيت العنكبوت.

وماذا بعد الاستخارة؟!

يُشرع للمسلم قبل الاستخارة وبعدها استشارة ذي الرأي الناصح، والعقل الراجح^(٢)؛ لأن الله - تعالى - أمر بالمشورة نبيه مع ما تكفل به من إرشاده ووعد به من تأييده^(٣)، فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، قال الحسن - رحمه الله -: «ما أمر الله نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشورة من الفضل ولتقتدي به أمته من بعده»^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه^(٥).

(١) مدارج السالكين، (٢/ ٢١٦).

(٢) الشورى لغة: (الشين والواو والراء أصلاً مطرودان) الأول منها: إبداء شيء وإظهاره وعرضه، والآخر أخذ شيء.

انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢٢٦).

والشورى في الاصطلاح: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض.

[انظر المفردات. للراغب الأصفهاني ص ٢٧٠، مادة (شور)].

(٣) راجع: فقه الاستشارة، د/ ناصر سليمان العمر ص ٢٠، ٢١ ط. توزيع شركة البراق للتجارة والتوزيع بالأردن.

(٤) انظر تفسير القرطبي (٤/ ٢٥٠).

(٥) رواه الترمذي (١٧١٤) بإسناد حسن.



وعنه عليه السلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ «المستشار مؤتمن»^(١) قال ابن القيم - لله دره^(٢): وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «ما ندم من استخار الخالق، واستشار المخلوق، وثبت في أمره»^(٣).

والمشاورة ضرورة: لأن عقول الناس وخبراتهم تختلف، ولا يمكن لولي الأمر الإمام بجميع جوانب الحياة، فيكون له من أهل الحل والعقد خواص الأمة من ينير الطريق، ويوضح الرأي الرشيد، ولو ذهبنا نتتبع جوانب موضوع الشورى لاستلزم ذلك إطالة تخرج عن المراد، ولكنني أعرض جملة من فوائد «المشاورة».

الفائدة الأولى: الشورى قرينة وطاعة، وليس أمر شرعي إلا وراءه من المصالح العاجلة والآجلة والحكم الخفية الظاهرة ما لا يُقدر قدره^(٤).

الفائدة الثانية: إن في الشورى جبراً لخواطر الخلق، وإزالة لما يصير في القلوب عند وقوع الحوادث، وذلك أن ولي الأمر إذا جمع أهل الرأي والفضل وشاورهم في حادثة من الحوادث عرفوا من ذلك إكرامه للناس، فيذهب غيظ القلوب.

قال بعض السلف: (كانت سادات العرب إذا لم يشاورها في الأمر شَقَّ عليهم، فأمر الله نبيه أن يشاورهم في الأمر، فإن ذلك أعطف لهم عليه، وأذهب لأضغاثهم، وأطيب لنفوسهم، فإذا شاورهم عرفوا إكرامه لهم)^(٥).

(١) رواه أبو داود (٥١٢٨)، والترمذي (٢٨٢٢)، وابن ماجه (٣٧٤٥)، والحديث حسن.

(٢) الوابل الصيب، للإمام ابن القيم الجوزية - رحمه الله تعالى - ص ١٨٣، ط. دار الصحابة.

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٣٨٧-٣٨٦/٢٨).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان للشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٢١٢-٢١٣). المطبعة السلفية ومكتبها بالروضة.

(٥) انظر (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (٢٥٠/٤)، ط. الرسالة، وانظر جامع البيان للطبري ت العلامة/ أحمد محمد شاكر (٣٤٣/٧) ط. دار المعارف.





الفائدة الثالثة: الشورى طريق لتألف المجتمع وترباطه، فعندما يرجع الراعي إلى أهل الحل والعقد لأخذ رأيهم تتولد الثقة وتتألف القلوب، قال ابن العربي: «الشورى ألفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب، وما تشاور قوم إلا هدوا»^(١).

الفائدة الرابعة: الشورى طريق للاستفادة من الآراء والخبرات -خاصة- وأن التخصصات قد كثرت، ولا يمكن لبشر أن يلم بجميع ما يحتاجه الناس اليوم، فالشورى تجعل للأمة عقلاً جمعياً تنضم فيه خبرات وعلوم وآراء جاهرة من العقلاء فتنتج رأياً رشيداً^(٢).

الفائدة الخامسة: الشورى تقضي على الفردية والديكتاتورية والأنا والارتجال وتجنب الفرد والمجتمع آثار المواقف والقرارات الفردية.... القارئ للقرآن يجد أن الله -سبحانه- جعل اتخاذ قرار يتعلق بصبي رضيع لا يملكه فرد واحد، وإن كان أقرب الناس إليه وهو والده أو والدته، وجعل رفع الجناح مشروطاً بالتشاور والتراضي بين الوالدين، ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]. فإذا كان هذا ما يتعلق بصبي رضيع، فكيف بما يتعلق بشئون الأمة وأحوالها، أيجوز أن ينفرد به أي فرد من المسلمين؟ وأخيراً: الشورى غنمها لك وغرمها عليك:

قال ابن الجوزي: «ومن فوائد المشورة: أن المشاور إذا لم ينجح في أمره، علم أن امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه»^(٣).

ومن غنم الاستشارة نضوج الرأي واستوائه وقد قيل: «مَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهُمْ فِي

(١) انظر: (أحكام القرآن) للقرطبي (٤/ ١٦٦٨)، ط. دار الريان للتراث.

(٢) انظر رسالة (الشورى وقضايا الاجتهاد الجماعي) للأستاذ الدكتور/ محمد أبو فارس ص ٣٥ ط. مكتبة المنار الزرقاء.

(٣) انظر (زاد المسير في علم التفسير) للإمام الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت(عبد الرزاق المهدي) (١/ ٤٨٨)، ط. دار الكتاب العربي.



عقولهم» ولهذا يتساءل أصحاب الأفهام السويّة قائلين: هل رأيتم تاجرًا يتيح للناس المشاركة في ماله دون مقابل، بل هل سمعتم بذلك في حاضر الأزمان أو غابرها؟!
بربي وربكم لو حدث هذا ماذا تتوقعون؟

الجواب: بدهي ومعروف

إذن أيها أغلى وأثمن المشاركة في المال أو المعقول؟!!

لا أظن أن الإجابة تحتاج إلى جهدٍ أو تفكير، وإذا كان الأمر كذلك، فإن الأدنى مستحيل، والأعلى ممكن السبيل، مع أن العقل يأتي بالمال، والمال لا يأتي بالعقل، وخير العقول عقول الصالحين والعلماء، فإن العلم زينة العقول ونورها، ومهذب ظاهرها وباطنها.
وعليه «فمن شاور العقلاء شاركهم في عقولهم، ومن شاور العلماء شاركهم في علمهم»^(١).

فإذا عَزَمَ -الشاب المسلم- على المشاورة ارتاد لها من أهلها مَنْ اكتملت فيه خصال خمس:

- ١- عقل كامل مع تجربة سالفة، فإنه بكثرة التجارب تصح الرؤية - غالبًا.
- ٢- أن يكون ذا دين وتقى، فإن ذلك عماد كل صلاح وباب كل نجاح.
- ٣- أن يكون ناصحًا ودودًا، قال بعض الحكماء: (لا تشاور إلا الحازم غير المحسود، واللييب غير الحقود).
- ٤- أن يكون سليم الفكر من همٍّ قاطع، وغمٍ شاغل، فإن مَنْ عارض فكره شوائب الهجوم لا يُكَلِّمُ له رأى ولا يستقيم له خاطر.
- ٥- أن لا يكون له في الأمر المستشار غرضٌ يتابعه، ولا هوىٌ يساعده، فإن الأغراض

(١) انظر فقه الاستشارة. د/ ناصر بن سليمان العمر ص ٦٩، ٧٠ بالأردن ط. توزيع شركة البراق للتجارة والتوزيع.





جاذبة والهوى صاد. أ. هـ.

وأكثر من تكتمل فيهم هذه الخصال هم أهل العلم الربانيين، وطلاب العلم الواعدين،
وأهل الخبرة والمعرفة والاختصاص الصادقين.

كذلك فاعلم أن للاستشارة آداباً يجب أن تراعى من المستشار والمشير منها:

١ - احترام كل واحد منهما للآخر وعدم تسفيه أي واحد منهما لصاحبه.

٢ - الإنصات من كلا الطرفين عند الحوار لتكتمل الصورة الذهنية.

٣ - على المستشار اختيار الوقت المناسب لعرض موضوعه.

٤ - على المستشار حسن عرض رأيه، والتدرج في الحديث^(١).

فاحرص - أيها الأخ الحبيب - على الاستشارة فإنها عين الهداية، واعلم أنه قد خاطر من

استبد برأيه ولم يستفد من تجارب الآخرين..

(١) المصدر السابق، ص ١٣٩.

بعد نتيجة الثانوية العامة

أذكرك أخي الكريم: أن الأمة العظيمة بينها رجال عظماء، رجال يعرفون ميولهم وقدراتهم، ويننون مشاريع حياتهم وفق ذلك، وهذا يبدأ من اختيار التخصص العلمي في الجامعة.

لذا أنصحك بمتابعة هذا الموقع المجاني، والذي سيساعدك على معرفة وتحديد الميول والقدرات والتخصصات المناسبة لك.

www.shabab12.com

حيث يحتوي الموقع على خدمات عديدة ومن أهمها:

مقاييس للتعرف على ميول الطالب وقدراته والتخصصات التي تناسبه.

<http://shabab12.com/know-yourself>

موسوعة لشرح أكثر من ٣٣٥ تخصص ودبلوم يمكنكك للالتحاق بها.

<http://shabab12.com/encyclopedia/bachelor>

دورة مجانية كاملة تأخذك خطوة بخطوة لاتخاذ قرار التخصص.

<http://elearning.shabab12.com>

كما أنصحك أخي الشاب الكريم قبل أن تسافر إلى بلد من البلدان لدراسة أو عمل أو سفر لسياحة حلال، أو قبل الإقدام على شراء سيارة، أو قبل التقدم لخطبة فتاة، أنصحك بالاستشارة والاستشارة فإن بركتها ظاهرة بينة.. (والله يوفقك لما فيه صلاحك ورشدك).. أ. هـ.

ثم بعد أن يشرح الله صدرك وييسر لك أمرك، ويقدر لك أن تلتحق بكلية من الكليات للدراسة، فعليك أخي أن تسأل نفسك بصدق..

كيف أنجح في الجامعة؟

إن الشباب في الجامعة لهم فكر لا يُجد، ولسان لا يصمت، وجوارح لا تسكن، وذلك لطبيعتهم وقوتهم وحيويتهم، فلتكن - أخي الشاب - ممن يشتغل بالعظام، ويسمو عن





الصغائر، وتملأ أوقاتك بكل نافع ومفيد، ومن ذلك أن تسمو بهمتك كي تكون ناجحاً موفقاً في دراستك النظرية والعملية، ومعلوم أن كلمات «النجاح - التفوق - التميز» كلمات محببة إلى النفوس السوية والعقول الذكية، فلتحرص - أخي الشاب - على تحقيق سبل النجاح في الدراسة الجامعية، كذلك كُنْ حريصاً على مرضاة ربك، واحرص أن تكون نافعاً لنفسك ولأسرتك قدوة لغيرك من أقرانك وزملائك.

وبدأ العام الدراسي

بدأت الدراسة الجامعية وانطلقت في أول يوم لك من أيام العام الدراسي الجديد إلى الجامعة، وأنت تُقبل على مرحلة جديدة من مراحل حياتك، فالجامعة مجتمع جديد لم تُخبره ولم تعرفه، هذا المجتمع الجامعي يجمع بين طبقاتٍ مختلفةٍ، وعقولٍ وأفكارٍ متفاوتةٍ، واتجاهاتٍ متباينةٍ، فيا تُرى ماذا ستفعل في أول يوم بدء في الدراسة الجامعية؟

* أولاً: وقبل كل شيء عليك.. بتحقيق الإخلاص.. فإنه طريق الخلاص.. فمنذ أول وهلة وقبل أن تبدأ طريقك في الدراسة الجامعية لابد وأن تعمل جاهداً على تحقيق الإخلاص وإصلاح النية..

أهمية الإخلاص:

لأهمية الإخلاص لله في كل عمل من الأعمال، حثَّ الشارع الحكيم كل مسلم على استحضاره دومًا، والجد والاجتهاد في تحسين نيته.

قال الشافعي - رحمه الله - في التعليق على حديث «إنما الأعمال بالنيات» إنه ثلث العلم^(١). ولأهمية النية في العمل.. صدَّر البخاري - رحمه الله تعالى - كتابه الصحيح بحديث «إنما الأعمال بالنيات»، قال ابن رجب: وبه «صدر البخاري كتابه الصحيح، وأقامه مقام الخطبة

(١) أخرجه البيهقي في كتابه (معركة السنن والآثار) (٢٦٣/١) حديث (٥٨٩) ط. دار الكتب العلمية.



له: إشارة إلى أن كل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل لا ثمرة له في الدنيا ولا في الآخرة^(١).

وتعددت أقوال السلف في بيان أهمية النية، وعظم أجرها..

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «نية المؤمن خير من عمله»^(٢).

وعن يحيى بن أبي كثير قال: «تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل».

وعن عبد الله بن المبارك أنه قال: «رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره

النية»^(٣).

وعن الفضيل بن عياض قال: «إنما يريد الله عز وجل منك نيتك وإرادتك وإخلاصك،

وكان يقال: لا يزال العبد بخير ما قال قال الله، وإذا عمل عمل الله»^(٤).

لهذا كان الإخلاص واستحضار النية بهذه الخطورة، اجتهد السلف الصالح في تصحيح

نياتهم، واستحضار معاني «الإخلاص» لتصحيح لهم أعمالهم، وما اجتهدوا في شيء اجتهدهم

في ذلك، قال: سفيان الثوري «ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي».

وعن يوسف بن أسباط قال: «تعلموا صحة العمل من سقمه، فإني تعلمته في اثنين

وعشرين سنة»^(٥).

* قد تقول: نعم لقد علمت مدى أهمية تحقيق الإخلاص، ولكن ما تعريف

الإخلاص؟!

(١) راجع (جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم للإمام/ ابن رجب الحنبلي (١/ ٥٦-٥٩) ط. دار السلام.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٢٢٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٦١) رجاله موثقون إلا

حاتم بن عباد بن دينار الخريشي.

(٣) راجع [الزهد] للإمام عبد الله بن المبارك ص ١٨٩، ١٩٥ ط. دار الكتب العلمية.

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني (٨/ ٩٨) أثر (١١٤٨٧) ط. دار الكتب العلمية.

(٥) المصدر السابق (٨/ ٢٦٧) أثر (١٢١٥٩).





والجواب: إن الإخلاص في اللغة هو: مصدر أخلص، يخلص وهو مأخوذ من مادة (خ ل ص) الدالة على تنقية الشيء وتهذيبه، فالخالص من الألوان عندهم ما صفا ونصع. واصطلاحاً: فقد كثرت تعريفات العلماء للإخلاص، وإن كانت في حقيقتها متقاربة، إذ أن أكثرها يدور على قصد الله بالعبادة دون سواه، فمثلاً:

* يقول الراغب الأصفهاني عن الإخلاص: «أنه هو التعري عما دون الله»^(١).
* وذكر العز بن عبد السلام - رحمه الله - أن الإخلاص هو: «أن يفعل المكلف الطاعة لله وحده لا يريد تعظيماً من الناس، ولا توقيراً ولا جلب نفع ديني، ولا دفع ضرر دنيوي»^(٢).
* وقال ابن تيمية: «وحد الإخلاص كقول الحارث المحاسبي.. هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الناس من أجل صلاح قلبه مع الله، ولا يجب أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من عمله»^(٣).

* ويقول الإمام ابن القيم: عن الإخلاص: «أنه هو ما لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا عدو فيفسده، ولا يعجب به صاحبه فيبطله»^(٤).

- فالإخلاص يهدف إلى تخلص القصد المتوجه إلى الله - تعالى - من الشوائب والأخلاق والفساد الذي يزاحمه ويخالطه، بحيث يتصفى القصد لله عز وجل دون سواه في جميع العبادات^(٥).

(١) راجع دليل الفالحين (٢/ ٤٢)، ط. مطبعة حجازي، وكتاب مفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهاني ص ١٥٤ ط. المكتبة التوفيقية.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ١٤٦)، ط. مكتبة الكليات الأزهرية.

(٣) راجع شرح حديث «إنما الأعمال بالنيات» لابن تيمية، نقلاً عن تعبير الأنفاس بذكر حديث الإخلاص للدكتور/ سيد حسين العفاني، ص ٨٨.

(٤) الفوائد للإمام ابن القيم الجوزية ص ٤ ط. مكتبة دار التراث.

(٥) مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين أو «النيات في العبادات»، للشيخ د/ عمر سليمان الأشقر، ص ٣٦٠، ط. مكتبة الفلاح بالكويت.



* وخلاصة التعاريف السابقة - أخي الشاب: أن الإخلاص هو: ألا يمازج العمل ما يشوبه من شوائب إرادات النفس (كطلب التزين في قلوب الخلق، أو طلب مدحهم والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم أو خدمتهم ومحبتهم، أو غير ذلك من العلل والتي عقد متفرقاتها هو إرادة ما سوى الله بعمله، كائنًا ما كان)^(١).

* وتتضح أهمية الإخلاص لطالب العلم في قول الإمام حيث يقول: «وإخلاص النية لله تعالى في طلب العلوم والمعارف أصل لا يُستبدل به، ومن فعل خلاف ذلك لم يصل»..

* ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله مدللًا على أهمية الإخلاص ومدى ثماره الياينة المباركة - وخاصة - لطالب العلم، حيث تظهر آثارها عليه فيقول: [والقلب الطاهر لكمال حياته ونوره، وتخلصه من الأدران والخبائث، يفتح الله تعالى له أبوابًا، فلا يشبع من القرآن، ولا يتغذى إلا بحقائقه، ولا يتداوى إلا بأدويته، بخلاف القلب الذي لم يطهره الله تعالى، فإنه يتغذى من الأغذية التي تناسبه]^(٢).

* كذلك يوصي شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كل مسلم - أن يكون طالبًا للعلم مع ضرورة تحقيق الإخلاص، وبين مدى أهمية ذلك؛ ونتيجته وأثره على هذا العبد في الدنيا والآخرة.. فيقول: «النوع الواحد من العلم أو العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته فيغفر الله به كبائر الذنوب كما في حديث البطاقة»^(٣).

قد تقول: نعم... لقد علمت مدى أهمية الإخلاص، كذلك ثبت في صحيح سنة النبي ﷺ ما يدل على أهمية الإخلاص وخاصة - في أثناء طلب العلم سواء كان هذا العلم علمًا دينيًا أو علمًا تجريبيًا إنسانيًا، فلقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيَبَاهِي بِهِ

(١) أو هو التبرى عن كل ما دون الله تعالى.. راجع «مدارج السالكين» (٢/ ٩١).

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم (١/ ٤٥)، ط. المكتبة الثقافية.

(٣) راجع منهاج السنة النبوية (٦/ ٢١٨) ط. مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.





العلماء، أو يباري به السفهاء، أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار»^(١).
- كذلك صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها؛ بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم»^(٢).

وقال ﷺ: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة فيه رجل استشهد فأتى به فعُرفه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ تعلم علمًا؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»^(٣).

* فهذه الأدلة توضح أنه يجب على المسلم -عمومًا- وطالب العلم -خصوصًا- أن يُحسِّن نيته، ويصلح طويته، ويتصور أن هذا العمل الذي قصده، والأمر الذي أرادته، هو الشريعة التي شرعها الله - سبحانه - لعباده، وبعث بها رسله، وأنزل بها كتبه، ويُجَرِّد نفسه عن أن يشوب ذلك بمقصد من مقاصد الدنيا، أو يخلطه بما يكدره من الإرادات التي ليست منه، كمن يريد به الظفر بشيء من المال، أو يصل به إلى نوع من الشرف، أو البلوغ إلى رئاسة من رئاسات الدنيا، أو جاه يحصله به^(٤).

* لهذا كان من الواجب على طالب العلم الاعتناء بتصحيح نواياهم قبل الإقبال على طلب العلم، وعدم جعل طلب العلم سلمًا لأغراض أخرى كحب الظهور والتفوق على

(١) أخرجه ابن ماجه في مقدمة السنن (٢٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٥٨).

(٢) رواه النسائي (٣١٧٨)، وهو عن البخاري وغيره دون ذكر لفظ «الإخلاص»، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٤٣/٢) والتعليق الرغيب (٢٤/١).

(٣) رواه مسلم (١٩٠٥).

(٤) راجع [أدب الطلب ومنتهى الأرب] للشوكاني، ص ٣١، ط. مكتبة الصحابة.



الأقران، أو حب تعظيم أو الشهرة والسمعة أو طلب محمداً أو صرف وجوه الناس إليه، أو طلب وظيفة من الوظائف فحسب فإن هذه النوايا وأمثالها إذا شابت النية أفسدتها وأذهبت بركة العلم، ولهذا يتعين عليك أن تحمي نيتك من شوائب الإرادة لغير الله^(١)، بل يتعين عليك - أخي طالب العلم - أن يكون تحصيلك لله - تعالى - ولوجهه، وأن تكون ممن يرجو ثواب الله تعالى لا لترتفع به في أعين الناس، ولا لتعلو به فوق أعناقهم وتركب به أكتافهم^(٢).

والسؤال الآن: لماذا نحقق الإخلاص؟!

والجواب: إن الإخلاص منه من الله تعالى، يُكحِّل بها عيون قلوب الصادقين، وباب الإخلاص مفتوح، فادخل - أخي الشاب - منه تصل إلى رحمة الله وتكن في كنفه وحفظه وستره وأجره ورزقه وكفايته، ادخله ترتع في رياض المخلصين، لتدرك المعنى النفيس في حياتك، وإلا ففقدان هذا الشيء الغالي فقدان لحياتك ذاتها، فحياة البدن بدون حياة القلب من جنس حياة البهائم^(٣).

- والإخلاص - كذلك - هو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة الرسل - عليهم السلام - قال ابن تيمية - رحمه الله: «والإخلاص لله هو أصل الدين، وقاعدته أصل الأصول وقاعدة الدين في سورتي الكافرون والإخلاص ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾»، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فأما ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ فهي متضمنة للتوحيد العملي الإرادي، وهو إخلاص الدين لله بالقصد والإرادة، وأما سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فمتضمنة للتوحيد القولي العلمي، وكلا النوعين مرتبطان بالآخر، فلا يوجد أحد من أهل التعطيل الجهمية، وأهل

(١) انظر (حلية طالب العلم) للشيخ العلامة د/ بكر أبو زيد ص٦٠، ص٧ ط. مؤسسة قرطبة (٦، ٧).

(٢) انظر كتاب (منطلقات طالب العلم)، للشيخ/ محمد بن حسين يعقوب ص٣٥، ط. دار التقوى.

(٣) راجع [تعطير الأنفاس من حديث الإخلاص]، لمؤلفه وجامعه د/ سيد العفاني، ص١٤، ط. دار البروج.





التمثيل المشبهة إلا وفيه نوع من الشرك العملي»^(١).

كذلك فإن الإخلاص هو الدين الذي لا يقبل الله سواه، وهو الذي بُعث به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب واتفق عليه أئمة أهل الإيمان، وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه^(٢).

- وقد أخبر سبحانه أن الأولين والآخرين إنما أمروا بذلك في غير موضع .. وعلى سبيل المثال لا الحصر، يقول تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [١١٠] وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، قال الفضيل بن عياض: أي «أخلصه وأصوبه»^(٣). وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [١١] وأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الزمر: ١١-١٢] وقال - سبحانه -: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] وغير ذلك من الآيات التي تدل على اعتبار النية، وأنها أساس العمل وقاعدته وشرطه المصحح له.

درجات الإخلاص

* قال صاحب المنازل: وهو على ثلاث درجات:

- الدرجة الأولى: إخراج رؤية العمل عن العمل، والإخلاص من طلب العوض على العمل، والنزول عن الرضا بالعمل.

* وقال ابن القيم: يعرض للعامل في عمله ثلاث آفات: رؤيته، وملاحظته، وطلب العوض عليه ورضاه به وسكونه إليه.

* فالذي يُخلص من رؤية عمله: مشاهدته لمنة الله عليه وفضله وتوفيقه له وأنه بالله لا

(١) مجموع الفتاوى، ١٠/ (٥٤، ٥٥).

(٢) المصدر السابق، (١٠/ ٥١).

(٣) انظر تفسير البغوي (معالم التنزيل) للإمام/ أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٨/ ١٧٦) ط. دار طيبة.



بنفسه.

* فكل خير في العبد فهو مجرد فضل الله ومنته وإحسانه ونعمته وهو المحمود عليه،
فرؤية العبد لأعماله في الحقيقة كرويته لصفاته الخلقية من سمعه وبصره وإدراكه وقوته، بل
من صحته وسلامة أعضائه ونحو ذلك، فالكل مجرد عطاء الله ونعمته وفضله.
فالذي يُخلّص العبد من هذه الآفة، معرفة ربه، ومعرفة نفسه.

* والذي يخلصه من طلب العوض عن العلم: علمه بأنه عبد محض، والعبد لا يستحق
على خدمته لسيده عوضًا ولا أجرًا، إذ هو يخدمه لمجرد عبوديته، فما يناله من سيده من الأجر
والثواب تفضل منه وإحسان إليه، وإنعامً عليه لا معاوضة، إذ الأجر إنما يستحقها الحرُّ أو
عبد الغير أما عبد نفسه فلا..

- والذي يخلصه من رضاه بعمله وسكونه إليه أمران:

أحدهما: مطالعة عيوبه وآفاته وتقصيره فيه من حظ النفس ونصيب الشيطان.

الثاني: علمه بما يستحقُّ الربُّ - جَلَّ جلاله - من حقوقِ العبودية وآدابها الظاهرة
والباطنة وشروطها، وأن العبد أضعف وأعجز وأقل من أن يوفيها حقًا وأن يرضي بها لربه.
- الدرجة الثانية: كالخجل من العمل مع بذلك المجهود، وتوفير الجهد بالاحتفاء من
الشهود، ورؤية العمل في نور التوفيق من عين الجود.

* قال ابن القيم: وهذه ثلاث أمور:

١- خجله من عمله: وهو شدة حيائه من الله إذ لم يرد ذلك العمل صالحًا له مع بذل
مجهود فيه.

٢- توفير الجهد باحتوائه ثم الشهود: أي يأتي بجهد الطاقة في تصحيح العمل محتتمًا عن
شهوده منك وبك.

٣- أن تحمي بنور التوفيق الذي ينور الله به بصيرة العبد، فتري في ضوء ذلك النور أن
عملك من عين جوده لا بك ولا منك.

- الدرجة الثالثة: إخلاص العمل بالخلاص من العمل، تدعه يسير بسير العلم، وتسير
أنت مشاهدًا للحكم حرًا من رق الرسم.

* قال ابن القيم: وقد فسّر الشيخ مراده «بإخلاص العمل بالخلاص من العمل» بقوله
«تدعه يسير سير العلم وتسير أنت مشاهدًا للحكم».





- ومعنى كلامه - رحمه الله: أنك تجعل عملك تابعاً للعلم موافقاً له، مؤتمناً به، تسير يسيره وتقف بوقوفه، وتحرك بحركته، نازلاً منازلَه، مرتوياً من موارده، ناظراً إلى الحكم الديني الأمري متقيداً به، فعلاً وتركاً وطلباً وهرباً، ناظراً إلى ترتب الثواب والعقاب عليه سبباً وكسباً، أما ترك العمل يسير سير العلم مشهد: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ وسير صاحبه مشاهدًا للحكم مشهد ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

- وأما قوله «حرًا من رق الرسم»: فالحرية التي يشيرون إليها عدم الدخول تحت عبودية الخلق والنفس، والدخول تحت رق عبودية الحق وحده، ومرادهم بالرسم ما سوى الله، فكله رسوم^(١).

أخي الشاب

* إنَّ التعرف على حقيقة الإخلاص يقودُ إلى النظر في كيفية أداء العمل، لا في كميته: ومن هنا نجدُ المخلصين لا يفرقون بين العمل الصغير والعمل الكبير؛ لأن الصغير مع وجود الإخلاص يصبح كبيراً وعظيماً عظمة الجبال، «وبمفهوم المخالفة»: فإنه قد يكون العمل كبيراً جداً، ولكنه مع فقد الإخلاص يعود صغيراً محتقراً لا تكاد تراه العين كالهباء المنثور، قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّاَ إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

ديب النمل (الرياء)

نعم احذر - أخي الشاب - ديب النمل (الرياء)

* والرياء هو: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس، فيحمدون صاحبها، فهو يقصد به التعظيم والمدح والرغبة أو الرهبة فيمن يرائيه، وأما العُجب فهو قرين الرياء، قال ابن تيمية:

(١) مدارج السالكين (٢/ ٧٠: ٧٣)، باختصار.



«الرياء من باب الإشراف بالخلق، والعجب من باب الإشراف بالنفس»^(١).

* فالزم - أخي الشاب - الإخلاص فإنه لب الأقوال والأفعال؛ لأنها إذا خلت منه كانت قشرًا بلا لب، والقشر لا يصلح إلا للنار^(٢)، وإياك والرياء فإنه مضيع للأقوال، مفسد للأعمال، مخرب للأعمار.

- لأجل هذا يقول أبو طالب المكي: وحقيقة الإخلاص سلامته من وصفين: وهما الرياء والهوى، ليكون خالصًا كما وصف الله تعالى الخالص من اللبن، فكان بذلك تمام النعمة علينا فقال: ﴿مَنْ بَيْنَ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا﴾ [النحل: ٦٦]، فلو وجد أحد الوصفين من فرث أو دم لم يكن خالصًا، كذلك معاملتنا مع الله إذا شابهها فالواجب على كل طالب علم أن يقصد بتعلمه وجه الله، وأن يكون مخلصًا لله في تعلمه ونصحته، لا يبتغي بذلك جاهًا، ولا مالًا، ولا منصبًا، ولا مراعاة الناس

- فلا إله إلا الله، كم في النفوس من علل وأغراض وحظوظ تمنع الأعمال أن تكون لله خالصة، وأن تصل إليه، وإن العبد ليعمل العمل حيث لا يراه بشر البتة، وهو غير خالص لله، ويعمل العمل والعيون قد استدارت عليه نطاقًا، وهو خالص لوجه الله، ولا يميز هذا إلا أهل البصائر وأطباء القلوب العالمون بأدوائها وعللها^(٣).

فالنية هي أصل كل عمل، ولا يُقبل عمل ما لم يكن خالصًا له تعالى، فمن أحب الشاء

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٢٧٧).

(٢) الإخلاص والشرك الأصغر، للشيخ/ عبد العزيز بن محمد بن العبد اللطيف، ص ١٤، ط. دار الوطن للنشر.

(٣) مدارج السالكين (١/٤٣٧).





والمدح، والشهوة الخفية، والطمع في الشهرة، فقد ارتقى ليهوى في حفر الرياء^(١).

قال بعض السلف: قل للمرائي لا تتعب!!

* وقال ابن القيم - رحمه الله - ناصحًا ومذكرًا:

«لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس، إلا كما يجتمع الماء والنار، والضرب والحوت»^(٢)، وقال أيضًا: ولا يجتمع الإخلاص أبدًا مع الهوى والذي هو من شهوة النفس فإذا حصلت للنفس أهواء لم تكن العبادة خالصة ولم يقبلها الله تعالى منا^(٣).

خطر الرياء

* لا شك أن الرياء يسلكُ بصاحبه مسالك الهوى والردي، ويجعلُ صاحبه يتغذى من أغذية كثيرة تناسبُ مقاصده ومراميه وتأخذه بعيدًا عن الحق وساحته، وذلك لعدم إخلاص قلبه، لأجل هذا كانت عاقبة المرائي الخذلان في الدنيا والخسران في الآخرة، كذلك فإن الرياء وعدم الإخلاص من شُعَبِ الشرك، كما وَرَدَ عن النبي ﷺ قوله - فيما يرويه عن ربه: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»^(٤)، فاحذر أن يفسد الرياء قلبك، أو أن يطرأ على عملك فيضيعه ويجبطه^(٥).

(١) أنصح بمراجعة بحث «الإخلاص» تأليف د/ عمر سليمان الأشقر ص ٤٠، ٤١، ط. دار النفائس، وبحث «النية والإخلاص» د/ يوسف القرضاوي ص ٦٩، ٧٤، ٨٠، ط. مكتبة وهبة، القاهرة، وبحث «الإخلاص وأثره في الدعوة» تأليف د/ بدير محمد بدير ص ٩، ١٠، ١٣، ١٥، ٤٣، ط. دار نور الإسلام المنصورة.

(٢) الفوائد لابن القيم ص ٢١٠.

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٩١، ٩٢).

(٤) رواه مسلم (٢٩٨٥).

(٥) فائدة: أحوال النية في العمل:

أ- أن يكون العمل خالصًا لله: توافرت فيه شروط الاعتبار، وعند ذلك يكون العمل مقبولاً من جانب، وأهلاً أن يثاب المرء عليه من جانبٍ آخر.



علاج الرياء

* إنَّ لكل داء دواءً، ولداء الرياء وغيره مما يضاد الإخلاص، أنواعٌ من العلاج والدواء منها ما ذكره ابن القيم - رحمه الله - حيث يقول قال:

١- أن يعلم المكلف علماً يقيناً بأنه عبدٌ محض، والعبدُ لا يستحق على خدمته لسيده عوضاً ولا أجره، إذ هو يخدمه بمقتضى عبوديته، فما يناله من سيده من الأجر والثواب تفضل منه وإحسان إليه لا معاوضة.

٢- مشاهدته لمنة الله عليه وفضله، وأنه بالله لا بنفسه، وأنه إنما أوجب عمله مشيئة الله لا مشيئته هو، فكلُّ خيرٍ فهو مجرد فضل الله ومنته.

٣- مطالعة عيوبه وآفاته وتقصيره، وما فيه من حظ النفس ونصيب الشيطان، فقلَّ عمل

ب- أن يكون رياء محضاً: فهذا باطل، وهو لا يصدر إلا من كافر أو منافق.

ج- دخول الرياء في العمل: وهو على أحوال:

الحالة الأولى: أن يكون الرياء في أصل العمل وهو الباعث عليه والدافع إليه، وهنا: يبطل العمل ويحبط، ويدل عليه قوله ﷺ: قال الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» رواه مسلم (٢٩٨٥).

الحالة الثانية: أن يكون أصل العمل لله ثم طرأ عليه نية «الرياء» وهذا ما يسمى بـ «الرياء بأوصاف العبادة لا بأصولها» - كما ذكر ذلك ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم.

وهنا يجب التفصيل: فإذا كان الرياء خاطراً يمكن دفعه، فلا يضره ذلك بلا خلاف، أما إن استرسل مع خاطر الرياء، فهل يحبط عمله؟ أم يجازي على أصل نيته ولا يضره ذلك الرياء؟، هنا وقع الخلاف، والصحيح: أما إذا كان الرياء في وصف العبادة لا في أصلها، وكانت العبادة مما يرتبط آخرها بأولها، (كالصلاة، والصيام، والحج)، فإن عمله لا يبطل، ومما كان فيه لله وهو الأصل قبل، وما كان لغيره رد وسقط.

أما إن كان الرياء في وصف العبادة، وكانت هذه العبادة ما لا ارتباط فيها، كقراءة القرآن، وإنفاق المال، ونشر العلم، فإن العمل في هذا الجزء الذي فيه الرياء يكون ساقطاً وتنقطع النية بهذا الرياء الطارئ وهو الأمر الذي ذكره كثير من الأئمة كالحسن البصري، والإمام أحمد والطبري والعز بن عبد السلام.

[راجع رسالة الإخلاص، د/ عمر سليمان الأشقر ص ١١٧، ١١٨ ط. دار النفائس].





- من الأعمال إلا وللشيطان فيه نصيب وإن قلَّ وللنفس فيه حظ^(١).
- ٤- تذكير النفس بأمر الله به: من إصلاح القلب وإخلاصه وحرمان المرآئي من التوفيق.
- ٥- خوف مقت الله تعالى إذا طلع على قلبه وهو منطوٍ على الرياء.
- ٦- تحقيق تعظيم الله تعالى: وذلك بتحقيق التوحيد، والتعبد بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى.
- ٧- الإكثار من العبادات السرية والمبالغة في إخفائها: كقيام الليل، وصدقة السر، والبكاء خاليًا من خشية الله، قال الحُرَيْبِيُّ: كانوا يستحبون أن يكون للرجل خبيثة من عمل صالح لا تعلم به زوجته ولا غيرها.
- ٨- النظر في عاقبة الرياء في الدنيا والآخرة، فيعلم العبد أن الناس لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، ورَضِيَ اللهُ عن عمر الفاروق القائل: «فَمَنْ خَلَصَتْ نِيَّتُهُ فِي الْحَقِّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِهِ، كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ تَزَا بِمَا لَيْسَ فِيهِ شَانَهُ اللَّهَ»، قال ابن القيم: لما كان المتزينُ بما ليس فيه ضد المخلص، فإنه يُظْهَرُ للناس أمرًا وهو في الباطن بخلافه، وبالتالي عامله الله بنقيض قصده، وهذا ثابت شرعًا وقصدًا^(٢).
- ٩- الصبر على هذه الأدوية المذكورة آنفًا، مع مجاهدة النفس ومحاولة تحقيق الإخلاص في كل الأقوال والأعمال والأحوال، ولك في سلفك الصالح أسوة؛ يقول سفيان الثوري: «ما عالجت شيئًا أشدَّ على من نيتي^(٣)، ويقول يوسف بن الحسن «أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، فكأنه ينبت على لون

(١) مدارج السالكين (١٠٢/٢).

(٢) إعلام الموقعين (١٨٠/٣).

(٣) مدارج السالكين (٩٦/٢).



آخر^(١).

وصَحَّ عن الإمام الشافعي - رحمه الله - أنه قال: وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم، وما نُسِبَ إلىَّ منه شيء^(٢).

- وقال المحدث سفيان بن عيينة - رحمه الله - أنه قال: كنت قد أوتيت فهم القرآن، فلما قبلت الصرة من أبي جعفر المنصور سلبته، نسأل الله المسامحة^(٣).

- وبلغ الإمام أحمد.. أن الناس يدعون له، فقال: «أسأل الله أن لا يجعلنا مرائين»^(٤).

سؤال مهم

* وهنا قد يسأل سائل فيقول: وهل للإنسان أصلاً سلطان على نيته وقصده حتى يعالج هذه النية مما يشوبها من شوائب الرياء؟

والجواب: ابتداءً يجب أن نعلم أن قضية الإخلاص على خطورتها ليست من جنس مالا يطاق، إذ لا يكلف الله ولا يأمر إلا بما هو داخل في حيز الاستطاعة، وكما هو معلوم عند علماء الأصول «أنه لا تكليف إلا بمعلوم ومقدور»، ولكن قد يكون التكليف بتوجيه العبد نيته إلى الإخلاص وقصد الله - تبارك وتعالى - دون سواه؛ باكتساب الأسباب التي تؤدي إلى ذلك: بأن يتعرف على الله، ويتأمل في بديع صنعه وعظيم نعمه، ويتعرف على صفاته، وينظر في

(١) انظر: (تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم) للإمام ابن جماعة ص ٨٠، وراجع «الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد» تأليف/ محمد بن محمد الغزي العامري الشافعي، تحقيق: نشأت كمال ص ١١٨ ط. مكتبة التوعية الإسلامية.

(٢) انظر حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. للحافظ/ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (١١٩/٩) ط. دار الفكر - المكتبة السلفية.

(٣) راجع سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١١/١١) ط. مؤسسة الرسالة.

(٤) أنصح كل شاب مسلم بمراجعة كتاب «ديب النمل» لأخيذا المفضل/ محمد زين العابدين - حفظه الله تعالى - ط. دار ابن رجب.





عظيم ثواب الطائع، وعظيم عقوبة العاصي، وينظر في الفوائد التي تعود عليه من الطاعات في الدنيا والآخرة، فعند ذلك تنبعث النفس إلى العمل بطاعة الله صادقة مخلصه، وإذا كان الغالب على العبد أمر الدين وامتلاً قلبه بحب الله وخوفه ورجائه سهل عليه استحضار النية؛ لأن قلبه مائل إلى الخير باستمرار، وأما الذي يميل قلبه إلى الدنيا دائماً فإنه يصعب عليه أمر تحقيق الإخلاص^(١).

* وإليك نصيحة غالية قيمة من الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - حيث يقول: «إذا حدثت نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين حب البذل للناس، وأقبل على المدح والثناء فاجتنبه سهل عليك الإخلاص».

- فإذا قلت: وما الذي يُسهّل ذبح الطمع، والزهد في الثناء والمدح؟

قلت: أما ذبح الطمع فيسهله عليك علمك يقيناً أنه ليس من شيء يطمع فيه إلا وبيد الله وحده وفي خزائنه التي لا يملكها غيره، ولا يؤتى العبد منها شيئاً سواه، فاطلبه من الله، وأما الزهد في الثناء والمدح، فيسهله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين، ويضر ذمه ويشين إلا الله وحده، فازهد في مدح مَنْ لا يزينك مدحه، وفي ذم مَنْ لا يشينك ذمه، وارغب في مدح مَنْ كل الذين في مدحه، وكل الشين في ذمه، ولن يُقدر على ذلك إلا بالصبر واليقين، فمتى فقدت الصبر واليقين كنت كمن أراد السفر في البحر غير مركب^(٢).

* فيا أيها الشاب الراغب في التوفيق: أخلص نيتك لله في طلبك للعلوم كلها سواء كانت علومًا شرعية أو تجريبية إنسانية، وطهر قلبك من الرياء واقصد وجه الله بتوجهك، تكسب خيري الدنيا والآخرة، وإلا فالخسار والدمار وضياع الأعمار.

(١) مقاصد المكفّلين فيما يتعبّد به لرب العالمين (أو النيات في العبادات) د/ عمر سليمان الأشقر، ص ٤١ ط. مكتبة الفلاح - الكويت.

(٢) راجع الفوائد لابن القيم ص ٢١٠.



* وانبته: فإنك تطلب التوفيق من الله، وما عند الله لا يُنال إلا بطاعته.

نصيحة غالية

- ولقد نصح الشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن جبرين.. كل طالب للعلم، وكل من يدرس دراسة منهجية أكاديمية أن يُحسّن نيته، وذلك بأن يقصد عند حضوره للمحاضرات الاستفادة والتزود من المعلومات، ولا يكون قصده الرياء والمباهاة أو إظهار نفسه على الآخرين، أو التمدح عند الناس، فإن هذه النية تحبط العمل وتذهب بركة العلم^(١).
- وكذلك فاحرص - أخي الحبيب - على التفوق في دراستك، إذ التفوق سمة المسلم الملتزم المخلص.

ثانيًا: من عوامل النجاح: النوم المبكر والاستيقاظ المبكر: إذا انتهيت من أعمالك فم مبكرًا، فإنه من نام مبكرًا فقد أصاب سنة رسول الله ﷺ، فعن أبي أرزة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعده»^(٢)، قال النووي رحمته الله: قال العلماء: وسبب كراهة النوم قبلها - أي العشاء: أنه يعرضها لفوات وقتها بالاستغراق في النوم، أو لفوات وقتها المختار أو الأفضل، ولئلا يتساهل الناس في ذلك فيناموا عن صلاتها جماعة، وسبب كراهة الحديث بعدها: أنه يؤدي إلى السهر، ويخاف منه غلبة النوم عن قيام الليل أو الذكر فيه، أو عن صلاة الصبح في وقتها الجائز أو في وقتها المختار أو الأفضل، ولأن السهر في الليل سبب للكسل في النهار عما يتوجب على العبد من حقوق الدين ومصالح الدنيا. قال العلماء: والمكروه من الحديث بعد العشاء هو ما كان في الأمور التي لا مصلحة فيها، أما ما فيه مصلحةٌ وخيرٌ فلا كراهة فيه، وذلك [كمدا رسة العلم، وحكايات الصالحين، ومحادثة الضيف، والعروس للتأنيس، ومحادثة الرجل أهله وأولاده للملاطفة والحاجة، ومحادثة المسافرين بحفظ متاعهم أو أنفسهم، والحديث في الإصلاح بين الناس والشفاعة

(١) كيف نطلب العلم، للشيخ/ ابن جبرين - رحمه الله، ص ٤٥، ط. مطبعة دار طيبة بالرياض.

(٢) متفق عليه.



إليهم في خير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإرشاد إلى مصلحة ونحو ذلك، فكل هذا لا كراهة فيه^(١).

هدى رسول الله في النوم

* إذا أتيت مضجعك فاتبع هدى رسولك ﷺ في نومك:

(١) اجمع كفيك ثم انثف فيهما، واقرأ «الإخلاص والمعوذتين» ثلاث مرات^(٢).

(٢) وقل: سبحان الله (٣٣) الحمد لله (٣٣)، الله أكبر (٣٣)^(٣).

(٣) ثم نم على شقك الأيمن، وقل كما ثبت عن نبينا ﷺ في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن ثم قال: «اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنيك الذي أرسلت»^(٤).

(٤) كذلك قل ما رواه أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي ولا مؤوي»^(٥) وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن ينام وضع يده تحت رأسه ثم قال: «اللهم فني عذابك يوم تجمع عبادك»^(٦).

عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ لي^(٧): «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل....» وذكر نحوه، وفيه «واجعلن آخر ما

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/١٥٨) ط. دار الحديث.

(٢) رواه البخاري (٥٠١٧).

(٣) رواه البخاري (٥٣٦٢) ومسلم (٢٧٢٧).

(٤) رواه البخاري (٦٣١٣)، ومسلم (٢٧١٠).

(٥) رواه مسلم (٢٧١٥).

(٦) رواه الترمذي (٣٣٩٨) وقال حديث حسن صحيح، ورواه أبو داود (٥٥٤٥)، وابن ماجه (٣٨٧٧)، وصححه

الحافظ ابن حجر في الفتح (١١٩/١١).

(٧) رواه البخاري (٧١/١)، ٢٤٧، ومسلم (٧٧/٨) (٢٧١٠).

تقول^(١).

(١) (قلت: ما أعظم هذه السنة المباركة. (سنة الاضطجاع على الشق الأيمن).. يقول د/ طافر العطار:
* إن الإنسان حين ينام على بطنه يشعر بعد مدة بضيق في التنفس لأن ثقل كتلة الظهر العظيمة تمنع الصدر من التمدد والتقلص عن الشهيق والزفير كما أن هذه الوصفية تؤدي إلى انثناء اضطراري في الفقرات الرقبية وإلى احتكاك الأعضاء التناسلية بالفراش مما يدفع إلى ممارسة العادة السرية..
كما أن الأزمة التنفسية الناجمة تعب القلب والدماغ..
وقد لاحظ باحث استرالي ارتفاع نسبة موت الأطفال المفاجئ إلى ثلاثة أضعاف عندما ينامون على بطونهم نسبة إلى الأطفال الذين ينامون على أحد الجانبين، كما نشرت مجلة (التايم) دراسة بريطانية مشابهة تؤكد ارتفاع نسبة الموت المفاجئ عند الأطفال الذين ينامون على بطونهم..
- ومن المعجز حقًا توافق هذه الدراسات الحديثة مع ما نهى عن مُعلم الناس الخير وذلك فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: رأى رسول الله ﷺ رجلاً مضطجعاً على بطنه فقال: إن هذه ضجعة يبغضها الله ورسوله» رواه أحمد وأبو داود (٥٠٤٠) وهو في صحيح الجامع ٢٧٧١.
* أما النوم على الظهر فإنه يسبب التنفس الفموي لأن الفم يفتح عند الاستلقاء على الظهر لاسترخاء الفك السفلي، لكن الأنف هي المهيأة للتنفس لما بها من شعيرات ومخاط لتنقية الهواء الداخل، ولغزارة أوعيته الدموية المهيأة لتسخين الهواء.. وهكذا.. فالتنفس من الفم يعرض صاحبه لكثرة الإصابة بنزلات البرد والزكام في الشتاء، كما يسبب جفاء اللثة، ومن ثم يؤدي إلى التهابها الجفافي، كما أنه يثير حالات كامنة من فرط التصنع، أو الضخامة اللثوية.
وفي هذا الوضع أيضًا.. فإن شراع الحنك واللهاة يعارضان فرجان الخيشوم ويعيقان مجرى التنفس فيكثر الغطيط والشخير..
* كما يستيقظ المتنفس من فمه ولسانه مغطى بطبقة بيضاء غير اعتيادية إلى جانب رائحة الفم الكريهة، كما أنها تضغط على ما دونها عند الإناث فتكون مزعجة كذلك، وهذه الوضعية غير مناسبة للعمود الفقري لأنه ليس مستقيمًا وإما يحوى على انثناءين رقبى وقطبي كما تؤدي عند الأطفال إلى تفلطح الرأس إذا اعتادها لفترة طويلة.
أما النوم على الشق الأيسر.. فهو غير مقبول أيضًا لأن القلب حينئذ يقع تحت ضغط الرئة اليمنى، والتي هي أكبر من اليسرى مما يؤثر في وظيفته ويقلل في نشاطه وخاصة عند المسلمين، كما تضغط المعدة الممتلئة عليه فتزيد الضغط على القلب والكبد الذي هو أثقل الأحشاء لا يكون ثابتًا بل معلقًا بأربطة وهو موجود على الجانب الأيمن فيضغط على القلب وعلى المعدة مما يؤخر إفراغها.

=





* ثم اجتهد في تصحيح نيتك عند نومك، بأن تنام مبكرًا، وعلى طهارة متبعًا في ذلك نبيك، وأوصيك ألا تنام إلا ووصيتك مكتوبة^(١)، واحرص أن تنوى الاستعداد لقيام الليل وإدراك صلاة الفجر في المسجد جماعة.. فإذا نويت قيام الليل صادقًا ولم يُقدر لك أن تقوم من نومك فأبشر، فإن رسول الله ﷺ قال: «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل

فقد أثبت التجارب التي أجراها (غالتين ولوتسيه) أن مرور الطعام من المعدة إلى الأمعاء يتم في فترة تتراوح بين ٥.٢ - ٥.٤ ساعة إذا كان النائم على الجانب الأيمن، ولا يتم ذلك إلا في ٥ - ٨ ساعات إذا كان على جانب الأيسر.

إذن فالنوم على الشق الأيمن هو الوضع الصحيح لأن الرئة اليسرى أصغر من اليمنى فيكون القلب أخف حملًا ويكون الكبد مستقرة لا ملصقة والمعدة جائمة فوقها بكل راحتها وهذا كما رأينا أسهل لإفراغ ما بداخلها من طعام بعد هضمه..

كما يعتبر النوم على الجانب الأيمن من أروع الإجراءات الطبية التي تسهل وظيفة القصبات الرئوية اليسرى دون اليمنى لأن قصبات الرئة اليمنى تدرج في الارتفاع إلى الأعلى حيث إنها مائلة قليلًا مما يسهل طرحها لمفرزاتها بواسطة الأهداب القصبية أما قصبات الرئة اليسرى فإنها عمودية مما يصعب معه طرح المفرزات إلى الأعلى فتتراكم تلك المفرزات في الفص السفلى مؤدية إلى توسع القصبات فيه والذي من أعراضها كثرة طرح البلغم صباحًا، هذا العرض قد يترقى مؤديًا إلى نتائج وخيمة كالإصابة بخراج الرئة والداء الكلوي وإن من أحدث علاجات هؤلاء المرضى وهو النوم على الشق الأيمن.. [راجع مجلة الهدي النبوي العدد (٧٥٦) الربيعان ١٤٢٦هـ، أبريل ٢٠٠٥م ص ٤٨]، وأنصح بمراجعة كلام ابن القيم -رحمه الله- وذلك عند حديثه على فوائد النوم على الشق الأيمن، وذلك في كتابه (زاد المعاد في هدي خير العباد)، تحقيق الشيخ/ شعيب الأرنؤوط والشيخ/ عبد القادر الأرنؤوط (١/ ١٥٧، ١٥٨، ط. مؤسسة الرسالة).

فانظروا.. يا شباب الإسلام إلى بركة اتباع السنة.. فياليت الشباب جميعًا، وشباب الجامعات - خصوصًا - يُسارعون إلى تطبيق هدي الرسول ﷺ في كل أمور حياتهم، قال الله - سبحانه: «وإن تطيعوه تهتدوا...».

(١) وأنصح نفسي وأخي القارئ الكريم أن تقتدي بعلمائنا الكرام الأطهار الأبرار، ممن كتبوا وصاياهم قبل مماتهم، فكانت نعم الوصايا، فعلى سبيل المثال يمكنك مطالعة نموذج لوصايا العلماء، كما في: (الوصية) للإمام أبي محمد الموفق عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، تحقيق: أم عبد الله بنت محروس العسلي ط. دار تيسير السنة - القاهرة.



فغلبته عيناه حتى الصبح، كتب له ما نوى، وكان نومه صدقةً عليه من ربه^(١).
 * وإن كنت لا تطمع أن تستيقظ قبل الفجر، فصلّ قيام الليل، وأوتر قبل أن تنام، وإن
 أجبت من أول الليل فلا بأس أن تنام ولكن يستحب لك الوضوء.
 فإذا تقلبت على فراشك بالليل فقل: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ
 الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا
 قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، ثم قل: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»، أو ادعُ الله - بِمَا فَتَحَ عَلَيْكَ - فَإِنَّهُ يُسْتَجَابُ لَكَ، فَإِنْ
 قُمْتَ فَتَوَضَّأْتَ وَصَلَّيْتَ قُبِلَتْ صَلَاتُكَ^(٢)، كما صحَّ ذلك عن رسول الله.

وإذا رأيت حلم أو أضغاث أحلام فاستن بسنة نبيك ﷺ
 فانث عن يسارك - (ثلاثاً)^(٣).

واستعد بالله من الشيطان ومن شر ما رأيت^(٤).

ولا تحدث أحداً بما رأيت^(٥).

وتحول عن جنبك الذي كنت عليه^(٦).

أو قم وصلّ إن أردت ذلك^(٧).

أما إذا رأيت رؤيا صالحة فاحمد الله تعالى - فهي (من عاجل بشرى المؤمن)، وأخبر بها

(١) صحيح ابن خزيمة (١١٧٢)، الحاكم (٣١١/١)، والنسائي، وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٦٠٠)،
 وصحيح أبي داود (١١٨٧).

(٢) رواه البخاري (١١٢٦) من حديث عبادة بن الصامت.

(٣) لما ثبت عند الإمام مسلم في حديث (٢٢٦١).

(٤) لما ثبت عند الإمام مسلم (٢٢٦٢).

(٥) لما ثبت عند الإمام مسلم (٢٢٦٣).

(٦) لما ثبت عند الإمام مسلم (٢٢٦١).

(٧) رواه مسلم (٢٢٦٣).





مَنْ تَحِبُّ.

(غير أنني أنصحك ألا تبني حكمًا شرعيًا على رؤية أو حلم)^(١).

فإذا استيقظت من نومك فقل: «الحمد لله الذي أحيانا بعد مع أمانتنا وإليه النشور»^(٢).

* فإذا استيقظت من نومك، وكانت بك حاجة لدخول الخلاء (المرحاض) فينبغي أن

تراعي الآتي:

١ - الاستتار والبعد عن أعين الناس.

٢ - ألا تستصحب معك شيئًا فيه اسمُ الله.

٣ - أن تقول قبل الدخول بسم الله، اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث..^(٣)

٤ - أن تقدم رجلك اليسرى في الدخول، مع عدم استقبال القبلة أو استدبارها عند

العودة لقضاء الحاجة.

٥ - ألا تتكلم حال قضاء الحاجة كما يفعل بعض الشباب في المدارس والنوادي والمدن

الجامعية، فإن عطست فاحمد الله بقلبك دون لسانك، ولا بأس بالكلام لحاجة كإرشاد أحد،

أو طلب ماء فإنه يباح للضرورة..

٦ - ألا تُطْلُ القعود.

٧ - أن تستنجي بيدك اليسرى، ويكون صب الماء باليمنى^(٤)، مع مراعاة ألا تستنجي

(١) انتشرت ظاهرة تفسير الأحلام بشكل مرضي، وتقوم بعض القنوات الفضائية باستضافة أناس غير متخصصين لتفسير الأحلام بغير علم أو دراية، ألا فليعلم الجميع أن تفسير الأحلام له أدواته وشروطه، ومن أراد التوسع فليراجع «تفسير الأحلام» لابن سيرين - خاصة - طبعة مكتبة الحرمين بالقاهرة، والقواعد الحسنى في تأويل الرؤى - جمع / عبد الله السدحان، وغاية السقيا في تعبير الرؤيا، د/ أحمد فريد.

(٢) رواه البخاري (١١/١١٣)، ومسلم (٢٧١١).

(٣) البخاري (١٤٢)، ومسلم (٣٧٥).

(٤) الأصل أنه يجزئ الاستنجاء بأحد شيتين:

=



بيمينك، وألا تمس الفرج بيمينك، وأن تغسل يديك بالصابون، وانضح فرجك وسراويلك بالماء بعد البول لدرء الوسواس^(١).

٨- أن تقدم الرجل اليمنى في الخروج، وأن تقول: «غفرانك»^(٢).

* أما إذا أصبحت جُنْبًا (أي خرج منك المني ولو بالاحتلام)، وأردت الاغتسال فهذه صفة الغسل كما جاءت في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ:

١- أَذْهَبُ الْأَذَى عَنْ فَرْجِكَ بِالْغَسْلِ.

٢- انْزِعِ رِجْلَكَ مِنَ الْخُزْجِ، وَلَا تَتَلَفُظْ بِلسَانِكَ.

٣- ثم اغسل يديك لإزالة ما قد يكون علق بهما، ثم اغسل فرجك بالصابون ثم اغسل يديك مرة أخرى بعد غسل الفرج بالصابون ونحوه.

٤- توضأ وضوءك للصلاة (ويجوز تأخير غسل الرجلين).

٥- أفضِ الماء على رأسك ثلاث مرات حتى يبلغ أصول الشعر، ثم شقك الأيمن من أعلاه إلى أسفله، ثم شقك الأيسر كذلك، ثم اغسل رجلك إن لم تكن غسلتها في الوضوء قبل الغسل.

١- الحجارة ونحوها من كل جامد مزيل للنجاسة.

٢- الاستنجاء بالماء - وهو الأفضل.

واعلم -أخي الكريم- أنه لا يُستنجى من خروج الريح ولا يلزم الاستنجاء قبل الوضوء قال ابن قدامة: لا نعلم في هذا خلافاً.

راجع: (المغني) للإمام ابن قدامة (١/٢٠٦) ط. هجر.

(١) مَنْ أَتَى بِمَرَضٍ سَلَسَ الْبَوْلَ وَنَحْوَهُ فَإِنَّهُ يَسْتَنْجِي لِكُلِّ صَلَاةٍ، ثُمَّ لَا يَضُرُّهُ مَا نَزَلَ مِنْهُ مَا لَمْ يَدْخُلْ وَقْتُ الصَّلَاةِ الْآخَرَى، وَهَذَا أَصَحُّ قَوْلِي الْعُلَمَاءِ.

(٢) أخرجه الترمذي (٧)، وأبو داود (٣٠) وأحمد (١٥٥/٦). والحديث حسن لغيره.

فائدة: اجتنب قضاء الحاجة في طرق الناس ومستظلهم، واجتنب التبول في مكان الاغتسال (كالبايو مثلاً)، واجتنب التبول في الماء الذي لا يجري.





٦- أفض الماء على سائر جسدك بادئاً بشقك الأيمن ثم الأيسر.

- وبهذا يرتفع عنك الحدث الأكبر والأصغر^(١) ويحق لك أن تصلي، ما لم تحدث أثناء الغسل، فإن أحدثت أثناء الغسل بطل وضوءك، وغسلك صحيح، وعليك أن تتوضأ للصلاة^(٢).

* أما إذا أردت الوضوء، فهذه صفته على النحو الذي صَحَّ به الأحاديث عن رسولك ﷺ:

١- استحضر النية لرفع الحدث الأصغر في قلبك، ولا تحرك بها لسانك^(٣)، ثم قل: بسم الله.

(١) قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: المتني هو الذي منه الغسل، وأما الودي والمذي فقال: اغسل ذكرك -أو مذاكيرك- وتوضأ وضوءك للصلاة (إسناده صحيح راجع البيهقي ١/ ١١٥).

(٢) راجع برنامج عمل اليوم والليلة، تأليف د/ عبد العظيم بدوي، ص ١٦، ط. دار الكتاب المنير، وراجع رسالة «الإصابة في صفة غسل النبي من الجنابة» لأبي عبد الله / محمد العفيني ص ١٥ ط. مكتبة دار الهدى النبوي.

(٣) ولك أن تستحضر عددًا من النوايا قبل الوضوء والطهارة ومن ذلك:

أن توصف بالإيمان فلا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن.

أن تبعث يوم القيامة بنور في وجهك وأطرافك من آثار الوضوء.

أن تتعرف عليك النبي ﷺ بآثار الوضوء.

أن تسقط ذنوبك مع قطرات الماء لتخرج نقيًا من الذنوب كهيئة يوم ولدتك أمك.

أن تدخل الجنة بمحافظتك على الطهارة.

أن تفتح أبواب الجنة الثمانية إذا توضأت.

أن يرفع الله درجاتك في الجنة بإسباغك للوضوء رغم المكاره.

أن يكون الوضوء مفتاحًا للخشوع في الصلاة.

أن يدعو لك الملك طوال الليل إذا نمت على طهارة.

راجع (نوايا) إعداد/ طلال فاخر ص ١٤، ١٥ ط. مكتبة الإمام الذهبي بالكويت - الطبعة السابعة - أكتوبر ٢٠١٤م.



٢- اغسل كفيك ثلاث مرات، وخلل بين الأصابع، وتعاهد ما تحت الأظفار، واعلم أنه لا يصح وضوء المرأة إذا كان على أظفارها الطلاء المعروف بـ(المانكير) حتى تزيله، كذلك لا يصح الوضوء إذا كان هناك مانع يمنع وصول الماء إلى البشرة. فاعلم ذلك وعلمه إخوانك وزملائك.

٣- خذ الماء بيمينك فاجعله في فمك وأنفك من غرفة واحدة فتمضمض [ثلاث مرات]، واستنشق [ثلاث مرات]، ثم استنثر بيسارك (ثلاث مرات) وأما الاستنثار - هو إخراج الماء الداخل للأنف بالاستنشاق - ويكون باليد اليسرى.

٤- اغسل وجهك كله ثلاثاً - من منبت الشعر إلى أسفل اللحية طوياً، وعرضاً ما بين شحمتي الأذنين.

٥- اغسل يديك اليمنى ثم اليسرى من رؤوس الأصابع إلى ما فوق المرفقين ثلاث مرات، مبتدئاً باليمنى.

٦- امسح رأسك كله مدبراً ومقبلاً، والسنة أن تضع يديك المبلولتين على مقدم الرأس ثم ترجع بهما إلى القفا، ثم تردّهما، ثم امسح أذنيك ظاهرها وباطنها مرة واحدة.

٧- اغسل رجليك من رؤوس الأصابع إلى الكعبين (ثلاث مرات) مبتدئاً بالرجل اليمنى، مع تخليل أصابع القدمين.

٨- إن كنت لابساً خفين أو جوربين على طهارة فامسح عليهما، واعلم أن الرخصة للمقيم أن يمسح عليهما يوماً وليلة [ما لم تُصبه جنابة، أو ينزعهما]، وللمسافر ثلاثة أيامٍ بلياليهن، واعلم أن ابتداء المدة من أول مرة تمسح فيها بعد الحدث^(١).

(١) تقرر أن مدة المسح للمقيم يوم وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليهن، فمتى يبدأ حساب هذه المدة؟ لأهل العلم في هذا أقوال:

=





٩- فإذا فرغت من وضوءك فقل: «أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله^(١)، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين^(٢)، سبحانه اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك^(٣)».

* واعلم أنه لم يصح عن رسول الله ﷺ شيء من هذه الدعوات التي يدعو بها الكثير من الناس على أعضاء الوضوء، كقولهم: «اللهم بيّض وجهي، اللهم أعطني كتابي بيمينتي، اللهم حرم شعري وبشري على النار ونحو ذلك..، كذلك فاعلم أنه ليس من شروط الوضوء الاستنجاء قبله، فإن كانت بك حاجة من غائط أو بول فاقضها واستنج، وإن لم يكن بك حاجة فتوضأ، ولا تُلزم نفسك دخول الخلاء، وليست بك حاجة^(٤)»..

- كذلك فاعلم أن الاستنجاء إنما يجب مما خرج من السبيلين - القبل والدبر - من بول

الأول: يبدأ أول حدث بعد اللبس، وهو قول سفيان الثوري والشافعي وأبي حنيفة وأصحابه، وظاهر مذهب الحنابلة.

الثاني: يبدأ من وقت اللبس، وهو قول الحسن البصري.

الثالث: أنه يمسح خمس صلوات (أو خمس عشرة صلاة للمسافر) لا يمسح أكثر من ذلك، وهو مذهب الشعبي وإسحاق وأبي ثور وغيرهم.

الرابع: يبدأ من حين أول مسح بعد الحدث: وهو قول (أحمد بن حنبل) والأوزاعي واختاره النووي وابن المنذر وابن عثيمين، وهو الراجح لظاهر قول النبي ﷺ: «يمسح المسافر ويمسح المقيم».

ولا يمكن أن يصدق عليه أنه ماسح إلا بفعل المسح، ولا يجوز العدول عن هذا الظاهر بغير برهان.

راجع (المحلى) لابن حزم (٢/ ٩٥) ط. دار التراث، وكتاب (مسائل أحمد بن حنبل) لأبي داود السجستاني، تحقيق أبي معاذ طارق عوض الله، ص ١٧، ط. مكتبة ابن تيمية القاهرة، وتيسير مسائل الفقه شرح الروض المربع تأليف د/ عبد الكريم بن علي بن محمد النملة ١/ ١٤٦، ط. مكتبة الرشد ناشرون.

(١) أصل الحديث رواه مسلم (٢٣٤)

(٢) زيادة «اللهم اجعلني..» فقد رواها الترمذي (٥٥)، وانظر إلى تعليق الشيخ/ أحمد شاكر على الترمذي (١/ ٧٧:

٨٣) وصححها الألباني في الإرواء (١/ ١٣٥).

(٣) رواه النسائي في الكبرى (٩٩٠٩) والحاكم (١/ ٥٦٤).

(٤) أنصح بالاطلاع على (٩٩ خطأ من أخطاء الطهارة) تأليف الشيخ/ وحيد عبد السلام بالي ضمن كتاب «الكلمات

النافعة في الأخطاء الشائعة» من ص ٦٧ إلى ص ١٥١ ط. دار ابن رجب.



أو غائط أو دم، أو مذي، أو غير ذلك، وأما خروج الريح فإنه لا يوجب الاستنجاء.
- وبهذا يرتفع عنك الحدثان الأكبر والأصغر، ويحق لك أن تصلي، ما لم تحدث أثناء الغُسل، فإن أحدثت أثناء الغسل بطل وضوءك، وغُسلك صحيح، وعليك أن تتوضأ بعد الغُسل للصلاة.

الحذر.. الحذر

- وأحذرك - أخي الشاب - من وساوس الشياطين، - خاصة - في باب الطهارة حيث إن كثيرًا من الناس قد يصاب بوسواس الشك في الطهارة، ومن مظاهر هذا الوسواس غسل الأعضاء في الوضوء أكثر من ثلاث مرات، والإسراف في الماء، وإعادة الوضوء مرات ومرات بحجة عدم التيقن من كمال الطهارة، وقد يوسوس الشيطان للإنسان في صلاته فيوهمه أن وضوءه قد انتقض..

* والواجب على المسلم في هذه الحالة ألا يلتفت لهذه الوسواس وتلك الهواجس، وأن يعلم أن اليقين لا يزول إلا بيقن مثله.. فقد شكى إلى رسول الله ﷺ الرجل الذي يخيل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة، فقال: «لا ينفتل أي لا يخرج من الصلاة حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا»^(١).

- فإذا تطهرت كما وصفت لك، وصليت ما شاء الله لك من الركعات، ثم أوترت، فلا تنس دعاء التهجد: اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق،

(١) رواه البخاري (١٣٧)، ومسلم (٣٦١)، وأنصح من ابتلى بمرض «الوسواس» بقراءة كتاب «علاج الوسواس القهري» للشيخ/ عمرو عبد المنعم سليم ط. دار الضياء، وكتاب «الوسوسة» للشيخ/ فؤاد سراج عبد الغفار ط. دار الفضيلة.





ووعدك حق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»^(١) فاجلس واستغفر الله حتى طلوع الفجر، فإذا سمعت المؤذن يؤذن لصلاة الفجر فقل مثل ما يقول، ثم صلّ على محمد ثم قل: «اللهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعته مقامًا محمودًا الذي وعدته»^(٢).

ولا تنسَ الدعاء لنفسك وأهلك وللمسلمين بالخير بين الأذان والإقامة^(٣).
* ثم اجتهد - أخي الشاب - أن تشهد مع المسلمين صلاة الفجر، إذ أن لصلاة الفجر فضلًا عظيمًا وثوابًا جزيلاً، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري (١/١٥٢).

(٣) ولا تنس استحضار هذه النوايا..

عند الخروج إلى الصلاة يمكنك أن تنوي:

أن يكتب الله لك بكل خطوة عشر حسنات، وأن يرفعك الله درجات، ويمحو عنك خطيئات.

أن يكتب الله لك بكل خطوة صدقة.

أن تنوي أنك في صلاة ما دمت خارجًا إلى الصلاة.

أن تنوي أنك في زيارة الكريم - سبحانه - وهو خير من يكرم زائره.

أن يعد الله لك نزلًا وضيافة في الجنة.

وأن يتبشش الله لك كما يتبشش أهل الغائب بغائبهم.

أن تحصل أجر الحاج المحرم.

أن تكون ضامنًا على الله، فمن خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله - إن عاش رزق وكفى وعاش بخير، وإن

مات بخير وأدخله الله الجنة.



﴿٧٨﴾ [الإسراء: ٧٨]، أي: وأتم قرآن الفجر، والمراد: صلاة الصبح، وصلاة الصبح تطول فيها القراءة، ﴿إِنْ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا﴾ أي تشهد الملائكة، ملائكة الليل وملائكة النهار^(١)، وقال ﷺ: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»^(٢)، ثم قال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣]، وقال ﷺ: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ: صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهَا لَأَتَوْهَا وَلَوْ حُبًّا»^(٣)، قال النووي: «وهذا الحديث في الحث العظيم على حضور هاتين الصلاتين جماعة»^(٤)، وفيه شهادة للمواظب عليها بأنه من أهل الإيمان^(٥). وقال رسول الله ﷺ: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله»^(٦).

* ونستطيع الجزم أن صلاتي العشاء والفجر في جماعة أولى من قيام الليل، وإن كان قيام الليل سيضيع على المرء صلاة الفجر في جماعة فعليه أن يقوم من الليل ما يُقَدَّرُ معه أنه سيقوم - بإذن الله - لصلاة الفجر والأصل في ذلك غلبة الظن، فلقد مرَّ عُمرُ رضي الله عنه يومًا من رمضان على الشفاء بنت عبيد الله: قال: «أين سليمان؟ - ابنها -، قالت: نائم، قال: ما شهد صلاة الصبح؟ قالت: لا قام بالناس الليلة ثم جاء، فضرب برأسه فنام، فقال عمر: شهدت صلاة

(١) راجع تفسير الطبري (١٧/ ٥٢٠) ط. دار المعارف.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم (١/ ٤٥١، ٤٥٢)، وعند البخاري بلفظ قريب حديث برقم (٦٥٧).

(٤) شرح مسلم (٤/ ١٨٥).

(٥) راجع [الفضائل العشر لشهود الفجر]، تأليف الشيخ/ مجدي قاسم ص ١٤، ط. مكتبة الإيمان بالمنصورة.

(٦) رواه مسلم (٦٥٦).





الصبح أحبُّ إلىَّ من قيام ليلة حتى الصبح»^(١).

وقال ﷺ: «تفضل صلاة الجميع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءاً، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر»، وقال ﷺ: «لن يُلج النار أحدٌ صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها»^(٢)، يعنى [الصبح والعصر].

كيف تصلى الفجر؟

- ١- عليك بتقوى الله ومراقبته وخشيته والحذر من أليم عقابه، وعظيم سخطه.
- ٢- تَصَوَّرَ ما أعدَّه الله للمتقين والمحافظين على هذه الصلاة العظيمة من الثواب الحسن والعاقبة الحميدة.
- ٣- أن تطلب من أحد أقاربك أو أصدقائك أو جيرانك أن يوقظك لصلاة الفجر.. (وأن تتعاونوا جميعاً في عمل حملة دعوية بعنوان «صحيني شكراً» لإيقاظ الناس لصلاة الفجر.
- ٤- استعمل الساعة المنبهة، بحيث تكونُ على مسافة مناسبة بحيث لا تكون بعيدةً فلا تسمعها، ولا تكون قريبةً فتغلغها.
- ٥- أن توجد في نفسك الهمة والنية الصادقة للقيام للصلاة.
- ٦- ألا تنام وأنت شبهانٌ جدًّا؛ لأنَّ الشبع الزائد يُكسِّل عن القيام.

(١) رواه مالك (١/١٣١)، وابن أبي شيبة (١/٣٦٧، ٣٦٨) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٢١).

(٢) متفق عليه.

بشريات

* فإذا أخذت بأسباب الاستيقاظ لصلاة الفجر، فلم يُقَدَّرْ لك إدراكها فاعلم أن من رحمة الله تعالى وجزيل فضله وعطائه.. أن من كانت عاداته المحافظة على صلاة الفجر جماعة، ثم تَعَدَّرَ عليه ذلك يوماً ما لعذرٍ من الأعذار فصلّى منفرداً: كُتِبَ له ثواب الجماعة بالنية شريطة أن يكون قد ترك صلاة الفجر لعذر شرعي مقبول [كالنوم، والمرض، والسفر البعيد، والخوف الشديد من قتل أو بطش] لقوله ﷺ: «إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ، كَتَبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ، مُقِيمًا صَحِيحًا»^(١)، كذلك مَنْ تَوَضَّأَ للصلاة فتأخر لتجويد الوضوء، فذهب إلى المسجد، فوجد الجماعة قد انتهت فله أجر ما نوى، يدل على ذلك قوله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ رَاحَ، فَوَجَدَ النَّاسَ قَدْ صَلَّوْا، أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ مَنْ صَلَّاهَا وَحَضَرَهَا، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئًا»^(٢).

فإذا ما يَسَّرَ الله لك أسباب أداء صلاة الفجر فأوصيك أن تخرج من بيتك قاصداً المسجد الذي تقام فيه السنن، والأولى والأفضل أن يكون المسجد خالياً من القبور والأضرحة^(٣)، ولا تَسْأَلْ أن تقول عند خروجك من بيتك: «بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(٤) ثم قل في أثناء سيرك إلى المسجد: «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، واجعل

(١) رواه البخاري (٢٩٩٦).

(٢) أخرج أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٦٣).

(٣) راجع في ذلك: كتاب تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، للشيخ/الألباني - رحمه الله - فقد أجاد فيه وأفاد، وانظر كتاب «المنار المنيف من فتاوى علماء الأزهر الشريف» ط. دار اليسر - خاصة - فتاوى علماء الأزهر الشريف حول الموالد والقبور والأضرحة.

(٤) رواه أبو داود ٣٢٥ / ٤، والترمذي (٤٠٩ / ٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٥١ / ٣).





من خلفي نورا، واجعل من أمامي نورا، واجعل من فوقني نورا، ومن تحتي نورا، اللهم أعطني نورا»^(١)، ويستحب لك التطهر قبل الخروج إلى المسجد لقوله ﷺ «من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداهما: تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة»^(٢).

* كذلك فاحرص على التحلي بالسكينة والوقار في أثناء مشيك إلى المسجد، ولا تسرع الخطى حتى وإن سمعت الإقامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا أقيمت الصلاة، فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وأنتم تمشون، وعليكم بالسكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا»^(٣).

وبادر بالوصول إلى المسجد مبكراً، وادخل المسجد بيمينك قائلاً: «بسم الله، اللهم صل على محمد»^(٤) «اللهم افتح لي أبواب رحمتك»^(٥).

حسنيات كالجبال

* في طريقك إلى المسجد أوصيك أن تستحضر عددًا من النوايا ليعظم أجرك مثل: إيقاظ أهلك وجيرانك لإدراك صلاة الفجر^(٦).

(١) رواه البخاري (٦٣١٦)، ومسلم (٥٣٠)، (٧٦٣).

(٢) رواه مسلم (٦٦٦).

(٣) متفق عليه.

(٤) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٨٨) وله شواهد، وانظر صحيح الكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيمية (تحقيق) الشيخ / الألباني ص ٦٣ ط. المكتب الإسلامي.

(٥) رواه مسلم (٧١٣).

(٦) أخي الشاب.. أعلم أن من مظاهر الإيمان الكامل أن يحب المسلم للمسلمين -عمومًا- ولجيرانه -خصوصًا- ما يحبه لنفسه.. وعليه فلا تنس أن الجوار يقتضي حقًا وراء ما تقتضيه أخوة الإسلام، فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم، وزيادة بالمجاورة فهذه وصية الله لك في كتابه الكريم ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ﴾



سَيِّئًا ۖ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا ۚ وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ
وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴿٣٦﴾

[النساء: ٣٦].

فتعاهد جيرانك وأحسن إليهم - أيها الأخ الحبيب، ولا تنس دعوتهم إلى صلاة الفجر، فأيقظ مَنْ استطعت من جيرانك ليشهدوا صلاة الفجر معك في المسجد..

وإليك هذا الاقتراح العملي لدعوة جيرانك لصلاة الفجر:

الاقتراح الأول: اكتب لائحة كبرى في مدخل العمارة التي تسكن فيها.. واكتب عليها:

* إذا كنت لا تستطيع أن تقوم لصلاة الفجر وحدك، فما عليك إلا أن تكتب اسمك ورقم هاتفك لتتمكن من الاتصال بك لإيقاظك لصلاة الفجر.

الاقتراح الثاني: أن تطرق جرس كل باب طرقاً خفيفاً يوقظ النائم ويُسمع اليقظان لتوقظ مَنْ استطعت من جيرانك لصلاة الفجر.

وإياك الوسوس الشيطانية التي قد تأتيك فتقول لك: ما لك أنت، وما للناس، مَنْ أراد أن يقوم للصلاة فسيقوم!!
والجواب: من عدة وجوه:

(١) اعلم أن دعوتك لجيرانك أمر متعين عليك، ليس نفلاً أو شيئاً مستحباً..

(٢) هذا الذي تزعمه لم يكن معروفاً في حياة السلف، ولا في سيرهم؛ لأن نفوسهم كانت مشبعة بروح الإيمان، وكان الإسلام هو الجو الذي يعيش فيه المسلمون يتنافسون في الخير، ويسارعون إلى القيام بحقوق كل ذي حق، ومن هذه الحقوق وأعظمها هو حق الجار، ومن حقوقه: نصيحته وتذكيره بالله - سبحانه وتعالى -.

* ولكن المدنية العلمانية، وتلك الحضارة التي قامت على المادة لا تساعد على معنى كريم ولا تعين على خلق فاضل، بل جعلت من الإنسان آلة يدور في فلك الحياة الصماء بدون شعور، ليؤدي الدور الذي رُسم له خالياً من العواطف النبيلة، والمعاني الإنسانية السامية..

ولم يفلت من ذلك المسخ إلا الذين غزت مبادئ الدين نفوسهم، وأضاءت أنوار المعرفة بالله قلوبهم...
فكن من أهل الحق الذين عرفوا ربهم وقاموا بأوامره، ولا تكن من هؤلاء الذين يدعون المدنية والتقدم - زعموا - ثم هم ينكصون على أعقابهم في كل ما يخص دينهم.

(٣) أنه قد يوجد من جيرانك رجلٌ متكاسل عن أداء الصلاة، ثم يهديه الله للمحافظة على هذه الصلاة ببركة دعوتك له..

(٤) أنك لن تخسر شيئاً، فإن لم يحافظ جيرانك على الصلاة، فلن تعدم أجر دعوتهم إلى الله - تعالى.

=





- وأن تكون في ذمة الله.
- تحصيل أجر قيام ليلة
- أن تكون من أهل البشارة بالنور التام يوم القيامة.
- أن تدخل الجنة بصلاة البردين.
- أن تبتعد عن صفات المنافقين.
- * إدراك تكبيرة الإحرام في المسجد مع الجماعة، وتكثير سواد المسلمين.
- * الالتقاء بعباد الله الصالحين.
- * كذلك من النوايا الصالحة: أن ترجو من ربك تحصيل أجر الذهاب إلى المسجد، والرغبة في الحصول على ثواب انتظار الصلاة بعد الصلاة.
- * الحرص على قراءة الأذكار الموظفة، والإكثار من الذكر المطلق.
- * تفقد أحول أهل المسجد.
- * رجاء الحصول على ثواب مجلس العلم بالمسجد.
- * الرجوع من المسجد وقد غفر الله للعبد.
- * إرشاد السائلين، وتعليم المحتاجين، والحرص على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، إن وجد ما يقتضي ذلك.
- * المحافظة على الجماعة طيلة حياته حتى تلقى ربك.
- * كذلك تنوي امتثال أوامر الله ورسوله بشهود صلاة الجماعة إذا هي معنى الدين وشعار الإسلام، كذلك تنوي عمارة بيوت الله - سبحانه - تعظيماً لما عظمه الله ورسوله ﷺ، كذلك تنوي الاعتصام بالله من شياطين الإنس والجن، - خاصة - وأن العبد آنذاك يكون في
-
- ه) أن في هذا تثبيتاً لك.. للمحافظة على صلاة الفجر.. «حيث إنك ستجد - بعد الله - معيماً ومذكراً إن أنت عقلت، أو ثقلت، أو غلبتك عينك يوماً عن صلاة الفجر».



ذمة الله.

* كذلك تنوي التشبه بالصالحين، ومخالفة سبيل الضالين المنافقين حتى تكون في ظل الله - سبحانه - يوم القيامة، ولتنال صلاة الله وملائكته عليه.

كذلك تنوي تحقيق أعظم مقاصد الإسلام وهي: الاستقامة، والتأليف بين قلوب المؤمنين، وحفظ مودتهم والمساواة بينهم.

* كذلك تنوي بالمحافظة على الجماعة تعود النظام وضبط النفس، وإظهار عز المسلمين، وإغاظة الكفار والمنافقين والعلمانيين ومن حذا حذوهم من المبغضين لأي شعار إسلامي.

* وقد يفتح الله عليك بنوايا أخرى صالحة خالصة فيتضاعف أجرك^(١).

* فإذا دخلت إلى المسجد فاعلم أنه يُستحبُّ لك ترديد الأذان سرًّا خلف المؤذن، ثم الصلاة على النبي وسؤال الوسيلة له بعد فراغ المؤذن، ثم قل: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته»^(٢)، ويستحب لك التسوك امتثالاً لسنة نبيك ﷺ، ثم يستحب لك أن تصلي ركعتين^(٣)، فإذا انتهيت من

(١) للتوسع راجع في ذلك كتاب «المدخل» لابن الحاج، ومقدمة كتاب «شرح بداية المتفقه» للشيخ/ وحيد عبد السلام بالي من ص٨، ص١٣ ط. دار ابن عمر، وانظر كتابه «الخلاصة البهية في ترتيب السيرة النبوية» ص٩، ص١٦ ط. دار ابن رجب.

كذلك انظر رسالة «حي على الفلاح» أربعون فائدة من فوائد صلاة الجماعة، بقلم: مسعد القحطاني ص٦، ص٩، ص١٢، ص١٤، ص١٩، بتصرف يسير (د. ت).

(٢) رواه البخاري (٦١٤).

(٣) «هل يمكن أن تتعدد النيات الشرعية للعمل الواحد؟»

والجواب: تعدد النيات يجوز - على الراجح - في الصور الآتية:

أ- في حالات الطاعات المطلقة مطلقاً، حيث اجتمعت مع طاعات مطلقة مثلها، أو طاعة مقيدة (فرض/ كفارة/ قضاء/ نذر/ نفل).

ب- في حالات تعدد النفل دون ديمومة أو توسع - (الاستخارة مثلاً) -، والله تعالى أعلم.

=





صلاتك وجلست تنتظر الإقامة فيستحب لك الإكثار من الدعاء، كما يستحب لك الإكثار من ذكر الله بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، ونحو ذلك من الأذكار.. حتى تقام الصلاة، فإذا أقميت الصلاة، فاحرص على أدائها بتمامها وكما لها مع الخشوع وحضور القلب، كذلك فالتزم بكل ما ثبت في صفة صلاته ﷺ.

وهناك مسألة أخرى: وهي أهمية التفريق بين تكلف الجمع بين النيات في العبادات في صورة العبادة الواحدة، وبين طلب الأجر المتعدد في صورة العبادة الواحدة. أما تعدد النيات في الصورة الواحدة فقد ذكرت حكمه، أما تعدد الأجر في الطاعة الواحدة. فممكن لحديث: «من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله، ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة» رواه مسلم (١٥٢١). وحديث أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجورهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فأمن به واتبعه وصدقه، فله أجران. وعبد مملوك أدى حق الله وحق سيده، فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاها، ثم أدبها فأحسن أدبها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران» رواه مسلم (٢٤١). [للتوسع في هذه المسألة .. راجع [النية وأثرها في الأحكام الشرعية] تأليف د/ صالح بن غانم السدلان (١/ ٣٧٥، ٣٧٦) ط. دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠١، وبحث «النية دراسة أصولية فقهية» تأليف د/ أحمد عبد الرحمن النقيب ص ١٠٢، ١١١، ١١٢، ١١٣ ط. دار طابة للدراسات والنشر - المنصورة، ومكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي. بالجيزة. وتتميمًا للفائدة:

اعلم أن سنة الفجر من آكد السنن الراتبة فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشد منه تعاهدًا على ركعتي الفجر» رواه البخاري (١٠٩٣)، ومسلم (١١٩١). وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها» رواه مسلم (٧٢٥) قال ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٣١٥): ولذا لم يدعها النبي ﷺ هي والوتر سفرًا ولا حضرًا. ولتنام الفائدة: فإن السنن الراتبة على النحو التالي: ركعتان قبل الفجر، وركعتان أو أربع قبل الظهر، وركعتان بعده، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء.

صفة الصلاة الصحيحة

* ملحوظة^(١):

إذ النبي ﷺ قال: «صلوا كما رأيتموني أصلي»^(٢)، وهذه هي صفة صلاته ﷺ كما وردت عنه في الأحاديث الصحيحة الثابتة أسوقها في نقاط^(٣):

- ١ - استحضر النية في قلبك، ولا تنطق بها.
- ٢ - ارفع يديك إلى منكبيك أو إلى فروع أذنيك، مكبراً «الله أكبر»، ثم ضع يدك اليمنى على اليسرى فوق صدرك، وارم ببصرك إلى موضع سجودك، وإياك والالتفات.
- ٣ - ثم اقرأ أحد أدعية الاستفتاح الواردة في الأحاديث ومنها «سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك، وتعالى جدك ولا إله غيرك»^(٤)، ومنها أيضاً: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني بالماء والثلج والبرد»^(٥).

(١) فمثلاً: عند القيام للصلاة فإنك تنوي:

- أن يتقبل الله أعمالك كلها، لأن هذا متوقف على الصلاة.
- أن تنوي أن الصلاة أفضل الأعمال.
- أن تنوي أن تكون الصلاة نوراً لك في الدنيا وفي القبر على الصراط.
- أن تكون سبباً لمغفرة ذنوبك.
- أن يرفع الله درجاتك.
- أن تنهاك عن الفحشاء والمنكر.
- أن تناجي الله تعالى.

(٢) رواه البخاري (٦٣١).

(٣) للاستفادة راجع: صفة صلاة النبي ﷺ، للشيخ/ الألباني - رحمه الله.

(٤) أخرجه أبو داود (٧٧٦)، والترمذي (٢٤٣)، والنسائي (١٣٢/٢)، وانظر إرواء الغليل (٣٤١).

(٥) متفق عليه.





- ٤- ثم استعذ بالله من الشيطان الرجيم واقرأ البسملة (سرًا).
- ٥- ثم اقرأ الفاتحة، واعلم أنه يُستحبُ فصلُ كل آيةٍ عن التي تليها، فإذا فرغت من الفاتحة فقل «آمين».
- ٦- ثم اقرأ ما تيسر لك من القرآن بعد الفاتحة، وفي الركعتين الأولى والثانية، وتجاوز القراءة بعد الثالثة والرابعة أحيانًا.
- ٧- ثم ارفع يديك حذو منكبيك أو إلى فروع أذنك وكبر للركوع قائلاً: «الله أكبر».
- ٨- فإذا ركعت فاجعل ظهرك مستقيمًا، مستويًا مع رأسك (ولا ترفع رأسك ولا تُنكسها) وامسك ركبتك بباطن كفيك، وفَرِّقْ بين أصابعك، وقل «سبحان ربي العظيم»^(١)، واعلم أن أقل التسييح ثلاث مرات، وإن شئت زدت قائلاً: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح»^(٢).
- ٩- ثم ارفع ظهرك قائلاً: «سمع الله لمن حمده» رافعًا يديك حذو منكبيك، أو إلى فروع أذنك، فإن اعتدلت قائمًا فقل: «ربنا ولك الحمد»، وإن شئت زدت «حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه»^(٣).
- ١٠- ثم كبر للِسجودِ قائلاً: «الله أكبر» واضعًا يديك قبل ركبتك، واجعلها نحو القلبة، ولا تُفَرِّقْ بين أصابعك، ولا تلصق ذراعيك بجنيبك، ولا تبسط مرفقيك على الأرض، ومَكِّنْ جبهتك وأنفك من الأرض، وضمِّ قدميك منصوبتين وأطراف أصابعهما نحو القلبة، وبذلك يكون عدد أعضاء السجود سبعة: «الجبهة - والأنف

(١) رواه الترمذي (٢٦٢)، وأبو داود (٨٧١) والنسائي (٢٢٦٣)، وابن ماجه (٨٨٨).

(٢) رواه مسلم (٤٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢/٢٣٧).



جزء منها - والكفان، والركبتان والقدمان» ثم قل «سبحان ربي الأعلى»^(١)، ثلاث مرات، «اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسره»^(٢)، وأكثر من الدعاء في السجود؛ فإنه أقرب إلى الإجابة كما ثبت عن نبينا ﷺ^(٣)، وأكثر من قولك: اللهم لك سجدت وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه، وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخلقين^(٤).

١١- ثم ارفع رأسك مكبرًا واجلس مفترشًا رجلك اليسرى، ناصبًا رجلك اليمنى، واجعل أصابعك نحو القبلة، ثم قل «اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني، وعافني وارزقني»^(٥)، أو «رب اغفر لي، رب اغفر لي»^(٦).
١٢- ثم كبر «الله أكبر» واسجد السجدة الثانية كالأولى.

١٣- ثم ارفع رأسك مبكرًا «الله أكبر»، ثم اعتدل جالسًا جلسة خفيفة قبل قيامك هي [جلسة الاستراحة]، وليس لها ذكر مخصوص وبذلك تنتهي الركعة الأولى.
١٤- ثم صل الثانية كالأولى، فإذا فرغت من الثانية، جلست مفترشًا اليسرى، ناصبًا رجلك اليمنى، واجعل أصابعها نحو القبلة، وابسط يديك اليسرى على فخذك

(١) أخرجه أبو داود (٨٦٩) وابن ماجه (٨٨٧)، وأحمد في مسنده (١٦ / ٧٧٣).

(٢) رواه مسلم (٤٨٣).

(٣) لما أخرجه مسلم في صحيحه (٤٧٩).

(٤) رواه مسلم (٧٧١).

(٥) رواه أبو داود (٨٥٠)، والترمذي (٢٨٤، ٢٨٥)، وابن ماجه وأصحاب السنن، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٨٨٩).

(٦) رواه النسائي (١١٤٥)، وابن ماجه (٨٩٧)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (١٠٦٩)، وانظر الإرواء (٣٣٥).





اليسرى ممدودة الأصابع نحو القبلة، وأما اليمنى فاقبضها، محلّقًا بالإبهام والوسطى رافعًا السبابة تشير بها، ثم اقرأ التشهد وصلّ على النبي ﷺ، فإن الصلاة عليه ﷺ في هذا التشهد مستحبة، وأصح ما جاء في صيغة التشهد «التحيات لله، والصلوات الطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله^(١)»، ثم تخير من الدعاء أعجبه إليك وادعُ ربه ربك - عز وجل -^(٢).

١٥ - أما في التشهد الأخير فإنك تقول الصيغة الفاتية، وتكملها قائلًا: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد» ثم تعوذ بالله من أربع، وقل: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»^(٣).
وقد ثبت أدعية أخرى بين التشهد والتسليم منها: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»^(٤).

(١) وقد ورد في صيغة التشهد روايات عدة، أصحابها تشهد ابن مسعود المتقدم، راجع بحث أخينا في الله/ عبد الله بن محمد جبر - حفظه الله تعالى - فقد جمع طرق هذه الروايات وبين حكم كل رواية، فجزاه الله خيرًا.
(٢) رواه البخاري (٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٦).
(٣) رواه البخاري (١٩٢/٣)، ومسلم (٥٨٨) واللفظ له.
(٤) رواه البخاري (٢٦٥/٢)، ومسلم (٢٧٠٥).



- ١٦- فإن كانت الصلاة ثنائية - أي ركعتين فقط - سلمت عن يمينك قائلاً: «السلام عليكم ورحمة الله، وعن يسارك كذلك».
- ١٧- أما إن كانت الصلاة ثلاثية أو رباعية، فإنك إذا قرأت التشهد - ودعوت بها شئت - قمت من جلوسك مكبراً، معتمداً بيدك على الأرض، ويُسنُّ في هذا الموضع رفع اليدين حذو المنكبين أو إلى فروع الأذنين، وتصنع في الركعة أو الركعتين كما صنعت في الأوليين.
- ١٨- فإذا جلست في الركعة الأخيرة، جلست متوركاً، (والتورك أن تلصق فخذك الأيسر بالأرض، وتخرج قدمك اليسرى من تحت فخذك اليمنى)، وتنصب اليمنى، ثم تقرأ التشهد، وتدعو ثم تُسلم.
- ١٩- فإذا فرغت من الصلاة فاعلم أنه يستحب لك الآتي:
- أولاً: يستحب لك أن تأتي بهذه الأذكار والأدعية، فتقول عقب الانتهاء من الصلاة:
- استغفر الله (ثلاثاً)، كيفيته: «استغفر الله، استغفر الله، استغفر الله».
 - اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام^(١).
 - اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك^(٢).
 - لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا

(١) رواه مسلم (٥٩١).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٠٨) والنسائي (٥٣/٣) بسندٍ صحيح.





مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا يمنع ذا الجد منك الجد^(١) (والجد هو الحظ في الدنيا بالمال أو الولد أو العظمة أو السلطان، والمعنى لا ينجيه حظه منها، بل ينجيه فضلك ورحمتك).

- لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون^(٢).

- قراءة آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ...﴾
الآية^(٣)، مع قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (ثلاثاً) بعد صلاتي الفجر والمغرب.

- التسبيح (ثلاثة وثلاثين)، والتحميد (ثلاثة وثلاثين)، والتكبير (ثلاثة وثلاثين)، وتجعل تمام المائة: «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير»^{(٤)(٥)}.

(١) رواه البخاري (١/٢٥٥)، ومسلم (٤١٤).

(٢) رواه مسلم (٥٩٤).

(٣) رواه ابن السني بسند حسن (٣٣).

(٤) راجع بحث «برنامج عمل اليوم والليلة» تأليف د/ عبد العظيم بن بدوي - ص ١٩ : ص ٣٠.

(٥) رواه مسلم (٥٩٧).



كذلك صَحَّ عن رسول الله ﷺ بعض الأدعية بعد الصلاة منها: «اللهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أُرَد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر»^(١)

وقوله ﷺ: «رب قني عذابك يوم تبعث عبادك»^(٢).

ثانيًا: كذلك فإنه يستحب لك الجلوس في المسجد بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس طلوعًا حسنًا، روى ذلك الإمام مسلم عن رسول الله ﷺ ، وهذه سنة غائبة في كثير من المساجد، فاحرص عليها حتى لو كنت وحدك، عسى أن يقتدي بك الآخرون، فيكون لك مثل أجورهم، وعليك بالانشغال بأذكار الصباح، ثم قراءة القرآن، فلقد قال رسول الله ﷺ: «من صلى الغداة في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين، كان له كأجر حجة وعمره تامة تامة تامة»^{(٣)(٤)}.

(١) البخاري (٢٨٢٢).

(٢) مسلم (٧٠٩).

(٣) رواه الترمذي (٥٨٦)، والبعوي في شرح السنة (ح ٧١٠)، وحسنه الشيخ الألباني - رحمه الله - في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٦٠، ح ٤٤٦، ٤٦٧).

(٤) راجع بحث «برنامج عمل اليوم والليلة» تأليف د/ عبد العظيم بن بدوي - ص ١٩ : ص ٣٠.



أوقات للسير إلى الله

يقول الحافظ ابن رجب - رحمه الله تعالى: إن هناك أوقاتاً تكون أوقاتاً للسير إلى الله تعالى بالطاعات: وهي آخر الليل، وأول النهار وآخره، وقد ذكر الله تعالى هذه الأوقات كما في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۖ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ۚ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾ [ق: ٣٩، ٤٠].

* فهذه الأوقات الثلاثة منها وقتان: وهما أول النهار وآخره، يجتمع في كل من هذين الوقتين عمل، وهما: البردان اللذان من حافظ عليهما دخل الجنة، وأما عمل التطوع فهو ذكر الله بعد صلاة الصبح، حتى تطلع الشمس، وبعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس، وقد وردت في فضل ذلك نصوص كثيرة^(١).

* ويحدثنا ابن القيم عن أهمية التشمير في وقت البكور، ويحذرننا من تضييعه بالنوم أو غيره فيقول: «ومن المكروه عند السلف: النوم بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، فإنه وقت غنيمة، وللسير في ذلك الوقت عند السالكين مزية عظيمة حتى لو ساروا طول ليلهم لم يسمحوا بالرقود في ذلك الوقت حتى تطلع الشمس، فإنه أول النهار ومفتاحه، ووقت نزول الأرزاق، وحصول القسم، وحلول البركة، ومنه ينشأ النهار، وينسحب حكم جميعه على حكم تلك الحصة، فينبغي أن يكون نومها كنوم المضطر...»^(٢).

(١) راجع كتاب المحجة في سيرة الدلجة، لابن رجب الحنبلي - رحمه الله، ص ٦٥، ط. دار البشائر الإسلامية.

(٢) تهذيب مدارج السالكين، ص ٢٤٨.

سلوك المسلم في بيته

ثالثاً: فإذا رجعت إلى بيتك فقل عند دخولك: بسم الله، ثم سلم على أهلِكَ، فإنك إن فعلت ذلك كان مطردة للشيطان من بيتك^(١).

ثم أوصيك بالاجتهاد في طاعة الوالدين وإدخال السرور عليهما: فإن هذا من البر بهما..^(٢)
قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]، كذلك فاحرص على طاعة الوالدين - عامة -، والأم - خاصة - إذ الله تعالى يقول: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ

(١) وذلك لعموم قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ [النور: ٦١] وعن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني إذا دخلت على أهلِكَ، فسَلِّمْ يكن بركة عليك، وعلى أهل بيتك» رواه الترمذي (٢٦٩٨) وقال: حديث حسن صحيح. وللتوسع .. راجع [الأدب الضائع .. بحث جامع في أحكام وآداب الاستئذان] للدكتور/ محمد إسماعيل المقدم ص ٢٠، ٢١ ط. الدار العالمية بالإسكندرية، ودار طبية الخضراء بالسعودية.

(٢) وأنصحك - أخي الكريم - باستحضار بعض النوايا الطيبة .. مثل:

* أن تبرّ والديك عملاً بوصية الله تعالى لك.

* أن تبر والديك باعتبار أن هذه قرابة من أقرب القربات لله تعالى.

* أن تبر والديك لأنها أولى الناس بحسن الصحبة.

* أن تنوي أن ترد إليهما شيئاً من فضلها وجميلها.

* أن تنوي ببرك أن برهما جهاد.

* أن الجنة تحت أرجلها.

* أن يبارك الله لك في رزقك وعمرك.

* أن يكفر الله عنك الذنوب والخطايا.

* أن يستجيب الله دعاءهما لك.

* أن يستجيب الله دعاءك.

* أن يرضى الله عنك.

* أن تنجو من العقوق لأنه من الكبائر.





أُمُّهُ، وَهَنَّا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَلُّهُ، فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿﴾ [لقمان: ١٤].

* قال السعدي - طيب الله ثراه: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ ﴾ أي: عهدنا إليه وجعلناها وصية عنده، سنسأله عن القيام بها، وهل حفظها أم لا؟

فوصيناه: ﴿بِوَالِدَيْهِ﴾ وقلنا له: ﴿أَشْكُرْ لِي﴾ بالقيام بعبوديتي وأداء حقوقي، ﴿وَلَوْلَايَكَ﴾ بالإحسان إليهما بالقول اللين والكلام اللطيف والفعل الجميل والتواضع لهما وإكراههما وإجلالهما، والقيام بمؤونتتهما، واجتناب الإساءة إليهما من كل وجه بالقول، والفعل، فوصيناه، بهذه الوصية وأخبرناه أن ﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾ أي: استرجع أيها الإنسان إلى مَنْ وَصَّاكَ، وكَلَّفَكَ هذه الحقوق، فيسألك هل قمت بها فيشيك الثواب الجزيل؟

فإن ضيعتها فيعاقبك العقاب الوبيل، ثم ذكر السبب الموجب لبر الوالدين في الأم فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ﴾، أي مشقة على مشقة، فلا تزال تلاقي المشقة من حين يكون نطفة حيث الوسم والمرض والضعف والثقل وتغير الحال، ثم وجع الولادة، ذلك الوجع الشديد.. أ.هـ^(١).

- وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أيَّ العمل أحبُّ إلى الله تعالى؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»^(٢).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «رَغِمَ أَنْفٌ، ثم رَغِمَ أَنْفٌ، ثم رَغِمَ أَنْفٌ، مَنْ

(١) راجع: تفسير تيسير الكريم الرحمن الشيخ السعدي، ص ٦٦٤، ط. المكتبة الإسلامية بالقاهرة.

(٢) متفق عليه.



أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلم يُدخل الجنة»^(١).

* ثم اجتهد في إعداد طعام الإفطار لك ولوالديك، ولتكن نيتك بهذا العمل أن تبرهما وأن تدخل السرور عليهما، ولتكن نيتك - أيضًا - دعوتها للالتزام بهدى النبي ﷺ في الطعام: ومن ذلك: ما ثبت عن النبي ﷺ كما في حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «.. سَمِ الله وكل بيمينك وكل مما يليك»^(٢)، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه» من ناحيته «ولا تأكلوا من وسطه»^(٣).

وعن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فإذا سقطت لقمة من أحدكم فليأخذها فليطم ما كان بها من أذى، ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان فإذا فرغ فليلق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة»^(٤)، ثم لتخبرهم أن من السنة تكثير الأيدي على الطعام كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة»^(٥).

* واحرص - أخي الشاب - على أن يكون الطعام حلالاً لا شبهة فيه، كذلك فاحرص على اجتناب [الثوم والبصل الكرات] - لا سيما - عند الذهاب إلى المساجد، واحرص على غسل يديك قبل الطعام وبعده، وعلى التسمية في بداية الطعام، وعدم الهجم على الطعام مع

(١) رواه مسلم (٢٥٥١).

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أبو داود (٣٧٧٢)، والترمذي (١٨٠٥)، وابن ماجه (٣٢٧٧)، وقال الترمذي حديث حسن صحيح، وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي: إسناده صحيح، [راجع سنن الترمذي] للإمام الحافظ محمد بن عيسى الترمذي، حكم على أحاديثه العلامة المحدث/ محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

(٤) رواه مسلم (٢٠٣٣).

(٥) متفق عليه.





الحرص على مضغه جيداً، فإن في هذا خيراً لك، وإياك والشبع، وقد قيل: [مَنْ شَبِعَ دَخَلَ عَلَيْهِ سِتُّ آفَاتٍ: «فَقَدْ حَلَاوَةُ الْمَنَاجَاةِ، وَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ حِفْظُ الْحِكْمَةِ، وَحُرِمَ الشَّفَقَةُ عَلَى الْخَلْقِ، وَثَقُلَ عَنِ الْعِبَادَةِ، وَزَادَتْ شَهْوَاتُهُ وَقَسَا قَلْبُهُ، وَكَثُرَ نَوْمُهُ»].

ويرحم الله عبد الواحد بن زيد إذ يقول: «مَنْ قَوَّى عَلَى بَطْنِهِ قَوَّى عَلَى دِينِهِ، وَمَنْ قَوَّى عَلَى بَطْنِهِ قَوَّى عَلَى الْأَخْلَاقِ الصَّالِحَةِ...»^(١).

نصيحة لك!!

وحتى تكسر حدة شهوة البطن فخذ بنصيحة الإمام ابن قدامة، حيث يقول: «مَنْ تَعَوَّدَ اسْتِدَامَةَ الشَّبَعِ فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقْلَلَ مِنْ مَطْعَمِهِ يَسِيرًا مِنَ الزَّمَانِ، إِلَى أَنْ يَقِفَ إِلَى حَدِّ التَّوَسُّطِ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوَاسِطُهَا، فَالْأُولَى: تَنَاوُلُ مَا لَا يَمْنَعُ مِنَ الْعِبَادَاتِ، وَيَكُونُ سَبَبًا لِبَقَاءِ الْقُوَّةِ، فَلَا يَحْسُ الْمَتَنَاوُلُ بِجُوعٍ وَلَا شَبَعٍ، وَحِينَئِذٍ يَصِحُّ الْبَدَنُ، وَتَجْتَمِعُ الْهَمَةُ، وَيَصْفُو الْفَكْرُ، وَمَنْ زَادَ فِي الْأَكْلِ أَوْرَثَهُ كَثْرَةَ النَّوْمِ، وَبِلَادَةَ الذَّهْنِ...»^(٢).

- ثم بعد تناول طعام الإفطار - بفضل الله - فإنه يُسَنُّ لَكَ أَنْ تَحْمَدَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ، لِحَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مَبَارَكًا فِيهِ غَيْرُ مَكْفَى وَلَا مَوْدَعٍ وَلَا مُسْتَغْنَى عَنْهُ رَبَّنَا»^(٣).

أو فليقل «الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقني من غير حول مني ولا قوة» فإنه من قال ذلك غفر له ما تقدم من ذنبه^(٤)، أو فليقل: «اللهم أطعمت وأسقيت وأغنيت وأقنيت

(١) راجع كتاب (رهبان الليل)، تأليف د/ سيد العفاني، (٢/ ٢١١)، ط. مكتبة ابن تيمية.

(٢) انظر (مختصر منهاج القاصدين) للإمام ابن قدامة المقدسي، ص ١٧٧، ١٧٨، ط. المكتب الإسلامي.

(٣) رواه البخاري (٥٤٥٨).

(٤) رواه أحمد (٤٣٩/٣)، وأبو داود (٤٠٢٣)، والترمذي (٣٤٥٨)، وابن ماجه (٣٢٨٥)، وفيه سهل بن معاذ، إلا أن الحديث له طرق أخرى، لذا حسنه الحافظ ابن حجر في أمالي الأذكار، والأرناؤوط كما في تحقيقه على رياض



وهديت وأحييت فلك الحمد على ما أعطيت»^(١).

* ثم قبل أن تغادر بيتك: فاطلب منهما الدعاء لك، وأخبرهما أن هذا فعل رسولنا ﷺ مع أبنائه وأحفاده ومع غيرهم، فلقد كان النبي ﷺ يدعو لأبنائه وأبناء المسلمين: قال النبي ﷺ في شأن الحسن بن علي رضي الله عنهما: «اللهم إني أحبه فأحبه»^(٢).

* وأخرج البخاري من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن ويقول: «اللهم إني أحبهما فأحبهما»^(٣).

* واحذر - أخي - أن تغضب والديك فإن أحدهما أو كلاهما قد يدعو عليك فتكون نتيجة هذا الدعاء عاقبة وخيمة وثمرة مرة، ففي حديث جابر أن رجلاً قال: لبيعه: شأ.. لعنك الله، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ اللاعن بغيره؟»، قال: أنا يا رسول الله، قال: «انزل عنه فلا تصحبنا بملعون.. لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم»^(٤).
فالحذر.. الحذر من إغضاب الوالدين بل اجتهد أن يدعوان لك لا عليك، فقد توافق دعوتها وقتاً يستجاب فيه الدعاء، فتستجاب دعوتها أو أحدهما فتجني العاقبة»^(٥).

الصالحين الحديث (٧٣٥) ط. مؤسسة الرسالة، وحسنه الألباني في صحيح الكلم الطيب رقم (١٤٨)، ط. مؤسسة الأنصار.

(١) والحديث أخرجه الطبراني (١٢٧/٨)، (٧٥١٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١١٨/٦) باختلاف يسير في الرواية، وقد حسنه الحافظ ابن حجر في الفتوحات الربانية (٢٢٥/٥)، والألباني في صحيح الكلم الطيب (١٤٩).

(٢) متفق عليه.

(٣) البخاري (٣٧٤٧).

(٤) مسلم (٣٠٠٩).

(٥) احذر - أخي المسلم - من عقوق الوالدين أو إغضابهما، واعلم أن عقوق الوالدين يعني شق عصا الطاعة لهما، وقطيعةتهما، وله مظاهر خطيرة، منها:

=





- ١ - إيكافؤهما وإحزانها سواء بالقول أو بالفعل، أو بالتسبب في ذلك.
- ٢ - نهرهما وزجرهما ولو برفع الصوت عليهما.
- ٣ - التأفف والتضجر من أوامرهما.
- ٤ - العبوس وتقطيب الجبين أمامهما.
- ٥ - النظر إليهما بحق أو ازدراء واحتقار.
- ٦ - أمرهما بأوامر.
- ٧ - انتقاد الطعام الذي يقدمانه لك.
- ٨ - ترك مساعدتهما في أعمال المنزل أو غيرها.
- ٩ - الإشاحة بالوجه عنهما إذا تحدثا.
- ١٠ - قلة الاعتداد برأيهما.
- ١١ - ترك الاستئذان حال الدخول عليهما.
- ١٢ - إثارة المشكلات أمامهما.
- ١٣ - ذم الوالدين عند الناس والقبح لهما، وذكر معاييبهما.
- ١٤ - مزاولة المنكرات أمام الوالدين (كشرب السجائر، واستماع آلات اللهو بحضرتهم، أو النوم عن الصلاة المكتوبة).
- ١٥ - تشويه سمعة الوالدين (وذلك باقتراف الأعمال السيئة، والأفعال الدنيئة التي تخل بالشرف، وتحرم المروءة، وربما قادت إلى السجن والفضيحة).
- ١٦ - إيقاعهما في الحرج (كمن يستدين أموالاً ثم لا يسدددها).
- ١٧ - السهر طويلاً خارج المنزل.
- ١٨ - الإثقال عليهما بكثرة الطلبات.
- ١٩ - تقديم طاعة الزوجة على طاعة الوالدين.
- ٢٠ - التخلي عنهما وقت الحاجة أو الكبر.
- ٢١ - التبرؤ منهما، والحياء من ذكرهما ونسبته إليهما.
- ٢٢ - التعدي عليهما بالضرب.
- ٢٣ - إيداعهم دور العجزة والمسنين.
- ٢٤ - هجرهما، وترك برهما، وترك نصحتها إذا كانا متلبسين ببعض المعاصي.
- ٢٥ - البخل والتقتير عليهما.
- ٢٦ - المنة وتعداد الأيدي على الوالدين.

=



(وقبل مغادرة المنزل)، ذاكر دروسك المقررة عليك، وأتقنها لتتفوق في دراستك.
فإذا انتهيت من مذاكرتك: وأردت أن تلبس لتستعد للنزول إلى جامعك وكليتك، فلا
تَنَسَّ الاستئذان بهدى رسولك أثناء ارتداء ملابسك: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله
ﷺ: «إذا لبستم وإذا توضأتم فابدأوا بأيمانكم»^(١)، ويستحب لك أن تلبس ثوباً أبيضاً،
واجتنب لبس الملابس الحريرية الخالصة، أو ملابس الشهرة الملفتة للنظر، واجتنب الذهب
بكل أشكاله وأنواعه «سواء كان خاتماً أو إسورة» والتي يُسميها الشباب «انسيال» كذلك
فاحذر لبس «السلاسل الذهبية»، أو «الحظازات...» فكل ذلك منهى عنه أشد النهى، كذلك
فأنصحك بالتواضع في اللباس والاقتصار على الرخيص والمتواضع منه.. حفاظاً على قلبك

٢٧- السرقة من الوالدين.

٢٨- الأئین وإظهار التوجع أمامهما.

٢٩- تمنى زوالهما، أو قتلها والتخلص منها.

للتوسع راجع ذلك في: (أخلاقنا الاجتماعية) للأستاذ/ مصطفى السباعي ص ١٦٦، ط. دار الوراق، و(بر الوالدين)
للأستاذ/ عبد الرؤوف الخناوي ص ١٤٣، ط. دار طيبة، و(السلوك الاجتماعي في الإسلام) للشيخ/ حسن أيوب
ص ٢٥٧، ٢٥٨، ط. دار السلام للطباعة والنشر، و(قرة العينين في فضائل بر الوالدين) للأستاذ/ نظام محمد
يعقوبي ص ٥٣، ٥٤، ط. دار النفائس، و(الإعلام فيما ورد في بر الوالدين وصلة الأرحام) للشيخ/ إبراهيم
الحازمي من ص ٣٥ إلى ص ٤١، ط. مؤسسة الجريسي بالرياض، و(التكافل الاجتماعي في التربية الإسلامية)
د/ محمد بن أحمد الصالح ص ٩٨ حتى ص ١٠٥، ط. مطابع الفرزدق، و (فقه تربية الأبناء) للشيخ/ مصطفى
العدوي ص ٤٦، ط. دار ابن كثير، وانظر رسالة: (بر الوالدين في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة)
للمؤلف/ نظام سكبها ص ٥٤، ٥٥ ط. المكتبة الإسلامية-عمان-الأردن.

(١) رواه أبو داود (٤١٤١) بسند صحيح، والترمذي (١٧٦٦) بلفظ قريب، وصححه ابن حبان (١٤٧) وصححه
الألباني في المشكاة (٤٠١) وصحيح الجامع (٧٨٧).



من الكبر، ومراعاة لأحوال إخوانك ورفاقك الفقراء في الجامعة^(١).

فإذا لبست ثوبك:

* فاحذر إسبال شيء من الثياب بحجة أن هذا مغايرٌ للموضة، أو مخالفٌ لأعراف الناس وتقاليدهم، إذ ثبت في حدِّ القدرِ المستحب فيما ينزل إليه طرفُ الإزار من الساق ثلاث سنن عن النبي ﷺ.

الحُدُّ الأولُ: إلى أنصاف الساقين، وذلك ثابت من هديه ﷺ في إزاره كما في حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: «كانت إزرة النبي ﷺ إلى أنصاف ساقيه»^(٢)، وثابت كما في حديث ابن عمر

(١) ولا يتنافى هذا مع استحباب أن يُرى أثر نعمة الله عز وجل على الرجل، فعن أبي الأحوص الجشمي عن أبيه قال: رأيَ النبي ﷺ وعليَّ أطمار، قال: هل لك من مال؟ قال: قلت نعم، قال: من أيِّ المال؟، قال: قلت: من كلِّ قد أتاني الله من الشاه والإبل، قال: «فليرُ نعمة الله وكرامته عليك، ثم قال النبي ﷺ: «هل تنتج إبلك وافية أذانها؟، قال: وهل تنتج إلا كذلك، ولم يكن أسلم يومئذٍ، قال: «فلعلك تأخذ موساك، فتقطع أذن بعضها، وتقول: هذه سُجُرٌ، وتشق أذن أخرى، فتقول: هذه صُرْمٌ؟»، قال: نعم، قال: فلا تفعل، فإن كل ما أتاك الله حل، وإن موسى الله أحد، وساعد الله أشد، قال: يا محمد أرايت إن مررت برجل فلم يقربني، ولم يصفني، ثم مرَّ بي بعد ذلك أقربه، أم أجزيه؟، قال: بل أقره.. رواه أحمد (٣/ ٤٧٣)، وأبو داود مختصراً (٤٠٦٣)، والنسائي (١٩٦/ ٨) والترمذي (٢٠٠٧)، وإسناده صحيح كما ذكر الأرنؤوط في شرح السنة للبغوي (ح ٣١١٨).

قال البغوي: وفي هذا الحديث تحسين الثياب بالتنظيف، والتجديد عند الإمكان من غير أن يبالغ في النعامة والدقة، ومظاهرة الملبس على الملبس كما هي عادة العجم، وقد روى أن النبي ﷺ كان ينهى عن الإرفاه. [راجع شرح السنة للإمام البغوي ١٢ / ص ٤٩ ط. المكتب الإسلامي.]

(٢) رواه الترمذي في الشئائل المحمدية رقم (١١٤)، وفيه «موسى بن عبيدة الزبيدي» وهو ضعيف، وانظر: (الشئائل المحمدية) للإمام أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي، تعليق وإشراف (عزت عبید الدعاس) ص ٥٥، ط. دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه، لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين، ما أسفل من ذلك ففي النار» وقال ذلك ثلاث مرات، ولا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره بطراً»، رواه أبو داود (٤٠٩٣)، والنسائي في الكبرى (٩٧١٥)، وابن ماجه (٣٥٧٣)، إسناده صحيح، صححه ابن حبان (١٤٤، ١٤٥)، ورواه أحمد (٥/ ٣، ٤، ٣١، ٤٤، ٥٢)، وله شاهد من حديث



أن النبي ﷺ قال: «إزره المؤمن إلى نصف ساقيه»^(١).

الحَدِّ الثَّانِي: إلى عضلة الساقين، وهذا الحدُّ أعلى من أنصاف الساقين بقليل (والعضلة): كل عصبية معها لحم غليظ، ووسطها يعلو نصف الساق بقليل، وهذا ظاهر كما في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إزره المؤمن إلى عضلة ساقيه، ثم إلى نصف ساقيه، ثم إلى الكعبين، فما كان أسفل من ذلك فهو النار»^(٢).

الحَدِّ الثَّالِث: موضعه ما تحت نصف الساقين إلى الكعبين، وهذا الموضع ثَبَّتَ في السنن جوازه، وأَجْمَعَ على جوازه المسلمون بلا كراهة، لحديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه قال: سألت أبا سعيد الخدري عن إزره المؤمن، قال على الخبر سقطت: قال رسول الله ﷺ: «إزره المؤمن إلى نصف الساق ولا حَرَجَ أو لا جناح فيما بينه وبين الكعبين...»^(٣)، وهذا من التوسعة لهذه الأمة وتنوع العبادات من جنس واحد.

ثم يحرم ما نزل عن الكعبين من كل ما يُلبس من إزارٍ أو ثوبٍ أو حلةٍ أو كساءٍ أو عباءةٍ أو سراويل، إلى غير ذلك مما يلبسه الرجال، ولقد ذَكَرَ الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى أن البنطال يلحق بالإزار فيجب تقصيره، وإلَّا تعرَّضَ لابسُه للوعيد الشديد الثابت في السنة^(٤).
حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الله يوم القيامة إلا مَنْ جَزَّ إزاره بطراً»^(٥).

- علة تحريم الإسبال:

أبي هريرة، أخرجه أحمد (٢٨٧/٢)، والنسائي (٢٢٩/٢)، وصححه الألباني في هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصاييح والمشكاة (٤٢٥٩).

(١) مسلم (٢٠٨٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٦٤، ٦٣/٥)، (٢٨٧/٢)، والنسائي (٢٩٩/٢) بإسناد صحيح.

(٣) رواه أبو داود (٤٠٩٣)، وأخرجه مالك في الموطأ (٩١٤، ٩١٥)، ح (١٦٣١)، وابن ماجه (٣٥٣٧)، والنسائي في الكبرى (٩٧١٤) بإسناد صحيح.

(٤) فتاوى نور على الدرب كتاب الزينة والمرأة (١١/ ص ١٦٧) السؤال رقم (٥٧٢٣) ط. مؤسسة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين الخيرية ١٤٣٤ هـ.

(٥) رواه البخاري (٥٤٥١).





- ١ - مخالفة السنة. ٢ - ارتكاب النهي.
- ٣ - الإسراف وهذا ضياع المال، ولهذا أمر عمر رضي الله عنه ابن أخيه برفع الإزار وقال له: «هو أبقي لثوبك وأتقى لربك»..
- ٤ - المخيلة والخيلاء، والتبخر، وهذا ضياعٌ مضرٌّ بالدين يورث في النفس العجب والترف، والفخر، والكبر، والزهو، والأشر، والبطر، ونسيان نعمة الله سبحانه على عبده، وكل هذا من موجبات مقت الله للمسبل ومقت الناس له، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) [لقمان: ٨١].
- ٥ - التشبه بالنساء في لباسهن وشكلهن ومن ذلك «لبس الضيق من الثياب - لبس الملابس الضيقة والشفافة والقصيرة - والتختم بالذهب وسلاسل الذهب...».
- ٦ - تعريض الملبوس للنجاسة والقذر ومسح مواطن القدم.
- ٧ - لشدة تأثير الإسبال على نفس المسبل ثوبه خيلاء، حيث يتشبع قلب هذا الإنسان بما ينافي في العبودية منافاةً ظاهرةً، لهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسبل بإعادة الوضوء، [فإن الله لا يقبل صلاة مسبل] ^(١)، وحمل الفقهاء ذلك الحديث على الإثم مع صحة الصلاة.
- ٨ - يُعرض المسبل نفسه للوعيد الشديد في الدنيا والآخرة، إذ يُكسبه الإثم «كالخسف بالمسبل، كذلك فإن الله لا يحب المسبلين، بل ولا ينظر الله إلى مسبل فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره بطراً» ^(٢).. إلخ.

لهذه الوجوه ورَدَ النهي عن الإسبال مطلقاً في حق الرجال، وهذا بإجماع المسلمين، وهو كبيرة إن كان للخيلاء، فإن كان لغير الخيلاء فهو محرّمٌ، مذموم في أصح قولي العلماء - والله

(١) وهذا الحديث ضعيف، رواه أبو داود (٦٣٨)، (٤٠٨٦)، قال المنذري: وفي سنده أبو جعفر رجل من أهل المدينة لا يعرف اسمه، وقال الألباني: وفيه نظر في تخريج المشكاة (٧٦١)، وضعيف أبي داود (٩٦)، وإنما أخرج أبو داود حديثاً آخر صحيح من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من أسبل إزاره في صلاته خيلاء، فليس من الله في حل ولا حرام».

(٢) متفق عليه.



تعالى أعلى وأعلم^(١)، والأولى تركه (ورفع الإزار وما في حكمه فوق الكعبين) بلا خلاف. ويستثنى من هذا الأصل ثلاث حالات:

١- مَنْ لم يقصد الإسبال لعارضي من نسيانٍ أو استعجالٍ، أو فزعٍ، أو حالٍ غضبٍ، أو استرخاء مع تعاهد له برفعه، كما في قصة استرخاء إزار أبي بكر رضي الله عنه.
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنْ إِزَارِي يَسْتَرُخِي إِلَّا أَنْ أَتَعَاهِدَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خِيَلًا»^(٢).

٢- للضرورة وهي مقدرةٌ بقدرها: كَمَنْ أسبل إزاره على قدميه لمرض فيهما ونحوه.
٣- استثناء النساء: فقد رخص النبي ﷺ لهن بإرخاء ثيابهن استحباباً لستر القدمين وهما

(١) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم: «هذا التقييد ممن جر ثوبه خيلاء يخصص عموم المسبل إزاره، ويدل على أن المراد بالوعيد مَنْ جرَّه خيلاء، وقد رخص النبي ﷺ في ذلك لأبي بكر الصديق، وقال له: لست منهم إذ كان جره لغير الخيلاء.
أما الأحاديث المطلقة: (بأن ما تحت الكعبين فهو في النار)، فالمراد بها: ما كان للخيلاء، لأنه مطلق فوجب حمله على المقيد -والله تعالى أعلم-.

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: قال -شيخنا- في «شرح الترمذي» ما مسَّ الأرض منها خيلاء فلا شك في تحريمه، قال: ولو قيل بتحريم ما زاد على المعتاد لم يكن بعيداً، ولكن حدث للناس اصطلاح بتطويلها، وصار لكل نوع من الناس شعار يعرفون به، ومهما كان من ذلك على سبيل الخيلاء فلا شك في تحريمه، وما كان على طريق العادة فلا تحريم فيه ما لم يصل إلى جر الذيل الممنوع.
ثم قال: وفي هذه الأحاديث أن إسبال الإزار خيلاء كبيرة، وأن إسبالها لغير الخيلاء فظاهر الأحاديث تحريمه أيضاً، وقد قال النووي: «الإسبال تحت الكعبين للخيلاء محرم، وإن كان لغيرها فهو مكروه، وهكذا نصُّ الشافعي على الفرق بين الجر للخيلاء، ولغير الخيلاء، والمستحب أن يكون الإزار إلى نصف الساقين، والجائز بلا كراهة ما تحته إلى الكعبين، وما نزل عن الكعبين ممنوع منع تحريم إن كان للخيلاء وإلا فممنوع تنزيه.

وانظر كلام الإمام أبو حاتم في صحيح ابن حبان (٢/ ٢٨١)، وراجع مجموع الفتاوى (٢٢/ ١٣٨)
وراجع [توضيح الأحكام من بلوغ المرام] للشيخ/ عبد الله بن عبد الرحمن البسام (٦/ ٢٤٦) ط. دار القبلة للثقافة الإسلامية، وأصبح بمراجعة بحث «حكم الإسبال بغير خيلاء» على (ملتقى أهل الحديث) على الشبكة العنكبوتية الإنترنت.

(٢) رواه البخاري (٣٦٦٥)، ومسلم (٤٤)، (٢٠٨٥).





من عورة النساء، فإن كانتا تنكشفان فيرخين ذراعاً، جوازاً وهذا محل إجماع^(١).
فالزم [رحمك الله] سنة نبيك، ولا تلتفت إلى المخذلين والمثبطين القائلين: هذا تشدد،
المهم الباطن وليس الظاهر فلا تسمع لهم، ولا تقم وزناً للمستهزئين بك، وانشر السنة
واعمل بها.

وإذا منَّ الله عز وجل عليك بثياب جديدة فلتحمد الله تعالى ولتقل: «اللهم لك الحمد
أنت كسوتيه، أسألك من خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له»^(٢)،
وابتعد عن لباس الشهرة [وتحصل الشهرة بتميز عن المعتاد: بلون معين، أو صفة تفصيل
للثوب، أو لشكل له، أو هيئة في اللبس، أو مرتفع أو منخفض عن المعتاد، ويُقصد من فعل
ذلك الارتفاع والترفع، أو إظهار التواضع والزهد] ولباس الشهرة مما يزي بصاحبه ويُسقط
مروءته.

احذروا التقليد

كذلك فاحرص - أخي الشاب المسلم - ألا تتشبه باليهود والنصارى والعلمانيين
والإباحيين والفاستدين، فإنك إذا تشبهت بهم في زيك فقد خلعت عنك ثوب التكريم الذي
ألبسك ربك، فلا تلو من - آنذاك - إلا نفسك، والواقع يشهد - أخي الحبيب - أن القوم من
حولنا تشبهوا باليهود والنصارى، ولبسوا ملابس الإفرنج والمشركن، ظانين أن في ذلك
العزة والتقدم فما زادوا إلا ذلة وضعفاً وتبعية مهنية.

فلا تترفع على زملائك بملايسك فتلبس حريراً أو ملابس تشبه ملابس المخنثين، أو
تلبس سلاسل أو أساور ذهبية تشبهاً بالمثلثين والمغنيين والساقطين^(٣).
كذلك فأحذر - أخي الشاب السالك إلى الله تعالى - مما فشا هذه الأيام في كثير من

(١) حد الثوب والأزرة وتحريم الإسيال ولباس الشهرة، لشيخنا العلامة د/ بكر بن عبد الله أبو زيد - رحمه الله تعالى -
ص ٦٠، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، ط. دار العاصمة - بتصرف يسير.

(٢) رواه أبو داود (٣٠٩/٤)، والترمذي: وقال حديث حسن صحيح (٤٦٠/٥)، وابن السني رقم (٢٧١)، وأحمد
(٣٠/٣) وهو صحيح كما في صحيح سنن الترمذي رقم (١٧٦٧).

(٣) للتوسع انظر شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي (١٢/ من ص ٣٦ إلى ص ٤٨) من حديث (٣٠٦٦)
إلى (٣٤١٥) تحقيق: شعيب الأرنؤوط ط. المكتب الإسلامي، وقرأ بحث: اللباس والزينة من السنة المطهرة،
للشيخ/ محمد عبد الحكيم القاضي، ص ٦٠٧، ط. دار الحديث، وهو كتاب نافع وجامع في بابه.

قطاعات شباب المرحلتين الثانوية والجامعية في الشوارع والطرق والمنتديات العامة والخاصة، حيث انتشرت ظاهرة لبس «الشورتات» القصيرة، والتي تظهر العورات التي نهى الله - سبحانه - عن رؤيتها، بل أمر بحفظها وعدم النظر إليها بدون حاجة شرعية داعية إلى النظر.

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٢٩-٣٠].

وقد قال ﷺ: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة»^(١)
وقد أجمع أهل العلم: على وجوب ستر العورة عن أعين الناس^(٢).
فاستر عورتك طبقاً لما حده الله ورسوله، وقول أكثر الفقهاء وهي من السرة إلى الركبة،
لأن غالب أحوال النبي ﷺ أنه كان يستر ذلك.
وإياك ولبس «الشورتات» أو «ال سراويل الضيقة التي تشف أو تصف بشرتك - خاصة -
في الشوارع والمنتديات العامة والصالات الرياضية»^(٣).
أما عن لبس كثير من أخواتنا المسلمات - عموماً، والجامعيات، منهن - خصوصاً -
فحدّث ولا حرج عن مجاوزته للحدود الشرعية والآداب المرعية، فهو لباس ضيق شفاف
يخمس العورات، ويساعد على انتشار الهوس الجنسي والاستثارة الدائمة، لهذا كان من الواجب
الشرعي نصيحة أخواتنا المسلمات العفيفات بالحرص على حجابهن الشرعي، وستر
أجسادهن كما أمران ورسوله ﷺ^(٤).

(١) رواه مسلم (١/٦٤١).

(٢) راجع كتاب «قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية» للإمام محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي ص ٦٩ ط. دار العلم للملايين.

(٣) راجع أحكام العورة في الفقه الإسلامي ص ٥١٩، نقلاً عن كتاب «فقه النظر» تأليف / مصطفى أبو الغيط عبد الحي ص ٢٩٧ ط. دار ماجد العسيري.

(٤) وأنصح كل أخت مسلمة بمعرفة كل ما يخصها من أحكام شرعية، وذلك بقراءة: تنبيهات على أحكام تخص المؤمنات للدكتور صالح الفوزان، وكتاب «فقه السنة للنساء» لأبي مالك/ كمال سالم، وكتاب «جامع أحكام النساء» للشيخ/ مصطفى العدوي، موسوعة «عودة الحجاب» للدكتور/ محمد إسماعيل المقدم.





ولقد تنوعت الدلائل من آيات القرآن الكريم في سورتي النور والأحزاب على فرضية الحجاب فرضاً مؤكداً عاماً لجميع نساء المؤمنين^(١).

قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال -سبحانه-: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقال -سبحانه-: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفَنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وقال سبحانه: ﴿وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١] فضلاً عن الأدلة النبوية الدالة على وجوب الحجاب الشرعي للمرأة المسلمة، ومن ذلك: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِیْلًا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

فقلت أم سلمة: «كيف يصنع النساء بذيولهن؟»، قال: «يرخين شبراً»، فقلت: «إذن تنكشف أقدامهن»، قال: «يرخين ذراعاً لا يزدن عليه»^(٢).

وحديث أم عطية رضي الله عنها أن النبي ﷺ لما أمر بإخراج النساء إلى مصلى العيد فقلت: يا رسول الله، إحدانا لا يكون لها جلباب؟ فقال النبي ﷺ: «لتلبسها أختها من جلبابها»^(٣).

وقد جرى الإجماع العملي بالعمل المستمر المتوارث بين نساء المؤمنين على لزومهن البيوت فلا يخرجن إلا لضرورة أو حاجة، وعلى عدم خروجهن أمام الرجال إلا متحجبات، وغير سافرات ولا حاسرات عن شيء من أبدانهن ولا متبرجات بزينة.

فهذا الإجماعان متوارثان معلومان من صدر الإسلام وعصور الصحابة والتابعين لهم بإحسان، حكى ذلك جمع من الأئمة منهم: الحافظ ابن عبد البر، والإمام النووي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيرهم -رحمهم الله تعالى-.

(١) راجع رسالة (الحجاب في الشرع والفطرة بين الدليل والقول الدخيل) للشيخ/ عبد العزيز الطريفي ص ١٤، ١٥ ط. دار المنهاج.

(٢) رواه ابن ماجه ٢/ ٣٧٣، وأحمد ٢/ ٢٦٣، والنسائي ٥٣٣٦، وصححه الألباني في الصحيحة ١٨٦٤.

(٣) متفق عليه.

وإليك -أخي القارئ الكريم- صور للحجاب الشرعي، والحجاب المتبرج المنشتر الآن
بين بنات المسلمين.



A decorative rectangular border with ornate floral and leaf patterns at the corners and midpoints of the sides.

الفصل الثالث

للطريق أحكام

عند خروجك ماذا تفعل؟

ثم لا تنسَ - أخي في الله - عند عزمك على مغادرة البيت أن تتوضأ، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ»^(١).

وعنه أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ مثل وضوئي هذا ثم قال: «مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ نَافِلَةً»^(٢).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَلَا أَدْلِكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخَطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكَ الرِّبَاطُ فَذَلِكَ الرِّبَاطُ»^(٣)، وعنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَضَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بَيْتَاتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ كَانَتْ خَطَوَاتُهُ إِحْدَاهَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً»^(٤).

- وإن استطعت أن تصلي في بيتك ركعتين - أي بعد الوضوء - قبل الذهاب إلى الجامعة فافعل: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لبلال عند صلاة الغداة: «يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت خشف نعليك بين يدي في الجنة» قال بلال: ما



(١) رواه مسلم (٢٤٥).

(٢) رواه مسلم (٢٤٥) ونافلة أي: زيادة.

(٣) رواه مسلم (٢٥١).

(٤) رواه مسلم (٦٦٦).





عملت عملاً في الإسلام أرجى عندي منفعةً من أني لا أتطهر طهوراً تاماً في ساعة من ليل ولا نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله أن أصلي^(١)، وفي حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ مثل وضوئي هذا ثم قام فصلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٢).

وحافظ على وضوئك إذ لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن^(٣).

وأوصيك باتباع هدي رسول الله ﷺ في تصفيف شعرك:

ابتداءً: النفس البشرية مجبولة على حب الجمال والمظهر الحسن وأنواع الزينة، فالمرء يحب أن تبدو صورته في أعين مَنْ حوله جميلة ومقبولة، لا يستنكرها الناس أو ينفرون منها، فالجمال من الصفات الشريفة التي تسعى لها البشرية من قديم الزمان ولذلك صنفها الحكماء سابقاً ضمن صفات الفضيلة والكمال.

وهذه الصفة (الجمال) تتناول الظاهر والباطن، والناس يتفاوتون في تحصيلها، ولكنهم يكادون يتفقون على استحسان الجمال الظاهر المشاهد لأنه الأقرب إلى حواس الإنسان، ويدركه القريب والبعيد دون غوصٍ في شخصية صاحبه، أو غورٍ في مجاهله.

(وشعر الرأس) أحد الصفات الظاهرة في جسم الإنسان والملازم لغالب الناس إلا القليل منهم ممن لم ينعم الله عليهم بهذه الزينة، فنجد الرجال والنساء قديماً وحديثاً يفتخرون ويتمادحون به ويطلبونه في غيرهم.

والشعر من الأشياء الحسنة التي يستملحها الناس ويُسرن بها، وزواله من أسباب التأذي

(١) البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٣٣)، ومسلم (٢٢٦).

(٣) وأصله قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن» رواه أحمد (٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٢)، والدارمي (١٦٨/١)، وابن ماجه (٢٧٧، ٢٧٨)، والحاكم (١٣٠/١)، وابن حبان (٦٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٢).



والتقذر كما في حديث الأعمى والأعرج والأقرع^(١).
 أيها أفضل.. ترك الشعر، أم حلقه؟! المتبع لبطون الكتب سيجد أقوالاً أربعة للعلماء
 قول يرى أصحابه أن اتخاذ الشعر سنة والحلق مكروه^(٢).
 وقول آخر يرى أن ترك الشعر أفضل والحلق جائز^(٣).
 وقول ثالث: يرى أصحابه أن ترك الشعر أو حلقه يتبع عادة أهل البلد.
 وقول رابع: أن الحلق أفضل من اتخاذ الشعر وتركه - وهو قول شاذ^(٤).
 والقول الرابع - والله أعلم - هو القول الثاني - نظراً لجمعه بين كافة الأدلة الواردة
 فيها، ولكن لهذا الترجيح شروط وضوابط، فإرسال الشعر أفضل من حلقه لأنه من صفاته
 ﷺ التي داوم عليها كما مر معنا، والعادة تدخل في هيئته وطوله وتقصيره... لا حلقه^(٥)،
 فالأصل هو الإبقاء على الشعر، أم حلق الشعر فإنه ينتقل بين عدة أحكام ذكرها ابن القيم
 حيث قال: «وحلق الرأس أربعة أقسام: شرعي وشركي وبدعي ورخصة»
 فالشرعي: الحلق في الحج والعمرة.
 والشركي: حلق الرأس للشيخوخ (كمن يخلقون رؤوس المريدين للشيخ الصوفي)
 وأما الحلق البدعي فهو: حلق بعض من الملتحين والفقراء، حيث يجعلونه شرطاً في الفقر
 وزياً يتميزون به عن أهل الشعور من الجند والفقهاء والقضاة وغيرهم، وقد صحَّ عن النبي
 ﷺ، في الخوارج أنه قال: «سيأهم التحليق» ومن حلق البدعة، الحلق عند المصائب بموت

(١) راجع البخاري (الفتح ٥٧٨/٦).
 (٢) راجع المغني لابن قدامة (١/٦٥)، والجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل للخلال ص ١٢٠ ط. دار الكتب
 العلمية، وزاد المعاد (١/١٧٤)، وعارضه الأحوذى (٧/٢٥٦).
 (٣) التمهيد لابن عبد البر (٦/٧٤)، نيل الأوطار (١/١٢٥).
 (٤) الاستقامة لابن تيمية (١/٢٥٦).
 (٥) شعر الرأس.. أحكام وفوائد متنوعة عن شعر الرأس بقلم / سليمان بن صالح الخراشي ص ٢٨، ٢٩ ط. دار
 القاسم.





القريب ونحوه، أما المرأة فيحرم عليها ذلك (لأن رسول الله ﷺ برئ من الحالقة والصالقة والشامة...).

وأما حلق الحاجة والرخصة فهذا لا بأس به^(١).

واعلم -أخي الشاب- أنه يستحب لك تقصير شعرك إذا طال طويلاً فاحشاً، أو كان يكسوك جمالاً تكون به مصدرًا للفتنة سواء للرجال أو النساء، وإذا أردت إبقاء شعرك مع الاعتناء به فلا بأس عليك شريطة عدم مخالفة الضوابط الشرعية، مع إكram الشعر والاعتناء به وترجيله وتسريحه من غير إسراف.

واحذر «الهيئات المحرمة أو المكروهة» لحلق الشعر -هذه الأيام- كصبغ الشعر بألوان غريبة

وك (إطالة الشعر) بشكل يتجاوز فيه صاحبه الشكل المعقول والمقبول (كما يفعل بعض الشباب اليوم اقتداء بمن يطلق عليهم (النخبة العلمانية والليبرالية والشيوعية والماركسية). واحذر لبس الباروكة أو صبغ الشعر باللون الأسود، ونتف الحواجب. كذلك فاحذر القزع (وهو حلق بعض الرأس وترك الآخر) وصورته (كحلق قصة [كابوريا])، وإليك بعض صورته المحرمة^(٢).



سادساً: ثم إذا أتيت لتلبس نعليك فاتبع هدى النبي ﷺ في ذلك: حيث يقول: «إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى وإذا نزع فليبدأ بالشمال، ولتكن اليمنى

(١) أحكام أهل الذمة (٢/٧٤٩).

(٢) راجع فتوى تحريم القزع في فتاوى ابن عثيمين (٤/١١٨).



أولهما تنعل وآخرهما تنزع»^(١).

فإذا خرجت من منزلك فقل: «بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله تعالى»^(٢)، فإنه يُقال لك حينئذ: «كُفَيْتَ ووقيتَ وهديتَ وتنحى عنك الشيطان، فيقول الشيطان لشيطانٍ آخر: كيف لك برجل قد هُدى وكُفى ووُقي؟!».

كذلك فلا تنس أن تُعوذَ نفسك، أو أن يُعوذَك أحد والديك - في الصباح - قبل خروجك إلى الجامعة - خاصة - في زماننا هذا الذي انتشر فيه الحاسدون والسحرة والمشعوذون والدجالون والماكرون، إذ النبي كان يُعوذُ الحسن والحسين ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق ويقول: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»^(٣).

كذلك يُسن لك أن تُعوذَ نفسك بقراءة المعوذات «الإخلاص والفلق والناس»، ثم تتفل في يديك، وتمسح بهما بين عينيك، تفعل ذلك [ثلاثاً].. كما هي سنة نبينا ﷺ، والتي بها يحفظك الله - أخي الشاب - من شر كل ذي شر^(٤).

(١) رواه البخاري (٥٨٥٦)، مسلم (٢٠٩٧).

(٢) حديث رواه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٢) وقال: حديث حسن صحيح، ورواه ابن حبان في صحيحه (٢٣٧٠)، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب (٤٤)، صحيح أبي داود (٥٠٩٥).

(٣) رواه البخاري (٣٣٧١).

(٤) وأنصحك بقراءة كتاب «ارق نفسك وأهلك» للدكتور/ خالد الجريسي، تقديم الشيخ العلامة/ عبد الله بن جبرين - رحمه الله تعالى - توزيع مؤسسة الجريسي للتوزيع.
وهذه نصيحة ذكرها ابن القيم - رحمه الله تعالى - ليدفع بها شر الحاسد والعائن والساحر بإذن الله: قال - رحمه الله تعالى -:

(١) التعوذ بالله من شر هؤلاء والتحصن به سبحانه واللجوء إليه.

(٢) تحقيق تقوى الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

(٣) التحلي بالصبر على العدو الحاسد، إذ لا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

(٤) التوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب الشرعية.

=



في طريقك للجامعة... ماذا تفعل؟

أنصحك.. ألا تضيع وقتاً من غير فائدة، فإنك في طريقك إلى الجامعة تستطيع أن تكسب آلاف الحسنات، فمثلاً: إذا كنت ستركب دابة تحملك إلى مقر جامعتك فاذكر الله تعالى وقل: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ (١٣) وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ [الزخرف: ١٣، ١٤]، «اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا وأطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل»^(١)، أما إذا كنت ستسير على قدميك حتى تصل إلى الجامعة، فلا تضيع وقتك في التفاهات، واجعل سيرك إلى جامعتك عبادة بحيث تكون في موازين حسناتك، [سواءً في ذلك أكنت تسير على قدميك، أم كنت ستركب سيارة أو أي نوع من المواصلات] فلا تضيع وقتك وتبعثر جهدك، فإنَّ اللبيب مَنْ فاز بالأجر من الله وَحَصَلَ المَثُوبَةُ عند سيده ومولاه.

يا للعجب!!

* أرايت - أخي الشاب - : كيف يكون الواحد من أهل دنيانا يكون حريصاً على كسب

(٥) تفرغ القلب من الاشتغال بالحاسد والفكر فيه.

(٦) الإقبال على الله والإخلاص له، وهذا حصن حصين لا خوف على مَنْ تحصَّن به.

(٧) تجريد التوبة إلى الله من الذنوب.

(٨) التصديق والإحسان ما أمكن.

(٩) إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه.

(١٠) تجريد التوحيد لله، وأن الضار النافع هو الله وحده.

انظر كتاب بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٢٣٨-٢٤٦).

(١) رواه مسلم (١٣٤٢).



الصفقات الراححة وتأسيس المشروعات الناجحة، بل تراه يوظف سائر الجهود والطاقات ليكسب من وراء ذلك الأموال الطائلة والشهرة الكبيرة في أقل وقت ممكن وها أنا أدعوك «أخي وحببي وصديقي وزميلي...» لإقامة مشروع استثماري، يُدر عليك الآلاف والآلاف من الحسنات حتى تصل إلى جامعتك.. سالمًا من العثرات والعقبات، غانمًا للأجر والثواب [إن شاء الله تعالى].



المشاريع الاستشارية للحفاظ على الدقائق الغالية

وحتى تستثمر وقتك - أخي الحبيب، فعليك بفعل الآتي ذكره:

- تعلم قوانين الطريق.

- تطبيق القوانين الشرعية في الطريق.

حيث إن للطريق الذي يسير فيه المسلم حقوقاً يَبْنِها الشارع الحكيم، كما في حديث أبي سعيد

الخدري رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: «إياكم والجلوس في الطرقات»، فقالوا: ما لنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، فقال: «فإن أبيتم إلا الجلوس فأعطوا الطريق حقها»، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر»^(١).

١ - اتقوا النار بغض الأبصار^(٢):

* عليك - أخي الشاب - أن تحتهد غاية الاجتهاد في الالتزام بآداب الطريق حتى تكون قدوة لغيرك من المارة..

وتذكر!!

* أن الشارع الحكيم أمر عباده المؤمنين بالالتزام بالآداب الشرعية - عامة - وبآداب الطريق خاصة، ومن جملة الآداب التي أَمَرَ الله عباده بالإتيان بها «غض البصر عما حَرَّمَ الله ورسوله».

ومن المعلوم أنَّ فتنة النساء من أشدَّ أنواع الفتن وأفتكها؛ لأن هذه الشهوة «أقصد شهوة حب النساء» تعد من أقوى الشهوات - خاصة - عند الشباب الفتى القوي في هذه الأزمان

(١) رواه البخاري (٢٤٦٥، ٦٢٢٩)، ومسلم (٢١٢١).

(٢) ننصح بمراجعة بحث: تذكير الصديق بآداب الطريق، للشيخ/ حلمي بن محمد بن إسماعيل الزبيدي، ص ٤٥، ٤٦ ط. دار الإيمان بالإسكندرية.



- وخاصة - وأننا في زمانٍ تكاثرت فيه الفتن وتوالدت، فأصبحنا نرى في شوارع المسلمين التبرج والسفور، والخلاعة والفجور، وعظائم الأمور..
لأجل هذا حرصت الشريعة الإسلامية على حفظ المجتمع المسلم بعيداً عن إثارة الشهوات، لكي يظل الجو الإسلامي الطاهر سائداً في المجتمع، وحتى لا يصبح المجتمع كمجتمعات الكلاب يقتتلون على كلبة، أو يتصارعون على جيفة، يأكلونها لحماً طرياً، ويتركونها عظاماً نخرة، كما هو الحال عند الغربيين^(١)..
والمتتبع لآيات القرآن الكريم والسنة النبوية، سيجد أنها عالجا هذه الفتنة أبداع أنواع العلاجات، وقَوَّما شهوة النساء أحسن التقويم، وأحكمها ضبط العلاقة بين الرجل والمرأة أفضل أحكام.

وذلكَ لأن الإسلامَ يحرص كل الحرص على تنشئة المسلم وتربيته على الطهر والعفاف: فالإسلام دوماً يعالج بالغذاء قبل أن يعالج بالدواء، ويعالج بالحمية قبل أن يستعمل مشروط

(١) يقول د/ فضل إلهي، في كتابه الماتع «التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي» ص ٦٣، ط. إدارة ترجمان الإسلام بباكستان.. «عن أحوال الشباب في الغرب: يقول ول ديورانت»: فحياة المدنية تفضي عند الشباب إلى كل مشط عن الزواج في الوقت الذي تقدم فيه إلى الناس كل باعثٍ على الصلة الجنسية وكل سبيل يسهل أدائها، حتى أنهم يؤخرون الزواج بالنسبة للشباب حتى سن الثلاثين أو ما يزيد، ولا مفرَّ من أن يأخذ الجسم في الثورة وأن تضعف القوة على ضبط النفس عما كانت في الزمن القديم، وتصبُّحُ العفة موضعاً للسخرية في هذه المجتمعات ويختفى الحياء الذي كان يضيء على الجمال جهالاً، ويفاخر الرجال بتعدد خطاياهم، وتطالب النساء بحقهن في الانغماس في مغامرات غير محدودة على قدم المساواة مع الرجال، ويصبح اتصال الشباب بالفتيات قبل الزواج أمراً مألوفاً، وتختفي البغايا عن الشوارع بمنافسة هاويات لا برقابة البوليس» أ.هـ.

* كما أشار د/ نيكول إلى انتشار هذه الظاهرة بقوله: «وباستطاعة هؤلاء الشبان والشابات ترك بيوتهم في سن مبكرة ومقاسمة أصدقائهم شقة من شقق الإيجار وهذه الشقة أحب عندهم من البيت العائلي، والذين يتابعون دراستهم الجامعية يؤخرون زواجهم، لذلك ترى الصلات الجنسية المحرمة رائجة بين طلاب وطالبات الجامعة، وصار من السهل على فتاة الطبقة الراقية استئجار أحد الشباب لمدة وجيزة لتعاطي الزنا معه» نقلاً عن كتاب الأمراض الجنسية، تأليف د/ نبيل صبحي الطويل، ص ٩٢، ٩٣، ط. مؤسسة الرسالة.





الجراح، لأجل هذا فهو يسد كل الذرائع ويُغلق كل الأبواب، ويجفف كل المنابع التي يمكن أن يدخل منها الشر على المسلم فيقع في الفاحشة أو يفتتن بالمرأة، كذلك يحرص الإسلام على أن يكون الجنس مصدر تشييد وبناء بدلاً من أن يصير مصدر هدم وشقاء، لأجل هذا حَرَّمَ الشرع الزنا، وسدَّ كل الطرق الموصلة إليه ومن ذلك أن: الله أمر عباده المؤمنين بغضِ الأبصار عن النساء الأجنبية، كما حَرَّمَ الخلوة بهن والدخول عليهن ومصافحتهن؛ لأن صاحب الصنعة أدرى بصنعتة، والأمرُ بإصلاح القلوب والنفوس أعلمُ بما فيه صلاح النفوس والقلوب، وأهلُ التقوى وأهلُ المغفرة خبيرٌ بالطرق الموصلة إليهما، فإذا التزم المسلم بما شرَّعه الله عز وجل ووقفَ عند حدوده فهو في حصنٍ حصين، ومنزلٍ أمين، ومن تهاون في حدودِ الله، تهاوت تلك الحصون، ودخلَ عليه الشر.

غض البصر.. لماذا؟

قد يقول شاب من شبابنا: ولماذا يتعب الواحد منا نفسه فيغض بصره عن النساء، مع العلم بأن أكثر النساء يحبون الناظرين إليهن، ويشتهين ذلك؟! والجواب:

(١) إننا نغض أبصارنا عن الحرام لأن الله أمر بغض البصر

فقال سبحانه في محكم الترتيل: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]، فبدأ سبحانه بالإرشاد إلى غض البصر، لما في ذلك من سد باب الشر فإن النظر بابٌ إلى كثير من الشرور، وهو يريد الزنا ورائد الفجور، ويقول ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في تفسير هذه الآية: «فالنظر داعية إلى فساد القلوب، لأجل هذا قال بعض السلف: «النظرُ سهمٌ مسمومٌ إلى القلب»، فلهذا أمر الله تعالى بحفظ الفروج كما أمر بعض الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك»^(١).

ومن المعلوم أن إطلاق البصر ينتج عنه عملية الاستشارة المستمرة، والانفعال الدائم والذي ينتهي بالإنسان إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي.

تذكر دومًا:

الهيّاج الدائم في المجتمع وارتكاب
أفطع الفواحش

النظرة الخائنة + الحركة المثيرة +
الزينة المتبرجة + الجسم العاري

(١) تفسير سورة النور لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٢٣، ط. مكتبة المنار الإسلامية بالكويت.





لأجل هذا نهى الشارع الحكيم عن الفواحش - عمومًا - والزنا - خصوصًا، وأمر
باجتناب أسباب هذه الفواحش ومقدماتها فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ
فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢) [الإسراء: ٣٢].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ تعبيرٌ دقيقٌ يؤكد على إحصاء كل باب يمكن أن يوصل في النهاية
إلى إشاعة الفاحشة في المجتمع المسلم.. سواء أكان ذلك نظرةً متطفلة، أو لمسةً فاجرة، أو
لفظة متكسرة، أو أغنية عاهرة، أو فيلمًا جنسيًا ينفخ فيه الشيطان من روحه فيعصف بقلوب
الشباب ويدفعهم إلى السقوط^(١).

وما أجمل تعبير الشيخ السعدي حيث قال: «إِنَّ النَّهْيَ عَنْ قِرْبَانِ الزَّنا أبلغُ من النهي عن
مجرد فعله؛ لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه، فإن (من حام حول الحمى
يوشك أن يقع فيه)^(٢)».

(٢) كذلك فلقد أمرت السنة النبوية بغض البصر

وتجنب تتبع عورات الناس، - خاصة - النساء لأن فتنة النساء، هي أعظم أنواع الفتن،
وأفتكها، فقال ﷺ: «ما تركتُ بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»^(٣)؛ لأن النظرة تفعلُ
فعل السهم في الرمية إن لم تقتلها جرحتها، وهي بمنزلة الشرارة في الحطب، إن لم تحرقه كله
أحرقَتْ بعضه.

لهذا: كان ﷺ يؤدب أصحابه بهذا الأدب الرفيع - أقصد غُض البصر - فيقول: «يا علي،

(١) راجع مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت أضواء الشريعة الإسلامية، للأستاذ/ عبد الرحمن واصل،
صد ٦٥، ط. مكتبة وهبة بالقاهرة.

(٢) تفسير (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) تأليف العلامة/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٣/ ص ٧٦)
ط. مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة المكرمة، بالاشتراك مع دار الفكر - بيروت ١٩٩٥ م..

(٣) متفق عليه.

لا تُتْبَعُ النظرة بالنظرة، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى، وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ»^(١).

بل ولما سَأَلَ جريرُ بن عبد الله رسولنا عن نظر الفجأة فقال له ﷺ: «اصرف بصرك»^(٢). وهذا رسولُ الله ﷺ يجعلُ النظرة المحرمة من قبيل الزنا عياداً بالله تعالى، كما في حديث أبي هريرة قال: قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّنا مَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَرَزْنَا الْعَيْنَ النَّظَرَ، وَزَنَا اللِّسَانَ النَّطْقَ، وَالنَّفْسَ تَمْنِي وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجَ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يَكْذِبُهُ»^(٣). بل هذا رسول الله ﷺ ينهى عن الجلوس في الطرقات لغير حاجة أو ضرورة فيقول: «إياكم والجلوس في الطرقات» قالوا: ما لنا بُدٌّ، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، فقال رسول الله ﷺ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا» قالوا: وما حق الطريق؟ قال: «غَضُ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذْيِ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»^(٤).

وكأن رسول الله ﷺ ينظر من وراء الغيب إلى مجتمعاتنا في هذه الأزمان، فيجد المتسكعين على النواصي، والجالسين على المقاهي واللاهين في النوادي وهم يجرحون مشاعر الرائحات والغاديات بعيونهم الجريئة وكلماتهم البذيئة فيوجه إليهم هذا النداء..

(٣) نغض أبصارنا.. لنفوز بالفوائد والمنافع

غض البصر قانون من قوانين الطريق في الإسلام، وذلك لما له من الفوائد والمنافع، ومن ذلك ما ذكره الإمام ابن القيم الجوزية - رحمه الله - في كتابيه «روضة المحبين، والداء

(١) أبو داود (٢١٤٨)، والترمذي (٢٩٢٧) وقال حديث حسن غريب، والدرامي (٢٩٨/٢) وأحمد (٣٥١/٥) وصححه الالباني في صحيح أبي داود.

(٢) مسلم (٢١٥٩).

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.





والدواء» حيث يقول: «إِنَّ مِنْ فَوَائِدِ غَضِّ الْبَصَرِ: أَنَّهُ اسْتِسْلَامٌ لِأَمْرِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَامْتِثَالٌ لِأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ، وَوَاللَّهُ مَا أَعْظَمُهَا مِنْ فَائِدَةٍ، وَمَا أَجْلُهَا مِنْ مَنْفَعَةٍ، إِذْ أَنَّهُ مَا سَعِدَ مَنْ سَعِدَ إِلَّا بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَمَا شَقِيَ مَنْ شَقِيَ إِلَّا بِتَضْيِيعِ أَوَامِرِهِ»..

- ومنها أنه يورث القلب أنساً بالله، وجمعه عليه، وإطلاقه يُشْتَتُّ القلب ويبعده عن الله عز وجل.

- ومنها أنه يورث القلب ثباتاً وشجاعة، مما يؤدي إلى انشراح الصدر، واطمئنان القلب، وثبات الفؤاد.

- ومنها أنه يورث القلب فرحاً، وانشراحاً ولذة وسروراً؛ لأن السرور بالطاعة أعظم من السرور بالمعصية، بينما إطلاق البصر يضعف القلب ويجزئه.

- ومنها أنه يُكسِبُ القلب نوراً وإشراقاً ويظهر ذلك في العين والوجه والجوارح، فإذا استنار القلب أقبلت عليه وفود الخيرات من كل جانب.

- ومنها أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، وَيُسَهِّلُ عليه أسبابه.. فإذا استنار القلب نُورَهُ الله تعالى بالعلم حتى تظهر فيه حقائق الأشياء وتطبع فيه صور المعلومات، فإذا أَطْلَقَ العبدُ بصره أظلم قلبه وتكدرت عليه نفسه، وانسد عليه باب العلم.

- ومنها أنه يخلص القلب من ألم الحسرة.. إذ أنه مَنْ أَطْلَقَ بصره دامت حسرته.. ولعلَّ هذا واقعٌ مشاهد.. حيث إنَّ مَنْ أَطْلَقَ بصره إلى النساء يشغل قلبه بالنظر إليهن ولا ينال شيئاً غير هذا يروى غليله، فيرجع بالآلام والحسرات، والآثام والسيئات.

- ومنها أنه يُفْرِغُ القلب للتفكير والعبادة، وإطلاقه يوقع في الغفلة واتباع الهوى، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

﴿٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

- ومنها أنْ غَضَّ البصر يسببُ إطلاقَ نور البصيرة، ويورث العبد فراسة ويقوى العقل.



يقول شاه ابن شجاع الكرمانى: «مَنْ عَمَّرَ ظاهره بإتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وَغَضَّ بصره عن المحارم، وَكَفَّ نفسه عن الشهوات واعتاد الحلال لم تُخطئ له فِرَاسة».

- ومنها أن غض البصر أمان من الوقوع في أسر الشهوة، ومتى أسرت الشهوة والهوى القلب تمكن منه عدوه، وسامه سوء العذاب لهذا قيل: [إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة]، وقيل: [لا يزننى فرجك ما غضضت بصرى].

- ومنها أن غض البصر أمان من الوقوع في «سكر العشق والحب» وهذا هو الداء العضال الذي يشكو منه أكثر شباب المسلمين هذه الأيام.

(٤) النظر نعمة

البصر نعمة، لأجل هذه كان غضه عن الحرام.. من قبيلى شكر المنعم جلّ جلاله، يقول تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾..

فغض البصر يفتح على العبد باب النعم، كما أن إطلاق البصر يزيل النعم، وتُحلُّ به النقم فهازالت عن العبد نعمة أنعم بها عليه حتى يكون هو سبباً في ذلك، فيغير طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه، فإذا غَبَرَ غَيْرَ عليه، جزاءً وفاقاً، ولهذا قيل: مَنْ عصى الله وظن أنه لا يعاقب فهو مخذول أو مجنون.

(٥) النظرة سهم مسموم

نغض البصر.. لأن النظرة سهم مسموم: أثرها يستمر وإن غاب المنظور إليه، حيث إن هذه النظرة المحرمة تشغل فكراً فتورث همّاً، وتبذر شهوة فتنبت هوى، شأنها شأن السهم المسموم، فإن السم يظل يسرى منه على الجسم، وإن نزع السهم من موضع الإصابة.

(٦) تحفظ قلبك

غض البصر.. لأن القلب بيت والعين بابه، ولا يدخل لُصُّ البيت إلا والباب مفتوح





فإذا دخل اللص سرق حلية الإيمان وجوهر التقوى، وترك القلب خراباً في خراب، فاحذر هذا اللص فإنه خفيف الحركة، تكفيه لحظة واحدة ليتسلل، ولهذا لما سُئِلَ النبي ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفَجَاءَةِ قَالَ: «اصرف بصرك»^(١).. أي أحكم إغلاق الباب وَضَعْ عليه حراسةً أمنٍ مشددة من جنود المراقبة، ولا تفضحه ولو لحظة واحدة، عندها يدبُّ اليأسُ إلى قلب إبليس فيرجع خائباً ويتركك سالماً، يقول ابن القيم: «وإطلاق البصر ينقشُ في القلبِ صورةَ المنظور، والقلب كعبة، والمعبود لا يرضى بمزاحمة الأصنام»^(٢).

(٧) مدخل من مداخل الشيطان

نغض أبصارنا لأن إطلاق البصر من أوسع مداخل الشيطان.. فإن البصر جارحته لا ثملاً بخلاف البطن، فإنه متى امتلأ لم يَبْقَ له في الطعام إرادة، وأما العين فلو تركت لم تَفُتْرَ عن النظر أبداً، وبالنظرة يدخل جند الشيطان القلبَ ليجاورَ جند الإيمان، لكنَّ الشيطان ملحاحٌ طماعٌ لا يقبلُ الشراكة، فيظل يتربص ويعوى ويفسد.. يلقم النظرة بأخرى إلى أن يحتل نسله القلب كله، ويرفع على أرجائه راية النصر، ثم يقدم الشكر لمن يستحق «النظرة».

(٨) نغض أبصارنا.. حتى لا نقع في شباك النساء

حيث إنه ومن المعلوم أن المرأة هي أقوى أسلحة الشيطان وأفتكها، فإنها إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان^(٣)، - خاصة - في أزماننا، والتي تخرج فيها الكثير من النساء العاريات متجردات من الحياء قبل الملابس، كذلك فإنها تخرج متطيبةً متعطرةً خاضعة

(١) رواه مسلم (٢١٥٩).

(٢) راجع الفوائد لابن القيم، ص ٥٤.

(٣) كما ثبت في الحديث: الذي رواه الترمذي (١١٧٣) قال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم (٢٧٣).

بالقول، تدعو الشباب إليها بكل سبيل لسان حالها أحياناً ولسان مقالها - أحياناً أخرى - إلا
من رحم ربي!!

(٩) إلى العفة من جديد..

نغض أبصارنا.. لأن غض البصر من العفة.. والله تعالى يقول: ﴿وَلَيْسَتَعَفِيفَ الَّذِينَ لَا
يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣]، والآية دالة على فضل الاستعفاف
وهو ما يوصل إلى العفة أو يحافظ عليها.. ولا شك أن غض البصر استعفاف؛ لأن غضه
وسيلة إلى حفظ الفرج والعفة.
ولقد صدق ابن القيم حين قال: «إنَّ للعفة لذةً أعظم من لذة قضاء الوطر، لكنها لذة
يتقدمها ألم حبس النفس، ثم تعقبها اللذة، أما قضاء الوطر فبالضد من ذلك»^(١).

(١٠) لأن أشباه يوسف قلوا بل ندرؤا

وعدوات الحور العين أطلن من شاشات التلفاز وصفحات الجرائد والمجلات
وعلى شبكة الإنترنت، وأخوات امرأة العزيز عَجَّتْ بهن طرقات المدينة في حصار يشبه ما
فعلته أختهن من قبل ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْؤَابَ﴾ [يوسف: ٢٣]، وأبرزت كل واحدة منهن
مفاتنها، وكشفت ما استتر من زينتها، ولسان حالها يقول للشباب ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف:
٢٣].

(١١) لا تساعد عدوك

(١) راجع [روضة المحبين ونزهة المشتاقين] للإمام ابن القيم الجوزية، ص ٣٤، ط. دار الصفا، مكتبة الجامعة.



نغض البصر لأن في إطلاق البصر تنفيذ لمخططات وأهداف الأعداء:

* فمن المعلوم للجميع أن الأمة الإسلامية مستهدفة بالمخططات الصهيونية والصليبية، ومن أعظم أسلحة هؤلاء في تدمير أمة الإسلام سلاح المرأة. كما قال بعض أئمة الكفر: [كأسٌ وغانيةٌ يفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوها في حب المادة والشهوات].

وساعدهم على ذلك جهل المسلمين برهم عز وجل وبدينهم، وكذا الحكومات العلمانية الاشتراكية والقومية والليبرالية والشيوعية التي ابتليت بها الشعوب المسلمة، التي تحاول مقاومة الصحوة الإسلامية بتيارات من الإباحية والسفور والتبرج والفجور، وما يتبع ذلك من علاقات آئمة وارتباط محرم، ويحدث كل هذا تحت شعار «الحريات العامة والخاصة»، و«حقوق المرأة والشباب المراهق»، و«الحرية الجنسية أو الحرية الجسدية».

والعجيب الغريب أن الغرب الكافر يطلق إلى الفضاء الأقمار الصناعية التي تبث الإحاد والإباحية، والمسلمون يتسابقون إلى شراء الأطباق التي تستقبل هذا البث المباشر، الذي يخدش الحياء، ويقتل الغيرة، ويقضى على البقية الباقية من الإسلام.

إذن إطلاق البصر إلى الحرام يساعد على ازدياد نسبة الشهوات والفواحش وانتشار معدل الخبائث، وبالتالي الإصابة بالوهن والضعف، مما يساعد على إنفاذ مخططات أعدائنا بأيسر الطرق بدلاً من استخدام الأسلحة وتجهيز الجيوش وإثارة الحكومات.. فهلأ أدركنا ذلك؟!



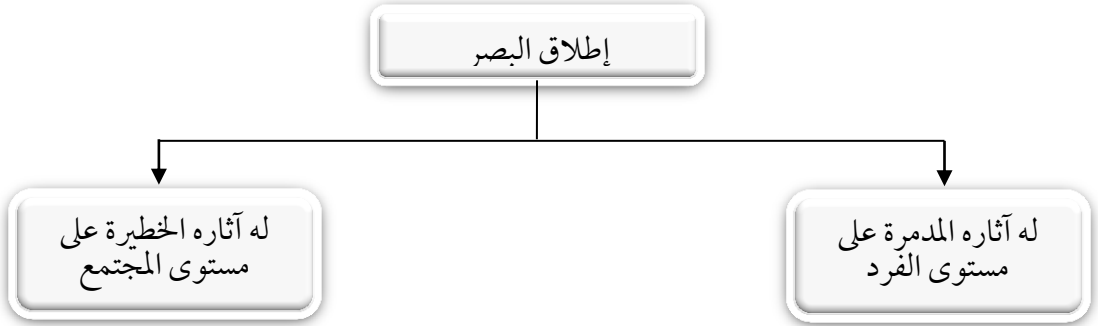
نتائج إطلاق البصر إلى الحرام:

سبحان الله: إطلاق البصر.. كم جنى على القلب من ويلات؟!

- وكم جنى على صاحبه من مصائب..؟

- كم من نظرة جلبت من الهموم والأحزان أثقالاً؟!

- وكم من نظرةٍ أسرت قلب صاحبها، وكان يحسب أن فيها سعادته وفوزه، والتفريج عن الكبت الذي في نفسه!!
ولكن: هذا المسكين المغبون لم ينعم بممراده، ولم يسعد بمعصية على الرغم من زعمه أن في ذلك السعادة والفلاح وإثبات الرجولة..



فعلى المستوى الفردي.. كان جزاء - مطلق البصر - من جنس عمله.
حيث إن مطلق البصر ينحط إلى مستوى الحيوان: فالإنسان بقدر ما يضبط نفسه، ويمسك أعصابه في الالتزام بالطريق للوصول إلى الحق وتحصيله، بقدر ما يتصف بالإنسانية ويرتقي في مدارج كرامتها..... والعكس فإنه بقدر ما يتنازل عن إنسانيته يهبط إلى مستوى الحيوان^(١).

فالمطلق للبصر ينحط إلى درجة الحيوانية، وما هو أخط من ذلك.. فمنذ تلك اللحظة التي يطلق فيها الشاب بصره إلى الفتاة، يصبح - عفانا الله - وكأنه حيوان يعيش بغرائزه ولها، ويحيا لنزواته وبها، وتتعلل فيه نوازع الخير، وتشتد لديه نوازع الشر، حتى تصبح الشهوات أكبر همه، وكيفية تفريغها وإخراجها مبلغ علمه..، وهذا من أقبح نتائج إطلاق البصر..

(١) انظر رسالة خطر التبرج والاختلاط، للأستاذ/ عبد الفتاح رمضون، ص ٢١٢، ط. مؤسسة الرسالة.



كلامٌ قيمٌ.. لابن القيم

* يقول ابن القيم عن مطلق البصر: أنه يُمسحُ قلبه كما تُمسحُ الصورة، فيصير القلب كقلب الحيوان، فيشابهه في أخلاقه وأعماله وطبيعته، ثم يقول - رحمه الله: ومن القلوب ما يُمسحُ على قلب خنزير لشدة شبه صاحبه به، ومنها يُمسحُ على شكل كلب أو حمار أو عقرب.. ويكون الخسف بالقلب - حينئذٍ - كما يخسف بالمكان وما فيه^(١).

فهذه من أعظم النتائج وأولى المخاطر، إذ أن من أقبح نتائج إطلاق البصر، أنه يُفقد الإنسان إنسانيته، ويجعله يسير ويهرول وراء مفاتن النساء والتي حقيقتها «التن».

* كذلك فإنَّ مطلق البصر.. يُخلع من لقب «بني آدم»، ويُسلَب من تكريمه السابق، وينحط من أحسن تقويم إلى أضلِّ سبيلاً^(٢).

* كذلك فإنَّ مطلق البصر.. يغيضه الله ورسوله (وما أفضع ذلك وأشده)!!

تحيل - يا مَنْ تنظر إلى النساء - أنك بإصرارك على إطلاقِ البصرِ أن الله يكره ذكرك، ويبعدك عن الخير، ويوكلك إلى نفسك، ويغضب عليك.

* تصور - يا مَنْ تنظر إلى الفتيات - أنك تأتي يوم القيامة لتدنو من نبيك ﷺ طلباً للشفاعة فتجد النبيَّ مُعرَّضاً عنك، وعن أمثالك مَمْنٌ عبدوا شهدواتهم وملذاتهم.. ويقول لك: سحقاً، سحقاً.

(١) راجع (الداء والدواء)، لابن القيم، ص ١٣٩، ط. دار الكتب العلمية.

(٢) راجع [العفة ومنهج الاستعفاف]، تأليف الأستاذ/ يحيى بن سليمان العقيلي، ص ١٥، ط. دار الدعوة بالكويت.

فو الله.. ما أشقى «هذا العبد الذي يُطلق بصره»!!

يا مطلق البصر.. اعلم أن إرسال البصر يؤدي إلى قلة في العقل، وطيش في القلب، وظلمة في القلب، وإذا أظلم القلب أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل ناحية، فما شئت من بدع وضلال، وإتباع للهوى واجتناب الهدى، وإعراض عن أسباب السعادة، واشتغال بأسباب الشقاوة.. وتكون النتيجة..

اضطراب هذا العاصي، وكثرة همومه، وأحزانه، وضجره، وبالتالي يكون عرضةً للأزمات العصبية والاضطرابات النفسية..

* كذلك فإن إطلاق البصر يفتح للشيطان مدخلًا كبيرًا إلى القلب.. حيث إنه يدخل مع النظرة وينفذ معها إلى القلب أسرع من نفوذ الهواء في المكان الخالي..، وبالتالي يتمكن الشيطان من هذا الإنسان، حتى يجعله جنديًا مخلصًا وفيًا من جنوده، ثم يدفعه إلى استحلال هذه المعصية، واستصغار ما يعقبها من معاص وزلات.

* كذلك فإن إطلاق البصر يسبب ضياع العلم، وقلة الفهم، وضعف التركيز، وبالتالي التأخر الدراسي؛ لأن القلب إذا استنار نوره الله بالعلم، وإذا أظلم تكدر للعقل، وانسد على صاحبه باب الفهم والفتح..

ولعلّ هذا أمرٌ مشاهد لطلاب الجامعات فضلًا عن غيرهم.. فإن من يُطلق بصره إلى الفتيات ليلاً ونهارًا، يأتي في آخر يومه مُجهّدًا متعبًا.. فإذا أراد أن يذاكر فستجده مشتت الذهن، قليل الفهم، ضعيف التركيز، كل هذا سببه إطلاق البصر، حيث تُحفظ صور الفتيات المنظور إليهن في العقل والقلب، الأمر الذي يصعب معه أن يذاكر الطالب وأن يستحضر المعلومات بسهولة ويسر، فالله تعالى لم يجعل لرجل من قلوبين في جوفه..

* كذلك فإن إطلاق البصر لا بد وأن يوقع الأضرار والعقوبات على جسم الناظر وقلبه:





فمثلاً إطلاق البصر يؤدي إلى إجهاد الجسم والعين.. يقول د/ صادق محمد: لقد ثبت بالدراسة والبحث أن تكرار النظر بشره إلى الجنس الآخر يصل بالشخص إلى إصابة جهازه التناسلي بأمراض احتقان غدة البروستاتا، والضعف الجنسي، وبالتحليل النفسي لهذا الإنسان وجد أنه يتعرض لأزمات نفسية واكتئاب وتغير في سلوكه وشخصيته، ويشير الباحث إلى أن حاسة النظر تعتبر أقوى وأخطر الحواس من ناحية الإثارة الجنسية، ولقد حذّرنا الإسلام ونهانا عن إطلاق البصر، والذي ثبت في عصر العلم الحديث بالبحث والدراسة ضررُ مخالفته.. أ. هـ^(١).

كذلك مَنْ يطلق بصره إلى الحرام.. يصاب بعدة أمراض منها: مرض النضج الجنسي المبكر: ويصاب به بعض الشباب نتيجة لتهيج الشهوة قبل أوانها، واستثارة الغريزة قبل اكتمال غددها، ويسبب تشوهات بدنية وأمراضاً عصبية ونفسية.

كذلك قد يُصابُ بمرضِ الهوسِ الجنسي.. حيث إنَّ هذا المريض الشارد في إطلاق البصر.. تراه دوماً مشغولاً في جميع أوقاته بتخيلات شهوانية غريزية.. من نكاح وتقبيل وضم وعناق، وتصورات لأعضاء المرأة من وجه وعينين، وعنق، وشفتيْن، وغير ذلك.. تراه منصرفاً عن كل شيء.. وبالتالي يكثرُ نسيانه، ويقلُّ اهتمامه، وتشتدُّ غفلته، تراه كأنه غيبيٌّ مخمور، أو كأنه مكروبٌ محزون.. كذلك يسبب هذا المرض تحولاً في الجسم، وضعفاً في الذاكرة، وقلقاً في النفس^(٢).

* كذلك مطلق البصر. مأسور بشهوته، محبوس عن ربه لهذا قيل: المحبوس من حبس عن الله، والمأسور من أسره هواه.

- كذلك فإن مطلق البصر.. دائم الحسرة، فهو يشغل النفس والقلب بالنظر إلى النساء

(١) راجع فوائد غض البصر، لأبي حذيفة إبراهيم بن محمد، ص ١٤، ط. دار الصحابة للتراث.

(٢) راجع عقبات الزواج وطرق معالجتها على ضوء الإسلام، للشيخ/ عبد الله ناصح علوان، ص ٢٤، ٢٥، ط. دار السلام.



ولا ينال شيئاً غير هذا.

كذلك فاعلم - أخي الشاب الجامعي - أنه متى أسرت الشهوة والهوى القلب فإنه يتمكن منه عدوه ويسومه سوء العذاب، حتى يصير كعصفورة في كفٍ طفلٍ يسومها لهذا قيل: [إياكم والنظرة فإنه تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة].

وقيل: [لا يزني فرجك ما غضضت بصرك].

فإذا غَضَضْتَ بصرَكَ، وَكَفَفْتَ شهوتَكَ، واستعذت بالله من شر نفسك، مَلَكَتْ قلبَكَ وإلا أَعَنَّتْ شيطانَكَ وَنَفَسَكَ الأمانة بالسوء - من حيث تدري أو لا تدري - والخلاصة: إنَّ من يستهين بمعصية (إطلاق البصر إلى الحرام) يصاب بـ:

- ١ - قلة التوفيق.
- ٢ - وفساد الرأي.
- ٣ - وخفاء الحق.
- ٤ - وفساد القلب.
- ٥ - وخمول الذكر.
- ٦ - وإضاعة الوقت.
- ٧ - ونفرة الخلق.
- ٨ - والوحشة بينه وبين الله.
- ٩ - ومنع إجابة الدعاء.
- ١٠ - وقسوة القلب.
- ١١ - ومحق البركة في الطاعة.
- ١٢ - حرمان سداد الفهم.
- ١٣ - يصيبه لباس الذل.
- ١٤ - وإهانة العدو.





- ١٥- وضيق الصدر.
- ١٦- يبتلى بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت.
- ١٧- يصاب بطول الهم والغم.
- ١٨- وضنك المعيشة.
- ١٩- وسوء البال.
- ٢٠- ويعلوه سواد في الوجه.
- ٢١- وظلمة في القبر والقلب.
- ٢٢- ووهن في البدن.
- ٢٣- المعاصي تزرع أمثالها، وتولد بعضها بعضًا، حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها.
- ٢٤- المعصية تقوى إرادة المعصية وتضعف إرادة التوبة شيئًا فشيئًا إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية.
- ٢٥- المعصية تنسلخ من القلب استقباحها فتصير له عادة.
- ٢٦- المعصية سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه.
- ٢٧- المعصية تورث الذل.
- ٢٨- عند اعتياد إطلاق البصر يطبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين.
- ٢٩- إطلاق البصر يؤدي للحرمان من دعوة رسول الله ﷺ ودعوة الملائكة.
- ٣٠- تطفئ من القلب نار الغيرة.
- ٣١- المعصية تؤدي إلى ذهاب الحياء.
- ٣٢- المعصية تؤدي لنسيان الله لعبده وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه.
- ٣٣- تخرج العبد من دائرة الإحسان وتمنعه من ثواب المحسنين.
- ٣٤- وتزيل النعم وتحل النقم.
- ٣٥- المعصية سبب لما يلقيه الله سبحانه من الرعب والخوف في قلب العاصي فلا تراه إلا



خائفًا مرعوبًا.

٣٦- تعمي بصر القلب وتطمس نوره وتسد طرق العلم وتحجب مواد الهداية.

٣٧- العاصي دائمًا أسير شيطانه سجين شهواته مقيد بهواه.

٣٨- تجعل العبد أحوج ما يكون إلى نفسه.

٣٩- تحقق بركة العمر وبركة الرزق وبركة العلم وبركة العمل وبركة الطاعة وبالجملة أنها تحقق بركة الدين والدنيا.

٤٠- تسلب صاحبها أسماء المدح والشرف وتكسوه أسماء الذم والصغار فتسلبه اسم المؤمن والبر والمحسن والمنقي والمطيع والمنيب والولي والورع والمصلح والعابد والخائف والأواب والطيب والرضى ونحوها وتكسوه اسم الفاجر والعاصي والمخالف والمسيئ والمفسد والخبيث.

٤١- سقوط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه

هذه بعض نتائج إطلاق البصر على المستوى الفردي.

* أما نتائج إطلاق البصر على المستوى الجماعي .. فإن إطلاق البصر إلى الحرام أدى إلى: أن هبى الله في القلوب قلت، والجرأة على محارمه زادت، إدمان النظر إلى الفواحش أورث القلب بلادة في الإحساس واستئناسًا بالذنب، وفرحًا عند الظفر به، كذلك فإن إطلاق البصر أدى إلى أن الشهوات استعرت، والعورات انكشفت، وتجارة الجسد راجت، والحرام أطلَّ برأسه^(١)، والحياء صار سلعة نادرة، وطريق الحرام بات ممهدًا، ووضعت العراقيل في طريق

(١) لعل من الآثار الخطيرة لإطلاق البصر، ما سمعناه وقرأناه عن «الزنا المعدل» أو الزواج العرفي ونكاح الدم، كذلك فإن من آثار إطلاق البصر.. ما يحدث من معاكسات ومغازلات ومحادثات هاتفية جنسية ليلية بين الشباب والفتيات، حيث يرى الشاب الفتاة في (المتنديات العامة أو الخاصة) فيعجب بها، ويبحث عن رقم هاتفها الخاص، أو يحاول التواصل معها عبر وسائل التواصل الحديثة كالفايس بوك، والواتس آب، والماسنجر،

=





الحلال، وارتدى المنكر ثياب المعروف، وأطفئت النار بمزيد من الحطب، واختلط الحابل بالنابل، فصارت الظلمات بعضها فوق بعض..
كذلك فإن من أعظم نتائج إطلاق البصر.. ما نراه الآن من ارتكاب للجرائم الفظيعة التي تقشعر منها الأبدان ويندى من خزيها وخستها الحبين، والتي ما عرفناها - معاشر المسلمين - على مدى التاريخ من قتل للأبناء والأزواج من أجل الحصول على الشهوة المحرمة إلا وكان السبب وراء ذلك كله هذه النظرة المحرمة الشيطانية التي تتلوها خطوات الشيطان الذي أمرنا بمخالفته في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨].

خالفنا ديننا.. فكانت المآسي!!

لأجل هذا نستطيع أن نجزم بحقيقة لا مرء فيها، وهي أنك إذا وقفت على جريمة فيها انتهاك للأعراض، وانتشار للزنا والخنا، ثم فتشت عن الخيوط الأولى التي نسجت هذه الجريمة وسَهَلَتْ سبيلها، فإنك حتماً ستجد أن هناك ثغرة حصلت في الأسلاك الشائكة التي وضعتها الشريعة الإسلامية بين الرجال والنساء، ومن خلال هذه الثغرة دخل الشيطان^(١)، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّمْهَاتِ أَنْ يَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (٢٨). [النساء: ٢٧-٢٨].

والتلجرام، وغيرها، ومواقع التواصل الاجتماعي والدردشة، ثم تبدأ سلسلة الاتصالات الخلوية وحدث ولا حرج عما يقع بين الشباب والبنات بعدها من كبائر وأثام.
(١) راجع الكتاب الفذ (عودة الحجاب)، د/ محمد بن إسماعيل - حفظه الله - (٣/ ٥٩، ٦٠)، ط. دار الصفوة.

تبين لك الآن.. خطر إطلاق البصر إلى الحرام، وأن الضرر لا يقع على صاحبه وحده، ولا على المنظور إليها وحدها، وإنما يقع على المجتمع المسلم كله.. وبالتالي يصبح الضرر متعدياً، فيزيد من إثم صاحبه والواقع فيه..

هل من معتبر؟!

هذه قصة شاب أسرف على نفسه في ارتكاب المعاصي، فلم يدعْ معصية إلا فعلها، ولا كبيرة إلا ارتكبها، كل ذلك بحثاً عن السعادة، فلم يجد إلا الشقاء والتعاسة. أغلقت في وجهه الأبواب سوى باب واحد، باب الله الذي لا يغلق، فلجأ إلى ربه وعاد إليه، وهنا وجد السعادة التي كان يبحث عنها، التقيت به فحدثني بقصته فقال: «نشأت في بيت عادي من بيوت المسلمين، وكنت أصلي الصلاة المعتادة، أرى الناس يذهبون إلى المسجد فأذهب معهم، ولم أكن - لصغر سني - أدرك قيمة الصلاة أو أهميتها. ولما كبرت قليلاً اشتري لي والدي سيارة، وكنت آنذاك في بداية المرحلة الثانوية، فكانت بداية الانطلاق!!

وجاء دور رفقاء السوء، ليقضوا على ما تبقى لديّ من خير وفضيلة وصلاح!!، فقد تعرفت على مجموعة منهم، وكنت الوحيد من بينهم الذي يملك سيارة فارهة حديثة، فتوليت القيادة، وكنت أغدو بهم وأروح، كان كل واحد منا صديقاً للشيطان فصار كل واحد منا يظهر ما يوحى به إليه شيطانه من الأفكار والابتكارات. كانت عيني تبحث عن الأجساد العارية كما يبحث الطفل الوليد عن ثدي أمه، فإذا رأيت فتاة عارية أو شبه عارية تبعتها بعينيّ اللتين كأنهما رصاصتان. كنت في هذه الفترة قوى البنية لكن ميت القلب.. ريان الشباب لكن مفلس الإرادة.. عملاق الجسم لكن هزيل الإيمان.





ثم بدأت شيئاً فشيئاً في ترك الصلاة، وهجرها بالكلية، فإذا اضطرت لدخول المسجد لا أدخله إلا مجاملة للناس، ثم تدرجت بي الأمور وصرت معرضاً إعراضاً تاماً عن ذكر الله تعالى حتى إنه كانت تنطبق على هذه الآية، ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣].

كنت أطلق لقلبي الهيام في أودية المعاصي والشهوات والآثام، وأطلق لعيني النظر إلى الحرام، وأطلق لسمعي التلذذ بالغناء والفحش، وأطلق لجوارحي العبث بالقيم والمبادئ، والأحكام حتى إنني لا أذكر أنني كنت أغتسل من الجنابة. كرهت الصالحين والأخيار لا شيء إلا لأنهم متدينون صادقون، وكنت أسخر منهم وأهزأ بهم، وبذويهم وأصحابهم.

نفرت من السنن وأهلها الملتزمين بها، واستجبت لشبهات الملاحدة والعلمانيين في حوارات التوك شو، وغرف الدردشة، ووسائل التواصل الاجتماعي فأصابني لومة إحادية، وكنت أرى - غفر الله لي - أن الدين مسخرة وأن التمسك به تخلف ورجعية، وأن قضايا الدين عتيقة أكل عليها الدهر وشرب.

كنت أنام حتى غروب الشمس، فإذا استيقظت من نومي ملأت البيت بالسب والشتم واللعن والمشاجرات مع أمي تارة، ومع إخوتي تارة أخرى.

كنت أقضي الليل مع شلة من الشباب الحيران الضائع نجرى وراء الفتيات، ونسهر معهن في المجون والهيام والغواية، فما يكاد يمر يوم من الأيام إلا ونفعل هذا الذي ذكرته وأكثر..

حتى إذا تعبت، وأحسست بأن النوم قد حلَّ بي، هرولتُ إلى بيتي وكنت أرتمي على سريرتي كالجثة الهامدة من شدة التعب.. فأنام نومة الهائم الضال الذي ما عرف الطريق.



ومضت على الأيام والليالي والساعات والدقائق وأنا على هذا النحو.. وفي يوم من الأيام خرجت أتجول في أعين الفتيات وأنظر إليهن، وفجأةً وجدتُ فتاة تشير إليّ من بعيد، فأوقفت السيارة مباشرة، ثم نزلت منها لأنظر مَنْ تلك الفتاة التي تشير إليّ، فإذا بفتاة جامعية كانت زميلة لي، فسلمت عليها، وبدأنا نتجاذب أطراف الحديث، فأحسست برغبة ملحة في قضاء ليلة ممتعة معها فأخذتني إلى بيتها، وأنا في شدة الشوق لها..

فانطلقت معها وكلمنا اقتربت من بيتها نابني شيء من القلق، فما إن وصلنا حتى أسرع لتراقب السلم، لتتأكد من خلو الشقة من أهلها، ثم أعطتني الإشارة. فانطلقت وأنا في غاية سعادتي، وكامل نشوتي لأني سأفوز بهذه الغنيمة.. وبعد أن واقعتها في الحرام، وأخذت متعتي، أحسست بالراحة، فواعدتها أن آتيها، وبالفعل آتيتها كثيرًا في بيتها..

وذات مرة.. خرجت أتجول ناحية الجامعة - كما هو حال أكثر الشباب - خاصة وقت خروج الفتيات، وبينما أعاكس فتاة من الفتيات إذ اصطدمت سيارتي بسيارة أخرى من السيارات ونقلت إثر ذلك على الفور إلى المستشفى. فلما أفقت من أثر الحادث.. وجدت أهلي يبكون.. فأمني تبكي بكاءً شديدًا وتقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، وأبي يبدو على وجهه الحزن والاكتئاب، «فحزنت ثم ازداد حزني لما علمت بعد ذلك من الطبيب أنني قد أصبتُ بشلل نصفي». أحسستُ حينئذٍ أن الله تعالى يعاقبني على كل ما اقترفتُ يداي، وفي هذا الوقت عَزَمْتُ على التوبة والأوبة....

لا تصدقني، حين أقول لك.. أنني سعدت بهذا الابتلاء؛ لأنه كان سببًا رئيسيًا في توبتي فلقد استقمت والله الحمد، وحفظت القرآن الكريم كله في أقل من سنة، وبدأت في تحفيظ القرآن للأطفال الصغار في الحي الذي أسكن فيه، وكنت سببًا في التزام شباب كثير.. فله الحمد والمنة..

فنصيحتي لإخواننا من الشباب!! أن يسارعوا بالتوبة ويبادروا بالأوبة، فإن التوبة تهدم ما قبلها.



هتقدر تغمض عينيك

قد تقول: لقد حفزتي لكي أغض بصري «عن الحرام» ولكن هذه الشهوة.. (أقصد شهوة النظر إلى الفتيات) في دمي، والإثارة تحيط بي من كل مكان، فماذا أفعل لكي أذهب شهوتي وأغض بصري - خاصة - وأنا في طريقي إلى الجامعة؟! والجواب: ابتداءً اعلم أخي الشاب أن وجود هذه الغرائز وتلك الشهوات بذاتها، ليس عيباً ولا انتقاصاً من قدر الإنسان؛ لأنه مكرَّم بما فيه^(١). ولكن الإشكالية.. فيمن يوجه هذه الشهوات نحو «الحرام»، إذن الشهوة في ذاتها ليست مشكلة..

أعلم أنك قد تقول: وماذا بيدي: والأوضاع قد انقلبت حتى أصبح العفاف صعباً؛ وتمسك الناس بمظاهر تافهة، مما عقَّد سبل الزواج الشرعي أمام كل شاب راغب في العفاف..

أقول لك: أعرفُ هذا الواقعَ المرير الذي انتشرت فيه الإباحية حتى صارت وكأنها منهج العصر، وأزديك: أن سبل الحلال قد صعبت، وذُللت طرق الحرام وتيسرت.. كما حورب الزواج المبكر بدعوى «أن هذا من الرِّق» وأنه يخالف المواثيق الدولية ويعتبر إجحاراً بالبشر، بينما رُوجَ للصدقات المشبوهة.. واعتبر الزواج لدى كثير من الشباب «مسئولية» وهمَّما ينبغي تأخيرها، أما العلاقات غير الشرعية فهي «خبرات» لابد للشباب أن يمر بها!!

* هذه صورة صادقة لواقعنا، يمكن أن نضل معاً نزيدها سواداً، وبالتالي تمتلئ نفوسنا ضيقاً وأرواحنا تشاؤماً، ولا نرى أنفسنا إلا ضحايا ومظلومين، وقد يصل الأمر ببعض الشباب أن يعتقدوا أن غض البصر أمر مستحيل.

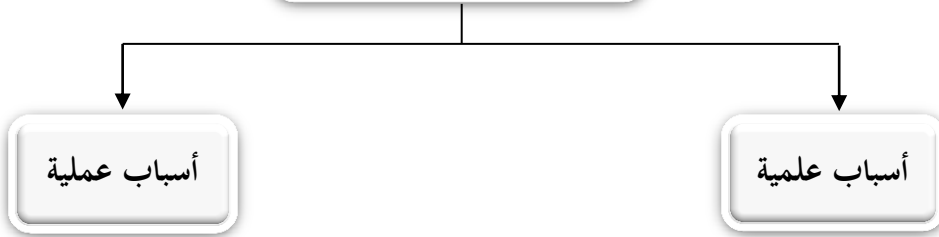
(١) راجع: [سبل العفة وخطورة الانحراف وأسبابه]، للأستاذة/ مريم خيس محمد، ص١٧، ط. دار الوفاء.



لكن يبقى السؤال.. وماذا بعد؟!

هل يدفعنا هذا إلى أن ننزلق وراء نداء الجسد فنُعَب من الشهوات ونسير خلفها؟! أم نقف على أرض صلبة من مبادئ ديننا ونذكر ما نحن فيه ونسعى إلى معالجته^(١)؟! ستقول.. وماذا أفعل لكي أهدب شهوتي وأغض من بصري؟! والجواب: حتى تصل إلى ما تتمناه.. فأنصحك - ونفسي - بالأخذ بهذه الأسباب لكي تتمكن من تهذيب شهوتك وغض بصرك..

وهذه الأسباب تنقسم إلى



فأما الأسباب العلمية: التي تعينك بعد الله على غض البصر.. فعليك بتحقيق الآتي:

(١) أوصيك بأن تعظم ربك - جلَّ جلاله، وأن تعرف مقدار إلهك وخالقك - جلَّت قدرته؛ لأنه لا يجرؤ على معصية من المعاصي إلا مَنْ تغافل أو تناسى تعظيم الملك - جلَّ جلاله - إذن فتناسى مقدار الله تعالى رأس كل خطيئة.

(٢) الاستعانة بالله تعالى.. بكل صدق: فلن تتمكن من تهذيب شهواتك، ولا مِنْ غض بصرك إلا بإعانة الله لك.. يقول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ

(١) انظر كيف نتعامل مع الشهوة؟، تأليف أ/ أحمد زين، ص ٦٥، ط. مكتبة راية.





﴿ ٧٨ ﴾ [الحج: ٧٨].

فاستعن بالله ولا تعجز، واعلم أن من أعانته الله فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول.
 (٣) تعرف على ربك وخالقك بأسمائه وصفاته: فإن هذا سيزيد إيمانك ويقينك، فادرس هذا الباب العظيم من أبواب الاعتقاد «وهو توحيد الأسماء والصفات» واعلم أن هذا الباب باب جليل، إذ شرف العلم يرجع إلى شرف المعلوم..
 ثم اجتهد أن تعمل بمقتضى ما درست وقرأت عن أسماء الله وصفاته.
 واعلم أن أعجب العجب.. كما يقول ابن القيم.. أن تعرف الله ثم لا تحبه، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الإجابة، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيرهِ، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له، وأن تذوق ألم الوحشة في معصية ثم لا تطلب الأُنس بطاعته.^(١)
 (٤) راقب ربك تعالى في السر والعلن: فإذا سَرَّتْ في شارع من الشوارع، أو في طريق من الطرق، أو في الجامعة أو.... «فتذكر أن ربك مطلعٌ عليك، يقول تعالى عن نفسه:

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩].

يقول ابن عباس: هو الرجل يكون في القوم فتمرُّ بهم المرأة فيريهم أنه يغض بصره عنها، فإن رأى منهم غفلة نظرَ إليها، فإن خاف أن يفتنوا إليه غَضَّ بصره، وقد اطلع الله عز وجل من قلبه أنه يود لو نظر إلى عورتها..

فحري بك أخي الكريم: أن تراقب ربك وخالقك - جَلَّتْ قدرته -، وأن تعلم أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً، فلا يغيبُ عن علمه مثقال حبة في السماء أو في الأرض..
 * وتذكر دوماً أنك محاسبٌ على كل حركة وسكنة، فحاسب نفسك قبل كل نظرة، وذكرها بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

(١) مدارج السالكين (٢/ ١١٥).

وتذكر وصية «الجنيد» لما سئل ف قيل له: بما يُستعان على غض البصر؟!، قال: أن تعلم بأن
نظر الله إليك أسبق..

هـ) تذكر: أن كل شيء في هذا الكون يذعن لله تعالى، ويستسلم لأوامره..
سبحان الله! هذا الكون كله، صغيره وكبيره، متوجه إلى الله عز وجل يسبحه، ويمجده،
ويسجد له.. يقول تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ
بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

* هذه الجبال الشاخات تسبح وتسجد لربها، وهذه النجوم النيرات كذلك، وهذه
الدواب العجاوات تلهج بالذكر.. يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ [الحج: ١٨].

* هذه المخلوقات العظيمة كلها تقف منكسة رأسها متذلة إليه، معترفة بالفضل له.
* لكن يبقى في هذا الكون مخلوق صغير حقير ذليل، خُلِقَ من نقطة، فإذا هو خصيمٌ
مبينٌ، هو يسير في واد والكون في وادٍ آخر.
فالله أكبر.. ما أشد غروره، وما أعظم حماقته!!

قبل أن تنظر إلى الحرام.. تذكر!!

قبل أن تنظر إلى الحرام.. تذكر جلال الله عز وجل وجماله وكماله، وعزه وسلطانه،
وقيوميته وعلوه على عرشه.

* عليك أن تتذكر أن الله تعالى أكمل من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأعز من كل
شيء، وأعلم من كل شيء، وأحكم من كل شيء، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات
على تفنن الجاجات، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلظه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين،





سواءً عنده مَنْ أَسَرَ القول ومن جَهَرَ به، فالسر عنده جهر، والغيب عنده علانية، يرى ديبب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، ويرى نياط عروقها، ومجاري القوت في أعضائها».

* قبل أن تقبل على «معصية النظر إلى الحرام» عليك أن تتفكر في هذه الدنيا، وحقاتها، وقلة وفائها وكثرة جفائها، وخسة شركائها، وسرعة انقضائها.

* تفكر في أهلها وعشاقها وهم صرعى حولها، قد عَذَّبَتْهُمْ بأنواع العذاب، وأذاقتهم ألم الشراب أضحكهم قليلاً وأبكتهم كثيراً وطويلاً، سقتهم كؤوساً بعد كؤوس خمرها، فسكروا بحبها، وماتوا بهجرها.

* عليك قبل أن تعصي الله عز وجل أن تتفكر في الآخرة ودوامها، وكيف أنها هي الحياة الحقيقية، فأهلها لا يرتحلون منها ولا يظعنون أو يسافرون عنها، بل هي دار القرار، ومحط الرحل ومنتهى السير..

قبل أن تنظر إلى الحرام: تفكر في الجنة، وما أعدَّ الله لأهلها فيها، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وما صنعه الله لعباده على لسان رسوله من النعيم المفصل الكفيل بأعلى أنواع اللذة من المطاعم والمشارب، والملابس والصور، والبهجة والسرور.

تفكر في الجنة!! والتي تربتها من المسك، وحصباؤها من الدر، وبنائها من لبن الذهب وقصب اللؤلؤ، وشرابها أحلى من العسل، وأطيب رائحة من المسك، وأزكى من الكافور، وألذ من الزنجبيل^(١).

قبل أن تنظر إلى الحرام.. اعقد مقارنة بسيطة بين الفتاة التي تنظر إليها من أهل هذه الدنيا، وبين نساء الجنة «من الحور العين».

فإن نساء الجنة لو برَّرَ وجه إحداهن في هذه الدنيا لغلب ضوء الشمس، لباسهم فيها

(١) راجع التفاصيل في كتاب: حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح، للإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى.



الحرير والسندس والإستبرق، وخدمهم ولدان كاللؤلؤ المنشور، وفاكهتهم دائمة، لا مقطوعة، ولا ممنوعة، وفرش مرفوعة، وغذاؤهم لحم طير مما يشتهون، وشرابهم خمر لا فيها غَوْل ولا هم عنها ينزفون، وخضرتهم فاكهة مما يتخيرون، وفيها حورٌ عين كأمثال اللؤلؤ المكنون، فهم على الأرائك متكئون، وفي تلك الرياض يُجْبَرُونَ، وفيها ما تشتهيهِ الأنفس، وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون.

قبل أن تنظر إلى الحرام.. تذكر النار وتوقدها، واضطرامها، وبعد قعرها، وشدة حرها، وعظيم عذاب أهلها.

تخيل يا من تنظر إلى الحرام.. أنك تُساق إلى النار، وأنت أسود الوجه، أزرق العين من هول الموقف، السلاسل والأغلال في عنقك، فلما انتهيت إلى بابها، فُتحت لك أبوابها، وشاهدت ذلك المنظر الفظيع، الذي يُقلِّقُ القلوب، ويذهب بالعقول.

ثم اعلم - يا مَنْ تنظر إلى الحرام - أن أهل الزلات تراه يوم القيامة يقلبون أكف الحسرات، ويندمون ولات ساعة ندامات..

يا من تنظر إلى الحرام، تخيل أهل النار، وهم يعذبون في الحميم، وعلى وجوههم يُسبحون، وفي النار كالخطب يسجرون، ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]، فبئس اللحاف وبئس الفراش، وإن استغاث أهل النار من العطش ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]، فإذا شربوه قَطَعَ أمعائهم في أجوافهم، وصَهَرَ ما في بطونهم، شرابهم الحميم وطعامهم الزقوم ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦].

تخيل يا من تحب النظر إلى الحرام، أنك في النار.. تصرخ كالطفل بأعلى صوتك وتقول مع القائِلين: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ





فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَ كُمْ التَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ [فاطر: ٣٧].

- يا مَنْ أَدْمَنْتَ النَّظَرَ إِلَى الْفَتَيَاتِ، يَا مَنْ كُنْتَ أَسِيرًا لَخَطِيئَاتِكَ، وَعَبْدًا لَشَهَوَاتِكَ:

* اسأَلْ نَفْسَكَ كَمْ سَتَعِيشُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا؟ سَتِينَ سَنَةً.. ثَمَانِينَ سَنَةً.. أَلْفَ سَنَةٍ.. ثُمَّ مَاذَا؟
لَا بَدَّ وَأَنْ تَمُوتَ، وَإِلَّا فَلَوْ كُتِبَ الْخُلُودُ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ لَكُتِبَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

تَحِيلُ.. يَا مَنْ كُنْتَ تَرُوحُ وَتَغْدُو تَعَاكُسُ الْفَتَيَاتِ، وَتَنْظُرُ إِلَى مَفَاتِنِهِنَّ تَحِيلُ أَنْكَ مِتَ،
وَشِيعَتْ جَنَازَتُكَ، وَانْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ!!

فَأَهْلَكَ بِكَوْكَ أَيَّامًا ثُمَّ نَسَوْكَ.. وَبَعْدَ دَفْنِكَ تَوَلَّوْا عَنْ قَبْرِكَ وَأَنْتَ تَسْمَعُ قِرْعَ نَعَالِهِمْ..
وَبَقِيَتْ وَحْدُكَ فِي قَبْرِ مَظْلَمٍ ضَيْقٍ مُوحِشٍ، تَنْتَظِرُ «الْمَلَائِكَةَ» لِتُسْأَلَ عَنْ كُلِّ مَا اقْتَرَفْتَ يَدَاكَ..
* ثُمَّ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ.. إِنَّهَا صِيحَةُ الْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ، فَتَسْمَعُ الصَّوْتَ؟، فَيَطِيرُ فُؤَادُكَ،
وَتَشِيبُ رَأْسُكَ، فَتَخْرُجُ مُعْبَّرًا حَافِيًا عَارِيًا، وَقَدْ رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا، وَبُسَّتِ الْجِبَالُ،
وَشَخَصَتِ الْأَبْصَارُ لِتِلْكَ الْأَهْوَالِ، بَلْ وَطَارَتْ الصَّحَائِفُ، وَأَنْتَ قَلِقٌ مُرْتَعِدٌ خَائِفٌ، بَرَزَتْ
النَّارُ فَأَحْرَقَتْ، وَزَفَرَتْ غَضَبًا فَمَزَقَتْ، وَتَقَطَّعَتْ الْأَفئِدَةُ وَتَفَرَّقَتْ.. وَالْأَحْدَاقُ قَدْ سَالَتْ،
وَالْأَعْنَاقُ قَدْ مَالَتْ، وَالْأَلْوَانُ قَدْ حَالَتْ، وَالْمَحَنُ قَدْ تَوَالَتْ..

* تَذَكَّرْ مِثْلَتَكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَانْفِرَادَكَ بِخَوْفِكَ، وَأَحْزَانِكَ وَهَمُومِكَ وَغَمُومِكَ
وَذُنُوبِكَ.. وَقَدْ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا، وَجِيءَ يَوْمُئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمُئِذٍ
يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى.. قَدْ مُلِئَتْ الْقُلُوبُ رَعْبًا وَذَهَلَتْ الْمَرْضِعَةُ عَنْ رَضِيعِهَا
وَأَسْقَطَتِ الْحَامِلُ حَمْلَهَا، وَتَتَبَرَّأُ حِينَهَا مِنْ بَنِيكَ، وَأُمُّكَ وَأَبِيكَ، وَصَاحِبَتُكَ وَأَخِيكَ.

* تَذَكَّرْ تِلْكَ الْمَوَاقِفَ وَالْأَهْوَالِ، يَوْمَ يَنْسَى الْمَرْءُ كُلَّ عَزِيزٍ وَحَبِيبٍ..

* تَذَكَّرْ يَوْمَ تَوْضَعُ الْمَوَازِينَ وَتَنْطَايِرُ الصُّحُفُ، كَمْ فِي كِتَابِكَ مِنْ زَلَلٍ، وَكَمْ فِي عَمَلِكَ مِنْ
خَلَلٍ!!

تَذَكَّرْ يَوْمَ يُقَالُ لَكَ: هِيَ.. اعْبِرِ الصِّرَاطَ.

تَذَكَّرْ يَوْمَ يُنَادِي بِاسْمِكَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ هِيَ إِلَى الْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ، فَتَقُومُ



أنت، ولا يقوم غيرك لأنك أنت المطلوب.

تذكر حينئذ ضعفك، وشدة خوفك، وانهيار أعصابك، وخفقان قلبك.. حين تقف بين يديّ الملك الحق المبين، الذي كنت تهرب منه، ويدعوك فَتَصَدُّ عنه.. وقفت وبيدك صحيفة، لا تغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصتها فتقرؤها بلسانٍ كليل، وقلب كسير، قد عمَّك الحياء والخوف من الله.. فبأي لسانٍ تحببه حين يسألك عن عمرك، وشبابك، وعملك، ومالك؟ وبأي قدم تقف غداً بين يديه؟، وبأي عين تنظر إليه؟، وبأي قلب تحبب عليه؟، ماذا تقول غداً له عندما يقول لك: يا عبدي: لما أطلقت بصرك إلى الحرام؟، لماذا لم تجلني؟، لماذا لم تستح مني؟، لماذا لم تراقبني؟

- عبدي استخففتَ بنظري إليك، ألم أحسن إليك، ألم أنعم عليك!!
فيا مَنْ تُطلق بصرك.. أوصيك أن تصبر على طاعة الله هذه الأيام القليلة وهذه اللحظات الباقية السريعة لتفوز الفوز العظيم، وتتمتع بالنعيم المقيم؟!
٦) جاهد نفسك الأمارة بالسوء.. فإذا حدثتك نفسك بالنظر إلى الفتيات المتبرجات فخالفها وإن استطعت أن تصرعها فاصرعها [وأعني بالصراع معها]: مغالبتها لتسلك طريق الخير، وتبتعد عن طريق الشر، فهي إن لم تأطرها أطرتك، وإن لم تلجمها ألجمتك.

فالنفس: مدعاة للهوى والتمرد على الحق، فكن - أخي الشاب - حازماً عليها، مجاهداً لا. وصدق القائل حين قال:

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى *** حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ
فالمعتوه كل العته، والأحمق كل الحمق مَنْ لم يفظمها عن هواها، ولم يكْ مَحْنُ زَكَاها، وكان مَحْنُ داسها.. فَخَابَ وخسر في الدنيا والآخرة.

أخي الكريم.. اعمد إلى دفاتر العمر فتصفحها صفحةً صفحةً، واستطلع ما أودعته في تلك الصفحات، فإن كان خيراً فاحمد الله، وإن كان غير ذلك فتب وعُدْ إلى رشدك، وإياك





والتماذي في الغي ظن فإنه مهلكة.

واسأل نفسك دائماً: وقل لها: ماذا أردت بنظراتي وحركاتي وسكناتي؟!

وتذكر هذه الكلمة النيرة «للحسن البصري» - رحمه الله - إذ يقول: «المؤمن قَوَّامٌ على نفسه يحاسبها لله، وإنما خَفَّ الحساب على قومٍ حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شَقَّ الحساب يوم القيامة على الذين أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة»^(١).

أدب نفسك

وإليك هذه التجربة العلمية: إذا أردت أن تنظر إلى فتاةٍ من الفتيات.. أو أن تعاكسها، فانطلق إلى البيت، وأشعل الموقد وضع أصبعك عليه.. وقل لنفسك: إن صبرت على هذه النار الضعيفة تركتك وشأنك، وإن لم تصبري فكيف تقوين على نار وقودها الناس والحجارة؟!، فكن محاسباً لنفسك دوماً، واعلم أن هذا هو هدى أسلافك الصالحين، أما أهل الغفلة فإن الواحد منهم يمضي قدماً لا يُعاتب نفسه، ولا يحاسبها..

فبادر -عبد الله- قبل أن تبادر، واعلم أن إصرارك على إطلاق البصر للحرام معصية أخرى يجب التوبة منها.

٧) تعلم كيف تحارب شيطانك؟!

ابتداءً: لا بد وأن تعلم أن الشيطان ملحاح بطيء لا ييأس، لذلك ترى طريقته دوماً «التزيين والإغواء» فمهمة الشيطان خداعك - أخي الشاب - فهو يُريد أن يفسدك عن طريق «إثارة شهوتك» ليفوز في معركته معك، ومع بني آدم جميعاً.

لهذا فلا بد وأن تكون هناك قوى نفسية وإيمانية وعلمية مضادة، أو ما يُسمى بلغة أهل العصر «رد فعل» من قِبَل الشاب، حتى يكون مدرّكاً لأساليب وسوسة الشيطان ومداخله، فيكون منتبهاً يقطّأ واعياً كالجندي على برج المراقبة.

(١) انظر [حلية الأولياء، لأبي نعيم (٢/ ١٥٧)].



لأن للشيطان مداخل، ومسالك يسلكها مع العبد.. فهو لا يأتي لك ويقول: هيا إلى الزنا، ولكنه يفعل ذلك من خلال عمليات متواصلة، وصراع لا ينقطع، وخطوات مرتبة ومنظمة، وبالتالي فلا تتصور أن بإمكانك قهر هذا الشيطان دون معرفة الأساليب التي يمكن أن يدخل لك منها، كذلك لابد من ترتيبات وتحصينات ضد شبهات الشيطان وأساليبه.

إذن فليزمك أن تجاهد شيطانك، الذي هو عدوك الأول ولا تغتر بأساليبه^(١)، واعلم أن الشيطان أقسم لأبيك وأمك أنه لهما لمن الناصحين.. وقد رأيتُ ما فعل بهما!!

أما أنت فقد أقسم على غوايتك، وإضلال جميع المؤمنين.. فقال: ﴿قَالَ فَيَعَزِّتَكَ لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]، وقال: ﴿لَأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف: ١٦]، فماذا ترى يصنع بك؟!

٨) عليك بالرفقة الصالحة.. وهذه قضية تهم الصغار والكبار، والرجل والنساء، والشباب والفتيات، إنها قضية الصداقة.

فالإنسان على دين خليله، والشاب على دين قرينه، فإن كان الصحاب صالحًا كان قرينه

(١) ومن هذه الأساليب إشاعة الكثير من الشبهات التي تعرقل السائر إلى الله - تعالى - وتثنيه عن الإقدام على هذه العبادة المباركة.. ومن هذه الشبهات التي يلقيها الشيطان على ألسنة كثير من الشباب - عامة - وطلبة الجامعات - خاصة -:

- ١- أنه يجوز النظر إلى الفتيات ما دامت النظرة نظرة أخوية وبنية طيبة.
- ٢- أنه لا بأس بإطلاق البصر بحجة تسلية النفس في أثناء السير في الطريق إلى الجامعة.
- ٣- وقد يحتج بعضهم بأنه صغير السن، وأنه يفعل كل ما يفعله الشباب في هذه المرحلة العمرية.
- ٤- وبعضهم يُبيح لنفسه إطلاق البصر إلى الحرام في الشوارع والطرق بحجة أن الأولى له، والثانية عليه.
- ٥- وبعضهم يطلق بصره إلى الفتيات ظنًا منه أن في إطلاق البصر تفريجًا للكبت الجنسي.
- ٦- كذلك فالبعض يُبيح لنفسه إطلاق البصر بحجة اختيار شريكة الحياة.
- ٧- والبعض يطلق بصره بحجة أن اللوم على الفتيات المتبرجات لا على الشباب الناظر إليهن، وقد وفقني الله تعالى لاستيفاء الكثير من هذه الشبهات والرد عليها بما يناسبها في كتابي «لماذا تطلق بصرك؟! فراجع له لزامًا».





صالحًا، وإذا كان فاسقًا كان الآخر فاسقًا.

فاختر - أخى الشاب - صديقك وصاحبك، حتى لا تتردى معه إلى أسفل سافلين.
وحتى تعلم خطر صديق السوء، فانظر ما الذي جعل «أبا طالب» عم رسول الله ﷺ
خالدًا مخلدًا في ضحضاح من النار، بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من الإسلام، أو ليس هو
صديق السوء «أبو جهل» - عليه لعنة الله.

* فاجتنب رفقاء السوء.. الذين يهربون من الله، والذين يفضلون الأرصفة والشوارع
على بيته سبحانه وتعالى.

- اجتنب صاحب السوء.. الذي يُلبى دعوة الشيطان، ويهرب من ربه إلى الصور
العارية والأغاني الماجنة!! فابتعد عن رفاق السوء، ولا تقترب منهم، قبل أن تندم في يوم لا
ينفع فيه مال ولا بنون، إلا مَنْ أتى الله بقلب سليم.

ثم سرّ في طريق الالتزام، مع تلك الوجوه الطيبة النيرة، مع تلك القلوب البيضاء النقية،
هذه الألسن الرطبة النظيفة الذاكرة.. من أهل الخير والصلاح.

فانظر إليهم تشعر بطعم الحياة وحلاوة الإيمان، وانضم إليهم ليعينوك على غض البصر
وحفظ الفرج.

٩) لابد من الصبر على «غض البصر».. «إذ الصبر شحنة من الجهاد، فما أحلى مرارة

الصبر في سبيل الله، وما ألدّ نتيجته»! يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ

بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

للصبر أنواع

- ١) صَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ «كغض البصر عن الحرام تعبدًا لله.
 - ٢) وَصَبْرٌ عَنِ الْمَعَاصِي «كإطلاق البصر» خوفًا من الله.
 - ٣) وَصَبْرٌ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ، رَضَى بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ.
- واعلم - أخي الكريم - أنه ما من صابرٍ إلا وسيوفي أجره، إِنَّ كَانَ قَدْ صَبَرَ نَفْسَهُ عَلَى الطَّاعَةِ أَوْ صَبَرَ بَدَنَهُ عَلَى عَمَلٍ وَشَغَلٍ.
- فالصبر.. الصبر - أخي الشاب - فالصبرُ مفتاح به تفتح الأمور وإن غلقت مغاليقها، وهو نبراس يُهتدى به إِنْ غَابَتِ الشَّمْسُ وَأَظْلَمَتِ السَّبِيلُ، والصبر يزيد صاحبه ثباتًا على الحق، وتأييدًا بين الخلق، كالنار زادت العود طيبًا وريحًا.
- * فالصبر الصبر!! يا مَنْ تَغْضُ بَصْرَكَ.. فبالصبر تُنال السعادة، والحسنى وزيادة، وبه يكون العبد قوي العهد، صادق الود، بعيد الصد والرد.

١٠) حتى تَعْلُو هَمَّتْكَ فَتَقْبَلْ عَلَى غَضِ الْبَصْرِ بِكُلِّ قُوَّةٍ.. أَذْكُرْكَ - أَخِي بَنِي اللَّهِ «يُوسُفَ» وَالَّذِي كَانَ فَتًى وَشَابًا بَارِعَ الْقُوَّةِ وَالْفَتْوَةِ وَالْجَمَالِ، وَكَانَ مَمْلُوكًا عِنْدَ امْرَأَةٍ ذَاتِ مَنْصَبٍ وَجَمَالٍ، وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ تَزِينَتْ لَهُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ، وَغَلَّقَتْ الْأَبْوَابَ، وَقَالَتْ لَهُ: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أَي تَهَيَّئْتُ لِلْقَائِكَ، وَالِاسْتِمْتَاعَ بِكَ، فَقَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

فأبى يوسف أن يقع في الفاحشة أو يتابع هواه، رغم أن الداعي الذي اجتمع في حقه لم يجتمع في حق غيره (فلقد كان شابًا)، والشاب تكون شهوته قوية كالجواد الجامح، كذلك كان عزبًا فليس عنده ما يعوضه، وكان غريبًا عن أهله ووطنه، والغربة من أكبر دواعي المعصية





لأن المقيم بين أهله وذويه - إن كان ذا خلق وديانة - يستحي أن يفعل هذه الكبيرة بين
ظهرانيهم.

أما إذا كان الإنسان غريباً وفاسداً فلا شك أن وقوعه في هذه المعصية سيكون أسهل
وأيسر.

* كذلك فلقد كان في صورة المملوك، والعبد المملوك لا يأنف مما يأنف منه الحر،
وكانت المرأة ذات منصبٍ وجمالٍ الداعي مع ذلك أقوى من دافع ليس كذلك، كذلك كانت
هي الراغبة وهذا سيزيل كلفة تعرض الرجل وطلبه، وخوفه من عدم الإجابة، وزادت مع
الطلب الرغبة التامة والمراودة التي يُزال معها ظن الامتحان والاختبار لتعلم عفافه من
فجوره، وكانت في محل سلطاتها وبيتها بحيث تعرف متى تفعل ما تريد؟، وأين؟، بل وزادت
مع ذلك تغليق الأبواب لتأمين هجوم الداخل عليها فجأة، وأتته بالرغبة والرغبة.

ومع هذا كله: لم يقل كبعض شباب هذه الأيام: «خلاص بقى أمشي حالي، وأعيش
حياتي بالطول والعرض».

بل على العكس لم يقع تحت وطأة الشهوة المحرمة، خلافاً لمنطق كثير من شباب اليوم
والذين لو عُرِضَ عليهم مثل هذا الأمر لقال بلسان حاله: «يا ليت لي مثل ما أوتى «يوسف»
إنه لذو حظٍ عظيم».

وإنما عَفَّ يوسف لله تعالى، ولم يُطِغْ امرأة العزيز، وقَدَّمَ حَقَّ الله وحَقَّ سيده على هذا
كله.. وهذا أمر لو ابتلى به مَنْ سواه لم يعلم كيف كانت تكون حاله^(١)!

هل اقتصر الأمر على ذلك؟! لا.. بل لما بلغ نساء المدينة أن امرأة العزيز تراود فتاها عن
نفسه قد شغفها حباً، أرادت المرأة أن تُرى النساء جمال يوسف عليه السلام حتى يلتمسن لها

(١) انظر [روضة المحبين ونزهة المشتاقين]، لابن القيم، ص ٣١٨، ٣١٩.

العدر في شدة محبتها وبذلها نفسها له: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَعًا وَعَازَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

فلما رأت امرأة العزيز مدى انبهار النساء بيوسف عليه السلام صرحت لهن، واعترفت بين أيديهن: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاَسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَكُونَنَّ مِنَّا لَلصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢].

واستمر الكيد والمكر بيوسف من المرأة ومن نساء المدينة، وهو يعتصم بالإيمان، ويلجأ إلى الرحمن ويقول: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

يا يوسف هذا العصر..

استعصم بربك، واعترف بضعفك، والجا إلى سيدك ومولاك وخالقك ليصرف عنك الفتن ما ظهر منها وما بطن.

أخي الشاب.. اتخذ ربك وإلهك مولى وحيباً.. ناصراً ووكيلاً.. هادياً ومعيناً فبه همومك وأشجانك وأحزانك، واعترف إليه بضعفك وحاجتك، واسأله الإعانة والسداد والتوفيق...

ثم إياك إياك أن تُنكس راية الإيمان بحجة أن الفتن جارفة، والشهوات عارمة، بل ارفع راية الإيمان في كل الأحيان «واستعن بربك الرحمن على الدوام كما فعل نبي الله يوسف عليه السلام».





واجعل لديك همة وعزيمة حرة.. تأبى أن ترعى في المزابل، وأن تحوم نحو القذر، فالنفس النقية الطاهرة تستقذر أن تأتي من هذا الحرام شيئاً، وتحتقر أن تشارك في إطلاق البصر إلى الحرام.

(١١) لا تُعرض الطبع لما ينجذب إليه، ثم تعاني بعد ذلك تكلف البعد عن هذا المحرم؛ لأن الطبع في هذه الحالة إما غالبٌ فتقعُ من المعصية، أو مغلوب: فتحصل المشقة والعنت.

(١٢) أَعْمِلْ عقلك.. واسأل نفسك.. وقل لها: هل من الرجولة أن أغشى هذا الحرام فأطلق بصري إلى المرأة، لتستعبدني بعد ذلك وتذلني؟

- هل أخذتُ صكاً من ملك الموت أنني لن أموت إلا بعد توبتي من النظر المحرم؟!

ثم على أي شيء سأُنظر؟!، أَلست أنظر إلى مواطن التنن في المرأة؟

ثم هل لو نظرت إلى فتاةٍ من الفتيات، أليس من الممكن أن يُسَلَطَ على «أختي أو أُمي» شاب فاسد عرييد لا يدعى لهم حرمة؟!

(١٣) اصدق الله يصدقك.. يقول: أبو سليمان الداراني: «مَنْ صَدَقَ الله في ترك شهوة أذهبها الله من قلبه، والله أكرم من أن يعذب قلباً لشهوة تركت له..».

فاصدق الله تعالى، واهجر النظر إلى الحرام.. صدقك ويسدّدك ويُعِينُك.

(١٤) اعلم أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.. نعم إن من منة الله تعالى على عباده أن من ترك النظرة المحرمة خوفاً من الله تعالى، ورغبة في ثوابه، أبدله الله وعوضه خيراً من ذلك (الخور العين)^(١).

(١) صنفت رسالة جمعت فيها أوصاف الخور العين من القرآن الكريم والسنة المطهرة، لأستحث همم إخواني الشباب للإقبال على غض البصر، والإعراض عن إطلاقه للحرام - يَسِّرَ الله نشرها.

قد تقول: ولكنْ غَضُ البصرِ عن الفتيات - عامة - والجمالياتِ منهن - خاصة - أمرٌ صعب وشاق على النفس؟!

أنت تسأل.. وابن القيم يجيب

* يجيبك على سؤالك إمامنا ابن القيم فيقول: «إنما يجد المشقة في ترك المألوفات والعادات فضلاً عن المحرمات مَنْ تركها لغير الله، أما مَنْ تركها صادقاً مخلصاً من قلبه لله تعالى.. فإنه لا يجد في تركها مشقة إلا أول وهلة.. ليُمْتَحَنَ.. أصادقُ هو في تركها أم كاذب، فإنْ صَبَرَ على تلك المشقة قليلاً.. تحولت إلى لذة.

١٥) وأخيراً أعدّ للسؤال جوابه: إذا علمت - أخي الكريم - أن الله تعالى سيوقفك بين يديه للحساب عن أعمالك في حياتك كلها، ثم يُعَادُ السؤالُ مرةً ثانية لتسأل عن فترة الشباب.

بماذا ستجيبه؟!

* بأي شيء ستجيب ربك وخالقك: عندما يسألك عن أهم وأخطرِ مرحلة في حياتك وهي مرحلة الشباب؟!

حينما تسأل: فيما أفنيت شبابك؟!، بأي شيء ستجيب، هل ستقول له: أفنيت شبابي في الوقوف على نواصي الطرقات لمعاكسة الرائحات والغاديات؟! أم ستقول: لقد تميزت يا رب في هذه المرحلة بإطلاق البصر إلى الفتيات ومطاردتهن، فقبل أن تسأل هذا السؤال لابد وأن تسأله لنفسك، وتحجب عليه بكل صدق، فالصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، كما صَحَّ عن رسول الله ﷺ.

ثانياً: الحلول العملية المعينة على غرض البصر:

١) احفظ الله يحفظك: فَمَنْ حَفِظَ الله تعالى وَوَقَّى فرائضه كان ذلك قوة لقلبه وإعانة على طاعة ربه، فتبتاعد عنه الشهوات، فلا يجد الشيطان سبيلاً إلى هذا القلب الذي حَفِظَ الله تعالى، لا يجد سبيلاً بالوساوس والشبهات، ولا يجد الشيطان كذلك





طريقاً إلى جَرِه إلى الشهوات إذا كان انضباطه بالعبادات والطاعات مانعاً له من الوقوع في الشهوات، فكان حفظه الله تعالى سبباً لحفظ الله عز وجل لدينه من الشبهات والشهوات^(١).

(٢) القناعة الشخصية بأهمية غض البصر وتحصين الفرج.

(٣) أَرِ الله من نفسك خيراً يُعْنِكَ ويسدّدك.

(٤) الوضوء قبل النزول من البيت. واعلم أنه لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن [كما صَحَّ عن رسول الله].

(٥) الإكثار من الأذكار - خاصة - ذكر الخروج من المنزل.. فإن الذكر باللسان هو حصنُ المؤمن، وهو المفضى إلى ذكرٍ أكبر وهو ذكرُ الجوارح.. وذكرُ الجوارح هو الانتهاء عن عصيان الله تعالى، فاحرص على الذكر - خاصة - في الشوارع والطرق حتى تكون في معية ربك.

(٦) التضرع إلى الله أن يثبتك وأن يحفظ عليك سائر جوارحك من الوقوع في برائن المعصية - خاصة - عينيك وقلبك.

(٧) عاهد ربك أن تقوم بالليل، وأن تدعو الله أن ينصرك في معركتك مع الشيطان، وانتهاز فرصة تنزل الله إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، واسأله سبحانه، وأسِرَّ إليه - سبحانه - بحاجتك، واطلب منه أن يغض بصرك عن الحرام، وأن يُحصِّن فرجك عن الحرام.

(٨) إذا كنت ستذهب إلى الجامعة أو مكان عملك أو إلى مكان آخر مترجلاً.. فعليك بالسير في الشوارع والطرق الخالية غير المأهولة بالناس، كذلك فاجتنب السير في الشوارع المزدهمة - خاصة - إذا كان فيها فتيات شابات (كشوارع مدارس

(١) راجع «رسالة احفظ الله يحفظك» تأليف د/ أسامة محمد عبد العظيم، ص٩٥ (د، ت).

الفتيات، والأسواق، وشوارع المحلات النسائية)، إلا للضرورة، والضرورات تبيح المحظورات وتُقَدَّرُ بِقَدَرِهَا.

- أما إذا كنت راكباً سيارتك الخاصة: فأوصيك بالإسراع؛ لأنك إذا أسرعت فلن تتمكن من رؤية الفتيات المتبرجات، أما إذا كنت ستركب شيئاً من المواصلات فتحفظ جهدك من مجالسة النساء ومخالطتهن، ولا مانع من إعطاء السائق مادة دعوية هادفة، أو موعظة رقائمية أو مادة قرآنية متميزة.

٩) اقتنِ مصحفاً للجيب ليكون رفيقاً لك في أثناء سيرك في الطريق، فإذا تَعَطَّلَ الطريق، أو توقف نتيجة للازدحام، فافتح كتاب الله تعالى، وأكثر من النظر في القرآن.. فإن كثرة النظر في القرآن ستزيد إيمانك، وستدفعك إلى غض البصر، فأكثر من قراءة القرآن وحفظه وتدبره وفهمه، وإلا فلا أقل من أن تستمع لآيات القرآن الكريم عبر الوسائل الحديثة، فإن في هذا الخير كل الخير لك.

١٠- أَعْرِضْ عن أماكن وأدوات الفساد: يا مَنْ ترغب في غض البصر، اعلم أنه يجب عليك ألا تغشى أماكن الفتنة، فلا تذهب إلى النوادي الليلية، أو أماكن التجمعات النسائية، كذلك فاحترز من أدوات الفتنة، فلا تُطلق بصرك إلى النساء المتبرجات في الشوارع، ولا تنظر إلى صورهن المصورة على أغلفة الإعلانات، ولا تلتفت إلى صورهن في المجلات والجرائد، ولا تشاهدن في التلفاز والدش ومواقع التواصل الاجتماعي «الإنترنت»^(١).

(١) يرى بعض الفقهاء جواز نظر الرجل إلى أمثال المرأة الأجنبية عبر شاشات التلفاز أو التصوير الموجودة على أغلفة المجلات، بينما يرى الآخرون الحرمة، قال د/ عبد الفتاح إدريس في كتابه أحكام العورة في الفقه الإسلامي، ص ٤٤٨: بعد النظر فيما وجه به أصحاب هذين المذهبين ما ذهب إليه فإنه يرجح في نظري ما ذهب إليه أصحاب المذهب الثاني من حرمة نظر الرجل إلى أمثال المرأة الأجنبية عنه في المرأة أو الماء، وفي حكم ذلك نظره لصورتها الفوتوغرافية أو المسجلة على شريط يمكن رؤية ما فيه بإحدى وسائل عرض الصورة ونحو ذلك، لما وجه به





- كذلك فتجنب كل ما مِنْ شأنه أن يثيرك.. فتجنب مشاهدة الأفلام الإباحية والتي تعرض على شبكة الإنترنت، كذلك تجنب الدخول على المواقع الجنسية، وأعرض عن سماع الأغاني - عامة - وما يسمى بالفيديو كليب -خاصة-، واجتنب مواقع الدردشة، والكلام المحرم على «الخاص»^(١).

أصحاب المذهب الثاني ما ذهبوا إليه، ولا فرق بين النظر إلى عين المرأة أو صورتها إذ يتحقق في النظر إلى أي منها ما كان سبباً في تحريم الشارع نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية عنه، ولا دليل لأصحاب المذهب الأول على أن المحرم هو النظر إلى عين المرأة، بل الأدلة في حرمة نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية عنه عامة لا تخصص حرمة النظر إليها بحال معينة، والناظر إلى صورة المرأة أو مثالها يصدق عليه أنه ينظر على امرأة فيرد في شأنه النهي عن انظر إليها إن كانت أجنبية عنه، ومن ثم فإن تخصيص أصحاب المذهب الأول الحرمة بنظره إلى عينها تخصيص بغير تخصيص، وهو لا يجوز أ. هـ وينحو هذا قال الشيخ العلامة ابن باز - رحمه الله - في فتاوى المرأة، جمع وترتيب محمد المسند، ص ١٩٨، ط. دار الوطن.

(١) أُنذِر -إخواني- الملتزمين من التنازل عن ثواب دينهم وأخلاقهم في العالم الافتراضي، ولستم النصح فإليكم خطوات الشياطين لإفساد المتدينين:

* خطوات الشيطان للإيقاع بالملتزمين على الفيس بوك:

- (١) الإعجاب بالصورة الدعوية أو اسم أو تعليق شخص، ومن ثم الدخول على حسابه وتفقد محتواه.
- (٢) إرسال طلب الصداقة بنية (الدعوة إلى الله).
- (٣) وضع عدد من (الإعجابات المتتالية) على عدة منشورات بنفس الوقت بهدف لفت الانتباه.
- (٤) التعليق على عدة منشورات بدعاء (بارك الله فيك) (جزاك الله خيراً) (ما شاء الله) ونحو ذلك.
- (٥) إرسال أول رسالة على الخاص بهدف (التنبيه على الخطأ) في منشور، أو رسالة (اطمئنان) بسبب صورة أو منشور حزين.
- (٦) الرسالة الثانية والثالثة ستكون (سؤالاً شرعياً) أو (استشارة) عن مشكلة عائلية ونحو ذلك.
- (٧) تتوالى بعد ذلك الرسائل الوعظية والنصائح، ويبدأ (الحب في الله) بالظهور بسبب كثرة الاهتمام.
- (٨) الخطوة التي تليها (التلميح بالحُب) بطريقة شرعية !!! (هنيئاً لمن سيتزوجك) (أسأل الله أن تكون زوجتي المستقبلية بمثل صفاتك) ونحو ذلك.
- (٩) ثم تبدأ (الغيرة) على الطرف الآخر بالظهور، ويكثر السؤال عن سبب الغيرة لتتم المصارحة بالحُب.
- (١٠) يعتبر الشيطان (التصريح) بكلمة (أحبك) بمثابة (عقد شيطاني) للاستدراج للحرام الصريح.
- (١١) بعد المصارحة بالحُب تبدأ المطالبة (بالصور) بحجة (النظرة الشرعية !!!).
- (١٢) بعد هذه الخطوة إما أن يتغمد الله الطرفين برحمته، فيبعدهما عن بعضهما، وإما أن يقع في الكبائر، نسأل الله العفو والعافية.



- كذلك فلا تتبع سبيل الفاسقين الفاجرين ممن يعمدون إلى تصوير الفتيات عن طريق «كاميرا الجهاز المحمول» ليرادوهن بعد ذلك.

كذلك أغلق عليك أبواب الفتن.. فلا تستمع إلى أصوات النساء الرقيقة، ولا تستمع إلى أحوال الفتيات وسيرهن حتى لا تثير نفسك، ولا تسمح لأحد من الشباب أن يذكرك بالماضي، والزم الاستغفار.

كذلك فلا تختلط بالفتيات المتبرجات، ولا تخلو بهن في المدرج، أو في قاعات الدروس أو السكاشن، أو في فناء الجامعة، ولا في سنائر الدروس ولا غير ذلك إلا للضرورة الشرعية.. فإن في هذا شرًا مستطيرًا^(١).

كذلك فلا تسمح لفتاة من الفتيات أن تتصل بك في بيتك أو على جهازك الخليوي «المحمول»، حتى لا تفتح عليك بابًا من أبواب الشيطان.

إذا ذهبت لزيارة زميل لك فاستأذنه قبل الدخول إلى بيته حتى لا يقع بصرك على محرم أو على عورة من العورات، واعلم أنه جُعِلَ الاستئذان من أجل البصر^(٢).

ملاحظات:

- (أ) هذه خطوات قد حصلت مع عشرات الإخوة والاخوات، فاحذر أن تسير فيها، فقد انتهت كثير من هذه الخطوات (بتحطم قلب) أو (فضيحة) أو (طلاق) بل (وانتجار) !!! وقُلْ من يسلم من يتبعها، فاقطعوا طريق الشيطان من بدايته، ولا تتساهلوا.
- (ب) لا ينبغي (التفريق) في هذه الخطوات بين كبير وصغير، ومتزوج وأعذب، وملتزم وغير ملتزم، فالشيطان يستهدف الجميع.
- (ج) لا تأمني أختاه لشاب تتواصلي معه ولو كان (شبحًا بجوف الكعبة)، - وما أبرئ نفسي -، والنبي ﷺ يقول: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء."
- (١) للتوسع حول معرفة «حكم الاختلاط» والشبهات التي يثيرها دعاة العلمانية والإباحية حوله.. راجع رسالة «الاختلاط تحرير وتقرير وتعقيب» للشيخ/ عبد العزيز الطريفي - الطبعة الثانية ١٤٣٣ هـ.
- ورسالة «أقيسة الاختلاطين» للشيخ/ إبراهيم السكران على الشبكة العنكبوتية «الإنترنت».
- (٢) وذلك كما في حديث سهل بن سعد أن رجل اطلع في حجر في باب رسول الله، ومع رسول الله مدرى يحك بها رأسه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو أعلم أنك تنظرني لطعنت به في عينيك»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما جُعِلَ الإذن من قبل البصر». متفق عليه.





(١١) الزواج أو الصيام.. قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب مَنْ استطاع مِنْكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، وَمَنْ لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(١).

إذن هذا هو العلاج الشرعي لهذه الشهوة، والذي وَرَدَ على لسان نبينا محمد ﷺ فعلاج الشهوة.. إما الزواج أو الصوم.

قد تقول: وكيف أتزوج في ظل هذه الظروف القاسية؟
والجواب: استعن بربك - جَلَّ جلاله - واصلق في اللجوء إليه، واعلم أن مَنْ أراد العفة وسعى لتحقيقها وتحصيلها بكل سبيل مباح، كان حقاً على الله أن يعينه وأن يوفقه.
ستقول: ألا تدري ما هي صعوبات الزواج؟

الجواب: أعرف كل ما يدور في ذهنك، ولكن ألا تثق بربك الذي قال في كتابه: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

* ثم ألم تعلم أن الله تعالى تَكَفَّلَ بأن يأخذ بيدك ويسدد رميك، ويؤيد ما ذكرت حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثلاث حق على الله عونهم: الناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء، والغازي في سبيل الله»^(٢).

فثِقْ بربك وتوكل عليه، وإن شاء الله لن تعدم أسرة مسلمة ملتزمة يقبلون عرضك ويأخذون بيدك ويسرون عليك.

فإن لم تجد فأنصحك - أخي الكريم - أن تتزوج من ثيبٍ حتى يغنيك الله من فضله،

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد في مسنده، والترمذي في السنن، والنسائي، وابن ماجه والحاكم في المستدرک وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣٠٥٠).



واعلم أن مَنْ يتعفف يُعْفُهُ الله.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، حتى نَفَذَ ما عنده، فقال: «ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، وَمَنْ يستعفف يُعِفِّهِ الله، وَمَنْ يستغنى يُغْنِهِ الله، وَمَنْ يتصبر يُصْبِرْهُ الله..»^(١).

فإن لم تستطع: فعليك بالصيام.. فهو علاجٌ ناجحٌ نافع، وَصَفَهُ رسول الله، وأكَّـدَ عليه لمن عجز عن الزواج.

(١) متفق عليه.



أصوم.. ولكن

قد تقول: أنا أكثر من الصيام، فأصوم شهر رمضان وأكثر من صيام التطوع، ولا أجد تغييرًا، فنار الشهوة لا تزال تطاردني، وما زلت أطلق بصري إلى الحرام!!
والجواب: أعلم أن كثيرًا من الشاب يصوم، ولكن لا يجدون تغييرًا، فهؤلاء عليهم أن يهتموا أنفسهم فيسألوا بصدق:

- هل صمنا كما يحب الله ورسوله؟

- هل أدينا الذي يقوم داخلنا حب الله تعالى إثارة أوامره؟

- هل حققنا المراد من الصيام؟

أخي الشاب: إن الصيام.. كما يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى-: «هو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياض الأبرار الموفقين».

وحقيقة الصيام.. أن الصائم لا يفعل شيئًا وإنما يترك شهوته، وطعامه، وشرابه من أجل معبوده.

* فهو إذن: ترك محبوبات النفس، وتلذذاتها إثارة لمحبة الله ومرضاته، إن الأصل أن الصوم ليس صومًا عن الطعام والشراب فحسب، وإنما حقيقة الصيام أشمل وأعلى من ذلك^(١).

فإذا فرغ من تناول الطعام والشراب أمسك ببطنه يتلوى من الشبع، ويترنح من الألم، وهكذا في كل يوم... تراه متكاسلاً عن الصلوات، متخلفًا عن الجماعات، بينما لا تراه كذلك في فعل المنكرات، فهو لا يكف عن المحرمات، ولا يترك سبيلًا من طرق سبل الغوايات تراه إذن ليست قضيتنا أن تصوم ثم عند الإفطار تعوض ما فاتك في النهار كلا.. كلا.. وإنما

(١) راجع في ذلك (زاد المعاد في هدى خير العباد) للإمام ابن القيم الجوزية (٢/ ص ٢٨، ٢٩)، تحقيق الشيخين... شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط ط. مؤسسة الرسالة.



المقصود ضبط شهوة البطن لتنضبط شهوة الفرج، فإن لم تفعل ذلك.. فلا تُعدُّ صائماً حقيقة؟! وحتى تتأكد من صدق كلامي.. انظر إلى أكثر الشباب الصائم في رمضان، فمعظمهم ولشديد الأسف يزعم أنه صائم، لكن تراه قد اجترح السيئات، واقترب الموبقات، تراه في نهار رمضان رقوداً كسولاً عن الطاعات، فإذا ما أذنَّ عليه مؤذنُ المغرب معلناً جواز الإفطار.. رأيته يسرع إلى الموائد المصفوفة، والمآكل الموصوفة المخصوصة، تراه حولها قائماً وقاعداً، راکعاً وساجداً، كأنه يثار لبطنه من الجوع بأسنان كالسنان، وأياد كالأشطان.

فإذا فرغ من تناول الطعام والشراب أمسك ببطنه يتلوى من الشبع، ويترنح من الألم، وهكذا كل يوم.. تراه متكاسلاً عن الصلوات، متخلفاً عن الجماعات، بينما لا تراه كذلك في فعل المنكرات، فهو لا يكف عن المحرمات، ولا يترك سبيلاً من طرق سبل الغوايات، تراه مستمتعاً بمشاهدة القنوات، التي تعرض صور الماجنين والماجنات، في مسلسلات متصلة الحلقات، تروح تحت نيرانها الفضيلة، وتكون السيادة فيها للرذيلة. وهكذا..

فبالله عليك.. بعد كل ما ذكرت.. هل يؤثر مثل هذا الصيام؟ أم أنه صيام عن الجوع والعطش فقط؟

- هل صامت الجوارح كلها مع المعدة أم غابت؟

أخي الشاب: صم - كما يحب الله ورسوله.. واعلم أن للصوم الصحيح تأثيراً عجيباً في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، فالصوم يحفظُ على القلب والجوارح صحتها ويعيد لها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبرِ العونِ على التقوى.

حتى يؤثر الصيام فعليك بالآتي:

١- الاستعانة بالله تعالى بكل صدق.

٢- العزم الصادق في أثناء الصيام.

٣- معرفة حقيقة الصيام، والمقاصد الشرعية من تشريعه للعباد، كذلك تعلم فقه الصيام





وأحكامه.

٤- تكفيك لقيمات صغيرة لتقيم صلبك، واجعل شعارك إني أتناول الأكل لأعيش،
ولست أعيش لأكل..

٥- تجنب مبطلات الصيام ولا تتهاون بمكروهاته.

٦- ذكر نفسك دومًا أنه: ليس من الحكمة أن أكسب أجرًا عظيمًا، ثم أضيعه في الجامعة
مثلاً: في الوقوف مع الفتيات وقضاء معظم الوقت في المباريات.

٧- اعمل جدولاً للمحاسبة: فإذا نظرت إلى فتاة من الفتيات فألزم نفسك بنوع من
أنواع العقوبات تربية منك لنفسك.

٨- اقرأ عن خطر نتائج إطلاق البصر إلى الحرام ومن ذلك: انتشار الزنا - عيادًا بالله -
ومتابعة المواقع الإباحية وفشو اللواط والسحاق، والعادة السرية المحرمة.. وغير
هذا من الفواحش المحرمة.

٩- ادفع الخواطر الرديئة عن نفسك بعمارة وقتك والاشتغال بمعالي الأمور: لا شك أن
الفراغ القلبي والعقلي لا بد أن تنبت فيه نابتة السوء، فالعقل يعمل على استرجاع
الذاكرة للمشاهد اليومية التي يراها الإنسان - الذي يطلق بصره - مما يكون سببًا
للخواطر الرديئة، والتي مهمتها استكمال تلك المشاهد الواقعية بالأحلام الخيالية لما
لم يقدر عليه واقعياً.

إذن فالإنسان الضعيف الذي يملك أوقاتاً كثيرة للفراغ لا
يرى الدنيا إلا من خلال شهوته، ويظل الشيطان يضحّم له
قيمتها حتى يشغله بها عن مهمته في الحياة.



- هذا الشاب الذي لا همّ له إلا قضاء شهوته، والاهتمام بهذه الفتاة أو تلك.. والإيقاع
بهن.. هل شغل نفسه بشيء نافع؟!



- هل عَلِمَ هذا الشابُّ أنه وريثُ النبي ﷺ؟! وما أشرفه من إرث!

- هل أدرك حال الأمة من حوله وتدهور أحوالها وانتقاص الأعداء من قدرها؟!

- أم أنه لا يزال يعتقد أن الجنس هو قضيته الكبرى، وأن قضاء الوطر هو الشاغل الأكبر؟!

فاشغل نفسك بمعالى الأمور.. [كطلب العلم الشرعي، بتصحيح عقيدتك، بإصلاح عبادتك، بالدعوة إلى الله وقيادة الناس إلى الجنة، بالاجتهاد في العبادات كقيام الليل، والسعي إلى المساجد، ودعوة الشباب إلى مجالس أهل العلم، والسعي في خدمة المسلمين، وزيارة المستشفيات والمقابر، والمذاكرة والتفوق بنية نصره الإسلام والمسلمين، ودراسة اللغات المختلفة، بالالتحاق بالمعاهد الخاصة النافعة، تعلم حرفة أو صنعة، وممارسة الرياضة.

قد تقول: فَإِنْ ضَعُفْتُ نَفْسِي، وَرَقَّ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي وَنَظَرْتُ إِلَى فَتَاةٍ مِنَ الْفَتَيَاتِ الْمَتَبَرِّجَاتِ.. ماذا أفعل؟!

ابتداءً: اعلم أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي والزلات، فيجب عليك أن تتعهد الإيمان في قلبك، مع الإكثار من سؤال الله أن يُجدد الإيمان في قلبك. وعلى فرض أنك ضعفت فنظرت إلى فتاةٍ من الفتيات فأوصيك ألا تجهر بهذه المعصية، كذلك فلا تُتبع النظرة بالنظرة.

ثم الزم الاستغفار.. فَإِنَّ مَنْ أَكْثَرَ الاستغفار جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ فَرْجٍ، وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا.

- يقول «ابن القيم»: النظرة مثل الحبة تلقى في الأرض، فإذا لم يلتفت إليها يبست، وإن سُقيت نبتت، وكذلك النظرة، إذا لحقت بمثلها.

فإن أذنبت وزلت قدمك فبادر بالتوبة، وعَجِّل وسارع ولا تتأخر واقتف آثار التوايين، واسلك مسالك الأوابين.





وإياك والتسوية.. «سوف أتوب».. ولا يغرنك الشيطان، واعلم أن الله إذا أراد بعبدٍ سوءاً فإنه يعطيه ما يحب فيزداد بطراً وكبراً وفساداً وهذا هو الاستدراج - نسأل الله السلامة والعافية-.

فراقب ربك - أخي الشاب - وأنت سائرٌ في طريقك، واعلم أن ربك مطلعٌ عليك، ناظرٌ إليك، ولا تجعل الله تعالى أهونَ الناظرين عليك.

واحرصْ على التأدب بهذا الأدب الرفيع، وهذا الخلق العظيم، حتى تكون قريباً من ربك، متبعاً لنبيك، حبيباً مألوفاً لأهلك وإخوانك وعشيرتك.. والله أسأل أن يرزقنا بصراً غضيضاً وفرجاً عفيفاً.



٢- من آداب الطريق: «أفشوا السلام بينكم»:

وضع ديننا الحنيف نظامًا محكمًا للتعامل بين أبناء الإسلام بحيث يثمر مزيدًا من الترابط والتآلف، ويجعل أهل الإسلام نسيجًا واحدًا، ومن جملة هذه الأنظمة الأخلاقية والتي تزيد من الألفة والمودة بين المسلمين وتقمع الفرقة والشتات من بينهم (إلقاء السلام ورده).

والسلام معناه: التعوذ بالله، والتحصن به، فإن السلام اسم له سبحانه، تقديره: الله عليك حفيظ وكفيل، كما يقال: «الله معك» أي بالحفظ، والمعونة، واللطف^(١).

* ويؤيد ما ذكرنا ما صحَّح في حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «السَّلَامُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَصِفَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، فَأَفْشَوْهُ بَيْنَكُمْ، فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ إِذَا مَرَّ بِقَوْمٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ فَضْلٌ دَرَجَةٍ بِتَذْكِيرِهِ إِيَّاهُمْ السَّلَامَ، فَإِنْ لَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ، رَدَّ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَأَطْيَبُ»^(٢).

وقيل معناه: السلامة أي «سَلَامَةُ اللَّهِ مُلَازِمَةٌ لَكَ»، والأمان التام من الغدر، والخيانة والغش..

إفشاء السلام.. لماذا؟

نفسي السلام.. لأن في ذلك عدة فضائل وفوائد.. ومن ذلك:

١- أن إفشاء السلام امتثال لأمر الله سبحانه: وفي امتثال أوامر الله غاية السعادة للإنسان

في معاشه ومعاده، قال ربي جلا جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ

بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ

(١) راجع: صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، للشيخ الألباني، ص ١٢٦، هامش رقم (٣) ط. المكتب الإسلامي.

(٢) رواه الطبراني في الكبير، والبرازي في المسند، والبيهقي في الشعب، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٩٧)، وفي الصحيحة (١٨٩٤).



تَذَكُّرُونَ ﴿٢٧﴾ [النور: ٢٧].

٢- لأن في إفشاء السلام إظهارًا ونشرًا لاسم من أسماء الله تبارك وتعالى، مما يدفع أصحاب القلوب التقية النقية إلى العمل على تحقيق هذا الاسم المبارك في حياتهم ومعاشهم.

٣- لأن إفشاء السلام إحياء لسنة نبينا محمد ﷺ.. كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا بعبادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإبرار القسم، ونصر المظلوم، وإفشاء السلام، وإجابة الداعي.....»^(١).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»^(٢).

٤- لأن إفشاء السلام من صفات الملائكة المقربين، وأولياء الله المتقين: قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿هَلْ أُنْثِكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥، ٢٤].

٥- لأنه من أسباب التآلف بين المسلمين، ونشر المحبة بينهم، وزوال الشحناء والتباغض عن قلوبهم، فهو مفتاح - يؤكد النتيجة - لفتح كثير من القلوب. يقول الإمام النووي - رحمه الله -: «والسلام أول أسباب التآلف، ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تكمن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع، وإعظام

(١) رواه البخاري (٥١٧٥)، ومسلم (٢٠٦٦).

(٢) رواه مسلم (٩٣).



حرمات المسلمين^(١).

٦- أنه من الأمور التي يستكمل بها الإيمان، فعن عَمَّار بن ياسر رضي الله عنه قال: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار»^(٢).

٧- لأنه من أسباب حصول البركة على المسلم والمسلم عليه، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني، إذا دخلت على أهلك فَسَلِّمْ، يكن بركة عليك، وعلى أهل بيتك»^(٣).

٨- لأن فيه إغاظة لليهود - قاتلهم الله، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «ما حسدتكم اليهود على شيء، ما حسدتكم على السلام والتأمين»^(٤).

٩- أنه من أسباب دخول الجنان، فعن أبي يوسف عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»^(٥).

ولإفشاء السلام فقه!!

* حكم السلام: لا يخفى عليك - أخي الكريم - أن إفشاء السلام سنة مؤكدة، وحق

(١) شرح صحيح مسلم، (١١/٣٤٢)، ط. الحديث.

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام.

(٣) رواه الترمذي (٢٦٩٨) وقال: حديث حسن غريب، وفيه: علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن الترمذي، حديث (٢٦٩٨).

(٤) رواه ابن ماجه (٨٥٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦١٣).

(٥) رواه الترمذي (٢٦٨٨) وابن ماجه (٣٦٩٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٦٥) وفي السلسلة الصحيحة (٥٦٩)، وصحيح سنن الترمذي ح (٢٦٨٨).





من حقوق المسلم على أخيه المسلم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمْدُ اللَّهِ فَشِمْتُهُ، وَإِذَا مَرَضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتْبِعْهُ»^(١)، لِأَجْلِ هَذَا يُسْتَحَبُّ لَكَ أَنْ تَبْدَأَ إِخْوَانَكَ بِالسَّلَامِ لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ»^(٢).

* رد السلام: وإذا كان البدء بالسلام سنة مستحبة، فإن ردّه فرض عين في حق السامع.. وذلك لعموم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّئْتُمْ بِهِ بِحَبِيبَةٍ فَاحْيُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]، فإن كان المسلم في جماعة، فردّ السلام في حقهم فرض كفاية، وإن رده واحد منهم - وإن كان الأفضل أن يردوا جميعاً - سقط الحرج عن الباقي، وإن تركوا ردّه كلهم لحقهم الإثم، لما ثبت عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُجْزَى عَنِ الْجَمَاعَةِ إِذَا مَرُوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ وَيُجْزَى عَنِ الْجُلُوسِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ»^(٣)، والآية الآنفة الذكر ﴿وَإِذَا حُيِّئْتُمْ بِهِ بِحَبِيبَةٍ﴾ تدل على أن رد التحية بمثلها واجب، والزيادة سنة مستحبة، فَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ» فَأَجِبْهُ بِمِثْلِ سَلَامِهِ فَقُلْ: «وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ»، وَإِنْ زِدْتَ الرَّحْمَةَ وَالْبَرَكَاتِ فَهُوَ أَفْضَلُ.. يقول ابن القيم: «مَقَامَاتُ رَدِّ السَّلَامِ ثَلَاثَةٌ: مَقَامُ الْفَضْلِ، وَمَقَامُ الْعَدْلِ، وَمَقَامُ الظُّلْمِ، فَالْفَضْلُ: أَنْ تَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ أَحْسَنَ مِنْ تَحِيَّتِهِ، وَالْعَدْلُ: أَنْ تَرُدَّ عَلَيْهِ نَظِيرَهَا، وَالظُّلْمُ: أَنْ تَبْخُسَهُ حَقَّهُ وَتَنْقُصَهُ، فَاخْتِيارُ لِلرَّادِ أَكْمَلُ اللَّفْظَيْنِ»^(٤).

وإذا قابلت أخاً من إخوانك فسَلِّمْ كُلٌّ مِنْكُمَا عَلَى الْآخَرِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ دَفْعَةً وَاحِدَةً،

(١) رواه مسلم (٢١٦٢).

(٢) رواه أبو داود (٥١٩٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٣٢٨)، ومشكاة المصابيح (٤٦٤٦).

(٣) رواه أبو داود (٥٢١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٢٣) وفي الصحيحة (١١٤٨، ١٤١٢) والإرواء (٧٧٨).

(٤) راجع بدائع الفوائد، لابن القيم، (٣٨٣/٢).



صار كل واحدٍ منكما مبتدئًا بالسلام، فيجب على كل منكما أن يردَّ على صاحبه، هذا ويشترط في الجواب أن يكون على الفور، فإنَّ أخره، ثم ردَّ، لم يُعَدَّ جوابًا، وكان آثمًا بترك الرد^(١).
* كذلك يكون السلام أيضًا بظهر الغيب: كأن ترسل إلى أخيك برسول يعرفه، ليحمل إليه سلامك، أو تبعث له بالسلام عبر رسالة، أو تتصل به هاتفياً للسلام عليه، فعن عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله ﷺ: «يا عائش، هذا جبريل يُقرئك السلام»، قالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته^(٢).

- ولك أن تعلم - حبيبي في الله - أن للسلام بظهر الغيب فضلاً عظيماً، يعود على المسلم والمسلم عليه؛ لأن السلام - كما عرفنا من تعريفه سلفاً - دعاء، وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «دعاء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب، عند رأسه ملك موكل به، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك: آمين، ولك بمثل ذلك»^(٣).

- كذلك يُستحب لمن أرسل إليه سلام أن يرد على المبلِّغ أيضًا، فيقول: وعليك وعليه السلام... وذلك لما ثبت عن غالب القطان قال: «إنا لجلوس بباب الحسن، إذ جاء رجل فقال: حدثني أبي عن جدي قال: بعثني أبي إلى رسول الله ﷺ فقال: ائته فأقرئه السلام، قال: فأتيته فقلت: إن أبي يُقرئك السلام، فقال: «وعليك وعلى أهلك السلام»^(٤).

* كيفية السلام: قال النووي - رحمه الله: يُستحب أن يقول المبتدئ بالسلام «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» فيأتي بضمير الجمع، وإن كانت المسلم عليه واحدًا، ليتناوله السلام وملائكته، ويجزيه قوله السلام عليك، أو سلام عليك بالإنفراد، والتنكير، ويقول

(١) انظر كتاب طريقنا للقلوب، للشيخ/ أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي، ص ١١، ط. دار الإيمان.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم (٢٧٣٣).

(٤) رواه أبو داود في كتاب الأدب (٥١٩٧)، والترمذي (٢٦٩٤)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥١٩٧)، وانظر مشكاة المصابيح (٤٦٤٦)، وصحيح الكلم الطيب (١٩٨).





المجيب «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته...» فيأتي بواو العطف في قوله «وعليكم...»^(١).
وذلك لحديث عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: «جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فَرَدَّ عليه ثُمَّ جَلَسَ، فقال النبي ﷺ: «عشر»، ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فَرَدَّ عليه فجلس فقال: «عشرون»، ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فَرَدَّ عليه فجلس فقال: «ثلاثون»^(٢).

ولا تبدأ أحد إخوانك ورفاقتك بقول «عليك السلام يا فلان...»، فعن أبي جري جابر بن سليم قال: «رأيت رجلاً يَصُدُّ الناس عن رأيه، لا يقول شيئاً إلا صدوراً عنه، قلت: مَنْ هذا؟ قالوا: هذا رسولُ الله ﷺ، قلتُ: عليك السلام يا رسول الله، مرتين، قال: «لا تقلُ عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الميت، قل: السلام عليك»^(٣).
فلا تقلُ السلام بهذه الصورة، لثبوت نهي النبي ﷺ عن قولها في هذا السياق.. كما في الحديث المتقدم ذكره.

وأخيراً.. هلا تأدبنا بآداب السلام!!

قد تقول: وهل للسلام آداب؟!

فنقول: نعم، ومن آدابه ما يلي:

١ - أن يُسَلِّم المسلمُ على إخوانه من المسلمين، وأن يسلم الصغير على الكبير تواضعاً وتوقيراً له، والمار على القاعد، والراكب على المترجل، والقليل على الكثير لفضيلة الجماعة، فعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله: «ليسلم الراكب على الماشي،

(١) رياض الصالحين، ص ٢٧٤.

(٢) رواه أبو داود (٥١٩٥)، والترمذي (٢٨٤٢)، وإسناده قوى كما قال الحافظ في الفتح (٥/١١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٣٢٧).

(٣) رواه الترمذي (٢٧٢٢)، وأبو داود (٤٠٨٤)، وأخرجه أحمد (٦٤/٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٠٨٤).



والماشي على القاعد، والماشيان أيهما بدأ السلام^(١)، وقال عليه السلام: «يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير»^(٢).

٢- أن يكون السلام بصوت عالٍ مسموع للمسلم عليه، فإن لم يسمعه، لم يكن المسلم آتياً بالسنة، ففي حديث ابن عمر: «إِذَا سَلَّمْتَ فَاسْمِعْ، فَإِنَّمَا تَحِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ»^(٣). قال الحافظ ابن حجر: إفشاء السلام المراد نشره سرّاً أو جهراً، أو هو نشر السلام بين الناس ليحيوا سنته عليه السلام، وقال النووي: أقله أن يرفع صوته بحيث يسمعه المسلم عليه، فإن لم يسمعه لم يكن آتياً بالسنة^(٤).

فإذا دخلت مكاناً فيه أيقاظ ونيام، فَسَلِّمْ تسليماً يُسمع اليقظان، ولا يوقظ النائم فعن المقداد بن الأسود قال: «كان رسول الله يجيئ من الليل، فيسلم تسليماً لا يوقظ نائماً، ويُسمع اليقظان، فإن لَقِيَ جماعةً يُسلم عليهم جميعاً، ويكره أن يُخَصَّ أحدهم بالسلام؛ لأنه يولد الوحشة»^(٥).

٣- تستحب المصافحة عند اللقاء بشد الكف على الكف، فلها فضلٌ عظيمٌ، صَوَّرَهُ النبي عليه السلام بقوله: «إِنِ الْمُؤْمِنُ إِذَا لَقِيَ الْمُؤْمِنَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَأَخَذَهُ بِيَدِهِ، فَصَافَحَهُ - تَنَاطَرَتْ خَطَايَاهُمَا - كَمَا يَتَنَاطَرُ وَرَقُ الشَّجَرِ»^(٦).

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٤٣، ١٤٤، ١٤٥)، وابن حبان (١٩٣٥) عن جابر موقوفاً؛ وله حكم الرفع - لاسيما - وقد ورد كذلك مرفوعاً وصحح إسناده الحافظ في الفتح (١١/ ١٨) وصححه الألباني في الصحيحة (١١٤٦).

(٢) رواه البخاري (٦٢٣١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيح الأدب المفرد بإسناد صحيح في (باب من يسمع إذا سلم) حديث (١٠٠٥ / ٧٧٣).. راجع صحيح الأدب المفرد للشيخ الألباني ط. دار الصديق ١٤٢١ هـ.

(٤) راجع فتح الباري (١ / ص ١٠٣)، (١١ / ص ٢٠).

(٥) رواه مسلم (٢٠٥٥).

(٦) رواه الطبراني في الأوسط (٧٢٤٥)، وابن وهب في الجامع (٣٨، ٣٩)، وانظر السلسلة الصحيحة (٥٢٦).





٤ - كما يستحب للمسلم الإقبال على المسلم عليه بوجه باش طلق، يذوب رقّة وخُلُقًا؛ لأنه بذلك يعظم أجره، ويكثر ثوابه من عدة وجوه: الوجه الأول: إصابة السنة النبوية والتي تحض على طلاقة الوجه ولين الكلام، كما ثبت في الحديث الصحيح من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»^(١).

* الوجه الثاني: اتباع النبي ﷺ وتنفيذ وصيته، والاستئذان بهديه: حيث كانت البسمة أقرب ما تكون إلى قلب النبي ﷺ، فعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: «ما رأي رسول الله ﷺ إلا وابتسم في وجهي»^(٢).

* بل كانت البسمة للعباد ضمن وصاياه النبوية الشريفة للناس، حتى رفعها إلى مستوى الصدقة، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»^(٣). فعليك - أخي في الله - بالإكثار من التبسم - وخاصة - في أثناء إلقاء السلام، والإقلال من الضحك والقهقهة، فهذا هو هدى نبينا محمد ﷺ، فعن عبد الله بن الحارث بن جزء قال: «ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله»^(٤).

* الوجه الثالث: أن هذا من باب رد التحية بأحسن منها..

٥ - عدم تخصيص مَنْ يعرف بالسلام، بل ينبغي على المسلم أن يلقي السلام على مَنْ يعرفه، ومَنْ لا يعرفه - خاصة - إذا ما غلب على الظن أنه مسلم، قال ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: «أي الإسلام خير؟

(١) رواه مسلم (٢٦٢٦).

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الترمذي (١٩٥٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٠٨)، وفي الصحيحة (٥٧٢).

(٤) رواه الترمذي (٣٦٤١) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٨٨٠، ٣٩٠٣).



قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على مَنْ عرفت ومَنْ لم تعرف»^(١).

* يقول النووي - رحمه الله تعالى: «ومعنى: تقرأ السلام على مَنْ عرفت ومَنْ لم تعرف: أي تُسلم على كل مَنْ لقيتَه عرفته أم لم تعرفه، ولا تخص به مَنْ تعرفه كما يفعله الكثيرون من الناس، ثم إن هذا العموم مخصوص بالمسلمين، فلا يُسلم ابتداءً على الكافر.. ثم ذكر - رحمه الله - أن في هذا الحديث جملة من الفوائد منها: الحث على تألف قلوب المسلمين، واجتماع كلمتهم، وتوادهم واستجلاب ما يحصل ذلك.. قال القاضي - رحمه الله - والألفة والود أحد فرائض الدين، وأركان الشريعة ونظام شمل الإسلام، قال: وفيه: بذل السلام لمن عرفت ومَنْ لم تعرف، وإخلاص العمل فيه لله تعالى لا مصانعة ولا ملقاً، وفيه مع ذلك: استعمال خلقٍ التواضع، وإفشاء شعار هذه الأمة.. والله أعلم»^(٢).

٦- البدء بالسلام قبل الكلام: لما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَنْ بدأ بالكلام، قبل السلام، فلا تجيبوه»^(٣).

٧- إنزال أهل الفضل منازلهم، ومن ذلك البدء بالسلام لذوي المراتب الدينية: كأهل العلم والفضل، وكطلبة العلم الشرعي، والدعاة إلى الله عز وجل واحتراماً لهم، وتوقيراً لجهودهم، وما يحملون من العلم والخير.

٨- إعادة السلام على مَنْ تكرر لقاءه، وإن لم يُطلُ الافتراق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا لقيَ أحدكم أخاه، فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة،

(١) متفق عليه.

(٢) شرح صحيح مسلم النووي (١/٢٨٦).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦١٢٢)، وفي الصحيحة (٨١٦).





أو حائط، أو حجر، ثم لقيه فليسلم عليه»^(١).

٩- عدم التسليم بالإشارة، سواء أكانت الإشارة بالإصبع، أم باليد جميعها، أم بالإشارة بالرأس^(٢)، فعن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «تسليم الرجل بإصبع واحدة يشير بها فعل اليهود»^(٣)، وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منا من تشبه بغيرنا، ولا تشبهوا باليهود والنصارى، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى بالإشارة بالكف»^(٤).

(١) رواه أبو داود (٥٢٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٩) والسلسلة الصحيحة (١٨٦)،

(٢) بالنسبة لمسألة.. هل ينهى عن السلام بالإشارة؟! فيه مطلبان:

المطلب الأول: حكم الاكتفاء بالإشارة في السلام دون اللفظ!!

واختلف فيه على قولين هما: القول الأول: أن ذلك محرم، وهو مفهوم شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٤٥) تحقيق د/ ناصر العقل ط. شركة العبيكان للطباعة والنشر بالرياض.

وبه أفتى بعض المعاصرين كالشيخ الطود العلامة/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.. راجع مجلة الدعوة.

ومن جملة استدلالهم.. حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده السابق الذكر، كذلك استدلوا بأن هذا الفعل خلاف ما شرعه الله تعالى من السلام باللسان.

القول الثاني: أن هذا الفعل مكروه.. ولم أر لهم دليلاً صحيحاً صريحاً يعتمد عليه.

والراجح: والله تعالى - أعلم - هو المذهب الأول. لأمر منها: ورود النهي الصريح عن التسليم بالإشارة، معللاً ذلك بأنه فعل اليهود والنصارى، وهو إن كان واداً في حديث ضعيف، فإن له من الأصول ما يقوله، بل قد أخرج النسائي بسند جيد عن جابر مرفوعاً - أنه عليه الصلاة والسلام قال: «لا تسلموا تسليم اليهود، فإن تسليمهم بالرؤوس والأكف والإشارة»..

* والأصل أن النهي يقتضى التحريم إلا أن يوجد صارف يصرفه إلى الكراهية، ولم يوجد.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط، وأبو يعلى في المسند، والبيهقي في الشعب، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٤٦) والصحيحة (١٧٨٣).

(٤) رواه الترمذي (٢٦٩٥)، وقال الترمذي هذا حديث إسناده ضعيف، وروى ابن المبارك هذا الحديث عن ابن لهيعة فلم يرفعه أ. هـ، وضعفه إنا هو من جهة ابن لهيعة فقد ضعفه لسوء حفظه، ولكن للحديث شاهد من حديث جابر. ذكره الحفاظ في الفتح ١١/ ١٤، والنسائي بإسناد جيد، وساقه بنحوه الهيثمي في مجمع الزوائد (٤١/ ٨)،



فإن كان المسلم بعيداً عن المسلم عليه، فنطق بالسلام مع الإشارة باليد فلا بأس ما دام لا يسمعك؛ لأن الإشارة حينئذ دليل السلام وليست نائبة عنه، وكذلك يُقال في الرد^(١)، لما ثبت عن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ مرَّ في المسجد يوماً، وعصبة من النساء قعود، فألوى بيده بالتسليم^(٢)»، ففي هذا الدليل جمع ﷺ بين اللفظ والإشارة، ويؤيد ما ذكرنا أن في رواية أبي داود «فسلم علينا»^(٣).

كما تجوز الإشارة بالسلام على مَنْ بَعْدَ عن سماع لفظه^(٤).

١٠ - أجاز بعض أهل العلم سلامُ الرجل على المرأة، والمرأة على الرجل [إذا أمنت الفتنة] بدون مصافحة، ولا ريبة، ولا خضوع بالقول، فعن أم هانئ «فاخنة بنت أبي طالب» رضي الله عنها قال: «أتيت النبي يوم الفتح وهو يغتسل وفاطمة تستره بثوب، فسَلَّمْتُ، وذكر الحديث...»^(٥).

١١ - لا يجوز إلقاء السلام على مَنْ كان يقضى حاجته من بول وغائط، فإن سَلَّمَ عليه أحدٌ فلا يرد عليه السلام حتى يتوضأ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «مر رجلٌ على

ونسبة إلى أبي يعلى والطبراني في الأوسط، وقال رجال أبي يعلى رجال الصحيح. وحسنه الألباني. [في الصحيحة (٢١٩٤)].

(١) راجع «كشاف القناع عن متن الإقناع» لـ منصور بن يونس البهوتي (٢/١٥٦). ط. عالم الكتب ورسالة دكتوراة بعنوان (التشبه المنهى عنه) د/ جميل بن حبيب اللويحي ص ٤٣٦. ط. دار الأندلس الخضراء.

(٢) رواه أبو داود (٥٢٠٤)، والترمذي (٢٦٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠١٥) والصحيحة (٢١٣٩).

(٣) قالت: أسماء بنت يزيد: مرَّ علينا النبي صلى الله عليه وسلم في نسوة، فسَلَّم علينا، رواه أبو داود (٥٢٠٤) وصححه الألباني.

(٤) دروس العام للشيخ/ عبد الملك القاسم ص ٤١٥ ط. دار القاسم.

(٥) رواه مسلم (٤٩٨/١) ح ٨٢.





النبيّ وهو يبول، فسلم عليه، فلم يرد عليه»^(١).

١٢- الحذر كل الحذر من الصور الخاطئة للسلام ومن ذلك قولهم.. «صباح الخير، صباح الفل، هاي» «عمت صباحًا، عمت مساءً» تقال على سبيل الاستهزاء والسخرية من بعض المتدينين وكل هذا وغيره يُعدُّ من تحية الجاهلية قبل البعثة، ومن العجيب أن تسمع من بعض شبابنا الجامعيين - هدانا الله وإياهم - بعض هذه الألفاظ الأعجمية يحيون بها بعضهم البعض كقولهم «Hello» صباح الخير، مساء الخير، ولا حول ولا قوة إلا بالله^(٢).

١٣- عدم التسليم أو الرد على المبتدع، ومن اقترف ذنبًا عظيمًا حتى تبين توبته، إذ الأصل أن كل مسلم سنى ييغض أهل البدع، وعلى هذا مضى الصحابة والتابعون وأتباعهم، بل إن علماء السنن مجمعون متفقون على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم^(٣)، حتى أنه روى عن أحد السلف أنه كان يقول: «لأن مجاورني القردة والخنازير في دار أحب إليّ من أن مجاورني رجل من أهل الأهواء»^(٤).

* والمراد بهجران البدع وأهلها، كما يقول الشيخ ابن عثيمين عليه من الله الرضوان^(٥):
الابتعاد عنهم، وترك محبتهم، وموالاتهم، والسلام عليهم، وزيارتهم، وعيادتهم، ثم يقول - رحمه الله: وهجران أهل البدع واجب لقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

(١) انظر بحث «الإشارة إلى أحكام الاستئذان وآداب الزيارة، تأليف الشيخ/ إبراهيم بن فتحي، ص ١١٠، ط. دار ابن رجب.

(٢) راجع في ذلك «معجم المناهي اللفظية» للشيخ العلامة/ بكر أبو زيد - رحمه الله تعالى - ص ٣٣٣، ص ٣٣٤، ط. دار العاصمة، وانظر «ألفاظ ومفاهيم في ميزان الشريعة، للشيخ/ ابن عثيمين ص ١٨، ص ١٩ ط. مكتبة السنة.

(٣) انظر شرح السنة للإمام أبي الحسين محمد بن الحسين بن مسعود الفراء البغوي (١/ ٢٢٧) ط. المكتب الإسلامي.

(٤) راجع الإبانة عن شريعة الفرق الناجية، ومجانبة الفرق المذمومة، المعروف بـ«الإبانة الكبرى» لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري (٢/ ٤٦٧)، ط. دار الراية.

(٥) شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لابن عثيمين، ص ١١٠، ط. مكتبة المعارف.



الْآخِرِ يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿[المجادلة: ٢٢].﴾

* ويقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في معرض تقريره لقاعدة الحب في الله والبغض في الله في كتابه الفذ الماتع «هجر المبتدع» [وهذه القاعدة - أي الحب في الله، والبغض في الله - من مسلمات الاعتقاد في الإسلام لكثرة النصوص عليها في الكتاب والسنة والأثر، ومن أولى مقتضياتها التي يُثاب فاعلها ويُعاقب تاركها: البراءة من أهل البدع والأهواء، ومعاداتهم، وزجرهم بالهجر ونحوه، وعلى التأييد حتى يفيئوا، وهذا معقود موجود في عامة كتب اعتقاد أهل السنة والجماعة^(١)].

* ومن جملة ما يتحقق به هجران أهل البدع والمنكرات: ترك السلام عليهم.. إذ السلام عليهم من الأسباب الجالبة لمحبتهم لحديث أبي هريرة: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا...» فقد بينَّ النبي أن إفشاء السلام من أسباب التحاب بين المسلمين، ولما كان بغض المبتدع في الله أمراً مشروعاً في الدين وجب ترك السلام عليه حتى لا يُحِبَّ^(٢).

والدليل على ذلك: ما ثبتَ عن عبد الله بن كعب قال: «سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن تبوك، ونهى رسول الله عن كلامنا، وأتى رسول الله ﷺ فأَسْلَمَ عليه، فأقول في نفسي: هل حَرَكْتُ شفتيه برد السلام، أم لا؟ حتى كَمَلْتُ خمسون ليلة، وأذن النبي بتوبة الله علينا حين صلى الفجر»^(٣).

* وأما الدليل على وجوب هجران أهل المنكر: ما ثبتَ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «لا تسلموا على شَرَبَةِ الخمر»^(٤).

(١) هجر المبتدع، للعلامة/ بكر بن عبد الله أبو زيد، ص ١٩، ط. دار ابن الجوزي.

(٢) راجع موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، تأليف د/ إبراهيم بن عامر الرحيلي، (٢/ ٤٧٢)، ط. مكتبة العلوم والحكم.

(٣) رواه البخاري (٥٦٢٥).

(٤) الفتح (٤٨/ ١١).





- وهذا وإن لهذه المسألة فقهاً واسعاً، فليرجع من أراد التوسع في فهم وتأسيس هذه المسألة الدقيقة إلى الكتب التي عنت بذلك^(١).

١٤ - عدم بدء الكافر بالسلام: فإذا لقيت يهودياً أو نصرانياً في طريقك فلا تبدأه بالسلام

ولا بالتحية، وذلك لما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تبدءوا

اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه»^(٢).

فإذا بدأك واحد منهم بالسلام فأجبه بما ثبت عن رسولك ﷺ، كما في حديث أنس بن

مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم»^(٣).

ولا تنخدع بسلام هؤلاء الكافرين فلقد صحَّ عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله

(١) ننصح كل من أراد الخوض في غمار هذه المسألة بمراجعة الكتب والأبحاث الآتية: سبيل النجاة والفكاك من موالات المرتدين وأهل الإشراك للشيخ/ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، وكتاب «تحفة الإخوان بما جاء في الموالات والمعاداة والحب والبغض والهجران، للشيخ/ حمود التويجري، وكتاب «الولاء والبراء في الإسلام» د/ محمد سعيد الفحطاني، وكتاب «هجر المبتدع» د/ بكر أبو زيد، الزجر بالهجر، للشيخ/ مشهور سليمان، ورسالة دكتوراة تحت عنوان «موقف أهل السنة والجماعة من أهل البدع والأهواء، د/ إبراهيم بن عامر الرحيلي. - وهي من أمتع ما وقفت عليه في هذا الباب-

كما ننصح غلاة التبديع بمراجعة بحث «المبتدعة وموقف أهل السنة والجماعة منهم» للدكتور/ محمد يسري إبراهيم، ضوابط التبديع د/ محمد سعيد، ورسالة (تصنيف الناس بين الظن واليقين) د/ بكر أبو زيد، وكتاب (رفع الاشتباه عن مهمات من المغالات) للدكتور/ محمد رجب، الأعمال الكاملة «البدعة» د/ عائض بن عبد الله القرني، وكتاب (الضوابط الفقهية للتعامل مع المخالف في المسائل الأصلية الفرعية) للدكتور/ أحمد بن سعد حمدان الغامدي.

(٢) رواه مسلم (٢١٦٧)، وقد قال بعض أهل العلم: أن علة النهي أن في بدايتهم بالسلام سبباً للتواد والتحاب، كذلك قد يكون تعظيماً لهم، وإنما أمر المسلمون بخلاف ذلك، كذلك علة «التضييق عليهم» إذا لقي أحدهم في الطريق؛ لأن فيه تعظيماً للدين وكسراً لهؤلاء - خاصة - في زماننا هذا الذي ميعت فيه عقيدة «الولاء والبراء» بدعوى المواطنة، والانفتاح على الآخر، وأن الدين لله والوطن للجميع.

(٣) متفق عليه.



ﷺ: «إذا سلم عليكم اليهود، فإنما يقول أحدهم: السام عليك^(١)، فقل: وعليك^(٢)».

* وإذا مررت على جماعة فيهم أخلاطٌ «مسلمون وكفار»، فلا بأس أن تلقى السلام ناوياً به المسلمين، وذلك لما صحَّح عن أسامة بن زيد «أن النبي ﷺ مرَّ على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشرِّكين عبدة الأوثان واليهود، فسَلَّم عليهم النبي ﷺ»^(٣).

١٥- وأخيراً: فإذا أردت ألا تكون أبخل الناس وأعجزهم، فجدِّد بالسلام، وإن بينك ﷺ قال: «إن أبخل الناس مَنْ بَخِلَ بالسلام، وأعجز الناس مَنْ عجز عن الدعاء»^(٤).

فهيا.. شباب الإسلام..

* أحيوا هذه السنة العظيمة، وتلك الشعيرة المباركة بين عموم المسلمين في كل مكان من أرض الإسلام، في الشوارع والطرق، في البيوت والخوانيت في المدارس والجامعات، والكلليات لتتقارب القلوب وتتآلف الأرواح، ويحصل الأجر، وتزداد المثوبة.. إن شاء الله..

ثالثاً: من آداب الطريق: كف الأذى عن المسلمين:

لقد أخبر النبي ﷺ أن إمطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان ومن أسباب دخول الجنان، من أنواع الصدقة والإحسان، وأن وضع الأذى في الطريق من أعظم الإساءة والعصيان، ومن أسباب اللعنة والخذلان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة - أو بضع وسبعون شعبة - أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان»^(٥).

(١) السام: يعني الموت.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه ابن حبان في الصحيح والطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب، وأبو يعلى في المسند، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥١٩)، وفي الصحيحة (٦٠١).

(٥) متفق عليه.





والأذى: كل ما يؤذى المار كالحجر والشوكة والعظم والنجاسة والحديد والزجاج وغير ذلك^(١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «عرضت على أمتي حسننها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يُباط عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها النخامة تكون في المسجد لا تدفن»^(٢).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كُل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه شمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل على دابته فتحمل عليه متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»^(٣)، ومعنى الحديث: أن تركيب هذه العظام وسلامتها من أعظم نعم الله على عباده، فيحتاج كل عظم منها إلى صدقة يتصدق ابن آدم عنه بها ليكون ذلك شكرًا لهذه النعمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك فأخذه، فشكر الله له فغفر الله له»^(٤).

وكما جاء الترغيب في إزالة الأذى عن طرقات المسلمين من أجل سلامة المارة، فقد جاء الوعيد الشديد في حق من يلقي الأذى في الطرقات، ويؤذى المارة ويعرقل السير في الطريق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اتقوا اللاعنين الذي يتخلى في طريق الناس أو يمشيهم»^(٥)، ومعناه: النهي عن قضاء الحاجة في الطريق الذي يسلكه الناس، أو في الظل الذي يجلسون فيه، وأن من فعل ذلك فهو مستحق للعنة والعقوبة؛ لأنه يؤذى الناس بذلك وينجسهم أو يجرهم في الطريق والجلوس في الظل وهم بحاجة إلى ذلك، فيدعون عليه باللعنة.

(١) انظر رسالة تحريم أذية المسلمين، للشيخ/ صالح الفوزان، ص ٢ ط. دار القاسم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه، «السلامي» هي: العظام الدقيقة والمفاصل التي في جسم الإنسان.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم (٢٦٩).

صور من أذية المسلمين

ومن ذلك: حفر الحفر في الطريق وطرح القمامة، وقضاء الحاجة في طرق الناس، وإلقاء الحديد والأحجار وقطع الزجاج وسد الطريق، وعرقلة السير وتعريض المارة للخطر، وكثرة المشاجرات، والمهاترات، والسباب واللعان، وسب الدين، وقذف الأعراض - خاصة - المحصنات من المؤمنات، وتحويل الأماكن العامة والخاصة والطرق العمومية والشوارع إلى أماكن لركن سيارات، مع عدم مراعاة الحقوق العامة للناس، والحقوق الخاصة للجيران وأصحاب العقارات والسيارات والمحلات...».

* وكذلك من صور إيذاء المسلمين في طرقاتهم: سرقة المال العام، واستحلال الاستيلاء على أرض الطريق العام والبناء فيها بدعوى «إن ده مش ملك حد» مما يؤدي إلى كثرة المنازعات والمخالفات، كذلك من صور الإيذاء ما يفعله بعض السفهاء من الشباب من وقوفهم بالسيارات وسط الشوارع بعضهم إلى جانب بعض يتحدثون ويتمازحون، ويضيقون الطريق على المارة ويعرضون الناس للخطر، ومن ذلك أيضًا: ما يفعله بعضهم - لا سيما طلاب المرحلتين الثانوية والجامعية، من ترويع للآمنين وإزعاجهم عن طريق العبث بالسيارات، (كما يسمونه «بالتفحيط» أو «التخميس»)، ومن ذلك أيضًا: البطش في قيادة السيارات والتهور في السرعة، وإزعاج الناس بأصوات أبواق السيارات، خصوصًا عند سماعهم بانتصار فريق رياضي على فريق آخر «حسب تعبیرهم»، أما عن أصوات الأغاني المنبعثة من السيارات والمركبات فحدث ولا حرج عن الإسفاف وسوء الخلق، ويقع كل هذا بلا نكير، وإلى الله المشتكى!!

ومن ذلك أيضًا: ما يفعله بعض الشباب من الإطّلاع على شئون الناس الخاصة والتلصص عليها، وكثرة القيل والقال - خاصة - في المقاهي والمنتديات والجامعات، وسب أهل العلم والدين وانتقاصهم والسخرية منهم - خاصة - بعد الهجوم الشرس الممنهج من





قبل وسائل الإعلام العميلة في بلادنا العربية والإسلامية على العلماء والدعاة، كذلك النظر إلى ما لا يجوز النظر إليه من النساء، وملاحقتهن والتعدي على بعضهن بالقول أو بالفعل مما أدى إلى انتشار ظاهرة العلاقات المحرمة بما عرف بـ«الارتباط»، وسبب انتشار ظاهرة الترخص في إظهار العورات للشباب من الجنسين مما أدى إلى ازدياد انتشار ظاهرة «التحرش في الشوارع والنوادي والمدارس والكليات»، ومن أذية المسلمين إطلاق الكلاب على المارة في الشوارع، وتحويل الشوارع إلى ملاعب للكرة^(١) فضلاً عن انتشار ظاهرة تعاطي المخدرات بكافة أشكالها وصورها في الشوارع والمتنديات العامة والخاصة بلا حسيب أو رقيب.

ومن أذية المسلمين: تحويل الشوارع إلى ملاعب للكرة مما يتسبب في كثرة الصخب، والتجمعات حولها مما قد يؤدي المارة، وأصحاب البيوت، وربما ينتج عنه أضرار كثيرة. كل هذه الأحوال وغيرها كثير تُعرّض صاحبها والناس للخطر، فيجب تلافيها والحذر منها، فكم نجم عن هذه الأحوال من حوادث ذَهَبَتْ فيها أنفس كثيرة محرمة، أو تعطلت فيها أعضاء، وتعبت فيها أجسام، وتعطلت فيها حواس!!

أخي الشاب الجامعي.. عليك بوصية رسول الله ﷺ..

عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: «إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أيُّ المسلمين خير؟ قال: «مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده»^(٢).

قال النووي - رحمه الله: «مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، معناه: مَنْ لم يؤذ مسلماً بقولٍ ولا فعل، وَخَصَّ اليد بالذكر لَأَنَّ معظم الأفعال بها؟ وقد جاء القرآن العزيز بإضافة الاكتساب والأفعال إليها لما ذكرناه، والله تعالى أعلم»^(٣).

(١) راجع: كتاب التحضر العشوائي د/ جليلة القاضي ترجمة منحة البطراوي، ص ٥٣-٥٤، ط.المركز القومي للترجمة.

(٢) متفق عليه.

(٣) شرح صحيح مسلم (١/٢٨٦)،



* أخي الشاب المسلم: خَفُ الله، واحفظ أعراض وحرَمات المسلمين، واحترم حقوقهم ومرتفاتهم، وإياك وأذية الناس في طرقاتهم وأمكنة استراحاتهم، ثم إياك وتضييع حقوق إخوانك من المسلمين والإضرار بهم في أمور دنياهم وأخراهم، وأوصيك أن تتقي دعوة المظلوم منهم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب..
وأوصيك وأنت في طريقك للجامعة. ألا تسخر من الناس، وألا تستهزأ بمن هم أقل منك في السن أو العلم أو الدرجة، بل ارفع شعار «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» وإياك أن تنسي حرَمات الشارع الذي تمشي فيه بدعوى «الحرية»، واستقم في سيرك حتى تصل إلى كليتك بسلام، وتخرج منها إلى بيتك سالماً من الذنوب والآثام كما أوصيك ألا تنسى بقية حقوق الطريق».





رابعاً: من آداب الطريق: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقد امتن الله - تبارك وتعالى - على هذه الأمة المحمدية بأن جعلها خير الأمم حيث قال سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

* وخيرية هذه الأمة وفلاحها مقرون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، بل قال تعالى في وصف المؤمنين والمؤمنات: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

فبعد أن ذكر الله عز وجل وصف المؤمنين بكون بعضهم أولياء بعض، ذكر ما تميزوا به من الصفات عن المنافقين والمنافقات، وأهمها فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

للأسف الشديد

إن هذه الشعيرة الإسلامية العظيمة تمر بمحنة عظيمة، فإنك - أخي الشاب - إذا يمّمت وجهك شطر أي مكان سترى المناكير قد فشت في الأسواق والخوانيت، في الشوارع والطرق، بل في المدارس والجامعات، ولا تجد مَنْ ينكر هذه المناكير.. بل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد وهى جانبه، وكثر مجانبه، وعزّت مطالبه فقلّ طالبه.

لأجل هذا كان لزاماً أن أبين فقه هذه الشعيرة العظيمة للطالب الجامعي المسلم ولو بشيء من التصرف والاختصار - خاصة - وأنه قد أدى عدم الفقه في هذا الباب إلى ويلات وشور، كما أدى عدم التبصر في كيفية أدائه إلى التهور والاندفاع غير الموزون، وهذه نتيجة

حتمية واقعية؛ لأن أغلب الشباب يقتصرون على سماع فضائل «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» دون معرفة فقه هذه الشعيرة.

لهذا أقول مستعيناً بالله..

الأمر في اللغة: ضد النهي، مثل قولك: افعل كذا^(١).

والنهي في اللغة: النون والهاء والياء أصل يدل على غاية وبلوغ والشيء الذي لا ينكر ولا يستوحش منه^(٢).

المعروف لغة هو: كل ما تعرفه النفس وتطمئن إليه.

وشرعاً: هو اسم جامع لكل ما عُرِف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع في المقومات والمحسنات وهو من الصفات الغالبة، [أي أنه معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه] والمنكر ضد ذلك جميعه^(٣).

والمنكر لغة: فهو اسم لما تنكره النفوس، وتنثو عنه، وتشمئز منه، ولا تعرفه، وهو يدل على خلاف المعرفة، التي يسكن القلب^(٤).

وهو في الشرع: اسم جامع لكل ما عرف بالشرع والعقل قبحه من معصية الله تعالى وظلم عباده وأصل المنكر ما أنكره الله، ورأوه [أي أهل الإيمان] قبيحاً فعله، ولذلك سميت معصية الله منكراً؛ لأن أهل الإيمان بالله يستنكرون فعلها ويستعظمون ركوها^(٥)، والمقياس عندنا في المعروف والمنكر: ليس هو عرف الناس وتقاليدهم وما شاع بينهم، فإن عرف الناس

(١) انظر «معجم مقاييس اللغة» (١/١٣٧)، ولسان العرب (١/٩٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٥/٣٥٩).

انظر (معجم مقاييس اللغة (٤/٢٨١)، ولسان العرب مادة (ع ر ف) (٤/٢٩٠٠).

(٣) راجع كلام ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤/٤٥).

(٤) انظر «معجم مقاييس اللغة» (٥/٤٥٦).

(٥) انظر «جامع البيان» للإمام الطبري (٤/٤٥).





متقلبٌ، وإنما المقياس في تحديد المعروف والمنكر هو الشرع، وليس العرف.

* حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

هو عند الجمهور فرض على الكفاية، متى قامت به أمةٌ من الناس على الوجه التام أجمعت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو عند الجمهور فرض على الكفاية، متى قامت به فئة من الناس على الوجه التام سقط الإثم عن الباقيين من أمة محمد ﷺ، والقيام به من أفراد الأمة احتساباً وتقرباً إلى الله عز وجل أمر مرغّب فيه شرعاً، ومحَبَّبٌ إلى الله ورسوله، لكن شريطة أن تكون هذه الطائفة مِمَّنْ تتحقق بهم الكفاية^(١)، ونَقَلَ بعض أهل العلم^(٢) «كابن عطية في تفسيره، والخصاص في أحكام القرآن، وابن حزم في الفصل والمحلى، والغزالي في الإحياء، وأبو المعالي إمام الحرمين، والنووي في المجموع وشرحه على صحيح مسلم» أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة واجبة على كل مسلم.. كل على حسب طاقته.

* وقد تضافرت نصوص الوحي على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أجمعت الأمة على ذلك، وأشارت العقول السليمة إليه، كذا أشارت الأخبار والآثار، فلا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات، بل ذلك جائز لأحد

(١) نقل رأى الجمهور، الشيخ/ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ في كتابه «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الماضي والحاضر، ص ١٤، ط. مكتبة أهل السنة، وراجع أيضاً بحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - فقه الاحتساب وقواعده نقلاً عن كتاب «المفصل في أحكام المرأة وبيت المسلم في الشريعة الإسلامية» د/ عبد الكريم زيدان (٣٥٧٦/٤) ط. مؤسسة الرسالة.

(٢) راجع كلام النووي في شرح على صحيح مسلم (٢٢/٢)، والغزالي في إحياء علوم الدين (١٨٧/٧)، وأحكام القرآن للخصاص (٣١٥/٢)، وابن حزم في المحلى (١٢٥/٣)، وانظر الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٧١/٤).

المسلمين^(١)، إضافةً إلى الإنكار القلبي وكرهية وبغض المنكر وأهله، والقائمين عليه فرض عين على الجميع بإجماع أهل العلم^(٢).

كذلك فإن الأمر المعروف والنهي عن المنكر، قد يكون فرض عين على المكلف المسلم يأثم إن لم يأت به في بعض الحالات وهي:

١- إذا لم يعلم بالمنكر غير شخص معين، فإنه يلزمه أن ينكر هذا المنكر وجوباً..

٢- إذا لم يستطع تغيير المنكر إلا شخص بعينه، فمثلاً.

[قد يكون الشخص المنكر في مجتمع من مجتمعات الوجهاء والكبراء، فيرى منكراً من المناكير فإنه يتعين على هذا الشخص أن ينكر عليهم هذا المنكر، ويحذرهم منه، ويبين لهم الحق^(٣)].

الخلاصة: أن كلام أهل العلم حول وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نجده ينصب على الحكم الأصلي (أي على مطلق الوجوب) وإن كانت درجة الوجوب تختلف، فأحياناً يكون الوجوب عينياً، وفي أخرى يكون الوجوب كفائياً.

- كما يختلف الوجوب من جهة أدوات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد يكون واجباً باليد حيناً أو لصنفٍ من الناس، ويسقط الوجوب في زمن أو عن صنفٍ من الناس، وإن كان الإنكار بالقلب لا يُعذر فيه أحد من الناس^(٤)، والكلام عن هذا مبسوط في مواضعه

(١) قال الحويني -رحمه الله-: (ويسوغ لأحاد الرعية أن يصدوا مرتكب الكبيرة إن لم يندفع عنها بقوله ما لم ينته الأمر إلى نصب قتال وشهر سلاح فإن انتهى الأمر إلى ذلك رُبط الأمر بالسلطان). [راجع شرح صحيح مسلم للنووي ٢٥/٢].

(٢) هناك أشرطة علمية تحمل «فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» وهي لشيخنا/ أبي إسحاق الحويني - حفظه الله وأمتّع المسلمين بحياته، فاحرص على سماعها ففيها نفع كبير.

(٣) راجع حتى لا تغرق السفينة للشيخ د/ سلمان بن فهد العودة، ص ٥٢، ٥٣، ط. دار الوطن للنشر.

(٤) انظر: فتح القدير للشوكاني (٣٧٧/١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢٢/٢، ٧٢٠/١)، وأحكام القرآن للجصاص (٢٩/٢)، والآداب الشرعية لابن مفلح (١٥٥/١، ١٥٦، ١٧٤)، وزاد المعاد في هدي خير العباد





من كتب أهل العلم.

ولقد وردت الأدلة في القرآن وصحيح السنة، وإجماع علماء الأمة على مشروعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى مشروعية «الحسبة»، وهذه الأدلة تتنوع في كيفية دلالتها، بين الطلب الدال على الوجوب بإطلاقه، سواء كان وجوباً على التعيين، أو على سبيل الكفاية، وبين الأدلة الدالة على مشروعية فعلها وحرمة تركها^(١)، ومن الأدلة على ذلك في كتاب الله قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ أَقْرَبُ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

ووجه الدلالة في الآية الكريمة على المطلوب من أربعة وجوه، أولها: الطلب بأسلوب الجزم أمراً ونهياً... مما يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأمور الواجبة، وإن كان يتقيد في أدائه - بما رَسَمَهُ الشارع لأداء جميع مطلوباته من خلقه - بالاستطاعة، حيث لا تكليف إلا بمقدور - كما يقول الأصوليون - وثانيها: اقترانه بالصلاة مما يشير إلى أنه مثلها في درجة المشروعية - مع التفاوت بين الواجبات -، وثالثها: ما وَصَفَهُ الله تعالى في ختام الآية من أنه مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ، أي مما عَزَمَهُ اللهُ تعالى وأمر به، رابعها: ما أمر به الحق - سبحانه - من الصبر بعد أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، لما يَغْلُبُ على الظن معه من أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى، فَأَمَرَ بالصبر في هذا الموطن حتى لا يتبرم القائمون به، ويقعدوا عن العمل بهذه الشعيرة المباركة لمجرد أنه ينالهم أذى فتضيع المصالح الشرعية التي أناطها الشارع به، وهو ما يدل على اهتمام التشريع به..

لابن القيم (٢/٥٨)، والحسبة في الإسلام لابن تيمية (ص ٢٥) ط. دار الكتب العلمية، وروح المعاني للآلوسي (٢١/٤) ط. دار الكتب العلمية.

(١) راجع رسالة [الحسبة ودور الفرد فيها في ظل التطبيقات القانونية المعاصرة]، د/ عبد الله مبروك النجار، ص ١٩، هدية مجلة الأزهر لشهر ذي الحجة سنة ١٤١٥ هـ.

قد يقول قائل: إن هذا الدليل واردٌ في شرع من قبلنا، فلا يكون شرعاً لنا. وقد أجاب أهل العلم عن مثل تلك الشبهة في مواطن متعددة، بما قرروه: من أن شرع من قبلنا شرع لنا، ما لم يرد في شرعنا ما يخالفه، ولم يرد في التشريع الإسلامي ما يخالف ذلك^(١).

* ومن الأدلة على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. قال ابن كثير^(٢): لقد أمر الله تعالى في الآية بأن ينتصب مجموعة من المؤمنين لتقوم بمهمة الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد وُصِفَتْ هذه المجموعة بالفلاح، على نحو يُفيدُ الترغيب في عمل ذلك، وهو ما يدل على حرص التشريع على فعله وتحصيله،

(١) المعلوم لدى الأصوليين أن قاعدة «شرع من قبلنا شرع لنا» لها شروط منها:

١- أن يكون النقل عن شرع من قبلنا من مصادرنا الإسلامية (الكتاب والسنة).

٢- ما ثبت دليل نسخه بشرعنا فلا حجة فيه.

٣- ما قام الدليل على تخصيص بمن كان قبلنا فهو لا يسرى علينا، كتحريم بعض أجزاء اللحوم على بني إسرائيل.

٤- ما ثبت بالنص أنه مقرر في الإسلام كما كان مقررًا في الأديان السابغة فمستند ثبوته هو النص الإسلامي لا بالحكاية عمّن سبقنا.

وعليه.. فما وجد من شرع سابق جاءت به المصادر الإسلامية، ولا يوجد ما يدل على بقاءه ولا إلغائه من سياق النص

نفسه فيكون شرعاً لنا، وهذا مذهب المالكية وبعض الشافعية والحنابلة والحنفية، ومما يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقوله ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

وهذا مبسوط في كتب الأصوليين فراجع في مظانه، وأنصح بالاطلاع على بحث «واقع شرع من قبلنا من الأدلة فيما شرعه لنا ربنا عز وجل» للشيخ/ عبد الله بن عمر الشنقيطي من ص ١١٢: ص ١٢٠ ط. دار الطباعة والنشر الإسلامية.

(٢) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٤٠٦).





وإن كان ذلك واجباً على كل فرد بحسبه على نحو ما وردَ في حديث النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»، وفي روايةٍ «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»^(١).

ومن الأدلة على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، حيث أخبر الله بأن المؤمنين هم خير الأمم التي أخرجت للناس، وذلك بسبب ما يقومون به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع الإيمان بالله تعالى، وهو ما يدلُّ على مشروعية الفعل^(٢).
روى قتادة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٣) قرأ هذه الآية ثم قال: «مَنْ سره أن يكون من هذه الأمة فليؤدِ شرط الله».

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [التوبة: ٧١].

وفي الآية ما يدلُّ على أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشروعٌ لكل أفراد الأمة ذكوراً وإناثاً، وأنَّ التعاونَ والتكاتفَ في أداء هذا الغرض من الأمور التي تدل عليها الآية، وأن حكمه «يقصد الحسبة»^(٤) حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه وسيلة إليه،

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه (٦٩/١) رقم (٤٩).

(٢) راجع تفسير ابن كثير (٤٢٧/١) وما بعدها.. حيث أورد آثراً كثيرة تؤكد هذا المعنى، وتدل عليه بما لا يدع أدنى شك في مشروعيته..

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠٢/٥).

(٤) تعريف الحسبة فيه أقوالٌ كثيرةٌ لأهل العلم سلفاً وخلفاً، إلا أنهم اتفقوا على أنها وظيفة دينية اجتماعية، وهي من باب التعاون على البر والتقوى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..



وللوسائل أحكام المقاصد - كما قال علماء الأصول.

كما وردت الأدلة الدالة على حرمة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتاب الله على صيغة أخبار تفيد التحريم: إما لأنها قد وَرَدَتْ في سياقِ الذمِّ على الترك، أو جَعَلَهُ هجره من عمل المنافقين وخصائصهم، أو وصف مَنْ يتركون هذا العمل بالفسق، [أي الخروج عن طاعة الله تعالى]، واللعن وما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨) ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٩) [المائدة: ٧٨، ٧٩]، حيث أخبر الله تعالى أنه لَعَنَ الكافرين مِنْ بني إسرائيل من دهر طويل، فيما أنزله على نبيه داود عليه السلام، وعلى لسان عيسى ابن مريم - عليه السلام -، بسبب عصيانهم لله، واعتدائهم على خلقه، كذلك فإنهم كانوا لا يتناهون عن ارتكاب المآثم والمحارم ومن هنا ورد جاء مهم، ثم ذمهم على ذلك بما يفيد تحذير المؤمنين من ارتكاب مثل ما فعلوه^(١).

والحسبة نظام رقابي تصحيحي، من شأنه الإشراف على المرافق العامة، وتنظيم عقاب المخالفين، وهو شامل لكل معروف في الأقوال والأفعال والهيئات، والنهي عن المنكرات، ويسمى صاحبها محتسباً، ومن أبرز شروطه أن يكون عالماً بالأحكام والأنظمة والقوانين بدقة، مع العفة واللين، والرفق والرحمة والأمانة.. وفي وقتنا الحاضر.. تنظم أجهزة الدولة هذه الوظائف كل على حسب اختصاصه، وسيأتي بيان أهمية نظام الحسبة لإصلاح المجتمعات، ومَنْ أراد التوسع فليراجع كتاب «الاحتساب للإمام الطرطوشي، وكتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للإمام أحمد بن محمد بن هارون الخلال الأنصاري، وكتاب «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» للشيخ/ عبد الرحمن بن نصر الشيرازي وانظر رسالة «دكتوراه» بعنوان «الحسبة النظرية والعملية عند شيخ الإسلام ابن تيمية» إعداد د/ ناجي بن حسن بن صالح حضييري من ص ٣٢ إلى ص ٣٦ ط. دار الفضيلة - الرياض - السعودية.

كما أنصح بالإطلاع على مقال «رحلة الحسبة في حضارة الإسلام» بقلم «محمد شعبان أيوب» - مجلة الوعي الإسلامي العدد (٥٦٧) ذو القعدة ١٤٣٣هـ/ سبتمبر/ أكتوبر سنة ٢٠١٢م ص ٣٤، ص ٣٥.
(١) مستفاد من تفسير ابن كثير (٢/ ٨٤).





والآيات في هذا المعنى كثيرة!!

* كذلك سلكت السنة النبوية في دلالتها على مشروعية «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» مسلك القرآن من الأمر به، والتشديد على المتهاون فيه، وقد ورد في ذلك أحاديث صحيحة كثيرة منها..

- حديث أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فليبسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

حيث دَلَّ منطوق الحديث على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جميع أفراد الأمة كُلِّ على قدر استطاعته، وبحسب مقدرته، ولهذا يترجَّح أنه فرضٌ على الكفاية للمستطيع من المسلمين، حيث إنَّ أبناء الأمة ليسوا على درجة واحدة في الاستطاعة، ومن ثمَّ يتعين على القادر منهم^(١)، قال النووي - رحمه الله: «ثم إنه يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم

(١) نشرت مجلة الوعي الإسلامي الكويتية ملفاً كاملاً بعنوان: «تغيير المنكر.. مسؤولية مشتركة» وذلك في عددها (٥٦٧) الصادر في ذي القعدة سنة ١٤٣٣هـ/ أكتوبر سنة ٢٠١٢م، جاء فيه هذا المقال «تغيير المنكر بين مسؤولية الفرد وسلطة الدولة» بقلم/ كلاً من «هاجر حسونة - محمد سعد» وقد عرَّض الكاتبان لهذه المسألة: هل التغيير بالقوة من صلاحيات الفرد أم سلطة الدولة؟ وماذا إذا تخلت الدولة عن دورها في تغيير المنكر؟

وقد عرَّض الكاتبان لأقوال السادة العلماء والفقهاء المعاصرين، والذين أكدوا أن الأصل في تغيير المنكر أنه ولاية شرعية منوطة بالحاكم أو الإمام، فلا يجوز للفرد العادي أن يحدث فتنة بتغييره للمنكر بيده، أما إذا كان تغيير المنكر باليد لن يحدث فتنة أو منكراً أكبراً فلا بأس به شريطة مراعاة فقه هذه المسألة بحيث لا يُسبب إنكار المنكر باليد منكراً أكبر أعظم منه، أو يفوت معروفًا أهم منه، كذلك أن يكون إنكار المنكر باليد سرّاً إذا كان المنكر مستتراً ليس معلناً له، أما إذا أظهر المنكر فيجب الإنكار عليه علناً بحسب القدرة، كذلك فيجب على المنكر باليد ألا يتجاوز الحد المشروع إن كان المنكر من المنكرات التي يمكن إتلاف بعضها وترك البعض الآخر..» راجع ص ٢٩، ٣٠.

=

به إلا هو أو لا يتمكن من إزالته إلا هو، وَكَمَنْ يرى زوجته وأولاده أو غلامه على منكر، أو تقصير في المعروف، وقد قال العلماء رحمهم الله: «ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله، فإن الذكرى تنفع المؤمنين». وقد قال العلماء: إنه لا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات، بل ذلك جائز لأحاد المسلمين^(١).

وقال القرطبي - رحمه الله -: (أجمع المسلمون فيما ذكره ابن عبد البر أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه، وأنه إذا لم يلحقه بالتغيير إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى فإن ذلك لا يجب أن يمنعه من تغييره فإن لم يقدر فبلسانه فإن لم يقدر فبقلبه، ليس عليه أكثر من ذلك، وإذا أنكر بقلبه فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك، قال: والأحاديث في تأكيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جداً، لكنها مقيدة بالاستطاعة.

ومن الأدلة النبوية على أهمية هذه الشعيرة المباركة - حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إياكم والجلوس في الطرقات، قالوا يا رسول الله: ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها، قال رسول الله ﷺ «فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما

وليعلم الجميع: [أن جميع الولايات في الإسلام إنما مقصودها أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، ولا يكون ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر] انظر رسالة الحسبة في الإسلام. شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق/ سيد بن محمد بن أبي سعدة ص ٣، ٦ ط. دار الأرقم للطباعة والنشر بالكويت.

وقال أيضاً: (وولي الأمر إنما نصب ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهذا هو مقصود الولاية فإذا كان الوالي يمكن من المنكر بهال يأخذه، كان قد أتى بضد المقصود، مثل مَنْ نصبته ليعينك على عدوك، فأعان عدوك عليك، وبمنزلة من أخذ مالاً ليجاهد به في سبيل الله فقاتل به المسلمين. [انظر مجموع الفتاوى ٣٠٦/٢٨]. لهذا كان العلماء والأمراء في الصدر الأول يباشرون الحسبة بأنفسهم لما يعلمونه من جزيل الثواب عليها فضلاً عن عموم نفعها وصلاحتها، ولذلك سموها بالمحتسبين.

(١) شرح صحيح مسلم (٢/ ٢٣).





حقه؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر^(١).
وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب
لكم»^(٢).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل القائم على حدود الله
والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان
الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً
ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا
جميعاً»^(٣).

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: «يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها على غير
مواضعها ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإنا سمعنا النبي
ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب»، وفي
رواية عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قوم يعمل

(١) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه (١٠٣/٣)، ومسلم (٢١٢١).

(٢) رواه الترمذي (٢١٦٩)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١١١/٣، ١٦٤/٣).

(٤) قال الكاتب الحجة البليغ / مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله -: إن القانون في السفينة إنما هو قانون العقابة دون غيرها، فالحكم لا يكون على العمل بعد وقوعه كما يُحكم على الأعمال الأخرى، بل قبل وقوعه، والعقاب لا يكون على الجرم يقتضيه المجرم كما يعاقب اللص والقاتل وغيرهما، بل على الشرع فيه، بل على توجه النية إليه، فلا حرية هنا في عمل يفسد خشب السفينة أو يمسسه من قرب أو بعد ما دامت مُلحجة في بحرها، سائرة إلى غاياتها، إذ كلمة الخرق لا تحمل في السفينة معناها الأرضي، وهناك لفظة (أصغر خرق)، ليس لها إلا معنى واحد وهو «أوسع قبر» [راجع وحي القلم ٥/٣].

فيهم بالمعاصي ثم يقدرّون على أن يغيروا ثم لا يغيرون إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب»^(١).

قال ابن العربي -رحمه الله-: «وهذا الفقه عظيم وهو أن الذنوب منها ما يعجل الله عقوبته، ومنها ما يمهل به إلى الآخرة، والسكوت عن المنكر تتعجل عقوبته في الدنيا بنقص الأموال والأنفس والثمرات وركوب الذل من الظلمة للخلق»^(٢).

* موقف الناس من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

* إن الناس من هذه الشعيرة المباركة مواقف متباينة:

فمنهم فريق يترك ما يجب عليه من الأمر والنهي تأويلاً لهذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]^(٣).

ولا شك أن في هذا نظر، ولقد صحّ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: «يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وإنكم تضعونها في غير موضعها، وإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم

(١) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٣٣٨)، والترمذي (٣٠٥٧)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤٠٠٥)، وأحمد (٩، ٧، ٥، ٢، ١).

(٢) عارضه الأحوذى (١٥/٩).

(٣) تأويل الآية: أي إذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بغيره من الواجبات لم يضره ضلال الضلال، يقول العلامة السعدي - رحمه الله تعالى - في تأويل هذه الآية: «أي اجتهدوا في إصلاحها وكما لها وإلزامها سلوك الصراط المستقيم، فإنكم إذا أصلحتكم لا يضركم من ضل عن الصراط المستقيم، ولم يهتد إلى الدين القويم، وإنما يضر نفسه.

- ولا يدل هذا على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يضر العبد تركها وإهمالها، فإنه لا يتم هده إلا بالإتيان بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

[راجع تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ/ عبد الرحمن السعدي ص ٢٤٦ ط. مؤسسة الرسالة].



يغيروه أو شك أن يعمهم الله بعقاب منه»^(١)، ولأمثال هؤلاء نقول:

لقد دلَّ الحديث على أهمية تغيير المنكر - لا سيما - عند حصول الظلم من آحاد الناس، بل وأخبر النبي ﷺ عن الوعيد الشديد للمتقاعدين عن ذلك، حيث يعمهم الله بعقابٍ من عنده، ولا يستجاب لدعائهم جزاء إهمالهم لهذا العمل.

* والفريق الثاني: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وفقًا لما شرع الله، وسنَّ رسوله ﷺ وهؤلاء نرجو من الله لهم جزيل المثوبة ومزيد العطاء.

* والفريق الثالث: مَنْ يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه، أو بيده مطلقًا، من غير فقه أو حلم أو صبرٍ أو نظرٍ فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يُقدر عليه وما لا يُقدر، وهل ستتحقق المصالح بهذا الإنكار أم لا؟ كما في حديث أبي ثعلبة الخشني: «سألت عنها رسول الله ﷺ قال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوى متبعًا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام، فإنَّ من ورائك أيامًا القابض فيهن على دينه كالقابض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله»^(٢).

فيأتي بالأمر والنهي معتقدًا أنه مطيع لله ورسوله، وهو معتد على حدوده وشرعه، كما انتصب كثيرٌ من أهل البدع والأهواء كالخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم كمن غلط غلطًا واضحًا في فهم الأمر والنهي والجهاد، فكان فساد هؤلاء أعظم من إصلاحهم، فمثلاً: أهل الأهواء كالمعتزلة [يرون قتال أئمة المسلمين، ويعتبرون ذلك من أصول دينهم، إذ أصول دينهم عندهم خمسة كما هو معلوم: «التوحيد» الذي هو سلب الصفات، «والعدل» الذي هو

(١) رواه أبو داود والترمذي: وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه والنسائي وابن حبان وأورده المنذري في الترغيب والترهيب وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٧٣).

(٢) رواه أبو داود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٥٨) وابن ماجه (٤٠١٤) وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٤٣٤١) ولكن فقرة «أيام صبر ثابتة في حديث حسن».

التكذيب بالقدر، «والمنزلة بني المترلين»، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي منه قتال أئمة المسلمين^(١).

وأمثال هؤلاء يفسدون ولا يصلحون، يهدمون ولا يبنون.. ول هؤلاء نقول كلمة مختصرة: تعلموا وتفقهوا أيها الجاهلون المدعون فقه هذه الشعيرة المباركة، كذلك افهموا وتعلموا لماذا بالمعروف تأمرون، وعن المنكر تنهون؟!^(٢)، كذلك تعلموا أن في التعجل الندامة، وأن في التماس الحكمة السلامة، وإياكم والإفراط والتفريط في هذا الباب، فاحذروا أن تكونوا غلاة كالخوارج أو أن تكونوا مدهنين جفاة كالمرجئة، بل كونوا وسطاً كأهل الإسلام والسنة.

(١) وهذا خلاف أصول أهل السنة والجماعة والتي منها: لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة، وترك القتال في الفتنة، وذلك لأن النبي أمر بالصبر على جور الأئمة، ونهى عن قتالهم ما أقاموا الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم: «أدوا إليهم حقوقهم، وسلووا الله حقكم» رواه البخاري.

ومن أراد مراجعة هذه المسألة بشكل تفصيلي فليراجعها في كتب اعتقاد السلف الصالح، فمثلاً: فليراجع «عقيدة السلف أصحاب الحديث لشيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني ص ٩٣ ط. دار الكتب السلفية. وكتاب «اعتقاد أئمة أهل الحديث» للحافظ أبي بكر الإسماعيلي ص ٧٥، ٧٦.

وانظر رسالة «شرح اعتقاد أهل الحديث الذي قرره الإمام الأشعري في مقالاته، والتي جمعها وشرحها د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس في كتابه المانع «اعتقاد أئمة السلف - أهل الحديث» ص ٣١٩ ط. دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، وراجع (شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي الدمشقي ص ٥٤٠، ٥٤١ ط. مؤسسة الرسالة.

(٢) من تأمل عمل هؤلاء علم مخالفته لمقاصد الشريعة، وواقع البشرية وتاريخها شاهد على أن نتائج مثل هذه الأعمال إلى ضياع وإن كان أصحابها ييغون رضا الله عز وجل، يقول ابن خلدون -رحمه الله-: (إن كثيراً من المتحليين العبادة وسلوك طريق الدين ويذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه، والأمر بالمعروف رجاء في الثواب عليه من الله فيكثر أتباعهم والمتشبثون بهم من الغوغاء والداهياء، ويعرضون أنفسهم في ذلك للمهلك، وأكثرهم يهلكون في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين؛ لأن الله لم يكتب ذلك عليهم، وإنما أمر به حيث تكون القدرة عليه، قال صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبقلبه» وأحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يُزحزحها ويهدم بناءها إلا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر» [انظر مقدمة ابن خلدون ١ / ٢٨٠، ٢٨١].





* الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لماذا؟! *

يجيب عن هذا السؤال الشيخ العلامة: محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - فيقول:
«والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له ثلاث حِكَمٍ:

الأولى: إقامة حجة الله على خلقه، كما في قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

الثانية: خروج الأمر من عهدة التكليف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿فَنُؤَلِّعُ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات: ٥٤]، فدل على أنه لو لم يأمر وينهي لكان ملومًا.

الثالثة: رجاء النفع المأمور^(١)، كما قال تعالى: ﴿مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، وقال سبحانه: ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى نُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

ويقول الشيخ العلامة/ عبد المحسن بن حمد العباد البدر - حفظه الله تعالى -^(٢):
(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أسباب النصر والتشيت والتمكين في الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [٤٠] الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عِقَابُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نُّصْرُوا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وقال النبي ﷺ في أول وصيته لابن عباس رضي الله عنهما: «احفظ الله يحفظك»^(٣).

(١) راجع أضواء البيان (٢/ ١٥٧) ط. مكتبة ابن تيمية.

(٢) انظر رسالة الموسومة بـ (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم أسباب قيام الدولة السعودية وبقائها» من ص ٦ إلى ص ١٩ ط. مطابع الحميضي.

والمعنى: أن من حفظ الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه فإن الله يحفظه في دينه ودنياه وأخرته إذ الجزء من جنس العمل.

وكما أن النصر والتأييد والحفظ من الله بامثال الأوامر واجتناب النواهي، فإن الخذلان والذلة والصغار يكون في خلاف ذلك، كما قال ﷺ في الحديث: «وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري»^(٢).

(٢) القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو صفة النبي في التوراة والإنجيل^(٣). قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَدْعُوهُمْ إِلَى مَحْتَدٍ مَكْنُوبٍ عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

(٣) مناهج خيرية الأمة: تحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك بعد الإيمان بالله - سبحانه وتعالى - قال سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال ابن كثير - رحمه الله -: «فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات، دخل معهم في هذا المدح، ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]^(٤).

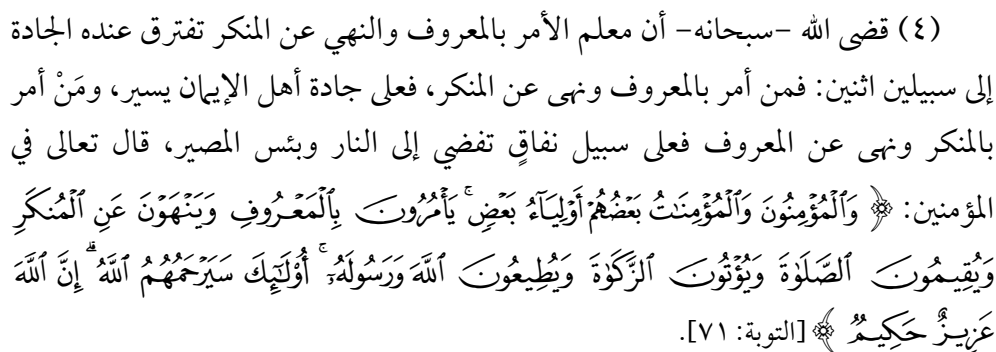
(١) رواه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد في المسند (٢٩٣/١)، وصححه العلامة أحمد شاكر في شرح المسند (١٩٤/٣)، والألباني في ظلال الجنة (١٣٨/١).

(٢) رواه أحمد (٥١١/٤)، وإسناده حسن.

(٣) أنصح بالاطلاع على مقدمة رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية تعليق الدكتور محمد سعيد ص ١٦، ١٧ ط. دار أضواء السلف.

(٤) راجع عمدة التفسير في اختصار تفسير ابن كثير للعلامة / أحمد محمد شاكر (٢٣/٣) ط. دار الوفاء.





وقال سبحانه في المنافقين: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [براءة: ٦٧].

(٥) الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم أهل الصلاح والفلاح قال سبحانه: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣ - ١١٤].

(٦) القيام بعبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعمال المؤمنين وصفاتهم اللازمة، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآثَ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُخْلِصُونَ الْمَكِينُونَ السَّاجِدُونَ الْعِزَّةُ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْخَافِضُونَ لِحُذُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١١-١١٢].

(٧) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نوعان من أنواع الصدقات: فهي صدقة من الأمر الناهي على نفسه فهو مأجور على ذلك، وصدقة على المأمور المنهي لأنه سبب في هدايته وفعله

الطاعة وتركه المعصية.

(٨) الأمر بالمعروف والنهي من خير ما يتناجى به الناس قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصِدْقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

(٩) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم النصيح قال ﷺ: «الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله، قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١).

١٠- ويضيف بعض أهل العلم الكرام أن من أسباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. إحداث تغيير حقيقي في مجتمعاتنا المسلمة^(٢):

لقد اختص الله - سبحانه - ذاته العلية بالكمال المطلق، والتزهره عن أية نقیصة، فهو - سبحانه - لا يحتاج إلى شيء لأنه خالق كل شيء، واختص - سبحانه - أنبياءه ورسله بالعصمة؛ لأنهم يبلغون الوحي عنه إلى خلقه، أما مَنْ عداهم من سائر البشر، فيجوز في حقهم الخطأ والصواب، والخير والشر.

* والإنسان لا يخلو حاله من أحد أمرين إما: خير يُعان عليه من الله ويوفقه إلى أسبابه، وإما شر تعرضه عليه نفسه الأمانة بالسوء أو الشيطان الوسواس الخناس، فهو - أي الإنسان - متأرجح بين هذين الحالين، لذلك كانت حاجته إلى التوبة والاستغفار ومراجعة النفس والاستدراك على ما يفوته من خير أو ما يقع فيه من إثم، حاجة ضرورية لا يُستغنى عنها ما دام فيه عرق ينبض..

وإذا كان هذا هو حال الفرد، فإن المجتمع لا يشذ عن هذه القاعدة، فحال الأمم والشعوب لا يخلو من نهضة تحتاج إلى المحافظة عليها وتأكيدا ودفعها إلى الأمام، أو من

(١) رواه مسلم (١٩٦).

(٢) أنصح بمراجعة رسالة «خطوط رئيسية لبحث الأمة الإسلامية» للشيخ/ عبد الرحمن عبد الخالق ط. المكتب السلفي ودار أهل السنة للطباعة والنشر والتوزيع.





تخلف وانحطاط فتحتاج معهما إلى منبهات وشواحد وإلى مَنْ يفجر فيها الطاقات المعطلة والإمكانات المهذرة للتغلب عليها.. ومن هنا كانت حاجة الفرد والمجتمع إلى التغيير.

- وإذا وضعنا نصب أعيننا المغريات والجواذب الكثيرة التي باتت تتنازع عقل المسلم وقلبه ونفسه.

- على مستوى الفرد والمجتمع - وأن تلك الشواغل تلح بإصرار واستماتة كل لحظة على صرفه عن المهمة التي خلقه الله من أجلها، حتى أصبحت تقتحم عليه أشد الأمكنة والأزمنة خصوصية به - لأدركنا مدى حاجة الإنسان الشديدة إلى «التغيير» الذي يمنحه أسباب التحصين والمواجهة، ويمدُّه بحبل النجاة وسط هذه الموجات المتتابعة المظلمة من عوامل الهدم والهدر.

والتغيير المطلوب هو التغيير الشمولي: وأعني به تغيير الشكل والمظهر مع الجوهر، والمضنون والعنوان، والنفس والجوارح، والمجتمع مع الدولة، إعمالاً لقوله - سبحانه: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

* فالمقصود أن هذا التغيير عملية مركبة سواء على مستوى المراحل (الفرد، الأسرة، المجتمع، الدولة)، أو الأدوات (التربوية، الإعلامية، الاقتصادية، القانونية، السياسية).

* ولا يتحقق هذا كله إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطه وأوصافه الشرعية، من غير استخدام لغة التكفير والتبذير والتفسيق لأفراد المجتمع المسلم، فضلاً عن اللجوء إلى العنف المسلح مع أفراد المجتمع المسلم، وذلك وفقاً لضوابط الشرع المحكم.

* ونحن إذ نقول: أن الأمر المعروف والنهي عن المنكر طريق التغيير والتمكين، نعلم جيداً أن طريق الإصلاح أمامه عقبات كثيرة، تراكمت عبر أزمنة مختلفة، وتحت وطأة خططٍ لم تكَلَّ عن إضعاف المسلمين ومحاصرتهم في دائرة التراجع والانحطاط.

وأمام هذه التحديات الكثيرة والمتغلغلة في المجتمع.. إن لم ندرك الأولويات المطلوب إنجازها، والخطوات العاجلة التي لا تحتل تأخيراً، والوسائل الفاعلة التي تحدث تراكمًا

إيجابياً دون آثار جانبية، حتى لا نصنع - بأيدينا- ومن حيث لا ندرى - عقبات جديدة تضاف إلى ما هو حاصلٌ على أرض الواقع!!
ماذا لو لم تأمر بالمعروف ولم ننه عن المنكر؟!

١- سيصينا العذاب الشامل: يقول الله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].
فمن سنن الله في الخلق: وقوع الهلاك بالأمم عند غلبة الشر وفشو الخبث مع ترك الصالحين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا وقع العذاب حيثئذ عم الجميع: الصالح لهجره شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والطالح: لوقوعه في المعاصي. وشواهد ذلك من القرآن والسنة كثيرة منها:

يقول -الله عز وجل-: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].
عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فرعاً يقول: «ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلّق بأصبعه الإبهام التي تليها) قالت زينب بنت جحش قلت: يا رسول الله: أنهلك وفيها الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث»^(١).

(٢) كثرة الخبث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مانع من موانع انتشار الفساد والخبث وسد منيع أمامهما فإذا فقد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد صار الفساد إلى انتشار، وهذا الأمر مشاهد في واقع البشر ولذلك يصبح التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كأنه مشارك للعاصي في معصيته لسكوته عنه ولذلك قال الله عز وجل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ

(١) رواه البخاري (١٧٦/٤)، ومسلم (٢٨٨٠).





كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٨-٧٩﴾.

(٣) ظهور الفتن والتناحر: إن الآيات من سورة آل عمران التي فيها الأمر بالدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ترد في سياق عام فيه الأمر بالاعتصام بحبل الله والنهي عن التفرق ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران الآية: ١٠٣] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران الآية: ٥١٠] مما يدل على الترابط بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتفرق والاختلاف والتناحر والمتأمل في أسباب التفرق والاختلاف بين الناس يجدها في مجملها راجعة إلى أحد باين:

* ترك الأمر بالمعروف.

* ترك النهي عن المنكر.

ففي المنكرات العقدية: نجد منها ظهور الأقوال أو الأفعال أو العقائد المبتدعة التي كانت من أعظم أسباب الفرقة، ووقف المصلحون في طريقها وأنكروها لم تحدث نتائجها، والمنكرات القلبية المفرقة كالحسد والغل والبغضاء لوقف المصلحون في طريقها وأنكروها، لسلم المجتمع من غوائل التفرق والتناحر.

والمنكرات العملية: مثل منكرات التعامل (كالكذب والغش والخيانة) لو تنهى الناس عنها لسلم المجتمع من التفرق والتخاصم، مما يدل على أن هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للفتن والتناحر بين الناس^(١).

مما سبق يتبين لك خطورة استهجان شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو

(١) راجع رسالة «خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية» للشيخ/ عبد الرحمن عبد الخالق من ص ١٩ إلى ص ٢٢ ط.

المكتب السلفي - دار أهل السنة للطباعة والنشر والتوزيع.

محاربتها بدعوى «عدم فرض الوصاية على المجتمع، أو أن هذا تدخل في الحريات العامة والخاصة».

* مسائل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

- المسألة الأولى: يشترط للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١- أن يكون مخلصاً لله تعالى في أثناء أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر والإخلاص شرط في قبول العمل مع المتابعة، يقول الله تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ تَحْفَظُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذِرُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٩].

قال ابن تيمية: «إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة أهل الإيمان، وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية...»^(١).

وتحقيق ذلك: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو من أوجب الأعمال وأفضلها، وقد قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيَكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

وهو كما قال الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى -: «أخلصه وأصوبه، فإن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة».

وإذا كان هذا حد كل عمل صالح، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٤٩).





يكون هكذا في حق نفسه^(١)، فيأخذ ببواعث الإخلاص ويجتنب موانعه ونواقضه، ويراقب إخلاصه قبل العمل وفي أثنائه وبعده، فيكون احتسابه لوجه الله تعالى وحده لا لشيء سواه من رزق، أو سمعة، أو جاهة، أو منصب، أو غير ذلك، همّه أن تكون كلمة الله هي العليا، بأن يظهر المعروف ويمحى المنكر غير مبالٍ بمدح الناس أو ذمهم له. ويجب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يحذر الغرور والمدح والثناء والشهرة والانتصار للنفس.

يقول الذهبي - رحمه الله - محذراً من سوء المقصد، والعجب الذي قد يصيب الكثيرين من الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر، ومبيناً عاقبة ذلك فيقول: «فكم من رجلٍ نَطَقَ بالحق وأمر بالمعروف، فيسلط الله عليه مَنْ يؤذيه لسوء قصده، وحبه للرئاسة الدينية، فهذا داءٌ خفيٌّ سارٍ في نفوس الفقهاء، كما أنه داءٌ في نفوس المنافقين من الأغنياء وأرباب الوقوف والترب المزخرفة، وهو داءٌ خفي يسرى في نفوس الجند والأمراء والمجاهدين، فتراهم يلقون العدو ويصطدم الجمعان، وفي نفوس بعض المجاهدين مخبات، وكمائن من الاختيال، وإظهار الشجاعة، والعجب ولبس الملابس المذهبة، والخذ المزخرفة، والعدد المحلاة والتي تجعل النفوس متكبرة، والفرسان متجبرة، وينضاف إلى ذلك الإخلال بالصلاة، وظلم للرعية، وشرب للمسكر فأنى ينصرون؟! وكيف لا يُخْذَلون؟!

٢- أن يكون عالماً بأن ما يأمر به معروف، وأن ما ينهي عنه منكر: لأنه إن كان جاهلاً كان ما يفسد أكثر مما يصلح^(٢)، ولهذا ترى الجاهل قد يأمر بما ليس بمعروف أصلاً، وينهى عما ليس بمنكر، - لا سيما - في هذا الزمان الذي عمّ فيه الجهل فصار

(١) راجع رسالة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» لشيخ الإسلام ابن تيمية، تعليق وتحقيق: الشيخ/ محمد سعيد ص ٣٨، ٣٩ بتصرف ط. دار أضواء السلف المصرية.

(٢) راجع جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ٤٥).



المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، والبصيرة هي: الدليل الواضح الذي لا لبس فيه.

وقد جعل «العلم» شرطاً في صحة الاحتساب، حتى يكون على الوجه الحق، لأن المراد بالاحتساب هداية الناس للخير لا للضلال والتخبط، فلا بد من معرفة المعروف والمنكر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] فالعلم إمام العمل وهذا ظاهر، فإن القصد والعمل إن لم يكن بعلم كان جهلاً، واتباعاً للهوى، كما تقدم، وهذا هو الفرق بين أهل الجاهلية وأهل الإسلام، فلا بد من العلم بالمعروف والنهي عن المنكر والتمييز بينهما.

قال ابن تيمية: «فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون هكذا في حق نفسه، ولا يكون عمله صالحاً إن لم يكن بعلم وفقه؛ لأن العلم إمام والعمل تابعه، فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما، ولا بد من العلم بحال المأمور والمنهى، ومن الصلاح أن يأتي بالأمر والنهي بالصراط المستقيم، وهو أقرب الطرق إلى حال المقصود»^(١).

وقال الشنقيطي - رحمه الله: «واعلم أنه لا يحكم على الأمر بأنه منكر إلا إذا قام على ذلك دليل من كتاب الله تعالى أو سنة نبيه ﷺ، أو إجماع المسلمين، وأما مسائل الاجتهاد فيما لا نص فيه فلا يحكم على أحد المجتهدين المختلفين بأنه مرتكب منكراً أكبر، بل المصيب منهم مأجور بإصابته أجري، والمخطئ منهم معذور مأجور أجراً واحداً كما جاء في الحديث المتفق على صحته»^(٢).

(١) مجموع الفتاوى (١٣٦/٢٨).

(٢) أضواء البيان (١٥٦/٢).





إذن لابد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عدة علمية تؤهله للقيام بواجبه^(١).
* المسألة الثانية: لابد وأن يكون في حساب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه يعمل في مجتمع الغالب عليه أن ملوث بعقائد فاسدة وأفكار منحرفة، وأن أفراد هذا المجتمع مجروفون بشهواتهم وغرائزهم إلى اتجاهات لا تلقى مع ما يدعوا إليه هذا الداعية في الغالب، بل قد تصطدم تلك الشهوات والشبهات مع الدعوة في كثير من الأحوال.

قال حذيفة رضي الله عنه «يأتي على الناس زمان لأن تكون فيه جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم» ووالله إن هذا الزمان الذي نحياه هو كما قال حذيفة، فإن من تصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثقل على القلوب وإن كان خفيفاً وسمح في العيون وإن كان لطيفاً، ورمى بالكذب وساءت فيه الظنون، وقصد بالأذى، وكثر أعداؤه، وقل أصدقاؤه، ورمى وألقي في مهاوي الردى، وأعمل الفكر في كيفية الخلاص منه، والراحة من مشاهدته،

(١) راجع كتاب «معالم القربة في أحكام الحسبة» للشيخ/ محمد القرشي المعروف بـ (ابن الإخوة) ص ٥٣ ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، وكتاب «الأحكام السلطانية» للإمام أبي يعلى الفراء ص ٢٦٩، ط. دار الكتب العلمية، وكتاب «الأحكام السلطانية» للمواردي ص ٢٤١ ط. دار الكتب العلمية - بيروت.
فائدة: هل يشترط أن يولى في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» المجتهد أم يكتفى بأن يكون من العلماء أو طلبة العلم، أو المقلدين لإمام من الأئمة؟.

في المسألة خلاف: والراجع ما ذكره ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في كتابه «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» ص ٣٥ ط. دار الأرقم بالكويت أنه يجب تولية الأمثل فالأمثل بحسب نوع الولاية ومقصودها ووسائلها حتى لا تتعطل ولاية الحسبة.

ولابد أن يكون عالماً بالأحكام الشرعية، مع القدرة على البحث، وفهم الأدلة، -لا سيما- إذا كانت الولاية رئاسة المحتسبين، وينبغي له معرفة المنكرات الظاهرة، وأساليب الغش والتحليل في الصناعات والبيع والشراء وغير ذلك، ولو كان ذا معرفة بالمهن لكان حسناً، وإلا فليسأل خبيراً مهنيّاً في كل صنعة، وعليه أن يداوم مذاكرة العلم، ومطالعة السنة الشريفة والسيرة العطرة، وتراجم العلماء والمحتسبين، والكتب النافعة في ذلك ككتب «فضل إلهي»، وكتاب «فقه الدعوة إلى الله» للشيخ/ عبد الرحمن حبنكة الميداني، وكتاب «منهج النبي في دعوة الآخر» للشيخ/ محمد حسان.



وفي بعض الأحيان قتله واستئصال شأفته.

وعليه فإن «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» لا بد وأن يكون مستحضراً لكل هذا، وكيف أن هذا الفساد الذي يحاول علاجه قد بدأ ينهش في نسيج الأمة منذ قرنين من الزمان، وأنه سرى حتى بلغ النخاع، ولا جرم أنه يحتاج إلى وقت مديد لاستئصاله واستخراج مادته. كذلك فإنه ينبغي لكل أمر بالمعروف ونهي عن المنكر أن يتحلى بالأناة في مواجهة الباطل، كذلك فإنه يجب على كل أمر بالمعروف ونهي عن المنكر أن يترث عند الإعداد لمواجهة هذا المنكر، إذ أن هذا هو المسلك الرشيد، والمنهج السليم لنصرة الحق، وليس هو من قبيل الجبن أو الخضوع أو الذلة.

* المسألة الثالثة: لا بد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من استعمال الرفق فيما يأمر وينهى، وأن يستخدم الكلمات اللينة عند بداية الإنكار مع إنزال الناس منازلهم، وإقالة ذوى الهيئات عثراتهم؛ لأن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف^(١)، وما لا يعطي على سواه، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

ومن كانت دعوته إلى الله تعالى بقسوة وعنف، فإنها تضر أكثر مما ينفع، بل قد تأتي هذه الدعوة بنتيجة عكسية مع المدعو، فعليك - أخي الشاب - بالرفق - خاصة - مع زملائك في أثناء دعوتهم في الجامعة فإنه «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما رُفِعَ الرفق من شيء إلا شانه» كما صَحَّ عن رسول الله ﷺ^(٢).

كذلك فلا بد وأن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حليماً صبوراً على الأذى؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد وأن يحصل له أذى، فإن لم يحلم ويصبر كان ما

(١) راجع الحديث عند البخاري فتح (١١ / ٤٤)، (١١ / ١٩٧)، ومسلم والنووي (١٦ / ١٤٦).

(٢) الحديث رواه مسلم، (٢٥٩٤).





يفسد أكثر مما يصلح، قال لقمان لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [١٧] ﴿لَقْمَان: ١٧﴾، ولهذا أمر الله الرسل - وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - بالصبر، كقوله لخاتم الرسل ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبُّكَ فَكَثِيرٌ ﴿٣﴾ وَيَا بَلَاءَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدثر: ١-٧] فافتتح آيات الإرسال إلى الخلق بالأمر بالإندار، وختمها بالأمر بالصبر^(١).

فلا بد من الرفق والحلم والصبر، وسعة الصدر كما جاء في الأثر عن سفيان الثوري: «لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا مَنْ كان فقيهاً فيما يأمر به، فقيهاً فيما ينهى عنه، رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه»^(٢).

* المسألة الرابعة: ومن العدة التي يجب أن يتخذها «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» اختيار الوقت المناسب للإنكار فلا يكون المنكر ماضياً ولا متنبئاً بالمستقبل،
* كذلك فلا بد من تقديم الدعوة والتوجيه والنصح بأسلوب هادئ، وأن يسلك الأمر بالمعروف من الطرق أيسرها وأكثرها حكمة ومناسبة للواقع الذي هو فيه، كذلك فاعلم أنه لا إنكار في المسائل الاجتهادية، كذلك فاحرص على تقدير المصلحة والمفسدة المترتبة على هذا الإنكار، وسيأتي تفصيل هذه النقطة إن شاء الله.

* المسألة الخامسة: ينبغي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون من ذوي القلوب العامرة باليقين والثقة في الله تعالى، كذلك فإن من أهم ما يجب أن يراعيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكتسب تعاطف الناس من حوله قبل إنكار المنكر، وذلك باستنفار المشاعر الإيمانية في الحال، وإظهار المنكر في أقبح صورة، بحيث يحصل إجماع من الموجودين

(١) راجع رسالة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. للخلال ص ٤٦، وعزا ابن رجب هذا القول (لسفيان الثوري) في جامع العلوم والحكم ص ٣٩٥ ط. دار ابن رجب.
(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/١٣٦، ١٣٧).

على استقباحه واستهجانه، ثم يبدأ بعد ذلك في بيان عقوبة الله تبارك وتعالى والتخويف من سطوته وانتقامه، كذلك ينبغي على المحتسب أن يشعر المدعو بوجوب تعظيم حرمان الله وتوقير أوامره^(١).

- كذلك فلا بد للآمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عدة صفات وسمات تميزه عن غيره:

* كأن يكون عادلاً فلا يجوز على صاحب المنكر، فينسى فضائله ويُضخم سيئته، وإنما يشهد له بحسناته وفضائله ويذكره بها، فيأتي مثلاً إليه ويقول له: يا أخي أنت شاب فيك خير كثير، أشهد أنك تحافظ على صلاة الجماعة وتغض بصرك. عن الحرام في الجامعة، ولديك من الفضائل كذا وكذا ولكن:

وَلَمْ أَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا *** كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّامِّ

(١) هنا مسألة مهمة: بأيها نبدأ بـ«تغيير المنكر» أم بـ«ترسيخ المعروف»؟!

والجواب: قد ينطلق الإنسان في سعيه لتغيير الواقع المحيط به من موقع الساخط والمتنمر والقاسي، وليس من موقع الناصح والشفيع والرووف والداعية، ولا شك أن اختلاف هذين الموقعين ليس اختلافًا نفسيًا وعاطفيًا فقط، بل هو يستتبع بالضرورة اختلافًا فكريًا في ترتيب الأولويات وطريقة النظر إلى حجم الأخطاء الحاصلة وأهميتها، واختلافًا سلوكيًا في الوسائل التي يتخذها لتغيير هذا الواقع..

ومن هنا تأتي أهمية هذا السؤال المطروح؛ لأن بعض الشباب - للأسف - قد لا يرى فيما حوله إلا المنكر، وما هو خطأ ومرفوض، ولا تقع عينه إلا على الأسوأ في حياة الناس، وهذا يورثه - بلا شك - سخطاً على واقعه، وربما يأساً منه، ويؤثر على الوسائل التي يسلكها والأحكام التي يصدرها.

إن مجتمعاتنا - في الجملة - بخير، والله الحمد، لكن ما تراكم عليها من عوامل الهدم والهدر حجب فيها صفات طيبة، وأطلق العنان للشهوات والمنكرات، ونحن نحتاج في المقام الأول إلى أن نحسن الظن بأنفسنا وبمجتمعاتنا، وإلى أن نتحلى بالصبر والرؤية المتفائلة والنفس الطويل، إضافة إلى بذل الوسع في الدلالة على الخير وإرشاد الناس إليه أولاً، بدلاً من الإلحاح على فكرة التنفير والتخدير والمغالاة فيها..

فكثير مما نراه خطأ، سينمحي تلقائياً بمجرد أن نعمل على ترسيخ المعروف، ونرشد برفقٍ إليه، ونفسح المجال أمامه وليكن شعارك: لا تكثر من لعن الظلام، ولكن أوقد للخير شمعة..





فليتك أخي تترك المنكر الفلاني؛ حتى تزداد خيراً وفضلاً وبعداً عن السيئات، وبهذا الأسلوب العادل تكون فرصة القبول والاستجابة أعظم إن شاء الله^(١).

* ولا بد كذلك للآمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الرحمة والشجاعة والإقدام، والحكمة حتى يتمكن من تغيير آثار هذا المنكر.

* وليعلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن الناس مجبولون على معادة مَنْ يتعرض لهم في أهوائهم الفاسدة، وأغراضهم الباطلة، لذا قال لقمان «العبد الحكيم» لولده ناصحاً إياه: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧].

كيف أغير المنكر؟!

سؤال يتردد في نفوس الكثيرين، وها هو رسول الله يجيبك ويبين لك كيف تغير المنكر؟ ويجلي لك مراتب الإنكار بقوله: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(٢). إذن فالمطلوب من المسلم - لا سيما من شباب الجامعات المستقيم الملتزم - حين يرى أحدهم المنكر أن يغيره بحسب المستطاع، متدرجاً في ذلك من أقوى صور الإنكار إلى ما هو دونها، أما من حيث الواقع العملي: فالذي يحدث أولاً: هو تأثر القلب ونفوره وإنكاره للمنكر عندما يراه^(٣)، ثم يرسل القلب الأوامر إلى اللسان لينطق بإنكار ذلك المنكر على من واقعه واقترفه، فإن امتثل وأقلع عن منكره فهذا هو المراد، وإلا كان الانتقال إلى التغيير باليد، إذن واقعياً أول ما يحدث هو التغيير بالقلب، ثم التغيير باللسان ثم التغيير باليد، لكن المراد من المسلم هو أن يغير المنكر بيده إن استطاع وفق الضوابط الشرعية المنصوص عليها، فإن عجز لجأ إلى التغيير باللسان، فإن عجز كفاه أن يغير

(١) راجع رسالة حتى لا تغرق السفينة للدكتور/ سلمان بن فهد العودة، ص ٧٨، ط. مكتبة فياض.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الإنكار القلبي واجب في كل حال، إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس مؤمناً، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

بقلبه، بأن يكره ذلك المنكر ويبغضه.

* عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»^(١).
كذلك فإني أوصيك بعد إنكار هذا المنكر بقلبك أن تحمد الله على العافية، وأن تكثر من الدعاء بظهور الغيب لمن وقع في هذا المنكر، كأن تسأل الله تعالى له أن يهدي قلبه، وأن يشرح صدره وأن ييسر له سبل الطاعة وأن يحب إليه الإيمان وأن يزينه في قلبه، وأن يبغض إليه الكفر والفسوق والعصيان وأن يثبتك وإخوانك على الحق...، فإن في هذا أجرًا عظيمًا، وسيقال لك: بإذن الله ولك بمثله» كما صحَّ عن رسول الله ﷺ.

معنى تغيب المنكر بالبد

* وأحب أن أصحح مفهومًا قد يتبادر إلى بعض الأذهان^(٢) عندما يأتي ذكر «إنكار المنكر بالبد» وهو أن إنكار المنكر بالبد ليس مرادفًا للقتال، كذلك فإنه لم يفهم أحدٌ من العلماء المعتبرين من أهل السنة قديمًا أو حديثًا من الإنكار بالبد ترويع المسلمين وإرهابهم، وشن الغارات عليهم، أو خوض المعارك ضدهم، أو الاعتداء على أعراضهم وممتلكاتهم العامة والخاصة، لهذا سأعرض لك - أخي الشاب - بعض كلام أئمة المسلمين حول هذا الأمر

(١) رواه مسلم (٨٠).

(٢) أعني بذلك: العلمانيون والليبراليين والشيوعيين ومن حذا حذوهم ممن يجاربون هذه الشعيرة المباركة صباح مساء في إعلامهم الأحادي التفكير، المتطرف الرؤية، حيث تراهم يندنون في إعلامهم المقروء والمسموع والمكتوب أن: «الأمر بالمعروف» = الظلامية والفوضى والتطرف والتخلف والظلامية والحد من حرية الآخرين، ضارين عرض الحائط بنصوص الوحيين الشريفين الدالة على فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى مدى أهميته لإصلاح الفرد وسلامة المجتمع.





ليتين لك وجه الحق في هذه المسألة..

* قال الحافظ أبو بكر الخلال الجامع لعلوم الإمام أحمد: «إن أبا بكر المروزي» قال: قلت لأبي عبد الله الإمام: أحمد بن حنبل: «كيف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟!»: قال: «باليد وباللسان والقلب وهو أضعف الإيمان»، قلت: «كيف باليد؟»: قال: «نفرق بينهم»^(١).

* قال الإمام ابن مفلح المقدسي.. قال القاضي: وظاهر هذا يقتضي جواز الإنكار باليد ما لم يُفرض إلى القتل والقتال^(٢).

* وأخبرني محمد بن علي قال: حدثنا صالح أن أباه (يعني الإمام أحمد) قال: التغيير باليد ليس بالسيف والسلاح^(٣).

* وقال إمام الحرمين «ويسوغ لأحد الرعية أن يصد مرتكب الكبيرة إن لم يندفع عنها بقوله، ما لم ينته الأمر إلى نصب قتال وشهر سلاح، فإن انتهى الأمر إلى ذلك رُبِط الأمر بالسلطان»^(٤).

* هذا وقد ذَكَرَ الماوردي في كتابه «الأحكام السلطانية والولايات الدينية» مسائل نفيسة تتعلق بهذه الجزئية، فيحسن الرجوع إليه لمن أراد المزيد من الفقه.

منى ننكر ببدك؟!!

* ابتداءً: اعلم أن الإنكار باليد لا يكون إلا لمن عُيِّنَ مِنْ قِبَلِ الحاكم المسلم؛ لأنكار المنكرات العامة في المتنديات العامة والخاصة والأسواق والطرق وهم الذين يعرفون في

(١) راجع رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للحافظ أبي بكر الخلال، ص ٢٣، ٢٤، ط. تحقيق: الشيخ/ مشهور حسن سلمان، ط. المكتب الإسلامي ولعله يقصد - والله أعلم - التفريق بين (الفعل والفاعل) أي: مَنْ يفعل المنكر وبين فعله المنكر.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، للإمام العلامة أبي عبد الله: محمد بن مفلح المقدسي (١/ ١٣٤)، ط. دار الوفاء بالمنصورة.

(٣) «الأمر بالمعروف».. للحافظ الخلال، ص ٣٣.

(٤) انظر شرح صحيح مسلم للنووي، (١/ ٣٤٢)، بهامش إرشاد الساري.



أزماننا باسم «أهل الحسبة، أو هيئة الأمر بالمعروف، أو السلطة التنفيذية كالشرطة المسلمة»، قال الماوردي^(١) - رحمه الله: «إن للمحتسب أن يتخذ على إنكاره أعواناً؛ لأنه عمل هو له منصوب وإليه مندوب، ليكون له أقهر وعليه أقدر، وليس للمتطوع أن يندب لذلك أعواناً»، إلا وفق الضوابط الشرعية مع مراعاة تحقيق المصلحة الشرعية المعبرة - كما سيأتي -.

* كذلك فإن للمحتسب أن يعزر في المنكرات الظاهرة، ولا يتجاوز ذلك إلى الحدود، خلافاً للمتطوع فإنه ليس له أن يعزر على المنكر^(٢).

* فإذا لم تجد جهة تنفيذية تقوم بإنكار المنكر فحينئذ يجوز لك إنكار المنكر باليد، ولكن بشروط وضوابط منها:

١- ما سبق ذكره من فقدان السلطان والسلطة والجهة المسئولة التي يُفوض إليها القيام بإنكار المنكر.

٢- تعذر تغيير المنكر بغير اليد.

٣- مراجعة العلماء في ذلك - خاصة - وأن بعض الشباب المتحمس بسبب ما هو فيه من الشباب والحيوية والغيرة والقوة، إذا رأى منكراً جرى الدم في عروقه، ولجأ إلى التغيير بيده دون مراجعة أهل العلم الربانيين المتخصصين، وهذا خطأ جسيم، وجرم عظيم يوقع في المشاكل الجسام والمخاطر العظام..

٤- ظهور المصلحة الراجحة على المفسدة: تقدم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الجميع كل حسب استطاعته شريطة التقيد بالضوابط الشرعية، والذي يتوهم أن أي فرض أو تكليف شرعي - خاصة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - يجب أن يطبق بحذافيره وأهدابه دون مراعاة لشروط [التكليف من استطاعة وتحقق وجوب حصول المصلحة واندفاع المفسدة] فقد سلكَ درباً غير مرضى في

(١) راجع: كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ٣١٣، ط. دار ابن قتيبة.

(٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، للماوردي، ص ٣١٥، ط. مكتبة دار ابن قتيبة.





تحقيق أوامر الله تعالى وإقامة الشرع، وبهذا يُعلم أنه إذا ظهر للمُنْكَرِ أن الإنكار باليد قد يؤدي إلى مفسدة أكبر، مثل [التضييق على المصلحين الغيورين أمنياً، أو اعتقالهم، أو التشهير بهم إعلامياً محلياً وعالمياً، أو انتشار دائرة المنكر الأصلي واتساع دائرته] ففي هذه الحالة يمنع من الإنكار باليد.

* قال ابن القيم: إن النبي ﷺ شرع لأُمَّته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله^(١).

* ولنا في رسولنا أسوة حسنة.. حيث كان في وسعه ﷺ أن يُطَيِّحَ بالأصنام الثلاثمائة التي كانت معلقة حول الكعبة، ولكنه ﷺ انتظر أكثر من عشرين سنة يحطم أصنام الهوى في القلوب، حتى إذا جاء الميعاد وحطم أصنام الكعبة قرت العيون ورضيت النفوس ولم تشمئز. يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله: إن رسول الله ﷺ كان يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، وعندما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت وردّه على قواعد إبراهيم، لكن منعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك، لقرب عهدهم بالإسلام^(٢).

* وفي ذلك: بوب البخاري باباً في صحيحه وترجم له بعنوان «من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه»، وأورد حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله: «يا عائشة، لولا أن قومك حديث عهد - قال ابن الزبير بالكفر - لنقضت الكعبة وجعلت لها بابين: باب يدخل منه، وباب منه يخرجون».

(١) راجع هذا الكلام النفيس المانع لابن القيم - رحمه الله - في كتاب إعلام الموقعين (٤/ ٣٣٧، ٣٣٨) حيث بين أن الشريعة جاءت لتحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد، ثم ذكر أمثلة على ذلك.. منها «إنكار المنكر وشروطه» وذكر القول المشار إليه آنفاً، ثم مثَّل على ذلك بأمثلة عديدة فانظر - غير مأمور - بقية كلامه - رحمه الله.

(٢) راجع إعلام الموقعين.. لابن القيم - رحمه الله تعالى - (٤/ ٣٣٨ / ٣٣٩).



- قال ابن حجر تعليقاً على الحديث: «ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة، ومنه ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه...»^(١).

* ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم فهمه على ما ينبغي، ويرحم الله ابن القيم إن يقول: «وإنكار المنكر أربع درجات، الأولى: أن يزول ويخلفه ضده، الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته، الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه؛ فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة: موضع اجتهد، والرابعة محرمة»^(٢).

* قال ابن تيمية: وجماع ذلك يقصد «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» داخل في القاعدة العامة فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد، أو تزامنت، فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد، وتعارضت، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كان متضمناً لتحقيق مصلحة، ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له: فإن كان الذي يفوت من المصالح، أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأموراً به، بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة^(٣).

* وبهذا يعلم أنه ينبغي للمنكر باليد أن ينظر إلى المصلحة والمفسدة، وما يؤول إليه الأمر والنهي، مع مراجعة أهل العلم والحلم لا أهل الجبن والإحجام، أو أهل التهور والإفراط والإقدام^(٤).

* فإذا توفرت هذه الشروط، وحرص الأفراد على مراعاة هذا الفقه، أتى الإنكار باليد

(١) فتح الباري (١/ ٢٧١).

(٢) أعلام الموقعين (٣/ ٤).

(٣) الحسبة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ١٢٢، ط. لجنة إحياء التراث الإسلامي، وانظر مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٢٦، ١٢٧).

(٤) السراج الوهاج في بيان المنهاج، للشيخ/ مصطفى بن إسماعيل، ص ٥٦، ط. مكتبة الفرقان.





بشاره، مع السلامة من المحاذير والسلبيات، أما التعجل والاستجابة لانفعالات النفس غير المنضبطة، والاندفاع وراء العواطف المجردة، فهذا لا يُثمر إلا الفشل^(١).

وساوس شيطانية

قد يأتيك شيطان من شياطين الإنس والجن فيوسوس لك «إن الموضوع جد خطير، وعليه فلا تتعب نفسك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -خاصة- بعد هذه الضوابط الصعبة».

وسيكون الرد: إن اشتراط ضوابط في الأمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، قد يوجب صعوبة على كثير من النفوس، فيظن أنه بذلك أمر صعب يسقط عنه فيدعه، وذلك مما يضره أكثر مما يضره الأمر بدون هذه الخصال أو أقل: «فإن ترك الأمر الواجب معصية، وفعل ما نهى الله عنه في الأمر معصية، فالمنتقل من معصية إلى معصية كالمستجير من الرمضاء بالنار، أو كالمنتقل من دين باطل إلى دين باطل قد يكون الثاني شرًا من الأول، وقد يكون دونه، وقد يكونان سواء».

وهكذا تجد المقصر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢)، فاحذر هذه الوساوس، وانطلق لدعوة الناس إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

المنكرات التي وقع فيها أكثر المسلمين اليوم كثيرة لا تكاد تُحصى نكتفي بذكر أهمها:

* الجهل بما يجب لله تعالى من حق على العباد وهو التوحيد.

* وكذلك الجهل بما يجب في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام.

* والجهل باليوم الآخر، والحشر والنشر والحساب والميزان والصراف والجنة والنار.

(١) راجع حتى لا تغرق السفينة، للشيخ/ سلمان العودة، ص ٥٩، ٦٠، ٦١، ط. مكتبة فياض.

(٢) راجع رسالة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٤٢، ٤٣، كما أنصح بمطالعة رسالة «شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للأستاذ الدكتور فضل إلهي، حيث استعرض أهم الشبهات التي يلقيها الشيطان على ألسنة الكثيرين، وقام بتفنيدها والرد عليها بشكل علمي رصين.



ولا يتسع المقام لبيان ذلك كله، فعلى كل مسلم أن يقتني كتاباً في العقائد على منهج أهل السنة والجماعة، ليعتقد ما يجب اعتقاده، وليجتنب العقائد الباطلة، والنزعات الضالة. ومن المنكرات:

* الخوض في موضوع القضاء والقدر، والخطب فيه خبط عشواء، فكم ضلت عن حقيقته أفهام، وزلت بالخوض فيه بغير علم أقدام، وخرج خائضون به من حظيرة الإيمان، وهم لا يشعرون!

كم سمعنا في الناس من يقول:

ما دام الله تعالى هو الذي خلق الخلق، وهو الذي قدّر عليهم الهدى والضلال، والطاعة والمعصية، والسعادة والشقاء... فما ذنب الإنسان المخلوق، إذا ضلّ وعصى وشقي...؟! وهم ناسون أو متناسون أن الله تعالى خلق الإنسان، ومنحه العقل، وشرع له الشرائع، وهدها بها إلى ما فيه سعادته، ولم يكلفه ما لا يطيق...

ومنحه الاختيار، فهو لا يقوم ولا يقعد، إلا باختياره، ولا يذهب ولا يجيء إلا باختياره، ولا يسكن ولا يتحرك إلا باختياره، فكذلك لا يطيع ولا يعصي إلا باختياره.

فهل يستغرب بعد هذا أنه إذا اختار الطاعة استحق المثوبة، وإذا اختار المعصية استحق العقوبة؟! العقوبة؟!

وقد اتفقت الشرائع الإلهية، والقوانين الوضعية على عقوبة المسيء المجرم.

وربّ مغرور أحقّ يحتج فيقول:

أنا لا أهدى حتى يهديني الله!

فنقول: إن الله تعالى رازق كما هو هاد.

فلم لا تقعد عن طلب الرزق، وتقول: اللهم ارزقني؟ وتقعد عن طلب الهداية، وتقول:

اللهم اهديني؟

ولو قربنا إليه جمره متوقدة من نار، لهرب منها وابتعد عنها.





فلم لا يعمل بطاعة الله، وينتهي عن معصية الله، ليهرب من عذاب الله؟
فعلى الإنسان إذن، أن يبادر إلى طاعة الله، طالباً مثوبة الله، وأن يتعد عن معصية الله،
متوقفاً عقوبة الله، سائلاً ربه عز وجل أن يجعله من السعداء ويلحقه بالصالحين.
وعلى الإنسان المؤمن العاقل، أن يدفع الأقدار بالأقدار.
فكما يدفع قدر الجوع بقدر الطعام، وقدر الظمأ بقدر الشراب، وقدر المرض بقدر
الدواء... فعليه أن يدفع قدر سخط الله بقدر طاعة الله^(١).
ومن المنكرات:

التشاؤم بالزمان والمكان والإنسان والحيوان وغير ذلك.
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ - «لا عدوى ولا طيرة^(٢)»، ويعجبني
الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: كلمة طيبة».
أحسنها الفأل - أي التفاؤل الحسن
وإنما كان يعجبه الفأل؛ لأنه تشرح له النفس، وتستبشر بقضاء الحاجة وبلوغ الأمل،
فيحسن الظن بالله عز وجل، وقد قال تعالى في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي»^(٣)...
وكان ﷺ يكره الطيرة؛ لأنها من أعمال أهل الشرك، ولأنها تجلب ظن السوء بالله عز
وجل.
قال العلماء رحمهم الله: الفرق بين الفأل والطيرة: أن الفأل إنما هو من طريق حسن الظن بالله،
والطيرة إنما هي من طريق الاتكال على شيء سواه^(٤).

(١) راجع في ذلك كتاب: «القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه» للدكتور/ عبد الرحمن بن
صالح المحمود ص ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧ ط. دار الوطن.

(٢) رواه البخاري (١٠/ ١٨١) ومسلم (٢٢٢٤).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) فتح الباري (١٠/ ٢٢٦).



والفأل الحسن: هو أن يكون مريضًا مثلاً، فيسمع: يا سالم، أو أن يكون طالب ضالة، فيسمع: يا واجد...
وفي الحديث الشريف: لا طيرة، وخيرها الفأل.
قيل: يا رسول الله، وما الفأل؟
قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم^(١).
فالمؤمن الحق، يعتقد أن النفع والضرر بيد الله تعالى وحده، وأن المخلوق لا يملك لنفسه فضلاً عن غيره ضرراً ولا نفعاً.
ومن المنكرات:
تعليق التائم للأطفال، وعلى أبواب الدور، وفي السيارات كالخرزة الزرقاء، والشبّة، والكفّ، والدودع والحظاظه... وما أشبه ذلك، واعتقاد أنها ترد العين، وتدفع البلاء.
ففي الحديث الشريف:
«من علّق تميمة فقد أشرك»^(٢)، وفي الحديث الآخر: «من علّق تميمة فلا ودع الله له»^(٣).
ومن المنكرات:
بل من المكفرات الاستهزاء بطاعة من طاعات الله تعالى، أو سنة من سنن رسول الله ﷺ، أو بنهي نهي الدين عنه.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٦٩٩٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٩٢).

(٣) رواه أحمد (١٦٩٥١)، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٠٣).

فائدة: اتفق العلماء على تحريم لبس التائم إذا كانت من غير القرآن، واختلفوا إذا كانت من القرآن، فمنهم من أجاز لبسها، ومنهم من منعها، والقول بالنهاي أرجح لعموم الأحاديث، ولسد الذريعة.. راجع: «معارج القبول للحافظ الحكمي» (٢/٥١٠، ٦١٢)، و«فتاوى اللجنة الدائمة» (١/٢١٢)، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» للشيخ الألباني (١/٨٩٠) حديث (٤٩٢).



قال الله تعالى:

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨]

بلغني أن بعض الناس يعيب على المسلمين صلاتهم، ويرى من المستهجن أن يضع الإنسان رأسه على الأرض، ويرفع مؤخره (باللفظ القبيح).

وقد ذكر العلماء رحمهم الله أن من نظر إلى امرأة مسلمة محتجة، نظرة ازدراء واستهزاء بحجابها فقد كفر؛ لأن الحجاب فريضة أمر الله تعالى بها، والاستهزاء به استهزاء بأمر من أوامر الله تعالى.

- وقد بلغني ممن أثق به أن بعض المسلمين، وهم بزعمهم مسلمون مصلون وقد حجّوا بيت الله الحرام يعيبون على من أطلق لحيته، عاملاً بأمر رسول الله ﷺ، متمسكاً بسترته... يعيبون عليه ذلك ويهينونه، ويسخرون منه، فيقول أحدهم للآخر: (أنت إرهابي)، (والأ أنت قلبت إخوان)، (الدين في القلب مش في المظاهر)، (هات المقياس حتى نقيس طول لحيته)... وهكذا.

- وبعضهم يعير الملتحي بها ويقول له مستهزئاً: (أبو دقن، أبو حية). فضلاً عن استهزاء المذيعين وبعض الإعلاميين بالدين وأهله في حوارات «التوك شو». ومن المنكرات: الطعن في سلف الأمة الصالح، الذين هم خير القرون. ففي الحديث الشريف:

«خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»^(١).

قال النووي: اتفق العلماء على أن خير القرون: قرنه «المراد أصحابه»^(٢).

قال القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره^(٣): «لا يجوز أن يُنسب إلى أحد من الصحابة خطأ

(١) رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) شرح النووي على مسلم (٣١٤ / ٨).

(٣) راجع: الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٣٢١ / ١٦).

مقطوعاً به، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه، وأرادوا الله عز وجل، وكلهم لنا أئمة، وقد أمرنا بالكف عما شجر بينهم، وأن لا نذكرهم إلا بأحسن الذكر، لحرمة الصحبة، ولنهي النبي ﷺ عن سبهم، ولأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم».

هذا مع ما قد ورد في الحديث الشريف، عن النبي ﷺ: ^(١) أن من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله ^(٢). فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصيائاً، لم يكن بالقتل فيه شهيداً؛ لأن الشهادة لا تكون إلا بقتل في طاعة. فَوَجَبَ حمل أمره على ما بيناه.

وكذلك مَنْ قعد غير مخطئ في التأويل، بل صواب، أراهم الله الاجتهاد. وإذا كان كذلك فلا يجوز ذمهم، وإبطال فضائلهم وجهادهم، وعظيم غنائهم في الدين، ﷺ أجمعين. وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل عن الدماء التي أريقَت فيما بين أنصار علي ومعاوية، فقال ^(٣): ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١].

وهو بهذا الجواب، يريد أن يتحرز من الوقوع في خطأ، والحكم على بعضهم بما لا يكون مصيباً فيه.

وسئل الحسن البصري رضي الله عنه عن قتالهم، فقال: قتال شهدته أصحاب محمد ﷺ وغبنا،

(١) أنصح لمن أراد التوسع بمراجعة موسوعة «الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة في الكتب التسعة»، جمع ودراسة د/ سعود بن عيد بن عمير الصاعدي ط. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) رواه الترمذي (٣٧٣٩)، وابن ماجه (١٢٥)، (والحاكم في المستدرک (٣/ ٣٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٧٣٩).

(٣) راجع مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي ص ١٦٤، ط. دار هاجر للنشر والتوزيع.





وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتَّبِعْنَا، واختلفوا فوقفنا^(١).

قال الحارث المحاسبي رحمته الله: فنحن نقول كما قال الحسن: ونعلم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، وتَّبِعَ ما اجتمعوا عليه، ونقف عندما اختلفوا فيه، ولا نبتدع رأياً منا، ونعلم أنهم اجتهدوا، وأرادوا الله عز وجل، إذ كانوا غير متَّهمين في الدين.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى، في كتابه العواصم من القواصم^(٢): عدالة الصحابة ثابتة معلومة، بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْأَمْهَجِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ووصف رسول الله ﷺ الصحابة مثل ذلك، وأطنب في تعظيمهم، وأحسن الشناء عليهم. كما صح عن رسول الله ﷺ - أنه قال: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»^(٣).

وقال ﷺ -: «لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً، ما أدرك مدَّ أحدهم، ولا نصيفه»^(٤).

وقال الحافظ الكبير أبو بكر بن الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى:

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٣٣٢).

(٢) راجع العواصم من القواصم ص ١٨٩، ١٩٠ ط. المكتبة السلفية - القاهرة.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه مسلم (٢٥٤٠)، والنصيف: النصف.



والأخبار في هذا المعنى تتسع، وكلها مطابقة لما في نص القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم، بعد تعديل الله تعالى لهم، إلى تعديل أحد من الخلق.

قال الإمام أبو زرعة -رحمه الله تعالى-: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق لأن الرسول عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة^(١).

ولمعاوية رضي الله عنه من بين الصحابة فضل كبير مذكور، فمعاوية من أبرز الصحابة، وأصدقهم لهجة، وأكثرهم حلماً، ومن أظهرهم خشيةً لله تعالى، فهو القائل: «والله لا أخير بين أمرين، بين الله وبين غيره، إلا اخترت الله على من سواه»^(٢).

- وقيل لابن عباس رضي الله عنهما: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، فإنه ما أوتر إلا بواحدة!^(٣).
- ويكفي أن نبينا ﷺ قد دعا لسيدنا معاوية بن أبي سفيان، فقال له: «اللهم علمه الكتاب، وقه العذاب»^(٤).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أصاب، إنه فقيه^(٥).

(١) انظر: (الكفاية في معرفة أصول كلمة الرواية) تأليف/ الإمام الخطيب البغدادي، تحقيق وتعليق/ أبي إسحاق الدمياطي (١/ ١٨١) ط. دار الهدى بميت غمر.

(٢) انظر: (سير أعلام النبلاء) للإمام الذهبي (٣/ ١٥٠، ١٥١) ط. مؤسسة الرسالة، ومصنف عبد الرزاق الصنعاني (٧/ ٢٠٧) ط. المكتب الإسلامي.

(٣) رواه البخاري (٣٧٦٥).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٢٧)، والفضائل (١٧٤٨)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٦٢٨)، والبخاري في تاريخه معلقاً (٧/ ٣٢٦)، وابن خزيمة (١٩٣٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢٢٧).

(٥) رواه البخاري.



ودعا له النبي ﷺ، فقال: «اللهم اجعله هاديًا مهديًا، واهد به»^(١).

وكان ﷺ يقول: إني أسلمت يوم الحديبية، ولكنني كتمت إسلامي عن أهلي، حتى أسلموا في الفتح -أي فتح مكة-.

وكان ﷺ من كتاب الوحي للنبي ﷺ.

وكان واليًا على الشام لعمر وعثمان رضي الله عنهما عشرين سنة^(٢).

ومن المنكرات:

ترك الحكم بما أنزل الله تعالى، واستبدال الحدود الشرعية بعقوبات جزائية، وضعها البشر، وهي غير رادعة ولا زاجرة، ولا قاطعة للإجرام.

وها هي ذي المساجد ممتلئة باللصوص والقتلة والمجرمين^(٣).

قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

وقال الله تعالى لنبيه ﷺ:

(١) رواه الترمذي (٣٨٤٢)، وأحمد في مسنده (٢١٦/٤، ٣٦٥)، والبخاري في التاريخ الكبير (٢٤٠/٥)،

(٢٧/٣٢٦)، وأبو نعيم في الحلية (٨/٣٥٨)، وصححه الألباني في المشكاة (٦٢٣٥)، والصحيحة (١٩٦٩).

(٢) وقد بسطت القول في الدفاع عن الصحابي الجليل (معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه)، في كتابي: «مَنْ سَبَّ الصحابة أو معاوية فأهه هاوية» يسر الله نشره وطباعته، وأنصح بمراجعة كتاب (مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري) للشيخ/ يحيى اليحى، و(منهج كتابة التاريخ الإسلامي) لـ/ محمد بن صامل السلمي، وكتاب (الصحيح المسند من فضائل الصحابة) للشيخ/ مصطفى العدوي.

(٣) راجع في ذلك: (سؤالات تحكيم الشريعة) للشيخ/ مشاري الشري، و(الدين والسياسة) د/ محمد عمارة، وراجع كتاب الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام د/ سيد عمر، ط. دار السلام ص ١٤٤.



﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٨].

﴿وَأِنْ أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

﴿أَفْحُكُم الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وقال رسول الله - ﷺ - : «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركنهن، منها: وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله إلا سلط عليهم عدوهم، فاستنقذوا بعض ما في أيديهم»^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها، أن قريشاً أهتمهم شأن المخزومية التي سرقت.

فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟

فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ وابن جبه؟ فكلمه

أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة؟»

ثم قام فخطب في الناس، ثم قال: «إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله.

قال: ثم أمر بتلك المرأة فُقطعت يدها^(٢).

ومن المنكرات: فشو التعامل بالربا.

قال الله تعالى ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

(١) رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، وأبو نعيم في الحلية (٣٣٣/٨)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٦).

(٢) رواه البخاري (٢٦٤١، ٦٤٩٦)، ومسلم (١٨٥).



[البقرة: ٢٧٨].

وقد عدّه النبي ﷺ من السبع الموبقات^(١) -يعني المهلكات-.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال:

لعن رسول الله ﷺ: «أكل الربا وموكله وشاهديه وكتابه»^(٢)

فمن اعتقد أن الربا ضرورة من ضرورات التعامل الاقتصادي، فقد أعظم الفرية على الله، وكفر بدين الله، والعياذ بالله تعالى.

ولقد أوجد الإسلاميون من علماء الاقتصاد نظماً إسلامية، وحلولاً صالحة تحقق المصلحة الاقتصادية، فينبغي الرجوع إليها، والعمل بها، ليسلم المجتمع المسلم من الربا، الذي حرّمه الله العليم الحكيم^(٣).

ومن المنكرات:

شرب الخمر ولعب الميسر، ومنه «الانصيب»

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ

عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ

ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

وفي الحديث الشريف:

(١) رواه مسلم (١٥٩٨).

(٢) رواه الترمذي وأبو داود وأحمد، وصححه الألباني في (غاية المرام)، حديث (٣٤٢)، و(الإرواء ١٣٣٦).

(٣) راجع كتاب «موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة والاقتصاد الإسلامي» د/ علي أحمد السالوس من ص ٧٧ إلى ص ١٤٠ ط. مكتبة دار القرآن.



«ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»^(١).
وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله الخمر وشاربها وساقياها ومبتاعها
وبائعها، وعاصرها ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه»^(٢).
ثلاثة قد حرّم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة:
«مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يُقرّ في أهله الخبث»^(٣).
وحسبك في مذمة الخمر، أنها مذهبة للعقل، والعقل مناط التكليف، وهو القائد إلى كل
خير في أمر الدنيا وأمر الآخرة^(٤).
والخمر ضارة جدًا بالبدن، أجمع على ذلك الأطباء قديمًا وحديثًا.
وأما الأنصاب الوارد ذكرها في الآية الكريمة، فهي الأصنام، أو حجارة حول الكعبة
يعظمونها.
والأزلام: هي القدح التي كانوا يستقسمون بها في الجاهلية.
والأزلام عند العرب ثلاثة أنواع:
منها الثلاثة التي كان يتخذها كل إنسان لنفسه، مكتوب على أحدهما «افعل» وعلى الثاني
«لا تفعل» والثالث مُهمَل لا شيء عليه. فيجعلها في كيس معه، فإذا أراد فعل شيء أدخل يده
-وهي متشابهة- فإذا خرج أحدها ائتمر وانتهى بحسب ما يخرج له، وإن خرج القَدْح الذي
لا شيء عليه، أعاد الضرب.

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أبو داود (٣٦٧٤)، وابن ماجه (٣٣٨٠)، والترمذي (١٢٩٥)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود.

(٣) رواه أحمد (٦٩/٢)، والنسائي (٨٠/٥)، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٧٤)، وانظر: هداية الرواة (ح ٣٥٨١).

(٤) راجع رسالة «كلمة الفصل في قتل مدمني الخمر» للشيخ العلامة/ أحمد محمد شاكر ط. مكتبة السنة.





وإنما قيل لهذا الفعل: استقسام؛ لأنهم كانوا يستقسمون به الرزق وما يريدون.
كما يقال: الاستسقاء، في الاستدعاء للسقي.

والنوع الثاني: سبعة قِداح، كانت في جوف الكعبة، مكتوب عليها ما يدور بين الناس من النوازل المهمة، كالديات، وهي التي ضرب بها عبد المطلب على بنيهِ، إذ كان نذر نَحْر أحدهم إذا كملوا عشرة.

وهذه السبعة أيضًا كانت عند كل كاهن من كهان العرب وحكامهم، على نحو ما كانت في جوف الكعبة.

والنوع الثالث: هي قِداح الميسر، وهي عشرة، سبعة منها فيها حظوظ، وثلاثة أَعفال، وكانوا يضربون بها مقامرة للهو واللعب. وكان عقلاؤهم يقصدون بها إطعام المساكين والمعدم في زمن الشتاء وشدة البرد، وتَعُدُّ الحرفة.

وقال بعض المفسرين المعاصرين: هي الشطرنج:

والميسر هو من أكل أموال الناس بالباطل، وهو حرام، وكل مقامرة بحمام أو بندر أو شطرنج، أو بغير ذلك من هذه الألعاب وما شابهها، فهو استقسام بما هو في معنى الأُزلام، وهو حرام، وهو نوع من التكهّن والتعرّض لدعوى علم الغيب.

ومن الميسر المحرم، هذا اليانصيب الذي انتشر في هذا الزمان، وهو أسوأ من الميسر الأصلي، إذ أنك علمت أنهم إنما كانوا يفعلونه للهو من جهة، ولإطعام المساكين من جهة أخرى، ومع هذا فقد حرمه الله تعالى.

ومن المنكرات: الزنا بكل صوره وأشكاله.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ^ط إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾. [الإسراء: ٣٢].

وفي الحديث الشريف:



«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(١).

«لا يحل دم امرئ مسلم، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»^(٢).

ومن عجيب الأمر، أن تنتشر هذه الفاحشة في بلاد المسلمين، ويُجعل لها دور مخصوصة، يقصدها العصاة بلا نكير!

ومن المنكرات:

العزف على آلات الطرب، والغناء المحرم، والاستماع إلى ذلك من الإذاعات وغيرها.
قال الله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

فسّر ابن عباس والحسن (عليه السلام) «لهو الحديث» بالملاهي.

وقال عز وجل خطاباً للشيطان: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَظَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].
فسّره مجاهد بالغناء والمزامير.

وفي الحديث الشريف الصحيح:

ليكوننَّ من أمتي قوم يستحلون الحر - أي الفرج والمراد به الزنى - والحرير والخمر والمعازف^(٣).

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم (٥٥٩٠)، وأبو داود (٤٠٣٩)، وابن حبان في كتاب التاريخ (٦٧٥٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٨٢/٣) ح (٣٤١٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٧٣/١٠) ح رقم (٢٠٩٨٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨٨/٦٧)، وانظر تحريجه في السلسلة الصحيحة (١٨٦/١)، وراجع بحث (تحريم آلات الطرب) للشيخ الألباني.





وقال العلماء عليهم السلام، يحرم ضرب واستماع كل مطرب كطنبور، وعود، ورباب، وجنك، وكمنجة، ومزمار عراقي، ويراع - وهو الشبابة - وكوبة، وغير ذلك من الأوتار والمعاظف.
ومن المنكرات:

التقليد الأعمى، وهو تقليد الرجل الأجنبي فيما يخالف شرع الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.
ومن ذلك حلق اللحية، وإطالة الزوالف ونحو ذلك من مظاهر السخف في الوجوه، وفي الملابس.

قال الله تعالى على لسان إبليس:

﴿وَلَا مَرَمَهُمْ فَلْيَغْيِرْ بَنِيَّ أَفَلَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ﴾ [النساء: ١١٩].

وفي الحديث الشريف: «خالفوا المشركين، أحفوا الشوارب، وأوفروا اللحية»^(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تشبه بقوم فهو منهم»^(٢).

ومن ذلك تحنث الرجال، وهو تشبههم بالنساء.

وترجل النساء، وهو تشبههن بالرجال.

ففي الحديث الشريف:

«لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المختنئين من الرجال، والمترجلات من النساء».

وفي رواية: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء

(١) رواه البخاري ومسلم.

فائدة: حلق اللحية محرم عند أكثر العلماء المعتبرين، وقد حكى البعض الإجماع على ذلك، انظر: [مراتب الإجماع] لابن حزم ص ١٥٧، و[المحلى] (١٨٩/٢)، و[شرح العمدة] (١٣٠/١)، و[شرح العمدة] لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣٦/١)، و[إعلام الموقعين] لابن القيم (٣٩/١، ٤٠)، وراجع بحث [أدلة تحريم حلق اللحية] د/ محمد إسماعيل المقدم.

(٢) رواه أبو داود (٤٠٣١)، ورواه أحمد في مسنده (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧)، وحسنه الشيخ الألباني (١٢٩).

بالرجال»^(١).

لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل»^(٢).

ومن المنكرات:

إهمال الرجال رعيته في البيوت من النساء والأولاد، وترك الحبل لهم على الغارب، بلا مراعاة حلال ولا حرام، ولا تنشئة على السنن الإسلامية والآداب المحمدية.

والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ

وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦].

وفي الحديث الشريف:

«كلکم راعٍ وكلکم مسئول عن رعيته: الإمام راعٍ ومسئول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته، والخادم راعٍ في مال سيده ومسئول عن رعيته، فكلکم راعٍ ومسئول عن رعيته»^(٣).

ومن المنكرات:

الجهل بأحكام الشرع المطهر - خاصة - فروض الأعيان من طهارة وصلاة وزكاة وصوم

وحج... و...

والجهل بأحكام الحلال والحرام.

ومن المؤسف أن نرى الرجل المسلم، الذي بلغ من العمر الخمسين والستين، يسأل عن أحكام في العبادات، ينبغي أن يعرفها الطفل الناشئ المميز.

فكم في المسلمين اليوم من لا يفرق بين فرائض الوضوء وسننه، ولا يعرف نواقض

(١) رواه البخاري (٥٨٨٥)، (٥٥٤٦)، (٦٣٦١)، (٦٨٣٤).

(٢) رواه أبو داود (٤٠٩٨)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود.

(٣) رواه البخاري ومسلم.





الوضوء مثلاً، ولا يفرق بين أركان الصلاة وواجباتها وسننها، ولا يعرف مفسداتها، ولا موجبات سجود السهو فيها!

وكذلك الأمر في الصيام والزكاة والحج.

والإسلام دين العلم، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وفي الحديث الشريف:

«مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١).

فعلى كل مسلم أن يقتني كتباً شرعية سهلة ميسرة، ليتفقه في دينه، ويعرف الحلال من الحرام، فيتعبد لله، فتكون عبادته صحيحة مرجوة القبول، وليأتي من الأمور ما أحل الله، وليجتنب منها ما حرم الله.

ومن منكرات المساجد^(٢):

١- الأذان قبل الوقت؛ لأنه إيقاع له قبل وقته الذي شرع فيه، وذلك يشوّش على الناس أيضاً أمر صلاتهم وصيامهم، فقد يترتب عليه صلاة بعض الناس قبل دخول وقت الصلاة، وإفطار الصائمين قبل الغروب...

٢- والتمطيط في ألفاظ الأذان، وزيادة حروف في بعض ألفاظه ونقص حروف.

٣- وإساءة بعض المصلين في صلاتهم، بترك الاطمئنان في الركوع والاعتدال منه وفي السجود وفي الجلسة بين السجدين...

٤- واللحن في قراءة القرآن.

٥- ورواية بعض الواعظين الأحاديث الموضوعة والمنكرة... في خطبهم ومواعظهم،

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) للاستزادة راجع: كتاب «الكلمات النافعة في الأخطاء الشائعة» للشيخ / وحيد عبد السلام بالي، وكتاب «الإبداع في مضار الابتداع» للشيخ / علي محفوظ.



يوردونها - على زعمهم - للترغيب والترهيب.

وفي الحديث الشريف:

«من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار»^(١).

وكذلك فتح باب الرجاء المؤدي إلى الغرور، مع الجرأة على الجهر بالمعاصي، والاعتماد على عفو الله تعالى ورحمته من غير عمل.

٦- وحضور النساء بعض مجالس الوعظ متبرجات سافرات.

٧- وقيام السائلين في المساجد، ومرورهم بين أيدي المصلين وتشويشهم عليهم.
من منكرات الأسواق:

١- الكذب في المراجعة، كأن يقول البائع:

اشترت السلعة بكذا، ولا أربح فيها إلا كذا، وهو كاذب فيما يقول.

٢- وإخفاء العيب في السلعة.

٣- وتطفيف المكيال والميزان.

٤- والبيع الفاسدة، ومنها أن يشتري ما لا يراه، أو أن يبيع ما لا يقدر على تسليمه،
ومنها الشروط الفاسدة.

٥- وبيع الملاهي وآلات الطرب. فبيعها حرام والاستماع إليها حرام.

٦- ووضع البائعين «البسطات» في الطرقات الضيقة، لأنها تضيق على المارين.

٧- الاختلاط المحرم بين الرجال والنساء.

٨- تضييع الصلوات بشكل واضح.

من منكرات الشوارع:

١- خروج النساء فيها متبرجات، أو سافرات، أو متكشفات.

(١) رواه البخاري ومسلم.





- ٢- والارتباط المحرم الذي أصبح ظاهرة بين الشباب والبنات، وإمساك الرجل بيد المرأة، ومحادثتها ومضاحكيتها بلا حياء ولا خجل.
- ٣- ومزاحمة النساء الرجال فيها -خاصة- في المواصلات العامة.
- ٤- وبيع الخمر في الحانات وبعض المحلات.
- ٥- وصور اللافتات التي يعلن بها أصحاب الملاهي ودور السينما عن الأفلام الخبيثة، وفيها صور نساء ورجال بأوضاع مخزية، يندى لها جبين الفضيلة، ويحمر منها وجه الشرف، ويُذهب من نفوس الناس الحياء.
- ٦- وتحميل الدواب ما لا تطيق من الأحمال، مع ضربها وشدة زجرها إذا زلقت، أو عثرت.
- ٧- وربط الدواب فيها، فإن ذلك يضيق على الناس طريقهم، ويعرّضهم لأذاها.
- ٨- ورشّ الماء أمام الحوانيت؛ لأن ذلك يؤدي إلى زلق الناس والدواب.
- ٩- وطرح القمامات والأوساخ على الطريق، ولا سيما قشر الموز والبطيخ وما شابههما، فإن ذلك من الأذى المطلوب إماتته عن الطريق، فضلاً عن طرحه فيه.
- ١٠- والقعود في المقاهي والكافيهات، واللعب بالكوتشينة، والشطرنج، والنرد، وشرب السجائر والشيئة، والمسكرات والمخدرات.
- ١١- والقعود في الطرقات إذا لم يُعطَ حقُّها، ومن حقها غض البصر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- من منكرات الضيافة:
- ١- استعمال أواني الذهب والفضة من ملاعق وشوكات وصحون وكؤوس وفناجين.
- ٢- والاستماع إلى آلات الطرب، والعزف عليها مباشرة، أو الاستماع إليها من الإذاعة والرائي -التلفزيون- أو من القِيْنَات -المغنيات-.
- ٣- واختلاط الرجال بالنساء من غير المحارم، ولو كانوا من الأقارب كابن العم وابن

الخال، والحمو أخى الزوج وعمه وخاله، والصهر زوج الأخت... فإن الشرع الحكيم اعتبرهم أجنب.

وكم أدى هذا الاختلاط المنكر المشئوم إلى معاصٍ، يشكو الناس منها بعد وقوعها، ويحصل الندم ولات ساعة مندم.

٤- ومجالسة المتخمين بالذهب من الرجال.

٥- ومجالسة المبتدعين الذين يدعون الناس إلى البدع. ويستثنى من ذلك من يقدر على الرد عليهم، مع العزم على الرد.

٦- وحضور مضحك للناس إذا كان يضحكهم بالفحش والكذب.

٧- والإسراف في الطعام والضيافات.

فذلك كله مما ورد النهي عنه، وقلّ في الناس من يأمر وينهي ويذكر مجارة ومداينة.

من منكرات الحمايات والصلوات الرياضية:

١- كشف العورات، والنظر إليها، وكشف الدالك عن الفخذ وما تحت السرة، لإزالة

الوسخ، ومسّ عورات الناس. فإن مسها حرام كالنظر إليها.

٢- لعب ألعاب محرمة لذاتها أو لغيرها.

٣- اختلاط الشباب بالفتيات في بعض أماكن الرياضة الخاصة والعامة.

مسائل عمت بها البلوى

* كذلك مما عمت به البلوى: ترك الصلوات والجماعات^(١) - ولا حول ولا قوة إلا بالله

العلی العظيم، كذلك تبرج النساء وسفورهن، والذي يناقض أمر الشارع الحكيم بإلزام المرأة المسلمة بالحجاب الشرعي، حتى إنك ترى بعض المسلمين في بعض المجتمعات إذا رأوا امرأة

(١) راجع رسالة «حكم تارك الصلاة» للشيخ/ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى- ط. دار الجلالين - السعودية، ورسالة «صلاة الجماعة» للدكتور/ فضل إلهي ط. دار الاعتصام.





محتجبة مستترة، سخرُوا منها، واستهزؤوا بحالها.

والناظر إلى شوارع المسلمين وطرقاتهم، ومدارسهم وجامعاتهم.. يجد أن هذه الأمكنة قد تحولت إلى صالات للتنافس في عرض الأزياء، وإن شئت فقل: لقد تحولت إلى صالات عرض للأجساد العارية، حيث تفخر المرأة بعرض جسدها، وتسعد بكشف مفاتها أمام الرجال الأجانب، مما أدى إلى انتشار الزنا والخنأ والفحش في مجتمعاتنا المسلمة.. وإلى الله المشتكى!!

* كذلك مما عَمَّتْ به البلوى أيضًا: أن أصبح المنكر معروفًا مألوفًا في بعض المجتمعات: فالغناء - مثلًا - منكر واضح - لا سيما - والكثير من شباب الجامعات يستمعون إليه جهارًا ليلاً ونهارًا، في كل الأمكنة حتى في الشوارع والطرق، وفي الحوانيت والأسواق، كذلك فإنهم يستمعون إليه في الإذاعات، ويشاهدونه ويحرصون على رؤيته عبر أجهزة البث المباشر والإنترنت - خاصة - ما يسمى بـ «الفيديو كليب» وتراهم يحرصون على سماعه، ويجتهدون في متابعته عبر أجهزة الكمبيوتر والمحمول، حتى ألف الكثير منهم هذا المنكر العظيم، وسكنت إليه نفوسهم، فصار عندهم معروفًا - لا سيما - (بعد إفتاء أهل الزور والبهتان بحل الموسيقى) وهو في شرع الله منكر وحرام^(١).

* ومما عَمَّتْ به البلوى أيضًا: انتشار الصور والأفلام الخليعة، بين الشباب والبنات، وهذا ظاهر واضح في الكتب والمجلات والجرائد، وعلى شاشات أجهزة الكمبيوتر، وعلى شبكة الإنترنت، وللأسف فإن مثل هذه الأفلام انتشرت انتشار النار في الهشيم بحيث أصبحت تقابل الناس في البيت والسوق والجامعة والشارع والطائفة والمكتبة، وفي كل مكان،

(١) لمعرفة تفاصيل أكثر وأدق حول حكم هذه المسألة التي كثر فيها اللجاج راجع كتاب «كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء» للإمام ابن القيم ط. دار الكتب العلمية، وكتاب «تحريم آلات الطرب» للعلامة الألباني - رحمه الله تعالى -، وكتاب «الرد على القرضاوي والجديع» تأليف الشيخ / عبد الله رمضان بن موسى (ط. الأثرية للتراث - العراق).



حتى ألف الكثير من الناس رؤية هذه الصور واعتادوا مشاهدة هذه الأفلام - وإنا لله وإنا إليه راجعون!!

* وأيضاً من المنكرات الظاهرة في الشوارع والطرق: انتشار الأزياء الأجنبية في أوساط نساء المسلمين وهو ما يُعرف في عالمنا المعاصر باسم «الموضة»، فبمجرد أن تظهر مذيعة أو مغنية أو ممثلة أو راقصة أو عارضة أزياء بلبس معين أو تسريحة شعر معينة، فسرعان ما تجد أكثر بناتنا يتبارين ويتنافسن في تقليدها..

* ومن المنكرات أيضاً: ما يشيع بين شباب المسلمين من الظواهر المنحرفة، والعادات القبيحة، محاكاة لشباب الغرب، سواء في الملبس، أو في طريقة تصفيف الشعر، أو في شكل السيارة.. أو في غير ذلك مما هو مذموم ولا فائدة منه [في دين ولا في دنيا].

* كذلك مما عَمَّتْ به البلوى في شوارعنا: السبُّ بالدين، أو سبُّ إله هذا الكون ورب العالمين، أو سب الرسول ﷺ، والسب هو: الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف.

- قال ابن تيمية: «إن سبَّ الله تعالى كفرٌ محض، وهو حقُّ الله تعالى، وتوبة من لم يصدر منه إلا مجرد الكفر الأصلي أو الطارئ مقبولة مسقطه للإجماع»^(١).

- وقال إسحق بن راهوية: «أَجْمَعَ المسلمون عن أن مَنْ سَبَّ الله أو رسوله، أو أنكر شيئاً مما أنزل الله عز وجل، أو قتل نبياً من أنبياء الله، أنه كافر بذلك، وإن كان مقرراً بكل ما أنزل الله..»^(٢).

* ومنهم من يجترأ على ثوابت الملة، ويخزب أحكام الشريعة بحجة «حرية الرأي

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية، بتحقيق الشيخ العلامة/ محمد محيي الدين عبد الحميد (١٠٢/٣)، ط. الطبعة المصرية.

(٢) الصوارم والحواب على شاتم الرسول والأصحاب، للشيخ/ عادل بن فتحي، ص ١٥، ط. مكتبة التوعية الإسلامية.





والاعتقاد والفكر^(١) بلا أدنى قيود دينية أو عرفية أو قانونية. وهو متجراً على الله تعالى، وعلى

(١) نقول للدعاة الحرية المزعومة: إن للحرية حدوداً لا يتجاوزها أحد، وهذا مقرر في كل دول العالم لأجل ذلك قَيِّصَ الله للناس مرشدين من الأنبياء والمرسلين، ليكتبوا عبث الناس في تهافتهم على ابتغاء ما يصبون إليه، تجنباً لما ينطوي عليه ذلك من أضرار، فسئوا لهم الشرائع والقوانين والنظم، وحلومهم على اتباعها، ليهناً عيشتهم، فطرات من ذلك الشرائع والعوائد والآداب والأخلاق، وصارت الحريات محدودة بحسب الجمع بين مصالح الجماعات، وبألا يلحق المتصرف بتصرفه ضرراً بغيره، وألا يعود تصرفه عليه بالمضرة والخيبة، ومن قبل هذا كله: ألا يخرج عن ثوابت الأمة وأصولها العامة، وقواعدها الشرعية الكلية.

* والإسلام إذ ينظم «الحقوق والحريات» إنما يدعو إلى صلاح البشرية من جميع النواحي، وبصلاح البشرية يستقيم نظام العالم؛ لأن الإنسان هو سلطانه، والإصلاح الاجتماعي هو الغرض الأسمى للإسلام لأنه نابت على أعراق الفطرة، فكانت جامعته فطرية، مقبولة في النفوس، سهلة التسرب إلى القلوب النيرة؛ لأن مبنائها على سهولة الحق ووضوحه وبساطته، كما أخبر القرآن عن ضد الإصلاح في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَكَتٌ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

فكل خروج عن الشرع والدين والخلق يعتبر اعتداءً صارخاً على حقوق وحريات المجتمع المسلم، وإن زعم أصحابه أنهم رواد «حداثة»، و«تنوير» وأصحاب فكر.

لهذا يأمر الإسلام أتباعه بمراعاة الأنظمة والقوانين الشرعية، ومحاسبهم عليها، ويأمر الدعاة والمصلحين بالدفع في هذا الاتجاه، والتحذير من ضده؛ لأن هذا من أهم عوامل استمرار الريادة والتقدم، وواجب أن يراعى فيها دفع المضار بالحماية من طوارقها، وجلب المنافع..

وبهذا يصبح الإسلام نظاماً شمولياً اجتمعت على استحسانه جميع الفطر السوية والعقول الذكية، ومن الخطأ البين الشائع أن يُحتزل هذا الإصلاح الاجتماعي في تغيير الفواحش وإزالة ما يتوقع ضرره في دين الناس ودنياهم.

وإن ترك البعض ليعيث في الأرض الفساد، ويهلك الحرث والنسل، والعقل والفكر (كدعاة حرية الفكر المطلقة) هو من أخطر عوامل الفوضى، التي تقود المجتمعات، وتعيدها إلى الوراء بكل قوة.

لهذا كان من الواجب أن نعمل على: تحقيق المصالح ودفع المفاسد، كل بحسب اختصاصه، وعلى قدر طاقته، وأن نأخذ على أيدي هؤلاء الضالين العابثين بعقول الناس وأفكارهم تصديقاً لقوله - سبحانه - : ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتَهَوَّنَ عَنِ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ آمَنَّا مِنْهُمْ وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦].

=

نبيه ﷺ، وهؤلاء - ولبالغ الأسف - مفتحة لهم أبواب الإعلام والإذاعات، وميسر لهم أمر الكتابة في الجرائد والمجلات.. حتى تجرأ بعضهم في كتاباته التي سماها زورًا وهتانًا أدبية فنية ووصف الله تعالى بأنه أنثى، وأنه غير عادل في تشريعاته، وسب بعضهم رسول الله ووصفوه بالشهوانية والبربرية والوحشية^(١): ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

* قال إسحق بن راهويه: «وقد أجمع أهل العلم على أن سب الله تعالى كفر محض لا يعذر صاحبه بالجهل»^(٢).

* وقال ابن المنذر: «أجمع عوام أهل العلم على أن حد من سب النبي ﷺ القتل، ومن قاله مالك والليث وأحمد وإسحق وهو مذهب الشافعي»^(٣).
ومن المنكرات استحلال أموال الناس وسرقتها بصور جديدة حديثة بحجة الضغط الاقتصادي والحاجة والعوز^(٤).

ومن المنكرات أيضًا: المجاهرة بالمحرمات والتفاخر بين الناس بذلك، ودفع الناس دفعا

* وأنصح بمراجعة رسالة «الإنسان وحرية في الإسلام» للأستاذ/ محمود بابلي ص ١٣٠، ط. دار الشبل بالرياض، وانظر كتاب «المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية. للأستاذ/ عدنان على رضا النحوي ص ٤٦، ٤٧، ط. دار النحوي للنشر والتوزيع ط. الرياض، وراجع مقال «المفهوم الإسلامي للإبداع» للدكتور/ محمد عمارة - افتتاحية عدد مجلة الأزهر - الصادر في صفر ١٤٣٥ هـ - ديسمبر - يناير ٢٠١٣ م الجزء «٢» السنة «٨٧».

(١) ومن أراد الوقوف على كلام هؤلاء المجرمين فليراجع «كتاب أعلام وأقزام» د. سيد العفاني، وكتاب «العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام» تأليف/ مصطفى باجو حيث عرّض المصنف لكلام حامد أو زيد، محمد أركون، حسن حنفي، محمد عابد الجابري، عبد الله العروي، سيد القمني، خليل عبد الكريم، محمد أحمد خلف الله، فؤاد زكريا، وغيرهم من أقطاب الفكرة العلمانية في البلاد العربية والإسلامية، ثم قام بالرد عليهم، وتعرية باطلهم.

(٢) الصارم المسلول، (٢/ ٧٩).

(٣) مراتب الإجماع، لابن المنذر، ص ١٥٣، رقم ٧٢٢.

(٤) للتوسع، راجع: كتاب نوازل السرقة وأحكامها الفقهية د/ فهد المرشدي، ط. دار كنوز إشبيلية.





للوقوع في هذه المحرمات وتلك المنكرات بلا أدنى حياء أو طلب للستر^(١).

* هذه بعض المنكرات الظاهرة في الشوارع والطرق.. سترها - أخي الشاب - بشكل أو بآخر، وأنت في طريقك للجامعة، فاحرص على الاستمساك بدينك، واحذر التفلت، واعلم أن شياطين الإنس والجن لا يتكاسلون عن إفسادك في طريقك، ولا يتباطؤون عن إضلالك وعرقلتك في مسيرتك فاستعن بربك، وأمر بالمعروف، وأنه عن المنكر، واصبر على ما ستلقاه من الأذى والعراقيل والعقوبات في طريقك.. وعليك أن تدرك أننا مطالبون ببذل الجهد واستفراغ الطاقة ولسنا مكلفين بتحقيق النتائج والغايات، كذلك لزاماً أن تفهم أنك في الجامعة أمام واقع معقد ومركب ومتشابك لا تكفي لتغييره كلمة مخلص ولا ضربة حازمة، وإنما يتطلب سعيًا حثيثًا بالليل والنهار على هدى وبصيرة من غير يأس حتى ييسر الله لك السبيل، ويفتح على يديك، ويشرح صدور الخلق لك، حفظك الله في طريقك..

حوار مع سائق

* وأختم هذه النقطة بحوار أقترحه عليك - أخي الشاب - حيث سأقترح هنا حوارًا في كيفية تغيير المنكر، وبإمكانك - أخي الشاب - أن تقيس عليه الحالة التي تتعرض لها^(٢)..

(١) لمعرفة أحكام هذه المسألة تفصيليًا راجع بحث الستر على أهل المعاصي د/ خالد عبد الرحمن الشايع، ط. دار بلنسية.

(٢) أنصح - أخي القارئ الكريم - قبل البدء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يتتوي:

أن يكون من خير أمة أخرجت للناس.

أن يكون لك سهم في نصره الإسلام - خاصة - في أوقات الشدائد والمحن.

أن يكون لك شرف القيام بوظيفة الأنبياء والمرسلين.

أن تكون من أحسن الناس قولاً عند الله.

أن يكون لك أجر هداية الناس.

أن تحصل أجر شجرة طوبى في الجنة بأن تكون مفتاحاً للخير.

فمثلاً: لو أن أخوا ملتزمًا ركب سيارة للأجرة والمعروفة في بلادنا باسم «الميكروباص»،
وَوَجَدَ سائق هذه السيارة قد اشتغل بسماع الغناء.. فإنني أقترح عليه الحوار التالي:
الأخ «عند ركوبه»: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..
الركاب: البعض يردُّ السلام، والآخر منشغلٌ بسماعِ الأغنية الصاخبة التي أراد سائق
السيارة سماعها.

الأخ: «إزيك يا أسطى.. عامل إيه!!، أخبارك وأخبار حبايبك».
السائق: الحمد لله
الأخ: لو سمحت وتكرمت يا أخي الكريم، أرجو أن تغلق هذه الأغنية، جزاك الله
خيرًا.

السائق وبعض الركاب: في وجومٍ وضيقٍ «حاضر يا عم الشيخ» وتغضي السيارة ولا
يزال يستمع باستمتاع للأغاني بصوت عالٍ.
الأخ يعيد الطلب في إلحاح: لو تكرمت يا أخي الحبيب أغلق هذه الأغنية.
السائق في «وجوم وغضب»: ليه.
الأخ: لأنَّ ما تسمعه من أمثال هذه الأغاني حرام -على الراجح-.
السائق: ماذا تقول؟، لماذا تعقد الأمور يا عم الشيخ، أنا لم أزنِ أو أشرب المخدرات أو
الخمر، فماذا في سماع أغنية بريئة؟!
الأخ: يا أخي الحبيب. أنا لا أقصدُ اتهامك بالزنا أو شرب الخمر، ولكن سأسألك: هل

أن تبرئ ذمتك أمام الله.

ألا تضرك المعصية والمناكير الواقعة.

أن تنجو من الهلاك والعقاب.

أن تنجو من لعنة الله.

أن تنقذ نفسك وأهلك وذويك من شياطين الإنس والجن.





هذا الفعل الذي تفعله يُرضي الله الآن، بحيث يُباهى الله تعالى بك ملائكته عند سماع الأغاني؟ وهل لو خَرَجَ رسول الله من قبره ورأى منك هذا الأمر، هل سيسعد بك وبحالك، وهل سيقرك على فعلك أم لا؟!

السائق: أظن لا.

الأخ: إذن فاهجرُ سماع الأغاني اتباعًا وامتنالًا لأمر الله ورسوله.

السائق: هذه الأغاني تريح الأعصاب.

الأخ: مَنْ قال ذلك، على العكس، إِنَّ الأغاني تعمل على استشارة الأعصاب، ثم إن الله يقول: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) [الرعد: ٢٨]، ولو كانت الأغاني علاجًا ناجحًا نافعًا لأمرنا الله تعالى به، ولأرشدنا إليه.

* السائق ومعه بعض الركاب: لا تتشدد يا عم الشيخ، فقد رأيتُ الشيخ فلان «وهو شيخٌ كبيرٌ» يسمع أغاني الست، فلما سألتُه قال: الأغاني حلال لا شيء فيها، فهل ستعرف أكثر من هذا الشيخ العالم؟!

- وأحد الركاب «في آخر السيارة» يقول: وأنا سمعت الأستاذ.. «الداعية المعروف إعلاميًا» يقول: الأغاني غذاء للأرواح وليست حرامًا، بل استضاف أحد المغنيين الشباب في لقاء تلفزيوني معه ليغني أغنية محترمة.. إذن ليس هناك مشكلة في سماعنا للأغاني؟!

الأخ: ابتداءً لا بد وأن نحدد مَنْ هو العالم الرباني الذي يُسأل ويستفتي^(١)؟!، ثم هل الحجة في كلام الله ورسوله أم في كلام هذا المسمى بالشيخ «فلان»؟!

السائق: صحيح كلام عم الشيخ صح.

الأخ: يا أخي اعلم أنه ما سُئِلَ عالم بحق فأفتي بجهل أو هوى، ولكن لما سُئِلَ غير العالم

(١) العالم الرباني: هو الذي يربى الناس على صغار قبل كبار، كما قال البخاري - رحمه الله، وقال ابن الأعرابي: العالم الرباني: هو العالم المتعلم العامل، انظر فتح الباري (١/ ٢٠٠، ٢٠٢). ط. دار الحديث.



ظهرت الفتاوى العرجاء.. ثم يبدأ الأخ في الاستطراد في المحاورة فيقول: يا إخواني إذا سألكم الله يوم القيامة: هل وصلكم الدليل على تحريم الغناء؟ فقال السائل مباشرة: لا. أنا لا أعرف دليلاً على تحريم الغناء أو الموسيقى.

الأخ: إن الأدلة على تحريم الغناء كثيرة في الكتاب والسنة وأقوال الأئمة، فمن ذلك:

* قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]، فالمكاء الصغير، والتصدية: التصفيق.

* وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَلْتَأَسَ مِنْ يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٦) وَإِذَا نُنَادَى عَلَيْهِ أَيْنُنَا وَلَى مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَانَ فِي أُذُنَيْهِ وَقَرَأُ فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧) [لقمان: ٦، ٧]، وقد فسر غير واحد من السلف هو الحديث بأنه الغناء، قال بذلك جمع من أكابر الصحابة مثل: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وابن مسعود رضي الله عنه، كذلك فلقد فسر بعض التابعين هذه الآية: بالغناء [كسعيد بن جبير، وعكرمة وقتادة^(١)]، ولا شك أن هؤلاء هم أعلم الناس بالقرآن وتفسيره.

* وقال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠)﴾ [النجم: ٥٩، ٦٠]، قال عكرمة عن ابن عباس: إن السمود هو الغناء، يُقال تسمد فلان إذا غنى^(٢).

* وقال تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَظَّتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]، قال مجاهد: هو الغناء والمزامير^(٣).

* وقد قال عليه السلام: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحرَّ والحرير والخمر والمعازف..»^(٤).

(١) راجع تفسير ابن كثير (٤/٤٤٣)، وزاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٦/٣١٦)، ط. المكتب الإسلامي.

(٢) راجع تفسير الطبري ص (١٩، ٤٨)، وزاد المسير (٨/٦٢)، وابن كثير (٤/٢٦١).

(٣) راجع الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (٤/١٩٢)، ط. محمد دمج بمصر.

(٤) علقه البخاري بصيغة الجزم، انظر كتاب الأشربة (١٠/٥٥٩ فتح).





* كذلك ثبت عن النبي ﷺ: كما في حديث جابر بن عبد الله، قال: «أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَانْطَلَقَ إِلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ، فَوَجَدَهُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَهُ فِي حَجَرِهِ فَبَكَى، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَتَبْكِي؟ أَوْ لَمْ تَكُنْ نُهِيتَ عَنِ الْبُكَاءِ؟ قَالَ: «لَا وَلَكِنْ نُهَيْتَ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ: صَوْتٌ عِنْدَ مَصِيبَةٍ، خَشَشَ الْوُجُوهُ، وَشَقَّ جُيُوبَ، وَرَنَةُ شَيْطَانٍ»^(١)، وفي رواية أخرى: «وَصَوْتُ عِنْدَ نَغْمَةٍ لَهْوَ وَلَعِبٍ» وأصله في الصحيح.

- والمراد بالصوت الأول: ما يُحدثه الحزن والمصيبة من النياحة والدعاء بالويل وتوابع ذلك، والمراد بالصوت الثاني: ما يُحدثه الطرب من اللذة والغناء وتوابعه في النفس..^(٢).

* ولقد صدق ابن مسعود رضي الله عنه حين قال: «الغناء يُنبئُ النفاقَ في القلب كما ينبئ الماء البقل»، ولعل هذا يظهر بجلاء في الواقع المعاصر، فإن للغناء العديد من المفاصد من أهمها: أنه يثقل على القلوب الفكر في معاني القرآن وحقائق الإيمان، كذلك يثقل على اللسان ذكر الله، وإن خَفَّ الذِّكْرُ على لسانه كان ذِكْرًا مَجْرَدًا عن مواطأة القلب للسان، وهذا أمرٌ يعلمه كل مَنْ سَمِعَ الغناء واستكثر منه، لا يجتمع سماع الغناء والذكر والقرآن في موطن إلا طَرَدَ أحدهما الآخر، ومن أعظم مفاصده «أنه يميلُ بسامعه إلى اللذات العاجلة وقضاء الشهوات بحسب الإمكان، إذ أن الغناء رقية الزنا، ولعلك تؤيدني عندما ترى آثار الفساد الذي يحدثه سماع الغناء - خاصة - الفيديو كليب، وقنوات الرقص وما فيها من عرض للأجساد وانتهاكٍ للحرمات، مما يساعد على تهييج الشهوات الكامنة، ويدفع دفعًا إلى ارتكاب الفواحش..».

* أما عن أقوال أئمة المسلمين «سواء الأئمة الأربعة أو غيرهم» فيمكن أن تراجعها - أيها الأخ الكريم - عن طريق استقراء بعض الكتب الشرعية النافعة..
قال السائق: مثل ماذا؟

(١) رواه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٠٠٥).

(٢) راجع كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء، لابن القيم، ص ٦٣، ط. دار الجيل، بيروت.



قال الأخ: مثل كتاب «إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان» للإمام ابن القيم، فلقد عقد فصلاً كاملاً عن الغناء وحكمه وأقوال العلماء والأئمة فيه، كذلك أنصح بالاطلاع على كتاب «كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء» لابن القيم أيضاً، ومن المعاصرين اقرأ كتاب «تحريم آلات الطرب أو الرد بالوحين وأقوال أئمتنا على ابن حزم ومقلديه المبيحين للمعازف والغناء وعلى الصوفيين الذين اتخذوه قرينة وديناً» للإمام العلامة/ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - رحم الله الجميع -.

السائق: ولكن أنا ليس عندي وقت لقراءة هذه الكتب، كذلك فأنا لا أحب القراءة؟
الأخ: الأمر سهل، فَمَنْ رَحِمَهُ اللهُ تعالى بأهل هذا العصر أن يَسَّرَ لهم الوسائل الحديثة، التي تساعدهم على الثبات على الدين، ومن هذه الوسائل «المقاطع الصوتية الدعوية»، فإذا كنت لا تحب القراءة فاستمع إلى أي شريط عن «حكم الغناء» لأي داعية من الدعاة الربانيين الصادقين، وإن شاء الله تستفيد أنت والركاب، ويكون لك أجر دعوتهم إلى الخير^(١).
أحد الركاب يرد على الأخ مستنكراً فيقول: يا عم الشيخ.. كل إلى أنت قتله ده جيد، ولكن بالعقل كده: إيه المشكلة في الأغاني دي؟!!

الأخ: يا أخي الكريم.. الأصل في الرجل المسلم أن يُسَلِّمَ لله ورسوله، شعاره في ذلك هو شعار أهل الإيمان «سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»، فلا حكم يُقدم على حكم الله ورسوله، فقولك - يا أخي - غفر الله لي ولك ولجميع المسلمين اقنعني بالعقل.. قول

(١) في بعض الأحيان يوجد بعض السائقين الذين لا خلاق لهم ولا يُعَظِّمُ دين الله تبارك وتعالى، بل وقد يصل الأمر به أنه قد يوقف السيارة ويقول لك: (أنا حر، وهذه سيارتي أفعل فيها ما أشاء) وليس عندي استعداد لإغلاق هذه الأغنية، ابحت لك عن سيارة أخرى، وقد يتناول البعض ويستخدم البذئ من الألفاظ، ومثل هؤلاء لا طائل من الإنكار عليهم، فهؤلاء لن ترهبهم إلا درة عمر وعصاه، ولكن ينبغي أن يبذل له النصح ثم يترك له السيارة، إذ أنك إن لم تستطع تغيير المنكر فزل أنت عن مكان المنكر، ولا تشارك أصحابه ولسان حالك: ﴿قَالُوا مَعَذَرَةَ إِلَىٰ رَبِّكَمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقَوْنَ﴾ ﴿١٦٤﴾ [الأعراف: ١٦٤].





خطير.. فالعقل لا يُحَكِّم في النصوص الشرعية.. بل إذا تعارض النقل والعقل قُدم النقل على العقل.

- وستعلم أن الغناء يتنافى مع هذه المقاصد، بل يقتلها قتلاً في كثير من الأحيان.
وبما أنك من العقلانيين الذين لا يستجيبون للدعاة إلا بالأمثلة العقلية، فدعني أضرب لك أمثلة من كلام هؤلاء المغنيين - لعل الله يهدي قلبك ويشرح صدرك - لقبول حكم الله وحكم رسوله في هذه المسألة.

* هذا شاعرٌ نصراني كتب يقول: «جئت لا أعلم من أين، ولكني أتيت، ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت، كيف أبصرت طريقي لست أدري؟!» والله - سبحانه - يقول: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٣) [الإنسان، ٢، ٣].

فالله - سبحانه - خلق الإنسان من نطفة وأعطاه سمعاً وبصراً وهداه طريقه، ولكن من بني آدم من يحجد هذه النعم كهذا القائل.. إلى الدنيا من أجلك وأجل حبك، والله - تعالى - يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) [الذاريات: ٥٦].

* وهذا عبْدٌ لهواه يقول «حبك عباده، حبك عباده وأنا عبدك»، يخالف في ذلك قول الله ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٤٤) [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

* وما يدلك على أن الغناء يهدم المعاني التي يقررها القرآن، ويفسد العقائد التي جاء الشرع لترسيخها وإرسائها أن كثيراً من الأغاني التي تقال إما أنها مخالفة لعقائدنا وتعاليم ديننا مخالفة صريحة قد تصل إلى حد التناقض، وأما أنها تحاطب الغرائز الكامنة الهاجعة مما يؤدي إلى إفساد الديانة، ومن النوع الأول: قول هذا المجرم الذي يتهم ربه وخالقه بالظلم فيقول: ليس القسوة ليه، ليه الظلم ليه؛ ليه يا رب ليه؟ والله تعالى - يقول في محكم التنزيل ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ

أَحَدًا ﴿٤٩﴾ [الكهف: ٤٩]، وقوله سبحانه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣].

ومن النوع الثاني: قول هذا المغني الذي يستهين بجهنم ويُجراً الخلق على عدم الخوف من عذاب الله فيقول: «علشانك أنت انكوى بالنار والقح جتتي، وادخل جهنم وانشوى وأصرخ وأقول ياهوتي...».

الله أكبر انظر يا أخي ماذا يقول هذا المغني وأمثاله؟! والله - تعالى - يقول ﴿وَمَا أَذْرَبْكَ مَا سَقَرُ﴾ ﴿٢٧﴾ لَا بُقْي وَلَا نَذْرُ ﴿٢٨﴾ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ [المدرثر: ٢٧ - ٢٩]، وقال تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْعِدَةِ﴾ ﴿٧﴾ [الهمزة: ٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيِّنَّا أَطْعَمَنَا اللَّهُ وَأَطْعَمَنَا الرَّسُولُ﴾ ﴿١٦﴾ [الأحزاب: ١٦]، ويقول سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

* فانظر كيف أن الغناء يعين الشيطان على العباد حتى أنه يجعل الواحد منهم يستهين بعذاب الله - تعالى^(١).

فضلاً عن انتشار الأغاني التي تنشر الشرك أو البدع والمخالفات ك أغنية (مدد مدد يا رسول الله)، «قمر سيدنا النبي»، والأغاني التي تساعد على انتشار كل رذيلة في مجتمعنا المسلم.

* فالغناء إذن - يا أخي - يهدم المقاصد الشرعية التي جاء الإسلام لترسيخها في

(١) استفدت هذه الجزئية من كتاب «ميزان العدل بين عمرو خالد وعبد الله بدر» للأستاذ/ نشأت زيدان ص ٦٤ - ٦٦ ط. مكتبة المعالم بالاسكندرية، ورسالة (كلمات الأغاني في ميزان الشرع) للشيخ/ محمد صالح المنجد ص ١٤، ١٥ ط. مكتبة سلسيل.





القلوب والعقول..

إذن وبعد هذه الوقفات السريعة مع بعض كلمات الأغاني الهابطة الفاسدة المفسدة فإنه لا يسعك أن تقول أنها «حلال، أو جائزة».

الراكب المجادل: اقتنعتُ شيئاً ما... ولكن لماذا تدخلون الدين في كل شيء؟!، ولماذا لا تنظرون إلى كل الأمور من منظورٍ شرعي؟!.

الأصل: أن الغناء كباقي الأمور لا يحكم عليه إلا مَنْ تخصص في النقد!

الأخ: ساحك الله - يا أخي - وهل يُصلح الدنيا إلا دين رب العالمين - سبحانه وتعالى؟!، ثم ألا تعلم أننا - نحن المسلمين - نعتقد أن معنى كوننا مؤمنين بالله: أن نؤمن أنه خالق حاكم لهذا الكون، وأنه أنزل الإسلام ليحكم هذه الحياة، ويكون مهيمناً عليها.. قال ربنا ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. [النساء: ٦٥].

إذن فالواجب علىّ وعليك وعلى جميع المسلمين أن يرجعوا إلى تعاليم الكتاب والسنة، وأن يحكموا الكتاب والسنة في كل أمر من أمور الحياة..

أما قولك: أن الغناء فن راقٍ.. فأنا أخالفك.. فلم يكد هناك أدنى ريب أو شك لكل ذي عينين أن الغناء يُفسد الأخلاق والعقول والقلوب وهذا كله معلوم، «ومن أراد التأكد من ذلك فليشاهد آثار الغناء المصور المسمى «بالفيديو كليب» على عموم الناس، وعلى الشاب خصوصاً، فلا تغالط نفسك - أخي الكريم - ولا تكابر في قبول الحق.

وحتى يزيد اقتناعك بما أقول.. أسوق لك سؤالاً إلى عبد الله بن مسعود والقاسم بن محمد «التابعي المعروف»، والإمام مالك.. «ما حكم الغناء» فأجاب كل واحد منهم سائله: إذا كان يوم القيامة وجيء بالحق والباطل ففي أيهما يكون الغناء؟! فأجاب السائل: في الباطل، فقالوا: والباطل يكون في النار أم في الجنة؟! فأجاب السائل: في النار.. قالوا: اذهب فقد أفتيت نفسك.



أحد الركاب: يا عم الشيخ.. لا تكن متعصبًا، ولكن اتركها لله، وعلى رأى المثل: ساعة لقلبك وساعة لربك!

الأخ: والله يا أخي أنا ما تعصبت، ولا تشددت بل هذا هو الحق من غير غلوٍ أو جفوٍ، وهل الأفضل لي ولك التمسك والالتزام بمنهج الله كله أم التساهل ومجاراة الأهواء والنفوس الأمارة بالسوء؟

فقال الراكب: الالتزام بمنهج الله كله طبعًا!!

الأخ: إذن لا بدَّ وأن نأتمر بأمر الله وأن نسير وفق ما يحبه ربنا ويرضاه، ثم أنت تقول: «ساعة لقلبك..» هذه العبارة قد تُفهم خطأً، إذ أن كلك لا بد وأن تكون لله، وأنك مخلوق لله وليس لنفسك، وربك الذي تعبده وتصلى له وتحبه يقول لك: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وعليه فإن حياتك كلها ينبغي أن تكون لله تعالى، ثم لو نظرت إلى نفسك بعين البصير الناقد لوجدت أنك لا تعطي ولو نصف الوقت لله تعالى لحمده وشكره على نعمه التي أسبغها عليك ظاهرة وباطنة.

أحد الركاب: كلام عم الشيخ صح، أغلق هذه الأغنية وأسمعنا القرآن.

راكب آخر: انتظر، لا تغلق التسجيل، لماذا تريد أن تفرض رأيك ووصياتك على الجميع، دَعْ الملك للملك، يا عم الشيخ، أنتم هكذا أيها الملتحون، متسلطون وديكتاتوريون وفاشيون!!

الأخ: «ينظر إليه متبسمًا» ثم يقول له: يا أخي أنا لم أفرض رأيي، أنا قلت للسائق لو سمحت وتكرمت، ولو رفض في نهاية نصيحتي أن يغلق التسجيل كنت سأضطر للنزول من السيارة، ثم إن النصيحة بمقتضى شرع الله ليست فرضًا للرأى، بل مصلحة عامة للناس، فأرجو ألا تتسرع في إلقاء التهم على إخوانك، وألا تكثر من سماع بعض الإعلاميين العلمانيين والليبراليين والشيوعيين والإلحاديين الكذابين المزورين





السائق «متحدثاً»: طيب عندك شريط قرآن يا عم الشيخ؟
الأخ: «يمد يده مسرعاً إلى جيب قميصه»، نعم ولكن افرض أنه ليس معي مادة صوتية على الجوال، فيمكنك أن تفتح إذاعة القرآن الكريم، وإلا فإغلاق التسجيل غنيمة على كل حال.

أحد الركاب «يتكلم ساخراً» ويقول: وإيه وجه الغنيمة في إغلاق الأغاني!!
الأخ: «يرد عليه بهدوء» فيقول: الغنيمة أنه لم يرتكب إثماً ولم يقترب وزراً، ودعني أضرب لك مثلاً عقلياً: لو أن رجلاً كان عنده فضل مال، وبينما هو سائر في طريقه إلى منزله، إذا وَقَعَ منه هذا المال لوجود ثقب في جيبه، أيكون خاسراً أم لا؟!
الراكب الساخر: طبعاً خاسر.

الأخ: كذلك هذا السائق قد يصلي في المسجد، ويقرأ القرآن فيحصل أجوراً كثيرة، ثم ينطلق بسيارته ويركب معه عشرات الركاب يومياً فيسمعون جميعاً الغناء في سيارته فيجنى هذا المسكين أوزارهم وآثامهم.

أحد الركاب: «أنا معي أغاني دينية خدّها يا أسطا وشغلها!!

الأخ: انتظر!!

السائق: إيه تاني..

الأخ: إن لما يُسمى بالأناشيد الإسلامية حكماً، فلا بد وأن تعرفه قبل سماعها!!

السائق: وما هو هذا الحكم؟!

الأخ: إذا كانت هذه الأناشيد ذات معاني إسلامية، وليس معها شيء من المعازف وآلات الطرب كالدفوف والطبول ونحوها، فهذا أمرٌ لا بأس به، ولكن لا بدّ من بيان شرطٍ مهم لجوازها، وهو أن تكون خالية من المخالفات الشرعية، (كالغلو ونحوه).

ثم شرط آخر، وهو عدم اتخاذها ديناً، إذ ذلك يصرف سامعيها عن قراءة القرآن الذي ورد الحض عليه في السنة النبوية المطهرة، وكذلك يصرفهم عن طلب العلم النافع والدعوة إلى



الله، أما استعمال الدفوف مع الأناشيد فجائز للنساء فيما بينهن دون الرجال، وفي العيد والنكاح فقط.. وهذه هي فتوى الشيخ الألباني^(١).

نفس الراكب: دي كمان حرمتها يا عم الشيخ؟!
الأخ: يا أخي أنا لا أحرم ولا أحلل، وإنما التحريم والتحليل تشريع، ولا يُشْرَع لعباده إلا الله.

نفس الراكب: بس أنا سمعت الشيخ «فلان» في التلفزيون يقول بجواز سماع الأناشيد الدينية والتي تُضرب معها الدفوف والطبول، والحقيقة إن أأنتم حيرتونا نسمع مين، ونصدق مين، ونمشي ورا مين؟!

الأخ: مع احترامنا وتقديرنا للشيخ «فلان» فإنه يجب عليك - أخي وحبيبي في الله - أن تعرف دينك وإسلامك من كتاب الله وسنة رسوله، لا من التلفاز، «ولا تقل قال وفلان. فإنَّ الحق لا يعرف بالرجال، ولكن اعرف الحق تعرف أهله»^(٢).

أحد الراكب: بس لو السائق يا عم الشيخ لم يغلق جهاز التسجيل ماذا كنت ستفعل؟!
الأخ: كنت سأنزل فوراً من السيارة، وأدعو الله أن يهدي هذا السائق والمسلمين جميعاً إلى الحق الذي يرضيه - سبحانه -.

أحد الراكب: يا عم الشيخ.. ربنا هو اللي هيحاسبهم.. اقعد، وأنت عملت اللي عليك، والأعمال بالنيات.

الأخ: يا أخي: القاعدة الشرعية تقول: إذا لم تستطع أن تزيل المنكر، فزل عنه، خاصة وأنه قد تتعرض السيارة لحادث اصطدام - لا سمح الله - فتموت جميعاً ونحن متلبسين بهذه

(١) راجع تحريم آلات الطرب، للشيخ/ الألباني، ص ١٨١، ١٨٢، ط. دار الصديق، وراجع أيضًا نص الفتوى بمجلة الأوصال في العدد الثاني، ١٥ جمادي الآخرة ١٤١٣ هـ، ص ٧٣، توزيع مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.
(٢) راجع مقدمة سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للألباني (١/ ١٦٤)، ط. المكتب الإسلامي.





المعصية، ولست مستعداً أن ألقى الله وأنا عاصٍ له - سبحانه وبحمده-، أما عن النية، فالنية الصالحة لا تصلح العمل الفاسد^(١).

الراكب «يبتلع لعبه في وجل» بَشِّرْ يا عمر الشيخ، لماذا هذا التشاؤم؟
الأخ: يا أخي إِنَّ تذكر الموت ليس تشاؤماً؛ لأن الذي ينسى الموت ويتناساه يُصاب بالغفلة وتكثر منه المعاصي، ثم إِنَّ الموتَ حقٌّ كما هو معتقدنا، ما منه مفر أو مهرب، واعلم أنه لا تشاؤم في الإسلام... إذ النبي ﷺ كان يعجبه القول.

وبقدر الله.. ثمر السيارة على حادثٍ مروع مات فيه السائق، ويرى الركاب ذلك الميت والناس يخرجونه من السيارة المحطمة.

الأخ «متنهزاً تلك الفرصة»: هل رأيتم يا إخواني؟ ترى ماذا كان يسمع هذا السائق قبل أن يموت؟ لو كان يسمع القرآن فهنيئاً له بهذه الموتة، وإن كان يسمع الغناء ويدندن مع الموسيقى فقد مات على معصية وخُتم له بشر، نعوذ بالله من الخذلان!!

السائق: ينظر إلى الحادث متأثراً، ثم يمد يده إلى التسجيل ويفتح شريط القرآن، فينطلق صوت الشيخ: محمود خليل الحصري - رحمه الله - تالياً قول الله تعالى: ﴿وَالذَّكِرِ كَثِيرًا وَالذَّكِرِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وأذكرك بقول ربك وخالقك وهاديك - سبحانه وتعالى:

(١) راجع كتاب «فصل الخطاب في الرد على أبي تراب» للشيخ / محمود بن عبد الله التويجري - غفر الله له ولوالديه - ص ٣٨٣ ط. رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية ١٤١٩ هـ.

﴿وَالذِّكْرُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَالذِّكْرُ لِلَّهِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٣٥)

[الأحزاب: ٣٥].

* ويقول النبي ﷺ كما في حديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره، كمثل الحي والميت»^(١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه»^(٢).

* وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه، أن رجلاً قال: «يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «لا يزال لسانك رطباً بذكر الله»^(٣).

* وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى، قال: «ذكر الله تعالى»^(٤).

تاسعاً: لا تضيع وقتاً في أثناء ذهابك للجامعة، وإياك والقيّل والقال، واحرص على ذكر الله - تعالى - في طريقك للجامعة:

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الترمذي (٣٣٧٢)، أحمد (١٨٨/٤)، وصححه ابن حبان (٢٣١٧)، والحاكم (١/٤٩٥)، ووافقه الذهبي، وأورده الألباني في صحيح الكلم الطيب رقم (٣).

(٤) رواه الترمذي (٣٣٧٤)، وأحمد (٤٤٧/٦)، وابن ماجة (٣٧٩٠) وإسناده صحيح، وصححه الحاكم (١/٤٩٦)، ووافقه الذهبي وأورده الألباني في صحيح الكلم الطيب، حديث رقم (١).



الحرص.. الحرص

لقد صَحَّ في دواوين السنة النبوية المطهرة أن رسول الله ﷺ كان يذكر الله تعالى على كل أحواله.. فاحرص على دوام ذكر الله في طريقك ومن ذلك: أن تحرص على تلاوة ومراجعة القرآن الكريم، كذلك فاحرص على الذكر أثناء سيرك منفردًا، أو حركتك بسيارة خاصة أو «المTRO».

كذلك فاحرص على أن تكون من الفائزين بعشرات الحسنات، كما في حديث سعد بن أبي وقاص قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «أيعجز أحدكم أن يكسب في كل يوم ألف حسنة؟! فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب ألف حسنة؟!، قال: «يسبح مائة تسبيحة، فيكتب له ألف حسنة، أو يُحط عنه ألف خطيئة»^(١).

تستطيع أن تسبح الله وتحمده مائة مرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة، حُطَّت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»^(٢).

تستطيع أن تهلل الله وتكبره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من

(١) رواه مسلم (٢٦٩٨).

(٢) متفق عليه.

الشیطان یومه ذلك حتى یُمسی، ولم یأت أحدٌ بأفضل مما جاء إلا رجل عمل أكثر منه^(١).

هوابء جمع الحسنات

وتستطیع أن تجمع بین الخیر كله فی ذكرك لربك [أي أن تجمع بین التکبیر والتسبیح والتحمید والتهلیل]، كما فی حدیث أبی هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، أحب إليّ مما طلعت علیه الشمس»^(٢).

فاحرص - أخى الشاب - على دوام ذكر الله، فإنّ الذاکر لله فی نعمة یُغبط علیها، واعلم أن نفسك إن لم تشغلها بالحق «كالأذکار، والدعاء وقراءة القرآن»، شغلتك بالباطل «كالنظر إلى النساء وقول الحرام، وفعل الحرام..».



(١) متفق علیه.

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٥).



الفصل الرابع

الدحيح..

وطريق الـ ١٠٠٪

عند اقترابك من الجامعة.. ماذا تفعل؟!!

ها أنت والحمد لله.. وصلت إلى أسوار الجامعة، بعد أن قضيت وقتًا طويلاً في الطريق في عبادةٍ وذكرٍ.
(أ) فاحمد الله على هذه النعمة.

(ب) وأوصيك - أخي الشاب - قبل أن تدخل إلى الجامعة أن تجتهد في الدعاء والتضرع إلى الله تعالى أن يحفظك في هذا المكان، وأن يُجنبك مضلاتِ الفتن، -خاصة- فتن الشبهات والشهوات، إذ إن هاتين الفتنتين من أشد الفتن فتكاً بقلوب وعقول الشباب في الجامعة وفي غيرها، نسأل الله السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

* أخي الشاب - أوصيك أن تدعو الله عز وجل كثيراً بما ثبت عن نبيه ﷺ من جوامع الدعاء، ومن ذلك ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقوى والعفاف والغنى»^(١).

- وعن عليّ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «قل اللهم

اهدني وسددني»^(٢).

وعن زياد بن علاقة عن عمه، وهو قطب بن مالك رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من منكراتِ الأخلاق، والأعمال والأهواء»^(٣).



(١) رواه مسلم (٢٧٢١).

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٥).

(٣) رواه الترمذي (٢٥٨٥)، وقال حديث حسن صحيح، وابن حبان (٢٤٢٢).





- وعن شكل بن حميد رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: علّمني دعاء، قال: «قل: اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي، ومن شر مني»^(١).
* وأكثر من الدعاء أن يحفظك ربك من الفتن حتى تدخل كليتك، وتصل إلى قاعة المحاضرات سالمًا من العثرات والآثام التي يقع فيها آلاف الطلاب والطالبات.
ج- ثم إذا دخلت إلى الجامعة فأوصيك بغض الطرف عما حَرَّمَ الله عز وجل، حتى تصل إلى مكان محاضراتك، وإياك والخلوة أو الاختلاط بالفتيات أو الموظفات، كذلك فاحذر مجالسة زميلاتك من الفتيات في أثناء تلقي المحاضرات أو في فناء الجامعة كـ «الكافيتريا»، أو في أي مكان آخر، إذ إن في هذا كله شرًّا مستطيرًا - حفظك الله من شر نفسك، وجنبك الشرور والآثام.

أسرار التفوق

* وعليك - أخي الشاب - منذ أول يوم لك في دراستك الجامعية أن تدرك أهمية التفوق العلمي، إذ نحن نريد للشباب المسلم الملتزم أن يتفوق في دراسته ليضرب أروع الأمثلة، وليكون نموذجًا متميزًا فريدًا يُحتذى به، حتى يوقن الناس أن الالتزام ليس عائقًا عن التفوق الدراسي بل العكس، وهذا أمر هام ينبغي أن تتفطن إليه أخي الشاب الكريم.
* قد تقول: ولكن أنا منشغلٌ بطلب العلم الشرعي، وهذا يعوقني عن التفوق الدراسي!!

* والجواب: لا بدَّ وأن تُوازن - أخي الحبيب - بين الواجبات بحيث لا يطغى واجب على واجب، فلا مانع أبدًا أن تتعلم دينك، وأن تُصحح عقيدتك، وأن تُحرر عبادتك من شوائب البدع والتقليد المذموم، وأن تُنظم سلوكك بحيث تقف عند حدود الله وشرعه، وفي

(١) رواه أبو داود (١٥٥١)، والترمذي (٣٤٨٧)، والنسائي (٢٥٩/٨، ٢٦٠) وإسناده صحيح كما ذكر الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ح (١٤٩١).

الوقت ذاته لابد أن تعلم أن مهمتك كطالب تُحتم عليك أن تتعلم من أمور الدنيا ما يلزمك من ضروريات الوقت والحياة، والمسلمون اليوم في أمس الحاجة إلى العلم؛ لأن البشرية الآن في سباقٍ شديد في الاختراعات والاكتشافات، فلماذا أتفوق، ولماذا أجهد نفسي؟ فأين المسلمون من هذا السباق؟ فهيا - أخي الحبيب - أعد مجد أسلافك، وسُدْ ثغراً للمسلمين بالتفوق في دراستك، كي ترفع للإسلام راية!!^(١).

التفوق الدراسي.. لماذا؟!!

إن كثيراً من الشباب تدنت عندهم الهمة، فترى الواحد من هؤلاء يقول: لماذا أتفوق؟ ولماذا أجهد نفسي؟ في الآخر الكل سيتساوى.
وإلى هؤلاء جميعاً نقول.. إننا نتفوق لأسباب منها:

١ - للظفر بفضل التعلم، ومنزلة أهله: إن العلم هو أفضل وأجل ما يطلب في هذه الدنيا وأفضل ما ينفع أهله في الآخرة، وأهل العلم هم أهل الفضل والرفعة والسؤدد، وليس كالعلم شيء في علو قدره، وسمو شرفه، ورفعة مكانته،..^(٢).

والذي رفع قدر العلم والعلماء إنما هو الله العليم الحكيم، ورسوله الأمين، لأجل هذا قالوا: «كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه مَنْ ليس يحسنه، وكفى بالجهل عاراً أن يَفِرَّ منه مَنْ هو فيه». لهذا كان طلب العلم عبادة، وتدارسه خشية، ومذاكرته تسبيح، وبذله لأهله قربة، به يُعرف الله ويُعبد، وبه يحمد ويوحد، وهو أنيس في الوحدة، وصاحب في الخلوة، به توصل الأرحام، ويعرف الحلال والحرام، وهو أفضل مكتسب وأشرف منتسب، وأنفس ذخيرة تُقتنى، وأطيب ثمرة تُجتني ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

(١) راجع رسالة: «وشاب نشأ في عبادة الله»، أ/ جمال حامد، ص ٧٢، ٧٥، ط. زهرة المدائن.

(٢) راجع بحث «فضل العلم» لأخينا في الله/ محمد بن عبد الله - حفظه الله -، ص ١٥، ط. مؤسسة قرطبة.





قال بشر الحافي - رحمه الله -: «لا أعلم على وجه الأرض عملاً أفضل من طلب العلم، تعلمه إحياءً للدين وإذلالاً للشيطان، ودليلاً على الخير، وعوناً على المروءة فتعلّمهُ إحياءً للدين».. ويقول ابن عيينة - رحمه الله -: «مَنْ طلب العلم فقد بايع الله».

٢- لأنك لازلت شاباً قوياً فتياً، تقوى بفضل الله على التحصيل العلمي في شرح العمر الأول، إذ هذا هو وقت التفرغ الذهني والحياتي؛ لأنه إذا لم يتم التفوق في مطلع العمر وفترة الشباب، فإنه قد تأتي الدنيا على الإنسان فتفرق همه وتشتت اهتماماته، وكما قيل: «مَنْ تعلم العلم وهو شاب، كان كوشم في حجر، وَمَنْ تعلّم العلم بعدما يدخل في السن كان كالكتاب على ظهر الماء»، وقال الحسن بن عليّ عليه السلام: «تعلموا العلم، فإنكم إن تكونوا صغار قوم اليوم تكونوا كبارهم غداً، فمن لم يحفظ فليكتب»^(١)، فابذل الجهد في فترة شبابك لتحصل على ثمرة تفوقك بعد ذلك.

٣- لأن الإسلام أولى عناية واهتماماً بالعلم وأهله: لقد عنى الإسلام بالعلم بأبلغ عناية وأتمها، دعوة إليه وبياناً لأدابه، وتوضيحاً لآثاره، وترهيباً من الإعراض عنه.. وفي إشرافه فجر الإسلام كان الاهتمام في أولياته بتوسيع مدارك الإنسان بالارتشاف من معين العلم ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

فانطلق العلم في هذه الأمة مستعيناً بـ(بسم الله) وكفى به إعانة، وهو ميراث النبوة. ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُودَ﴾ [النمل: ١٦]، وطالبه في مصاف الشرفاء، ومنظوم في سلك العظماء ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. سلوكه توفيق للخلد في الجنة - كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ سلك طريقاً يلتبس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة»^(٢).

(١) انظر جامع بيان العلم وفضله، للإمام/ ابن عبد البر (١/ ٩٩)، ط. دار الفكر.

(٢) رواه مسلم (٢٤٥).



وَمَنْ تَأْمَلْ نصوص الوحيين «كتاباً وسنة» أدرك ذلك غاية الإدراك^(١)، والاستزادة منه، لأن العلم لا حدود له، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

٤- لأنَّ الْعِلْمَ مِنَ الْأَسْبَابِ المهمة لنهضة الأمم والشعوب: فإنه ما من أمة ظهرت وَبَعَثَتْ وَتَفَوَّقَتْ إلا بالعلم، وما مِنْ أمةٍ تخلفت عن ركبِ التطور والحضارة إلا بسبب الجهل بنوعيه، لهذا صحح دومًا نيتك: فأنت تتعلم لوجه الله، مخلصًا في ذلك له - سبحانه - لا تبتغي بذلك وجاهة ولا جاهًا ولا مالًا، ولا منصبًا، كذلك: فأنت تتعلم لترفع الجهالة عن نفسك، ولتنتفع بك أمتك المسلمة.

بل أنت تفوق لتقوم بالواجب الكفائي في الأمة، وإياك أن تظن كما هو شائع أن طلب العلم قاصر على العلم الشرعي فحسب، بل حقيقة التفوق أن تدرك أن تفوقك حقًا خطوة نحو بناء المجد الإسلامي الذي نحلم به جميعًا.

* كذلك ينبغي عليك - أخي الشاب الجامعي - أن تأخذ بحظ وافر، ونصيب كبير مما ينفعك وينفع المسلمين من أمور الدنيا وعلومها، حتى نضمن بإذن الله تخرج جيل قوي علميًا، ينهض بالجوانب العلمية في الأمة، ويدفعها عن طريق مخترعاته وأبحاثه إلى اللحاق بركبِ الدول المتقدمة.

* والدليل على جواز تعلم هذه العلوم هو عموم قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وتعلم هذه العلوم يدخل تحت الآية الكريمة لتقوية الإسلام والمسلمين في هذا الزمان الذي احتلت فيه هذه العلوم مكانة بارزة في تحقيق القوة^(٢).

(١) انظر رسالة «نصائح للطلاب والمعلمين» د/ عبد المحسن بن محمد القاسم ص ١٦ ط. دار القاسم.

(٢) راجع قضية البعث الإسلامي، لمؤلفه الأستاذ/ وحيد الدين خان، ص ٩٧، ط. دار الصحوة الأولى.





وقد صَحَّ عن رسول الله أنه مَرَّ بقوم يُلقحون، فقال: «لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلَحَ» قال فخرج شيعاً - أي تمرا رديئاً، فقال: «وما لنخلكم؟» قالوا: كذا وكذا.. فقال ﷺ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ»^(١).
- ومن المعلوم لدى الأصوليين: «أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما لا يتم الحرام إلا به فهو حرام»^(٢).

تذكر- أخي الشاب الجامعي- أن كل ما يحتاج إليه المسلمون في دنياهم لهم أن يتعلموه ما داموا في حاجة إليه، والناظر إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يرى أن أصول المهن قد ذكرت فيها..
* ففي الحساب.. يقول الله تعالى: ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ أَلْسِينٍ وَالْحِسَابَ﴾ [الإسراء: ١٢].
* وفي الصناعات الحديدية: يقول الله تعالى في شأن داود عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].
* وفي تعلم اللغة العربية نجد أن الله قد أمرنا بتدبر القرآن فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الفرقان] [محمد: ٢٤].
والقرآن إنما نزل بلسان عربي مبين^(٣).

(١) رواه مسلم (٢٣٦٣).

(٢) انظر الكلام على هذه القاعدة وأمثلتها في (شرح الكوكب المنير بمختصر التحرير) لـ (محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحى) (١/٣٥٧، ٣٥٨). ط. مكتبة العبيكان، والبحر المحيط للإمام/ بدر الدين محمد الزركشي (١/٢٢٣) ط. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، والمستصطفى من علم الأصول للإمام/ أبي حامد الغزالي (١/٧١) ط. شركة المدينة المنورة للطباعة، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠/١٦٠) ط. الرحمة بالرياض.

(٣) تعلم لغتنا العربية أمر من الأهمية بمكان: إذ كيف يفهم المرء دلالات النصوص الشرعية، ومقتضى الأحكام الدينية، وهو بعيد كل البعد عن فهم اللغة العربية وتعلم أسسها، يقول الإمام الشافعي - رحمه الله - [فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبد ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيها افتراض عليه من التكبير]، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك.. راجع كتابه «الرسالة» ص ٤١ ط. مكتبة دار التراث، ويقول الشوكاني - رحمه الله - في إرشاد الفحول: «وقال الماوردي: ومعرفة لسان العرب فرض على كل مسلم من مجتهده وغيره..» ص ٢٥٢، ط. مصطفى بابي الحلبي، ويقول ابن

وفي تعلم اللغات الأخرى.. أخرج البخاري في صحيحه حديثاً معلّقاً^(١)، يدل على جواز تعلم لغة الكافرين.. قول خارجة بن زيد بن ثابت: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: أمره أن يتعلم كتاب اليهود، حتى كتبت للنبي كتبه، وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه»، وفي رواية قال زيد: «أتى بي النبي ﷺ مقدمة المدينة، فقالوا يا رسول الله هذا غلامٌ من بني النجار، وقد قرأَ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة فقرأت على رسول الله ﷺ فأعجبه ذلك وقال: «يا زيد.. تعلم لي كتاب يهود فإني والله ما آمنهم على كتابي»، قال: فتعلمتُ، فما مضى لي إلا نصف شهر حتى حذفته وكنت أكتب لرسول الله إذا كتب إليهم»^(٢).

أما الحديث المشتهر على الألسنة: «مَنْ تَعَلَّمَ لُغَةَ قَوْمٍ أَمِنَ مَكْرَهُمْ» فلا يصح عن رسول الله ﷺ^(٣).
* وفي مجال الطب: يقول النبي ﷺ: «تداووا فإن الله عز وجل لم يَضَعْ داءً إلا وَضَعَ له دواءً

تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم: «إن نفس اللغة من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يُفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»، ص ٢٠٧، ط. مطبعة السنة المحمدية، تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي، وخلاصة القول: أن العربية من الدين وأن تعلمها لفهم مقاصد الكتاب والسنة قربة من أجل القربات، وأن معرفة ما يقيم به المسلم فرضه فرض واجب عليه.. راجع: «فضل العربية ووجوب تعلمها على المسلمين»، د/محمد سعيد رسلان، ص ١٠٤، ط. دار الحرمين، وانظر «اللغة الباسلة» لفضيلة الدكتور/ فتحي جمعة ص ١١٠، ط. دار النصر ببلقاس.

- (١) رواه البخاري معلّقاً (٧١٩٥)، ووصله في التاريخ الكبير (٣/ ٣٨٠، ٣٨١).
- (٢) إسناده حسن، رواه أبو داود (٣٦٤٥)، والترمذي (٢٧١٦)، وأحمد (١٨٢/٥)، والطبراني (٤٨٠٦)، (٤٨٠٧)، كلهم من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد، وهو متكلم فيه، وصححه الحاكم (١/ ٧٥)، وقد علّق البخاري في صحيحه (٧/ ٩٥) بصيغة الجزم، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود حديث صحيح ح (٣٦٤٥).
- (٣) حديث باطل لا أصل له.. انظر السلسلة للشيخ/ صالح البليهي (٣/ ٣٨٨).

وقد كره العلماء تعلم رطانة الأعاجم والمخاطبة بها لغير مصلحة أو حاجة، لما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال (لا تعلموا رطانة الأعاجم) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٦٠٩)، والبيهقي في السنن (٩/ ٢٣٤)، وعليه فما اعتاده الناس في بيوتهم وبلادهم من التخاطب باللغة الأجنبية بدلاً من العربية هو أمرٌ مقيت، وهو سبب للفساد اللغوي، الذي هو سبب من أسباب ضياع الهوية.





غير داءٍ واحد: الهرم^(١)، وكذلك مما يدل على أن رسول الله استعمل الطب، ما أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ فَقَطَعَ مِنْهُ عِرْقًا ثُمَّ كَوَاهُ»^(٢).
 * وفي مجال الهندسة والبناء: قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَّتٍ﴾ [الإسراء: ١٣].

* وكذلك الغوص في البحار، قال تعالى: ﴿وَمِنْ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ [الأنبياء: ٨٢]، وقال سبحانه: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالْمَرْجَاتُ﴾ (٢٢) [الرحمن: ٢٢].
 * بل قد ورد في شأن التجارة أن الله أمر نوحًا فقال له سبحانه: ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا﴾ [هود: ٣٧].

* كذلك الأسفار بما فيها من مهن القيادة والريادة والدلالة، قال تعالى: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِهَا﴾ [الملك: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوا يَصْرِيحًا فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الزمل: ٢٠].
 * أما أعمال الرعي والزراعة، فقد قال في شأنها - سبحانه: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ [طه: ٥٤].
 * وعن سيد الثغور أمام الأعداء، والأعمال العسكرية ومن ذلك: الهجوم والدفاع والغزوات والسرايا والمعارك، فقد امتلأ بذكرها كتاب ربنا سنة ونبينا ﷺ، ويكفي منها قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]^(٣)، وقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٢].

(١) رواه أبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨)، والنسائي في السنن الكبرى (٣٦٨/٤)، وابن ماجه (٣٤٣٦) من حديث أسامة بن شريك مرفوعاً وصححه الألباني في صحيح أبي داود ح (٣٨٥٥).
 (٢) رواه مسلم (٢٢٠٧).

(٣) هنا فائدة ينبغي أن يُفطن إليها وهي: أن الالتحاق بمثل هذه الكليات له أحكامه الشرعية، لذا فإن على كل من أراد الالتحاق بها أن يسأل أهل العلم عن الأحكام الشرعية المتعلقة بالدراسة في هذه الكلية، ليتعرف على الحلال فيعمله، والحرام فيجتنبه، والمشتبه فيتوقف فيه!!

[٢٩].

* وهذا باب لا يكاد ينتهي مقصدنا من إيراده ونخلص منه^(١): أن الشاب الجامعي له أن يأخذ حقه وحظه من علوم الدنيا مما يحتاجه الناس لإصلاح أمور دنياهم من قراءة وكتابة وعلوم وحساب ولغة وغير ذلك..^(٢).

* مفاتيح التفوق:

سبقت الإشارة إلى بعض مفاتيح النجاح، وأسباب التفوق، ثم نستأنف ونقول:

* حتى تكون متميزًا متفوقًا تحتاج - بعد عون الله تعالى وتوفيقه - إلى إخلاص النية لله في طلب العلم، وإلى تقوى الله والتحلي بخصال عباد الله المتقين، والاتصاف بصفات طالب العلم الذكي الأملعي، وعلو الهمة في جانب التحصيل العلمي.. وفي هذا الأمر يقول ابن الجوزي - رحمه الله: «إن من علامات كمال العقل علو الهمة.. والراضي بالدون دنى»، ثم قال في موطن آخر: «ما ابتلى الإنسان قط بأعظم من علو همته، فإن من علّت همته يختار دومًا المعالي وربما لا يساعده الزمان، وقد تضعف آلته فيبقى في عذاب؛ لأن من رزق همة عالية يعذب بمقدار علوها، وبيان هذا أن من علّت همته طلب العلوم كلها فلم يقتصر على بعضها، وطلب من كل علم نهايته..»

(١) راجع (فقه تربية الأبناء وطائفة من نصائح الأطباء) لشيخنا أبي عبد الله/ مصطفى بن العدوي، ص ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ط. دار ابن كثير.

(٢) ومن المعلوم أن أكثر هذه العلوم المذكورة سالفًا إنما تُعلم في المدارس والجامعات الخاصة والحكومية، ولا بأس بدخول هذه المدارس والجامعات - عند وجود الحاجة المحلة - مع أخذ الاحتياطات ومراعاة التحفظات التي ينبغي أن يحتاط لها الدارسون، ويتحفظ منها المتعلمون ومن ذلك: محاولة اختيار المدارس أو الجامعات التي تقوم مناهجها على نشر الخير والفضيلة، والتي يقودها أهل الصلاح، كذلك إن كان في حيز الاستطاعة الابتعاد عن المدارس أو الجامعات التي تبث الأفكار العلمانية والشيوعية والليبرالية والتمرد على الشرع والإلحاد أو التي تدعو إلى التنصير والفساد، فإنه يلزمه ذلك، مع الحرص الكامل على الاجتهاد المطلق في البحث عن مدارس وجامعات غير مختلطة - قدر الاستطاعة، والله أسأل أن يحفظ مدارس المسلمين وجامعاتهم من الشرور والفساد..





* وهذا مالا يتحمّله البدن، ثم يرى أنّ المراد العملّ بالعلم فيجتهّد في قيام الليل، وصوم النهار، والجمع بين أمور الخير، وفي الجملة يحتاج إلى معاناةٍ وجمع بين الأضداد، فعلى الهمة أبدأً في نصّبٍ لا ينقضي، وتعبٍ لا يفرغ، ثم إنّ حَقَّقَ الإخلاص في الآمال زاد تعبهُ وقوَى وصبه^(١).

وعلى طالب السمو أن يعلم أنه ما عمِلَ مَنْ عَمِلَ إلا هو دون همة المؤمن؛ لأن قوته من قوة الله، فإذا ما شَعَرَ بهذا الشعور انطَلَقَ نحو هدفه كالصاروخ متسامياً عن جواذب الأرض وثقل الشهوات، ويمثل الإمام ابن القيم لهذه الهمة السامية بمثال لطيف فيقول: «مثل القلب [أي عالي الهمة] مثل الطائر كلما علا بعد عن الآفات وكلما نزل احتوته الآفات»^(٢)، وما سَقَطَ كثيرٌ من شباب الإسلام في أحوال الشهوات وملذات الدنيا إلا عندما ماتت همهم فأصبحوا كسائمة الأنعام تلتقط ما تشتهي، وإن كان فيه حتفها^(٣).

فبهذا هم افئده

أخي الشاب - حتى تعلو همتك فلتنظر إلى الصالحين من أسلافك، بمنّ من الله عليهم بالهمة العالية والجد والنشاط في كل أمور الخير والبر خاصة «تحصيل العلم الشرعي». فمثلاً: من أمثلة الهمة العالية في الحرص على طلب العلم: ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «كنت أنا وجاري من الأنصار من بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلتُ جئته بخير ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك»^(٤).

وحتى النساء كنّ حريصاتٍ على طلب العلم، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قالت

(١) انظر [صيد الخاطر] لابن الجوزي، (٤٥٦، ٤٥٧) بتصرف ط. دار ابن رجب.

(٢) الفوائد لابن القيم (٧٠)، ط. الإيمان بالمنصورة.

(٣) راجع مطالب السمو، تأليف الشيخ/ سلمان بن محمد العنزي، (٣٥)، دار القاسم.

(٤) رواه البخاري (٨٩).

النساء للنبي ﷺ: «غلبتنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً ثم لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن»^(١).

ولله در ابن عباس

حيث قال: «كنت أتى باب أبي بن كعب، وهو نائم فأقيل على بابه ولو علم بمكاني لأحب أن يوقظني لمكاني من رسول الله لكنني أكره أن أمله»، وعنه ﷺ قال: «لما قبض رسول الله ﷺ قلتُ لرجلٍ من الأنصار: هَلُمَّ فلنسأل أصحاب رسول الله فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجباً لك يا ابن العباس أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله من فيهم!!، قال: فتركت ذلك وأقبلت أسأل أصحاب الرسول ﷺ، وإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فاتى بابه وهو قائل - أي نائم وقت القيلولة - فأتوسد ردائي على بابه يسفني الریح على من التراب فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلى فأتيك؟ فأقول: لا أنا أحق أن أتيك، فأسأله عن الحديث، فعاش هذا الأنصاري حتى رأني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني!!»

همم الشافعي

هذا إمام الدنيا في الفقه محمد بن إدريس الشافعي يقول: «حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين، ولما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنْتُ أجالس العلماء، وكنت أسمع الحديث أو المسألة فأحفظها، ولم يكن عند أمي ما تُعطني لأشتري به قراطيس، فكنْتُ إذا رأيتُ عظمًا يلوح آخذه فأكتبُ فيه فإذا امتلأ طرحته في جرة كانت لنا قديمة».

(١) متفق عليه.



سمو همم إمام أهل السنة

وهذا إمام أهل السنة - طيب الله ثراه - أحمد بن حنبل - رحمه الله - يقول: «كنت ربما أردت البكور في طلب الحديث فتأخذ أُمِّي بشيبي حتى يؤذن الناس أو حتى يصبحوا».

عظمه السلف الصالح

* ها هو نصر الهلالي يقول: كنتُ في مجلسِ سفيان بن عيينة إذ دخل علينا صبي صغير ذلك المجلس، فكأن أهل الحديث قد تهاونوا به لصغر سنه، فقال سفيان وهو مغضبٌ منهم: «كذلك كنتم من قبل فَمَنَّ اللهُ عليكم»، ثم قال: يا نصر لو رأيتني ولي عشر سنين طولي خمسة أشبار، ووجهي كالدينار، وأنا كشعلة النار، ثيابي صغار، وأكمامي قصار، ذيلي بمقدار، نعلي كأذان الفار، أختلف إلى علماء الأمصار كالزهري وعمرو بن دينار، أجلس بينهم كالسمار، محبرتي كالجوزة، ومقلتي كاللوزة، وقلمي كاللوزة، فإذا دخلت المجلس، قالوا أوسعوا للشيخ الصغير».

* وهذا خلفُ بن هشام يقول: «أشكَل عَلَىَّ بَابٌ من النحو فأنفقت ألف درهم حتى حَذَقْتَهُ».

* وهذا أبو يوسف تلميذُ أبي حنيفة: يموت ولده فيغسله، ويكفنه، ويصلي عليه مع المصلين ويوكل أناساً ليدفنوه، ويذهب إلى حلقة علم، وهو يقول: «ذهب الابن وأحتسبه عند الله، وأخشى أن تفوتني مسألة لا تذهب حسرتها من قلبي حتى أموت».

* ثم ها هو عبد الله بن عمرو رضي الله عنه يعلمنا الحرص على تقييد العلم بالكتابة حيث قال: «كنت أكتب كل شيء أسمعُه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش عن ذلك وقالوا: أكتب كل شيء تسمعُه، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكتُ عن الكتابة، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال: «أكتبْ فوالذي نفسي بيده ما يخرج

مني إلا الحق»^(١).

وعن سعيد بن جبير قال: «رُبَّمَا أَتَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَكَتَبْتُ فِي صَحِيفَتِي حَتَّى أَمْلَأَهَا، وَكَتَبْتُ فِي نَعْلِي حَتَّى أَمْلَأَهُ وَكَتَبْتُ فِي كَفِّي، وَرُبَّمَا أَتَيْتُهُ فَلَمْ أَكْتُبْ حَدِيثًا حَتَّى أَرْجِعَ، لَا يَسْأَلُهُ أَحَدٌ عَنْ شَيْءٍ»^(٢).

للنساء نصب في ذلك

إن التطور العلمي الذي تعيشه المرأة الغربية المعاصرة ليوهم كثيراً من الغافلات ويجعلنهم يقدسون تحرير المرأة المزعوم! لأنه في نظرهن سر تعلم المرأة الغربية واقتحامها مجالات العلوم على اختلاف أشكالها وأنواعها.

ورغم أن هذا الوهم الذي تعيشه النساء من ضحايا التغريب، ينطوي على كثير من المغالطات التي يمكن ردها بالجدل العقلي إلا أن سرد أنموذج واحد من نماذج النساء العالمات المسلمات ليهت تلك التقولات، ويوقف القارئ الكريم على حقيقة الإسلام وما له من تأثير فعال في صناعة العلم والعلماء... فهذه امرأة تحفظ ثلاثين مجلداً.

وهي والدة الفقيه الواعظ المفسر زين الدين علي بن إبراهيم بن نجا المعروف بـ (ابن نجبية) سبط الشيخ أبي الفرج الشيرازي الحنبلي. قال ناصح الدين بن الحنبلي: قال لي والدي: زين الدين سعد بدعاء والدته، كانت

(١) رواه أبو داود (٢٦٤٦)، وأحمد (١٦٢/٢) حديث (٦٥١٠)، وابن أبي شيبة (٣١٣/٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٩٦)، وصحيح أبي داود (٣٠٩٩)،

(٢) من أراد التوسع فعليه بكتاب علو الهمة، لشيخنا/ محمد إساعيل المقدم - حفظه الله من ص ١٤١ إلى ص ٢٠٤ ط. مكتبة الخلفاء الراشدين، وكتاب «صلاح الأمة في علو الهمة» تأليف د/ سيد العفاني - المجلد الثاني من ص ٨٠٠ إلى ص ٨٠٥ ط. دار العفاني.



صاحلة حافظة، تعرف التفسير.

قال زين الدين: كنا نسمع من خالي التفسير، ثم أجيء إليها، فتقول: ماذا فسر أخي اليوم؟ فأقول: سورة كذا وكذا، فتقول: ذكر قول فلان؟، فأقول: لا، فتقول: ترك هذا!! وسمعت والدي يقول: كانت تحفظ كتاب الجواهر، وهو ثلاثون مجلدة، تأليف والدها الشيخ أبي الفرج، وأقعدت أربعين سنة في محرابها^(١).

كذلك ذكر التاريخ أن كبار العلماء والمحدثين كانوا يتلقون العلوم عن النساء العاملات فمنهم الإمام أبو مسلم الفراهيدي المحدث، فقد كتب العلم عن سبعين امرأة^(٢). ومنهم الحافظ ابن عساكر الملقب بحافظ الأمة.. كان شيوخه وأساتذته بضع وثمانون من النساء^(٣).

نصيحة ذهبية

يا أخانا في الله لا يَكُنْ همك ما تأكل، وما تشرب، وما تلبس، وما تنكح، وما تسكن فكل هذا هم النفس والطبع، ولكن اسأل نفسك: أين هم القلب؟، فإن هم القلب ما أهمك.. فليكن همك ربك وما عنده.. وفقك الله لمراضيه.

٢- وحتى ييسر الله لك سبيل التفوق في الدراسة العلمية فعليك أن تتحلى بروق طالب

(١) راجع [ذيل طبقات الحنابلة] للإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين (١/ ٤٤٠) ط. العبيكان ٢٠٠٥م.

(٢) ولشديد الأسف في زماننا نرى أكثر النساء والفتيات أعرضن عن طلب العلم، رغم أن التفقه في الدين واجب عليهن كالرجال (خاصة) معرفة أحكام الطهارة والصلاة والصيام، وما يحل وما يحرم من المأكل والمشرب والملبس، انظر الإحكام [راجع الإحكام في أصول الأحكام للإمام ابن حزم الأندلسي تحقيق (أحمد شاكر) (١/ ٣٢٥) ط. دار الاعتصام.

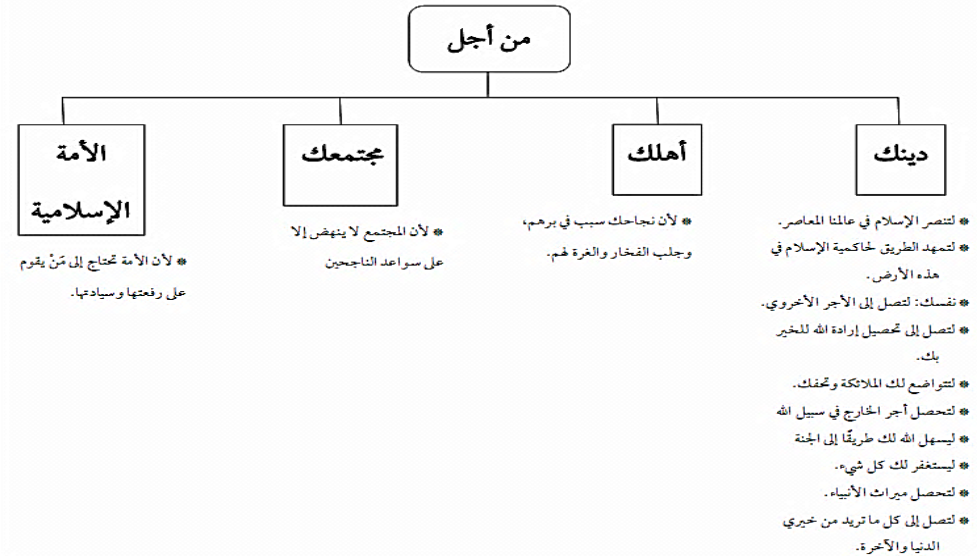
(٣) راجع (المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها) للشيخ/ عبد الله عطيفي الباجوري (٢/ ١٣٨) ط. مكتبة الثقافة الدينية، بالمدينة المنورة، وللتوسع راجع: موسوعة المرأة عبر العصور إعداد مجموعة من الباحثين، المجلد الأول ص ١٢١، المجلد الرابع ص ١٥٨، المجلد الخامس ص ٤٥ ط. وزارة الثقافة الهيئة المصرية العامة للكتاب

العلم المسلم الملتزم، ومن ذلك: النية لأنه لا صلاح للإنسان إلا بعبوديتها لله، والعلم عبادة من العبادات، والنية فيه هي الأصل، فصحيح النية في قصد الطلب بإرادة رضا الرب، ولا تزغ بالنية إلى الحطام فتهلك، ولا تتبع كلام زملائك في هذا الباب، يَمُنُّ يتعلمون ويدرسون للدنيا..

وتذكر دومًا!!

أن طلب العلم بلا نية طاقة مهدرة، وجهدٌ مبعثر، لا يُنال من ورائه ثواب، بل صاحبه معرض للوعيد والحساب، إذ كل علم لا يقود صاحبه إلى خشية الله يُخشى على طالبه^(١). وفي هذا يذكرنا الإمام الغزالي - كما قال ابن جماعة: «وذلك لأن يكون مقصد التعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة، وفي المآل بالقرب من الله - سبحانه - والترقي إلى جوار الملاء الأعلى من الملائكة، وألا يقصد له الرياسة والمال والجاه، وممارسة السفهاء ومباهاة

(١) قبل أن تشرع في المذاكرة... اسأل نفسك: لماذا أذاكر؟! والجواب: (أنت تذاكر وتتفوق):





الأثراب»^(١).

فليكن قلبك سليماً نائياً عن رديء الأخلاق وذميم الصفات وسيء النوايا..
كذلك من صفات طالب العلم المسلم:

* تقوى الله في السر والعلانية: فهي من تمام العدة، وهي مهبط الفضائل، ومنتزل المحامد، وهي مبعث القوة، ومعراج السمو، والرباط الوثيق للقلوب عن الفتن.

* كذلك اجتهد في عمارة الظاهر والباطن بخشية الله تعالى: بأن تكون محافظاً على شعائر الإسلام، وإظهار السنة ونشرها، والعمل بها، والدعوة إليها، دالاً على الله بعلمك وسمتك وعملك، متحلياً بالرجولة، والمساهلة، والسمت الصالح، وملاك ذلك خشية الله تعالى^(٢).

كذلك فإنه يلزمك: أن تطهر قلبك من كل غش، ودنس، وغل، وحسد، وسوء عقيدة، وخلق، ليصلح بذلك لقبول العلم والحفظ والاطلاع على دقائق معاني الطهر وحقائق غوامضه، فإن العلم كما قال بعضهم: «صلاة السر، وعبادة القلب، وقربة الباطن»^(٣).

كذلك عليك بإصلاح نفسك: إذ إن إصلاح النفس أمرٌ لازم حتى يكون المتعلم أرضاً خصبة للعلم، فكما أن الزارع حينما يريد أن يزرع أرضاً فهو يحراثها ويُنقيها ويستخرج ما فيها من شوائب، تهيئةً لما سيذر فيه، كذا الطالب فهو يُهيئ نفسه ويُعدّها لتلقي العلم، فإذا أَصْلَحَ نفسه وطَيَّبَ قلبه ظَهَرَتْ بركة العلم عليه^(٤).

* ثم لا يَغِبُ عن بالك - أخي الطالب للعلم -: أن العالم لا يُعَدُّ عالماً حتى يكون به

(١) راجع: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، للإمام/ إبراهيم بن أبي الفضل سعد الله بن جماعة، ص٦٨، ط. دار الكتب العلمية.

(٢) راجع: حلية طالب العلم، د/ بكر بن عبد الله أبو زيد، ص٧، ط. مؤسسة قرطبة.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم، ص٦٧.

(٤) النهج التربوي للعلماء والمربين المسلمين، د/ يوسف النجار، ص٥٥، ط. دار ابن حزم.



عاملاً، ولهذا قال علي بن أبي طالب: «هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل»^(١). وذكر الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - مثلاً على ذلك فقال: «رجل عَرَفَ صفة الصلاة من السنة، وصار يعمل بها كلما صلى هل ينسى ما علم؟ لا ينسى؛ لأنه تكرر فيه، ولكن إذا ما تَرَكَ العمل به نَسِيَ، وهذا دليلٌ محسوسٌ على أَنَّ العملَ بالعلمِ يُوجِبُ ثبات العلم»^(٢).
* ثم عليك أن تتحلى بآداب النفس: من العفاف، والحلم، والصبر، والتواضع للحق، وسكون الطائر من الوقار، والرزانة، وخفض الجناح، متحملاً ذل التعلم لعزة العلم، ذليلاً للحق.

* عليك أن تحذر داء الجبابة (الكبر): فإن الكِبَرُ والحرص والحسد أول ذنب عُصِيَ الله به، فتطاولك على معلمك كبرياء، واستنكافك عَمَّنْ يُفِيدُكَ مِمَّنْ هو دونك كبرياء، وتقصيرك عن العمل بالعلم حمأة كبر وعنوان حرمان، وكما قيل:

العلمُ حربٌ للفتى المتعالي *** كالسيل حربٌ للمكان العالِي^(٣)

* ثم يجب على طالب العلم أن يتجنب: اللعب، والعبث، والتبذل في المجالس، بالسخف والضحك والقهقهة وكثرة التنادر وإدمان المزاح، والإكثار منه، فإنما يستجاز من المزاح يسيره ونادرة وطريقة، الذي لا يخرج عن حد الأدب وطريقة العلم، فأما متصله وفاحشه وسخيفة وما أُوغِرَ منه الصدور وجَلَبَ الشرور، فإنه مذموم، وكثرة المزاح والضحك يَضَعُ من القدر ويزيل المروءة، ثم لا تَطَأُ بساط مَنْ يغشون في نادهم المنكر، ويهتكون أستار الأدب، متغايياً عن ذلك، فإن فعلت ذلك فإن جنائتك على العلم وأهله

(١) راجع رسالة «اقتضاء العلم العلم» للخطيب البغدادي... تحقيق الشيخ/ الألباني ص ١٠ ط. المكتب الإسلامي.

(٢) شرح حلية طالب العلم، للشيخ/ ابن عثيمين، ص ٣٥، ط. دار البصيرة بالإسكندرية.

(٣) أنصح كل أخ يرغب في التفوق العلمي.. مراجعة كتاب: التعالم، للشيخ/ بكر بن عبد الله أبو زيد (ففيه خيرٌ عظيم)، وكتاب: فضل العلم وآداب طلبته وطرق جمعه وتحصيله، د/ محمد سعيد فهو كتاب نافع جداً في بابه، وكتاب: «سبائك الذهب في كشف آفات الطلب» للشيخ/ أحمد بن أبي العنين ط. مكتبة ابن عباس.





عظيمة.

* ثم عليك أن تتحلى «بالمروءة» وما يحمل إليها من مكارم الأخلاق وطلاقة الوجه، وإفشاء السلام، وتحمل الناس، والأنفة من غير كبرياء، والعزة في غير جبروت، والبذل في سبيل المعروف، حتى تنقطع دونك آمال الرجال..

ثم عليك أن تطلب العلم بأصوله فمن لم يتقن الأصول حُرم الوصول، ومن رام العلم جملة ذهب عنه جملة، وعليه فلا بد من التأصيل والتأسيس لكل فن تطلبه..
واعلم أن الأصل في الطلب أن يكون بطريق التلقين والتلقي عن الأساتيد، والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف وبطون الكتب، وذكر الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - أن في تلقي العلم عن الأشياخ فوائد كثيرة منها:

١ - اختصار الطريق: وهذا لا شك أنه نافع لطالب العلم.

٢ - سرعة الإدراك: لأن الواحد إذا كان يقرأ على عالم فإنه يدرك بسرعة أكثر ممن ذهب يقرأ الكتب.

٣ - الرابطة بين طالب العلم ومعلمه: فيكون ارتباطاً بين أهل العلم من الصغر إلى الكبر، ولكن شريطة أن يختار الإنسان من العلماء مَنْ هو كفء أمين قوي^(١).

* ثم عليك أن تأخذ بمجامع الأدب مع أستاذك ومعلمك، ومن ذلك أن يكون معلمك محل إجلال منك وإكرام وتقدير وتلطف، ويلزمك أن تتأدب معه في الحديث.

وفي ميدان توقير المعلم، يقول ابن جماعة: «ينبغي ألا يخاطب الطالب شيخه بتاء الخطاب وكافه، بل عليه أن يناديه قائلاً: يا سيدي ويا أستاذي، ولا يسميه باسمه إلا مقروناً بما يشعر بتعظيمه»^(٢).

* وعليك أن تحسن عرض السؤال على أستاذك ومعلمك وأن تترك التناول والمهارة

(١) شرح حلية طالب العلم، ص ٨٩، وسيأتي بيان مدى أهمية ذلك.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم، ص ٨٨، ٨٩.



أمامه، وألا تتقدم عليه بكلام أو مسير، وعليك أن تتجنب الإكثار عليه من السؤال - لا سيما - مع شهودِ الملأ، فإنَّ هذا يوجب الغرور لك، وله الملل، قال الزرنوجي: «ومنْ توقير المعلم ألا يمشي أمامه، ولا يجلس مكانه، ولا يتدبَّر بالكلام عنده إلا بإذنه، ولا يُكثر الكلام عنده، ولا يسأل شيئاً عند ملالته، وأن يراعى وقته...»^(١).

* فإذا بدا لك خطأ من أستاذك، أو وهم فلا يُسقطه ذلك من عينيك، فإنه سبب لحرمانك من علمه، واحذر أن تعامله بما يضجره بمعنى: امتحان الشيخ والأستاذ على القدرة العلمية، واحذر ممن يسب العلماء أو يشتم المدرسين والأساتذة المحققين، فإن لحوم العلماء مسمومة، ولا تأخذ علماً شرعياً من مبتدع رافضي أو خارجي أو مرجئ أو قدرى أو قبوري^(٢)، واعلم أن من سجايا الإسلام التحلي بكبر الهمة، فإن كبر الهمة يجلب لك بإذن الله خيراً غير مجذوذ، لترقي إلى درجات الكمال، والتحلي بها يسلب منك سفاسف الآمال والأعمال.

* فإذا أردت الدخول إلى قاعة المحاضرات، فإن لهذا الأمر آداباً، وإلا يصبح الموقف التعليمي أشبه بالفوضى وفي هذا يقول ابن جماعة: «لا يدخل الطالب على الشيخ أو الأستاذ في غير مجلس العلم إلا باستئذان، سواء أكان الشيخ وحده أو كان معه غيره، فإن استأذن بحيث يعلمُ الشيخُ ولم يأذن له انصرف، ولا يكرر فوق ثلاث طرقات بالباب أو الحلقة، وليكن طرق الباب خفيفاً وبأدب، بأظافر الأصابع...»^(٣).

* كذلك فإن على الطالب أن يحترم شيخه ومعلمه وأن يحله وأن يصبر عليه وأن يتحمل قسوته وجفوته، ولا تصده جفوة تصدر من شيخه أو سوء خلق لا يصده ذلك عن ملازمته وحسن عقيدته، ويتأول أفعاله، التي يظهر أن الصواب خلافها على أحسن تأويل، ويبدأ هو

(١) تعليم المتعلم طريق التعلم، للإمام برهان الإسلام الزرنوجي، ص ٧٩، المكتب الإسلامي.

(٢) مستفاد من بحث (حلية طالب العلم)، د/ بكر بن عبد الله أبو زيد ص ٤٠.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم، ص ٥١٥.





عند جفوة الشيخ بالاعتذار والتوبة مما وقع..^(١).

* احرص على الإنصات التام إلى ما يلقيه الأستاذ أو المعلم، بل إذا حضرت مجلس معلمك فلا يكن حضورك إلا حضور مستزيد علم وأجر، لا حضور مستغن بما عندك، طالب عثرة تشنعها، أو غريبة تشيعها، فهذه أفعال الأراذل الذين لا يُفلحون في العلم أبدًا^(٢)، فإنك إذا حضرت على هذه النية، فقد حصلت خيرًا على كل حال، وإن لم تحضر بهذه النية، فجلوسك في منزلك أروح لبدنك، وأكرم لخلقك، وأسلم لدينك.

فإذا حضرت المحاضرات - كما ذكرت لك - فالتزم أحد ثلاثة أوجه، لا رابع لها وهي:
١ - إما أن تسكت سكوت الجهال، فتحصل على أجر النية في المشاهدة، وعلى الثناء عليك بقلة الفضول، وعلى كرم المجالسة ومودة من تجالس.

٢ - فإن لم تفعل فاسأل سؤال المتعلم، فتحصل على هذه المحاسن الأربعة، وعلى خامسة وهي: استزادة العلم، وصفة سؤال المتعلم: هو أن تسأل عما لا تدري لا عما تدري، فإن السؤال عما تدريه سخف، وقلة عقل، وشغل لكلامك، وقطع لزمانك بما لا فائدة فيه، لا لك ولا لغيرك، وربما أدى إلى اكتساب العداوات، وهو يُعدُّ عين الفضول..

٣ - الوجه الثالث: أن تراجع العالم، وصفة ذلك أن تعارض جوابه بما ينقضه نقضًا بينًا، فإن لم يكن ذلك عندك، ولم يكن عندك إلا تكرار قولك أو المعارضة بما لا يراه خصمك معارضة فأمسك؛ لأنك لا تُحصل بتكرار ذلك على أجر زائد ولا على تعليم، بل على الغيظ

(١) راجع «الجامع لأخلاق الراوي والسامع» للخطيب البغدادي (١/ ١٠١)، وانظر مقدمة المجموع للإمام النووي (١/ ٦٣).

(٢) راجع «آداب الدارس والمدرس» تأليف العلامة الشيخ / محمد جمال الدين القاسمي دمشقي - رحمه الله تعالى -، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي ص ٣٨، ٣٩ ط. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، سلسلة (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي).



لك ولخصمك، والعداوة التي ربما أدت إلى المضرات^(١).

* فامتثل أمر أستاذك، واقبل توجيهه ونصيحته، ما لم يأمر بمعصية أو باطل.

- ولا تشغل بغير مادة الدرس للاستفادة منه، مع الانتباه التام لما يقوله المعلم^(٢)، والطالبات كالطلاب في هذه الأخلاقيات وتلك الآداب سواء بسواء.

وتذكر دومًا:

أن العلم لا ينال إلا بالتواضع وإلقاء السمع، فاحترم معلمك، وأجل قدره بالتأدب معه في الحديث والاستماع والهيئة وإيّاك ومحاكاة الفاسدين ممن يهزأون بأساتذة الجامعات ويسخرون منهم، ويتقصونهم، ويقعون في أعراضهم بسبب «إلزامهم بشراء الكتب العلمية» أو المذكرات الدراسية، وتكليفهم بعمل «الأبحاث»،.....^(٣).

(١) مجموعة الرسائل لابن حزم، (١/٤١١، ٤١٢)، ط. دار الكتب العلمية.

(٢) أنصح الطالبات بمراجعة مبحث «الآداب الشرعية للنساء في طلب العلم» تأليف: عمرو عبد المنعم سليم ص ١٨، ٢٧ ط. مؤسسة قرطبة ١٩٩٣ م.

(٣) وجه سؤال إلى بعض أهل العلم نصه:

نحن مجموعة من أعضاء هيئة التدريس بمصر نسأل عن حكم المال الذي نتقاضاه مقابل بيع المذكرات والكتب الدراسية للطلاب، مع العلم بما يلي:

هناك نوع من الإجبار للطلاب على شراء هذه المذكرات أو الكتب الدراسية.

أسعار هذه المذكرات مبالغ فيها لو قورنت بسعر التكلفة، وهذه الأسعار محددة من قبل الجامعة.

حجم استفادة الطلاب من هذه المذكرات في وقتنا الحالي ضعيف جدًا، وأحيانًا تكون الاستفادة شبه معدومة.

مرتبات أعضاء هيئة التدريس في وقتنا الحالي ضعيفة جدًا بالنسبة لاحتياجات الأستاذ الجامعي، وبالتالي يمثل بيع المذكرات مصدر دخل كبير لكثير من أعضاء هيئة التدريس، لدرجة أن البعض يرى أن تسعير هذه المذكرات من قبل الجامعة ما هي إلا طريقة غير مباشرة لتحسين دخل عضو هيئة التدريس.

يخصص عدد من هذه المذكرات لتوزع على بعض الطلاب غير القادرين على شرائها.

يخصص جزء من دخل هذه المذكرات ليوضع في صندوق القسم لشراء بعض الاحتياجات الخاصة بالطلاب.

وكان الجواب: لا بأس أن يقوم أعضاء هيئة التدريس بإعداد مذكرات جيدة نافعة، وبيعها للطلاب بالثمن الذي يترضى عليه الطرفان، ولا يلزم أن يكون الثمن هو ما تكلفه الأستاذ في إعداد المذكرة (أي سعر التكلفة).

=





وأذكرك - أخي الشاب المسلم - أن سوء الأدب مع أساتذتك مروق عن صفات المروءات والأعراف، وزينغ عن سير الأسلاف عليهم السلام ^(١).

فابذل الوسع في الطلب والتحصيل والتدقيق، وابذل الجهد في حفظ العلم «حفظ كتابه»، فقم بكتابة النقاط المهمة في الدرس في دفتر خاص لمراجعتها وحفظها^(٢)، واعلم أن تقييد العلم بالكتابة أمان للعلم من الضياع، واختصار لمسافة البحث عن الاحتياج..

* فإذا أردت التصفح في كتاب من الكتب التي تخدم مادة الدرس الملقاة عليك، فلا تتصفح الكتاب إلا بهدوء شديد، وتذكر قول الشافعي - رحمه الله تعالى - : «كنت أصفح الورقة بين يدي الإمام مالك صفحاً رقيقاً لئلا يسمع وقعها».

أو أن يكون الربح بسيطاً فهذا كله غير لازم، إنها يجب أن يترك الأمر اختياريًا فتضع الهيئة أو الجامعة سعرًا ويترك أمر الشراء من عدمه للطلاب لأن البيع والشراء قائم على التراضي، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ} [النساء: ٢٩] فكل بيع كان عن تراضي من المتبايعين جائز إلا بيعاً حرمه الله ورسوله، والرضا قصد الفعل دون أن يشوبه إكراه، وليس من الإكراه أن تقدر هيئة التدريس أو رئاسة الجامعة مقررات تلزم الطلبة بدراستها، وبالتالي شراؤها إذا لم تكن توزع مجاناً، لأن الطالب دخل في الدراسة الجامعية ملتزماً بلوائح وأنظمة الجامعة، فالرضا بشراء هذه المذكرات حاصل منه ابتداءً.. [راجع موقع.. إسلام ويب.. فتوى ٢١/٥/٢٠٠٦م].

(١) وفي هذا يقول الربيع - رحمه الله: «والله ما اجتأرت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليَّ هيبه له»، كذلك علّمنا أسلافنا أن نشكر أهل العلم على إرشادهم لنا وإصلاحهم لحالنا، فإنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس» ومن مودة المعلم الاعتذار له، ونسب العتب إلى النفس، والإحسان إليه عند الخطأ، والتلطف معه في السؤال والجواب، والحذر من المباهاة والمماراة، وفي هذا يقول الزهري رحمه الله: «كان أبو سلمة يهاري ابن عباس فحرم بذلك علماً كثيراً».

* فأصغ إلى معلمك ولا تنثن عن الاستفهام فيما أشكل عليك من علوم الشريعة، فالسؤال عن الدين شرف، والنكوص عن السؤال والبقاء على الجهل مهانة».

راجع رسالة «توجيهات للمعلمين والمعلمات والطلاب والطالبات» للشيخ/ محمد بن صالح العثيمين من ص ٢٢ إلى ص ٣٥ ط. دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع.

(٢) نداء إلى المربين والمربين لتوجيه البنين والبنات، للشيخ/ محمد بن جميل زينو، ص ٤٨، ط. دار الصميعي.



* فإذا انتهيت من دراستك على يد معلمك، فإنه يجب عليك: أن تنسب الفضل لأهله، ومن ذلك: الاستمرار في ذكر حق المعلم وفضله، في حضوره وغيبته وتعظيم حرمة وقدره، والدعاء له، والاستغفار له وزيارة قبره ما استطعت، وفي هذا يقول ابن جماعة: «أن يوفى للمعلم حقه ولا ينسى فضله، وتعظيم حرمة، ويرد غيبته، ويغضب لها، فإن عجز عن ذلك، قام وفارق ذلك المجلس، وينبغي أن يدعو له مدة حياته، ويرعى ذريته وأقاربه، ويعتمد زيارة قبره والاستغفار له والصدقة عنه، ويسلك في الصمت مسلكه، ويراعي في العلم والدين عادته، ويقتدي بركاته وسكناته، ويتأدب بأدابه، ولا يدعُ الإقتداء به»^(١).

* احذر لصوص التفوق الدراسي

(١) الذنوب والمعاصي: إذ العبد يحرم الرزق بالذنوب يصيبه^(٢)، ولا شك أن النجاح والتفوق رزق، يحرم العبد منه بسبب ذنوبه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَنْ يَحْشُرْهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾^(٣) [طه: ١٢٤].
فاحذر مكدرات التفوق، ومضادات النجاح وأهمها.. (إدمان المعاصي والذنوب صغيرها وكبيرها).

(٢) الرفقة السيئة: من أعظم أسباب الشقاء والفشل، ليس فقط في الدنيا وإنما في الآخرة أيضاً، قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٤) [الزخرف: ٦٧].
(٣) عدم التوازن في الحياة بدعوى «الانشغال الدراسي» مما قد يؤدي إلى جور على أصول وأساسيات كالعبادات، والقراءة، والرياضة.

(١) تذكرة السامع والمتكلم، ص ٩٠.

(٢) أصل الحديث «لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه» هذا الحديث أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٢)، وأحمد (٢٢٨٦)، وابن حبان (٨٧٢) وأحمد (٢٢٣١٢)، وهو حديث حسن لغيره حسنه الترمذي دون زيادة «إن الرجل ليحرم الرزق»





وهذا قد يؤدي إلى ضياع جوانب مهمة في شخصية الشاب الجامعي المسلم^(١).
مثل: الجانب الروحي، الجانب الترفيهي، الجانب الفكري، الجانب السلوكي
والأخلاقي، الجانب الدعوي والتأثيري، الجانب الخدمي والمجتمعي، الجانب الأسري.
وإذا لم يحدث التوازن في حياة الطالب سيتوقف النمو والتفوق لهذا الطالب، وحتى لو
صار هذا الطالب متفوقاً في مجال الدراسة النظرية، إلا أنه سيصبح لا علاقة له بالدين، ونحن
لا نريد متفوقاً ليس له من الصبغة الدينية نصيب.

(٤) عدم إدراك عظم المسؤولية: الشعور بالمسؤولية خلق نبيل يدفع صاحبه إلى تصور
العواقب واتخاذ الأسباب بقدر المستطاع لنيل أجمل ما في تلك العواقب.

ومسؤولية الطالب في الحياة نوعان: مسؤولية عامة: فهو مسؤول عن نفسه في سائر
تصرفاته مثله مثل سائر البشر، وتنوع مسؤولياته في هذا الباب بحسب وصفه، فهو مسئول
عن عقيدته وعبادته وخلقه وشبابه، ومسئول كذلك عن دراسته وما يتعلق بها من أسباب
النجاح والتحصيل.

لا نضيع رأس مالك

أحرص -أخي طالب العلم- على رأس مالك وهو وقتك، فإن الوقت هو الحياة، وعدم
الاهتمام بقيمة الوقت هو من كبريات المشكلات التي تواجه طلاب العلم - إلا من رحم ربي -،
وهذه المشكلة تبدد كثيراً من طاقاتهم، وتُفسد عليهم حياتهم، والكثير منهم - وللأسف
الشديد- لا يعبأون ولا يجزنون لضياع أوقاتهم، مع أنها محسوبة عليهم، فإذا لم يستثمر
الإنسان وقته في الشيء النافع - وخاصة في فترة الشباب - سيجد زهرة عمره قد ضاعت،

(١) انظر إلى «محاضرة تكوين الشخصية الإنسانية في نظر الإسلام» للدكتور/ عبد الله ناصح علوان من ص ١٤ إلى
ص ٤٤ ط. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، وانظر (رسالة إلى كل طالب وطالبة) للأستاذ/ عبد السلام
ياسين من ص ١٩ إلى ص ٢٩ ط. دار البشير للثقافة والعلوم.

ويجد أن هذه الثروة قد فاتته فيندم حينها ولات ساعة مندم...

ولذلك يقول النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»^(١).

* والمغبون: هو الذي يفوته شيء كثير من جهده، أو ماله بدون أن يستفيد منه، فيجب على المسلم ملء الفراغ وشغل الوقت بكل ما هو مثمر حتى يعود ذلك على أهله ومجتمعه والإنسانية جمعاء بالخير في الدين والدنيا والآخرة^(٢).

ولا يدرك الإنسان أهمية الوقت إلا حينما تدهمه المشاغل وتكثر عليه الأعباء، وتضيق أوقاته فيتذكر أنه قد فرط كثيراً في أوقات كان ينبغي أن يستدركها، وأن يستثمرها فيما ينفع، ومما يلاحظ على كثير من الشباب عدم الاهتمام بقيمة الوقت حتى أصبح الوقت العدو للدود لأكثر من الشباب، فتجد الواحد منهم يحاول قتل الوقت بأي شيء.

بالسهر أو السفر أو الحديث مع الزملاء فيما لا ينفع، ثم بعد ذلك ينام كثيراً، يهمل كثيراً في واجباته، ويقتصر في علاقته مع الله تبارك وتعالى، بل وفي حق نفسه أيضاً فيترهل جسمه وتضعف قواه نتيجة لكثرة السهر وطول النوم، وكما قيل: «الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك».

السعيد من وعظ بغيره

لا شك أن العاقل اللبيب هو الذي يتعظ بغيره من أسلافه، فها هو الحسن - رحمه الله - يقول: «أدركت أقواماً أحدهم أشح على عمره منه على درهمه»^(٣)، فاحرص - أخي طالب العلم - على وقتك، واعلم أن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما [وفقك الله لما فيه صلاحك].

(١) رواه البخاري (٦٤١٢).

(٢) منهج السنة النبوية في تربية الإنسان وقايةً وعلاجاً للدكتور/ بدير محمد بدير، (١/ ١١١).

(٣) شرح السنة للبغوي، (١٤/ ٢٢٥).



خطوات مقترحة لتنظيم الوقت:

١ - ذكر نفسك دومًا بقيمة الوقت وأهميته فوق المسلم هو أغلى ما يملك فهو رأس المال، وهو العمر، فإذا انقضى فني رأس المال، ولهذا سَطَرْتُ هذه السطور لبيان أهمية هذا الكنز.

قال الغزالي:

دقات قلب المرء قائله له *** إن الحياة دقائق وثوان
فارفع لنفسك بعد موتك *** فالذكر للإنسان عمر ثان

قال الغزالي: «ويحك يا نفس، ما لك إلا أيام معدودة، هي بضاعتك إن اتجرت فيها، وقد ضيعت أكثرها، فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنك مقصرة في حق نفسك، فكيف إذا ضيعت البقية وأصررت على عادتك، ما أنت إلا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فابني على وجه الأرض قصرك، فإنها بطنها عن قليل يكون قبرك، تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك! وما نفع مال يزيد وعمر ينقص. كم من مستقبل يومًا لا يستكمله، وكم من مؤمل لغد لا يبلغه! اعملي بقية عمرك في أيام قصار لأيام طوال. ومن كانت مطيته الليل والنهار، فإنه يُسار به وإن لم يسر.

- وقيل لداود الطائي: «لو سرحت لحيتك، فقال: إني إذا لفارغ».

- وكان سفيان الثوري يقول: قال: خالد بن الوليد رضي الله عنه «عند الصباح يحمد القوم

السري، وعند الممات يحمد القوم التقى».

- وقال أحمد بن حرب: يا عجبًا لمن يعرف أن الجنة تزين فوقه، وأن النار تسعر تحته،

كيف ينام بينهما؟».

- أخي، إن النهار لن يرجع، والعمر لا يعود، والطالب حثيث.

- أخي، إن كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفسية، لا عروض لها، يمكن أن يُشترى

بها كنز من الكنوز، لا يتناهى نعيمه أبد الآباد، فانقباض هذه الأنفاس ضائعة أو مصروفة إلى

ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل، لا تسمح به نفس عاقل.

أخي، تذكر هذا «يقول الإنسان ياليتني قدمت لحياتي، ثم يقول «أين المفر»؟!

يا نفس: ما لي بضاعة إلا العمر، ومهما فني فقد فني رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح. وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه، وأنسأ في أجلي، وأنعم علي به، ولو توفاني لكنت أتمنى أن يُرجعني إلى الدنيا يوماً واحداً حتى أعمل فيه صالحاً، فاحسبي أنك قد تُوفيت ثم رددت، وإياكي أن تضيعي هذا اليوم؛ فإن كل نفسٍ جوهرة لا قيمة لها، اجتهدني اليوم في أن تعمري خزانتي، ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي أسباب ملكك، ولا تميلي إلى الكسل والدعة فيفونك من درجات عليين ما يدركه غيرك، وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وإن دخلتي الجنة، فألم الغبن حسرته لا تطاق، وإن كان دون ألم النار. وقد قال بعضهم: هَبْ أَنْ الْمَسِيءَ قَدْ عُفِيَ عَنْهُ، أَلَيْسَ قَدْ فَاتَهُ ثَوَابُ الْمُحْسِنِينَ؟!

- أشار به إلى الغبن والحسرة، وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ

الْتَعَابِ﴾ [التغابن: ٩] الآية. فهذه وصيته لنفسه في أوقاته.

وسأعرض لك -أخي الكريم- إحصائية دقيقة تبين أهمية العمر ولزوم الحرص عليه، لعل هذا يثير الغيرة لديك -أخي الطالب- المسلم عالي الهمة.

فلنفرض أن الإنسان يعيش عمراً افتراضياً مدته سبعون سنة، فإذا ضيع الإنسان خمس دقائق يومياً فإن هذا يعني أنه أضاع من مجموع العمر كله ثلاثة أشهر تقريباً (٨٨ يوماً)؛ وهذا الجدول يوضح المسألة أكثر وأكثر.

الوقت من اليوم	مجموع الوقت من العمر الافتراضي	النسبة المئوية
خمس دقائق	ثلاثة أشهر	٣٥.٠٪
عشر دقائق	ستة أشهر	٧١.٠٪
عشرون دقيقة	سنة كاملة	٤٢.١٪



ساعة كاملة	ثلاث سنوات	٢٨.٤٪
عشر ساعات	ثلاثون سنة	٨٥.٤٢٪

* ثم إذا نظرت إلى مجموع الأنشطة التي تستهلك الوقت تجد أنها كثيرة جداً، وهي - وإن كان بعضها ضرورياً - لكن بعضها الآخر غير مفيد، وغير فعال؛ هذا يتضح من الجدول التالي:

نوع النشاط	ما يستغرقه بالسنوات	النسبة المئوية من العمر كله
النوم (بمعدل ثمان ساعات يومياً)	٢٣	٣٢٪
العمل من ٧ ص إلى ٥.٢ م يومياً	٥.٢١	٧.٣٠٪
الأكل والشرب (بمعدل ساعة ونصف يومياً)	٥.٤	٤.٦٪
الأعمال المعتادة والمراجعات الحكومية (بمعدل نصف ساعة)	٥.١	١٤.٢٪
الأعمال المنزلية والرحلات والتنزه (بمعدل ساعة واحدة يومياً)	٣	٢٨.٤٪
اللقاءات الاجتماعية والودية بين الأصدقاء (بمعدل نصف ساعة يومياً)	٥.١	١٤.٢٪
التنقل من مكان لآخر (بمعدل نصف ساعة يومياً)	٥.١	١٤.٢٪
الاتصالات الهاتفية (بمعدل نصف ساعة يومياً)	٥.١	١٤.٢٪

ساعة يوميًا		
المجموع	٦١ سنة	٨٧٪
الباقى	٩ سنوات	٨٥.١٢٪

وأخيرًا...

فإذا حذفت مما سبق فترة المراهقة، وزمن الطفولة، فكم يا ترى يتبقى من الوقت لديك لتحقيق المشاريع الطموحة، والأعمال الكبيرة، والأهداف النبيلة؟!
كذلك إذا كنت من عشاق مشاهدة مباريات كرة القدم، فكم تضع في كل مرة لمشاهدة مباراة لا تقل عن (٩٠ دقيقة)؟!

كم تستغرق من الوقت لمتابعة الأفلام والكتيبات والأغاني وغيرها؟!
وكم تضع من العمر في الشات، والفيس، وتويتر، وانستجرام، وغير ذلك من أدوات الاتصال الحديثة؟!

كل هذا بحاجة ماسة -منك- إلى تأمل، وإعادة نظر، وتصحيح مسار^(١).
١ - لتنظيم وقتك قم بصياغة برنامج يومي ثابت، وتحديد برنامج أسبوعي ثابت مع تحديد أوقات الحاجات الشخصية، والوضع في الاعتبار لجميع الحقوق المتعلقة بك: من العبادة، ومن صلة الرحم، ومن تثقيف نفسك وتعلم ما ينفعك.. الخ، مع الحفاظ على حقوقك وواجباتك، كما ثبت عن رسولنا ﷺ أنه قال: «إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه»^(٢).

(١) هذه السطور مأخوذة من كتاب «صلاح الأمة في علوم الهمة» للشيخ / سيد حسين العفاني» المجلد الرابع من ص ١٨٣: ١٨٦، طبعة مؤسسة الرسالة (الطبعة الثانية)، وللتوسع راجع كتاب قيمة الزمن عند العلماء.. اعتنى به/ عبد الفتاح أبو غدة.. ط. دار السلام.
(٢) رواه البخاري (١١٧/٤) ح (٦١٣٩).





٢- امتلك مفكرة جيب وقم باستحضار وتدوين جميع ما تود القيام به من أمور على اختلاف مراتبها في القوة بما في ذلك حاجات الإنسان الفطرية: «كالأكل والشرب.. إلخ»، ولنأخذ أمثلة تطبيقية لذلك: الصلاة، الأكل والشرب، النوم، قضاء مصالح الأهل، زيارة الأقارب، زيارة الأصدقاء، مراجعة الدروس، القراءة الحرة، حفظ القرآن، الرياضة، الإسهام في الأعمال الخيرية، زيارة أهل العلم، التنزه، مقابلة الأصحاب، واحرص على استحضارية صالحة لتحول العادات والمباحات إلى عبادات.

٣- قم بتوزيع ساعات اليوم على هذه الأمور مراعيًا ما يلي:
(أ) تقدير الأمور بحسب أهميتها.

(ب) مراعاة مناسبة الوقت المعطى لطبيعة العمل، فإذا كان العمل يتطلب جهدًا ذهنيًا كبيرًا، أو جهدًا بدنيًا خاصًا فإنه لا يصح وضعه إلا في الجزء الذي يكون فيه الإنسان قادرًا على الوفاء به بشكل جيد.

(ج) يحسن بك تخصيص أوقات حرة تحسبًا للأمور الطارئة أو لتنفيذ بعض الالتزامات التي قد لا تمكن من الالتزام بها في وقتها مع الحرص الشديد على العمل بهذا الترتيب^(١).

د- عليك بمحاسبة نفسك ذاتيًا كل يوم، لتقيم نفسك، وتكشف الأسباب التي تحول دون تطبيق الجدول الزمني.

(١) نظرات في مشكلات الشباب (٢٥).

وإليك أخي الشاب: الجدول المقترح لتنظيم الوقت:

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة ^(١)
صباحاً						
من ٣٠.٤ - إلى ٣٠.٥ صلاة الفجر جماعة، ثم قراءة الأذكار في المسجد	من ٣٠.٤ - إلى ٣٠.٥ صلاة الفجر جماعة، ثم قراءة الأذكار في المسجد	من ٣٠.٤ - إلى ٣٠.٥ صلاة الفجر جماعة، ثم قراءة الأذكار في المسجد	من ٣٠.٤ - إلى ٣٠.٥ صلاة الفجر جماعة، ثم قراءة الأذكار في المسجد	من ٣٠.٤ - إلى ٣٠.٥ صلاة الفجر جماعة، ثم قراءة الأذكار في المسجد	من ٣٠.٤ - إلى ٣٠.٥ صلاة الفجر جماعة، ثم قراءة الأذكار في المسجد	من ٣٠.٤ - إلى ٣٠.٥ صلاة الفجر جماعة، ثم قراءة الأذكار في المسجد
من ٣٠.٦ - إلى ٣٠.٥	من ٣٠.٦ - إلى ٣٠.٥	من ٣٠.٦ - إلى ٣٠.٥	من ٣٠.٦ - إلى ٣٠.٥	من ٣٠.٦ - إلى ٣٠.٥	من ٣٠.٦ - إلى ٣٠.٥	من ٣٠.٦ - إلى ٣٠.٥
مراجعة وحفظ القرآن وتناول الإفطار.	مراجعة وحفظ القرآن وتناول الإفطار.	مراجعة وحفظ القرآن وتناول الإفطار.	مراجعة وحفظ القرآن وتناول الإفطار.	مراجعة وحفظ القرآن وتناول الإفطار.	رياضة	مراجعة وحفظ القرآن.
من ٨ صباحاً - إلى ٣٠.١ ظهراً	من ٨ صباحاً - إلى ٣٠.١ ظهراً	من ٨ صباحاً - إلى ٣٠.١ ظهراً	من ٨ صباحاً - إلى ٣٠.١ ظهراً	من ٨ صباحاً - إلى ٣٠.١ ظهراً	من ٨ صباحاً - إلى ٣٠.١ ظهراً	من ٧ صباحاً - إلى ٣٠.١ ظهراً
الدراسة وصلاة الظهر في المسجد جماعة.	الدراسة وصلاة الظهر في المسجد جماعة.	الدراسة وصلاة الظهر في المسجد جماعة.	الدراسة وصلاة الظهر في المسجد جماعة.	الدراسة وصلاة الظهر في المسجد جماعة.	الدراسة وصلاة الظهر في المسجد جماعة.	إفطار وقضاء مصالح الأهل.
٢ بعد الظهر - إلى ٣٠.٣ عصرًا	٢ بعد الظهر - إلى ٣٠.٣ عصرًا	٢ بعد الظهر - إلى ٣٠.٣ عصرًا	٢ بعد الظهر - إلى ٣٠.٣ عصرًا	٢ بعد الظهر - إلى ٣٠.٣ عصرًا	من ٣٠.١ - إلى ٣٠.٣ عصرًا	من ٣٠.١ - إلى ٣٠.٣ عصرًا
الغذاء والقيولة.	الغذاء والقيولة.	الغذاء والقيولة.	الغذاء	الغذاء والقيولة.	الغذاء	الاستعداد

(١) لتتعرف على واجبات ومستحبات الأعمال يوم الجمعة راجع رسالة (بغية المرتاد في خصائص ليلة الجمعة ويومها السعيد) إعداد/ محمد أحمد أبو حسن من ص ١٤ إلى ص ٢٤ ط. دار الحرمين بالقاهرة.



لصلاة الجمعة	والقبيلولة،		والقبيلولة.			
من ٣٥.١ إلى ٣٠.٣ عصرًا.	من ٣٠.٣ عصرًا - ٣٠.٣ عصرًا.	من ٣٠.٣ عصرًا - ٣٠.٣ عصرًا.	من ٣٠.٣ عصرًا - ٣٠.٣ عصرًا.	من ٣٠.٣ عصرًا - ٣٠.٣ عصرًا.	من ٣٠.٣ عصرًا - ٣٠.٣ عصرًا.	من ٣٠.٣ عصرًا - ٣٠.٣ عصرًا.
زيارة الأقارب والأصحاب وصلاة العصر	صلاة العصر	صلاة العصر	صلاة العصر	صلاة العصر	صلاة العصر	صلاة العصر
مساء						
من ٣٥.٣ إلى ٥ عصرًا: إلى مغربًا	من ٣٠.٤ إلى ٥ عصرًا: إلى مغربًا.	من ٣٠.٤ عصرًا إلى ٥ مغربًا.	من ٣٠.٤ إلى ٥ عصرًا: إلى ليلاً.	من ٣٠.٤ إلى ٥ عصرًا: إلى ليلاً.	من ٣٠.٤ عصرًا إلى ٥ ليلاً.	من ٣٠.٤ عصرًا إلى ٥ ليلاً.
الغذاء و الراحة و الدعاء قبل غروب الشمس بساعة + الأذكار	نزهة ورحلات مع الصالحين + الأذكار	وقت حر + قراءة أذكار المساء	مراجعة واستذكار الدروس و قراءة الأذكار	مراجعة واستذكار الدروس و قراءة الأذكار	مراجعة واستذكار الدروس و قراءة الأذكار	مراجعة واستذكار الدروس و قراءة الأذكار
٦:٣٠.٤ اشترك في أعمال خيرية وقراءة الأذكار	٣٠.٦-٦	٣٠.٦-٦	٣٠.٦-٦	٣٠.٦-٦	٣٠.٦-٦	٣٠.٦-٦
صلاة المغرب	صلاة المغرب	صلاة المغرب	صلاة المغرب	صلاة المغرب + الإفطار بعد الصيام	صلاة المغرب	صلاة المغرب
من ٣٥.٥ مغربًا إلى ٣٥.٦ ليلاً	من ٣٥.٥ مغربًا إلى	من ٣٥.٥ إلى ٣٠.٦ مغربًا	من ٣٥.٥ مغربًا إلى	من ٣٥.٥ مغربًا إلى ٣٠.٦ مغربًا	من ٣٥.٥ مغربًا إلى ٣٠.٦ مغربًا	من ٣٥.٥ مغربًا إلى ٣٠.٦ مغربًا



	٣٠.٦ مغرباً		٣٠.٦ مغرباً			
قضاء مصالح الأهل	حضور درس خاص «كورسات» ودروس خاصة	محاضرة بالكلية	حضور درس خاص «كورسات» أو دورات خاصة	ممارسة الرياضة	زيارة الأصدقاء في الله	حضور درس عام «إيماني» أو «علمي»
٣٠.٩ - ٣٥.٧	٨ - ٣٥.٧	٣٠.٩ - ٣٥.٧	٨: ٣٥.٧	٣٠.٩: ٣٥.٧	٣٠.٨ - ٣٥.٧	٨: ٣٠.٦
صلاة العشاء وتناول العشاء	صلاة العشاء	صلاة العشاء وتناول العشاء	صلاة العشاء	صلاة العشاء وتناول العشاء	صلاة العشاء وتناول العشاء	مراجعة واستذكار وصلاة العشاء والسنن الراتبية
من ٣٠.٧ ليلاً إلى العاشرة ليلاً	من ٣٠.٧ ليلاً إلى العاشرة ليلاً	من ٣٠.٧ ليلاً إلى العاشرة ليلاً	من ٣٠.٧ ليلاً إلى العاشرة ليلاً	من ٣٠.٧ ليلاً إلى العاشرة ليلاً	من ٣٠.٧ ليلاً إلى العاشرة ليلاً	من ٣٠.٧ ليلاً إلى العاشرة ليلاً
العودة مبكراً إلى المنزل، فهور الانتهاء من صلاة الجماعة، ومذاكرة المواد الدراسية + مشاهدة النافع المفيد من البرامج الحوارية، ونشرة الأخبار	«جرس خاص بالدراسة» + لقاء مع الزملاء والأصحاب	العودة مبكراً إلى المنزل، + مذاكرة المواد الدراسية + قراءة حرة مع الاطلاع على النافع المفيد على النت	قضاء مصالح شخصية + المذاكرة + مشاهدة أهم البرامج النافعة	درس خاص بالدراسة + ممارسة الرياضة + الجلوس مع الأهل	وقت حر بشرط «عدم مخالفة الشرع»	زيارة الأهل والأحباب + الاشتراك في أعمال خيرية وصنائع المعروف + ممارسة عبادة الدعوة إلى الله
من ١٠.١٠ ليلاً إلى ٣٥.١٠ ليلاً	من ١٥.١٠ ليلاً إلى ٤٠.١٠ ليلاً	من ١٥.١٠ ليلاً إلى ٣٥.١٠ ليلاً	من ١٥.١٠ ليلاً إلى ٤٠.١٠ ليلاً	من ١٥.١٠ ليلاً إلى ٤٥.١٠ ليلاً	من ٢٠.١٠ ليلاً إلى ٤٥.١٠ ليلاً	من ١٥.١٠ ليلاً إلى ٤٠.١٠ ليلاً
تناول العشاء + النوم مبكراً بعد	تناول السحور + النوم مبكراً بعد	تناول العشاء + النوم مبكراً بعد	الجلوس مع الأهل + تناول العشاء	اتصالات مهمة + تناول العشاء	مشاهدة البرامج النافعة + النوم مبكراً بعد	تناول العشاء + النوم مبكراً بعد





قراءة الأذكار	تناول العشاء + النوم مبكرًا بعد قراءة الأذكار	تناول العشاء + النوم مبكرًا بعد قراءة الأذكار	قراءة الأذكار	قرآن الأذكار	قراءة الأذكار
من ٤ صباحًا وحتى آذان الفجر	من ٤ صباحًا وحتى آذان الفجر	من ٤ صباحًا وحتى آذان الفجر	من ٤ صباحًا وحتى آذان الفجر	من ٤ صباحًا وحتى آذان الفجر	من ٤ صباحًا وحتى آذان الفجر
قيام الليل + الوتر + مراجعة على المحفوظات	قيام الليل + الوتر + دعاء	قيام الليل + الوتر + استغفار	قيام الليل + الوتر + مراجعة على المحفوظات	قيام الليل + الوتر + مناجاة	قيام الليل +الوتر+ استغفار

* يُراعى تنظيم الأوقات تبعًا لظروف كل واحدٍ الشخصية مع الحرص على:

- تغليب هم الآخرة في استثمار الأوقات، وتقديمه على كل المنافع والمصالح الدنيوية.
- الاستفادة من الغير في الحفاظ على الوقت.
- عدم المجاملة في التصرف في الوقت.
- عدم تضييع الفرص المتاحة في استثمار الوقت.
- ترتيب الأهداف والأولويات وتقديم الأهم على المهم عند تزامن الواجبات والأعمال.
- استثمار الأوقات الفارغة في عملٍ للدين أو عملٍ للدنيا^(١).

(١) أنصح -أخي الشاب- أن يحرص على الانتفاع بوقته في النافع المفيد في (الدين والدنيا والآخرة)، كذلك فاحرص أن تسعى لاستثمار الأوقات في تعلم حرفة أو عملٍ يُدرُّ عليه شيئًا من المال (لتساعد به أهلَكَ في نفقاتك الدراسية والخاصة بك، ولتخفف عنهم العبء)، وإياك وما يروِّجه شياطين الإنس والجن من زعمهم.. أن (العمل إهانة للشباب الجامعي)، بل توكل على الله وتعلم ما ينفعك في دينك ودنياك.



- احذر.. مضيعات الوقت^(١)، ويمكنك في هذا الاستعانة بعد الله تعالى بالكتب التالية:

* فن إدارة الوقت لـ (دليل كارنيجي).

* إدارة الوقت د/ نادر أحمد أبو شيخة.

* إدارة الوقت، لمجموعة من الخبراء، ترجمة وليد عبد اللطيف عواضة، وهي عبارة عن

٥٩ بحثاً لمجموعة من الخبراء المتخصصين.

وأنصح بالاطلاع على: «الحث على التجارة والصناعة والعمل.. والإنكار على مَنْ يدعي التوكل في ترك العمل» للإمام أبي بكر أحمد بن محمد الخلال البغدادي، اعتنى به (عبد الفتاح أبو غدة) ط. مكتبة المطبوعات الإسلامية - بحلب، وكتاب «الاكتساب في الرزق المستطاب» للإمام الشيباني تحقيق (عبد الله المنشاوي) ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب - مشروع القراءة للجميع ٢٠٠٨ م - سلسلة (التراث).

(١) احذر مضيعات الوقت وهي كثيرة منها:

- ١- اللقاءات والاجتماعات غير المفيدة، سواء كانت عائلية أو أخوية بين الأصدقاء.
 - ٢- الزيارات المفاجئة من البطالين الفارغين ممن لا شغل لهم.
 - ٣- التردد في اتخاذ القرار.
 - ٤- توكيل غير الكفاء في القيام بالأعمال، وهو ما يُسمى بالتفويض غير الفعال.
 - ٥- الاتصالات الهاتفية الزائدة عند الحد.
 - ٦- القراءة غير المفيدة، ويدخل فيها فضول العلم عند تقديمها على الفاضل منه.
 - ٧- بدء العمل بصورة ارتجالية قبل التفكير فيه.
 - ٨- الاهتمام بالمسائل الروتينية قليلة الأهمية.
 - ٩- تراكم الأوراق وكثرتها وعدم ترتيبها على المكتب.
 - ١٠- عدم القدرة على قول «لا» أو ما يمكن ان نسميه بالمجاملة في إهداء وقتك لكل مَنْ هب ودبّ بدون حدود، فضلاً عن الإكثار من التسويف والتأجيل.
 - ١١- إغفال واجب الوقت، حيث إن لكل وقت ما يملؤه من العمل، ولكل عمل وقت يناسبه.
 - ١٢- الارتجالية في وضع الخطة لوقتك من أسباب تضييع الوقت.
- ولعلاج كل هذا.. أنصح بالاطلاع على رسالة «فن إدارة الوقت» جمع وإعداد د/ عبد الله بن مبارك آل سيف من ص ٤٧: ص ٥٨ ط. دار طيبة للنشر والتوزيع، وكتاب «الدليل الشامل للنجاح والسعادة» خطوة خطوة د/ سعد رياض ط. دار خالد بن الوليد، ومحاضرة «فن القراءة» للدكتور الفاضل/ محمد أبو موسى، على اليوتيوب.





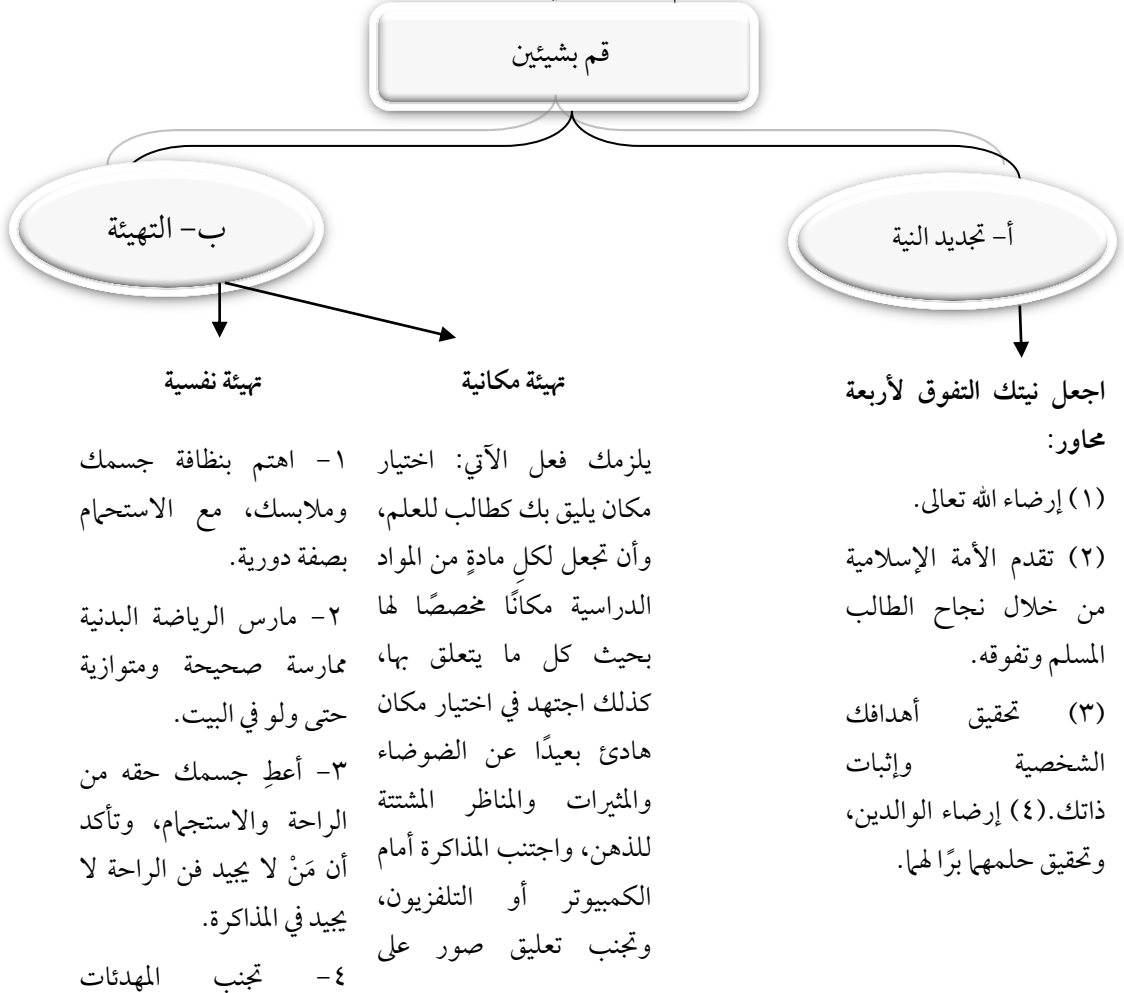
* إدارة الوقت للدكتور/ إبراهيم الفقي .

* أساليب إدارة الوقت، سعود محمد النمر .

٥- احذر فوضى المذاكرة غير المنهجية.... إذ لا يمكن أن تتفوق في دراستك إلا بعد أن

تتعلم كيف تنظم أحوال مذاكرتك؟

١- قبل المذاكرة: عليك أن تقوم بعمل الآتي:





الحوائط أو عبر وسائل الاتصال الحديثة مما قد يششت تمامًا.

انتباهك، وأيضًا تجنب غرف النوم، أو المذاكرة على سرير نومك، بل ذاكر في غرفة درجة حرارتها مناسبة من (٢٥: ٣٠) درجة مئوية، وتكون غرفة جيدة التهوية، وأن تكون الإضاءة غير مباشرة على العين بل على الكتاب، واحرص أن يكون المكتب والكرسي مريحًا، ولا تضع عليه إلا كتب المادة التي ستذاكرها فقط الآن، واجلس جلسة صحيحة بحيث يكون ظهرك مستقيمًا وابتعد الكتاب عن عينيك مسافة لا تقل عن ٣٠ سم، وعليك بقراءة جزء من كتاب الله تعالى قبل أن تبدأ مذاكرتك، مع سؤال الله تعالى أن ييسر لك سبل الفهم، فإن في هذا تجليةً وصفاءً لقلبك، وبذلك تصل إلى بغيتك وهدفك..

٥- قم بكشف طبي دوري عند الطبيب، ولا تهمل في علاج أي مرض مهما كان. ٦- أكثر من شرب الماء والسوائل والعصائر المغذية الطازجة، واقنع باليسير من الأكل، وتخفف منه قدر استطاعتك لأنه إذا جاءت البطنة ذهبت الفطنة، ولا مانع من اتباع نظام غذائي سليم ومتوازن.

٧- ركز على الأطعمة التي تنشط الذاكرة وتساعد على التركيز وتقوي الذكاء، ك (فيتامين ب)، المركب إذ له تأثير على تحويل المواد الكربوهيدراتية إلى مواد ناقلية للموجات العصبية داخل المخ، فيزداد النشاط الذهني (وهو متوفر في الفواكه، والخضراوات الطازجة، والمنتجات الحيوانية، والألبان، والبقوليات).





وقد ذكرت منظمة الصحة
العالمية أن تناول الأغذية
الغنية بالحديد يؤدي إلى
تفاذي حالات ضعف
التحصيل الدراسي، ويقوي
الدورة الدموية، ووصول
الدم بقدر كافٍ إلى المخ، مع
أهمية توافر عنصر «اليود»
الذي يؤدي إلى اكتمال عنصر
نمو المخ، وتقدم النضج
الذهني.

كذلك فأكل عسل النحل مع
الحبة السوداء (حبة البركة)
والذي يحوي على معادي
كالحديد، والمغنسيوم،
والفوسفور، والكالسيوم،
والنحاس»

هناك خمس قواعد مهمة قبل المذاكرة وهي:

- ١ - الاستعانة بالله.
- ٢ - لا يمكن أن تتلقى بدون أن تحب.
- ٣ - وهبك الله قدرات فلا تهملها.
- ٤ - العطاء = الأخذ
- ٥ - الفشل مجرد حدث عابر يمكن تجاوزه.

المذاكرة الجيدة.. كيف؟!

- ١ - اجتهد في التعرف على الطريقة المثالية للمذاكرة التي تناسبك، وتناسب قدراتك الذهنية والعقلية، واعلم أن العبقرية ١٪ ذكاء، و ٩٩٪ توفيق ومجهود وبذل منظم.
- وقبل كل هذا، وبعده استعن بربك - جل جلاله، فالوفق من وفقه الله، والمخذول من خذله الله.
- * كن منظمًا: يعني حدد مكان المذاكرة بشرط أن يكون خاليًا من المشتتات السمعية والبصرية، وأن يكون ذا رائحة طيبة، وأن يكون جيد التهوية.
- * ثم حدد المواد المطلوبة منك في هذا العام ثم ابدأ في وضع جدول توزع به أيام الأسبوع بالإضافة إلى المواد.
- * وزع الوقت بالتساوي بين المواد المتشابهة وأعط المادة الصعبة والطويلة وقتًا إضافيًا لفهمها واستيعابها.
- * ابدأ بالمواد التي تحب ثم المواد الأكثر صعوبة بالنسبة لك، ولا تجعل المواد الصعبة وراء بعضها، كذلك لا تجعل المواد النظرية وراء بعضها بل افصل بينها بمواد عملية.
- * لا تجعل المواد النظرية وراء بعضها، بل افصل بينها بمواد علمية.
- * واجعل وقتًا للراحة تستغله في الترفيه المباح شرعًا، وليكن ٢ ساعة (وحاول أن يكون في





نفس مكان المذاكرة)، واجعل وقتًا ثابتًا للمذاكرة وليكن ٥ ساعات، ووقتًا للطعام ٢ ساعة، ووقتًا للدروس ٦ ساعات، ووقتًا للصلاة ساعة.

* رتب مواد مذاكرتك على أوقات الصلوات ففي هذا خير كبير لك إن شاء الله، واجعل من أوقات الصلاة حدودًا فاصلة بين أوقات المذاكرة.

* اجعل لك يومًا من أيام الأسبوع وليكن يوم الجمعة لمراجعة ما أخذته خلال الأسبوع، وقسمه بين المواد^(١).

٢- وقت المذاكرة: قبل الفجر بساعة أو أكثر (حيث وقت التنزل الإلهي واستجابة الدعاء) قال ابن جماعة: «ينبغي على الطالب أن يقسم أوقات ليله ونهاره ويغتني ما بقي من عمره فإن بقيّة العمر لا قيمة له، وأجود الأوقات للحفظ: الأسحار، وللبحث: الإبحار، وللكتابة: وسط النهار وللمطالعة والمذاكرة: الليل»^(٢).

٣- حدد ساعات المذاكرة كل يوم.. مثلاً يوم السبت: سأذاكر ست ساعات، يوم الأحد سأذاكر تسع ساعات.. إلخ، واجعل وقت الفجر -عمومًا- للدروس التي تحتاج إلى مزيد من التفكير حيث يكون الذهن نشيطاً، واجعل وقت العصر والمغرب للدروس والكورسات والمحاضرات، وما بعد العشاء للدروس التي تحتاج إلى تطبيقات عملية.

٤- ليكن شعارك دومًا: «لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد»، ثم تعهّد ما ذاكرته بالمراجعة فإن هذا يُبعدك عن النسيان.

٥- حدّد الجزء الذي ستبدأ مذاكرته.. اقرأه بسرعة ولا تقطع مذاكرتك بحديث خارجي..

(١) انظر يوميات طالب مجتهد، للدكتور/ عطاء بركات، ص٢٣، ط. زهرة المدائن.

(٢) راجع تذكرة السامع والمتكلم، ص٧٢، فائدة: تفضل المذاكرة في هذه الأوقات -خاصة- قبيل الفجر لأن الأوكسجين في هذا الوقت يكون ثلاثيًا مما يعطي للإنسان نشاطاً غير عادي، والذين يصلون الفجر يستشقونه حتى تطلع الشمس.

كذلك.. بعد الفجر (يكون نقاء للذهن حيث خلو البطن).



وحدد النقاط المهمة في هذا الموضوع، ثم ضع تحتها خطوطاً تظهرها، وابدأ في عنصرة الموضوع، واحفظ هذه العناصر جيداً، وابدأ في قراءة ومذاكرة الموضوع مرة أخرى، واكتبه من ذاكرتك ثم صحّحه على الكتاب، وضع نفسك مكان الممتحن وضع لنفسك أسئلةً بأشكالها المعروفة، ثم حل هذه الأسئلة.

٦- مذاكرتك اليومية يجب أن تحتوي على: جزء من مادة تحتاج إلى حفظ، ومادة تحتاج إلى فهم، ومادة تحتاج إلى حل...

٧- اجعل فترة مذاكرة المادة ساعة أو ساعة ونصف على الأكثر، واجعل عدد المواد التي ستذاكر في اليوم لا تزيد عن ثلاثة مواد دراسية. (مادة حل، مادة فهم، مادة حفظ).

٨- ابدأ بالمواد التي تتطلب وقتاً قليلاً، لأنها ستعطيك قدرًا من الثقة.

٩- عليك بتقوية الرغبة في المذاكرة عن طريق..

- المنافسة مع الأصدقاء.

- أن تضع لنفسك جائزة، تطلبها وتحدها إذا ما تمّ إنجاز المطلوب منك بنجاح.

- ضع ورقة على باب غرفتك، مكتوب عليها... (كن أول دفعتك)، (كن بطلاً)، (العلماء ورثة الأنبياء).

- الدعاء بإلحاح شديد أن يوفقك الله، وأن يفتح لك مغاليق عقلك.

- طلب الدعاء من الوالدين.

- تذكر يوم نتيجة الامتحان.

١٠- لا تكن سلبياً: بمعنى أنه إذا صعب عليك شيء من المواد الدراسية فكن إيجابياً، واسأل عنه إخوانك وأقرانك^(١) ثم أسألتك، حتى تصل إلى فقه هذا الشيء وإلى حله الصحيح،

(١) بشرط.. أن يكون هذا الزميل شاباً صالحاً. فالرفيق قرين ثانٍ، فإن كان صالحاً فقد أعان، وإن كانت الأخرى فقد أفسد، فاحذر جليس السوء فهو يفت في عضد الطموح، وسيجعلك في مصاف متأخري المجتمعات، فغاية البطالين إشغال وتسويق وتأميل.





وأحذرك من التعالي والكبر بما منحك الله من قدراتٍ جيدة على التحصيل، كذلك فإن الثقة الزائدة بالنفس قد تجعل الإنسان متواكلاً مستهتراً فتواضع واخفض الجناح..

١١- تحذّر نفسك وقدراتك دائماً، واقتل كلمة «مستحيل»، فالأمل دائماً موجود، فإذا صَبَرْتَ وثابرت وصلت إلى النتائج المرجوة بإذن الله.

١٢- الحذر من العوائق والآفات التي تمنع من مواصلة سير الطالب، فالحفظ والمدارسة لا يثبت بحضرة الشواغل والصوارف، وتذكر أن في الملهيّات الحضارية المحظورة، والمحطات الفضائية المشبوهة إشغالاً للأفكار، وعيشاً في الأوهام، وإهداراً للأوقات..

١٣- احذر معوقات التحصيل الجيد، ومنها:

* عدم قدرتي على الحفظ الجيد.

* مشكلة الفتور والكسل.

* عدم معرفة طرق المذاكرة الصحيحة.

* شرود الذهن (السرхан).

* ظاهرة التراكم للدروس العلمية.

* عدم التركيز أثناء المذاكرة.

* إضاعة الوقت فيما لا يفيد ولا ينفع.

* المشكلات المختلفة (كالمشكلات الاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية...)

وفي مجانبة ذلك: صيانة للإيمان، وصفاء الأذهان، وحفظ الأزمان، ومساابقة الأقران..

فاحفظ سمعك وبصرك عمّا يلوّث فكرك، ويُسِيء إلى سلوكك، ويُفسد أخلاقيّاتك، ويجعلك تنبذ العلم وتظل في الحضيض.

- والزم صحبة الصالحين، فنعم العون هم على أمور الدنيا والدين، وحُثُّ رفقاءك على تحصيل العلم في الدنيا وفي الدين، ولا تحسد ذا نعمةٍ على نعمته بالحفظ والفهم، وسل المنعم التوفيق دوماً، فالعون من الوهاب لا بالركون إلى الأسباب.



- من أسباب الفشل الدراسي:

عدم تعليم الطلاب منذ البداية الطرق العلمية الصحيحة للمذاكرة والفهم والابتكار...
وإليك بعض الطرق المبتكرة للمذاكرة:

للمذاكرة طريقتان:

- ١ - طريقة رئيسة (طريقة الألوان والمسح الشامل).
 - ٢ - طريقتان ابتكاريّتان تكميليتان (الكومودينو + جسر الحمار)
- وهذه الطرق ليست بديلة لبعضها عن بعض، ولكنها مكملّة لبعضها البعض بهدف السيطرة الكاملة على المعلومات بمجهود أقل ووقت أيسر.
- ١ - المسح الشامل ١: عن طريق قراءة المحاضرة بالكامل كقراءة الجرنال بدون تركيز أو محاولة للحفظ - يعني مثلاً المحاضرة المكونة من ٣٠ صفحة تقرأ في ١٠ دقائق. والغرض من هذا الجزء من الطريقة إحداث ألفة بين القارئ والأوراق وهذا في غاية الأهمية من الناحية النفسية.
 - ٢ - مرحلة التلوين: عن طريق تلوين العناوين الرئيسة والفرعية وتحت الفرعية والكلمات المهمة في بعض الفقرات. وهذه المرحلة تعرف الطالب بالإطار العام للمحاضرة وتمنحه شيئاً من السيطرة على المحاضرة وفي نفس الوقت تضاعف الألفة بينه وبين الأوراق. وهذه المرحلة تستغرق حوالي ١٠ دقائق أيضاً.
 - ٣ - مرحلة الاستيعاب السريع: في هذه المرحلة يقرأ الطالب المحاضرة ببطء نسبياً ولكن ليس معنى هذا أن يقرأ الصفحة في ساعة أو حتى نصف ساعة ولكن تقريباً ٤-٧ دقائق تقريباً للصفحة (بعيداً عن السرحان أو تخيل ما وراء السطور ولو وصل الأمر إلى تأجيل فهم بعض النقاط حيث إنه بالتقدم في المنهج ستفك غموض الأجزاء القديمة المجملّة).
 - ٤ - المسح الشامل ٢: مثل الخطوة رقم ١ تماماً.





٥ - بعد ذلك تترك المحاضرة تمامًا وبعد ٤-٥ أيام، ثم تعمل مسحًا سريعًا مرة أخرى في ١٠ دقائق وتكرره كل عدة أيام.

◀ ملاحظات:

مدمنو الطريقة الكلاسيكية المستخدمة في الثانوية العامة وهي طريقة «الحفظ التام أو الموت الزؤام» ومذاكرة الصفحة في ساعة وعدم الانتقال من الصفحة إلا بعد القضاء عليها حفظًا - يظنون عدم جدوى طريقة التلوين والمسح الشامل ولكن يقول علماء النفس: إن المعلومات التي يحصلها الإنسان ينساها خلال ١٠ أيام تقريبًا حسب منحني النسيان وهذا طبيعي عند كل البشر مهما كان مستوى حفظك لهذه المحاضرة.

ولكن طريقة التلوين والمسح الشامل توفر بقليل من المجهود والوقت الاحتفاظ بالمعلومة لوقت طويل جدًا وتجديدها من خلال المسح الشامل وقد أثبتت الإحصائيات أن الطلاب والطالبات الذين يستعملون هذه الطريقة لا يقلون عن تقدير ممتاز خصوصًا مع الكم الهائل من المعلومات الموجودة في المحاضرات والتي يُطلب من الطالب قراءتها واستيعابها ليلة الامتحان.

وحتى تغير طريقتك التقليدية إلى هذه الطريقة لابد أن تتغير تدريجيًا، وتكرر، وتصبر ولا تيأس حتى تتعود عليها وتصير أسلوب مذاكرة لديك.

طريقة الكومودينو:

تخصص هذه الطريقة التكميلية الابتكارية للسيطرة على الرسومات (مثل دورات الحياة في علم الطفيليات، وعلم الحيوان ورسومات النبات والعقاقير ورسومات التحليل الآلي والعقاقير التطبيقي مثل الـ UV, IR) وصور الأجهزة (مثل أجهزة الصيدلانيات والصيدلة الصناعية والكروماتو جرافي في العقاقير التطبيقي) والصيغ الجزيئية للمركبات الكيميائية (مثل الكيمياء العضوية والحيوية والفيتو والكيمياء الصيدلانية... إلخ).



تتلخص هذه الطريقة في إعداد مجموعة من الأوراق البيضاء ثم ترسم محتويات كل محاضرة من الصيغ الجزيئية للمركبات (مثلاً) في الورق وتضع مجهوداً لكل مركب وفي آخر ورقة تضع هذا الورق على الكومودينو، وقبل الاستلقاء للنوم انظر نظرة عابرة في الأوراق، وحاول التعرف على الصور ثم اكتب تخميناً بمفتاح الإجابة في الورقة الأخيرة ثم كرر ذلك يومياً أو يومًا بعد يوم، وبعد عدة مرات ستجد نفسك قد حفظت تلك الرسومات بشكل غير عادي.

ملحوظة: تعتمد هذه الطريقة على وقت ما قبل النوم حيث تكون الذاكرة والاستيعاب أعلى ما يمكن ولو لم يتم بذل مجهود كبير في التركيز كما يقول علماء النفس.

طريقة جسر الحمار:

تعالج هذه الطريقة ضعف حفظ العناصر الكثيرة عندما يطلب استظهارها. يعني مثلاً ما هي العوامل التي تؤثر على ظاهرة معينة؟ وتكون الإجابة ٢٥ نقطة - كيف تذكرها دون أن تغفل نقطة واحدة (مثل مادة الصيدلانيات والصحة العامة والصيدلة الصناعية والميكروبيولوجي والمعلومات الدوائية والعلاج الدوائي والفارما كولوجي والسموم).

تتلخص هذه الطريقة في تحديد كلمات مفتاحية (أي الكلمات المميزة) في كل عنصر، ثم تأخذ الحرف الأول من كل كلمة من هذه الكلمات المفتاحية ثم تقوم بتكوين جسر الحمار (كلمة مميزة ذات معنى فكاهي أو مرتبطة بشيء مميز) حيث يشير كل حرف لكلمة مفتاحية وكل كلمة مفتاحية توصل إلى العنصر بأكمله.

حل مشكلتك

* كيف تحفظ؟

يتساءل كثير من الطلاب: كيف أحفظ؟ وكيف أقوى ذاكرتي؟ وإليك الجواب بحول الملك الوهاب:





كي تحقق أعلى الدرجات وأفضل النتائج لابد أن تحفظ ثم تحفظ، ثم تحفظ، لأن طالبًا متوسط الذكاء مع اجتهاده في الحفظ أفضل من طالب عالي الذكاء مع عدم الحفظ. أولاً: تخير الوقت المناسب للحفظ وهو: وقت السحر (قبل الفجر مباشرة)، أو بعد صلاة الفجر، قال الخطيب: «أجود أوقات الحفظ الأسحار، ثم وسط النهار ثم الغداة، وقال: حفظ الليل انفع من وقت النهار، ووقت الجوع أفضل من وقت الشبع»، ثم إن أجود أماكن الحفظ الغرفة، وكل موضع بعيد عن الملهيات، وليس بمحمود الحفظ في حضرة النبات والخضرة والأنهار وقوارع الطرق، وضجيج الأصوات؛ لأنها تمنع من خلو القلب غالباً^(١)، واحذر المعاصي فإنها ظلمات لا يعلم مداها إلا الله، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إني لأحسب الرجل ينسى العلم يعلمه بالذنب يعمل»^(٢).

ثانياً: لا تحاول أن تحفظ شيئاً قبل أن تفهمه.. فافهم أولاً ثم احفظ. ثالثاً: لا تحفظ عناصر أكثر من موضوع واحد في وقت واحد دون توقف، فإن هذا يؤدي إلى تداخل الموضوعات، واعلم أن الحفظ الموزع هو الأفضل، بدلاً من الحفظ المتواصل بدون فترة راحة.

رابعاً: عليك بالدعاء أن ييسر الله لك سبل الحفظ والفهم. خامساً: استخدم كل الحواس في عملية الحفظ، كأن تنظر إلى الورقة التي تقرأها بصوت عالٍ مسموع، وأن تكتب ما تحفظه أكثر من مرة، مع مراجعته باستمرار. سادساً: اشرح المعلومة بعد حفظها.. فشرح المعلومات (عن طريق التلخيص اليدوي، والرسم البياني) وحل التدريبات الكثيرة) يدل على أنك قد استوعبتها جيداً، واستعن بعد الله - بزميل لك، لتسمع ما حفظته، أو أكتبه وراجعه مرة أخرى.

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص ٧٢.

(٢) أخرجه البيهقي في المدخل (١٤٨٧)، والبغدادى في «الجامع» (٢/ ٢٥٨).



سابعاً: اعلم أن قوة الحفظ وضبطه من جليل المزايا التي يتقدم بها الطالب على أقرانه، والعلم محله الصدور، ولا تُحجد مكانة الكتاب المسطور، ولكن الكتاب كفيلاً بحفظ العلم، وحفظ الصدر كفيلاً باستحضاره، فيكون المحفوظ مع طالب العلم أينما حلّ وارتحل.

ولهذا قال الشاعر قديماً:

وليس بعلمٍ ما حوى القِمَطْرُ *** ما العلم إلا ما حواه الصدر
فذاك فيه شرفٌ وفخرٌ *** وزينة جليّة وقدرٌ^(١)

وجملة القول: أن الحفظ شرف لا يعدله شرف في ميدان العلم، كما أن الحفظ المجرد عن الفهم لا يوازي قوة الفهم والإدراك وحسن التأمل..

ومع ذلك.. ففوة الحفظ والذاكرة من الملكات البشرية وبمقدور ابن آدم تنمية بقدر المستطاع، وهكذا سائر عاداته، فالعلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، والأدب بالتأدب. وأنا أذكر لك - رعاك الله - بعض ما أراه مناسباً لتقوية حافظتك.

* مداومة ذكر الله تعالى وتكراره، مع دوام تجديد النية وتحقيق الإخلاص قبل البدء في الحفظ.

* البعد عن المعاصي والذنوب، وسؤال الله الإعانة على الحفظ^(٢)، وطلب الدعاء من الوالدين في ذلك.

* العمل بالعلم.. من أسباب تثبيت المحفوظ.

* تدريب العقل، وتنشيط الذاكرة وهو ما يُعرف اليوم بـ«الرياضة الذهنية» عن طريق تعويد النفس على الحفظ، وترك الاعتماد على الكتابة أو التسجيل بالأجهزة المستحدثة.

* استخدام طريقة البطاقة في الخطوط.. وهو أن نكتب ما تريد حفظه في ورقة أو بطاقة

(١) راجع «الجامع لأخلاق الراوي والسامع» للخطيب البغدادي (٢/ ٣٧٤).

(٢) راجع «أخلاق العلماء» للأجري ص ١٠٢ ط. مكتبة التوعية الإسلامية.





- صغيرة، للاطلاع عليها وقراءتها أكثر من مرة..
- * تدريب الذاكرة على حفظ النص القصير في فترة زمنية قصيرة، ثم تأخذ نصًا مثله وتحفظه في وقت أقصر من سابقه، وهكذا، حتى يصير الحفظ بالنسبة لك ملكة ميسرة.
- * كتابة المحفوظ ولو أكثر من مرة، مع ربط المحفوظ ابتداءً بما سبق حفظه.

من طرق الحفظ:

- * الطريقة الكلية: وهي أن تقرأ النص مثلاً - كله مرة ثم أخرى وهكذا حتى تحفظه.
- * الطريقة الجزئية وهي: أن تقسم النص إلى أبيات أو مقاطع وتكررها حتى تحفظ كلاً على حده.
- * الطريقة الكلية الجزئية هي: أن تكرر البيت الأول حتى تحفظه، ثم الأول والثاني والثالث.

وأنت تحفظ حاول إيجاد نوع من الوزن والإيقاع فذلك يسهل عليك عملية الحفظ. لا تحفظ المواد المتشابهة خلف بعضها، حتى لا يحدث تداخل بين المعلومات، (فلا تحفظ لغة ألمانية مثلاً بعد حفظ لغة فرنسية أو إنجليزية). ولا تحفظ وأنت تسمع إلى صوت راديو أو تلفزيون، أو أنت مشغول بالفيديو والواتس وغير ذلك من أدوات الاتصال الحديثة.

١- تعلم فن التسميع:

التسميع هو استدعاء المعلومات المخزونة في العقل، وهو بمثابة حفظ وتأمين للمعلومات المخزونة ضد النسيان.

- * ثبت علمياً: أن الطالب الذي يذاكر بدون تسميع ينسى بعد يوم واحد الكمية التي ينساها الطالب الذي يقوم بالتسميع بعد ٣٦ يوماً.
- أفضل طرق التسميع (الشفوي، ثم التحريري، ثم العملي)
- * عند التسميع: تُكتب النقاط الرئيسة والقوانين والقواعد والرسوم التوضيحية



وبياناتها، ثم تتأكد مما كتبتة بالرجوع إلى الكتاب، ولا تهتم كثيرًا بالخط، بل اكتب بسرعة وبخط كبير.

* العلم يؤكد على أنه لا توجد ذاكرة ضعيفة أو قابلة للنسيان السريع، بل إن هناك ذاكرة مدربة على استرجاع هذا المخزون الهائل من المعلومات، وذاكرة غير مدربة على الاسترجاع السريع.

* إذا كنت تسمع لنفسك فيجب عليك أن ترجع إلى الكتاب في الأجزاء التي لم تتأكد منها.

* إذا كانت المادة مفككة وغير واضحة أو بها نظريات ومعادلات ومصطلحات وأسماء، فالتسميع يحتاج إلى أكثر من ٥٠٪ من وقت المذاكرة، أما إذا كانت مواد أدبية كالتاريخ والفلسفة والاقتصاد فيحتاج التسميع إلى وقت أقل من ٥٠٪ من وقت المذاكرة.

* الإكثار من الاستذكار؛ لأن مذاكرة العلم بصفة دائمة تزيد من ثبات طالب العلم ورسوخة^(١).

والمذاكرة إما أن تكون:

* مع الغير: عن طريق البحث، كثرة التسميع والمناقشات العلمية - وهي أفضل من التسميع لنفسك -.

* مع النفس: كثرة الحفظ والاستظهار، الأخذ بأساليب مختلفة للحفظ (كمحاولة شرح الدرس، وعمل صورة).

* المراجعة الدورية للدروس ولكن بشكل متدرج ومنظم.

(١) راجع: كتاب «عشرون وصية لقوة الحفظ، وعلاج النسيان...» للشيخ/ بدر بن علي بن طامي العتيبي من ص ١٢: ص ٤٦ باختصار ط. دار المعارج، وأنصح بالإطلاع على كتاب «الحث على حفظ العلم» للإمام ابن الجوزي - رحمه الله تعالى.





من فوائد مراجعة الدروس والمحفوظات بالتدريج:

- * تمكن الطالب من استيعاب دروسه وأداء واجباته.
- * سهولة فهم الدروس لترابطها المتسلسل.
- * تمكن الطالب من كشف اللبس المتوقع والاستفسار عنه في الفصل أو غيره.
- * قدرة الطالب على توسيع مداركه الثقافية.
- * السلامة النفسية للطالب وارتفاع معنوياته عند الامتحان.
- * صلابة التكوين العلمي للطالب وقدرته على الارتقاء بمستواه إلى أعلى المراتب والمناصب أيضًا.
- * امتلاك الطالب لمساحة واسعة من الوقت تمكنه من الراحة والأعمال الأخرى.
- * ابتهاج الأسرة بأسلوب الطالب قبل نجاحه وإعذاره في حالة رسوبه لسبب خارج عن إرادته.
- * وبغير مراجعة المحفوظات سيصيب الطالب هشاشة التكوين العلمي.
- ملحوظة: عند العزم على مراجعة المحفوظات.. لابد من إعطاء الجهد الأكبر للمواد الرئيسة في التخصص الذي أنت بصدد دراستها، مع عدم إهمال المواد الأخرى.
- * مناقشة الدرس، والبعد عن الإكثار من شرب المنبهات (كالشاي والبن)، والإكثار من شرب العصائر بشتى صورها، والحذر كل الحذر من المسكرات والمخدرات.

لتقوية الذاكرة.. نصح الأطباء بـ:

- * الإكثار من الأطعمة التي تغذي المخ وتنمي الذكاء والعقل.
- مثل: سكر (الجلوكوز)، (الفركتوز)، (اللاكتوز) لأن المخ لا يتغذى لا بالفيتامينات ولا بالنشويات، وإنما بالسكريات حيث تمتص وتسير مع الدم فتصل إلى المخ، ويبدأ المخ بالنشاط.



* كذلك ينصح بعدم الإفطار مباشرة بعد الفجر (وإنما يتم تناول طعام الإفطار من العسل الأسود، وسبع تمرات من تمر المدينة، وملعقة مربى، وبعض أنواع الجبن الخفيفة).

* ينصح بالإكثار من شرب العصائر، والمشروبات السكرية الطازجة البعيدة عن المواد الحافظة (كالمانجو، والطماطم، والفراولة).

مع شرب النعناع المغلي على الريق يوميًا، وتناول العسل الأبيض على الريق يوميًا.
مع الحذر من الأكلات التي تضعف الحفظ والفهم:
مثل: الفول، الطعمية، المسبكات، الأطعمة الدسمة.

والسبب: أن بها بروتينات كثيرة صعبة الهضم.

والحذر من: المشروبات الغازية لأنها ترفع نسبة الكوليسترول والدهون وترسبها في الشرايين بما فيها شرايين المخ، فتقلل وصول الدم إليه.

٢- كيف تفهم؟

اعلم - رحمك الله -: أنَّ الحفظَ ليس الوسيلة الوحيدة للتذكر.. إنما الفهم هو الأساس، لهذا فاحرص على فعل الآتي:

- ١- اقرأ الموضوع كاملاً عدة مرات بسرعة، ثم قسمه إلى عناوين رئيسة وفرعية وعناصر.
- ٢- اقرأ الموضوع بتركيز وحاول أن تفهمه بشكل تفصيلي، واسأل نفسك هذه الأسئلة: عن أي شيء يتكلم هذا الموضوع؟، ثم انظر إلى النتائج التي خرجت بها من فهم الموضوع، وانظر إلى ما حصلته من خلال فهمك العام لما قرأت.
- ٣- لا تترك شيئاً يسيراً بلا فهم، فإذا صعب عليك شيء فضع تحته خطاً خفيفاً وحاول فهمه، فإن تعسر عليك فهمه فاسأل غيرك، ولا تستع ولا تتكبر.
- ٤- رتب المعلومات في ذهنك ترتيباً جيداً يمهّد لك الطريق لحفظها.
- ٥- إذا يَسَّرَ اللهُ لك فهم ما تقرأ فاحمد الله على هذه النعمة، وإذا تَعَسَّرَ عليك الفهم فاسأل الله



أن يفتح مغاليق عقلك، وأن ييسر لك سبل الفهم والفقه.

٦- نصيحة أخيرة اعلم - أخي الشاب - تذكر أن الالتزام بحضور المحاضرات المهمة، والحرص على حضور الجلسات العلمية هو سبيلك - بعد توفيق الله - وإعانتة لتحقيق العلم وفهمه شريطة أن تكون متبهاً لما يُقال، حاضر الذهن، وتذكر - أخي الكريم - أن تحصيل العلم وفهمه رزق من الله وما عند الله لا يُنال إلا بطاعته.

٣- مشكلة السرحان

١- مشكلة شرود الذهن أو ما يُسمى «بالسرحان»: فقد تجد نفسك شاردَ الذهن كثير السرحان تعيش في أحلام اليقظة أثناء المذاكرة أو أثناء شرح المدرس، أو عندما تبدأ تصفح الكتاب..

وقد يرجع (السرحان) إلى: كثرة السهر، وعدم النوم الكافي، أو أن ذهنك مشغول بأشياء أخرى غير المذاكرة ك (المشكلات العاطفية) مثلاً.

والعلاج:

أ) استعن بربك جلّ وعلا، واعلم أنه مَنْ أعانه الله فهو المُعان، وَمَنْ خذله فهو المخذول.

ب) استخدم الصوت المرتفع أثناء المذاكرة.

ج) حاول أن تنسي أو أن تتناسى ما تُفكرُ فيه، مع الاجتهاد في سد الذرائع، وحل المشكلات المنزلية أو المدرسية أو النفسية والتي تؤدي بدورها إلى شرود الذهن.

د- إذا كنت تعاني من أمراض فقر الدم ونقص الحديد فعالجها.

هـ- اختر مكاناً مناسباً لك أثناء محاضرة الأستاذ الجامعي، وعود نفسك على المناقشة له.

٤- مشكلة الكسل والملل

قد تجد نفسك تفقد الرغبة في المذاكرة، وتقل من القراءة وترغب عن التحصيل العلمي،

وليس عندك همّة أو نشاط أو حيوية تمكنك من الاستذكار.. فما العلاج؟!



- (أ) غيّر مكان المذاكرة من وقت لآخر فإن هذا يهدأ من النفس.
- (ب) افتح كتاب الله تعالى واقراً منه آيات من الذكر الحكيم حتى يطمئن قلبك، إذ الله تعالى يقول: ﴿الْأَبْزَكْرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ [الرعد: ٢٨]، أو استمع إلى كلمات رقيقة لأحد الدعاة الصادقين.
- (ج) استعذ بالله من همزات الشياطين، والذكر، والدعاء الخالص، مع العلم أن ما تشكو منه هو من فعل الشيطان وكيده، فإذا استعنت بالله أذهب عنك ما تجد من الهم والملل، واستغل أوقات إجابة الدعاء وقل: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل...».
- (د) ضَعْ هدفك أمامك فهو الحافز الأساسي لك على المذاكرة واجتياز الصعوبات.
- (هـ) استعن بالمعلمين الصالحين المخلصين ليعاونوك على علاج هذه المشكلة.
- و- اجتهد في تخصيص وقت للترفيه في نهاية المذاكرة بعد كل مادة، ووقت للترفيه الأسبوعي وتعلم فن الاسترخاء.

٥- مشكلة النسيان

لا شك أن النسيان غريزة فطرية عند كل إنسان.. وهي من رحمة الله تعالى بعباده، ولكنها قد تزيد عن حد المعقول عند بعض الطلاب فتدفع الطالب إلى الشعور بالإحباط والفشل وذلك لعدة أسباب منها: الإجهاد الذهني أو العضلي، والمشكلات الاجتماعية، والحياتية، والعملية، وأيضاً إهمال بعض الدروس والموضوعات لمدة كبيرة دون مراجعة، ومنها: التشابه والتداخل بين الموضوعات، أو عدم الفهم الجيد والاكتفاء بالحفظ فقط دون الفهم مع ضياع التركيز بسبب العجلة والتسرع وعدم التدبر، وأحياناً يكون النسيان بسبب الجهل بالطرق العلمية الصحيحة للارتفاع بالكتب والمراجع العلمية، والمذكرات الدراسية.

* والسبب الرئيس للنسيان: ارتكاب المعاصي، واقتراف الذنوب والخطايا، والبعد عن



ما العلاج؟!

(أ) استعن بربك، وأكثر من الاستغفار والدعاء كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن
كَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(ب) الترويح المباح عن النفس، مع ممارسة بعض الأنشطة الرياضية النافعة للجسم.
(ج) المذاكرة الجيدة.

(د) محاولة تثبيت المعلومة عن طريق الوسائل التعليمية التي تُعين على سرعة التذكر.
(هـ) عمل ملخص شامل لما تمّت مذاكرته.

(و) لا تذاكر وأنت مرهق؛ لأن التعب لا يُساعد على تثبيت المعلومة.

(ز) لا تذاكر وأنت مضطرب نفسياً أو عصبياً فإن ذلك أدعى لتثبيت المعلومة.

(ح) كرر المذاكرة والمراجعة، والتزم بجدولك مهما كانت الظروف، وتعود على «قهر
الأعداء».

(ط) اصنع لنفسك ذاكرة قوية.. حضرّ الدرس قبل الذهاب إلى الجامعة، وركز في شرح
المدرس، وحاول فهم الدرس كاملاً، ثم ناقش زملائك والمدرسين، وتعلم منه التركيز.
(ي) حاول أن تكون قَوِيَّ الملاحظة في أثناء الشرح للدرس، وناقش إخوانك وزملاءك فيما
فهمته، واجتهد في استخدام التقنيات الحديثة لتثبيت المعلومة وسرعة التذكر.

(ك) إياك والمعاصي والذنوب، واحذر كثرة السهر، وإضاعة الوقت.

(ل) إذا حصلت على درجة أقل مما تتوقعها فلا تسارع بالاحتجاج على أستاذك، أو التشهير

(١) ينظر: رسالة: سر التفوق د/ عطا بركات، ص٣٦، ط. زهرة المدائن، كما أنصح -القارئ الكريم- بمراجعة «قراءة
القراءة» للأستاذ/ فهد بن صالح الحمود. ط. مكتبة العبيكان، وكتاب «الطرق الجامعة للقراءة النافعة» للدكتور/
محمد موسى الشريف ط. دار الفرقان، و«كيف تقرأ كتاباً» للشيخ/ محمد صالح المنجد، ففيهم نفع كبير.



به، وإنما أسأله: كيف أحسن من إجاباتي؟

وأخيراً: انتبه إلى بعض الأخطاء في معاملة الأساتذة في الجامعة، ومن ذلك:

* الأسلوب المهمجي والعدائي في كثير من تصرفاتك في الجامعة وخارجها.

* لا تسارع بجمع كتبك قبل نهاية المحاضرة، وانتبه لطريقة كلامك ودخولك

وخروجك من قاعة المحاضرات، فضلاً عن طريقة جلوسك واستماعك للأستاذ

والحديث إليه، فلذلك دور مهم في تحديد علاقاتك بالأستاذ الجامعي.

٦- مشكلة ضعف التركيز أو عدمه، والخروج من المذاكرة بدون حصيلة أو ثمرة:

وعلاجها:

أ- الاستعانة بالله من الهم والغم، واللجوء إلى الله - عز وجل - بالدعاء أن يصرف عنك ذلك.

ب- رفع الصوت عند المذاكرة.

ج- تغيير مكان الجلوس والاستذكار في البيت، والابتعاد عن الأماكن التي تسبب الانشغال.

د- الاستذكار مع صحبة الخير من زملائه، لأن المناقشة والحوار تعين على التركيز.

هـ- تجنب المذاكرة في الأماكن التي يكثُر فيها الصَّخب وضجيج أو أماكن العامة التي يكثُر فيها المارّة.

٧- هل أذاكر وحدي أم مع زملائي؟!

خلاصة القول - كما أفاد علماء التربية -: أن المذاكرة بمفردك أفضل بكثير؛ لأن المذاكرة

مع الغير تضيع الوقت غالباً كما أثبت التجارب، وإذا كانت المذاكرة مع الزملاء تحفزك

فإن هدفك إن لم يحفزك فلن يحفزك شيء آخر، والأخطار والأخطاء التي تحدث نتيجة

المذاكرة الجماعية أكبر من مكاسبها.. والمراجعة ممكنة مع الأصدقاء لا المذاكرة».

٨- أستحيي وأخجل من مناقشة أستاذي أو المحاضر لي؟!





أ- هذا حياء مذموم، لا ينبغي أن يتصف به الطالب المسلم، إذ الحياء في غير موضعه نوع من الضعف والخور.

ب- تعلم من الآن كيف تستفيد من الأستاذ أو المحاضر؟!

٩- هناك مشكلات أخرى تعوقني عن مسيرة التفوق الدراسي:

نوع المشكلة	سببها	طريقة علاجها
المشكلات الاجتماعية	* الخلافات المستمرة بين الوالدين أو مع الإخوة أو الأقارب أو الجيران أو الأصحاب.	* محاولة الاستعلاء على هذه المشكلات، والابتعاد عنها وعدم تذكرها - خاصة - وقت المذاكرة. الجأ إلى ربك، وتضرع إليه في أوقات إجابة الدعاء أن ييسر الأمور، وأن يشرح الصدور، وأن تهدأ الأحوال، وأن تنتظم العلاقات، وأن تحل البركات. قدم النصيحة التي لا تشغلك عنه.
المشكلات الاقتصادية وقلة ذات اليد	* عدم قدرة الوالدين على مساعدتي ماليًا لأعطي احتياجاتي الشخصية أو الدراسية، مما يجعلني أقل من أقراني.	* الرضا والقناعة ابتداءً. * عدم التطلع إلى من هو فوقك في أمور الدنيا، ولكن انظر إلى من هو دونك. * الاعتماد على الله ثم على النفس، فابدأ البحث عن عمل يدرُّ عليك دخلاً، ولكن لا يكون على حساب المذاكرة، فيجب عليك التوازن بين وقت الاستذكار - وهو الأصل - ووقت العمل. * لا تحجل من العمل المباح المتاح لأن هذا سيجعلك أقدر على تحمل الأزمات.



* تذكر أن أغلب العظماء كانوا يستذكرون على لمبة من الكيروسيين.		
* الرضا بالقضاء والقدر سبب لزوال كثير من الأمراض النفسية. * شغل النفس بالنافع المفيد سيحفظك من نزعات شياطين الإنس والجن. * إدراك هذه السنة الكونية الشرعية ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ * اللجوء إلى الله، والأخذ بأسباب النجاح	* قد يكون من التأخر في الدراسة أو بسبب الحقد على بعض الزملاء المجتهدين، والنظر لما امتازوا به.	المشكلات النفسية
* المحافظة على ٣٠ دقيقة تمارين رياضية يوميًا، ولعب الكرة مرة في الأسبوع على الأقل. * التخفيف من الأكلات الدسمة، والبعد عن الإكثار من الشاي والقهوة، والإكثار من النيسون والكركيه والقرقة.	* الشعور بالإرهاق الجسدي، ضيق في التنفس، وصداع مستمر مع أقل مجهود	المشكلات البدنية
* قطع كل الصلات بالجنس الآخر، والمحافظة على غض البصر، بالطرق الشرعية العلمية والعملية التي سبق ذكرها. * الدعاء وسؤال الله «العفة» عن الحرام. * تذكر أن التفوق سيكون سببًا للعمل الحلال.	* الشعور بالميل للجنس الآخر، مما قد يؤدي لكثرة التخييلات المحرمة، وضعف التركيز.. والمبادرة إلى مهاتفة الفتيات والحديث إليهن والانشغال بهن.	المشكلات العاطفية
* اختيار أفضل الأوقات للمذاكرة.	الشعور بالإرهاق، وعدم القدرة على	المشكلات الذهنية





* النوم بانتظام أثناء الليل. * تعلم فن الاستجمام والراحة (٦ ساعات يومياً على الأقل)، ويمكنك الاستفادة من كتاب فن اللامبالاة لمارك مانسون، ترجمة الحارث النيهاني.	التركيز والحفظ، والشعور أن الذهن مشّت.	
* الاستعانة بالله - سبحانه وتعالى - * لزوم بيئة إيمان ثابتة مع رفقة صالحة. * ملازمة أحد العلماء والربانيين والدعاة الصادقين. * المحافظة على الصلاة في أقرب مسجد للمنزل أو لمكان الدراسة، مع المحافظة على ورد قرآني ثابت، وورد الأذكار. * تنويع العبادات. * القراءة في أوقات الفراغ في كتب العلم الشرعي، وكتب الرد على الشبهات.	* عدم الانتظام في العبادات الأساسية. * خواطر إلحادية تدفع لكثرة التفكير في نشأة الكون، وذات الله. * جرأتي على المعاصي والذنوب في الجامعة بسبب البيئة والمجتمع.	المشكلات الدينية

وأخيرًا: قد تعوقك بعض المشكلات، مثل:

- (أ) الاستعداد النفسي الجيد قبل دخول الفصل الدراسي، ويمكنك تخطي ذلك عن طريق الالتزام بالأدوات المدرسية، وتخصيص كراسة.
- (ب) اهزم أي إحساس بالخرج أو الخوف من طرح أسئلة قد تبدو لك غير ذكية، ولا تحجل من طلب إعادة الشرح عند عدم الفهم، فلست أنت الوحيد في العالم الذي قد يغيب عن ذهنه استيعاب بعض البديهيات، وأن ما يثير الحجل فعلاً هو ادعاء الفهم، وبذلك تضيع على نفسك فرصة الفهم الحقيقي.
- (ج) لا تظن أنك الطالب الوحيد الذي يخشى المناقشة الشفهية وأن الحل يكمن في الهروب والانسحاب.. ولكن في التدريب تدريجياً على المواجهة.. وكلما حققت تقدماً ولو بطيئاً.. لأن هذا يعني أنك اكتسبت المزيد من قوة الشخصية والاحترام في عيون الآخرين.
- (د) عند أدائك لبحث علمي، أو تلخيص لكتب أكاديمية.. لا تجعل الشيطان يختلس وقتك ويوهمك أن الآخرين سيقدمون أعمالاً أفضل منك، مما قد يجعلك تنظر للموضوع نظرة سلبية إجباطية.
- (هـ) احذر أن تكون (أبا شبر) الذي يسأل تعنتاً لا تفهماً، واحذر كذلك أن تكون ممن يسأل أسئلة غير مناسبة أو يتطوع بذكر معلومات ساذجة حصل عليها من مشاهدة قنوات تلفزيونية غير مفيدة، أو أن تكون شديد الحساسية من كل ما يقال له، فاحذر هذه النماذج.
- (و) عند الإجابة عن سؤال من أستاذك فانتظر حتى ينتهي من طرح سؤاله تماماً ولا تقاطعه، ثم رتب الإجابة في ذهنك، وابدأ في إلقائها بصوت هادئ مملوء بالثقة.



(فُبل الامتحان... ماذا تفعل؟!)

لِلنجاح أسرار ومفاتيح مضمونة تمكن الطلاب الحريصين من مضاعفة درجاتهم خلال فترة الامتحانات، ويؤكد العديد من خبراء التعليم على الفائدة القصوى لتنظيم الجهد خلال هذه الفترة وبصفة خاصة ليلة الاختبار وصباح يوم الامتحان حيث من الممكن أن تساهم في رفع درجات الطالب بنسبة كبيرة قد تصل إلى ٣٠٪ وذلك بشرط التفكير الإيجابي وتنظيم الوقت وبذل المزيد من الجهد البدني والعقلي مع الثقة بالله ثم بقدراتهم مع الحرص على التفرغ الذهني للمذاكرة بالإضافة إلى تعزيز صحتهم النفسية والعضوية والحسية، وتطبيق الـ ٥٥ سرًّا الحصد أعلى الدرجات:

العقل السليم في الجسم السليم:

- ١- اجعل من الهرم الغذائي دليلاً يومياً للحصول على الغذاء المتوازن كمًّا وكيفًا.
- ٢- احرص على تناول الحصص المقررة من الفواكه والخضراوات والألبان ومنتجاتها والعصائر الطازجة.
- ٣- لا تنس الأطعمة الغنية بالفوسفور كالأسماك والروبيان والحيوانات البحرية.
- ٤- تجنب السمنة ومخاطرها وكل ما يقرب منها كالدهون والمقليات.
- ٥- استمسك ببرنامج رياضي من ٣٠ إلى ٤٥ دقيقة.
- ٦- توقف عن التدخين وتجنب الكحوليات لأنها حرام.
- ٧- تجنب المنشطات والمنبهات فهي تقلل من قدرتك على الاستيعاب والتحصيل الدراسي وخاصة على المدى الطويل.
- ٨- احصل على القسط الكافي من النوم.
- ٩- تجنب القلق والتوتر وتعلم طرق الاسترخاء.
- ١٠- التدين محور مهم أضافته منظمة الصحة العالمية لأبعاد الصحة البدنية والنفسية والعقلية والاجتماعية.

التركيز سر النجاح

- ١١- طلب العلم فريضة تتقرب بها إلى الله وهي طريق التفوق والارتقاء في الدنيا والآخرة.
 - ١٢- تفرغ للمذاكرة، وركز الجهد والفكر في تحصيل الدروس.
 - ١٣- لا تفكر في نتيجة الامتحان، حتى تتفرغ للتفوق في الامتحان، وليس الخوف منه.
 - ١٤- نظم الوقت وحدد أوقات المذاكرة وأوقات الراحة والنوم.
 - ١٥- حدد جدولاً تفصيلياً -كتابة- للمراجعة على أن يشمل جميع أجزاء المنهج مع التركيز على الموضوعات المهمة.
 - ١٦- خصص وقتاً للاطلاع على نماذج الامتحانات السابقة.
- المراجعة الذكية:**
- ١٧- الفهم المنطقي الموضوعي واستجماع القوى الفكرية والاسترجاع الذكي للمعلومات يساعد على قوة الاستيعاب وحفظ المعلومات.
 - ١٨- استخدم أكثر من حاسة في المذاكرة حتى تضاعف من قدرتك على الفهم والتركيز وعدم النسيان. ولذلك ننصح بالقراءة بصوت عالٍ وتلخيص أهم النقاط ثم استرجاعها كتابةً أو مناقشتها من أحد الزملاء.
 - ١٩- يفضل الاستعانة بالخرائط الذهنية والرسوم التوضيحية، فهي تزيد من القدرة على الفهم والتحصيل واسترجاع المعلومات بعد ذلك.
 - ٢٠- يجب اختيار مكان هادئ بعيداً عن الضوضاء كلما أمكن مع مراعاة توافر الإضاءة المناسبة والتهوية الجيدة.
 - ٢١- تأخير الأوقات المناسبة للدراسة وخصص ساعات النشاط مثل الصباح الباكر أو بعد القيلولة لمذاكرة الموضوعات التي تحتاج إلى فهم دقيق، وحدد نظاماً ثابتاً لدراسة المواد.
- دع القلق وتفرغ للمذاكرة:**





- ٢٢- تذكر أن الامتحان وسيلة تربوية للتقييم، فلا داعي للقلق.
ما تم تحصيله ووسيلة لاستكشاف ما يعلمه الطالب وليس ما لا يعلمه، فلا داعي للقلق أو التوتر والتفكير في خطورة الامتحان أو عواقبه فكل ما عليك هو التفرغ للتحصيل، وعدم الانتظار ليلة الامتحان.
- ٢٣- استعن بالصبر والصلاة وتعلم طرق الاسترخاء للتخلص من قلق الامتحان والتفكير في نتائجه.
- ٢٤- العلم هو البوابة الرئيسة لرضا الله وارتقاء السلم الاجتماعي والاقتصادي وضمان مستقبل واعد للطلاب.
- ٢٥- التفوق المدرسي أمر تعبدي لردم الهوة الحضارية بيننا وبين الغرب.
- ٢٦- احرص على أن تشجع أبناءك الطلاب لبذل أقصى ما لديهم من طاقة، بشرط تجنب الشحن الزائد.
- ٢٧- ننصح بتقديم جرعات متوازنة من التشجيع الذي يستند إلى إمكانيات الطالب وقدراته الفعلية.
- ٢٨- عليك بتنظيم الزيارات العائلية. وكذلك زيارات الأصدقاء بحيث تراعي اختلاف مواعيد الامتحانات المختلفة.

ليلة الاختبار

- ٢٩- ننصح بأن تستغل الوقت جيداً في مراجعة الإطار الكلي والمحاور الأساسية للمنهج ولتبدأ بالأهم فالمهم فالأقل أهمية وتأكد أنه لا توجد ضرورة علمية لمراجعة المنهج بأكمله ليلة الامتحان، كما لا يمكن تحقيق ذلك في أغلب الأحيان.
- ٣٠- يجب أن تحصل على كفايتك من النوم وأن تتجنب السهر والمنبهات والمواد المخدرة، حتى لا يقلل ذلك من تركيزك العقلي خلال أداء الاختبار.
- ٣١- ثق بربك وبنفسك وبقدراتك على التفوق والنجاح ويجب أن تدرك أنه عليك أن تسعى

فقط وليس عليك أن تدرك النجاح، وحدد جدولاً للمراجعة، ولا تترك أجزاء بدون مراجعة.

صباح يوم الاختبار

- ٣٢- احرص على أن تبدأ يومك بصلاة الفجر وقراءة شيء من القرآن وأن تثق بربك وبنفسك وبقدراتك.
- ٣٣- احرص على تناول طعام الإفطار فهو يساعد على التركيز ويفضل أن يتكون من البيض المسلوق أو الجبن مع حبة من الفاكهة أو الطماطم وكوب من عصير البرتقال الطازج، وبعدها راجع المادة سريعاً.
- ٣٤- احرص على أن تجعل معك ما تحتاج من أقلام وقرطاسية.
- ٣٥- توجه للجامعة قبل موعد الاختبار بوقت كاف تحسباً للظروف.

خلال الاختبار

- ٣٦- استجمع قدراتك العقلية والنفسية واستعن بقراءة بعض الآيات القرآنية التي تساعدك على الهدوء النفسي والتركيز العقلي.
- وتأكد من كتابة بياناتك بخط واضح ودقيق كما هو مدون في رقم الجلوس، ونظم كراسة الإجابات بالمسطرة وبالقلم الرصاص، وادع الله بالتيسير والتوفيق والفتح.
- ٣٧- اقرأ ورقة الأسئلة كلها، ثم اقرأ كل سؤال بتركيز قبل الإجابة عليه.
- ٣٨- حدد وقتاً للإجابة على كل سؤال حتى لا يطغى سؤال على آخر.
- ٣٩- ابدأ بالإجابة عن الأسئلة السهلة التي لا تستغرق وقتاً.
- ٤٠- حدد الأسئلة التي انتهيت من الإجابة عليها مع تحديد علامات مميزة على الأسئلة التي لم تجب عليها.





٤١- احرص على تخصيص وقت للمراجعة وتأكد أنك لن تحصل على جائزة لو خرجت قبل نهاية الوقت المحدد للاختبار.

٤٢- تنظيم ورقة الإجابة والكتابة بخط واضح لها وقع جميل في نفسك.

٤٣- اصطحب معك قطعة من الشيكولاتة أو الحلوى أو زجاجة العصير وخاصة إذا كانت فترة الامتحان طويلة، وتذكر آداب الاختبار، ومنها:

- الرضا بالرزق الذي يسره الله لك في أثناء الاختبار.

- الثبات على المبدأ فلا تغش، ولا تساعد الآخرين على جريمة الغش، وتجنب مواطن الشبهات - خاصة - في قاعة الامتحانات.

- استمع لتعليمات المراقبين ونفذهما، وإياك وإيذاء الآخرين من زملائك، بقول أو فعل أو شرب سيجارة، أو صوت لهاتفك الخليوي.

- فكّر جيداً قبل الإجابة، وتذكر أن الغرور عدو أطاح بكثير من الطلاب، وفي المقابل إياك واليأس والهزيمة بسبب إخفاقك أو فشلك في أي أمر دراسي أو غيره.

٤٤- احرص على تقديم الدعم النفسي لإخوانك وزملائك الطلاب بحيث يشعرون بقربك منهم.

٤٥- احرص على تهيئة الأجواء، وتهذئة الأوضاع، وتجنب مواضع الخلاف والشقاق.

٤٦- اجتهد في تنظيم الوقت، ولا تنس وقت المراجعة.

٤٧- قم بتهيئة المكان المناسب للمذاكرة ويفضل تخصيص مكان هادئ خاص جيد الإضاءة والتهوية طبقاً لمكاناتك.

٤٨- تذكر جيداً أن الاختبارات توضع بطرق موضوعية بحيث تقيس مختلف المستويات التعليمية للطلبة. وبهذا يكون الاختبار في حد ذاته وسيلة للتقييم والتعليم وليس وسيلة للعقاب أو التعذيب، لهذا أوصيك أن تتمرن جيداً على أنماط مختلفة من الاختبارات الدراسية.

بعد إنهاء الاختبار.. احمده الله على ما قدمت، واسأل الله التوفيق، ثم ساعد أصدقاءك

٤٩- إذا ذهبت إلى بيتك فاحرص على مراعاة شعور أصدقائك وجيرانك من الطلاب بعدم



رفع أصوات المذيع أو التلفزيون.

٥٠- تجنب إحداث ضجيج وذلك باللعب أمام منازلهم.

٥١- ساعد أبناء الجيران في التحصيل كلما أمكن ذلك.

٥٢- قم بتأجيل المناسبات الاجتماعية التي يمكن تأجيلها.

٥٣- قدم العون المادي لمن يحتاج من أبناء الجيران.

صناعة النجاح

٥٤- التفوق صناعة لها مقوماتها وأسسها فتعلم صناعة النجاح.

٥٥- ثق بربك وبنفسك وبقدراتك ونظم وقتك وتأكد من قدرتك على حصد أعلى الدرجات^(١).

وفي الختام... نصائح نمام:

* ابتعد عن مشتتات الذهن، -خاصة- وسائل التواصل الاجتماعي أثناء المذاكرة.

* اجتنب فكرة «التركيز» على أبواب معينة أو أسئلة معينة.

* لا تعش الوهم، أو تظن أن الاختبار سيسرّب أو سييسهل الحصول عليه.

* لا تضيع (رمضان) منك أبداً بسبب (الاختبارات)^(٢).

(١) يراجع (فن الامتحانات بين الطالب والمعلم) للدكتور/ عبد الرحمن رأفت الباشا من ص ٧٣ إلى ص ٨٩ ط. دار الأدب الإسلامي، ويراجع (كيف تحفز نفسك لامتحانك واختبار قبولك بالسوفولوجيا) تأليف: جان إيف بيكولو من ص ١٥١ إلى ص ١٧٣ ط. مطابع الفرزدق - الرياض، وتراجع (جريدة الوطن آخر الأسبوع) - عدد الجمعة ٦ ذو الحجة ١٤٢٦ هـ الموافق ٦ يناير ٢٠٠٦ م ص ٢٠.

(٢) ينصح د سعيد أبو العلا حمزة، صاحب كتاب "الحصون الخمسة" من وفقه الله فأدرك شهر شعبان، أن يجتهد في ختم القرآن؛ فيقول: بقي على رمضان أيام معدودات وبقبل ثم يمكث مثلها أياما معدودات ثم يمضي؛ فعليك في الأيام التي قبله الاستعداد، وعليك في أيامه الغنيمة والحصاد، رمضان أيامه قليلة بحيث لا تحتل تجريب وصفات في برامج الاغتنام، دونك أيام شعبان فتشعب في كل خير متدربا لا سيما أعمال الشهر وذروة سنامها الصيام والقرآن.

=





أتابع صامتاً منذ فترة منشورات بعض الفضلاء عن الاستعداد لرمضان فيما يختص بالقرآن الكريم فأجدي أقرأ الحث على الاستعداد بقراءة ولو صفحة من المصحف الشريف، نعم، حسنٌ منهم التذكير، لكن أهكذا يستعد المرء لاستضافة الملوك في بيته؟!

♥ أعد قلبك هذا بيت سينزل عليك فيه وفد مكرم من قبل ملك الملوك، وهو آيات كتابه، فإذا أنت فاعل؟ لا تنظر إلى ما قررت فعله، ولكن انظر إلى ما ينبغي أن تفعله

١ - اغسل قلبك من أدرانته وما تقدر به من خطايا وآثام، وما عليك في ذلك إلا أن تفيض عليه بهاء الاستغفار وصدق الإنابة إلى الله عزوجل وما زلت بقلبك حتى ينقلب إليك طاهراً نقياً يقطر رقة وخشوعاً ووجلاً.

٢ - دمر وبكل ما أوتيت من قوة كل هذه العناكب التي تفسد عليك نظافة قلبك من مشاهدة الحرام وقول الحرام وسماع الحرام.

٣ - ازرع أزهاراً جميلة من خفايا الطاعات في حديقة خلواتك، واجتث منها أشواك مبارزة الخالق بها يغضبه.

٤ - اعتذر وبعنف ودون رفق لكل ما يشغلك عن الاحتفاء بوفدك المكرم من هؤلاء السارقين لأسعد لحظاتك من وسائل تواصل أو اتصال ولا تخضع لها تحت أي مسمى أو تعليل.

٥ - اصطحب مصحفك الكريم مقروءاً ومسموعاً في كل مكان وزمان وحال.

٦ - جرب في كل يوم من خلال ١٠٠ - ٢٠٠ محاولة استغلال كل دقيقة بكل دقة وتأمل كم فاتك كل يوم من خير عظيم، لأنك لم تكن تجرب أو تحاول ذلك.

٧ - ضع هدفاً عظيماً جداً وابدأ من الآن مسارعاً في تنفيذه، المهم أن يكون هدفك أنت وليس هدف غيرك ويكون قميصك أنت لا قميص غيرك؛ هدفاً واقعياً.

٨ - أعتقد أنه ينبغي الآن أن تكثر من قراءة القرآن مستعيناً في ذلك بالنقاط ٤، ٥، ٦، ٧.

٩ - كان أحد السلف يذم أن يدعو: اللهم اسفني بيسير النوم، أعجبني هذا الدعاء جداً ولم أكن اهتديت إليه قبل ذلك، ظناً مني - جهلاً - أنه لا بد من النوم ٧-٨ ساعات، فلما دعوت به

وجدت له أثراً مباركاً، وكنت قبله أقرأ كل كتاب يدلني على التقليل من ساعات نومي؛ فلم أكن أنفع به، إذ كنت أنام وأنا أقلب صفحاته الأولى!!

١٠ - رائع جداً أن تقرأ هذه النقطة الأخيرة، وليس لك بعبادة أن تقرأ منشوراً طويلاً، فهذا دليل أكيد على إرادة صادقة هذه المرة، فلا ينبغي أن يكون حظك مجرد إرادة، فمتى لم تعمل فإنها في الحقيقة لم تكن إرادة وإنما زيفٌ وتسليّة..

♥ علمت فاعمل، وعزمت فتوكل، واصبر واصطبر، وادعُ الله بصدق الأواهين أن يرحل عنك وفده المعظم بتقرير رائع عنك.



جدول مقترح للمذاكرة في شهر رمضان المبارك:

العمل	إلى	من
التراويح	١٠م	٨م
مذاكرة	٢ص	١٠م
راحة وسحور ودعاء	٣٠.٣ص	٢ص
صلاة الفجر وأذكار الصباح ووردك من القرآن الكريم وليكن جزءاً	٤ص	٣٠.٣ص
ثماني ساعات تنقسم إلى: ٤ ساعات نوم، و٤ ساعات مذاكرة	١٢ظهراً	٤ص
صلاة الظهر جماعة ثم نوم ساعتين	٣٠.٣عصرًا	١٢م
صلاة العصر وأذكار المساء والدعاء وقراءة باقي الورد القرآني مع كتاب (أيسر التفاسير) للجزائري، أو (المختصر في التفسير)، أو (القرآن تدبر وعمل)	٤٥.٦م	٣٠.٣عصرًا
صلاة المغرب ثم الإفطار ثم قراءة قرآن، ثم الاستعداد للتراويح	٧م	٤٥.٦م

وهذا تكون قد ذاكرت ٧ ساعات، ونمت ٦ ساعات، وصمت وصليت جماعة كل

الصلوات، وقرأت عددًا من أجزاء القرآن بفهم وتدبر.

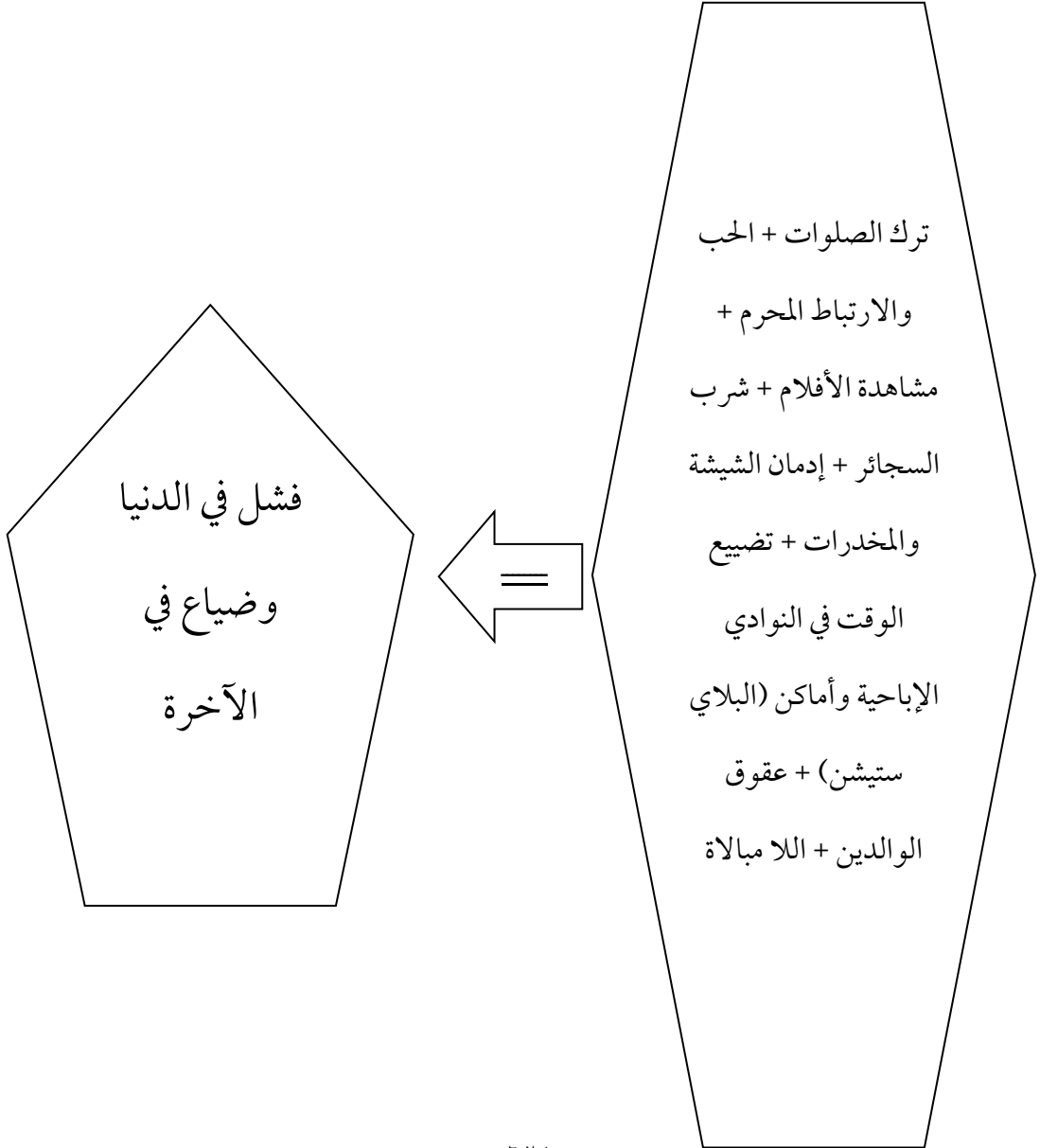
ثم نصيحتي لك.. استعن بالله، واسأله البركة في الوقت، وتذكر أهمية القيام بمهارة





تنظيم الوقت، وتحديد الوقت الفعلي للامتحان، والوقت الرئيس للمذاكرة.
إياك والاستجابة لوساوس شياطين الإنس والجن ممن يزعمون (جواز الفطر لطلاب
الثانوية العامة بسبب اختباراتهم)، واعلم أن الامتحانات ليست عذرًا شرعيًا للإفطار -كما
يزعمون-

وتذكر دومًا أن:



الفصل الخامس

نقطة بداية

Start point

من داخل الجامعات

أخي الشاب..

ها أنت قد تعلمت الطريق إلى التفوق.

وأظنك ستحرص على الالتزام بحضور المحاضرات

النظرية، وتطبيقاتها العملية -إن وجد-

فإن انتهت محاضراتك، فإنك ستخرج من قاعة

المحاضرات إلى فناء الجامعة.

وهنا قد يدفعك حب التطلع إلى أن تقول «لماذا لا أسير في

طرقات الجامعة، لأتعرف على طبيعة المكان الذي سأدرس

فيه؟!»

وبالفعل استجبت لما دار بخلدك، وبدأت التجول في فناء

الجامعة، وحينها اكتشفت أشياء كثيرة حيث وجدت آلاف

الشباب والفتيات قد تجمعوا في أفنية الكليات، أو عند

«كافيتريا» الجامعة.

وبدأت تلمح في أعينهم ضياع الغاية والهدف، وظهر لك

من أفعالهم وتصرفاتهم أنهم قد ابتلوا (باللامبالاة)، فأكثرهم لا يعرف للحياة قيمة، ولا

للعمر ثمنًا، بل أكثرهم يغلب عليه حب الشهوات والتحرر من قيود الدين والعرف بدعوى

«التحرر والتمدد»، وقد يصل الأمر ببعض هؤلاء الشباب إلى حد المشاركة في الحفلات

والصالونات والرحلات المختلطة.

كما يصل الأمر بالبعض الآخر للجهر بشرب المسكرات وتعاطي المخدرات في الطرقات

المؤدية لقاعة المحاضرات.

كذلك ستجد اختلاطاً مستهترًا بين الشباب والبنات، وقد تجد «خلوة» بين ولد وبنت





يضاحكها وتضاحكه، ويمازحها وتمازحه.. بلا أدنى حياء أو خجل..

وفي بعض الأحيان قد ترى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فهذه فتاة تجرى وراء زميل لها فتضربه ويضربها بحجة «المزاح»، وتلك تلعب مع مجموعة من أصدقائها (...)، وثالثة تجلس على رجل زميلها وتعبث بشعره، وتمسح على رأسه، وفي أثناء تجولك في الجامعة قد ترى من يمسك بيد زميلته بحجة «الصدقة» والارتباط والحب، وعند «مركز الخدمات» أو «الكافيتريا الجامعية» قد تسمع الأغاني الشعبية الصاخبة، وترى الشباب والفتيات يتزاحمون هنالك، بل قد تجد فتاة تقف هناك لتباهي بأصدقائها من الشباب، ويقف الفتى ليفاخر بصديقاته وخليلاته.

* فإذا وقفت هناك سترى عجباً، حيث تتعالى الضحكات والتأوهات والصيحات بميوعة وانحلال حتى إنك لا تستطيع أن تميز بين الفتى والفتاة أحياناً من شدة الميوعة والتخنث والفساد.

* وقد ترى بعض الشباب لا همَّ له سوى معاكسة الرائحات والغاديات بحجة «التعارف وتسلية الأوقات»، وبعضهم تراه يتكلم بكلمات الحب والعشق والغرام مع بعض الفتيات مباشرة أو عبر الهاتف «المحمول» ليلهب عندها مشاعر الإحساس بالعاطفة، وليحيى من جديد مشاعر الحب والرومانسية، وكأن الجامعات صارت حقلاً للتجارب الغرامية، بدلاً من أن تكون مكاناً للدراسات العلمية ومحراً لتلقي الدراسات الأدبية.

وبعضهم قد يقضى يومه كله من أول النهار إلى آخره في شوارع أطلق عليها «شوارع الحب» حيث تراه يضاحك هذه الفتاة، ويلعب تلك الفتاة، ويرقص مع ثالثة، يغلب عليه التفكير الجنسي، ولعلَّ هذا يتضح بجلاء في بعض مرتادي هذه الجامعات، حيث تكثر التحرشات الجنسية، وتشيع الفواحش بين الجنسين.

فإذا قضى الشاب يومه الدراسي، وحن موعد الانتهاء من الفترة الدراسية في الجامعة، تجد مثل هذا الشاب يستعد لجولة جديدة في الشوارع والطرق القريبة من الجامعة، حيث



تراه يسير بسيارته بشكل جنوني في الشوارع والطرق المؤدية للوصول إلى الجامعة، وقد تسمع من سيارته صوت الأغاني الصاخبة بصوت عالٍ يكاد يخلع قلبك وتجده لا يعبأ بأحد في الطريق، المهم عنده إرضاء نزواته وشهواته، فتارةً يعاكس هذه الفتاة، وتارةً يضايق ويتحرش بتلك، وقد يتلفظ بالألفاظ النابية، أو يتفوه بالكلمات البذيئة، ويقصد من كل ذلك إظهار التميز والقوة والشجاعة أمام الناس (عامّة)، وأصدقائه (خاصة)، وفي أثناء تنقلات (حركات) هذا الشاب قد يقع مع بعض الشباب الآخرين في مشاجرات، وغالبًا ما تكون هذه المشاجرات والملاعنات ناجمة عن حب الظهور أمام «الفتيات».

بعد الجامعة

فإذا انتهى هذا الشاب من تحركاته وجولاته انطلق هائماً على وجهه إلى بيته، ليتناول الطعام والشراب، ثم ينام ليستعد للنزول ليلاً إلى الشوارع والطرق..

ثم ترى مثل هذا الشاب يقضي سهرته الليلية وهو يمكث الساعات الطوال على المقاهي وفي محلات «البلاي ستيشن» وصلالات البلياردو مهملاً لدراسته، بل تراه يشرب ما حَرَّمَ الله من مسكرات ومخدرات، فتراه يُدخن «السجائر»، ويدخن «النارجيلة» المعروفة في عصرنا «بالشيشة»، و«الحشيش»، وقد يصل الأمر إلى تعاطي المخدرات بأنواعها وأشكالها المختلفة.. وتراه كذلك يشرب بعض المسكرات «كالبيرة...»، وقد يذهب هذا الشاب مع بعض الشباب إلى الحانات المختلفة، أو إلى النوادي المختلطة، أو إلى الكافيهات المتعددة ليضيعوا دينهم وأخلاقهم....».

هذا حال كثير من شباب الجامعات.. وإلى الله المشتكى!!

* والحقيقة المرة!! أن أكثر هؤلاء مسلمون بالهوية؛ لأنهم ولدوا من أبوين مسلمين فقط، وهؤلاء لا يدركون - في الحقيقة - معنى انتماؤهم للإسلام؟ ومقتضيات هذا الانتماء، ولوازمه وضوابطه... لذلك تراهم في وادٍ والإسلام في وادٍ؟

* ولعلَّ ما مرَّ بك سابقاً - أخي الشاب الحبيب - يبين لك الحالة النفسية والاجتماعية





التي يمرُّ بها هؤلاء الشباب، فهم لا يدركونَ إلى أين هم سائرون، ولا يعرفون أي طريق يسلكون؟!، بل هم تائهون ضائعون، مشتتون، متلاومون، فاسدون، مفسدون، مغيّبون، تافهون..» إنهم حشو طغام وهمج ورعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح^(١).
وتجد أيضًا بعض إخوانك في الجامعة أشتاتًا طال عليها الزمن في تيه الشتات، بعد أن ضاع منها الهدفُ والطريق، بل تاهت منها الأقدام، فما عادت ترجو النجاة!، فأضحت - ويا للعجب - في نشوة بلهاء بين فكي خنزير ذميم.. يتثأب في خمولٍ، ينظر إلى شخوصٍ تراقص فوق رمال ملتهبة، تضرم من تحتها النيران.. ينفخ فيها.. يؤججها.. يستحث البله على مواصلة الرقص لإسعاده!!!

* يتلاوم الشتات، فكلاهما يرى غباء الشتيت الذي لا يراه! يغلى الدم في عروقه.. يرغى ويزيد: يا له من غبي! كيف يشعر بنشوة وهو في عين الخطر؟ إن مثله لا تنفع معه نصيحة ولا تُقبل منه نصيحة..

* وهكذا يفوز الذميم بالغنيمة، والضحايا على الأكثر.. يشجبون.. ينددون، يتلاومون.. ولن أبدًا.. لا يتحركون..و: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

* إنهم - أخي الحبيب - غرقى في بحار الأوهام من غير ربّان ولا مركب، يتشبثون بأطواق نجاة ممزقة تغوص بهم إلى الأعماق.. فمنهم مَنْ أعياه الترحال وطول الطريق.. بحثًا عن سبل النجاة.. فلما ضلَّ الطريق، يثسّ وجلس ينتظر الموت!.. ومنهم مَنْ يجري في حلقة معصوب العينين، يُمسك أولهم بثياب آخرهم، يدورون كما يدور الحمار برحاه، يلهثون ولا يتقدمون.. وآخرين منهم يسIRON بغير هدى كالأنعام، حيث أنهكتهم كثرة الانحرافات والالتواءات، إنهم يبحثون عن حياض النجاة، وعن خشبة يتعلقون بها، أو سفينة للنجاة

(١) قد وردت هذه العبارة من قول على بن أبي طالب لكُميل بن زياد.. رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٧٩، ٨٠)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٤٩، ٥٠)، وجامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٢)..



يأوون إليها، ولكنهم ضلوا الطريق!!

إنهم - أخي وحبيبي في الله - شباب حائر متردد مذبذب، يريد الحق، لكنه لا يعرف كيف يصل إليه؟، وكيف يحظى بالظفر به؟ إنه لا يعرف أي طريق يسلك؟، وأي أحد يتبع؟ تتجاذبه تيارات شديدة عاصفة من كل الاتجاهات والأفكار: فهذا علماني، وآخر ليبرالي، وثالث شيوعي ورابع وخامس وسادس، كلهم يزعم أنه على الحق والهدى أمام كل هذا يقف هذا الشاب المسكين متردداً حائراً، يقول في نفسه: أي سبيل أتبع، وأيهم أصدق؟

* إن أمثال هؤلاء حالهم كما وصفه حذيفة بن اليمان: «كيف أنتم إذا انفرجتم عن دينكم كما تنفرج المرأة عن قبلها لا تمنع من يأتيها؟ قالوا: لا ندري، قال: ولكني والله أدري، أنتم يومئذ بين عاجز وفاجر»^(١).

وعلى النقبض

تجد شباباً ملتزمًا بدينه وشرعه، عفيفاً طاهراً، مجتهداً في طلب العلم والعبادة والعمل، يُرتلون كتاب الله ترتيلاً، ويذكرن الله تعالى على كل أحوالهم، ويتبعون هدي نبيه ﷺ في صورته وهيئته، وسيرته وطريقته، وقلبه وسريته، ويتضرعون إلى الله أن يحفظهم من الخطأ أو الزلل، ويسألونه - سبحانه - أن يُجنبهم مضلات الفتن.

لا بسنوبان

* انظر - أخي الحبيب - إلى هؤلاء وأولئك، ثم اعقد مقارنةً بين الفريقين، فهل يستويان؟! والجواب: لا يستويان أبداً.

- لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، لا يستوي الذين يعلمون قدر ربهم، وعظمة نبيهم، والذين يبارزون ربهم بالمعاصي، بل والكبائر، ويخالفون نبيهم في الصغير

(١) رواه ابن أبي شعبة والحاكم وصححه، ورواه أحمد بلفظ قريب، وصححه الشيخ العلامة أحمد شاكر - رحمه الله - في تعليقه على مسند الإمام أحمد.



والكبير..

- لا يستوي الذي يجتهدون في إخراج الصدقات، والإتيان بالقربات، والاجتهاد في ختم كتاب رب البريات، مع الذين يعيشون حياتهم طولها وعرضها من غير رادع من دين، أو وازع من خلق..

- لا يستوي الذي يقضون ليلهم في مناجاة ربهم، وقد حَلَقَتْ أرواحهم حول العرش يسألون ربهم الثبات على الحق، كما يسألونه الهداية لهم ولرفاقهم في الجامعة، مع أولئك الذين يقضون ليلهم في دفء الفراش، أو أمام شاشات التلفاز أو الكمبيوتر لمتابعة الساقطين والساقطات.

فارق كبير بين الصنفين

* حقًا - أخي الكريم - إن الفرق كبير جدًا بين صنفين من الشباب، في الاهتمامات المستقبلية والواقع النفسي والاجتماعي..

* فرق بين مَنْ غاية طموحه أن يمتلك سيارة فارمة يجوس بها الديار، للظهور على أقرانه، أو لملاحقة الفتيات الفاسقات، وبين شابٍ يطمعُ في تحقيق نصرٍ وعزة الإسلام والمسلمين أو يطمح أن يكون عالمًا يُشار إليه بالبنان، أو داعيةً يهز أعواد المنابر، أو مجاهدًا يخضب الأرض بدمه في سبيل الله.

* فرق بين مَنْ غايته ومنه أن يشغل وظيفة كبيرة ولو كانت حرامًا، أو أن يمتلك بيتًا واسعًا ويقترن بزوجة حسناء، وبين من يهفو إلى أن يكون من المتقين الزاهدين، أو العلماء المجاهدين.

* فرق بين مَنْ يسهر الليل، يتقلب على فراشه أسفًا وحزنًا لواقع الأمة الإسلامية التي أصبحت تنن تحت المطارق ليلاً ونهارًا، وبين مَنْ يبيت أرقًا لأنَّ صديقته ومحبوبته قد هجرته، أو أن فريقه الذي يشجعه قد مُنِيَ بهزيمة منكرة في مباراة رياضية.



* فرقٌ كبيرٌ بين شاب إذا سمعته المجالس فرحت بذكره وارتفعت إليه الرؤوس، واشربت الأعناق، وطاب الحديث لأنه فلان بن فلان الشاب الطيب المطيب، له في كل خير نصيب وسهم، فله في تحفيظ القرآن اليد الطولى، وله في تعليم إخوانه القِدْحَ المعلى.. فرق بينه وبين الآخر، إذا ذُكِرَ فإنما يذكر بالسب والشتم والدعاء عليه؛ لأنه مدمنٌ للخمر أو متعاطي للمخدرات، فرقٌ بين مَنْ أَرْضَى الله عز وجل وبين مَنْ أَسْخَطَهُ - سبحانه - فَمَنْ ﷺ فالدنيا في عينيه واسعة حتى لو كان يعيش في سجن ضيق، أما مَنْ سَخَطَ الله عليه فإنه - سبحانه - يجعلُ كُلَّ ما عنده سببًا في شقاوته، فالمال يتعبه ويقلقه، والصحة تغريه بمقارفة الذنوب، وكل ما أعطاه الله من النعم انقلب عليه وأصبح سببًا في شقوته وعذابه..

* فَرقٌ بين مَنْ ينعم برضا أمه وأبيه، فإذا أراد الخروج من البيت قالت له أمه: يا ولدي حفظك الله في حلك وترحالك، فيقبل رأسها، ويدعو لها، وبين شاب آخر: يدخل إلى والديه فلا يلتفت إليهما ولا يلتفتان إليه، بل يعقهما بكل أنواع العقوق، ويُسيئ إليهما أشد أنواع الإساءة.

الالتزام لماذا؟!

إذا نظرت - أخي الشاب - إلى كلا الفريقين ستبدأ أسئلة كثيرة تدور في خلجات نفسك، ومنها: لماذا لا ألتزم، ما معنى الالتزام، ولماذا الالتزام بدين الله؟ ولماذا يلتزم هؤلاء بتعاليم دينهم، بينما يفرط أقرانهم في الالتزام بشرائع دينهم؟ مع أن ظروفهم الحياتية واحدة، والفتن من حولهم - جميعًا - واحدة!!

- لماذا لا ينطلق هؤلاء كما يفعل الآخرون؟

- لماذا يخالفون شهواتهم وأهوائهم في هذه السن المبكرة؟

ولماذا يعتاد هؤلاء الشباب المساجد ويحرصون على ذلك؟؟ لماذا؟؟ ولماذا؟؟





وتبدأ الأسئلة تطرح نفسها ثم تقول في نفسك.. لماذا لا أكون كأمثال هؤلاء الشباب المبارك؟

لماذا لا ألتزم؟ ولكن ما معنى الالتزام بدين الله تعالى؟ ولماذا الالتزام بدين الله تعالى؟ وكيف ألتزم؟.. وإليك الجواب - أخي الكريم:

* إن الالتزام يعني: الملازمة للشيء والدوام عليه، والتعلق به^(١).

ولأجل ذلك فإن الفقهاء يعبرون بكلمة الملتزم عن الذي يؤخذ عليه عهد أنه إما أن يعمل بأحكام الشريعة، وإما أن يلزم بها، فيدخل في ذلك الذميون الذين يلتزم معهم أن تطبق عليهم تعاليم الشريعة^(٢).

والالتزام المراد هو: مداومة الاستقامة على الهدى، وقوة التمسك بالتقى، وإلجام النفس وقسرها على سلوك طريق الحق والخير، مع سرعة الأوبة والتوبة حال ملابسة الإثم أو الركون إلى الدنيا^(٣)، أو هو سلوك طريق الهداية، وهو تكليف يصبر عليه المؤمن القوى ويسارع إليه السابقون بالخيرات^(٤).

لماذا ألتزم بديني؟!

إن من أهم القضايا التي ينبغي أن تتضح في ذهن كل مسلم ومسلمة الإجابة على هذا السؤال المهم: لماذا نلتزم بالدين ونتمسك به؟

والجواب عليه تجعل الملتزم يسير برؤية متبصرة، وبخطوات واثقة، فلا تختلط الأوراق

(١) ارجع إلى لسان العرب الجزء الثالث عشر مادة «لزم» ط. دار صادر.

(٢) راجع: حقيقة الالتزام، للشيخ/ عبد الله بن جبرين، ص ١١، ط. دار القاسم.

(٣) انظر كتاب الثبات، تأليف د/ محمد حسين عقيل، ص ١٩، ط. دار الأندلس الخضراء.

(٤) انظر.. كلمات في الالتزام، للأستاذ/ عادل بن محمد العبد العالي، ص ٦، ط. مؤسسة الجريسي.



بين يديه، ولا تنقلب الأمور بين عينيه لأدنى شبهة، أو لإرجاف أي مرجف.

* أما الإجابة على هذا السؤال فيمكن تلخيصها في الآتي:

إننا نلتزم بديننا..

١ - لعظمة هذا الدين وفضله.. إن الإسلام أعظم نعم الله على عباده، تضمنت تعاليمه كل ما فيه صلاح النفس، ونور العقل وسعادة الفرد، وخير الجماعة، لذا فإن أجل نعمة وهبتها الله لعباده المؤمنين: نعمة الاهتداء إلى دين الإسلام الذي حُرِّمه أكثر أهل الأرض فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، فأصبحوا في عيشة ضنك، يتخللها الحزن الدائم، والقلق المستمر، والفراغ القاتل «إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل».

* لقد أدرك الرعيل الأول من هذه الأمة فضل الإسلام، وما اشتمل عليه من مبادئ ونظم كفيله بتوفير السعادة التامة والسيادة العامة، فاعتنقوه وأمنوا به، وبذلوا أنفسهم ما يملكون في سبيل نشره وتمكينه، ثم لم يزل المسلمون يضعفون في جانب الإسلام عقيدة وعملاً، ويتقاعسون عن نصرته شيئاً فشيئاً^(١)، حتى خرجت الأجيال المسلمة المعاصرة التي لم تعرف لهذا الدين فضلاً، ولم تبرز له محاسن، وصدَّق عمر بن الخطاب حين قال: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية».

فضل الإسلام

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلَإِ

(١) الدرة المختصرة في محاسن الدين الإسلامي، للشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص٥، ط. جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني.





كَافَّةً ﴿ [البقرة: ٢٠٨]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أضل الله عن الجمعة مَنْ كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت، وللنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة»^(١).

ولقد رأى النبي ﷺ في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورقة من التوراة فقال: «أمتهوكون»^(٢) فيها يا ابن الخطاب؟! لقد جئكم بها بيضاء نقية، والله لو كان موسى حيًّا واتبعتموه وتركتموني ضللتكم»، وفي رواية: «لو كان موسى حيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتباعي»، فقال عمر: «رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا»^(٣).

والأدلة على فضل الإسلام ووجوب الدخول فيه كثيرة، وحتى يزداد اليقين في القلوب عن عظمة هذا الدين، أعرض لك بعض محاسن الإسلام، ولولا خشية الإطالة لاستفضت في ذكر هذه المحاسن، إذ الإسلام كله محاسن.

- الإسلام دين الفطرة: فالإسلام دين الفطرة السوية، حيث يأمر أتباعه بالإيمان بالله ورسوله، والصلاة التي تصل العبد بربه، والصيام والذي حقيقته تأديب وتهذيب للنفس، والحج الذي يبين مدى امتثال العبد لربه وخالقه.

إنه دين يأمر بفعل الخيرات وترك المحرمات، دين أحلَّ الطيبات وحرَّم الخبائث، وأمر أتباعه بالتعاون على البر والتقوى، ونهاهم عن الإثم والعدوان، وأمر بالصدق والأمانة،

(١) رواه مسلم رقم (٨٥٦).

(٢) أمتهوكون: أي متحIRON، ومفردھا: متهوك.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣٨٧)، وقال الحافظ في الفتح، رواه أحمد ابن أبي شيبه والبخاري، ورجاله ثقات إلا أن فيه «مجالد» وهو ضعيف، وسنه الألباني بالشواهد، انظر الإرواء (١٥٨٩)، وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على «شرح السنة» للإمام البغوي (١/ ٢٧٠).



ونهى عن الكذب والجور والخيانة^(١).

فالإسلام ينسجم والفطرة الربانية التي فطر الله الناس عليها، بخلاف غيره من الأديان والمبادئ الوضعية التي لا تنسجم مع فطرة الإنسان ولا تلبي حاجاته المختلفة.

- الإسلام دين واقعي: حيث جاء ليعالج، ويُغير، ويراعي حاجات الإنسان المادية والروحية معاً، فلا يطغى جانبٌ على آخر، حتى يكون هناك توازن بين متطلبات الجسد والروح، وفي سنة رسول الله ﷺ ما يدل على ذلك كحديث الذين سألوا عن عبادة النبي ﷺ فتقالوا «وشددوا على أنفسهم في الأعمال»، فأخبرهم النبي ﷺ أن هذا مخالف لهدية فقال: «من رغب عن سنتي فليس مني»^(٢)، وأمر النبي ﷺ أتباعه أن يأخذوا من الأعمال ما يطيقونه فقال ﷺ: «مه عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا»^(٣)، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه.

الإسلام دين عالمي: فشريعة الإسلام ليست محصورة في قوم أو وطن أو جنس أو شعب، إنما جاء الإسلام للناس كافة عرباً وعجمًا، وهذه العالمية أفسحت المجال لكل شعوب الأرض وأممها أن تدخل في هذا الدين، وأن تنصهر في بوتقة الإسلام من عرب وعجم وفرس وروم، وتكون مجتمعًا ليس عربيًا ولا فارسيًا ولا روميًا ولكن مجتمعًا إسلاميًا.. بحيث يكون المسلم فوق أي أرض وتحت أي سماء هو أخ لأخيه المسلم من غير تفرقة بسبب اللون أو الجنس أو العرق أو القبيلة..

- الإسلام دين التحرير: فهو يحرر الإنسان من الخوف على الرزق والأجل؛ لأنه يغرس في قلب الإنسان أن الرزق والأجل بيد الله، ويحرر العقل من الخرافات والأوهام، ويرسخ في

(١) راجع رسالة كمال الدين الإسلامي وحقيقته ومزاياه، للشيخ/ عبد الله بن جار الله، ص ١٣ ط. المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.





وجدان المسلم أن النفع والضرر بيد الله - وحده - والإنسان لا يملك من أمر نفسه ولا غيره شيئاً، ويحرر الإنسان من العبودية لشهواته، ويحرر الإنسان من ظلم الإنسان، كما يحرر المرأة من الظلم ويجعل لها المكان اللائق بدورها حسبما قررت الشريعة، ويحرر الأوطان من كل احتلال واستغلال، فالإسلام دين يحرر العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

- الإسلام دين العدل: فالإسلام يتميز بالعدل المطلق في الحكم والقضاء والاجتماعيات، فالناس كلهم أمام القانون الإسلامي سواء، فقيرهم وغنيهم، حاكمهم ومحكومهم، هذا هو أمر الله للرسول، كما في قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥]، وانظر إلى عدالة الإسلام المطلقة ولو مع غير المسلمين كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، وقد قال النبي ﷺ قال الله تعالى: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»^(١).

وهذا هو رسول الله ﷺ يُجسد العدل في قضاءه وحكمه، فلا يقبل شفاعة حبه وابن حبه أسامة بن زيد في حد من حدود الله تعالى.

ولك أن تعلم - أخي الحبيب - أن عدالة الإسلام تُعدُّ من أعظم الأسباب في دخول الكثيرين من الناس في الإسلام.

الإسلام دين الهداية: لو قُدر لبعضنا أن يُطلَّ من نافذة تُشرفُ على عالم البشر في كل الأزمنة والأمكنة، فإنه سيرى أخلاطاً متباينة، واتجاهات مختلفة، وأنماطاً متفاوتة، وسيرى الناس يسرون في دروب كثيرة متعرجة حيناً، ومتشابكة حيناً آخر، سيرى كأن البشرية قد غشيها في عصورها المتطاولة ظلام متكاثف، فهي تضرب في دروب الحياة في ليل بهيم، تسير

(١) رواه مسلم (١٨٢٨).



وتسير ويضئها المسير، ثم لا تصل إلى الشاطئ الآمن، ونراها تحدد أهدافاً، وتقصد غايات، وعندما تشارف الهدف المنشود ينكشف عن سراب خادع، إلا أن الناظر من تلك النافذة سيرى في وسط تلك الطرق المتعرجة والمتشابكة طريقاً واحداً مستقيماً، لا ينحرف يميناً ولا شمالاً ولا تهب عليه الأعاصير، وكلما قاربت معالنه على الاندثار، ورسومه على البلى شاهدنا أقواماً يقومون بكشف الرمال عنه من جديد، ويوضحون معالنه، ويجددون رسومه، إنهم أهل الإسلام والتوحيد، النور يشرق من قلوبهم ووجوههم ويحملون مشاعل النور في أيديهم، ويدعون غيرهم إلى الطريق الموصل إلى الأمن والأمان^(١).

* إن الإسلام دين الهداية والرحمة لكل أهل الأرض: فهو رسالة تحملها الأمة المسلمة لهداية العالمين جميعاً - لا سيما - والإسلام هو الدين العام الخالد الموافق للفطر البشرية السّوية، فلا يصلح زمان ولا مكان، إلا بالإسلام، فبتطبيق شرائعه يسعد الفرد، ويتحقق الخير للجماعة^(٢) في كافة النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

٢- نلتزم بديننا.. لأن الشارع الحكيم أمرنا بالمداومة على التمسك بشرعه.. والآيات في هذا المعنى كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، قال ابن كثير - رحمه الله: «يقول الله تعالى آمراً عباده المؤمنين به المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره وترك جميع

(١) راجع معالم الشخصية الإسلامية، د/ عمر الأشقر، ص٧، ٨، ط. دار النفائس.

(٢) الهدف والغاية من التذكير بهذه المحاسن هو تثبيت أفئدة الشباب الجامعي أمام شبهات ومغالطات المنصرين والعلمانيين وأمام تطاول الملحدين ممن يسبون هذا الدين الخفيف تلميحاً وتصريحاً على الشبكة العنكبوتية «الإنترنت»، وفي الفضائيات العلمانية والليبرالية واليسارية والإلحادية، والله أسأل أن يحفظ دينه وأن يعز شريعته في الشرق والغرب.



زواجره، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً»^(١).

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٣) [هود: ١١٢]، قال السعدي - رحمه الله -: ولقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَقِيمُوا كَمَا أُمِرُوا فَلْيَسْلُكُوا مَا شَرَعَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّرَائِعِ، وَيَعْتَقِدُوا مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ وَلَا يَزِغُوا عَنْ ذَلِكَ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً، وَيَدُومُوا عَلَى ذَلِكَ، وَلَا يَطْغُوا بِأَنْ يَتَجَاوَزُوا مَا حَدَّهُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْإِسْتِقَامَةِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ وَسَيَجْازِيكُمْ عَلَيْهَا، فَفِيهِ تَرْغِيبٌ لِسُلُوكِ الْإِسْتِقَامَةِ وَتَرْهيبٌ مِنْ ضِدِّهَا^(٢).

* وقال ابن القيم: «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: «استقاموا على محبته وعبوديته، فلم يلتفتوا عنه - سبحانه - يمنة ولا يسرة»^(٣).

٣- كذلك فإننا نلتزم بديننا لأن الرسول ﷺ أوجب علينا التمسك بالشرع: فعن سفيان بن عبد الله قال: «قلتُ يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: «قل آمنت بالله ثم استقم»^(٤).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل»^(٥).

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٢٦٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ٣٩١، ط. أولى النهى.

(٣) يراجع: (مدارج السالكين) للإمام ابن القيم (٢/١٠٩) ط. دار الكتب العلمية.

(٤) رواه مسلم (٣٨).

(٥) رواه مسلم (٢٨١٦) (٧٦)، والمقاربه: أي القصد الذي لا غلو فيه ولا تقصير، والسداد: الاستقامة والإصابة..



* قال النووي - طيب الله ثراه: قال العلماء: معنى الاستقامة لزوم طاعة الله؛ قالوا: وهي من جوامع الكلم، وهي نظام الأمور^(١).

٤ - نلتزم بديننا: لأن الله فطرنا على الالتزام بشرائعه: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جماء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها»، ثم قرأ أبو هريرة قوله تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَهِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله: «فالصواب أنها فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال [ألمست بربكم؟ قالوا: بلى]، وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة...»^(٣).

٥ - نلتزم بديننا، لأنه لا سبيل إلى الدرجات العلى في الجنة إلا بالاستمسك بما شرع الله ورسوله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي» قالوا: ومن أبي؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي»^(٤).

قال الحافظ ابن حجر: «والإباء: يعني الامتناع عن التزام سنة رسول الله ﷺ وعصيان أمره...»^(٥).

فالالتزام بالدين سبيل لدخول جنات عدن...

(١) رياض الصالحين، باب الاستقامة، ص ٦٢، ط. مؤسسة الرسالة.

(٢) متفق عليه.

(٣) مجموع الفتاوى، (٤/ ٢٤٥).

(٤) رواه البخاري (٧٢٨٠).

(٥) رواه البخاري (١٣/ ٢٥٤).





قال ابن القيم - رحمه الله^(١):

يا سلعة الرحمن لست رخيصة *** بل أنت غالية على الكسلان

يا سلعة الرحمن ليس ينالها *** في الألف إلا واحد لا اثنان

وقال أيضًا:

يا سلعة الرحمن لولا أنها *** حُجبت بكل مكاره الإنسان

ما كان عنها قط من متخلف *** وتعطلت دار الجزاء الثاني

لكنها حُجبت بكل كريهة *** ليُصدَّ عنها المبطل المتواني

وتنالها الهمم التي تسمو إلي *** رب العلى بمشيئة الرحمن

٦ - نلتزم بديننا: لأن الإنسان يتطلع إلى الكمال: فمن المعروف أن الإنسان الملتزم بدينه يتطلع دائماً إلى الكمال السلوكي والأخلاقي والعلمي والديني، فترى المسلم الملتزم المستمسك بدينه يقوم بحق الله عليه، ثم بحق والديه، وأقاربه ويواسي أهله، ولا يؤذي جاراً ولا أحداً، إن المسلم المتمسك بدينه لا يكون لعاناً ولا سباباً، ولا نماماً ولا مغتاباً، ولا حقوداً، ولا حسوداً، المسلم المتدين يكون صادقاً في قوله، أميناً في معاملته، لا يَغشُ إذا باع أو اشترى، ولا ينقص مكيالاً ولا ميزاناً، ولا يُخلفُ وعداً، ولا يكون مختالاً، ولا فخوراً، ولا يماطل في حقوق الناس.. المسلم الملتزم بدينه يتقن عمله، ويؤديه على الوجه الأكمل من غير تسويف ولا تأخير.. وهذا يكمل الإنسان ليكون قدوة لغيره من بني جنسه^(٢).

مراحل الالتزام... ما هي؟

* المرحلة الأولى: الالتزام الخفي:

- يكون الملتزم متحفظاً خائفاً قلماً من أن يلحظ الناس تغيراً قد حدث في سلوكه - لا

(١) نونية ابن القيم، المساء به «الكافية الشافية في الانتصار للفرق الناجية» ص ١١٠، ط. دار الكتب العلمية.

(٢) انظر كتاب: المرشد إلى الدعاة إلى الله دراسة وتطبيق الشيخ / أحمد بن محمد طاحون، ص ٣٣، [د:ت].



سيما- مع القريبين منه، وفي هذه المرحلة يكون الصراع صراعاً ذاتياً نفسياً، فتراه يحدث نفسه قائلاً -أي في نفسه-:

* كيف أترك المعاصي التي انغمست فيها؟!

* كيف سأتححر من الذنوب التي يعشقها قلبي؟!

* هل أستطيع فعل ذلك؟!

* هل أنا أريد الالتزام حقاً؟!

* ماذا أريد؟!

* كيف سينظر إلى الناس بعد الالتزام؟!

* هل سأتمكن من مواجهة الآخرين؟!

* هل سأتحمل السخرية؟!

* هل سأصمد في هذا الطريق أم سرعان ما سأنتكس؟!

وغير ذلك من الأسئلة الكثيرة التي سترد على ذهنه، لهذا فإنه وفي هذه المرحلة هو في أشد الحاجة إلى أن يوفقه الله، ويثبتته على الطريق، وأن يقيه الله هذه الوسوس والخواطر الشيطانية.

المرحلة الثانية بداية المعارك!!

* أولها: المعارك الذاتية النفسية: التي يجاهد فيها الملتزم نفسه وشياطين الإنس والجن.

* ثانيها: المعارك الخارجية مع الوسط المحيط به: والذين يحاولون الضغط عليه لصرفه عن طريق الالتزام، وإعادته إلى طريق الشيطان.

* المرحلة الثالثة: مرحلة التضيق: حيث يبدأ الهجوم الشديد على الملتزم من قبل الوسط المحيط به!! وتبدأ محاولات التضيق عليه بكل سبيل ممكن.





فمن ساخرٍ، ومن شاتمٍ، ومن متهمٍ، ومن مجتهدٍ في أنواع الإيذاء المختلفة، كل هؤلاء لا هدف لهم إلا صدّ هذا الشاب عن هذا الطريق الأقوم - طريق الالتزام- وإنك لتعجب أشد العجب من فعل هؤلاء الشاميين الناقمين المحاريين للالتزام وأهله، ويدفك هذا للتساؤل: لماذا ينقمون من هذا المستقيم؟ ما ذنبه؟ وهنا ستجد الإجابة واضحة لكل ذي عينين، أن هذا الشاب ليس له من ذنب إلا أنه قال ربي الله ثم استقام.

وهنا يتعرض الشاب للابتلاء، وصدق الله تعالى إذ يقول: كما قال تعالى: ﴿الْم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١، ٢].

وفي هذه المرحلة الحرجة، يلزم الملتزم الثبات أمام هذه الفتن؛ لأن ثباته لا ينجيه فقط مما هو فيه من ابتلاء، بل قد يثمر عدة ثمار يانعة قد تصل إلى الغير.

*** المرحلة الرابعة: مرحلة الحوار:** حيث يكون محيط الملتزم قد يأس من إرهابه وإبعاده عن طريق التدين والالتزام، وهنا تبدأ مرحلة الحوار لتغيير القنوات عن طريق بث الشبهات، وهذه المرحلة يجب أن يتسلح فيها هذا الملتزم بالعلم الشرعي للرد على شبهاتهم الواهية وحججهم الداحضة، كذلك عليه في هذه المرحلة أن يتقن طرق الحوار، ومهارات المناظرات، وفنون الإقناع وآدابه، منها: حسن الإنصات إلى الآخرين، وعدم مقاطعتهم، وعدم رفع الصوت، وحسن عرض الحجة حتى يكون حوارًا مثمرًا.

*** المرحلة الخامسة: مرحلة القبول:** وأخيرًا بعد أن استطعت أن تنتصر على نفسك أولاً، ثم بعد أن مَنَّ الله تعالى عليك فصبرت على أذى من حولك، وأحسنْتَ وأجَدْتَ دعوتهم ومناقشتهم بكل رفق ولين وأدب، فإنك ستصل بإذن الله إلى قلوب هؤلاء، وستصل إلى حب هؤلاء وبالتالي يتقبل هؤلاء «قضية الالتزام»، وفي هذه المرحلة يجب على الملتزم ألا يركن إلى الهدوء والدعة والكسل، بل يجب عليه أن يواصل دعوة رفاقه وأهله وكل مَنْ حوله، وأن

يقترّب منهم الواحد بعد الآخر، حتى يكون سبباً لهدايتهم إلى الحق والهدى والرشاد في دينهم ودنياهم وأخراهم.

*** المرحلة السادسة: مرحلة بعد الالتزام:** عن أهدافك التي التزمت بها وشرعت في تحقيقها، وقد يقسو قلبك ويمتلئ بالأمراض، فاحذر أن يطول بك هذا الحال المهلك، وتأمل هذا القول العظيم الذي ذكره الإمام عبد الرحمن بن وهب حينما قيل له: توصى بشيء؟ قال نعم: «احذر أن يأخذك الله على غفلة».

كذلك فاحذر أن تَرْضَى عن نفسك؛ لأنه مَنْ رَضِيَ عن نفسه وعمله فقد هلك وضلّ، وتأمل قول ابن القيم - رحمه الله - فهو يقول: «ولله درُّ أبي مدين حيث يقول: «ومتى رضيت عن نفسك وعملك، فاعلم أن الله عنك غير راضٍ، ومن عرف نفسه وعَرَفَ ربه علم أن ما معه من البضاعة لا ينجيه من النار، ولو أتى بمثل ما عَمِلَ الثقلين»^(١)، لأجل هذا فاحرص - أخي الحبيب - على استدراك الهفوات، وعلاج الهنات، كذلك فاحرص على الإقبال بقلبك وجوارحك على الله الرحيم الرحمن.

المرحلة السابعة: مرحلة القدم الراسخة: وهذه ليست لكل أحد، فهذه المرحلة لا يصل إليها إلا القليل الموفق!! نعم لأن هذه المرحلة صاحبها من ذوي العلم والعمل والدعوة والصبر والمصابرة، حيث إنه لم يكتف بمعرفة طريق الالتزام والاهتداء إليه فحسب، بل هو واقف يأخذ بأيدي من حوله ويثبتهم على طريق الإيثار، فهو كالنور على الطريق، لمن هم في أول الطريق، ويحتسب على الله تعالى ما يقوم به من تذكرة للمهتدين، وإرشاد الحائرين ودعوة للضالين إلى صراط رب العالمين^(٢).

هذه المراحل هي مراحل الالتزام بكلياته وجزئياته..

(١) مدارج السالكين (٣/ ١١٤).

(٢) نور الرحمن في رحاب الالتزام، للأستاذ/ أحمد حازم، ص ١٠، ١١، ١٢، ط. مكتبة أم القرى الإسلامية.



* كيف ألّتم؟!

١ - استعن بالله ربك وخالقك.. فإنه مَنْ أعانه الله فهو المعان، وَمَنْ خذله فهو المخذول، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز»^(١).

قال النووي - رحمه الله -: وقوله ﷺ: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز» ومعناه: احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك ولا تعجز، ولا تكسل عن طلب الطاعة، ولا عن طلب الإعانة..^(٢).

٢ - اصدّق الله يصدّقك.. إِنَّ الصّدق مِنَّةٌ عظيمة، يَمُنُّ الله بها على مَنْ شاء من عباده، فالصادق مع نفسه يحاسب نفسه حساب الشريك الصحيح، قال ابن القيم^(٣): «وَمَنْ لم يطلع على عيب نفسه لم يمكن إزالته، فإذا اطلع على عيبها وصدّق مع نفسه، مقتها في ذات الله».

الصدق طريق للجنة

وحتى تعرف قيمة الصدق، فانظر إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»^(٤).

الصدق في الأحوال يهدي إلى البر، والبر سبيل إلى دخول جنات رب الأرض

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) شرح صحيح مسلم (٨/٤٦٧).

(٣) يُنظر: مدارج السالكين ٩٧/٢.

(٤) متفق عليه.



والسموات.. فانظر إلى فضل الصدق وعظمة الصادقين..

- وعن سهل بن حنيف قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصَدَقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشَّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»^(١).

قال النووي: أنه إذا سأل الشهادة بصدق أعطى من ثواب الشهداء، وإن كان على فراشه، وفيه استحباب سؤال الشهادة واستحباب نية الخير^(٢).

فاصدق الله في كل أحوالك وأفعالك وحركاتك وسكناتك.. يصدقك الله عز وجل.

٣- استشعر الالتزام بالدين في الظاهر والباطن^(٣): لأن الالتزام لا يقف عند حد اللباس الشرعي والسمت المظهري فحسب، بل الملتزم ملتزم بمظهره ومخبره، فإنَّ من الخطأ الظاهر ما نراه من البعض من تقسيم الدين إلى قشور ولباب، كأن يُقال: «ما الداعي إلى التمسك بالهدي النبوي الظاهر، مثل: إعفاء اللحية وتقصير الثياب، وما الداعي لإثارة مسألة الحجاب أو النقاب الآن..؟! هذه كلها فروع وشكليات»، ومثل هذا الكلام مخالفٌ للأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة، لأن تقسيم الدين إلى أصول وفروع، وثواب ومتغيرات ليس معناه إهمال أجزاء من الدين، وإنما معناه (تقديم الأولويات) وفق مراد الله ورسوله، ومن هنا يجب الاعتناء بأداء الأعمال التي فرضها الله وأوجب علينا فعلها، وترك ما نهى عنه من الأعمال؛ لأن ذلك جزء من الإيمان، فالعمل المتروك وإن كان قليلاً ينقص من الإيمان بذلك المقدار^(٤).

(١) رواه مسلم (١٩٠٩).

(٢) شرح صحيح مسلم (٦٤/٧)، ط. دار الحديث.

(٣) مستفاد من بحث: كلمات في الالتزام، ص ٣٠.

(٤) فائدة: إن عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان.. أنه قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان وهذا قول عامة السلف.. ومنهم الأئمة الثلاثة «أحمد ومالك والشافعي» وخالفهم أبو حنيفة قائلاً: إن الإيمان هو مجرد الاعتقاد والنطق، والعمل من لوازم الإيمان، ولا يدخل في مسأه، وقالت الأشاعرة والجهمية: إن الإيمان مجرد التصديق فقط، ولو لم يكن معه قول ولا عمل، وقالت الكرامية: أن الإيمان مجرد القول، والحق ما كان عليه السلف الصالحين عليهم السلام.





٤ - خالط الجادين من الملتزمين: لقد اقتضت حكمة الله تعالى في خلقه أن يجعل الإنسان اجتماعياً بطبعه، مائلاً إلى مخالطة الآخرين ومجالسهم والاجتماع بهم، وهذه المجالسة والمقارنة لها أثرها الواضح في فكر الإنسان ومنهجه وسلوكه، وهي سبب فعال في مصير الإنسان وسعادته الدنيوية والأخروية، فالمرء يتأثر بجليسه ويصطبغ بصبغته، فكراً ومعتقداً وسلوكاً وعملاً، وقد دلَّ على ذلك الشرع والعقل والواقع والتجربة، فمن دلالة الشرع ما أخبر به سبحانه عن ندم الظالم يوم القيامة وتأسفه على مصاحبته لمن ضلَّ وانحرف وكان سبباً في انحرافه وضلاله، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۚ﴾ (٢٧) ﴿يَوَلَّتْ نِفْسِي وَلَمْ أُخَدِّمْ فَلَآنَا ضَالِياً ۚ﴾ (٢٨) ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۚ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ۚ﴾ (٢٩) [الفرقان: ٢٧: ٢٩].

* قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - في تفسيره: «ويوم يعضُّ الظالمُ المشركُ بربه على

ومن هنا يجب أن يتنبه الذين يُهونون من شأن العمل بسنة رسول الله ﷺ والتزامها إلى خطورة مواقفهم الإرجائية، وقد يتعدى بعض هؤلاء طوره فيصف أموراً من السنن أو الدين بأنها قشور لا فائدة منها في العصر الحالي، والحق: أن الدين كله لباب لا قشور فيه، وإن تفاوتت أمور الدين في الأهمية، ولا يفهم من قولنا هذا أننا لا نعني بالأولويات في العلم والعمل والدعوة إلى الله، فهذا أمر ينبغي أن يكون مقرراً ومعلومًا وفي هذا قرر علماء الأصول «قاعدة تفاوت الواجبات.. وغيرها»، ولكن الذي ننكره هو ترك الجزئيات، والتهوين من السنن والمندوبات، - خاصة - عند المتدينين الذين أعلنوا استقامتهم على الشرع وألزموا أنفسهم بالصغير والكبير من أمر الإسلام وسنة المصطفى ﷺ، وأنا أذكر هؤلاء بقوله سبحانه ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]. وكم يؤثر في نفسي مشهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما طعن في السن ودخل عليه شاب، وقال لعمر قولاً حسناً، فلما أدبر ذلك الشاب ليخرج وكان ثوبه طويلاً دعاه عمر وقال: «يا ابن أخي قصّر ثوبك، فإنه أنقى لثوبك، وأرضى لربك»، فلم يمنعه ما هو فيه «وهو الموت» أن يرشد الشاب إلى أمر يعده كثير من الناس اليوم من القشور التي لا يجوز أن يُعنى بها.

(١) انظر العقيدة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، د/ سليمان الأشقر، (العقيدة في الله ص ١٨)، ط. دار النفائس، وراجع رسالة بدعة تقسيم الدين إلى قشور ولباب، د/ محمد بن إسماعيل - حفظه الله.

يديه ندمًا وأسفًا، على ما قرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالكفر في طاعة خليله الذي صدّه عن سبيل ربه، يقول: يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلاً، يعني طرقاً إلى النجاة من عذاب الله، وقوله ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ [الفرقان: ٢٩]، يقول جلّ ثناؤه مخبراً عن هذا النادم على ما سلف منه في الدنيا من معصية ربه في طاعة خليله «لقد أضلني عن الإيمان بالقرآن»، وهو الذكر، بعد إذ جاءني من عند الله قصدني عنه^(١).

قال ﷺ: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة»^(٢)، فبيّن عليه الصلاة والسلام أن الجليس له تأثير على جليسه سلبيًا وإيجابيًا، بحسب صلاحه وفساده، حيث شبّه الجليس الصالح بحامل المسك، فإنك إن جالسته فلا بدّ أن يحصل لك منه واحدة من ثلاث: إما أن يحذيك (أي يعطيك ويهدي إليك)، أو تشتري منه، أو على الأقل تجد منه الرائحة الطيبة المؤثرة في نفسك وبدنك وثيابك، فكَذلك جليستك الصالح لا بد أن تستفيد منه، وتنتفع بمجالسته.

وشبّه نبينا ﷺ الجليس السوء: بنافخ الكير (وهو زق أو جلد غليظ ينفخ به النار)^(٣)، فهو إما أن يتطاير عليك من شرر ناره فيحرق ثيابك، أو على الأقل تجد منه رائحة كريهة تصيب بدنك وثوبك، وكذلك جليس السوء لا بد أن تتضرر بمجالسته^(٤).

* قال ابن حجر: وفي الحديث النهي عن مجالسة مَنْ يُتَأَذَى بمجالسته في الدين والدنيا، والترغيب في مجالسة مَنْ يُنْتَفَعُ بمجالسته فيها^(٥).

(١) راجع جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام الطبري (٧/١٩)، ط. مصطفى الحلبي.

(٢) متفق عليه.

(٣) راجع عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، للعيني، (٣٠٨/٩)، ط. الحلبي.

(٤) انظر (من تجالس)، عبد الله بن علي الجعشي، ص ١٢، ط. دار الوطن للنشر.

(٥) فتح الباري (٤/٣٢٤).





وقال عليه السلام: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال»^(١).

* قال الخطابي - رحمه الله: لا تحالل إلا من رضيت دينه وأمانته، فإنك إذا خالته قಾದك إلى دينه ومذهبه فلا تغرر بدينك، ولا تخاطر بنفسك، فتخالل مَنْ ليس مرضياً في دينه ومذهبه^(٢).

* وقال سفيان بن عيينة - رحمه الله: انظروا إلى فرعون معه هامان!! انظروا إلى الحجاج معه يزيد بن أبي مسلم شر منه، انظروا إلى سليمان بن عبد الملك صحبه رجاء بن حيوة فقَّومَه وسدَّده^(٣).

* قال الغزالي - رحمه الله: قال عيسى عليه السلام: «جالسوا من تذكركم الله رؤيته، ومن يزيد في عملكم كلامه، ومن يُرغبكم في الآخرة عمله»^(٤).

الصاحب صاحب للجنة أو النار

واعلم - أخي الشاب - أن مصاحبه الملتزمين الذين يستشعرون الالتزام في أقوالهم وأعمالهم يعطي المرء قوة ودفعة إيمانية وذلك بالافتداء بهم والشعور بالنقص، وضعف الهمة عند مخالفة ما ارتقى إليه حالهم، فإن حَصَلَت الزلَّة من الإنسان وَجَدَ مَنْ ينصحه، وإن وَقَعَتْ منه المعصية وَجَدَ مَنْ يعظه ويذكره..

وكثير من الملتزمين يغفل عن هذا فيختلط بغير أهل الجدية فيتدهور إيمانه من حيث لا يشعر، أو ينحط التزامه إلى درجة متدنية قد تقف عند بقاء المظهر فحسب، أما المخبر فيتلاشى إلا قليلاً، وأشد من ذلك وأنكى حال مَنْ يختلط «بأهل الباطل» مِمَّنْ كان قد صَحِبَهُمْ قديماً،

(١) رواه أبو داود (١١٦٨/٥)، والترمذي (٥٨٩/٤) ح (٢٣٧٨)، وأحمد (٣٠٣/٢)، وحسنه الترمذي، والألباني في الصحيحة (٩٢٧).

(٢) راجع كتاب «العزلة»، للخطابي، ص ١٤١، ط. دار ابن كثير، دمشق.

(٣) المصدر السابق، ص ١٤١.

(٤) إحياء علوم الدين، للغزالي، (١٥٩/٢)، ط. دار الإرشاد بالقاهرة.

أو ينشئ علاقةً جديدةً مع بعض الزملاء «الصالحين» في الفصل الدراسي أو من شباب الحي الذي يسكنه فيتساقط إيمانه يوماً بعد يوم، وعندها، يعض أصابع الندم»^(١).

٥ - عليك بتزكية نفسك وتربيتها^(٢): قد يقول قائل: «تزكية النفس، تربيتها»، ما معنى هذه الكلمات؟ وما هي دلالتها؟ وهل مثلي ينقص تربية؟!

الجواب: إنّ كلمة تربية مأخوذة من «ربا»، «يربو» بمعنى: نما ينمو، أو «يزيد» ومن معاني التربية بلغ الشيء كماله على وجه التدرج كما قال الراغب في المفردات، ولم يُعرف استخدام لفظ «تربية» إلا في العصر الحديث، إذ كان العرب في القديم يستخدمون لفظ «التأديب» وكانوا يطلقون على المعلم اسم المؤدّب، فالتربية تعني: إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام^(٣).

(١) كلمات في الالتزام، ص ٤٤.

(٢) ظهرت - في الآونة الأخيرة - نابذة في بعض قطاعات العمل الإسلامي تزدري التربية، وتُهوّن من شأنها وشأن المشتغلين بها، وتتهمهم بالسطحية وضيق الأفق، والتفوق على الذات.. ونحو ذلك من المثالب. ونسى هؤلاء أن التربية من أجل وظائف النبوة، كما قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]. ولهذا حفلت حياة النبي ﷺ كلها بتربية أصحابه الكرام ﷺ وكان من ثمرة ذلك جيلٌ فريد جاهد في الله حق جهاده.

- وتزكية النفوس وتربيتها هي المنطلق الصحيح لبناء الإنسان - خاصة - في هذا الزمان الذي طغت فيه الأهواء والشهوات، وأصبحت فيه الفتن تترصد للإنسان من كل باب، وعليه فلا فلاح ولا استقامة إلا بالتربية ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

- صحيح أن طريق التربية طريق طويل، يحتاج إلى أناة وصبر، لكنه - بإذن الله - يمثل الدعامة الرئيسة لنهضة الأمة وريادتها.

وأحسب أن كثيراً من الكبوات التي أنهكت الأمة إنما سببها الرئيس هو ضعف التربية (راجع مجلة البيان العدد «٢١٠» صفر ١٤٢٦هـ ص ٤٤، مارس/ أبريل ٢٠٠٥م).

(٣) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، ص ١٩٠، ط. مكتبة التوفيقية.





- كذلك فإن التربية الأصل فيها: أنها فن وعلم يقودان الناشئ بمساعدة العلوم، وتأثير الأسوة الحسنة والقذوة الصالحة إلى حالة يقدر بها على بلوغ غايات الكمال الممكن، وقيل هي: تنمية قوى الإنسان البدنية والفكرية والخلقية والإيمانية تربية متسقة متناسقة^(١).

وقيل: التربية: هي ارتقاء الشخص بنفسه إلى كماله، فإن كل شخصية لها كمال معين، والتربية هي الارتقاء بالنفس إلى كمالها، ومسايستها، والتفطن لعيوبها^(٢).

وبهذا يتضح أن مفهوم كلمة التربية بوجه عام يعنى: تشكيل اتجاهات الأفراد وفق قيم معينة وإعانتهم على تكوين النظرة السليمة إلى الحياة، وهي تقترن بصورة مباشرة بالتعليم الإيجابي الذي هو نقل المعلومات الذهنية من حيز الإدراك الجامد إلى حيز التطبيق العملي الحي بصورة متدرجة ومتأنية ومتكاملة ومتوازنة ومستمرة، وبطريقة عميقة جذرية مؤثرة^(٣).

فتكون الثمرة لذلك: صقل ملكات هؤلاء الأفراد، مما يؤدي إلى نجاحهم في شتى المجالات - بإذن الله^(٤).

(١) أنجح الوسائل في تربية النشء تربية إسلامية خالصة، أ/ محمود الصلا، ص ١٢، ط. مؤسسة الريان بيروت.

(٢) كيف يربى المسلم نفسه، للشيخ/ محمد صالح المنجد، ص ٥٥، ط. مكتبة السلسبيل.

(٣) مجلة التوحيد العدد الرابع لشهر ربيع الآخر سنة ١٤٢٥، ص ٦٦.

(٤) الحقيقة: أن مفهوم التربية بمعناها الحديث ليس أمراً محدثاً، بل قد وردت الإشارة إليه في كتاب الله تعالى في موضعين اثنين، أحدهما: في سورة الإسراء، في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا﴾ [٢٤] ﴿[الإسراء: ٢٤].

كذلك وردت في سورة الشعراء، في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [١٨] ﴿[الشعراء: ١٨].

بينما التربية من المنظور الديني تعنى: تنمية ملكات الفرد وقدراته على اختلافها من أجل بلوغ كما له العقلي والنفسي، وتنمية قدرات المجتمع كذلك من أجل تحقيق تطور أفضل، وتقديم اجتماعي أكمل.. وفق المبادئ الإسلامية.



أما التربية من المنظور الإسلامي عند أهل السنة والجماعة فهي تعني:
التربية المتوازنة الشمولية التي تصنع الأجيال، وتهبئ الأشبال ليرتقوا ذرى الكمال،
متسلحين بعقائد صحيحة، وأعمال صالحة، وأخلاق زاكية في الدنيا، كما تهيئهم لأنعم نعيم
أهل الجنة في الآخرة وهو رؤية الله - جلّ جلاله.

- أو بتعبير آخر: تربية جيل على نمط الصحابة - رضي الله عنهم، يعتقدون معتقدهم وينهون
نهجهم في فهم الكتاب والسنة، ويقتدون بهم في أخلاقهم وأعمالهم وسمتهم^(١).

* التربية لماذا؟! *

لك أن تسأل: لماذا نربي أنفسنا على امثال أوامر الشريعة؟! والجواب: إن التربية أصل
ضخم وأساس متين، لا يتم بدونه تغيير، ولا تنجح بدونه دعوة، وليس له غاية ينتهي عندها،
لا يستغنى عنها الكبير فضلاً عن الصغير، ولا المنتهى فضلاً عن المبتدئ، وتظهر أهمية التربية
والحاجة إليها على مستوى الأمة - أفراداً وجماعات - للآتي ذكره:

١- لأن التربية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالإنسان منذ بزوغ فجر التاريخ وظهور الإنسان
على وجه الأرض: إن من نافلة القول أن نذكر أن التربية قد ارتبطت بظهور الإنسان على
الأرض وإحساسه بنفسه وتعامله مع الأسرة ثم الجماعة، ولكن القرآن يشد انتباهنا بقوة نحو
درس تربوي أسبق من هذا هو أولى بالاهتمام من غيره، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ

- «ولا يجوز في الإسلام أن تقتصر التربية على تلقين الإنسان المعلومات أو اكتساب المهارات الفنية، وإنما تهدف التربية
إلى أبعد من ذلك، فهي تهدف إلى رفع الإمكانات، وتنمية المهارات وتهذيب الأخلاق، سواء في ذلك أخلاق
الأفراد، أو أخلاق المجتمع، ومن الواضح أن الاقتصار على العلم المادي وحده ينحرف بالفرد والمجتمعات إلى
شور لا نهاية لها، فلا بد من اقتران التعليم بالأخلاق الإسلامية».. راجع مقال أ/ محمد رجاء حنفي.. بمجلة
الوعي الإسلامي عدد (٩٣) جمادي الأولى (١٤٠٩هـ) مقال بعنوان «قيم هي أساس التربية» ص ٣٠، ٣١.
(١) التربية عند أهل السنة والجماعة للشيخ/ أحمد فريد ص ١٩ ط. الدار السلفية.





رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ، إلى قوله تعالى: ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: ٣٠-٣٩].

فقبل أن يهبط الإنسان إلى الأرض أراد الله - سبحانه - أن يعلمه درسًا يعرف فيه:

- عداوة الشيطان، وكيد له، وبعض حيل الشيطان ووسوسته.
- أثر الطاعة ومضرة المعصية في كشف ستر الله تعالى وسلب معونته.
- قيمة العلم ورفع له شأن الطين حتى تؤمر الملائكة بالسجود له.
- قبول الله لتوبة التائبين، بل وعنايته بأن يلهم الإنسان كيف يتوب؟! -

- صدق وعد الله وزيف وعود الشياطين.

- التحقير من شأن «الكبر» باعتباره من الصفات الذميمة، وكيف أنه أوصل الشيطان إلى الصغار.

وغير ذلك من الدروس التربوية التي ينقلها القرآن الكريم في قصة آدم عليه السلام، وقد ذكرها القرآن في سبعة مواضع.

* كما يحدثنا القرآن الكريم عن درس تربوي آخر على الأرض، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ...﴾ [المائدة: ٢٧]، [٣٠].

وهو درس تربوي يعلم الله فيه الإنسان من الغراب، ويكتب من أجله على بني إسرائيل: ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

- كما يقضي الله - سبحانه وتعالى - من دروس التربية موعظة لقمان الحكيم لابنه،



كذلك من الدروس التربوية الرائعة التي تبقى أمام أعين البشرية جمعاء نبراساً هادياً ما كان من شأن إبراهيم عليه السلام مع زوجته هاجر وابنه إسماعيل^(١).
إلى غير ذلك من الدروس التربوية النافعة والتي تدل على أن التربية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنشأة الإنسان وظهوره على وجه الأرض.

٢- لأن التربية سبب رئيس في الحفاظ على حياة الأفراد والأمم والشعوب: إن للتربية أثرها البالغ في الحفاظ على حياة الأفراد والأمم، ولعل هذا يتضح بجلاء عند استقراء هذا المثال فأقول: أرايت لو أن بقعة من أديم الأرض أهملت فأنبئت الشوك والسعدان، وصارت قفراً لا تنبت زرعاً ولا تمسك ماءً ماذا أنت فاعل بها؟، وهل يمكن أن تستفيد بها أو يستفيد بها غيرك وهي على هذه الحال؟! بالطبع لا.

ولكن حتى تستفيد بها فلا بد من أن يتعهدا زارع ماهر بالإصلاح والحرث حتى تصير جنة يانعة تنبت من كل زوج بهيج، وذلك هو مثل حياة الأفراد والأمم إذا أهملها رجال التربية ولم يعنوا بوسائل إصلاحها ورفيها، أما إذا قاموا عليها بالرعاية وساروا بها إلى الغاية التي تحقق المراد، إذ أن التربية الصحيحة تهيب الفرد - الذي هو محور بناء المجتمعات - للمعيشة الكاملة، وتصل بجسمه وروحه إلى الكمال الإنساني وترشده إلى حقوقه وواجباته، وهي لهذا أكبر مؤثر في حياة الأفراد والأمم، وعليها يتوقف مستقبلها وعنهما تنتج عظمتها وريادتها، أو سقوطها واندثارها.

٣- لأن التربية مهمة الأنبياء - خاصة - سيد الأنبياء ﷺ لا شك أن الاشتغال بالتربية

(١) يراجع: «التربية بين الأصالة والتجديد»، للشيخ/ محمد صفوت نور الدين - رحمه الله رحمة واسعة، ص٨، ط. دار إدارة الدعوة بالمركز العام لأنصار السنة بالقاهرة، كما ننصح بمطالعة كتابي: «أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الإخوة الإسلامية» ط. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة (إسلامية المعرفة ٢)، وكتاب «هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس» ط. دار القلم - دمشق.. وكلاهما للأستاذ الدكتور/ ماجد عرسان الكيلاني.





والتزكية^(١) هو طريق الأنبياء والعلماء والمصلحين قاطبة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، ولا ريب أن في اشتغال الأنبياء والدعاة والمصلحين بالتربية ما يدل على أهمية التربية، وعظم دورها في إصلاح الأفراد والجماعات، ولعل هذا يظهر كالشمس في رائعة النهار عند استقراء سيرة نبينا ﷺ، وكيف أنه استطاع ﷺ تربية أصحابه؟! حتى إنه استطاع ﷺ أن يُحوّل العقيدة الصادقة المستقرة في نفوس -هؤلاء- يقيناً إلى حقيقة سلوكية في الواقع، واجتهد ﷺ في ترسيخ المعاني الإيمانية في قلوب أصحابه، لتصبح تلك المفاهيم يقيناً لا تزلزله محنة أو ابتلاء، كما أن هذه المعاني لا تغيرها نعمة أو رخاء.. لهذا أمر النبي ﷺ أصحابه بقيام الليل ودوام الذكر وتلاوة القرآن، لكي تستعد النفوس لتحمل الأعباء العظيمة التي ستكلف بها، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ ۝١ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزمل: ١: ٣]، لهذا لم يأمر النبي ﷺ أصحابه بالقتال إلا بعد سنين متتابعة من الإعداد والبناء والتربية؛ لأن التضحية بالنفس أو بالمال أو الأهل أو الولد، منزلة عليّة سامقة، تتطلب قلوباً مؤمنة، قوية بالطاعات، رسخ فيها اليقين، واطمأنت بذكر الله والإخبارات إليه..

* إن في ممارسة النبي ﷺ التربية مع أصحابه صفحات مشرقة، حق على كل من يرجو النجاة أن يطالعها مقتدياً مهتدياً، وقد قال تعالى: ﴿فِيهِدْهُمْ أَمْتًا ۝٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠].

٤- لأن التربية عصمة من الفتن: تتعاضم أهمية التربية لأن المسلمين يتعرضون فوق كل أرض للفتن أنواعاً منوعة، بالخير ولاشر، والرغبة والرغبة، حتى إنه من شدة تلك الفتن التي أملت بالأمة يتمنى كثير من المسلمين الصادقين الموت، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «لا

(١) إن التزكية هي التعبير القرآني لمصطلح التربية، وإن كان في معنى التربية ملمح زائد من التعاهد والمتابعة للمربي الصغير، فالتزكية ثمرة للتربية.



تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول: يا ليتني كنت مكانه^(١)، ولا يعصم - بإذن الله - من فتنة السراء والضراء إلا تربية تعظم أمر الآخرة، وتصغر شأن الدنيا، وتؤثر ما يبقى على ما يفنى، خصوصًا في هذه الأيام، وفي المستقبل، إذ نحن الآن لا نعلم هل نحن مقبلون على أوقات انتصارات وفتوحات وتمكين لهذا الدين، أم أننا مقبلون على عصر محن وفتن، وكلتا الحالتين تستلزم تربية قوية لأفراد المجتمع المسلم..

لأننا إذا كنا مقبلين على مرحلة فتوحات وانتصارات، فَمَنْ الذي سيربي الشعوب وينشر الإسلام؟!، لا شك أن الذي يعمل على نشر هذا الدين لابد وأن يكون من ذوى الشخصيات القوية المؤهلة لحمل هذه الأمانة، ويلزم أن يكون ممن تربوا تربية إسلامية إيمانية وعقدية وسلوكية صحيحة خالصة، حتى يكون الواحد منهم بأمة يعتمد عليه في نشر هذا الدين بين العالمين في ربوع الأرض - وخاصة - البلاد المفتوحة والحديثة عهد بإسلام.

* كذلك فإنه لو نزل بالمسلمين محن وابتلاءات أو تعذيب واضطهاد وتشريد، فَمَنْ الذي سيصمد؟ وَمَنْ الذي سيتمكن من مواجهة هذه الفتن والبلايا وتلك المحن والرزايا؟، لا شك أن الذي سيتمكن من الثبات على المنهج الحق، والذي سيصبر على تلك الصراعات هو مَنْ اجتهد على تربية نفسه تربية إسلامية خالصة.

* إذن فليس عندنا حل لمواجهة تلك المشكلات التي نعيش فيها - نحن المسلمين -، اليوم في عالمنا المعاصر إلا التربية، كذلك فإنه ليس هناك علاج ناجح وحل جذري لكثير من كبريات المشكلات التي نعيشها في الواقع إلا طريق التربية.

٥- لأن التربية وسيلة قوية للتحكم في النفس البشرية: الأصل أنه يغلب عنصر الخير على النفس البشرية السوية فإذا ما زكاها صاحبها فأمسك بزمامها، ومنعها عن هواها فقد ربح

(١) متفق عليه.

فائدة: ذكر الرجل وصف طردي، ولعل السبب في ذلك: أن الرجال - غالبًا - هم المبتلون بالشدائد، والنساء - غالبًا - محجوبات لا يصلين نار الفتنة، ولهذا خصهم بالذكر.





وفاز، وإذا ما أفلت لها العنان، وأعطاهها سؤلها، وقدم لها كل ما تشتهي فقد خاب وخسر.

* إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، فالنفس مع ما فُطرت عليه من الخير فإنها تحب الشهرة، بل تسعى لها، وترغب في المكانة والإمارة، وتعمل لها، وتجد المبررات بما تدعي لذاتها من إمكانات وطاقات، وما يمكن أن تقدمه للمجتمع فيما لو آل إليها الأمر، كما تميل النفس البشرية إلى المال وتبذل جهدها في الحصول عليه، وتعطيه الأولوية، بل تحلم له: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (٨) ﴿العاديات: ٨﴾، وتغض أكثر هذه النفوس الطرف عن مصدر هذا المال، فهذه النفوس لا تبالي أَمِنْ حِلٍّ جَمَعَتْ هذه الأموال أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟! المهم فقط إرضاء تلك النفس، وبأي سبيل، كذلك تندفع النفس البشرية وراء الشهوة، وتحركها غرائزها البهيمية حتى لم تعد ترى سوى الجنس، ولا تُفكر إلا فيه حتى تتعطل أعمالها، وتتوقف طاقاتها، وربما يؤدي بها ذلك بها إلى الإفساد، ونشر الفاحشة، وارتكاب الإثم..

* إذن فالنفس البشرية عدوة لصاحبها فإذا أعطاه ما تشتهي دفعته دفعا إلى المهالك في الحياة الدنيا، وأوصلته في الآخرة إلى السعير، وإذا اجتهد في تزكية نفسه وتربيتها فنهاها عن هواها وكبح جماحها، وقادها إلى سبل الرشد رفعت في الدنيا، وكان في الآخرة من الفائزين^(١)، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)﴾ [النازعات: ٣٧: ٤١].

٦- لأن التربية من أسباب دخول الجنة: إذا علمت - أخي الكريم - أن الحساب عند الله فردي كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١]، حيث يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته، لا يهمه غيره من الناس، وإنما سيأتي يوم القيامة وحيدا فريدا، ليسأل عن حال نفسه، وعن عمله، وعلى هذا الأمر جملة من الأدلة كقوله تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَى فَلِئَمَّا

(١) انظر.. رسالة رحلة الحياة، للأستاذ/ محمود شاكر، ص ٥٠، ٥١ ط. دار الوراق.



يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴿ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَأَتَ نُوحٍ
وَأَمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِخِينَ ﴿١٠﴾ [التحریم: ١٠].

* فنخلص من ذلك أن التبعة يوم القيامة ستكون تبعة فردية، وأن الحساب سيكون
حساباً فردياً، قال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان،
ثم ينظر فلا يرى شيئاً قدامه، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار، فانقوا النار ولو بشق تمرة»^(١).
* وهذا يدل على أن التربية الذاتية من الخطورة والأهمية بمكان، حيث هي - بعد فضل
الله تعالى - معينة للعبد لدخول الجنان..

٧- لأن التربية وقاية من مفسد الزمن: من المعلوم أن هذه الأزمنة الغابرة المتأخرة تتميز
عن غيرها من الأزمان الفائتة بتقدم مذهب في وسائل التقنية، ونقل المعلومات، وسرعة
التواصل مع الآخرين في أي مكان في الأرض.
وحقق هذا التقدم التكنولوجي مصالح معلومة للقاصي والداني، إلا أن هذا التقدم
المذهل صاحبه مفسد مشهورة نرى آثارها الفكرية والسلوكية والتربوية والاجتماعية عبر
الفضائيات والشبكة العنكبوتية، حيث دارت عجلة الفساد سريعة عبر تلك المعابر،
واقترحت حصون الأمة وهددتها من داخلها، كل ذلك يقتضي عناية خاصة بالتربية لتكون
حصانة للأمة كلها «أفراداً وجماعات».

ويتميز هذا الزمان بأزمة ثقة بين بين طبقات الناس المختلفة فيه، شبيهاً وشباباً، رجالاً
ونساءً.

كذلك يتسم هذا الزمان أيضاً بأزمة في القدوة، فلا تتحقق في الأب بالنسبة للولد، ولا في
الأم بالنسبة للبت، ولا في الأستاذ بالنسبة للطالب.

(١) رواه البخاري (٧٥١٢).





ويعرف هذا الزمان بأزمة في الكفاءة والإتقان، فيشتكي من جلد الفاجر وعجز الثقة، وضعف القوة والكفاءة، وقلة الصدق والأمانة.. وهنا يبرز دور التربية الإسلامية المتوازنة الشمولية التي تصنع الرجال، إذ التربية على: إحسان العمل، وحسن الظن، وتقديم الخير، وقبول العذر، وسلامة الصدر، والعمل بالعلم، والتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، والافتداء والتأسي بالمثل الكاملة ورعاية حقوق الله تعالى وحقوق خلقه، يعدُّ أداءً للأمانة، وقيامًا بالواجب، وتحصينًا للأمة، إذ المجتمع أفراد، فإذا رَبَّى كل إنسان نفسه أدَّى ذلك إلى قوة المجتمع، فيصبح مجتمعًا فعَّالًا عاملاً مجاهدًا، وتحوَّل إلى مجتمع ناشر للخير في كل ربوع الأرض، محقق للريادة والاستخلاف ولا شك أن هذه ثمار للتربية الصادقة التي تمثل الحصانة للأمة كلها.

٨- التربية سبيل مهم للحفاظ على الشباب من التساقط والانتكاس: لقد مَنَّ الله تعالى على هذه الأمة بعودة كثير من شبابها إلى المنهج الأصيل المتكامل الشمولي والتمثل في: «العمل الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح - رضوان الله تبارك وتعالى عليهم» بالرغم من كثرة مظاهر التساقط والفساد في حياة المجتمعات المسلمة، فله الحمد والمنة والفضل..

* ولكن أمثال هؤلاء الشباب يبقون في صراع مع أنفسهم ومع مجتمعاتهم، فإما أن ينتصر الواحد منهم على نفسه وعاداته وطباعه أو تنتصر عليه، أو يبقى الصراع قائمًا والمعرفة محترمة، والحرب سجالًا، إلى أن يدركه الموت وهو على ذلك، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۚ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝١ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝٢﴾ [الشمس: ٧: ١٠].

- والناس في معركة النفس صنفان:

١- صنف انتصرت عليهم أهواؤهم، فركنوا إلى الأرض، وأخلدوا إلى الدنيا، وهؤلاء هم الكفار ومن نَهَجَ نَهَجَ نَهْجِمْ ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].



٢- وصنف يجاهدون أنفسهم، ويصارعون أهواءهم.. فيُصرون تارة وينهزمون أخرى، يخطئون فيتوبون، يعصون الله فيندمون ويستغفرون: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا يَكُنْ لَهُ أَجْرٌ إِلَّا عَمَلُ الْيُسْرِىٰ وَالْيُسْرِىٰ عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ لِّمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

والذي يهمننا هو أن من مقومات النصر في معركتنا مع النفس، هو تربية هذه النفس وتزكيتها على منهج أهل السنة والجماعة، حتى يحفظ الإنسان نفسه من خطر التساقط أو التنازل فإنه يجب عليه أن يحرص تمام الحرص على تنقية قلبه وتصفيته، حتى تظهر عليه آثار تلك التصفية فيرزق قلباً حياً رقيقاً صافياً مخلصاً مشرقاً، وعقلاً ذكياً واعياً، ولعل هذا هو الذي يساعد الكثيرين على الثبات في مواطن الفتن والمحن^(١)، كذلك فهو يعينهم على الانقياد للشرع وتنفيذ التكاليف الشرعية التي هي مراد الله - تعالى من خلقهم.

٩- لأن التربية طريق الخلاص وسبيل التمكين: لم تُرَ الأمة الإسلامية بحالة من الضعف كهذه الحالة اليوم، حين استبدلت شريعتها، واستوردت مناهجها، وسقطت في ذل التبعية لأعدائها، فكان رأى العلماء والمصلحين أنه لا سبيل إلى استعادة العزة والسيادة إلا بعد إعلاء شعار التربية والتزكية، هذا الواجب ليس خاصاً بفئة دون أخرى، بل هو واجب في الحقيقة على الأمة كلها للمطالبة بتحقيق وتطبيق شرع الله في الأرض، والسيادة في الأرض. ولكن: ما هي غاية التربية التي نرجوها لأمتنا؟!

والجواب: إن غاية التربية التي نرجوها للأفراد والجماعات - وخاصة - الشباب منهم هي إيجاد جيل إسلامي يحب الإسلام، ويستمسك بتعاليمه، ويتأدب بأدابه، ويتخلق بأخلاقه، كذلك فإن الهدف من التربية الإسلامية الشمولية المتكاملة تكوين وإعداد الجيل الرباني «جيل النصر المنشود» - بإذن الله، هذا الجيل الذي يرضي عنه ربه وخالقه، وفي إطار هذا اليقين

(١) انظر كتاب: ماذا يعني انتمائي للإسلام، للأستاذ/ فتحي يكن، ص٦٢، ط. مؤسسة الرسالة.





العقدي يكون سعى الإنسان في حياته موقناً أن الله يراه، سواء كان هذا أمام الناس أو كان خالياً وحده، ومن ثمَّ فهو لا يظلم أحداً، وإنَّ حَدَثَ وَوَقَعَ منه ظلمٌ لأحدٍ أو أذنب فهو يعلم أنَّ له ربًّا غَفَّارًا للذنوب، وبالتالي تراه مسرعاً للأوبة إلى ربه بالإقلاع عن الذنب والتوبة منه، كذلك تظهر آثار هذه التربية الصادقة عليه إذا في علم تراه متقناً له أتقنه؛ لأنه يعلم أن الله يكتب له في صحيفته ذلك كله وسوف يُحاسب عليه إن خيراً فخير، وإن شراً فشر..

* كذلك فإن من أعظم الغايات التربوية: العناية بتربية طائفة مخصوصة من الأمة «كفئة الطلائع والشباب» ليتخرج لنا شباب فذ قادر على البذل والعطاء، وتحقيق الآمال، ويظل هذا الشباب حاملاً للواء، مرابطاً بكل جدارة واقتدار على الثغور العلمية والعملية في أمتنا المسلمة، ليس له من غاية أو هدف سوى حماية هذا الدين من كيد الكائدين، وعبث العابثين..

* وصفوة القول: أن التربية الجادة المتكاملة المنضبطة بضوابط الشرع الحنيف دعامة أساسية لتحقيق الأهداف، وللهوض بهذه الأمة من التبعية إلى القيادة، ومن الذلة إلى الريادة..

* معالم المنهج التربوي الصحيح:

إنَّ المنهجَ التربوي كي يأتي بثمراتٍ يانعةٍ فلا بد وأن يؤسس على أهداف وأسسٍ ومقوماتٍ ومعالم واضحة ينطلق منها، ومن ذلك:

أولاً: الأهداف التربوية:

إن العمل المنتج هو العمل الذي ينطلق من أهداف واضحة محددة، يعيها العاملون، ويوظفون الإمكانيات والوسائل المتاحة لهم لتحقيقها.

والهدف في اللغة -كما قال ابن فارس-: «الهاء والذال والفاء أصيل يدل على نصب وارتفاع، والهدف: كل شيء عظيم مرتفع، ولذلك سمي الرجل الشَّخص الجافي: هدفًا..



والهدف: الغرض... وأهدف لك الشيء: انتصب^(١).

ويمكن أن نحدد مفهوم الهدف التربوي -بعيداً عن الجدل المنطقي حول أزمة التعريف- بأنه: التغيير المرغوب الذي تسعى العملية التربوية إلى تحقيقه لدى الفرد أو لدى المجتمع.

وثمة أمور لا بد من مراعاتها ونحن نتحدث عن الأهداف:

الأول: التوازن بين إهمال الأهداف والإغراق فيها: فالعمل دون هدف واضح محدد مدعاة للتخبط والاضطراب، ولذا قيل: إذا خرجت من منزلك بدون هدف فكل الطرق توصلك إلى المكان الذي تريد، وأولئك يعملون دون أهداف واضحة تتنوع اجتهاداتهم، وتختلف طرقهم وأساليبهم بين يوم وآخر.

ومع ذلك فالاعتناء بالأهداف ينبغي أن لا يؤدي إلى التحول إلى آلة، بحيث يتطلع الإنسان إلى أن يكون هناك هدف واضح ومحدد لكل عمل صغير وكبير يقوم به، وتكون كل كلمة أو توجيه قد صدرت عن تخطيط واعتبار.

فالإنسان بشر يعتره ما يعتره، ولو استطاع الالتزام الصارم بالتخطيط في الصغيرة والكبيرة مدة محددة، فإنه لن يستطيع ذلك على المدى الأوسع.

ثم إنه تخطر للمربي خواطر، وتجذُّ له قضايا، والإغراق في التحديد الدقيق المسبق والمفصل للأهداف يحول دون الاستفادة مما يجد من ذلك.

فالاعتدال والوسطية سنة الله في خلقه وشرعه.

الثاني: المناذرة والمطالبة بتحديد الأهداف والانطلاق في العمل منها جزء من التفاعل مع تطور الحياة المعاصرة وتعقدها، وقد كان من نتائج هذا التطور نشأة علوم وتفرع تخصصات، كعلم الإدارة والتربية والاجتماع وعلم النفس، وسائر فروع العلوم الإنسانية التي لم تكن

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٦/ ٤٠ ط. دار الفكر - دمشق.





معروفة من قبل، كما كان من نتاج ذلك التفرع الدقيق في التخصصات.
ومن ذلك تغير برامج طلب العلم ووسائله، الذي كان في إطار المساجد والحلق، فنشأت
الجامعات بأنظمتها وبرامجها.
وكما أن الأخذ بأسباب القوة المادية مطلوب اليوم، فالأخذ بهذه الأسباب التي هي من
الأسباب المعنوية أمر له أهميته.

الثالث: السعي للتأصيل الشرعي، والاستدلال بالنصوص الشرعية، والاهتداء بعمل
النبي ﷺ أمر له أهميته، بل هو مطلب لا بد منه لضمان السير على المنهج الشرعي في الدعوة
والتغيير، لكن مما ينبغي أن يلحظ في هذا الإطار:
أ- أن من الأهداف ما يدخل تحت أصول شرعية عامة، كتقديم الأولويات، ورعاية المصالح
ودرء المفاسد، وسد الذرائع... إلخ، وليس بالضرورة أن يكون لكل هدف دليل أو نص
خاص.

ب- من الأهداف ما أملت ظروف العصر، وأفرزه القصور التربوي السائد في مجتمعات
المسلمين، وهذا لا يقتصر على استدلال؛ إذ هو جزء من صفات الإنسان السوي المنتج،
لكن الواقع المعاصر أسهم في فقدانه.
ومن الأمثلة على ذلك: تنمية المبادرة الذاتية، وكثير من الأهداف في الجانب العقلي.
ج- أن كثيراً من الوسائل تدخل في إطار الأصل العام للوسائل وهو الإباحة؛ فكل وسيلة
تؤدي إلى غاية دعوية مشروعة - ما لم تكن محرمة في ذاتها - فهي مباحة، وتعاطيها سائغ،
وليس شرطاً أن يكون قد ورد فيها نص يدل على مشروعيتها، والمطالب بالدليل هو من
يَمْنَعُ لا من يبيح^(١).

(١) انظر: لقاء الباب المفتوح مع فضيلة الشيخ ابن عثيمين جمع (عبد الله بن محمد الطيار) (٤٩ / ١٥)، قواعد الوسائل
(٣١٧)، مجلة المشكاة (ع) (١) حكم التمثيل في الدعوة إلى الله. ط. دار الوطن - الرياض ١٤١٥ هـ.



د- كثيرًا ما نستدل على بعض الوسائل الواردة في ثنايا هذا البحث بما ورد من هدي النبي ﷺ من باب تدعيم الحديث في ذلك والتأكيد عليه، لكنه لا يعني افتقار جواز إتيان تلك الوسيلة إلى النص عليها كما سبق بيانه، وإن كانت الوسائل النبوية - ما لم تكن أملتها ظروف العصر وطبيعته - أولى وأجدى من غيرها.

وظيفة الأهداف التربوية:

يعد تحديد الأهداف التربوية نقطة الارتكاز والمنطلق الأساس في العمل التربوي، وتكمن أهمية الأهداف ووظيفتها فيما يلي:

- ١- أنها تشكل الأساس والمنطلق في العملية التربوية كلها؛ إذ هي تعني حشد الطاقات والإمكانات للوصول لهذه الأهداف.
- ٢- أنها تسهم في اختيار المربين وتتحكم في ذلك؛ فالمربي الناجح هو الذي يستطيع تحقيق هذه الأهداف وتحويلها إلى واقع ملموس.
- ٣- أنها تسهم في تحديد البرامج والوسائل التربوية، فهي إنما تقام لتحقيق هذه الأهداف.
- ٤- أنها تسهم وتتحكم في تحديد مضمون ومحتوى ما يقدم من معارف ومعلومات.
- ٥- أنها تسهم في الاستثمار الأمثل لأوقات العاملين وجهودهم؛ فعدم وضوح الأهداف يؤدي إلى ضياع أوقات وجهود كثيرة.
- ٦- أنها تمثل الأساس والمنطلق في تقويم العمل التربوي، فالتقويم إنما يتم بناء على مستوى ما تحقق من الأهداف^(١).

(١) انظر: أهداف التربية الإسلامية. للأستاذ/ علي خليل أبو العينين (١٣-١٤). ط. مكتبة إبراهيم الحلبي، بالمدينة المنورة.





شروط صياغة الأهداف:

حتى تؤدي الأهداف وظيفتها المرادة لا بد من أن تتحقق فيها شروط عدة، ما بين شروط تحقق لها الانضباط بضوابط الشرع، وشروط في صياغتها ولغتها، ومن ذلك:

١- أن تكون مشتقة من الثوابت والأصول الشرعية، متفقة مع منهج أهل السنة والجماعة، بمفهومه الواسع الشامل.

٢- أن تراعى في أولوياتها المقاصد الشرعية؛ فتعطي كل جانب ما يستحقه دون إفراط ولا تفريط، فلا تقدم السلوك مثلاً على الاعتقاد.

٣- الواقعية بحيث تكون ممكنة التطبيق، فلا تكون مثالية موهلة في الخيال.

٤- الشمول بحيث تشمل الجوانب التربوية للفرد والمجتمع كلها، ولا تكون قاصرة على مجال دون غيره.

٥- أن تصاغ بطريقة علمية سليمة.

٦- الوضوح والدقة، بحيث لا يختلف اثنان في تفسيرها.

٧- أن تكون محددة غير عائمة، وألا يشتمل الهدف على أكثر من عنصر^(١).

مستويات الأهداف:

تقسم الأهداف التربوية إلى ثلاثة مستويات (أعلى ومتوسط ومحدد)، ويقسمها بعض من كتب في التربية الإسلامية إلى مستويات أربع، وتبقى مستويات الأهداف مجالاً للأخذ والعطاء؛ لأن فيها قدرًا من النسبية.

ومن التقسيمات الشائعة، ما يلي:

١- الغاية العليا: وهي تحقيق العبودية لله تبارك وتعالى، ويجب أن تكون هذه الغاية هي

(١) انظر: أهداف التربية الإسلامية وغاياتها، مقدار بالجن (٣٤-٣٥) ط. دار الهدى بالرياض، أهداف التربية الإسلامية، علي خليل أبو العينين (١٥-١٦)، التخطيط. والمتابعة بين النظرية والممارسة للأستاذ/ طلال الغرياني (١١٢-١٢٢) (د، ث).



التي تحكم سائر الأهداف، بل أن تكون جميع الأهداف موصلة إليها ومحقة لها، وهي غاية دعوة النبي ﷺ كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وعن ربيعة بن عباد قال: والله إني لأذكره يطوف على المنازل بمنى وأنا مع أبي غلام شاب ووراءه رجل حسن الوجه أحول ذو غديرتين، فلما وقف رسول الله ﷺ على قوم قال: «أنا رسول الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشرکوا به شيئاً» ويقول الذي خلفه: إن هذا يدعوكم إلى أن تفارقوا دين آبائكم، وأن تسلكوا اللات والعزى وحلفاءكم من بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلال، قال: فقلت لأبي: من هذا؟ قال: هذا عمه أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب^(١).

بل الدعوة لتوحيد الله وعبادته هي غاية دعوة سائر الأنبياء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

٢- المستوى العام للأهداف: وهي التي تمثل الأهداف العامة لتربية الفرد والمجتمع المسلم وتكون مشتقة من الغاية وموصلة إليها.

«والأهداف في هذا المستوى تفتقر إلى التحديد والواقعية، فهي عبارات عامة جداً يستريح لها القارئ فهماً وتنظيراً، ولكنه يجد صعوبة في ترجمتها لخبرات تربوية، كما أن المتربي لن يجد خطوات محددة يسير عليها، أو معالم بارزة ينتهي عندها»^(٢).

لكنها ضرورية ولا بد منها، وما يليها من الأهداف يشتق منها، ويوصل إليها، ومن أمثلة هذه الأهداف:

تحقيق البناء الإيماني في نفوس الطلاب.

* رفع مستوى الصحة النفسية والاستقرار النفسي لدى الطلاب.

(١) رواه أحمد (١٥٤٥٢).

(٢) علم النفس الدعوي للأستاذ/ عبد العزيز النغمش ص ٢١ ط. دار المسلم - الرياض.





٣- المستوى المتوسط للأهداف: وهي الأهداف التي تختص بمرحلة دراسية أو عمرية أو مدة زمنية معينة، وهي تشتق من الأهداف العامة وتوصل إليها، وأغلب حديثنا في هذا الكتاب هو حول هذا المستوى.
ومن أمثلة هذا المستوى:

تكوين الاعتزاز بالإسلام ومبادئه.

تنقية الدين من البدع والخرافات.

تعريف الطالب بقدراته وإمكاناته.

٤- المستوى المحدد للأهداف: وهي التي تكون خاصة بوحدة دراسية معينة، أو برنامج تربوي معين، وتشتق من المستوى المتوسط، وتكون أكثر تحديداً ودقة، ويجب أن تكون قابلة للقياس.

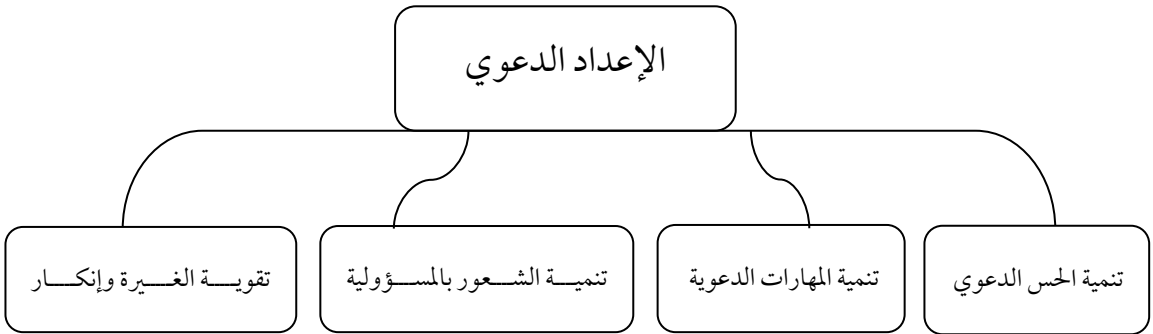
ومن أمثلة هذا المستوى:

أن يستطيع الطالب تطبيق خطوات التفكير العلمي.

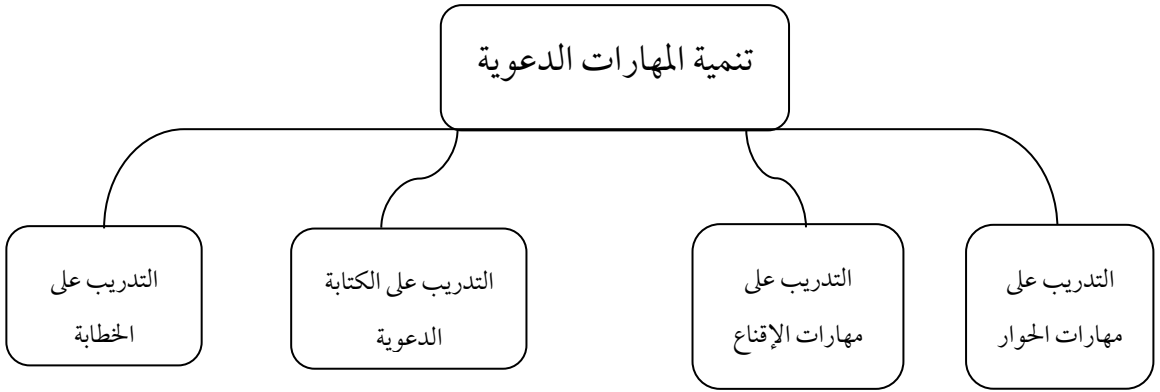
أن يفرق الطالب بين الركن والواجب في الصلاة.

مثال يوضح مستويات الأهداف وتدرجها:

ويوضح الشكل الآتي تدرج الأهداف وفق المستويات المختلفة:



فالإعداد الدعوي هدف عام اشتقنا منه أربعة أهداف متوسطة تؤدي إليه، وتحقيقه، ثم قمنا باختيار أحد الأهداف المتوسطة، واشتقنا منه أربعة أهداف محددة تؤدي إليه، كما يتضح من الشكل الآتي:



وما سنذكره في هذا الكتاب حول الأهداف حديث عام، لا يغني المربي عن أن يضع خطة تفصيلية وأهدافاً محددة تتناسب مع طبيعة العمل الذي يقوم به سواء كان في جامعته أو خارجها^(١).

ثانياً: معالم المنهج التربوي الصحيح: إن المنهج التربوي لابد وأن يصبغ بصبغة الربانية: وهذه هي أبرز الخصائص التي ينبغي أن يتسم بها منهج العمل التربوي «الربانية»، إذ أن الربانية تعني بكل وضوح توثيق الصلة بين العبد وبين ربه وخالقه - جَلَّ جلاله وتقدسست أسماؤه - وذلك عن طريق أداء الفرائض، واجتناب المحارم، واستدامة الذكر على كل حال، والعناية بالشكر، والتحلل بالصبر، وإيثار الإيثار، والتحلل باليقين، والتلذذ بالصيام، والتنعم بالقيام.. قال تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، (أولئك الربانيون، هم العلماء

(١) راجع «تربية الشباب الأهداف والوسائل» تأليف/ محمد بن عبد الله الدويش من ص ١١ إلى ص ١٥ ط. دار الوطن للنشر.





العاملون، والحكماء المربون، والفقهاء المعلمون).

* إحياء الربانية.. لماذا؟!

إن سياج الربانية يقيم في قلب المتربي فرقاناً بين الحق والباطل، وينشئ حاجزاً بينه وبين مضلات الفتن، ويضبط السلوك، ويقيم الجوارح على رعاية السنن والهدى الظاهر، وحسن السمات، وملازمة الأدب، إذن فالربانية أصل أصيل لا يقوم المنهج التربوي إلا به، بل ولا يمكن استبداله بغيره، وإن أي منهج تربوي لم يقيم على هذا الأساس المبارك فحتمًا ولا بد سيفشل هذا المنهج، وسينحرف أتباع هذا المنهج عن الجادة.

ثانيًا: من أهم أصول المنهج التربوي السليم: الوسطية:

إن الوسطية في المنهج التربوي أمر هام، فكما أن أهل السنة وسط بين فرق الأمة في مسائل الاعتقاد، فهم أيضًا وسط في باب التربية والسلوك بين طرفي الإفراط والتفريط.

فهم وسط في باب الإخلاص بين المرائين والملامية، كذلك فهم وسط بين المشتغلين بإقامة العبادات القلبية دون العملية كبعض الصوفية، والمشتغلين بإقامة رسوم العبادات الظاهرة فقط كبعض المتفقهة، فكانوا - والله الحمد - أهل العبادة الظاهرة والباطنة.

وهم وسط بين من يريد من الله ولا يريد الله، وبين من يريد الله ولا يريد من الله، فهم يريدون رضا الله وجنته، وأما غيرهم فمنهم من يريد رضا الله ولا يريد جنته، كحال كثير من المتصوفة، ومنهم من يريد نعيم الجنة المخلوق، ولا يريد رضا الله كحال كثير من المتكلمة.

وهم وسط بين أصحاب التفريط والاستتار والمبالغة في المتع والترف، وأصحاب الإفراط في التصوف والرهبانية والتشديد على النفس، وتعذيب البدن.. فلا إسراف في تنعيم البدن، ولا تنطع وحرمان.

ثالثًا: من أصول المنهج التربوي السليم.. السلفية:

إن المنهج التربوي المنضبط الصحيح، لا بد وأن يكون أساسه، وأن تكون بدايته ومنتهاه وفقًا لما شرع الله وسن رسوله ﷺ، فمنهج التربية والتزكية لا بد وأن يقوم على موافقة



النصوص الشرعية لفظاً ومعنى، ولن تجد هذا المنهج السديد إلا عند الفرقة الناجية إلى قيام الساعة - أهل السنة والجماعة -، إذ أهل السنة والجماعة - والله الحمد - ليسوا من الذين وافقوا النصوص في اللفظ دون المعنى كالباطنية، وليسوا كالذين خرجوا عن اللفظ والمعنى ككثير من الفلاسفة، وإنما هم أتباع السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المهديين، الذين أقاموا معالم السلوك وتركيزية النفوس، وتحققوا بالمعاني وتمسكوا بالمباني، علماً وحالاً، وعملاً ومقالاً، فلا يشبه لديهم الزهد الشرعي بالعجز والكسل، ولا التوكل بالتواكل، ولا الورع الشرعي بالبدعي، وهكذا..

رابعاً وأخيراً: فإنَّ من أصول المنهج التربوي الصحيح: الإيجابية..

* وهي تعني المبادرة العملية على وجه السداد والمقاربة، لا المثالية أو السلبية، فهي منهج الواقعية الإيجابية، والتي تعني القصد في الأمر كله، ومراعاة أحوال المكلفين، وتحقيق الملاءمة والمواءمة بين طبيعة هذا الدين وطبيعة المكلفين، وذلك لما ثبت عن نبينا محمد ﷺ أنه قال: «سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا»^(١).

* فأولى القربات الفرائض المكتوبات، وأما تكليف النوافل المندوبات فبحسب الوسع والطاقة والهمة، كذلك من الإيجابية أن يُربى الفرد على العمل الكثير والكلام القليل، والمداومة والثبات على ما يعمل، ولعلَّ ما ذكرناه آنفاً هو منهج رسول الله ﷺ، الذي هو أظهر الخلق نفساً أقومهم منهجاً^(٢).

* قال أحد السلف - رحمه الله: «إنَّ هذا الدين واصبٌ، وإنه من لا يصير عليه يدعه، وإن الحق ثقيل، وإن الإنسان ضعيف، وكان يقال: ليأخذ أحدكم من العمل ما يطيق، فإنه لا يدري ما قدر أجله، وإن العبد إذا ركب بنفسه العنف، وكَلَّفَ نفسه ما لا يطيق، أوشك أن يترك هذا كله، حتى لعله لا يقيم الفريضة، وإذا رَكِبَ بنفسه التيسير والتخفيف، وكَلَّفَ نفسه

(١) رواه البخاري (٣٩١).

(٢) نقلاً عن مقال بمجلة التوحيد، العدد (٥) لشهر جمادي الأولى سنة ١٤٢٥، ص ٧٠.





ما تطبيق كان أكيس، وأمنعها من العدو، وكان يقال: شرُّ السيرِ الحققة^(١).
* ومن سمات التربية الإيجابية: التدرج في التربية، مع الحرص على التكامل التربوي بحيث لا تتضخم قضايا وأمور على حساب أمور أخرى لا تقل أهمية عنها..

* كذلك من سمات التربية الإيجابية: الواقعية في إدراك أن تفاوت القدرات إنما هو بسبب تنوع المواهب واختلاف الاستعدادات، ذلك أن الله قسم الأعمال والأخلاق كما قسم الأموال والأرزاق، وعلى كل أن يرضى بما فتح له فيه، وأفضل الأعمال بعد الفرائض إنما يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه^(٢).

* يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإذا ازدحمت شعب الإيمان قدم ما كان أَرْضَى الله وهو عليه أقدر، فقد يكون على المفضول أقدر منه على الفاضل، ويحصل له أفضل مما يحصل من الفاضل، فالأفضل لهذا أن يطلب ما هو أنفع له، وهو في حقه أفضل، ولا يطلب ما هو أفضل مطلقاً، إذا كان متعذراً في حقه أو متعسراً يفوته ما هو أفضل له وأنفع^(٣)».

* فلا بد في التربية من مراعاة الجوانب الواقعية للمُربى، ومعرفة ظروفه وأحواله المحيطة به، حتى لا يصاب المتربى بالفشل، فيخفق في الجانب التربوي، كذلك فإنه ينبغي على المربي ألا يتطلع إلى غيره فيحاول تقليدهم متعدياً بذلك مرحلته التربوية، وينبغي على هذا المتربى

(١) راجع: الزهد لابن المبارك ص ٤٦٨، والحققة: شدة السير وأتعبه للظهر.. (انظر.. معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص ٢٤٥، ط. مكتبة الحلبي). (وهذا مثل ضرب للمجتهد في العبادة حتى يفتر ويخسر، بحيث يدرك أن الغلو في العبادة سيئ، وأن التقصير سيئ، وأن الاقتصاد بينهما حسن. راجع (مجمع الأمثال) للميداني (١/ ٢٧٢)، ط. الحلبي، وينظر: كتاب (الأمثال) تأليف: محمد بن أحمد السباك، باب: ما جاء على حرف الشين ص ١١٠، ط. مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة.

(٢) انظر وتأمل.. «معالم في أصول الدعوة» د/ محمد يسري ص ٦٧، ٦٨، ٦٩، ط. دار البسر.

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٥٠).



أن يعلم أن بعض الناس فتح الله عليه في باب دون باب، ومنهم من فتح الله عليه في كل باب، وضرب له في كل خير بسهم، وما على مَنْ يدعي يوم القيامة من أبواب الجنة الثمانية من حرج، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء^(١).

فإن التربية أصل ضخّم وأساس متين، لا يتم بدونه تغيير، ولا تنجح بدونه دعوة، وليس له غاية ينتهي عندها، ولا يستغنى عنها الكبير فضلاً عن الصغير، ولا المنتهى فضلاً عن المبتدى.

* إهمال تربية النفس وخطورة ذلك: سؤال مهم: ماذا لو تخلى كل منا عن تركية نفسه وتربيتها؟! والجواب: إن مداومة تركية النفس سبيل عظيم لحفظ الالتزام، وبالضد من ذلك فإن الغفلة عن التزكية والتربية سبيلٌ خطيرٌ للشعور بالخواء النفسي والروحي والتآكل الإيماني، وهي خطوة أولى تأخذ بيد صاحبها إلى التراجع عن الاستقامة بالكلية - والعياذ بالله..

* لأجل هذا نقول: «إنَّ الحقيقةَ الإسلامية التي تَعَبَّدْنَا الله بها^(٢)، لا تتكون إلا من تناسق البواعث القلبية من ظاهر السلوك والأعمال، ثم السير معاً على المنهج الإلهي، الذي اختطه لنا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإن تخلف أحدهما فإن سير الآخر وحده لا يعبر عن أي حقيقة إسلامية، ولولا ضرورة هذا التناسق، لما كان للجهاد والتضحية أي معنى في الإسلام، ولولا فقد هذا التناسق لرأيت المسلمين اليوم في أوج أحوالهم من العزة والوحدة والقوة، فقد كان حسبهم سلماً إلى ذلك مساجدهم العامرة، ومنابرهم الهادرة، وألستهم الداعية، وعلومهم الزاخرة، ولكنَّ القلوب وحدها هي المختلفة والبعيدة عن هذا كله، فليس من تناسق بين

(١) إذا كان الله قد منحني قدرة معينة على فعل كذا وكذا؛ فلا شيء عليّ إذا أنا تركت هذه الأمور.

(٢) أرجو ألا يُفهم الكلام خطأ فتقول: إذا كان الله قد منحني قدرة معينة على فعل كذا وكذا، فلا شيء عليّ إذا أنا تركت هذه الأمور «كطلب العلم - أو كالأمر بالمعروف.. وكذا وهذا ما يدفعني إلى التنبيه على خطورة إهمال تربية النفس تربية «شمولية متوازنة».





الظاهر والباطن، بين الظاهر الذي نتخادع به، والحقيقة الخفية التي يطلع عليها علام الغيوب»^(١).

* إذن فإن كل ما حَلَّ بالمسلمين من تأخِرٍ وتخلّفٍ إنما هو نتيجةٌ حتميةٌ لهجر تركية النفوس وتربيتها ومحاولة إصلاحها.

نصحه ألباني

* كذلك ومما يدل على أهمية تركية النفس وخطورة إهمال ذلك الأمر ما ذكره الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - حيث قال: «إذا أردنا استئناف الحياة الإسلامية، وإقامة المجتمع المسلم فلا بد من القيام بهذين الواجبين «التصفية والتربية»، ويعني - رحمه الله - بالتصفية: أي تصفية العقائد مما هو غريب عنها كالشرك، وتصفية السنة من الضعيف والموضوع، وتصفية الأخلاق الإسلامية من العادات والتقاليد المذمومة، وتصفية الفكر الإسلامي من الاجتهادات الخاطئة المخالفة للكتاب والسنة، ثم يقصد - رحمه الله - بالتربية: أي تربية الجيل الناشئ على هذا الإسلام المصفى من كل ما ذكرنا تربية إسلامية نبوية صحيحة منذ نعومة أظفاره دون أي تأثر بالتربية الغربية الكافرة، ثم ذكر رحمه الله - وقال: وبدون هاتين المقدمتين «العلم الصحيح» و«التربية الصحيحة على هذا العلم الصحيح» يستحيل في اعتقادي أن تقوم قائمة الإسلام أو حكم الإسلام أو دولة الإسلام»^(٢).

* قد يقول قائل: لقد اقتنعت بأهمية التربية، ولكن.. ستواجهني مشكلة أنني لا أجد الشيخ المربي الذي يقودني إلى جانب السلامة، والذي يعلمني كيف أرقق قلبي، وكيف أتخلق بالأخلاق الإسلامية؟

(١) راجع بحث باطن الإثم، تأليف د/ محمد سعيد البوطي، ص ١٥، نقلًا عن: كيف تؤدب المرأة نفسها؟ للشيخ/ عصام بن محمد شريف، ص ٨، ط. دار الصفوة.

(٢) راجع رسالة التصفية والتربية وحاجة المسلمين إليهما، للشيخ الألباني، ص ٦، ٣١، ط. المكتبة الإسلامية بالأردن.



والجواب: لا شك أن للشيخ المربي بالغ الأثر في تربية وتركية المتربي، ولكن فماذا ستفعل ونحن في زمان ندر فيه وجود الشيخ المربي؟!، وكيف سيكون حالك إذا نشأت في بيئة ضعيفة الإيمان، تفتقد إلى معاني التربية؟!، لابد من إيجاد بديل قوي، حتى لا تترك نفسك فريسة للشهوات والشبهات، هذا البديل هو «التربية الفردية» أو التربية الذاتية..

ويبقى السؤال:

*** كيف تزكى نفسك؟!**

إذا أردت النفس الزكية الطاهرة فلا بد وأن تراجع نفسك، وتستدرك النقص الذي لحق بك، عن طريق جولة إيمانية طويلة، تُصَفَّى فيها عقائدك، وتزيد فيها من عبادتك، وتسمو عن طريقها بأخلاقك وذوقك، وتثبت بها الإيمان في فؤادك، ويعلو عن طريقها اليقين في قلبك ووجدانك^(١).

* للتربية أنواع متعددة: فترية إيمانية تصون الإيمان أن يبلى واليقين أن يزوى، والفرد أن يتردى، قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٧].

وأخرى وجدانية تعني بالمشاعر، وترعى الخواطر، وتوقظ الضمائر، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وثالثة: دعوية وجهادية: تشعل حماس الصادقين، وتهيئ للسعى إلى التمكين، وتدفع عن ديار المسلمين، قال تعالى: ﴿وَلَنْ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصفافات: ١٧٣].

ورابطة تربية علمية: تؤهل القادرين، وتبنى ملكات الفهم، وتضبط قواعد العلم، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

(١) العوائق، للأستاذ/ محمد أحمد الراشد، ص٢٢، ط. مؤسسة الرسالة..





وبشكل إجمالي.. فإن للتربية مستويات ومجالات، منها ما يوجه للأمة - عامة، وما يوجه لقاعدة الدعوة وقطاع «المتدينين» - خاصة، وأخص من ذلك: تربية القادة وتأهيلهم للريادة.

* إذن فالطريق إلى تزكية النفس وتربيتها.. يكون بالحرص على:

- ١ - تربية النفس إيمانياً وتعبدياً.
- ٢ - تربية النفس سلوكياً وأخلاقياً ونفسياً واجتماعياً.
- ٣ - تربية النفس علمياً.
- ٤ - تربية النفس دعوياً، وفكرياً، وحركياً^(١).

* أولاً: التربية الإيمانية:

ومعنى هذه التربية أن يداوم العبد على تقوية صلته بالله، فيعمل على مرضاة الله في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته، كذلك فإن التربية الإيمانية تعني الارتقاء بالقلوب حتى تجد حلاوة الإيمان، وتحب طاعة الرحمن، وتنأى عن الفسوق والعصيان، وانظر طريقة

(١) أنصح بالاطلاع على سلسلة «التربية بعد التصفية» والتي أعدها أبو ميسرة (محمد بن مصطفى الديب)، والتي تتكون من تسعة أجزاء.

- ١ - من أخطاء المربين
- ٢ - التربية على الحماس غير المتزن
- ٣ - التربية على التنافس غير المذموم.
- ٤ - التربية على سقوط الهمة.
- ٥ - التربية بالحب.
- ٦ - التربية على العلو.
- ٧ - التربية على الغلو في الغيرة.
- ٨ - التربية على الغلو في الخوف.
- ٩ - التربية على سقوط الهمة في العقيدة.



القرآن في تعميق الإيمان بالآخرة في قلوب الصحابة رضي الله عنهم حتى صاروا كأنهم يعاينون الآخرة بعيني رؤوسهم، فهانت عليهم أنفسهم، وبذلوا جميع ما يملكون طلباً لجنة الله عز وجل ورغبةً في رضاه..^(١)، وعليه فحين نتحدث عن الإيمان بمفهومه الشرعي، فنحن نتحدث عن الدين كله بكافة جوانبه، فالإيمان شعب أعلاها قوله (لا إله إلا الله) وأدناها (إمطة الأذى عن الطريق).

فالتربية الإيمانية بهذا المفهوم تشمل كافة جوانب التربية، بدءاً بتصحيح الاعتقاد والصلة بالله، وانتهاء بغرس الآداب العامة والخاصة، وتشمل كل ما يعين على القيام بواجبات الإيمان من علم ودعوة، وإعداد للإنسان للقيام بهذه المهام، وهذا إن دلّ فإنما يدل على أهمية البدء بالتربية الإيمانية قبل غيرها، إذ إن هذا هو المنهج السماوي القرآني، ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، حيث كان صلى الله عليه وسلم يعمل على ربط قلوب أصحابه بالله أولاً، ويعمل على زيادة الإيمان في قلوبهم.

- والإيمان كما قرّر علماء السلف: يزيد وينقص، يزيد بكثرة الأدلة وقوتها، وينقص بالجهل، والغفلة، والمعاصي، ومهما ازداد الإيمان يسهل على العبد فعل الطاعات والبعد عن المعاصي والعثرات، ومهما نقص الإيمان تعثر في الخطيئات، وسقط في الظلمات، وأعرض عن رب الأرض والسموات، وفي الحديث الصحيح قال نبينا صلى الله عليه وسلم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...»^(٢).

- قال النووي - رحمه الله: «القول الصحيح الذي قاله المحققون: إن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفى الشيء ويراد نفى كماله، كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا الآخرة»^(٣).

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، للشيخ/ أحمد فريد، ص ١١٩، ط. الدار السلفية بالإسكندرية.

(٢) متفق عليه.

(٣) شرح صحيح مسلم (٢/ ٤١)، ط. المطبعة المصرية ومكتبتها.





- ولقد كان الواحد من صحابة نبينا ﷺ يتعهد إيمانه، بل كان الواحد منهم يحرص على الإيمان قبل العلم وقبل العمل، فقد روى الحاكم بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنه قال: «عشنا برهة من الدهر وكان أحدنا يؤتي الإيمان قبل القرآن».

- بل كان الواحد منهم يقول لأخيه: اجلس بنا نؤمن ساعة، فيجلسون يذكرون الله تعالى، فهكذا تربى الإيمان في قلوب الصحابة حتى صار أرسخ من الجبال، وأعلى من السحاب، وظهرت بركات التربية الإيمانية^(١) في مواقفهم المختلفة، فكانت على أعلى مستوى في البذل والتضحية في سبيل الله، وصدق الأخوة، وصدق التوبة، والصدق مع الله عز وجل، ومع رسوله ﷺ، وكان من بركات هذا الإيمان انتصارات في كل ميدان، وعلو ورفعة وعزة في

(١) الباحث في بعض الأدبيات التربوية المعاصرة يجد بعضهم يعتبر مصطلح (التربية الروحية) بديلاً عن «التربية الإيمانية»، وفي هذا نظر.. حيث يمثل المصطلح الأول (التربية الروحية) تأثراً واضحاً بالمصطلحات الوافدة والدخيلة (من مصطلحات النصارى والطرقية)، وقد شاع هذا المصطلح وغيره نتيجة للاحتكاك الفكري بطوائف شتى من أهل الملل الأخرى والفرق الضالة، ونتيجة لضعف العلم الشرعي لدى كثير ممن يكتب في التربية من منظور إسلامي.

وقد ذكر الشيخ العلامة (بكر أبو زيد) -رحمه الله-: أن لفظ «الروحانية» الذي يضاف إلى بعض البلاد، أو بعض المجالس، كلها مصطلحات صوفية لا عهد للشريعة بها، فعلى المسلمين تجنبها، وإن كان لها بريق، فعند تأمل البصير لها يجدها خواء، أو تشتمل على منابذة للشريعة بوجه ما، راجع (معجم المناهي اللفظية) تأليف الشيخ/ بكر أبو زيد ص ٢٨٥ ط. دار العاصمة.

لذا فالأولى الالتزام بالأساء الشرعية (الإيمان، الإسلام، الصلاح، التقوى، الإحسان، الطاعة، المعصية، الفسوق - غير ذلك)، لأنه قد يكون في غيرها محاذير عدة منها:

التشبه بأهل الملل الأخرى والطوائف الضالة.

لأن هذه الألفاظ لا تتلقى مجرد عن دلالاتها ومعانيها، ومن ثم يتسرب الانحراف إلى المعاني إن كان فيها رأينا من الأساء.

أن الأساء الشرعية لها معاني ودلالات لا يفي بها أي اسم أو لفظ آخر.

أن الأساء الشرعية تترتب عليها أحكام دنيوية (كالعدالة التي تعد شرطاً لتولي التربية والتعليم، وقبول الشهادة والرواية...) وتترتب عليها أحكام أخروية فالبعد عنها ينشأ عنه الخلط في هذه الأحكام.

الدنيا والآخرة^(١).

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله: «إن في الدنيا جنة مَنْ لم يدخلها لم يدخل جنة

الآخرة»^(٢).

الإيمان لماذا؟!

* الإيمان هو الأصل، ومنه المبتدأ وإليه المنتهى.

* الإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان.

* الإيمان قوة تهيمن على القلوب فيظهر أثرها على الجوارح.

* الإيمان مفتاح السعادة في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

* الإيمان: أس الفضائل ولجام الرذائل وقوام الضمائر وسند العزائم في الشدائد، وبلسم الصبر عند المصائب وعماد الرضا والقناعة بالقدر، نور الأمل في الصدور وسكن للنفوس، عزاء للقلوب إذا أوحشتها الخطوب، والعروة الوثقى عند حلول الموت وسكراته.

* يورث الإيمان في القلب خشية الله ومراقبته في الخلوات والجلوات، وبسببه تراق الدموع وتسكب العبرات، ولا يفتر اللسان عن ذكر الله - جل وعلا -.

* وتبدو أهمية التربية الإيمانية وضرورة الاعتناء بها من خلال أمور عدة:

الأول: هو الحياة وروحها، هو الرصيد والكنز المفقود، فالإيمان نعمة من الرحمن قال

تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧].

الثاني: الإيمان حبه الله إلى النفوس، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، للشيخ أحمد فريد ص ١٢١، ١٢٢.

(٢) التحفة العراقية في الأعمال القلبية. لابن تيمية، ص ١٥، ط. دار الإيمان بالإسكندرية.





﴿قُلُوبُكُمْ﴾ [الحجرات: ٧]، لهذا فإن أهل الإيمان ليس للشيطان عليهم سلطان، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].

بل إن أهل الإيمان وليهم الرحمن.. قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ [البقرة: ٢٥٧].

الثالث: الإيمان هو أفضل الأعمال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»^(١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله وجهاد في سبيله» قلت: فأبي الرقاب أفضل؟ قال: «أغلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها»^(٢).

وعن عبد الله بن أبي قتادة عن أبي قتادة أنه سمعه يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال^(٣).

الرابع: الإيمان مناط الأجر في النجاة يوم القيامة: قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦] وقال - سبحانه -: ﴿إِلَّا إِنْ أَتَىٰ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(٤).

الخامس: تفاوت الناس يوم القيامة على أساس الإيمان:

(١) رواه البخاري (٢٦) ومسلم (٨٣).

(٢) رواه البخاري (٢٥١٨) ومسلم (٨٤).

(٣) رواه مسلم (١٨٨٥).

(٤) رواه مسلم (٥٤).



وهذا التفاوت له ميادين منها:

أ- تفاضل أهل الجنة فيما بينهم؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»^(١).

ب- تفاوت العصاة من الموحدين في النار؛ فعن معبد بن هلال العنزي قال: اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس بن مالك رضي الله عنه وذهبنا معنا ب ثابت البناني إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة، فإذا هو في قصره فوافقناه يصلي الضحى، فاستأذنا فأذن لنا وهو قاعد على فراشه، فقلنا لثابت: لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة، فقال: يا أبا حمزة: هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة، فقال: حدثنا محمد ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم... الحديث، وفيه: فأقول يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان فأنتطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم آخر له ساجداً، فيقال يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي أمتي فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان فأخرجه، فأنتطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم آخر له ساجداً، فيقول: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنتطلق فأفعل»^(٢).

(١) رواه مسلم (٢٨٣١) وأصله عند البخاري (دون موضع الشاهد).

(٢) رواه البخاري (٧٥١٠).





وفي حديث الشفاعة الطويل: «... فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم، يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرم الله صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه، وإلى أنصاف ساقيه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا...»^(١).

السادس: الإيمان هو الأساس والأصل في التربية الإسلامية، وسائر الأمور إنما هي فروع وثمرات لهذا الأصل العظيم، فالسلوك والعلم الشرعي والجهاد والدعوة والكف عن الحرمات إنما هو ثمرة ونتيجة من نتائج تحقق الإيمان.

وحين نعني بتربية الإيمان في النفوس، ويأخذ الجانب الإيماني نصيبه وحظه نختصر خطوات عدة، ونوفر الجهد في ميدان ومجال واحد.

السابع: الإيمان هو الزاد للمرء في مواجهة الشهوات التي عصفت بشباب المسلمين اليوم، وهي مسئولة عن حالات كثيرة من الإخفاق والتراجع، ذلك لأن المؤمن ولي الله.. قال تعالى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧]، كذلك فالمؤمن مبشر بكل خير وشرف في الدنيا والآخرة، وأعلى أنواع الشرف والسعادة «معية الله» له وسداده وتأييده قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

الثامن: قوة الإيمان هي العلاج الأنجح لكثير من المشكلات التي يشتكي منها الشباب اليوم (قسوة القلب، ضعف العناية بالعبادات، الفتور...) والاعتناء بتقوية الإيمان والتقوى

(١) رواه البخاري (٧٤٤٠) ومسلم (١٨٢).

في النفوس خير من التداعي لعلاج هذه الأمراض بعد وقوعها.

التاسع: قوة الإيمان هي أهم ما يعين المرء على الثبات على دين الله، خاصة ونحن اليوم نعاني من كثير من حالات التقهقر والتراجع؛ لذا فحين سأل هرقل أبا سفيان رضي الله عنه عن أصحاب النبي ﷺ قال: «وسألتك أيرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب»^(١).

العاشر: قوة الإيمان هي أعظم حاجز بين المرء وبين مواقف الحرام والمعاصي، قال تعالى عن الشيطان: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩]. وقال ﷺ: «لا يزي الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»^(٢)، فالذي يحول بينه وبين الوقوع في هذه المعاصي وغيرها هو الإيمان. وحتى حين يواقعها العبد فالمؤمن هو أقدر الناس على الإقلاع والتوبة ﴿إِنَّكَ أَنتَ الَّذِي تَقْوُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

كيف تربي نفسك إيمانياً؟

إذا علم ما سبق بيانه من أهمية العاطفة الإيمانية في حياة المسلم فإنه ينبغي أن تُجعل هدفاً يُسعى للحصول عليه، فالمرء المسلم في هذه الحياة يعمل بكل ما أوتى من قوة ليصل إلى تحقيق كل ما يرضاه الله تعالى ويحبه، فتراه يسارع الخطى في ضبط الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والإعلامية وغيرها وفق منهج إسلامي سديد، وتراه يخطط للوصول إلى الكمال في كل ذلك، ولعله - أيضاً - يحاول الإكثار من التقرب والتعبد إلى مولاه بوسائل شتى، لكن لا تجده يهتم

(١) رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٧٧٣).

(٢) رواه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧).





بعاطفته الإيمانية الاهتمام اللائق، فيقسو قلبه ويصبح سائرًا في مجالات الحياة سيرًا آليًا رتيبًا لا يكاد يلتفت فيه إلى إصلاح قلبه وتقوية عاطفته الإيمانية، وهذا أمرٌ خطير ينبغي الالتفات إليه كالالتفات إلى سائر الشئون الأخرى، بل أشد وينبغي كذلك أن يخطط للوصول إليه كما يُخطط لكل شأنٍ آخر في حياة المرء المسلم العامل الحريص.. لا بد من أن يخطو المرء خطوات متعددة متدرجة للسمو بعاطفته إلى المكان اللائق الذي ينبغي أن تتبوأه في نفسه وقلبه، وهذه الخطوات هي حزمة كاملة يضعها لنفسه ليحقق بها ما يريد..» إلخ^(١).

- التربية الإيمانية تكون بأمر عديدة منها:

١ - الاستعانة الصادقة بالله تعالى.

٢ - مجاهدة النفس على إخلاص العمل لله تعالى.. قال ابن قدامة المقدسي - رحمه الله: «والإنسان قلما ينفك فعل من أفعاله، وعبادة من عباداته، عن شيء من هذه الأمور (يقصد العجب والرياء وسائر الآفات القلبية)، فلذلك قيل: مَنْ سَلِمَ له في عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله تعالى نجا، وذلك لعزة الإخلاص وعُسْر تنقية القلب مِنْ هذه الشوائب؛ لأن الخالص هو الذي لا باعث له إلا طلب التقرب من الله تعالى»^(٢).

- إن إخلاص العمل أمر عظيم.. فهو يعني تجريد العمل، وتحقيقه، وتنقيته، وتصفيته من كل شوائب الشرك والبدع.. رزقنا الله وإياكم الإخلاص في الأقوال والأعمال والأحوال. لذلك فاحرص دائمًا - أخي الشاب - على تفقد نيتك، واجتنب الرياء وأسبابه^(٣)..

(١) راجع بحث. العاطفة الإيمانية وأهميتها في العمل الإسلامي. تأليف د/ محمد موسى الشريف ص ٤٥، ٤٦ ط. دار الفرقان للنشر والتوزيع.

(٢) انظر (مختصر منهاج القاصدين)، تأليف الإمام / لابن قدامة المقدسي، ص ٢١٣، ط. مكتبة التوفيقية.

(٣) من أراد التوسع في معرفة هذه الأدواء وأدويتها.. فليراجع كتاب (مدارج السالكين) للإمام ابن القيم الجوزية، وكتاب «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة، وكتاب «تعطير الأنفاس بذكر حديث الإخلاص» للدكتور/ سيد



٣- إحياء شعار (إلى القرآن من جديد؟):

* لقد مَنَّ الله تعالى على أمتنا المسلمة فأنزل لها كتابًا محكمًا فيه حياتها، فيه هداها، فيه روحها ونورها بعد ضياعها في الظلمة، وأرسل إليها نبيًا هاديًا إلى الصراط المستقيم؟!

القرآن لماذا؟!

* لأن القرآن منة الله على المسلم في هذه الأرض.. المنة التي ولد الإنسان معها ميلادًا جديدًا ونشأ بها الإنسان نشأة جديدة، إنه المنة التي التقطت البشرية من سفح الجاهلية لترقي بها في الطريق الصاعد إلى القمة السامقة على طريق المنهج الرباني الفريد العجيب.

* كذلك فإن القرآن هو النور الذي يُبَدِّدُ للسالِك ظلمات الشك، وينيرُ له طريق الهدى، فالقلوب لا تشرق إلا به، يقول تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٦﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

* به يبصر العبد طريقه إلى الله: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٢٠٣﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، ويهتدي من خلاله إلى الرشد: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ٢٠٤ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ٢٠٥ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ٢٠٦﴾ [الجن: ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦].

* وهو الهدى، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٢٠٧﴾ [البقرة: ٢٠٧]، فالهدى حقيقة، طبيعته، وكيانه وماهيته، والقلب المؤمن يدرك قيمة الاهتداء بعد الضلال، قيمة الرؤية الواضحة بعد الغبش، قيمة الاستقامة على الدرب بعد الحيرة، قيمة الطمأنينة للحق بعد

العفاني، ورسالة (الإخلاص) للشيخ/ حسين العوايشة، وكتاب «دبيب النمل» للأستاذ الفاضل/ محمد وفيق زين العابدين.





الأرجحة، قيمة التحرر من العبودية للعبيد بالعبودية لله وحده، قيمة الدرب المستقيم بدلاً من التخبط في دياجير الظلام، فيشفق مَنْ ذاق نداوة الظلال أن يعود إلى المهجير القائظ والشواظ.

* وهو جبل الله المتين، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

* وهو الدليل الأمين، والسائق الماهر، الذي يقود من يتبعه إلى الله، في أقصر طريق، وأقل مجهود... يُبين هذه المعاني الإمام ابن القيم فيقول: «عليك أولاً بنقل قلبك من وطن الدنيا فتسكنه في وطن الآخر، ثم تقبلُ به كله على معاني القرآن، واستجلائها، وتدبرها، وفهم ما يراد منه، وما نزل من أجله، وأخذ نصيبك وحظك من كل آية من آياته، وتنزلها على داء قلبك، فهذه طريق مختصرة قريبة سهلة، موصلة إلى الرفيق الأعلى، آمنة لا يلحق ساكنها خوف ولا عطب، ولا جوع ولا عطس، ولا فيها آفة من آفات الطريق البتة، وعليها من الله حارس وحافظ...»^(١).

* كذلك فالقرآن موعظةٌ من الله، وهل هناك أبلغ من الموعظة الربانية؟، وأيسر منها؟ وأكثر نفاذاً إلى القلب والضمير؟!

والجواب بكل يقين وثقة: لا.. حتى مواعظ البشر مهما سمت في البلاغة والتأثير فهي عاجزة عن أن تقارب الموعظة القرآنية أو تدانيها، وصدق الله تعالى فهو القائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

* لأن القرآن هو العلاج الناجح لأمراض القلوب: قال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، فالقرآن فيه من العظات والعبر والأحكام ما يولد الشفاء للصدور، ويقضي على ما فيها من أمراض وأدناس وأرجاس، ليعود لها نورها، وتعمل فيها فطرتها المؤمنة التي فطر الله الناس عليها، كذلك

(١) انظر في هذا تهذيب مدارج السالكين، ص ٢٩٣.



فالقرآن قادر - بإذن الله - على أن يشفي الصدور والقلوب من مختلف أمراضها المادية والنفسية؛ أمراض الشبهات والشهوات، وأمراض الهوى والانحراف، وأمراض الشك والشرك، وأمراض القلوب والنفوس، والجوارح والحواس، وأمراض السياسة والاقتصاد، والأخلاق والاجتماع، والحياة والحضارة..^(١).

* لأن القرآن أعظم أنواع الذكر: والله تعالى يقول: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].. ذلك الاطمئنان بذكر الله وتلاوة القرآن في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم..

* لأن القرآن يرفع أهله في الدنيا والآخرة.. قال ﷺ: «إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين»^(٢).

* لأن أهل القرآن أهل الله وخاصته.. لقوله ﷺ: «إن لله تعالى أهلين من الناس: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»^(٣).

* لأن تلاوة القرآن وصية رسولنا: قال ﷺ: «أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن، فإنه روحك في السماء، وذكرك في الأرض»^(٤).

* لأن القرآن مربى الرجال: إن القرآن مصنع الرجال، كذا فإن القرآن يُفَرِّخُ الأبطال، وحتى تتأكد من صحة هذا القول، فإني أدعوك للنظر في سير وتراجم هؤلاء الأبطال العظام

(١) راجع مفاتيح للتعامل مع القرآن، د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص ٢٨، ٢٩، ط. مكتبة المنار بالأردن، وللتوسع أنصح بمطالعة مقدمة رسالة «الطريق إلى القرآن» للشيخ الفاضل / إبراهيم بن عمر السكران - فكَّ الله أسره - ط. مركز الفكر المعاصر، ورسالة «هذه رسالات القرآن» فمن يتلقاها؟ للشيخ / فريد الأنصاري ط. دار السلام.
(٢) رواه مسلم (٨١٧).

(٣) رواه أحمد في مسنده، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم في المستدرک، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٦٥).

(٤) رواه أحمد في المسند من حديث أبي سعيد الخدري، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٣).





من صحابة نبينا ﷺ وسلفنا الصالح لترى كيف أثر القرآن فيهم تأثيراً بالغاً، حتى إنه اختلط بلحومهم ودمائهم، فضلاً عن تمكنه في قلوبهم، فانعكس ذلك على سلوكياتهم وتصرفاتهم، فسادوا الدنيا، وصاروا - أفضل جيل عرفه التاريخ - على مر الأزمان والعصور.

* لأن القرآن هو طريق الربانية: قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ نِعْمَ كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

* لأن القرآن الكريم أهم وسائل البناء الإيماني: فالوسائل التي تعين على تحقيق التربية الإيمانية وعلى زيادة الإيمان في قلوب ونفوس الناشئة كثيرة، إلا أن الاعتناء بالقرآن الكريم تلاوة وحفظاً وتدبراً سيبقى له أثره العظيم في إصلاح النفوس وتركيتها، باعتبار أن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، لذا فقد رأينا أثر الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم وحفظه وتدارسه لدى شباب الصحوه اليوم، وهذا مصداق ما أخبر به النبي ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»^(١).

ونحمد الله تبارك وتعالى أن وفق جيل الصحوه اليوم للاعتناء بالقرآن والتربية عليه، حتى صار حفظه وإتقانه هدفاً يتطلع إليه الشاب ويصرف زهرة وقته في تحصيله، وهذا أمانة تأس بالسلف الذين كانت لهم عناية بالغة بتعلم القرآن وحفظه.

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).



عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتیان حزاورة^(١) فتعلمنا الإیمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إیماناً^(٢).

وقال ابن عبد البر: «طلب العلم درجات ومناقل ورتب لا ينبغي تعديها، ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف رحمهم الله، ومن تعدى سبيلهم عامداً ضلّ، ومن تعداه مجتهداً زلّ، فأول العلم حفظ كتاب الله عز وجل وتفهمه...»^(٣).

وقال محمد بن الفضل بن محمد: سمعت جدي -يعني ابن خزيمة- يقول: استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة، فقال: اقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك، فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلي بالختمة، ففعلت فلما عيدنا آذن لي.

قال الإمام النووي -رحمه الله-: «كان السلف لا يعلمون الحديث والفقه إلا لمن يحفظ القرآن الكريم»^(٤).

وقال ابن خلدون في مقدمته: «واعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإیمان وعقائده، من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات»^(٥).

لهذا نقول: لا بناء إيماني صحيح بغير القرآن الكريم حفظاً واعتناءً وتدبراً وعملاً وتطبيقاً لهذا كان من الواجب على كل من يسعى لتربية نفسه قرآنيّاً أن يقدم الآتي:

(١) الحرور هو الغلام إذا اشتد وقوي وخدم، وهو الذي قارب البلوغ (اللسان ٤ / ١٨٧).

(٢) رواه ابن ماجه (٦١).

(٣) جامع بيان العلم وفضله للإمام ابن عبد البر -رحمه الله تعالى- (٢ / ١٦٦) ط. دار الكتب العلمية.

(٤) انظر (المجموع شرح المذهب) للإمام النووي (١ / ٣٨) ط. دار الفكر.

(٥) راجع (مقدمة ابن خلدون) تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٥٣٧-٥٣٨) ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ.





١ - الاعتناء بتلاوته والتلذذ بسماعه، وما أجمل أن يطلب الشباب من أحدهم حين يجتمعون في مجلس من مجالسهم أن يتلو آيات من كتاب الله عز وجل، وكذا كان يصنع عمر رضي الله عنه، فعن أبي سلمة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا رأى أبا موسى رضي الله عنه قال: ذكرنا ربنا يا أبا موسى؛ فاقرأ عنده^(١).

٢ - الاعتناء بالتدبر، وتعويد الشباب عليه، وتدارس معاني القرآن الكريم.

٣ - الاعتناء بدراسة كتب التفسير، وعلوم القرآن وأسباب النزول... وغير ذلك مما له

صلة بكلام الله عز وجل.

كيف يكون القرآن رفيقي؟!

* قد تقول: كيف يكون القرآن رفيقاً لي على درب ربانية؟!

كيف أستشعر حلاوة وكيف أستشعر حلاوة القرآن الكريم؟! وأنتفع به؟!

والجواب: حتى نجيب على هذه الأسئلة المهمة.. فإننا نقدم بمقدمة فنقول: إننا نتفق أن للقرآن تأثيره الواضح على القلوب الحية، ولقد أصلنا سالفاً أن القرآن هو الذي ربي الصحابة رضي الله عنهم حتى غير أفهامهم ومعتقداتهم، وانعكس ذلك على واقعهم، ولكن هل كان - هؤلاء - يقرءون القرآن كما نقرؤه - نحن هذه الأيام..؟

الإجابة: لا، إن هؤلاء لم يكن أحدهم يتلقى القرآن ليستكثر به من زاد الثقافة الذهنية الباردة، ولا ليضيف إلى حصيلته من القضايا العلمية والفقهية محصولاً يملأ به جعبته، إنما كان الواحد منهم يتلقى القرآن بشغف وحرص شديدين واضحين، ليعرف أمر الله حتى يطبقه في خاصة نفسه، لذا كان الواحد منهم يكتفي بعشر آيات يحفظها ويعلمها ويعمل بها ليستشعر حلاوة هذه الآيات، وليتولد لديه شعور «سمعنا وأطعنا»، وشعور «التلقي للتنفيذ»

(١) انظر (سنن الدارمي) تحقيق: مصطفى البنا (٣٤٩٣) ط. دار القلم.

حتى اختلط القرآن بذواتهم، وظهرت آثاره عليهم في حياتهم وواقعهم، فَتَحَوَّلَ القرآن معهم إلى آثار وأحداث تحول خطر سير الحياة..

مقارنـة

* وإذا عقدنا مقارنة - إن صحت المقارنة - بيننا وبين هؤلاء العظام، ستجد أن أكثر الناس في أزماننا يستمع إلى الأشرطة القرآنية ويُحَضَّرُ دروساً علمية، ويقرأ في كتب أهل العلم، وهو هاجر للقرآن بحجة طلب العلم، والله إن هذا لمن تلبس إبليس على العباد وعلى طلاب العلم ليشغلهم بالمفضول عن الفاضل.. فكانت النتيجة.. «أن وجدت النفرة بين قلوبنا وبين كلام ربنا»، بل زهد بعضنا في القرآن ورغب عنه حتى غطى الران القلوب.. وإلى الله المشتكى!!

والسؤال الآن: أين الخلل؟^(١)

الآيات هي الآيات، والقرآن هو القرآن.. فهو بحمد الله محفوظ في الصدور والسطور من الزيادة والنقصان، والتبديل والتغيير والتحريف.. ما المشكلة إذن؟! المشكلة في القلوب التي تتعامل مع هذه الآيات وتستقبلها.. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءُوهُ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤].

والآن بعد أن شَخَّصنا الداء.. فما الدواء؟

والجواب:

١ - عليك بالدعاء أن يُطَهِّرَ الله قلبك، وأن يكشف الران عنه لتبصر حقائق الأمور، ولتقف على دقائق الأشياء.

٢ - عليك أن تُقبل على القرآن بقلب خائف وجل؛ لأن هذا سيورثك العمل بالقرآن، إذ

(١) للتوسع.. أنصح بمراجعة بحثي «غربة القرآن» ط. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع و«تحقيق الوصال بين القلب والقرآن» ط. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة وكلاهما للدكتور/ مجدي هلاي.





القرآن هو أفضل موعظة وأعظم تذكرة، ولكن لمن؟! يجب ربك وخالقك فيقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن كَانَ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ [هود ١٠٣]، فالخائفون هم المستفعدون بالقرآن، ويؤكد هذا قوله - جلّ جلاله -: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿٥١﴾ [الأنعام: ٥١].

* ولعلّ هذا ما يوضحه الإمام ابن القيم بقوله: «مدارُ السعادة وقطب رحاها على التصديق بالوعيد، فإذا تعطل التصديق بالوعيد من القلب، خربَ خراباً لا يرجى معه فلاح البتة، ولقد أخبر الله تعالى أنه إنما تنفع الآيات والنذر لمن صدّق بالوعيد، وخاف عذاب الآخرة، فهؤلاء هم المقصودون بالإنذار والمستفعدون بالآيات دون من عداهم^(١)»، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنِ خَشِئَهَا﴾ ﴿٤٥﴾ [النازعات: ٤٥].

٣- عَظَّمَ القرآن وضعه على قائمة أولوياتك: احذر أن تتعامل مع القرآن على أنه كتاب تراويل وفقط، أو أن تعظم غيره من كتب العلم أكثر منه، فإن في هذا خطراً عظيماً، واعلم - أيها المغبون - أن القرآن هو العلم، ولقد صدق الإمام الحجة محمد بن إدريس الشافعي - رحمه الله - حيث يقول في مقدمة كتابه المانع الرائع «الرسالة»: «فكل ما أنزل في كتابه - جلّ ثناؤه - رحمة وحجة، علّمه مَنْ علمه، وجّهله مَنْ جهله، لا يعلم مَنْ جهله، ولا يجعل مَنْ علّمه...» * ثم قال «وإنَّ مَنْ أدرك علم أحكام الله في كتابه نصّاً واستدلالاً، ووفقه الله للقول، والعمل بما علم منه: فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الريب، ونورت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين الإمامة^(٢)»..

* فالقرآن فيه علم العقيدة والفقه والسير، والتفسير والتاريخ واللغة والبلاغة.. القرآن

(١) تهذيب مدارج السالكين، ص ٣١٥.

(٢) الرسالة للإمام المطليبي محمد إدريس الشافعي، بتحقيق الإمام العلامة/ أحمد محمد شاكر، ص ١٩، ط. دار التراث.



كتاب مبارك يربيك يهذيك، القرآن ينفعك ويصنعك^(١)، ولقد صدق خباب بن الارت حيث يقول: «تقرب إلى الله ما استطعت، فإنك لن تقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه»^(٢).

* لأجل هذا كان كثير من علمائنا وأشياخنا ينصحون كل مَنْ أراد تربية نفسه تربية إيمانية صحيحة أن يحرص على إدمان النظر في القرآن، وأن يقبل على القرآن حفظاً وتلاوة وتدبراً وتفسيراً ومذاكرة قبل تعلم العلوم الشرعية وغيرها.. لأجل هذا فأنصحك «أن تهب كل حياتك للقرآن».

٤- إذا كنت مِمَّنْ هجر القرآن: «سواء كان ذلك هجر تلاوة، أو هجر حفظ وتدبر، أو هجر فهم وعمل، أو هجر تحاكم إلى القرآن» فاستغفر الله تعالى، واعلم أن هجر القرآن مصيبة عظيمة تدل دلالة واضحة على رقة الدين وضعف الإيمان، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

٥- تأدب مع القرآن:

* فاختر الوقت المناسب لتلاوته، واعلم أن أفضل الأوقات: ما كان في الثلث الأخير من الليل «وقت السحر»، ثم قراءة الليل، ثم قراءة الفجر، ثم قراءة الصبح، ثم قراءة باقي أوقات النهار..

* كذلك فاختر المكان المناسب شريطة أن يكون بعيداً عن الشواغل والتشويش، وبعيداً عن الضجيج والصياح والكلام الدنيوي.

* الجأ إلى الله ربك وخالقك، وأقبل عليه إقبال الراغب في النجاة، الطالب لها، وتبرأ من حولك وقوتك، وقل: يا مفهم سليمان فهمني، ويا معلم داود علمني..

* استعذ بالله تعالى قبل البدء في التلاوة، ثم تَنِّ بالبسملة، ثم عليك أن تعيش معنى

(١) أصول الوصول إلى الله تعالى، للشيخ/ محمد يعقوب، ص٧٦، ط. مكتبة سوق الآخرة.

(٢) رهبان الليل: لفضيلة الشيخ د/ سيد العفاني (١/ ٥٩١). ط مكتبة معاذ بن جبل.





الاستعاذه، ومعنى البسملة، وأن تتدبرهما بكل كيانه.

* حاول أن تفرغ نفسك تمامًا قبل البدء في التلاوة، ذلك لأن الحاجات تبقى تُلحُّ على النفس وتعرض لها، وبذلك تحجب القلب عن التدبر والوعي والتلقي، فاحرص ألا تكون جائعًا، أو عطشًا، أو مهمومًا قلقًا مضطربًا، حتى تنتفع بالقراءة وتخرج بزاد عظيم منها..

* أما عن بقية «الآداب» فأحملك - أخي القارئ - على كتاب «التيان في آداب حملة القرآن» للإمام النووي - رحمه الله تعالى - لا سيما بتحقيق شيخنا: أحمد بن أبي العيين - وفقه الله.

* داوم على قراءة القرآن وحفظه وسماحه وخاصة عندما تحيط بك الفتن:

لاشك أن كل مسلم مطالب بالمداومة على تلاوة القرآن وحفظه، وختمه مرة تلو الأخرى، ولكن للمسلم الملتزم حال آخر مع القرآن، إذ هو يعتقد للقرآن دوره العظيم والفعال في إحياء قلبه وتثبيتته، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢]، فالقرآن من أهم وسائل التثبيت، يقول تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

وفي وقت الفتن يتجلى دور القرآن في عصمة أتباعه من الزلل؛ لأن القرآن يوضح لهم مداخل الشيطان، وصور الفتن، ومواد الامتحان، فإذا ما واجهها الشخص لم يفاجأ بها، ولعل هذا يتضح عند النظر إلى قوله - جلّت قدرته: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

* وهذا الدور العظيم للقرآن لن يتحقق إلا إذا داوم العبد على تلاوته، وسماحه وحفظه،

ليواجه ما يلاقيه من أحداث وتقلبات خلال مسيرته في الحياة اليومية..

كيف أحفظ القرآن؟!

* قد تقول: أما عن تلاوة القرآن، فهذا أمر سهل ميسور، ولكن كيف أحفظ القرآن،

علماً بأن القرآن طويل، ولا أفهم أكثره؟!

الجواب: إنَّ هذا من تلبس الشيطان عليك ليصرفك عن الخير الذي أخبر به النبي ﷺ، حيث يقول ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»^(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»^(٢).

* كذلك فإن الشيطان يريد أن يُثنيك عن الخير والفضل والأجر الذي ثبت في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «يُقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها»^(٣)، فإن الرقي في درجات الجنة بقدر ما تحفظ أيها الأخ الحبيب من كتاب الله..

ويبقى السؤال في ذهنك، وأنت تقول لنفسك ولأصحابك من حولك.. هل يمكن أن أحفظ القرآن؟

والإجابة عن هذا السؤال المتكرر، بكل سهولة ويسر:

إن حفظ القرآن أمر يسير والله الحمد؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ

مُذَكِّرٍ﴾^(٣٢) [القمر: ٣٢]، ولكن النفس قد تهاب هذا الأمر في البداية، لأجل هذا فأنصح كل

(١) متفق عليه، ماهر به: أي مجيد لحفظه وقراءته.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الترمذي (٢٩١٤)، وأبو داود (١٣١٧)، وابن ماجه (٣٧٨٠) وهو حديث حسن صحيح، انظر المشكاة (٢١٣٤).





مَنْ يريد إتمام حفظ القرآن بأن يقرأ هذا المشروع المقترح..

✽ فرصة العمر لحفظ القرآن:

- ١- اجتهد أن تحفظ القرآن لوجه الله تعالى ونيل رضاه - وحده جَلَّ ذكره.
- ٢- حَدِّدْ النسبة التي تتواءم وقدراتك على الحفظ كما هو موضح بالجدول - وسيأتي.
- ٣- احفظ القرآن على يد شيخ متقن مجَّود، ولو كان من ذوي الأسانيد والإجازات لكان هذا أجود وأفضل.
- ٤- كرر المحفوظ في الصلوات الخمس حتى يثبت في الذهن، مع التغني بالقرآن حتى تدفع عنك السَّامة والملل.
- ٥- لا تتجاوز وردك اليومي حتى تحيد حفظه تمامًا.
- ٦- حافظ على رسم واحد للمصحف ولا تغيره، حتى لا تختلط عليك مواضع الآيات.
- ٧- في أثناء قيام الليل صلِّ بما حفظت.
- ٨- راجع يوم الجمعة ما حفظته خلال أسبوع.
- ٩- اجعل لك مصحفًا في جيبك لتراجع ما ييسره الله لك أثناء سيرك.
- ١٠- استمع إلى أشرطة كبار القراء بصفة عامة، كالشيخ «الحصري» مثلاً لتستذكر معهم ما حفظته، ولتستفيد من إتقانهم..
- ١٢- أكثر من الاستشهاد بالآيات في مناسباتها، تذكراً لنفسك، ومراجعة لحفظك، وتنفيذاً لأمر ربك: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].
- ١٣- اجتهد في الدعاء في سجودك وبين الأذان والإقامة من مواطن إجابة الدعاء، أن يعينك الله على حفظ كتابه، وأن يثبتته في قلبك وأن يرزقك العمل به.
- ١٤- احرص على التحلي بآداب حملة القرآن وقراءة الكتب المؤلفة في ذلك.



وإليك هذا البرنامج الميسر لحفظ القرآن:

مدة حفظ القرآن كاملاً			مقدار الحفظ اليومي	مدة حفظ القرآن كاملاً			مقدار الحفظ اليومي
يوم	شهر	سنة		يوم	شهر	سنة	
١٥	٥	١	١٢ آية	٩	٧	١٧	آية واحدة
٦	٤	١	١٣ آية	١٨	٩	٨	آيتان
-	٣	١	١٤ آية	١٣	١٠	٥	ثلاث آيات
١	٢	١	١٥ آية	٢٤	٤	٤	أربع آيات
٦	١	١	١٦ آية	٧	٦	٣	خمس آيات
١٠	-	١	١٧ آية	٤	١١	٢	ست آيات
١٩	١١	-	١٨ آية	٣	٦	٢	سبع آيات
١	١١	-	١٩ آية	١٢	٢	٢	ثمان آيات
٢٤	٤	٣	نصف وجه	١٢	١١	١	تسع آيات
١٢	٨	١	وجه واحد	٣	٩	١	عشر آيات
٦	١٠	-	وجهان	٦	٧	١	١١ آية





ولتقريب الجدول إلى الأذهان:

* عند حفظ صفحتين في اليوم تقريباً، تنتهي من ٦٠ صفحة في الشهر، أي تنتهي (٧٢٠) صفحة في السنة، وهذا العدد أكبر من عدد صفحات القرآن..
عند حفظ صفحة واحدة من القرآن يومياً.. تستطيع ختم القرآن تقريباً في سنة وثمانية أشهر..

* عند نجاح المشروع: إذا أنعم الله عليك بإتمام حفظ القرآن، فاشكره على هذه النعمة العظيمة، وذلك بأمور:

- بالإكثار من تلاوة القرآن أثناء الليل وأطراف النهار.

- بقيام الليل به، ولو بالجزء المقرر مراجعته.

- بتعليمه لمن يجهله، وتطبيق أوامره، والانتفاء عن نواهيه، وتطبيق أحكامه، والتحاكم إليه^(١).

* وأخيراً: إلى القرآن من جديد:

* أخي الشاب الجامعي - يا مَنْ طَهر قلبك، وصفت سريرتك، ها هو القرآن يناديك وينادي إخوانك ورفاقك ممن يرغبون في الالتزام.. فهل من مجيب؟!
* ها هو القرآن يدعوك لتلاوته وحفظه، فهل أنت مستجيب؟!
أخي وحببي: اجعل همك وهمتك أن تحفظ القرآن وأن تتربى به، وأن تخرج به - خاصة - عند التخرج من الجامعة.. وليكن شعارك - أخي الشاب المسلم الجامعي:

حفظ قرآن + «شهادة اليسانس أو البكالوريوس» = رضا الرحمن، وتوفيق العلام مع الفوز بالجنان..

(١) راجع بحث: كيف يحفظ القرآن؟، د/ إبراهيم عبد المنعم الشربيني، ص ٢٥ ط. دار ابن كثير.

كيف نتدبر القرآن؟!

إن الأصل أن قراءة القرآن وسماعه وسيلة يتوصل بها إلى مقصود مهم وهو «تدبر القرآن والانتفاع به»، ولكن لشديد الأسف، فإننا في زماننا هذا قد نقرأ القرآن، ولكن لا نتدبر الآيات ولا نعقل الأحكام.. حتى إنك قد تجد طالباً بكلية الطب، أو بكلية الهندسة، أو أستاذاً جامعياً، يفهم المسائل العلمية المعقدة ويستطيع أن يحل العضلات والمسائل المتشابهات، لكنه لا يستطيع أن يفهم أغلب الآيات، ولا يقدر على استنباط الأحكام الشرعية وفهمها، أو استنطق فهم دلالتها من أصولها المكتوبة أو المخطوطة..

* يغفل أمثال هؤلاء عن قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤) *
[محمد: ٢٤]، وعن قوله - جل شأنه: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢٩) [ص: ٢٩].

* وما تدبر آياته إلا أتباعه، ما هو بحفظ حروفه، وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كله فما أسقط منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما ترى القرآن له في خلق ولا عمل^(١).

* ولهذا ندبنا الله عز وجل إلى قراءة القرآن مع التدبر، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢) [النساء: ٨٢]، فالتدبر للقرآن من أعظم الطرق والوسائل الجالبة للإيمان^(٢)، لأجل هذا يقول ابن القيم - رحمه الله: «وأما التأمل في القرآن: فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعلقه، وهو المقصود بإنزاله من السماء، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون:

(١) انظر رهبان الليل للدكتور/ سيد الغفاني، (١/ ٦٠٤) ط. مكتبة معاذ بن جبل.

(٢) ينظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، للشيخ/ أحمد فريد، ص ١٢٧.



٦٨]، قال الحسن «نزل القرآن ليتدبر ويعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً».

تدبروا القرآن تفلحوا..

* فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته، ذلك لأن التدبر يطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقهما وأشباههما وغايتهما وثمراتهما، ومآل أهلهما، وتثبت قواعد الإيمان في قلب صاحبه وتشد بنيانه وتوطد أركانه، وتربح صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه وتحفره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، فتتضح صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه وتبصره بسنن الله في الأرض، وتشهده وعد الله وفضله، وتعرفه خلال أسماء الله وصفاته وأفعاله وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتهما، وتعرفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم، وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون، وافتراقهم فيما يفترقون فيه، وبالجمله تعرفه الرب المدعو إليه، وطريق الوصول إليه، وماله من الكرامة إذا قدم عليه.

وتعرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه.

فهذه ستة أمور ضرورية للعبد:

* معرفتها، ومشاهدتها ومطالعتها، فتشاهده الآخرة حتى كأنه فيها، وتميز له بين الحق والباطل في كل ما اختلف فيه العالم، فتريه الحق حقاً، والباطل باطلاً، وتعطيه فرقاناً ونوراً يفرق بين الهدى والضلال والغي والرشاد، وتعطيه قوة في قلبه، وحياة وسعة وانشراحاً



وبهجة وسرورًا، فيصير في شأن والناس في شأن آخر^(١).

السلف وتدبر القرآن

كان سلفنا الصالح يعرفون لتدبر القرآن قيمته.. فهذا مالك بن دينار كان يقول: «يا حملة القرآن، ماذا غرس القرآن في قلوبكم؟! فإن القرآن ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض، وقد ينزل الغيث من السماء إلى الأرض فيصيب الحش فيكون فيه الحبة، فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتز وتخضر.. فيا حملة القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ أين أصحاب سورة؟ أين أصحاب سورتين؟ وماذا عملتم فيهما»^(٢).

أخي الحبيب يا مَنْ تتدبر في كل شيء، وأي شيء، «أين أنت من تدبر القرآن؟»، «هل تعيش مع القرآن؟»

يوجه إليك الإمام الغزالي اللوم فيقول: «ورد في التوراة: يا عبدي أما تستحي مني؟ يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي، فتعدل عن الطريق تقعد لأجله تقرأه وتندبر حرفًا حرفًا، حتى لا يفوتك منه شيء، وهذا كتابي أنزلته إليك، انظر كم فصلت لك فيه من القول، وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه، ثم أنت معرض عنه، أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك، يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي إلى حديثه بقلبك، فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أو مأت إليه أن كف، وها أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني، أفجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك؟!»^(٣).

(١) انظر: تهذيب مدارج السالكين، ص ٢٤٣، ٤٤٤.

(٢) يراجع: رهبان الليل للدكتور/ سيد العفاني (١/ ٥٩٧) ط. مكتبة معاذ بن جبل - القاهرة.

(٣) راجع إحياء علوم الدين (١/ ٤٢٦).



السرعة أم الجودة

* قد تقول: إني سريع القراءة، وأود أن أختتم القرآن «حفظاً أو تلاوة»، وهذا لا يجعلني أتدبر آيات القرآن؟!

يجيبك على هذه النقطة إمامنا ابن القيم فيقول: «التلاوة الحقيقية هي تلاوة المعنى واتباعه، تصديقاً بخبره، وإثباتاً بأمره وانتهاءً عن نبيه، وإتقاناً به، حيثما قادك انقادت معه، فتلاوة القرآن تتناول تلاوة لفظه ومعناه، وتلاوة المعنى: أشرف من مجرد تلاوة اللفظ، وأهلها هم أهل القرآن الذين لهم الشئ في الدنيا والآخرة، فإنهم أهل تلاوته ومتابعته حقاً»^(١).

* فالتدبر - التدبر - يا من تقرأ القرآن!! فإن من سبقك من أهل الإيمان والتقوى كانوا من ذوي التدبر، فهذا أبو سليمان الداراني: «إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال، ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها.. قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]^(٢).

فلبك أولاً

* كذلك فإني أنصحك بنصيحة مباركة من إمامنا ابن القيم: حيث بين - رحمه الله - شروط الانتفاع بالقرآن، فقال: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسامعه، وألق سمعك، وأحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به - سبحانه - منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثرٍ مقتضٍ، وكل قابلٍ

(١) مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم (١/٢٠٢). ط. مكتبة الإيمان بالمنصورة.

(٢) أنصح بالاطلاع على كتاب «القرآن.. تدبر وعمل» ط. مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي - الرياض، وللتوسع، راجع موسوعة التفسير بالمأثور للدكتور مساعد الطيار، وموسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ط. مركز تفسير للدراسات القرآنية.



وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية ذلك كله بأوجز لفظٍ وأبينه وأدله على المراد، فقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾ [ق: ٣٧] إشارة إلى تقدم أول السورة من ها هنا، وهذا هو المؤثر، وقوله: ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] فهذا هو المحل القابل، والمراد به «القلب الحي الذي يعقل عن الله»، كما قال تعالى، ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٩] لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴿[يس: ٦٩، ٧٠]، أي: وجه سمعه، وأصغى حاسة سمعه إلى ما يُقال له، وهذا شرط التأثير بالكلام، وقوله: ﴿الَسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] أي شاهد القلب حاضر غير غائب..

* قال ابن قتيبة: استمعَ كتابُ الله وأنت شاهدُ القلب والفهم، ليس بغافلٍ ولا ساه. وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يُقال له والنظر فيه وتأمله، فإذا حَصَلَ المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل: وهو القلب الحي، ووجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب، وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حَصَلَ الأثر وهو الانتفاع والتذكر^(١).

أخي الطالب الجامعي

* احرص على القرآن، أدمن النظر فيه، اجعله أنيساً لك، اقرأه ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً، رتّل آياته، جوّد قراءتها، رقق به قلبك، اسبل بالقرآن دموع عينك، افهم مجمله وموضوعه ومراده، تأمل الآيات وما تحويها لتخرج منها بمعرفة الله وحبّه - سبحانه وتعالى، هذا إن أردت الحياة الحقيقية لقلبك، والسلامة الإيمانية لفؤادك وجوارحك وذاتك^(٢).

(١) انظر كتاب الفوائد للإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - ص ٧٥.

(٢) أطلت في هذا العنصر لأنه الركن الركين لعملية التربية الإيمانية، ولمن أراد التوسع فعليه مراجعة: «تكوين ملكة التفسير... خطوات عملية لتكوين عقل المفسر»، للأستاذ الدكتور/ الشريف حاتم بن عارف، ط. مركز نداء للبحوث والدراسات، وكتاب «قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله» للأستاذ/ عبد الرحمن حنيفة الميداني ط. دار

٤ - ومما ينبغي أن نربي قلوبنا عليه:

استشعار الخوف من الله، ومراقبته - سبحانه - في السر والعلن، يقول ابن القيم: والخوف من الله، والرجاء فيه، والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولى على هموم العبد، وعزماته وإراداته وبهذا يصل العبد إلى رضا رب العالمية الذي هو قرّة عين المحبين، وحياة العارفين^(١).

٥ - ومما يترتب به الإيمان في قلوب العباد كثرة ذكر الله عز وجل:

قال ﷺ: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت»^(٢).

* وهذا إشارة إلى أن الذكر من أعظم أسباب حياة القلوب، ونماء الإيمان.

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: «لكل شيء جلاء، وإنّ جلاء القلوب ذكر الله عز وجل»^(٣)، كذلك فإن الذكر هو الحصن الحصين من الشيطان، لما ثبت عن رسول الله ﷺ: «أمركم أن تذكروا الله تعالى، فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو في أثره سراعاً، حتى إذا أتى حصناً حصيناً، فأحرز نفسه فيه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله»^(٤).

* كذلك فالذكر يخرج ما في القلب من حقائق معاني العبودية لله، لأجل هذا حرص أسلافنا - رحمهم الله - على التزود من الذكر فمثلاً: كان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله

القلم، و «فتح الرحيم الرحمن في بيان كيفية تدبر كلام المنان» للدكتور/ أحمد بن منصور آل سبالك، ط. المكتب الإسلامي للتراث، وكتاب «مبادئ تدبر القرآن الكريم».. تأليف د/ عبد المحسن بن زين المطيري، ط. دار الحضارة للنشر والتوزيع، وكتاب «تدبر القرآن الكريم» للدكتور/ عبد اللطيف التويجري، ط. مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض.

(١) مدارج السالكين، (٢/ ١٢٦).

(٢) متفق عليه.

(٣) راجع الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم، ص ٨١، ط. مكتبة المؤيد بالرياض.

(٤) راجع العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، للإمام أبي عبد الله/ محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي، ص ١٤، ط. مكتبة الفاروق الحديثة.



- يجلس يذكر الله تعالى من صلاة الفجر إلى قريب من صلاة الظهر ويقول: «هذه غدوتي ولو لم أتغد سقطت قوتي»، بل وقال - رحمه الله - «الذكر للقلب كالماء للسّمك، فكيف يكون حال السّمك إذا خرج من الماء؟»^(١).

منزل الذكر

قال ابن القيم - رحمه الله: «الذكر هو المنزلة الكبرى التي منها يتزود العارفون، وفيها يتجرون، وإليها دائماً يترددون، وهو منشور الولاية الذي مَنْ أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب العارفين التي متى فارقتها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قُطَاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقتها انتكست منهم القلوب، والسبيل الواصل والعلاقة التي بينهم وبين علام الغيوب، به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات...».

* ثم قال - رحمه الله -: «والذكر هو عبودية القلب والروح واللسان»^(٢)، زَيْنَ اللهُ بِهِ أَلْسِنَةَ

(١) رواه أحمد (٤/ ١٣٠)، ح ١٢٠٢، والطبائسي (١١٦٢، ١٦١٢) وأبو يعلى (١٥٧١)، وابن خزيمة (٩٣٠)،

١٨٩٥)، والطبراني في الكبير (٣٤٢٧)، والحاكم (١١٧، ١١٨)، وهو صحيح.

(٢) يقول ابن القيم: فالذكر إما أن يكون بالقلب واللسان تلاوة وذلك أفضل الذكر، أو بالقلب وحده تارة، وهي الدرجة الثانية، أو باللسان وحده تارة، وهي الدرجة الثالثة، فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان، وإنها كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده؛ لأن ذكر القلب يثمر المعرفة ويهيج المحبة، ويثير الحياة، ويبعث على المخافة، ويدعو إلى المراقبة، وينزغ عن التقصير في الطاعات، والتهاون في المعاصي والسيئات، وذكر اللسان لا يوجب شيئاً من هذه الآثار، وإن أثمر شيئاً منها فثمره ضعيف... انظر.. كتاب الوابل الصيب، ص ١٨١. ويؤكد ابن القيم على هذا المعنى فيقول: وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب، إنها هو القول التام، كقوله ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ حَطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ، أَوْ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَيْدِ الْبَحْرِ»، فليس هذا مرتباً على حول اللسان فقط.. نعم مَنْ قالها بلسانه غافلاً عن معناها معرضاً عن تدبرها، ولم يواطىء قلبه لسانه، راجياً مع ذلك ثوابها، حطت من خطاياها بمقدار ما في قلبه.. «تهذيب مدارج السالكين، ص ١٨٨».



الذاكرين، كما ذكر زَيْنَ بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء، وهو بابُ الله الأعظم المفتوح بينه وبين عباده ما لم يغلقه العبد بغفلته، قال الحسن البصري: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وفي قراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق^(١).

جلسات الذكر:

لقد كان ﷺ يعني بمجالس الوعظ والتذكير، وكان أصحابه يجدون أثر ذلك في نفوسهم، ويفتقدونه حين يغدون إلى بيوتهم ويخالطون أهليهم.

عن حنظلة الأسدي - وكان من كتاب رسول الله ﷺ - قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر: فو الله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات^(٢).

وأثنى ﷺ على الذين يجتمعون على ذكر الله وطاعته، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قَوْمًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم

(١) مدراج السالكين، (٢/٤٢٣، ٤٢٤).

(٢) رواه مسلم (٢٧٥٠).



وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قالوا: يقولون يسبحونك، ويكبرونك، ويمجدونك، ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك، قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدًا وتحميدًا، وأكثر لك تسبيحًا، قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا، والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون لا والله يا رب ما رأوها قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم أنني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم^(١).

وكان لأصحاب النبي ﷺ اعتناء بمجالس الذكر، كما سيأتي في الحديث عن التعاون على أداء العبادة.

٦- ومما يترتب به الإيمان في القلوب: كثرة التعبد، العبادة: هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة... كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - طيب الله ثراه: «فينبغي لكل من أراد أن يزكي نفسه أن يكثر من العبادات الظاهرة (كالمداومة على حفظ وتلاوة القرآن، وتحديد ورد يومي لذلك، كثرة الصيام، وكثرة الابتهاال والدعاء، قيام الليل وذكر الله خاليًا، والمrabطة والمكث في المسجد بين الصلوات، وحضور مجالس أهل العلم)^(٢)».

فليجتهد المسلم غاية الاجتهاد في المحافظة على أداء الفرائض، فإن الله تعالى قال في الحديث القدسي: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي

(١) رواه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

(٢) راجع هذا المعنى في كتاب (العبادة في الإسلام) تأليف د/ يوسف القرضاوي ص ٣١، ٣٢ ط. مؤسسة الرسالة - الطبعة الرابعة والعشرون ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.



يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه..»^(١).

فأول ما يقرب إلى الله أداء الفرائض، كما قال عمر بن الخطاب: «أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حَرَّمَ الله، وحسن النية فيما عند الله».

فالفرائض: هي رأس المال، فإذا استكمل العبد فرائضه وأراد أن يترقى في درجات الإيمان وولاية الرحمن عز وجل فليفتح على نفسه أبواب النوافل، والنوافل هي ما عدا الفرائض من أجناس الطاعات.

* ولقد سئل بعض العلماء: فقال لهم: «ما بال نوافل كانت هي السبب الموصل إلى محبة الله عز وجل دون الفرائض؟ فأجاب بعضهم: لأن العبد يفعل الفريضة خوف العقوبة ورجاء الأجر، أما النوافل فلا عقوبة في تركها، فيفعلها العبد بإخلاص بنية التقرب إلى الله عز وجل، فلما خلصت النية في النوافل كانت هي السبب الموصل إلى محبة الله عز وجل دون الفرائض»^(٢).

* كذلك فليحرص المسلم على الاجتهاد في العبادات القلبية الباطنة: «كتحقيق الإخلاص، وتحرير المراقبة، والاجتهاد في الخوف من الله عز وجل، والإخبات له وحده، وخشيته - سبحانه - دون غيره من خلقه، والتوكل عليه وحده، والاعتماد عليه وحده دون الركون إلى الأسباب المادية، والإنابة إليه وحده، والاستغاثة به وحده»^(٣).

* واعلم - أخي الكريم - أن أعمالك التعبدية لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العاملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدًا، وبين صلاتهما كما بين السماء

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) ينظر: الترية على منهج أهل السنة والجماعة، ص ١٣١.

(٣) يراجع: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٥٠)، و«التحفة العراقية في الأعمال القلبية»، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٣٩.



والأرض^(١).

٧- مما يتربى به الإيمان في القلوب: العناية بالفرائض لأنها الأساس والأصل، وهي أعظم ما يتقرب به العبد لخالقه، قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه «وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه»^(٢).

لذا يجب على المربي الاهتمام بالفرائض، بتأكيد الإيمان بها وفعلها، والاعتناء بآدابها، وتجويدها، وإقامتها على الوجه الأكمل، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره»^(٣). وبعد تحقيق الإتيان بالفرائض.. لا بد من الاعتناء بالنوافل: إذ هي سبب لتحقيق محبة الله: «وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمش عليها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»^(٤).

٨- مما يتربى به الإيمان في القلوب: «النظر في أحوال سلفنا الصالحين، وسير هؤلاء المتقين».

إن في سير السلف وأخبارهم من العبر والقدوة الشيء الكثير، لذا فالاعتناء بها وإبرازها، وربط الناشئة بهذا الجيل ورجاله يترك أثراً له أهميته في ميدان التربية. ومما ينبغي أن يُعنى به في هذا الميدان أن أقوال وأفعال آحاد السلف ليست حجة، بل لا بد أن توافق سنة النبي ﷺ، وينبغي للمربين التنبيه على هذا الجانب، ومن ذلك ما يروى أن أحدهم صلى كذا وكذا سنة الفجر بوضوء العشاء، أو كان يقوم الليل كله، أو عاقب نفسه

(١) تهذيب مدارج السالكين، ص ١٨٨.

(٢) رواه البخاري (٦٥٠٢).

(٣) رواه مسلم (٢٤٥).

(٤) رواه البخاري (٦٥٠٢).



حين وقعت في خطيئة بصيام سنة... وغير ذلك، كل هذا مخالف لهدي النبي ﷺ. لكن لا يُسوِّغ ذلك الطعن فيمن نقل عنه شيء من ذلك، بل لابد من تربية الناشئة على توقيير رجالات السلف والتأدب معهم، ومع ذلك حين يرون منهم ما يخالف الحق لا يتأسون به ويعتذرون لصاحبه، والطريقة التي يعلق بها المري على مثل هذه الروايات لها أثر كبير غير مباشر في غرس هذه النظرة وهذا المنهج في التعامل مع سير السلف وأخبارهم، الذي يجمع بين توقييرهم واحترامهم، وبين قصر التلقي على ما يؤيده الوحي والنص الشرعي. أخي الشاب - لقد فقه سلفنا الصالحون عن الله أمره، وتدبروا في حقيقة الدنيا، ومصيرها إلى الآخرة، فاستوحشوا من فتنها، وتجاث جنوبهم عن مضاجعها، وتناءت قلوبهم عن مطامعها، وارتفعت همتهم على السفاسف، فلا تراهم إلا صَوَّامين قَوَّامين، باكين وجلين خائفين، ولقد خلفت سيرهم وتراجهم بأخبار زاخرة تشيد بعلو همتهم في التوبة والاستقامة، وقوة عزمهم في العبادة والإخبات.. ومن ذلك قول الحسن: «مَنْ نافسك في دينك فنافسه ومَنْ نافسك في دنياه فألقاها في نحره»..

* وقال وهيب بن الورد: «إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل».
* وقيل لنافع: «ما كان ابن عمر يصنع في منزله؟» قال: «الوضوء لكل صلاة، والمصحف بينهما، وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة الجماعة صام يوماً، وأحيا ليلة، وأعتق رقبة...».
* وروى ابن عماد الحنبلي في «شذرات الذهب» أنه كان يقول: «ما تكلمت بكلمة ولا فعلت فعلاً إلا أعددت له جواباً بين يدي الله، كما نقل ذلك السبكي^(١).
* والله لقد صدق فيهم وفي أمثالهم قول القائل:

هم الرجال وعيب أن يقال *** لغيرهم ممن دونهم رجل

فاجتهد في متابعتهم، وبالغ في اللحاق بهم، حتى تدركهم.. في جنات عدن عند مليك

(١) راجع علو الهمة، تأليف الدكتور/ محمد بن إسماعيل - حفظه الله تعالى، ص ٢٠٩، ٢١٥، ط. مكتبة الكوثر بالرياض.

مقتدر^(١).

٩- المواعظ من أسباب النماء الإيماني:

الموعظة تحرك القلوب وتثير كوامن النفوس، وكثير من العصاة والمعرضين ارتدعوا عما وقعوا فيه من فسق وفجور بسبب موعظة استمعوا إليها^(٢).

لذا فقد كان النبي ﷺ يعني بالموعظة لأصحابه، يحكي أحد أصحابه وهو العرباض بن سارية رضي الله عنه عن موعظة وعظها إياهم النبي ﷺ، فيقول: وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي؛ فإنه من يعيش منكم يرى اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بستتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ»^(٣).

وحتى تترك الموعظة أثرها ينبغي أن تكون تخوّلًا (بين الحين والآخر)، وألا تكون بصفة دائمة.

عن أبي وائل قال: كان عبد الله يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن،

(١) أنصحك - أخي الشاب الجامعي بقراءة سير السلف الصالحين منذ زمان رسول رب العالمين - عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
وهذا أمر من الأهمية والخطورة بمكان: إذ في تلك السير عبرٌ مرفقة، ومواعظ مؤثرة، فقد كانوا أهل بكاء، وأصحاب قلوب رقيقة خاشعة، وقراءة سيرهم مؤثرة أعظم التأثير في قارئها، وذلك أن القارئ يطلع على مجتمع مفقود في علمه، وينظر في حال أناس لم يألّف رؤية أمثالهم في زمانه.
ويمكنك في هذا مطالعة كتاب «صور من حياة الصحابة» وكتاب «صور من حياة التابعين» كلاهما للأستاذ/ عبد الرحمن رأفت الباشا، وكتاب «سير أعلام النبلاء» للذهبي، أو تهذيبه المسمى بـ«إتحاف النبلاء بتهذيب سير أعلام النبلاء» تأليف د/ محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف ط. دار الأندلس الخضراء.

(٢) رواه البخاري (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩).

(٣) رواه الترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢).



لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، قال: أما إنه يمنعني من ذلك أي أكره أن أملككم، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السأمة علينا^(١).

ومن المواطن التي تناسب الوعظ المواقف المؤثرة؛ فهي تهيب النفوس، وتزيل قسوتها؛ فتكون أقرب للتأثر، كما فعل النبي ﷺ حين وعظ أصحابه في جنازة أحد الأنصار.

ومنها رؤية المربي للتقصير والإعراض من الناس، وكذلك فعل ﷺ؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء فخطب فقال: «عرضت علي الجنة والنار فلم أر كالיום في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» قال: فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه، قال: غطوا رؤوسهم ولهم خنين، قال: فقام عمر فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً...^(٢).

* لذا أوصيك بالاطلاع على الأحوال التي يلين بها القلب [كأحوال أهل الجنة، وصفاتهم، ونعيم هؤلاء]، وكذلك يستحب لك الاطلاع على أحوال أهل النار [كالاطلاع على صفاتهم، صفة عذابهم] وسماع المواعظ المؤثرة، المحافظة على صلاة الجنائز، واتباعها، وزيارة القبور، وتذكر دائماً قول أحمد بن حنبل: «يا عجباً لمن يعرف أن الجنة تُزين فوقه، والنار تسعر تحته، كيف ينام بينهما؟».

١٠ - مما يترتب به الإيمان في القلوب التفكير في خلق الله:

إن من أعظم الطرق المؤدية إلى تعظيم الحق - جلّ شأنه - التفكير في عجائب مصنوعاته، وفهم الحكمة في أنواع مبتدعاته ومخلوقاته، فيكون ذلك من أسباب رسوخ اليقين.. لأجل هذا أمر الله أرباب العقول المؤمنة بالنظر والتفكير والاعتبار، وأرشد القرآن الكريم في مواطن عدة إلى التفكير في مخلوقات الله، والاستدلال بعظمتها على عظمة خالقها، وجعل ذلك من صفات

(١) رواه البخاري (٧٠) ومسلم (٢٨٢١).

(٢) متفق عليه، واللفظ لمسلم (٢٣٥٩).



أهل العقل والحكمة.. قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال سبحانه: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥]، ويقول جل ذكره: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

* يقول ابن القيم: «وهذا كثير في القرآن، يدعو العبد إلى النظر والفكر في مبدأ خلقه ووسطه وآخره، إذ نفسه وخلقها من أعظم الدلائل على خالقه وفطره، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه، وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه، وهو غافل عنه، معرض عن التفكير فيه، ولو فكّر في نفسه لجزه ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره، قال تعالى: ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ [١٧] مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ، ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ، ﴿٢٠﴾ [عبس: ١٧: ٢٢].

* ثم بدأ - رحمه الله - يبين عظيم قدرة الله تعالى، في خلق الإنسان منذ كونه نقطة حتى يصير إنساناً كامل البنیان..

* ثم ينتقل ابن القيم إلى التفكير في البيئة والطبيعة من حوله: فمثلاً يقول: «ومن آياته السحاب المسخر بين السماء والأرض» فإنك إذا تأملت هذا السحاب الكثيف المظلم كيف يجتمع في جو صافٍ لا كدورة فيه، وكيف يخلقه الله متى شاء وإذا شاء، وهو مع لينه ورخاوته حامل للماء الثقيل بين السماء والأرض، إلى أن يأذن له ربه وخالقه في إرسال ما معه من الماء فيرسله وينزله منه مقطّعاً بالقطرات، كل قطرة بقدر مخصوص اقتضته حكمته ورحمته، فيرش السحاب الماء على الأرض رشاً، ويرسله قطراتٍ مفصلة، لا تختلط قطرة منها بأخرى، ولا يتقدم متأخرها، ولا يتأخر متقدمها، ولا تدرك صاحبتهما فتمتزج بها، بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم لها لا تعد عنه حتى تصيب الأرض قطرة قطرة، وقد عُنيَتْ كل قطرة منها الجزء من الأرض لا تتعداه إلى غيره، فلو اجتمع الخلق كلهم على أن يخلقوا منها قطرة واحدة أو



يحصوا عدد القطر في لحظةٍ واحدةٍ لعجزوا عنها..

فتأمل كيف يسوقه سبحانه رزقًا للعباد والدواب والطيور والذر والنمل؟! يسوقه رزقًا للحيوان الفلاني في الأرض الفلانية بجانب الجبل الفلاني، فيصل إليه على شدة من الحاجة والعطش في وقت كذا وكذا..^(١)

* فلنتدبر ولنتفكر في خلق الله تعالى ونعمه من حولنا، لنقفَ على بديع صنع الله - جلَّ قدرته - ولنقرن ذلك بالأذكار المناسبة «كالتسبيح والتهليل والتحميد...».

والتفكر الحقيقي في مخلوقات الله يؤدي بصاحبه إلى الإيمان والتقوى واللجوء لخالقه عز وجل؛ ذلك أن آيات الله إنما يعقلها العالمون من عباده، ويتفكر فيها أولو الألباب.

لذا فعلى المربي الاعتناء بهذا الجانب والاهتمام به، ومن الوسائل المحققة لذلك ما يلي:

١ - دراسة آيات القرآن الكريم التي فيها الحديث عن عظمة الله عز وجل، ودراسة تفسيرها، وربطها بالواقع.

٢ - ربط العلوم المادية التي يدرسها الطلاب -وتتناول جانبًا من عظمة خلق الله- بالإيمان، والحديث عن مظاهر عظمة هذا الخلق التي تدل على عظمة الخالق عز وجل، وألا تعرض مادة جافة.

٣ - حين يخرج الأب مع ابنه، أو المعلم مع تلامذته إلى الخلاء فيرى جمال المخلوقات وتناسقها فليذكرهم بالله عز وجل، وليربطهم بآياته سبحانه.

٤ - دراسة جوانب من نتاج العلم المعاصر التي اكتشفت حقائق تدل على عظمة خلق الله

عز وجل^(٢).

(١) راجع مقدمة (مفتاح دار السعادة) للإمام ابن القيم (١/ ص ٥، ص ٤٧) ط. مكتبة الإيمان بالمنصورة.
(٢) أنصح بمراجعة المراجع العلمية الأكاديمية المعتمدة في هذا الباب، إذ فيها تثبيت لأفئدة المؤمنين، وقمع للملحدين المشككين.

١١ - التعاون المشروع على أداء العبادات:

النفس تضعف ويصيبها الفتور والتقصير، لكن المسلم حين يرى ما عليه إخوانه الصالحون يزداد همّة ونشاطاً للعمل والاجتهاد فيه، لذا فقد كان النبي ﷺ وهو أتقى الناس وأقربهم لله تبارك وتعالى يزداد طاعة وهمّة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة^(١). قال النووي عند ذكره لفوائد هذا الحديث: «ومنها زيادة الجود والخير عند ملاقة الصالحين وعقب فراقهم للتأثر بلقائهم»^(٢).

ومن صور التعاون المشروع على أداء العبادة:

أ- الأمر بها والحث عليها، وقد كان ﷺ يفعل ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل فإذا أوتر قال: «قومي فأوترى يا عائشة»^(٣).

بل خرج ﷺ من بيته ذات ليلة لابنته وصهره أمراً إياهما بالصلاة والتهجد، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طرده وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة فقال: «ألا تصليان؟» فقلت: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعتنا، فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إلي شيئاً ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]^(٤).

ويوصي ﷺ بهذا التعاون بين الرجل وزوجته مثنياً على من يفعله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه

(١) رواه البخاري (٣٢٢٠) ومسلم (٢٣٠٨).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٧٥-٧٦).

(٣) رواه مسلم (٧٤٤).

(٤) رواه البخاري (١١٢٧) ومسلم (٧٧٥).



قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، ثم أيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، ثم أيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»^(١).

ب- الاجتماع المشروع على العبادة، كالاتِّجاع على الذكر، وقد كان أصحاب النبي ﷺ يفعلون ذلك؛ فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: «اجلسوا بنا نؤمن ساعة»، يعني نذكر الله تعالى^(٢). وعن الأسود بن هلال قال: كان معاذ يقول للرجل من إخوانه: اجلس بنا فلنؤمن ساعة، فيجلسان فيذكران الله ويحمدانه^(٣).

وعن علقمة أنه كان يقول لأصحابه: امشوا بنا نردد إيماناً^(٤).

ومن ذلك الاجتماع أحياناً على أداء النافلة وصلاة الليل، على ألا يكون راتباً ودائماً. وقد صلى النبي ﷺ صلاة التطوع في جماعة فصلى معه ابن عباس، وصلى معه حذيفة، وصلى معه جابر، وصلى بأصحابه جماعة في بيت رجل من الأنصار. وبُوب البخاري على هذا الحديث (باب صلاة النوافل جماعة)، قال ابن حجر في فوائد هذا الحديث: «وفيه ما ترجم له هنا وهو صلاة النوافل جماعة، وروى ابن وهب عن مالك أنه لا بأس بأن يؤم النفر في النافلة، فأما أن يكون مشتهراً ويجمع له الناس فلا، وهذا بناء على قاعدته في سد الذرائع لما يخشى من أن يظن من لا علم له أن ذلك فريضة»^(٥).

وقيّدنا الاجتماع بأن يكون مشروعاً حذراً من الاجتماع غير المشروع، كالاتِّجاع على الذكر

(١) رواه أحمد (٧٣٦٢) وأبو داود (١٣٠٨) والنسائي (١٦١٠) وابن ماجه (١٣٣٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الإيمان (١٠٥).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الإيمان (١٠٧)، وأبو عبيد القاسم بن سلام في الإيمان (٢٠).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في الإيمان (١٠٤).

(٥) فتح الباري (٣/ ٧٩، ٨٠).



الجماعي، أو اتخاذ صلاة النافلة جماعة هدياً راتباً وجمع الناس لها^(١).

١٢ - مما يساعد على نماء الإيمان في القلوب: التنافس والتسابق في الخير

لقد أثنى الله تعالى على عباده الذين يتسابقون بالخيرات ويتنافسون فيها، فقال تبارك وتعالى: ﴿خَتَمَهُ مِمْسَكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِّسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقال: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] ووصف عباده المرسلين بهذه الصفة فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وجاء في السنة الثناء على الذين يتسابقون إلى الخير ويتنافسون فيه، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً»^(٢).

وقد كان أصحاب النبي ﷺ يتسابقون إلى الخيرات ويتنافسون فيها؛ فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك عندي ما لا فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: «يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله

(١) للتوسع في معرفة أحكام الذكر، وحكم الاجتماع للذكر ورفع الصوت به، يراجع كتاب: (أحكام الذكر في الشريعة الإسلامية) تأليف د/ أمل بنت محمد فالح الصغير، من ص ١٤٥ إلى ص ١٧٧، ط. دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

(٢) رواه البخاري (٦١٥) ومسلم (٤٣٧).

ورسوله، قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبدًا^(١).

١٣ - مما يربي الإيمان في القلوب: تصحيح العقيدة، وتحرير القلب من العبودية لغير الله تعالى: يجب أن تعلم - أخي الشاب - أن توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة هو غاية خلق العالمين، وهو أصل دعوة المرسلين، وهو أول ما يُخاطب به الناس من أصول الدين، وهو سبب العصمة والأمان في الدنيا، والنجاة والفوز في الآخرة، وهو الشرط لصحة وقبول سائر الطاعات، وقد تضافرت الأدلة القرآنية والنبوية على تقرير هذه الأمور المذكورة سلفاً، مما يبين أهمية تعلم التوحيد وأمور العقيدة قبل كل العبادات..

وعليه: فالتوحيد أول ما يتعلمه المسلم، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. وأوجب ما يدعو الناس إليه، قال تعالى على لسانه أنبيائه: ﴿يَقُومُواْ عِبَادُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

فالتوحيد والإيمان ولا ينطلق منه إلا غيره بل يُنطلق معه إلى غيره، فكما لا تُقبل صلاةٌ بغير وضوء، لا تُقبل عبادة بغير توحيد.

كذلك أصل كل صلاح في هذه الحياة، كما أن الشرك ومعصية الرسول أصل كل فساد، وكما يقول ابن تيمية - رحمه الله: «أصل الصلاح: التوحيد والإيمان، وأصل الفساد: الشرك والكفر»^(٢).

وقد صدق - رحمه الله: فإن فساد العقيدة سببٌ مباشر في حدوث الاختلاف والتفرق والتنازع والجرأة بين طوائف الأمة، فتحقيق كلمة التوحيد هو السبيل لوحدة الكلمة^(٣). وعلى هذا فإن الدعوة إلى الاستقامة على جميع تكاليف الإسلام هي في حقيقتها دعوة

(١) رواه الترمذي (٣٦٧٥)، وأبو داود (١٦٧٨)، والدارمي (١٦٦٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/١٦٣).

(٣) راجع: طريق الهداية - مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة بفضيلة الدكتور/ محمد يسري ص٦٤، ط٧. دار اليسر.



لترسيخ التوحيد وتحقيق الاعتقاد^(١).

وها أنا أعرض عليك - أخي الشاب - مختصرًا عقديًا جامعًا للعقيدة الإسلامية الصحيحة.

(١) الإيمان بالله

أنا مسلم: أو من بالله وحده لا شريك له ولا رب سواه، لم يلد ولم يولد ولم يكن له مثيلًا قط^(٢).

(١) راجع رسالة.. التوحيد محور الحياة.. للشيخ د/ عمر سليمان الأشقر ص ٣٠ ط. دار النفائس.

(٢) يؤمن المسلمون بالله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، خالق الأرض والسموات العلى، الرحمن على العرش استوى، له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، هو الحي الذي لا يموت وهو يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

وهو الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها، ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى.

وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارًا، ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين. ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْآزْفَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ ١٢ ﴿يَسْجُدُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُ مِنْ خِيفَتِهِ. وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَكْلِ﴾ ١٣ [الرعد: ١٢-١٣]، هو الذي خلق البشر من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساءً وهو العليم الحكيم ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١٤ [آل عمران: ٦]، يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، فالتق الحب والنوى، يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويرزق من يشاء بغير حساب.

وهو الذي جعل النجوم؛ ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر.

وهو الذي خلق الجن وتعالى عن الشركاء منهم، وما نسب إليه من البنين والبنات سبحانه وتعالى عما يصفون. خالق كل شيء فاعبدوه، وهو على كل شيء وكيل -أي حفيظ وراقب، يدبر كل ما سواه، ويرزقهم، ويكلؤهم بالليل والنهار-.

وهو الذي يرسل الرياح مشرات -أي تتقدم المطر-، وهو سبحانه الذي ينزل الغيث، ويحيي الأرض بعد موتها ويخرج به من كل الثمرات، كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة.

=



وهو الذي يرزق الولد، ويهب لمن يشاء إناثًا، ويهب لمن يشاء الذكور، أو يرزق من يشاء ذكورًا وإناثًا، ويجعل من يشاء عقيمًا لا إله إلا هو تعالى عما يشركون.

وهو الذي جعل الشمس ضياءً، والقمر نورًا، وقدره منازل؛ ليعلم الناس عدد السنين والحساب.

وهو الذي يسير عباده في البر، والبحر ويرزقهم من السماء والأرض.

وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وكان عرشه على الماء، وهو رب السماوات والأرض، وهو خالق كل شيء وهو الواحد القهار.

وهو الذي سخر لعباده الفلك لتجري في البحر بأمره، وسخر لهم الأنهار.

وهو الذي جعل في السماء بروجًا -أي كواكبًا- وزينها للناظرين، وحفظها من كل شيطان رجيم، إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين.

وهو الذي خلق الإنسان من نطفة وخلق الأنعام، وسخرها له، ويخلق ما لا تعلمون.

وهو الذي أنزل الماء من السماء، وجعله عذبًا سائغًا للشاربين، وأنبت لهم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات.

وهو الذي سخر البحر، وجعل فيه اللالك، وخلق فيه السمك، وسخره للركوب وحمل السفن.

وهو الذي خلق الجبال الراسيات؛ لتقر الأرض ولا تضطرب.

وهو الذي خلق الأنهار، والسبل والنجوم لعلمهم بهتدون.

وهو الذي خلق الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق الإنسان من صلصال كالفخار، وهو العليم القدير.

وهو الذي أخرج عباده من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئًا، وجعل لهم السمع والأبصار، والأفئدة لعلمهم يشكرون وأنتم نعمته عليهم لعلمهم يسلمون.

وهو الذي يتوفاهم ثم يعيدهم كما فطرهم أول مرة.

وهو الذي فتق رفق السماوات والأرض، وجعل من الماء كل شيء حي.

وهو الذي جعل السماء سقفاً محفوظاً ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]

وهو يبعث من في القبور.

وهو الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه والله هو الإله الحق وهو خالق السماوات والأرض ومن فيهن والذين يدعون من دون الله لا يخلقوا ذبابًا، ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه

﴿ضَعُفَ الظَّلِيلُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

وهو الذي خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء وهو على كل شيء قدير.

=



الملك الحق سبحانه ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِثْلَ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الرؤم: ٤٠]

وهو الذي يحيي العظام، وهي رميم كما أنشأها أول مرة، وهو بكل خلق عليم، وعلى كل شيء قدير ﴿وَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [٨١] ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٨٢] ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدُورُ مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَلِيهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٨٣] [يس: ٨١-٨٣]

وهو الغني سبحانه وما لرزقه من نفاذ وهو أحسن الخالقين.

وهو الذي خلق العباد وما يعملون، وهو ربهم ورب آبائهم الأولين، وهو الإله الحق وما من إله غيره وهو الواحد القهار ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرَوِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان: ١١].

وهو القاهر الغالب العالمي فوق عباده، قهر كل شيء وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء، وهو العلي العظيم ﴿ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا دَعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]، والله خلق كل شيء، وأنطق كل شيء وله ملك السموات والأرض، وما بينهما وإليه يرجعون ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]

وهو الذي خلق الذكر والأنثى، وله الآخرة والأولى ﴿وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [١٢] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَكَ وَابْكَى﴾ [١٣] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [١٤] ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [١٥] ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تَثْنَىٰ﴾ [١٦] ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْآخِرَىٰ﴾ [١٧] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [١٨] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَىٰ﴾ [١٩] ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ [٢٠] ﴿وَنُوحًا إِذْ نَاقَىٰ﴾ [٢١] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ﴾ [٢٢] ﴿وَالْفُؤَادَ نَجَافًا﴾ [٢٣] ﴿فَقَسَّاهَا مَا عَشَىٰ﴾ [٢٤] [النجم: ٤٢-٥٤]

وهو الملك الأعلى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٣-٤]

وهو الله عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور العزيز الحكيم ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِعَقْدَارٍ﴾ [٨] ﴿عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى﴾ [٩] ﴿سَوَاءٌ يَنْذَرُكَ مِنْ أَمْرِ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِإِثْمِلٍ وَسَارِبٍ بِإِلْهَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

وهو السميع العليم التواب الرحيم العلي العظيم الغني الحليم ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، بيده الخير يرزق من يشاء بغير



حساب، والله كتب على نفسه الرحمة وهو يُطعم ولا يُطعم وهو وحده مالك الضر والنفع وهو المتصرف في خلقه بما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لفضله لا يأتي بالخير إلا هو ولا يكشف الضر غيره سبحانه، وهو على كل شيء شهيد وهو الواحد الأحد لا شريك له وهو يبعث الموتى ثم إليه يرجعون، وهو القادر على أن يسلب السمع والأبصار كما أعطاهما عباده - فهل أحد غير الله عز وجل يقدر على رد ذلك إلى من سلبه الله منهم؟ لا يقدر على ذلك أحد سواه سبحانه ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ بِآتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (٧١) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ بِآتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٧٢) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ [القصص: ٧١-٧٣] ولا يعلم الغيب إلا هو سبحانه ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ أَلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٥٩) ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٧٣) [الأنعام: ١٠٣]

ورحمته واسعة ولا يُردُّ بأسه عن القوم المجرمين، وهو أرحم الراحمين وسعت رحمته كل شيء، وهو سريع العقاب ولا حول ولا قوة إلا به جلّ وعلا ولا يستعاذ إلا به سبحانه، والملائكة عنده لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله ويسجدون، والله ذو الفضل العظيم، وهو رحيم ودود لا يعذب المستغفرين بل يغفر لهم، ويعفو عنهم وهو شديد العقاب، وما هو بظلام للعبيد ولا يعجزه شيء، وهو التواب الرحيم، وهو الذي يكشف الضر ويعفو عن كثير، وهو ذو فضل على عباده شهيد على أقوالهم وأعمالهم عليم بما تخفي صدورهم، ولا يعزب عن علمه وسمعه وبصره مثقال ذرة في السماوات أو في الأرض وله العزة جميعاً وهو خير الحاكمين، وهو الغني الحميد وما الله بغافل عما يعمل الظالمون وهو عزيز ذو انتقام وهو الله واحد لا شريك له سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]

وكل أمر عليه هيّ سبحانه وإذا أراد شيئاً، فإنها يقول له كن فيكون وتعالى أن يكون له ولد وهو يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، وما من إله في السماوات والأرض إلا هو سبحانه لا إله إلا هو تعالى عما يشركون ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْشِرُونَ﴾ (١٩) ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾ (٢٠) [الأنبياء: ١٩].

والله يفعل ما يشاء ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٢٢) [الأنبياء: ٢٣] وله يسجد من في السماوات، ومن في الأرض، والشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، والدواب، وكثير من الناس، وكثير حق عليه العذاب، والله يفعل ما يشاء، وهو الذي أُملي للكافرين المستقدمين، ثم أخذهم ﴿إِنْ أَخَذَهُ إِلَهٌ شَدِيدٌ﴾ (١٠٢) [هود: ١٠٢]، وهو خير



* خالق السموات والأرض ومالكها، عالم الغيب والشهادة، حي لا يموت، قيوم لا ينام.
* له الأسماء الحسنى والصفات العلاء، منها تسعة وتسعون اسماً من أحصاها ودعا الله بها
دخل الجنة (١).

الرازقين، والله هو الإله الحق وهو العلي الكبير ﴿بَتَّابُهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْمِعُوا لَهُ عِزَّكَ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ أَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣].
والله هو القوي العزيز، وهو السميع البصير، وهو مولى المؤمنين فنعم المولى ونعم النصير، وهو أحسن الخالقين
وما كان غافلاً قط عن خلقه، بل هو الله الحفيظ الرحيم سبحانه ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ
صَفَتِي كُلِّ قَدْعِمٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور: ٤١]

وهو الحي الذي لا يموت، وهو رب المشرق والمغرب وما بينهما، وكل شيء هالك إلا وجهه وله الحكم وإليه
يرجعون، وهو الملك الحق سبحانه، وما لعباده من دونه من ولي ولا نصير ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ
يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم: ٤٠]
وهو السميع القريب، وهو على كل شيء رقيب بيده ملكوت كل شيء وهو العلي العظيم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِيتُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: ٤١]

وهو الذي يجيي العظام وهي رميم كما أنشأها أول مرة، وهو على كل قدير، وهو العزيز الوهاب، وهو الغني
سبحانه وما لرزقه من نفاذ، وهو الله الواحد القهار، والله أنطق كل شيء، وهو الولي الحميد وهو ولي المتقين وله
ميراث السماوات والأرض، وهو أهل التقوى وأهل المغفرة، وهو القوي العزيز ذو البطش الشديد وهو الغفور
الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد، وهو الملك الأعلى وله الآخرة والأولى وهو الملك الأكرم الفرد الصمد
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١].

(١) ويؤمن أهل الكتاب والسنة والجماعة بأسماء الله تعالى وصفاته التي أثبتها له رسوله ﷺ وثبتت في كتب السنة، فهم
يؤمنون بأنه «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة» - متفق عليه.
وأنه «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني
فأعطيهِ؟ من يستغفري فأغفر له» متفق عليه.

وأنه «الله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته» رواه مسلم.
وأنه «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض» رواه البخاري.
وأنه «لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها رجلاً» - وفي رواية: قدمه -
فينزوي بعضها إلى بعض فتقول: قط قط» أي حسبي يكفيني هذا. متفق عليه.



وأنه عز وجل فوق سماواته عليّ على خلقه وأنه عز وجل مع عباده بسمعه وبصره وعلمه فهو سبحانه عليّ في دنوه قريب في علوه لقول رسول الله ﷺ للجارية: «أين الله؟ فقالت: في السماء قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله قال: أعتقها فإنها مؤمنة» رواه مسلم.

وأنه «إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضارون في رؤيته» متفق عليه. وأنه «ما بين القوم وبين أن ينظروا إلى وجه ربه جنة عدن إلا رداء الكبرياء على وجهه» متفق عليه. وأنه «إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي» متفق عليه.

وأنه «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصفه كيف يشاء» رواه مسلم. وأنه «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة» متفق عليه، ويؤمنون أن الله عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وأنه «يقول الله عز وجل: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال يقول: أخرج بعث النار قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. قال: فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» متفق عليه.

وأنه «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كرهه كره الله لقاءه» رواه البخاري. وأنه «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» متفق عليه. ويؤمنون بأن الله عز وجل حيّ حياة أزلية «أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس يموتون» متفق عليه.

وأنه «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام» متفق عليه. وأهل الكتاب والسنة والجماعة يصفون الله عز وجل بما وصف به نفسه تبارك وتعالى وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف «كقول الجهمية في استوى: استولى وفي وجاء ربك وجاء أمر ربك» ومن غير تعطيل «كقول الجهمية والمعتزلة ومن تابعهم من المبتدعة الذين قالوا: إن الله ليس علم ولا قدرة ولا كلام ولا محبة ولا إرادة» ومن غير تكييف «أي تعيين كنه الصفة، أي أن يجعل للاستواء والنزول وغير ذلك كيفية معلومة»، ومن غير تمثيل «وهو التشبيه: كقول المشبهة الذين قالوا: إن الله عز وجل وجه كوجه المخلوق، ويد كيد المخلوق وسمع كسمع المخلوق ونحو ذلك تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً».

قال إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل في شأن حديث النزول «إن الله ينزل إلى السماء الدنيا» وبقية أحاديث الصفات مثل «إن الله يرى يوم القيامة، وأنه تعالى يعجب ويضحك ويغضب ويرضى ويكره ويحب: تؤمن بها ونصدق بها، لا كيف ولا معنى، - يعني أننا نؤمن بأن الله تعالى ينزل ويُرى وهو فوق عرشه بائن من خلقه ولكن لا نعلم كيفية النزول ولا الرؤية ولا الاستواء ولا المعنى الحقيقي للكيفية، بل نفوض الأمر في علم ذلك إلى الله



قائله وموحيه إلى نبيه ﷺ - ولا نرد على رسول الله ﷺ، ولا نصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، بلا حد ولا غاية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وقال الإمام ابن قدامة المقدسي: وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف ﷺ، كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات.

وسئل الإمام مالك عن قوله عز وجل {الرحمن على العرش استوى} كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

ويعني بالسؤال عنه عن الكيفية التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى وأما الاستواء فمعلوم أن معناه العلو والإرتفاع بإجماع السلف، وهذا الإقرار والإمرار ثابت ومستفيض عن الصحابة ﷺ والتابعون والأئمة الأربعة، وحري بكل مؤمن ومؤمنة أن يتبع آثارهم ويتمسك بهديهم ولعله أن يكون من المفلحين فهم رحمهم الله يؤمنون بصفات الله تعالى ولا يؤولونها أو يردونها أو يخرجونها عن ظاهرها - كأن يقولوا إن ظاهرها غير مراد - وهم في الوقت نفسه يعلمون ويؤمنون بأن صفات الله جل وعلا ليست كصفات المحدثين من عباده، قال أبو حنيفة في الفقه الأكبر: لا يشبه شيئاً من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه، ثم قال بعد ذلك: وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين بعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا.

وقال نعيم بن حماد: مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيها وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه. ويجدر في هذا المجال ذكر أدلة عقلية أوردها بعض العلماء المعاصرين والتي تثبت سلامة طريقة السلف رحمهم الله التي تتلخص في الإقرار والإمرار والإثبات حيث يقول: وصف الله تعالى نفسه بصفاتٍ وسمَّى نفسه بأسماء ولم ينهنا عن وصفه وتسميته بها ولم يأمرنا بتأويلها أو حملها على غير ظاهرها فهل يعقل أن يقال أننا إذا وصفناه بها نكون قد شبهناه بخلقه فيلزمنا إذاً تأويلها وحملها على غير ظاهرها؟

وإن أصبحنا معطلين نفاة لصفاته تعالى ملحدين في أسائه وهو يتوعد الملحدين فيها بقوله ﴿وَذُرُوا الَّذِينَ يلجُدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] أليس من نفى صفة من صفات الله تعالى خوفاً من التشبيه كان قد شبهها أولاً بصفات المحدثين ثم خاف من التشبيه ففر منه إلى النفي والتعطيل، فنفي صفات الله تعالى التي أثبتتها لنفسه وعطلها فكان بذلك قد جمع بين كبيرتين التشبيه والتعطيل؟، أفلا يكون من المعقول إذاً وحاله هذه، أن يوصف الباري تعالى بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله مع اعتقاد أن صفاته تعالى لا تشبه صفات المحدثين كما أن ذاته لا تشبه ذوات المخلوقين؟ انتهى ملخصاً.

وخلاصة القول في هذه المسألة الخطيرة أن الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ ومن تبعهم من أهل القرن الأول كانوا يؤمنون بصفات الله جل وعلا كما جاءت في الكتاب والسنة على مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ من غير رد أو تأويل أو تشبيه أو تمثيل.

=



وأول من تكلم وعرف بالتعطيل لأسماء الله تعالى وصفاته زنديق اسمه (الجعد بن درهم) وأخذها عنه تلميذه (الجهم بن صفوان) فبثها.

أما الجعد فأخذه خالد بن عبد الله القسري رحمه الله بعد استشارة علماء زمانه خطب يوم الأضحى فقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضحج بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً ثم نزل فذبحه وذلك في أوائل المائة الثانية.

وأما الجهم فقتله سالم بن أحوز أمير خراسان. هذا يوم كان في المسلمين علم وغيرة على الدين.

وإلى الجهم تنسب الجهمية الذين أفتى بكفرهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وعلى آثار الجهمية سارت المعتزلة والأشعرية نفيًا وتعطيلًا لصفات الله العلي العظيم، وهؤلاء هم الهلكى الذين اغتروا بعلمهم وأنفوا أن يتابعوا الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ورضوا بمتابعة الجعد بن درهم والجهم بن صفوان، فانظر كيف كان عاقبة المستكبرين.

وليس أدل على ضلال بعض المعاصرين من نفهم العلو والفوقية لله الواحد القهار، وهي صفة جليلة استفاض ذكرها في الكتاب والسنة وأجمع الصحابة والتابعون والأئمة الأربعة على الإيمان بها لقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ إِنِّيهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [١٨] [الأنعام: ١٨]، وقوله جل وعلا: ﴿تَخْرُجُ الْمَلَكُوتُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] وقوله جلت قدرته: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله عز وجل: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ مَعَ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقوله عز وجل: ﴿لِلْحَمْدِ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ إِلَّا [الكهف: ١] وقوله تبارك وتعالى ﴿أَمْ نَمُنُّ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [١٦] [الملك: ١٦]، وقول رسول الله ﷺ «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً» متفق عليه.

وقوله ﷺ «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها زوجها» رواه مسلم.

وقوله ﷺ «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له» متفق عليه.

وقوله ﷺ «الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل صالحًا قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقولون فلان فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله عز



وجل... الحديث: رواه أحمد وابن ماجه والحاكم في المستدرک وقال على شرط البخاري ومسلم وصححه الألباني.

وعن زينب بنت جحش أنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: «زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سبوات» رواه البخاري.
وأراد معاوية بن الحكم السلمي أن يعتق جارية له فأتى بها النبي ﷺ فقال لها: «أين الله؟» فقالت: في السماء قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله قال: «أعتقها فإنها مؤمنة» رواه مسلم، ونص الحافظ الذهبي على أنه حديث متواتر.

كل هذه الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة قد استكبر أهل البدع عن الأخذ بظاهرها وخالفوا خير القرون -الصحابية والتابعين والأئمة- ورضوا بمتابعة الزنادقة وجاؤوا بآراء كاذبة خاطئة لخصها كاتبهم أبو حامد بن مرزوق في كتابه «براءة الأشعريين من عقائد المخالفين» حيث يقول «إن معتقدي الجهة لله تعالى قاسوا الخالق على المخلوق وأنهم من العوام لم تستغ عقولهم استحالة الجهة على الله تبارك وتعالى» ونقل عن الشيخ أبو حفص الفاسي في حواشي الكبرى: لا شك أن المعتقد هو أن الله تعالى ليس في جهة وقد أوضح الأئمة تقريره في الكتب الكلامية بما لا مزيد عنه، فهو سبحانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه!
ونقل الكاتب عن العلامة أبو عبد الله محمد بن جلال أنه سئل: هل يقال: المولى تبارك وتعالى لا داخل العالم ولا خارج العالم؟ فأجاب بأننا نقول ذلك ونجزم به ونعتقد أنه لا داخل العالم ولا خارج العالم والعجز عن الإدراك إدراك!.

وقال أيضاً: أجمع أهل الحق قاطبة على أن الله تعالى لا جهة له، فلا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف. انتهى.

قلت: هؤلاء لا يدرون ما يقولون لأنهم عندما ينفون وجود الله تبارك وتعالى داخل العالم وخارجه فإنهم ينفون وجود الله جل وعلا بالكلية تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وينبغي الإشارة إلى أن من وصفوا بأنهم أهل الحق ممن حكى إجماعهم هم أفراخ المعتزلة، وأتباع الزنادقة جعد بن درهم وجهم بن صفوان، وأنصار أهل الكلام، وغلاة الفلاسفة ومن حذا حذوهم، وهم الذين قال الإمام الشافعي فيهم: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام، وقال أيضاً: لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت مسلماً يقوله ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما خلا الشرك بالله خير له من أن يبتلى بالكلام. انتهى.

=

وصفات الله تبارك وتعالى...

- * منها صفات الوجدانية؛ فهو سبحانه وتعالى الواحد الأحد الفرد الصمد مالك الملك.
- * وصفات الجلال؛ فهو الحكيم الخبير الرشيد الحق الأول الآخر الظاهر الباطن الوارث الباقي الغني القدوس الشهيد القريب الحكم العدل نور السموات والأرض ذو الجلال والإكرام.
- * وصفات العظمة؛ فهو العزيز الجليل العظيم المجيد الجبار القوي المتين القاهر القادر المقتدر النصير العلي الأعلى.
- * وصفات القدرة؛ فهو العليم السميع البصير الحي القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل المعطي المانع النافع الضار المحيي الميت المقدم المؤخر^(١).
- * وصفات الخلق؛ فهو الخالق البارئ المصور الواجد المبدع المبدئ المعيد الباعث الجامع الوهاب الفتاح الرزاق المغني المحصي المهيمن الحافظ الرقيب بديع السموات والأرض.
- * صفات الرحمة؛ فهو الرحمن الرحيم المنان الودود البر الغفار العفو التواب السلام المؤمن

قلت: وهذا الضلال الذي يهيم فيه القوم شأنه شأن الوثنية والمجوسية واعتقاد أتباع المسيح في عيسى وأمه عليهما السلام لا يؤمن به إلا من أشربه منذ صغره وشبَّ عليه ورسخ في قلبه لأنه متناقض مع الكتاب والسنة وفطرة العقلاء على اختلاف أديانهم نسأل الله العافية.

(١) لمعرفة قواعد أهل العلم في أبواب «الأسماء والصفات» أنصح بمراجعة «القواعد المثلث» للشيخ/ محمد بن صالح العثيمين - ط. مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية، وكتاب «القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف» د/ إبراهيم البريكان ط. دار ابن القيم، تحرير الاعتقاد في الأسماء والصفات تأليف د/ أحمد بن منصور آل سبالك ط. المكتب الإسلامي لإحياء التراث، تقريب التدمرية للشيخ ابن عثيمين ط. دار الوطن «الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات» د/ عبد القادر بن محمد عطا صوفي ط. أضواء السلف، وكتاب «مجمّل اعتقاد أبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات»، إعداد. د/ محمد محمد عبد العليم الدسوقي، تقديم. د/ عبد الله شاكر الجنيدي، وكتاب «موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الأشاعرة» د/ عبد الرحمن بن صالح المحمود، ومقالة: «التفويض بين السلف والمتكلمين» للشيخ الدكتور/ محمد آل خضير، و«النشاط الأشعري المعاصر» للأستاذ/ محمد براء ياسين.



الرؤوف الشكور الكريم المنعم الجواد المعين المجيب الواسع الصبور الهادي الحليم اللطيف الوكيل المغيث المستعان قابل التوب^(١).

* أنعم على الإنسان بنعم لا تحصى، وما من نعمة يتنعم بها العبد إلا من عند الله وحده، فهو الذي خلقه وأحياه، وجعل له السمع والبصر، وكرمه، ثم رزقه وأحسن إليه.
* لذلك وجب على العبد أن يشهد بأن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، يُفرد الله وحده بالعبادة وهي الامتثال لأمره وترك ما نهى عنه - لأنه لا يستحق العبادة أحدٌ إلا الله، ويعتقد أن توحيد الله هو حقه - سبحانه - علينا نحن العباد..

* كذلك فإن الله يعلم كل أحوال العبد من طاعة ومعصية، فَوَجَبَ على العبد أن يمتلئ قلبه مهابةً لله سبحانه وتعالى وتعظيماً وحباً، ويخجل من معصيته فينتهي عنها لأن الله يراه وهو يعملها.

* ويُسرُّ بعمله الصالح الذي يُقرِّبه من رضا خالقه سبحانه وتعالى فيزداد منه حتى ينال مرتبة الإحسان؛ لأن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

* فلا ينقاد لشهوة أو هوى أو بدعة، وإنما ينقاد لله وحده متبعاً وأمر النبي ﷺ، ولا يتغني بعمله متاع الدنيا بل يتغني به ثواب الله فقط.

* كذلك فإن الله رحيم بالإنسان أكثر من رحمة الأم بولدها، ورحمته وسعت كل شيء،

(١) راجع كتاب «الأسماء والصفات» لأبي بكر الحسين بن علي البيهقي.. ط. دار ابن رجب، وكتاب «التوحيد في ضوء القرآن والسنة» للشيخ/ محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري ط. دار أصدقاء المجتمع، وكتاب «النهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» للشيخ/ محمد الحمود النجدي ط. مكتبة الإمام الذهبي بالكويت، وانظر كتاب «الله الأسماء الحسنى.. فادعوه بها» للشيخ/ عبد العزيز بن ناصر الجليل ط. دار طيبة، وموسوعة أسماء الله الحسنى د/ محمد راتب النابلسي ط. دار المكتبي، وكتاب «فقه الأسماء الحسنى» تأليف عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر ط. دار التوحيد للنشر صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة للشيخ/ علوي بن عبد القادر السقاف ط. دار الهجرة، المدارس الأشعرية د/ محمد بن محمد بن الراجحي الشهري ط. دار الهدى النبوي، نقض عقائد الأشاعرة الماتريدية، د/ خالد بن علي المرضي الغامدي.. ط. دار الأندلس الخضراء.



فوجب على العبد أن يسأله ويتضرع إليه في احتياجاته الدنيوية والأخروية ولا يسأل غيره.

* إذ لا فائدة من دعاء غير الله، إذ لا يملك القدرة التامة إلا الله، ولا يسمع السر والنجوى إلا الله، ولا يملك المقادير إلا الله، فلا يملك إجابة دعوته إلا الله^(١).

* لذلك لا يجوز للمسلم أن يدعو قبرًا، أو يسأل صاحب قبر أيًا كان المدفون فيه؛ لأنه لا يسمعه، فكيف يجيبه أو ينفعه؟ فإن الله وحده هو النافع الضار، لذلك وجب على المسلم ألا يبني المساجد فوق القبور، لنهي النبي ﷺ عن ذلك^(٢).

* كذلك وجب على العبد أن ينظر إلى ضعفه وقوة الله عز وجل، وإلى فقره وغنى الله عز وجل، وإلى جهله وعلم الله عز وجل، وإلى ذله وعزة الله عز وجل.

* ويعلم أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

* فيحب أن يكون من هؤلاء المؤمنين، الذين لا يتوكلون إلا على الله، ولا يستعينون إلا بالله،

(١) كذلك فالمسلم يعتقد أن من الشرك تعليق التائم والودع أو لبس الحظاظ أو الخيط في اليد بغرض رفع العين، أو طلب الحفظ، وهذا خلل إذ لا دافع إلا الله، ولا يطلب دفع المؤذيات إلا من الله، ومن الشرك التبرك بالأشجار والأحجار، والذبح لغير الله عز وجل، واعلم أنه لا يجوز الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله، كذلك فمن الشرك: دعاء أصحاب القبور، وطلب المدد من المقبورين وإن كانوا أنبياء أو أولياء إذ الله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۚ أَمْوتُ غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۚ﴾ [النحل: ٢٠]، ويقول سبحانه: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۚ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۚ﴾ [فاطر: ١٤]

ويعتقد المسلمون من أهل السنة والجماعة أن من الشرك تعليق التائم والودع أو لبس الحلقة أو الخيط في اليد بغية دفع العين فلا دافع إلا الله تعالى ولا يطلب دفع المؤذيات إلا من الله تعالى.

ويعتقدون أن من الشرك التبرك بالأشجار والأحجار، ولا يذبحون لغير الله عز وجل، ولا يذبحون لله تعالى بمكان يذبح فيه لغير الله جل وعلا ولا يندرون لغير الله تعالى ولا يستعيذون لدفع الضر والمكروه بغير الله الواحد القهار ولا يدعون أصحاب القبور وإن كانوا من النبيين أو الأولياء الصالحين.

(٢) راجع رسالة (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد) للشيخ / محمد ناصر الدين الألباني ط. المكتب الإسلامي.



ولا يستعيذون إلا بالله، ولا يستغيثون إلا بالله، ولا يخافون إلا الله، ولا يرجون إلا الله، ولا يدعون إلا الله، ولا يذبحون إلا لله، ولا يندرون إلا الله، ولا يحلفون إلا بالله، ولا يذبحون إلا الله، ولا يندرون إلا لله، ولا يحلفون إلا بالله، ولا يضعون التائم والأحجبة، ولا يصدقون الكهنة والمنجمين والسحرة، ولا يأتوهم.

* وهم لا يتشاءمون، ويحذرون من هفوات ألسنتهم حتى لا ينزلقوا في النار. فلا يقولون: «ما شاء الله وما شاء فلان»، و«لولا الله وأنت»، و«توكلت على الله وعليك»، بل يقولون: «توكلت على الله وحده»، و«ما شاء الله ثم شاء فلان»، فهذه الكلمات تساوي بين الله وبين عباده، وهي من الشرك الأصغر^(١).

* وكما يجب علينا أن نؤمن بالله، يجب علينا أيضًا أن نكفر بالطاغوت.

* ورأس الطواغيت الشيطان، ومن عبد من دون الله وهو راضٍ.

* ومن هؤلاء الطواغيت من شرَّع القوانين الوضعية التي تحرم ما أحل الله، أو تحل ما حرم الله^(٢).

* والطاغوت أيضًا كل من دعا إلى ذلك، أو أمر الناس به، أو حكم به لأنه طغى وتجاوز حد المخلوق من السمع والطاعة.

* فالله وحده هو الذي خلق البشر ويعلم ما يصلحهم فلا يملك أن يشرع لهم أحدٌ سواه،

(١) أنصح بالاطلاع على كتاب (الشرك بالله.. أنواعه وأحكامه) إعداد/ ماجد محمد علي أحمد شبانة.. ط. دار الإيمان بالإسكندرية.

وكتاب «جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة» د/ عبد الله العنقري ط. دار التوحيد للنشر، والصارم المنكي في الرد على السبكي للإمام محمد بن عبد الهادي ط. مؤسسة الفرقان، وكتاب (أصول بلا أصول) د/ محمد إسماعيل المقدم.

وكتاب (معجم المناهي اللفظية) د/ بكر بن عبد الله أبو زيد ط. دار العاصمة.

(٢) راجع كتاب (الحكم بغير ما أنزل الله.. أحواله.. وأحكامه) د/ عبد الرحمن بن صالح المحمود ط. دار الوطن.



كذلك فأهل الإسلام يؤمنون بما نطق به الكتاب وصحّت به الآثار عن رسول الله ﷺ إجمالاً، وتفصيلاً^(١).

(١) أهل الإيمان يؤمنون بأنه لا يأتي بالحسنات إلا الله - سبحانه وتعالى -، ولا يدفع السيئات إلا هو - تبارك اسمه -، ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه.

ويعتقدون أن السبع الموبقات هي «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

ويعتقدون أن من أتى كاهناً أو عرافاً فسألهما عن شيء فصدقهما بما يقولان فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ، وهم لا يتطيرون ولا ينسبون المطر إلى الكواكب والنجوم ويقولون مُطرنا بفضل الله ورحمته ولا يقولون كما يقول الكفار: مُطرنا بنوء كذا وكذا.

ولا يتوكلون إلا على الله سبحانه ولا يياسون من روح الله تعالى ولا يقنطون من رحمته عز وجل ولا يأمنون مكره جل وعلا. ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

ويحذرون من الشرك الخفي وهو الرياء ويعتقدون أن الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك وأن من عمل عملاً أشرك معه فيه غيره فإن الله تعالى غني عن عمله وأنه يتركه وشركه.

ويعتقدون أن من أطاع العلماء أو الملوك أو الرؤساء أو الأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله تعالى.

ويعتقدون أن من حلف بغير الله عز وجل فقد أشرك شركاً أصغر، ولا يسبون الدهر ويعتقدون أن من سب الدهر فقد آذى الله جل وعلا.

ويعتقدون أن أخنع وأوضع اسم عند الله تعالى رجل تسمى ملك الأملاك - أو ملك الملوك - وأنه لا مالك إلا الله تعالى.

ويعتقدون أن من استهزأ بشيء فيه ذكر الله تعالى أو القرآن الكريم أو النبي ﷺ أو الأنبياء المستقدمين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو المسلمين فهو من الكافرين ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ

أَبِاللَّهِ وَعَإِندِيهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا فَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعَذِّبُ طَائِفَهُ بَأْسَهُمْ كَانُوا جُحُومِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥]

ويعتقدون أن كل اسم معبد لغير الله تعالى حرام.

ويعتقدون حرمة التصوير - أي الرسم وصنع التماثيل - وأن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون الذين يضاهاؤون بخلق الله.

=

(٢) الإيمان بالملائكة

* أوؤمن بالملائكة الذين خلقهم الله من نور، وسأهم في كتابه، وجعل لهم أجنحة مثني وثلاث ورباع وهم لا يأكلون، ولا يشربون، ولا ينامون، ولا يتزوجون، أمرهم بوظائف ومهام فهم بها قائمون.

* والملائكة موجودون حقيقة، وهم عباد مكرمون، منهم مَنْ سَأهم الله لنا، ومنهم من لا نعرف أسماءهم أو عددهم، وأؤمن أنهم يداومون على الطاعات، لا يفترّون، ولا يعصون، ويخافون ربهم من فوقهم، فمنهم من هو ساجد من يوم خلق الله السموات والأرض إلى يوم القيامة، فإذا رفع رأسه قال: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

* وهم عبيد لله ليسوا بنات، ولا أعواناً له، وهم يشفعون للمؤمنين - بإذن الله - يوم القيامة. فمنهم الحفظة: الذين يحفظون العباد من سوء.

* ومنهم الكرام الكاتبون: الذين يكتبون أعمال العباد من خيرٍ وشر (الحسنات والسيئات).

* ومنهم المسبحون: الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترّون إلى يوم القيامة.

* ومنهم السّياحون: الذين يحضرون مجالس الذكر، وتلاوة القرآن، ومجالس العلم.

* ومنهم حملة عرش الرحمن: وعددهم ثمانية، وهم خلق عظيم من خلق الله، يطير الطائر من طرف أذن أحدهم إلى عنقه خمسمائة عام.

* ومنهم ملك الموت: الذي يقبض أرواح العباد بأمر الله وله أعوان.

* ومنهم إسرافيل: الذي ينفخ في الصور فيموت الخلائق أجمعون قبل يوم القيامة، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون.

وينهون عن الحلف الكثير.

ويعتقدون أن إيمان المؤمن لا يكتمل حتى يكون الله تعالى ورسوله ﷺ أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.



- * ومنهم ميكائيل: وهو الموكل بالقطر (أي: المطر).
- * ومنهم رضوان: خازن الجنة، وله أعوان يسعون في خدمة المؤمنين في الجنة.
- * ومنهم مالك: خازن النار وله أعوان - رؤساؤهم تسعة عشر - معهم مقامع من حديد يعذبون بها الكافرين في النار - نعوذ بالله منها.
- * وعلى رأس الملائكة جبريل: الموكل بالوحي إلى الأنبياء والرسل.
- * وقد رآه النبي ﷺ على هيئته، وقد سد الأفق من عظمته، وله ستائة جناح، وهو الذي غمز قرية لوط بطرف من جناحه فارتفعت إلى عنان السماء ثم انقلبت وكُفِّت، فجعل عاليها سافلها.
- * ومنهم غير ذلك كثير - وما يعلم جنود ربك إلا هو^(١).
- * والملائكة تحب المؤمنين الذين يحبهم الله، وتدعو لهم وتستغفر لهم.
- * والملائكة مع قوتهم هذه يقاتلون مع المؤمنين.

(١) وأؤمن أنهم يتفاوتون في الفضل والقرب من الله تبارك وتعالى، وأن لهم أعمالاً يقومون بها، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فمن هذه الأعمال النزول بالوحي وهو عمل جبريل ﷺ، ومنها حمل العرش ومنها كتابة القدر في الرحم، ومنها كتابة أعمال العباد وأفوالهم، ومنها قبض أرواح الناس، ومنها سؤال الأموات، ومنها إيقاد نار جهنم، ومنهم الجنود الموكلون بالقتال ونصر الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، وهذه بعض أعمالهم وقد يكون لهم أعمال أخرى لا نعلمها الله أعلم بها سبحانه.

يراجع رسالة عالم الملائكة الأبرار د/ عمر سليمان الأشقر ط. دار النفائس.

(٣) الإيمان بالكتب

* أو من بكتب الله التي أنزلها إلى رسله، وأنها في - أصولها المنزلة - كلام الله أوحاه إليهم ليبلغوا عنه الشرع والدين، وأعظم هذه الكتب:

- القرآن الكريم المنزل على رسولنا محمد ﷺ.

- والإنجيل المنزل على عيسى ﷺ.

- والتوراة المنزلة على موسى ﷺ.

- والزبور المنزل على داود ﷺ.

- والصحف المنزلة على إبراهيم ﷺ.

* وأن القرآن الكريم هو المهيمن على هذه الكتب، والحاكم على جميع شرائعها، وأحكامها، والناسخ لما يخالف أحكامه منها بمجرد نزوله - خاصة - وأن أكثرها أصابه التبديل والتغيير والتحريف.

* وأن الله لا يقبل يوم القيامة إلا العمل بالقرآن، فلا يقبل العمل بالكتب السابقة بعد نزول القرآن على محمد ﷺ.

* وأن القرآن كلام الله المعجز، أوحاه إلى نبيه محمد ﷺ بواسطة جبريل ﷺ بشيرًا ونذيرًا للعالمين، لهذا فإن له قدسيته، فهو لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، مَنْ قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به فقد هدي إلى صراط مستقيم، ومن تمسك به فاز ونجا، ومن أعرض عنه أصبح من الهالكين.

* وأن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، وخير الناس من تعلم القرآن وعلمه؛ لأنه يأتي يوم القيامة يشفع لمن قرأه وحفظه، وعمل به، ويسأل لأهله الجنة.

* والقرآن يطهر القلوب مما يلوثها من الشبهات والشهوات، ويقربها من خالقها سبحانه وتعالى ويحثها على العمل للفوز بالنعيم المقيم.

* ومن آداب قراءة القرآن:



- الطهارة والوضوء.
- واستقبال القبلة.
- والجلوس في أدب ووقار.
- وعدم الإسراع في تلاوته.
- والخشوع.
- وإظهار الحزن على ذنوبه وتفريطه.
- والبكاء من خشية الله وعظمة كلامه.
- وتحسين الصوت به.
- وعدم رفع الصوت به خشية التشويش على المصلين.
- والتدبر عند قراءته.
- واستحضار القلب.
- والتفكير في آيات الله.
- وأن نوقن أن إقامة أحكام هذا الكتاب في الناس من أعظم أسباب التمكين في الأرض والنصر على الأعداء.
- كذلك نوقن أن من اعتقد في القرآن أنه محرف أو مبدل أو منقوص منه أو مضاف إليه، أو أن به أخطاء نحوية أو صرفية أو بلاغية أو أنه لا يصلح لحكم الزمان والمكان فهو خارج عن ملة الإسلام^(١).

(١) عقيدة المسلم الصحيحة أن الشرع لله وحده، يحل ما يشاء، ويحرم ما يشاء، بعلم وحكمة، وتشريعه (في كتابه وسنة نبيه) جاء لصالح الدين والدنيا، لا يرتفع أمره ونهيه عن المكلفين في زمنٍ أو مكانٍ دون غيره إلا بإذنه. لا نفصل بين تشريعه في الدين والدنيا، وكلها تكاليف دينية ودنيوية.



فانطلق إلى ربك أخي المسلم وخذ هذا الكتاب بقوة، واحرص على ألا يسبقك إلى الله أحد، فالله يفرح بعودتك إليه أشد من فرح الأهل بعودة غائبهم.

الدينية (كالصلاة، والصيام، والحج، والذكر...) والدينيوية (كالبيع، والنكاح، والطلاق، والمواثيق....) * ومن فرّق بينهما، (فجعل الله الحكم بالدينية ولغيره الحكم بالدينيوية فقد كفر، لأن الشرع كله له وحده، من جعله حقاً لغيره، كمن جعل السجود حقاً لغيره. ومن رأى أن حكم الله في كتابه صالح للزمن الذي نزل فيه فقط، وأما غيره فللناس أن يشرعوا ما يرونه صالحاً ولو كان مخالفاً لحكم الله، فهذا كفر. ومن فصل حكم الدين عن حكم الدنيا، وجعل الله يشرع للدين، والإنسان يشرع للدنيا - كما يزعم الليبراليون - فقد جعل هناك مشرعين متعددين، والتشريع لله وحده ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ تَخْرِجُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]، فمن كفر ببعضه، كفر به كله. راجع «رسالة فصول في العقيدة.. الرسالة الشامية»، للشيخ/ عبد العزيز الطريفي - حفظه الله - ص ٤٥، ٤٦، ٤٧ ط. مكتبة دار المنهاج للنشر.



(٤) الإيمان بالرسول

* أؤمن برسول الله، فإن الله قد اصطفى من البشر رسلاً أوحى إليهم شرعه، وأمرهم بإبلاغه للناس، وأن مَنْ أطاعهم دخل الجنة وَمَنْ عصاهم دخل النار -خاصة- وأنهم صفوة الله تعالى من خلقه أجمعين، وأنهم بلغوا الرسالات وأدوا الأمانات، ونصحوا أقوامهم.

* كذلك أؤمن أن الله أيدهم بالمعجزات التي تبرهن على صدقهم ليستعينوا بها على من كذبهم وتكون حجة لهم.

* وأن أول الرسل نوح، وخاتمهم محمد ﷺ.

* وأنهم بشر يأكلون ويشربون، ويتزوجون ويمرضون، ويموتون، وهم أفضل خلق الله، ومعصومون من المعاصي.

* ورسول الله كثيرون، ذكر الله منهم في القرآن: محمداً ﷺ وإبراهيم خليل الرحمن، وموسى كليم الله، وعيسى عبد الله ورسوله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، ونوحاً، وهم أولو العزم من الرسل صلى الله عليهم وسلم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وهارون، وأيوب، ويونس، وسليمان، وداود، ويحيى، وزكريا، وهوداً، وصالحاً، ويوسف، وشعياً، وإلياس، ولوطاً، وذا الكفل، وإدريس، وغيرهم كثيراً، منهم من قصة الله في القرآن ومنهم من لم يقصصه.

* وأول ما دعا إليه الرسل هو التوحيد، وأعظم ما نهوا عنه هو الشرك، وأنهم جميعاً جاءوا بالإسلام ودعوة التوحيد، وإنما اختلفت شرائعهم وطرق عبادتهم لله سبحانه وتعالى لاختلاف أزمانهم وأوطانهم.

* وأن الرسل بشروا بمجيء النبي محمد ﷺ، وأمروا أتباعهم بالإيمان به ﷺ إذا بُعث فيهم.

* والفرق بين الرسول والنبي: أن الرسول أوحى إليه شرع جديد وأمر بتبليغه إلى الناس، وأن النبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله من الرسل.

* وأحب جميع الأنبياء والمرسلين ولا أفرق بين أحد من رسل الله فهم جميعاً بارون راشدون



مهديون هادون إلى سبيل الرشاد^(١).

* أؤمن بأن أفضل الرسل عند الله هو محمد ﷺ، من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، أرسله الله إلى الناس كافة، وختم بنبوته النبوات، وبرسالته الرسالات.
* وأيده بالمعجزات، وفضله على جميع رسله، كما فضل رسالته على جميع الرسالات، وشرعه على جميع الشرائع، وكتابه - القرآن - على جميع الكتب، وأُمته - المسلمين - على سائر الأمم.

* وأعطاه ربه ما لم يعط أحدًا من الأنبياء قبله، ومن ذلك:

- (١) الوسيلة: وهي أعظم درجة في الجنة، أعدها الله للنبي ﷺ.
- (٢) الكوثر: وهو نهر في الجنة يجري تحت عرش الرحمن.
- (٣) الحوض: وهو الذي لا يشرب منه إلا المسلمون يوم القيامة، يوم يظمأ الناس ويصل العرق إلى ركبهم، وأوساطهم، وأكتافهم - كلٌّ على حسب عمله - يشرب منه المسلمون بأكواب يقدمها لهم النبي ﷺ بيديه الشريفتين فلا يظمؤون بعده أبدًا.
- (٤) الشفاعة: وهي المقام المحمود يوم القيامة: فإنه ﷺ يشفع عند الله حتى يخرج عصاة المسلمين من النار فلا يبقى فيها أحد يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، فلا يخلد العاصي في النار، وسيخرج منها بعد أن يُنقى من معاصيه.
- * من آمن بالأنبياء كلهم، ولم يؤمن بمحمد ﷺ فلن يخرج من النار.
- (٥) وأن الله نصره، ونصر جنده وأتباعه إلى يوم القيامة بأن بثَّ الرعب في قلوب أعدائهم مسيرة شهر، ولم تُعطَ لنبي قبله ﷺ.
- (٦) وجعلت الأرض له وللمسلمين مسجدًا، وطهورًا ولم تجعل كذلك للأنبياء قبله.
- (٧) وأرسله الله إلى الإنس والجن، جميعًا، وأرسل كل نبي إلى قومه خاصة.

(١) للتوسع راجع رسالة (الرسول والرسالات) للدكتور/ عمر سليمان الأشقر ط. دار النفائس.



٨) وأنه أول مَنْ ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع، وأول مَنْ يطرق باب الجنة، فيقول رضوان، خازن الجنة: مَنْ؟ فيقول: محمد، فيقول رضوان: بِكَ أُمِرْتُ أَلَا أَفْتَحْ لَأَحَدٍ قَبْلَكَ.

ومن معجزاته ﷺ:

* انشقاق القمر.

* وأنه رد عين قتادة لما فُتئت يوم أحد، فكانت أصح عينيه.

* ورد ساق ابن الحكم لما كُسرت يوم بدر.

* واستشهاده للشجرة فشهدت الشهادتين ثلاث مرات أمام الكافر فأسلم.

* وبكاء وحنين جذع الشجرة الذي كان يخطب عليه ﷺ حين تركه، ولم يسكت حتى وضع يديه ﷺ عليه.

* وكذلك تكثير الطعام بين يديه ﷺ حتى أكل من ملء كفيه من الطعام أكثر من ثمانين رجلاً حتى شبعوا.

* وكذلك تكثير الماء يوم الحديبية حينما لم يَبَقْ في الجيش إلا طبق من الماء، فوضع النبي ﷺ يديه فيه فكانت تفور مثل العيون من بين أصابعه ﷺ حتى شرب المسلمون وتوضؤوا، وكانوا حوالي ألف أربعمائة رجل.

* وكذلك الإسراء به إلى المسجد الأقصى، ومعرجه إلى السموات العلى إلى سدرة المنتهى.

* ومن معجزاته ﷺ إخباره عن الأمم السابقة وأنبيائهم، وقد كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكذلك إخباره عن المستقبل بفتح فارس والروم وتمزيق ملك كسرى الذي مزق كتاب رسول الله ﷺ إليه، وغيرها من المعجزات كثير.

* وأعظم معجزاته القرآن الكريم، فهو المعجزة الباقية إلى يوم الدين.

* ثم إن الله رَفَعَ ذكره ﷺ وقرن اسمه باسمه سبحانه وتعالى وجعل شهادة ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله هي أول ما يُدخل العبد في الإسلام، وآخر ما ينبغي أن يخرج به من



الدنيا، فمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة.

فواجب على كل المسلمين تجاه النبي ﷺ:^(١)

- * أن لا نُقدم كلام أحدٍ من الخلق على حديثه ﷺ أو رأي أي متبوع على أمره، فإن سبقك أقوام بالهجرة إليه ﷺ فهاجر أنت إلى سنته في كل أمرك ولا تتبع غيره.
- * وأن نتألف جميعاً حول أمره، فطيعه ﷺ؛ لأنه من يطع الرسول فقد أطاع الله.
- * وأن لا ندعوه إلا برسول الله ﷺ فلا نقول «محمد» فقط.
- * وأن نتأدب بآدابه، ونتأسى به في جميع أحواله ﷺ في نومه، وأكله، ومشيه، وصلاته، وصيامه، وصدقته، وجهاده ﷺ، وأن نؤدي الفرائض ونحل الحلال ونحرم الحرام الذي أقره ﷺ، ونتوقف عند الشبهات.
- * وأن نحبه أكثر من أنفسنا وأبنائنا ووالدينا والناس أجمعين.
- * وأن نحب مَنْ يحب رسول الله ﷺ ويقتدى به، ونبغض مَنْ يُبغض رسول الله ﷺ ولا يلتزم شرعه.
- * فيجب على المسلم أن يحب المؤمنين، وينصرهم، ويتشبه بهم، ويهتم بشأنهم، ويعاونهم على البر، ويتخذ منهم الأخلاء.
- * ويجب عليه أن يبغض الكافرين وكفرهم، ولا يطيعهم، ولا يتحالف معهم ضد المسلمين، ولا يعاونهم على باطلهم، ولا يشاركهم في أعيادهم - خاصة - الأعياد الدينية العقائدية، ويحرم عليه أن يظلمهم، ولكن يعدل معهم.
- * ويجب علينا أن نحب أمهات المؤمنين؛ (زوجات النبي ﷺ)، ونحب صحابته ﷺ، إذ هم

(١) وأؤمن بأن الله تبارك وتعالى قد أسرى بالنبي ﷺ بالروح والجسد من مكة إلى بيت المقدس حيث صلى إماماً بالأنبياء الأولين إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين ثم عرج به إلى السماوات العلا وأوحى إليه ربنا جل وعلا من أمر الصلاة ما أوحى ثم أعيد عليه الصلاة والسلام إلى الأرض وذلك في ليلة واحدة فتبارك الله العزيز العليم.



خير البشر بعد الأنبياء.

* كذلك وجب علينا إحياء سنته ﷺ، وإظهار شريعته، وإبلاغ دعوته للناس أجمعين، ثم الصبر على ما سنلاقيه في سبيل ذلك من أذى، ولا بد.

* لَأَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ الْمَاضِيَةِ فِي خَلْقِهِ أَنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ نَبِيٍّ أَوْ وَلِيٍّ دَعَى إِلَى هَذَا الْحَقِّ إِلَّا عُوْدِي وَأُوْدِي.

* وتنبه أيها المسلم، فلا يصرفك عن دينك إيذاء الكفار لك، فقد أودى رسول الله ﷺ حينما كان في قلة من أصحابه، وأودى الصحابة فصبروا.

* ولا يوهن من عزمك أن نسبوك إلى الهذيان، والجمود والتخلف والرجعية والفاشية، أو قالوا: غُسل دماغه أو أنك مخطوف ذهنيًا (كما يروج إعلامهم اليوم)، فإن لك في رسول الله أسوة حسنة، فقد قيل فيه أنه شاعرٌ أو مجنون.

* ولا يضرك أن قيل متطرف (تاجر دين) ضال. فهذا حال الكافرين مع المؤمنين: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ (المطففين: ٣٢).

* ألا يكفيك إذا كان الناس طرفين أن تكون في الطرف الذي فيه نبيك محمد ﷺ؟!

* وذرههم ليوم يعرض الظالم على يديه يقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً.

* ولا يلتبس عليك الأمر بأن قالوا إرهابي أو شرير أو أصولي أو وصولي فذلك ادعاء الطغاة على المؤمنين في الدنيا والآخرة، فإنه لما ساقتهم الملائكة على وجوههم إلى جهنم نظروا فيها فقالوا ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ (ص: ٦٢).

* فهنا نادى عليهم المؤمنون - (الذين سموهم بالأشرار) - من الدرجات العاليات من الفردوس: ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ (الأعراف: ٤٤).

(٥) الإيمان باليوم الآخر

- * أؤمن باليوم الآخر، وهو اليوم الذي تغنى فيه الدنيا (دار العمل)، وتقوم فيه الآخرة (دار الجزاء)، فيجزى الأبرار بالجنة، ويجزى الفجار بالنار.
- * وفي يوم القيامة يوضع الميزان، ويعطى كل عبد كتابه فمن أخذ كتابه بيمينه كان مع النبي ﷺ في الجنة، ومن أخذ كتابه بشماله كان مع فرعون - عليه اللعنة - في النار.
- * ويُنصب الصراط، فَمَنْ اجتازه وصل إلى الجنة، وَمَنْ اختطفته الكلاليب بعمله الفاسد سقط في النار.
- * وليوم القيامة أمارات وعلامات صغرى وكبرى.
- * فمن العلامات الصغرى: ضياع الأمانة، وكثرة القتل، وأن يتولى الفساق الحكم قهراً، وأن يتكلم السفهاء في الأمور المهمة.
- * ومن العلامات الكبرى: ظهور المهدي، وقيام خلافة راشدة على منهاج النبوة قبل قيام الساعة، وخروج المسيح الدجال.
- * ونزول عيسى عليه السلام ليقود المسلمين ويقاتل الكافرين، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ولا يقبل إلا الإسلام.
- * فلا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز، أو بذل ذليل.
- * وخروج يأجوج ومأجوج، وكذلك خروج الدابة التي تكلم الناس، وطلوع الشمس من مغربها، ورفع القرآن، وغيرها.
- * فمن عمل مثقال ذرة من خيرٍ أو شرٍ رآه يوم القيامة في كتابه.
- * فسارعوا إلى الطاعات قبل أن ينقضي وقت كتابتها بموت العبد في ميعاد وأجل لا يعلمه



إلا الله^(١).

* فيغسله أهله، ويكفونونه، ويصلون عليه، ويدفنونونه^(٢)، ويأتيه الملكان، منكر، ونكير فيجلسانه ويسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

* فإن أجاب بأن الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد ﷺ نبي ورسولي - ووقفه الله إلى ذلك - فتحت له في قبره طاقة إلى الجنة، فيرى منزله هناك، وقصوره وملكه، فيتהלل فرحاً، ويُفسح في قبره مد البصر.

* وإن كان من الكافرين فإنه لا يجيب بشيء، فالإجابة وقتها ليست بالذكاء، ولا حدة الذهن.

* ولكن الله يثبت أهل الإيمان في ذلك الوقت بما قدموه من الصالحات من التوحيد، وأداء الفرائض، والجهاد، والبر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدقة، وقراءة القرآن، وصيام المواجر، وقيام الليالي الطويلة الباردة.

* فأما إن كان من الكافرين: فإنَّ قبره يضيق عليه حتى تتداخل أضلاعه في جسده ويصير قبره حفرة من حفر النار بسوء عمله.

* فاجتهد أخي المسلم، فالיום عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

كذلك أؤمن بالبعث بعد الموت والحساب والميزان والثواب والعقاب والجنة والنار بكل ما جاء في كتابه الكريم، أو ما صحَّ من حديث رسولنا ﷺ.

(١) ننصح بمراجعة (أحاديث العراق) للشيخ/ مشهور آل حسن سليمان ط. دار الفرقان - دبي، وكتاب «أشراط الساعة» د/ يوسف الوابل ط. دار ابن الجوزي، وكتاب «المهدي وفقه أشراط الساعة» د/ محمد إسماعيل ط. الدار العالمية بالأسكندرية، وكتاب (فقه الفتن) تأليف د/ عبد الواحد إدريس الإدريسي ط. مكتبة دار المنهاج.

(٢) راجع كتاب «أحكام الجنائز وبدعها» للشيخ الألباني - رحمه الله -، وكتاب «الغسل والتكفين» للشيخ/ مصطفى العدوي ففيهما نفع كبير لك.



- * ويومئذٍ يدخل المسلمون الطائعون وحدهم الجنة؛ لأن الله لا يقبل يوم القيامة إلا الإسلام.
- * وفي الجنة نعيمٌ لم تسمع به أذن، ولم تره عين، ولم يخطر على قلب بشر. ونعيمها يبقى أبداً فلا ينقطع، ولا يموت أهلها، وأعظم النعيم هو النظر إلى وجه الله رب العالمين.
- * ويدخل العصاة، والفجار، والكفار إلى النار، وفي النار عذاب لا يطاق أعداه الله للكافرين، لا تقوى عليه الجبال الراسخات فيعذبون هناك بلا انقطاع.
- * وهناك يدعو أتباع الطواغيت أن يُضاعف العذاب للكبراء الذين أضلّوهم، فيأمر الله بأن يُضاعف العذاب للجميع.
- * وأؤمن بشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة، وكذلك سائر الأنبياء والمرسلين، والأولياء الصالحين، والملائكة المقربين، ثم بعد ذلك أرحم الراحمين.
- * وأؤمن أن أهل الإسلام والسنة لا يكفرون أحداً من المسلمين بمطلق الذنوب والكبائر ما لم يقم الدليل الذي لا يحتمل التأويل على كفره أو شركه، ويؤمنون أنه لا يخلد في النار - بمشيئة الله تعالى - عبد موحد وإن كان من أهل الكبائر، ويؤمنون برحمة الله تعالى الواسعة ويرجون لإخوانهم المؤمنين أن يعفو الله تعالى عنهم ويدخلهم جنته بفضلِهِ ورحمته، وأن يزحزحهم عن ناره ويؤمنهم عن غضبه ونقمته ويستغفرون لهم ولا يشهدون لهم بالشهادة أو الجنة إلا من سبقت له البشارة بذلك، ولا يشهدون على المسيء أنه من أهل النار.
- * فاثبت - أخي المسلم - على هذا الحق، ولا يغرنك كثرة المخالفين، فإنك إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله، واسلك الطريق مع السالكين إلى الله.
- * فإنه لا تزال طائفة من أمة محمد ﷺ على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم إلى قيام الساعة.

* فما الحيلة لإدراك تلك الدرجات والنجاة من تلك الدركات، وما الحيلة للحاق بالسابقين المقربين، والتباعد عن المعرضين الهالكين، إنها توبة نصوح تُصلح ما مضى، وعمل صالح



يُصلح ما بقى من العمر، وعزم أكيد على أن تستقيم ولا تحيد.

* فكن مع الناس بجسدك تعمر الأرض بما أحل الله لك.

* ولا يتعلق قلبك بشيء من الدنيا، وإنما اذهب بقلبك حيث ينبغي أن يكون، هناك تحت

عرش الرحمن، واسجد بقلبك سجدة لا ترفع منها إلا يوم القيامة.

(٦) الإيمان بالقضاء والقدر

* هو أن نؤمن بأن الله يعلم كل ما في الكون، وكل ما هو كائن وما سيكون إلى يوم القيامة، لم يفته علم ذرة.

* وأن كل شيء في الكون يجري وفق قضاء الله - سبحانه - وقدره، وأن الله تعالى قدر للخلق أقدارًا وضرب لهم آجالًا.

وأنه علم أعمال العباد، وأرزاقهم، وآجالهم، ومن منهم من أهل الجنة، ومن منهم من أهل النار قبل أن يخلقهم.

* وأن الله كتَبَ هذه المقادير في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وأن هذا اللوح المحفوظ لا يطلع عليه ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌ مرسلٌ^(١).

* حتى إذا كان الجنين في بطن أمه أمر الله الملائكة أن تكتب ذكراً أم أنثى، وتكتب رزقه، وعمله، وأجله، ومصيره (إلى الجنة أو إلى النار) وتكتب ما سيلاقيه من خير أو شر.

* ثم إذا كانت ليلة القدر نزلت مقادير السنة من اللوح المحفوظ، من آجال الناس، وأرزاقهم من يحج منهم هذه السنة وغير ذلك، ويقدر فيها أمر السنة كله.

* ثم تنزل المقادير كل يوم إلى مواقيتها وأشخاصها، فيرفع الله قوماً ويضع آخرين.

* ونؤمن بأن مشيئة الله نافذة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالله لا مغالب له، وأنه مقلب القلوب؛ يهدي من يشاء بفضلِهِ ورحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته، فهو البصير بمن

(١) وبعد كتابة هذه المقادير، أبرز الله مخلوقاته إلى الوجود وأنزل الكتب وبعث الرسل وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته فجرت أفعالهم مطابقة لذلك التقدير السابق الذي قدره العزيز العليم، فمن كان في قدر الله من أهل الجنة فسيصير إلى عمل أهل الجنة ولا يضره إغواء المغوين، ومن كان من أهل النار فسيصير إلى عمل أهل النار ولا تنفعه نصيحة الناصحين، رفعت الأقلام، وطويت الصحف، وجفَّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، والأعمال بالخواتيم... للتوسع راجع «القضاء والقدر» للدكتور/ عبد الرحمن بن صالح المحمود ط. دار الوطن.



يستحق الهداية ومن يستحق الضلال.

* والله لا يُسأل عما يفعل ولكن الناس يُسألون.

* وأن نؤمن أن الله خلق كل شيء وما من ذرة في الكون إلا والله خلقها وخلق حركتها وسكونها.

* وأنه خلق العباد وأفعالهم، وأنه خلق للعباد قدرة وإرادة ليختاروا أفعالهم.

* وأنه سبحانه وتعالى أمر خلقه بطاعته ووعدهم على ذلك جنته، ونهاهم عن معصيته، وتوعدهم على ذلك بناره، ولم يكلفهم من الأعمال إلا ما يستطيعون، فانقسموا فريقين: مؤمنين وكفار، وباختيارهم ومشيتهم وقدرتهم وكل ذلك خلقه الله فيهم.

* وأن الثواب والعقاب مترتب على اتباع الشرع، لا على سابق علم الله فيهم، فمن يعمل مثقال ذرة من خير يثاب عليها، ومن يعمل مثقال ذرة من شر يعاقب عليها.

* وأن العبرة بخواتيم الأعمال، وأن كل عبد مُيسر لما خلق له من السعادة في الجنة أو الشقاوة في النار.

* لذلك وجب على العبد أن يخاف سوء الخاتمة، فيداوم على سؤال الله والافتقار إليه أن يهديه الصراط المستقيم، ويداوم الاستعانة به على طاعته، والاستعاذة به من معصيته لأنه لا حول ولا قوة للعبد على كل ذلك إلا بقدرة الله.

* وأن المؤمنين يرضون بقضاء الله وقدره خيره وشره في المحن والمنح، ويوقنون أنه لا يستطيع أحد أن ينفعهم إلا بقدر الله، ولا يضرهم إلا أن يكون قد كتبه الله، فهم بقضاء الله وقدره مؤمنون، وعلى البلايا صابرون، وبالمقدور راضون، وبحكمه سبحانه يسلمون.

* ولن يجد العبد حلاوة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطاه لم يكن ليصيبه.



* وأؤمن بالجهاد في سبيل الله تعالى وعلى سنة رسول الله ﷺ ومن سبقه من الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، ويؤمنون بأن اقتتال المسلمين حرام، ما لم يأمرُوا بمعصية رب العالمين أو يبدلوا شريعة المشرع الحكيم، ولا أَسْتَحِلَّ الخروج عليهم وقتالهم إلا أن أرى منهم كفراً بواحاً عندنا فيه من الله برهان، ولا أرى الخروج عليهم -إن كان في الخروج ضرراً أكبر على المسلمين-^(١).

وأحب كباقي المسلمين من أهل الكتاب والسنة والجماعة أصحاب النبي ﷺ، وأعتقد أنهم خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين وأن الله تعالى اصطفاهم لنصرة خاتم أنبيائه وشرح صدورهم وحب إليهم مؤازرته والقتال معه فسبقوا الناس إلى الإيمان به واستقبلوا العذاب في مكة وصبروا عليه ثم أمروا بالهجرة فتركوا الأهل والمال والعشيرة والبلد وهاجروا حباً في الله عز وجل وفي رسوله ﷺ، وقاتلوا دونه، وبذلوا أنفسهم رخيصةً في سبيله عز وجل حتى أظهر الله تبارك وتعالى دينه وصدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وأكرمهم الله تعالى فرضي عنهم، وبشرهم بالجنة، فلو لم يكن لهم من السبق والمكانة عندنا إلا هذا الذي تقدم لكفى وأغنى وزاد عن الكفاية ألا فمن لم يتولهم فما هو بمؤمن، ومن كفرهم فلا مرية في كفره، أبغض الله من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم^(٢).

(١) للتوسع حول هذا الأصل راجع «الجهاد والقتال في السياسة الشرعية» تأليف د/ محمد خير هيكال الناشر. دار البيارق، فهذه الموسوعة من خير ما كتب في هذا الباب تأصيلاً وتنزيلاً على الواقع -والله أعلم-.

(٢) راجع موسوعة (الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة في الكتب التسعة ومسندي أبي بكر البزار، وأبي يعلى الموصلي) تأليف د/ سعود بن عيد بن عمير الصاعدي ط. عمارة البحث العلمي - الجامعة الإسلامية - رقم الإصدار (٨٦)، ولمعرفة حقيقة «الخلاف بين الصحب الكرام» راجع «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» من روايات الإمام الطبري والمحدثين تأليف د/ محمد مخزون ط. دار طيبة للنشر والتوزيع، وكتاب «الإنصاف فيما وقع في العصر الراشدي من خلاف» تأليف د/ حامد محمد الخليفة ط. دار المبيان للنشر والتوزيع، كما نصح بمراجعة كتاب «شبهات عند بني أمية» تأليف/ أبي عبد الرحمن سعيد بن الشحات بن رمضان جمعة، ط. مكتبة



وأؤمن أن أهل الكتاب والسنة والجماعة في كل ما يعتقدونه من عقائد ويتخلقون به من أخلاق، فإنما هم فيه متبعون لكتاب ربهم عز وجل وسنة نبيهم ﷺ، فهم يصلون الصلوات الخمس في المساجد جماعة، ويؤمنون بوجوبها -على الراجح من كلام العلماء- ويؤدون الزكاة والصدقات، ويحثون على قصر الأمل والتعفف والقناعة، ويحذرون من الطمع، ويحثون على إقراض المحتاج وعلى التيسير على المعسر وإنظاره والوضع عنه، وينهون عن الإمساك شحاً، ويأمرون بإطعام الطعام وتيسير الماء، ويشكرون فاعل المعروف، وهم يصومون رمضان، ويعجلون الفطر، ويؤخرون السحور، وهم يحجون ويعتصرون متواضعين متذللين وبالنبين مقتدين، ويأمرون بالجهاد في سبيل الله ونشر الدين وإخراج الناس من ظلم الأديان إلى عدل الإسلام وخير الدنيا والآخرة، وليس الشهيد عندهم مَنْ يقاتل حمية أو يريد الأجر أو الغنيمة والذكر أو ينصر فيه حزباً غير حزب الله فهؤلاء أول مَنْ تسعر عليهم النار، ولكن الشهيد عندهم مَنْ قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، ويأمرون بالاكْتساب بالبيع وغيره، ويذمون الحرص وحب المال، ويأمرون بطلب الرزق الحلال، وينهون عن اكتساب الحرام، ويأمرون بالسماحة في البيع والشراء، ويحذرون من بخس الكيل، ومن الغش، ويحذرون من الاحتكار، ومن الحلف، وإن كانوا صادقين، ويحذرون المستدين ألا يؤدي دينه، ويحذرون من الربا تحذيراً شديداً ومن غصب الأرض ومن منع الأجير أجره، ويأمرون بغض البصر، وينهون عن الخلوة بالأجنبية ومصافحتها، ويندبون إلى النكاح حال الاستطاعة والبلوغ، ويأمرون الزوج بالوفاء بحق زوجته وحسن عشرتها، والزوجة بحق زوجها وطاعته في المعروف، ويحذرونها من مخالفته ويأمرون بالعدل بين الزوجات وبالنفقة على الزوجة والعيال ويحذرون من إضاعتهم، ويحبون لبس الأبيض من الثياب ويحذرون من

الرشد ناشرون، ويراجع كتاب «الفتنة ووقعة الجمل» تأليف/ سيف بن عمر الضبي الأسدي، ط. دار النفائس، وكتاب «العواصم من القواصم» تأليف القاضي/ أبي بكر بن العربي، تحقيق الشيخ/ محب الدين الخطيب، ط. المكتبة السلفية.



إسباها في الصلاة وغيرها إلى دون الأكعاب، ويحذرون الرجال من لبس الحرير والذهب ونساءهم من لبس الرقيق من الثياب التي تصف البشرة، ويحذرون من تشبه الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل في اللباس أو الكلام أو الحركة، ولا يحبون الترفع في الثياب وينهون عن وصل الشعر بشعرٍ آخر والوشم والتنمص -أي حف الحواجب-، ويحبون الاكتحال بالإثمد رجالاً ونساءً ويحذرون من استعمال أواني الذهب والفضة، وينهون عن الأكل والشرب باليد اليسرى وعن الشرب من فم السقاء، ويحذرون من الإمعان في الشبع والتوسع في المأكول والمشارب شرهاً وبطراً، ويحذرون مَنْ لا يثق بنفسه من تولي السلطة والقضاء والإمارة، وينهون مَنْ وثق بنفسه أن يسأل شيئاً من ذلك، وينصحون من ولي شيئاً من أمور المسلمين - إماماً كان أو غيره- بالعدل ويحذرونه من أن يشق على رعيته أو يجور عليهم أو يغشهم أو يحتجب عنهم، وينهونه أن يولي عليهم رجلاً وفي رعيته من هو خير منه، ويحذرون من الظلم ومن دعوة المظلوم، ولا يخذلونه بل يجتمعون على نصرته، ولا يحبون الظلمة ولا يدخلون عليهم ولا يعينونهم، ويحذرون حاكمهم من إرضاء الناس بما يسخط الله عز وجل، ويأمرون بالشفقة على خلق الله تعالى من الرعية والأولاد وغيرهم، ورحمتهم والرفق بهم، وينصحون إمامهم وولاة أمورهم باتخاذ وزراء صالحين وبطانة حسنة، ويحذرون من شهادة الزور، ويحذرون من أن يأمر الرجل بما يخالف فعله، ويأمرون بستر المسلم، وينهون عن تتبع عوراتهم، ويحذرون من انتهاك المحارم ويأمرون بإقامة الحدود، ويحذرون من التهاون فيها، ويحرمون شرب الخمر، وبيعها وشرائها، وعصرها، وحملها، ويحرمون الزنا لا سيما بحليلة الجار، وزوجة الخارج في سبيل الله، واللواط، وإتيان البهيمة، والمرأة في دبرها، ويحرمون قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، ويحرمون الانتحار، ويأمرون ببر الوالدين وصلتهما، والإحسان إليهما، ويحذرون من عقوق الوالدين، ويأمرون بصلة الرحم وأن تصل من قطعك، وأن تعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك، ويحثون على كفالة اليتيم ورحمته والنفقة عليه والسعي على الأرملة والمسكين، ويحذرون من أذى الجار ويحثون على حسن معاملته، ويندبون إلى



زيارة الإخوان الصالحين، وإكرام الضيوف الزائرين، ويحذرون من البخل والشح، ويندبون إلى الجود والسخاء وإلى قضاء حوائج المسلمين، وإدخال السرور عليهم، ويحثون على الحياء وينهون عن الفحش والبذاء، ويأمرون بحسن الخلق والرفق والأناة والحلم وطلاقة الوجه، وطيب الكلام، وإفشاء السلام، ويحذرون من الغضب ويحثون على دفعه، وينهون عن التهاجر، والتدابير، والتشاحن، وينهون عن السباب واللعن، ويحذرون من قذف المحصنات المؤمنات الغافلات ومن سب الدهر، ومن ترويع المسلم، ومن الإشارة إليه بسلاح أو نحوه جادًا أو مازحًا، ويأمرون بالإصلاح بين الناس، وينهون عن النميمة، والغيبة والبهت والإكثار من الكلام، ويحذرون من الحسد، وينصحون بسلامة الصدر، ويأمرون بالتواضع ويحذرون من الكبر والعجب والافتخار، وينهون عن احتقار المسلم، ويؤمنون بأن لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، فلا يفرقون بين أسود وأبيض ولا بين عربي وعجمي، وينهون عن تعظيم الفاسقين والمبتدعين، ويأمرون بالصدق، ويحذرون من الكذب ويحرمون الحلف بغير الله، ويأمرون بإنجاز الوعد والأمانة، وينهون عن الغدر والخيانة ويحثون على الحب في الله تعالى، ويحذرون من حب الأشرار وأهل الزيغ الذين لا يتبعون النبي الأمي ﷺ لأن المرء مع من أحب، ويحرمون السحر، وإتيان الكهان، والعرافين، والمنجمين وتصديقهم، وينهون عن رسم كل ذي روح من إنسان أو حيوان أو غيره، وأهل الكتاب والسنة والجماعة يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر، ويدعون إلى الإخلاص والصدق والنية الخالصة، وينهون عن الرياء ويدعون إلى اتباع الكتاب والسنة ونبذ البدع، ويندبون إلى طلب العلم وتعليمه، ويدلون على الخير ولا يكتمون العلم، وينهون عن المراء والجدل والمخاصمة والقهر والغلبة، ويحثون على اتخاذ الجليس الصالح، ويحذرون من جليس السوء، ويحذرون من الطيرة ومن اقتناء الكلب إلا لصيد أو ماشية أو زرع، وينهون عن سفر المرأة وحدها بغير محرم، ويحذرون من الإقبال على الدنيا والانهاك فيها، ويحثون على الإقبال على الله عز وجل وإرضائه، وإخلاص العمل للآخرة فهي دار القرار ومستقر الأبرار، ويأمرون بالمداومة على العمل



الصالح وإن قل، ويأمرون بحب الفقراء والمساكين ومجالستهم والتوسعة عليهم، ويحثون على الزهد في الدنيا والاكتفاء منها بالقليل، ويقتدون بما كان عليه نبيهم محمد ﷺ من الاكتفاء بالقليل من المأكل والمشرب وبسيط الملابس، ويحثون على البكاء من خشية الله تعالى وعلى ذكر الموت وقصر الأمل، والمبادرة بالعمل والخوف من الله تعالى، مع حسن الظن به تعالى والرجاء سيما عند الموت، ويحثون على الصبر لمن ابتلى في نفسه أو ماله، ويحذرون من تعليق التثائم والحروز ويحثون على الحجامة، ويأمرون بعبادة المريض، ويحثون على تلقي الموت بالرضا والسرور إذا نزل حبا للقاء الله عز وجل ولقاء الأحبة محمد ﷺ وحزبه، ويحثون على تشييع الموتى وحضور دفنهم والصلاة عليهم والدعاء لهم، ويحرمون النياحة عليهم أو لطم الخدود وخمش الوجوه وشق الجيوب لأنها من أمور الكفر والجاهلية برأى ممن فعلها نبيهم ﷺ وهم على أثره مقتدون وبهديه مستمسكون، ويحذرون من أكل مال اليتيم، ويتواصون بزيارة القبور والدعاء لأهلها تذكركم الآخرة، ويحذرون من الجلوس على القبور وكسر عظم الميت ويذكرون بعضهم بعذاب القبر ونعيمه وبأهوال يوم القيامة، ويحذرون من النار وشدة حرها وشررها وأوديتها وبعد قعرها وعظم سلاسلها وشدة عذاب أهلها، ويبشرون بالجنة ويتذكرون ما جاء في كتاب ربهم عز وجل وسنة نبيهم ﷺ من قصورها وغرفها وأنهارها وأشجارها وثمارها وخيامها وجمال نسائها وغناء الحور العين فيها بأحسن الأصوات وأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأفضل من ذلك كله لذة النظر إلى وجه الله العلي العظيم، وأهل الكتاب والسنة والجماعة في كل ما يعتقدونه من عقائد ويتخلقون به من أخلاق فإنما هم فيه متبعون لكتاب ربهم عز وجل رب العالمين وسنة نبيهم ﷺ خاتم النبيين^(١).

(١) هذا مختصر عقدي جامع - إن شاء الله-، ومن أراد التوسع فليراجع كتب عقيدة أهل السنة والجماعة للقدامى مثل: اعتقاد أئمة الحديث لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسمايلي، والشرعية للإمام أبي بكر محمد بن الحسن الآجري، وكتاب الحجة في بيان المحجة لقوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن طاهر التيمي الطلحي



١٤ - التفكير والتدبر في أسماء الله عز وجل وصفاته:

من يطالع كتاب الله - تعالى - يدرك كثرة الحديث عن الأسماء والصفات، وكثرة الإشارة إليها، ويرد ذلك في مواطن عدة: عند الحديث عن عظمة الله وعن مخلوقاته وعند الحديث عن الأحكام والخوف والرجاء، والقصص والأخبار، وكثرة إيرادها وتنوعها في القرآن مما يدل على عظيم أثرها فكلما ازداد علم العبد بالله عز وجل وأسمائه وصفاته وربوبيته وأهليته يزداد حباً لله عز وجل، ويزداد توكلًا عليه، وخشية منه، وإنابة له وحده دون غيره من خلقه، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

* وقال النبي ﷺ «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية»^(١)، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته ومحبه ودعاؤه بها والتعبد له بمقتضاها أشرف العلوم، ومن قلل من شأن هذا العلم أو قال عنه أنه (ترف عقلي)، أو انشغال بها غيره أولى منه فهو ضال مبتدع^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «الإيمان بالصفات ومعرفتها وإثبات حقائقها وتعلق القلب بها وشهوده لها هو مبدأ الطريق ووسطه وغايته، وهو روح السالكين، وحاديهم إلى الوصول، ومحرك عزماتهم إذا فتروا، ومثير همهم إذا قصرُوا، فإن سيرهم إنما هو على الشواهد. فمن كان لا شاهد له فلا سير له ولا طلب ولا سلوك له، وأعظم الشواهد صفات محبوبهم ونهاية مطلوبهم، وذلك هو العلم الذي رفع لهم في السير فشمروا إليه»^(٣).

الأصبهاني، وذم التأويل للإمام ابن قدامة المقدسي، الرد على الجهمية للإمام الدارمي، عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني، واعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام اللالكائي وكتاب اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث جمع وشرح د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، وكتاب الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر... جمع (عادل بن عبد الله آل حمدان).

(١) متفق عليه.

(٢) الضوابط الشرعية لتحقيق الأخوة الإيمانية، للشيخ / سعيد عبد العظيم، ص ٧٧، ط. دار الإيمان بالإسكندرية.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام ابن القيم (٣/ ٣٥٠). ط. دار الحديث.



قال العز بن عبد السلام رحمه الله: «فالعلم بالله وصفاته أشرف من العلم بكل معلوم، من جهة أن متعلقه أشرف المعلومات وأكملها، ولأن ثماره أفضل الثمرات؛ فإن معرفة كل صفة من الصفات توجب حلاً عليه، وينشأ عن تلك الحال ملازمة أخلاق سنية، ومجانبة أخلاق دنية، فمن عرف سعة الرحمة أثمرت معرفته سعة الرجاء، ومن عرف شدة النعمة أثمرت معرفته شدة الخوف، وأثمر خوفه الكف عن الإثم والفسوق والعصيان، مع البكاء والأحزان والورع وحسن الانقياد والإذعان...»^(١).

* ومن المعلوم أن التفكير الدائم المستمر بأسماء الله تعالى وفهم معانيها يجعل القلب محباً لهذه الذات العظيمة الكاملة الجميلة الأسماء، فالقلب مفطور على حب الكمال والجمال الإلهي، فالتفكير في هذه الطريق سيشعر بمشاعر لا يجد حلاوتها في غيره، فسيعاود مرات ومرات، حتى يُجَلَّ الله ويعظمه، ومن يُجَلِّ الله يُغْفَر له فيصفو قلبه، ويشعر بالقرب من ربه وخالقه ومولاه، لا أقول قرب مكان، بل مكانة ومعرفة ومحبة، وهكذا تكون العلاقة الرائقة بين العبد وربّه، لينقله من الإيمان إلى التقوى فالإحسان^(٢).

* كذلك تفكر في آثار أسماء الله الحسنى: فإنَّ التفكير في آثار هذه الأسماء البالغة الحسن في النفس والكون، فإن هذا يؤدي إلى معرفته، واليقين به - سبحانه -، إذ المخلوق يدُلُّ على وجود خالقه، وعلى حياته وعلى قدرته، وعلى علمه ومشيتّه، وما فيه - أي المخلوق - من الإتيان دالٌّ على حكمة فاعله وعنايته، وما فيه من الإحسان والنفع، ووصول المنافع العظيمة إلى المخلوق: يدل على رحمة خالقه وإحسانه وجوده، وآثار الكمال تدل على أن خالقه أكمل منه، فمعطى الكمال أحق بالكمال، وخالق الأسماء والأبصار والنطق أحق أن يكون سميعاً

(١) فتاوى شيخ الإسلام العز بن عبد السلام ٢٤٠-٢٤١ ط. مؤسسة الرسالة - بيروت، وانظر للاستزادة: مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ٩٠)، ومعارج القبول للحافظ الحكيمي (١/ ١٢٦) ط. دار ابن القيم.
(٢) راجع كتاب «التفكير في الأسماء طريق العلماء» تأليف د/ ضياء الدين الجاسي، ص ١٩، ط. دار الهجرة.



بصيرًا متكلمًا..^(١)، ثم يقول: «وإذا اعتبرت بال مخلوقات والمأمورات وجدتها بأسرها كلها دالة على الصفات وحقائق الأسماء الحسنى، والتفكر يساعد على هذا الإدراك، ولذلك كان من صفات المؤمنين أنهم يتفكرون في الآيات، فيستدلون بها على توحيده، وصفات كماله، وصدق رسله، والعلم بقلائه»^(٢).

الحذر.. الحذر

ولا شك أن الإثبات للأسماء والصفات كما يليق بجلال الله وعظمته دليل على تعظيم العبد لله، وأمانة على سلامة معتقده، وأن الزلل في ذلك جسيم، ومن ثم كان الضلال في هذا الباب واسعًا، وولج فيه طوائف عدة، حمانا الله من الزيغ، ووقفنا لسلوك سبيل أهل الحق. لذا فعلى المربي الاعتناء بتدريس هذا العلم الشريف مع طلابه، وألا يكون مجرد حديث جاف، بل يربط بعظمة الله عز وجل والثناء عليه بما هو أهله، ويربط ذلك بآثارها السلوكية في حياة الإنسان.

ولكن احذر أن تخرج عن الكتاب والسنة، فتترك لخيالك العنان كي يبحث ويتفكر في حقيقة الذات الإلهية، كذلك فاحذر أن تخالف منهج أهل السنة والجماعة، فتقع في نفي الصفات وتعطيلها وتحريفها.. ولكن أثبت ما أثبتته الله لنفسه، وما أثبتته النبي ﷺ في سنته الصحيحة من غير تكيف ولا تمثيل، أو تحريف أو تعطيل^(٣).

١٥ - وما يتربى به الإيمان في القلوب: «المشاركة في الدعوة إلى دين الرحمن:

* إن الدعوة إلى الله عز وجل نعمة عظمى، فالداعي إلى الله عز وجل يحيي قلوب الناس بشرع الله، فيحيي الله قلبه بالإيمان ومحبة الرحمن، من باب أن الجزء من جنس العمل، ولقد

(١) تهذيب مدارج السالكين ص ٦٢٤.

(٢) المصدر السابق ص ٦٢٥، ص ٦٢٦.

(٣) انظر كتاب أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة، د/ عمر سليمان الأشقر، ص ١٥، ط. دار النفائس.



قال النبي ﷺ: «نضر الله امرأً منا حديثاً فوعاه، فبلغه إلى مَنْ لم يسمعه، فربَّ حاملٍ فقه ليس بفقيه، وربَّ حاملٍ فقه إلى مَنْ هو أفقه منه»^(١)، وقال ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(٢).

* قال ابن حجر - رحمه الله: «وقال: في الحديث «ولو آية» أي واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ»^(٣).

* وقال ﷺ في خطبته يوم النحر.. «ليبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه»^(٤).

الجزاء من جنس العمل

فكما يُنضر الداعية قلوب الناس بشرع الله يُنضر الله قلبه ووجهه، كذلك من مارس الدعوة إلى الله عز وجل يعلم كيف يزداد إيمانه، وتحيا بها القلوب، وبالدعوة تقترب من علام الغيوب، كذلك فإن الدعوة إلى الله عز وجل شرفٌ عظيم لا يناله إلا مَنْ فَضَّلَهُ الله على سائر خلقه، وسيأتي الكلام مفصلاً على هذه النقطة عند جزئية «التربية الدعوية وأهميتها» - ونسأل الله أن لا يجرمنا من شرف الدعوة إلى دينه، والتشرف بطاعته وعبادته..

(١) رواه أحمد (١٨٣/٥)، والترمذي (١٢/١٠ - ١٢٦ عارضة)، وابن ماجه (٢٣١)، وابن حبان (٦٨٠) وصححه

الألباني - رحمه الله تعالى - في صحيح الجامع (٦٧٦٤) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأنبياء.

(٣) فتح الباري (٥٧٥/٦)، ط. الريان.

(٤) رواه البخاري (١٠٥).



للإيمان ثمرات منها:

- * تقوية تعظيم الله في النفوس.
- * تحرير القلب من التعلق بغير الله.
- * تقوية روافد التقوى والإيمان في القلوب.
- * تعظيم حرمان الله واجتناب المعاصي.
- * كذلك يورث الإيمان في القلب خشية الله ومراقبته في الخلوات والفلوات، وبسببه تراق الدموع وتسكب العبرات، ولا يفتر اللسان من ذكر الله.
- * ويورث في القلب الصدق مع الله واليقين بالله.
- * ويورث سرعة الامتثال لأمر الله وأمر رسوله دون تكاسل أو تردد، والصبر على البلاء والأواء والشدائد والضراء، ويسلّي النفس والروح بالأجر العظيم والجنة العالية.
- * ويورث في القلب الخوف من الله وعدم ظلم الآخرين وإعطاء الحقوق وعدم الانتصار للنفس وحظوظها والانتقام لها بشتى الأساليب والحيل والأهواء وإلباسها لبسة الشرع، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور والموعد الله.
- * كذلك يورث في القلب والجوارح الاطراد والتعامل مع الناس وفق ما أراد الله والتجرد لله حين الأزمات.
- * كذلك يورث في القلب المؤمن عظم المسؤولية فيما أولاه الله تعالى من الأمانة والرعاية والعدل والمساواة.
- * كذلك يورث في القلب نبذ العصبية والجاهلية والفخر بالأحساب والطعن في الأنساب قولياً، وواقعياً عملياً في حياته ليس تنظيراً ووعظاً فقط، وعدم ازدراء الآخرين وعدم البحث عن أخطاء الناس وعثراتهم وما يسقطهم.
- * كذلك يورث في القلب الرحمة والسكينة والطمأنينة والعفو والصفح والتسامح وعدم الاستعلاء.



* كذلك يورث المؤمن التأثير بما يحلُّ بإخوانه من مصائب وابتلاء في دينهم وقتل وفقر وتشريد.

* كذلك يورث صاحبه عدم خيانتته لأمته في دينها وأوطانها، وعدم طعن المؤمنين من الخلف أو بين الصفوف.

* كذلك يورث الإيثار في القلب التواضع والأخلاق الفاضلة والآداب السامية والفعال الزاكية؛ فيكون أنموذجاً وقدوة في أسرته ومدرسته ومحيطه ومجتمعه وبين طلابه وأولاده.

* كذلك يورث في القلب الفخر والعز بالإسلام والسُّنَّة والثبات عليهما حين الشدائد والمغريات، وحين فتنه المنصب والمال والجاه والشهرة بلا مدهانة، وبعض الناس يبدأ بالتنازل عن مبادئه وقيمه في أقرب سوق لبيع المبادئ وعلى مائدة الحوار وأول منصب وتذب لروح الهزيمة، والضعف في إظهار السنن النبوية ويجاري القوم على غير هدى الله بحجة المصالح وأعظم ما يضحى من أجله المرء دينه ومبادئه.

كريشة في مهبِّ الريح ساقطة *** لا تستقرُّ على حالٍ من القلق

له ألف وجهٍ بعدما ضاعَ وجهه *** فلم تدر فيها أيُّ وجه تُصدِّق

* يورث الإيمان في القلب الخوف على الإيمان من كل ما ينقصه أو يخذشه، يأخذ حذره وحيطة، يخاف عليه كما يخاف المرء على ابنه وأشد، بينه ويزيده ويُنييه حتى يلقي الله وهو على أفضل حال، يتعهدده ويصفييه من كل شائبة وشهوة وشبهة حتى يلقي الله وهو عنه راض، في جهاد دائم ومقاومة مستمرة ﴿وَالَّذِينَ جَاهِدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وتعظيم قيمة الإيمان حين ندرك أن الفرد بلا إيمان، كريشة في مهب الريح، لا تستقر على حال ولا تسكن إلى قرار، فالإنسان بلا إيمان لا يعرف حقيقة نفسه ولا سر وجوده، لا يدري من ألبسه ثوب الحياة؟ ولماذا ألبسه إياه؟ ولماذا ينتزع منه بعد حين؟ النفس بلا إيمان نفس



مضطربة، حائرة، متبرمة، قلقة، تائهة، خائفة كسفينة تتقاذفها الريح في ثبح البحر وأمواجه، الإنسان بلا إيمان كحيوان شره فاتك لا تُحْدُ شرهته، ولا تُقَلِّمُ أظفاره. كذلك نعلم أنه لا تزكو النفس بدون إيمان ولا تربي ولا تسمو ولا تصلح بلا إيمان، ولا تطرد في سرها وعلايتها بلا إيمان.

كذلك فالإنسان بلا إيمان إنسان يلهث وراء الشهوات والمحرمات، بلا وازع الإيمان يطلق بصره ولسانه وأذنه لكل ما يغضب الله، لسانه يفري في أعراض الصغار والكبار صباحًا ومساءً بحجج واهية، ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب والموعود الله يوم تتكشف السرائر، لا يردعه رادع ولا يزجره زاجر، يتيه في كسب المال الحرام والوقوع في الشبهات، يستثقل أوامر الله ولا يتلذذ بها عقوبة من الله.

تارة نشعر بارتفاع إيماني حتى تكاد تطير قلوبنا فرحًا وسعادة وسكينة تسابق النفس والروح للعبادة والذكر والخير، وأحيانًا نشعر بضعف إيماني يعقبه قسوة ووحشة وكسل في الطاعة كأننا مُثْقَلٌ بالقيود حتى لتجد أثر ذلك في الوجه فما السبب؟ يبقى هذا الإنسان الضعيف الهلوع الجزوع، المختال الفخور المتكبر المترف، شقيًا تعيسًا، عظيم البلاء، منحط الرتبة، بائس المصير حين يكون تفكيره بلا إيمان، ولا غرابة:

فمن يزرع الرياح في أرضه * * * فلا بد أن يحصد الزوبعة

ولا علاج لشقائه إلا بالإيمان، يقويه ويعزّيه، يسليّه ويمنّيه، يرضيه ويُحييه حياة طيبة على الحقيقة، يعلو يقينه وينفسح صدره، وتعظم سعادته، يخسر دنياه ويدوق البلاء ويتجرع الألم لأجل الإيمان لكنه يدوق حلاوة الإيمان والرضا بقدر الرحمن، وحين يفقد ذلك يشقى ويضيق عليه صدره، يأسى ويحزن ويكتئب ويضطرب.

إن أعظم ما يملك المرء في هذه الحياة الإيمان، فهو نعمة عظيمة ومنحة جسيمة، يزداد المرء بها شكرًا لله حينما يرى أقوامًا انغمسوا في الرذيلة وركضوا وراء الشهوات وابتعدوا عن الله، وحاربوا دينه، وأوليائه، وأصبحوا دعاة للرذيلة محاربين للفضيلة عبر كل وسيلة، نسوا



وتناسوا أن هناك موقفًا عظيمًا شديدًا بين يدي الواحد القهار.
أنه لا يمكن للعبد أن يهنا بالحياة بدون إيمان، ولا يسعد بالحياة بدون إيمان مهما كان عنده
من الأموال والمناصب ومتاع الحياة.

الإيمان هو الحياة وروحها، هو الرصيد والكنز المفقود، والإيمان نعمة من الرحمن: ﴿بَلِ
اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

الإيمان حبه الله إلى النفوس: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾
[الحجرات: ٧]، أهل الإيمان ليس عليهم سلطان من الشيطان: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].

أهل الإيمان موعودون بالأجر العظيم والفضل الكبير: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا
عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦].

أهل الإيمان وليهم الله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧].
أهل الإيمان مبشرون بكل خير وشرف في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَا إِنَّكُمْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ] ﴿١٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٣].

أهل الإيمان يسعدون بمعية الله بالتسديد والتأييد: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].
يروى أهل الإيمان قصة إيمانهم فيقولون: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا
أطيب ما فيها، قيل له: وما أطيب ما فيها؟! قال: محبة الله، ومعرفته وذكره.
إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة إنَّهَا جَنَّةُ الْإِيمَانِ.
الإيمان قوة عظيمة تغير القلوب والوجوه والأقوال والأفعال نحو هدف أسمى وهو
ابتغاء مرضاة الله وحده.

الإيمان يغير الأهداف والمبادئ، فمثلاً: إذا لم يتحل العبد بالإيمان الصحيح الصادق



ستراه يلهث وراء الشهوات والملذات ويعتدي ويظلم ويأكل أموال الناس بغير حق، أما إذا انشرح قلب العبد للإيمان أصبح وكأنه ثوب جديد، وأصبحت حياته جديدة وكأنها صفحة بيضاء نقية، تعلو رتبته وترتفع همته وتسمو نفسه، وإذا به ينظر إلى الأعلى وإلى الفردوس، إنه لا يرضى بالدون ولا يبيع الأعلى بالأدنى بيع الخاسر المغبون، إنه يقف في صف الأخيار وينأى بنفسه عن النار ويطلب رضا العزيز الغفار.

أصبحت قضية الإيمان وسلامته وحراسته أعز ما يملك في هذه الحياة، غضب دونها من غضب ورضي من رضي ولو خسر المال والجاه والصديق والقريب.

من ثمرات الإيمان: أنه إذا استقر في القلوب خضعت الجوارح لعلام الغيوب.

عن جندب بن عبد الله قال: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانُ حَزَاوِرَةَ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَارْزَدْنَا إِيْمَانًا»^(١).

لكن حينما أغرقت الأمة في التفرعات والخلافات الفقهية والفكرية والفلسفات دون التربية الإيمانية، كانت النتيجة سرعة تشكيك الناس في أمور دينهم وزعزع الحق في قلوبهم، فبدأوا في البحث عن الرخص وتتبع الخلاف والأخذ بالأقوال الضعيفة والشاذة والحيل والهروب من شريعة رب العالمين، وحدثت الفرقة بين المسلمين.

ولو تربت الأمة على حقيقة الإيمان وغُرس فيها المنهج القرآني والنبوي، لما شاهدت ذلك الركام الهائل من المشكلات في حياة الناس وعبادتهم لربهم.

لو صَحَّ الإيمان لوجدت التسليم والخضوع والانقياد لله رب العالمين في أوامره ونواهيه، ولما وجدت تضييع حقوق الله وحقوق الخلق والجرأة على حرمان الله.

لو صَحَّ الإيمان لوجدت الإلتقان في العبادة والطاعة والحزن والندم حين التقصير.

لو صَحَّ الإيمان لما كان حال الكثير في عبادته لربه واجب يريد التخلص منه، وإذا حصل

(١) رواه ابن ماجه، وصححه العلامة الألباني في «صحيح ابن ماجه» رقم (٦١).



النقص والخلل جبره بالكفارات وقُضيَ الأمر دون الندم والشعور بالتقصير.
لو صَحَّ الإيمان لراقب المسافر ربه في جوارحه في بره وسمائه وبحره، وحافظ على إيمانه
وخاف عليه من كل شائبة، فهل كنا كذلك في أسفارنا؟!
لو صَحَّ الإيمان لما وجدت البغي والظلم والوشاية والعدوان، ولما وجدت النزاع بين
أخوة الدين والعلم وأخوة النسب، ولما وجدت أخا يعين ظالماً وعدوًّا على أخيه بحجج
شيطانية واهية ألبسها لباس المصلحة والشرع والاجتهاد، والدين منها براء.
لو صَحَّ الإيمان لوجدت الأمانة في أداء المسؤولية، ولما وجدت تضييع الأمانة والغش
والخداع والكذب في نقل الأخبار والإرجاف.
لو صَحَّ الإيمان لما وجدت بعض ظواهر التشكيك والإلحاد في قلوب كثير من الفتيان،
ولأسلمت وأيقنت بخالقها أمام كل شبهة وشهوة، وهذا يوقظ قلب كل صاحب شأن
ويدفع العلماء والدعاة والمربين لإعادة النظر في مناهج التربية الخاصة بمقررات التوحيد
والإيمان لتصلح نفوس وقلوب وعقول أبناء الأمة في هذا العصر.
لو صَحَّ الإيمان لما بيعت المبادئ أو غيرت القيم، أو بدّل الدين في الفضائيات على
رؤوس الأشهاد.

لو صَحَّ الإيمان لما ضعفت أو ماتت شعيرة التناصح بين الإخوان والجيران، ولوجدت
الأخوة الحقّة والمحبة الصادقة في أجمل صورها وأسمى معانيها والتي كانت في المجتمع
النبيوي وألّف بينها المربي الأول محمد ﷺ، ولن يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أولها، فالأمة
بحاجة إلى المنهج النبوي والمجتمع النبوي.

إن المنهج القرآني والنبوي كان على طريقة تعليم الإيمان أولاً، وأما ما وجد في الأزمنة
المتأخرة من تجاهل أو قلة التركيز على قضايا الإيمان والعبودية لله وأعمال القلوب وغذاء
الروح وتركية النفوس وهو العلم المفقود؛ فكانت النتيجة فيها نوع من الإخفاق والضعف في



مستوى الأمة في تعاملها مع خالقها وسائر حياتها، فأخفقت في كثير من مشاريعها التعليمية والتربوية والدعوية والثقافية والأخلاقية والمهنية والرقمي بالمجتمعات والأسرة المسلمة نحو الجادة، وبنائها بناء جاداً أو كانت هناك نتائج لكن ليست بالمستوى المطلوب.

وإن على العلماء والدعاة والمربين والآباء غرس الإيمان في القلوب، ثم العناية بتزكية النفوس والأرواح، مع العناية بالعلم الشرعي كضرورة ملحة لتستقيم الحياة في علاقة الإنسان مع ربه وعلاقته مع الخلق، بشرط التوازن في التربية الذاتية، والحرص على تربية الآخرين، فهذا أساس في النجاح والتكامل، فما الفائدة من غرس العلم في قلوب الناشئة والمترين والناس، ثم إيجاد الحلول العلمية بدون إيمان أو العكس فتكون النتائج إفراط وتفریط وغلو.

فَلَوْلَا رِيَّاحُ الْوَعْظِ مَا خَاصَّ زَوْرُقٌ *** وَلَا أَبْحَرَتْ بِالْمُبْحَرِينَ الْبَوَاحِرُ

... لا بدبل عن العلم ...

ثانياً: التربية العلمية: كذلك عليك - أخي الشاب - أن تحرص على التأصيل الشرعي لكل ما تقوله وما تفعله، وهو ما يُعرف في أزماننا باسم «التربية العلمية المنهجية»..
* فكما أن الملتزم بحاجة ماسة إلى التربية الإيمانية ليحرك الدافع ويقوي الوازع في قلبه - خاصة - في زمان الفتنة، كذلك فهو بحاجة أيضاً إلى العلم الشرعي الذي يصحح به عبادته وتوجهه - خاصة - في زماننا زمان الشبهات والشهوات.

وإن أي تربية تتجاوز البناء العلمي الشرعي، أو تعطيه مرتبة متأخرة بين المتطلبات التربوية، هي بعيدة عن المنهج النبوي، ذلك أن الجيل الذي يعاني من الضعف العلمي لن يقوم بالواجبات الشرعية في نفسه كما ينبغي، فضلاً عن أن يقوم بواجب الإصلاح والدعوة للناس.

ويحتاج شبابنا اليوم أن يعطوا الجانب العلمي القدر الذي يستحقه من الأوقات



والجهود، أما حين يكون نصيبه فضلة الوقت والجهد، فسوف ينشأ جيل يعاني من البنيان الهش الذي سرعان ما ينهار، أو يأخذ ذات اليمين وذات الشمال.

لماذا نطلب العلم؟!

١- لأن العلم هو المراقبة الصاعدة بأهلها إلى سماء المجد، والنور الباسط بأجنحته فوق أفاق الدهر، والعروة الوثقى التي لا يضل مَنْ استمسك بها - لا سيما - وقد مدَّت البدع أعناقها، ولبس علماء السوء على العوام حقائق دينهم، فصارت البدعة سنة والسنة بدعة، لأجل هذا تظهر الأهمية العظمى للعلم النافع.

٢- لأن العلم هو الفرقان الذي يميز الخبيث من الطيب، والحق من الباطل، فالملتزم الجاهل والداعية الجاهل ضالٌّ في نفسه مضلٌ لغيره، ضرره أكثر من نفعه، وما يفسده أعظم مما يصلحه؛ لأن الناس تنظر إلى هذا الملتزم بعين الإجلال والاحترام، وتتخذ فعله وقوله وحاله وقدوةً يقتدون بها، وبعض الناس يُغالى فيتخذ من أفعال بعض الملتزمين ديناً يتقرب به إلى الله، فتراه يُحاكي هذا الفعل مباشرةً دون أدنى تردد.

٣- لأن العلم النافع هو الذي يُصحح الفكر ويُصقله، والفكر إذا صحَّ ظهر في السلوك القويم والعلم والتعليم؛ لأن السلوك مرآة الفهم، فكلمها صفت هذه المرآة من الشوائب والكدر وتربت الأجيال عليها، كان العلاج أنجح والشفاء أقرب^(١).

٤- لأن العلم من أهم الوسائل المثبتة على الحق في زمان الفتن - وخاصة - عندما تكثر فتن الشبهات، ويقل العلم والعلماء ونحن ننادي كل من يزعم أن المهم هو التربية الإيمانية التعبدية وفقط، أو أن المهم هو التربية الدعوية وفقط، نقول له إن هذا مفهوم قاصر لمعنى

(١) راجع عودة إلى السنة، للشيخ/ على حسن عبد الحميد، ص ٢٠، ط. دار ابن حزم.



التربية، إذ إن المفهوم الشامل الكامل للتربية يعني «التعبّد، ومجاهدة النفس، وكذلك حمل النفس على الأخلاق الحسنة مع التعلم ودعوة الناس»، فَمَنْ أخرج العلم عن مفهوم التربية فقد غلط وأخطأ، ثم إن من عبد الله على جهل فكأنها عصاه، فقد يقع الواحد في بدعة من البدع أو معصية من المعاصي.. وهو لا يدري.. لماذا؟! لأنه جاهل غير عالم^(١).

(١) لكل عمل عظيم آفات، ومن أخطر آفات التربية على غير منهج أهل السنة والجماعة:

التهوين من شأن العقيدة، وضعف التربية على معانيها، والتربية على التقليد والتعصب لرأية أو شعار دون الإسلام، والمغالاة في النظرة للتربية الخاصة على حساب البلاغ المبين للدين، والاهتمام بالشكل دون المضمون، والعناية بالظاهر على حساب الباطن، وفقدان التوازن بين أنواع التربية ومجالاتها، واتخاذ الترخّص الجافي منهجاً في مسائل الفقه التوحيد والإيمان، وكما أن التهور والاندفاع اليائس يعكس خللاً تربوياً، فالتثاقل والتباطؤ ينبئ عن عجز وكسل، وكلا طرفي قصد الأمور ذميمٌ. وهنا تأتي أهمية التربية المتوازنة - خاصة - التربية العلمية في زمان الشهوات والشبهات، ومما ينبغي مراعاته في هذا الجانب ما يلي:

- ١ - إعطاء الجانب العلمي الاهتمام اللائق به كما سبق، دون إفراط أو تفريط.
 - ٢ - الاعتناء بتعليم كافة الشباب - بغض النظر عن تخصصاتهم العلمية والعملية - الحد الأدنى من العلم الشرعي، الذي يمكنهم من فهم المسائل الشرعية العلمية، والتعامل مع مصادر المعلومات بالطريقة التي تناسب ومستوياتهم.
 - ٣ - ينبغي أن تسعى المحاضن التربوية إلى غرس الاهتمام العلمي في نفوس الناشئة، لا أن تكون البرامج العلمية مجرد استجابة لمطالب أو ضغوط ذوي الاهتمام العلمي.
 - ٤ - هذا الميدان من أكثر الميادين التي يبدو فيها تفاوت القدرات والإمكانات، ومن ثمّ فلا بد من مراعاة ذلك واعتباره، إذ يغلب على كثير من المحاضن والمؤسسات التربوية إعطاء برامج موحدة لجميع الطلاب من الميدان العلمي، وهي قضية يجب أن يعاد فيها النظر.
- ولئن كانت هناك معوقات كثيرة ترتبط بالمؤسسات التعليمية الرسمية، فالمؤسسات التعليمية الخاصة، والمحاضن التربوية تملك من المرونة والحرية ما يعينها على تصميم برامج تراعي فيها الفروق الفردية، وتفاوت الإمكانات والقدرات وتفاوت الحرص والاهتمام العلمي، وألا تقدم لطلابها نسخة مكررة من البرامج التعليمية.



٥- ينبغي أن تمتد أهدافنا لتعنى بالتربية العقلية، وألا تقتف عند حدود إعطاء الجانب العلمي والمعرفي، خاصة وأن «مرحلة الشباب تعتبر أحسن فترات حياة الفرد للتربية العقلية»^(١). فمن خلال التربية العقلية الصحيحة يمكن تهيئة الأرضية المناسبة للتلقي العلمي، ومن خلالها يملك الشاب الآلية التي تعينه عن التعامل الصحيح مع المعلومات والمعارف التي يتلقاها.

كما يتجاوز أثر التربية العقلية الجانب العلمي إلى سائر مجالات حياة الشاب فلها نتائج مهمة «في حياة الفرد، وفي مشاعره وقيمه وأهدافه وتعامله وتعايشه وتصرفاته».

و«عن طريق التربية العقلية يكون الفرد قادرًا على إصدار أحكامه الصائبة على الأشياء، واستفادته من أخطائه وأخطاء غيره، والانتفاع بتجاربه وتجارب الآخرين، وقدرته على حل المشكلات ومواجهة المواقف»^(٢).

* لأجل هذا: حرص أسلافنا من الصالحين على طلب العلم النافع، ومعرفة المسائل الشرعية بأدلتها التفصيلية من الكتاب والسنة، وكذا الاهتمام بمعرفة الحديث صحيحه من سقيمه.

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تفقهوا قبل أن تسودوا»، قال البخاري: وبعد أن تسودوا، وقد تعلم الصحابة وهم كبار^(٣).

* وقيل لابن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟ فقال: «لعلَّ الكلمة التي أنفع بها لم أتعلمها بعد»..

٥- إضافة إلى أن التوجه للعلم الشرعي والعناية به، يملأ على الشاب همته ووقته، فلا

(١) للتوسع يراجع كتاب «الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب» للأستاذ/ عمر الشيباني ص ٤٥٨. ط. الدار العربية للكتاب، ليبيا.

(٢) للتوسع يراجع كتاب «تربية الشباب الأهداف والوسائل» للشيخ/ محمد بن عبد الله الدويش ص ٦٩، ٧٠.

(٣) راجع فتح الباري-كتاب العلم (١/ ١٩٢).



ينصرف ذهنه وتفكيره إلى الشهوات والمعاصي، ولا يجد فراغاً في وقته يمكن أن يدفعه إلى الإثم، ثم هو يجد في لذة العلم وحلاوة تحصيله ما يصرفه عن البحث عن البديل الذي ربما كان سبباً في انحرافه..

* وفي هذا يقول: ابن حزم - رحمه الله: «لو لم يكن من فائدة للعلم والاشتغال به، إلا أنه يقطع المشتغل به عن الوسوس المضيئة، ومطارح الآمال التي لا تفيد غير الهم، وكفاية الأفكار المؤلة للنفس، لكان ذلك أعظم داع إليه، فكيف وله من الفضائل ما يطول ذكره؟!»^(١).

* للعلم الشرعي فضله العظيم:

إن للعلم الشرعي فضائل عظيمة لا تعد ولا تُحَد، حيث تكاثرت الآيات في القرآن، كذا تواترت الأخبار والآثار، وتطابقت الدلائل الصريحة وتوافقت، على فضيلة العلم والحث على تحصيله، والاجتهاد في اقتباسه وتعليمه، وسأذكر بعض الأدلة الدالة على فضيلة العلم، والحث على تعلمه وتعليمه وبذله للخلق، ومن ذلك: قول الله - جل ذكره: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وهذا الاستفهام بمعنى النفي، أي لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، ويراد بذلك العلم الشرعي^(٢)، ومن فضل العلم أن الله سبحانه أخبر أن العلماء هم أكثر الخلق خشية من الله ورهبة منه.. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [فاطر: ٢٨].

* وخشية الله تورث الجنة، كما قال تعالى: ﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨].

* فالجنة لأهل الخشية ومنهم العلماء بمجموع الآيتين، وأهل العلم هم الذين يعقلون

(١) ينظر: «الأخلاق والسير»، للإمام ابن حزم الأندلسي، ص ٢١، ط. دار الصحابة للتراث بطنطا.

(٢) انظر شرح مقدمة المجموع، للشيخ/ ابن عثيمين، ص ٤٤، ط. دار ابن الجوزي.



ويفهمون عن الله مراده، فلا ريبة لديهم، ولا حيرة عندهم^(١).

* بل فهمهم عن الله راشدٌ مسددٌ، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [٤٣] العنكبوت: ٤٣.

* بل من فضل العلم.. أن الله تعالى وسم أهل العلم بالبصيرة، كما وصف أهل الجهل بالعمى، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أُولَئِىَ الْأَبْصَابِ﴾ [الرعد: ١٩].

* بل لقد ذكر الله أن من أسباب رفع الإنسان الإيمان والعلم كما في قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

* ومن فضل العلم أن الله سبحانه ما أمر رسوله ﷺ بطلب المزيد من شيء كالعلم، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، والله تعالى لم يأمر نبيه بطلب المزيد إلا من الأفضل والأكمل، ومن فضل العلم أن النبي ﷺ أمر بطلبه وحض على ذلك، كما ثبت عنه ﷺ في الأحاديث الصحيحة.

فَعَنْ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يُرِدْ الله به خيراً يفقهه في الدين»^(٢)، وقد يتبادر إلى الذهن أن معنى قوله «يفقهه»: يعلمه، وليس كذلك؛ لأن الفقه

(١) قلت: ومن صور الانحراف في تفسير لفظة العلم في نصوص الشرع تفسيرها بالعلوم الطبيعية أو العلوم التجريبية فحسب، وهذه العلوم قطعاً ليست هي المقصودة بلفظة «علم» إذا ما وردت في نصوص الشرع، إنها معنى العلم في نصوص الشرع هو المعرفة بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة في تفسيرهما، مع العمل بمقتضى ذلك.

(٢) متفق عليه.

غير العلم، الفقه: أن تعلم وتعمل^(١).

وقال عليه السلام: «فضل العلم خير من فضل العبادة وخير دينكم الورع»^(٢)، لهذا وغيره رَجَّح النووي: أن الاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغال بنوافل الصوم والصلاة والتسبيح؛ لأن العلم يعمُ خيره صاحبه والمسلمين، أما النوافل فمختصة به^(٣).

* ولقد سُئِلَ الذهبي: هل طلب العلم أفضل أم صلاة النافلة والتلاوة والذكر؟ فأجاب: «فأما مَنْ كان مخلصاً لله في طلب العلم وذمّه جيد فالعلمُ أولى، ولكن مع حظ من صلاة وتعبُد، فإذا رأيتَه مجداً في طلب العلم ولاحظَ له في القربات، فهذا كسلانٌ مهين، وليس هو بصادقٍ في حسن نيته، وأما مَنْ كان طلبه الحديث والفقه غِيَّةً ومحبة نفسانية فالعبادة في حقه أفضل، بل بينهما أفعال التفضيل»^(٤).

* وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: لما قَدِمَ أبو زرعة الرازي نزل عند أبي، فكان كثيرَ المذاكرة له، فسمعت أبي يقول يوماً: ما صليتُ غير الفرض، استأثرت بمذاكرة أبي زرعة على كثير من نوافلي^(٥)، وقال الشافعي: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

* وعن أبي أمامة رضي الله عنه: ذُكِرَ لرسول الله رجلا ن أحدهما عابد والآخر عالم، فقال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»، ثم قال: «إنَّ الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى

(١) شرح مقدمة المجموع، ص ٤٥.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٩٦٩/١١) والأوسط (٣٩٦٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٦).

(٣) راجع (المجموع شرح المذهب للشيرازي) للإمام النووي (١/٤٤، ٤٥)، ط. مكتبة الإرشاد.

(٤) انظر كيف نطلب العلم، للشيخ/ عبد الله بن جبرين، ص ١٥. ط. دار الوطن للنشر.

(٥) راجع «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (١٠/٣٢٧) ط. دار الكتب العلمية.



النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير»^(١)، وعن جابر رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ: كان يجمع بين الرجلين من قتلي أحد (يعني في القبر) ثم يقول: «أيهما أكثر أخذًا للقرآن؟» فَإِنْ أَشِيرَ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ»^(٢).
وقد أمر الله تعالى بالعلم قبل القول.

بل إن الله - تعالى - أمر بالعلم قبل القول والعمل، ومن أجل هذا بَوَّبَ البخاري بابًا في كتاب العلم في صحيحه وترجم له بعنوان «باب العلم قبل القول والعمل»، واستدل فيه بقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، قال الحافظ ابن حجر تعليقًا على الباب: قال ابن المنير أراد له أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يُعتبران إلا به فهو متقدم عليهما لأنه مصحح النية المصححة للعمل^(٣).

ومن فضل العلم وأهله: أن النبي ﷺ أخبر بأن موت العالم مصيبة فموته ينقص العلم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فاستلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»^(٤).

وما أكثر الأدلة القرآنية والنبوية الدالة على ذلك، ولو خشية الإطالة لذكرناها..
* أما الآثار عن السلف: فأكثر من أن تحصى وأشهر من أن تذكر، لكن نذكر منها: ما أثر عن علي رضي الله عنه أنه قال: «كفى بالعلم حياة القلوب من الجهل، ومصباح البصائر في الظلم، به تبلغ منازل الأبرار، ودرجات الأخيار، والتفكر فيه ومدارسته ترجح على الصلاة، وصاحبه مبجل مكرم».

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٥)، وقال حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢١٦١).

(٢) رواه البخاري (٧٢).

(٣) ينظر: «فتح الباري» (١/ ٢٠١) ط. دار الحديث.

(٤) متفق عليه.



* وقال الشافعي: «العلم مروءة مَنْ لا مروءةَ له»، وقال أيضًا: «مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ عَظُمَتْ قيمته، وَمَنْ نَظَرَ فِي الْفَقْهِ نَبَّلَ قَدْرَهُ، وَمَنْ نَظَرَ فِي اللُّغَةِ رَقَّ طَبْعُهُ، وَمَنْ نَظَرَ فِي الْحِسَابِ جَزُلَ رَأْيُهُ، وَمَنْ كَتَبَ الْحَدِيثَ قَوَّيْتُ حُجَّتَهُ، وَمَنْ لَمْ يَصْنِ نَفْسَهُ لَمْ يَنْفَعِهِ عِلْمُهُ»، ثم قال - رحمه الله: «وَمَنْ لَا يَحِبُّ الْعِلْمَ لَا خَيْرَ فِيهِ فَلَا يَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَعْرِفَةٌ وَلَا صِدَاقَةٌ»^(١).

* ويعرفنا ابن القيم بالعلم المحمود النافع فيقول: «العلم هو ما قام على الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول»^(٢)، ثم يبين - رحمه الله تعالى - فضله ومنزلته فيقول: «وهو - أي العلم - حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض العقول، ولذة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين، وهو الميزان الذي توزن به الأقوال والأعمال والأحوال، وهو الحاكم المفرق بين الشك واليقين، والغَيُّ والرشاد والهدى والضلال، به يُعرف الله ويُعبد، ويُذكر ويُوحَّد، ويُحمد ويُسجد له، وبه اهتدى إليه - سبحانه - السالكون، ومن طريقه وَصَلَ إليه الواصلون، ومن بابه دَخَلَ عليه القاصدون، به تعرفُ الشرائع والأحكام، ويتميزُ الحلال من الحرام، وبه توصلُ الأرحام، وهو إمامُ والعمل مأموم، وهو قائدُ والعمل تابع، وهو صاحبُ في الغربة، والمحدثُ في الخلوة، والأنيسُ في الوحشة، والكاشفُ عن الشبهة، مذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه قربة، وبذله صدقة، ومدارسته تعدل الصيام والقيام والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام»^(٣).

(١) راجع هذه الآثار وغيرها في مقدمة كتاب المجموع للإمام النووي - رحمه الله تعالى - تحقيق الشيخ / محمد نجيب المطيعي (١/ ٤٢) ط. دار الإرشاد - جدة.

(٢) يقول الإمام ابن رجب - في تعريف العلم النافع: «ولهذا جاءت السنة بتقسيم العلم إلى نافع وإلى غير نافع، والاستعاذة من العلم الذي لا ينفع، وسؤال الله العلم النافع، ففي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ومن نفس لا تشيع، ومن دعوة لا يُستجاب لها».. فالعلم غير النافع: ما كان الجهل به خيرًا من العلم به، كالسحر وغيره مما يضر ولا ينفع في الدين والدنيا..» راجع رسالة فضل علم السلف على الخلف ص ١٠، ١٤، ط. دار الحديث.

(٣) مدارج السالكين، (٢/ ٤٦٩)، بتصرف.



* وقال ابن الجوزي: «لا خصيصة أشرف من العلم، بزيادته صار آدمٌ مسجوداً له، وبتقصانه صارت الملائكة ساجدةً، ورحل كليم الله موسى وفتاه في طلب العلم حتى لقيا في سفرهما النصب والتعب، وما أمَرَ الله تعالى رسوله ﷺ بطلب المزيد من شيء مثل العلم، ولما ظهر علم يوسف بتأويله للرؤيا التي رآها ملك مصر كان هذا العلم سبباً في خروجه من السجن وتوليته خزائن مصر»^(١).

* فانظر - أخني الشاب - إلى فضل العلم وأهله عند الله عز وجل وعند رسوله ﷺ، بل اعتبرت الشريعة الإسلامية للعلماء منزلة ليست لغيرهم من الناس، وجعلت لهم مقاماً رفيعاً أيضاً، وأقامتهم أدلاء الناس على أحكام الله عز وجل^(٢).

* ويبين هذا الأمر حديث صفوان بن عَسَّالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ مَتَكِيٌّ عَلَى بُرْدٍ لَهُ أَحْمَرُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ، إِنْ طَالَبَ الْعِلْمَ تَحَفَهُ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ مَحَبَّتِهِمْ لِمَ يَطْلُبُ»^(٣).

* قال ابن القيم: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْصَى بِطَلْبَةِ الْعِلْمِ خَيْرًا، وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِفَضْلِ مَطْلُوبِهِمْ وَشَرَفِهِ»^(٤).

وقال السجزي في الرسالة: «الملتبِعُ للأثر من طلبِ العلمِ يجب تقديمه وإكرامه، وإن كان صغير السن غير نسيب، والمخالف له يلزم اجتنابه وإن كان مستأ شريفاً»^(٥)، وما دام العلم

(١) صيد الخاطر (١٣٠).

(٢) راجع قواعد في التعامل مع العلماء/ للشيخ/ عبد الرحمن اللويحق، ص ٤٣، ط. دار الوراق.

(٣) رواه أحمد في المسند (٢٣٩/٤)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٩).

(٤) انظر مفتاح دار السعادة (١/٢٨٧)، ط. اليقين.

(٥) انظر «الدر الثمين في وجوب توقير العلماء وطلبه العلم في الدين» للشيخ: أبي عبد الرحمن/ فوزي بن عبد الله، ص ٢٠، ط. مكتبة الفرقان.



وطالب العلم بهذه المنزلة فإنَّ كلاً منهما جديرٌ بالاحترام والتقدير.
فاحرص - أخي الشاب - على طلب العلم وتحصيله.. فإن الخير كل الخير في ذلك، وعليك
دوماً بغرس الشعور بالحاجة الماسة إلى العلم والتعلم^(١).

نصيحة غالية:

- اعلم - أخي الحبيب - أنه لا نجاة من هذه الحالة المزرية الشديدة إلا بالتمسك
الصادق بالوحيين الشريفيين، كتاب الله تعالى، وسنة الرسول بفهم السلف الأوائل.
كذلك فاعلم أيها السالك في طريق طلب العلم.. أنه لا نفع، ولا بركة لعلم لا يقوم
أصله على فهم دلالات الكتاب والسنة فهماً صحيحاً وفق القواعد والضوابط الشرعية
لذلك.

* فاحرص - أخي الحبيب - على الفقه في الدين، فقد أثنى الله عز وجل على مَنْ فقه في
الدين، وأخبر نبينا ﷺ أن من أراد الله به خيراً يفقهه في الدين^(٢)، فاحمد الله على نعمة الفقه في
الدين، ولتسلك سبيل أسلافك في المعتقد والفهم والعمل والسلوك، ولا تُضيع زهرة عمرك
في التنقل بين كتب الفلاسفة والملاحدة وأهل البدع الزنادقة.
واحرص على تعظيم النصوص الشرعية.. إذ النصوص الشرعية مصدر لتلقي العلم

(١) من المراجع المفيدة في ذلك:

جامع بيان العلم وفضله للإمام الجليل / ابن عبد البر.

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي.

أخلاق العلماء.. للأجري.

تذكرة السامع والمتكلم في آداب العلم والمتعلم لابن جماعة.

فضل العلم وآداب طلبته وطرق تحصيله وجمع لـ د/ محمد سعيد.

(٢) عن حميد بن عبد الرحمن قال: سمعت معاوية رضي الله عنه خطيباً يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَنْ يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولا تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم مَنْ خالفهم حتى يأتي أمر الله» رواه البخاري (٧٩) ومسلم (٢٢٨٢).



الشرعي، وتعظيمها والوقوف عندها أمانة على صدق الإيمان، وسلامة المنهج.
لذا فالاعتناء بغرس هذا الجانب أمر له أهميته، ولما كان الرعيل الأول يعرفون منزلة
الوحي وأثره في النفوس تألموا لفقده وانقطاعه.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه: انطلق بنا إلى أم
أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهينا إليها بكت فقالا لها: ما يبكيك؟ ما
عند الله خير لرسول الله ﷺ فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ
ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتها على البكاء فجعلنا يبكيان معها^(١).

*** ولتحقيق ذلك:**

- لا بد من التأدب مع نصوص الكتاب والسنة عند الحديث عما ظاهره التعارض من
النصوص.

- عدم الاعتراض على النصوص الشرعية بأقوال العلماء وآرائهم، وإنك لتعجب لأقوام
يعظم عليهم ردُّ قول شيخ من الشيوخ، ويجتهدون في الاعتذار له، ويهون عليهم كلام الله
ورسوله، فحين يعترض عليهم معترض لنص من الوحي يجيبك أحدهم أن الشيخ أعلم منا
بالنصوص، ولم يخالف هذا النص إلا لدليل آخر، وأسوأ من ذلك التعصب الحزبي، واتخاذ
رأي جماعة من الجماعات مذهباً فقهياً جديراً بالاتباع.

(١) رواه مسلم (٢٤٥٤).

أقسام العلم الشرعي، وحكم كل قسم كل منها:

العلوم الشرعية قسمان:

علم الفروع

علم الأصول

فهو علمُ الفقه، ومعرفة أحكام الدين فينقسم إلى:

فرض كفاية

فرض عين

فهو معرفة أن - سبحانه وتعالى - بالوحدانية والصفات، وتصديق الرسل، فعلى كل مكلف معرفته، ولا يَسَعُ فيها التقليد لظهور آياته ووضوح دلائله، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿سَرُّهُمْ ءَاتَيْنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

فمثل علم الطهارة والصوم، والزكاة... وعلى كل مكلف معرفته. فهو أن يتعلم ما يبلغ به رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا، فهذا فرض كفاية إن قَعَدَ أهل بلد عن تعلمه عصوا جميعاً، وإذا قام واحدٌ منهم بتعلمه سقط الفرض عن الباقيين، وعليهم الرجوع إليه فيما طرأ لهم من مسائل، قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].



قال البغوي - رحمه الله^(١) - قال أبو بكر بن العربي في الأحكام المستفادة من قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، بعد أن ذكر الأقوال الثلاثة فيها:

- وقد قيل: إنه يخرج من القول الأول وهو: كونها نزلت في قوم أرسلهم النبي ﷺ ليعلموا الناس القرآن، فلما نزل قوله «ما كان لأهل المدينة»، رجعوا، فأنزل الله عذرهم، قال مجاهد: هلاً جاء بعضهم، وبقي على التعليم البعض.

- قال أبو بكر: ويخرج من هذا: أن الخروج في طلب العلم لا يلزم الأعيان، وإنما هو على الكفاية.

- قال القاضي: إنما يقتضى ظاهر هذه الآية: الحث على طلب العلم والندب إليه دون الإلزام والوجوب، واستحباب الرحلة فيه وفضلها، فأما الوجوب: فليس في قوة الكلام، وإنما لزم طلب العلم بأدلتها:

- فأما معرفة الله: فبأوامر القرآن وإجماع الأمة.

- وأما معرفة الرسول: فلوجوب الأمر بالتصديق به، ولا يصح التصديق إلا بعد العلم^(٢).

- وأما معرفة الوظائف: فلأن ما ثبت وجوبه ثبت وجوب العلم به لاستحالة أدائها إلا بعلم، ثم ينشأ على هذا: أن المزيد من الوظائف مما فيه القيام بالوظائف الشرعية كتحصين

(١) راجع شرح السنة (٢٨٩/١ - ٢٩٠) ط. المكتب الإسلامي، وانظر كلام ابن عبد البر في كتابه (جامع بيان العلم وفضله) (١/١٠ ص ١١).

(٢) ننصح من أراد التوسع في هذه الجزئية بقراءة كتاب «الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه» تأليف/ عبد الرزاق بن طاهر بن أحمد معاصر «وهي رسالة ماجستير تحت إشراف الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر البراك ط. دار الوطن بالرياض.



الحقوق^(١)، وإقامة الحدود، والفصل بين الخصوم، ونحوه من فروض الكفاية، إذ لا يصح أن يعلمه جميع الناس فتضيع أحوالهم وأحوال مَنْ سواهم، ويُنقص أو يبطل مكاسبهم، فتعين بين الحالين أن يقوم به البعض من غير تعيين، وذلك بحسب ما يُسرُّ الله العباد له، ويقسمه بينهم من رحمته وحمته بسابق قدرته وحكمته، ويأتي تحقيقه في موضعه - إن شاء الله تعالى^(٢).

* وذكر الإمام النووي - رحمه الله: «أنه من المعلوم أن من العلوم ما يتعين طلبه وتعلمه، ومنها ما هو فرض كفاية.

* فمن المتقين: ما يحتاج إليه لإقامة واجبات الدين، كالوضوء والصلاة والصيام وغيرها، فإنَّ مَنْ لا يعلم أركان الصلاة وشروطها لا يُمكنه إقامتها، وإنما يتعين تعلم الأحكام الظاهرة دون الدقائق والمسائل التي لا تعم بها البلوى، وإن كان له مال زكوي، لزمه ظواهر أحكام الزكاة، قال الروياني: هذا إذا لم يكن له ساع يكفيه الأمر.. قلت: أي النووي - الراجح أنه لا يسقط عنه التعليم بالساعي، إذ قد يجب عليه ما لا يعلمه الساعي والله أعلم.

- ومن يبيع أو يشتري أو يتجر يتعين عليه معرفة أحكام التجارات.

- وكذا ما يحتاج إليه صاحب كل حرفة يتعين عليه تعلمه، والمراد: الأحكام الظاهرة الغالبة دون الفروع النادرة والمسائل الدقيقة.

* وأما فروض الكفاية: فالقيام بعلوم الشرع فرض كفاية.

ويدخل في ذلك: التفسير والحديث والعلوم المتعلقة بهما.

- ومنها: أن ينتهي في معرفة الأحكام إلى حيث يصلح للفتوى والقضاء.

- وهنا يتبين أن المجتهد في الشرع مطلقاً يفتي، وأن المتبحر في مذهب بعض الأئمة المجتهدين يُفتي أيضاً على الصحيح، ولا يكفي أن يكون في الإقليم مفت واحد، لعسر مراجعته،

(١) كذا بالأصل، ولعلها الحصون.

(٢) يراجع كتاب «أحكام القرآن» لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف [بأبن العربي] (٢/ ٦٠٢، ٦٠٣) ط. دار الكتب العلمية-بيروت.



واعتبر الأصحاب فيه مسافة القصر، وكأن المراد أن لا يزيد ما بين كل مفتين على مسافة القصر^(١).

- وأما العلوم العقلية: «منها ما هو فرض كفاية، كالطب والحساب المحتاج إليه في المعاملات وقسمة الوصايا والموارث..

- قال الغزالي: ولا يُستبعدُ عنها في معاشهم، كالفلاحة فرض كفاية، فالطب والحساب أولى، وأما أصول العقائد فالاعتقاد المستقيم مع التصميم على ما ورد به القرآن والسنة فرض عين، وأما العلم المسمى بعلم الكلام، فليس بفرض عين، ولم يكن الصحابة يشتغلون به.

* قال الإمام ولو بقى الناس على ما في صفوة الإسلام دون ابتداء لما أوجبنا التشاغل به، وربما نبينا عنه، فأما اليوم وقد ثارت البدع، فلا سبيل إلى تركها تلتطم، ولا بد من إعداد ما يدعى به إلى المسلك الحق، وتُزال به الشبه، فصار الاشتغال بأدلة العقول فرض كفاية، فأما مَنْ استراب في أصل من أصول الاعتقاد فيلزمه السعي في إزاحته حتى تستقيم عقيدته.

* قلت: أي النووي: ولا يتعين تعلم كيفية الوضوء والصلاة وشبهها إلا بعد وجوب ذلك فإن كان بحيث لو صبر إلى دخول لوقت لم يتمكن من إتمام تعلمها مع الفعل في الوقت، فهل يلزمه التعلم قبل الوقت؟ تردد فيه الغزالي، والأصح: ما جزم به غيره أنه يلزمه، كما يلزم السعي إلى الجمعة قبل الوقت لمن بُعد منزله، وإذا كان ما تعلق به الوجوب على الفور، كان تعلم كفيته على الفور، وإن كان على التراخي كالحج، فتعلم الكيفية على التراخي، وأما علم القلب وهو معرفة أمراض القلب، [كالخسد والعجب والرياء وشبهها] فقد قال الغزالي: معرفة حدودها وأسبابها وطبها وعلاجها فرض عين، وقال غيره: فيه تفصيل، فمن رزق قلباً سليماً من هذه الأمراض المحرمة كفاه ذلك، ومن لم يسلم وتمكن من تطهير قلبه بغير تعلم العلم المذكور وجب تطهيره، وإن لم يتمكن إلا بتعلم وجب، وقد سبق في كتاب الصلاة

(١) راجع «روضة الطالبين» للإمام النووي (٧/٤٢٤). ط. دار عالم الكتب.



وجوب تعليم الصغار على أوليائهم.

* ومن فروض الكفاية: معرفة أصول الفقه، والفقه، والنحو، والفقه، والتصريف، وأسماء الرواة، والجرح والتعديل، واختلاف العلماء واتفاقهم، وقد يكون من العلم مستحب، كالتبحر في أصول الأدلة بالزيادة على القدر، الذي يحصل به فرض الكفاية، وكتعلم العامي نوافل العبادات لفرض العمل، لا لما يقوم به المجتهدون من تمييز الفرض من النفل، فإن ذلك فرض كفاية في حقهم.

- قال صاحب الحاوي: وإنما يتوجه فرض الكفاية في العلم على مَنْ جَمَعَ أربعة شروط وهي:

١- أن يكون مكلفًا.

٢- ومَنْ يتقلد القضاء لا عبدًا ولا امرأة.

٣- وأن لا يكون بليدًا.

٤- وأن يقدر على الانقطاع إليه بأن تكون له كفاية.

- ويدخل الفاسق في الفرض ولا يسقط به؛ لأنه لا تُقبل فتواه للمستفتين، وفي دخول المرأة والعبد وجهان؛ لأنها أهل للفتوى دون القضاء.

- واعلم أن تعليم الطالبين، وإفتاء المستفتين فرض كفاية، فإن لم يكن مَنْ يصلح إلا واحد وكان هناك جماعة، ولا يحصل الفرض إلا لكلهم، تعين عليهم، وإذا كان هناك غير المفتى، هل يآثم بالرد؟

وجهان: أصحهما: لا، وينبغي أن يكون المعلم كذلك، ويُستحب الرفق بالمعلم والمستفتي، فهذه أنواع العلوم الشرعية، ووراءها أشياء تسمى علومًا منها: محرم، ومكروه، ومباح. فالمحرم: كالفلسفة والشعوذة والتنحيم والرمل، وعلوم الطبائعين، وكذا السحر على الصحيح، فكل ذلك محرم، وتتفاوت دركات تحريمه.

- والمكروه: كأشعار المولدين المشتعلة على الغزل والبطالة.

- والمباح: كأشعار المولدين التي ليس فيه سخف، ولا شيء مما يكره، ولا يُنشط إلى الشر



أو يُثبَط عن الخير ولا يَحْث عليه، أو يُسْتَعان به عليه، والله أعلم.

* فرع: إذا تعطل فرض كفاية أثم كل مَنْ علم به وقدر على القيام به، وكذا مَنْ لم يعلم وكان قريباً من الموضع يليق به البحث والمراقبة.

- قال الإمام: ويختلف هذا بكبر البلد وصغره، وقد بَلَغَ المتعطل مبلغاً ينتهي إلى سائر البلاد، فيجب عليهم السعي في التدارك، وفي الصورة دليل على أنه لا يجوز الإعراض والإهمال، ويجب البحث والمراقبة على ما يليق الحال.

فرع: إذا قام بالفرض جَمْعٌ لو قام به بعضهم يسقطُ الحرجُ عن الباقيين، كانوا كلهم مؤدين للفرض، ولا مزية للبعض على البعض، وإذا صلى على الجنازة جمع، ثم آخرون، كانت صلاة الآخرين فرض كفاية كالأولين.

قلت: أي النووي - للقائم بفرض الكفاية مزية على القائم بفرض العين^(١).

- وقد قال إمام الحرمين في كتابه «الغياثي»: الذي أراه أن القيام بفرض الكفاية أفضل من فرض العين؛ لأنه لو ترك المتعين اختصاص هو بالإثم، ولو فعله اختصاص بسقوط الفرض، وفرض الكفاية لو تركه أثم الجميع، وفرض الكفاية لو فعله سقط الحرج من الجميع، وفاعله ساعٍ في صيانة الأمة عن المأثم، ولا يشك في رجحان من كل محل المسلمين أجمعين في القيام بهم من مهمات الدين.. والله أعلم.

* وسائل تحقيق التربة العلمية:

١- أن يسأل العبد ربه العلم النافع، وأن يستعين به - سبحانه وتعالى، ويفتقر إليه - جَلَّ جلاله - والناظر في كتاب الله تعالى يجد أن الله قد أمر نبيه ﷺ بسؤاله أن يزيده علماً إلى علمه، فقال جَلَّ وعلا: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿طه: ١١٤﴾.

(١) انظر.. روضة الطالبين للإمام النووي - رحمه الله تعالى - (٧/ ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧)، ط. دار عالم الكتب.



وكان ﷺ يدعو فيقول: «اللَّهُمَّ أَنْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي وَزِدْنِي عِلْمًا»^(١)،
فاحرص - أخي الحبيب على سؤال الله تعالى أن يُعلمك وأن يفهمك وأن يسدّدك وقل:
«اللهم يا مفهم سليمان فهمني، ويا معلم داود علمني».

٢- اجتنب جميع المعاصي صغيرها وكبيرها: وذلك لا يكون إلا بتحقيق التربية الإيمانية
«من إخلاص وتقوى»، إذ أن ذلك من أعظم الوسائل وأنجحها لتحصيل العلم الشرعي
النافع..

يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ويقول تعالى أيضًا:
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

* ولعلّ هذا واضح جلي: فكلُّ من اتقى الله تعالى رزقه العلم النافع الذي يفرق به بين
الحق والباطل، ولهذا يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إني لأحسب أن الرجل ينسي العلم
قد علمه بالذنوب يعملها»^(٢).

* ويقول الإمام مالك للشافعي - رحمهما الله تعالى: «إِنِّي أَرَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ قَدَّفَ فِي قَلْبِكَ
نُورًا فَلَا تُطْفِئُهُ بِظُلْمَةِ الْمَعْصِيَةِ»^(٣).

* فاحرص - عبد الله - على التزود من التقوى، واجتنب المعاصي كبيرها وصغيرها،
واعلم أن المعاصي سببٌ رئيس لإغلاق باب الفتوح الإلهي والتوفيق الرباني.
وللتزود في هذا الباب يحسن بك أخي الحبيب أن تراجع كتاب «الجواب الكافي لمن سأل
عن الدواء الشافي» والمعروف بين الناس حاليًا باسم «الدواء والدواء» لابن القيم - الله دره
- لتقف على ثمرات الطاعة، ومدى خطورة المعصية.

(١) رواه الترمذي (٣٥٩٩) واللفظ له، وابن ماجه (٢٥١)، (٣٨٣٣)، وصححه الألباني.

(٢) انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/١٩٦).

(٣) راجع الدواء والدواء لابن القيم، ص ١٠٤، ط. مكتبة النور الإسلامية.



٣- إدراك مقاصد طلب العلم: إنه ما من شك أن كل أمر من أمور الدنيا له مقاصد ووسائل وسمات، والمقاصد هي التي تحدد طالبها للرغبة فيها، والوسائل هي جادته لنيل مرغوبه ومطلوبه، والمتممات مسلكه في حفظ ما ناله وحصل عليه.

* ومقصود العلم بالنسبة لطلاب الآخرة (من يتعلمون على سبيل النجاة) هو: نيل رضا الله تعالى والفوز بجائزته تبارك وتعالى، بل من مقاصد العلم عندهم أيضًا: تطهير النفوس وتركيتها وترقي المراتب العليا في العبودية، والاجتهاد في مراتب الطاعة لتحصيل خشية الله تعالى وبالتالي تعظم الإنابة.

٤- العمل بالعلم: قال علي بن أبي طالب «يا حملة العلم اعملوا به فإن العالم من علم ثم عمل، ووافق علمه عمله، وسيكون أقوامًا يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف علمهم عملهم، يعقدون حلقة فيباهي بعضهم بعضًا، حتى أن الرجل ليغضب على جلسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا ترفع أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل»^(١).

وقد قال أحد السلف: «كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به»^(٢).

٥- القراءة مع الزملاء والأصدقاء وطلاب العلم قراءة منهجية^(٣)، يهتم فيها القارئ بدراسة الأصول الشرعية، إذ أنه من لم يتقن الأصول حُرِمَ الوصول^(٤).

٦- الاهتمام الكامل بدراسة الأصول الواجبة في كل علم:

* لأنه من المعلوم أن أهل العلم قسموا العلوم إلى فروع وأصول، ولكل فن آتته، وفرقوا

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٧/٢).

(٢) راجع: «أهمية وجوب العمل بالعلم الشرعي» في كتاب «اقتضاء العلم العمل» للخطيب البغدادي، بتحقيق الشيخ الألباني رحمه الله، ط. المكتب الإسلامي.

(٣) يراجع: كتاب بناء المفاهيم - دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، تأليف مجموعة من الباحثين، وقدم له الدكتور طه جابر العلواني، ص ٥٢-٥٦، ط. دار السلام.

فيه بين ما كان فرض عين وما كان فرض كفاية، وبالمثال يتضح المقال:

العلم في الإسلام:

(أ) علوم أصلية: وهي (العقيدة، التفسير، الحديث، الفقه، السيرة، والتاريخ).

(ب) علوم مساعدة «الألة»: وهي (علوم اللغة، وأصول التفسير، وأصول الحديث).

* فاحرص - عبد الله - على تعلم فروض الأعيان كتصحيح معتقداتك، وتصحيح فقهك وعبادتك، حتى تتقن هذه الفروض، كذلك فاحرص على دراسة المختصرات البسيطة بعيداً عن المطولات حتى يَسْهُلَ عليك حفظها، ولا تنتقل منها إلى غيرها إلا بعد حفظها وفهمها وهضمها، وهذا الذي أصْلُتُ هو فعل المتقدمين من أهل العلم، كما يَبَيِّنُ الحافظُ ابن عبد البر ذلك، فقال: «طلب العلم درجات ومناقب ورتب لا ينبغي تعديها، ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف - رحمهم الله، ومن تعدى سبيلهم عامداً ضل، ومن تعداه مجتهداً زل»^(١).

٧- من الوسائل المهمة في البناء العلمي والعقلي:

(أ) تطوير طرق التعليم والبرامج الثقافية، وذلك لأجل الارتقاء بمستوى القدرات العلمية وتجاوز ما يعانیه الجيل اليوم من سطحية وضيق أفق، ومن ملامح هذا التطوير الذي يمكن أن يسهم في الارتقاء بمستوى الشباب اليوم:

١- البعد عن الطرق الإلقائية الرتيبة، والاعتناء بالطرق الحديثة في التعليم.

٢- البعد عن الطرق التي تركز على اتجاه واحد في الاتصال، ويكون دور المعلم فيها هو الملقى، ودور الطالب هو التلقي والاستماع.

٣- مع أهمية الحفظ وحاجتنا إليه في العلم الشرعي، إلا أنه ينبغي ألا نعتمد عليه وحده، وألا يكون دور الطالب قاصراً على التذكر والاستدعاء فقط، بل لابد من الارتقاء إلى المستويات الأعلى منه في التحصيل (كالفهم والتطبيق والتحليل والتركيب والتقويم)^(٢).

(١) راجع (جامع بيان العلم وفضله) لابن عبد البر، (٢/ ٢٠٤).

(٢) انظر للاستزادة: تربية الشباب الأهداف والوسائل للأستاذ الشيخ / محمد بن عبد الله الدويش ص ٧١، ٧٢.



فحين يُقدّم للطالب درس في تعليم صفة الموضوع، فليطلب منه التطبيق بعد ذلك، وليُقدم المعلم لهم فيلمًا يسجل فيه مواقف عدة ويطلب منهم بناء على ذلك اكتشاف الأخطاء التي وقعت في الموضوع.

ومثله معلم العقيدة، حين يتناول موضوع القضاء والقدر، فليطلب من الطلاب مثلاً قراءة سورة الأنفال واستخراج ما يتعلق بهذا الركن العظيم، وليطلب منهم بيان آثار الإيمان بالقضاء والقدر على حياة المسلم، وذكر صور الانحراف والأخطاء في مفهوم القضاء والقدر لدى المسلمين اليوم.

٤- تطوير أساليب التقويم وطرقه، فبدلاً من أن يكون الواجب المنزلي يتعلق بأسئلة مباشرة يبحث الطالب عن إجابتها في الكتاب يُكلف المعلم الطالب مثلاً أن ينظر إلى المصلين الذين يقضون الصلاة، ويذكر عدداً من الأخطاء التي وقعوا فيها، وأن يقدم المعلم مقالة مكتوبة للطالب ويطلب منه نقدها وبيان ما فيها من سلبيات وإيجابيات.

٥- إعطاء فرصة للطالب في تقويم ما يسمع ونقده، بل تشجيعه على ذلك ودفعه له، بدلاً من أن تكون مهمته منحصرة في السؤال عما أشكل عليه، وأحياناً يدعو المعلم لذلك بقوله، لكن غضبه وانفعاله ونقاشه الحاد لما يقوله الطالب مخالفاً لرأيه يسهم في وأد روح النقد والتقويم لدى الطالب، وينبغي مع ذلك أن يراعى الاعتدال؛ فالإفراط في ذلك قد يؤدي إلى مناقشة البدهيات والمسلمات، أو تخريج طلاب يجيدون فن الجدل والخصومة، أو يسيئون الأدب مع الأكابر من أهل العلم - كما هو الحال الآن بعد الانقلابات العسكرية في كثير من البلدان العربية.

(ب) تطوير أساليب الخطاب ومضمونة:

إن الاعتناء بمضمون ما يقدم للناشئة في الدروس العلمية والمليقات الفكرية أمر له أهميته وأثره في بناء شخصية الطالب، ومن المقترح في ذلك:

١- الاعتناء باختيار الموضوع الذي يتحدث فيه المتحدث أو الكاتب، والبعد عن



الموضوعات التقليدية التي ملّ الناس منها وسئموها.

٢- الاعتناء بمحتوى ما يقدّم للناس، والإعداد الجيد له، وتقديم الجديد المفيد، حتى في تناول الموضوعات التي يتكرر طرقها يمكن للكاتب أو المتحدث أن يقدم الجديد في محتواها.

٣- البعد عن تقديم النتائج المباشرة، والسعي للإقناع من خلال الأدلة العلمية الموضوعية، والوصول للنتائج من خلال المقدمات.

٤- الاعتدال في الحماس للرأي والفكرة الشخصية، والتفريق بين الحكم الذي جاء بنص الشرع، وبين فهم فرد معين لمسألة أو نص شرعي^(١).

(ج) زيادة دور الطالب في التعلم:

تعتمد الاتجاهات التربوية الحديثة على تفعيل دور الطالب في التعلم والتلقي، وألا يكون دوره قاصرًا على مجرد الاستماع. ومما يعين على ذلك:

١- الاعتماد على الطرق الحديثة في التعليم وعدم التركيز على الطرق الإلقائية.

٢- الاعتناء بالبحوث مع مراعاة أن تكون مناسبة لمستوى الطالب، وكلما كانت قصيرة، وتتطلب الوصول إلى نتائج معينة -دون أن تعتمد على مجرد النقل والجمع- أمكن أن

(١) هذه المسألة نعاني منها كثيرًا؛ إذ نبالغ في الحماس لآراء وأفكار شخصية نسبية، ونتاجها بصورة قطعية تتوافر عليها دلائل المعقول والمنقول، ومن شأن هذا المسلك أن يسهم في تربية جيل لا يجيد الاعتدال والإنصاف، وفقه التعامل الشرعي الصحيح مع المخالف، لذا أنصح بقراءة كتاب «فقه التعامل مع المخالف» للشيخ الدكتور/ عبد الله بن إبراهيم الطريقي ط. دار الوطن - الرياض.

وكتاب «الضوابط الفقهية للتعامل مع المخالف في المسائل الأصلية والفرعية» للدكتور/ أحمد بن سعد حمدان الغامدي ط. دار الدراسات العلمية - مكة المكرمة، وكتاب «فقه الرد على المخالف» للشيخ/ خالد بن عثمان السبت على موقع «ملتقى أهل الحديث» على الشبكة العنكبوتية «الإنترنت».

تؤدي دورها.

٣- تعويد الطالب الوصول إلى المعلومات بنفسه من خلال السؤال والمناقشة، مع مراعاة أن يكون النقاش معيناً للوصول إلى المعلومة، دون أن يكون استظهاراً لما سبق، أو سؤالاً لا يعرف إجابته إلا من سبق له إدراك هذه المعلومة، ومن تأمل سنة النبي ﷺ وجد العناية بهذا الجانب، كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كنا عند النبي ﷺ فأتي بجمار فقال: «إن من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم» فأردت أن أقول هي النخلة فإذا أنا أصغر القوم فسكت. قال النبي ﷺ: «هي النخلة»^(١). قال ابن حجر: «قوله: (ووقع في نفسي) بين أبو عوانة في مسنده من طريق مجاهد عن ابن عمر وجه ذلك قال: فظننت أنها النخلة من أجل الجمار الذي أتى به، وفيه إشارة إلى أن الملمغز له ينبغي أن يتفطن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال، وأن الملمغز ينبغي له ألا يبالغ في التعمية بحيث لا يجعل للملمغز باباً يدخل منه، بل كلما قرّبه كان أوقع في نفس سامعه»^(٢).

(د) المحافظة على الطاقة العقلية:

طاقات الإنسان مهما بلغت وعظمت فهي محدودة، وذلك لا يصدق على الطاقة البدنية فحسب، فالطاقة العقلية والنفسية تحكمها السنة نفسها، وحتى تستثمر هذه الطاقة وتوظف في ميادينها المناسبة لابد من حمايتها من أن تبدد فيما لا طائل من ورائه. لذا فإشغال العقل بالتساؤل والبحث في أمور الغيب، أو بما لا فائدة فيه من أبواب العلم، أو بالتفاصيل التي لا ضرورة لها ولا حاجة، ولا يترتب عليها خير ومنفعة في دين ودنيا، هذا الإشغال سيكون على حساب أمور أخرى هي أهم وأحوج، إذا افترضنا أن هذا المتسائل أدرك من وراء تحصيله شيئاً.

(١) رواه البخاري (٧٢) ومسلم (٢٨١١).

(٢) فتح الباري (١/١٩٤).



لذا فقد استعاذ النبي ﷺ بربه من علم لا يتحقق من ورائه نفع ولا فائدة؛ فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل والهرم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليّها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها»^(١).

ووجه النبي ﷺ أمته إلى سؤال الله ذلك، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سلوا الله علماً نافعاً، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع»^(٢)، والدعاء يقتضي من المرء -مع الاستعانة بالله- سلوك الأسباب الموصلة إليه.

ولا يقف الأمر عند حد تحصيل المرء لعلم لا ينفعه يأخذ حيزاً من ذهنه، بل يولّد لديه اتجاهًا للتساؤل والبحث عن مثل هذه القضايا، ويصبح الانشغال بها ديدناً له. ويزداد تأكيد الأمر في هذه المرحلة المهمة من العمر، التي تعد مرحلة البناء والإعداد، وتزداد الخسارة حين تبدد هذه الطاقة فيما لا طائل وراءه.

(هـ) التَّعوُّذُ على القراءة الواسعة^(٣):

تمثل القراءة عاملاً مهماً في توسيع أفق الشخص وتنمية قدراته ومهاراته، ومن ثمّ فغرس حُبّ القراءة لدى الناشئة يترك أثره في نموهم العلمي والفكري. ويمكن أن يتم التعويد على حُبّ القراءة بطرق عدة، منها:

١ - الإحالة إلى أحد الكتب المهمة والشيقة عند الحديث عن قضية من القضايا، وكلما كان الكتاب متوفراً وقريباً من الطلاب كان أقرب إلى تحقيق هذا الهدف.

(١) رواه مسلم (٢٧٢٢).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٨٤٣)، وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥١١).

(٣) ينصح بقراءة مهارات القراءة السريعة.. تأليف إيلفين وود - جويس تريبي، ترجمة: هند رشدي، ط. كنوز للنشر، والتوزيع...، وكتاب (اكتساب العادات الإيجابية للنجاح والتفوق) تأليف: هند رشدي ط. دار مشارق



- ٢- وصف الكتاب والحديث عنه وطريقة مؤلفه ومزاياه.
- ٣- المسابقات العلمية ومن أفضّلها في غرس القراءة الواعية المدركة: أن يطلب من الطلاب قراءة كتاب أو جزء منه، ثم يطلب منهم الإجابة على أسئلة محدّدة، وذلك بعد فراغهم من قراءته، أما الأسئلة التي تُعطى سلفاً فالغالب أن يبحث الطالب عن الإجابة في الكتاب دون أن يقرأه ويستوعب ما فيه.
- ٤- اقتراح برامج متدرجة في القراءة، وذلك بأن تحدّد للطلاب فئات (أ، ب، ج، د) مثلاً، وكل مجموعة تحوي كتابين أو ثلاثة، وتكون هذه الفئات متدرجة في الصعوبة وحجم الكتاب، فحين يتم الطالب قراءة فئة (د) ينتقل إلى فئة (ج) وحين يتمها ينتقل إلى فئة (ب) وإذا أشيع روح التنافس والمسابقة في ذلك ازداد الدافع لدى الطلاب.
- ٥- الإهداء الخاص، وذلك بأن يقدم المعلم للطلاب هدية خاصة تتمثل في كتاب مناسب لمستوى تحصيله وإدراكه.
- ٦- تخصيص أوقات للقراءة، ويمكن أن يكون ذلك في حصص الانتظار، أو في برامج الأنشطة المدرسية، فيبقى الطلاب في المكتبة وعلى كل طالب أن يختار كتاباً مناسباً ليقرأ فيه.
- ٧- تأمين الكتب المناسبة والشيقة في المنزل والمدرسة، ومواطن تجمعات الشباب ولقاءاتهم.
- ٨- كتاب الشهر أو كتاب الأسبوع، وهو كتاب يُختار بعناية مما يناسب مستوى الطلاب، ويُعلن عنه مع صورة غلافه، وإذا أمّن بسعر مخفض فهذا حسن.
- ٩- زيارة المكتبات ودور النشر ومعارض الكتب، وإطلاع الشاب على محتوياتها وحثه على الشراء.
- ١٠- فاقد الشيء لا يعطيه، فحين يكون المعلم والمربي قارئاً، ويلمس تلامذته أثر ذلك في شخصيته، ويعتادون رؤية الكتب معه، واهتمامه بها، فإنهم سينشئون على حبّ القراءة.



ودون البرامج العملية التي تربط الطلاب بالقراءة وتدعوهم لها، لن يكون كثرة الحديث عن أهمية القراءة ودورها ذا أثر فاعل.

(و) الربط بالمصادر العلمية والفكرية المناسبة:

يحتاج الناشئ في البداية أن يوجَّه إلى اختيار المناسب في خضم الكم الهائل المتاح من مصادر التعلم، ومن ثم فتوجيهه للكتب المناسبة، والكتّاب المناسبين، والدوريات الموثقة الرصينة، والأشرطة العلمية الفكرية، مما يعينه على توسيع أفقه، ويسهم في تحقيق البناء العلمي والعقلي لديه بشكل أشمل.

ومع الحاجة إلى الانفتاح وزيادة دائرة اتصال الشاب بالمصادر العلمية إلا أنه لا يستغني عن الإرشاد والتوجيه مما يختصر عليه خطوات كثيرة.

وهذا إنما يجيده المربي الناضج الذي يتسم بسعة الاطلاع والقراءة الواسعة، أما أولئك الذين دعت الضرورة إلى الاعتماد عليهم فعليهم أن يعرفوا قدرهم، وألا يجعلوا الشباب ضحية تفكيرهم المحدود، واطلاعهم القاصر؛ فيمارسوا في حقهم الاسترقاق الفكري وقد ولدوا أحرارًا.

(ز) تنوع مصادر التعلم:

مهما بلغت قدرات المربي وطاقاته يبقى يمثل تجربة محدودة، وهو بشر يحمل من القصور والسلبيات ما يحمله غيره من البشر.

لذا كان لابد لتوسيع أفق المتربي، وتنمية قدراته، وبناء شخصيته العلمية والفكرية من فتح قنوات أخرى غير هذه، ومن ذلك:

١ - تنوع قراءاته وعدم الاقتصار على شريحة معينة من الكتّاب في إطار زمني أو مكاني محدد.

٢ - اتصاله الفكري واستفادته من عدد كبير من الأشخاص، من خلال استضافة بعض



المتحدثين بين آونة وأخرى، وزيارتهم واللقاء معهم، وكلما تنوعت تجارب هؤلاء واتسعت خبراتهم أسهم في استفادة الطالب منهم.

٣- التخلص من الممارسة غير المقبولة التي يفرضها بعض المربين -بحسن نية- من خلال طول أمد بقاء تلميذه مرتبطاً به دون سواه، وفرض حصار فكري عليه، ورفض كل ما لم يرد عن قناته التي يتحكم فيها، وما أصدق مقولة الفاروق هاهنا: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً» وقد يماً قيل: «لا تعرف خطأ أستاذك حتى تصاحب غيره».

وينبغي التأكيد هاهنا على التعامل المعتدل مع مثل هذه المقترحات، وعدم التطرف في استخدامها، ومراعاة التدرج، وأن القفزات المحطمة قد تحول التلميذ الناشئ إلى أتون فوضى فكرية قبل أن يدرك، وثمة تجارب جنى أصحابها ثمرة التطرف في الانفتاح غير المتزن.

إلا أن هذا التطرف والتسيب لا يعالج من خلال ممارسة الحصار والاسترقاق الفكري للأحرار من الناس.

(ح) الاعتناء بطرق التعليم الفردي:

توفر التربية المعاصرة نماذج من أساليب التعليم الفردي، التي يستطيع من خلالها الطالب أن يواصل التعلم بمفرده، دون الحاجة إلى معلم.

والاستفادة من هذه التجارب واستثمارها، بعد تطبيعها بما يتناسب مع الأوضاع التربوية، مما يعين على الوصول إلى أهداف قد نرى أن قدراتنا تعجز عنها.

والدعوة إلى استثمار طرق وأساليب التعلم الفردي لا تعني اعتبارها البديل الوحيد، فلا غنى للطالب عن الارتباط بمعلمه والاستفادة من كثير من خبراته.

(ط) لابد من تنمية المهارات العقلية حتى يكتمل البناء العلمي السليم عند هذا المتعلم، مع وضع العقل في إطاره الطبيعي تابِعاً للشرع وخاضِعاً له.
ومن المهارات العقلية:



١ - القراءة الذكية، وذلك بـ:

* القدرة على الاختيار المناسب لما تقرأ

* تعلم مهارات القراءة السريعة.

* تنمية القدرة على فهم المقروء، وبالأخص استيعاب الفكرة العامة التي يريد المؤلف إيصالها، والتفريق بين الفكرة العامة وبين الشواهد والأمثلة والتفريعات.

* تنمية القراءة الناقدة التي تجعل الشاب يفكر ويقوم ما يقرؤه دون التلقي المجرد، وينبغي أن يلحظ هنا التدرج، ومراعاة قدرات الشاب وثقافته، وأنه يحتاج إلى مرحلة يعتاد فيها القراءة، ومرحلة يفهم فيها وتُبني ملكاته العلمية، ومن المناسب أن يوجه الشاب في بدايته إلى كتابات مناسبة وكتاب مناسبين.

٢ - التعبير اللغوي السليم، (وذلك ليتعلم الشاب):

* القدرة على صياغة أفكاره والتعبير عنها تعبيرًا سليمًا.

* القدرة على استخدام اللغة الفصيحة في الحديث والبعد عن الألفاظ العامية.

* القدرة على استخدام المترادفات، لتهيئ له التعبير السليم بالقدر الذي يتناسب مع الموقف.

* القدرة على كتابة الأفكار بشكل سليم.

وبهذا يحتاج الشاب للاستماع لبعض أحاديث العلماء والخطباء الذين يمتلكون هذه

الملكات وتلك المهارات

٣ - الاستماع الناقد: بحيث يتمكن من التوصل إلى الفكرة الأساسية التي يريد المتحدث إيصالها حتى لا يحدث خلط بين الأفكار الرئيسة والفرعية.

ومن الممكن التدريب على ذلك عن طريق سماع خطبة في المنزل وتلخيص الفكرة العامة والأفكار الجزئية، وإبداء الرأي العام في ذلك.

٤ - الاستنباط السليم، وذلك باستخدام المعارف والمعلومات لتحقيق ذلك، كاستنباط



الفوائد من آيات القرآن الكريم وصحيح الأحاديث النبوية، وأحداث السيرة النبوية والأحداث التاريخية المهمة، مع مراعاة العمق والبعد عن الفوائد المكررة.

٥- تعلم أسس التفكير العلمي وطرق حل المشكلات: عن طريق القراءة الواعية ثم تحديد المشكلة، ثم فرض الفروض، ثم اختبارها، ثم الاختيار بينها.

٦- تنمية الاتجاهات العقلية السليمة: بالحيدة والموضوعية والبعد عن الذاتية أو الانحياز المسبق، والتعود على الدقة عند تحليل الحقائق وفحص الأدلة قبل إصدار الأحكام، وإطلاق التعميمات، مع النقاش الهادئ المتأني للأحكام التي يصدرها هذا المتعلم للوقوف على أدلته ومناقشتها، كذلك لابد من احترام الآخرين.

كذلك لابد من احترام آراء الآخرين وأفكارهم (ما لم تصطدم بالشرع)^(١).

٧- التخلص من معوقات التفكير السليم:

* كالتعصب لآراء الآباء والأجداد، وكالتعصب المذهبي أو الحزبي، أو الشخصي.

* وكالمبالغة والغلو في الآراء وتضخيم الأمور أكبر من حجمها^(٢).

* وكالتعميم الخاطئ.

* وعدم التسليم للأفكار الذاتية إلا إذا ثبت صحتها.

* ضرورة تعلم النقد الذاتي بدل التبريري.

* التفكير لابد أن يكون شمولياً وليس جزئياً.

* التفكير لابد وأن يكون جماعياً وموافقاً للسنن الكونية والشرعية.

٧- لابد من التحفيز على الجد في التعلم الذاتي، وتعلم مهارات البحث العلمي.

٨- عليك بالاجتهاد والسعي في طلب العلم بمنهجية على أيدي علماء أهل السنة

(١) راجع كتاب «فصول في التفكير الموضوعي» د/ عبد الكريم بكار ص ٤٥ ط. دار القلم - دمشق.

(٢) راجع «من أجل انطلاقة حضارية شاملة» د/ عبد الكريم بكار ص ٦٤ ط. دار القلم - دمشق.



والجماعة: حيث إنه من المقرر شرعاً وواقعاً وتاريخياً أنه ما من أثر يخلد أو جهد يبقى أو تركة تدوم إلا العلم النافع الذي يستفيد به صاحبه ويفيده الناس.

* لأجل هذا فإن أول خطوة يجب أن تخطوها الدعوة المباركة في هذا الدرب، أن يتواصى أتباعها فيما بينهم على ضرورة تدارك العمر في تحصيل العلم، وحفز الهمة في التنافس فيه وإليه، وإشاعة هذه الروح بين كل المتتمين إلى الصحة المباركة.

وأن يتحرك العلماء والدعاة في النداء إلى ثورة في مجال العلم ننفض به غبار الجهل العالق عبر مئات السنين، نبعث روح السلف الصالح في أجسادنا لتنتبه من رقدها وتستيقظ من نومتها^(١).

٩- من أسباب الانتفاع بالعلم: كثرة الاطلاع والقراءات الخاصة المرتبة المنتقاة، والاسترشاد في هذا السبيل بآراء ذوي العلم والخبرة من الراسخين في العلم، مع الحزم في التنفيذ والمتابعة^(٢).

ولكن!!

- أي علم هذا الذي يستفيد به صاحبه، وينفع به الناس!!

- وكيف يمكن دراسة هذا العلم؟!

- وعلى يد مَنْ يتلقى هذا العلم؟!

- وأي الكتب تقرأ في البدايات، ولكن يقرأ الشباب؟!.. إلخ..

* إن هذه الأسئلة وغيرها كثير تدور في أذهان الشباب - لا سيما - ونحن نعيش هذه الأيام زمان الفتن، نمر فيه بمراحل عصبية حيث يختلط الحق بالباطل، وتمتزج السنة بالبدعة،

(١) ننصح بمراجعة «٣٠ طريقة لخدمة الدين»، للشيخ/ رضا حمدي، ص ١١٤، ط. دار الوطن بمصر، وأنصح بسماع

محاضرة «المنهجية في طلب العلم» للشيخ/ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ على الشبكة العنكبوتية الإنترنت.

(٢) انظر رسالة «نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية» تأليف/ الشريف حاتم بن عارف «من موقع الدرر السنية

«www.dorar.net»



فكانت النتيجة الحتمية هي: اختلاط المفاهيم، وانقلاب الموازين، وانتشار الجهل وظهور أهله..

* في وسط هذه الرياح العاتية «رياح التغريب والجهل والشبهات»، ورياح «الإباحية والشهوات»، أقبل شباب طيب على الالتزام بهذا الدين الحنيف، زاهدين في شهوات هذه الدنيا الفانية.

* وفي الحقيقة فإنهم شبابٌ متدينٌ بالفطرة، مريدٌ للخير، محبٌ للعلم، ولقد عرفت كثيرًا من هؤلاء الشباب، واقتربت منهم، فوجدتهم - والله الحمد - مِنْ أنقى الناس سريرةً، وأنصعهم طهرًا، وأصفاهم عقيدةً، وأجزلم وعيًا، ورأيت منهم تسميرًا إلى الخير في حرص دائم، وفرارًا إلى الله تعالى من خلال طريقٍ عريضٍ لاجبٍ، إنهم شبابٌ أحاطت بهم سمات الهدى، لكنها ثقافة المطالعة تنقصهم، ولو أنهم أحنوا ظهورهم على كتب التفسير والحديث والاعتقاد طويلاً، واكتالوا من الأدب والثقافة العالمية العامة جزيلًا لأكملت أوصافهم ولتفردوا في المناقب، ولو أن هؤلاء الشباب انتقلوا بعقولهم (ولو بشكل مؤقت) من هذا الحاضر إلى ماضي سلفنا التليد العظيم فعاشوا مع أعلامهم وعقولهم، فسمعوا صريرها، وفهموا مقاصدها وحكمها، ورأوها وهي تدأب في حركتها وتفكيرها، فحبسوا أنفسهم على تلك الأقلام والعقول، ينظرون فيما سطرت وألهمت، وكيف أنهم - أي أئمة السلف - سادوا الدنيا من غير أن يجلسوا على مقاعد الجامعات والمعاهد العليا، لو أن الشباب فعلوا ذلك ثم عادوا بما ازدانت به عقولهم إلى حاضرهم، بعد أن يكونوا قد أخذوا سمت أصحاب تلك العقول والأقلام في الفهم والعلم والعمل، لرأينا أمتنا كلها في أعلى عليين، ولرأينا هذا الشباب على مشارف السؤدد الحضاري^(١).

(١) أنصح إخواننا بمراجعة بحث «علو الهمة» للشيخ/ محمد إساعيل، الباب الرابع، علو همة السلف في طلب العلم، ص ١٤١، وذلك حتى نشجذ همهم إخواننا الساعين في طلب العلم.



أَسْئَلُهُ حَائِرُهُ

* ولكنها الحيرة.. ولعلّ هذا يعرفه كل من له أدنى بصيرة بواقع الشباب المسلم الملتزم هذه الأيام.. حيث إنك تلمح في أعينهم التردد والاضطراب، وتلمس في تساؤلاتهم التحير، بل صرّح بعضهم، وقال قائلهم: «مَنْ نُصَدِّق، وَمَنْ نُكْذِب؟» «مِنْ أَيْنَ نَأْخُذُ دِينَنَا؟!»، «مَنْ نَتَّبِعُ؟!» * لأجل هذا وبعد هذه المقدمة المهمة نبدأ - مستعينين بالله - في الإجابة على ما يدور في خلد إخواننا - الساعين إلى طلب العلم الشرعي - من أسئلة:

- أولاً: إذا سألت «أي علم هذا الذي يستفيد به صاحبه، وينفع به الناس من حوله؟! فالجواب: إنّ العلم الذي يستفيد به صاحبه وينفع به غيره من الناس، هو العلم الشرعي المنهجي التأصيلي المأخوذ من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وهذا هو العلم النافع المرغّب فيه جملة وتفصيلاً.

* المنهجية في طلب العلم.. لماذا؟

إنّ المنهجية تعني: أن يسير الراغب في طلب العلم وفق منهج علمي رصين منظم يتوافق وقدراته وإمكاناته الشخصية.

* هذه المنهجية تقوم على ضبط الأصول العلمية الابتدائية لكل علم من العلوم الشرعية، إذ أنه مَنْ لم يتعلم الأصول حُرِّمَ الوصول.

* خطورة هجر المنهجية

ومن المعروف أن الساعي إلى طلب العلم إذا لم يسترشد في بداية الطلب، وإذا لم يُحقق المنهجية في طلب العلم، فإنه قد يضل فهمه، وتزَلَّ قدمه، أو ينقطع في وسط الطريق، فلا يُحصِّل علماً ولا يتقن فنّاً.

* ولعلّ هجر المنهجية من أعظم الآفات الناهشة في نسيج الصحوة، والآفة التي يعلمها كل طلبة العلم الآن أن مسيرة طالب العلم - إذا كانت له مسيرة أصلاً - متروكة لهواه



ومزاجه الشخصي، فهو يقرأ اليوم كتابًا فإذا ملَّه أو وجده صعبًا بعض الشيء، استساغ الترحل عنه، إلى كتاب آخر دون استشارة شيخ أو انتهاج منهج.

* وآخرون يتعجلون العلم كله فتراهم يقرءون الكتب التي اشتهرت بين العلماء دون اعتبار لمستواهم وإمكانياتهم في فهم وهضم المعلومة، وآخرون يقرءون الكتب ذات التجليد والغلاف الخلاب، فإذا ما كان الكتاب ذا ورق أصفر أو تجليدٍ منفر نفرت منه قلوبهم وتذرعوا بأن أعينهم لا تطيق النظر إلى الكتب الصفراء، وبعضهم قد يبدأ ولكنه يُراوح بين قدميه، ويمشي سريعًا ولكن مكانه، وبعضهم يقفز قفزًا، فتخفى عليه الدروب التي قد يقع في بعضها، ولا يشعر بتعب ذلك إلا وهو في بعض تلك المهالك.

* وآخرون كثر ليسوا بعلماء ولا أنصاف علماء، ولكنهم متطفلون على موائد العلم، شعارهم: قلت وعندنا ورجحت، فهم يُجرِّحون في الأئمة، ويقدحون في العلماء، فترى الواحد منهم يقول بسوء أدب: إن هذا الإمام لم يفهم الحديث، ويتناول أحدهم على الصحابة الكرام الأشراف الأطهار فيقول: هذا الصحابيُّ قوله مردودٌ، ونحو ذلك من العبارات التي لا طعم لها، ولكنها خرجت من أفئدة خاوية من توقير العلم وأهله، ومن عقول مفلسة من العلم وعدته ولقد صدق فيهم قول القائل:

ويقولون هذا عندنا غير جائز *** فَمَنْ أَنْتُمْ حَتَّى يَكُونَ لَكُمْ عِنْدُ

* إِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْآفَاتِ النَّاهِشَةِ فِي نَسِيجِ الصَّحْوَةِ يَجِبُ أَنْ تُسْتَأْصَلَ مِنَ الْجَذُورِ، وَتُسْتَبَدَلَ بِالْمِثْلِ الْكَامِلَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا سَلَفُ الْأُمَّةِ، فَلَنْ يَصْلَحَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَوَّلُهَا، وَلَقَدْ كَانَ مِنْهَجُ أَسْلَافِنَا الْأَوَائِلِ هُوَ الدِّرَاسَةُ الْمُنَهْجِيَّةُ التَّأْصِيلِيَّةُ «كحفظ المتن».

* وحتى تستأصل هذه الأدواء فلا بد وأن تكون مساجد الدعوة وبيوتات العلماء والدعاة صروحًا للعلم، ومنارات لطلبتها، ويجب أن يتعاون العلماء وطلاب العلم الشرعي الشريف فيما بينهم في إيجاد المرجعيات العلمية لكل العلوم، بحيث يسهل على طلبة العلم أن يدرسوا كافة الأصول العلمية الشرعية، ثم ينطلقوا منها لاختيار العلوم التي تميل نفوسهم إليها.



* وأما عن السؤال الثاني وهو «على يد من نتلقى العلوم الشرعية؟»

فالجواب بحول الملك الوهاب: إنك تطلب العلوم الشرعية على أيدي العلماء المتخصصين في تدريس هذه العلوم؛ لأن العالم بعلوم الشريعة هو أولى الناس بتوجيه وتعليم المسلمين؛ لأن له اليد الطولى، والباع الكبير في تحصيل العلوم الشرعية وفهمها فهماً صحيحاً.

* يؤكد ما أصلناه قول الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى: «من أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقق به أخذه عن أهله المتحققين به على الكمال والتمام»^(١).

* إذن الأصل في التعلم هو الدراسة على الشيوخ، وقراءة الكتب على يد العلماء المتحققين المتقنين، فإنهم - بعد عون الله تعالى - عون للطالب على فهم العلوم على وجهها الصحيح^(٢).

شبهة والرد عليها

* قد يقول قائل: وما الداعي إلى الذهاب إلى العلماء، ولماذا لا أقرأ الكتب الشرعية وحدي وأستفيد من شروحاتها وحواشيها على الإنترنت وأنهل من كنوزها العلمية؟! والجواب: نقول لمن أراد دراسة العلوم الشرعية وحده: ستضيع عمرك ووقتك هباءً، وستفسد أكثر مما تصلح، وإلا فما ظهر هذا التمزق الفكري، والتشتت الدعوى، والانقسام الحركي إلا بعد ظهور طلاب الكتب، وتلاميذ الصحف، فأصبحت ترى الفهم الأعوج، والفتاوى الشاذة، والتعاليم المقيتة، والجرأة على العلماء بغير دليل رشيد، ولا فهم سديد..

(١) الموافقات للشاطبي (١/١٩١) ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) بشرط ألا يتعصب طالب العلم لشيخه وأستاذه، وفي هذا يقول الشاطبي - رحمه الله تعالى -: «واعلم أن العلماء هم وسائل وأدلاء، والواجب تحكيم الشرع لا الأهواء، أو الحق بدلائله لا بقائله...» راجع «الاعتصام ٣/٤٥١»، كذلك قال: «إن تحكيم الرجال من غير التفات إلى كونهم وسائل للحكم الشرعي المطلوب شرعاً ضلال» راجع «الاعتصام ٣/٤٦٠» تحقيق الشيخ/ مشهور بن حسن آل سلمان ط. مكتبة التوحيد.



* ويرحم الله الشافعي إذ يقول: «من تفقه من بطون الكتب وحده ضيع الأحكام»^(١)، وكما قيل «من دخل في العلم وحده خرج منه وحده». فمن أراد المسلك السلفي الرشيد فعلية بأخذ العلم عن أهله..

من هو العالم؟!

* قد تقول: إذا كانت الكتب وحدها لا تفيد الطالب شيئاً دون فتح العلماء.. فَمَنْ هم العلماء، وهل للعالم المتحقق أمارات وعلامات؟! وهل كل رجل يشار إليه بالبنان لأنه من البلغاء أو الفصحاء في خطبه ومحاضراته ونحو ذلك يُقال له «عالم»؟^(٢)، أو هل كل من أطلق لحيته وقصر ثوبه وقام ببعض المهام الدعوية يطلق عليه لفظ «عالم»؟، «هل كل مَنْ حَصَلَ شيئاً من سماكة جلدة وجه كتاب، أو حَصَلَ جلدًا أو قرطاسًا يوصف بأنه عالم»؟! والجواب: لقد أصبح لزاماً علينا أن نحدد المفهوم الصحيح لمن يطلق عليه لفظ «العالم» -خاصة - في هذه الأزمان التي يستهين فيها بعض الناس بالعلم والعلماء، فلا يُعرف قدر العلم، ولا حق العلماء.

- فالبعض يظن أن العلم هو تكثير الكلام، وتحسينه بالقصص والأشعار، والإكثار من الوعظ والرقائق.

- ومن الناس مَنْ يتوهم أن العلماء هم هؤلاء الرؤوس الذين يخوضون في الأحداث السياسية فيتكلمون فيها بما يسمونه «فقه الواقع» بعيداً عن الأحكام الشرعية، فيفتنون فيها

(١) يراجع: «تذكرة السامع المتكلم»؛ لأن جماعة، ص ٥٨.

(٢) شاع عند بعض أهل عصرنا التفريق بين الداعية والعالم، فهم يطلقون وصف (داعية) على من تصدى للدعوة والوعظ والتوجيه والإرشاد، أما (العالم): فهو العالم بالدين عقيدة وأحكاماً، والصواب: أن الداعية يطلب فيه تعلم ما يدعو إليه أكثر من غيره، فإذا كان داعية للإسلام، فإنه عالم بالإسلام، فكل داعية عالم. راجع بحث: «الحقيقة الشرعية في تفسير القرآن العظيم والسنة النبوية» د/ محمد بن عمر بن سالم بازمول، ص ١٧٧، ط. دار ابن عفان.



على الله ورسوله وأولى الأمر الصادقين بلا هدى أو بصيرة.

- ومن الناس مَنْ صار العلم عنده هو مجرد ما في الكتب، فلم يُلقِ بالاً إلى حقيقة أن العلم نقلٌ وفهمٌ، والفهم محكومٌ بما عليه طريقة الرعيل الأول والطرز المكلل من الصحابة والتابعين ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، فصار ينبذ الاشتغال بالعلم، والجلوس في حلق العلم عند العلماء، وما درى أن من العلم أبواباً لا ينالها إلا بمشاهدة العلماء والأخذ عنهم..

- ومن الناس مَنْ العلم عنده هو كثرة الأسفار والارتحال لدعوة الناس بزعمه!!

ويقول: لسنا بحاجة إلى كتب جديدة، إنما نحن بحاجة إلى دعاة ودعوة، وما درى المسكين أن فاقد الشيء لا يُعطيه، وكيف تتم له الدعوة إلى الدين وهو جاهل به، لم يثن الركب على دروس العلم، ولم يشافه العلماء، ولم يصحبهم، ولم يعطِ العلم بعضه ولا كله، فهو منه في جذب وقحط.

- ومن الناس مَنْ لا يفرّق بين العالم المجتهد والرجل المقلد، وبين القصاص والواعظ، ولا بين طالب العلم والعالم، فالكل عنده علماء يستفتيهم ويأخذ عنهم، بل قد يرى أن الواعظ كثير الكلام كثير العلم، بل قد يراه بعضهم أعلى درجة من العالم؛ لأن العالم قليل الكلام، لا يجري في ذلك المضمار من القصص والاشعار والتحليلات والأفكار!! والله في خلقه شئون^(١).

- في وسط التشتت الفكري.. ترى المسلم الصادق بحاجة ماسة إلى معرفة سمات العالم الحقيقي.

الذي ينبغي أن يتصدر ليعلم الناس، وأن يحدثهم، وأن يكون مرجعاً للمسلمين عند التنازع في المسائل العلمية الشرعية، ينبغي للمسلم الصادق أن يعرف مَنْ هو العالم الذي يُستفتى - خاصة - عند حدوث النوازل وظهور الفتن والحوادث!؟

(١) راجع هذه الجزئية.. في بحث «معاملة العلماء» للشيخ الدكتور/ محمد بن عمر بن سالم بازمول - حفظه الله تعالى - ص ١١، ١٢ ط. دار الإمام أحمد... وهو بحث مهم جداً في بابه.



* إذن علينا أن نحدد - لإخواننا الشباب - المفهوم الصحيح لمن يُطلق عليه لفظ العالم، وهذا الأمر من الأهمية بمكان - خاصة في أزماننا هذه، إذ بسبب عدم الإدراك لهذه القضية تخلل صفوف العلماء مَنْ ليس منهم، فوقعت الفوضى العلمية التي نتجرع مرارتها إلى الآن، وكثرت الخلافات والاختلافات بين عموم شباب المسلمين نتيجةً لهذا الخلل الخطير^(١)، ولعلّ هذا هو ما أشار إليه الحافظ ابن رجب - رحمه الله - : «وقد ابتلينا بجهلة من الناس، يعتقدون في بعض مَنْ توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم مَنْ تقدم، فمنهم مَنْ يظن في شخص أنه أعلم من كل من تقدم من الصحابة ومَنْ بعدهم لكثرة بيانه ومقاله، ثم يقول - رحمه الله: «وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا، وظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم مَنْ ليس كذلك»^(٢).

* قلت: يرحم الله الحافظ ابن رجب وجميع أئمتنا، فإنه يحدثنا عن زمانه، فكيف لو اطَّلَعَ على متعالمه زماننا ممن يحدثون ويفتون الناس بالباطل، ويزينون للناس الضلال، شعارهم في ذلك إرضاء الأهواء، أو: «إجابة ما يطلبه المستمعون» كما يُقال ويُشاع.

* أخي الشاب الحبيب: إننا بتحديدنا لمفهوم العالم نقضي على التنازع والاختلاف والجدل السفسطائي، وهذا من أعظم الطرق لجمع كلمة المسلمين.

ما هي صفات
العالم؟!

* إن للعالم صفات كثيرة فمثلاً: رد التشابه إلى المحكم من صفات الراسخين في العلم.. يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ

(١) وهذا ما أكدّه «مجمع الفقه الإسلامي في دورته الثالثة عشر بالكويت - حيث أكد على ضرورة العمل الخيِّث» على إيجاد مرجعية علمية شرعية كبرى للعالم الإسلامي السني - خاصة - وأن أمتنا في أمس الحاجة إلى ذلك. [راجع مجلة الوعي الإسلامي العدد ٤٣٥ - ذو القعدة ١٤٢٢ هـ - يناير ٢٠٠٢ م ص ١٢، ١٣.

(٢) راجع رسالة: «فضل علم السلف على الخلف»، للحافظ ابن رجب الحنبلي، ص ٣٨، ٤٠، ط. دار الحديث.



فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِهِ ۚ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ [آل عمران: ٧].

- فالعالم من صفاته التي قررها القرآن أنه يَرُدُّ المتشابه إلى المحكم^(١)، ولا يتبع المتشابهة،

(١) المحكم لغة: من الحكم والقضاء، والعلم والفقه، وهو مصدر وحكم يحكم، والمحكم: الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب، ف قيل بمعنى مفعول أحكم فهو محكم، وفي حديث ابن عباس: (قرأت المحكم على عهد رسول الله ﷺ)، رواه البخاري بلفظ قريب (٤٧٤٨)، يريد المفصل من القرآن لأنه لم ينسخ منه شيء، وقيل: هو ما لم يكن متشابها لأنه أحكم بيانه بنفسه ولم يفتقر إلى غيره^(٢).

* وقال ابن فارس: الحاء والكاف والميم وهم أصل واحد، وهو المنع. وأول ذلك: الحكم وهو المنع من الظلم. وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها، وتقول: أحكمت الشيء، أي أتقنته^(٣).

* والمحكم اصطلاحاً: له تعريفات كثيرة منها:

(١) ما اتضح معناه واستقل بنفسه. (٢) ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى.

* أما المتشابهة لغة: الشبه ضرب من النحاس، يلقي عليه دواء فيصفر، وسمى شبيهاً لأنه شبه بالذهب، وفي فلان شبه من فلان: أي شبيهه، وتقول: شبهت هذا بهذا وأشبهه فلان فلاناً، وأشبه الشيء ماثله، والمتشبهات من الأمور المشكلات، وتشابه الشيئين أشبه كل منهما الآخر حتى التبس، وشبه فلان على إذا خلط واشتبه الأمر^(٤).

* وقال ابن فارس: (الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً... والمتشبهات من الأمور: المشكلات، واشتبه الأمران إذا أشكلا)^(٥).

* والمتشابه اصطلاحاً: له تعريفات كثيرة ومتنوعة. ولعل أفضلها أربعة وهي:

أ- ما لم يتضح معناه، إما لاشتراك أو إجمال أو غير ذلك.

ب- ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى.

ج- ما أشكل تفسيره لمشابهته لغيره.

د- ما لا يُبنى ظاهره عن مراده^(٦).

* (والقرآن الكريم كله محكم باعتبار، وكله متشابهٌ باعتبار، وبعضه محكم وبعضه متشابه باعتبار ثالث).

=



وهذا الأمر ممّا يميز أهل الحق والهداية عن أهل الضلال والغواية^(١).

- وقد جاء في الحديث ذكر الزجر والتخدير من الذين يتبعون المتشابه، فعن عائشة رضي الله عنها

قالت: «تلا رسول الله هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ.....﴾ إلى قوله ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا

أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] قالت: قال رسول الله: «فإذا رأيت الذي يتبعون ما تشابه

منه، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»^(٢).

* كذلك من أبرز صفات العالم أن علمه في صدره آيات بينات، فهو على بصيرة من دينه:

* ومعنى قولنا القرآن كله محكم: أي أن كلامه متقن فصيح يميز بين الحق والباطل، والصدق والكذب، أما وصف بعض الأحكام العام، وأما قولنا فالقرآن كله متشابه: أي أنه يشبه بالإحكام، والتشابه المعنى الاصطلاحي لهذين اللفظين^(٣).

* كذلك فإنه يجب علينا العمل بالمحكم والإيمان بالمتشابه: فلا تضرب النصوص بعضها ببعض، ولا نرد المحكم المتشابه^(٤).

- (١) ابن منظور لسان العرب ١٤١/١٢. ط. دار صادر.
(٢) معجم مقاييس اللغة (٩١/٢)، المصباح المنير. للفيومي ص ٥٦ ط. لبنان.
(٣) يراجع كتاب «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي. ت. د/مهدي المغزومي، د/إبراهيم السامرائي (٤٠٤/٣) ط مكتبة الهلال، وينظر: «المعجم الوسيط» الصادر عن مجمع اللغة (٤٩٠/١) ط. دار المعارف.
(٤) معجم مقاييس اللغة (٢٤٣/٢).
(٥) وللتوسع في تعريف المحكم والمتشابه راجع: «إعلام الموقعين» (٢٩٤/٢-٢٩٥) تحقيق/ طه عبد الرؤوف سعد، ط. دار الجيل، «شرح الكوكب المنير» لـ/محمد بن أحمد القنوجي الحنبلي (٤٥٠/١) ط. مركز البحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أم القرى، البحر المحيط للزركشي (٤٥٠/١) ط. وزارة الأوقاف الكويتية، وللاستزادة راجع: «تفسير ابن جرير الطبري» (١٧٠/٣-١٨٠) ط. المعارف، «الموافقات» للشاطبي، تحقيق الشيخ/ محمد عبد الله دراز (٨٥/٢) ط. المطبعة التجارية، «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨٣-٢٧٢/١٢)، «المستصفى» للفرازي (١٠٦/١)، ط. المطبعة الأميرية - بولاق، «الإحكام» لابن حزم (٤٤/١) ط. مطبعة العاصمة القاهرة، «الإحكام» للآمدي، ط. دار الكتب العلمية، «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (٢٩٠/٣) ط. مصطفى بابي الحلبي، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (١١٢/١) ط. دار المعرفة.
(٦) راجع مباحث في علوم القرآن. للشيخ/مناع القطان ص ٢٠٨ ط. مكتبة وهبة.
(٧) وللتوسع معرفة هذه القاعدة وكيفية تطبيقها. راجع «قواعد التفسير جمعاً ودراسة. للشيخ/خالد بن عثمان السبت (٢٦٢/٢، ٢٦٣) ط. دار ابن عثان.

(١) لمعرفة هذه النقطة بشيء من التفصيل والإيضاح.. راجع بحث «المحكم والمتشابه وعلاقته بقضية التفويض للشيخ

د/ محمود عبد الرازق من ص ١٩: ص ٣١ ط. مكتبة سلسبيل.

(٢) رواه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).



قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَظِرُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [٤٩] العنكبوت: ٤٩.

هذه سمة من أعظم وأبرز سمات أصل العلم، لهذا ترى أن علمهم كله قائم على الدليل من كتاب الله، وصحيح سنة رسول الله ﷺ.

لهذا وصفهم الله بأنهم أهل الذكر، وأمر بالرجوع إليهم حال السؤال عما لا نعلم، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَتَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٧] الأنبياء: ٧.

فعلمهم ليس بتطويل العبارة وفصاحتها ولا بكثرة الكلام، ولا بكثرة الرواية، شعارهم في ذلك ما صحَّ عن النبي ﷺ عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الحياء والعِيَّ شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق»^(١).

قال أبو عيسى الترمذي - رحمه الله: والعِيَّ: قله الكلام.

- والبذاء: هو الفحش في الكلام.

- والبيان: كثرة الكلام، مثل هؤلاء الخطباء الذين يخطبون، فيوسعون في الكلام، ويكثرون فيه من مدح الناس فيما لا يرضي الله^(٢).

إذن فعلم هؤلاء العلماء علمٌ راسخ، وهذا هو الفارق بينهم وبين غيرهم من الأدعياء الكذبة، ويرحم الله الإمام ابن رجب إذ يقول: «وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا، وظنوا أن من كثر كلامه وجد الله وخصامه في مسائل الدين، فهو أعلم ممن ليس كذلك، وهذا جهلٌ

(١) رواه أحمد في المسند (٢٢٣١٢)، ط. الرسالة، والترمذي (٢٠٢٧) وقال: حديث حسن غريب، إنما نعرفه من حديث أبي عَسَّان محمد بن مُطَرِّف، والسند رجاله ثقات، وفيه انقطاع، إذ حسان بن عطية رواية عن أبي أمامة لم يسمع منه، لكن للمتن شاهد بتمامه عند الدارمي في السنن (١/ ٤٤١)، وبه يرتقى الحديث إلى الحسن لغيره، وصحح الألباني إسناده في سنن الترمذي - والله أعلم.

(٢) راجع سنن الترمذي: كتاب البر والصلة - باب ما جاء في العِيَّ ص ٤٥٨ ط. مكتبة المعارف.



محض، وانظر إلى أكابر الصحابة وعلمائهم كأبي بكر، وعمر وعلي، ومعاذ، وابن مسعود، وزيد بن ثابت كيف كانوا؟ كلامهم أقل من كلام ابن عباس، وهم أعلم منهم، وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة، والصحابة أعلم منهم.

وكذلك تابعوا التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين، والتابعون أعلم منهم.

- فليس العلم بكثرة الرواية، ولا بكثرة المقال، لكن العلم نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق، ويُميز بينه وبين الباطل، ويعبر عن ذلك بعبارةٍ وجيزةٍ محصلة للمقاصد، وقد كان ﷺ أوتي بجوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصاراً^(١).

كذلك فالعالم يرى أن الحق والهداية في اتباع ما أنزل الله على لسان رسوله، قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦]، فلا يتبعون الرأي ولا يتخذونه أصلاً منهم.

* وهؤلاء هم الجهال الذين عناهم الرسول ﷺ في قوله فيما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم يترعه انتزاعاً من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»^(٢).

كذلك فمن صفات العالم؟!

- أنه يخشى الله تعالى، ويعمل بمقتضى علمه، حتى يكون قوله مطابقاً لفعله، فإن كان مخالفاً له فليس بأهل لأن يؤخذ عنه، ولا أن يقتدى به في العلم^(٣).. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «لا تكون تقياً حتى تكون عالماً، ولا تكون بالعلم جميلاً حتى تكون به عاملاً»، وعن الحسن - رحمه الله - أنه قال: «العالم هو الذي وافق علمه عمله، ومن خالف علمه عمله فذلك رواية

(١) فضل علم السلف على الخلف للإمام ابن رجب الحنبلي ص ٦٢، ٦٣.

(٢) رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٣) الموافقات للإمام الشاطبي (٩٣/١).



حديث، سمع شيئاً فقال^(١).

- وقال محمد بن سيرين: «إنَّ هذا العلم دين فانظروا عَمَّنْ تأخذون دينكم»، وقال أيضاً: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر في أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»^(٢).

- وقد روى ابن عبد البر عن سفیان الثوري قال: «العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شغلوا، فإذا شغلوا فقدوا، فإن فقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا»^(٣).

- ويُعرف العالم: يجده في طلب العلم، واجتهاده في التفقه في الدين، والتلقي عن المشايخ وملازمتهم زمناً طويلاً معتبراً، قال إبراهيم بن الأشعث: «إذا وجدتم الرجل معروفاً بشدة الطلب، ومجالسة الرجال فاكتبوا عنه».

وكما قيل: «لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم» فإن ظن أنه قد علم فقد جهل.

- كما يعرف العالم: بشيوخه مَنْ هم؟ وكيف هم؟، كذلك فإنه يكون ممن رباه الشيوخ في ذلك العلم، لأخذه عنهم، وملازمته لهم، ثم بشهادتهم له برسوخ قدمه في هذا العلم، أو إجازتهم إياه^(٤)، قال مالك: «ليس كلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يجلس في المسجد للتحدث والفتيا جلس، حتى يُشاورَ فيه أهل الصلاح والفضل، وأهل الجهة من المسجد، فإن رأوه أهلاً لذلك جلس، وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم أني موضع لذلك»^(٥).

(١) راجع: «الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام»، للدكتور/ محمد إساعيل المقدم، ص ٣٩٦، ط. دار الإبيان بالإسكندرية.

(٢) رواهما مسلم في مقدمة صحيحه.

(٣) ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٢٤).

(٤) راجع كلاماً نفيساً حول هذا الأصل للإمام الشاطبي -رحمه الله- في كتاب الفذ المانع (الموافقات) [١/ ١٣٩- ١٤٠] ط. دار ابن عفان.

(٥) ينظر: «الديباج المذهب في علماء المذهب»، لابن فرحون المالكي، تحقيق د/ محمد الأحدي أبو النور، ص ٢١، ط. دار التراث للطبع والنشر بالقاهرة.



* ومن أهم ما يُعرف به العالم تركه للتقليد^(١)؛ لأن المقلد يأخذ بقول غيره دون حجة، وبالتالي فالمقلد ليس عالمًا، وقد نقل بعض أهل العلم الإجماع على ذلك^(٢).

- ويعرف العالم بكبر سنه، حيث إن الكبير غالبًا ما يكون أغزر علمًا، وأكمل عقلًا، وأبعد عن غلبة الهوى، وقد قال الخطيب البغدادي - رحمه الله: «لا يزال الناس بخير ما كان علماءهم المشايخ، ولم يكن علماءهم الأحداث».

ويعلل هذا التفسير قائلًا: «لأن الشيخ زالت عن متعة الشباب، وحدته، وعجلته، وسفهه، واستصحب التجربة والخبرة، فلا يدخل في علمه شبهة، ولا يغلب عليه الهوى، ولا يميل به الطبع»^(٣).

ويعرف العالم بآثاره من الإنتاج العلمي والتصنيف، والدروس والفتاوى، وكذا تلاميذه، ويعرف بتميزه ورسوخ قدمه في مواطن الشبهات حين تضل الأفهام، وتزلزل الأقدام، وبموافقه العلمية والعملية، وثباته في الفتن والابتلاءات، وأخذه بحظ وافٍ من

-
- (١) فائدة: من علم حكم الشرع في مسألة من المسائل بدليلها فهو عالم، ومن أخذ بقول غيره دون معرفة الدليل، فهو مقلد وليس بعالم - وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على ذلك.
- ومن علم المسألة بدليلها، إن علمها بدليلها مع نظره في الأقوال المختلفة فيها وأدلتها، وأخذه بحسب الراجح عنده بما ظهر له، فهو المجتهد.
- ومن علم المسألة بدليلها، بمعنى أنه أخذ بالقول في المسألة الذي ظهر له دليله، دون أن يعمل نظره في الأقوال الأخرى، وينظر فيها، إنما علم الراجح بدليله فقط، فهو متبع.
- والمجتهد إن كان هذا نهجه في جميع مسائل العلم، لا يُلزم نفسه في النظر بأصول مذهب معين، فهو المجتهد المطلق، فإن ألزم نفسه عند النظر في المسائل بأصول مذهب معين، فهو مجتهد مقيد، أما إن كانت هذه حاله في جميع مسائل الشرع فهو مجتهد كلي، وإن كانت هذه حاله في بعض المسائل دون بعض، فهو المجتهد الجزئي، راجع «التأصيل في طلب العلم» د/ محمد بن عمر بن مسلم بازمول ص ٤٨، ٤٩ ط. دار الإمام أحمد.
- (٢) وهذا بخلاف المتبع؛ لأن الاتباع هو: الأخذ بقول من أوجب عليك الدليل اتباع قوله.. وقد فصل ذلك الإمام ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١١٧/٢).
- (٣) نصيحة أهل الحديث، للخطيب البغدادي ص ٧ ط. دار الكتاب والسنة.



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعايشته لأحوال مصره، وتفاعله مع أحداث عصره..
ويعرف العالم بأنه مِمَّنْ كملت أهليته، وصحت عقيدته، وتحققت ثقته، وظهرت مروته،
وعرفت غصته، واشتهرت صيانتة^(١)، كما يعرف بمحاسن الأخلاق عموماً..
ويعرف العالم بالعبادة والتنسك والتورع والخشوع، كما يُعرف بأن يوضع له القبول في
الأرض^(٢).

قال ابن تيمية: «وَمَنْ لَهُ فِي الْأُمَّةِ لِسَانٌ صَدَقَ عَامٌ بِحَيْثُ يَثْنَى عَلَيْهِ، وَيَحْمَدُ فِي جَاهِرِ
أَجْناسِ الْأُمَّةِ، فَهُوَ لِأُمَّةِ الْهُدَى وَمَصَابِيحِ الدُّجَى»^(٣).

- كذلك فإن العالم الحقيقي: إذا احتاج الناس لعلمه ألزم نفسه التواضع للعالم وغير
العالم، ولا يطلب بعلمه شرف منزلة عند الملوك، ولا يأخذ على العلم ثمناً، ولا يستقضى
بعلمه الحوائج، ولا يقرب أبناء الدنيا ويباعد الفقراء، بل يتواضع للفقراء والصالحين
ليفيدهم، وهو صبور على جفاء مَنْ جهل عليه حتى يرده بحلم، يؤدب جلساءه بأحسن ما
يكون من الأدب، هُمُّهُ فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَالْعَمَلِ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْمَنُ شَرَهُ مَنْ خَالَطَهُ،
ويأمل خيره مَنْ صاحبه، لا يؤاخذ بالعثرات، ولا يُشيع الذنوبَ عن غيره، ولا يُفشي سر من
عاده، ولا ينتصر منه بغير حق، بل يعفو عنه ويصفح.

* ذليل للحق، عزيز على الباطل، كاظم للغيب عَمَّنْ آذاه، شديد البغض لمن عصي
مولاه، يجيب السفية بالصمت عنه، والعالم بالقبول منه، لا مشاحن ولا مداهن، ولا مختال،
ولا حسود، ولا حقود، ولا سفية، ولا جافٍ، ولا فظ، ولا غليظ، ولا طعان، ولا لعان، ولا
مغتتاب، ولا سبّاب، يخالط من الإخوان مَنْ عاونه على طاعة ربه ونهاه عما يكرهه مولاه،
ويخالق بالجميل مَنْ لا يأمن شره.

(١) تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة ص ٥٨.

(٢) راجع بحث «الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام» د/ محمد إسماعيل من ص ٣٩٦ إلى ص ٤٠٠.

(٣) مجموع الفتاوى (٤٣/١١).



* هو سليم القلب من الغل والحسد، يغلب على قلبه حسن الظن بالمؤمنين..
* يربط الناس بكتاب الله وسنة رسوله، وبكلام الصحابة التابعين، فهو يعلم الناس أن العلم ليس بكثرة الرواية، ولا بكثرة المقال، ولا بضخامة الألقاب والمناصب، لكنه نور يُقذف في القلب يفهم به العبد الحق، ويميز به بين الحق والباطل، ويعبر عن ذلك^(١)، بعبارات وجيزة محصّلة للمقاصد، وقد كان ﷺ أوتي جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصاراً.
* كذلك فالعالم.. يرى أن الحق والهداية في اتباع ما أنزل الله على رسوله ﷺ قال تعالى:
﴿وَبَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

فلا يتبعون الرأي، ولا يتخذونه أصلاً لهم.
* وهؤلاء هم الجهال الذين عناهم الرسول ﷺ بقوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ يَنْتَزِعُهُ أَنْتَزَاعًا مِنْ صُدُورِ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جَهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَمَتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(٢).
- وقد عقّد ابن عبد البر في كتابه «جامع البيان العلم وفضله» باباً بعنوان «من يستحق أن يسمى فقيهاً أو عالماً حقيقة لا مجازاً»، فليراجعه من شاء..

* فإذا علمت سمات العالم المحقق، وأدركت أهم الصفات اللازم توافرها فيمن يُطلق عليه هذا اللفظ الشريف، فإنك ستدرك مَنْ هم العلماء على الحقيقة؟، ومن الذين يتزبون بزي العلماء زوراً وهتافاً؟!، وستسقط أمام عينك أقنعة عن وجوه أناس كانوا يحسبون عند الناس من أجله أهل العلم، فإذا هي بادية الصفرة، تضطرب على صفحاتها ذبالات أفناها الغرور وأماتها الجهل الفاضح، ولم يكتفِ أمثال هؤلاء بما فيهم من صفات سيئة، بل راحوا يزورون

(١) راجع رسالة «فضل علم السلف على الخلف». لابن رجب ص ٦٢، ٦٣.

(٢) رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).



الفتاوي العرجاء، ويُزخرفون الأقوال المزورة المبتورة من بطون الكتب ليسترضوا أولياء نعمتهم من الضالين والعلمانيين، ولم يكتفوا بذلك بل أخذوا يريشون سهام الحقد والحسد، ويستترون بالجدرد، ليرموا بها ظهور «أهل العلم من أهل السنة»، ظناً منهم أن سهامهم هذه سوف تردى هؤلاء النفر، تُسقطهم من أعين الشاب!!

- فارتدت سهامهم إلى صدورهم، فكبكوا هم ومن شايعهم من صناع الجهل في خيال الباطل، وصاروا إلى حال من السوء الفاضح أخجلهم حتى من أنفسهم^(١).

- ثم أخذ هؤلاء العملاء - في غير ورع ولا خوفٍ من الله - يوغرون الصدور عليهم، يُغرون السفهاء بهم، ويقولون بألسنتهم الكاذبة ما ليس فيهم، فتارةً يرمون أهل العلم من أهل السنة بأنهم من غير المتخصصين، وتارةً يرمونهم بأنهم من المغالين المتشددين، بل ويصفون أهل العلم من أهل السنة والجماعة بأنهم سببُ شقاء الأمة، وأنهم مغيبون عن واقع أمتهم، وهكذا.. ويظل أمثال هؤلاء من الأقزام يقولون في أهل العلم ما اعتادوا أن يقولوه - حسداً وكبراً ناسين أن الله سيحاسبهم على ما يقولون ويفعلون^(٢).

* ألا فاحذر - أخي الشاب - أمثال هؤلاء المزورين المضلين، ولا تغرنك - أخي الحبيب - الأسماء اللامعة، ولا المناصب العالية الرفيعة والتي قد تجد بعضاً منها في الجامعات الرسمية والكليات والمعاهد التعليمية، ولكن اتبع العلماء الربانيين الصادقين، والزم غرس علماء أهل السنة والجماعة، واسلك سبيلهم وتدرج على أثرهم، وتتبع فهمهم، فهم زوامل دين رب العالمين، الذين نطقوا بهم الكتاب وبه انطلقوا، وبهم قامت السنة وبها قاموا، واعلم أن الحق لا يُعرف بالرجال، ولكن اعرف الحق تعرف أهله.

* وأما السؤال الثالث وهو «كيف نتلقي العلم»؟

(١) يراجع «أخلاق العلماء» لأبي بكر الآجري، ص ٣٦، ط. دار الكتاب العربي.

(٢) أنصح بمطالعة بحث: «حقيقة العلم والعلماء»، للشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - خاصة ص ١٩، ٢٠ ط. مؤسسة الصحابة شبين الكوم.



فالجواب: أن هذا يحتاج إلى بحثٍ مستقل، ولكن مالا يُدرك كله لا يُترك جله، فأقول وبالله التوفيق: إذا ثبت أنه لابد من أخذ العلم عن أهله المتخصصين فيه، فلذلك طريقتان: * أحدهما: المشافهة.. وهي أنفع الطريقين وأسلمهما، لخاصية جعلها الله تعالى بين المعلم والمتعلم، يشهدا كل من زاول العلم ورافق العلماء، فكم من مسألة يقرأها المتعلم في كتاب، ويحفظها، ويرددها على قلبه فلا يفهمها، فإذا ألقاها إليه المعلم فهمها بغتة، وحصل له العلم بها لأجل هذا قالوا:

مَنْ يَأْخُذَ الْعِلْمَ عَنْ شَيْخٍ مَشَافَهَةً *** يَكُنْ عَنِ الزَّيْغِ وَالتَّحْرِيفِ فِي حَرَمٍ
وَمَنْ يَكُنْ آخِذًا بِالْعِلْمِ مِنْ صَحْفٍ *** فَعِلْمُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ كَالْعَدَمِ

* الثاني: مطالعة كتب المصنفين ومدوني الدواوين، وهو أيضًا نافعٌ في بابه بشرطين:

١- أن يحصل له من فهم مقاصد ذلك العلم المطلوب، ومعرفة اصطلاحات أهله، ما يتم له به النظر في الكتب، وذلك يحصل بالطريق الأول من مشافهة العلماء، أو مما هو راجح إليه، وهو معنى قول من قال: «كان العلم في صدور الرجال، ثم انتقل إلى الكتب، وبقيت مفاتيحه بأيدي الرجال»^(١).

- والكتب وحدها لا تفيد الطالب منها شيئاً دون فتح العلماء، وهو مشاهد معتاد^(٢).

٢- أن يتحرى كتب المتقدمين من أهل العلم، فإنهم أحق به من غيرهم، فالتأخر لا يبلغ من الرسوخ في علم ما بلغه المتقدم.

- وحسبك من ذلك أهل كل علم عملي أو نظري، فأعمال المتقدمين - في إصلاح دينهم ودنياهم - على خلاف أعمال المتأخرين، وعلومهم في التقعيد أقعد، فتحقق الصحابة بعلوم

(١) الموفقات للإمام الشاطبي (١/٩٨، ٩٩).

(٢) قلت: لقد نبت في هذا الزمان نابتة أقبلت على القرآن والسنة وحاولت فهمها استقلالاً دون الرجوع إلى العلماء الربانيين الصادقين القدامي والمعاصرين، وقالت: نحن رجال وهم رجال، فضلت وأضلت، والله نسأل أن يردنا وإياهم إلى الحق الذي يرضيه.



الشريعة ليس كتتحقق التابعين، والتابعون ليسوا كتابعيهم، وهكذا إلى الآن، ومن طالع سيرهم وأقوالهم وحكايتهم أبصر العجب في هذا المعنى، وحسبك قول نبيك ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»^(١).

* قد تقول: أريدك أن تحدد لي «أسماء بعض المتقدمين، والمتأخرين من أهل العلم، والفضل، وأن تحييني على سؤالي السابق «لمن نقرأ؟! والإجابة: بغير إسهاب ممل، أو اختصار مخل.. إنَّ أهل العلم في كل زمان وفي كل مكان والله الحمد كثر، ولكن سأذكر بعضهم خشية الإطالة.

* وهم بعد صحابة رسول الله جميعاً - وعلى رأسهم: الخلفاء الراشدون، هم سادة التابعين وعلى رأسهم: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير وعلى بن الحسين الملقب بـ«زين العابدين»، ومحمد بن الحنفية، وعبيد بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وسالم بن عبد الله بن عمر، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وعمر بن عبد الله العزيز، ومحمد بن شهاب الزهري - رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة-..

* ثم أتباع التابعين وعلى رأسهم: مالك، والأوزاعي، وسفيان الثوري، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وإسماعيل بن علية، والليث بن سعد، أبي حنيفة النعمان.

* ثم أتباع هؤلاء وعلى رأسهم: عبد الله بن المبارك، وكيع بن الجراح، الشافعي، عبد الرحمن بن مهدي، ويحيى بن سعيد القطان، وعفان بن مسلم.

* ثم تلاميذ هؤلاء وهم: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلى بن المديني.

* ثم أتباع هؤلاء وعلى رأسهم: البخاري، ومسلم، وأبي حاتم، وأبي زرعة، وأبي داود، والترمذي، والنسائي - رحمهم الله جميعاً.

* ثم مَنْ جرى مجراهم من بعدهم وعلى رأسهم: ابن جرير الطبري، وابن خزيمة،

(١) متفق عليه.



والدارقطني، والطحاوي، والآجري، وابن بطة، وابن أبي زمنين، والحاكم النيسابوري،
واللالكائي، والبيهقي وابن عبد البر، والخطيب البغدادي، والبغوي، وابن قدامة - رحمهم الله تعالى.
* ثم من تلاهم واقتفى أثرهم: كابن أبي شامة، ومجد الدين ابن تيمية، وابن دقيق العيد،
وابن الصلاح، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والمزي، وابن عبد الهادي، والذهبي، وابن القيم،
وابن كثير، والشاطبي، وابن رجب.

* ومن تلاهم واقتفى أثرهم في التمسك بالكتاب والسنة إلى يومنا هذا منهم: كالصنعاني،
ومحمد بن عبد الوهاب، والشوكاني، وعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، واللكوني، ومحمد
صديق خان، وشمس الحق العظيم آبادي، والمباركفوري، والسعدي، وأحمد شاكر، والمعلمي
اليمني، والشنقيطي، والسندي، والألباني، وابن باز، وحماد الأنصاري، وابن عثيمين،
والشيخ/ ابن جبرين، ود/ بكر بن عبد الله أبو زيد، ود/ عبد الكريم الخضير، والشيخ صالح بن
فوزان الفوزان^(١) والشيخ/ فريد الأنصاري، والشيخ/ عبد الرحمن حبنكة الميداني، د/ عبد
الكريم النملة، والأستاذ/ محمود شاكر، والشيخ/ عبد المجيد سليم (شيخ الأزهر)،
والشيخ/ جاد الحق علي جاد الحق (شيخ الأزهر)، والشيخ/ محمد حامد الفقي، والشيخ/ عبد
الرحمن الوكيل، والشيخ محمد الخضر حسين (شيخ الأزهر)، والشيخ/ علي محفوظ (عضو هيئة
كبار العلماء بالأزهر)، والشيخ العلامة/ عبد المحسن العباد البدر، وابنه، والشيخ/ عبد العزيز
الطريفي، والشيخ/ السعيد الكملي، والشيخ/ صالح العصيمي، والشيخ/ يحيى اليحيى،
والشيخ/ محمد الحسن ولد الددو الشنقيطي، والشيخ/ محمد المختار الشنقيطي، وغيرهم كثير
من علماء الإسلام والسنة في سائر الأقطار والأمصار.

* ثم لا بد من التنبيه على نقطة مهمة: وهي التمييز بين أهل العلم الربانيين، أهل المرجعية
العلمية والنوازل (كالشيخ/ الألباني، والشيخ/ عبد العزيز بن باز، والشيخ/ ابن عثيمين -

(١) راجع: الأزهار المثورة في تبيين أن أهل الحديث هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، للشيخ/ فوزي بن عبد الله
الأثري، ص ٢٢٣، ط. دار الفرقان.



رحمهم الله جميعاً)، وغيرهم ممن في مرتبتهم من أهل العلم والفتوى من أهل السنة والجماعة
فهؤلاء لهم مرتبتهم ومنزلتهم.

- وبين طلبة العلم المبرزين الذين عُرِفَ علمهم، وبانت استقامة منهجيتهم عن طريق
كتبهم، وتزكية أهل العلم الربانيين لهم فهؤلاء لهم مرتبتهم ومنزلتهم^(١).

- وبين من هو دونهم من طلبة العلم الذين عرفت سلفيتهم وقدرتهم على التعليم.
* فلا بد وأن ننزل الناس منازلهم، وأن نعرف لكل واحد منهم قدره، وفضله..

(١) قد يقول قائل: إن الأشياخ المذكورين سلفاً ليسوا من بني أوطاننا، فهل نكتفي بدراسة العلوم الشرعية على
شيوخنا المحليين؟

والجواب: صحيح أن أكثر أشياخنا الذين ذكرناهم ليسوا من أهل القطر المصري، لكن العلم لا يحده زمان أو
مكان، والواجب معرفة الحق لمعرفة أهله، لهذا لا مانع من الحرص على قراءة كتبهم، وسماع محاضراتهم،
والانتفاع بعلومهم، فالعلم رحمٌ بين أهله، وثقة الناس في أشخاص بأعينهم هو محض فضل الله الذي يؤتيه مَنْ
يشاء، وعلى كل حال فإننا نؤكد أنه لا يخلو زمان ولا مكان من قائم لله بحجة، صحيح قد يتفاوت الناس في العلم
والمعرفة، لكن ينبغي على طالب العلم أن يجعل الحكمة ضالته أنى وجدها فهو أحق الناس بها، كذلك عليه: أن
يتعرف على أشياخ العلم (من أهل السنة في بلاده) ليسهل عليه مراجعتهم عند الحاجة، سواء كانوا من العلماء
الرسميين، أو غير الرسميين ممن توافرت فيهم شروط الأهلية، وسلامة المعتقد، وصحة المنهج، والثبات على
الحق أمام الضغوط المتلاحقة.



ما هي أهم الكتب التي يُنصح بقراءتها؟!

* قد يقول قائل: لقد وضحت لي - والله الحمد - الطريقة الصحيحة لطلب العلم، ولكن - ولشديد الأسف - تعج الأسواق بالكتب، فمنها النافع المفيد، ومنها غير ذلك، فَهَلَّا قمت - شكر الله لك - بذكر الكتب أو المراجع النافعة الموثقة التي أرجع إليها في بداية طلبي للعلم حتى لا أتخطئ بخطأ عشوائياً؟!

والجواب: إن شاء الله أصغ لك منهجاً علمياً نافعا، وأذكر فيه الكتب التي نصح بها أهل العلم في بداية طلب العلم الشرعي، وجعلته على صورة جداول ومراحل مختلفة لتناسب مختلف القراء والطلاب بكافة مستوياتهم العلمية، من بداية «الاستقامة» وحتى المراحل التخصصية^(١).

أولاً: مرحلة (بداية الهداية):

مرحلة (بداية النهاية) وهي مرحلة خاصة بالعلم الذي لا يسمع المسلم جهله، مع توسع يسير يصلح لطالب العلم مستقبلاً.

* أهداف هذه المرحلة:

- ١ - معرفة ما لا يسع المسلم جهله من الدين لتستقيم حياته وفق شرع الله.
- ٢ - رفع الجهالة - بإذن الله - عن المسلم.
- ٣ - ضبط بدايات طالب العلم وإعداده لتلقي العلوم الشرعية بضوابط أهل العلم.
- ٤ - دفع الشبهات ومحاربة الشهوات التي تنتشر في بلاد المسلمين كي يسلم للمرء دينه.

(١) أنصح بسماع محاضرات «كيف يكون طالب العلم مكتبته؟» للشيخ العلامة عبد الكريم الخضير، فقد أجاد فيها وأفاد.

المرحلة الأولى: بداية الهداية:

المواد الدراسية لهذه المرحلة:

المادة	فروع المادة	المرحلة الأولى: (بداية الهداية)		
		الفصل الدراسي الأول	الفصل الدراسي الثاني	الفصل الدراسي الثالث
القرآن الكريم	تلاوة القرآن	* ختم القرآن / ٣٠ يومًا	* تلاوة القرآن / ٢٠ يومًا	* تلاوة القرآن / ١٥ يومًا
	حفظ القرآن	* جزء عم	* تبارك وقد سمع	* الذاريات والأحقاف والشورى
	تجويد	* تحفة الأطفال	* الجزرية	* البرهان في تجويد القرآن
	غريب القرآن	* البيان في معاني القرآن للشيخ/ مصطفى العدوي	* كلمات القرآن ٢	* كلمات القرآن ٣
	تفسير القرآن	* زبدة التفسير (جزء عم) د/ محمد سليمان الأشقر	* زبدة التفسير (جزء تبارك وقد سمع)	* زبدة التفسير (الذاريات والأحقاف والشورى)
	علوم القرآن	* مباحث في علوم القرآن للشيخ/ مناع القطان	* أصول في التفسير للشيخ/ ابن عثيمين	* مباحث في علوم القرآن
	أصول الشريعة	* الأربعون النووية	* شرح الأربعين النووية للشيخ/ ابن عثيمين	* جامع العلوم والحكم ٢
الحديث الشريف	أحكام	* عمدة الأحكام ١	* عمدة الأحكام ٢	* عمدة الأحكام ٢
	الحديث علوم		* المنظومة البيقونية	* تيسير مصطلح الحديث للطحان



العقيدة	* البداية في العقيدة للشيخ/ وحيد بالي * أصول الإيمان/ مجموعة من العلماء، ط. مجمع الملك فهد المملكة العربية السعودية.	* العقيدة الإسلامية للشيخ/ محمد بن جميل زينو	* (٢٠٠ س، ج في العقيدة) للمحافظ الحكمي * العقيدة الواسطية * سلسلة العقيدة للأشقر
السيرة	* جوامع السيرة لابن حزم	* صور من حياة الصحابه والتابعين د/ عبد الرحمن رأفت الباشا	* وقفات تربوية مع السيرة النبيه للشيخ/ أحمد فريد * مختصر الشاغل المحمدية للألباني
الفقه المذهبي	* الفقه الميسر (إعداد لجنة من العلماء)	* منهاج السالكين للشيخ السعدي	* إرشاد أولي الأبصار والألباب لنيل الفقه للشيخ السعدي. * مذكرة الفقه للشيخ ابن العثيمين
أصول الفقه والقواعد الفقهية	* الواضح في أصول الفقه للشيخ/ محمد سليمان الأشقر	* القواعد الفقهية (السعدي)	
النحو	* التحفة السنية في شرح الآجرومية. * النحو التطبيقي للأستاذ خالد عبد العزيز.	* البلاغة الواضحة للأستاذ/ علي الجارم	* كتاب: القواعد الأساسية في النحو- المقرر على الإعدادية والثانوية
السلوك والأخلاق	* التبيان في آداب حملة القرآن	* أخلاق العلماء للأجري	* الجدية في الالتزام * التخلص من رواسب الجاهلية * وكتاب: «إلى الهدى اثنا»



للشيخ / محمد يعقوب			
* أمراض القلوب لابن تيمية	* رسالة إلى كل مسلم لابن رجب	ماذا يريد الله منك؟ للشيخ / علي قاسم. * أعمال القلوب، مفسدات القلوب / الشيخ محمد صالح المنجد	التربية
* خصائص أهل السنة د/ أحمد فريد	* معالم في أصول الدعوة د/ محمد يسري. * ثغرات في بيوت الدعاة / الشيخ محمد صالح المنجد. * بيوت الدعاة والصالحين كما يجب أن تكون / الأستاذ محمد عبده، تقديم د/ مجدي هلال ^(١) .	* رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية والولاء والبراء للشيخ ابن عثيمين	المنهج الدعوي

(١) ملحوظة مهمة:

(١) أنصح كل مسلم في هذه المرحلة الاهتمام بحفظ القرآن الكريم، وحفظ سنة النبي ﷺ، وأنصح كل أخ بحفظ «قبس مختار من صحيح الأذكار» للشيخ / مصطفى العدوي، أو كتاب «حصن المسلم»، ليساعد الشاب في بداية تدينه واستقامته على الثبات، وليربي نفسه على الالتزام بالأذكار والأوراد الثابتة الصحيحة، ثم يجتهد في حفظ الوحيين (كتاباً وسنة) بإتقان.

(٢) نصيحتي للشباب الراغب في طلب العلم بشكل منهجي صحيح.. السير على هذا المنهج المكتوب، فإن لم يستطع فلا أقل من الاطلاع على سلسلة مختصرة مركزة بعنوان: «المدخل المفصل لدراسة العلوم الشرعية» تأليف الشيخ / أحمد بن منصور آل سبالك -عضو جبهة علماء الأزهر-، وفيها.. المدخل لدراسة علم العقيدة، المدخل لدراسة علم التفسير وعلوم القرآن، المدخل لدراسة علم الحديث، المدخل لدراسة التاريخ والحضارة، المدخل

=

ثانيًا: مرحلة (سنة أولى التزام)

مرحلة (سنة أولى التزام): تختص بتدريس كتاب جامع ميسر لكل فن من الفنون، ولكل علم من العلوم.

أهداف هذه المرحلة:

- ١- إلمام طالب العلم بالعلوم الشرعية على وجه جامع ميسر.
- ٢- الربط بين سائر العلوم الشرعية ربطاً تكاملياً صحيحاً.
- ٣- الإعداد لمرحلة المجتهد في طلب العلوم الشرعية، وتحصيل أدوات الاجتهاد الحقيقية.

لدراسة الفقه والأصول، المدخل لدراسة علم اللغة العربية وعلومها، «الثمر الداني في كيفية البحث في الفقه الإسلامي»، أو الاطلاع على كتاب «الجداول الجامعة في العلوم النافعة» تأليف د/ جاسم المهلهل آل ياسين، ط. مؤسسة الريان، أو مطالعة المستويات العلمية الخاصة ب زاد تحت إشراف الشيخ محمد صالح المنجد، أو كتاب التمرينات على عمدة الفقه، إعداد عشرة من المتخصصين، ط. فقهاء للتدريب والاستشارات، التابعة للجمعية الفقهية السعودية، ط. دار طيبة الخضراء، أو سلسلة التوجيهات النبوية، للشيخ سعد بن محمد الطحيس.

المواد الدراسية لهذه المرحلة:

المادة	فروع المادة	المرحلة الأولى: (بداية الهداية)		
		الفصل الدراسي الأول	الفصل الدراسي الثاني	الفصل الدراسي الثالث
القرآن الكريم	تلاوة القرآن	* تلاوة القرآن/ ٣٠ يومًا	* تلاوة القرآن/ ٣٠ يومًا	* تلاوة القرآن/ ٣٠ يومًا
	حفظ القرآن	* ٣ أجزاء (سبأ- فصلت)	* ٤ أجزاء (المؤمنون- الأحزاب)	* ٥ أجزاء (الرعد- الحج)
	مراجعة القرآن	* من جزء الشورى- إلى جزء عم	* سبأ- الناس	* المؤمنون- الناس
	تجويد	* غاية المريد في علم التجويد ١	* غاية المريد في علم التجويد ٢	* غاية المريد في علم التجويد ٣، للشيخ/ عطية قابل نصر
	المشابهات	* عون الرحمن للشيخ/ أبي ذر القلموني	* عون الرحمن	* الإيقاظ في تذكير الحفاظ للشيخ/ جمال عبد الرحمن
	غريب القرآن	* السراج في بيان غريب القرآن للشيخ/ محمد بن عبد العزيز الخضيري	* غريب القرآن للسجستاني	* غريب القرآن للسجستاني ٣
	تفسير القرآن	* زبدة التفسير- د/ محمد سليمان الأشقر (سبأ- فصلت)	* زبدة التفسير (المؤمنون- الأحزاب)	* زبدة التفسير (الرعد- الحج)



الحديث الشريف	علم القرآن	* لمحات في علوم القرآن للشيخ / محمد لطفي الصباغ	* أصول في التفسير د/ مساعد الطيار	* الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ / مقبل بن هادي الوادعي
	أصول الشريعة	* جامع العلوم والحكم	* جامع العلوم والحكم	* جامع العلوم والحكم
	أحكام فقهاء	* حفظ بلوغ المرام لابن حجر	* حفظ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان	* الجامع للخطيب البغدادي
	علوم الحديث	* المقدمة لابن الصلاح ١	* المقدمة لابن الصلاح ٢ * تدريب على التخريج	* حجية السنة للشيخ / عبد الغني عبد الخالق * مجلس قراءة في كتب السنن المسندة * قراءة شرح صحيح مسلم للنووي
العقيدة		* مختصر معارج القبول ١	* مختصر معارج القبول ٢ * طريق الهداية / دكتور محمد يسري إبراهيم .	* القول المفيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ / ابن عثيمين
السيرة		* الفصول في اختصار سيرة الرسول لابن كثير ١	* الفصول في اختصار سيرة الرسول لابن كثير ٢	* فقه السيرة للغزالي بتحقيق الألباني
الفقه	الفقه للمبتدئين	* حفظ كتاب الأدلة الرضوية في شرح الدرر البيهة للأستاذ / محمد صبحي حلاق	* الأدلة الرضوية	* الروضة الندية للاستاذ / صديق حسن خان
	أصول الفقه	* الوجيز في أصول الفقه للدكتور / عبد الكريم زيدان	* مذكرة في أصول الفقه للسنقيطي	* تاريخ التشريع الإسلامي للشيخ / محمد الخضري



اللغة العربية	النحو	* القواعد الأساسية في النحو والصرف ١	* ملحّة الإعراب	* قطر الندى لابن هشام الأنصاري
	البلاغة	* البلاغة الواضحة لعلّي الجارم ١	* علوم البلاغة د/ أحمد مصطفى المراغي	
السلوك والأخلاق		* مختصر/ منهاج القاصدين	* حلية طالب العلم	* علو الهمة لـ د/ محمد إسماعيل المقدم
التربية		* رياض الصالحين	* رياض الصالحين	* نزّهة الفضلاء بتهذيب سير أعلام النبلاء للدكتور/ محمد موسى الشريف
المنهج الدعوي والفكري		* بروتوكولات حكماء صهيون. * أحجار على رقعة الشطرنج. * ثقافة الداعية من معجم المصطلحات المعاصرة، د/ محمد يسري إبراهيم.	* معالم الانطلاقة الكبرى	* ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ للشيخ/ أبي الحسن الندوي * مذاهب فكرية د/ علاء بكر

ثالثاً: مرحلة «بداية الطالب المجتهد»

هدفها: إخراج جيل متخصص قادر على البحث في دقائق المسائل الشرعية، والذب عن حياض الإسلام، وتنقسم إلى أربعة مراحل..

* المرحلة الأولى (لتربية طالب علم مجتهد)

العلوم	الباب	القسم	الكتاب	المؤلف
١ - علوم الفقه ومقاصد التشريع	الفقه	فقه حديثي	مراجعة عمدة الأحكام	الإمام الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي
			مذاكرة تيسير العلام شرح عمدة الأحكام	عبد الرحمن البسام
		فقه مذهبي «أحد المذاهب»	١ - الحنبلي: كشف المخدرات شرح أخصر المختصرات	الشيخ/ زين الدين عبد الرحمن البعلي الدمشقي
			٢ - الشافعي: كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار	تقي الدين الحسيني الدمشقي الشافعي
	القواعد الفقهية	منظومة القواعد الفقهية		الشيخ/ ابن عثيمين
		قواعد الأحكام		العز بن عبد السلام
		الفروق الفقهية		أبو الفضل مسلم بن علي الدمشقي
	أصول الفقه	شرح الورقات		محمد العثيمين
	مقاصد الشريعة	مدخل لعلم المقاصد		نور الدين الخادمي
	٢ - علوم التفسير والقرآن	التفسير	التفسير الشمولي	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان
التفسير الفقهي			التفسير والبيان لأحكام القرآن	الشيخ/ عبد العزيز الطريفي
أصول التفسير		مقدمة أصول التفسير	شيخ الإسلام ابن تيمية	
علوم القرآن		المبهمات في علوم القرآن	د. خالد السبت	
		العقيدة الطحاوية		للإمام الطحاوي



العقيدة والتوحيد		القواعد المثل في صفات الله وأسمائه الحسنی	العلامة العثمین
علم أصول البدع	دراسات عامة	- قواعد معرفة البدع	- د. محمد حسين الجيزاني
		- دراسات في البدع والأهواء والفرق	- د. ناصر كريم العقل
	دراسات الشيعة	أصول مذهب الشيعة	د. ناصر القفاري
	دراسات الصوفية	هذه هي الصوفية	عبد الرحمن الوكيل
الفرق المارقة		القاديانية - الإسماعيلية زوايع في وجه السنة	د. إحسان إلهي ظهير الشيخ / صلاح مقبول
مقارنة الأدیان	النصرانية	دعوة أهل الكتاب إلى دين رب العباد	د. سعيد عبد العظيم
	اليهودية	اليهود في العالم القديم	د. مصطفى كمال عبد العليم، و د. سيد فرج راشد
شروح السنة		فتح الباري	لابن حجر
٤ - علوم الحديث	مصطلح الحديث	مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة	للإمام السيوطي
		شرح البيقونية - الباعث الحثيث	أحمد شاکر
٥ - الفكر والسياسة الشرعية	الفكر والدراسات الدعوية	كتاب نماء	إعداد: «موسوعة المربي»
		فقه الأولويات في الخطاب السلفي	د. محمد يسري
		خواطر في طريق الدعوة	الشيخ / محمد حسان
٦ - علوم السيرة والآداب واللغة	دراسات في السياسة الشرعية	- السياسة الشرعية لإصلاح الراعي والرعية	- شيخ الإسلام ابن تيمية
		- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة	- الشيخ / الدميحي
	السيرة	السيرة النبوية	د. الصلابي
	التراجم	من أعلام السلف	د. أحمد فريد



التاريخ	موسوعة التاريخ الإسلامي – ماذا قدم المسلمون للعالم!؟	د. راغب السرجاني
الآداب والرقائق	إغاثة اللفهان، حادي الأرواح كتب (الشيخ محمد صالح المنجد) ط. زاد، وكتب د/ خالد أبو شادي	ابن القيم الشيخ صالح المنجد / د. خالد أبو شادي
النحو واللغة	شذور الذهب	لابن هشام الأنصاري ^(١)

* المرحلة الثانية (لترية طالب علم مجتهد)

العلوم	الباب	القسم	الكتاب	المؤلف
١- علوم الفقه ومقاصد التشريع	الفقه	فقه	مراجعة بلوغ المرام من أدلة الأحكام	الحافظ ابن حجر
		حديثي	مذاكرة توضيح الأحكام من بلوغ المرام	العلامة البسام
		فقه مذهبي	١- حنبلي: عمدة الطالب منار السبيل شرح الدليل	الشيخ / منصور البهوتي العلامة إبراهيم ضويان
			٢- الشافعي: شرح ابن قاسم على متن أبي شجاع	ابن قاسم
			الإقناع	الخطيب الشريني
			مغني المحتاج	الخطيب الشريني
	القواعد الفقهية	مذهب حنبلي	القواعد الفقهية النورانية	شيخ الإسلام ابن تيمية
		مذهب	الأشباه والنظائر	الإمام السيوطي

(١) ملحوظة: يراعى مراجعة ما سبق حفظه من كتاب الله، وحفظ ستة أجزاء بالتجويد، مع العناية بالضبط على يد شيخ مجود متقن.



		شافعي		
الإمام ابن قدامة	الفروق الفقهية	الفروق الفقهية		
محمد حسين الجيزاني	معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة	أصول الفقه		
الطاهر بن عاشور	مقاصد الشريعة	مقاصد الشريعة		
الإمام ابن كثير	تفسير القرآن العظيم	التفسير الشمولي	التفسير	٢ - علوم التفسير والقرآن
ابن العربي المالكي	تفسير أحكام القرآن	التفسير الفقهي		
خالد بن عبد الرحمن العك	أصول التفسير وقواعده	أصول التفسير		
- للسيوطي	- الإتقان في علوم القرآن أو:	علوم القرآن		
- د. محمد بن عمر بن بازمول	- تهذيب وترتيب الإتقان في علوم القرآن			
عبد الرحمن آل الشيخ	فتح المجيد شرح كتاب التوحيد	العقيدة والتوحيد		٣ - علوم العقيدة
د/ عبد الله بن فهد بن عبد الرحمن	جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة			
د/ عبد الله بن فهد بن عبد الرحمن	جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة			
د. محمد بن عبد الرحمن الخميس	اعتقاد أئمة السلف			
الإمام ابن الجوزي	تلييس إبليس	دراسات عامة	علم أصول البدع	
الإمام ابن القيم	إغاثة اللهفان			
د. علاء بكر	العقيدة في الصحابة وآل البيت	دراسات الشيعة		



للإمام برهان الدين البقاعي تحقيق الشيخ/ عبد الرحمن الوكيل	مصرع التصوف	دراسات الصوفية		
د. إحسان إلهي ظهير	الشيعة - البابية - البهائية	الفرق المارقة		
د. محمد أبو زهرة	محاضرات في النصرانية	مقارنة النصرانية		
عبد الرحمن الميداني	مكائد يهودية	الأديان اليهودية		
الإمام النووي	شرح صحيح مسلم	شروح السنة		
طارق عوض الله الأستاذ/ عبد الله بن يوسف الجديع	شرح لغة المحدث تحرير مصطلح الحديث	مصطلح الحديث		٤- علوم الحديث
د. محمود الطحان	دراسة الأسانيد			
د. محمد حسين	الإسلام والحضارة الغربية	الفكر والدراسات		
د. محمد حسين	حصوننا مهددة من الداخل	الدعوة		
الأستاذ/ محمود شاكر	الطريق إلى ثقافتنا			٥- الفكر والسياسة الشرعية
الإمام الجويني	غياث الأمم	دراسات في السياسة الشرعية		
د. أكرم ضياء العمري	- صحيح السيرة النبوية			
- الإمام أبو نعيم الأصبهاني	- دلائل النبوة	السيرة		٦- علوم السيرة والآداب والأذكار
الحافظ ابن حجر	تهذيب التهذيب	التراجم		
د. محمد علي الصلابي	التاريخ الإسلامي من الدولة الأموية إلى الفاطمية	التاريخ		
العلامة ابن القيم	الجواب الكافي			
د. أحمد فريد	- التربية على منهج أهل السنة والجماعة	الآداب والرفائق		



د. محمد الدويش	- كتب التربية		
د. معبد الجهني ^(١)	الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة	الأفكار الوافدة	

*** المرحلة الثالثة (لتربية طالب علم متخصص)**

العلوم	الباب	القسم	الكتاب	المؤلف	
١ - علوم الفقه ومقاصد التشريع	الفقه	فقه حديثي	حفظ متن منتقى الأخبار	مجد الدين ابن تيمية	
			نبيل الأوطار شرح منتقى الأخبار	العلامة الشوكاني	
		فقه مذهبي	١ - حنبلي: الكافي	- الإمام ابن قدامة	
			زاد المستقنع	- الإمام الحجاوي	
	مذهب حنبلي	مذهب حنبلي	٢ - الشافعي: متن الزبد دراسة شرح المحلى على المنهاج	أحمد بن رسلان الشافعي	
			تقرير القواعد وتحرير الفوائد	الإمام ابن رجب	
			الاعتناء في الفرق والاستثناء	بدر الدين البكري الشافعي	
	الفروق الفقهية	أصول الفقه	أنوار البروق في أنواء الفروق		الإمام القرافي
			شرح روضة الناظر		د. عبد الكريم النملة

(١) ملاحظات:

* حفظ أربعة أجزاء جديدة من القرآن مع مراجعة ما سبق.

* مراجعة المحفوظات من متون الحديث والاعتقاد والفقه، وغيرها من متون علوم الأصول وعلوم الآلة.



شاه ولي الدين الدهلوي	حجة الله البالغة	مقاصد الشريعة		
الإمام القاسمي	محاسن التأويل	التفسير الشمولي	التفسير	٢- علوم التفسير والقرآن
الإمام القرطبي	الجامع لأحكام القرآن	التفسير الفقهي		
خالد بن عثمان السبت	قواعد في التفسير	أصول التفسير		
الإمام الزركشي	البرهان في علوم القرآن	علوم القرآن		
الإمام البرهاري	شرح السنة	العقيدة والتوحيد		٣- علوم العقيدة
أ/ مصطفى باجو	الجامع الصحيح في أحاديث العقيدة			
د/ هشام بن إسماعيل بن علي الصيني	أقوال الصحابة المسندة في مسائل الاعتقاد			
د سعيد عبد العظيم	تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد			
لحيب سويدية	الحرب القذرة			
للشيخ عبد العزيز بن عبد الله المبدل	أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان			
ش/ علي محفوظ	الإبداع في مضار الابتداع	دراسات عامة	علم أصول البدع	
د. السالوس	مع الشيعة الاثني عشرية	دراسات الشيعة		
د. إحسان إلهي	دراسات في الصوفية	دراسات		



ظهير		الصوفية		
الشيخ/ عبد القادر السندي	التصوف في ميزان البحث والتحقيق	الطرق الصوفية		
مجموعة علماء	مناظرة الإسلام والنصرانية	النصرانية	مقارنة الأديان	
ابن القيم	هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى			
عبد الوهاب طويلة	مغالطات اليهود وردّها من واقع أسفارهم	اليهودية		
المباركفوري	تحفة الأخوذى بشرح سنن الترمذى	شروح السنة		٤ - علوم الحديث
الإمام السيوطى	تدريب الراوى	مصطلح الحديث		
الحافظ السخاوى، بتحقيق د. عبد الكريم الخضير	فتح المغيـث			
الأستاذ/ محمود شاكر	أباطيل وأسماـر	الفكر والدراسات الدعوية		٥ - علوم الفكر والسياسة الشرعية
- سفر الحوالى - د. الطيب بو عزة	- العلمانية - نقد الليبرالية			
- د. محمد بن إسماعيل	- المهدي وفقه أشراف الساعة			
- الشيخ/ سعيد عبد العظيم	- تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد			
- للمؤلف/ حبيب سويدية	- الحرب القذرة			
ابن القيم	طرق السياسة الحكمية	دراسات فى السياسة الشرعية		
ابن القيم	زاد المعاد	السيرة		
ابن الأثير	أسد الغابة	التراجم		



٦- علوم السيرة والآداب واللغة	التاريخ	البداية والنهاية	ابن كثير
٧- التربية	الآداب والرقائق	تهذيب موعظة المؤمنين	القاسمي
		تهذيب مدارج السالكين	عبد المنعم صالح العزي
	النحو واللغة	النحو المصنفى	د. محمد عيد
	التربية	* أصول الوصول إلى الله	الشيخ/ محمد حسين يعقوب
		* عمل اليوم والليلة	الإمام النسائي
		* الزهد	الإمام ابن المبارك
		* فضل الله الصمد	الإمام الجليلاني
		* الآداب الشرعية	الإمام ابن مفلح
		* تربية الشباب	الشيخ/ محمد بن عبد الله الدويش ^(١)

(١) ملاحظات:

- (١) يراعى ختم بقية الأجزاء القرآنية المتبقية بالتجويد مع مراجعة ما سبق، وكذلك السنة والمتون.
- (٢) تكاد تتفق كلمة دعاة قطرنا المصري على تسمية دور بعض العلماء الصالحين والدعاة الصادقين ممن نحسبهم -والله حسيبهم- من المؤدين الربانيين، ومنهم: فضيلة الشيخ/ أبو ذر القلموني، والذي يربي الناس بلحظه ولفظه، وفضيلة الشيخ/ محمد الديسي، وفضيلة الشيخ الدكتور/ أسامة عبد العظيم، والملقب بـ«عابد مصر»، والذي يعتبر من أفضل وأجود المربين للشباب المسلم المصري المعاصر.
- وأنا أذكر نفسي وإخواني بالانتفاع بهؤلاء الأفاضل -لا سيما- كتبهم وأشرطتهم.

※ المرحلة الرابعة (لتربية طالب علم متخصص)

العلوم	الباب	القسم	الكتاب	المؤلف
١- علوم الفقه ومقاصد التشريع	الفقه	فقه حديثي	المنتقى في الأحكام الشرعية	مجد الدين أبي البركات عبد السلام ابن تيمية
			العدة شرح العمدة في الأحكام	الإمام ابن العطار الشافعي
		فقه مذهبي	١- حنبلي: - المغنى - المقنع	- الإمام ابن قدامة
			- الشرح المتمع على زاد المستقنع	- الشيخ/ ابن عثيمين
	أصول الفقه		٢- شافعي: - منهاج الطالبين - المجموع شرح المذهب	الإمام النووي
			- نثر الورود على مراقي السعود	- العلامة الشنقيطي
			- الفتوى	- د. محمد يسري إبراهيم
			- غمرات الأصول	- الشيخ/ مشاري الشري
٢- علوم التفسير والقرآن	التفسير	التفسير الشمولي	تفسير جامع البيان	الإمام الطبري
		التفسير الفقهي	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	الإمام الشنقيطي
	أصول التفسير		الرسائل الجامعية التخصصية الخاصة	بمركز «كرسي القرآن وعلموه» و«معهد الإمام الشاطبي



باليادض و«مركز تفسير للدراسات القرآنية»				
د/ فهد بن عبد الرحمن الرومي	دراسات في علوم القرآن	علوم القرآن		
د. سلطان العميري	شرح العقيدة الواسطية	العقيدة والتوحيد		
الإمام ابن خزيمة	التوحيد			
الإمام الآجري	الشريعة			
الإمام اللالكائي	أصول الاعتقاد			
الشيخ/ عثمان بن علي حسن	منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد			
الشيخ/ تميم بن عبد العزير بن محمد القاضي	قلب الأدلة على الطوائف المضلة			
الدكتور/ عبد الله الهيدل	شبهات المبتدعة حول توحيد العبادة			
الإمام الشاطبي	الاعتصام	دراسات عامة	٣- علوم العقيدة	
ابن حزم الأندلسي	الفصل في الملل والنحل			
- شيخ الإسلام ابن تيمية	- منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية	دراسات الشيعة		
- د.ناصر القفاري	- كتب د.ناصر القفاري	علم أصول البدع		
- د.سفر الحوالي	- «الأشاعرة.. عرض ونقد»			دراسات عن الأشاعرة
- د.عبد الرحمن بن صالح	- «موقف ابن تيمية من الأشاعرة»			
- د.محمد بن محمد الراجحي الشهري، ط. دار الهدى النبوي	- «المدارس الأشعرية»			



د. خالد بن علي المرضي الغامدي	- «نقد عقائد الأشاعرة والماتردية»				
الشيخ/ فيصل الجاسم المحمود	- «الأشاعرة في ميزان أهل السنة»				
- ماهر أمير	- الانتصار للتدمرية				
الدكتور/ محمد محمود الخضير	- مقالات التفويض بين السلف والتكلمين				
- الشيخ/ دحلان	- صيانة الإنسان عن وسوسة الشيطان	الفرق المارقة			
- د. ناصر العقل	- إسلامية لا وهابية				
شيخ الإسلام ابن تيمية	الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح	النصرانية	مقارنة الأديان		
رحمت الله الهندي	إظهار الحق				
الدكتور/ أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي	دعوة إلى تقارب الأديان				
- الأستاذ الدكتور/ محمود الصاوي	<u>واقرأ في الرد على شبهات العلمانيين والليبراليين والشيوعيين والملحدين كتب:</u> - الفكر الليبرالي تحت المجهر الشرعي				
- د. سامي العامري	- العالمية طاعون العصر				
- الأستاذ/ مصطفى باجو	- العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام				
- الشيخ/ محمد الغزالي	- الإسلام في وجه الزحف الأحمر				
- ط. دار اليسر	- فتاوى علماء الأزهر الشريف حول العلمانية				



			- كتب د. عبد العزيز الطريفي		- د. عبد العزيز الطريفي	
			- كتب الشيخ/ إبراهيم السكران أما عن الإلحاد... فأنصح بمراجعة الأبحاث العلمية الأكاديمية النقدية التخصصية للرد على أصول وكمليات شبهات الملاحدة المعاصرين.		- الشيخ/ إبراهيم السكران	
٤- علوم الحديث	شروح السنة		حفظ الجمع بين الصحيحين		الشيخ/ يحيى الجبلي	
			قراءة شروح السنة المعتمدة ومطالعة السلسلة الصحيحة والسلسلة الضعيفة للشيخ الألباني			
	مصطلح الحديث		التأصيل لعلم التخريج والجرح والتعديل		د. بكر أبو زيد	
			المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل		الدكتور/ فاروق حمادة	
			تلخيص الخبر		الحافظ ابن حجر	
٥- علوم الفكر والسياسة الشرعية	الفكر والدراسات الدعوية		مدخل لتكوين طالب علم في العلوم الإنسانية		لمجموعة من الباحثين، تقديم د عبد العزيز القاسم..	
			الإعلام بحرمة أهل العلم		د. محمد إسماعيل	
			- كتب د. فضل إلهي - الانتخابات وأحكامها		- د. فضل إلهي - الشيخ/ فهد العجلان	
	دراسات في السياسة الشرعية		٣٠ طريقة لخدمة الدين		رضا صمدي	
			الأحكام السلطانية		الإمام الماوردي	
			أحكام أهل الذمة		الإمام ابن القيم	
	السيرة		الروض الأنف شرح السيرة النبوية		الإمام السهيلي	
منهج كتابة التاريخ الإسلامي			محمد بن صامل السلمي			



٦- علوم السيرة والآداب واللغة	التاريخ	سير أعلام النبلاء	الإمام الذهبي
	الآداب والرقائق	موقف الصحابة من الفتنة	د. محمد أمحزون
	النحو واللغة	- الزهد	- ابن المبارك
		- سلسلة الغرباء	- سلمان بن فهد العودة
	الأدب المعاصر والمعاجم والبلاغة	شرح ألفية ابن مالك	ابن عقيل
		- أسرار البلاغة	- الجرجاني، تحقيق العلامة/ محمود شاكر
		- كتب الدكتور محمد أبو موسى	الدكتور/ محمد أبو موسى
		- تحت راية القرآن	- الرافعي
		- الشعر والشعراء	- ابن قتيبة، تحقيق العلامة/ محمود شاكر
		- الكامل	- المبرد
		- البيان والتبيين	- الجاحظ
		- المعجم الوجيز والوسيط	- مجمع اللغة العربية ^(١)

(١) ملحوظة:

- ١- يراعى تثبيت الحفظ وإتقان الأحكام.
- ٢- حذر كثير من العلماء من كتب الجاحظ، لأنه كان معتزلياً مبتدعاً، راجع ذلك في السير (١١/ ٥٢٧، ٥٢٨)، وراجع كتاب: «كتب حذر منها العلماء» للشيخ/ مشهور بن حسن آل سلمان (٢/ ٤٥، ٤٦) ط. دار الصميعي، فهو كتاب نافع جداً في بابه.

* بعد اجتياز هذه المراحل العلمية التخصصية يمكنك الاجتهاد في مرحلة:

في بيتنا ملحد
(صناعة محاور ومناظر)

هدفها:

* نظرًا لانتشار العديد من الأفكار العلمانية والإلحادية داخل أروقة الجامعات -خاصة- بعد إخلاء الساحة لهؤلاء المرتزقة، كان من الواجب على من توافرت فيه الشروط العلمية أن يجتهد في الوقوف على ثغر نصرة الحق وأهله ومناظرة أهل الباطل للرد على شبهات وإفك الملاحدة القدامى والمعاصرين..

* وإليك قائمة بأهم الكتب التي وقفت عليها، أو قرأتها، أو رشحتها المتخصصون من أهل هذا الفن للرد على الإلحاد بنوعيه العلمي والنفسي..

أولاً: كتب عن فكرة الإلحاد (تمهيدية وتخصصية):

- ١ - (الإلحاد وثوقية التوهم وخواء العدم)، د. حسام الدين حامد، طبعة مركز نهاء.
- ٢ - (الإلحاد للمبتدئين)، د. هشام عزمي، ط. مركز براهين.
- ٣ - (ميليشيا الإلحاد-مدخل لفهم الإلحاد الجديد)، عبدالله العجيري، ط. مركز تكوين للأبحاث والنشر.
- ٤ - (الفيزياء ووجود الخالق)، د. جعفر شيخ ادريس - من إصدارات مجلة البيان.
- ٥ - (موسوعة الرد على الملحدين العرب)، د. هيثم طلعت - دار الكاتب.
- ٦ - (كهنة الإلحاد الجديد)، د. هيثم طلعت - دار الكاتب.
- ٧ - (العودة إلى الإيمان)، د. هيثم طلعت - دار الكاتب.
- ٨ - (سابغات)، أحمد يوسف السيد، ط. مركز تكوين.
- ٩ - (ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان).. عبدالله الشهري - مركز نهاء
- ١٠ - (آله الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين).. أبوالفداء بن مسعود - دار سما.



(الكتاب لباحث عميق متخصص في الأطروحات الإلحادية خصوصا من جهة
نظرية المعرفة وكيفية تفسير معطيات العلم التجريبي)

١١- رسالة (وهم الإلحاد).. تأليف د. عمرو شريف.. تقديم د. محمد عمارة. صدر كهدية
مع مجلة الأزهر شهر محرم ١٤٣٥هـ

١٢- رسالة (حوار الإيمان والإلحاد).. إعداد مجموعة من العلماء. تقديم د. محمد
عمارة.. هدية مجلة الأزهر شهر جمادى الأولى ١٤٣٥هـ

١٣- رواية (الجاحد)، ورواية (المارق) كلاهما للكاتب.. الحسن البخاري. ط. مكتبة مجرة
للنشر والتوزيع

١٤- نفسية الإلحاد... نفسية فاقد الأب... لمؤلفه.. بول فيتر... ترجمة.. مركز دلائل...

١٥- الإلحاد بين قصورين... ترجمة... د/ مؤمن الحسن و د عبد الله الشهري... ط. مركز
دلائل

١٦- تهافت الفكر الإلحادي.. للشيخ / عبد الرحمن الوهبي.. ط. مركز نماء...

١٧- صراع الملاحدة ل.. د/ عبد الرحمن حبنكة الميداني.. ط. دار القلم...

١٨- الاسلام بين الشرق والغرب.. ل. علي عزت بيوجوفيتش.. ط. دار الكتاب...

١٩- الميديا والإلحاد.. تأليف مهندس / أحمد حسن، ط. مركز دلائل..

٢٠- أركيولوجية الإسلام.. تأليف مهندس / أحمد حسن، ط. مركز دلائل..

٢١- م مهدات الإلحاد الجديد للمؤلف سي. جي. ويليمان، ترجمة: إدريس محمود نجدي
ط. مركز دلائل.

٢٢- البحث عن الحقيقة.. للمؤلف أليف نانسي بيرسي، ترجمة مركز دلائل..

٢٣- اليوتوبيا الأخيرة (تاريخ حقوق الإنسان) د صمويل موين، ترجمة مركز دلائل..

٢٤- بؤس التلفيق (نقد الأسس التي قام عليها محمد شحرور) للمؤلف يوسف سميرين.
ط. مركز دلائل.



- ٢٥- الإنسانيّة المستحيلّة (إشكالات تأليه الإنسان) د إبراهيم الرماح. ط. مركز دلائل.
- ٢٦- سقراط يلتقي سارتر.. للمؤلف بيتر كريفت..
- ٢٧- طغيان العلم د عبد الله شهري.. ط. مركز دلائل..
- ٢٨- اختراق عقل د أحمد إبراهيم.. ط. مركز دلائل..
- ٢٩- الإسلام ومصير الإنسان.. ل شارلز لي غاي إيتون، مراجعة: عبد الله الشهري ط. مركز دلائل..
- ٣٠- أوهام الإلحاد العلمي.. ترجمة د محمد باسل الطائي
- ٣١- الإلحاد الحديث وسبل مواجهته د عبد الرحمن بن غالب عواجي.
- ٣٢- رواية (الوادي المعلق في السماء) لمشاري الإبراهيم ط. مركز دلائل.
- ٣٣- وهم الشيطان.. ل ديفيد بيرلنسكي.. ط. مركز دلائل..
- ٣٤- إلي الجيل الصاعد ل أحمد السيد.. ط. مركز تكوين..
- ٣٥- زخرف القول للشيخ عبد الله العجيري و الشيخ فهد العجلان..
- ثانيًا: إثبات وجود الله وصفاته:
- ١- (لا أعلم هويتي).. د. حسام الدين حامد- مركز تفكر
- ٢- (الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد).. د. سعود بن عبد العزيز بن محمد العريفي- مركز تكوين للأبحاث والنشر
- ٣- (فمن خلق الله). د للدكتور / سامي عامري. ط. مركز تكوين
- ٤- (شموع النهار) للشيخ / عبد الله صالح العجيري... ط. مركز تكوين..
- ٥- (لن تلحد).. ابن عقيل الظاهري..
- (ولكن: يعيب الكاتب إغراقه في الأمور الفلسفية لكن الباحث المحنك يستطيع الاستفادة بالنافع وترك ما سواه).
- ٦- (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين). تأليف / مصطفى



- صبري.. شيخ الاسلام للدولة العثمانية- دار الآفاق العربية (الجزء الثاني نافع لأقصى درجة لكنه يحتاج لباحث متمكن من المباحث العقدية عند أهل السنة والجماعة حتى لا يتأثر ببعض الأطروحات المخالفة التي وقع فيها المؤلف...)
- ٧- بعض المواضيع من (شرح الأصفهانيه) و (درء تعارض العقل والنقل) و (تلبیس الجهمية) لابن تيمية.
- ٨- الأدلة المادية علي وجود الله... للشيخ / محمد متولي الشعراوي..تقديم د/ محمد عمارة... طبعة دار المقاصد.
- ٩- الإیمان بالخالق والعلم.. ل جوردون ليدنز، ترجمة مركز دلائل.
- ١٠- لماذا نحن هنا؟ ل إسماعيل عرفة.. ط. مركز دلائل.
- ١١- الله موجود (أدلة فلسفية) ط. مركز تكوين.

ثالثاً: إثبات النبوة:

- ١- (لا أعلم هويتي).. د. حسام الدين حامد- مركز تفكير
- ٢- (رسالة خاتم النبيين محمد. ضرورتها وطرائق ثبوتها ولوازمها).. د. تامر بن ناصر بن فهد بن غشيان- مكتبة الرشد-السعودية
- (النبا العظيم).. محمد عبد الله دراز- دار القلم.
- ٣- (إثبات نبوة النبي).. أبو الحسن اليزيدي- دار الآفاق العربية
- ٤- (إثبات النبوة) للدكتور منقذ بن محمود السقار.. ط. رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة..
- ٥- كتاب (براهين النبوة)، تأليف د. سامي عامري، في تفصيل دلائل نبوة محمد ﷺ من أوجه كثيرة ومتنوعة، والرد على اعتراضات خصوم الإسلام المنكرين للنبوة الخاتمة.. الكتاب رسالة إلى الباحثين عن الحق، والمتشككين.
- ٦- أفى النبوة شك؟!... د سامية البدری.. ط. مركز دلائل..



رابعاً: حكمة الله تعالى، ومشكلة الشر:

١- (الجواب عن سؤال الشر).. إصدار منتدى التوحيد. ومتاح إلكترونياً على منتدى التوحيد على الإنترنت..

١- (الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى عند أهل السنه والجماعة- عرض ودراسة)..د. عبد الله بن ظافر بن عبد الله البكري الشهري- دراسة علميه بجامعة أم القرى.....

٢- كتاب: مشكلة الشر ووجود الله د سامي العامري... ط. مركز تكوين..

٤- أسس غائبة (٢٥ مسألة في مشكلة الشر) للمهندس أحمد حسن، ط. مركز دلائل..
٥- وفي المرحلة التالية...

- يمكن دراسة شفاء العليل، ومفتاح دار السعادة.. كلاهما لابن القيم (رحمه الله)

٦- الدين للدكتور / محمد عبد الله دراز..

٧- الإيمان والحياة د/ يوسف القرضاوي..

٨- الدين والحضارة الإنسانية د / محمد البهي..

٩- الإسلام دين الإنسانية.. ل / أنا ماري شميل، تقديم د حمدي زقروق..

١٠- الفتوحات الإسلامية تحرير أم تدمير.. د / محمد عمارة..

١١- الفتوحات العربية الكبرى في ميزان الإسلام والتاريخ.. دراسة نقدية لآراء الجنرال

جلوب، تأليف د / محمد بهاء الدين حنفي، تقديم د محمد عمارة..

خامساً: نظرية التطور:

١- جميع أعداد مجلة براهين (٣ أعداد) وكشف الأفتنة (عدد واحد)- إعداد مراكز براهين على الإنترنت

٢- (تصميم الحياة)..د. ويليام ديمبسكي ود. جوناثان ويلز- ترجمة د. مؤمن الحسن، ود. محمد القاضي، ود. موسى إدريس- دار الكاتب



- ٣- (أيقونات التطور)..د.جوناثان ويلز...مترجم.
 - ٤- (صندوق داروين الأسود)..د.مايكل بيهي- ترجمة د.مؤمن الحسن ود.أسامة إبراهيم ود.زيد الهبري وآخرون- دار الكاتب
 - ٥- (العلم وأصل الإنسان)..آن جوجر ودوجلاس أكس وكيسي لسكين- ترجمة د.مؤمن الحسن ود.موسى ادريس- دار الكاتب
 - ٦- (خرافة التطور)..روبرت جيميس غالفي- ترجمة فداء ياسر الجندي.ط. مركز الفكر المعاصر..
 - ٧- الداروينية المتأسلمة..د/ عمرو عبد العزيز
 - ٨- معبد داروين..ترجمة د.مؤمن الحسن..ط. مركز الدلائل.
 - ٩- آدم بين التطور والتطور الموجه..ط. مركز براهين.
- سادساً: الفيزياء ونظريات نشأة الكون:
- ١- (الفيزياء ووجود الخالق)..د.جعفر شيخ ادريس- من اصدارات مجلة البيان.
 - ٢- (مختصر تاريخ الحقيقة)..تأليف د.محمد الروسي- متاح اليكترونيا فيه الردود على كلام ستيفين هوكينج في كتابه التصميم العظيم.
 - ٣- (الفيزيائيون والخالق)..عماد علي هلال- دار الولاء (المؤلف شيعي لكنه جيد في الرد على أطروحات ستيفين هوكينج ما لأخيرة في مجال الفيزياء ونشأة الكون).
- سابعاً: في مجال الضبط المنهجي ومنهجية الاستدلال الصحيحة وفهم النص، ومصادر التلقي الشرعي الصحيح..
- ١- راجع (ينبوع الغواية الفكرية - غلبة المزاج الليبرالي وأثره في تشكيل الفكر والتصور للشيخ / عبد الله بن صالح العجيري ط. البيان
 - ٢- صناعة التفكير العقدي..تحرير الشيخ الفاضل / سلطان العميري ط. تكوين..(مفيد جدا في بناء التصور العقدي الصحيح)



- ٣- التحرير في أصول التفسير..د مساعد الطيار ط. مركز الدراسات والمعلومات القرآنية
بمعهد الإمام الشاطبي..
- ٤- الرسالة للشافعي (ضبط منهجية التعاطي مع النص الشرعي من خلال الدرس
الأصولي)
- ٥- الاعتصام للشاطبي (مرجع مركزي في التعاطي مع ملف البدعة)..
- ثامناً: في مجال الرد على الشبهات:
- ١- القرآن المعجز..لعالم اللاهوت (جاري ميلر).
- ٢- وكتاب (دفاع القرآن ضد منتقديه) د جمال بدوي، تقديم د محمد عمارة.
- ٣- وكتاب (تنزيه القرآن الكريم عن دعاوي المبطلين..للدكتور منقذ بن محمود
السقار) ط. رابطة العالم الإسلامي.
- ٤- وكتاب (هل القرآن مقتبس من كتب اليهود؟) د سامي العامري..
- ٥- وكتاب (البرهان علي سلامة القرآن من التحريف أو الزيادة والنقصان) د أحمد
سبالك.
- ٦- وكتاب (مفتريات المبشرين على الاسلام)..د.عبد الجليل شلبي..ط.المختار
الإسلامي.
- ٧- و(حقائق الاسلام في مواجهة المشككين)..إعداد مجموعة من
كبار العلماء..ط.المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٤٢٦هـ..
- ٨- و(الاسلام يتحدى)..وحيد الدين خان..ط.المختار الإسلامي.
- ٩- وموسوعة (بيان الإسلام)..الرد على الافتراءات والشبهات.. لمجموعة من
العلماء..ط.مكتبة نهضة مصر.
- ١٠- وموسوعة (محاسن الاسلام ورد شبهات اللثام)..تأليف.أحمد بن سليمان أيوب
ونخبة من العلماء..ط.دار إيلاف الدولية



- ١١ - وانظر أيضًا.....للرد علي:
(شبهات حول القرآن الكريم)
(شبهات حول الاسلام)
(الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان)
(الاسلام والحرب الدينية)
(الاسلام والمرأة)
(الاسلام والسياسة).
- كلها مؤلفات الدكتور / محمد عمارة... ط. دار السلام.
- ١٢ - موسوعة الرد علي الملحدin.. ل. د / هيثم طلعت.
- ١٣ - سلسلة (الاسلام لعصرنا).. د. جعفر شيخ إدريس.. ط. المنتدى الاسلامي - لندن
- ١٤ - (الاسلام مبدع العصر الحديث) مترجم، وحيد الدين خان، ط. مركز الفكر المعاصر.
- ١٥ - حجية السنة د عبد الغني عبد الخالق.
- ١٦ - دفاع عن السنة د محمد أبو شهبه.
- ١٧ - الحداثة وموقفها من السنة النبوية د الحارث فخري عيسي.
- ١٨ - منهج كتابة التاريخ الإسلامي د محمد بن صامل السلمي.
- ١٩ - تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة د محمد أمحزون.
- ٢٠ - من محاسن دين الإسلام للشيخ أحمد السيد.
- ٢١ - قالوا عن الإسلام د عماد الدين خليل، ط. رابطة العالم الإسلامي.
- ٢٢ - الشريعة.. لماذا؟ د محمد يسري إبراهيم.
- ٢٣ - ظاهرة الإسلاموفوبيا.. د / محمد عمارة.
- ٢٤ - روائع ابن تيمية د / محمد عمارة...، وكتاب (ابن تيمية ضد التطرف) ط. مركز دلائل



- ٢٥- التجديد في الإسلام ط. المتدي الإسلامي، التابع لمجلة البيان.
- ٢٦- العلمانية طاعون العصر د / سامي العامري.. ط. تكوين
- ٢٧- الاستدلال الخاطيء بالقرآن والسنة د / إبراهيم حقييل..
- ٢٨- ظاهرة "الإسلاموفوبيا" د / محمد عمارة..
- ٢٩- التأويل الحداثي للتراث للشيخ / إبراهيم السكران
- ٣٠- شهادات غربية للتراث د / محمد عمارة..
- ٣١- ماذا قدم المسلمون للعالم؟، وكتاب (أخلاق الحروب)
- كلاهما د / راغب السرجاني
- ٣٢- تحقيق في الدين والميتافيزيقا.. ط. مركز براهين
- ٣٣- تأثير الشيطان ط. مركز براهين
- ٣٤- هبة الألم.. ط. مركز براهين.
- ٣٥- وأنصح للتوسع بمراجعة إصدارات:-
- (مركز نماء، ومركز تكوين، ودار الفكر المعاصر، ومجلة بيان، ومركز دلائل ؛ ومركز براهين ؛ ومركز تبصير، ومركز الفتح، ومركز تفسير للدراسات القرآنية)
- وكلها فيها خير وفير لكل طالب حق، كما أنها تعني بالتصدي لشبهات الملاحدة واللاأدرية والربوبية وأصحاب الفلسفات العدمية والوجودية، فضلا عن الاتجاهات العلمانية والليبرالية والاشتراكية والماركسية، والحدائية التخريبية، والنسوية المعاصرة..
- ثامناً: في مجال الردود المرفئة على الإلحاد على اليوتيوب:
١. يمكنك متابعة الحلقات التخصصية على:
- * (متدي حراس العقيدة)
- * و(موقع مركز براهين)
- * و(موقع شبهات وبيان)



- * وصفحة (الباحثون المسلمون)
- * وصفحة (وهم الإلحاد) . على الفيسبوك.
- ٢- شاهد حلقات د. فاضل سليمان في الرد على الإلحاد.... على اليوتيوب
- ٣- شاهد حلقات برنامج "حوار الإيمان والإلحاد" د. محمد داوود... على قناة منتدى التوحيد على اليوتيوب.
- ٤- شاهد حلقات "نقد الداروينية" ل د. هشام عزمي ود. محمود نجا على قناة منتدى التوحيد.
- ٥- شاهد برنامج "الإلحاد سؤال وجواب" د. هشام عزمي وم. محمد سمير.
- ٦- تابع مجموعة "ورينا نفسك" على الفيسبوك.
- تابع صفحة الباحثون المسلمون على الفيسبوك.
- ٧- تابع صفحة كهنة الإلحاد على الفيسبوك.
- ٨- تابع قناة البينة لمقارنة الأديان والرد على الشبهات علي اليوتيوب
- ٩- شاهد حلقات " ارجع لأصلك، وقطع القطط، وحقيقة التطور "من إنتاج مركز تأصيل ع اليوتيوب.
- ١٠- شاهد حلقات (رواسخ) تحت إشراف د محمد العوضي ..
- ١١- شاهد (النزعة العلموية) د عبد الله العجيري ..
- ١٢- كيف ترد على الشبهات؟! للشيخ علي قاسم
- كواليس متمرّد ج ١
- كواليس متمرّد ج ٢
- كواليس متمرّد ج ٣
- ١٣- الإلحاد النفسي للشيخ علي قاسم
- ١٤- أمسك علمانيّاً للشيخ علي قاسم



- ١٥- شاهد سلسلة (رحلة اليقين) دإياد قنيبي
 - ١٦- أدلة وجود الله للشيخ عبد الله العجيري
 - ١٧- دليل منع التسلسل في المؤثر (أدلة وجود الله)
 - ١٨- من خلق الله؟!
 - ١٩- الداروينية (عرض ونقد)
 - ٢٠- الداروينية والإلحاد
 - ٢١- التعارض بين العلم والدين للأستاذ محمد شاهين
 - ٢٣- تأسيس وعي المسلم المعاصر. للمهندس أيمن عبد الرحيم
 - ٢٤- ومناظرة د حسام أبو البخاري مع إسلام البحيري
 - ٢٥- أين الله من واقعنا؟ للشيخ علي قاسم..
 - ٢٦- شاهد صفحات جنى المعرفة:
- [HTTPS://WWW.YOUTUBE.COM/CHANNEL/UCPTJIVMI3S_PD2NZV0NFJFA](https://www.youtube.com/channel/UCPTJIVMI3S_PD2NZV0NFJFA)
- وعلي ساوند كلاود:
- وهذه نماذج الموشن جرافيك:
- ١ - ماذا تعرف عن جنى المعرفة؟
 - ٢ - سمات النبوة:
 - ٣ - دلائل النبوة:
 - ٤ - مفاتيح الانتفاع بالقرآن:
 - ٥ - التربية الإيمانية للطفل:
 - ٦ - ما الذي نفعله إذا تعارض العقل مع النقل؟
 - ٧ - كيف تحاور ملحدًا؟
 - ٨ - مكانة العقل في الإسلام



٩- ما معنى مصطلح مقاصد الشريعة؟

١٠- ما هو الشر؟

١١- كيف يمكن أن يخدعك العلم الطبيعي؟

١٢- أدلة القرآن على وجود الله

١٣- يهدي للتي هي أقوم

١٤- التفكير العلمي:

١٥- الخيط الناظم لموضوعات القرآن

١٦- طغيان العلم

١٧- خذها قاعدة:

١٨- ماذا تعرف عن معبد داروين؟

١٩- أولادنا ووسائل التواصل الاجتماعي

نماذج للمخصات الكتب الصوتية:

١- ملخص كتاب: فصول في التفكير الموضوعي للدكتور عبد الكريم بكار

٢- ملخص كتاب: التسليم للنص الشرعي للدكتور فهد العجلان

٣- ملخص كتاب: طغيان العلم لبول فييرابند

٤- ملخص كتاب: معبد داروين لخالد الشايع

٥- ملخص كتاب: لماذا نحن هنا؟ لإسماعيل عرفة

٦- ملخص كتاب: أسئلة الأطفال الإيمانية

٧- ملخص كتاب: الرجل ذو السروال الأحمر

٨- ملخص كتاب: الطريق إلى القرآن لإبراهيم السكران

* ملاحظات مهمة:

١- اعلم أن أول الطريق للتحصيل النية، ثم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم



النشر والدعوة، فاجتهد في تحقيق ذلك.

٢- اهتم بالحفظ في بداية طريقك لطلب العلم، إذ الحفظ في البداية هو الأساس.

٣- اهتم اهتماماً كاملاً بدراسة الأصول الواجبة في كل علم.

٤- اجتهد في تحقيق التاءات الست:

(التتابع، التدرج، التركيز، التكامل، التوالي، التكرار)، وإياك والتفرع من البداية فإنه

عطب^(١).

٤- إياك والتفرع من البداية فإنه عطب.

٥- لا تنتقل من علم إلى آخر حتى تضبطه، وإياك أن تشتت جهدك أثناء القراءة فتشغل بالنظر في مجموعات متفاوتة ومختلفة من الكتب في وقت واحد، فذلك مشتت للجهد، مضيع لكثير من الفائدة^(٢).

٦- تدرج داخل العلم الواحد، كما هو موضح عندك بالجدول، وإياك والقفز فإنه مهلكة^(٣).

٧- اجتهد في القراءة بتثبت وعدم تزييف، ويمكنك الاستفادة في هذا من بحث

(١) هذا بيان للمنهجية الصحيحة في التعلم:

* لابد من التتابع والتدرج، إذ العلم درجات ومراحل، ولكل مرحلة ما يناسبها.

* التركيز دون استطراد مشغل عن الأصل، ولا خلط أو زيادات تشوش علي الذهن.

* التكامل بين ما تدرسه والعلوم المساعدة له.

* التوالي لا التواني.. بحيث يأخذ كل علم مدة دراسة مناسبة له.

* التكرار والمداولة والبحث والحوار والمناظرة سبيل لإتقان العلم.. (للتوسع..راجع (منهجيات اصولية)

تأليف: محمد بن حسين الجيزاني ص ٨٠، ٨١.. ط. مكتبة الرشد ناشرون.

(٢) يراجع: معالم في طريق طلب العلم، لمؤلفه الشيخ/ عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان/ ص ٢٧٢ ط. دار العاصمة بالرياض.

(٣) ينظر: الركائز الأساسية لطالب العلم، للشيخ/ وحيد بالي، ص ٣٢٢، ط. دار ابن رجب.



«أبجديات البحث في العلوم الشرعية» للأستاذ/ فريد الأنصاري ط. دار السلام، كما أنصح بمراجعة بحث «السبل المرضية لطلب العلوم الشرعية» للمؤلف/ أحمد سالم ط. مركز نهاء، وراجع أيضًا «الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم» تأليف د/ محمود محمد الطناحي ط. مكتبة الخانجي بالقاهرة. ولا بد من معرفة كيفية «القراءة الصحيحة»، و«منهجية القراءة السليمة» وذلك عن طريق الاطلاع على كتاب «الطرق الجامعة للقراءة النافعة» للدكتور/ محمد موسى الشريف، وكتاب «قراءة القراءة» لمؤلفه/ فهد بن صالح الحمود.

٨- اعلم أن قيمة كل امرئ ما يحسنه (فانظر في نفسك، واعرف ما هو الباب الذي يتوافق مع إمكانياتك وجهودك، وتخصص فيه^(١)).

(١) ما أحسن هذا القول، وما أجوده!!

تأمل يا طالب العلم ما تحسنه، وتخصص فيه، ولا تشغل نفسك بأشياء كثيرة، فإنك لن تدرك ذلك، بل اتخذ من كل شيء أحسنه وأطيبه.

- واكتشف موهبتك، واستشر شيوخك، فقد يلحظون ما لا تلحظ، ويدركون ما لا تدرك [راجع شذرات الذهب للإمام الذهبي (٦٥/١) بتصرف].

* ضرورة التخصص: اتفق العلماء قاطبة على أن التخصص العميق في دائرة معرفية محددة يساعد على الفهم الدقيق، والتصور الصحيح لمفردات ذلك التخصص أيًا كان، ويكشف بعد زمن البحث والتنقيب المسائل المخبأة في الزوايا هنا وهناك، وهذا يعين الباحث على الوصول إلى نتائج عملية محققة.

- لأن المتخصص - الذي انقطع عن كل ما سوى فنه - أقدر على الاستقراء والتتبع من غيره، فهو لا يدعُ شاردة ولا واردة إلا أتى عليها، ومن هنا قيل: (دققوا يحى لا يضيع دقيق العلم).

* وإن أردت برهانًا أو دليلًا واضحًا لما نقول: فالواقع خير شاهدٍ على ذلك!!

- هل ترى في دور الطباعة وتجديدها ما يُغنى وتسمن من جوع؟! إلا إذا كان من متخصص أتقن تخصصه، وسبر أغواره، وأحاط بما دقَّ فيه وجلَّ.

ومع هذا الطغيان للمعلوماتي والتقنية المعاصرة، التي يسرت طرق البحث، وكثرة التصنيف، قلَّ التدقيق والتحقيق العلمي الصحيح.

=



٩- إياك أن تغتر بقراءتك لكتاب من الكتب أو أكثر، فتضع نفسك في مصاف طلبة العلم المتقدمين، واعلم أن البون شاسع بين العالم المنتهى وبين المتعالم المتظاهر بالعلم، ولمزيد من الفائدة حول هذا الموضوع... راجع رسالة «التعالم وأثره على الكتاب» للعلامة/ بكر أبو زيد -رحمه الله تعالى-.

١٠- نصح مشايخنا وعلمائنا بالإكثار من النظر في تراجم وسير السلف الصالح -رضوان الله عليهم - إذ إن في هذا تربية للنفس وإصلاحاً لها، وهي محاولة جادة لتخليصها من الآفات والأمراض التي تتعلق بها، كذلك فهي من أسباب علو الهمة، وإيجاد القدوات الحقيقية والمثل الصادقة ومحاکاتها في أرض الواقع المعاصر^(١).

١١- احذر من التلذذ على يد مبتدع، أو متعالم فإن أحدهما أو كلاهما تراه دوماً يُجرى الطالب على العلماء، ويُعَصَّ إليه أهل السنة الفقهاء، ويُنَكَّس له العلوم، ويقلب له الأمور، فلا يخرج من عنده بعلم ولا أدب، ولا بخلق ولا ورع، فيخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين..

إذن فمسألة التخصص قضية لا محيص عنها، ولذلك قال أبو هلال العسكري: مَنْ أراد أن يعلم كل شيء فينبغي لأهله أن يداووه، فإن ذلك إنما تصوّر له لشيء اعتراه.
وقال محمد بن يزيد: ينبغي لمن يحب العلم أن يتفنن في كل ما يقدر عليه من العلوم، إلا أن يكون منفرداً غالباً عليه منه علم يقصده ويُبَالِغ فيه.
وقال الأصبغي: (ما أعاني إلا المنفرد، يعني: المتخصص عن المناظرة).

وللتوسع يرجى الانتفاع بمطالعة كتاب «ارتياض العلوم» لفضيلة الشيخ مشاري بن سعد بن عبد الله الشثري، فهو من أمتع وأجمع وأبدع ما كتب في هذه الآونة، خاصة «فضل شعاب العلم» ص ٨٠ حتى ص ٩٨، ط. مركز البيان للبحوث والدراسات (٢٣٢)، وراجع أيضاً «مراحل طلب العلم» إعداد أبي عائش / عبد المنعم إبراهيم من ص ١٦: إلى ص ١٨ ط. مكتبة سلسبيل.

(١) راجع كتاب «أدب الدارس والمدرس» تأليف العلامة/ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي، تحقيق محمد بن ناصر العجمي ص ٤٤، ٤٥ ط. مجلة الوعي الإسلامي بالكويت ضمن سلسلة (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي) العدد (١١).



١٢- اعلم أن كل مسألة علمية يمر النظر فيها على أربعة مقامات، يصل بعدها الطالب إلى معرفة الراجح في المسائل المختلف فيها، وهذه المقامات هي:

(١) ثبوت الدليل.

(٢) صحة الاستدلال بالدليل.

(٣) السلامة من الناسخ.

(٤) السلامة من المعارض.

١٣- احرص على إدخال المعلومات لعقلك بشكل صحيح، وفي هذا ينصحك

الشيخ/ صالح آل الشيخ فيقول:

(ومن المهمات أيضًا ألا تُدخل عقلك إلا صورة صحيحة من العلم، لا تهتم بكثرة المعلومات، بقدر ما تهتم بأن لا يدخل العقل إلا صورة صحيحة للعلم، إذا أردت أن تتناولها تناولتها بالاحتجاج أو بالذكر أو بالاستفادة، تناولتها تناولا صحيحًا، أما إذا كنت تُدخل في عقلك مسائل كثيرة، وإذا أتى النقاش لاحظت من نفسك أن هذه المسألة فهمتها على غير وجهها، والثانية فهمتها على غير وجهها، لها قيد لم تهتم به، لها ضوابط ما اعتنتت بها، فتكون الصور في الذهن كثيرة، وتكون المسائل كثيرة، لكن غير منضبطة، فليس ذلك بالعلم.

إنما العلم أن تكون الصورة في الذهن للمسألة العلمية منضبطة؛ من جهة الصورة - صورة المسألة، ومن جهة الحكم، ومن جهة الدليل، ومن جهة وجه الاستدلال، فهذه الأربع تهتم بها جدًا: الأولى: صورة المسألة.

الثانية: حكم المسألة، في أي علم: في الفقه أو الحديث أو المصطلح أو الأصول أو النحو أو التفسير.. إلخ الثالثة: دليلها، ما دليل هذا الذي قال كذا وكذا؟

الرابعة: ما وجه الاستدلال؟، استدل بدليل، كيف أعمل عقله في هذا الدليل فاستنبط منه الحكم؟

فإذا عوّدت ذهنك في هذه الأربع سرت مسيرًا جيدًا في فهم العلم، والذي يحيط بذلك الاهتمام باللغة العربية، والاهتمام بالفاظ أهل العلم؛ لأنَّ مَنْ لم يهتم بالفاظ أهل العلم وبلغه العلم لم يدرك مرادهم من كلامهم.



١٤ - تابع الإصدارات العلمية الجديدة في الأسواق، لتقف على الكتب العلمية النافعة لتنتفع بها، وتستفيد منها^(١).

(١) هذه مجموعة من الخواطر نافعة لمُرَتادي معرض الكتاب؛ وقد كتبت بعضها في مناسبات سابقة، وأضيف إليها الآن نحو ثلاثين خاطرة، وزاوجت بين الجميع، فإليكموها:

أولاً: قبل زيارة المكتبة، أو المعرض، أو في التمهيد له:

١ - تقدير موازنة للشراء حتى لا تضر بالتزاماتك الأخرى، فالكُتُب تستهلك المال لو فسح الواحد منا شهيته للشراء!

٢ - حاول أن تحسن تدبير المال الذي اعتمدته لشراء الكُتُب، فسمه على أيام المعرض، ولا تنفقه في أوله؛ لئلا تقع في آخره مُعَدِّمًا، وربما اضطررت إلى الاستدانة، أو فاتك بعض المهم!

٣ - استعراض المكتبة الشخصية؛ منعًا لتكرار الكُتُب.

٤ - تحديد احتياجاتك: فما هو المجال الأكثر أهمية لك؟ وما هي الكتب التي تريدها في تخصصك؟ ومن الذي تحرص على كُتبه من المؤلفين؟ وأي الدور أكثر أهمية؟ وغير ذلك.

٥ - تصفح موقع المعرض على الشبكة، أو دليل المعرض إن كان مطبوعاً (مع ملاحظة أن كثيراً من المعلومات لم تُحدث، أو قديمة، أو محذوف منها بعض الكُتُب، لأسباب لا تخفى. وعني شخصياً لم أتعن النظر فيه).

٦ - مشاهدة خريطة المعرض للوصول إلى مواقع المكتبات بسهولة. وهذه مهمة، وهناك خرائط توزع، فافتن نسخة منها طوال مدة المعرض.

٧ - معرفة جدول الفعاليات، وحضور المُفيد منها.

٨ - اختيار أنسب أوقات المعرض، ومن أحسن الأوقات لزيارته: من بداية وقت الافتتاح س ١٠ ص - ٥ عصرًا، فهو مريح من كل المنغصات (عدا كثرة طلاب المدارس لكنها أهون من غيرها)، وتستطيع بقية اليوم تفحص ما اقتنيت.

ثانياً: نصائح:

٩ - معرض الكتاب مع كونه فرصة لانتقاء الجيد والجديد من الكُتُب والطبعات والأسعار؛ إلا أنه فرصة أيضاً لتنفيق الرديء، وبهرجة الجديد، والغبن في الأسعار!

١٠ - ليس معرض الكتاب مكاناً مناسباً للتعرف على المشايخ وطلاب العلم، فكل جاء لقضاء غرض معين في وقت محدّد، فليراع هذا الأمر، وإن كان لا بد فليكن باقتصاد.

١١ - فكرة التنقل بين دور النشر مع صديق ليست فكرة عملية، تفرقاً، وتتفقا على موعد تلتقيان فيه؛ للراحة وتبادل المعلومات عن الكُتُب.

=



- ١٢ - ليستْ كُلُّ النَّصَائِحِ الَّتِي تَسْمَعُونَهَا أَوْ تَقْرَؤُونَهَا بِمُنَاسِبَةِ الْمَعْرُضِ تَصْلُحُ لِكُلِّ النَّاسِ، خَاصَّةً فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَدَحِ كُتُبٍ بَعِيْنِهَا، أَوْ مُؤَلِّفِيْنَ بِأَعْيَانِهِمْ. خُذْ مَا يَصْلُحُ لَكَ، وَفَقَّ جَدَاوِلَكَ وَخُطَطَكَ.
- ١٣ - يَحْسُنُ بِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يُكَوِّنَ مَكْتَبَةً (فِيهَا أَمَاتُ الْكُتُبِ)؛ لِيَصِحَّ أَنْ يُقَالَ فِيهِ: إِنَّ لَدَيْهِ اكْتِفَاءً ذَاتِيًّا، ثُمَّ لِيُنْزَلَ إِلَى مَرْتَبَةِ الْحَاجِيَّاتِ فَالتَّحْسِينِيَّاتِ.
- ١٤ - إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُكَوِّنَ مَكْتَبَةً، فَنَصِيحَتِي أَنْ يَكُونَ الْمَعْرُضُ لِمَا لَمْ تَجِدْهُ مِنَ الطَّبَعَاتِ فِي الْمَكْتَبَاتِ التَّجَارِيَةِ، أَوْ لِفَرْقٍ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ السَّعْرِ مَثَلًا.
- ١٥ - مَنْ يَمْلِكُ "الْمَالِ وَالْمَكَانَ الْمُنَاسِبَ" فَقَدْ تَهَيَّأَ لَهُ مَقُومَاتُ تَكْوِينِ الْمَكْتَبَةِ الَّتِي يُرِيدُ، بَقِيَ عَلَيْهِ حُسْنُ اخْتِيَارِ الطَّبَعَاتِ وَتَقْدِيمُ الْأَصُولِ وَالْأَمَاتِ.
- ١٦ - احْرِصْ أَوَّلًا عَلَى زِيَارَةِ الدُّورِ النَاشِرَةِ، أَيِ الَّتِي لَهَا إِصْدَارَاتٌ، أَمَّا الْمَكْتَبَاتُ الَّتِي تَجْمَعُ إِصْدَارَاتِ الْغَيْرِ فَهِيَ كَأَيِّ مَكْتَبَةٍ خَارِجِ الْمَعْرُضِ، لَا فَرْقَ.
- ١٧ - احْرِصْ عَلَى زِيَارَةِ الْمَعْرُضِ فِي أَوَّلِهِ وَوَسْطِهِ وَآخِرِهِ؛ فِي أَوَّلِهِ لِئَلَّا تَنْفَدَ بَعْضُ الْكُتُبِ الْمُهْمَّةِ، وَفِي وَسْطِهِ لِأَنَّ بَعْضَ الْبَاعَةِ يُؤَجِّلُ شَيْئًا مِنَ الْعُنَاوِينِ، فَلَا يَطْرُقُهَا أَوَّلَ الْمَعْرُضِ؛ وَذَلِكَ لِإِعَادَةِ جَذْبِ الزبَائِنِ، وَفِي آخِرِهِ حَيْثُ تَرُخِّصُ الْأَسْعَارُ.
- ١٨ - لَا بُدَّ مِنْ دَفْتَرٍ صَغِيرٍ، وَقَلَمٍ، وَأَنْتَ تَمُخَّرُ عُبَابَ بَحْرِ الْكُتُبِ الْمُتَلَاطِمِ، قَيِّدْ فِيهِ مَا يَلْفُتُ نَظْرَكَ، وَلَيْسَ ضِمْنًا قَائِمَةً مُشْتَرِيَاتِكَ؛ لِتَعُودَ إِلَيْهِ إِنْ بَقِيَ مَعَكَ فَضْلٌ مَالٍ.
١٩. قَدْ يُعْجِبُ أَحَدُنَا فِي مُقْتَبَلِ عُمُرِهِ بِشَخْصِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ؛ فَيَدْعُوهُ ذَلِكَ إِلَى تَقْلِيدِهِ فِيمَا يَقْرَأُ، وَكَيْفَ يَقْرَأُ، وَلِمَنْ يَقْرَأُ... وَهَذَا خَطَأٌ.. اسْتَفِدْ مِنَ التَّجَارِبِ، وَلَا تُكُنْ إِمَاعَةً.
- ٢٠ - كَثِيرٌ مِنَ الشَّبَابِ يَتَّبِعُونَ الْكُتُبَ الْجَدِيدَةَ وَالدراساتِ الْمُعاصرة... وَمَا عَلِمُوا أَنَّ مِنَ الْقَدِيمِ مَا هُوَ أَقْوَى بَحْثًا وَأَحْسَنُ لُغَةً، وَأَصْفَى مِنْهَجًا.
- ٢١ - لَا يَكُنْ هُمُكَ (فِي ابْتِدَاءِ امْرُكٍ) الْبَحْثُ عَنِ النَّادِرِ مِنَ الْكُتُبِ، فَكَثِيرٌ مِنَ النَّادِرِ لَنْ تَحْتَاجَهُ إِلَّا فِي النَّادِرِ، عَلَيْكَ بِمَا سَتَقْرُؤُهُ أَوْ تَدْرُسُهُ فِي الْمَدَى الْقَرِيبِ.
- ٢٢ - لَا تَغْرُكْ مَقُولَةُ: "الْكِتَابُ مِنْ عُنَاوِينِهِ"؛ فَكَثِيرٌ مِنَ الدُّورِ أَوْ الْمُؤَلِّفِينَ قَدْ اسْتَعْلَوْا هَذِهِ الْمَقُولَةَ أَسْوَأَ اسْتِغْلَالٍ فِي تَنْمِيقِ الْعُنَاوَانَاتِ لِتَضْلِيلِ الْقُرَّاءِ... فَتَنَّبَهُ.
- ٢٣ - فِي مَعْرُضِ الْكِتَابِ يَخْتَلِطُ حَابِلُ الْكُتُبِ بِنَابِلِهَا، جَيِّدُهَا بِرَدِيئِهَا، فَاضِلُهَا بِمَفْضُولِهَا، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا بَصِيرَةٍ أَوْ يَسْأَلُ ذَا بَصِيرَةٍ، غُبْنًا فَاحِشًا فِي الْقِيَمَتَيْنِ!
- ٢٤ - إِذَا رَأَيْتَ تَجْمَهُرَ النَّاسِ فِي الْمَعْرُضِ فِي مَكْتَبَةٍ، أَوْ عَلَى كِتَابٍ، فَلَا تَحْرِصْ كَثِيرًا عَلَى التَّجْمُهُرِ؛ لِأَنَّهُ غَالِبًا مَا يَغْرُكُ شِرَاءَ النَّاسِ لِلشَّيْءِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَا قِيَمَةٍ!

=



- ٢٥- أجل شراء الكتب ذوات الأجزاء إلى آخر أيام المعرض، فهي في الغالب لا تنفذ.
- ٢٦- احرص على شراء الطبعة الحديثة: فكثير من الطبعة القديمة ستجده على رفوف المكتبات طوال السنة.
- ٢٧- يعتمد بعض أصحاب دور النشر إلى وضع نسخة أو نسختين من الكتاب على الطاولة؛ ليؤمهم بأنها كل ما تبقى من كمية الكتاب، لا تتخذ؛ فالأمر ليس كذلك - في الغالب - ولا سيما في أول أيام المعرض.
- ٢٨- عد لدار النشر أكثر من مرة، لأنك في كل مرة تعود إليها ستري كتباً لم ترها من قبل؛ بسبب الاستعجال في استعراض الكتب، أو لتوفيرهم كتباً نفذت أو وصلت حديثاً.
- ٢٩- السؤال المتكرر من الإخوة الذين أقابلهم في المعرض: "ما هو الجديد؟" قلنا مراراً: ليس بالضرورة أن يكون الجديد بالنسبة لغيرك هو المناسب لك، كما أن الجديد أيضاً متفاوت، فبعض الناس جديده ما صدر قبل شهر، وبعضهم ما صدر قبل عام، ويختلف أيضاً بحسب الناس وتتبعهم لشؤون الكتب، وفي تباعد البلدان أيضاً عامل آخر في التفاوت.
- ٣٠- الكتب الجديدة كثيراً ما تبالغ المكتبات في أسعارها حال نزلها.. ترى في اقتنائها فلربما أخذتها بعد حين بنصف ثمنها، وهذا مجرب.
- ٣١- وليس من التدبير الحسن أن تقتني كل كتب أو تحقيقات شخص بعينه؛ لأن عمل البشر يتفاوت قوة وضعفاً. إلا إن كنت معنياً بدراسة نتاجه.
- ٣٢- وليس من التدبير الحسن أن تقتني كل إصدارات مكتبة ما، أو مركز ما، لا بد من الانتقاء والاصطفاء، فما كل إصدارات الناشر يسواء.
- ٣٣- ليس بالضرورة أن تقتني ما يقتني رفاقك في المعرض، فلكل اهتمام واختيار وتخصص وذوق وقدرة متفاوتة على التمييز والانتقاء.
- ٣٤- في المعرض إذا وجدت كتاباً جديداً باهظ الثمن قد تجده أقل بكثير خارجة، حصل لي أن وجدت كتاباً في المعرض بـ ٥٠ جنيهاً، ووجدته في اليوم نفسه خارجة بـ ٣٢ جنيهاً من سور الأريكية أو غيره..
- ٣٥- لا تلتفت إلى دعايات توقيع الكتب من المؤلفين.. فالقضية تسويق محض، وتذكرون قصة الكتاب الفارغ من أي شيء!!
- ٣٦- شيء من الوعي: بعض الشباب معه قائمة: (العمدة، الروض، الرياض، الأربعون..) ويدخل إحدى الدور التي غالب كتبها ممن "لا يذكرون الله إلا قليلاً" ويبدأ في السرد: عندك (العمدة و... و... و...) لا تشبهوا بنا هؤلاء!
- ٣٧- قد يسهم بعض رواد المعرض في غبن أنفسهم بأنفسهم، فتجدهم يحشدون في مكتبة ما، أو على كتاب ما.. فيغرون صاحبها بزيادة السعر، أو إلغاء التخفيض!
- ثالثاً: تنبيهات:

=



- ٣٨- تأكد حال شرائك للكتاب أنه كامل، فقد تُطبع بعض الكتب ناقصة، وليس على غلافها ما يُوحى بذلك، مثل "تلبيس إبليس"، مدار الوطن ٣ مج، ولا تزال ناقصة!
- ٣٩- إذا اقتنيت كتاباً فاحرص أن يكون في طبعته الثانية أو الأخيرة، فغالباً ما يكون فيها تعديلات وإصلاحات ومراجعات.
- ٤٠- لا يكفي أن ترى تحقيقاً جديداً للكتاب لتسارع في اقتناء طبعته الثانية أو الجديدة، دقق في مقدمة المُحقق وما الجديد في طبعته وما ميزاتُها وما دواعي الإعادة.
- ٤١- شعار "مزيده ومنقحه" أصبح شعاراً لبعض دور النشر (وربما المؤلفين) للتسويق بلا أمانة! فلا تنهز به!
- ٤٢- بعض الكتب مجرد إعادة ترتيب لكتب أخرى، مثل ترتيبات التمهيد، لابن عبد البر، أذكر منها أربعة أو خمسة، يكفيك ترتيب جيد، والبقية لا قيمة لها!
- ٤٣- لا تتردد في شراء الكتاب الذي تحتاج إليه في دراستك، أو تريد قراءته، أو تخشى من نفاذ نسخته، أو أوصاك به ثقةً مُطلّع.
- ٤٤- لا تتعجل في اقتناء الموسوعات الضخمة، لأنها تستهلك الميزانية، والمكان، وأغلبها موجود بعدة صيغ إلكترونية يمكن تصفحها والبحث فيها هناك.
- ٤٥- الرسائل الصغيرة غالباً ما تضيع في زحمة المُجلدات، فتوجهت بعض الدور إلى ضمها في مجاميع، مثل: لقاء العشر الأواخر، رسائل ابن حزم، رسائل ابن رجب، رسائل الغزالي، رسائل ابن عبد الهادي، رسائل الجاحظ، نوادر المخطوطات (جمع هارون)، آثار ابن المقفع.. وغيرها.
- ٤٦- احرص على اقتناء الكتب الجامعة لمقالات علم ما، وقد صدرت مجاميع ممتازة، كمقالات الأخوين أحمد ومحمود شاكر، والطناحي (في مجموعتين)، والمعصومي، والدالي، والميمني، والسيد صقر..
- ٤٧- لا ينبغي أن تخلو مكتبة طالب العلم من الكتب الوصفية للفنون وتطورها، ومن الكتب المعروفة بالفنون ومؤلفاتها، ككشف الطنون، وأبجد العلوم.. وغيرها.
- ٤٨- الكتب المكشفة غنيمة باردة... ومع ذلك فلا تصدّك الفهارس عن قراءة الكتاب، فلك ذوق واهتمامات مختلفة عن المُفهرس.. ومن جرب عرف.
- ٤٩- العلوم الشرعية أخذ بعضها برقاب بعض، فاقن كتابين إلى ثلاثة من الأمانات في كل فن، كمرحلة تأسيسية، ومن فتح عليه فليستكثر ما شاء، كما يشاء.
- ٥٠- لا يفوتك اقتناء جملة صالحة من المعاجم المتخصصة في الفنون، كمعجم البلاغة لمطلوب، والمعجم الفلسفي لصليا، والمعجم الأدبي لجبور عبد النور.

=



- ٥١- أَكْثَرَ الْكُتُبِ "السَّاقِطَةُ" فِكْرًا وَأَخْلَاقًا وَلُغَةً إِنَّمَا طُبِعَتْ عِدَّةَ طَبَعَاتٍ بِسَبَبِ دَعَايَةِ مَنْعِهَا وَسَحْبِهَا مِنَ الْأَسْوَاقِ، فَلَا تُسَهَّمُ فِي الدَّعَايَةِ لَهَا بِاقْتِنَاءٍ أَوْ تَجْمُهُرٍ عَلَى مَحَلِّ بَيْعٍ، وَلَا دَلَالَةَ أَحَدٍ!
- ٥٢- ابْتَعَدَ عَنِ الرِّوَايَاتِ وَالْكَتُبِ الْعِلْمَانِيَةِ الْإِلْحَادِيَةِ وَالتِّي فِيهَا مَسَاسٌ بِمُقَدَّسَاتِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهَا.

رابعًا: مَوَاصِفَاتٌ وَعِلَامَاتٌ:

- ٥٣- إِذَا اجْتَمَعَ فِي الْكِتَابِ الْمُحَقِّقُ أَرْبَعَةُ أُمُورٍ:
- أ- عُنْوَانٌ صَحِيحٌ.
 - ب- مُقَدِّمَةٌ كَاشِفَةٌ.
 - ج- نَصٌّ سَلِيمٌ مُعْتَنَى بِهِ.
 - د- فَهَارِسٌ كَاشِفٌ = فَقْدُ اكْتِمَالِ حُسْنِهِ.
- ٥٤- الْبَعْضُ يَظُنُّ أَنَّ مِقْيَاسَ جَوْدَةِ التَّحْقِيقِ مِنْ عَدَمِهَا فِي طُولِ حَوَاشِي الْمُحَقِّقِ، وَهَذَا مِيزَانٌ فَاسِدٌ، إِنَّمَا جَوْدَةُ التَّحْقِيقِ فِي أَدَاءِ الْكِتَابِ أَقْرَبُ إِلَى مَا تَرَكَ الْمُؤَلِّفُ.
- ٥٥- إِذَا اقْتَنَيْتَ كِتَابًا فَلَا بُدَّ مِنَ الْمُرُورِ عَلَى خَمْسَةِ أُمُورٍ:
- ١- غُلَافِ الْكِتَابِ.
 - ٢- مُقَدِّمَةِ التَّحْقِيقِ.
 - ٣- مُقَدِّمَةِ الْمُؤَلِّفِ.
 - ٤- تَصَفُّحٍ سَرِيعٍ لِلْكِتَابِ.
 - ٥- فَهَارِسِ الْكِتَابِ.
- ٥٦- إِذَا وَجَدْتَ فِي الْكِتَابِ صَفْحَةً بَيَضاءَ، فَاعْلَمْ أَنَّهَا لَيْسَتْ الْوَحِيدَةُ، بَلْ مَعَهَا ٧ صَفْحَاتٍ أُخْرَى، فَتَفْحَصْ كِتَابَكَ؛ لِئَلَّا تَقْتَنِي كِتَابًا كِتَابٍ "كَيْفَ تَرَبُّحُ بِأَقْلٍ مَجْهُودٍ".
- ٥٧- أَفْضَلُ أَوْقَاتٍ تَصَفُّحُ مُقْتَنِيَاتِ الْمَعْرُضِ: بَعْدَ وَصُولِكَ إِلَى الْبَيْتِ مُبَاشَرَةً (تَجْرِبَةُ شَخْصِيَّةٍ)، تَعْرِفُ غُيُوبَ الطَّبَعِ إِنْ وَجَدْتَ، تُفِيدُ الْآخَرِينَ بِمَا وَجَدْتَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ.
- خَامِسًا: عَنْ دُورِ النِّشْرِ وَمَا إِلَيْهَا:
- ٥٨- أَصْحَابُ الْمَكْتَبَاتِ وَدُورِ النِّشْرِ أَغْلِبُهُمْ تُجَارٌ، بَلْ كُلُّهُمْ (وَلَيْسَ ذَاكَ عِيًّا إِذَا تَوَخَّوْا الْأَمَانَةَ فِي الْإِخْتِيَارِ وَالتَّعَامُلِ)، فَلَا تَظُنُّهُمْ جَمْعِيَّةً خَيْرِيَّةً قَدْ أَشْرَعَتْ أَبْوَابُهَا لِلتَّوَزُّعِ!
- ٥٩- لَا تَظُنْ أَنَّكَ تَتَفَضَّلُ عَلَى دَارِ النِّشْرِ أَوْ صَاحِبِ الْكِتَابِ بِشَرَاءِ كِتَابِهِ، بَلِ الْفَضْلُ لَهُمْ بِتَكْلُفِهِمْ عَنَاءَ التَّأْلِيفِ وَالتَّحْقِيقِ وَالتَّطْبِيعِ؛ لِتَأْخُذَ الْكِتَابَ عَلَى طَبْقٍ مِنْ ذَهَبٍ!

=



- ٦٠- عُرِفَ عَدَدٌ مِنْ دُورِ النُّشْرِ بِالْجُودَةِ فِي الْإِخْتِيَارِ وَالطَّبَاعَةِ، مِمَّا أَغْرَى الْكَثِيرَ بِاقتناءِ مَطبوعاتهم بلا تردُّدٍ، وهذا مَعْقُولٌ فِي الْجُمْلَةِ، لَكِنْ قَدْ يَعْتَرُ الْجَوَادُ، فَلَا بُدَّ مِنْ فَحْصٍ، وَلَوْ سَرِيعٍ، حَتَّى لَا يُغْبَنَ الشَّخْصُ بِمُجَرَّدِ ثِقَتِهِ الزَّائِدَةِ. وَأَذْكُرُ مِثَالًا صَارِخًا، وَهُوَ كِتَابُ عَوَالِي مَالِكٍ ٤ مجلدات - دار الغرب، فالكِتَابُ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُطْبَعَ فِي جُزْءٍ فِي ١٥٠ صَفْحَةٍ، لَكِنَّ الْمُحَقِّقَ نَقَلَ تَهْذِيبَ ابْنِ حَجَرٍ بِرُمَّتِهِ إِلَى الْحَوَاشِي، وَهَذَا يَصْدُقُ الْقَوْلُ: مَنْ قَرَأَ الْحَوَاشِي، مَا حَوَى شَيْءٌ!! وَأَذْكُرُ مَرَّةً أُتِي التَّقِيْتُ بِصَاحِبِ دَارِ الْغَرْبِ، الْحَاجِّ الْحَبِيبِ اللَّمَّسِيِّ، فَسَأَلْتُهُ: مَا الْكِتَابُ الَّذِي نَدِمْتَ عَلَى طِبَاعَتِهِ؟ فَتَرَدَّدَ، فَقُلْتُ لَهُ: عَوَالِي مَالِكٍ! فَقَالَ: نَعَمْ!!
- ٦١- اجْتَنِبَ مَطْبُوعَاتِ بَعْضِ الدُّوَرِ الَّتِي عُرِفَتْ بِالنُّشْرِ السَّيِّئِ وَسَلَخِ الْحَقِيقَاتِ.. وَلَا أَطْنُهَا تَخْفَى عَلَى الْأَكْثَرِ، إِلَّا فِي نِطَاقٍ مَحْدُودٍ خَرَجَ عَنِ الْقَاعِدَةِ.
- ٦٢- دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَةِ مِثَالٌ عَلَى الدُّوَرِ السَّالِفِ ذِكْرُهَا، لَكِنَّهَا صَوَّرَتْ بَعْضَ الطَّبَعَاتِ الْقَدِيمَةِ، فَهَذِهِ تُسَمِّنِي مِنَ الْقَاعِدَةِ، وَمِثْلُهَا التَّحْقِيقَاتُ الْجَدِيدَةُ عَلَى نُدْرَتِهَا! أَوْ الْكُتُبُ الَّتِي انْفَرَدَتْ بِطِبَاعَتِهَا.
- ٦٣- الدُّورُ اللَّبْنَانِيَّةُ تَمْتَازُ بِجَمَالِ الْإِخْرَاجِ وَجُودَةِ التَّجْلِيدِ، مَعَ غِلَافٍ فِي الْأَسْعَارِ.. الْجَمَالُ يُغْرِي بِالشَّرَاءِ.. لَكِنَّ الْحَصِيفَ يَنْتَقِي كَمَا يَنْتَقِي الْغُرَابُ تَمَرَّتَهُ.
- ٦٤- لَيْسَ جَمَالُ الْإِخْرَاجِ وَالْوَرَقِ وَلَا جُودَةُ التَّجْلِيدِ دَلِيلًا عَلَى جُودَةِ الْكِتَابِ.. وَإِنْ كَانَ مُؤَشِّرًا عَلَيْهِ فَلَا يَسْتَرَوِحَنَّ الْمُسْتَشْرِفِيُّ فِيغْرِهِ الْجَمَالُ الظَّاهِرُ عَنِ الْجَمَالِ الْبَاطِنِ، وَبِأَسْعَدَنَا إِنْ اجْتَمَعَا!
- ٦٥- مِنْ أَحْسَنِ الدُّوَرِ الْمِصْرِيَّةِ جُودَةُ: مِصُورَاتِ بُولَاقٍ، دَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ، دَارِ الْمَعَارِفِ، الْهَيْئَةُ الْعَامَّةُ الْمِصْرِيَّةُ، دَارُ السَّلَامِ، دَارُ الْخَانِجِيِّ.. وَغَيْرُهَا.
- ٦٦- الدُّورُ الْمِصْرِيَّةُ تَنْقَسِمُ كُتُبُهَا (ذَاتُ الطَّبَعَاتِ الْقَدِيمَةِ وَالْمُعَادَةِ) إِلَى الْآتِي:
- ١- مِصُورَاتُ عَنِ الْقَدِيمِ، فَهَذِهِ يُنْظَرُ فِيهَا إِلَى الْكِتَابِ نَفْسِهِ مِنْ جِهَةٍ، وَإِلَى دِقَّةِ التَّصْوِيرِ وَجُودَتِهِ.. أَغْلِبُهُ رَدِيءٌ.
- ٢- إِعَادَةُ صَفٍّ مِنْ جَدِيدٍ، فَهَذِهِ أَغْلِبُهَا فِي غَايَةِ مِنَ السُّوءِ مِنْ حَيْثُ الْوَرَقُ وَالتَّجْلِيدُ وَالْخَطُّ.. فَيُنْتَقَى مِنْهَا بِعَنَاءٍ، أَوْ يُقْتَصَّرُ عَلَى مَا يَحْتَاجُهُ الْبَاحِثُ فَقَطْ.
- ٦٧- هُنَاكَ أَعْلَامٌ أَيْضًا لِلْعَبَثِ بِالتُّرَاثِ، مِنْهُمْ: كِمَالُ الْحَوْتِ، وَمُحَمَّدُ الْجَمَلِ، وَعَبْدُ الْأَمِيرِ الْأَعْسَمِ، وَعَادِلُ عَبْدِ الْمَوْجُودِ، وَعَلِيٌّ مَعُوضٌ، وَعَوِيضَةُ، وَعَبْدُ الرَّحِيمِ عَلِيٍّ، وَأُمُّ مَجَاهِيلِ ظَهَرَتْ أَسْمَاؤُهُمْ عَلَى مَوْلاَتِ كَثِيرَةٍ، وَأَكْثَرُهُمْ لَمْ نَسْمَعْ بِهِمْ، وَأَخْشَى أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ لَا وَجُودَ حَقِيقَتِي لَهُمْ فِي الْوَاقِعِ!
- ٦٨- مِنْ أَسْمَاءِ هَذَا الضَّرْبِ أَيْضًا: د. مُحَمَّدُ زَيْنَهُمْ عَزَبَ، وَانْظُرُوا تَحْقِيقَاتِهِ عَلَى طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ لِابْنِ كَثِيرٍ، وَشَيْخِ مَالِكٍ، لِابْنِ خَلْفُونَ، وَالْأَلْقَابُ لِلْجَيَانِيِّ.. سَتَقِفُونَ عَلَى عَجَائِبَ، وَتَتَبَكَّرُونَ عَلَى هَذَا التُّرَاثِ الْمُسْتَبَاحِ الْعَرَضِيِّ!!

=



١٥- لا مانع من متابعة المجلات الإسلامية والدوريات الشرعية للاستفادة منها كالدوريات التي تصدر عن المؤسسات التعليمية كالأزهر الشريف، وكلية الدعوة الإسلامية وكلية أصول الدين، وكلية دار العلوم، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الإمام محمد بن سعود، وأيضاً احرص على الانتفاع «بمجلة التوحيد» والتي تصدر عن جمعية أنصار السنة المحمدية، ومجلة «البحوث الإسلامية» والتي تصدر عن الرئاسة العامة وإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالملكة العربية السعودية^(١)، ومجلة «المجمع الفقهي الإسلامي» برابطة العالم الإسلامي^(٢)، ومجلة «الشرعة والدراسات الإسلامية» والتي تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت^(٣)، ومجلة «الدعوة» التي تصدر عن مؤسسة الدعوة

٦٩- وعليه إذا رأيت اسم أحد من هؤلاء على اسم كتاب مُحَقِّقٍ، ففَرِّ منه فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ، فقد أَتَوْا على كثيرٍ مِنَ الْكُتُبِ الْمَهْمَةِ مَسْحًا وَتَحْرِيفًا!!

٧٠- وبالمُقَابِلِ هناك أعلامٌ إنْ وُجِدَتْ أَسْمَاؤُهُمْ على كِتَابٍ فَخُذْهُ وَأَنْتَ مُطْمَئِنٌّ غَالِبًا: فَمِنْ الْمُحَقِّقِينَ: أحمد شاكِر، وأخوه محمود شاكِر، وعبد السلام هارون، والطناحي، والحلو، وشعيب الأرنؤوط، وزهير الناصر، وحبيب الرحمن الأعظمي، عبد الرحمن اليماني المعلمي، ومحمد عوامة، وأيمن السيد، ومِنْ الْمُؤَلِّفِينَ: المعلمي، والألباني، وبكر أبو زيد، وابن عثيمين، ومحمد الخضر حسين، وعبدالكريم بكار، وطه عبدالرحمن، وفريد الأنصاري، وغيرهم

(١) يمكنك مراسلة المسئولين ليرسلوا لك المجلة المطلوبة عبر البريد، أو غيره، فمثلاً مجلة البحوث الإسلامية يمكنك مراسلتها على عنوان المراسلات الآتي: ص. ب (٢٢٥٧١)، الرياض - الرمز البريدي (١١٤١٦) هاتف: (٤٥٧١٥٨٤).

(٢) يمكنك مراسلة إدارة المجلة على عنوان المراسلات الآتي: ص. ب ٥٣٧ مكة المكرمة، هاتف رقم (٥٦٠١٢٧٦)، فاكس رقم (٥٦٠١٢٣٢)، البريد الإلكتروني mwlfigh@hotmail.com.

(٣) عنوان مراسلات مجلة الشرعة والدراسات الإسلامية: ص. ب (١٧٤٣٢)، الرمز البريدي (٧٢٤٥٥)، الخالدية، الكويت، هاتف (٤٨١٢٥٠٤)، العنوان الإلكتروني Email-Josais@kucol.kuniv.enu.kw، ٨٩٠٨-issn : ١٠٢٩



الإسلامية^(١)، ومجلة البيان «والتي تصدر عن المنتدى الإسلامي بلندن»^(٢)، ومجلة كلية الدعوة الإسلامية الصادرة عن كلية الدعوة الإسلامية بالجماهيرية العربية الليبية الشعبية بـ طرابلس، مجلة دار الإفتاء المصرية، كذلك فاحرص على مطالعة كتب فتاوى كبار علماء الأمة - لاسيما - في النوازل، مثل: كتاب «فقه النوازل» د. بكر أبو زيد، وكتاب «فقه النوازل.. دراسة تأصيلية تطبيقية» تأليف/ د. محمد بن حسين الجيزاني، وموسوعة «القضايا الفقهية المعاصرة» للدكتور/ علي السالوس^(٣)، ويمكنك مراجعة دراسة المعايير الشرعية "النص الكامل للبحوث والدراسات التي قُدمت تمهيداً لإعداد المعايير الشرعية، ط. دار الميمان

١٦ - أكثر من الاستماع إلى اللقاءات والدورات العلمية المنهجية، والمحاضرات النافعة والفتاوى المهمة^(٤)، ثم قيد فوائدها، ولخص أفكارها^(٥)، ولسماع الحلقات العلمية الإسلامية

(١) عنوان مجلة الدعوة: المملكة العربية السعودية، ص. ب: ٦٢٦، الرياض: ١١٤٢١، ت: (٤٣٥٣٧٤٣١)، (٤٣٤١١٠٧)، فاكس (٤٣٥٧٢٤٩)، subscriptions@aldaawah.com.

(٢) مجلة البيان: الرياض، ص. ب (٢٦٩٧٠)، هاتف (٤٦٤١٢٢٢)، فاكس (٤٦٤١٤٤٦)، sub@albayan-magazine.com.

(٣) وأنصح إخواني بالأطلاع على بعض المدونات الخاصة بالفتاوى:

ككتاب المنار المنيف من فتاوى (علماء الأزهر الشريف) ط. دار اليسر.

- وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

- وفتاوى الشيخ العلامة ابن باز.

- وفتاوى الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين.

- وفتاوى مجمع الفقه الإسلامي بـ جدة.

- وفتاوى د/ صالح الفوزان، وفتاوى الشيخ/ عبد المحسن العباد البدر، وفتاوى د/ صلاح الصاوي، وفتاوى الشيخ/ محمد الحسن الددو.

(٤) مثل: «مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية»، إعداد الشيخ/ صفوت الشوافي، ط. مكتبة التقوى - بليس، و«فتاوى كبار علماء البلد الحرام»، و«فتاوى المعاملات المالية»، ط. دار السلام، و«فتاوى العلماء حول الأقليات المسلمة في العالم» للشيخ/ أبي أنس صلاح الدين محمود سعيد، ط. دار الإيمان بالإسكندرية.



ضوابط كثيرة، لا يتسع المقام لسردها لذا أحيلك على بحث [الضوابط الشرعية لسماع الأشرطة الإسلامية] للدكتور محمد رجب - حفظه الله، ط. دار العقيدة، وحرص على قراءة مقال «الدورات العلمية جامعات مفتوحة وعلم مشاريع» للأستاذ/ حباب بن مروان الحمد - بمجلة البيان العدد (٢١٣) - الصادر في جمادى الأولى ١٤٢٦ هـ - يونيو ٢٠٠٥ م ص ٤٤، ٤٥.

* لذا ينبغي على كل راغب في الالتزام - خاصة - إذا كان طالباً جامعياً أن يجتهد غاية الاجتهاد في تربية نفسه تربية علمية تأصيلية، تمكنه - بإذن الله - من مواجهة الشبهات والتيارات المنحرفة في الجامعة وفي غيرها، وما أكثرها!!

(١) يمكنك الاستفادة في هذا من (ملتقى أهل الحديث)، (ملتقى أهل التفسير)، ملتقى الخطباء، موقع الألوكة، موقع صيد الفوائد، موقع الدرر السنية، موقع المسلم، موقع البيئة، ومنتدى التوحيد، وغيرها من المواقع العلمية النافعة على الشبكة العنكبوتية - الإنترنت.

(٢) احرص -أخي الشاب- في أثناء مسيرتك العلمية على دعوة زملائك في الدراسة بكافة الوسائل المشروعة - إذ الوسائل لها أحكام المقاصد - كما يقول الأصوليون، فاحرص على تبليغ الدين، وفي هذا عدد من الفوائد منها: إرضاء الرب، وتحصيل الأجر، ونصرة الملة، وإعزاز الشرعة، وهداية الخلق وتثبيت العلم، والثبات على الحق. كذلك فاحرص -أخي الكريم- على قتل البدع والمحدثات والضلالات في مهدها حتى لا تنتشر في جامعتك فتصبح [ظاهرة كارثية] يصعب معها الإصلاح، بل اجتهد في تصحيح المفاهيم الفاسدة والرؤى الكاسدة التي انتشرت في البلاد -عامة-، وفي أوساط الأجيال الشابة -خاصة- الجامعات المصرية. واعلم أنك ستجد من يروج للأفكار الفاسدة الضالة كـ «الإلحاد - الوجودية - الشيوعية - الليبرالية - الإباحية - التغريب».

وستجد من يقوم بنشر بعض الوريقات أو الرسائل على وسائل التواصل الاجتماعي التي تحمل بين طياتها زوراً وهتافاً، ومن ذلك: ما ينشر عادة أيام الاختبارات الدراسية كورقة «وصية حامل مفاتيح المسجد النبوي»، وغيرها من الرسائل المزورة المضللة، كأوراق الأحزاب والاتجاهات العلمانية المناهضة للإسلام وأهله. لهذا كان الواجب عليك ألا تكتم ما تعلمته من علوم شرعية نافعة، وأن تحرص على الانشغال بالبيشارة والندارة لإخوانك وذويك وأصحابك.

=



* وأخيراً: فإن هذه الوسائل بمجموعها تمكن المرء - بعد توفيق الله وإعانتة - من تحقيق التربية العلمية، وأما الاقتصار على بعضها فقد يكون غير كافٍ لتحقيقها على الوجه المطلوب - خاصة - ونحن في زمان كثرت في الشبهات وتكاثرت وتفرعت فيه المضلات.

**للعلم آفات..
فاحذرهما!!**

* لما كان العلم عبادة القلب وسر مناجاته وموطن قوته، كانت للشياطين مداخل لا يحصيها إلا الله، منها ما يفسد النية والإرادة، ومنها ما يُفسد سبيل الطلب، ومنها ما يُفسد العلم ذاته على صاحبه، فسبيل العلم محفوفة بالمكاره والمشاق، ومداخل الشيطان فيه لا يحصيها إلا الله، لذلك ينبغي لطالب العلم أن يلتفت إلى درس الآفات التي تعرض للعلم فتفسده، أو تفسد سبيل الطلب على طالبه، أو تفسد القصد والإرادة والنية فيه، حتى لا يلزم شيء منها به، ولا ومن هذه الآفات التي نفر الشرع منها:

١ - تعلم العلم لغير الله: وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، «أي من كانت الدنيا هي مقصوده، وغاية مطلوبه، فلم يقدم لآخرته ولا رجا ثوابها ولم يخش عقابها، «نؤته منها»: نصيبه الذي قسم له، «وما له في الآخرة من نصيب»: قد حرم الجنة ونعيمها، واستحق النار وجحيمها»^(١).

وأنصحك بالاطلاع على رسالة «عجز الثقات» لفضيلة د/ محمد موسى الشريف - جزاه الله خير الجزاء-، يمكنك أن تتنفع بكتابي عظمة الإسلام وتأخر المسلمين د/ سيد الجميلي، ط. دار الشرق العربي، وآيات علمية في الروح والله والإيمان، د/ محمد محمود عيد، ط. عربية للطباعة والنشر.. ففيها ردود علمية رائعة على كثير من تساؤلات الشباب الجامعي وغيره.

(١) يراجع «تيسير الكريم الرحمن» للشيخ/ السعدي، ص ٧٠٢.



* فالعلمُ مُفتاح العمل ورائده، وهو الأصل الذي يُبنى عليه، فينبغي أن تُخلَّص فيه النية لله تعالى، حتى يزكو فيشمر عملاً صالحاً رجاء القبول، ورجاء الثواب^(١)، وإلا فستكون الفتن والمحن - كما هو الحال، ولعلَّ هذا يذكرنا بما صح عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً، وهو مرفوع إلى النبي حكماً، أنه قال^(٢): «كيف بكم إذا لبستكم فتنة، يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويتخذها الناس سنة، إذا ترك منها شيء قيل: تركت السنة!، قيل ومتى ذلك؟، قال: إذا ذهبت علمائكم، وقلت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت أمناؤكم، وتفقه لغير الدين، والتمست الدنيا بعمل الآخرة»^(٣).

٢ - فقدان الخشية: الأصل أن العلم يورث صاحب خشية الله تعالى، يؤيد هذا قوله - جلَّ شأنه - ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]؛ لأنه كلما كانت المعرفة لله تعالى العظيم العليم الموصوف بصفات الكمال، كلما كانت المعرفة به أتم، والعمل به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر..

* لأجل هذا كان يُقال: العلماء ثلاثة: عالم بالله عالم بأمر الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله، فالعالم بالله وبأمر الله الذي يخشى الله تعالى ويعلم والحدود والفرائض، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض، والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذي يعم الحدود والفرائض ولا يخشى الله عز وجل^(٤).

* فالخشية والخشوع من لوازم العلم الحق لا ينفكان عنه بحال أبداً؛ لأنها من لوازم الفهم

(١) «فضل العلم وآداب طلبته وطرق تحصيله وجمعه»، تأليف د/ محمد سعيد، ص ٣٣٨، ط. دار الحرمين.

(٢) للاستزادة تراجع رسالة: «قيام الليل»، للشيخ الألباني - رحمه الله تعالى، ص ٤٠، ط. المكتبة الإسلامية بالأردن.

(٣) رواه الدرامي، (١/ ٧٥، ٧٦) وصحح الألباني إسناد الدرامي في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٤٨) ورواه

عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٣٥٩) موقوفاً على عبد الله بإسناد منقطع.

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٥٥٤).



الحق، وأما الوقوف على رسوم الألفاظ وصورة العلم فشيء آخر.. يقول ابن الجوزي - رحمه الله: «وليس العلم صور الألفاظ، إنما المقصود فهم المراد منه، وذلك يورث الخشية والخوف، ويرى المنة للمنعم بالعلم، وقوة الحجة له على المتعلم»^(١).

٣- هجر العمل: إن ثمرة العلم النافع العمل الصالح، وكل علم لا يثمر عملاً - في القلب أو الجوارح - فهو علم يلزم صاحبه الحجة أمام الله عز وجل.

* والسائر إلى الله تعالى لا يكفيه أن يحوز القوة العلمية جمعًا وتحصيلًا كي يفوز بالنجاة ويسعد بالفوز، بل ينبغي أن تتأزر لديه القوة العلمية حتى يكون سيره إلى الله تعالى صحيحًا ثمرةً، يقول ابن القيم - رحمه الله: «السائر إلى الله والدار الآخرة، بل كل سائر إلى مقصد، لا يتم سيره ولا يصل إلى مقصوده إلا بقوتين: قوة علمية، وقوة عملية».

* فبالقوة العلمية: يُبصر منازل الطريق ومواقع السلوك فيقصد سائرًا فيها، ويجتنب أسباب الهلاك ومواقع العطب وطرق المهالك المنحرفة عن الطريق الموصل، فقوته العلمية كنور عظيم بيده، يمضي به في ليلة مظلمة شديدة الظلمة، فهو يبصر بذلك النور ما يقع الماشي في الظلمة في مثله في الوهاد والمتالف، ويعثر به من الأحجار والشوك وغيره، وبالقوة العملية: يسير حقيقةً، بل السير هو حقيقة القوة العملية، فإنَّ السير هو عمل المسافر.. وكذلك السائر إلى ربه إذا أبصر الطريق وأعلامها وأبصر المعثر والوهاد والطرق الناكبة عنها، فقد حصل له شطر السعادة والفلاح، وبقي عليه الشطر الآخر وهو أن يضع عصاه على عاتقه، ويشمر مسافرًا في الطريق قاطعًا منازلها منزلة بعد منزلة، فكلما قطع مرحلة استعد لقطع الأخرى،

(١) صيد الخاطر للإمام ابن الجوزي، ص ٥٤٧.



واستشعر القرب من المنزل فهانت عليه مشقة السفر^(١).

* فاستكمال العبد لقوته العلمية والعملية هما جناحا سيره إلى الدار الآخرة مهما تَخَلَّفَ منهما واحد فقد تخلف سيره إلى الدار الآخرة بحسبه، لهذا ضرب الله تعالى لعالم السوء الذي لا يعمل بعمله في كتابه مثلاً شنيعاً، فقال سبحانه: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ ﴿[الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

وفي هذه الآية يقول ابن القيم - رحمه الله: «فهذا مثل عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه، وتأمل ما تضمنته هذه الآية من ذمه، وذلك من وجوه: «ثم بدأ - رحمه الله - يعدد هذه الوجوه فيقول: «أنه ضلَّ بعد العلم، واختار الكفر على الإيمان عمداً لا جهلاً، أنه فارق الإيمان مفارقة من لا يعود إليه أبداً؛ فإنه انسلخ من الآيات بالجملة كما تنسلخ الحية من قشرها، ولو بقى معه منها شيء لم ينسلخ منها.

* إلى أن قال: «ثم إنه غوى بعد الرشد، والغى: الضلال في العلم والقصد، وهو أخص بفساد القصد والعمل، كما أن الضلال أخص بفساد العلم والاعتقاد، إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، وإن اقترنا فالفرق ما ذكر^(٢).

* كذلك فإن مخالفة القول للعمل لا يتوقف إثمها على صاحبها فحسب، بل إن في هذا مفسدة الصد عن سبيل الله، يقول ابن القيم: «علماء السوء جلسوا على باب الجنة، يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقاً لكانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي

(١) يراجع «طريق الهجرتين»، وباب السعادت لابن القيم، ص ١٧١، ط. دار ابن رجب، وراجع شرح هذه الكلمات النيرات في رسالة «منازل العباد بين القوة العلمية والقوة العملية» للشيخ/ هشام آل عقدة ص ١٥: ١٧ ط. دار الصفة.

(٢) انظر الفوائد لابن القيم، ص ١٣٥.



الحقيقة قطاع الطريق»^(١).

فيا أخانا.. اعلم أن المسكين كل المسكنة من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاته لذات الدنيا وخيرات الآخرة^(٢).

٤- كتمان العلم: لعل هذا يتضح بجلاء ووضوح في واقعنا المعاصر.. مع أن هذا الأمر يُنافي ما أمر الله تعالى به في كتابه في قوله - سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ۖ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۖ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]، ولا شك أن في هذا وعيداً شديداً عمن كتم ما أنزل الله تعالى على رسوله، من العلم النافع..
* كذلك ورد في سنة رسول الله ما يزرع عن كتمان العلم.. فمن ذلك: ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من سئل عن علم فكتمه أجم يوم القيامة بلجام من نار»^(٣).

* فتبليغ العلم واجب - خاصة - إذا عَمَّ في الناس الجهل المركب، وغلبت عليهم الخرافات والبدع والعقائد الفاسدة، والعادات الخبيثة - كشأن الناس اليوم، فقد غلبت عليهم تقاليد الغرب وعقائد الكفار، وعاداتهم، لذا فإن من أوجب الواجب على أهل العلم الموروث عن النبي أن يبذلوا أقصى جهدهم في نشره وتعليمه أهلهم وإخوانهم وعشيرتهم - خاصة - أنه

(١) المصدر السابق: ص ٨١.

(٢) العلم بلا عمل وبال على صاحبه في الدنيا والآخرة، يقول الإمام الذهبي: بعد ذكره لطائفة من العلماء: «وما أوتوا من العلم إلا قليلاً، وما أقل من يعمل منهم بذلك القليل، فحسبنا الله ونعم الوكيل» راجع (تذكرة الحفاظ) للإمام/ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تصحيح: عبد الرحمن بن يحيى العلمي (٣/ ١٠٣١) ط. دار إحياء التراث الإسلامي. قلت (فإذا كان هذا في عصر الإمام الذهبي، فما بالك بزماننا هذا)؟!.

(٣) رواه أبو داود (٣٦٥٨) والترمذي (٢٦٤٩) وابن ماجه (٢٦٦) وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٤١١)، «وصحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٣٦).



كلما بعد الزمان عن عهد النبوة، قل العلم، وكثر الجهل، فإن الصحابة كانوا أعلم هذه الأمة، ثم التابعين ثم تابعيهم^(١).

٥- القول على الله بلا علم: وهذه نتيجة حتمية للتعالم الذي هو عتبة الدخول للقول على الله بلا علم، بل: إنَّ التعامل والشذوذ والترخص والتعصب، كل منها قد يؤدي إلى جرم القول على الله - تعالى - بلا علم، ولعلَّ هذا واضحاً بيّناً في دنيا الناس فإنه عندما يتصدر الحدث قبل أن يتأهل، يخدع عوام الناس به وبكلامه ثم يقبلون عليه، فيعتقد في نفسه أو يعتقد فيه الناس أنه من أهل العلم والفضل - وليس كذلك - ويسألونه ويستفتونه في أمور دينهم ودنياهم، فيفتيهم ويحييهم بجهل متناسياً قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْسِكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (١١٣) مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ [النحل: ١١٦، ١١٧].

* فلا أحد أعظم جرماً، مَن كَذَبَ على الله، بأن نسب إلى الله قولاً أو حكماً هو تعالى برئ منه، وإنما كان هذا أظلم الخلق؛ لأن فيه من الكذب، وتغيير الأديان، أصولها وفروعها، ونسبة ذلك إلى الله تعالى ما هو من أكبر المفاسد^(٢).

* لهذا ننصح كل مقبلٍ على التعلم فنقول: اعلم أن أصل الشرك والكفران، وأساس البدع والعصيان، وما هو أغلظ منها ومن جميع الفواحش والآثام، والبغي والعدوان: «القول على الله

(١) وأخشى أن يدركنا زمان الجهل الذي أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يُدرى ما صلاة ولا صدقة ولا نسك، ويُسرَى على كتاب الله في ليلة، ولا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والمرأة العجوز، يقولون: أدركنا آبائنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله، فنحن نقولها» رواه الحاكم (٤/ ٤٧٣)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ووافق الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٩٣٣.

(٢) تفسير السعدي، ص ٢٢٦.



- تعالى - بلا علم»، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

- فهذه المحرمات الأربعة تحريمها أبدئاً في جميع الشرائع والملل، ومراتب الشدة فيها في الآية الكريمة على سبيل الحتم، فقال إن - سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ هذا الحتم أولها، ثم ذكر - سبحانه - ما هو أعظم، فقال - سبحانه: ﴿وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ ثم ذكر - سبحانه - ما هو أعظم فقال - سبحانه: ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾، ثم ذكر سبحانه ما هو أعظم فقال: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾.

- إذ القول على الله - تعالى - بلا علم هو أصل الشرك والكفر والبدع المضلة والفتن الجائرة، وأكتفى بهذه الإشارة لأنه مما عُلِمَ من الإسلام بالضرورة، وقد عني به العلماء وانتشر في كتبهم ولا أحسبك تجد في هذا الباب مثل ما بسطه الإمام ابن القيم - رحمه الله - في كتبه^(١).

٦- الغرور: إنَّ الغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان^(٢)، كذلك فإنَّ المغرور يلبس على نفسه الحقائق، ويرى الأمور على خلاف ما هي عليه، ويعطيها من المقام الأرفع والمنزلة العليا بما لا تستحقه، وهو يحسب أنه يحسن صنعاً، كذلك فإنَّ المغرور يعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل لضعفٍ في بصيرته، أو جهل بمكائد الشيطان، واستشراف للأنانية المهيمنة عليه، وعدم الاكتراث بأقدار الناس،

(١) للاستزادة راجع: «إعلام الموقعين» (١/٣٨، ٣٩، ٤٣، ٤٤)، (٢/١٦٥، ١٦٨، ٢٦٠)، (٤/١٧٣، ١٧٤)، و«مدارج السالكين» (١/٣٧٢، ٣٧٤)، و«بدائع الفوائد» (٣/٢٧٥)، و«الفوائد» ص ٩٨، ص ٩٩، و«الدواء والدواء» ص ٢٠٩، ٢١٠، وانظر: «منهاج السنة النبوية» (٤/١٧)، وللتوسع راجع: «التعاليم.. وأثره على الفكر والكتاب» د/ بكر بن عبد الله أبو زيد ص ١٢٩، ص ١٣٠ ط. دار العاصمة.

(٢) ينظر: «تهذيب إحياء علوم الدين» (٢/١٤٦)، نقلاً عن كتاب «فضل العلم» للدكتور/ محمد سعيد ص ٤٠٩.



والتهادي في الهوى، ونزعات النفس الأمارة بالسوء^(١).

* فإياك - أخي الحبيب - والغرور، واحذر أن تنظر إلى نفسك بعين العجب فتعتقد في نفسك سداد الرأي وسعة العلم، وتذكر أن الغرور صفة لازمة من صفات المنافقين، حيث إن هؤلاء تغرهم الأماني والأباطيل في الدنيا حتى يأتيهم أمر الله، وهم غافلون، قال تعالى: ﴿يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [الحديد: ١٤].

٧- التحاسد والتباغض والحقْد: ولعلَّ هذه الصفات القبيحة تظهر أعراضها على بعض طلاب العلم، عندما يفتح الله تعالى على قرين لهم، أو أخٍ من إخوانهم في العلم أو العمل أو الدعوة أو غير ذلك، فترى الواحد منهم يتبرم ويتضايق غاية الضيق عند ذكر اسمه، أو عند الثناء عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* وللإنسان مع نعم الله تعالى على غيره حالان:

أحدهما: أن يكره تلك النعمة ويحب زوالها، وهذه الحالة تسمى حسداً، فالحسد حُدُّه: كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه، وهو حرام بكل حال، إلا نعمة أصابها فاجراً أو كافر وهو يستعين بها على تهيج الفتن، فلا يضرْك كراهتك لها؛ لأنها بالنسبة لصاحبها آلة للفساد.

ثانياً: أن لا يحب زوالها ولا يكره وجودها ودوامها، ولكن يشتهي لنفسه مثلها، وهذه تسمى غبطة وهي مشروعة.. لما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار، ورجل آتاه الله مالا فسلطه

(١) للتوسع يراجع «عقبات في طريق الدعاة وطرق معالجتها في ضوء الإسلام» للشيخ/ عبد الله ناصح العلوان، ص ٦٩، ط. دار السلام.



على هلكته في الحق»^(١).

* فالحسد مرضٌ من أمراض النفس، وهو مرضٌ غالب فلا يخلص منه إلا القليل من الناس، ولهذا يقال: «ما خلا جسد من حسد»، لكن اللئيم يديه، والكريم يخفيه، فَمَنْ وجد في نفسه حسداً لغيره فعليه أن يستعمل معه التقوى والصبر، فيكره ذلك من نفسه، ولا يعتدي على المحسود، ولا يعين مَنْ ظلمه عليه، ولا يقدح فيه، ولا يخس حقوقه.. إلخ^(٢).

* كذلك فاحذر.. فإن للحقد ثمرات كثيرة ذكرها أهل العلم وهي:

- الحسد، فتتمنى زوال النعمة عن المحقود عليه، بل وتغتيم إذا أصابته نعمة، وتُسَرُّ بالمصيبة إن نزلت به.

- أن تهاجره وتصارمه - أي تقاطعه - وتنقطع عنه وإن أقبل عليك.

- أن تعرض عنه استصغاراً له.

- أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذبٍ وغيبةٍ وإفشاءٍ سرٍّ أو هتك ستر.

- أن تحاكيه استهزاءً به، وسخريةً منه.

- أن تؤذيه بالضرب أو السب.

- أن تمنعه حقه من أداء دين وصلة رحم، أو رد مظلمة.. وكل ذلك حرام^(٣).

٨- المراء والجدال والمخاصمة التي تُفضي إلى ضيق الصدر وفساد القلب: قال الغزالي - رحمه الله: «وحدُّ المراء هو كل اعتراضٍ على كلام الغير بإظهار خللٍ فيه، إمَّا في اللفظ، وإمَّا في المعنى، وإمَّا في قصد المتكلم.

* وأما المجادلة فعبارةٌ عن: قصدٍ إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه، ونسبته إلى القصور والجهل فيه، وآية ذلك: أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروهاً عند

(١) جزء من حديث في الصحيحين.

(٢) راجع رسالة: أمراض القلوب وشفافؤها، لابن تيمية، ص ٢١ ط. دار ابن القيم.

(٣) تهذيب إحياء علوم الدين، (٢/ ٧٦)، نقلاً عن فضل العلم ص ٤٤٧.



المجادل، يجب أن يكون هو المظهر له خطأه، ليبين به فضل نفسه، ونقص صاحبه، ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لم يَأْثِمَ به له سكت عنه.

* والباعث على هذا «المراء والجدال» هو الترفع بإظهار العلم والفضل، والتهجم على الغير بإظهار نقصه، وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها، أما إظهار الفضل فهو من قبل تزكية النفس، وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان بدعوى [العلو والكبرياء] وهي من صفات الربوبية، وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية، فإنه يقتضي أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه^(١).

* والأصل أن الجدال والمراء بالباطل من علامات الضلال، ويؤيد هذا ما ثبت عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضَلَّ قوم بعد هدي كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿مَاضِرُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]^(٢).

* لهذا أمر النبي ﷺ أتباعه باجتنب: المراء الباطل والجدل السفسطائي، فقال ﷺ: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لم ترك الكذب وإن كان مازحاً وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»^(٣).

* من نتائج المراء والجدال والمخاصمة: فساد القلوب وضيق الصدور، ولعل هذا يتضح

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، (٣/ ١١٣) ط. دار الريان للتراث.

(٢) رواه الترمذي (٣٢٥٣)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤٨) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١/ ١٤)، صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٦١).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٠٠) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ١٧٩) وفي السلسلة الصحيحة (٢٧٣)، وهذا الحديث وغيره إنما يتناول الذي يتخاصم بالباطل، كذلك فهو يتناول الذي يمزج الخصومة بكلمات مؤذية، أو الذي يباري بالباطل لإرضاء هوى نفسه، أما المظلوم فإنه تجوز له المخاصمة ولكن على قدر الحاجة، والله أعلم..



بجلاء لكل ذي عينين - لا سيما - على أرض الواقع المعاصر.. حيث إنَّ ثمة حقيقة في غاية الأهمية والخطورة، وهي أن كثيراً مَن يُماري الناس بالباطل، ويُجاهلهم بدعوى «إقامة الحجة، وتوضيح الحق» قد أفسدوا قلوبهم، وتزداد الحسرة، حينما ترى أنه قد صار الشغل الشاغل لهؤلاء الجهال والقاعدين البطالين هو الوقوعُ في أعراض إخوانهم، ولم يكتفِ هؤلاء بهذا الأمر فقط - وكفى به بلية من أعظم البلايا، بل اشتغلوا أيضًا بإشاعة السوء والنميمة، بحيث يقعون في أعراض الناس بالباطل، ولا يقيمون وزنًا لكبير ولا صغير، ولا يخافون الله تعالى في لحوم إخوانهم!!

* وفي المقابل.. يشغل بعض مَن جرَّحهم هؤلاء بالرد عليهم وتبرئة ساحتهم، وقد يكون بعض ذلك مشروعًا، إلا أن الخوف كل الخوف أن يتحول إلى مجرد انتصار للنفس وتنفيس للهم^(١).

* لأجل هذا أوجه نصيحة إلى إخواننا - مَن يرغبون في طلب العلم، إلى هؤلاء الأطهار أصحاب النفوس العلية الكبيرة العامرة بنور القرآن.. فأقول: كم يعلو قدرُ الإنسان وتُشرق منزلته حينما يصل إلى هذه المنقبة العظيمة، والخلة الكريمة «أقصد هجر المراء والجدال بالباطل»، والتي لا يقوى عليها إلا ذووا الصدق والإخلاص.. ولا يستطيع أن يصل إلى اعتبارها إلا مَن جاهد نفسه حق المجاهدة، وفطمها عن شهواتها..؟!!

* وأذكرهم بما قاله أحد السلف مبينًا أهمية البعد عن المراء والجدال والمخاصمة والتي هي من أعظم أسباب سلامة القلب.. فيقول: «إياك والمراء بالباطل، فإنه مفسد للقلب، مهلك للعمر، مضيع لمحبة الإخوان».

* وما أجمل ما قاله يونس الصدفي: «ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يومًا في مسألة،

(١) أنصح بمطالعة ثلاث رسائل خاصة بهذا الموضوع، وهي: «رفقًا أهل السنة بأهل السنة»، للشيخ/ عبد المحسن بن حمد العباد البدر، و«الخطاب الذهبي»، و«تصنيف الناس بين الظن واليقين» كلاهما للشيخ/ بكر أبو زيد - رحمه الله تعالى - فطالعهما لزامًا.



ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة؟^(١).

* لله درك يا شافعي.. يا مَنْ كُنْتُ فقيهاً وعالمًا بالنفوس البشرية.. فأردت أن تستوثق من سلامة صدر أخيك حتى لا تستمر نيران العداوة بينكما، ويزداد لهيبها^(٢).

* ويؤكد ابن القيم على أن سلامة القلب «مشهد شريف جداً لمن عرفه وذاق حلاوته، وهو أن لا يشغل قلبه وسره بما ناله من الأذى وطلب الوصول إلى درك تأره، وشفاء نفسه، بل يفرغ قلبه من ذلك، ويرى أن سلامته وبرده وخلوه منه أنفع له، وألذ وأطيب، وأعون على مصالحه، فإن القلب إذا اشتغل بشيء فاته ما هو أهم عنده وخير له منه، فيكون بذلك مغبوناً، والرشد الذي لا يرضى بذلك ويرى أنه من تصرفات السفه، فأين سلامة القلب من امتلائه بالفعل والوساوس، وإعمال الفكر من إدراك الانتقام^(٣).

* يا شباب!!

إن الأمة الإسلامية تمر بمرحلة خطيرة حيث تكالب عليها الأعداء من كل حذب وصوب، وهي على مفترق طرق، وعليه فلا وقت الآن للجدال والمراء السقيم، والاشتغال بهذه الهموم الوضعية، أو استمرار تأجيج «الصراع الإسلامي الإسلامي»، والذي أدنى ما فيه أنه مشتت للفكر، وموغرٌ للصدر، فضلاً أنه يلهي الإنسان عن معالي الأمور.

* ولست أدعو في هذه الكلمات إلى إذابة الخلافات العقدية أو المنهجية، وترك إظهار الحق، ونشر السنة، ومجادلة أهل البدعة، ولكنني أنادي إخواني من طلاب العلم لطرح الخلافات الوهمية، ونسيان الأهواء الشخصية والصراعات الحزبية والتي تظهر في الطريقة

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/١٦، ١٧).

(٢) أنصح بالإطلاع على بحث «ولا يزالون مختلفين» للشيخ/ سلمان بن فهد العودة - فصل كيف نختلف؟! من ص ٣٩ إلى ص ٤٣ ط. مؤسسة الإسلام اليوم.

(٣) ينظر: «مدارج السالكين» للإمام ابن القيم (٢/ ٣٢٠).



الحوارية فيما بينهم ويترتب عليها إلا «الجدال العقيم والمرء الذميم»^(١)، أما الاختلافات العلمية فتعالج بطريقة شرعية من أهل العلم والاختصاص، بعيداً عن الخصومات والمهاترات والاتهامات...^(٢).

* وأخيراً: فإن للعلم آفات كثيرة، تلك الآفات ما هي إلا نتيجة مباشرة لفقد آداب الطلب، فكلما أوغل الطالب في سبيل سلوكه ومناحي طلبه، وهو فاقد لأدب من آداب طالب العلم كلما تأصلت فيه آفة من آفاته، وتشعبت في شعاب ضميره وثنايا نفسه نقيصة من نقائصه.. وكما هو معلوم أن الأصل في العلماء وطلبة العلم - في حقيقة الأمر - أنهم صفوة الصفوة من الناس، لذا كان قليل الزلل في أخلاقهم كبيراً عند الناس، وكانت حركاتهم وسكناتهم تحصى عليهم، لأجل هذا وجب عليهم أن يطهروا نفوسهم، وأن يُزكوا أخلاقهم، لا من أجل أن ينتفعوا بالعلم وكفى، ولكن من أجل أن ينفع الله بعلمهم، ويُفتح لهم قلوب خلقه، ويكتب لهم عنده، ثم عند الناس القبول والسداد.

* وننصح كل من أراد معرفة «آفات طلب العلم» بالتفصيل أن يراجع بحث «آفات طلب العلم» للدكتور/ محمد سعيد، أو الاطلاع على كتاب «سبائك الذهب في كشف آفات الطلب» للشیخ/ أحمد بن أبي العینین، ثم بالتزود بقراءة «تلبیس إبلیس» لابن الجوزي - رحمه الله تعالى

(١) يراجع: «في البناء الدعوي»، تأليف/ أحمد بن عبد الرحمن الصويان، ص ١٠١، ط. المنتدى الإسلامي.

(٢) من أراد معرفة آداب المجادلة فليراجع كتاب «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي (٢/ ٢٥).

ثالثاً: التربية السلوكية الأخلاقية:

الواجب عليك -أخي الشاب الكريم- أن تتحلى بالأخلاق الفاضلة، وأن تتجنب السلوكيات السافلة.

تعريف الخلق:

شاع بين الناس تصورات وتعريفات للخلق ليست صحيحة، والتعريف الجامع للخلق (الذي تشهد له نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف ويشهد له الواقع) هو تعريف الجرجاني حيث قال:

الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة، سميت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً، وإنما قلنا: إنه هيئة راسخة؛ لأن من يصدر منه بذل المال على النذور بحالة عارضة، لا يقال خلقه السخاء، ما لم يثبت ذلك في نفسه.

وكذلك مَنْ تكلّف السكوت عند الغضب بجهدٍ أو روية لا يقال: خلقه الحلم. وليس الخلق عبارة عن الفعل، فرب شخص خلقه السخاء، ولا يبذل إما لفقد المال، أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل، وهو يبذل لباعث أو رياء^(١).

وهناك تعريفات للأخلاق ذكرها بعض السلف -رحمهم الله تعالى- منها: ما ذكره الإمام ابن المبارك: حيث قال: الخلق الحسن هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى.

وقال الإمام أحمد: الخلق الحسن: ألا تغضب ولا تحقد، وقيل هو التخلي عن الرذائل،

(١) يراجع كتاب «التعريفات» للشريف علي بن محمد الجرجاني ص ١٠١ ط. دار الكتب العلمية.

والتحلي بالفضائل^(١).

التربية السلوكية والأخلاقية لماذا؟!

١ - لمنزلة الأخلاق في دين الإسلام: إن الأخلاق تنبؤاً مكانة عالية، ومنزلة رفيعة عظيمة، حظيت بها من البارئ اللطيف الخبير، ويكفي في ذلك أن الله تعالى عدَّ حسن الخلق من صفات المتقين ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَظِيمِ الْعَبْثَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣].

بل إن نصوص القرآن كلها إنما هي في الأخلاق سواء منها ما يتعلق بالأصول أو الفروع، بالعقيدة أو الشريعة، فمن الآيات الناطقة بالقواعد الأخلاقية قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وقوله ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقوله: ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] وقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقد كان النبي ﷺ حسن الخلق قولاً وعملاً حتى نعته الله - تعالى - بأجمل الأوصاف وأسمائها، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤) [القلم: ٤] (فقد أجمل الخلق العظيم في هذه الموضع، وهو من أهم ما امتدح الله عز وجل به رسوله^(٢)).

(١) للتوسع حول أقوال السلف الصالح في تعريف الأخلاق، وذكر مواقفهم تجاه الأخلاق في مدح ومدوحها وذم مذمومها، قولاً وعملاً، أنصح بمراجعة: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي (ص ١٧٨، ١٧٩) ط. دار الكتب العلمية، الأخلاق والسير في مداواة النفوس. لابن حزم (ص ١٦، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٣٣، ٤٠) ط. دار الكتب العلمية.

(٢) راجع أعضاء البيان تأليف/ العلامة محمد الأمين الشنقيطي (٨/ ٤٢١) ط. دار الفكر - دمشق.



- بل إن مَنْ ينظر ويقرأ عن دين الإسلام - خاصة - في باب الأخلاق والآداب، ليعجب أشد العجب من عظمة هذا الدين، ودقة مراعاته للمشاعر والعواطف.

فاقرأ مثلاً حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ «إذا أحدث أحدكم في صلاته فليأخذ بأنفه ثم لينصرف»^(١).

*** قد يقول قائل: ولماذا يأخذ بأنفه؟، وما علاقة الأنف بها صنع؟**

والجواب: إنها عظمة هذا الدين ودقة عنايته بمشاعر النفس، والحفاظ على أحاسيسها، فهو يأخذ بأنفه ليوهم مَنْ بجواره أن به رعاًفاً، فلا يفتضح أمره فيخرج ويخجل.
قال الخطابي: (إنما أمره أن يأخذ بأنفه، ليوهم مَنْ أمامه أن به رعاًفاً، وفي هذا الباب من ضرورة الأخذ بالأدب في ستر العورة، وإخفاء القبيح، والتورية بما هو أحسن، وليس هذا داخلاً في باب الرياء والكذب، وإنما هو من باب التجميل واستعمال الحياء، وطلب السلامة من الناس)^(٢).

(٢) لأن الله يحب التخلق بالأخلاق الحميدة: فنحن نحسن من أخلاقنا تعبدًا وتقربًا لله عز وجل، إذ هو - سبحانه - العالم بما يصلح العباد ويزكيهم ويطهرهم... قال النبي ﷺ: «إن الله يحب معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها»^(٣).

(٣) ونحرص على التخلق بالأخلاق الإسلامية اتباعاً لحبيبتنا ونبيينا ﷺ: حيث أمرنا نبينا ﷺ بالتخلق بالأخلاق الإسلامية الفاضلة وعندنا في سنته القولية والعملية والتقريرية ما يؤكد على هذا الأمر:

(١) رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٨٦.

(٢) انظر (معالم السنن... شرح سنن أبي داود) تأليف الإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق سعد بن نجدة عمر (١/ ٣٤٨) ط. مؤسسة الرسالة ناشرون.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٩).



فمن النماذج التي صحّت عن رسولنا ﷺ في سنته القولية التي تحت الأمانة على قواعد الأخلاق:

قوله ﷺ: «.... ومن يستعفف يعفّه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله...»^(١).

وقوله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»^(٢).

وقوله ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»^(٣).
ونصيحته ﷺ لمن استنصحه فقال له: «لا تغضب»^(٤).

وقوله ﷺ: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطع عليه الناس»^(٥).

وقوله ﷺ: «إذا نظر أحدكم إلى مَنْ فُضِّل عليه في المال والخلق فليُنْظَر إلى مَنْ هو أسفل منه»^(٦).

وقوله ﷺ: «من سمع سمع الله به يوم القيامة، ومن شاق شق الله عليه يوم القيامة، إن أول ما يبتن من الإنسان بطنه فمن استطاع أن لا يأكل إلا طيباً فليفعل، ومن استطاع أن لا يحال بينه وبين الجنة بملء كفٍ من دم أهراقه فليفعل»^(٧).

وقوله ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته»^(٨).

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (١٠٥٣).

(٢) رواه البخاري (٦٠٨١) ومسلم (١٠٥١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٦٣) ومسلم (٢٦٠٩).

(٤) رواه البخاري (٥٧٦٥).

(٥) رواه مسلم (١٥).

(٦) رواه البخاري (٦١٢٥) ومسلم (٢٩٦٣).

(٧) رواه البخاري (٦٧٣٣) ومسلم (٢٩٨٦).

(٨) رواه البخاري (٨٥٣).



وقوله ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء...»^(١).

وقوله ﷺ: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً»^(٢).

وقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مثل ما يحب لنفسه»^(٣).

والمتبع لسنة نبينا ﷺ، وسيرته الحياتية، سيقف مشدوهاً أمام «الجانب الخلفي» في حياة النبي ﷺ، حيث كانت الأخلاق العالية، والسلوكيات الزاكية منهجاً لحياة الرسول ﷺ فلقد كان أحسن الناس خلقاً، حتى شهد له بذلك أعداؤه قبل أصحابه وأحبابه.
وإليك شيء من شمائله وأخلاقه ﷺ بإيجاز، (رزقني الله وإياك حسن الاقتداء والتأسي به):

[كان ﷺ أشد الناس حياءً، لا يُثبت بصره في وجه أحد، ولا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذرين إليه، يمزح ولا يقول إلا حقاً، يضحك من غير قهقهة، تُرفع الأصوات عليه فيصبر، ولا يحتقر مسكيناً لفقره، ما ضرب بيده أحداً قط إلا في سبيل الله، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، وما كان يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، يبدأ من لقيه بالسلام، وكان إذا لقي أحداً من الصحابة بدأه بالمصافحة، ثم أخذ بيده فشابهه ثم شدَّ قبضته عليها، وكان يجلس حيث انتهى به المجلس، وكان يُكرم من يدخل عليه حتى ربما بسطَ ثوبه ليجلس عليه، وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته، فإن أبي أن يقبلها عزَمَ عليه حتى يفعل، وكان يُعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه وسمعه وبصره وحديثه، وكان يدعو أصحابه بكناهم إكراماً لهم واستمالة لقلوبهم، وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاءً، كان أرأف الناس وخير الناس للناس، حتى إن كل أحد يقول يوم القيامة: نفسي نفسي، وهو ﷺ يقول:

(١) رواه مسلم (١٩٥٥).

(٢) رواه البخاري (٢١٨٢) ومسلم (١٦٠١).

(٣) رواه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥).

«أمتي.. أمتي»^(١).

* وبكلمة جامعة مانعة نستطيع الجزم بأن نبينا ﷺ كان قرآنا يمشي على الأرض - بأي هو وأمي ونفسي ﷺ.

٤) نتخلق بأخلاق الإسلام اتباعاً لأصحاب نبينا ﷺ: لقد أحب الصحابة النبي ﷺ حباً جماً، ومن جملة الأسباب الداعية إلى ذلك: «خلق النبي الكريم»، حتى دعاهم ذلك إلى تقديره وإجلاله، فقدموا قوله على قولهم، وفعله على فعلهم، ورأيه على رأيهم، واقتدوا به في خلقه، وفي كل شئونه.

فسادهم الوثائم والائتلاف، حتى وصلت بهم أخلاقهم إلى أعلى الدرجات، فترى الرجل منهم يقدم حاجة أخيه على نفسه، ويؤثر بعضهم بعضاً، حتى وصفهم الله - تعالى - بآيات تتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

٥) نتخلق بالأخلاق الإسلامية: كسباً لحب نبينا، والقرب منه: حيث قال ﷺ: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقاً»^(٢).

٦) نتخلق بالأخلاق الإسلامية شوقاً للجنان وتثقيلاً للميزان يوم نلقى الرحمن: سُئِلَ

(١) للتوسع حول هذا المعنى.. أنصح بمراجعة «زاد المعاد في هدي خير العباد» للإمام ابن القيم الجوزية ط. مؤسسة الرسالة، وكتاب (الشئائل المحمدية) للإمام الترمذي تحقيق (عزت عبيد الدعاس) ط. دار الحديث، وكتاب (أخلاق النبي ﷺ وأدابه) للإمام/ محمد بن عبد الله بن جعفر الأصبهاني، تحقيق (عصام الدين الصبابطي) ط. الدار المصرية اللبنانية، وكتاب (جمع الوسائل في شرح الشئائل) تأليف الشيخ/ علي القاري ط. دار المعرفة، وكتاب (الجامع لأوصاف الرسول) لابن العاقولي ط. دار الحديث، وكتاب (اللفظ المكرم بخصائص النبي ﷺ) تأليف العلامة محمد بن عبد الله الخيضري ط. دار البيان - الكويت.

(٢) رواه الترمذي (٢٠١٨)، وصححه شيخنا العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٤٥).



رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «تقوى الله، وحسن الخلق»^(١).

وقال ﷺ: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق»^(٢).

* بل أخبر النبي ﷺ أن كمال الإيمان مرتبط بحسن الخلق، فقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً: أحسنهم أخلاقاً»، وفي رواية «إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً»^(٣).

* كذلك فإن المسلم الخلق له من الأجر الجزيل، والثواب الكبير، والمنزلة العظيمة، ما لا يحصل لغيره... يقول ﷺ: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»^(٤).

(٧) لأن حسن الخلق هو الدين كله، وهو حقائق الإيمان وشرائع الإسلام. ولهذا قال ﷺ: «البر حسن الخلق»^(٥).

* فمن كان باراً حسن الخلق فهو على خيرٍ عظيم، ومن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين.

(٨) لأن سوء الخلق من أعظم أسباب دخول نار جهنم - عياداً بالله - وما يدل على ذلك قول النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع رحم»^(٦).

* ولقد سئل رسول الله ﷺ عن امرأة تقوم الليل وتصوم النهار، وتتصدق، وتؤذى جيرانها بلسانها، فقال: «لا خير فيها.. هي من أهل النار»^(٧).

(٩) لأن الأخلاق هي قلب العبادة وثمرتها: فإذا ماتت الأخلاق صارت العبادة صورة لا

(١) رواه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٧٧).

(٢) رواه أبو داود والترمذي، وأحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٩٠).

(٣) رواه البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (٢٣٢١).

(٤) رواه أبو داود، والحاكم، وقال: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع (١٦٢٠).

(٥) رواه مسلم (٢٥٥٣).

(٦) متفق عليه.

(٧) رواه البخاري في الأدب المفرد، وأحمد، والحاكم، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٠١).



روح فيها، عادة لا أجر معها.

* فالأخلاق والعبادات توأمان متلازمان لا يفترقان، فَمَنْ ساءت أخلاقه فليتهم عبادته؛ لأن كمال الأخلاق وحسنها ثمرة من ثمرات العبادة الصحيحة المقبولة - إن شاء الله تعالى^(١).

(١٠) لأن حسن الأخلاق ثمرة للإيمان الصادق: إنَّ الإيمان الحقيقي الذي لامست حلاوته شغاف القلوب، هو الذي تظهر آثاره على المسلم في أقواله وأفعاله وصفاته، فإذا ظهرت هذه الآثار: ذاق العبد طعم الإيمان، فعرف حقيقة الاستقامة والالتزام، وأثر ذلك في خلقه وتصرفاته ومعاملاته وسلوكه.

(١١) لأن الأخلاق الحسنة طريقنا لقلوب الخلق: ولا شك أن هذا من أعظم أسباب تحقيق الروابط الإيمانية والأخوة الإسلامية - بكل معانيها - بين أفراد المجتمع المسلم.

(١٢) لأن التحلي بالأخلاق الحميدة هو في حد ذاته دعوة للخلق: وهو ما يُعرف بالدعوة الصامتة.

الدعاة الصامتون

إنَّ من أكبر وسائل التأثير على القلوب والنفوس هو التميز في الأخلاق، الذي يتمثل في القدوة الصالحة، بل لا أكون مبالغاً إن قلت: إن هذا هو أعظم الوسائل وأهمها لنشر الإسلام في كل مكان.

الرسول قدوة لنا:

ﷺ وَمَنْ تَتَّبِعْ سِيرَةَ الْمُصْطَفَى ﷺ وَجَدَ أَنَّهُ كَانَ ﷺ يُلَازِمُ الْخُلُقَ الْحَسَنَ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، وَفِي دَعْوَتِهِ إِلَى اللَّهِ، بَلْ حَتَّى فِي الْحُرُوبِ.

ﷺ وَبِفَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ بِفَضْلِ حَسَنِ خُلُقِهِ ﷺ أَقْبَلَ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ

(١) للتوسع حول هذه المسألة.. راجع بحث (العبادة وأثرها في تربية النفس الإنسانية - بحث في الأساس التعبدية للتربية الإسلامية). بقلم د/ عبد العزيز بن عبد الرحمن المحميد من ص ١٥٤ إلى ص ١٩١ ط. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - ١٤٢٤ هـ.



ودخلوا في دين الله أفواجًا.

* فهذا يسلم ويقول «والله ما كان على وجه الأرض أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليَّ»^(١).

* وذلك يقول لما عفا عنه النبي ﷺ: «اللهم ارحمني ومحمدًا، ولا ترحم معنا أحدًا»، فقال النبي ﷺ له: «لقد حَجَرْتَ واسعا»^(٢).

* وآخر يقول: «فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه»^(٣).

فهذا هو هدي رسول الله ﷺ

السلوكي والأخلاقي مع أصحابه وأتباعه،

وأعدائه لهذا أذكرك أن ترفع شعار..

خير الهدى..

هدي محمد..

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه النسائي والترمذي وابن ماجه وأحمد، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٨٠).

(٣) رواه مسلم.

اقرأوا التاريخ

ﷺ وَمَنْ قرأ التاريخ الإسلامي سيجد أن الإسلام قد وصل إلى جنوب الهند، وسيلان، وجزر المالديف، وسواحل الصين، والفلبين، وإندونيسيا، وأواسط أفريقيا عن طريق التجار المسلمين، ممن عاشوا بالإسلام وللإسلام، حتى تجسد الإسلام في سلوكهم وأمانتهم، فأعجب الناس بهم وبأخلاقهم وبيديهم، فكانت النتيجة: انتشار الإسلام في ربوع هذه البلاد.

فبهذا هم اقتده

ﷺ لهذا فنحن بحاجة ماسة إلى التذكير الدائم بأهمية التخلق بالأخلاق الحميدة والحوار الهادئ، والتعامل المهذب، والاحترام المتبادل.

ﷺ إننا بحاجة إلى إظهار محاسن ديننا العظيم، لنصبح - نحن المسلمين قدوة لبعضنا، ومفاتيح خير ومشاعل هداية لغيرنا من أهل.

ﷺ ونحن بحاجة أيضًا إلى أن نكسب قلوب بعضنا، لنكون يدا واحدة ثم لنتمكن من كسب قلوب أهل الأديان الأخرى بصدق التوحيد وحسن المعاملة، وجميل الأخلاق، لنُدخل الناس في دين الله أفواجًا ليدوقوا طعم الإيمان وحقيقة الإسلام.

ﷺ ولا أقول: إنه ينبغي على المسلم أن يجتهد في كسب قلوب الآخرين من حوله بأي أسلوب، وبأي طريقة كانت - شرعية أو غير شرعية - كلا.. كلا.

ﷺ بل نريد كسب القلوب بالأساليب النبوية الشرعية، وليس عن طريق المجاملة، ولا المداهنة، ولا بتميع ديننا، ولا بتمزيق ثوابتنا، ولا عن طريق التنازل الرخيص عن المبادئ والأهداف، وإنما بمكارم الأخلاق.

ﷺ لا نريد أن نكسب القلوب من أجل الدنيا، ولا متاعها ولا زخارفها، ولا من



أجل أنفسنا وإظهار محاسنها وتواضعها.

ليس هدفنا هو رضا المخلوقين، أو انتزاع صيحات الإعجاب والمدح والثناء منهم.
بل نحرص على ذلك من أجل ربنا - تبارك وتعالى - تعبدًا وتقربًا، ثم لنشر
المحبة والإخاء بين قلوب الموحدین وجمعها على الحب في الله ﷻ.

(١٣) لأننا في عصر الإفلاس الخلقي، والتلوث السلوكي: فعلى الرغم من التقدم
التكنولوجي المذهل الذي يعيشه عالمنا اليوم، وعلى الرغم من توالي الإنجازات، وتقدم
الصناعات، وكثرة المخترعات، غرقت البشرية كلها - ولا تزال - في بحار الدنيا العميقة،
وجرى الكثير من هؤلاء وراء المال والتجارة، ولهت أكثر الخلق وراء الشهوات والملذات.

وفي وسط كل هذا الزيف، وفي خضم هذا الغناء، وأمام كل هذه المغريات، والتي
تفلت بسببها أكثر أهل الأرض عن المثل والمبادئ، وأعرضوا عن كثير من
الأخلاق والآداب...، في وسط كل هذا.. انهارت الأخلاق، وضاع هذا
الأصل، أو كاد أن يندثر، هذا الأصل الذي لا تقوم أي حضارة إلا به.

ولم يتوقف الأمر على بلاد الغرب أو الغربيين، ولكن - ولشديد الأسف - امتد
هذا الفساد الخلقي ليصل إلى المسلمين، فَمَنْ ينظر للواقع الذي تحياه المجتمعات
المسلمة في هذه الأيام سيرى فسادًا كثيرًا اخترق العديد من الطبقات الثقافية
والفكرية - إلا من رحم ربي.

ومما يؤلم ويحزن حقًا: أن هناك من بني جلدتنا (من سافروا لبلاد الغرب،
وانبهروا بالحضارة الغربية)، عادوا وقد اعتقدوا صحة هذه الحضارة الغربية،
وأنها الخيار الأوحـد لكي تنهض الأمة الإسلامية وتواكب التقدم العلمي، فنقلوا
للمسلمين هذه الحضارة بقضـها وقضيضها، وإيجابياتها وسلبياتها، فأفسدوا
البلاد، وضيعوا العباد، ولا حول ولا قول إلا بالله!!.

(١٤) لأن الأخلاق من أسباب جمع الأمة على كلمة سواء: إذا كان البيت يُبنى بالبن،



ويُشدّ اللبّ بالملاط، فإن المجتمع يُبنى بالتوحيد وعلى أساسه، ويُشدّ أفراده بعضهم إلى بعض بالأخلاق، ولا نهضة لمجتمع بتوحيد دون أخلاق، قال الله - تعالى - لنبيه ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

❦ ومعنى ذلك: أنهم يتفرقون عنك ولا يجتمعون رغم ما أنت عليه من التوحيد الخالص والإخلاص العظيم.

(١٥) لأن حسن الأخلاق مدعاة للتوفيق والنصر: إن من أعظم الأسباب لتحقيق النصر - التي غفل عنها الغافلون: هي الأخلاق الحميدة.

* فالأخلاق الحميدة من أهم الأسباب التي تُصلح واقع المسلمين المحزن: حيث المقاطعات والتناحرات، والخوض في الأعراض، الذي يصل أحياناً بالبعض إلى سفك الدماء. ❦ فلا تكادُ تجد مركزاً أو بلداً، ولا مؤسسة أهلية أو حكومية إلا وقد تحولت إلى أماكن للصراعات والمشاجرات، وتبادل السباب واللعان، والتنازع بالألقاب - حتى المساجد ودور العبادة لم تسلم من هذه المصيبة العظيمة - خاصة - بعد تشويه الإعلام العلماني للتيار الديني الإسلامي.

❦ ووصل الأمر ببعض الناس إلى نقل الكلام الكاذب بغرض الإفساد بين المسلمين، وفي سبيل تحقيق هذا الغرض الخبيث تلصص بعض هؤلاء على بعض واستباحوا لأنفسهم تسجيل مكالماتهم الخاصة، ونشرها في الصحف والمجلات. ❦ وكل هذا يحدث على مسمع من أعداء الإسلام المتربصين، فأين هؤلاء من الأخلاق الإسلامية النبوية الكريمة؟! ❦

❦ إن هؤلاء وأمثالهم هم الذين أخرجوا النصر عن المسلمين كل هذه السنين، بسبب «سوء أخلاقهم وفساد أذواقهم».

❦ لأجل هذا ننصح هؤلاء ونقول: أرايتم ما نزل بساحتنا؟!، لعلكم قد رأيتم ما حَدَثَ لإخواننا المسلمين في فلسطين.



لله ولعله قد بلغكم ما فعله أعداؤنا بإخواننا من أهل السنة في غزة والعراق وبورما وسوريا، حيث القتل، والتنكيل، والتعذيب، والسجن، والاعتقال، واستباحة الأعراض، وانتهاك المقدسات.

لله يا ترى... ماذا كان شعوركم عندما رأيتم أو سمعتم عن هذا كله؟!
لله الظن بكم: أنكم في همٍّ وغمٍّ وكربٍّ وضيقٍ شديدٍ بسببِ ما يلاقيه إخواننا هنا وهناك.

لله وكأني أشعر بالواحد منكم: وهو يرى الأحداث المؤسفة، ويريد جهاد هذا العدو الغاشم، لكنه مكبل اليدين، لا يستطيع أن يفعل شيئاً.



أسئلة حائرة

* ألم تسأل نفسك يوماً:

* لماذا يحدث هذا كله للمسلمين؟!

* ولماذا تتكاثر الجراح، وتزداد الآلام في جسد أمتنا عاماً بعد عام؟!

* أين الله مما نحن فيه؟!

* ولماذا يتركنا الله عز وجل هكذا تستباح حرماننا ويُنتهك شرفنا؟!

القرآن يجيب

﴿ أفاض القرآن في الإجابة عن هذه الأسئلة، وَبَيَّنَ لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن هناك سنناً وقوانين تحكم هذه الحياة، فَمَنْ استوفى شروطها طبقت عليه، فإذا ما نظرنا إلى القوانين والسنن التي تجلب لنا العقوبات فسنعدها كثيرة، وتدور أسباب استدعائها حول تقصير العباد، وارتكابهم ما يغضب ربهم، فضلاً عن التناحر والتباغض والاختلاف، وصدق الله إذ يقول:

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال ربي: ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنْتَ اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [الأنفال: ٥١]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَنْزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُشْلُوا مِنْكُمْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

﴿ فالحذر.. الحذر من سوء الأخلاق - عموماً - والتناحر والتباغض والاختلاف والشقاق - خصوصاً.

﴿ ولنتذكر دائماً قول السيدة خديجة للنبي ﷺ لما جاءها فزعاً حين نزل عليه الوحي.. قالت له ما يطمئنه: «والله لا يخزيك الله أبداً»^(١).

﴿ هكذا قالت خديجة لبنينا ﷺ مبشرةً له بالنصر، متفرسة ذلك من حسن خلقه، وطيب معشره، وتمسكه بالقيم الحميدة..

﴿ فيا إخواننا أقيموا قلعة الأخلاق في مواجهة أعدائكم، وسدوا كل ثغرة حتى لا يتسلل منها شيطان رجيم أو عدو لئيم، واجتهدوا في الدعوة لإعادة الإعمار لما تآكل من أخلاقكم وانهار.

(١) متفق عليه.



⚡ واحذروا أن تقع هذه القلعة، أو يُهدم منها حجر من الأحجار، فإن من فعل ذلك فقد أحدث ثغرة في البناء نفذ منها الشيطان واستراح، وسكنها مع جنده إلى غير براح، وفوق ذلك فقد مهد الطريق لأعداء ديننا لغزو أرضنا واستباحة أعراضنا، وانتهاك حرمة مقدساتنا.

وأخيرًا

١٦ - نتخلق بالأخلاق الحميدة.. حماية لأمتنا من المفاصد التي تنجم عن سوء الأخلاق:
⚡ لمساوئ الأخلاق وخيمة على الفرد والمجتمع تتمثل في صورة متعددة منها: هدم الدين، وضعف الاقتصاد، وغرس الشحناء والبغضاء، وتفتيت كيان المجتمع وإضعافه، واستشراء داء الرذيلة الخلقية بين الأسر، واختلال أمن المجتمع وصحته البدنية والنفسية^(١).

وفي الجملة فإن التحلي بحسن الخلق

الخير كله في دنيا الناس، وفي الآخرة.

==



(١) ومن أراد التوسع لمعرفة خطورة الفساد الخلقي على الفرد والمجتمع.. فليراجع بحث «مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة» د/ خالد الحازمي من ص ١٧١: ص ٢٠٢ ط. وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية بالمملكة.



لله وبعد أن استعرضنا: لماذا نتأدب بآداب الإسلام؟!
لله فلا بد وأن نفهم أن الآداب الإسلامية كالشجرة لها أصول وفروع.
لله فأصلها: الأدب مع الله ورسوله، وفرعها: الأدب مع الخلق.
ويستحيل أن يستقيم الفرع ويحمل، والأصل منعدم أو فاسد، وكما قيل: كيف
يستقيم الظل والعود أعوج؟!
لله لذلك أردت أن أذكر نفسي - وإخواني - بهذه الآداب الإسلامية المباركة (على
سبيل الإجمال).

لله إن الله - تبارك وتعالى - قد مَنَّ على الإنسان بنعم لا تحصى، لذلك كان لزاماً
على المسلم أن يقابل كل هذه النعم بالشكر والثناء على الله ﷻ بما هو أهله،
والتأدب بآداب الدين مع رب العالمين، وسيد المرسلين، وسائر الخلق أجمعين:

التذكرة الوفية ببعض الآداب الإسلامية

أولاً: الأدب مع الله:

ويكون ذلك:

- (١) بحسن التوكل على الله وتفويض الأمر إليه، واللجوء في الحاجة إليه.
- (٢) حسن الظن بالله عز وجل ووصفه بما هو أهله، وتبرئته مما ليس له أهلاً، فلا نظن به السوء.
- (٣) ومن تمام حسن الظن بالله: أن ندين له بالوحدانية، ولا نشرك به أحداً، حتى لا نكون من الهالكين، وكذلك ينبغي أن نعتقد أن الله بنا محيط، وأنه - سبحانه - أحصى كل شيء عدداً، وأنه - سبحانه - يعلم السر وأخفى، كذلك نؤمن أن الله مجازينا عن بأفعالنا.
- (٤) إخلاص العبادة له ظاهراً وباطناً.
- (٥) تعظيم قدر الرب وحفظه بالغيب، وهذه هي مرتبة الإحسان التي ينبغي على المسلم أن يتعبد إلى الله بها، كذلك فإن من الأدب مع الله: ألا نعظم غيره، وألا نحلف بغيره، ولا نجعل له نداً في أفعاله وصفاته، كذلك نوقره باجتنا بنا ما نهى عنه - سبحانه وتعالى -.

(٥) دوام ذكره - سبحانه - وتلاوة كتابه، ومداومة سنة نبيه ﷺ.

ثانياً: الأدب مع كتابه الكريم:

ويكون ذلك:

- ١- بالاعتقاد التام أنه منزل من عند الله، وأنه كلام الله ليس بمخلوق، وأنه صفة من صفات الله - سبحانه وتعالى -، وليست محدثة، فهو قديم بقدمه، أزلي بأزليته -



تبارك وتعالى، وأنه سبحانه أوحى به إلى عبده محمد ﷺ لتتبع به في حياتنا الدنيا، ولنتحاكم إليه في شئوننا (السياسية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والثقافية وفي علاقتنا الدولية).

٢- الاعتقاد التام بأن هذا القرآن مصلح لكل زمان ومكان.

٣- الوقوف عند أحكامه فلا نتعدها، فلا نقدم قولاً على قوله، ولا أمراً على أمره، ولا حكماً على حكمه.

٤- المداومة على قراءته وحسن تلاوته، وترتيبه على طهارة، متأدين بآداب التلاوة.

٥- كذلك علينا أن نقرأه في أناة وتدبر، فلا نُسرّع فيه، فتضيع حروفه وتندثر معانيه، وينبغي كذلك أن نلتزم الخشوع عند قراءته كي تكون كما وصف الله عباده الصالحين ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأَنْفَال: ٢].

٦- المداومة على حفظه، وإتقان قراءته بالقواعد التي وُضعت له، فإن الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السفارة الكرام البررة.

٧- تكريم القرآن، وإعماله فيما نزل من أجله؛ لأن القرآن دستور المسلمين، ومنهج الموحدين، كذلك فهو شفاءٌ ورحمة للعالمين.

٨- الحذر من استخدام القرآن كتهائم، وأحجية، وتعاويز لمنع الحسد أو جلب الرزق، فكل هذا باطل، كذلك فلتعلم أن القرآن ما أنزل علينا ليُتلى في سرادقات العزاء كما يفعل بعض المبتدعين، بل نزل ليحكم الموحدين في أمور دينهم ودنياهم، فمن قال أن القرآن لا يصلح أن يحكم الحياة، وأنه (لا دين في السياسة ولا سياسة في

الدين) فقد خرج من ربة الإسلام^(١).

ثالثاً: الأدب مع النبي الكريم:

ويكون ذلك:

١- بعدم رفع الصوت أمامه، وفي مجلسه، وفي حياته، وعند ممارسة سنته بعد مماته

ﷺ.

٢- عدم التقدم برأي ولا بقول على قول الرسول ﷺ لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١].

٣- الذب عن حياضه وعرضه أمام المرجفين المشككين في دينه، وإبراز فضائله، وحسن خصاله، والدعوة للتمسك بها وتطبيقها.

٤- تعلم سنته، والحرص على معرفة سيرته ﷺ.

٥- طاعته المطلقة بلا تأخير أو تسويف.

٦- أن يكون أحب ولد آدم للنفوس المؤمنة، والقلوب المخبئة، فلا نحب أو نوقر أو نُعظم من البشر مخلوقاً أكثر منه ﷺ.

٧- التأدب عند ذكره وذكر اسمه، فلا نناديه إلا بما ناداه الله، وكذلك الإكثار من الصلاة عليه ﷺ.

(١) انتشرت في الآونة الأخيرة الأبواق العلمانية والتي وسوست للكثيرين وزعمت أن «الدين لا علاقة له بالسياسة»، وإنما رَوَّج لهذا (تجار الدين) كما زعموا، وقد ردَّ على هذه الفرية الكثير من العلماء قديماً وحديثاً. منهم: الشيخ/ محمد الخضر حسين في كتابه (ضلالة فصل الدين عن السياسة) جمع وتقديم د/ محمد عمارة، والدكتور/ محمد عمارة في كتابه «الإسلام والسياسة»، والشيخ/ مشاري الشري في كتابه «سؤالات عن تحكيم الشريعة»، وكتاب «المواجهة بين الإسلام والعلمانية» إعداد/ د. صلاح الصاوي، ط. دار الكلمة للنشر والتوزيع، (وأصل مادة هذا الكتاب مناظرتان بين دعاة المرجعية الإسلامية للدولة، وبين العلمانيين الداعين إلى علمنة الدولة)، فراجع هذه الكتب.

٨ - عدم المبالغة في مدحه أو إطرائه.

رابعًا: الأدب مع خلق الله:

وذلك يكون:

﴿ بكف الأذى، وترك المجاهرة بالقبيح، ولا ينتج هذا النوع من الحياء والخلق إلا إذا توفر لدى المؤمن كمال المروءة وكمال الإيمان. ﴾

﴿ ولقد أمر النبي ﷺ بالإحسان إلى الخلق، فقال: «أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي من الرجل الصالح في قومك»^(١). ﴾

فالحياء مع الخلق وحسن التعامل معهم أمرٌ مهم، ولا يفعله إلا أهل الديانة والبصيرة، لهذا قال أحد السلف: (الحياء مع الخلق - خاصة - العلماء والأتقياء قنطرة إلى الجنة)^(٢).

﴿ واحذر أخي: من الإساءة إلى الخلق (فإنه لا خير فيمن لا يستحي من الناس) كما قال حذيفة رضي الله عنه. ﴾

(١) إسناده جيد، راجع السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - ٧٤١.

(٢) أنصح بمراجعة كتابي «الحياء المفقود» ففيه بعض الفوائد التي يحتاجها المسلم المعاصر لإحياء هذا الخلق في حياته من جديد.

القواعد الأساسية لاكتساب الأخلاق

هذه شذرات أكتبها لتكون بمثابة قواعد في باب الأخلاق، ليست مرتبة ترتيباً موضوعياً، وإنما سجلتها بحسب ما أملاه عليّ الموقف أو الحالة التي أشهدها ويشهدها غيري، من تعاملي مع الناس ومن تعامل الناس بعضهم مع بعض، فكتبتُ ما أملتُه عليّ تلك الأحوال.

وإنما أردت من هذا استثمار ظروف الحياة لتطبيق قواعد حُسن الخُلُق، خروجاً من النظرية إلى التطبيق، مع الانتفاع بهدايات كتاب الله وسنة رسوله.

القواعد والمنطلقات الأخلاقية:

- ١- عامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك به، كما في الحديث الصحيح: «... وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه»^(١).
- ٢- أحب للناس ما تحب لنفسك وكره لهم ما تكره لها.
- ٣- لا يسوغ لك أن تتخذ ظروفك سبباً أو عُذراً لك في الإساءة للآخرين مهما كنت معذوراً عند نفسك.
- ٤- إذا أردت تهذيب نفسك فيمكنك مخالطة الناس: فما كرهت منهم من أخلاق فابتعد عنه؛ فإنهم يكرهون منك ما تكره منهم.
- ٥- لا تكتف بنقد أخلاق الآخرين وتنس نفسك، بل اشتغل بنقد نفسك أولاً، لأنك مكلف بها أولاً، ثم اشتغل بإصلاح الآخرين.
- ٦- لا تقبل من نفسك ما تدم به الآخرين؛ فإنه عيب شنيع عند الله تعالى وعند الناس.

(١) أخرجه النسائي (باب رقم ٢٥، ٧/ ١٥٢) ورواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٠٦).



٧- لا يكن همك الاشتغال بإصلاح أعمالك الظاهرة فقط، بل اعتن أيضًا بإصلاح نفسك ودوافعها في القيام بالأعمال الصالحة.

٨- لا تغتر -وأنت تعمل لله- بما تلقاه في الطريق من مدح الناس؛ فما أكثر من خُدَعٍ بذلك، وما أكثر من شغلته الوسيلة عن الغاية أو صرفته عنها.

٩- لا تغتر ببعض الطرق الخادعة التي يُظن أنها سبيلٌ لتهديب النفس وإصلاحها، ولكن انظر إلى طريق رسول الله ﷺ وأصحابه وأتباعه من العلماء المحققين، وقد قال محمد بن سلام البيكندي: «كل طريق لم يمش فيها رسول الله ﷺ فهي ظلام وسالكها لا يأمن العطب».

١٠- تذكر أن عليك واجبات؛ كما أن لك حقوقًا، وليكن همك البحث عما عليك من واجبات وأداءها؛ فذلك شرط لتحصيل حقوقك.

١١- إذا أساء إليك أحدٌ، فلا تتخذ ذلك سببًا للإساءة إليه، وإذا أخطأ أحدٌ في حقك فلا يكن ذلك سببًا في أن تخطئ في حقه.

١٢- لا تُضَحِّ بأدبك في سبيل تأديب ولدك، أو لا تفسد أدبك في سبيل تأديب ولدك. وذلك يحصل غالبًا بسبب الإخلاص وشدة الحماسة للإصلاح؛ ومن مظاهر هذا التصرف ربما تنحصر في أمرين: إما باستخدام وسيلة أو أسلوب في التأديب غير مشروعة، وإما بمجاوزة الحد في استخدام المشروع سواء في المقدار أو في وضع المشروع من ذلك في غير موضعه!.

١٣- ينبغي أن تعلم أن أقل ما عليك أن تُعامل الناس به، العدل والإنصاف من نفسك. وإذا احتاج الناس إلى قاضٍ يأخذ لهم الحق منك؛ فأنت رجل سوء.

١٤- إذا أردت الاجتهاد في تحصيل الأخلاق الحميدة؛ فعليك أن تعلم فضلها وفوائدها في الدنيا والآخرة؛ لتعرف أي شيء تطلب.

١٥- تكاد نفسك تكون كالمرآة، يظهر فيها أخلاق من تُصاحِبُ وأفكارُ ما تقرأ؛ فاختر



الطيب من ذلك دائماً.

١٦- بإمكانك التعرف على حقيقة أخلاقك بالنظر إليها في الحالات الآتية:

* إذا خلوت. * وإذا غضبت. * وإذا احتجت.

* وإذا استغنيت * وإذا قدرت.

١٧- اعلم أن عليك أخلاقاً ينبغي أن تلتزم بها مع أعدائك، كما أن عليك التزاماً أخلاقياً تجاه أصدقائك.

١٨- يجب أن تفعل الخير وتلتزم الأخلاق الفاضلة مع الناس، دون أن تشترط لنفسك شروطاً.

١٩- لا تكتف بظن صواب ما تطلبه أو تفعله أو تؤمن به، إذا كان اليقين فيه ممكناً، ولا تدفع اليقين بالظن بل العكس، واستعمل هذا المنهج دائماً فيما تميل إليه نفسك.

٢٠- إذا ساءك تصرف أخيك تجاهك، فلا تسلم لما يهجم على قلبك مباشرة من تخطئته ونقده والغضب منه، بل اتهم نفسك أولاً، وحاكمها؛ فلعلك المخطئ، فإن لم يظهر لك خطأك، فالتمس لأخيك عذراً، لعل له عذراً وأنت تلوم.

٢١- لا تلتمس لنفسك الأعذار في الأخطاء الصغيرة؛ فإنها طريق لما هو أكبر منها.

٢٢- لا تنظر لخطئك الصغير من حيث صغره، ولكن انسبه إلى دوافعه، تظهر لك دلالاته وحقيقته.

٢٣- لا يغرك حسن أخلاقك في الرخاء، حتى تجرب نفسك في أوقات الشدة والغضب وسائر الحالات التي تشتد فيها الحاجة إلى الأخلاق الفاضلة، فإن لم يطرده حسن أخلاقك في تلك الأحوال فاعلم أنه ليس لك كبير فضل في وقت الرخاء.

٢٤- إذا اشتدت الحاجة إلى خلقك الحميد في بعض الأحوال فلم يوجد؛ فلست على كبير شيء من الأخلاق الفاضلة.

٢٥- يزهّد بعض الناس في التزام حسن الخلق والأدب مع أخيه، بحجة أنه أخوه، وليت



شعري مع من يلزمه حسن الخلق إذن؟

٢٦- لا تتخذ لك أختاً بشرط أن لا يخطئ، وإذا أخطأ أخوك مرة، فأنهيت ما بينك وبينه؛ فكأن شرطك في أخوته أن لا يخطئ؛ فلن تجد لك أختاً إذن؛ وأنت أيضاً لا تصلح للأخوة بهذا الشرط؛ لأنك لست بمعصوماً، كما أن غيرك ليس بمعصوم.

٢٧- تربية ليس فيها العصا عند الحاجة إليها، تربية ناقصة، وتربية ليس فيها الإقناع عند الحاجة إليه، تربية ناقصة.

٢٨- تذكر وأنت تحمل العصا لتؤدب أولادك، أنك مؤدب ولست معذباً، ثم تذكر مسؤوليتك في نفسك تجاه الأخلاق التي حملت العصا لتقيم غيرك عليها.

٢٩- ينبغي -في سبيل تحصيل الأخلاق الإسلامية- أن تفكر أولاً في فضلها.

* فإن لم يدفعك ذلك للتحلي بها؛ فتذكر عاقبتها في الدنيا والآخرة.

* فإن لم يدفعك هذا للتحلي بها؛ فتذكر شؤم تركها في الدنيا والآخرة.

* فإن لم يدفعك هذا للتحلي بها؛ فتذكر أنه لا خير في ذميم الأخلاق لا في الدنيا ولا في الآخرة.

* فإن لم ينفعك ذلك؛ فاعلم أنه لا طيب فيك إلا بمراجعة فطرتك وإيمانك بالله ورجوعك إليه.

٣٠- كثير من الأخلاق الفاضلة النفس الإنسانية مفطورة عليها وعلى حبها، فيمكن أن يتحلّى بها الإنسان إذا كانت فطرته سليمة لم تتأثر بأسباب الانحراف عن ذلك. والإيمان بالله يؤيد هذه الفطرة.

فإن انحرفت الفطرة فالإيمان بالله يقوّمها.

فإن عُدِمَ الإيمان بالله مع الفطرة فلا طيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣١- كثير من السلوك الأخلاقية الفاضلة يؤيد فضلها أكثر من أصل من أصول الأخلاق الفاضلة.



وهكذا ترى أنك مطالب بفعل كثير من السلوك الأخلاقي الحميد، وذلك بمقتضى أكثر من أصل من أصول الأخلاق الفاضلة.

٣٢- الأخلاق الإسلامية فضائل أخلاقية كريمة، يعود نفعها -في الدنيا والآخرة- على المتحلي بها، وعلى من يتعامل معه لكن المهم تحقيق نية العبادة في فعلها.

٣٣- الأخلاق الإسلامية جملة من الفضائل التي ينبغي أن يتحلى بها الإنسان السوي في ظاهره -سلوكًا- وفي باطنه -إيمانًا واعتقادًا، وشعورًا-.

وهي تختلف في درجات الطلب:

* فمنها ما هو من أسس الإيمان بالله ولوازمه.

* ومنها ما هو من الواجبات.

* ومنها ما هو من المسنونات والمستحبات.

٣٤- من العجيب أن يفخر الإنسان بما لا يفخر فيه في الواقع وعند العقلاء!!.

٣٥- حين يفقد الإنسان الميزان الصحيح لتقويم الأشياء والحقائق فإنه يفخر بما لا يفخر فيه -على مختلف مراحل عمره- حتى يكون آخر ما يفخر به في حال عجزه وكبره عصاه التي يتوكأ عليها!! إنه خطأ مؤسف حقًا!! يدعو للتأمل والعجب والعبرة.

والعاقل من اعتبر بغيره.

٣٦- من أشد الأخطاء خطرًا خطأ المخلصين إذا نسبوه للدين، أو ارتكبهوا على أنه من الدين؛ لأن صاحب الخطأ في هذه الحال يؤيد خطأه -جهلاً- بالدين أو بالكتاب والسنة. ولو أنه أخطأ فقط ولم يدع أن فعله من الإسلام، أو لم يحمله الآخرون على أنه كذلك، لكان أخف بكثير.

٣٧- من الاستعداد لما ينتظر أو يتوقع في الغيب، بعد التوكل على الله، وأخذ الأسباب المشروعة، توطين النفس على أسوأ الاحتمالات.. فإن ذلك مفيد جدًا، لما فيه من التمهيد لقبول النفس لأقدار الله تعالى المؤلمة وتحملها.



ومن لا يوطن نفسه على ذلك فإنه لا يقدر -بعد الأخذ بالأسباب- إلا النجاح، وإلا الفوز وإلا السلامة، وإلا الظفر بما سعى له.. فإذا قدر الله عليه غير ما سعى له أو ظن أنه الخير فإنه ينتكس.. وتمرض نفسه... ولا يسلم لقدر الله فتكون خسارته محقة مؤلمة!

٣٨- ينبغي أن تتعلم الأخلاق الفاضلة وذلك بدراستها نظرياً من مصدرها الصحيح، والتعود عليها عملياً بتطبيقها ومحاسبة النفس عليها دائماً، ومصاحبة أهلها.

٣٩- دراسة الأخلاق نظرية أمر لا يكفي، وتطبيق ذلك مرة واحدة أو مرتين أو وقتاً قصيراً في حياتك، لا يكفي أيضاً، بل لا بد من التطبيق المستمر وملازمة ذلك دوماً لتكون حقيقاً بوصفك بالأخلاق الفاضلة.

٤٠- ينبغي أن تعلم أن أولى من يجب أن تتأدب معه ربك الذي خلقك فأحسن خلقك وهداك ورزقك، وهو العليم بسرك وجهرك، وهو القادر على أخذك أو عقابك على سيئاتك إذا شاء!! فإنك إذا نظرت فعرفت أنه ربك ورب العالمين، وعرفت أنه هو وحده المحسن الحقيقي إليك، الذي يغمرك بإحسانه في كل لحظة، وعرفت أنه هو وحده المطلع على سرّك وجهرك، وعرفت أنه هو وحده القادر عليك، علمت أنه هو المستحق أن تتأدب معه في سائر أحوالك، وأيقنت سوء أدبك معه عندما تتأدب فقط مع خلقه وتعكس الأمر في حقه!! وحق الخالق أوجب من حق المخلوق.

٤١- الكرم والصبر والحلم والرحمة، ونحوها من الأخلاق، لا تأتي دفعة واحدة، كما أنها لا تدرك بسهولة، ولا تدرك في وقت قصير، بل تحتاج إلى وقت طويل، وإلى تدرج، ومران وصبر وتضحية، ولكنها أخلاق ضرورية لنفسية، فتستحق أن يبذل فيها الثمن، والله المستعان.

٤٢- قد يتعلم العاقل في مدرسة الحياة بعض ما بعث الله به الرسل إلى الخلق، فدعوههم إليه، وأقنعوههم به!

٤٣- كن مع الناس كالنحل، الذي يقع على أحسن الزهور وأظهر الزروع؛ فيجني منها ما



يفيده، وما يخدم به الناس، ودع مساوئهم وأخطاءهم، ولا تكن كالذباب، الذي يقع على أقذر الأشياء وينشرها في الناس ويؤذي بها الأحياء.

٤٤- الناس أصناف، فصنف منهم يصوب نظره إلى عنصر الخير في الناس ويتعامل معهم على أساسه، وينميه فيهم، فهو كالنحل الذي لا يقع إلا على الزهور والرياحين الزاكية النظيفة؛ فيجتني منها ما ينفعه وينفع الآخرين.

٤٥- وصنف آخر يصوب نظره إلى عنصر الشر في الناس وإلى الرذائل فيهم، ويتعامل معهم على أساسه، وينشره فيهم فيؤذي نفسه ويؤذي الآخرين، فهو كالذباب، الذي لا يقع إلا على أقذر الأشياء، وينشرها في الناس، ويؤذي بها الأحياء. فكن كالأول، تَسْعِدْ وتُسْعِدْ، ولا تكن كالثاني، تَشْقَ وتُشْقَ.

٤٦- يظن الحسود والنمام والمغتتاب والفاحش البذيء، يظن من توافرت فيهم تلك الخصال السيئة أنهم ينتقمون من الآخرين وينسون أنهم إنما يُلْحِقُونَ الضرر بأنفسهم في الدنيا قبل الآخرة وفي العاجل قبل الآجل؛ إذ يعود عليهم ذلك الصنيع بأمراض النفس والبدن، وعذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

٤٧- عامل الناس جميعاً معاملة أصدقائك، أو من تعرفه ويعرفك، فإني رأيت الناس يحترمون من يعرفونه ويحجلون منه، وقد لا يحجلون من الغريب والمجهول.

٤٨- الرئاسة لا يتكمل بها إلا ناقص ولا تزيده إلا نقصاً.

٤٩- إذا أنت فكرت في حال كثير ممن يتعدى عليك بسوء أخلاقه، منعك من معاقبته الحال الأخلاقية التي هو فيها، ولم تطمع في معاقبته بأزيد من ذلك. وشاهدت فيه نعم الله عليك.

٥٠- بالخلق الحسن ينتشر الخلق الحسن في الناس، وبالخلق السيئ ينتشر الخلق السيئ.

٥١- حسن الخلق غاية مقصودة لذاتها، وهو -في الوقت نفسه- وسيلة تربوية ناجحة؛ لأن الخلق الفاضل يكون سبباً لمثله عندما يتعامل به الإنسان مع الناس، كما أن الخلق السيئ



سبب لمثله عندما يتعامل به المرء مع الناس.

٥٢- يظن بعضهم أن حسن الخلق يتأتى في الناس من طرف واحد، ويمكن أن يعفى منه الطرف الآخر، وهيهات!! فإن الحياة لا تستقيم بتأدب بعض الناس في مقابل سوء أدب من يتعامل معهم، وإن حسن الخلق في هذه الحال لا يدوم، بل عندئذ لا بد أن يغلب الأقوى، إما الأخلاق الحميدة أو الأخلاق السيئة.

ومن هنا تظهر أهمية المسؤولية على كل واحد من الناس قبل أن يعدها حقاً له يبحث عنه في الآخرين!!

٥٣- كم وددت لو أقيمت نوادٍ، وندوات، لكمال العقول؛ إذ ذلك أولى مما يقيمه الناس من نوادٍ لكمال الأجسام.

٥٤- كم هو جميل لو اهتمت المدارس والمؤسسات التعليمية بمختلف مراحلها -بما في ذلك الجامعات- بتربية العقول باستحداث مواد دراسية، وأساليب متنوعة خاصة بهذا الهدف. مثل مادة للحوار والمناظرة، يُعنى فيها بالجانب التطبيقي، أكثر مما يعنى بالجانب النظري، كأن تقام مناظرة دورية بين الطلاب، ويكون فيها تحكيم وجوائز وتشجيع!!

٥٥- اجتهد ألا تكون طفلاً؛ فقد رأيت أطفالاً كباراً يبلغ عمر بعضهم خمسين عاماً!!

٥٦- إذا ذهب حظ النفس الدنيوي في العمل جاء الإخلاص، وإذا انضم إليه الصواب كُمل النصاب.

٥٧- من حاسب نفسه، وحكم عقله تحرز لسانه عن الكلام.

٥٨- ينبغي أن يفكر المقصر في تقصيره، وأن يفكر العامل في محبطات عمله.

٥٩- أنت أعرف بنفسك؛ فلا تغتر بمدح الناس إذا مدحوك.

٦٠- أقصر الطرق لقضاء الحاجات، التوجه إلى الله تعالى.

٦١- اتهم نفسك دائماً؛ فما أتي كثير من الناس إلا من إحسانهم الظن بأنفسهم.

٦٢- إذا تعلقك نفسك بشيء لحظها، ولم تستطع تحويل نيتها لله، فامنعها منه فلا دواء إلا



ذلك. فإن استوى عندك -من أجل الله- تحصيله وتركه فقد انتصرت على هواك.

٦٣- الفارق بين الإنسان والحيوان، العلم إذا لازمه الإيمان والتطبيق.

٦٤- يبدو أن التعصب في نظر المتعصبين هو عدم التعصب؛ لأنه يتهمك بالتعصب إذا لم تتعصب معه!.

٦٥- ينبغي أن تذكر دائماً أنك لست أفضل كل الناس، ولست خير كل الناس، ولست أعلم كل الناس، ولست أعقل كل الناس.

وهذا الشعور مهم للتخلي بعددٍ من مكارم الأخلاق والبعد عن عددٍ من مساوئ الأخلاق. وكم انحرف الإنسان بسبب توهمه أنه أفضل الناس وأصلح الناس وأعلم الناس وأعقلهم!.

٦٦- اعذر الناس فيما فيه مجال للعذر، وعود نفسك هذا الخلق، فإنه من أهم معاني كرم النفس، ومن أهم معاني سماحة النفس، وإياك أن تعود نفسك التشنج والغضب والحساسية المفرطة من كل خطأ يقترفه الآخرون، لا سيما في ناحية حقوقك الشخصية، بل حاول دائماً أن تتفهم مواقف المخطئين وأعدائهم التي قد تكون معتبرة عقلاً وشرعاً.

٦٧- إذا أردت اكتساب الأخلاق الفاضلة والابتعاد عن الأخلاق السيئة فعليك باستعراض ما في القرآن الكريم؛ فما وجدت فيه من أوامر وتوجيهات إلهية فخذ به، وما وجدت فيه من نواهٍ فابتعد عنه.

وأفعل مثل هذا بالنسبة لحديث رسول الله ﷺ. فمن فعل ذلك والتزم به في حياته فقد اكتسب الأخلاق الفاضلة، وابتعد عن مساوئ الأخلاق، وكان على هدى ونور وبينة لا ريب معها أنه على الصراط المستقيم.

والخلاصة: تخلق بأخلاق القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تكن أحسن الناس خلقاً.

٦٨- يقول الإمام ابن حزم -رحمه الله تعالى-:



«من جهل معرفة الفضائل، فليعتمد على ما أمره الله ورسوله ﷺ؛ فإنه يحتوي على جميع الفضائل»^(١).

٦٩- الخاطرة والفكرة بداية التوجه والسلوك:

لا تستهن بالخطاة والفكرة والأمنية، بل حاسب نفسك عليها، ناظرًا في نوعها هل هي خاطرة حسنة أو سيئة؟ هل هي فكرة أو أمنية حسنة أو سيئة؟. فإن كانت حسنة نميتها وإن كانت سيئة قضيت عليها بما يضادها. وإلا فإن معظم النار من مستصغر الشرر، وبداية الشر -في الغالب- خاطرة أو فكرة عنت لصاحبها، كما أن الخير كذلك!! وتستطيع أن تتعرف على توجهات نفسك هل هي إلى الخير أم إلى الشر، بالتعرف على خواطرها وأفكارها وأمانيتها....

ولا ترض من نفسك إلا بأن يكون همّها وتوجهها في الظاهر والباطن نحو الخير.
٧٠- لنا في قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ غنى عن أقوالنا، ولكنها الخواطر، ويمكنك الاستعانة بعد الله بكتب أهل العلم التي عنيت بهذا الموضوع^(٢).

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، لابن حزم: ٧٩.

(٢) راجع (الذريعة إلى مكارم الشريعة) لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفصل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق د/ أبو اليزيد العجمي ص ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧ ط. دار الصحوة للنشر.

وانظر «الأخلاق الفاضلة - قواعد ومنطلقات لاكتسابها» تأليف د/ عبد الله بن ضيف الله الرحيلي من ص ٦٢ إلى ص ٧٥ ط. مطبعة سفير - الرياض ١٤١٧ هـ.

وراجع (دستور الأخلاق في القرآن) تأليف د/ محمد عبد الله دراز، تعريب وتحقيق د/ عبد الصبور شاهين - خاصة - [الفصل الخامس من ص ٦٨٩ إلى ص ٧٧٨] ط. مؤسسة الرسالة، كما يمكنكم التوسع والمراجعة لكتاب «الأدب الشرعية والسنن المرعية» للإمام ابن مفلح المقدسي.

كيف نتعامل مع الخلق؟

- ﴿ ابتداء: نضع ضابطاً يضبط لك جميع معاملاتك مع الخلق. وهو: أن تحب للناس كل ما تحبه لنفسك، وأن تتعامل مع الخلق بأخلاق هذا الشرع الحنيف، وأن تحسن إلى الناس جميعاً وإن أساءوا إليك. ثانياً: تعلم «فن التعامل مع الآخرين». فمثلاً: يُمكنك بسهولة أن تستعطف القلوب، وتكسب النفوس ببعض الأخلاقيات والسلوكيات السهلة، منها:
- (١) الحرص على الابتسامة الرقيقة.
 - (٢) البدء بالسلام مع بسط الوجه والبشاشة، وحرارة اللقاء، وشدة الكف على الكف.
 - (٣) التهادي ولو بالشيء اليسير؛ لأن: الهدية لها تأثير عجيب، فهي تذهب بالسمع والبصر والفؤاد.
 - (٤) الإكثار من الصمت وقلة الكلام إلا فيما ينفع، واجعل شعارك: «الكلمة الطيبة صدقة».
 - (٥) الحرص على حسن الاستماع، وأدب الإنصات، وعدم مقاطعة المتحدث.
 - (٦) الزم حسن السميت، وجمال الشكل، وطيب الرائحة.
 - (٧) ابذل الخير والمعروف للناس في منتهاه.
 - (٨) ابذل من مالك في سبيل الله، وساعد المحتاجين، وأعن الفقراء.
 - (٩) أحسن الظن بالآخرين، واقبل الاعتذار منهم ولهم، وثبت من الأخبار التي تُنقل لك عنهم وعن جميع الناس.
 - (١٠) أعلن حبك لسائر الموحدين - على قدر ما عندهم من طاعة - كما علّمك نبيك ﷺ.
 - (١١) لا بأس باستخدام المداراة.. وهي لين الكلام، والبشاشة لغير أهل الاستقامة، (كالفساق وأهل الفحش والبذاءة)، لاتقاء فحشهم؛ لأن في مداراتهم كسباً لهدايتهم، شريطة عدم المجاملة في الدين.



(١٢) اعرف لكل ذي فضل فضله، وأقل له عشرته، وتأدب معه.

(١٣) تعامل مع الناس بأخلاق الإسلام: (كن حبيباً وفيّاً معهم، كن رحيماً بهم ودوداً لهم، كن عادلاً سليم الصدر لهم، كن كريماً متواضعاً شاكراً أميناً معهم، كن صبوراً عفيفاً شريفاً شجاعاً وقوراً حليماً عليهم، كن صدوقاً عطوفاً أماراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، كن وصولاً لرحمك، متسامحاً مع كل الخلق).

للّهِ واعلم أن أركان حسن الخلق أربعة: «الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل».

للّهِ وسوء الخلق أركانه أربعة: «الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب»^(١).

قد تقول: وكيف أغير من أخلاقي؟!

والجواب: صحيح أن الخلق هو: ما جُبِلَ المرء عليه أو اعتاده في حياته، وهو: سجيته وطريقته التي كونها من خلال تجاربه وخبراته، وهي على نوعين:

(١) منها ما هو غريزي فطري.

(٢) ومنها ما يُكتسب بالممارسة والمجاهدة

إذن يمكنك ذلك، ولكن لا بد من تنمية الأخلاق الحسنة وغرس محاسن الأخلاق، وتنقية النفس من ضدها، ومن ثمّ فالوسائل المعنية على تحقيق الجوانب الأخلاقية تملك قدرًا من الاشتراك.

ومن هذه الوسائل:

* اجعل لك قدوة صالحة تقتدي بها.

* استفد من شمائل النبي ﷺ.

* جالس العلماء الربانيين، والدعاة الصادقين لتستفيع بصحبتهم^(٢).

(١) للتوسع.. راجع بحث (سوء الخلق - مظاهره - أسبابه - علاجه) للشيخ / محمد بن إبراهيم الحمد ص ٩١، ٩٢، ٩٣، ١٠٥ ط. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.



* تعود الشناء على المواقف الإيجابية اقتداءً بنبيك ﷺ، كما فعل مع الأشعرين، ومع «أشج عبد القيس»^(٢)، وغيرهم.

* حفظ الجوارح عن اقتراف المعاصي والذنوب.

تربية النفس بشكل شمولي ومتوازن ومتدرج ومن ذلك:

- التربية على الجدية.
 - التربية على العزة والشجاعة
 - التربية على الوقار ومعالي المروءة.
 - التربية على السمات والهدي الحسن.
 - التربية على الأدب مع الأكابر.
 - التربية على رعاية آداب المجالس.
 - التربية على الرجولة والخشونة والبعد عن الترف.
 - التربية على العزيمة والبعد عن الكسل.
 - التربية على اغتنام الأوقات.
 - التربية على النظام في الحياة والتفكير، وتجنب العيشية والفوضوية^(٣).
- وحتى يتحقق كل هذا لابد من رياضة النفس، وتدريب الذات، مع داوم المجاهدة والمقاومة وتنقية النفس من الرذائل، وقوة الملاحظة، والنظر في عواقب الأمور قبل الإقدام،

(١) أثنى النبي ﷺ على الأشعرين فقال: «إن الأشعرين إذا أرملوا في الغزو أو قلَّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد، فهم مني وأنا منهم» رواه البخاري (٢٤٨٦)، ومسلم (٢٥٠٠).

(٢) أثنى النبي ﷺ على أشج عبد القيس فقال: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة» رواه مسلم (١٨).

(٣) راجع (تربية الشباب: الأهداف والوسائل من ص ١٥٠ إلى ص ١٦٦).



وطلب النصيح من الآخرين، وصحبة الصالحين من قومك، وتحقيق العفة والبعد عن الفواحش، والقراءة في كتب الأخلاق والسلوك، (كالأدب المفرد للبخاري، ومكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة، وموسوعة نضرة النعيم، إعداد/ مجموعة من المتخصصين)، ولا تسمع للمخذلين المثبطين الذين يزعمون أن الطبع يغلب التطبع.

ثم استعن بربك، وأكثر من الإلحاح عليه، والتضرع إليه، كما كان نبيك ﷺ يفعل ويقول: «اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي»^(١).

وردد في كل وقت: «اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت»^(٢).

(١) رواه أحمد وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٦٥٧.

(٢) رواه مسلم.

واحذر

- ١ - تصنع الأخلاق للآخرين، فإنك وإن نجحت مرةً أو مرتين فسرعان ما ستسفر الأحداث عن زيوفِ النفس وتصنعها، وما تُخفى من نوايا ومآرب.
- ٢ - لا تغتر بحسن أخلاقك في الرخاء، بل جَرِّب نفسك في أوقات الشدة والغضب... فمثلاً:

- * إذا أردت أن تعرف هل أنت جواد كريم؟! فجَرِّب الإيثار عند قلة الزاد.
- * إذا أردت أن تعرف هل أنت حليم؟! فجَرِّب نفسك عند ظهور الغضب.
- * انظر للناس فما كرهته من أخلاقهم فابتعد عنه، وتذكر دائماً وأبداً نصيحة عبد الله بن المبارك إذ يقول: «إذا خرجت من منزلك، فلا يقعنَّ بصرُك على أحدٍ إلا رأيت أنه خيرٌ منك».
- ٤ - أخلاقك معك في كل زمان ومكان: مع ربك، مع الناس في بيتك، وفي عملك، وفي البيع والشراء، في الجلوة والخلوة، مع الكبير والصغير.. واحذر الازدواجية الأخلاقية.
- ٥ - لا تَنَسَ أن الناس بشر، وأنهم يصيبون ويخطئون، فمهما بلغوا فلا بد وأن يكون لهم هنات وغفلات، فلا تُطالبهم بالمثاليات - خاصة - في هذه الأوقات.
- وتذكر دائماً وأبداً نصيحة (عبد الله بن المبارك) إذ يقول: «نحن إلى قليل من الأدب أحوج إلى كثير من العلم...»^(١)، وقد أكد الإمام الشافعي على نفس المعنى فيقول: «أرفع الناس قدرًا من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلًا من لا يرى فضله»^(٢).

(١) ينظر: «إحياء علوم الدين» للإمام أبي حامد الغزالي (٣/٥٢٩).

(٢) ينظر: «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي (١٠/٩٩)، ط. مؤسسة الرسالة-بيروت..



رابعاً: التربية على أن يكون الشخص اجتماعياً:

ذلك لأن الإنسان إلف مألوف، لهذا كان لزاماً أن يسعى لتنمية الجانب الاجتماعي لدى الشاب المسلم

وإليك وسائل عامة في بناء الجانب الاجتماعي لدى الشاب المسلم:

١ - تعلم الآداب والأحكام الشرعية المتعلقة بالحياة الاجتماعية^(١):

جاءت أحكام الشرع شاملة لكل نواحي الحياة، وما من ميدان من ميادين الحياة إلا والله فيه حكم يتعبد المسلم به، ومن مقتضيات ذلك كله أن يكون لدى المسلم علم بجملته كبيرة من الأحكام الشرعية المتعلقة بالحياة الاجتماعية، كأداب الكلام والطعام والشراب، وآداب المشي والجلوس والنوم، وآداب التعامل مع الكبار والصغار والمعلم والصديق وغيرهم، وآداب الاستئذان على الوالدين، وآداب المساجد، وآداب الطريق والسيارة، والأدعية الخاصة بكل ناحية من هذه النواحي، وغير ذلك من أنماط السلوك الاجتماعي التي ينبغي على المسلم الوقوف عليها.

ومن ثم لا بد من الاعتناء بتعليم هذه الأحكام والآداب وتدارسها، والسعي لتطبيقها في البرامج والأنشطة التي تقدم للطلاب.

٢ - الأنشطة والبرامج الترويحية:

ينظر كثير من الناس إلى برامج الترويح على أنها مضيعة للوقت وإفساد له، وأن تعاطيها إنما هو من باب إتيان الضرورات.

ومن زاوية أخرى فإن هذا الجانب أخذ لدى الناس أكثر من حقه في هذا العصر، حتى انتشرت ألوان من الترويح المحرم، وارتبط بالترويح المباح جوانب قد تخرجه إلى دائرة الحرام، أو صار طاعياً مفسداً للأوقات.

(١) ننصح بمراجعة: كتاب الحياة دليل إرشادي للمؤلف أحمد سالم، ط. دار عالم الكتب



ومع ذلك كله يبقى اعتناء المربين ببرامج الترويح وتنظيمهم لها أمراً له أهميته للأمور الآتية:

١- أن ممارسة الترويح كان هدياً نبوياً، فقد كان ﷺ يداعب أصحابه؛ ولا يقول إلا حقاً.

٢- أن الترويح يلبي حاجة نفسية مهمة، فهي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تحكي عن نفسها فتقول: «كان الحبش يلعبون بحراهم فسترنى رسول الله ﷺ وأنا أنظر، فما زلت أنظر حتى كنت أنا أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع اللهو»^(١).

٣- أن الترويح يذهب الملل والسآمة، وينشط النفس لمعاودة العمل.

٤- أن الترويح له أثر مهم في تفريغ الطاقة الهائلة التي يمتلكها الشاب، لذا كثيراً ما يوصي علماء النفس عند تناولهم موضوع الشهوة الجنسية لدى المراهق بالاعتناء بالأنشطة الرياضية.

٥- أن إقامة المربين للأنشطة الترويحية للشباب وتنظيمها لهم يقدم بديلاً يصرفهم عن الأنشطة الترويحية السلبية، كمشاهدة الأفلام والمسلسلات، أو التسكع في الطرقات والأسواق، والنوادي والمقاهي وغيرها.

٦- أن ذلك يمكن أن يكون مرغباً للشباب في المشاركة في الأنشطة الثقافية والتربوية التي يصاحبها برامج في الترويح.

٧- أن تنظيم البرامج الترويحية يمكن أن يستثمر في تحقيق بعض المعاني التربوية المهمة ومنها:

أ- تعويد الشباب على تهذيب الألفاظ وصيانة اللسان أثناء التريض.

ب- تعويدهم على جعل الترويح وسيلة لا غاية، وعلى إعطائه الاهتمام الذي يتناسب

(١) رواه البخاري (٥١٩٠).



معه دون إفراط وتجاوز، كما هو الحال لدى كثير من شباب المسلمين اليوم.

ج- تعويدهم على المعاني الجماعية، وعلى العيش في إطار أخوي.

د- تنويع مجالات الترويح وبرامجه بحيث تشمل بعض البرامج الترويحية ذات البعد الثقافي والعلمي، وألا يقتصر الترويح على الأنشطة الرياضية وحدها، ليكون هذا النوع من الترويح، بمثابة الترويح التربوي.

٣- إنشاء الجمعيات الخيرية: لتدريب الشباب والناشئة على العمل الاجتماعي والمهارات الاجتماعية، كما يدرّبهم على العمل الجماعي ويعودهم عليه، ويتيح فرصة مهمة لرفع الكفاءة الإدارية والتدريب على مهارات إدارة العمل الدعوي.

ومن الجمعيات التي يمكن إنشاؤها جمعيات في الحي، كجمعيات تهتم بالصدقة أو الزكاة، أو تلمس الأسر المحتاجة، أو رعاية أسر السجناء، أو توزيع فائض الأطعمة والولائم، أو إيجاد فرص عمل للعاطلين.... إلخ.

كما يمكن أن تنشأ جمعيات داخل المدارس، كجمعيات تهتم بأصحاب الظروف المادية الصعبة، أو جمعيات لعلاج ظاهرة التدخين أو المخدرات أو لمساعدة الشباب الضعاف دراسياً... إلخ.

٤- التعاون مع الجمعيات الإسلامية الخيرية: المنتشرة في ربوع بلادنا..

توجد جمعيات خيرية قائمة في مجتمعات المسلمين، وكثير من هذه الجمعيات تقوم أعمالها على التعاون والتبرع، وقلما تملك موظفين متفرغين.

ولو قام المربون بتوجيه بعض طلابهم للعمل يوماً واحداً في الأسبوع مع هذه الجمعيات وتولي مهام محددة فيها لانتج ذلك بإذن الله نتائجاً طيباً.

لأن مثل هؤلاء هم الذين سيتولون هذه الجمعيات والأعمال مستقبلاً، وهذه الأعمال تحتاج إلى شخص لديه الدافع والحماس للعمل، ولديه الشعور بالقدرة على الإنجاز، ويمتلك المهارات اللازمة لمثل هذا العمل.

٥ - الإعداد للحياة المادية:

يمثل الإعداد للحياة المادية اليوم مطلبًا تربويًا مهمًا، وهذا أمر يحتاج إليه الإنسان في حياته المعاصرة، خاصة في ظل التطورات السريعة للحياة.

ومما يؤكد أهمية هذا الأمر أن الشرع قد اعتنى بهذا الجانب، فقد ورد الأمر بطلب الرزق، عن الزبير بن العوام رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو -أحسبه قال إلى الجبل- فيحطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس»^(٢).

وقد نهى الشرع عن سؤال الناس وتكفهم كما في حديث أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه قال: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلماً فصر عليها إلا زاده الله عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر -أو كلمة نحوها-»^(٣).

وتتمثل المجالات التي يمكن للتربية أن تعتني بها لتحقيق هذا الهدف ما يلي:
أ- تكوين الاتجاه الإيجابي نحو العمل (عمومًا)، والعمل اليدوي والحرفي (خصوصًا).
ومن الوسائل التي تعين على تحقيق هذا الهدف:

- ١ - إبراز الجانب الشرعي والنصوص التي تحث على طلب الرزق وتحصيله، وتحث على العمل والكسب، مع إبراز ما ورد في ذم المسألة والعيش عالةً على الآخرين^(٤).
- ٢ - علاج الاتجاهات السلبية تجاه العمل الحرفي والمهني.

(١) رواه البخاري (١٤٧١).

(٢) رواه البخاري (١٤٨٠) ومسلم (١٠٤٢).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٢٥) وأحمد (١٧٧٥٠).

(٤) ننصح بمراجعة بحث: «ذم المسألة» للشيخ / مقبل بن هادي الوادعي، ط. دار الآثار - صنعاء - (اليمن).



٣- إبراز هذا الجانب في سير الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كما ورد في القرآن عن موسى من رعيه للغنم، وكما ثبت في السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم» فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم، كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة»^(١).

٦- إكساب الخبرات:

لقد تعقدت الحياة المادية اليوم، وصعبت متطلبات الحياة، فالمطالب الضرورية للحياة زادت وأصبحت في خارج القدرة المادية لكثير من الناس. وبناءً عليه فإن من مسؤولية المربي فتح المجال أمام الشاب لمنحه الخبرات التي تزيد من تأهيله لفرص العمل، وذلك عن طريق ما يلي:

أ- تشجيع الشاب على التفوق الدراسي ومساعدته على ذلك.

ب- إتاحة القرص للالتحاق ببعض الأنشطة والبرامج التدريبية والدورات التنموية والإدارية واللغوية.

ج- استثمار الإجازات الصيفية وتخصيص جزء من الأنشطة الصيفية لتنمية هذه الجوانب.

٧- تنمية المثابرة والعزيمة ضد الملل والسأم.

٨- تنمية تقدير المسؤولية:

والبعد عن التلقي السلبي، أو الاعتماد على الآخرين، أو أن يبقى عالة على والديه. وهذا له أثره السلبي في تأهيله للعمل.

٩- تنمية مهارات إتقان العمل:

ومن الوسائل المعينة على تنمية هذا الجانب:

(١) رواه البخاري (٢٢٦٢).



أ- مطالبة الشاب بمزيد من الإتقان فيما يقوم به وينفذه من أنشطة^(١)، ويمكن أن تكون الحوافز والمسابقات وسيلة مساعدة في ذلك.

ب- تنظيم أنشطة تتطلب قدرًا أكبر من الإتقان، واستثمارها فرصة للتدريب على ذلك.

ج- جعل الإتقان سمة للبرامج وأنظمتها، والارتقاء بمستوى الضبط لها، فهو يحول الإتقان إلى سلوك شخصي مستقر لدى الشاب.

١٠- الارتقاء بالوعي الاجتماعي والاقتصادي.

١١- تنمية مشاعر البر والصلة:

إن البر والصلة من أعظم الأخلاق والمعاني الاجتماعية التي دعا إليها الشرع، بل قد كانت شعارًا لدعوة النبي ﷺ، عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله ﷺ مستخفيًا جُراء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نبي» فقلت: وما نبي؟ قال: «أسلني الله» فقلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء»^(٢).

١٢- تنمية القدرة على بناء علاقات اجتماعية ناجحة:

النجاح في بناء العلاقات الاجتماعية أمر لا غنى عنه.

ومن وسائل تحقيق ذلك:

(١) فرق بين هذا الأمر وبين ما يسلكه بعض من يصفهم الناس بالتعقيد، وهذا الصنف يبدو في بعض المدراء الذين يصرون على مستوى من المثالية، ويضخمون الشكليات، فكتابة خطاب عادي ربما تطلبت منهم التعديل مرات عدة، وهذا السلوك يجب أن يحذره المربي، فهو إن تقبله المتربون خرج جيلًا يعني بالشكليات، وإن لم يتقبلوه صار اتجاههم نحو المربي سلبياً.

(٢) رواه مسلم (٨٣٢).



- أ- إبراز أهمية الجانب الاجتماعي والحاجة له.
- ب- تنمية الجانب الخلقي الذي يجعل الشاب مقبولا من الآخرين.
- ج- تحقيق قدر من الاندماج الاجتماعي والتخفيف من العزلة التي يعيشها كثير من الشباب الصالحين تجاه المجتمع^(١).
- د- تنمية مهارات التعامل مع الآخرين والتعويد على احترامهم.
- هـ- الاعتناء بتأصيل المنهج الشرعي في الخلطة والعزلة، وأن مخالطة الناس ومعايشتهم والصبر على أذاهم خير من اعتزالهم، عن يحيى بن وثاب عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: أظنه (ابن عم) ر- عن النبي ﷺ قال: «الرجل المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»^(٢).
- و- تنمية الشعور بالمسؤولية الدعوية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإسهام في حماية المجتمع من عوامل الفساد، وهذا الأمر مما يعين الشاب على أن يصبح عضواً فاعلاً في مجتمعه، وبالتالي يكون لبنة أساسية في ريادة الأمة.
- ز- الاعتدال في نقد الأوضاع الاجتماعية، وتوجيه ذلك فيما يحفز على السعي للإصلاح والتغيير؛ إذ الإفراط في النقد المجرد يورث السلبية، ويدعو الفرد للهروب من المجتمع.
- ح- إشراك الشباب في الأنشطة الاجتماعية، كالجمعيات الخيرية التي تعنى بالمحتاجين، والإسهام في تقديم الخدمات العامة للناس، ولعل ما نراه اليوم في موسم الحج من جهود يبذلها طائفة من الخيرين تبرعاً وإحساناً في توزيع الصدقات والمواد الغذائية على الحجاج يمثل الخلق والمنهج الشرعي.
- ١٣ - تنمية روح التعاون والعمل الجماعي والمؤسسي:

(١) مع مراعاة الحذر من الاندماج في المجتمعات المنحرفة والسيئة، وتعلم متى يندمج الإنسان في الحياة الاجتماعية؟! ومتى يعتزل؟! ومتى يعتزل؟!

(٢) رواه الترمذي (٢١١٦)، وصححه الألباني بهذا اللفظ في صحيح الترمذي (٢١٦٧).



قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] وقال ﷺ: «يد الله مع الجماعة»^(١).

* ومن الوسائل المعينة على بناء الروح الجماعية:

(أ) تنظيم الأعمال الجماعية، كإعداد بحث أو تقديم ورقة عمل من طالبين فأكثر، أو القيام بمهام دعوية بصورة مشتركة.

(ب) التعود على لغة الحوار وإدارة النقاش، فالعمل الجماعي لا بد فيه من اختلاف الآراء ووجهات النظر، وهذا يحتاج إلى قدرة في التعامل مع الرأي المخالف، وتقريب وجهات النظر، وهي مهارة لا يمكن أن تكتسب بدون تدريب وممارسة.

(ج) إحياء مفهوم الاستشارة والاستئذان بآراء الآخرين، فذلك يعود الشاب على التنازل عن رأيه والتخلي عن التعصب له.

(د) الاعتدال والإنصاف والتأدب عند نقد الآخرين من الدعاة، أو عند نقد المشروعات والأفكار الدعوية.

١٤ - التربية على الاهتمام بأحوال المسلمين:

- خاصة - وقد ربط النبي ﷺ هذا الأمر بالإيمان، وأخبر أنه من صفات المؤمنين فقال: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى عضوٌ تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»^(٢).

وفي رواية «المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله»^(٣).

(١) رواه أحمد (٢٢٥٨٨)، (٥٠٢٢)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٥٢) حديث رقم (٩٣٩).

(٢) رواه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦).

(٣) رواه مسلم (٢٥٨٦).



١٥ - غرس الشعور بشرف الانتفاء للأمة الإسلامية:

من نعمة الله تبارك وتعالى على المسلمين أن جعلهم أمة واحدة، وامتن عليهم عز وجل بأن نقلهم من حال الفرقة والصراع إلى حال الاجتماع والاتلاف، فقال ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وهذه لا تقف عند حدود مصطنعة من صنع الأعداء، بل هي أخوة تتجاوز حاجز الزمان والمكان لتربط جميع المؤمنين بالله برباط واحد^(١).

[ومن الوسائل التي تعين على تحقيق هذا الهدف]:

(أ) تجلية مفهوم الولاء والبراء، وأن المسلمين إخوة وأمة واحدة يسعى بدمتهم أديانهم.
(ب) دراسة التاريخ الإسلامي والاعتناء به، ودراسة سير الأنبياء والسابقين من المؤمنين؛ فذلك يقوي الشعور بوحدة الانتفاء للأمة بمفهومها الواسع الذي يتجاوز حدود الزمان والمكان.

(ج) التخلي عن النعرات الوطنية والقومية، الضيقة والتي تنتشر من جديد على أيدي «العلمانيين العرب»، فهذا من أعظم ما يضعف الأخوة الإيمانية، ولهذا حكى تبارك وتعالى عن المنافقين قولهم: ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٣] «فنادوهم باسم الوطن المنبئ عن التسمية فيه، إشارة إلى أن الدين والأخوة الإيمانية ليس لهما في قلوبهم قدر»^(٢).

(١) راجع تفاصيل ذلك في كتاب (تربية الشباب.. الأهداف والوسائل) للشيخ/ محمد الدويش من ص ١٨١ إلى ص ١٩١ باختصار.

(٢) ينظر: تفسير السعدي ص ٦٠٨.



خامساً: التربية النفسية:

يرتبط الجانب النفسي بسائر جوانب الإنسان ارتباطاً واضحاً، ويترك أثره عليها وهذا أمر معلوم طبياً وفسولوجياً^(١).

ويكفي في أهميته الصحية والنفسية وبيان أثرها كثرة استعاذة النبي ﷺ من الحزن والهم، عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال»^(٢).

ولقد كان من نتائج الحضارة المعاصرة أن زادت مشكلات الناس النفسية وصعوباتهم، ونكتفي بهذا الشاهد من كلام أحد المختصين، حيث يقول:

«إن مقدار انتشار حالات الاضطرابات النفسية والاهتمام بها في العالم يمكن أن يظهر أمامنا في مثال نأخذه من الولايات المتحدة، يذكر مؤلف كتاب: «أنماط السلوك الشاذ» أن حوالي ٥٠٪ من المرضى الذين تستقبلهم المستشفيات يعانون من أحد الاضطرابات النفسية ذات الدلالة، أو أنهم بكلمة أخرى يعانون من أمراض عاطفية حادة، كان هذا هو الحال قبل ربع قرن من الزمن» فكيف به الآن؟

وهذا مما يؤكد على أهمية الاعتناء بالجانب النفسي في تربية الشباب.

لأنها تزيد من قدرة الشاب على فهم نفسه وإمكاناته، فلا يتعدها، وعلى تحديد طموحاته وآماله في ضوء إمكاناته، وعلى تقبل التغيرات التي تطرأ.

كما أنها تساعد على بناء اتجاهات نفسية سليمة نحو نفسه ونحو الناس والحياة، وتبعد شبح اليأس والقنوط.

(١) يراجع: [علم النفس النبوي] للأستاذ/ قاسم هشام صباح ص ١٤٤، ١٤٥ ط. مؤسسة الرسالة.

(٢) رواه البخاري (٦٣٦٩) ومسلم (٢٧٠٦).



كذلك فإنها تزيد من قدرته على الثبات والجلد حيال الأزمات والشدائد والمشكلات^(١).

وسائل عامة في البناء النفسي:

١ - العدل في التعامل:

العدل خلق شرعي عظيم، وعليه قامت السموات والأرض، وهو سمة للمسلم الصادق في حياته كلها.

وحين ينشأ الشاب في بيئة لا تلتزم بالعدل فسوف يترك ذلك أثره عليه، سواء أكان مُفضلاً على غيره، أم فُضِّلَ غيره عليه.

٢ - الاهتمام ومراعاة المشاعر:

الاهتمام بالآخرين يترك أثره البارز في نفوسهم، وهو دليل على حسن خلق صاحبه وتواضعه، لذا فلا غرو أن يكون للنبي ﷺ من ذلك النصيب الأوفى.

حيث اهتم ﷺ اهتماماً بالغاً بأصحابه مراعاةً لمشاعرهم، ومن ذلك: أن الصعب بن جثامة الليثي أهدى لرسول الله ﷺ حملاً وحشياً وهو بالأبواء أو بودان فردّه عليه، فلما رأى ما في وجهه قال: «إنا لم نرده عليك إلا أنا حُرْم»^(٢).

وذكر الشواهد من سيرة النبي ﷺ يضيق عنه هذا المقام، فسيرته مليئة بالشواهد على كمال خلقه ﷺ.

ومن صور اهتمام المربي بالشاب: سؤال الشاب عن أخباره وتفقد أحواله، والمحافظة على الموعد الذي يعطى له؛ أو الوقت الذي يصرف من أجله، والاستماع والإنصات له، وإجابة

(١) راجع (الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب) للأستاذ/ عمر التومي ٥٢٨، وللتوسع حول معرفة أسباب المشكلات النفسية.. راجع بحث «ظاهرة الضعف النفسي وسبل علاجها» تأليف د/ مجدي هلاي من ص ١٣ إلى ص ٢٨ ط. دار الطباعة والنشر الإسلامية، وبحث «الإسلام ومشكلات الشباب» د/ محمد سعيد رمضان البوطي ص ٣٦، ٣٧ ط. مؤسسة الرسالة بيروت.

(٢) رواه البخاري (١٨٢٥) ومسلم (١١٩٣).

تساؤلاته بعناية.

٣- الاعتدال في رعاية الشاب:

الاعتدال سنة الله تبارك وتعالى في خلقه.

ومن ثم فالتربية التي تخرج عن حد الاعتدال تخالف طبيعة الكائن البشري وما جبله الله عليه.

ولللخروج عن الاعتدال في التربية صور عدة تترك أثرها السلبي في البناء النفسي، منها:

الصورة الأولى: الإجحاف على النفس والمشقة عليها، وإهمال بعض الحاجات والجوانب النفسية، وهو موقف يتعرض له الشاب الملتزم حديثاً فالشاب يتميز بالحماسة والاندفاع، فهو حين يدرك فضائل الأعمال الصالحة، أو يتوب بعد صبوة قد يشق على نفسه، ويبالغ في العبادة، ويهمل رعاية سائر مطالب النفس، ومن ثم فعلى الشيخ المربي أولاً أن يعتدل في حديثه مع الشاب وأن يدفعه للعمل الصالح حتى لا يؤدي به ذلك إلى الخروج عن الاعتدال. وعليه ثانياً: أن يوجه الشاب حين يرى منه مبالغة وخروجاً عن المنهج الشرعي في ذلك.

وهو منهج اعتنى به النبي ﷺ فقد كان يوجه أصحابه إلى الاعتدال وينهاهم عن المشقة على النفس؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن ينجي أحدًا منكم عمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته، سددوا، وقاربوا، واغدوا، وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا»^(١).

الصورة الثانية: القسوة في العقوبة ولكن بأسلوب تربوي: وهو أمر لا بد منه للمتربي، وقد دعا الشرع إلى العقوبة المناسبة حين يتطلب الأمر ذلك، ومن ذلك أمره تبارك وتعالى بعقوبة المرأة التي يخاف منها النشوز ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ﴾ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي

(١) رواه البخاري (٦٤٦٣) ومسلم (٢٨١٦).



الْمُضْجِجِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ [النساء: ٣٤]. وأمر النبي ﷺ بضرب الأولاد على الصلاة حين يبلغون عشر سنين.

وحتى تؤتي العقوبة أثرها المراد منها دون نتائج عكسية لا بد فيها من الاعتدال، فلا تكون قاسية مبالغاً فيها بل بقدر ما يحقق المصلحة ويردع المعاقب، ولا تكون مشعرة بالغضب والكراهية وحب الانتقام، كما ينبغي ألا يكسر المربي من اللوم والتأنيب ويذكر صاحبه بذلك.

وقد طبق النبي ﷺ هذا الهدي في سنته العملية؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتي النبي ﷺ برجل قد شرب قال: «اضربوه» قال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده والضارب بنعله والضارب بثوبه، فلما انصرف قال بعض القوم: أخزأك الله، قال: «لا تقولوا هكذا؛ لا تعينوا عليه الشيطان»^(١).

والإفراط في العقوبة والقسوة فيها يولد آثاراً نفسية غير محمودة، وينشئ لدى الأولاد الرغبة في الانتقام والكراهية والحقد على الآخرين، أو يولد لديهم الخضوع والذل والاستكانة^(٢).

الصورة الثالثة: التدليل: وهي صورة مقابلة لتلك الصورة السابقة.

ومع أن هذا اللون من الخطأ يتفق العامة والخاصة على ذمه، بل يعيرون الأبناء به، إلا أنه كثيراً ما يقع، فأول من يتضرر منه الشخص الذي يلقي هذه العناية الزائدة، فينشأ ضعيفاً فاقداً للثقة في نفسه، و ينتظر من الآخرين أن يعاملوه بالمعاملة نفسها، وإلا اتهمهم بالقسوة والفظاظة، أو عدم معرفة قدره، وعدم محبتهم له.

٤ - تدعيم الدور الاجتماعي للمؤسسات التعليمية لتتمكن من الوفاء بحاجات الطالب

(١) رواه البخاري (٦٧٧٧).

(٢) ينظر: أصول علم النفس. للدكتور/ أحمد عزت راجح، ص ٦٠٧-٦٠٨.



الاجتماعية والنفسية.

٥- تحقيق الاستقرار الأسري: وهناك ارتباط واضح بين فقدان الاستقرار الأسري والجنوح والانحراف.

وينشأ فقدان الاستقرار الأسري من كثرة حالات الطلاق، وقد ينشأ ذلك من تزوج الأب زوجة أخرى وقلة بقائه مع أولاده وعدم اهتمامه بهم. وقد ينشأ من كثرة الخلاف والشجار والصراع بين الوالدين.

٦- تفعيل دور الأسرة:

تعاين بيوت كثير من المسلمين اليوم من قلة الوقت الذي تقضيه الأسرة مع أولادها، وقد نتج ذلك من خلال عوامل عدة، منها:

١- كثرة غياب الأب عن المنزل، وقلة الوقت الذي يقضيه مع أولاده، وهذا منع لهم من إشباع حاجات فطرية مهمة.

٢- انشغال الأم عن رعاية أولادها؛ فيترك ذلك أثره على بنائهم النفسي والاجتماعي^(١).

٣- طول الوقت الذي تقضيه الأسرة مع وسائل الإعلام - وبخاصة التلفزيون أو على شبكات التواصل الاجتماعي، مما يذهب فائدة كثير من اللقاءات والاجتماعات الأسرية.

هذه العوامل وغيرها أدت إلى تقليص الوقت الذي تقضيه الأسرة مع أولادها، مما يقلل من تلقيه لقيم الأسرة التربوية.

وأدت أيضًا إلى فقدان الجو الاجتماعي الأسري، وفقدان الرعاية والاهتمام من الوالدين، مما يترك أثره البالغ على الجانب الاجتماعي والنفسي لدى الأولاد.

٧- تفريغ الطاقة بشكل إيجابي: لأن كثيرًا جدًّا من ألوان المرض النفسي التي يتحدث عنها علم النفس التحليلي والأطباء النفسانيون مردها إلى طاقة مختزنة بلا مبرر لم تجد منصرفها

(١) انظر: علم النفس الدعوي للأستاذ/ عبد العزيز النعيمشي ص ٨٧ ط. دار المسلم - الرياض.

الطبيعي، ولم تجد منصرفها الصحيح»^(١).

ومن ثم لابد من أنشطة وبرامج منتجة تتناسب مع طاقة الشباب الهائلة لتسهم في توجيهها واستثمارها، وفي حمايتهم في الوقت نفسه من الانجراف والتأثر.

٨- ملء الفراغ:

ومن ملء الفراغ ملء الاهتمامات، فكثيراً ما يكون الشاب يعيش اهتمامات غير جادة، ويتعلق باللهو العابث، وربما المحرم، فالأولى في تربية هؤلاء أن يعنى -بدلاً من نهيمهم وصرهم عن ذلك- بغرس الاهتمامات والقضايا الجادة لديهم، فيصرفون تلقائياً عن التعلق باللهو والعبث الفارغ.

٩- غرس الثقة بالنفس: ومن الوسائل التي تعين على ذلك:

- ١- تضيق الفجوة بين طموحات الشاب وتطلعاته، وبين قدراته الفعلية والإحباط.
- ٢- حين يكلف الشاب بأداء عمل ما، ينبغي عدم الإصراف في مطالبة بإتقان العمل، خاصة في الأعمال التي لم يألفها ويعتد عليها بعد، بل ينبغي إقناعه أن معيار النجاح يتدرج وليس مستوى واحداً ينبغي أن يصله مرة واحدة.
- ٣- تجنب نعته بصفات سلبية، فقد «يلجأ كثير من الآباء إلى انتقاد أبنائهم والسخرية والاستهزاء بهم ولزهم ونزهم بالألقاب، ونعتهم بالإهمال والكسل والغباء بسبب فشلهم في المواقف الاجتماعية، وتعثرهم في المناسبات، أو بسبب تخوفهم وترددهم وانسحابهم، وهذا الأسلوب لا يعالج المشكلة، بل يزيدها تعقيداً واستفحالة؛ إذ إنه اتجاه سلبي في المعالجة، لا يعطي البديل ولا المجال ولا المعالم الضرورية لتغيير الحالة والموقف»^(٢).
- ٤- الحكمة في التعامل مع التجارب الفاشلة.

(١) يراجع: منهج التربية الإسلامية للأستاذ/ محمد قطب (١/ ٢٥١) ط. دار الشروق.

(٢) المراهقون للأستاذ/ عبد العزيز النغمشي (٥٤) ط. مطابع دار طيبة.



٥- الثناء المعتدل على التجارب الناجحة.

٦- تكليفه ببعض المهام والمسؤوليات التي تتناسب مع قدرته، والتدرج في ذلك، وهذا منهج نبوي كان يراعه النبي ﷺ مع الشباب من أصحابه.

٧- عدم تدخل الآباء في كل صغيرة وكبيرة كما يصنع بعض الآباء؛ فـ «الأولاد الذين ينشئون في هذا الجو يكبرون متصفين بالتردد وضعف الشخصية، وعدم القدرة على القطع برأي في موقف ما»^(١).

١٠- تحسين مفهوم الذات:

والمقصود به: الفكرة التي يحملها الفرد عن نفسه، وأنها تنشأ من ردود أفعال الآخرين تجاه الشخص، قد تكون سلبية وقد تكون إيجابية. ورغم أن مفهوم الذات في حالات كثيرة يخالف الواقع إلا أن الشاب غالباً ما يسلك وفقه^(٢).

وقد تكون العوامل التي أسهمت في تشكيل مفهوم الذات عوامل أسرية ومنزلية، وقد تكون مدرسية، وقد تكون نتيجة البيئة التربوية التي يعيشها، وكثيراً ما تكون مختلطة ومزيجية بين أكثر من مصدر.

وحين يكون مفهوم الذات لدى الشاب سلبياً -وهذا يحصل في حالات كثيرة- فعلى المربي الاجتهاد في رفع هذا المفهوم، من خلال السعي إلى تغيير فكرة الشاب عن نفسه، وتوظيف ما يعرفه المربي من تاريخ الشاب وحياته في تغيير هذا المفهوم.

١١- إشباع الحاجات النفسية

تمثل الحاجات النفسية مطلباً ملحاً للإنسان، وبخاصة في مرحلة الشباب التي هي ميدان

(١) راجع أسس الصحة النفسية للأستاذ/ عبد العزيز القوسي. ص ١٧٦-١٧٧. ط. مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.
(٢) انظر (علم نفس المراحل العمرية) للأستاذ/ عمر المفدي ص ٣٢٢، نقلاً عن (تربية الشباب الأهداف والوسائل) للشيخ/ محمد بن عبد الله الدويش ص ٢١٧.



حديثنا.

ويختلف علماء النفس اختلافاً واسعاً في تصنيف الحاجات النفسية للشباب وترتيبها، ومن أفضل ما قدم في ذلك الدراسة التي أجراها عمر المفدي بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، وشملت عينة الدراسة (١٩٠٧) موزعة بين الطلاب والطالبات، في المرحلتين الإعدادية والثانوية في عواصم دول الخليج.

لذا فإنها تعد مصدراً مهماً للمربين في هذه المنطقة لتعرف الحاجات النفسية للشباب.

وخلصت الدراسة إلى تصنيف الحاجات النفسية وفقاً لما يلي:

أولاً: حاجات نفسية مهمة جداً للطلاب والطالبات في جميع المراحل:

وتتمثل في (رضا الوالدين / الطمأنينة الروحية / الصداقة / الإنجاز / الرغبة في مساعدة الغير / الرغبة في مساعد الآخرين / الأمن وراحة البال / فهم النفس - عند الطالبات فقط -)

ثانياً: حاجات نفسية مهمة للطلاب والطالبات في جميع المراحل:

وتتمثل في: (الرعاية من الغير / فهم الناس / التغيير والتنوع / الترفيه عن النفس / المعرفة والاطلاع / تنمية المواهب / الاستقلال الذاتي «عدا طلاب المرحلة الإعدادية فقد كانت متوسطة الأهمية لديهم» / فهم النفس «عند الطلاب فقط»).

ثالثاً: حاجات نفسية متوسطة الأهمية لجميع الطلاب والطالبات في جميع المراحل:

وتتمثل في حاجة واحدة وهي: الحصول على إعجاب الآخرين^(١).

ومما ينبغي للمربي مراعاته في التعامل مع الحاجات النفسية:

- ١ - الاعتدال في التعامل معها والنظرة إليها، حتى لا تؤدي إلى حساسية أو دلال مفرط.
- ٢ - أن تأخذ مكانها الطبيعي، وأن يعود على إشباعها بصورة منضبطة ومعتدلة؛ فلا

(١) انظر: الحاجات النفسية للشباب ودور التربية في تلبيتها. للأستاذ/ عمر المفدي. ص ١١٥ ط. مكتب التربية العربي لدول الخليج.



تسيطر عليه وتحكمه ويسعى لإشباعها على حساب الجد في وقته، فنحن نريد شبابًا جادين، يعدون لحمل راية الإسلام والذبّ عنه، لا فئة من الباحثين عن المتعة، الذين تقف اهتماماتهم عند الحياة الدنيا.

٣- أن تضبط بضوابط الشرع، فلا يؤتى منها ما يخالفه.

١٢- توجيه الانفعالات وضبطها حول موضوع معين، مما يكون لدى الشخص اتجاهًا، ومن أبرز الانفعالات التي تبدو في مرحلة المراهقة: الخوف، والقلق، والغضب. ويتميز المراهق بحدة انفعالاته وشدها، وسرعة استجابته لها، إلا أن هذه الحدة تخف تدريجيًا مع تقدم السن وتزايد الخبرة. ولا بد أن تبقى هذه الانفعالات لدى الشاب في هذه المرحلة، ويتمثل دور التربية تجاهها فيما يأتي:

١- فهم منشأ هذه الانفعالات والظروف المحيطة بها أو المغذية لها، سواء في البيت أو في المدرسة أو المجتمع.

فالشاب الذي يعيش في أسرة غير مستقرة، أو يعامل من قبل والديه بقسوة وعنف، أو دلال مفرط، يؤثر ذلك على انفعالاته.

٢- توجيه هذه الانفعالات التوجيه الحسن، وتعويده على أن يكون الخوف من الله أكثر من الخوف من المخلوقين، وغرس الشجاعة والثقة بالنفس لديه مما يعينه على التغلب على الخوف مما يواجهه، وتقوية التعلق بالدار الآخرة وإعطاء الدنيا منزلتها اللائقة بها حتى يخف القلق لديه تجاه المستقبل الدنيوي.

٣- الضبط والاعتدال، فزيادة الخوف والقلق قد تؤدي به إلى وسواس، أو اضطراب نفسي كالإكتئاب مثلاً، وكذا الغضب قد يقوده إلى تصرفات يندم عليها ويحني عاقبتها.

١٣- توجيه العواطف وضبطها:

ويحسن في بداية حديثنا عن توجيه العواطف أن نعرّف ببعض الجوانب المتعلقة



بالعواطف.

أنواع العواطف:

تقسم العواطف بحسب موضوعها الذي تدور حوله إلى ثلاثة أقسام:

١- عواطف تدور حول موضوعات مادية، مثل عاطفة حب الأم لابنها والأب لأولاده، والقارئ لكتاب معين.

٢- عواطف تدور حول موضوعات جمعية كعاطفة المرء نحو عائلته أو حيه أو مدرسته التي تعلم فيها، أو زملائه في الجمعية أو الفصل الدراسي.

٣- عواطف تدور حول موضوعات مجردة كعاطفة الميل إلى المثل العليا كالأمانة والصدق والإيثار^(١).

١- لذا يجب توجيه العاطفة لدى الشاب إلى غرس محبة الله ورسوله ﷺ في نفس الشاب حتى تكون هذه المحبة فوق كل شيء، حينها تكون هي السائدة والساقطة، وما بعدها تبع لها.

٢- ملء الفراغ العاطفي، بمحبة الصالحين وذوي القربى وأهل الإحسان، وبغض أهل السوء والفساد، ورحمة من يستحق الرحمة، والإغلاظ على من يستحقه.

٣- إشباع الحاجة العاطفية، فالإنسان يحتاج إلى أن يجد المشاعر العاطفية الإيجابية تجاهه، ومن ثم فأولئك الذين حُرِّموا حنان الوالدين، وعاشوا في أجواء تفتقد لهذا الإشباع، هؤلاء يعانون من مشكلات كثيرة في حياتهم النفسية.

٤- تنقية النفس من العواطف المنحرفة، وهي تكثر في هذه المرحلة؛ فقد يميل الشاب إلى حب فتاة معينة، أو عشق زميلة له، ويؤدي به ذلك إلى مخالفات شرعية، وقد كثرت الشكوى من ذلك.

(١) انظر: علم النفس أصوله وتطبيقاته التربوية للأستاذ/ مصطفى فهمي. ص ١٤٦ ط. مكتبة الخانجي.



١٤ - الوقاية من الانحرافات والاضطرابات النفسية:

وذلك بتحقيق الصحة النفسية والاستقرار النفسي لدى الشاب، فهو كذلك بحاجة إلى الوقاية من الاضطرابات والمشكلات النفسية وحسن التعامل معها.

ومما ينبغي مراعاته في ذلك:

(١) تصحيح المفاهيم الخاطئة حول الطب النفسي، ومنها:

١ - النظرة السائدة لدى المربين والمتربين التي ترى أن المتدينين لا يصابون بالأمراض والمشكلات النفسية^(١).

٢ - النظرة الأخرى التي تفسر المشكلات النفسية بنقص الإيمان والتدين، وهو وإن كان عاملاً مهماً إلا أنه ليس بالضرورة العامل الوحيد، ومثل هذا التفسير له أثره على من يصاب بمرض نفسي، فيشك في إيمانه ويبالغ في اتهام نفسه مما يزيد من معاناته.

٣ - النفرة من الطب النفسي والتخوف من التعامل معه.

(٢) التعريف بأبرز المشكلات والأمراض النفسية المنتشرة التي يمكن أن يواجه بها الشاب، كالاكتئاب، والوسواس القهري... إلخ.

(٣) حسن التعامل مع الشباب والاستماع لهمومهم ومشكلاتهم والسعي لمساعدتهم بالرأي والتوجيه.

(٤) اجتناب التعامل الخاطئ مع المشكلات النفسية الذي يزيد من تعقيداً، ومن أبرز ذلك

(١) للتوسع يرجى مراجعة كتاب «مفاهيم خاطئة حول الطب النفسي» للدكتور/ طارق الحبيب ط. دار المسلم بالرياض.



التعامل القاسي والتأنيب لمن يصاب بالوسواس، وهي حالة تحدث في مواقف كثيرة، والبعد عن لوم المصاب بهذا المرض وكثرة تحديثه عن تلاعب الشيطان به.

١٥ - تهذيب الدوافع وإشباعها بالطرق المشروعة:

يقسم بعض علماء النفس الدوافع إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الدوافع العضوية، وتشمل حاجات الجسد كالنوم والطعام والشراب.

الثاني: الدوافع الدنيوية وتشمل الحاجات المادية والنفسية غير المباشرة كالتملك والانتفاء والاستطلاع.

الثالث: الدوافع الأخروية مثل العبادة والحاجة الإيمانية.

ومما ينبغي مراعاته هنا تلافي الاصطدام بالدوافع العضوية، ومن صور ذلك:

١ - عدم حرمانه من النوم حين يحتاج إليه، وترك مطالبته بأداء واجبات وأعمال ما دام يعاني من الرغبة في النوم.

٢ - ألا يمنع من الذهاب لقضاء الحاجة حين يكون محتاجاً لذلك.

أما الدوافع الدنيوية فتحتاج إلى التعرف عليها وكيفية إشباعها وتهذيبها بالطرق السليمة، أما الأخروية فيجب أن تتجه العملية التربوية كلها لتحقيقها؛ إذ لا نجاة بدونها.

١٦ - تقوية الإرادة:

وكثير من حالات الانتكاس والخور بعد الكور لدى الشباب اليوم تنتج من ضعف



الإرادة.

ومن الأمور التي تعين على تقوية الإرادة:

١ - التعويد:

ومن الأمور المهمة في التعويد ضبط العواطف والانفعالات، والاجتهاد على عمل تمارين العزيمة وعدم الاستجابة المطلقة لها.

٢ - تنمية القدرة على الحسم: لأن التردد يمثل عائقاً مهماً من العوائق التي تحول بين الإنسان والسلوك الذي يريد.

٣ - غرس الثقة في النفس: فالوائق بنفسه هو الذي يتطلع للنجاح ويتجه للعمل، خلافاً للمحبط واليائس.

٤ - إشعاره بالإنجاز، وإشعاره بجوانب من النجاح في حياته، والتعامل مع الخطأ يحكمه مما يعزز ثقته بنفسه ويقوي إرادته.

٥ - الاعتدال في توجيه الخطأ؛ ومن تأمل سيرة النبي ﷺ وجد ذلك الهدي القويم في التعامل مع الخطأ، فهو يعتني ﷺ ببيان الخطأ لمن يقع فيه حين يقتضي الموقف البيان، لكنه لا يتحول إلى نظرة ثابتة ترسخ الشعور بالفشل والإحباط لدى الواقع في الخطأ، أو تؤدي به إلى الشعور بأن هذا الخطأ أصبح أمراً ملازماً له لا يفارقه.

٦ - الاعتناء بالعبادات الشرعية، فهي تترك أثرها في النفوس، وتمدها بالزاد الذي يعينها



على السير في الحياة بالطريقة الصحيحة^(١).

سادساً: التربية الفكرية والدعوية:

قد أفردت لها فصلين كاملين في الجزء الثاني من هذه السلسلة المباركة، والتي ستكون بعنوان: (النجاح الدعوي)، نسأل الله أن ييسر طباعته ونشره.



(١) مستفاد من كتاب (تربية الشباب.. الأهداف والوسائل) للشيخ / محمد بن عبد الله الدويش من ص ٢٢٩ إلى ص ٢٣٣.



الفصل السادس

المسار

ممنوع الافتراء..

إن الانتكاسة بعد الالتزام على التربية العقائدية والإيمانية والسلوكية أمر عظيم الخطر، ولعلّ هذا ما نراه جلياً على أرض الواقع المعاصر من بعض الشباب ممن التزموا منهج الله تعالى في الظاهر، لكنهم لم يحافظوا على التزامهم، ولم يشتوا على أسباب الحفاظ على الإيمان، فكانت النتيجة الحتمية: انتكاسة هؤلاء وابتعادهم عن الطريق الصحيح المستقيم.

فصل مننلس

لعلّه من المناسب أن نسوق قصة ذكرها أحد الدعاة إلى الله عز وجل وهو يتحدث عن انتكاسة شاب مسلم كان ملتزماً، ولكنه ولبالغ الأسى والحزن انقلب على عقبيه، خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

يقول الشيخ: عرفته منذ زمن، يشع من وجهه نور الإيمان، بل إذا رأيت ظاهره ذكرك بالله تعالى، وإذا ما مر فكأنما ريحانة تعبق بريحتها الطيب، كان نشيطاً في الخير فهو يدعو هذا، وينصح ذاك ويؤم الناس في الصلوات، ذو صوت شجي، إذا خطب جمع من الكلام أحسنه وأجمله، وذات يوم قابلته بعد انقطاع لم أعرفه، ظننت أنه شبيهه، وإذا بر فريقي يقول.. «إنه فلان» لم أصدق، أطلقت يدي لأمسح عيناى لعلى أحلم، أو لعله كابوس، فلما دقت النظر وأعدت الرؤيا.. إنه هو.. ولكن؟! أين ذلك السمّ الإسلامى، أين السمّ الرضى؟! لقد تحول إلى شبه أطلال مهجورة، سألت عنه القريب والبعيد، ويأتى الخبر كالصاعقة، لقد انتكس عياداً بالله. فسلك مسلك الشيطان وعادى أولياء الرحمن،





سألت: كيف ذلك؟

أجابوا: لقد حصل على مركز مرموق، وجرت الأموال بين يديه، فرأى أنه من الخطأ أن يجمع بين دنيا والتي أثرها وبين دينه^(١).. فتحول عن دينه وعبادته، ورغب عن اتباع نهج نبيه.. فكانت النتيجة أنه قد مات قلب هذا الرجل، وانطفئت جوارحه، فبعد أن كان من المصلين، فإذا هو من اللاهين عن الدين، وبعد أن كان من السعداء انضم إلى حزب الأشرقياء، وقع في حبال الشيطان بعد أن كان قريباً من الرحمن^(٢)،.. وصدق ربي إذ يقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

احذر.. التآكل الإيماني

* احذر.. الالتزام الأجوف أو التساقط والتآكل الإيماني: إن ظاهرة التساقط، وأعني بها: تآكل بعض مظاهر الالتزام في حياة كثير من المنتسبين للإسلام، أو التراجع عن الالتزام بالكلية والذي قد يصيب بعض الشباب، -ولشديد الأسف- فإن هذا الأمر بدأ يدخل في طور الظاهرة الخطيرة والمتكررة، -خاصة- بعد انتشار اليأس والإحباط واللامسؤولية في أعقاب الانقلابات العسكرية التي انتشرت في الآونة الأخيرة.

ولعلَّ هذه الظاهرة الخطيرة - أعني ظاهرة التساقط - صارت أمراً واقعياً ملحوظاً - لا سيما - في الفترات الأخيرة، والجدير بالذكر أن:

الالتزام الأجوف

أو التراجع عن الالتزام يتمثل في عدة صور ومن ذلك:

١ - أن ينقلب المسلم على عقبيه، فيرتد كافرًا أو ملحدًا أو يتلبس بالنفاق العلمي

(١) يراجع: لقاء ميلاد إنسان، للشيخ/ عبد العزيز بن عبد الخالق الحمدان على اليوتيوب.

(٢) المصدر السابق.



والعملي والعياذ بالله.

٢- أن يكون المسلم على الاستقامة والصلاح في الظاهر، ومع ذلك عنده تقصير في كثير من العبادات، وعنده بعض المظاهر السلبية والت يتخل بالتزامه وتؤثر في إيمانه تأثيراً سلبياً.. وهو المعروف بما يسمى «بالالتزام الأجوف»^(١).

٣- أن يكون المسلم على الخير والصلاح والطاعة، ثم تتبدل حاله فيتخلى عن ذلك ويسلك سبيل أهل الفسق والفساد، وإن كان لا يزال تحت دائرة الإسلام^(٢)، وذلك بسبب ميل هذا الملتزم إلى الماضي، وتأثره بجو المعصية المحيط به.

مظاهر ضعف الالتزام

* من مظاهر الخلل في الالتزام: النوم عن الصلاة المكتوبة - لا سيما - صلاة الفجر، كذلك التقصير في أداء بعض الصلوات، كذلك فإن الملتزم الأجوف لا يخشع في صلاته حتى يصبح هذا شيئاً معتاداً عنده، وهذا الفعل خلاف وصف المؤمنين والذي ذكره ربنا تبارك وتعالى، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

* كذلك فإن الملتزم الأجوف لا يبكر إلى صلاة الجمعة ولا إلى صلوات الجماعة.. بل تراه يتأخر أحياناً ولا يأتي إلا قرب دخول الخطيب أو بعدما يشرع في الخطبة، وفي صلاة الجماعة، أيضاً قد يتأخر ولا يأتي إلا قرب الإقامة، بل إن بعضهم قد تفوته الركعة أو الركعتان، أو على الأقل تفوته تكبيرة الإحرام، وقد يتكرر من الواحد منهم هذه الأمور مراراً وتكراراً، ورغم ذلك لا تنبه له ولا يهتم، كذلك فإن بعض الملتزمين لا يسابق للصفوف الأولى رغم ترغيب النبي في ذلك بقوله: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم

(١) تراجع: رسالة (الالتزام الأجوف.. وكيف تصبح ملتزماً جاداً؟!) للأستاذ/ وليد عبد القادر، ص ١٢، ١٣، ١٤، ط. مكتبة أولاد الشيخ.

(٢) تراجع: رسالة كلمات في الالتزام أ/ عادل العبد العالي، ص ٤٨ ط. الجريسي الرياض.



يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا^(١)، وقوله ﷺ: «إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول» قالوا يا رسول الله! وعلى الثاني، قال: «إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول»، قالوا يا رسول الله! وعلى الثاني، قال: «وعلى الثاني»^(٢).

- ومنها ما رواه أبو داود عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رسول الله يقول: «إن الله عز وجل وملائكته يصلون على الصفوف الأول»^(٣)، وفي رواية.. «إن الله وملائكته يصلون على الصفوف المتقدمة»^(٤).

* وقد تجد الواحد منهم يدخل المسجد مبكراً، ويرى في الصف الأول أماكن شاغرة فلا يسعى إليه ولا يجلس فيه، بل يجلس في أي مكان آخر في المسجد، وقد يرى بعضهم مكاناً شاغراً خلف الإمام في المكان الفاضل فيتركه ويذهب لآخر الصف أو وسطه، وهؤلاء قد حرموا أنفسهم أجراً عظيماً.

* كذلك فإن الملتزم الأجوف، لا يحرص على أداء النوافل «كصيام النوافل، كالإثنين والخميس، أو عشر ذي الحجة، أو على الأقل صيام أيام البيض؛ وهي ثلاثة أيام من كل شهر، أو صيام يوم عرفة، أو يوم عاشوراء.

* وكذلك تراه متكاسلاً عن صلاة النافلة كقيام الليل أو السنن الرواتب، أو صلاة الضحى، أو صلاة الحاجة، أو صلاة التوبة، أو صلاة الاستخارة، وإن صلى بعضهم شيئاً من هذه الصلوات لم يحافظ على أركانها وشروطها وواجباتها وسننها، بل تراه يؤديها ببرود

(١) رواه البخاري (٢٦٨٩)، ومسلم (٤٣٧).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٨٧٢٦)، وأبو داود (٥٤٣)، وابن ماجه (٩٩٧)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٣) رواه أبو داود وصححه الألباني في سنن أبي داود (١٣٠ / ١).

(٤) رواه النسائي (٨١٧)، وابن ماجه (٩٩٦)، وأحمد في مسنده (١٧١٨٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١ / ١٧٥).



وكسل، أو ينقرها كنقر الغراب فتصبح هذه الصلوات عنده مجرد عادات يلجأ إليها في بعض الأوقات الحرجة.

* كذلك فإن الملتزم الأجوف هاجر للقرآن الكريم.. فتراه لا يقرأ القرآن، ولا يحفظ منه شيئاً إلا النذر اليسير، ولا يستمع إليه إلا نادراً، بل قد يمر عليه اليوم واليومان والثلاثة والأربعة دون أن يقرأ شيئاً من القرآن، ومعلوم أن قراءة القرآن من أهم وسائل الثبات على دين الله تعالى، لما فيه من المثبتات، ولما فيه من قصص الأنبياء والمرسلين وما يكابدونه في هذا الطريق، فتارة يصف الجنة ترغيباً، وتارة يصف النار ترهيباً.. كذلك ترى القرآن يبين لك طبيعة طريق الالتزام والدعوة، ويجلي لك سنة الابتلاء وضرورة الصبر، لأجل هذا فإنه من حرم نعمة القرآن فهو المحروم والمخذول، ولتعلم - أخي - أن كل شيء شغلك عن القرآن فهو شؤم عليك..

* كذلك فإن الملتزم الأجوف تراه تاركاً للأوراد النبوية: فتراه مفراطاً في قراءة أذكار الصباح والمساء، والأكل والنوم، وغيرها من الأذكار الثابتة عن نبينا محمد ﷺ، كذلك فإن بعضهم تجده لا يذكر الله إلا قليلاً، وبعضهم قد يمر عليه اليوم كاملاً لا يذكر الله فيه إلا قليلاً جداً، رغم ما للذكر من فوائد وأجور وثواب عظيم..

* كذلك فإنك قد تجد ظاهره الالتزام لكنه سبى الخلق، وهذا يظهر أول ما يظهر في منزله أولاً، حيث إنه يكون سبى الخلق مع والديه، ومع إخوانه وأخواته وأقاربه، وأيضاً فإنه يكون سبى الخلق في جامعته مع أساتذته ومدرسيه، بل ومع رفاقه وزملائه، وفي أي مكان، فإذا عامل الناس عاملهم بشدة وعنف، وعدم لين، فلا تجده سمحاً في المعاملة، ولا في البيع، ولا في الشراء، بل قد يأخذ الذي له ولا يعطي الذي عليه، وإن أعطى أعطى بمن واحتقار، وقد يغش في بيعه^(١)، ولا شك أن هذه الصفات ليست من صفات المؤمنين والتي ينبغي للإنسان

(١) راجع رسالة الخلل في الالتزام، للأخ/ أحمد عمران، ص٧، ط. مكتبة البخاري، طنطا.



الملتزم أن يكون أول المبتعدين عنها، وأن يكون هو في نفسه قدوة حسنة في حسن خلقه وتعامله مع الناس، لما لها من الفضل العظيم والذي أخبر عنه النبي ﷺ بقوله: «إن أثقل شيء في الميزان الخلق الحسن»^(١).

* كذلك فإن من مظاهر الخلل في الالتزام الغلو والتنطع في الدين، أو الجفو والتفريط في بعض الأحكام، كذلك من مظاهر الخلل في الالتزام الغرق في بحر الأمان الكاذبة، بحيث يحدث البعض نفسه بطلب العلم أو حفظ القرآن أو قيام الليل أو الصدق في التوبة والإخلاص وغير ذلك من الأعمال الصالحة، ولكن إذا فتشت في حاله وجدته مفرطاً متناسياً قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦]، فإذا سألته: أين عدتك لهذه الأعمال، تراه يطأ رأسه وقد ملاً التسوييف قلبه.

* كذلك فإن بعض الملتزمين لو أهدى له أحد نصيحة أو بيّن له مخالفة تراه يتبرم، ويضيق صدره من النصيحة والتذكرة، ويتمنى أن لو لم يسمع مثل هذا الكلام، وقد يرى أن في إهداء النصيحة له تصيداً لعيوبه، وقد يظن أنه أهانه إذا وصفه بالتقصير؛ لأنه في نظر نفسه ملتزم ولا يحتاج لوعظ ولا تذكير، وهذا خطأ منه؛ لأن كل إنسان معرض للوقوع في الخطأ والتقصير، وليس لأحد أن يدعي العصمة من الزلل والخطأ، فإن المعصوم من عصمه الله تعالى، كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فحرى بمن أهدى له نصيحة صادقة أن يتقبلها بسعة صدر وأن يحاول العمل بها - لا سيما - إذا كانت موافقة للكتاب والسنة.

شريطة أن يتحلى الناصح بآداب النصيحة وشروطها، ليجد من المنصوح أذناً مصغية، وقلباً واعياً، ولتأتي نصيحته بالثمرة المرجوة..، كذلك فإن بعض هؤلاء تجده مهملاً غاية

(١) رواه أبو داود (٤٧٧٨)، والترمذي (٢٠٠٣)، وأحمد (٤٤٦/٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٠)، وقال الترمذي حديث حسن صحيح.



الإهمال لأعمال القلوب.. فإذا سألت أحدهم.. ماذا زرعت في قلبك حتى تجني ثماره؟ تجد جوابه جوابًا محزنًا مبكيًا، كذلك ترى أكثر هؤلاء لا يبالي بفضول الكلام، ولا فضول النظر، ولا فضول المخالطة، ولا فضول الطعام، ولا فضول النوم مما يكون من أهم العوامل المساعدة لموت قلبه.

كذلك فإن بعض هؤلاء تجده فوضويًا، محبًا للتسيب، كارهاً للمسئولية والانضباط، فلا ينضبط في درس ولا يجتهد في حضور المحاضرات العامة - لاسيما - المحاضرات العلمية المنهجية، ولا يلتزم ببرنامج لحفظ القرآن، أو لحفظ أحاديث من السنة، بل يريد أن تسير الأمور وفق رغبته وتبعًا لهواه، كذلك ترى بعض هؤلاء مضيعًا لوقته الثمين في غير فائدة، بل وقد تضيع هذه الأوقات في أمور محرمة كالغيبة - لاسيما - الدعاة وطلبة العلم، أو الكلام الفاحش البذيء، أو الجلوس عند المحرمات، ومن أمثلة إضاعة الأوقات: كثرة الرحلات والجلسات والتي قد تكون طوال أيام الأسبوع بغرض التسلية وتمضية الوقت فقط من دون أي فائدة لا دينية ولا دنيوية، وكان الأولى هؤلاء أن يستفيدوا من أوقاتهم في مصالح دنيوية، أو عبادة تنفعهم كذكر أو قراءة قرآن أو قراءة كتب نافعة، أو طلب علم، أو سماع شيء نافع، أو دعوة إلى الله - لاسيما - إذا كنت طالبًا في الجامعة.. أو غير ذلك من الأعمال الصالحة والنافعة للعبد في الدنيا والآخرة.

وكذلك فإن بعض هؤلاء.. قد يشتغل ببعض الملهيّات والأمور التافهة التي لا تقدم بل تؤخر.. ومن ذلك: كثرة التندر والتفكه في المجالس بما يُسمى عند العامة «النكت»، التي قد تخالف الكثير من القيم والأخلاق والأعراف، متناسيًا أن للمزاح في شريعتنا فقهًا.. * كذلك فإن بعضهم قد يشغله (عما سوى ذلك) خاصة وأنه قد تجلّى هذا الأمر في كثير من ممارسات الألعاب الرياضية خاصة كرة القدم، حيث ترى هذا الإنسان يهتم اهتمامًا زائدًا بها ويكثر الحديث عنها وعن تفاصيلها الدقيقة، كذلك فهو يعرف نتائج المباريات، ومواعيدها، وترتيب الفرق، وأسماء اللاعبين.. إلى غير ذلك



* كذلك ترى الواحد من هؤلاء منشغلاً بمتابعة «الماجريات»^(١) والأخبار في الصحف والمجلات وقراءة الكتب التي لا فائدة منها في الدين والدنيا، فضلاً عن تضييع الأوقات الكثيرة أمام الألعاب التافهة على شاشات الكمبيوتر.. وهذا الانشغال قد يحرمه من أشياء كثيرة مفيدة، بل قد يُحرم من هذا حاله الخير الكبير الوفير..

وكذلك فإن بعض هؤلاء لا تجده جاداً في طلب العلم وتحصيله، فتراه بعيداً عن الأجواء العلمية، حتى إن الواحد من هؤلاء قد يقع في الأخطاء الكثيرة في الأمور التعبدية اليسيرة وهو لا يشعر، ورغم ذلك فإنه لا يحاول أن يرفع الجهالة عن نفسه، ولا يجتهد في التفقه في أمور دينه على ما ينبغي ليتفادى الوقوع في مثل هذه الأخطاء، فتراه لا يقرأ كتب أهل العلم المحققين ممن عرفوا بسلامة العقيدة وصحة الاستدلال، بل ولا يستمع للقاءات أهل العلم المشهود لهم، بل يستمر فيما دَرَجَ عليه من معارف عرفها واعتادها منذ بداية التزامه، أو منذ وعى هذا الدين، حتى ولو كان عنده قصور علمي أو بعض الأخطاء، فإنه لا يسعى لتغييرها أو إصلاحها، ونتيجة لذلك فإنه يُفَوِّت على نفسه الأجر العظيم، وإنه من المعلوم أنه من أراد الله به خيراً يفقهه في الدين، وأن الفقيه في دينه يعمل قليلاً ويؤجر كثيراً، لأنه أعلم وأبصر بتفاضل الأعمال وأهميتها وما يترتب على هذه الأعمال من

(١) تظنن إلى خطورة «الاختلاس الشبكي»، و«إدمان برامح التواصل الاجتماعي»، و«تتبع الأخبار والحوادث» الشيخ إبراهيم بن عمر السكران في كتابه «الماجريات»، فأنصح بمراجعته، ففيه خير كثير.



الأجور، فتجده يعمل عملاً سهلاً ميسراً لا مشقة فيه ولا نصب ورغم ذلك فإنه يؤجر أجرًا عظيمًا^(١).

ومما يدل على ذلك حديث ابن عباس عن جويرية، أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: نعم، قال النبي ﷺ: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات» لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته^(٢).

كذلك فإن هذا الملتزم ظاهرياً (المتكس باطنياً) يهجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. فمع كثرة المنكرات في كل مكان سواء في البيت أو في السوق أو في أي مكان، تجده يلتزم الصمت فلا يغير منكراً ولا يأمر بمعروف، بل ولا يبالي إذا انتهكت محارم الله أمام عينيه، حتى في البيت تجد الواحد منهم يكون مع أهله وقد يكون عندهم الشيء الكثير من المنكرات، بل تراهم قد وقعوا وانغمسوا في المنكرات والمحرمات ثم هو لا ينكر

(١) قال العز بن عبد السلام في كتابه القيم «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» ص ٢٩: ط. مؤسسة الريان: «ومما يدل على أن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات، ما روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأرضاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «ذكر الله» - رواه ابن ماجه (٣٧٩٠) وأخرجه الترمذي (٣١٧/٩) تحفة الأحوذى، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب (ح رقم ١)، قال: والحاصل بأن الثواب يترتب على تفاوت الرتب في الشرف، فإن تساوى العملان من كل وجه، كان أكثر الثواب على أكثرهما، لقوله تعالى: {فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره}.
(٢) رواه مسلم (٢٧٢٦).



عليهم مثل هذه المنكرات، بل ولا يناصرهم، بل قد يبقى معهم لا يحرك ساكناً، ولو أن كل إنسان صادق في إيمانه والتزامه عندما يرى المنكر يقوم بالإنكار على صاحبه مباشرة، ويطلب منه هجر هذا المنكر وترك هذه المعصية لما انتشرت كثير من المنكرات حتى أصبحت عند كثير من الناس وكأنها أمور مباحة لا شيء فيها، وإلى الله المشتكى!!

كذلك فإن هناك بعض الخلل عند هؤلاء، كأن ترى الواحد منهم يسرف في المأكّل^(١) والمشرب والمركب والملبس بشكل فوق المعتاد، وهو ما يمكن أن نطلق عليه مرض المظهرية الجوفاء، حيث تراه يهتم بتجميل ظاهره، ولا يهتم بتعمير باطنه، كذلك فإن بعض هؤلاء تراه متساهلاً في أمر الهدي الظاهر، كاللحية والثوب القصير، فتراه يقوم بتقصير لحيته وتعديلها والأخذ منها، كذلك تراه مسبلاً لثيابه، مخالفاً لهدي نبيه ﷺ.

ومن أهم علامات الخلل عند بعض إخواننا هؤلاء -هدانا الله وإياهم إلى ما يرضيه- التعلق بغير الله تعالى، حيث يضعف إيمان أحدهم إذا غاب عن شخص بذاته لفترة ما، وقد يذهب إيمانه بالكلية إذا ذهب هذا الشخص وابتعد عنه، كذلك من علامات الخلل في الالتزام: عدم التمكن من التخلص من رواسب الجاهلية، فإنه بعد أن منّ الله تعالى عليه بالالتزام، لم يغير إلا النذر اليسير من أقواله وأفعاله وأحواله، وبعد فترة من الالتزام تجد أن رواسب الجاهلية عنده واضحة ظاهرة، فتجده عبوس الوجه بحجة أن هذا هو الالتزام، رغم أن الالتزام بالدين لا يعني التجهم والعبوس في وجوه الآخرين، بل وتجده يسيء الظن بإخوانه من الملتزمين بالدين.. فتارة يرمي أخاه بالرياء، وتارة يتهم أخاه في دينه، وثالث يقذفه في عرضه وديانته.. الخ، وبعضهم تراه مخلفاً للوعود والمواثيق، ومعلوم أن هذه

(١) راجع رسالة «المظهرية الجوفاء» للشيخ/ حسين العوايشة -جزاه الله خيراً- ط. دار الإمام أحمد.



الخصلة من خصال المنافقين، كذلك ترى بعضهم قد يكذب في بعض الأمور وبعض المواقف بحجة أن هذا لا يضره، وهذه «كذبة بيضاء»، أو يكذب ليتفادى خسارة مالية، أو يكذب مجاملة لصديق له يريد نصرته، أو يكذب في بيع أو شراء، أو يكذب ليضحك من حوله كما هو منتشر بين الناس فيما يتناقلونه بينهم من حكايات وروايات كاذبة تروى لمجرد الضحك والتسلية، ومعلوم للجميع أن كل هذا الكذب مخالف لهدي النبي ﷺ، ويدفع صاحبه إلى النار كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(١).

وبعض هؤلاء بعد أن دخل ساحة الالتزام تجد عنده تعلق بالمقاطع الإباحية، أو قد تجد عنده المجالات، والروايات الرومانسية أو الجنسية، وهذا كله قد يكون سبباً في ذهاب ديانته وورعه، بل قد يكون سبباً في انتكاسته مرة أخرى.. هذه بعض المظاهر السلبية والتي تظهر على بعض الملتزمين -هدانا الله وإياهم-، ولا يعني أن وجود مظهر من هذه المظاهر في شخص ما أنه غير مستقيم وغير ملتزم، ولكن تعني أن التزامه فيه شيء من النقص والخلل.



(١) متفق عليه.



النساقط لماذا؟!!

إن هذه الظاهرة الخطيرة - أقصد ظاهرة التساقط عن طريق الاستقامة، تحتاج منا إلى وقفات متأنية نستدعي من خلالها التأمل والدراسة لنقف على جذور وأعماق هذه الظاهرة بالغة الخطورة، ولنتعرف على أسباب هذه الظاهرة ومسبباتها، واكتشاف العوامل الحقيقية التي تقف وراء سقوط الكثيرين، حتى نحاول الأخذ بيد من ابتلي بهذا الداء، ونجنب البقية الباقية خطر هذه الظاهرة وشرها.

وفي حقيقة الأمر فإن لهذه المظاهر السلبية المذكورة أنفًا أسبابًا كثيرة يمكن حصرها في نقطتين:

١ - أسباب تتعلق بالواقع الدعوي والمحيط التربوي الذي نحياه ونعيش فيه.

٢ - أسباب تتعلق بالفرد ذاته.

أولاً: أما عن الأسباب التي تؤدي لتساقط الأخ الملتزم وتعلق بالصحة^(١) والواقع الدعوي الذي نحياه:

١ - ضعف الاهتمام بالجوانب التربوية عند كثير من الدعاة: لا نبالغ إذا قلنا أن الاهتمام بالجوانب التربوية المتوازنة الشمولية - خاصة - التربية الإيمانية العملية، والتي تساعد على بقاء الفرد في إطار الالتزام - خاصة - في زمان الفتن ضعيف عند كثير من الدعاة إلى الله،

(١) كلمة الصحة أو شباب الصحة تتكرر كثيرًا على ألسنة بعض الدعاة والشباب، وهي تشير بأن الأمة كانت ميتة أو في غيبوبة ولم يكن بها دعوة، وهذا لا يصح؛ لأن المسلمين ما زال الخير موجودًا فيهم، فأمة محمد ما تزال يقظة وقائمة، والعلماء الربانيون موجودون في كل عصر جيلًا بعد جيل، ولقد قال د/ بكر أبو زيد: أن كلمة «الصحة» تعبير حادث، ولا نعرفه في لسان السلف جاريًا، بل جرى استعماله في فواتح القرن الخامس عشر الهجري، في أعقاب عودة الكفار كالنصارى إلى الكنيسة، ثم تدرج إلى المسلمين.. راجع ذلك في كتابه: معجم المناهي اللفظية للعلامة بكر أبو زيد - رحمه الله تعالى - ص ٢٠٩، تحت مادة «الصحة الإسلامية». ط. دار العاصمة.



ويكاد يكون الاهتمام بالجوانب الإدارية النظامية أو الخطابية أو الوعظية أكثر عناية ورعاية، مما يؤدي دائماً إلى وجود أجواء جامدة تبعث على التوتر والحساسية وكثرة الخلاف بين جماهير الملتزمين - خاصة - من يعملون في حقل الدعوة.

لذلك فإن تهيئة الأجواء الإيمانية المرتبطة بذكر الله عز وجل وتهذيب النفوس وتركيتها تبعث على زيادة الإيمان في نفوس المسلمين مما يطيل من عمر الالتزام في سلوك الناس.

- وأعني بالمسائل التربوية الإيمانية تعميق روح الالتزام وأهميته بالنسبة للفرد المسلم والتركيز على خطر الانحراف عن مبادئ الإسلام وعاقبة من يُفرض في جنب الله أو لا يفرض بعهدته معه، وأن ذلك إنما يؤدي لمزيد من النفاق والجمود وقسوة القلوب.

- كذلك ينبغي أن نعلم -نحن الملتزمين- أنه لا حياة للمرء ولا قيمة له وهو بعيد عن أجواء التربية الإيمانية، فلا قيمة للملتزم وهو بعيد عن الصلاة والصيام وذكر الله وتلاوة القرآن، لأن المرء إذا ما شحن قلبه بأعمال الإيمان وقراءة القرآن تمكن بفضل من الله من دوام الاستقامة وإعفاء نفسه مما قد يعرضها للمؤاخذة أمام الله تعالى يوم القيامة.

٢- فقدان الحكمة وعدم وضع الفرد في غير المكان المناسب: إن الأمة الواعية الناضجة والدعوة الناجحة الموفقة هي التي تستطيع أن تعرف قدرات أفرادها وميولهم ومواهبهم وتعرف نقاط القوة والضعف عندهم، ومن خلال ذلك تختار لكل فرد ما يناسبه ويتناسب مع قدراته وميوله وطبيعته ومستواه، فمن غير المعقول بأن نمكن صاحب العقلية الإدارية المنظمة من اعتلاء المنبر حينما لا يكون مؤهلاً لذلك، لا نكلفه بشئون إدارة الدعوة التي لا يستطيع بمواهبه أن يجيد فيها، وكذا فإن من السفه أن نضع صاحب اللسان المفوّه والقدرة على الدعوة والتأثير على رأس عمل إداري ولا نمكنه من مباشرة الخطابة المنبرية، إذ إن ذلك يترتب عليه كثيرٌ من المفاسد والأضرار التي نعلمها جميعاً، ولولا ضيق المقام لذكرنا من الأمثلة الكثيرة ما يؤيد ذلك.. فلا بد من اعتبار القاعدة الشرعية النبوية «كل ميسر لما خلق له».



٣- التراخي في حسم الأمور: من الطبيعي أن تعترض الدعوة قضايا عادية أو غير عادية تحتاج لحسم سريع حتى لا تتوتر نفوس العاملين داخل هذا الإطار أو ذاك، وكم عانت الدعوة، وكم عانى الملتزمون من مشاكل بدأت صغيرة في جملتها إلا أن التراخي في حسمها وحلها ساعد على زيادة حجمها وشدة تعقيدها بصورة قد تستنفذ جهود المخلصين في الدعوة إلى الله تعالى.

أضف إلى ذلك أن هذا الطرف أو ذاك قد يشعر عند التراخي في حسم المشكلة أن القائم عليها «أي على معالجة تبعاتها» يحابي هذا الطرف أو ذاك، والحقيقة أن السرعة في حسم الأمور ومعالجة المشكلات من شأنه أن يُجنب كثيرٌ من الملتزمين الكثير من المتاعب، ويعفيهم من الهزات الداخلية التي تنتهي في غالب الأحيان بخسارة البعض وسقوطهم والتسبب في تساقط غيرهم، وإحداث تصدع كبير في صفوف الجماعة المسلمة.

٤- عدم توظيف الملتزمين في الأعمال الدعوية المناسبة: من المعلوم جلياً أن الدعوة إلى الله من أهم الأسباب المعينة على الثبات على الالتزام، ولكن حين يتركز العمل الدعوي في يد طائفة محدودة من الناس، فإن ذلك يؤدي إلى أمرين:

الأول: نفور كثير من الناس واستلابهم إلى خارج ساحة العمل الإسلامي لشعورهم بعدم القدرة على الإنتاج وفشلهم في اختيار موقع مناسب يخدمون به الإسلام، مما يعني عملية تعميق ظاهرة التساقط^(١).

(١) التيار الإسلامي بكافة طوائفه يمتلك طاقة تغييرية قوية وكوادر أفاضل في مختلف المجالات، ولابد من الاعتراف بالخير الموثوث عند الجميع بفضل الله سبحانه وتعالى.

- ما ينقصه: استكمال بقية الأدوات وتطوير أنفسهم جيداً، والسعي لوضع تصورات جديدة عن مسارات الإصلاح والتغيير المجتمعي، وتوظيف الكوادر والتنسيق بينها عن طريق تبادل الخبرات وإدارة الخلاف وترتيب سلم الأولويات.

- نحن نعيش حالة من التيه والإحباط كنتيجة طبيعية لتجارب لم تؤت ثمارها، وعدو متربص بها.

=



الثاني: الانقطاع وعدم التواصل، مما يعني موت العمل الإسلامي، برحيل القائمين عليه لسبب أو لآخر، فالتواصل سُنة شرعية كونية، وتوسيع دائرة العمل الإسلامي تعني بقاء الصحة داخل الخدمة لا خارجها، والمواقع التي تمتلك الطاقات المتعددة، هي التي تبقى ويكتب لها الاستمرار، أما إذا لم تكن كذلك كانت كالزبد الذي يذهب جُفاءً ولا ينفع الناس^(١).

٥ - الخطأ في التعامل من بعض المربين: من المعلوم أن رعاية الشباب المستقيم وتربيتهم أمر ليس سهلاً، فهو يحتاج إلى أناس متخصصين يمتازون بالاتصاف بالثبات، كما أنهم قدوة حسنة في كل أعمالهم، ويتصفون برحابة الصدر، والرسوخ في العلم، وسعة الاطلاع، وفهم طبائع الشباب، ليحصنوا التعامل معهم بحرفية ومهنية وإتقان، وبغير ذلك تكون النتيجة كثرة تفلت الشباب من طريق الاستقامة.

*** من أمثلة أخطاء المربين:**

- هذه مرحلة فيها حالة من إعادة التشكل للشكل العام للتيار الإسلامي - وللعالم العربي - على مستويات مختلفة، والكل يتسابق ليكون له مكان في التشكل الجديد، ولكن (والله يؤتي ملكه من يشاء)، (وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض).

- خطاب (تطوير الذات واستغلال المساحات الممكنة) = مهم جداً لعموم الشباب الآن لإخراجهم من حالة الإحباط واليأس، ولكنه خطاب ناقص يحتاج إلى بث روح الأمة والانتماء إليها والدفاع عنها، فيحتاج إلى عدم الاكتفاء به حتى لا يتحول الشباب إلى أفراد منعزلين منهمكين في أعمالهم الخاصة غير مباليين بأي أحد أو بقضايا أخرى غير قضاياهم، وهذه أزمة التخصصية الزائدة التي لا يصحبها مؤسسات تجمعها أو فرق تديرها.

- خطاب التفشيل العام والتجهيل المطلق للتيارات الإسلامية = مآلاته غير محمودة وثماره ضعيفة، وهذا لا يمنع من نقد هذه التيارات مع احترام جهودها السابقة وتبيين أخطائها واستحضار مكر أعدائها.

(١) راجع مجلة التوحيد [العدد الثامن] لشهر شعبان، سنة ١٤٢٤ هـ، ص ٢٤.



*- التركيز على الشكليات مع إهمال المضمون: وهذا الأمر أخرج لنا مجموعات من الشباب حسنوا ظاهرهم، لكنهم من أضعف الناس دينًا، وأقلهم ورعًا، والأخطر من ذلك: أنهم قد تصدروا في المحافل العامة، وبرزوا في وسائل التواصل الحديثة رغم هشاشة بنيانهم الإيماني، وتآكل جذورهم التربوية.

*- شدة التكاليف وعدم واقعيتهما: لا بد للهدف الصحيح من أن يتسم بالواقعية والمنطقية والمعقولة، وأن يكون ممكن التنفيذ، فإذا فقد الهدف شيئًا من تلك المكونات لم يعد قابلاً للتحقق بشكل سليم ينتج عنه أثر حقيقي.

- لهذا فمن الأخطاء التي يجب أن يُنظر إليها بعين الاعتبار: حرص المربين الزائد على نبوغ طلابهم بأسرع وقت، فيتعجلون نبوغهم، وينتج عن ذلك تكليف الشباب ما لا يطيقون، مع عدم الانتباه إلى خطورة «عدم التجانس بين الرغبة والموهبة والعمل المطلوب»، وعدم مراعاة الفروق الفردية.

- وتكون ثمرة هذه التكاليف الشاقة.. الغلظة عليهم عند إخفاقهم، ومعاملتهم بقسوة، مما يؤدي بالشباب إلى التذمر والضيق والسامة والكآبة والتضجر والملل، ثم التقلت تدريجيًا.

*- الخطأ في تقدير العقاب: وذلك ناتج لوضع أنظمة وضوابط لا تراعي أحوال الشباب، بحيث يكون الخطأ لا يستحق ذلك العقاب الجسيم أو العكس، فتكون النتيجة سلبية.

*- عدم مراعاة طبيعة النفسانيات: وهذا أمر من الأهمية بمكان؛ لأن الشباب ليسوا جميعًا نسخة واحدة، بل هم أنماط متفاوتة ومتغيرة؛ فلا بد من فهم كيفية التعامل مع تلك الأنماط النفسية...



*- الجمود في أساليب الدعوة والتربية ومراحل العمل ... وينتج عن ذلك عدم مراعاة تغير العصور، وعدم مراعاة الظروف، مع الغفلة التامة عن «سنن الله في الأمم والجماعات»، وكيفية التغيير في هذا الواقع المتغير.

*- التطرف التربوي، إما بمجاملة المدعو، أو عدم مناصحته ومصارحته.

*- رفض المربي للنقد واتباعه للنظام الديكتاتوري: لأن هذا المربي يظن أنه قد تجاوز مرحلة النقد، وهذا خلاف فعل الصحابة مع رسول الله؛ حيث إن الصحب الكرام كانوا يستفهمون من رسول الله في بعض الأمور، فإن علموا أنها وحي التزموا الصمت، وإن كانت اجتهداً بشرياً عرضوا على رسول الله المشورة، وكم نزل رسول الله ﷺ على رأي أصحابه كما حدث في النزول يوم بدر^(١)، والخروج يوم أحد^(٢).

*- قتل الطموح في الشباب: حتى لا يقع التنافس بين المربين وأتباعهم.

*- عدم الاستقرار على برنامج أو عمل مدروس ومنهج.

*- التربية على التبعية المطلقة: مما ينتج عنه التعصب المقيت للمربي وطريقته ومناهجه^(٣).

ثانياً: وهناك أسباب كثيرة لهذه الظاهرة الخطيرة تتعلق بالمتكس ذاته:

١ - فساد البدايات: لأن البداية الضعيفة الخالية من البناء المنهجي، التي تعتمد على العواطف لا يكتب لها الاستمرارية، فصفاء الانتهاء من صفاء الابتداء، كما قال السادة العلماء.

(١) أصل الخبر رواه البخاري (٣٩٥١).

(٢) انظر ما رواه البخاري (٤٠٤٣).

(٣) للتوسع يراجع: «من أخبار المتكسين.. مع الأسباب والعلاج»، تأليف/ صالح بن مقبل العصيمي (ص ٢٢٠، ٢٢٢)، ط. دار تدمرية.



٢- تسويل الشيطان للإنسان في كثير من الأمور: ليعلم الشاب أنه في حرب مع الشيطان في أي طريق من طرق الخير يأتيه، أما علم أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تسلم وتدع دينك ودين آبائك! فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماؤك! فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد فتقتل فتكح المرأة ويقسم المال! فعصاه فجاهد...»^(١). الحديث.

لذا فليعلم كل أخ ملتزم أن هذه حرب شعواء يشنها الشيطان دومًا فليكن متيقظًا لها، كذلك فليحذر الأخ الملتزم الهجوم الرباعي من الشيطان أو النفس الأمارة بالسوء أو الهوى أو الدنيا، والذي صاغه أحد الشعراء بقوله:

إِنِّي ابْتُلِيتُ بِأَرْبَعٍ يَرْمُونَنِي *** بِالنَّبْلِ عَنْ قَوْسٍ لَهَا تَأْتِيرُ

إِبْلِيسُ وَالْدُّنْيَا نَفْسِي وَالْهَوَى *** يَا رَبِّ أَنْتَ عَلَى الْخَلَاصِ قَدِيرُ

والواجب على الذي يرجو النجاة في الدارين أن يحذر الشيطان وكيده، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٠] فإياك -أيها الملتزم- أن تنسى أن للشيطان معك معارك فحذار أن تنهزم فيها، وحذار أن يغلب كيد الشيطان وهو ضعيف والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

٣- لأن الأخ الملتزم لم يعتصم بالله: فإنه من اعتصم بالله عصمه من كل فتنه وسوء، ومن اعتصم بغير الله أكله إلى غيره سبحانه.

(١) أخرجه أحمد في مسنده والنسائي في سننه من حديث «سيرة بن أبي فاكه»، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣١٣٤).



ومن المعلوم أن ذرية الشيطان وأتباعه يسعون في غواية البشر في هذه الحياة الدنيا، فالواجب على العبد الاستعانة بالله عز وجل والاعتصام به وحده سبحانه وتعالى دون غيره من خلقه^(١).

يقول ابن القيم -موضحاً هذا المعنى-: «ومن تفكر في التوفيق والخذلان، وجد أنه محتاج إلى توفيق ربه في كل نفس وكل لحظة، وطرفة عين، وإن إيمانه وتوحيده بيده تعالى، ولو تخلى عنه طرفة عين لذهب عرش إيمانه وتوحيده، ولخرت سماء إيمانه على الأرض، فحينئذ يسأل الله توفيقه مسألة المضطر ويعوذ به من خذلانه عياذ الملهوف، ويلقي بنفسه بين يديه طريقاً ببابه، مستسلماً له ناكس الرأس بين يديه خاضعاً ذليلاً مستكيناً لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً»^(٢).

ويقول ابن القيم -رحمه الله- في موضع آخر: «إن العبد لو اعتصم بالله لما خرج عن هداية الطاعة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، فلو كملت عصمته بالله لم يخله أبداً، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

أي متى اعتصم بالله تولاكم، ونصركم على أنفسكم وعلى الشيطان، وهما العدوان للذان لا يفارقان العبد.. ثم قال -رحمه الله-: «وكمال النصر على العدو بحسب كمال الاعتصام بالله، ونقص هذا الاعتصام يؤدي إلى الانخلاع من عصمة الله، وهو حقيقة الخذلان فما خلى الله بينك وبين الذنب إلا بعد أن خذلك، وخلى بينك وبين نفسك، ولو عصمك ووفقك لما وجد الذنب إليك سبيلاً»^(٣).

(١) يراجع بحث (مداخل الشيطان على الصالحين)، تأليف / د. عبد الله خاطر، ص ٨، ط. المنتدى الإسلامي بلندن.

(٢) تهذيب مدارج السالكين، ص ٢١٨.

(٣) مدارج السالكين، (١/ ١٧٩) ط. وزارة العدل والشئون الإسلامية بالإمارات.



٤ - الجهل بمدخل الشيطان على العبد: إن للشيطان على النفس البشرية مداخل تفعل الأفاعيل في هدم الالتزام من أصله واستئصاله من جذوره، والشيطان كما هو معلوم ملحاح وبطيء لا يئأس، حيث إنه يتخذ أساليب شتى لإضلال العبد.

ولقد بين ابن القيم - رحمه الله - أن الشيطان حريص على أن يظفر بالعبد وأن يوقعه في عقبة من سبع عقبات، بعضها أصعب من بعض.. وهذه العقبات هي:

العقبة الأولى: عقبة الكفر بالله وبدينه ولقائه، وبصفات كماله، وبما أخبرت به رسوله عنه، فإنه إن ظفر بالعبد في هذه العقبة بردت نار عداوته واستراح، فإن اقتحم هذه العقبة ونجا منها ببصيرة الهداية، وسلم معه نور الإيمان.. طلبه على:

العقبة الثانية: وهي عقبة البدعة، إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله وأنزله في كتابه، وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله (من الأوضاع والرسوم المحدثثة في الدين)، التي لا يقبل الله منها شيء، فإن قطع هذه العقبة، وخلص منها بنور السنة، واعتصم منها بحقيقة المتابعة، وما مضى عليه السلف الأخيار.. طلبه على:

العقبة الثالثة: وهي عقبة الكبائر: فإن ظفر بها زينها له، وحسّنها في عينه، وسوف به، وفتح له باب الإرجاء «لا يضر مع الإيمان ذنب»^(١)، هذا هو معنى الإرجاء الذي هو من شر البدع التي أفست الدين فإن قطع هذه العقبة بعصمة الله له، أو بتوبة نصوح تنجيه منها.. طلبه على:

العقبة الرابعة: وهي (عقبة الصغائر): فيقول له موسوسًا: ما عليك إذا اجتنبت الكبائر ما غشيت من اللمم، أو ما علمت بأنها تكفر بجتناب الكبائر بالحسنات، ولا يزال يهون عليه أمرها حتى يُصر عليها، ولا يزال يهون عليه أمرها حتى يُصر عليها، والإصرار على الذنب

(١) وما أكثر القائلين بهذا القول في أزماننا «الإيمان في القلب» ما دمت أصلي أفعل ما أريد.. الخ.



من المصائب، إذ أنه لا صغيرة مع الإصرار، فإن نجا من هذه العقبة بالتحرز والتحفظ، ودوام التوبة والاستغفار، وأتبع السيئة الحسنة.. طلبه على:

العقبة الخامسة: وهي (عقبة المباحات) التي لا حرج على فاعلها، فشغله بها عن الاستكثار من الطاعات وعن الاجتهاد في التزود لمعاده، ثم طمع فيه أن يستدرجه منها إلى ترك السنن، ثم من ترك السنن إلى ترك الواجبات، وأقل ما ينال منه: تفويته الأرباح، والمكاسب العظيمة، والمنازل العالية، فإن نجا من هذه العقبة ببصيرة تامة ونور هاد، ومعرفة بقدر الطاعات والاستكثار منها.. طلبه على:

العقبة السادسة: وهي عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات، فأمره بها وحسنها في عينه، وزينها له، ليشغله بالمفضول من الأعمال عن أفضلها، وبالمرجوح عن الراجح، وبالمحبوب لله عن الأحب إليه، فإن نجا بفقهه في مراتب الأعمال ومنازلها عند الله، ومعرفة مقاديرها، والتميز بين مفضولها وفاضلها، فإن نجا مما سبق لم يبق هناك عقبة يطلبه العدو عليها سوى واحدة لا بد منها.. ولو نجا منها أحد لنجا منها رسل الله وأنبياءه، وأكرم الخلق عليه.. وهي تسليط جنده عليه بأنواع الأذى.. فإنه كلما جدَّ في الاستقامة والدعوة إلى الله، والقيام له بأمره، جدَّ العدو في إغراء السفهاء به، فهو في هذه العقبة قد لبس لأمة الحرب، وأخذ في محاربة العدو لله وبالله، فعبوديته فيها عبودية خواص العارفين^(١)، فالشيطان حريص في دعوته، فهو يتدرج في المضمون، أما في الأسلوب فهو يأخذ الإنسان خطوة خطوة، كما قال تعالى: ﴿كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: ١٤٢]، يقترب الشيطان من الإنسان في البداية شيئاً فشيئاً، ثم يتدرج به إلى أن يصل إلى هدفه، وهو يدخل على كل نوعية من الناس بالطريقة التي تناسبها..

(١) ينظر: (مدارج السالكين) (١/ ٢٤٢).



فيدخل على الزاهد بطريقة الزهد، ويدخل على العالم من باب العلم!، كما يدخل على الجاهل من باب الجهل! (١).

٥ - لأن هذا الشاب لم يلتزم منهج الأنبياء والرسل في تزكية نفسه بالوسائل المشروعة:

يقول ابن القيم - رحمه الله -: «إن تزكية النفوس مسلّم إلى الرسل، وإنما بعثهم الله لهذه التزكية وولاهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة وتعليمًا وبيانًا وإرشادًا، لا خلقًا ولا إلهامًا، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم، - خاصة - سيد الأنبياء ﷺ، وهو الذي قال الله عنه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، ثم يقول - رحمه الله -: «وتزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشد، فمن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلو التي لم يجيء بها الرسل، فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيه من معرفة الطبيب؟، فالرسل أطباء القلوب، فلا سبيل إلى تزكيتها إلا من طريقها، وعلى أيديهم وبمحض الانقياد والتسليم لهم» (٢).

فالواجب على من أراد نجاة نفسه أن يسعى لزيادة إيمانه وتزكية نفسه مع الحذر من تزكية نفسه بطريقة بدعية مخالفة لشرع الله تعالى كما يفعل مبتدعة المتصوفة الطرقية ممن يدعون أن لهم أذوقًا ومواجد، وواردات (يتعبدون بها ولو خالفوا الحكم الشرعي الظاهر)، بل والأنكى أنهم يحرصون على تزكية أنفسهم - زعموا - بالطرق المحرمة المبتدعة، حتى إنه قد يدعي الواحد منهم أنه من ذوي العلم بالحقيقة، إلى الحد الذي

(١) يراجع بحث: (مداخل الشيطان على الصالحين)، د/ عبد الله خاطر، ص ١٠.

(٢) يراجع: (تهذيب مدارج السالكين)، ص ٤٢٠.



يدفعه إلى هجر التكاليف الشرعية واستصغار أهلها..^(١)، فمن سلك سلبهم فقد ضيَّع دينه وأهلك نفسه..

٦ - أخذ الالتزام علماً دون عمل: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ [النساء: ٦٦]، قال الجزائري -رحمه الله-: «أي إنهم لو فعلوا ما يذكرون به ترغيباً وترهيباً من أوامر الله تعالى لهم بالطاعة والتسليم لكان ذلك خيراً في الحال والمآل، وأشدَّ تثبيثاً للإيمان في قلوبهم وللطاعة على جوارحهم؛ لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والحسنة تنتج حسنة، والسيئة تنتج سيئة^(٢)، فليحرص كل منا على الاجتهاد في العمل بالعلم، فإن العبد الرباني هو العبد العالم العامل بعلمه، وقديماً قالوا: «هتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل».

٧ - عدم الاهتمام بمجاهدة النفس: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، قال ابن القيم: «علّق سبحانه الهداية بالجهاد: فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً. وأفرض الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبيل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهوى بحسب ما عطل من الجهاد..»^(٣).

(١) من أراد المزيد عن «وسائل التزكية البدعية عند الصوفية» فليراجع «التزكية بين أهل السنة والصوفية» للشيخ/ أحمد فريد، ط. دار الإبيان بالإسكندرية، وكتاب: (الفكر الصوفي)، للشيخ/ عبد الرحمن بن عبد الخالق، فقد جلى عقائدهم ومسالكهم وطرقهم.

(٢) ينظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي القدير) لأبي بكر الجزائري، ص ٢٣٧، ط. مكتبة أضواء المنار.

(٣) يراجع: (الفوائد) للإمام ابن القيم، ص ٥٩، ط. دار الفكر.



قال الحسن - رحمه الله -: «إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه على كل حالته، يستقصرها في كل فعل فيندم ويلوم نفسه، وإن الفاجر ليمضي قدماً لا يعاتب نفسه..»^(١).

٨ - الالتزام ابتغاء حطام الدنيا: ولذلك صور عديدة منها:

أن يلتزم المسلم بشعائر الدين الظاهرة ليقال عنه «صالح أو ملتزم تقي، أو من الأخيار» وبذلك تعلق مكانته في قلوب الناس، أو ليحني شهرة وأموالاً ويتبع ذلك تحصيل الوجاهة وتصدر المجالس وشيوع السمعة الطيبة.
أن يلتزم لتعلقه بشخص أو أشخاص معينين، أو ليكسب مودة أناس معينين ليسهل له القرب منهم.

وعاقبة الالتزام بغير نية خالصة: تسلط الشيطان والهوى على العبد حتى يزيغ قلبه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «إن إخلاص الدين لله يمنع من تسلط الشيطان، ومن ولاية الشيطان التي توجب العذاب، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾» [يوسف: ٢٤].

فإذا لم يخلص العبد لربه، ولم يفعل ما خلق له، وفُطر عليه، عوقب على ذلك وكان من عقابه تسلط الشيطان والهوى على العبد، حتى يزين له فعل السيئات، وكان إلهامه لفجوره وعقوبة له على كونه لم يتق الله^(٢).

٩ - كثرة الخلطة بالأجواء الفاسدة أو العيش في وسط ضعيف الالتزام: فإن الشاب

حينما يرجع إلى الله وينضم إلى صحبة غالب سمتهم الالتزام فإنه يتعلق بهم وبأفعالهم، فيأخذ في الاقتداء، والتأسي بهم، أو على الأقل في محاكاتهم ومشابهم، ثم بعد ذلك يتأثر هذا الشاب بالوسط الذي يعيش فيه، ويتأثر بالبيئة التي هو فيها إذ الإنسان ابن بيئته، وكما

(١) ينظر: (محاسبة النفس)، للشيخ / وحيد بالي، ص ١٠، ط. مكتبة الصحابة.

(٢) وأنصح بمراجعة كتاب: «تعطير الأنفاس بذكر حديث الإخلاص» للدكتور / سيد العفاني، ط. دار العفاني.



تقدم فإنه إذا كثرت الإمساس قل الإحساس، فيبدأ المؤشر الإيماني في الهبوط، فيهزل الأخ كما يهزل أهل بيئته، ويهتم بمظهره اهتماماً زائداً كما يهتمون، ويقع في سماع المحرمات كما يسمعون ويستثقل العبادات كما يستثقلون، فالأمر عنده كما قال الشاعر:

يمانياً إن لاقيت ذا يمن *** وإن لاقيت معداً فعدنان

١٠ - التمادي في ارتكاب الصغائر: يستعظم المسلم الملتزم الوقوع في الكبائر عموماً، فإذا زلت قدمه في أحوال كبيرة ما تراه يسارع إلى التوبة الصادقة، أما الصغائر فقد يغفل عنها، بل قد يتمادي فيها، وينسى أن لها أثراً على القلب يظهر سواده مع التكرار دون توبة وندم، ثم ماذا؟، يقول ابن القيم - رحمه الله -: «إذا اشتدت غفلته إلى هذا الحد (أي: عن ذنوبه) نقلته ولا بد إلى الإصرار وهو الاستقرار على المحافظة، والعزم على المعاودة، وذلك ذنب آخر، لعله أعظم من الذنب الأول بكثير، وهذا من عقوبة الذنب: أنه يوجب ذنباً أكبر منه، ثم الثاني كذلك، ثم الثالث كذلك حتى يستحكم الهلاك...»^(١).

- وصدق ربي إذ يقول: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

* ومن الذنوب التي قد لا يلتفت إليها مع عظيم أثرها^(٢):

أ- التمادي في النظر إلى المتبرجات سواء على شاشة التلفاز أو على أغلفة المجلات.

ب- التساهل في سماع المعازف وإن كانت كما يقال «موسيقى تصويرية».

ج- أكل المال الحرام (كأن يكون موظفاً يأخذ نصيباً من راتبه الشهري مما لا يستحقه لغيابه أو لتأخره بغير عذر).

د- التساهل في قضاء حقوق الآخرين.

هـ- التساهل في غيبة الآخرين تحت قناع «النقد ومحاولة الإصلاح».

(١) يراجع: (مختصر مدارج السالكين)، (٢٢٤).

(٢) ينظر: (كلمات في الالتزام)، ص ٥١.



١١ - أن يصاب بآفة من آفات القلوب المهلكة كالخوف الشركي من غير الله، حب الفردية، حب الشهرة والتصدر، شهوة نقض كل عمل إيجابي وإسقاط صاحبه، التعلق المرضى، بالأشخاص، الحسد، وسوء الظن، الغل، التعصب والحزبية وما كان مثله...

وأخطرها العُجب بالطاعات، وهو أن يعجب الملتزم ببعض الطاعات التي أداها، ويوسوس إليه شياطين الإنس والجن فيزينوا له عمله حتى يصاب بالانتكاسة - عياداً بالله -

وذكر ابن المبارك عن حقيقة العجب: «أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك»^(١).
وبيّن المحاسبي أن العجب هو: «حمد النفس على ما عملت أو علمت، ونسيان أن النعم من الله»^(٢).

والعُجب كما قال الغزالي: «هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المُنعم»^(٣)

وقد ورد في القرآن ذم العجب في أكثر من موطن فقال - سبحانه - في معرض الإنكار على المسلمين إعجابهم بالكثرة: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾^(١٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا^(١٤) [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

كذلك ثبت ذم العُجب في مواطن كثيرة من السنة، ومن ذلك ما رواه الشيخان عن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يتبختر في برده - أي ثوبه الجميل - إذا أعجبه نفسه فحسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»^(٤).

(١) ينظر: (سير أعلام النبلاء) للإمام الذهبي (٤٠٧/٧) ط. مؤسسة الرسالة. بيروت.

(٢) راجع: (الرعاية لحقوق الله) للحارث المحاسبي (ص ٤٢٠) ط. دار اليقين. المنصورة. مصر.

(٣) راجع: (إحياء علوم الدين) للإمام أبي حامد الغزالي (٥٧٤/٣) ط. دار الحديث. القاهرة.

(٤) متفق عليه.



وأما ما قاله السلف في ذم العُجب فهو كثير جداً.. ومن ذلك ما قاله عبد الله بن مسعود «الهلاك في شيئين: العجب والقنوط».

وقال مطرّف بن عبد الله -رحمه الله-: «لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً أحبّ إليّ من أن أبيت قائماً -أي مصلياً-.. وأصبح معجباً»^(١).

وقال الفضيل بن عياض: ظفر إبليس من ابن آدم بإحدى ثلاث قال: لا أطلب غيرها، وهي إعجابه بنفسه، واستكثار عمله، ونسيان ذنبه، والله إن أيّاً من هذه الثلاث الموبقة، فكم من سراج قد أطفأته الريح، وكم من عمل أفسدها العُجب، فالعمل الصالح نور وضيء قد يتحول إلى ظلام إذا هبت عليه رياح العُجب»^(٢).

العجب السرطاني له أسباب كثيرة... منها:

* الجهل بالنفس وطبيعتها.

* إهمال تزكية النفس.

* الجهل بالله.. وأن كل عمل صالح هو هبة من الله.

* النشأة الأولى في بيت ضعيف الالتزام.

* الإطراء والمدح وحب المحمّدة من الناس^(٣).

(١) مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٤٣.

(٢) ينظر: (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصفهاني (١/ ٣٧) ط. دار الكتب العلمية.

(٣) وكما تقدم فإن الإسراف في المدح ذبح للملتزم والتزامه وديانته خاصة عند عدم مراعاة الآداب الشرعية، - وخاصة- في أزماننا حيث إنك تجد الواحد من هؤلاء يسرف في مدح أخيه إسرافاً يفسد القلوب ويقطع الأعناق لأجل هذا كان أئمة الهدى ينهون عن حمدهم على أعمالهم، وما يصدر منهم من الإحسان إلى الخلق، ويأمرون بإضافة الحمد على ذلك لله وحده لا شريك له، فإن النعم كلها منه.

يراجع: [أدب الدنيا والدين] للماوردي ص ٢٣٤، ط. دار الكتب العلمية، وينظر: شرح حديث «ما ذُتبان جائعان» لابن رجب، ص ٤٢، ط. مؤسسة الريان، بيروت.



سؤال: من ابتلي بهذا المرض الخبيث كيف يعرف أنه مريض؟!
يجيبك على هذا السؤال بشر الحافي فيقول: «يظهر العجب عند استكثار عملك
وازدراء عمل غيرك.

ولعل الأظهر في العجب هو جانب الاعتداء والازدراء الذي قصده سفيان الثوري حتى
كأنه قصر تعريف العجب فيه فقال: «إعجابك بنفسك أن يخيل لك أنك أفضل من أخ لك،
وعسى أن تصيب من العمل مثلما يصيب، وعسى أن يكون أروع منك عما حرم الله وأزكى
منك عملاً.. فإياك والعجب».

ومن أعراض مرض العجب:

- عندما يصاب الإنسان بالعجب يحدث له نوع من أنواع تضخم الذات، فتظهر عليه
أعراض في خواطره وتصوراتهِ وأفكارهِ وحركاتهِ منها:
- (١) كثرة الحديث عن النفس وإنجازاتها الناجحة.
 - (٢) طلب التصدر في الأعمال - خاصة - الأعمال البارزة.
 - (٣) صعوبة التلقي من الغير أو قبول النصيحة.
 - (٤) من أبرز أعراض هذا المرض [الأنا] المقدس عند صاحبه.
 - (٥) استصغار الآخرين وانتقاص أعمالهم.
 - (٦) المن بالعطايا (بل أحياناً يعمل على استنطاق الآخرين بمدحه وشكره).
 - (٧) ينتظر الكرامات، ويستعظم أن ينزل به بلاء، ويلزمه شعور بالأمن من الانتكاس،
ويخاف على الناس أكثر من خوفه على نفسه، فيظن أنه محسن وهم مسيئون، وأنه ناج وهم
هالكون، وأنه عالم وهم جاهلون، وأنه عاقل وهم حمقى، وأنه من طلاب الآخرة وهم من
طلاب الدنيا.

(٨) التعالي على الناس (فهو يحب أن يُخدم ولا يخدم)^(١).

* صور العجب:

- العجب الحسي: «العجب بالنفس والجمال وتناسق الشكل».
- العجب بالعقل: «العجب بكياسة العقل والتفطن لدقائق الأمور»، فهو عند نفسه الرجل الملهم، المقدم في كل الأمور.
- العجب بالنعمة: «العجب بالمال والسلطان والجاه والوجاهة».
- الرغبة في مخالطة السفهاء، وقلة مخالطة الأكفاء.
- حب مديح المتقربين، وإجراء المتملقين.
- صحبة نفر من ذوي الإعجاب بالنفس، إذ أن كل قرين بالمقارن يقتدي.
- الوقوف عند حد النعمة ونسيان المنعم.
- الصدارة للعمل قبل النضج، وادعاء التربية مع الغفلة، والجهل بحقيقة النفس.
- العراقة والافتخار بالحسب والنسب، مما يورث صاحبها علو اليد ونفوذ الأمر.
- قلة مخالطة المخلصين الأكفاء، وعدم القرب من النصحاء.
- وجود نقطة ضعف في شخصية الفرد أو البيئة.
- * أخطار العجب: إن للعجب آثارًا سلبية مدمرة ومن ذلك:
- ١- الإعجاب بالنفس شرك بالله^(٢).
- ٢- الوقوع في شرك الكبر؛ لأنه بوابة واسعة إليه.

(١) راجع تفاصيل تلك الأعراض من: «منهاج العابدين» للإمام أبي حامد الغزالي ص ١٩٧، ط. مكتبة الجندي - القاهرة، «المدخل» للإمام ابن الحاج (٢/ ٢٥) ط. دار الكتب العلمية - بيروت، «إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان» للإمام ابن القيم (١/ ١٤٣) ط. المكتب الإسلامي، «حطم صنمك.. وكن عند نفسك صغيراً» د. مجدي الهلالي (من ٣٧: ص ٤٢) ط. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة.

(٢) ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١١/ ٢٧٧).



٣- الحرمان من العون الإلهي.

١- يحبط العمل ويفسده^(١).

٢- الانهيار أمام الأزمات والمحن، حيث إنه ما تهب رياح المحن والفتن، حتى يقول المعجب بلسان الحال أو المقال: «يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم» بعكس من التزم بأمر الله.

٣- يؤدي به إلى الخذلان وحرمان التوفيق.

٧- نفور المخلصين منه وكراهيتهم له^(٢).

٨- اتباع الهوى.

١- قد يؤدي إلى سوء الخاتمة.

١٠- العجب مانع من قبول الحق.

* فيا أيها المعجب بذاته ويعمله وعبادته: اعلم أن المنعم والمعطي على الحقيقة - هو الله - جل جلاله -، فإن سلبك الله تعالى هذه النعم التي تختال بها على الناس فكيف يكون حالك؟!، فاحذر -أخي الحبيب- هذا الداء العضال، وتناصح مع إخوانك من أهل الإخلاص حتى لا تكون من المعجبين الذين يستكثرون أعمالهم ويستقلون أعمال الناس، بل اجتهد في علاج هذا المرض الخطير^(٣).

١٢ - المحن والشدائد التي قد تصيب الملتزم الجديد: فكم هم الشباب الذين جعلتهم المحن والشدائد يعيشون أوضاعاً أخرى ربما لا تكون هي الأوضاع السابقة لهم -أثناء الالتزام-، وكلما اكتمل بنيانهم الإيماني في أي باب من أبواب العبودية، كما يتراءى للعبد فإذا بباب من أبواب الابتلاء يأتيه من حيث لا يحتسب حتى إنه ليرى من يظنه دونه في كل

(١) قال الماوردي: إن العجب سيئة تحبط كل حسنة، ومذمته تهدم كل فضيلة، مع ما يثيره من حنق، ويكسبه من قصد، [أدب الدنيا والدين ص ٢٣٢].

(٢) سهام الشيطان، د/ صالح بن محمد الونيان، ص ٢٥، ٢٦، ط. دار المسلم.

(٣) لمعرفة علاج هذا المرض راجع.. الفصل الثاني بكتاب: «حطم صنمك» د/ مجدي هلاي، (من ص ٥٥: ص ٧٢).



باب قد فاقه في الأبواب (من داخل الصف أو خارجه) اختباراً لصدق إيمان العبد، وليكشف له ما غاب عن ناظره، ويظهر له ما ستره حسن ظنه بنفسه.

- حتى إنك لترى من تظنه دونك في كل باب قد فاقك في أبواب الصبر والاحتساب.
- ويبرز هذا الجانب أكثر عندما تكون الجولة للكفار وذوهم من المنافقين، أو عندما يتألب أهل الغي على أهل الإسلام، فلا يفرقون بين مسالم ومحارب، عندئذ يضعف إيمان البعض...

- وفي شأنهم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وفي الجملة: ففي الأخبار عمن نافق بعد إيمانه ما يطول ذكره هنا، فأولئك كانوا مسلمين وكان معهم إيمان، وهو الضوء الذي ضرب الله به المثل، فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق ماتوا على هذا الإسلام الذي يثابون عليه، ولم يكونوا من المؤمنين حقاً الذين امتحن الله قلوبهم فثبتوا على الإيمان، ولا من المنافقين حقاً الفذين ارتدوا عن الإيمان بالمحنة، وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم إذا ابتلوا بالمحن التي يتضعض فيها أهل الإيمان، فينقص إيمانهم كثيراً، وينافق أكثرهم أو كثير منهم، ومنهم من يظهر الردة إذا كان العدو غالباً.

وإذا كانت العافية أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين، وهم مؤمنون بالرسول باطنًا وظاهرًا لكن إيمانًا لا يثبت مع المحنة.

- ولهذا يكثر في هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم، وهؤلاء من الذين قالوا: آمنا فقليل لهم: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

أي: الإيمان المطلق الذي أهله هم المؤمنون حقاً، فإن هذا هو الإيمان إذا أطلق في كتاب الله كما دلَّ عليه الكتاب والسنة، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، فلم يحصل الريب عند المحن التي تقلقل الإيمان في القلوب، والريب يكون في علم القلب وفي عمل القلب، بخلاف الشك فإنه لا يكون إلا في العلم، ولهذا لا



يوصف باليقين إلا مَنْ اطمأن قلبه علمًا وعملاً، وإلا فإذا كان عالمًا بالحق، ولكن المصيبة أو الحذف أورثه جزعًا عظيمًا، لم يكن صاحب يقين، قال تعالى: ﴿هَٰذَا لَكِ الْبَيِّنَاتُ لَأُبَيِّنَنَّ لَكَ مَا كُنْتَ تَكْفُرُ بِهِ﴾ [الأحزاب: ١١]،^(١).

ومن حكم الابتلاء التي قد يتعرض لها الملتزمون في طريقهم:

١ - استخراج عبوديتهم لله وافتقارهم إليه وانكسارهم له، بسؤاله نصرهم على عدوهم، فلو كانوا دائماً منتصرين لبطروا وأشروا، ولو كانوا دائماً مهضومين لما قامت للدين قائمة، فجعلهم الله يوماً غالبين يقيمون من خلاله الدين وشعائره، وإذا كانوا مغلوبين تضرعوا إليه وطلبوا منه النصر.

٢ - لو كانوا دائماً منصورين لدخل معهم من ليس قصده الدين، فيجعل الله ذلك حتى يتميز من يريد الله ورسوله ومن ليس له مراد إلا الدنيا والجاه...

٣ - أن امتحان المؤمنين بانهم أمام عدوهم فيه تمحيص، فإنهم لن يتركوه في مثل هذه الحالة بل سيأخذوا على يديه.

ولكن على أي الأحوال فإن المسلم الحق يجب أن تزيده المحن والشدائد ثباتاً على طاعة الله - عز وجل -، وفراراً إليه سبحانه وتعالى.

١٣ - قلة متابعة الملتزمين الجدد:

تكمن خطورة قلة المتابعة من الآخرين: في أن هذا الأمر من أعظم الأسباب التي قد تذهب بالتزام المرء، لأجل هذا فإننا نشكو أشد الشكاية من عدم متابعة الشباب الصالح لبعضهم البعض - خاصة - عندما تظهر أعراض التفلة من الالتزام الجاد..

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٧١).



والناظر إلى الواقع يجد أن كمًّا كبيرًا من الشباب قد تابوا إلى الله والتزموا طريق الحق، ولكن ولشديد الأسف لم يجدوا من يكثر بهم أو يهتم بأمورهم وأحوالهم، فكانت النتيجة «انتكاسة هذا الشاب، أو ذهاب التزامهم بالكلية».

- متابعة الملتزمين الجدد لماذا؟! -

١- لأن المتابعة ووجود البيئة الطيبة، والوسط الصالح من الوسائل المهمة لإحياء القلب واستمراره في يقظته.

٢- لأن طبيعة النفس البشرية عمومًا، وطبيعة الملتزم الجديد -خصوصًا- عدم الثبات على حال، إذ إن في نفسه إقبالًا وإدبارًا، وعزيمة وفتورًا، وقوة وضعفًا.. ففي حالات الفتور والضعف الإيماني التي قد تتاب نفس هذا الملتزم الجديد يخشى على صاحبها من الركون إلى الدنيا، والتراجع للخلف -خاصة- إذا كان وحده، أما في حالة وجوده مع إخوانه فإنهم لن يتركوه في مثل الحالة، بل سيأخذون على يديه، ليشبثوا إياه على الطريق، حتى يعود إلى سابق عهده من الهمة والنشاط.

٣- من أخطار السير المنفرد أن صاحبه يصبح فريسة لشياطين الجن والإنس -خاصة- إذا زاد اقتراب هذا الشاب من مولاه -جل جلاله-.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: «وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان، إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتي إلى قلب العبد فيشاققه، فإن وجد فيه تقصيرًا أو فتورًا، أو توانيًا وترخصًا، أخذ من هذه الخطة، فثبطه وأقعد، وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتى ربما ترك العبد المأمور جملة.. وإن وجد عنده حذرًا وجدًا، وتشميرًا ونهضة، وأيس أن يأخذه من هذا الباب أمره بالاجتهاد الزائد، وسَوَّلَ له أن هذا لا يكفيك، وهمتك فوق هذا، وينبغي أن تزيد على العاملين، وأن لا ترقد إذا رقدوا، وألا تفتري إذا فتروا، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات فاغسل أنت سبعًا، وإذا توضأ للصلاة فاغسل أنت



لها، ويحور ذلك من الإفراط والتعدي، فيحمله على الغلو والمجاوزة، وتعدي الصراط المستقيم، كما يحمل الأول على التقصير دونه وأن لا يقربه ولا يدنو منه، وهذا بأن يجاوزه ويتعده، وقد فتن بهذا أكثر الخلق، ولا ينجى من ذلك إلا علم راسخ وإيمان، وقوة على محاربة الشيطان، ولزوم الوسط^(١)، أي «الوسط الإيماني».

١٤ - كذلك تكمن أهمية متابعة أمثال هؤلاء من الشباب الملتزم الجديد «في أن هذا الشاب قد يكون له ماضٍ ينظر إليه ويؤرقه، فإذا تفكر في هذا الماضي، فإن الشيطان ربما أغراه بالرجوع إليه، ثم بعد ذلك يأتي شياطين الإنس بخيلهم ورجلهم فيخوفوه بهذا الماضي ويحذروه، وربما هددوه أنه إن استمر على التزامه فسيفضحوا أمره القديم على الملأ، فيدفع هؤلاء الشياطين الشاب الملتزم حديثاً إلى مسايرتهم».

- كذلك تكمن أهمية المتابعة أنها تحمي الملتزم الجديد - بعد إذن الله - من انهيار مقاومته الإيمانية: لا شك أن الملتزم هو حلقة صغيرة داخل مجتمعه وبيئته، - وللأسف - فإن المجتمعات قد أصيبت بفتنٍ شتى، أشدها تيار المادية الجارف، حتى إن تيار المادية صار أصلاً أصيلاً عند أفراد هذه المجتمعات، مما أدى إلى انجذاب الناس إلى الأرض انجذاباً شديداً، بل والميل إلى المعاصي وحب الركون إلى الدنيا والرغبة فيها والحرب من أجلها... وفي وسط هذا كله يعيش هذا الشاب الملتزم المسكين «في أوساط ضعف فيها الإيمان، ورقَّ فيها اليقين والدين»، وبعد فترة من الالتزام يحدث نوع من أنواع الألفة مع هذا الوسط، فينتج عن ذلك نوعٌ من أنواع الفتور الإيماني والتبذل في الالتزام، بحيث تبدأ الفتن تحلو في عين هذا الشاب من جديد، ويبدأ شياطين الإنس والجن في تزيين هذه الكبائر والمعاصي له، حتى تنهار مقاومته الإيمانية فيسقط في أحوال هذه الكبائر وتلك المعاصي..

(١) يراجع: «الوابل الصيب» للإمام ابن القيم الجوزية ص ٢٥.



وفي كل هذه الأحوال قد لا يجد هذا الشاب المسكين من يقف إلى جواره من الشباب الطائع الذين صلحت أمورهم واستقاموا على طاعة الله تعالى، مما قد يدفع الشاب إلى ترك الالتزام بالكلية^(١).

١٥ - من أسباب ضعف الالتزام التوسع في المباحات: فعن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَالْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرعى حَوْلَ الْحِمَى يوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مُحَارَمَهُ، أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مَضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ

(١) * نداء إلى الداعية أو المربي ممن رسخت قدمه في طريق الطاعة والدعوة والتربية.

أناديك وأقول: أخي وحبيبي في الله: إن التربية عملية مستمرة، لا يكفي فيها توجيه عابر مهما كان مخلصاً، ومهما كان صواباً في ذاته، إنما يحتاج الأمر إلى المتابعة والتوجيه المستمر؛ لأن المتلقي نفس بشرية، وليست آلة تضغط على أزرارها ثم تتركها وتنصرف إلى غيرها، فتظل على ما تركتها عليه.. نفس بشرية دائمة التقلب، متعددة المطالب، متعددة الاتجاهات، وكل تقلب، وكل مطلب، وكل اتجاه في حاجة إلى توجيه، فالعجينة البشرية عجينة عصبية تحتاج إلى متابعة دائمة، وليس يكفي أن تضعها في قالبها المضبوط مرة إلى الأبد وتستقر هناك، بل هناك عشرات من الدوافع الموقرة في تلك النفس، دائمة البروز هنا وهناك، ودائمة التخطي لحدود القالب المضبوط هنا وهناك، ولا بد في كل مرة من توجيه لإعادة ضبطها داخل القالب، حتى تنطبع نفس المتلقي بالتوجيه، فيقوم هو بذاته وبعملية المتابعة والتوجيه والضبط.. ومن هنا كانت مشقة التربية وخطورتها، وضرورتها في ذات الوقت..»(١).

ألا فتابع -أخي المربي- أحوال إخوانك الإيمانية والنفسية والاجتماعية، فإن هذا بإذن الله عون للملتزمين الجدد على الثبات على الحق والهدى، واعلم أن غيابك المفاجئ لمن تحتك قد يكون سبباً في انقراط عقد التزام بعضهم، فاحرص أن تربط الشاب بالمنهج الإسلامي وأن تكون قدوة بالنسبة له، ولكن إياك أن تكون مركزياً في حياته؛ حتى لا يضيع إذا فقدك.

يراجع: «منهج التربية الإسلامية» للأستاذ محمد قطب (٢/ ٥٨) ط. دار الشروق.



كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب..^(١)، وهذا الحديث مجمع على عظيم موقعه، وكثرة فوائده، فهو أحد الأحاديث التي يدور عليها الإسلام^(٢).

ولهذا الحديث العظيم فقه.. قال النووي -رحمه الله-^(٣): «ومعنى الحديث: أن الأشياء ثلاثة أقسام: حلال واضح، لا يخفى حله، كأكل الخبز، الكلام، المشي، وغير ذلك، وحرام واضح، كالخمر والزنا، ونحوهما، وأما المشتبهات: فمعناها أنها ليست بواضحة الحل والحرام، ولهذا لا يعرفها كثير من الناس، وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس، فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة ولم يكن نص ولا إجماع اجتهد فيه المجتهد، فألحق أحدهما بالدليل الشرعي».

ومن الورع ترك الشبهات: وذلك مثل معاملة إنسان في ماله شبهة، أو خالط ماله الربا، كذلك فإن الإكثار من مباحات تركها أولى.

* وأما ما يصل إلى درجة الوسوسة من تحريم الأمر البعيد فليس من المشتبهات المطلوب تركها، ومثال ذلك: تردد النكاح من نساء بلد كبير خوفاً من أن يكون له فيها محرم، وترك استعمال ماء في فلاة خوفاً من تنجسه، فهذا ليس بورع بل وسوسة شيطانية.. ولقد ضرب السلف أروع الأمثلة في ترك الشبهات، قال أبو الدرداء: «تمام التقوى أن يتقي الله العبد، حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال، خشية أن يكون حراماً، حجاباً بينه وبين الحرام».

(١) متفق عليه.

(٢) يراجع: «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» (١/ ١١)، و«جامع العلوم والحكم» للحافظ ابن رجب الحنبلي ص ١٣٦، ط. دار ابن رجب، و«الجامع في شرح الأربعين النووية» لأبي عبد الله محمد يسري (١/ ٢٧٦) ط. دار اليسر، و«الوافي في شرح الأربعين النووية»، د/ مصطفى البغا، أ/ محيي الدين ديب، ص ٣٥، ط. دار الكلم الطيب.

(٣) شرح صحيح مسلم (٦/ ٣٢).



وقال الحسن البصري - رحمه الله -: «ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرًا من الحلال مخافة الحرام».

وقال الثوري: «إنما سموا المتقين؛ لأنهم اتقوا ما لا يُتقى».

وقال سفيان بن عيينة: «لا يصيب عبد حقيقة الإيمان حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزًا من الحلال، وحتى يدع الإثم وما تشابه منه».

فرضي الله عن أصحاب رسول الله ﷺ ورحم الله من تبعهم بإحسان من السلف الصالح، فقد ابتعدوا عن الشبهات، واستبرؤوا لدينهم تمام البراءة^(١).

[كذلك من صور ضعف الالتزام «التوسع في المباحات»]: وهذا لا يكون إلا نتيجة للفتور الإيماني وحب الراحة والتكاسل عن مجاهدة النفس.. ومن صور التوسع في المباحات:

(أ) الإفراط في الكلام، والإفراط في الخلطة.

(ب) كثرة الضحك والإكثار من المزاح، وقد قال ﷺ: «لا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب»^(٢).

(ج) الإفراط في النوم.

(د) الإفراط في الأكل حتى يتبدل الدهن ويثقل البدن عن الإتيان بالطاعات وعاقبة كل ذلك القسوة القلبية^(٣).

(١) ومن أراد التوسع فعليه بكتاب «التقوى الغاية المنشودة والدرة المفقودة» للدكتور/ أحمد فريد، ط. دار الإيمان بالإسكندرية.

(٢) رواه الترمذي في سننه، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٨٧).

(٣) وهناك أسباب كارثية أخرى قد تؤدي إلى التساقط والانتكاس، منها:-

١ - فساد البدايات: [إذ البداية الضعيفة الخالية من الأصول والبناء المنهجي، والتي تعتمد على العواطف والعلاقات الشخصية لا يمكن أن تستمر] وقد قيل: [صفاء الانتهاء من صفاء الابتداء].



- ٢- عدم وضوح الهدف من الالتزام.. وأنتك بمجرد التزامك صرت جندياً للإسلام ضد النفس والهوى والشيطان، والمجتمع المتفلسف، وهذا تدرك أن الانسياق الموزون وليد المركز الثابت.
- ٣- اللامبالاة وعدم استشعار المسؤولية.
- ٤- أحلام اليقظة وعدم الواقعية.
- ٥- استوحاش الصحبة الصالحة وتضخيم أخطاء الملتزمين.
- ٦- الضعف التربوي.
- ٧- عدم التجانس بين الموهبة والعمل.
- ٨- أن يعيش حياة «الكلام» بلا أثر أو عمل.
- ٩- الالتحاق بالشباب الملتزم من غير اقتناع أو رغبة وإنما لأسباب أخرى.
- ١٠- ارتفاع سقف الطموحات دون تحقيق لأي منها.
- ١١- الجهل بالعقبات والمعوقات والابتلاءات.. وكيفية التعامل معها.
- ١٢- عدم مكافحة آفات القلوب ومنها: النفاق - الرياء - الشك والريبة والشبهة - سوء الظن - الحسد والغل والحقد - الكبر والعجب - اليأس - الهوى - محبة غير الله - الشح والبخل - الخوف من غير الله - الوسواس - قسوة القلب - التحزب لغير الحق والتعصب للباطل - المكر - الفردية - شهوة النقد لكل عمل إيجابي - التعلق المرضي ببعض الأشخاص والشيوخ - التشتت وعدم الاستقرار.
- ١٣- كثرة الخلطة بالأحياء الفاسدة.
- ١٤- عدم استشعار روح التحدي ونفسية (المحارب في المعارك الضروس).
- ١٥- الغلو في الاهتمام بالنفس [المظهرية الجوفاء].
- ١٦- إخفاء الهوية الدينية خوفاً من [كلام الناس ونظراتهم واتهاماتهم].
- ١٧- اختلاط المفاهيم والتصور الرومسي للتمكين من أسباب الانتكاس.
- ١٨- تضییع العمر وعدم الانتفاع بالوقت.
- ١٩- عدم الاستعداد للجدية في الالتزام بكل روافده.
- ٢٠- الغفلة عن السنن الإلهية في الأفراد والأمم والجماعات.
- ٢١- عدم ترتيب الأولويات عمومًا، وأولويات الخلافات خصوصًا.
- ٢٢- اتباع شبهات المشككين وإرجاف المرجفين.
- ٢٣- التخبط والتكون والتدخل فيما لا يعنيه [كالاخلافات بين الاتجاهات] مثلاً.
- ٢٤- التدني والنظر إلى من هو دونه في الطاعة.

=



- ٢٥- الأمن من الانتكاس.
- ٢٦- اتباع المنطق التبريري.
- ٢٧- الحنين إلى الماضي واستسهال احتقار الذنب.
- ٢٨- الحماس الزائد [بلا ترشيد].
- ٢٩- توقف النمو في أي من جوانبه العلمية أو الدعوية أو التربوية أو الحياتية.
- ٣٠- تشوه بعض المفاهيم عن الالتزام مثل: «اعتقاد أنه لا بد من الاستقامة الكاملة أو ترك التدين بالكلية، الترخص والتساهل بدعوى التيسير»، «الخوف من التدين المنقوص» بدعوى: «الخوف من النفاق».
- ٣١- الإغراق في الانشغال بالدينا (والاستجابة للفتن كفتنة الزوجة والأولاد، والأكل، والنوم، والسهر، والخلطة، والضحك)، مما يورث عند العبد طول الأمل.
- وأما عن الأسباب المؤدية لتساقط الكوادر الدعوية أو العلمية أو الخيرية فهي:
- ١- البداية الخاطئة.
 - ٢- عدم إدراك خطورة نفاذ الزاد الإيماني في منتصف طريق التدين.
 - ٣- عدم إدراك الفارق بين علو الهمة والطمع في الدين...
 - ٤- الصدمات المتتالية بسقوط القدوات وانهايار الرموز.
 - ٥- كثرة الاحتكاك بنماذج سيئة في الدين.
 - ٦- الاشتغال بالمماريات ومتابعة الأحداث دون تقديم حلول عملية لتغييرها (مما يصيب المتدين بالحيرة واليأس).
 - ٧- ضغط الواقع، فيتحمل المتدين ما لا يطيق دون التربية على ذلك.
 - ٨- أن يتحمل الأخ من الشرع ما لا يطيق.
 - ٩- عدم قبول الإسلام إلا من منطلق «تثوير الدين».
 - ١٠- التحايل واتباع الرخص لتحليل جزئي للمعاصي.
 - ١١- حالة الضعف والإحباط والفتور العام.
 - ١٢- تناسي طبيعة بشرية «العاملين» للدين.
 - ١٣- طغيان أمراض القلوب وإهمال علاجها.
 - ١٤- الاستجابة لمخططات الأعداء وحروبهم النفسية واستبطاء النصر مع تناسي الأجر ينتج عنه «فقدان الحمية للدين، والتنصل من استكمال الرسالة».

=



نوائج «النساقط» أو ما نسميه «الانكلاسه الإيمانيه»!!

- إن ظاهرة التساقط تسببت في كثير من الإساءات البالغة للمسلمين، ويكفي أن أذكر بعضها على هيئة نقاط كلية تدرج تحتها جزئيات كثيرة، فمن ذلك:
- إشاعة الفتن والخلخلة والتفسخ في عالم الملتزمين مما يعتبر عاملاً مساعداً على خسارة من كان قريب العهد بالإسلام والدعوة والاستقامة.
 - إضعاف المسلمين الملتزمين وإغراء العدو بهم.
 - بُعد الناس عن الملتزمين وزعزعة الثقة بهم والتطاول عليهم مما يعطل دورهم ويعرقل مسيرتهم، وقد يوقف بالكلية سيرهم.
 - إهدار طاقات العاملين في الدعوة في معالجة الأخطاء الناتجة عن التساقط، بدلاً من أن تتوجه الطاقات وتركز في دعوة الناس إلى الالتزام بهذا الدين العظيم.

-
- ١٥- ترك خطاب الوحي والبحث عن خطاب بديل سواء كان فكرياً أو عاطفياً، مما يؤدي إلى التضخم المعرفي على حساب المكون الإيماني.
 - ١٦- الدخول في دائرة الخلافات.
 - ١٧- اختلال المفاهيم والجناية على المصطلحات وسوء فهم الكثير من الدلالات والسنن الربانية الشرعية والكونية.
 - ١٨- عدم النظر في مآلات الأمور وعدم وضع خطة للتغيير.
 - ١٩- الذاتية والتمحور حول الذات.
 - ٢٠- عدم فهم الأنماط الصحيحة للتدين مما يؤدي للوقوع في التدين المغشوش.
 - ٢١- عدم استحضار مفهوم أن التدين هو رسالة حق في مواجهة الأباطيل.
 - ٢٢- الإكثار من جلد الذات مما يولد الشعور بالفشل الدائم فيتحول صاحبه إلى الرجل الصفر.
 - ٢٣- السعي وراء السراب، لضعف البصائر، وأصحاب هذا السراب يحسبون أن كل ما يلمع ذهباً.
 - ٢٤- الفراغ سبب من أسباب ذلك، لأنه يحرق المشاعر والعقول فيما لا طائل من ورائه، فهو مفرخة لكثير من المشكلات النافهة والجدل السُّفْسطائي.
 - ٢٥- عدم ترتيب الأولويات: العلمية، والدعوية، والتربوية، والأخلاقية، والمنهجية، والحياتية.



- وهكذا تؤدي ظاهرة التساقط [التي لا يلحظها البعض] دورًا خطيرًا في محاصرة الدعوة ووقف انتشارها، مما يدفع الناس دفعًا إلى العزوف عن الالتزام بالدين بكلياته وجزئياته، وهذا لا شك أمر بالغ الخطورة - خاصة - في هذه الآونة الحرجة التي تحتاج فيها الأمة إلى تكاتف أبنائها لصد غارات أعداء الله في الداخل والخارج..

نداء إلى من عرفته مستقيمًا ..

* نداء إليك أنت.. نعم أنت وحدك يا من ترجو ما عند الله تعالى من الرضا والنعيم المقيم، وتخاف ما أعدَّ الله تعالى للعصاة والكافرين من النكال والهوان والجحيم.

* إليك أنت.. يا من ذاق قلبه حلاوة الإيمان، وتنعم بها يومًا ما من الدهر، ويا من كان يتلذذ بالمتاعب والمكاره ابتغاء رضا ربه وجنة عرضها السموات والأرض..

* نداء إليك.. يا من كان ديدنه الذكر، وراحة باله الفكر، وجنته في الدنيا ترديد آيات الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار..

* نداء إليك.. يا من كان مرغماً للشيطان، لا يستطيع أن يُحصِّل منك أدنى اللمم فضلاً عما هو أعظم من ذلك..

* ترددت كثيراً في الكتابة إليك، ربما لأنك غبت عنا غيبة ليست بالقصيرة، وربما لأنني لاحظت عليك تغيراً لم أفهمه، إلا أن صداقتنا القديمة وحيي لك دفعني إلى الكتابة إليك دفعاً.

* عزيزي:

* ما لي أرى الفتور قد اعتراك؟!، والإعراض قد ارتسم على تصرفاتك؟!، والوهن قد دبَّ إلى عزيمتك التي طالما كانت مشرَّبة متطلعة إلى المعالي، معرضة عن السفاسف؟!.

* ما لي أرى الشهوات قد استعبدتك، والنزوات قد تملكتك، فصرت محجماً عن الخيرات، مسارعاً إلى الشهوات، معرضاً عن سُبل الرحمات?!.



* أتراك قد اكتشفت أن التزامك واستقامتك وطاعتك لربك كانت خطأ، فاخترت الطريق الصحيح في وجهة نظرك (طريق الغواية والمعصية والانتكاس).. لتصل إلى جنة الفردوس؟!!

* أم تراك قد استبعدت الطريق واستبطأت النصر، فسرت في ركاب الساهين اللاهين عبدة أهوائهم، الذين لا همَّ لهم سوى أنفسهم وذواتهم غير آبهين بدين الله ولا بدعوة رسول الله؟!.

* أم تراك قد أعجبك طريق الضلالة والنكسة الذي سلكه المرتدون بعد وفاة الحبيب ﷺ، وسلكه بعدهم مَنْ ختم الله على قلوبهم وكره انبعاثهم فثبطهم؟!.

* أم تراك قد نسيت الموت وسكراته، والقبر وظلماته، ويوم القيامة وروعاته، والصراط وزلاته، وعذاب جهنم ولوعاته، وحسراته؟!.. أعيدك بالله تعالى من ذلك كله، وأعيدك بالله أيضاً من أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم: (كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْغَبِّ إِنَّهُ يَصْطَلِحُ أَتْمَالَهُمْ لَكُنْ تَكُونُ مِنْ خَسِرِينَ) [الأعراف: ١٧٥].

* فالسعيد أخي من وعظ بغيره، لا مَنْ اتعظ به غيره..

* ألتمس منك العذر -يا رعاك الله- لقسوة كلماتي معك، ولكنه الحبُّ الذي أكنه لك في صدري، وخوفي عليك من سوء الخاتمة، هما اللذان أحرقا قلبي وفطرا كبدي كلما رأيتك بهذا الوضع المزري الذي يسر الأعداء وفي مقدمتهم: العدو الأول: الشيطان وأعوانه من أعداء الله تعالى، ويحزن الحبيب والصادق..

فهل من عودة إلى الله قبل الموت؟!، هل من أوبة -أيها المبارك- إلى روضة الطاعة وحياض التوبة والاستقامة والندم، حيث الراحة الإيمانية والتي تعقبها الرحمة الإلهية..

* أخي الحبيب -أذكرك ونفسي بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ مِنْهُمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].



* فأبشر يا مَنْ ضعف إيمانك ورقَّ يقينك بهذه الآية ومثيلاتها، واعلم بأن لك ربًّا واسع المغفرة باسطاً يديه بالرحمة بالليل والنهار - جل جلاله وتقدست أسماؤه -.

* يا مَنْ أصبت بانتكاسة إيمانية، اسأل الله تعالى الهداية من قلبك بكل صدق، فهذا حبيبك المعصوم ﷺ يسأل ربه الهداية ويقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»^(١)، وكان يرشد إلى ذلك، كما أرشد سبطه الحسن بن علي عليه السلام إلى أن يدعو في القنوت ويقول: «اللهم اهديني فيمن هديت»^(٢).

* وكان ﷺ يكثر من الاستعاذة بالله من الضلالة بعد الهدى ويقول: - وخاصة إذا سافر - كان يتعوذ بالله «من الحور بعد الكون»^(٣)، وفي لفظ آخر «من الحور بعد الكور»^(٤)، قال العلماء: «ومعناه بالنون أو الراء جميعاً: الرجوع عن الشيء»^(٥)، والمقصود: الرجوع الرجوع عن الاستقامة، أو من الزيادة إلى النقص»^(٦).

قد يشنك شيطانك عن الاستقامة مع أهل الاستقامة ويحاول أن يلقنك بعض التعليقات لذلك، لكن دعني أسألك:

- ما الذي حدا بك إلى الابتعاد عنا؟

- هل أغضبك منا أحد؟! ربما يكون ذلك، ولكن إذا كان كذلك فهل نسيت أننا بشر؟، هل تظن أننا ملائكة؟

(١) رواه مسلم (٢٧٢١).

(٢) رواه أبو داود (٣٢٩/٢)، والترمذي (٤٦٤)، وابن ماجه (١١٧٨)، ومسنده أحمد (٩٩/١)، والدارمي (٣١١/١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٢٨١)، وإرواء الغليل (٤٢٩)، ومشكاة المصابيح (١٢٧٣).

(٣) رواه مسلم (١٣٤٣).

(٤) الترمذي (٣٤٣٩) والنسائي (٣٧٢/٨)، وصححه الألباني في سنن الترمذي (٣٤٣٩).

(٥) راجع: لسان العرب، (مادة: حور).

(٦) ينظر: «رياض الصالحين للنووي»، ص ٣٠٣، بتحقيق الشيخ / شعيب الأرنؤوط، ط. مؤسسة الرسالة.



- ثم يا أخى: هل يكون عقابنا إن أخطأنا عليك أو أخطأ أحدنا في حقك بأن تبتعد عن الطريق المستقيم؟، وأنت تعلم أنك بفعلك هذا تضر نفسك لا تضرنا نحن.
- نعم يا عزيزي: قد يكون ابتعادك عنا لا بسبب خطأ أخطأناه عليك، ولكن قد يكون بسبب رغبتك في الدنيا وزخرفها، حيث أعجبك ما يُعَرَّضُ في وسائل الإعلام وأغراك منظر النساء المتبرجات، فسلب عقلك، وأضعف إيمانك، وأقول لك: يا أخى، كم سستمتع بهذه الزخارف، وكم سيسعدك البعد عن خالقك، سنة... سنتين... عشر سنوات، ثم ماذا؟
- إن مصيرك إلى الموت، فهل تحب أن تلقى الله عاصياً له؟!
- شتان بينك وبين من لقي الله صائماً يبتغي مرضاة الله، شتان بينك وبين من لاقى الله وهو يتلو القرآن.
- عزيزي: هل يريد هؤلاء شيئاً لا تريده؟!
- إنك تريد ما يريدون ولكنهم عملوا للحصول على ما يريدون ولم تعمل أنت ذلك، فلماذا؟
- عزيزي فلان: أنسيت عندما كنت تتمنى أن تكون داعيةً مصلحاً، أو عالمًا موجهًا، أو مجاهدًا شجاعاً، أين هذه الأمنيات؟، أترك تتمناها الآن، أم يا ترى ماذا تتمنى الآن؟!
- أنسيت يا أخى عندما كنت تقول لى: إن صداقتنا ستدوم حتى في يوم القيامة لأنها أخوة في الله، وتتلوا عليّ قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].
- يا ترى: هل تظن أن صداقتنا ستدوم؟، إذا كانت لم تدم في الدنيا فكيف تدوم في الآخرة؟!
- يا صديقي العزيز: أذكرك بقول الله: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة ٢١١].



- أخي.. ألا ترى أنك بانتكاستك بدلت نعمة الله عليك، نعم لقد بدلت نعمة الالتزام، وتذكر أخي المكرّم أن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى ستضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم.

- أخي: لا تستصعب الرجوع إلى الحق، فالرجوع ينفعل أنت، وتأكد أن الله سيفرح بتوبتك وإنابتك، بل إنه - سبحانه - دعاك إلى ذلك، ونهاك أن تقنط من رحمته: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٣٥].

- أخي من قال لك: إنه لا تقبل توبتك إلا إذا عدت لنفس البيئة مع نفس الأشخاص السابقين، لا بل تب إلى الله.

* هيا.. عبد الله، ابدأ صفحة جديدة بيضاء نقية مع ربك وخالقك بالحرص على الطاعات والإنابة الحقّة، وتذكر قول ربك وخالقك: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]، واصرف وجهك عن قرناء السوء، ورفاق الضلال، الذين لا يأبهون بك أفي نعيم صرت أم في جحيم، بل فوق ذلك هم يسألون الله تعالى أن يزيد قرناءهم عذاباً فوق عذابهم ولسان حالهم: ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ [ص: ٦١].

* هيا.. انقض عنك غبار القعود والحق يركب النجاة السائر إلى الله تعالى، فهذه أمتك المسلمة تنتظرك، وتنتظر جهدك وعطاءك، ففيك يا ابن الإسلام كوامن الخير الدفاقة، ومنابعه الرقاقة، فعد - أخي الحبيب - عوداً حميداً رشيداً إلى الله تعالى لتتفجر ينابيعك الخيرة، ولتكون لبنة إصلاح في بناء الأمة السامق..

«نوبة منكلس»

يحكيها بنفسه فيقول:

- سأبدأ من دون مقدمات ..

- أنا -بصراحة- ممن بعد عن الجادة وتنكب الدرب ورجع القهقري، وترك الاستقامة، وحاد عن الطريق، وابتعد عن أفياء الصالحين، فضاع في بيداء الدنيا لاهثاً وراء المادة وراكضاً وراء سراب خادع اسمه «تأمين المستقبل»، «وتوفير لقمة العيش، والغد المشرق للعائلة» - أو كما يقال في لغة الإعلام الخداعة:

وَمَا نَيْلُ الْمَطْلَبِ بِالتَّمَنِّي *** وَلَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلَابًا

- ما عاد لي في الأنشطة الخيرية والدعوية بحجة إعمار الأرض وتحسين الذات وفق الأطر التنموية الذاتية فقط لا غير، وكم يحزنني أنني تركت أعمالاً من أعمال الخير فلم يعد لي سهم ولا نصيب وقد كنت من أركانها، لقد ابتعدت كثيراً عن دور تحفيظ القرآن، والمراكز الصيفية، والمكتبات العلمية، وأجواء البيئات الإيمانية، ومجالس الصالحين... بحجة (إعمار الدنيا) ..

- دخلت في معترك العمل وحلبة التجارة وتحججت بالزواج والعيال ومطالب الأسرة فانكسر بي القارب في أودية الدنيا بل في بحارها... فقد قال بعض السلف: (من تزوج فكأنما ركب سفينة فإذا ولد له كُسر به)، بل أنا الذي أردت أن أدفن نفسي في هذا الجو المقيت الذي أبعدني عن كل خير، فجميع الصالحين من ذوي الأشغال والعيال وربما مع قلة المال وضيق الحال (لم يحدوا عن الجادة مثلي؟!).

- شغلت بالدنيا، وغلبني الهوى، وأسرنى الطمع، وقيدني الجشع، فإذا أنا بعالم غريب، فلا الأصحاب كما عهدت، ولا الحديث كما كان، ولا الروحات والغدوات لتلك الأماكن الطيبة بقيت، لا أخفيكم اشتقت لحمل السواك والمصحف في جيب، أو كتيب دعوي، وعلبة الطيب من مسك تارة تهديها وتارة تُهدى إليك، واشتقت إلى حضور مجالس العلماء



والدعاة، افتقدت رسائل الجوال الدعوية التي كانت تذكرني بصيام، أو درس، أو مجلس ذكر، أو تبرع لجهة خيرية، أو عيادة مريض، أو مساعدة منكوب، أو أي خير، تألمت لما تأملت في حالي، فلا مجالس طيبة، ولا صحبة صالحة، ولا كلمة حسنة أسمعها، فأني حياة هذه التي لا طعم فيها ولا روح لها.

- مذهري تغير كما تغير مخبري... لحيتي تقلصت حتى صارت البشرة ظاهرة للعيان وعليها شعيرات خفيفة أدعي أنها لحية وأحاج عنها وهي تنتظر قرار الإزالة في كل نظرة مني إلى المرأة.

- ثيابي لامست الكعبين، صرت لا أتمعر ولا أنضايق حين أسمع الموسيقى في المذياع أو على مواقع التواصل الاجتماعي (بدعوى أنه سماع لا استماع) أو (لأنه لمصلحة سماع أو مشاهدة الأخبار) أو (لمصلحة سماع أو مشاهدة الأخبار والاستفادة من البرامج الوثائقية) حتى صار الأمر مألوفاً لدي حتى اعتدته.

- لم أعد أغض الطرف حتى يوارى جاري مأواها، فاستسغت النظر إلى النساء (سواء متبرجة في شارع، أو شقراء مارونية في قناة عربية أو عبرية، بل لم أعد أتألم للإلحاد وفسق وعهر وزندقة وعريضة في بعض (برامج التوك شو) بحجة (أنه مشهد عابر).

- لا أدري.. متى آخر مرة قرأت فيها القرآن، وربما قرأته لأضيع الوقت إذا دخلت المسجد مبكراً مضطراً، ولكن لم أعد كما كنت تستوقفني الآيات وتؤثر في زواج القرآن، بل أسرح فلا أنتبه إلا وأنا أقرأ بلساني فقط وقلبي شارد في أودية الدنيا.

- أما الصف الأول.. فلم أشهده منذ مدة، قسى قلبي فلا يهزني شيء، وكم رأيت حادثاً أمامي فلا يحركني، وقد كنت أتاثر لأدنى موقف وأقل كلمة.

- وثالثة الأثافي: إن لم تكن عاشرتها «كثرة نقدي للصالحين، ولمزي للمتدينين، وطعني في الدعاة والعلماء والناصحين، بحجة أنهم متشددون، ورجعيون، ومتطفلون، وتجار دين».. وتلك - لعمر الله - علمنة سرت إلى قلبي ونفاق تغلغل في نفسي.. فلم يكفني الانحراف



الذي وقعت فيه حتى زدت عليه النيل من أهل الصلاح والاستقامة، وكل من ينصح (ولعله من باب.. خير وسيلة للدفاع الهجوم..) حتى لا ينصحنى أحدهم..

- حاولت أن أستمع لدعاة «التميع» وكنت إذا سمعت الواحد منهم شعرت برضا ذاتي، وبرود تجاه خطاياي، واعتقدت أن كل شيء على ما يرام، ونسيت أن هذا طريق الدرجة لجهنم.

- دخلت في سلطان (النص) عبر الانقياد، ثم خرجت منه عبر نافذة (الخلاف) والبحث عن الرخص والتسويغات.

- اتبعت سبل (دعاة التبنيج) بدعوى «التلقي الفكري، وازدياد الوعي والاطلاع»، ثم رأيت أنني ابتعدت عن الأجواء العلمية، فصارت القضية بالنسبة لي (ميول ورغبات شخصية) وليست (اختلافات علمية).

- ونجحت جهود هؤلاء (الإفسادية) فصرت مدمناً للمعازف، وحسنات الشاشات، وهاجراً الصلاة الجماعة، وشتاً للمشايخ.

- ازدادت الأشواك في طريقي: فاجترأت على ذنوب الخلوات، وأهملت التدرج في الطاعات، واتبعت أسلوب الطفرات في العبادات.

- حاولت التصدي للدعوة ووعظ الغير قبل الأوان.

- أصابني الأمن من الانتكاس، وهان عندي الشعور بالسقوط أو التقهقر.

- وغاب عني الهدف الأسمى والغاية العظمى من التدين والاستقامة، فأهلكني الهموم اليومية، وامتصت حيوية روحي الإيمان.

- لا أخفيكم سراً.. كم أقطع حسرة، وأنا أشاهد بعض الصالحين وهم مزدحمون ومجتمعون في سيارة يمضون في طريقهم إلى محاضرة أو رحلة أو عمل خيري تطوعي..

- تأكلني الحسرة.. لدرجة أنني أود أن أوقفهم لأقفز بينهم، وأقول: خذوني معهم لا تتركوني..



- كم يؤثر فيَّ وأنا أقف في الإشارة فيقف بجانبني شاب على سيماه الصلاح وهو يستمع لمحاضرة أو ينصت للقرآن، وترى على وجهه آثار الخشية وجلال العلم ووقار الاستقامة، أكاد أترجل من سيارتي وأهم بأن أجلس بجواره ليأخذني حيث شاء، لأنتفع بصحبته.

- وكأني بقلبي الجريح وهو يقول:

كَأَنَّمَا مُهَجَّتِي نَضْرِبْلَقَعَةً *** يَرْتَاذُهَا الَّذِي وَالْأَسَدُ

- آه كم أحن لتلك المجالس الإيمانية التي كنت أنتفع بها بعد الفجر، بل كم أشتاق للرحلات الجميلة وقد كنت ممن يُعدُّ لها وينسقها بل ويتولى قيادتها..

- ما أجملها من أيام كانت رحيق حياتي، وأنس نفسي، وعطر أيامي..

هنا أخ يذكر، وآخر يعظ، وثالث يُهدي، ورابع يعاتب، وخامس يتبسم.

- كم اشتقت لصيام الاثنين والخميس والأيام البيض والإفطار مع الإخوة ممن أحببتهم في الله (فكانت بيننا وشائج حب الله صادقة)، ولا زلت أترحم على من مات منهم، وأسأل الله أن يثبت من بقي منهم.

- لا أنسى زيارتنا للعلماء وللمستشفيات، وأعمال البر.

- لا زلت أذكر وأترنم -لا شعورياً- ببقايا محفوظاتي من نشيد أو قصيدة أو حذاء.

- كان ذلك عالمي الذي كنت فيه، حتى كأني في جنة ونعيم عظيم، فقد كنت كالطائر الحالم الذي يطير في روضة غناء وبستان عامر.

* هذه الذكريات هي قوت قلبي وإكسير فؤادي، ونشيد روحي، وهي بستاني ومتنزهي.

* ورحم الله مَنْ قال:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى *** والعيش بعد أولئك الأيام

* أما الآن:



كأنني طائر لا جناح له *** فما استطاع بغير الدمع تبياناً

- فيها هو نداء الفكرة ينبعث من داخلي، ولسان حاله:

عد إلى الروضة إن الغيث يهمني *** في روايبها ويكسوها جمالاً

- ألا لعنة الله على كل علماني بغض، وليبرالي خبيث الطوية مستهزئ بالشرعة

المحمدية..

- وغضب الله على كل من يعادي أولئك الرجال ويناصبهم البغض والعداء (فالله أسأل

أن يهديهم، أو أن يقطع دابرهم ويبدد خصراءهم)، (وشلت يمين تكتب لتسخر منهم، وشاه

وجه يمثل ليستهزئ بهم، وقطع الله لساناً يتكلم بسلبهم والقذح فيهم، ورضي الله عن تلك

الوجوه الوضيئة البهية، والأنفس الطيبة الخيرة الأبية. - وهذه قلة مني على جبين كل شاب

مستقيم ثابت في زمن الانتكاسة والضياع وانقلاب المفاهيم.

- وطوبى لمن كبح جماح شهواته في زمن الشهوات، وترك الانغماس في الملذات في

زمن الضياع.

- إلى أولئك الأخيار لكم الله فاصبروا فأنتم ذخرننا وعزنا.

* وإلى كل من يفكر في الانتكاسة.. يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، إلى كل من مَلَّ طريق

الاستقامة، ويخطط للرجوع بقهقري.. حنانيك.. اتدد.. مهلاً.. أرجوك انتظر ولا تخرج من

روضتك إلى بيداء مهلكة، واتعظ بي، لتكون من الناجين.

* فاحذر - أخي الشاب - أن تتنكب طريق الالتزام والخير والهدى، فإن في هذا موتاً

لصاحبه قبل مماته الحقيقي، واجتهد في الدعاء وقل متضرعاً لربك ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ

هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

حافظ على التزامك!

إن الحفاظ على دوام الالتزام بالدين مطلب عظيم لكل مسلم صادق يرغب في الثبات على هذه النعمة بعزيمة ورشد، ويتأكد هذا الأمر مع تدهور أوضاع المجتمعات الحالية التي يعيشها المسلمون، حيث تكاثرت أصناف الشهوات والشبهات مما حدا بالكثيرين أن يهجروا الالتزام، فكان الملتزم بدينه كالقباض على الجمر، فإن لم يتعهد المرء التزامه بالنعاية والمتابعة والتجديد والتربية والتزكية، فقد تكون العاقبة إيماناً يذبل كالزهرة المهملة والتزاماً يتآكل كالحديد حينما يغطيه الأملاح فتفعل فعلها، ويؤكد هذا المعنى ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم»^(١).

وحتى تحافظ على التزامك: فإني أوصيك:

- ١ - بالاستعانة بالله تعالى والتضرع إليه وحده أن يحفظك ويثبتك على الحق - حتى تلقاه - جل جلاله - وأنت على هذا الخير غير مبدل ولا مفرط.
- ٢ - اجتناب الفتن وأهلها: إن الملتزم حينما يوجد في وسط يعج بالمعاصي والفتن فإن هذا يُضعف التزامه، فهو يرى هذا يتباهى بمعصية التي ارتكبها، وآخر يترنم بألحان أغنية فاسقة، وثالث يدخن، ورابع يبسط يديه لفتاة ماجنة، وخامس لسانه منطلق بالسب واللعن والشتيم وهكذا..^(٢)

فعليك -أخي في الله- أن تجتنب الفتن وأسبابها، إذ أنه من عَرَّض نفسه للفتن لا بد وأن يصاب بشيء منها.

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٨٤)، والحاكم في مستدركه (١/ ٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٩٠)، انظر السلسلة الصحيحة للألباني (١٥٨٥).

(٢) يراجع: «ظاهرة ضعف الإيمان» للشيخ محمد المنجد، ص ٢٦، ط. مكتبة دار الإيمان بالمنصورة.



٣- التعرف على أسباب الانتكاسة: ومحاولة اجتناب هذه الأسباب .. ولنعلم أن رؤية المتكسرين وسماع أخبار أصحاب الخاتمة السيئة يدفع الملتزمين للعلو على شأن أولئك، والترفع عن الدركات التي صاروا إليها، ومن جهة أخرى فإن النظر في أحوالهم يجعل الملتزم في خوف من المصير الذي صاروا إليه^(١).

٤- محاسبة النفس: على كل الأعمال -صغيرها وكبيرها- محاسبة الشريك الشحيح، لأن محاسبة العبد لنفسه تورثه ذلاً لله وخوفاً من العقاب من مولاه، ونصيحتي إليك -حبيبي في الله- أن تحاسب نفسك على دقيق الأمور وجليلها، حتى في الطاعات، لا بد وأن تحاسب نفسك عليها .. وتسألها بصدق فتقول لنفسك:

- هل أطعْتُ الله تعالى على الوجه المراد أم لا؟

- هل أصبت بعد طاعتي بمرض من أمراض القلوب كالعجب بهذه الطاعة، أو الغرور بها، أم أورثتني تلك الطاعة ذلاً واستكانة لله تعالى؟ وهكذا..

* واعلم أن محاسبة النفس -عامة- لاسيما بمثل هذه الطريقة النموذجية، تدفع صاحبها للاجتهاد في الإتيان بالخير، كما تدفع صاحبها للاجتهاد في تصحيح المسارات ومجانبة الانحرافات عن طريق الحق.

* فهيا أخي في الله: قف مع نفسك وقفة صدق.

(١) كلمات في الالتزام، ص ٤٥.



* هيا - حبيبي في الله - حاسب نفسك حساب الشريك الشحيح، وقدم لنفسك ما تسعد

به يوم القيامة؟!.

* وهذا جدول عملي مقترح تبدأ من خلاله مراجعة نفسك بشكل عملي منهجي متدرج،

وتقييم ذاتك تقييماً صحيحاً تبدأ من نفسك وتطرحه على إخوانك.



التقييم الذاتي الأول:

مثلاً: ابدأ بإتقان عبادة من العبادات (كالصلاة) ثم قم بعمل التالي:

تذكير مهم	أؤديها بشكل ممتاز	أؤديها بشكل جيد	أؤديها بشكل مقبول	تؤدي بشكل عادي مقطع	
					الصلوات الخمس في أول وقتها
					الصلوات في المسجد جماعة
					الخشوع في الصلاة
					إتقان الوضوء
					صلاة النوافل



وهي كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «صليت مع رسول الله ﷺ ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد الجمعة، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء» متفق عليه - وفي حديث عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان لا يدع أربعاً قبل الظهر، وركعتين قبل الغداة» رواه البخاري.					
قال تعالى في وصف أهل الإيمان: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧].					قيام الليل
قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].					صلاة الجمعة

فإذا أجبت على هذا الجدول المقترح للتقييم الذاتي، فإني أتوجه إليك بالسؤال الثاني:

* هل صلاتك تنهاك عن الفحشاء والمنكر؟!، فإذا كانت إجابتك بنعم .. فاحمد الله واسأله الثبات.

* وإذا كانت إجابتك بلا .. فتش عن السبب الذي يحول بينك وبين أداء الصلاة بخضوع وخشوع .. وهكذا.

* طريقة أخرى لممارسة التقييم بشكل صحيح:

* إذا سألتك: كم تبلغ من العمر الآن؟

* فإنك قد تجيبني قائلاً: أنا عمري كذا وكذا،

* فإذا قلت لك: إذن أنت شاب،

* فإنك تجيبني قائلاً: نعم،



* فإذا سألتك وقلت لك: هل أنت ملتزم بطاعة الله تعالى؟
* فإذا كانت إجابتك بنعم .. فأبشر. (فإن النبي ﷺ بشر الشاب الطائع بأنه من السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله - سبحانه وتعالى -).
* وإن كانت إجابتك بلا .. (فهيا تب إلى الله تعالى .. قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] .



التقييم الذاتي الثاني:

* إذا انتهيت بنجاح من التقييم الذاتي الأول، فهذا حاسب نفسك بهذه الطريقة .. فمثلاً:
اسأل نفسك .. كيف حالي مع القرآن؟!، فإن كانت الإجابة مرضية .. فاحمد الله .. وإن كانت غير ذلك فاعقد لنفسك جدولاً لحفظ كتاب الله تعالى، مع الحرص على فهمه وتدبره والعمل به على النحو التالي:

ذكر نفسك	شهرياً	أسبوعياً	يوميًا	
قال تعالى: ﴿فَأَقْرءُوا مَا يَنْصُرُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠].				- قراءة القرآن
قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧].				- حفظ جزء من القرآن قراءة تفسير الآيات من تفسير معتمد.
قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِينَ هُمْ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].				- هل تعمل بالقرآن؟!
قال رسول الله ﷺ: «تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفسي بيده، لهو أشدُّ تفلاً من الإبل في عُقلها» متفق عليه.				- هل تراجع ما حفظت؟!
قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].				- هل تبكي عند قراءتك للقرآن أو عند سماعه؟!



قال تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].				- هل تحرص على تجويد وترتيل القرآن؟!
قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَفْصَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].				- هل تتدبر آيات القرآن عند سماعها أو قراءتها؟!

* إذا انتهيت بنجاح من التقييم الذاتي الأول والثاني، فهيّا:

كذلك فلتحاسب نفسك!!^(١)

وبعد التقييم بمسألة التعبد بقراءة القرآن، وتدبره، وحفظه، اسأل نفسك:

كيف حالي مع الأذكار؟

هل رددت أذكار الصباح والمساء بيقين؟!

(١) وإليك جدول مقترح بختمات العام:

رقم الختمة	تاريخ البداية	تاريخ النهاية	عدد أيام الختمة	ملاحظات



هل حافظت على الأذكار المناسبة المسنونة لكل عمل من الأعمال، «كالذكر عند النوم، عند اليقظة، عند دخول الخلاء، عند الخروج من المنزل، عند ركوب الدابة»؟! هل جعلت لساني رطباً بذكره سبحانه، فلا ينساه سبحانه صباح مساء؟! * وعليك أن تحاسب نفسك!! هل استخدمت جوارحك في شكر المنعم - سبحانه وتعالى -؟

فمثلاً:

- هل أغض بصري عن المحرمات؟
- هل عزفت عن سماع المنكرات؟
- هل أتحكم في شهواتي؟
- هل حفظت يدي عن الحرام، فلا أصفح النساء الأجانب؟
- هل حفظت رجلي عن المشي إلى الحرام؟
- هل حفظت لساني عن آفات اللسان كالكذب والغيبة والنميمة؟
- هل حفظت قلبي وراقبته وطهرته من المهلكات، «الكبر، والرياء، والحقْد، والحسد، والتعلق بالدنيا»؟.

- هل أعددت الجواب ليوم الحساب .. وتذكرت قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؟! [النور: ٢٤].

التقييم الذاتي الثالث:

حاول أن تقوم بعدد من الواجبات الشرعية والتكاليف الإلهية بشكل متوازي، مع محاسبة نفسك بشكل دقيق عن:

- كيفية الأداء.
- إتقان الأداء.
- ثمرات الأداء.

- خذ مثلاً:

صيام الإثنين والخميس	إدراك تكبيرة الإحرام في المسجد					السنن الرواتب					ورد الأذكار					أعمال تطوعية				
	اليوم	صلاة الفجر	صلاة الظهر	صلاة العصر	صلاة المغرب	صلاة العشاء	سنة الفجر	سنة الظهر القبلية	سنة الظهر البعدية	سنة المغرب	سنة العشاء	أذكار الصباح	أذكار المساء	ورد دعاء	ورد استغفار	صلاة الضحى	ركعتين قيام ليل	صلاة الفجر	صدقة	صلاة رحم
	السبت																			
	الأحد																			
	الإثنين																			
	الثلاثاء																			
	الأربعاء																			
	الخميس																			
	الجمعة																			

* طريقة البرنامج/ عند تنفيذك لأي عمل من الأعمال ضع علامة صح في الحقل المخصص للعمل.

* في نهاية الأسبوع/ قم بتجميع الحقول المملوءة بعلامة صح واحسب نسبتيك حسب المعادلة التالية:

$$\text{النقاط التي جمعت ؟؟} \div ١٤٧ = \text{الناتج ؟} \times ١٠٠\%$$

إذا كانت نسبتيك أكبر من ٩٠ فأنت ممتاز.

إذا كانت بين ٨٠ و ٩٠ فأنت جيد جداً

إذا كانت بين ٧٠ و ٨٠ فأنت جيد

إذا كانت أقل من ٧٠ بحاجة إلى إعادة ترتيب حساباتك، حيث إنك تحتاج لوقفه مع النفس لأنه قد سبقك أناس كثيرون.



التقييم الذاتي الرابع:

بعد النجاح في التقييمات السابقة، والثبات على النتائج التي تم تحقيقها -بتيسير الله وفضله- إليك هذا الجدول المقترح لمحااسبة نفسك بشكل جديد ومتوازي متوازن.

دائمًا	أحيانًا	غالبًا	نادرًا	ذكر نفسك
تقوى الله والخشية منه سبحانه				قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].
الصبر				قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح للمسلمين				قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤].
الدعوة إلى الله تعالى				قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].
اتباع سنة رسول الله ﷺ				قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [النساء: ٨٠].
التقرب إلى الله بالطاعات				قال النبي ﷺ: «قال الله عز وجل: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه



الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ورجله التي يمشي بها .. رواه البخاري.					
قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨].					بر الوالدين
قال تعالى: ﴿وَالذِّكْرُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَالذِّكْرِ أَكْثَرُ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].					ذكر الله بالتسبيح والتهليل والتكبير
قال ﷺ: «من أحب أن يُيسر له في رزقه، ويُيسر له في أثره، فليصل رحمه» متفق عليه.					صلة الأرحام
قال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].					الصدق في الأحوال
قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].					الصلاة على النبي
قال تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانُوا اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ أَفْقَالُهَا﴾ [الأنفال: ٣٣].					الاستغفار
قال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ					التأمل في خلق



اللّٰهُ الدّٰعَا لنفسك وللمسلمين					الْسمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ آل عمران: ١٩١.
--	--	--	--	--	--



وأخيرًا بعد اجتياز المراحل السابقة بتؤدة، وثبات ونجاح .. عليك بالإجابة الصريحة
عن هذه الأسئلة:

(صح أم خطأ)

- () * هل حمدت الله عز وجل - على أعظم نعمة أنعم بها عليك ألا وهي نعمة الإسلام؟ وكيف أن غيرك كافر بالله وأنت مسلم موحد؟
- () * هل سجدت لله شكرًا أن هداك إلى نور الإيمان. بينما غيرك يتخبط في ظلمات الإلحاد والشرك والضلال، فحماك بذلك من الخلود في النار، بينما من مات على غير ملة الإسلام فهو خالد مخلد في نار جهنم؟
- () * هل حمدت الله على الثبات على الحق في عصر التلون والنفاق والجرأة على ثوابت الإسلام؟
- () * هل جلست متأملًا فيما حباك الله به من نعم وخلق وشكل وصحة وعافية، فشكرت الله على سائر ما أنعم به عليك، ورضيت به وبشرعه ووعدته، وما أعظم ذلك، وما أجله؟ ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].
- () * هل راجعت نفسك فحققت التوحيد لله، واجتنبت الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر، واجتنبت الذبح لولي أو نبي، أو النذر لهما، أو طلب المدد منهما؟
- () * هل تبت إلى الله تعالى من تحليل الحرام وتحريم الحلال، ومتابعة قنوات الدجل، والذهاب إلى السحرة والكهان، ومتابعة الأبراج وحظك اليوم؟
- () * هل تبت إلى الله تعالى من الحلف بغير الله ك (النبي، والكعبة، والختمة الشريفة)، وحب الرياء والسمعة، والتشاؤم من الأشخاص،



والأرقام، والأيام؟

- () * هل حققت الاتباع، واجتنبت الابتداع؟
- * هل تؤدي الصلوات الخمس في أول أوقاتها في المسجد جماعة، أم نسيت أن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله؟
- () * هل تعظم فريضة الصلاة، أم تهجرها، فإذا ذكرت بها من ناصح أمين قلت هل تقول مثل هؤلاء الفوضويين .. أنا حر .. أصلي أو لا ... رغم أن النبي ﷺ قال: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر: ترك الصلاة» رواه مسلم؟
- () * هل تخشع في صلاتك وتطمئن في ركوعها وسجودها، أم تصلي بسرعة بلا خشوع بغرض إسقاط الفريضة؟
- () * هل تصوم شهر رمضان كله، أم أنك تفطر في رمضان زاعماً أن الصيام علاقة خاصة بين العبد وبين ربه، وأنت حر في الصيام أو الإفطار بلا إجبار؟
- () * هل صمت الصيام المشروع وحفظت جوارحك عن المفطرات الحسية والمعنوية؟
- () * هل حجبت بيت الله الحرام بعد أن توافرت فيك شروط الاستطاعة للحج، أم أنك كبرت وتناسيت هذه الفريضة بحجة (السعي على الأولاد والتسوية لما أكبر هجج)؟
- () * هل تقرأ القرآن الكريم بانتظام وتدبر وخشوع وحضور قلب؟
- () * هل جعلت لك كل يوم حزباً معيناً من القرآن؟ وهل تعمل به؟
- () * هل سألت الله تعالى أن يقيك شح نفسك، فتصدقت، وتذكرت بيقين



قول الله: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]؟

- () * هل أنت بار بوالديك، في غير معصية لله؟
- () * هل تصل رحمك، وهل أحسنت لإخوانك من الرحم؟
- () * هل تراقب الله في السر والعلن، أم تنتهك حرمة الله بفعل الحرام في الخلوات؟
- () * هل أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، ودعوت إلى الله في بيتك وعملك؟
- () * هل أحببت الخير للمسلمين؟
- () * هل تكرم الأيتام والأرامل والضعفاء والفقراء والمساكين، وتتواضع لهم، وتراحمهم وخصوصاً الأقارب؟
- () * هل حافظت على أذكارك اليومية كالصباح والمساء، والنوم....؟
- () * هل اتخذت جليساً صالحاً يذكرك برؤية الله؟ وحقت شروط الأخوة في الله؟
- () * هل حرصت على حضور مجالس العلم، واجتهدت في رفع الجهل عن نفسك، أم تلاعب بك شيطانك فثبطك عن دروس الوعظ والعلم بالمساجد بحجة أن العلم متوفر على الإنترنت؟
- () * هل أحببت العلماء الربانيين والدعاة الصادقين، أم أبغضتهم ووقعت في أعراضهم لمجرد اختلافك معهم في رؤية سياسية أو فكرية أو مسألة فقهية أو خلافية معتبرة؟
- () * هل سألت العلماء وطلبة العلم عما أشكل عليك في أمور دينك، أم أصابك العجب والكبر والتعاليم والأنفة؟
- () * هل تجنبت رفقاء السوء، والمنافقين، والفساق لأنهم سبب الضلال



والضياع...؟

- () * هل أسهمت في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى؟ أم زعمت أن الأمر بالمعروف وتخلف وضد الحريات؟
- () * هل حافظت على أوقاتك الثمينة من الضياع أمام الكرة في الكافيات والنوادي، ووسائل الاتصال الحديثة كالفيديو، والواتس وغير ذلك؟
- () * هل تحتكم إلى الشرع في كل حياتك، أم أنك ممن يفصلون الدين عن حياتهم؟
- () * هل تجنبت الاختلاط بالنساء، والخلو بهن؟
- () * هل أنت مرتبط ارتباطاً محرماً؟ بحجة (الحب والتعارف والتسلية)
- () * هل تجنبت مزامير الشيطان (الغناء) لأنها محرمة بالقرآن والسنة، وهي يريد الزنا، كما أنها سبب رئيسي لقسوة القلب، ولسوء الخاتمة..؟
- () * هل تبت إلى الله من شرب السجائر والشيشة والبيرة والمخدرات؟
- () * هل تجاهر بالمعاصي والذنوب بحجة محدش يقدر عليها غير ربنا؟
- () * هل حفظت على فكرك من الشبهات الإلحادية، والأفكار العلمانية، والليبرالية واليسارية والشيوعية؟
- () * هل حافظت على مظهرك ولبسك فلم تلبس محرماً (كالحرير والشورت القصير والسلاسل)، وحلقت شعرك بما لا يخالف الدين والأخلاق؟
- () * هل حافظتي على نفسك وعفتك فلم تلبسي ملابس المتبرجات (كالفيزون، والاسترتش، والبنطالون المقطع والكارينا، واسكيني....)؟
- () * هل حافظتي على حجابك الشرعي، أم صرت فاشونيسة؟
- () * هل حافظتي على نفسك من الوقوع في الحب الحرام، أم قلدي



الممثلات التركيات والعرب؟

- () * هل تكثر من ذكر الله عز وجل ﴿لَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]؟
- () * هل أنت ممن قال الله فيهم ﴿وَيَا لَأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨]؟
- () * هل أحسنت إلى زوجك وأولادك وجيرانك وأقاربك وأصحابك؟
- () * هل ربيت أبناءك تربية إسلامية، أم تربية علمانية غربية؟
- () * قال ﷺ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» فهل تناسيت أنك مسؤول يوم القيامة أمام الله عن إصلاح وتربية أبنائك وبناتك؟
- () * هل تجنبت الإكثار من المزاح وكثرة الضحك؟
- () * هل بكيك من خشية الله؟
- () * هل طهرت قلبك من أمراض (النفاق - الكبر - العجب - الغل - الحقد - الحسد البغضاء)؟
- () * هل نظفت لسانك من أمراض (السب - وسب الدين - الشتم - الكذب - الغيبة - النميمة - الجدل بالباطل - اللغو - اللعن - قذف المؤمنين والمؤمنات - الإفتاء في الدين بغير علم، النكت المحرمة، التناجي مع صاحب لك دون بقية أصحابك، التبشير)؟
- () * هل تأكدت من طيب وحل مطعمك ورزقك (فلم تبع سجائر أو خمور أو ملابس عارية للمتبرجات أو أغاني، أو لم تبع سلعة بها عيب فكتمته عند بيعها، أو بعت بيع الحرق، أو غششت الناس أثناء بيعك، أو بعت بيعاً محرماً لجهلك بفقهاء البيوع)؟
- () * هل تبت إلى الله من هذه المعاصي والكبائر (ترك صلاة الجماعة، الزنا ومقدماته، والعادة السرية، واللواط والسحاق، الامتناع عن فراش



الزوجية بغير سبب شرعي، الظهار وطء الزوجة في دبرها، الخلوة بالنساء، مصافحة المرأة الأجنبية، إطلاق البصر إلى الحرام، الدياثة، التعامل مع البنوك الربوية، والقمار، والميسر، السرقة، الرشوة بحجة أنها إكرامية؟

- () * هل حفظت نفسك عن الوقوع في هذه المحرمات (الاستيلاء على مال وأرض الغير «بوضع اليد» أكل أموال الناس بالباطل كالأجير عندك، عدم العدل بين الأولاد في العطايا، التسول، الاستدانة بدين وعدم الوفاء به، شرب الخمر ولو قطرة على سبيل التجربة أو في الأعياد والأفراح، شهادة الزور، عمل أفراح والسبوع للمولود بطرق محرمة، الاطلاع على عورات الناس في بيوتهم دون إذن، لبس الرجال للذهب، تشبه النساء بالرجال والعكس، لبس الباروكة، حرمان الوارث من إرثه، اللعب بالنرد والشطرنج، النياحة على الميت، الوشم، التشبه بالغرب في عقائدهم وأخلاقهم؟

- () * هل تخلقت بالأخلاق الإسلامية الفاضلة من (حلم - صبر - ورع - تقوى - رحمة - توكل - إخلاص)؟

- () * هل تفكرت في خلق السماوات والأرض، والشمس والقمر، والنجوم والشجر، والبحار والأنهار، والحيوانات والحشرات، والطيور، وسائر المخلوقات كي يزيد إيمانك؟

- () * هل تفكرت في خلقك، وكيف أنك خلقت من نطفة، ثم من علقه، ثم من مضغة، ثم صرت عظاماً ثم كسيت العظام لحماً، ثم أنشأك الله خلقاً آخر ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]؟

- () * هل تعلم بماذا تعصي ربك، إنك تعصيه بنعمه التي امتن بها عليك،



بسمعك، وبصرك، ورجليك، وجميع جوارحك، وتعصيه فوق أرضه
وتحت سمائه، وفي ملكه، وهو قريب منك يعلم السر وأخفى، فخير الله
لك نازل، وشرك إليه صاعد ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ
وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ [التوبة: ٧٨] فما أحلم الله عليك،
فهل أخذت القرار بالتوبة العاجلة الشاملة من كل ذنوبك؟

- () * هل تعلم أنك ستسافر سفرًا بلا رجعة، فهلا أعددت العدة وتأهبت
لسفرك؟
- () * هل تزودت من هذه الدنيا الفانية بالأعمال الصالحة لتؤنس وحشتك
في القبر؟
- () * كم عمرك؟، وكم ستعيش؟، ألا تتذكر بأن لكل بداية نهاية؟، وأن
النهاية جنة أو نار؟
- () * هل تخيلت نفسك عندما تنزل ملائكة من السماء لقبض روحك
وأنت غافل؟
- () * هل تخيلت نفسك في تلك الساعة الأخيرة في حياتك عند فراق الأهل
والأولاد، وفراق الأحباب والأصحاب؟
- () * هل تتخيل الموت وسكراته وشدة نزعه وكرباته؟
- () * هل تخيلت ما سيحدث لك بعد فراق روحك من جسدك، إنهم
سيذهبون بك إلى مغسلة الأموات فتغسل وتكفن، ويذهب بك إلى
المسجد ليصلى عليك، وبعد ذلك تحمل على أكتاف الرجال إلى أين؟
في الحياة الدنيا إلى القبر. وهو أول منازل الآخرة، وهو إما روضة من
رياض الجنة أو حفرة من حفر النار؟
- () * هل تعرف القبر؟، هل تخيلت القبر؟، ظلمته، وحشته، ضيقه، ضمته،



سؤال الملكين «رغم أنف الملاحدة والعلمانيين من منكري عذاب القبر»؟

- () * هل تخيلت يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين؟ إنه والله يوم عظيم، يوم يشيب من هوله الوليد. هل تعلم كم مقداره؟، يوم مقداره خمسين ألف سنة؟
- () * هل تخيلت يومها تطاير الصحف، ونصب الصراط على متن جهنم، ونزول الملائكة ووقوفها في شكل صفوف عندما تحيط بأهل الموقف، ثم توضع الموازين للحساب والجزاء؟
- () * هل تجهزت للوقوف بين يدي جبار السماوات والأرض، ليسألك ويجازيك على أعمالك إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، ثم بعدها تبدأ في المرور على الصراط، ثم إلى الجنة أو نار؟

ثم نذكر نتيجة الامتحان

وهي إما أن تكون:

* بشرى سارة لكل ناجح في امتحان أهل الدنيا.

يا من التزمت بشرع الله وتبت إلى الله أبشر بجنة عرضها السماوات والأرض، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيها قصور عاليات، وأنهار جاريات، وولدان مخلدون، ولحم طير مما يشتهون، ونعيم لا ينقطع وأعظم من ذلك رؤية وجه رب العالمين.

وإما أن تكون حزنًا وشقاءً لكل كل راسب في أهم وأخطر امتحان في حياة العبد، لأن نتيجته إلى شقاء وعذاب أبدي إلى نار حامية يؤتى بها، لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، طعام أهلها الزقوم والضريع، وشرابهم الحميم والغساق والصديد، ولباسهم القطران والحديد، وهوأوهم السموم وظلهم اليعموم نار تحرق العصاة والمتجبرين والملاحدة المنكرين للبعث والحساب، وصدق أبو العلاء المعري حين قال:

زَعَمَ الْمُنَجِّمُ وَالطَّيِّبُ كِلَاهُمَا *** لَا تُحْشَرُ الْأَجْسَادُ قُلْتُ إِلَيْكُمَا
إِنْ صَحَّ قَوْلُكُمَا فَلَسْتُ بِخَاسِرٍ *** أَوْ صَحَّ قَوْلِي فَالْخَاسِرُ عَلَيْكُمَا

٥- الدعاء الصادق: إذ الدعاء هو العبادة، كذلك فإن الدعاء سلاح المؤمن -خاصة- عند نزول الفتن والبلايا والمحن، فأكثر -أخي الحبيب- من الدعاء -لا سيما- ما ثبت عن



شهر بن حوشب قال: قلت لأُم سلمة رضي الله عنها «يا أم المؤمنين ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ، إذا كان عندك؟»، قالت: كان أكثر دعائه: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^(١).
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرّف القلوب صرّف قلبي على طاعتك»^(٢).

- ٦- البحث عن صحبة طيبة صالحة تعين على طاعة الله.
- ٧- البعد عن كل صحبة سوء -ولو كانوا من الأقارب-.
- ٨- الاعتناء بالمحافظة على تدارس الوحيين، وفي مقدمتهم: كتاب الله تلاوة وحفظًا وتعلّمًا
- لمعانيه وتدبرًا لأحكامه فهو دواء القلوب العليّة، كذلك الإقبال على سنة رسول الله.
- ٩- المحافظة على الفرائض وما يتبعها من النوافل.
- ١٠- طلب العلم الشرعي وحضور مجالس الذكر والعلم.
- ١١- الاجتهاد في الكشف الإيماني الدوري على القلب: لمعرفة علامات مرض القلب
وشقاوته وأنه: لا تؤلمه جراحات القبائح، ويجد لذة في المعصية وراحة بعد عملها، أنه
يقدم الأدنى على الأعلى ويهتم بالتوافه على حساب معالي الأمور، يكره الحق ويضيق
به، يجد وحشة من الصالحين ويأنس بالعصاة المذنبين، يقبل الشبهة ويتأثر بها، يخاف
من غير الله تعالى، يتأثر بالفسق، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، يتعلق بغير الله.

(١) رواه الترمذي (٣٥٢٢) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٥٢٢)، وفي ظلال الجنة (٢٢٣).

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٤).



١٢- أما عن علامات صحة القلب وسلامته: فهو قلب حي يذكر صاحبه دومًا بالخير، لا يفتر عن ذكر ربه ولا يسأم من عبادته، إذا فاته ورده وجد لفواته ألمًا أشد من فوات ماله، يجد لذة في العبادة أكثر من لذة الطعام والشراب، إذا دخل في الصلاة ذهب غمه وهمه في الدنيا، يكون همه أن، وعمله في ذات الله، يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعًا من شح البخيل بماله، يكون اهتمامه بتصحيح العمل أكثر من اهتمامه بالعمل ذاته.

١٣- الخوف من الذنوب وتبعاتها إذ هي سبب سوء الخاتمة.

١٤- اطلب من إخوانك أن يتفقدوك، ويسألوا عنك: لأننا في زمان كفيل بتغيير أي قلب مهما كانت قوة ثبات قلب صاحبه^(١).

١٥- إذا وجدت من نفسك أو من أخيك أعراضًا حقيقية للانتكاس فاتبع الخطوات التالية:
أ- التثبت والتبين من حقيقة الأمر حتى لا تقع في شباك العجلة والتسرع، أو الخطأ في التشخيص الذي ينتج عنه إيذاء نفسي ومعنوي للنفس والغير.

ب- إصلاح النية قبل النصح بحيث لا يكون الهدف تتبع العورات أو التجسس.

ج- عدم الشماتة بالمنتكس، بل الرفق به، وحمد الله على نعمتي الهداية والثبات.

(١) وهذا أمر من الأهمية بمكان. فقد هاتفنا أختًا ممن كنت أغار من صلاحه وعطائه للدين.. فلمست في كلامه تهاوؤًا، وزارني أخ حبيب فإذا به يقول لي: أدركني فقد أصبحت أجمع صلواتي بعد أن كنت لا أقصر في نافلتي، ورأيت حبيبًا لم أره منذ زمن فرأيت في وجهه انطفاء لم أعهد لها من قبل فإذا به يقول لي: لقد زاد ترخصي في أمر الربا والنساء والحقوق، ولما نظرت في الأمر وجدت أن هذه الإشكالية تقود لأمرين:

١- ترك بعضنا لتربية نفسه حتى يلامس الأرض بلا حاجز من إيمان.

٢- انشغال المصلحين عن بعضهم حتى لم تعد تهدد قلوب بعضنا كلمات الأخوة المذكورة.



- د- سرعة المبادرة بالعلاج، واختيار وسيلة الاتصال المناسبة للمتكس لدعوته.
- هـ- الدعاء بظهر الغيب لهذا المتكس.
- و- استقصاء أسباب انتكاسه، بحيث لو كان عنده مشاكل تطرح له حلولاً لها، والإجابة عن أسئلته المقصورة والمفترضة، والإجابة عن شبهاته والاستعداد لها استعداداً جيداً، مه التهيؤ لمقابلته جيداً.
- ز- عدم الوقوع في عرضه، بل إخباره بأن الجميع معرض لذلك.
- ح- إشعاره بأنك محب له وحريص على هدايته والخير له، مع عدم التشديد عليه، واستمرار التواصل معه (مع اختيار الأسلوب والوقت المناسبين).
- ط- لا تتوقع أن يستجيب لك فوراً، وعليك بالعقاب الهادئ والنصيحة الصادقة، والبعد عن العنف والتجريح واللوم والعقاب.
- ي- بذل الجهد لرفع إيمانه، وفتح باب التوبة أمامه، وتذكيره بمحاسن الدين والاستقامة، وتذكيره بتأثره في الدعوة ومدى حاجة الإخوة المتدينين له ولصحبه، وفتح آفاق جديدة أمامه.
- ك- عدم المواجهة المباشرة مع المريي المباشر للأخ في المرة الأولى.
- ل- لا بد من الأخذ في الاعتبار أثناء ملاقة الأخ المتكس [مسألة العمر، مراعاة البيئة التي نشأ فيها، عمله ووظيفته].



ن- استقبله عند العودة لبيئة المتدينين استقبلاً عادياً بلا تكلف (كأنه موجود معهم)، مع عدم إحراجه بطرح أسئلة من قبل زملائه، والأفضل أن يكون اللقاء في أوقات الاستجمام أو الترويح عن النفس^(١).

١٦- قراءة الكتب النافعة والدوريات العلمية والدعوية الطيبة لا سيما التي عنيت بعلاج ظاهرة الانتكاس^(٢). بدلاً من قراءة بعض الصحف والمجلات والمتابعة الجنونية للمجريات ومواقع التواصل الاجتماعي.

١٧- غض البصر عن الحرام: ففيه راحة القلب وحلاوة الإيمان.

١٨- تذكر عداوة الشيطان لك في كل لحظة: فأغلق عليه كل منفذ يتسلل إليك منه.

١٩- اجتناب الخلافات العلمية أو الدعوية - وخاصة - التي قد تكون بين المشايخ والعلماء وطلبة العلم الكبار، إذ هذا ليس من شأن الملتزم الجديد، كذلك فإن هذه الخلافات قد تولد نفوراً لدى هذا الأخ الجديد، مما يدفعه إلى إساءة الظن بأشياخه وإخوانه من طلاب العلم، أو قد يترك الالتزام بالكلية.

(١) للتوسع يراجع: (المنهج في التعامل مع المنتكسين) للشيخ/ صالح العصيمي، من ص ١٠ إلى ص ٥٠.
(٢) ومن أفضل الكتب التي عالجت ظاهرة الانتكاسة وأسبابها وطرق علاجها كتاب: إلى الهدى اثنا، لفضيلة الشيخ: محمد حسين يعقوب - حفظه الله تعالى - ط. دار التقوى، وكتاب «المنهج في التعامل مع المنتكسين» تأليف أبي عبد الإله صالح بن مقبل العصيمي التميمي ط. دار التدمرية للنشر والتوزيع، «الفتور... أسبابه وعلاجه» للدكتور ناصر سليمان العمر، ط. مكتبة سلسبيل للنشر والتوزيع، ورسالة «أسباب الانتكاس» د/ عبد الرحمن العايد، ط. مدار الوطن للنشر، و«من أخبار المنتكسين» لأبي عبد الإله صالح بن مقبل العصيمي القصيمي، ط. دار تدمرية، فليراجع للأهمية.



* وأخيراً.. أخي.. اعذرني وسامحني!!

أخي وحببي في الله.. فهذه قد تكون كلمات قاسية، ولكنها صادقة، جاد بها قلبي قبل
قلمي شفقة عليك، وتذكيراً لك.. وأيضاً خوفاً عليك من نار وقودها الناس والحجارة،
لعلها أن توافق قلباً منشرحاً، وسمعاً متفتحاً فتصل إلى بغيتها.. والله أسأل أن يردنا وإياك
إلى درب الخير وجادة الصواب..



الفصل السابع

الالتزام فويا

احذر المرجفين المثبتين!!

أخي الملتزم.. إن طبيعة طريق الاستقامة والسير إلى الله طبيعة خاصة؛ فطريق الاستقامة ليس معبدا بالرياحين والورود بل على العكس قد تجد فيه بعض العوائق لأسباب كثيرة منها: كثرة الشبهات الشيطانية التي يلقيها شياطين الإنس والجن، احذر شياطين الإنس والجن من المرجفين والمثبتين، والذين يطلقون شبهاتهم الشيطانية ليلاً ونهاراً - خاصة - عبر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية..

واعلم -أخي الكريم- أنه يجب على المسلم الملتزم في زمان الفتن، أن يتعلم دينه من العلماء الثقات المتحققين بالعلم الشرعي، ثم أن يجتهد في دعوة الناس إلى الله تعالى، وأن يستمسك بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، ولو كان وحيداً فريداً وخالفه كل الخلق، كذلك ينبغي للأخ الملتزم أن يتفطن إلى أن الحق أبلج والباطل لجلج، وأن الحق لا يعرف بالرجال، فاحرص -أخي- على معرفة الحق بدليله لتعرف من هم أهله؟! من هم أهله؟!



* الالتزام شبهات وردود..

إن لأعداء الله العديد من الطرق والوسائل التي يحاولون بها التسلل إلى عقلك لسلب هويتك وسلخك من جذورك، ومن تلك الوسائل الحقيرة التي يحاولون تفعيلها في هذه العصور ما أطلق عليه: "حروب الجيل الرابع" عن طريق تجفيف منابع الحق والعمل المُنهَج على إثارة الشبهات والاغاليط والإكثار من الجدليات والمهاترات تنفيذاً



لمخططهم الموسوم والمعروف بتكسير الموجة، تلك الحروب تستهدف استئصال شأفة
الالتزام الصحيح من قلبك وعقلك وفكرك، كذا فإنهم يبذلون الغالي والرخيص ويضعون
في طريقك العقبات والعراقيل الكثيرة، لتكون هذه العراقيل بمثابة حجر العثرة أمامك في
طريقك للاستقامة بأوامر الله واجتناب نواهيه.

* شبهات شيطانية:

* ومن هذه الشبهات الفاسدة التي يطلقها شياطين الجن والإنس:

* والرد أنه لا شك أن هذه دعوى شيطانية باطلة، إذ إنها تنافي الإيمان.. والذي هو مطلق التصديق.. لأن المؤمن الحقيقي هو الذي يؤمن بما أنزله الله تعالى دون ريب أو شك، كذلك فإنه يؤمن إيمانًا صادقًا جازمًا بما ثبت عن نبينا ﷺ، وهذا الإيمان إنما ينبع من اليقين التام بصدق البلاغ يقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ

الشبهة الأولى: أنا لا
ألتزم بأي أمر من أمور
الدين إلا بعد الاقتناع
الكامل.

فَأَكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿[آل عمران: ٥٣].

فمثلاً: حينما أُسري برسول الله إلى المسجد الأقصى ثم حدث الناس بهذه المعجزة.. ماذا كانت ردود الفعل؟

والجواب: إنهم اختلفوا إلى فرقتين: الفريق الأول: وهم صناديد قریش: كذبوه، ولم يصدقوه، بل سخروا منه، واستهزؤوا به، بل وصل الأمر إلا أن أقوامًا كانوا قد أسلموا ولكن لم يستقر الإيمان في قلوبهم وعقولهم، فما كان منهم إلا أن ارتدوا عن الإسلام، لأن هذه المعجزة استحالت على عقولهم..



وأما الفريق الثاني: فكان في مقدمته «أبو بكر» رضي الله عنه حينما أخبره قومه بما قاله النبي ﷺ، فإذا به ﷺ يقول مباشرة دون تردد أو حيرة: «إِنْ كَانَ قَالَ فَقَدْ صَدَقَ».. وَلَمْ يَقُلْ كما يقول البعض: «دعوني أفكر، اتركوني لأقتنع بهذه المقالة»^(١).

إذن نتعلم من هذا أنه حينما نتلقى أمراً عن الله ورسوله، فلا بد وأن نقبل هذا الأمر من غير أدنى تردد، كذلك فإننا نتبع كافة أوامر الله ورسوله بكامل القبول والتسليم، ولا نفعل كما يفعل العقلانيون من أفراخ المعتزلة، ممن يخضعون النصوص الشرعية بحكمها وعللها للتحسين والتقييح العقلين، أبداً.. بل شعار كل مسلم متبع: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

أما أن نرد بعض النصوص الشرعية، أو أن نخضع النصوص الدينية المحكمة للقبول والرفض بحجة «الاقتناع» فهذا مسلك أهل الأهواء والبدع، ويؤيد هذا ما قاله أبو وائل، قال: «لما قَدِمَ سهل بن حنيف من صفين أتينا نستهخره فقال: «اتهموا الرأي، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله ﷺ أمره لرددت، والله ورسوله أعلم، وما

(١) زعم د/ أحمد شلبي الكثير من المزايم حول رحلة الإسراء والمعراج، ومن ذلك:

- قوله: أن الإسراء والمعراج قد التصقت بهما خرافات وأوهام.

* كذلك أنكر العديد من الأمور منها:

- ركوب النبي ﷺ على البراق، وصلاة النبي بالأنبياء في بيت المقدس، ووجود أنبياء في السماوات، وصعود النبي إلى السماوات مع جبريل واستفتاح جبريل لأبوابها، وأن قصة موسى مع النبي ﷺ من الإسرائيليات، [راجع الجزء الثالث من سلسلة «المكتبة الإسلامية المصورة لكل الأعمار»، ط. مكتبة النهضة بالقاهرة].

* وقد ردَّ على هذه المزايم الشيخ / محمود بن عبد الله بن حمود التويجري في كتابه «السراج الوهاج لمحو أباطيل الشلبي عن الإسراء والمعراج»، ط. مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م، وانظر: «الإسراء والمعراج»، تأليف: ابن حجر العسقلاني، والسيوطي.. جمع وتحقيق د/ محمد عبد الحكيم القاضي ص ٤٥، ٤٦، ٤٧، ط. دار الحديث، القاهرة.



وضعنا أسيفنا على عواتقنا لأمر يُفزعنا إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه، قبل هذا الأمر: ما نسُدُّ منها خصماً إلا تفجر علينا خصم ما ندرى كيف نأتي له^(١).

كذلك فإن الالتزام بأوامر الله عز وجل ورسوله أمر واجب لا خيار فيه، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فقضاء الله ورسوله لا اختيار ولا مفاصلة ولا مزايدة فيه، وسيأتى الآيات دالٌّ على أن الخطاب في الآية عام فهو موجه لكل من ارتضى لنفسه الإيمان.

لأجل هذا خلق الله تعالى الإنسان ووهب له عقله، وبيّن له طريقان: طريق الجنة وطريق النار، فطريق الجنة يكون بالطاعة، وطريق السعير يكون نتيجة للعصيان، ثم خيره ولم يسيره، لأن الإنسان مخير فيما له فيه اختيار، إذن فالإيمان -أخي الحبيب- هو الفصل في هذه القضية، وقد ربطت الآية المذكورة بين الإيمان وبين قبول الأمر، فالؤمن والمؤمنة لا يختاران على اختيار الله ورسوله، فهذه إذن قضية إيمانية بحتة، مهما تفلسف فيها المتفلسفون، وحاول تبريرها العاجزون، وقضية الاقتناع التي يطرحها هؤلاء هذه الأيام، قولٌ فيه جهل وغرور، فمن أين يأتي الاقتناع؟، هل سيأتي من بحث ودراسة وفهم دلالات آيات الله وحديث رسول الله؟، أم أن هؤلاء ينتظرون أن تُنزل عليهم آيات من السماء وأن يوحى إليهم فيترتب على ذلك اقتناعهم بأمر الله؟!

ثم أسألك -أخي الكريم- سؤالاً آخر فأقول: هل الوحي سواء كان كتاب الله [الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي تنزل من لدن حكيم خبير]، أو سنة رسول الله بحاجة إلى آراء هؤلاء الأقزام أحداث الأسنان سفهاء الأحلام من ذوى الجهل المركب؟!

(١) رواه البخاري ح (٢٥٨١)، ح (٣٩٥٣).



ألا يستحي هذا الإنسان وهو يرفض أوامر الله بحجة [أنه لم يقتنع بعد]؟!، ألا يستحي من خالقه، فيعلم أنها أوامرٌ مَنْ أوجده من العدم، وخالقه فأحسن خلقه، ورزقه من الطيبات؟!، ألا يستحي هذا العبد من ربه الذي وهبه العقل الذي يريد أن يستلهم منه اقتناع؟!.

* حَقًّا ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧].

والعجيب أن مثل هذا الإنسان تراه على الدوام فرحًا بعقله، مختلًا فخورًا بنفسه، يظن بذلك أنه غالبٌ على مشيئة الله تعالى، فيبين الله له مدى خطأه ويقول: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمن: ١-٦].

يا أيها الإنسان قبل أن توجد في هذه الدنيا، خلق ربك لك منهجًا يقوم حياتك، ويسهل دربك، ويسعدك في حياتك وآخرتك، ووهب لك العقل، فانظر أيها الإنسان في آيات الله الكونية في الشمس والقمر، لما جعل الله لهما نظامًا سيرهما فيه بأمره فلم يختل النظام، ولو أنه - سبحانه - تركهما والخيرة لهما لاختل النظام ولدمر الكون، وهكذا أنت إن كنت في طاعة سيدك ومولاك استقر نظامك ونظام الكون، وإن خرجت على أوامره خسرت وضاعت نفسك.

فقضاء الله وقضاء الرسول أمر واجب على الفور [لا جدال فيه]، ويلزم كل مسلم الالتزام بأوامر الله، بمجرد العلم بهذا الأمر، وفي الحياة المعاصرة نجد نماذج بشرية عجيبة، حيث إننا قد نجد مَنْ يمثل أوامر هي أقل قدسية من أوامر الله، فيلتزم بها أكثر من الالتزام بأوامر الله، ففي الجيش مثلاً يقولون له: أوقف عقلك، فبمجرد انضمامك لنا فعليك الطاعة العمياء، فيمثل الجنود لذلك جميعًا وإلا فالعقاب الشديد، فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبة توجب له الإتيان بما وَجَبَ عليه منه، وأن يكره ما كَرِهَهُ الله كراهةً توجب له الكفَّ عما حَرَّمَ الله عليه ومنه وتلك هي قيمة محبة الله ومحبة رسوله.

* الحجاج التي تهدم هذه الدعوى الفاسدة:



ثم أسوق لهؤلاء الحجة على كذبهم: فهم مثلاً يقرأون القرآن وكثيراً ما تُفتح السور بحروف مقطعة وهي كما قال [كثيرٌ من العلماء] -إن لم يكن كلهم- مما اختص الله به نفسه لتفسيرها، فهذا المدعى يقرأ آيات الله وتمر عليه هذه الآيات أو الحروف ولا يفهم معناها ولا يدرك غايتها وبالرغم من ذلك لم ينكرها، ولو أنكرها لأنكر شيئاً من الكتاب، ومن أنكر شيئاً من كتاب الله ولو حرفاً واحداً منه فقد كفر، قلت: فكيف تنكرون أوامر صريحة في القرآن وتدعون أنكم أصحاب يقين وإيمان، وترعمون زوراً وبهتاناً أنكم لا تلتزمون بالتكاليف الشرعية إلا بعد الاقتناع؟! وكلا الأمرين واحد: الحروف المقطعة من الكتاب والأوامر والنواهي من الكتاب.

وأسوق مثلاً آخر: يا من تدعون أنكم لا تمتثلون للتكاليف الشرعية إلا بعد الاقتناع، هل تنكرون الحج؟!، فإن لم تنكروا الحج فهل منكم من أحد يستطيع أن يبين لي لماذا أنهى عن تقديس الحجر والأوثان، وأمر بإهانة هذه الحجارة وتلك الأوثان؟!، ثم أؤمر بتقبيل الحجر الأسود -وهو حجرٌ كذلك- فإن لم أستطع أن أقبله أو ألمسه، أشر إليه من بعيد؟!، وأن أطوف حول الحجر -وهي الكعبة- سبع مرات فإذا حاذيت الركن اليماني استلمته وهو حجر، ثم أنتقل إلى السعي بين جبلين من الحجارة وهما «الصفاء والمروة» ثم أنتقل إلى عرفة ثم أقف على سفح حجر وهو جبل عرفة ثم أنقلب إلى رمي حجرٍ بحجرٍ وهو رمي الجمرات؟!، فأين الاقتناع وسط هذه المتناقضات العديدة في عبادة واحدة؟!

إن حلَّ كل هذا هو الاستسلام لأوامر المشرع الحكيم، كما فعل [عمر بن الخطاب] لما وقف أمام الحجر الأسود فقبَّله ثم قال: «إني أعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي يقبلك ما قبلتك»^(١)، فهذا دليل الإيمان بإطاعة الله وإطاعة رسوله^(٢).

(١) متفق عليه.

(٢) ينظر: «الإقناع لمن آخر الالتزام لحين الاقتناع»، تأليف: محمود المهدي، ص ١٤، ١٦، ٢١، ٢٢، ط. دار العقيدة بالإسكندرية.

الشبهة الثانية:

الدين يسر.

٢- من الشبهات التي يتذرع بها البعض ليبرر عدم التزامه بأحكام الإسلام في هذا الزمان قولهم: «الدين يسر».. فَمَنْ الناس مَنْ إذا بلغه حكمٌ لا يتفق مع هواه يتنصل من الالتزام به بحجة أن «الدين يسر».. ويسوق

الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة، فنقول له: إن معنى العبارة «الدين يسر»^(١): أن أحكام الدين التي تثبت بالكتاب والسنة الصحيحة أحكامٌ سهلة ميسرة تدور في مقدور البشر -إذ لا تكليف إلا بمقدور- هذه التكاليف أنزلها خالق البشر [وهو أعلم بهم وبما يصلحهم في دنياهم ومعادهم]، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

كذلك فإنه من المعلوم أن شرع الله عز وجل يهدف إلى تحقيق السعادة المطلقة للإنسان في كل من دنياه وآخرته، لذلك جاء بالتيشير على العباد ورفع الحرج عنهم فقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

كذلك فإنه قد ثَبَّتَ في السنة النبوية أدلة كثيرة صريحة صحيحة تدل دلالة واضحة على ضرورة التزام مبدأ التخفيف واليسير على الناس.. ومن ذلك:

- ما ثبت عن نبينا: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا بالهدوء والروحة وشيء من الدلجة»^(٢)...

(١) إن معنى عبارة الدين يسر: اليسر: نقيض العسر، وهو في الإسلام الالتزام بأحكام هذا الدين كما أرادها رب العالمين، ثم التعامل مع هذه الأحكام وتلك التشريعات وفق منهج اليسر الذي تنبئ معاملة من خلال المنهج النبوي الكريم (يراجع: خصائص الشريعة الإسلامية / د/ عمر سليمان الأشقر ص ٧٠ ، ط. مكتبة الفلاح الكويت، ومظاهر التيسير في الشريعة الإسلامية أ / جمال جودة أبو المعاطي ص ٧، ط. جامعة الأزهر القاهرة ١٩٧٥).

(٢) رواه البخاري (٥٦٧٣).



- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»^(١).

- و«كان ﷺ إذا خيّر بين أمرين اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه»^(٢).

قال الشاطبي - رحمه الله -: والأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع^(٣).
ويضاف إلى ما سبق ما ثبت من مشروعية الرخص وهو أمر مقطوع به، ثم إجماع علماء الأمة على عدم وقوع المشقة غير المألوفة في التكاليف الشرعية..

ونخلص من كل ما ذكرنا أن الشارع لا يقصد أبداً إعانات المكلفين أو تكليفهم ما لا تطيقه أنفسهم، فكل ما ثبت أنه تكليف من الله للعباد فهو داخل في مقدورهم وطاقاتهم..

ولقد راعى الشرع الحنيف مصالح الناس وظروفهم إلى حد أن [الحرام] قد يُباح في حالة الضرورة الشرعية، بل وأسقط الواجبات بالأعذار مثل: عذر المرض أو السفر أو الإكراه أو النسيان أو الجهل..

واعتماداً على ما ثبت في شرع الله - جل وعلا- من اليسر ورفع الحرج، وضع الفقهاء عدة قواعد كلية منها «المشقة تجلب التيسير»^(٤)، ولهذه القاعدة الكلية الكبرى أدلة كثيرة من الكتاب

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) يراجع: الموافقات، للإمام الشاطبي، (١/ ٣٤٠).



الكتاب العزيز، ومن السنة المطهرة، وعمومات الشريعة النافية للخرج^(١)، ومشروعية الرخص^(٢)، والإجماع الدال على عدم التكليف بالشاق من الأعمال، وهي تلك الأدلة التي تشير إلى أن الشارع الحكيم لم يقصد إلى التكليف بالشاق والإعنات فيه، وتبين أن أصل الشريعة مبني على السهاحة واليسر دون الإعنات والعسر^(٣).

وكان ذلك كذلك لأن من الأحكام ما ينشأ عن تطبيقها حرج على المكلف ومشقة تصيبه في نفسه أو ماله، أو ضرورة من ضرورياته بسبب مرض أو فقر أو ظرف خاص طارئ، فالشريعة جاءت رحمة بالمكلف، تخفف هذه الأحكام وتبدلها بما يقع تحت قدرة المكلف تيسيرًا عليه ودفعًا للإحراج والتضييق والتشديد^(٤).

(١) للتوسع حول فهم هذه القاعدة وضوابطها التي قررها العلماء، يرجى مراجعة كتاب القواعد الفقهية، قاعدة المشقة تجلب التيسير أ. د/ يعقوب باحسين، ط. مكتبة الرشد، والتحرير في قاعدة جلب التيسير لعامر سعيد، ط. ابن حزم.

(٢) الحرج في اصطلاح الأصوليين: ما فيه مشقة فوق المعتاد، وهو شامل لكل ما يشق على أفراد الأمة مما يترتب عليه فوات مصلحة مشروعة دينية أو دنيوية أو تقصير في أداء الواجبات واستيفاء الحقوق الأساسية بالنسبة للفرد والمجتمع، ويكون رفع الحرج برفع التكليف من أصله أو بتخفيفه أو بالتخيير فيه أو بأن يجعل له مخرج. (يراجع: الموافقات، للإمام الشاطبي، (١٥٩/٢)، ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية د/ صالح بن حميد، ص ٤٤-٤٦ ط. مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، والرخصة الشرعية في الأصول والقواعد الفقهية، د/ عمر عبد الله كامل ص ٤٣-٥٠، ط. المكتبة المكية، مكة المكرمة، والرخص الشرعية أحكامها وضوابطها، أسامة محمد الصلاحي ص ٣٦-٤٥ ط. دار الإيهان بالإسكندرية).

(٣) والرخصة هي: اليسر والسهولة، وهي في اصطلاح الأصوليين: ما شرع لعذر شاق كاستثناء من أصل كلي يقتضي المنع مع الاقتصاد على مواضع الحاجة فيه (وللتوسع حول ضوابط تعريفات الأصوليين لمصطلح الرخصة، راجع: الرخصة الشرعية في الأصول والقواعد الفقهية د/ عمر عبد الله كامل، ص ٤٣-٥٠).

(٤) ينظر: الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، للشيخ. د/ محمد صدقي بن أحمد البورنو، ص ٢١٨، ٢١٩، ط. مؤسسة الرسالة.

(٥) المصدر السابق ص ٢١٩.

- ولكن هل كل مشقة يتعرض لها المكلف توجب التيسير^(١)؟!

والجواب: إن المشاق التي يتعرض لها المكلف تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: مشقة في الحدود العادية، وهي المشقة التي لا تنفك عنها العبادة غالباً، ويستلزمها أداء الواجبات والقيام بالمساعي التي تقتضيها الحياة الصالحة، كما لا يمكن انفكاك التكاليف المشروعة عنها، لأن كل واجب لا يخلو عن مشقة [كمشقة العمل واكتساب المعيشة، ومشقة البرد في الوضوء والغسل، ومشقة الصوم في شدة الحر وطول النهار، ومشقة السفر التي لا انفكاك للحج والجهاد عنها، ومشقة ألم الحدود ورجم الزناة، وقتل الجناة وقتال البغاة في حال الصحة والقدرة]، فهذه المشقة لا أثر لها في إسقاط العبادات في كل الأوقات، لأن لكل تكليف منها نوع مشقة تستلزمها طبيعته، وتختلف بحسبه درجته، وهذا لا ينافي التكليف ولا يوجب التخفيف؛ لأن التخفيف فيه حينئذٍ إهمال وتفريط.

- فأحوال الإنسان كلها كلفة في هذه الدار، ويرحم الله ابن القيم إذ يقول: «إن كانت المشقة مشقة تعب، فمصالح الدنيا والآخرة منوطة بالتعب، ولا راحة لمن لا تعب له، بل على قدر التعب تكون الراحة»^(٢).

(١) المشقة عن الأصوليين تطلق على أمرين، الأول: أن يكون عامّاً في المقدور عليه، وغير المقدور عليه كتكليف ما لا يُطاق، فإنه يسمى مشقة، الثاني: أن يكون ذلك الأمر خاصّاً بالمقدور عليه إلا أن نوع المشقة الموجودة فيه خارج عن المعتاد في الأعمال العادية وهذا على ضربين: (١) أن تكون المشقة فيه مختصة بأعيان الأفعال المكلف بها. (٢) ألا تكون المشقة مختصة بالأفعال المكلف بها، يُراجع: الموافقات ٢ / ١١٩، ١٥٨، والفروق للإمام القرافي ١ / ١١٩ ط. دار السلام بمصر، وأصول الفقه للشيخ محمد أبي زهرة ص ٣١٦، ط. دار الفكر العربي مصر، وللتوسع راجع كتاب رفع الحرج للدكتور صالح بن حميد ص ٢٩، ٤١.

(٢) أعلام الموقعين، (١١٢/٢).



- ولقد جعل الله للإنسان القدرة على أداء هذه التكاليف بحيث تكون تلك التصرفات تحت قهره، لا أن يكون هو تحت قهر التصرفات، فكذلك التكاليف، ولقد رأينا بالدليل أن الشارع لم يقصد إلى التكليف بالشاق والإعنات فيه..^(١)

النوع الثاني: وهو ثلاث مراتب:-

الأولى: مشقة عظيمة فادحة تتجاوز الحدود العادية والطاقة البشرية السوية، كما إذا كان العمل يؤدي الدوام عليه إلى الانقطاع عنه أو عن بعضه، أو يؤدي إلى خلل في صاحبه في نفوسه وماله، كمشقة الخوف على النفوس والأطراف ومنافع الأعضاء، فالمشقة هنا خارجة عن المعتاد وموجبة للتخفيف والترخيص قطعاً، لأن حفظ النفوس والأطراف لإقامة مصالح الدين أولى من تعريضها للفوات في عبادة أو عبادات..

- ومن أمثلة ذلك: الخوف من الاغتسال للجنبانة من شدة البرد، بأن لا يجد مكاناً يؤويه، ولا ثوباً يتدفأ به، ولا ماءً مسخنًا ولا حمامًا، فجاز له التيمم.. وهكذا..

المرتبة الثانية: مشقة خفية، كأدنى وجع في إصبع، أو أدنى صداع في الرأس، أو سوء مزاج خفيف، فهذا وأمثاله لا أثر له ولا التفات إليه، لأن تحصيل مصالح العبادات أولى من دفع مثل هذه المفسدة التي لا أثر لها.

المرتبة الثالثة: متوسطة بين هاتين، فما دنا من المرتبة العليا أوجب التخفيف، أو من المرتبة الدنيا لم يوجبه، [كحمى خفيفة، أو وجع ضرر يسير، وذلك كمريض في رمضان يخاف من الصوم زيادة مرض أو بقاء البرء أو تأخير، فيجوز له الفطر إذا غلبَ على ظنه ذلك]، وهكذا في المرض المبيح للتيمم، واعتبروا في الحج الزاد والراحلة المناسبين للشخص، حتى قالوا: يعتبر في حق كل إنسان ما يصح معه بدنه^(٢).

(١) للتوسع يراجع: (الأشباه والنظائر) لابن نجيم - رحمه الله -، ص ٨٢، ط. دار الكتب العلمية، وكتاب الموافقات للإمام الشاطبي (١١٩/٢)، ط. دار المعرفة ببيروت.

(٢) للتوسع راجع كتاب: الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، ص ٢٢٥.



- وهذه القواعد الكلية الكبرى المستنبطة من الأدلة الشرعية، والمذكورة سالفًا، فَرَعَ عليها الفقهاء فروغًا كثيرة، فتحت قاعدة «المشقة تجلب التيسير» ستجد قواعد كلية فرعية مثل: «إذا ضاق الأمر اتسع»، و «الميسور لا يسقط بالمعسور»، و «الضرورات تبيح المحظورات..» وتقدر بقدرها» وهي -أي هذه القاعدة- في الترخص للاضطرار^(١)، وغيرها من القواعد الفقهية الفرعية على هذه القاعدة الكلية.

(١) ابتداءً معني هذه القاعدة: «أن الممنوع شرعًا قد يُباح عند الحاجة الشديدة -وهي الضرورة-، ولقد شاع استخدام هذه القاعدة في غير محلها، لذلك يجب أن تعلم -أخي الكريم- أن هذه القاعدة تتعلق بالرخص الشرعية..، ستقول: وما هي أنواع الرخص التي تتخرج على قاعدة «الضرورة»؟ والجواب: النوع الأول: يفيدُ إباحة المرخص به -أي تغيير حكم الفعل ووصفه- ما دامت حالة الضرورة قائمة، وذلك: كأكل الميتة للمضطر بقدر دفع الهلاك عند المجاعة، وأكل لحم الخنزير، وإساعة اللقمة عن الغصة بالخمر، أو عند العطش، أو عند الإكراه التام أو الناقص، فإن هذه الأشياء تباح عند الاضطرار لقوله تعالى: ﴿لَا مَا أَصْطَرَّتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]، أي [دعتكم شدة الحاجة لأكلها، والاستثناء من التحريم إباحة كما هو معلوم].
- وكما رأينا فإن الاضطرار كما يتحقق بالمجاعة يتحقق أيضًا بالإكراه التام، فيباح التناول -وقد يصبح واجبًا- ويجرم الامتناع حتى لو امتنع حتى مات أو قتل كان آثمًا، لأنه بامتناعه صار ملقيًا بنفسه إلى التهلكة وقد نهى عن ذلك.

- وأما إن الإكراه ناقصًا كحبس أو ضرب لا يخاف منه التلف، فلا يحل له أن يفعل..
النوع الثاني: نوع من الرخص لا تسقط حرمة بحال أي أن الفعل يبقى حرامًا لكن رُخِّص في الإقدام عليه لحالة الضرورة، كإتلاف مال المسلم، أو القذف في عرضه، أو إجراء كلمة الكفر على لسانه مع اطمئنان القلب بالإيمان -إذا كان الإكراه تامًا- فهذه الأفعال في نفسها محرمة مع ثبوت الرخصة، فأثر الرخصة في تغيير حكم الفعل وهو المؤاخذه فقط -لا في تغيير وصفه- أي حرمة والامتناع عن الفعل في هذا النوع أفضل حتى لو امتنع فقتل كان مأجورًا.

النوع الثالث: أفعال لا تباح بحال ولا يرخص فيها أصلًا لا بالإكراه التام ولا غيره، [كقتل المسلم، أو قطع عضو منه أو الزنا، أو ضرب الوالدين أو أحدهما]، فهذه الأفعال لا يباح الإقدام عليها ولا ترتفع المؤاخذه ولا الإثم، ولو فعل مع الإكراه، لأنه قد تعارض هنا مفسدتان روعي أشدهما بارتكاب أخفهما: فقتل المسلم أشد من تهديده بالقتل، ولو قُتل في هذه الحالة كان مأجورًا ولو قُتل كان ظالمًا.. لكن لو قُتل في هذه الحال هل يُقتص منه أو من



- وعلى هذا فإن قولهم «الدين يسر»، أو الاحتجاج بقاعدة «المشقة تجلب التيسير» وغيرها من القواعد الفقهية لابد وأن توجه الوجهة الصحيحة، لا أن تتخذ مثل هذه القواعد الكلية ذريعة لترك الالتزام بالشرع أو هجر بعض أحكامه.

- ولتعلم -أخي الكريم- أنه ليس في التيسير الذي شرعه الله -سبحانه وتعالى- في مقابلة عزائم أحكامه ما يخل بالوفاق مع ضوابط المصلحة الشرعية المعتمدة^(١)، ومعلوم أنه لا يجوز

المكره أو من كليهما؟، خلاف بين الفقهاء، [بيننا لو زنا تحت الإكراه التام فإنه يسقط عنه الحد للشبهة، لكن لا يرفع الإثم].

- وعلى هذا: فالضرورة في النوع الأول: ترفع حكم الفعل وصفته، فالفاعل لا يؤاخذ ولا يأثم، لأن الفعل أصبح مباحاً لواجباً كما رأينا، لكن لو اضطر لأكل مال الغير فعليه ضمانه، لأن الاضطرار لا يُبطل حق الغير [كما سبق].
- والنوع الثاني: ترفع الضرورة فيه المؤاخذه فقط فالفاعل لا يأثم، لكن لا ترفع الضرورة صفة الفعل ولا الضمان، إذ يبقى الفعل حراماً.

- والنوع الثالث: لا ترفع الضرورة فيه المؤاخذه ولا الصفة ولا الضمان ولكن يُدرأ الحد بالشبهة.
- وبناء على ذلك: فهذه القاعدة لا تتناول النوع الأخير، لأنه لا يُباح بحال من الأحوال، فهو مستثنى من هذه القاعدة، ولكن يذكر هنا لبيان خروجه حتى لا يلتبس بالنوعين الأولين، ولأن بعض فروعه ومسائله وقع فيها الخلاف بين الفقهاء.

- فالقاعدة: إنما تتناول النوع الأول مع ثبوت إباحته، والنوع الثاني: مع بقاء حرمة والترخيص إنما هو في رفع الإثم [كنظر الطبيب إلى ما لا يجوز انكشافه شرعاً من مريض أو جريح، فإنه ترخيص في رفع الإثم لا الحرمة، وكالاضطرار لأكل مال الغير عند المخمصة، فإنه لا يسقط حرمة الغير بل يسقط الإثم، ويجب عليه ضمانه أو الاستحلال من صاحبه].

(١) المصلحة هي المنفعة التي قصدها الشارع الحكيم لعباده من حفظ دينهم، ونفوسهم، وعقولهم، ونسلهم وأموالهم، وهي بمثابة الوسائل إلى الصلاح والنفع، وحتى تكون المصلحة مصلحة شرعية معتبرة لابد لها من عدة ضوابط:
١- اندراجها تحت مقاصد الشرع وهي «حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال» فكل ما يحفظ هذه الأصول الخمسة هو مصلحة، وكل ما يُفوّت هذه الأصول أو بعضها فهو مفسدة.

٢- عدم معارضتها للقرآن الكريم، فإذا عارضته فلا اعتبار بها، لأن معرفة مقاصد الشريعة إنما تتم استناداً إلى الأحكام الشرعية المنبثقة من أدلتها التفصيلية، والأدلة كلها راجعة إلى الكتاب العزيز، فلو عارضت المصلحة كتاب الله لا

=



الاستزادة في التخفيف على ما ورد به النص.. فلا يقال مثلاً: إن مشقة التزام الحجاب في بعض المجتمعات تقتضي أن يُباح للمرأة التبرج مثلاً بدعوى [عموم البلوى به]، أو أن يقال: إنَّ مشقة التحرز عن الربا تقتضي جواز التعامل به^(١)، لأن المشقة والخرج إنما يعتبران موضعاً لا نص فيه، وإما النص بخلافه فلا يجوز التخفيف بالمشقة^(٢).

تستلزم ذلك أن يعارض المدلول دليله وهو باطل، وقد قال تعالى: {فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم} [المائدة: ٤٩].

٣- عدم معارضتها للسنة وإلا اعتبرت رأياً مذموماً، وقد تواتر عن الصحابة رضي الله عنهم توصيهم باجتناّب الرأي في الدين، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «إياكم وأصحاب الرأي أعداء السنن، أعتيهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلت منهم أن يعوها واستحيوا حين سُئلوا أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم، فإياكم وإياهم».

٤- عدم معارضة القياس الصحيح.

٥- عدم تفويتها مصلحة أهم منها أو مساوية لها.

وبعد معرفة هذه الضوابط للمصلحة الشرعية المتبعة، فإننا بذلك نستطيع التمييز بين المصلحة الشرعية المتبعة الصحيحة، وبين المصلحة المتوهمة غير المتبعة. يُنظر: المستصفى للغزالي المجلد الأول ص ٢٨٤ - ٢٨٧، ط. الأميرية، وقواعد الاحكام في مصالح الانام للإمام العز بن عبد السلام ١ / ٩ ط. المكتبة الحسينية، والموافقات للشاطبي ٢ / ٢٥ - ٢٧، والاعتصام للشاطبي ٢ / ٣٠٧، ٣١٤ ط. المنار، والمصلحة في التشريع الإسلامي، د/ مصطفى زيد عناية د/ محمد يسري ص ٤٨، ٦٤، ٦٥

(١) ومن العجائب: أن كثيراً من الناس في أزماننا -خاصة الشباب- قد يقع الواحد منهم في فعل الحرام متعمداً، فإذا نصح ودكّر احتج بقواعد رفع الحرج كقاعدة «الضرورات تبيح المحظورات» حتى إنني سمعت بعض شباب الجامعات المختلطة يبيح لنفسه «ارتكاب العادة السرية» من غير ضرورة شرعية ملحة بحجة «ارتكاب أخف الضررين» و«الضرورات تبيح المحظورات»، وبعضهم يبيح لنفسه «شرب النارجيلة» وبعض المخدرات «بحجة أن الدين يسر، بل قد وصل الأمر لبعض المتسبين للدعوة -زوراً وهتافاً- أنهم قد أباحوا للشباب الخلوة بالنساء ومخالطتهن بحجة «دعوتهن»، ويزعمون أن هذه هي مصلحة الدعوة، وأتينا في عصر غير عصر الرسول وصحابته والسلف الكرام، ثم يتذرعون بقاعدة «الضرورات تبيح المحظورات»، فإننا لله وإنا إليه راجعون!!!

(٢) ينظر: الأشباه والنظائر (١/ ١١٧).



- لذا فإن من يتذرعون بأن «الدين يسر»، ثم يحتج الواحد منهم بقواعد رفع الحرج في التشريع على تقصيره في الأوامر الشرعية، وجرأته على محارم الله تعالى، فإنه لا فقه له، فالدين الذي هو يسر هو الدين الذي أنزله الله على رسوله متضمنًا الأوامر والنواهي، وليس هذا الدين الذي يصفه كل فرد لنفسه متعللاً بأن الدين يسر^(١).

(١) ومن ضوابط التيسير في الإسلام:

- (١) أن يكون التيسير ثابتاً بالكتاب والسنة والإجماع وليس بالهوى والتشهي واستحسان العباد.
 - (٢) عدم مجاوزة النص في الأخذ بالتيسير.
 - (٣) ألا يعارض التيسير نصاً للكتاب والسنة لأنه لا اجتهاد مع النص.
 - (٤) أن يكون التيسير مقيداً بمقاصد الشريعة.
- للتوسع: يُنظر الأشباه والنظائر ١/ ١١٧، والضوابط الشرعية للأخذ بأيسر المذاهب د/ وهبة زحيلي ص ٥٣ ط. دار المنارة جدة، وهناك كتاب منهج التيسير المعاصر د/ عبدالله بن إبراهيم الطويل، ص ٥٨ ط. دار الفضيلة.
- يراجع بحث: استجيبوا لربكم ص ٤٥، ط. دار البشير للثقافة والعلوم، كذا ننصح بمراجعة بحث «رفع الحرج في الشريعة الإسلامية»، د/ عدنان محمد جمعة، [فهو بحث رائع ممتع في بابه].



الشبهة الثالثة:
أَتَّبِعُ رَوْحَ النصوص
فقط.

من الناس من يقول على الله عز وجل بغير علم، فإذا بلغه نص شرعي فيه تكليف بإتيان أمر أو اجتناب نهي تنصل منه بحجة أنه ينبغي أن نتبع روح الشريعة ومقاصدها لا نصوصها، حتى نواكب الزمان ونساير العصر الذي نحن فيه، ثم تراه يحتاج قائلاً: إن الإسلام دين السباحة، وبما أن الإسلام دين السباحة فلنأخذ منه ما نشاء، ولندع ما نشاء مما لا يتوافق مع عصرنا الحاضر، (وهذه مقتضيات «تجديد الخطاب الديني»^(١)...) إلى آخر هذه المزاعم التي يتوصلون بها إلى التحرر من تكاليف الدين، والخوض في أهوائهم وشهواتهم دون أن يردعهم رادع، وهم بذلك يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون.

* والجواب على هذه الشبهة من وجوه:

(١) كلمة (تجديد الخطاب الديني) كلمة حق أريد بها باطل، فالمقصود الصحيح لـ (تجديد الخطاب الإسلامي) هو جعل مستواه مواكباً لذوق وفهم المخاطبين به في زماننا المعاصر، بمعنى (الاهتمام بصياغة الخطاب ولغته ليتم إيصال المضمون الأصيل للإسلام بسهولة ويسر، لكن الإعلام قد طرح مصطلح (تجديد الخطاب الديني) كدلالة على تحديث المضمون الديني، بمعنى تقديم مفاهيم حديثة وربما حديثة (علمانية) للإسلام!! - وقد تمّ وضع تلك المفاهيم الحديثة في صيغ ومفاهيم جديدة مبهرة - وإن لم يكن قد استقر بعضها على معنى واضح - ترتاح وتأنس لصياغتها الجاهير، وذلك بعد رفضها المصطلحات والتراكيب التقليدية التي كان يعرض الدين من خلالها - وتراه تلك الجاهير - عرضاً مملاً للعقل، وهذه الدعوى يروج لها داخل الجامعات المصرية حيث يوزع على الطلاب كتيب مجاني بعنوان «مفاهيم يجب أن تصحح» إعداد د/ عبد الله مبروك، ط. وزارة الأوقاف المصرية.



أولاً: الأصل أن العبد المسلم متعبدٌ لله - تعالى - بالنص الشرعي الثابت (بمنطوقه ومفهومه)، والتكليف الشرعي لا يتحقق إلا إذا تعرف المكلف على مقاصد الشرع التي يضمنها باعتباره دلالات ألفاظ وإرادة مشرع وإرادة مكلف وغايات مطلوبة التحقيق.

- ومراعاة القصد الشرعي أمر من الأهمية بمكان لحل كثير من الإشكالات الدلالية - خاصةً - عند وجود تعارض في ظاهر النصوص، فكان الرجوع إلى مقصد الشارع من الحكم عاملاً حاسماً في دفع التعارض وتحديد المعنى الشرعي المقصود بدقة، واستخلاص مقتضيات التكليف الشرعي من خلال المعاني التي تحتلها ألفاظ النص الشرعي.

* المقاصد تنقسم إلى أنواع: منها: (المقاصد الإرادية)^(١)، والمقاصد الغائية^(٢).

- وهذه المقاصد هي بمثابة الغايات المصلحية التي جاءت بها النصوص الشرعية لكي تحقق التوازن مع أفعال المكلفين بالجلب أو الدفع فالتصوص الشرعية بأكملها -

(١) المقصود بمصطلح "مقاصد الشريعة" الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها، وهي شريعتنا الإسلامية كلها تدل على المقاصد السامية للإسلام، فلا تخلو صفحة من صفحات القرآن والسنة إلا وتدل على المقاصد تصرّيحاً أو تضيماً ولعل المقاصد الرئيسة التي عناها الشارع الحكيم في شرعنا، هي مقاصد حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ الناس، وحفظ المال، وللمقاصد أقسام باعتبار رتبها: كالمقاصد الضرورية، والحاجية والتحسينية، ومنها أقسام باعتبار الزمن، كالمقاصد العاجلة أو الآجلة .. إلى غير ذلك، ولها أقسام باعتبار الغاية كل مقاصد الغائية والمقاصد الوسائل، ولها أقسام باعتبار الكلية والجزئية كالمقاصد الكلية العمة والمقاصد الجزئية الخاصة، ولمعرفة ذلك بشكل تفصيلي، يُرجى مراجعة الموافقات للشاطبي، ٢ / ص ١٢-١٣، والإحكام في أصول الأحكام للإمام الآمدي، ١/٣، ط. محمد علي صبيح، والمستصفي للإمام الغزالي ٢/ ٤٨٢، ومقاصد الشريعة الإسلامية الشيخ محمد طاهر بن عاشور ص ١٧٤ - ١٨٨ ط. دار النفائس بالأردن، ومقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها للشيخ علّال الفارسي، ص ٣ ط. مكتبة الوحدة العربية للتوسع، يراجع (شرح المقاصد) للشيخ مسعود بن عمر بن عبد الله [الشهير بالفتازاني] تحقيق: عبد الرحمن عميرة (٢/ ٣٣٨)، ط. عالم الكتب، و[شفاء العليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل] لأبي حامد الغزالي ص ٢٨٠، ط. مطبعة الإرشاد، بغداد.

(٢) يراجع [شفاء العليل للإمام ابن القيم ص ١٩٠، ط. المكتبة الإسلامية (الموافقات) (٢/ ٣٧)].



ليست أحكامها فقط - وضعت من أجل غايات متعلقة بمصالح المكلف، والمكلف لا يحقق مصالحه إلا بجلبها ودفع نقائصها وهي المفسد، وهذا الفعل التكليفي يحقق حركة مقصدية في الحياة الإنسانية ومتغيراتها، ويكشف أهمية الاجتهاد العقلي في النص الشرعي لاستخلاص الحكم والمعاني العميقة له (فهمًا واستنباطًا وتنزيلًا).

- وعليه.. فوظيفة (الفكر المقاصدي) بيان النص الشرعي وتنزيله في واقع المكلفين، وهذا يحتاج إلى فهم الشرع وتأويل ما يحتاج إلى التأويل الصحيح فيه (بأدوات الفهم المعروفة عند الأصوليين)^(١)، وهناك كتب عنيت ببيان أهمية مقاصد الشريعة وحقيقة غاياتها ككتاب [مقاصد الشريعة] للطاهر بن عاشور، ط. المطبعة الفنية- تونس، وكتاب [قواعد الأحكام في مصالح الأنام] للإمام أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، ط. دار المعرفة.

ثانيًا: لا تردد كالبيغاء ما يتداوله العلمانيون في خطابهم (دون فهم أهدافه ومقاصده)، فهؤلاء يقولون: لا بد من تفعيل [روح النص ومقاصده]، والسعي لتحقيق [المغزى والجوهر والروح والضمير والوجدان الإسلامي]، وهي كلمات حق يراد بها باطل حيث يهدف هؤلاء إلى استئناس الضمير الإسلامي تمهيدًا لتحذير الوعي الإسلامي عند المسلمين^(٢)، مما يسهّل لهم التلاعب بالشرع المطهر بهذه اللافتات الجذابة.

(١) للتوسع راجع (مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي) للأستاذ عبد الرحمن العضاوي ص ٤٠، ط. مركز نداء للبحوث والدراسات..

(٢) معرفة مقاصد الشريعة الإسلامية مفيدة، بل قد تكون ضرورية لكل مكلفين لكن بحسب ما يفيد، فهي من الأهمية بمكان بالنسبة للمجتهدين والقضاة والحكام خاصة في توجيه الفتاوى وتغييرها حسب الظروف مع الإبقاء على مقاصد الشريعة، كذلك فهي مهمة بالنسبة لطلاب العلم الشرعي والدعاة والمربين، وهي نافعة لعوام المسلمين، حيث إن معرفة تلك المقاصد الشريفة تعطي المسلم مناعة كافية، خاصة في الوقت الحاضر ضد الغزوات الفكرية والتيارات المستوردة والمبادئ البراقة والدعوات الهدامة، والتي يتستر أصحابها وراء دعايات كاذبة وشعارات خادعة ويبدلون جهدهم لإخفاء محاسن الشريعة وتشويه الملتزمين بالاطلاء الخادع والمكر المكشوف،



- لهذا تراهم دومًا يقولون: [إن الشريعة مبناها على مراعاة المصالح ودرء المفاسد وتحقيق المقاصد الكلية العليا، فإذا كان فهم نص جزئي يناقض المصلحة أو يستوجب المفسدة أو يضاد مقاصد الشريعة فإنه لا يصح التسليم له، إذ التسليم للمقاصد والكليات أولى من التسليم للفروع والجزئيات، بل الخضوع لروح الشريعة ومقاصدها العليا في الواقع مقدم على الأخذ ببعض النصوص التفصيلية]، ثم تراهم يعتمدون في ذلك على [تقارير ابن حزم والشاطبي]، وتنظيرات [الطوفي] المصلحية، وتوظيف بعض اجتهادات [عمر ابن الخطاب] وغيره.

هدفهم من هذا كله [نسخ النصوص المحكمة وتخصيصها بدعوى المصلحة، وتعطيل الشريعة باسم الشريعة] أو باسم «المنهجية الحداثية المعاصرة لفهم نصوص الشريعة ومقاصدها».

- وهم في هذا كله يعتمدون منهج التعميم والتلفيق والمغالطة والارتجال ليصلوا إلى بغيتهم من هدم النصوص بشكل مرحلي فيبدؤون بالدعوة إلى قراءة المقاصد، ثم قراءة النصوص قراءة حديثة، ثم يترعمون خطة «أنسنة النص»، ثم «عقلنة النص»، ثم «أرخنة النص»، ثم «إلغاء النص»^(١).

- لهذا نرجو الانتباه لهذه الدعوات التي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب.

يراجع: مقاصد الشريعة الإسلامية تأصيلًا وتفعيلًا د/ محمد بكر إسماعيل حبيب ص ٩٢-١٠٢، ط. دار الطيبة الخضراء مكة المكرمة.

(١) لمعرفة الردود التفصيلية على تلك الدعوى راجع [ينبوع الغواية الفكرية] للشيخ/ عبد الله بن صالح العجيوي من ص ٢٩٢ إلى ص ٤٤٩، ط. مركز البيان، وبحث «المقاصد والمناورة العلمية» د/ أحمد إدريس الطعان [وهو منشور على الإنترنت].



الشبهة الرابعة: الأعمال بالنيات.

* كثير من الناس يحتجون على انحرافهم عن القيام بفرائض الإسلام بحديث أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(١).

والحقيقة أن هذا الحديث من الأحاديث المهمة التي عليها مدار الإسلام، فهو أصل في الدين وعليه تدور غالب أحكامه، وهذا واضح جلي في كلام أهل العلم^(٢). حيث إن من العلماء مَنْ جعل حديث «النية» ثلث الإسلام، ومنهم مَنْ جعله نصف الإسلام، ومنهم مَنْ جعله رבעه^(٣)، قال الشافعي -رحمه الله تعالى-: «هذا الحديث ثلث العلم، ويدخل في سبعين باباً من الفقه»^(٤)، وقال الإمام أحمد: «أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث: حديث عمر «إنما الأعمال بالنيات»، وحديث عائشة «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وحديث النعمان بن البشير «الحلال بين والحرام بين».

-
- (١) متفق عليه، رواه البخاري (٦٩٥٣) ومسلم (١٩٠٧)، وراجع باقي ألفاظ الحديث في كتاب حديث «إنما الأعمال بالنيات» رواية ودراية، د/ محمد نعيم ساعي، ط. دار أم القرى، وكتاب «حديث إننا الأعمال بالنيات» رواية ودراية، د/ صالح بن غانم السدلان، ط. دار بلنسية.
- (٢) يراجع: شرح العيني على البخاري (٢٢/١) ط. دار المعرفة، الوافي في شرح الأربعين النووية، د/ مصطفى البغا، أ/ محيي الدين ديب مستو، ص ١١، ط. دار الكلم الطيب بيروت، و[الجامع في شرح الأربعين النووية ١/ ٣٠] للدكتور/ محمد يسري إبراهيم، ط. دار اليسر.
- (٣) يراجع شرح صحيح مسلم (٦٣/٧) ط. دار الحديث.
- (٤) ينظر: [الأشباه والنظائر] للإمام السيوطي ص ١١، ط. دار الكتب العلمية.



وعن إسحاق بن راهوية قال: «أربعة أحاديث هي من أصول الدين: حديث عمر «إنما الأعمال بالنيات»، وحديث «الحلال بيّن والحرام بيّن»، وحديث «إنَّ أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا»، وحديث «مَنْ أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد».

وروى عثمان بن سعيد عن أبي عبيد قال: جمع النبي ﷺ جميع أمر الآخرة في كلمة واحدة: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»، وجمع أمر الدنيا كله في كلمة واحدة: «إنما الأعمال بالنيات» يدخلان في كل باب.

ومن أهل العلم - كالإمام أبي داود - مَنْ جعل أصول الإسلام على أربعة أحاديث أخرى وهي:

الأول: «إنما الأعمال بالنيات»، والثاني: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، والثالث: «لا يكون المؤمن مؤمنًا حتى لا يرضى لأخيه إلا ما يرضى لنفسه»، والرابع: «الحلال بيّن والحرام بيّن».

وفي رواية أخرى عنه أنه قاله: «الفقه يدور على خمسة أحاديث: «الحلال بيّن والحرام بيّن»، وقوله: «لا ضرر ولا ضرار»، وقوله: «إنما الأعمال بالنيات»، وقوله: «الدين النصيحة»، وقوله: «ما بهيئكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم».

وفي رواية أخرى عنه: أنه أبدل حديثًا مكان بعض الأحاديث الأخرى فقال - رحمه الله تعالى -: «أصول السنن في كلِّ فنٍّ أربعة أحاديث: حديث عمر: «إنما الأعمال بالنيات»، وحديث: «الحلال بيّن والحرام بيّن»، وحديث: «مَنْ حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، وحديث: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما أيدي الناس يحبك الناس»^(١).

ولأهمية هذا الحديث وبركته صَدَّرَ الإمام البخاري كتابه «الصحیح» وأقامه مقام الخطبة له، إشارةً منه إلى أن كلَّ عملٍ لا يُرادُّ به وجه الله فهو باطل، لا ثمرةً له في الدنيا ولا في

(١) يراجع: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديث من جوامع الكلم، للإمام ابن رجب الحنبلي، ص ١٥، ١٦، ط. دار الحديث.



الآخرة، وذكره أيضًا -رحمه الله- في سبعة مواضع من صحيحه، ولعظم هذا الحديث، وفضله وأهميته، قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي: «لو صنف كتابًا في الأبواب لجعلت حديث عمر بن الخطاب في الأعمال بالنيات في كل باب»، كذلك أوصى -رحمه الله- كل مَنْ أراد أن يستغل بالتأليف والتصنيف أن يبدأ كتبه بحديث: «الأعمال بالنيات»، تنبيهًا للطلاب على تصحيح النية^(١).

ولقد حرص أسلافنا الصالحون على تعظيم أمر النية.. فعن يحيى بن أبي كثير قال: «تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل»، وعن عبد الله بن المبارك قال: «رُبَّ عملٍ صغيرٍ تعظمه النية، وربَّ عملٍ كبيرٍ تصغره النية»، وعن مطرف بن عبد الله قال: «صلاح القلب بصلاح العمل، إصلاح العمل بصلاح النية».

(١) المصدر السابق، ص ١٣، ويراجع: شرح صحيح مسلم (٦٢/٧).

مفاهيم مغلوطة

إذا طالعت ما ذكرته لك آنفاً من الأقوال والآثار، فستعلم مدى خطورة أمر النية، ولكن -ولشديد الأسف- ترى الكثير من الناس يحتجون بحديث «إنما الأعمال بالنيات» في غير موطنه، نتيجةً للجهالة المركبة.

ولعلّ هذا يظهر ويتضح عندما يقع الواحد منهم في مخالفة صريحة لأوامر شريعتنا الغراء، فإذا أنكر عليه منكر، أو نصحه ناصح، أو ذكره مذكر، ردّ عليه قائلاً: «ربك رب قلوب، والأعمال بالنيات».

وقد ترى من يقع في الكبائر والشركات الجليلة -سواء كان ذلك في الأقوال أو الأفعال- ثم تراه يشير إلى صدره ويقول: «أنا قلبي نظيف، ونيتي طيبة، وضميري صافٍ، وليس عندي أدنى حُبٍّ، والتقوى ها هنا، وما دام هنا أبيض -ويشير إلى قلبه- وبتاع ربنا مفيش مشكلة». الجواب على هؤلاء: ابتداءً.. سنقدم حسن الظن بقائل هذا الكلام، وسنقول له: إننا لا نشك في دماثة أخلاقك، وحسن أدبك، ونبل منبتك لحظة واحدة.

ولكن: قبل أن نقول مثل هذه الكلمات لابد وأن تعلم مدلولاتها، وقبل أن تقرر أمراً لا بد وأن تتأكد من صحة استدلالك، وسلامة فهمك لدلالته.

* والسؤال الآن: هل ما ذكرته أنت وأمثالك يتوافق وفقه حديث «إنما الأعمال بالنيات»؟

وهل المقصود من الحديث هو مقصود كلامكم، أم هناك تغاير وتباين؟!

والجواب: لا شك أن أكثر المتلفظين بهذه الكلمات يجهلون فقه هذا الحديث وحقيقة دلالته والمقصود منه.. لأجل هذا أسوق لهم.. كلاماً جيداً للإمام النووي -رحمه الله تعالى- في شرحه لهذا الحديث حيث يقول: «وفي الحديث «إنما الأعمال بالنيات» دليل على أن الأعمال تحسب بالنية ولا تحسب إذا كانت بلا نية، كذلك فيه دليل على أن الطهارة وهي الوضوء



والغسل والتميم لا تصح إلا بنية، وكذلك الصلاة والزكاة والصوم والحج والاعتكاف وسائر العبادات»^(١).

ويؤكد هذا ما ذكره الشيخ / محمد بن علان الصديقي الشافعي إذ يقول: في شرح قوله ﷺ: «وإنما لكل امرئ ما نوى»: «أن الجملة السابقة لبيان أن الأعمال لا يعتد بها شرعاً إلا بنية موجودة لها، كذلك فإن هذه الجملة لبيان أن جزاء العامل على عمله بحسب نيته من خير أو شر، وبيان أن العمل لا يجزى إلا إن عينت نيته»^(٢).

وذكر البيضاوي أن الأعمال لا تصح بلا نية، لأن النية عمل يثاب عليها، والعمل بلا نية هباء، ومثال النية في العمل كالروح في الجسد، فلا بقاء للجسد بلا روح، ولا ظهور للروح في هذا العالم من غير تعلق بالجسد، كما أن الحديث في الجملة يرشدنا إلى الإخلاص في العمل والعبادة، حتى نحصل الأجر والثواب في الآخرة، والتوفيق والفلاح في الدنيا...»^(٣). ولا شك أن لهذا الحديث العظيم فقهاً عظيماً يحتاج إلى نفس أوسع ليس هذا مكانه^(٤).

(١) ينظر: شرح صحيح مسلم (٦٣/٧)، ٦٤.

(٢) يراجع: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، للشيخ / محمد بن علان الصديقي الشافعي، (١/ ٤٢)، ط. دار الريان للتراث.

(٣) ينظر: الوافي في شرح الأربعين النووية، ص ١٤.

(٤) من أراد مراجعة شرح هذا الحديث المبارك فليراجع: «منتهى الآمال في شرح حديث إنما الأعمال»، للإمام السيوطي، ط. دار التراث، «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (١/ ١٥)، شرح صحيح مسلم (٦٤/٧)، «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام» بتحقيق العلامة / أحمد محمد شاكر ص ٦٤، ٦٥، ط. مكتبة السنة، «جامع العلوم والحكم» لابن رجب ص ١٦، ١٧، كما يمكن مراجعة بعض المؤلفات التي أفردتها العلماء في شرح هذا الحديث، مثل: الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا، والمقنع في النيات لابن الفراء الحنبلي، «شرح حديث إنما الأعمال بالنيات» لشيخ الإسلام ابن تيمية، «الأمنية في إدراك النية» للقرافي، «نهاية الإحكام في بيان ما للنية من الأحكام» لأحمد بك الحسيني، «مقاصد المكلفين أو النيات في العبادات» رسالة دكتوراة للدكتور / عمر الأشقر، [النية وأثرها في الأحكام الشرعية] رسالة دكتوراة للدكتور / صالح السدلان، وينظر أيضاً: «شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين (٢٥/١) ط. دار البصيرة.

الأمر الثاني: هل يجوز أن يكون حسن النية مؤذنًا بجواز العمل؟!

والجواب: لا يجوز أن يكون حسن النية مؤذنًا بجواز العمل، وذلك أن مشروعية العمل إنما تتوقف على الشرع لا على النوايا، قال تعالى: ﴿بَعْضُهُمْ قُلٌّ لِّإِثْمِ الْمُرْتِ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَ هُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنْ أَلْعَلِّ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ [الرعد: ٣٦-٣٧]، وقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، [الأعراف: ٣] ومن ذلك: ما قد نراه من بعض من يسرق أو يكسب من حرام أو يغضب مالا، ليتصدق أو يطعم فقيرًا أو يكسو عريانًا أو يساعد مجاهدًا أو يبني مسجدًا أو يوقف وقفًا، بل الأدهى من ذلك ما نراه من بعض المسلمين، حيث يستبيحون الحفلات والاجتماعات الصاخبة، ثم يقولون ما الضير؟! نحن مسلمون والله رب قلوب، فلا تكن متشددًا متعصبًا!!^(١).

* وأخيرًا: إلى قائل هذه الكلمات المذكورة سلفًا أتوجه بسؤال: يا من تزعم أنك طيب القلب حسن النية.. هل أنت أفضل أم أبى بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة ممن التزموا منهج الله ورسوله؟ سيقول: بالطبع لا.. فإذا سألتك أيضًا فقلت: هل نوايا هؤلاء أطيب وأطهر أم نيتك؟ فسيقول: هم بالطبع.

فإذا استقر لديك هذا الأمر فاعلم أنه لا تكفي النية الطيبة والقلب المؤمن بل لابد مع ذلك من الاجتهاد والحرص على الالتزام بالشرع، مع التشمير عن ساعد الجد، لتحرز الخير وتقتنص الأجر.

(١) يراجع بحث: «المنة الرضية في شرح حديث إنها الأعمال بالنية»، لشيخنا د/ أحمد النقيب، ص ٦٢، ٦٣، ط. كتاب الجامعي.



كذلك فلتحرص على تطهير عملك وعبادتك من كل مظاهر الشرك -خاصة- الشرك الخفي كالرياء، والسمعة، وحب الظهور، وحب الشهرة، وغيرها من الآفات والأمراض التي قد تصيب القلب فتنعكس على الجوارح.

- وبهذا تبين أنه لا حجة في قول هؤلاء «الأعمال بالنيات» على هجر الالتزام بالأوامر الشرعية وذكر البيضاوي -رحمه الله- أن الأعمال لا تصح إلا بنية، لأن النية بلا عمل يثاب عليها، والعمل بلا نية هباء، ومثال النية في العمل الصالح كالروح في الجسد، فلا بقاء للجسد بلا روح، ولا ظهور للروح في هذا العالم من غير تعلق بجسد^(١).

فليحرص كل منا على تطهير أعماله وعباداته من الشرك الخفي والرياء وحب الظهور وحب الشهرة وغيرها من الآفات والأمراض التي تصيب القلب فتظهر آثارها على الجوارح، ثم فلنجتهد أيضًا في إصلاح ظاهرننا، ولنعلم أن الباطن ينعكس على الظاهر، فمن يدعي أن باطنه سليم ثم يخالف الشارع كاذب في دعواه لأنه لو صدق في ذلك لظهر في أعماله وأحواله.

(١) للتوسع راجع كتاب «حديث إنما الأعمال بالنيات» رواية ودراية، د/ محمد نعيم ساعي، ط. دار أم القرى.



الشبهة الخامسة: سوف وأخواتها.

* من الناس من يزين له الشيطان هواه ويدعوه إلى تأجيل التوبة وتسويقها «سوف أتوب غداً..» فيقول: إنني الآن شاب، ولن أعيش سوى مرة واحدة وينبغي أن أنال متاع الدنيا بغير قيود حتى أكبر، فإذا تقدم بي السن وبلغت من العمر عتياً وأحسست بدنو الأجل تبت وندمت» وهذا هو الخذلان المبين، حيث إنَّ الموت يأتي بغتةً فلا يفرق بين صغير وكبير، ولا بين غني أو فقير، ولا بين عظيم أو حقير.

بل -يا من سوفت وأسرفت- اعلم أن تأخير التوبة ذنب يجب التوبة منه، واعلم أن تسويقك لأعمال الخير إنما نَتَجَّ عن طول أملك ومزيد حبك للدنيا والرغبة للبقاء فيها فاستغفر الله تعالى.. وتب إليه.

- ثم كيف يضمنُ الإنسانُ أجله وروحه بيد غيره يقبضها إن شاء، وكيف شاء للحساب والجزاء!!

- بل وكيف يسوغ التسويق في حق من يعلم أنه مسئولٌ عن طاعة ربه من يوم تكليفه إلى يوم موته؟!

- فيا مؤخراً توبة بمطل التسويق، لأي يوم أجلت؟ كل يوم تضع قاعدة الإنابة ولكن على شفا جرف، كلما صدقت لك في التوبة رغبة حملت عليك جمود الهوى حملة فانهزمت..

وقد قال بعض الصالحين (وقد سئل عن توبته): فكرت يوماً في ذنوبي وفي تقصيري، وفي معادي، فرأيت عمري ينقص، وذنوبي تزيد، ووقتي يقترب، ونفسي على التوبة لا تُقبل، فأحسست ببلاء لا تحتمله الجبال، فخرجت من بيتي متذكراً سوء حالي، فمررت بطبيب قد



اجتمع حوله جمعٌ من الناس يرفعون إليه القوارير، ويطلبون منه الصفات، فوقفت معهم وقلت: يا شيخ هل عندك دواء الذنوب؟ فأطرق ساعة ثم رفع رأسه، وقال لو علم العاصي من يَعصٍ لذاب قبل المعصية، فعدت إلى منزلي وقد أثر كلامه في قلبي، فلزمت باب مولاي لحين الوفاة.

ليت شعري.. أين أنت يا مسكين حتى تعرج على التوبة؟
ومتى يحن قلبك إلى منحنى الأحباب؟^(١).

(١) يراجع: روح الأرواح، لابن الجوزي، ص ٧٨، ط. دار الكتب العلمية..



من الناس من يدفعه الشيطان إلى سوء الظن بربه
وخالفه فيقول: «إن ذنوبي كثيرة وقد تراكمت عليَّ
حتى إني لا أطمع في رحمة الله بسبب «إفراطي في
المعصية»، ويوسوس الشيطان إلى آخر فيقول له:

الشبهة السادسة: والله
لا يغفر الله لي.

«كيف تلتزم وقد ارتكبت من الكبائر كذا وكذا؟!، إن مآلك إلى النار؟!

* ونقول لهذا المسكين الأيس من روح الله..

- إن التوبة هي وظيفة العمر، ولا يستغني عنها العبد السالك إلى ربه عز وجل، قال تعالى:

﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

فقسم العباد إلى تائب وظالم وليس ثم قسم ثالث، فأوقع اسم الظلم على من لم يتب.. قال
بعض السلف: «مَنْ لَمْ يَتُبْ كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ كَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ»^(١).

- والتوبة من الذنوب بالرجوع إلى علام الغيوب وغفار الذنوب، مبدأ طريق السالكين
ورأس مال الفائزين، ومفتاح استقامة المائتين، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين.. لذا
قال النووي -رحمه الله- وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب
التوبة^(٢).. ومن ذلك.. قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:
٨]، وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

(١) ينظر: مواقف إيمانية، للشيخ/ أحمد فريد، ص ٣٦٩، ط. دار الصفة.

(٢) يراجع: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ﷺ، للإمام النووي، تحقيق الشيخ/ شعيب الأرنؤوط،
ص ٣٤، ط. مؤسسة الرسالة.



وعن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة»^(١).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»^(٣).

هيا أقبل ونُب..

اعلم -أخي الحبيب- أن الله تعالى يفرح بتوبة عبده العاصي، «فرحًا يليق بجلاله وذاته جلَّ في علاه» فهو سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

* وفرح الله بتوبة عبده يدل على فضل التوبة وشرفها ومنزلتها، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً وبه تهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله، فقال: أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومة ثم رأسه فإذا راحلته عنده»^(٤).

كيف تحقق التوبة؟

- فإذا شَرَحَ الله صدرك لالتزام بشرعه المحكم، وهداك إلى الطريق الأقوم، فأوصيك بأن تحقق التوبة والأوبة عمَّا أسلفت من المعاصي والذنوب، قال النووي: واعلم أن التوبة واجبة

(١) رواه مسلم، (٢٧١٢).

(٢) رواه مسلم، (٢٧٥٩).

(٣) رواه مسلم، (٢٧٠٣).

(٤) متفق عليه.



من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي، فلها ثلاثة شروط: أحدهما: أن يُقلع عن المعصية، والثاني: أن يندم على فعلها، والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً، فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

- وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مალًا ونحوه ردّه إليه، وإن كان حدّ قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوّه، وإن كانت غيبة استحله منها، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي..^(١).

وعليه فإن للتوبة شروطاً ذكرها أهل العلم حق تكون مقبولة عند الله تعالى وحتى يكون التائب محققاً للتوبة، وهذه الشروط تهيب العبد للمغفرة والسير الصحيح إلى الله تعالى، ومعالجة ما وقع فيه، وما كان سبباً في البعد عن الله تعالى، ولنبداً في شرحها سائلين الله تعالى أن يوفقنا لتخطي هذه العقبات..

الأول: الإقلاع عن المعصية: فإن التائب راجع عن سبب البعد عن الله، وحتى يحقق التائب التوبة، وحتى تكون توبته صحيحة لها معنى.. فلا بدّ من الإقلاع عن الذنوب وتركها والبعد عنها فيقلع عن الكفر إلى الإسلام، وعن الشرك إلى التوحيد، وعن النفاق إلى الإيمان، وعن الفسق إلى العدالة، وعن العصيان إلى الطاعة، وعن الإثم إلى البرّ، وعن العدوان إلى العدل، وعن الفحشاء إلى الطهر، وعن السرقة إلى الأمانة، وعن المنكر إلى المعروف، وعن البغي إلى الإصلاح، وعن القول على الله بغير علم إلى الكتاب والسنة والعلم الصحيح النافع، وعن اتباع غير سبيل المؤمنين إلى اتباع أهل السنة والجماعة والتعبّد معهم ومعرفة الاعتقاد الصحيح منهم وعنهم، وإقلاعه عن المعاصي مرتين بإقلاع القلب والسمع والبصر واللسان والشم واليدين والرجلين، وبذلك يقلع الجسد عن الذنوب..^(٢).

(١) ينظر: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تحقيق الشيخ الألباني، ص ٤٦، ط. دار الذخائر.

(٢) ينظر كتاب: التوبة، للشيخ / محمد رزق ساطور، ص ١٦١، ط. دار نور الإسلام.



الثاني: الندم على فعلها.. قال ابن الجوزي -رحمه الله تعالى وعفا عنه-: اعلم أن التائب الصادق كلما اشتد ندمه زاد مقتته لنفسه على قبح زلته^(١).

والندم على ما فعل من المعاصي، لا يكون إلا من الصادقين، لأن شعور الإنسان بالندم هو الذي يدل على أنه صادق في التوبة، والندم يعني أن يتحسر التائب على ما سبق منه، وينكسر من أجله ولا يرى أنه في حِلٍّ منه حتى يتوب منه إلى الله تعالى، والإنسان إذا عَلِمَ أن عمره أيام، وأنها رأسماله في الدنيا، وأن الله تعالى فَضَّلَ بعضَ الأيام على بعض، فيندم على تقصيره حتى ضاعت تلك الأيام والليالي خاصة الليالي الفاضلة (كرمضان صيامًا وقيامًا وتحريًا لليلة القدر، ثم صيام الست من شوال، ثم صيام يوم عرفه، وصيام الاثنين والخميس، وكالقيام في الثلث الأخير من الليل..) إذا علم العبد أن كل هذا الخير قد فاتته، فَحَقَّ له أن يندم على ذلك، وإذا عَلِمَ أَنَّ أهل الفضل سيكون لله ويخشونه مع طاعته وإحسانهم، فَحَقَّ له أن يحزن، وإذا أيقن أن التائبين سيندمون على أنهم لم يستزيدوا من الخير، فَحَقَّ له أن يندم على ما فاتته من الخير، هذا حال أهل التقوى يندمون على أنهم لم يستكثروا من الخير والهدى، فكيف يكون حال من أسرف على نفسه بالمعاصي والتقصير والإساءة؟! لا شك أن ندمه يكون أولى حتى تتحقق له التوبة الصادقة.

الثالث: العزم على ألا يعود إلى هذه المعصية أبدًا: عزمٌ على الأمر عقد قلبه على إمضائه، عزم: أراد فعله وقطع عليه، أو جدَّ في الأمر^(٢).

* بل إن العبد إذا علم ما أعدّه الله تعالى للتائبين ومحبتهم لهم، ثم عَلِمَ الخطر الواقع بالعصاة المذنبين، فإن ذلك يدفعه إلى عقد النية على ألا يعود إلى الذنوب أبدًا.. ومثال ذلك: لو أن رجلاً شرب عسلًا كان فيه سم، فمرض وطال مرضه وتناثر شعره، وسقطت أسنانه، وتهكَّمت

(١) ينظر: التبصرة، لابن الجوزي، (١/٣٦٩)، ط. دار البقين.

(٢) يراجع كتاب: [بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز]، للفيروز آبادي، (٤/٦٣)، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر.



بعض بنيانه، وأشرف على الهلاك، ثم عوفي وعلم أن ذلك من أثر شربة العسل المسمومة، فلو أنك قربت له عسلاً مرة أخرى، لنفر منه خوفاً على صحته، كذلك العبد إذا علم مرارة الذنب، وقبحه وأثره عليه، فإنه سيعزم على ألا يعود إليه مرة أخرى حتى يعود اللبى في الضرع..

*** علامة العزم والقصد..** التدارك لما فات وإصلاح ما يأتي، فإن كان الماضي تفريطاً في عبادة واطب على فعلها وأدائها، وإن كان الماضي اقترافاً للآثام والخطايا اجتهد في التوبة والاستغفار..».

هل عجز العاجز عن الذنب ينفعه؟

لأهل العلم في هذه المسألة قولان:

الأول: أنه لا تصح توبته، لأن التوبة إنما تكون مما يمكنه الفعل والترك، وتوبة العاجز عن الذنب هي توبة المفلس، فالكاذب والقاذف والمغتتاب والنمام وشاهد الزور والسباب واللعان إذا قطع لسانه، والسارق إذا قطعت أطرافه الأربعة، كيف يتوبون وقد حيل بينهم وبين الفساد والإفساد، ثم إن التوبة هي الإقلاع عن الذنب، فكيف منهم ذلك الإقلاع؟

الثاني: وهو ما رجَّحه الإمام ابن القيم.. -كما في مدارج السالكين- حيث ذَكَرَ أن توبته صحيحةٌ ممكنة، لأن التوبة قبل الغرغرة يقبلها الله وهذه قبل الغرغرة، ثم إن النية الطيبة تنفع صاحبها، كما أن النية الخبيثة تضر صاحبها، ويؤيد ذلك ما صَحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النهار» قلت: يا رسول الله.. هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»^(١)، فهذا القاتل فعل جرمًا يستحق عليه النار، فلماذا ألحق به المقتول؟ إنها نية القتل التي كان يحرص عليها المقتول، وقد ألزمت هذه النية الإثم على الرغم من أنه لم يفعل، وكانت له النار.. كما في الحديث..

هذه الشروط الثلاثة: إذا ما كانت بين العبد وربّه فلا بد من تحقيق ما ذكر، أما إذا تعلقت بحق آدمي احتاج إلى شرط رابع.

الرابع: أن يبرأ من حق صاحبها.. فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه، وإن كان حد قذف ونحوه مكّنه منه، وطلب عفوّه، وإن كانت غيبةً استحلّه منها، هذا ما لم يترتب على استحلاله مفسدة أخرى، وقد حصّ النبي ﷺ التائب على ضرورة استحلال من ظلمه قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم أو الاعتذار، ويؤيد ما ذكرته حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) متفق عليه.



«رحم الله عبدًا كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فجاءه فاستحله قبل أن يؤخذ وليس ثم دينار ولا درهم فإن كانت له حسنات أخذ من حسناته، وإن لم يكن له حسنات حَمَلُوهُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ»^(١).

وقال ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»^(٢).

وأضاف شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله - شرطين آخرين لتحقيق التوبة النصوح^(٣):
أحدهما: الإخلاص لله تعالى.. بأن يكون قصد الإنسان بتوبته وجه الله عز وجل وأن يتوب الله عليه، ويتجاوز عما فعل من المعصية، لا يقصد بذلك مراعاة الناس والتقرب إليهم، ولا يقصد بذلك دفع الأذية من السلطان وولي الأمر، وإنما يقصد بذلك وجه الله والدار الآخرة، وأن يعفو الله عنه ذنبه.

الثاني: أن يتوب التائب في زمنٍ تُقبلُ فيه التوبة، فإنَّ التائب إذا تابَ في زمن لا تقبل فيه التوبة لم تنفعه التوبة.. وذلك على نوعين:

النوع الأول: باعتبار كل إنسان بحسبه: فلا بد أن تكون التوبة قبل حلول الأجل يعني الموت، فإن كان بعد حلول الأجل فإنها لا تنفع التائب لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ﴾ [النساء: ١٨].
- لأن الإنسان إذا عاين الموت وحضره الأجل فهذا يعني أنه أيسر من الحياة فتكون توبته في غير محلها! بعد أن يئس من الحياة وعرف أنه لا بقاء له يذهب فيتوب، فهذه توبة اضطرار فلا تنفعه ولا تُقبل منه بل لا بد وأن تكون التوبة سابقة.

(١) رواه البخاري، (٢٢٤٩).

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٢).

(٣) شرح رياض الصالحين، للشيخ / محمد بن صالح العثيمين، (١/٥٦) ط. دار البصيرة.



النوع الثاني: باعتبار العموم: لأن الرسول ﷺ أخبر كما في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»^(١)، وقال ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»^(٢). فإذا طلعت الشمس من مغربها.. لم تنفع أحدًا توبة.. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، «وهذا البعض هو طلوع الشمس من مغربها..» إذا فلا بد أن تكون التوبة في وقت تقبل فيه التوبة، فإن لم تكن كذلك فلا توبة للإنسان.

(١) رواه مسلم (٢٧٠٣).

(٢) رواه أحمد في مسنده وأبو داود والترمذي والدارمي وصححه الألباني في المشكاة (٥٣٤٦).

إياك وتوبة الكذابين:

* أخي الشاب: لو أنك عاملت أحدًا من الناس فأخطأت في حقه، فسببته وشتمته ووقعت في عرضه، ثم أتيتك وقلت له: أنا تبت عن الكلام في حقك، وأنا نادم على ذلك وأعدك ألا أعود إلى هذا الأمر مرة أخرى، (ولكنك - في الحقيقة - غير صادق فيما ذكرت، فإنك تسر في نيتك وتخفي في قلبك العودة إلى قذف عرض هذا الشخص)، وبالفعل عدت إلى نفس الذنب، أو عزمت على الإقدام على هذا الفعل الشنيع في المستقبل، ثم إذا قابلت هذا الشخص مرة أخرى، قابلته بهشاشة وبشاشة، واعتذرت إليه عما بدر منك في حقه، وأعطيتة العهود والمواثيق ألا تذكره إلا بالخير، بل إن ذكر اسمه أمامك أن تشني عليه، وتُبرِّك، ولكن.. حقيقة نيتك خلاف ما أظهرت له.. أليس في هذا الفعل سخرية بالرجل واستهزاء به، وانتقاصًا من شرفه وقدره؟!!

ثم دعني أسألك أخي الشاب: لو أنك خالطت أحدًا من الناس، ثم قُدِّرَ لك أن تفعله وأن تعامله وتقترب منه فبدر لك منه شيء ما، فوسوس إليك شيطانك، فإذا بك تسبه وتشتمه وتقع في عرضه، ثم ظَهَرَتْ لك مصلحةٌ عنده فإذا بك تذهبُ إليه قائلاً: «لقد أسأتُ الظنَّ بك فسأحمي، وأيقنت أنني أخطأت في حقك فاعفو عني، ثم تستطرد قائلاً له: أنا تبت عما بدر مني من كلام قبيح في حقك، وأنا نادمٌ على ذلك، وأعدك ألا أعود إلى هذا الأمر الشنيع مرة أخرى .. (لكنك - ولبالغ الأسى والحزن - غير صادق فيما ذكرته له، حيث أنك تُسرُّ في نيتك وتخفي في قلبك خلاف ما تظهر، بل إنك عازم ومُصِرٌّ على العودة إلى هذا الأمر الشنيع والخلقِ الوضع)، وبالفعل لما سَنَحْتُ لك الفرصة، وانتهت مصلحتك الشخصية الدنيوية عدت إلى نفس الذنب، أو عقدت العزم على الإقدام على هذا الأمر الخطير في المستقبل، ثم قدر ربك أن تلتقي بأخيك هذا، فإذا بك تقابله بكل هشاشة وبشاشة، وتجدد وعودك وعهودك أنك ملتزم بما أسلفت من التوبة عن الكلام في عرضه، ثم ها أنت تعود إلى ما استقرَّ في



ضميرك ونيتك مرة أخرى، فإذا التقيت بهذا الشخص مرةً أخرى اعتذرت له عَمَّا بَدَرَ منك في حقه، وأعطيته العهود والمواثيق ألا تذكره إلا بالخير، بل وإن ذكر اسمه في أي مكان أن تشني عليه وتُبْرِّك، ولكنك تظهر غير ما تخفي والسؤال: أليس في سخريتك بهذا الرجل واستهزائك به، بين الحين والآخر انتقاصاً من شرفه وقدره؟!، والله المثل الأعلى؟!!

* كذلك إذا تبت ولم تكن صادقاً في توبتك مع ربك، فإنك تظن أنك مخادعٌ لربك والذين آمنوا وفي الحقيقة: إنك ما خَدَعْتَ إلا نفسك ولكنك لا تشعر بذلك لازدياد غفلتك، وقوة جراتك على ربك وخالقك.

* ونقول لمن هذا حاله: ليست العبرة بالبداية، وإنما بالخواتيم، ثم لا بد -أخي الشاب- من الاستقامة على التوبة ومجاهدة النفس للبعد عن المعاصي والصبر على ذلك البعد، وكثرة الاستغفار مما طرأ أثناء السير، والاعتصام بالله وحده، وطلب الثبات على الحق من الله وحده، والبعد عن الباطل وأهله، والميزان في ذلك كله.. هو الصدق التام مع الله تعالى (الذي يعلم ما تُكِنُّ القلوبُ، وما تخفي الصدور).

* واعلم أن نتيجة الصدق هو الثبات على الحق.. ولقد قال ﷺ: «إن تصدق الله يصدقك»^(١).

هيا.. لا تيأس: هيا أيها العاصي.. أقبل وتُبْ إلى الله تعالى، ولا تيأس من روح الله ورحمته «فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون».

* واعلم أن التوبة واجبة على الفور، وتأخيرُ التوبة ذنبٌ يجب التوبة منه، فقبِّحْ بك -أخي الشاب- أن تؤخر التوبة، وأقبح من ذلك تأخير الشيخ لها.

- قال عمير بن هانئ: تقول التوبة للشاب «أهلاً ومرحباً»، وتقول للشيخ «نقبلك على ما كان منك».

(١) رواه النسائي والحاكم في المستدرک وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤١٥)، وراجع أحكام الجنائز (ح ٦١).



* ثم اعلم -أخي العاصي- أن باب التوبة مفتوح على مصراعيه لكل تائب.. قال تعالى:
﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فيا أخانا في الله، تب إلى الله فالباب مفتوح، قبل أن تكفر الذنوب وتفوح..
* واعلم أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»^(١)، فالتوبة.. التوبة
قبل أن يأتاكم من الموت النوبة، فلا تحصلوا إلا على الخسران والخيبة، والإنابة.. الإنابة قبل
غلق باب الإجابة، والإفاقة الإفاقة قبل قرب وقت الفاقة..

(١) أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم وابن حبان وحسنه الألباني في المشكاة (٢٣٤٣)، (٢٤٤٩).



**الشبهة السابعة: عندما
أحقق أهداني سألتزم.**

* قد يقول قائل: أنا كطالب جامعي لي
غاياتٌ متعددة وأهدافٌ كثيرةٌ في الحياة.. فإن شاء
الله عندما أحققها.. التزم بالدين».

الجواب.. اعلم -أخي الكريم- أن عمر
الإنسان يبدأ في النقص منذ اللحظة التي يولد
فيها، وكلما رَقَى في سلم عمره يوماً نزل فيه يوماً، حق إذا وَصَلَ أعلى السلم كان قد وَصَلَ في
الوقتِ نفسه أدناه، ويقفُ الإنسانُ في هذا السلم عند اليوم الذي يبلغ فيه سنَّ الرشد، ليبدأ
يعقُل عن ربه سبحانه الخطابات السماوية، والتكاليف الإلهية، على مقتضى الحكمة الإلهية، بما
يوافق عقيدة التوحيد التي ارتضاها رب العباد للعباد.

* وفي هذا اليوم الذي يكون فيه التحول يحمل الإنسان أمانة التكليف، والتي لا يصلح
أمر العبد إلا بخضوعه واستجابته لهذه الخطابات التكليفية، فإن هو أتى بها طائعاً مختاراً كما
أَمَرَ ربنا -سبحانه- فإنه يُعاد إلى الجنة التي عرضها كعرض السماوات والأرض أعدت
للمتقين.

* أما إن استجاب العبد لوسوسة شيطانه فسيُشغل بأهدابٍ دنيويةٍ رخيصةٍ تافهةٍ،
وسينسى الغاية الحقيقية التي ينبغي أن ينشدها، وسيميل عن الوجهة التي يقصدها، أو
سيزيغ عن مراد الله فيها، وسيتمطي ظهر الهوى، وسيعتلي متن الرغائب، حينها يكون قد
أبعد نفسه إلى غير رشد، وسيفلت زمامه من يد التوفيق، وسيسلمها إلى غير عافية الهوى، ثم
هو من بعد موبقها -عباداً بالله- إلى غمرة العذاب، ولا رادَّ له عنها، إلا أن تدركه رحمة من
الله سبحانه.

* أخي الكريم: يا من وهبك الله عقلاً راجحاً، وفهماً مسدداً، اعلم أن لكل مخلوق من
المخلوقات، وموجود من الموجودات غاية وهدفاً، فإذا كان الأمر كذلك فإن من باب أولى أن
يكون لكل إنسان غاية ما، هذه الغاية هي التي تحركه في خضم هذه الحياة، بل وتُملي عليه



سلوكه وتصرفاته، لا فرق في ذلك بين عالم وجاهل، ولا بين مؤمن وكافر، ولا بين تقي وفاجر، فالجميع لهم غايات يلهثون وراءها، ألا ترى ذلك واضحاً في حياة الناس جميعاً؟!
* فإذا سألتك -حبيبي في الله- وقلتُ لك: ما هي الغاية الحقيقية للمسلم الصادق في إسلامه من هذه الدنيا؟!

والجواب بكل بساطة: الغاية هي رضوان الله سبحانه وتعالى، واللحاق برسول الله ﷺ في الجنة.. وعلى هذا جملة من الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية:
* فأما في كتاب الله: فإن الآيات دلت على أن -غاية العبد الصادق هي رضوان الله والجنة- وهي أكثر من أن تحصى في القرآن تأتي بأساليب مختلفة، وصور متنوعة.. ففي مواضيع كثيرة بعدما توصف الجنة، ويذكر ما فيها من نعيم، يعقب الله سبحانه بقوله: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٨٩].

* فمثلاً يقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

وهذه إشارة واضحة إلى أنه لا غاية جديرة بالتفكير، والتخطيط لها، والعمل من أجل الحصول عليها سوى رضوان الله والجنة، وعلى مثل هذا ينبغي أن تتجه الأنظار والأفكار.
وفي سورة الصافات وصفت الجنة بعدة آيات، ثم جاء التعقيب هذه الآية: ﴿لَمِثْلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].^(١)

وفي سورة المطففين أوضح ربنا الأمر أكثر فقال سبحانه: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

(١) سورة الصافات الآية: ٦١.



فالقرآن ينادى البشر جميعاً قائلاً: ليس هناك غاية تصلح أن تعملوا لها إلا رضوان الله والجنة، وكل هدف بعد هذين الأمرين فهو حقير.

وتؤكد هذه الآية ما أصلناه آنفاً.. حيث يقول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

* بل إن القرآن الكريم ليحرص أشد الحرص على أن لا تلتبس هذه الغاية بغيرها من الرغبات التي قد يظنها المسلمون مطلوبةً لذاتها، في حين أنها لا تُراد لذاتها، وإنما هي وسيلة لا غاية، وذلك مثل النصر في معركة إسلامية.. فالنصر -وهو أعلى غاية دنيوية يمكن أن تداعب خيال المسلمين، لا يصح بمفرده أن يكون غاية المسلمين، وإنما هو مجرد نتيجة، وفرق كبير بين الغاية التي تُقصد، وبين الثمرة أو النتيجة التي يُكافئ الله بها عباده المخلصين..

* هذه الحقيقة -أعني عدم الخلط بين رضوان الله والجنة والنصر- أوضحها القرآن في عدة مواضع، ونكتفي هنا بذكر آيات من سورة الصف لوضوحها في هذه النقطة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ يَحْزَنَ نَجِيحِكُمْ مِّنْ عَذَابِ إِلِيم ۝١٠ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَجْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١٢﴾ [الصف: ١٠-١٢]. فتأمل كيف ختمت الآيات بقوله تعالى:

﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، مع أن الكلام لم ينته بعد، إذ جاء مباشرة: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣]، فقد أحرَّ ذكر النصر إلى ما بعد ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. لنعلم أن الغاية هي «رضوان الله ومغفرته والفوز بالجنة»، أما النصر فهو نتيجة وثمره، ويشهد لذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].



أما عن الغاية في السنة المطهرة: فإن النبي ﷺ لم يطلب من الصحابة أن يجعلوا «رضوان الله والجنة» غايتهم فحسب، بل رباهم على ذلك تربية متلاحقة في جميع الفرص والمناسبات. تأمل معي -أخي الكريم- هذه الطائفة من أقواله عليه الصلاة والسلام: حيث كان يقول ﷺ: «إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»^(١)، وكان يوجه أنظار أصحابه دومًا إلى الغاية العظمى فيقول: «ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»^(٢)، وفي غزوة أحد، كان (ﷺ) ينادي أصحابه ويقول: «مَنْ يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة»^(٣).

* أرأيت أخي الكريم هذه الطريقة التربوية الفريدة التي كان يسلكها النبي ﷺ مع أصحابه، حتى أصبح الواحد منهم مدرِّجًا تمام الإدراك للغاية التي من أجلها ابتعثه الله وأوجده في هذه الدنيا، وكان عليه الصلاة والسلام يُعلِّمُ أصحابه أن من كانت «الآخرة غايته» فإن الله يملأ قلبه ونفسه غنى، وتأتيه الدنيا وهي راغمة، كما في الحديث الثابت عن رسول الله ﷺ وفيه أن النبي ﷺ قال: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمله، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما قدر له»^(٤).

ثمار التربية النبوية: فإذا أردنا أن نرى كيف أثمرت التربية النبوية القرآنية في حياة الجيل الأول من الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) فتعال لنقرأ في سير هؤلاء العظام، ونقلب الصفحات

(١) رواه البخاري (٦٦٤٤).

(٢) الحديث رواه الترمذي (٢٤٥٢)، والحاكم (٣٠٧/٤)، وعبد بن حميد في المنتخب من المسند (١٥٦/٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٣٣٥) وفي صحيح الجامع (٦٢٢٢).

(٣) رواه مسلم (١٢ / ١٤٧، ١٤٨).

(٤) رواه الترمذي (٢٤٦٥) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٩ - ٩٥٠).



لنستخرج اللائع المكنونة من مناقبهم، لترى أنهم عاشوا حياتهم كلها لا يرجون إلا رضوان الله ومغفرته، والجنة، حتى كأنهم يرون الجنة بأعينهم ويحسونها بحواسهم..
* فهم يذكرون الجنة دائماً، ويشتاقون إليها، ويجدون ريحها، فما هم إلا أبناء الجنة، يعيشون غرباء في الدنيا ينتظرون بفارغ الصبر الرجوع إلى الوطن، وما هم إلا عشاق مقيمون ينتظرون لقاء الأحبة، لا همّ لهم إلا ذلك، ولا غاية لهم إلا هذا^(١)..

(١) استفدت من مقال: الشيخ / ضياء الدين شهاب، ص ٤٧، ٤٨، بمجلة الأصالة عدد رجب، سنة ١٤١٥ هـ العدد الثالث عشر والرابع عشر.



الشبهة الثامنة: ربي غفور رحيم.

* ومن الناس من يفرط في ارتكاب المعاصي،
واقتراف الآثام والكبائر، بل ويصرُّ على فعل الذنوب،
ثم تراه يتعلق ببعضِ نصوص الوعد كقوله تعالى: ﴿قُلْ
يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ
إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]،

فتراه يُقدم على المعاصي والذنوب صغيرها وكبيرها، جليلها ودقيقها، فإذا ذكر بالله عز وجل
لم يتذكر، وإذا نُصح لم يقبل، بل تراه يجادل بالباطل فيقول: الله غفور رحيم، إنَّ ربي عز وجل
يعفو عن المسيئين، ويصفح عنهم، ويغفر لهم (مهما كانت ذنوبهم وخطاياهم) ..

* وهذا ولا شكَّ هو الاغترارُ بالله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَعَزَّكُم بِاللَّهِ الْغَوْرُ﴾
[الحديد: ١٤]. فلا تغتر أيها الغيبي برحمة الله ولا تأمنُ مكره، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ
فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

قال القرطبي - رحمه الله -:

ومكرُ الله: استدراجه بالنعمة والصحة^(١).

والأمن من مكر الله يورث الغفلة، والغفلة تورث التهاون، وما أدراك ما التهاون؟! هو
سلم الشيطان وسببٌ من أسباب الخسران، فَمَنْ تهاون في أمرٍ من أوامرِ الله، جرَّه الشيطان إلى
ما هو أكبر منه، وهكذا حتى يوقعه في شباكِ المعاصي، فلا بد للنفس من خوفٍ يردعها عن
المعاصي ويصدها عن المحارم، بل إنَّ المؤمن كلما ازداد إيماناً، ازداد خوفاً وشفقةً على نفسه،
ولذلك حكى الله عز وجل عن المؤمنين في الجنة قولهم .. ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ
(٣٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ [الطور: ٢٦-٢٧].

(١) يراجع: [الجامع لأحكام القرآن] المعروف بـ [تفسير القرطبي]، (٧/ ٢٥٤) ط. دار الفكر.



فاحذر -أخي المبارك- الاستهانة بالذنوب والمعاصي مهما صَغُرَتْ في نظرك، وإياك والأمن من مكر الله تعالى، قال تعالى: ﴿نَجِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠]، فالله تعالى غفور للتائبين رحيم بالمؤمنين، ولكن العاصين المجترئين على حرمان الله لهم عذاب أليم.

* ثم كيف يأمن الواحد منا مكر الله، وقد ثَبَتَ عن رسولنا ﷺ أنه قال: كما في حديث أنس: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعتُ مثلها قط: «لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً»^(١).

ثم كيف يأمن الواحد منا مكر الله وأماننا يوم تشيب فيه الولدان، يوم نقف أمام الله حفاة عراة فيسألنا الله عن كل كبيرة وصغيرة، وكل حركة وسكتة، لعمر الله إن الأمر عظيم، والخطب جليل، نسأل الله السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

(١) رواه البخاري (٤٦٢١).



**الشبهة التاسعة: ثقافة
القطيع حائل دون الالتزام.**

* من الناس من يحتج بشيوع الفتن وغربة الإسلام وأهله، ومنهم من يُعرض عن دينه وينهمك في دنياه ويقول: «أنا أفعل ما يفعله الناس، لماذا أشد عن المجتمع؟ وهل سيعذب الله كل هؤلاء؟.. فلمثل هذا نقول:

إن النبي ﷺ حين بُعث كان وحيداً غريباً في عالم ملئ بالشرك والإلحاد والفساد، فجاء ليغير الواقع، وليعيد الناس إلى عبادة الله، ويقىمهم على المنهج الصحيح، ولبلغهم رسالات ربهم، فأمن به نفر من ذوي الفطرة السليمة، والمعدن الكريم والتفوا حوله، آزروه في دعوته وكان غالبهم من المكين، وكانوا غرباء في بلادهم وفي قومهم^(١).

ولقد أشار النبي ﷺ إلى غربة الإسلام الأولى وغربته التالية، وحال الغرباء بقوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء»^(٢).
والغربة المذكورة على ثلاثة أنواع:

الأول: غربة الشرائع: بحيث تصبح بعض شرائع غريبة كالجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثاني: غربة المكان: وهي أن يكون الدين غريباً في بلد من البلدان، ويكون أهله غرباء في ذلك البلد، بينما هم في بلد آخر أعزة ظاهرون، فالغربة تكون في مكان دون آخر.

الثالث: غربة الزمان: وهي الغربة المتحركة المطبقة على الأرض كلها، بحيث يغدو الدين غريباً في زمن من الأزمنة في بقاع الأرض (كما حدث قبل بعثة النبي ﷺ)، وقد توجد غربة

(١) ينظر: طوبى للغرباء، د/ سيد عبد الحليم، ص ٥، دار ابن رجب.

(٢) رواه مسلم (٩١٤٥).



بعض الشرائع دون بعض في بعض البلدان، ويكون بعضها الآخر ظاهرًا معروفًا، وقد يحدث لبعض الشرائع غربة زمان بحيث تكاد أن تندرج ثم يحییها الله بالمجددين بعدما كادت تغرب في الأرض كلها^(١).

فلما صارت تعاليم الإسلام غريبةً شاعت الفتن وعمت المحن، واستُعلن المنكر واستشرى الفساد وساد الظلم الحياة وقيمها، وراجت سوق الفواحش والموبقات: فسق وفجور، تبرج وسفور، مراقص ومُحور وعظائم الأمور.. صالات قمار، مصارف ربا، معاهد تدرس الفجور باسم الفن.. إعلام ينشر الفساد ويحض على الرذيلة، تكريم لأهل الفواحش والفجور الذين توعدهم الله بالعذاب الأليم، إعلاء لشأن الراقصات والمخنثين والمترجلات، تقريبٌ لمن بعده الله، وإبعاد لمن قرب به الله، معاداة لمن والى الله وموالاة لمن عادى الله، إعزاز لمن أذل الله، وإذلال لمن أعز الله، أموال تنفق بغير حساب للإضلال والصد عن سبيل الله^(٢).. إلا فتن عظيمة.. فتن كقطع الليل المظلم، وصفها النبي ﷺ، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتن القائم فيها خير من القاعد، والقاعد خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، مَنْ تَشَرَّفَ لها تستشرفه وَمَنْ وجد ملجأ أو معاذًا فليعذبه»^(٣).

- وشيوع الفتن ليس بمستغرب عند المسلم لأنَّ الله عز وجل حكى أن هذه سنته التي لا تبدل كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّاسَ أَن يَتَّبِعُوا أَن يَقُولُوا أَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢٣].

يقول صاحب الظلال: «إن الإيمان ليس كلمة تقال إنما هو حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهدٌ يحتاج إلى احتمال، فلا يكفي أن يقول الناس آمنا،

(١) للتوسع يراجع: (كشوف الكربة في وصف أهل الغربة)، للإمام ابن رجب الحنبلي ص ٢٣، ٢٤ ط. مكتبة الصحابة للتراث.

(٢) انظر: [الواقع المر] للشيخ/ مجدي قاسم، ص ٣٧، ط. دار الإيمان بالإسكندرية.

(٣) متفق عليه.



وهم لا يتركون لهذه الدعوى، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم، خالصة قلوبهم، كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به، وكذلك تصنع الفتنة في القلوب^(١).

- فيجب على المسلم.. أن يلتزم بتعاليم دينه، وأوامر ربه، وأن يلزم شرع الله عز وجل [وإن خالف بذلك عادات الناس وأعرافهم].

- واعلم -رحمك الله- أن عرف الناس على قسمين: إما أن يكون عرفاً صحيحاً: وهو العادة التي لا تخالف نصاً من نصوص الكتاب والسنة، ولا تفوت مصلحة معتبرة، ولا تجلب مفسدة راجحة، وإما أن يكون عرفاً فاسداً: كالعادة التي تكون على خلاف النص الشرعي، أو فيها تفويت مصلحة معتبرة أو جلب مفسدة راجحة، ومن هذا المنطلق فإنَّ العرف الذي يُراعى إنما هو «العرف الصحيح» لا الفاسد^(٢).

* كذلك يجب على المسلم ألا يغترَّ بكثرة الهالكين، ولا بقلة السالكين، فإن الله تعالى يقول في محكم التنزيل: ﴿وَإِنْ نَطَعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

- وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، فليست الحجة في أحوال الأشخاص، وإنما الحجة فيما يثبت في شرعنا في كتاب ربنا، وفيما صحَّ عن نبينا ﷺ.

- فاحرص -ثبتك الله على الهدى- على الاستمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإياك و(ثقافة القطيع) التي أفسدت أجيالاً كاملة فضيحت أحلامهم، وأبعدتهم عن تحقيق غاياتهم وأهدافهم، فضلوا وأضلوا، والله أسأل أن يوفقنا وإياك لما يحبه ويرضاه، وأن يثبتنا وإياك على الحق حتى نلقاه.

(١) يراجع: في ظلال القرآن، للأستاذ/ سيد قطب، (٥/ ٢٧٢٠، ٢٧٢١) ط. دار الشروق.

(٢) ينظر: تيسير علم أصول الفقه، للشيخ/ عبد الله بن يوسف الجديع، ص ٢١٢، ٢١٣، ط. مؤسسة الريان للتوزيع.

الشبهة العاشرة:
لو أراد الله هدايتي
لهداني.

* ومن الناس من يقول: «ما دام كل شيء لا يقع في هذا الكون إلا بقدر الله، فإن الله قد كتب عليَّ أمر الغواية والضلالة، ولو أراد هدايتي لهداني»...

فننقل للمجادل: ما ذكره الشيخ العلامة: ابن عثيمين -رحمه الله- في هذه المسألة حيث قال: إن من جملة الأمور التي ترد على الشباب ويقف منها حيران مسألة القدر، لأن الإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان الإيمان التي لا يتم إلا بها، وذلك بأن يؤمن بأن الله سبحانه عالم بما يكون في السموات والأرض ومقدر له كما قال تعالى: ﴿لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]. - وقد نهى النبي ﷺ عن التنازع والجدال في القدر، إذ إن الخوض في القدر والتنازع فيه يوقع المرء في متاهات لا يستطيع الخروج منها، وطريق السلامة أن تحرص على الخير وتسعى فيه كما أمرت، لأن الله سبحانه منحك عقلاً وفهماً، وأرسل إليك الرسل، وأنزل معهم الكتب لهدايتك^(١).

قال تعالى: ﴿لَتَلَذَّ النَّاسُ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

ثم ذكر -رحمه الله تعالى رحمة واسعة-: أن احتجاج العاصي بالقدر باطل بالشرع والنظر، فأما بطلانه بالشرع: فقد قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فهم قالوا هذا على سبيل الاحتجاج بالقدر على معصية الله، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾

(١) ينظر: من مشكلات الشباب، للشيخ / ابن عثيمين، ص ٢٩، ٣٠، ط. دار الطرفين.



[الأنعام: ١٤٨]، ولو كانت حجتهم صحيحة ما أذاقهم الله بأسه، وكذلك قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وهذا دليل واضح على بطلان احتجاجهم بالقدر على معصية الله، وقال تعالى: ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، فأبطل الله الحجة على الناس بإرسال الرسل، ولو كان القدر حجةً ما انتفت بإرسال الرسل، لأنَّ القدر باقٍ حتى مع إرسال الرسل، وهذا يدل على بطلان احتجاج العاصي على معصيته بقدر الله.

* وأما بطلانه بالنظر: فنقول: لو فرض أنه نشر في جريدة ما عن وظيفة مرتبها كذا وكذا، ووظيفة أخرى أقل منها؛ فإنك سوف تطلب الأعلى، فإن لم يكن طلبت الأخرى؛ فإذا لم يحصل له شيء منها، فإنه يلوم نفسه على تفريطه بعد المسارعة إليها من أول الناس.

وعندنا وظائف دينية مثل: (الصلوات الخمس كفارة لما بينها) وهي كنهر على باب أحدنا يغتسل منه في كل يوم خمس مرات، وصلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة؛ فلماذا تترك هذه الوظائف وتحتج بالقدر؟!، بينما أنت تذهب إلى الوظائف الدنيوية الرفيعة لتحصل عليها، فكيف لا تحتج بالقدر فيما يتعلق بأمور الدنيا وتحتج به فيما يتعلق بأمر الآخرة؟!

- مثال آخر: رجل قال: [عسى ربي أن يرزقني بولدٍ صالحٍ تقيٍّ عالمٍ عابدٍ]، وهو لم يتزوج، فنقول له: تزوج حتى يأتيك، فقال: لا، فلا يمكن أن يأتيه الولد، لكن إذا تزوج، فإن الله بمشيئته قد يرزقه الولد المطلوب.

- وكذلك مَنْ يسأل الله الفوزَ بالجنة والنجاة من النار، ولا يعمل لذلك، فلا يمكن أن ينجو من النار ويفوز بالجنة لأنه لم يعمل لذلك^(١).

(١) يراجع: القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ/ ابن عثيمين، (٢/ ٩٩٤)، ط. دار الثريّا.



فبطل الاحتجاج بالقدر على معاصي الله بالأثر والنظر، ولهذا قال ﷺ كلمة جامعة مانعة نافعة: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار» قالوا: يا رسول الله! أفلا ندع العمل ونتكل؟ قال: «اعملوا، فكل ميسر لما خلق له»^(١)، فأمرهم النبي ﷺ بالعمل ولم يجز لهم الاتكال على المكتوب لأن المكتوب من أهل الجنة لا يكون منهم إلا إذا عمل بعمل أهل الجنة، والمكتوب من أهل النار لا يكون منهم إلا إذا عمل بعملهم، والعمل باستطاعة المرء لأنه يعرف من نفسه أن الله قد أعطاه اختياراً للعمل وقدرة عليه بهما يفعل إن شاء أو يترك.

* ثم إن كثيراً من الناس يرى أنه يفعل الشيء باختياره ويتركه باختياره بدون أن يحس بإجبار له على الفعل أو الترك فكيف يتفق ذلك مع الإيمان بأن كل شيء بقضاء الله وقدره؟ والجواب: أننا إذا تأملنا فعل العبد وحركته، وجدناه ناتجاً عن أمرين: إرادة أي اختيار للشيء، وقدرة، ولولا هذان الأمران لم يوجد فعل، والإرادة والقدرة كلتاهما من خلق الله سبحانه لأن الإرادة من القوة العقلية، والقدرة من القوة الجسمية ولو شاء الله لسلب الإنسان العقل فأصبح لا إرادة له أو سلبه القدرة فأصبح العمل مستحيلاً عليه، فإذا عزم الإنسان على العمل ونفذه علمنا يقيناً أن الله قد أَرَادَهُ وقدره، وإلا لصرف همته عنه أو أوجد مانعاً يحول بينه وبين القدرة على تنفيذه.

- وقد قيل للأعرابي: بم عرفت ذلك؟ فقال: بنقص العزائم وصرف الهمم.

- كذلك يأتي في مسألة القدر عند بعض الناس أن الإنسان يُعَذَّبُ على فعل المعاصي فكيف يعذب عليها وهي مكتوبة عليه ولا يمكن أن يتخلص من الأمر المكتوب عليه وليس من العدل أن نجعل القدر حجة في المعاصي ولا تجعله حجة في جانب الطاعات.

(١) متفق عليه.



وجواب ثانٍ: أن نقول: إن القدر سرٌّ لا يعلمه إلا الله حتى يقع، فمن أين للعاصي العلم بأن الله كتب عليه المعصية حتى يقدم عليها، أفليس من الممكن أن يكون قد كُتبت له الطاعة؟، فلماذا لا يجعل بدل إقدامه على المعصية أن يقدم على الطاعة ويقول: إن الله قد كتب لي أن أطيع؟!^(١)

وجواب ثالث: أن نقول إنَّ الله قد فَضَّلَ الإنسانَ بما أعطاه من عقل وفهم وأنزل عليه الكتب وأرسل إليه الرسل وبيَّنَ له النافع من الضارِّ، وأعطاه إرادةً وقدرةً يستطيع بهما أن يسلك إحدى الطريقتين، فلماذا يختار هذا العاصي الطريقة الضارة ويقدمها على الطريقة النافعة؟!^(٢)

(١) يراجع: من مشكلات الشباب، للشيخ / ابن عثيمين، ص ٣٠، ٣١.

(٢) للتوسع.. أنصح بمطالعة كتاب [القضاء والقدر] للشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود، وكتاب [شفاء العليل] للإمام ابن القيم الجوزية - رحمه الله تعالى -.

الشبهة الحادية عشر: أنتم
إرهابيون وتجار دين.

* ومن الناس من يرغب عن الالتزام
بالشرع، بل ويتخوف من الملتزمين بأوامر
الله سبحانه وتعالى، ظناً منهم أنهم
«إرهابيون» وتجار دين، وما كان هذا
الشعور ليتواجد لولا الحملات الإعلامية
«المقروءة والمسموعة والمكتوبة» المركزة ضد الدعاة إلى الإسلام في كل عصر ومصر..

- والحقيقة أن الحملات الإعلامية بكل أنواعها.. تطلق الكثير من المصطلحات الخبيثة
على الملتزمين بشرع الله عز وجل، ومن هذه المصطلحات [والتي تحاول وسائل الإعلام
ترويحها بين عموم الناس «مصطلح كلمة التعصب الديني» وكلمة «التطرف الإسلامي»^(١)
والتي صار العلمانيون (اللا دينيون) وأذناهم يطلقونها على كل من تمسك بدينه، أو حاول
الدفاع عنه، ولم يتنازل عن شيء من أحكامه لأهوائهم، ومن هذه المصطلحات التي شاعت
كلمة «سني» حيث صاروا يطلقونها على كل مَنْ يُحاربُ البدع ويقمعها وينصر السنة وينشرها
ويطبقها، ولقد راجت هذه الكلمة -للأسف- وصار يرددونها الكثيرون كالبغاوات من غير
إدراك لفهومها، بل وأصبح مصطلح «سني» مصطلحاً ممنقوتاً عند الكثير من الجهلاء، وكأن
الانتساب إلى السنة عارٌ..

* ومن هذه المصطلحات التي أطلقها هؤلاء على كل من تمسك بدينه كلمة «حنبلي» بل
وصار مصطلح «حنبلي» كناية عن التعصب والتشدد والتخلف عند هؤلاء، وهل الإمام أحمد
بن حنبل -رضي الله عنه وعن سائر أئمة أهل السنة - إلا أحد أئمة المسلمين المشهود لهم
بالأمانة؟ والجلالة والإمامة في الدين؟

(١) للتوسع حول هذه الظاهرة الخطيرة، يُنظر: الإسلاموفوبيا د/ محمد عمارة ط. دار البشير للثقافة والعلوم،
الإرهاب "نظرات لغوية، وشرعية، وقانونية مهمة" د/ عثمان بن جمعة، ط. كتاب البيان.



* ووالله إنَّ الإمامَ المبجل [أحمد بن حنبل] نصر الله عز وجل على يديه سنة رسولنا ﷺ، بل حَفِظَ الله على يديه العقيدة السلفية الصحيحة - لاسيما - في مسألة «خلق القرآن» فقد حفظ الله الدين على يديه يوم الفتنة، فهو إمامٌ جليلٌ شَهِدَ له سائرُ الأئمةِ وأهلُ العلمِ بالفضلِ والورعِ والصلاحِ والزهدِ ونصرة الدين الحنيف، ومن أراد التوسع في ترجمة الإمام المبجل أحمد بن حنبل، فليراجع كتب السير ليقف على مناقب الإمام^(١)، وإني لأحذر أمثال هؤلاء الجاهلين بقدر العلماء وبقدر أنفسهم.. فأقول: إن القدح في العلماء، والطعن فيهم سبيل من سبيل أهل الزيغ والضلال، ذلك أن الطعن في العلماء ليس طعنًا في ذاتهم، وإنما هو طعن في الدين والدعوة التي يحملونها، والملة التي ينتسبون إليها، والطعن في العلماء محرم لأنهم من المسلمين، ويكتسب مزيد حرمة، لأنه وسيلة للطعن في الدين، وهذا مراد أهل البدع الطاعنين في سلف الأمة وعلمائها التابعين لهم بإحسان، والطرق والأسباب معتبرة بالمقاصد تابعة لها..

* قال الإمام ابن المبارك - رحمه الله -: «حق على العاقل أن لا يستخف بثلاثة: العلماء، والسلطين، والإخوان؛ فإنه من استخف بالعلماء ذهب آخرته، ومن استخف بالسلطان ذهب دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهب مروءته»^(٢).

* فاحذر الاستهزاء بالعلماء والطعن فيهم وذمهم وانتقاصهم ورميهم بـ (العمالة)، و(تجارة الدين) و(التطرف)، وإيّاك وغيتهم، فإن غيبة العلماء أعظم من غيبة غيرهم من الناس.. قال الإمام الحافظ ابن عساكر الدمشقي: «اعلم (وقفنا الله وإيّاك لمرضاته وجعلنا وإيّاك ممن يخشاه ويتقيه حق ثقاته)؛ أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستارهم

(١) لمعرفة مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ننصح بمطالعة [مناقب الإمام أحمد بن حنبل] للإمام ابن الجوزي، ط. مكتبة هجر للنشر والتوزيع.

(٢) ينظر: «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي، (١٧ / ٢٥١)، ط. مؤسسة الرسالة.

معلومة؛ لأن الواقعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاف على مَنْ اختاره الله منهم لنشر العلم خلق ذميم^(١).

* إياك وهدم القمم:

احذر - أخي الشاب - الواقعة في أهل

العلم، وإلا حشرت نفسك في خندق واحد

تظاهر أعداء الإسلام (من يحاولون تحطيم قمم الإسلام باعتبار ذلك أقصر طريق لطعن الإسلام نفسه)، فلا تكونن ظهيراً للمجرمين، واستحضر قول موسى الكليم عليه وعلى نبينا

الصلاة والتسليم: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧].

* ولك أن تعلم -أيها الشاب المبارك- أنَّ محاولة «هدم القمم» للتوصل بذلك إلى هدم الدين وإطفاء نوره هي سياسة قديمة قدم الكائدين لهذا الدين: فمن محاولاتها الأول: ما جرى من حديث الإفك في حق الصديقة بنت الصديق، الطاهرة البتول، المبرأة من فوق سبع سماوات «أم المؤمنين عائشة»، فقد كان الإفك طعنة موجهة في المقام الأول إلى صاحب الرسالة، ثم للرجل الثاني في الإسلام أبي بكر، ثم لعائشة التي حُملَ عنها ربع الشريعة^(٢).

ومن هذه المحاولات اليوم: اجتهد أعداء السنة والتوحيد من المستشرقين وأذئابهم من الذين نافقوا في الطعن في علماء السنة قديماً وحديثاً، كذلك حرصت الأبواق المنافقة على الطعن في المجددين الذين بعثوا سنة النبي ﷺ وذبوا عن دعوة التوحيد كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وغيرهم من المجددين إلى يومنا هذا، فمن وافق في تطاولهم على رموز الإسلام، فقد أعانهم على تحقيق غاياتهم الخبيثة.

(١) انظر: تبين كذب المفترى فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر الدمشقي، ص ٢٨. ط. المكتبة الأزهرية.

(٢) راجع: الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام، للدكتور/ محمد بن إسماعيل، ص ٣٣١، ط. دار طيبة بالرياض.



فيا أخي الحبيب احذر أن تتناول على العلماء فإنهم هم السادة على الحقيقة، والنزم الأدب معهم واعلم بأن أدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وأن قلة أدبه - وخاصة مع العلماء - عنوان شقاوته وبواره^(١).

(١) ينظر: مدارج السالكين، للإمام ابن القيم الجوزية، (٢/ ٤٠٢).



* ولا شك أن تعدد المناهج واختلاف الرؤى أمر خطير يصيب المبتدأ في طريق الالتزام بالحيرة والاضطراب، وحتى لا تختلط عليك الأمور، اعلم أن الحق واحد لا يتعدد ولكن عليك أن تعرف الحق لتعرف أهله،

الشبهة الثانية عشر: من
أصدق؟ وأي المناهج أتبع؟

قد تقول: لقد أصابني نوع من الحيرة والتشتت.. فلا أدري..

- مَنْ أَصَدِّق؟

وَمَنْ أَكْذَب؟

- مَنْ أَتَّبِع؟

وكل يدَّعي وصلاً بليلى *** وليل لا تقر لهم بذاك

- الكل يدَّعي أنه (يحتكر المنهج الصحيح)، و(السييل الحق)، وأنه وأتباع منهجه (الفرقة الناجية والطائفة المنصورة)، الأمر الذي أصابني بالتشتت والقلق والخوف من الالتزام؟!

والجواب:

لا شك أن تعدد المناهج أمر خطير يصيب المبتدع في طريق الالتزام بالحيرة والاضطراب. لكن اعلم أن الحق واحد لا يتعدد، حتى لا يختلط عليك الأمر، اعرف الحق تعرف أهله. فإذا ظهر لك ما أردته، وتحرر ما قصدته، فدعني أنطلق - بك أخي الحبيب - إلى سمات المنهج الذي ينبغي أن تكون عليه في سائر حياتك، وهو تحقيق الامتثال والمتابعة لأوامر النبي ﷺ..

- حيث إنه من المعلوم جلياً للقاصي والداني أنه لا يتعبد لله - عز وجل - ولا يتدين له إلا بالشرع الذي بلغه رسوله محمد ﷺ، فيعبد تعالى بما شرع، لا بالأهواء والبدع.



وإن جملة ما جاء عن النبي ﷺ أخبار وأوامر، فلا بد من تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب كل ما نهى عنه وزجر، وكل ذلك مع محبته وتوقيره ﷺ..
- وإن الناظر إلى الواقع المير الذي نحياه يجد أن أكثر الناس قد اتفقوا على الكلمة الأولى، وهي «الإخلاص» لله سبحانه وتعالى (خاصةً في أثناء سعيهم إلى طريق الالتزام الحقيقي والدعوة)، إلا أنهم اختلفوا في تحقيق الكلمة الثانية «الاتباع» اختلافًا واسعًا، فمنهم المتبع، ومنهم المبتدع.

فإذا تقرر أن الالتزام عبادة، وأن الله لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصًا صوابًا.
كان حريًا بك -أخي المكرّم- أن تراعي هذين الشرطين «أقصد الإخلاص، والاتباع»، ليكون التزامك وعملك صالحًا مقبلاً..
* قد تقول.. ولماذا نتبع النبي ﷺ؟

والجواب:

١- إننا نتبع النبي ﷺ لأن الله قد أوجب طاعته ﷺ في حياته وبعد مماته: حيث يجب على المسلم أن يمثل أوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ، ولا يفرق بين أمر الله وأمر رسوله المتمثل في أقواله وأفعاله وتقريراته، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

- كما بين أن مهمته إيضاح الحق حين يختلف فيه الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، [النحل: ٦٤]. وأوجب -سبحانه- النزول على حكمه في كل خلاف، فقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

- كذلك فإن الله تعالى قد أوجب على المسلمين اتباع الرسول فيما يأمر وينهى، قال سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، بل وحث -



سبحانه - على الاستجابة لما يدعو إليه ﷺ فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

بل ولم يُبَحِ الله تعالى للمؤمنين أن يخالفوا حكمه أو أوامره فقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

- واعتبر الشارع الحكيم من علامات النفاق الإعراض عن تحكيم الرسول في مواطن الخلاف، فقال سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٤٧ - ٥١].

- فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يعارضه بخيال باطل (يسميه معقولاً)، أو يحمله شبهة أو شكاً، أو يقدم عليه آراء الرجال وأفكارهم الوضعية، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحَّد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول فلا يحاكم إلى غيره ولا يرضى بحكم غيره^(١).

(١) للتوسع، راجع: «شرح الطحاوية» للإمام الطحاوي، تحقيق الشيخ/ شعيب الأرنؤوط، ج ١ / ١١٠ ط. مؤسسة الرسالة، وانظر: «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة» للإمام السيوطي، ص ١٥، ط. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكتاب: «سبيل الجنة بالتمسك بالقرآن والسنة» للشيخ/ أحمد بن حجر آل بوطامي، ص ١٢، ط. مكتبة منار السبيل.



٢- لأن طاعة الرسول طاعة لله تعالى: حيث قرَنَ -سبحانه وتعالى- طاعة الرسول بطاعته في آيات كثيرة، فقال عزَّ من قائل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، بل واعتبر -جل جلاله- طاعة الرسول ﷺ طاعةً لله، فقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

- فطاعة الرسول طاعة لله جل وعلا، ومعصيته معصية لله جل وعلا، ومحبة هي الطريق الموصل لمحبة الله جل وعلا، ولا يقبل الله تعالى من أحدٍ صرفاً ولا عدلاً إلا باتباعه ﷺ فبعثته تبين الرشد من الغي، والشرك من التوحيد، والصدق من الكذب، والإخلاص من النفاق، واليقين من الشك، وطريق الجنة من طريق النار، بل ولم يَبَقَ من خيرٍ آجلٍ أو عاجلٍ إلا ودَلَّ الأمة عليه، ولم يَبَقَ شرٌّ عاجلٍ أو آجلٍ إلا حَذَّرَ الأمة منه ونهاهم عنه، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

- ولقد توافرت النصوص القرآنية في تبين هذا الأصل العظيم والحث عليه، فقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

- وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٦٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [١٣] وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٣-١٤]. والآيات الدالة على هذا الأصل كثيرة.

٣- لأن معصية الرسول معصية لله تعالى: ولعل هذا واضح كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وحذر ربنا من مخالفة أمره، فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ



أَلَيْسَ ﴿[النور: ٦٣]، وأشار -سبحانه وتعالى- إلى أن مخالفته كفرٌ، فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

- قال الشافعي -رحمه الله تعالى-: «وما بين رسول الله ﷺ فيما ليس لله فيه حكم - فبحكم الله سنة- وكذلك أخبرنا الله في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقد سنَّ رسول الله مع كتاب الله وسنَّ فيما ليس فيه بعينه نص كتاب الله وكل ما سنَّ فقد ألزمنَّا الله اتباعه وجعل في اتباعه طاعته، وفي العند «الميل والانحراف» عن اتباعه معصيته التي لم يعذر بها خلقاً، ولم يجعل الله له من اتباع سنن رسول الله مخرجاً»^(١).

٤- لأن اتباع النبي هو الميزان الصادق لكل من ادعى الإيمان والإخلاص والمحبة: حيث يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، فهذه الآية هي «الميزان» والتي يعرف بها من أحبَّ الله حقيقةً ومن ادعى ذلك دعوى مجردة، فلا صحة لدعوى المحبة إلا أن يكون برهانها يتقدمها ويصحح مسارها، ألا وهو الاتباع ولزوم السنة.

- يقول ابن القيم -رحمه الله-: «لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، فلو يُعطى الناس بدعواهم لادَّعى الخليُّ حرقة الشجيِّ، فتنوع المدَّعون في الشهود فقيل: لا تُقبل هذه الدعوة إلا ببينة» ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي...﴾ الآية [آل عمران: ٣١]، فتأخر الخلق كلُّهم، وثبت اتباع الحبيب في أقواله وأفعاله وأخلاقه»^(٢).

٥- لأن النبي أمر باتباعه: ومما يدل على ذلك: ما ثبت عن النبي ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه وعلا صوته

^(١) تراجع: «الرسالة» للإمام الشافعي، تحقيق الشيخ / أبي الأشبال أحمد محمد شاكر، ص ٨٨، ٨٩، ط. مطبعة دار التراث بالقاهرة.

^(٢) تراجع: «مدارج السالكين» لابن القيم (٨/٣).



واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش، يقول: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ»، ويقول: «أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(١).

* كذلك ما يدل على هذا الأصل العظيم قوله ﷺ: «ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»^(٢).

- وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: ومن أبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»^(٣).

٦- لأن النبي هو أسوة كل مؤمن: يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، والأسوة: هي القدوة، فلا اقتداء إلا به، ولا اتباع إلا له، ولا نجاة إلا بالسير على طريقته ﷺ.

٧- لأن اتباع النبي ﷺ شعار كل مؤمن: إن المؤمنين الصادقين في إيمانهم برسول الله، الصادقين في محبتهم له ﷺ يطيعون أمره ويحبتون نبيه، ويقفون عند حدوده التي حدّها، شعارهم في هذا كله «سمعنا وأطعنا» سمعًا بلا تردد، وطاعة بلا انحراف ولا جدال!! - أما المنافقون (والعياذ بالله) الذين يدعون الإيمان ويتظاهرون بالإسلام ويقولون بألسنتهم -فقط- نحن نحب رسول الله ﷺ أكثر من حبنا لأنفسنا، ويتغنون بذلك ويرددون: «آمنا بالله وبالرسول وأطعنا»، يقولونها بألسنتهم ويكذبونها وينكرونها بسلوكهم وأعمالهم... نعم يكذبون بالأعمال ما قالوه باللسان «وما أولئك بالمؤمنين»!!،

(١) رواه مسلم (٧٦٧).

(٢) رواه مسلم (١٣٣٧).

(٣) رواه البخاري (٧٢٨٠).



فالمؤمنون لصادقون المحبون المطيعون تصدق أعمالهم أقوالهم، ولا يخالف علمهم عملهم، ولا تخالف سريرتهم علانيتهم؛ لأن الإيمان الصحيح متى سكن القلب واستقر انعكست حتمًا آثاره على صاحبه فدار مع الإسلام حيث دار واستمع إلى الأمر فأطاعه، وإلى النهي فاجتنبه، وإلى الحد فأقامه وما تعداه!!

* من أجل هذا فإنَّ كلَّ مَنْ رَضِيَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ رسولًا لم يلتفت إلى غير هديه، ولم يعول في سلوكه على غير سنته وحكمه، بل إنه يتحاكم إليه وتقبل حكمه وينقاد له، ويتبعه ويتابعه ويرضى بكل ما جاء به ﷺ من عند ربه، وعندئذ تسكن القلوب لذلك، بل وتطمئن النفوس وتنشرح الصدور، وترى نعمة الله عليها وعلى سائر الخلق «مَجَسَّدَةً فِي النَّبِيِّ ﷺ وَدِينِهِ» أعظم من أي نعمة، بل وترى من هذا حاله فرحًا بفضل ربه عليه ورحمته به أن وفقه وجعله من أتباع خير المرسلين وحزبه المفلحين. ولذلك فإن شعار كل مؤمن محب للنبي متبع له هو الرضا بما جاء به الشرع الحنيف على لسان رسول الله ﷺ من أمر ونهي وتحريم وكرامة، هذا هو شعار كل مؤمن فهو يرضى بكل ما صَحَّ عن رسول الله، كذلك فهو يعلم أن الرضا ليس شعورًا باردًا، وليس كلمات باهتة وإنما الرضا الحقيقي هو ما جمع بين قبول الأمر والانقياد له، فلا يكون الرضا إلا حيث يكون التسليم المطلق والانقياد ظاهرًا وباطنًا لما جاء به الرسول ﷺ من ربه، وكل التفات أو عدول عن الوحي إلى غيره أو اعتراض عليه فهو مناقض للرضا، بل ودليل على النفاق، ومؤدِّ إلى الكفر والمروق من الدين»^(١).

(١) يراجع بحث: «محبة الرسول بين الاتباع والابتداع» تأليف: د/ عبد الرؤوف محمد عثمان، ص ١٣٦، ط. مكتبة الضياء.



٨- لأن اتباع النبي هداية لأتباعه في الدنيا والآخرة: يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]، فالهداية في الدنيا والنجاة في الآخرة متعلقة باتباعه، والغواية معلقة بالزيغ عن سنته^(١)..

* ومن تدبر العالم والشور الواقعة فيه علم أن كل شر في العالم سببه مخالفة الرسول والخروج عن طاعته، وكل خير في العالم فإنه بسبب طاعة الرسول، وكذلك شرور الآخرة وآلامها وعذابها إنما هو من موجبات مخالفة الرسول ومقتضياتها، فلو أن الناس أطاعوا الرسول حق طاعته لم يكن في الأرض شر قط، وهذا كما أنه معلوم في الشرور العامة والمصائب الواقعة في الأرض، فكذلك هو في الشر والألم والغم الذي كان يصيب العبد في نفسه، فإنما هو بسبب مخالفة الرسول ولأن طاعته هي الحصن الذي من دخله كان من الآمنين، والكهف الذي من لجأ إليه كان من الناجين، وهذا برهان قاطع على أنه لا نجاة للعبد ولا سعادة إلا بالاجتهاد في معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، علماً والقيام به عملاً، وكمال هذه السعادة بأمرين آخرين: إحداهما: دعوة الخلق إليه، والثاني: صبره واجتهاده على تلك الدعوة..

* فأنحصر الكمال الإنساني على هذه المراتب الأربعة: أحدهما: العلم بما جاء به الرسول، الثانية: العمل به، الثالثة: المنتشرة في الناس ودعوتهم إليه، الرابعة: صبره وجهاده في أدائه وتنفيذه^(٢).

٩- تتبع نبينا لأن الصحابة الكرام والسلف العظام (وهم أرجح منا عقولاً، وأعظم منا فهماً) اتبعوه وساروا على طريقته...

(١) يراجع: «أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله» للأستاذ/ فواز بن هليل بن رباح السحيمي، ص ٩٢، ط. دار ابن القيم.

(٢) ينظر: «الرسالة التبوكية» لابن القيم، تحقيق الشيخ/ أشرف عبد المقصود، ص ٥١، ٥٢، ط. مكتبة التوعية الإسلامية.



- فيها هو عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إياكم وأصحاب الرأي، فإن أصحاب الرأي أعداء السنن أعييتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا^(١).
وهذا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «إنا نفتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأمر»^(٢).
وأخرج الآجري عن علي بن أبي طالب قوله: «لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بقول، ولا قول ولا عمل إلا بنية، ولا نية إلا بموافقة السنة»^(٣).
وقال الزهري -رحمه الله تعالى-: «كان من سبقنا من علمائنا يقول: الاعتصام بالسنة نجاة»^(٤).

- وقال ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: قاعدة نافعة في وجوب الاعتصام بالرسالة، وبيان أن السعادة والهدى في متابعة الرسول ﷺ، وأن الضلال والشقاء في مخالفته، وأن كل شر في العالم مختص بالعبد فسببه مخالفة الرسول أو الجهل بما جاء به، وأن سعادة العباد في معاشهم ومعادهم باتباع الرسالة: والرسالة ضرورية للعباد، لا بُدَّ لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأَيُّ صلاحٍ للعالم إذا عَدِمَ الروح والحياة والنور؟

* والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد في ظلمة، وهو من الأموات، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَتَّكُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا....﴾ [النساء: ١٠٢].

(١) يراجع: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» لأبي القاسم هبة الله اللالكائي (١/ ١٢٣)، ط. دار طيبة.

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول أهل السنة والجماعة» ج ١ / ١٠٥، ١٠٦، ط. دار طيبة، الرياض.

(٣) ينظر: «الشرعية» للإمام الآجري (١/ ١١٣)، ط. دار الوطن.

(٤) أخرجه الدارمي في السنن، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٨٩).



* فهذا وصف المؤمن، كان ميتاً في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نوراً يمشي به في الناس..

* ثم قال -رحمه الله-: وحاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب، فإن آخر ما يُقدَّر بعدم الطبيب: موت الأبدان، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها؛ مات قلبه موتاً لا يرجى الحياة معه أبداً، أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبداً، فلا فلاح إلا باتباع الرسول، فإن الله خصَّ أتباعه بالفلاح، كما في قوله تعالى: ﴿قَالِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]... أي: لا مفلح إلا هم^(١).

* خطر الابتداء: فإذا علمت -أخي الشاب- مدى أهمية الاتباع في كل شيء، تبين لك أن الذي يخرج عن هذا المنهج في دعوته لا شك أنه يشكل خطراً على نفسه ومجتمعه، ولعلك -أخي الحبيب- إذا تأملت أحوال السعادة في حقل الالتزام بالدين، وأن ترى تلك الآفة «وأعني بها» التقصير في الاتباع والامثال للأوامر الشرعية من الكتاب والسنة قد أصابت نواحي من رقعة سعيهم، وإلى الله المشتكى!!

* لأجل هذا فاحذر -أخي الحبيب- أن تكون عبادتك وطاعتك ودعوتك وفقاً لمرادك، أو تحقيقاً لهوى طبعك، أو مسaire لآلئك، بل قدّم ما قدمه الشرع، ولو كان في ذلك مخالفة للرأي والإلف والطباع، لتحقيق الاتباع الذي غابت أنواره عن أكثر الناس -وخاصةً- بعض العاملين في الحقل الدعوي بالجماعة.

قد تقول: لقد رغبتني في اتباع النبي ﷺ، ولكن كيف أكون متبعاً للنبي ﷺ، في أثناء التزامي فترة الدراسة الجامعية، وما بعدها؟!

(١) يراجع: «مجموع الفتاوى» (١٩/٩٣: ٩٧).



والجواب: إن الصوارف والشواغل والملهيات والفتن أصبحت في عصرنا تمثل تحديًا آخر مضافًا لتحديات النفس والهوى والشياطين بإنسها وجنّها، فماذا يفعل الشاب المسلم الغريب (فضلاً أن يكون مستقيماً على منهج الله - تعالى -) في مثل هذا العصر، - وخاصةً - وهو يتطلع إلى تجاوز المرحلة الجامعية بكل نجاح فماذا يفعل هذا الشاب وهو يرى الفتن تهيج في الأرض وتموج في الفضاء، فتمطر قطرها وتطير شرراها خلال الديار؟ ماذا يفعل وهو يراها تجيء فيرقق بعضها بعضاً، وتهجم فيسبق بعضها بعضاً؟!

لا يوجد حل مثمر إلا الالتزام بهدي رسول الله ظاهرًا وباطنًا - وخاصةً - في أثناء الدراسة الجامعية والحياة العملية، لذلك فأنا أوصيك أخي الملتزم بالجامعة: أن تتبع المنهج السليم: إذ إن المنهج في الالتزام بمثابة الطريق الواضح السهل الذي يسلكه أهل الالتزام في طريقهم للوصول إلى الأهداف المرجوة..

- وإلا فعدم اتباع منهج واضح المعالم يؤدي إلى عدم وضوح الرؤية، والتخبط في الواقع بين المناهج والأفكار المتباينة المختلفة.

- وحتى تصل إلى بغيتك من الالتزام بالحق فلا بد من تحقيق اتباع النبي ﷺ في كل الأمور «في القول والعمل والاعتقاد والدعوة».

- ولن تحقق الاتباع الصادق [بلا تفريط أو إخلال] إلا إذا اتبعت [منهج السلف الصالح]، واتبعت أفهامهم الثابتة لشرع الله تعالى.

* قد تقول: ما المقصود بـ [مصطلح أهل السنة أو السلف الصالح]؟!، ومتى ظهر هذا المصطلح؟!، ومن مؤسس هذا المنهج؟!



والجواب: كلمة السلف: أصلها اللغوي من كلمة «سلف» بمعنى: مضى وتقدم..
فالسلف يعني: المتقدم، وسلف الرجل: آباؤه المتقدمون وقربته الذين هم فوقه في السن والفضل^(١).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾
[النساء: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣].

كذلك فإن معنى «كلمة السلف» تُطلق ويُرادُ بها معانٍ عديدة، منها:
- القرض أو الدين، ومنه بيع السلف أو السلم.
- وتأتي كلمة السلف ويراد بها: مَنْ مضى مِنَ الأُمَمِ قبل أمة محمد ﷺ.
- وكذلك تأتي بمعنى: مَنْ تَقَدَّمَ من أهل الفضل [كالصحابَة].
- أما المقصود بـ [مصطلح السلف الصالح] فيطلق على صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وأئمة الهدى في القرون الثلاثة المفضلة..^(٢)، ويخرج من مفهوم السلف الصالح «المبتدعة وأصحاب الأهواء والمحدثات في الدين وما تفرع عنهم كلهم من فرق واتجاهات ومذاهب عقدية، كذلك يخرج عن هذا المفهوم الخارجون على أئمة المسلمين بالسيف أو بشق عصا الطاعة»^(٣)، كذلك يخرج من هذا المفهوم السفهاء والفجار والفساق..
- أما عن دلالة مصطلح «السلفية» اصطلاحًا: هو ما كان عليه الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - والتابعون لهم بإحسان «الذين أخذوا عنهم هذا الدين، فنقلوه،

(١) للتوسع.. يراجع في ذلك: «لسان العرب» لابن منظور (٣/٢٠٦٨، ٢٠٧٠) ط. دار المعارف
(٢) راجع: «لوامع الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية.. شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية» للإمام السفاريني (٢٠/١) ط. مكتبة الرشد بالرياض.
(٣) يراجع بحث: «مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة»، د/ ناصر بن عبد الكريم العقل، ص ٥، ط. دار الصفوة.



وعَلِّمُوهُ، وعَمَلُوا بِهِ»، وأتباعهم وأئمة الدين ممن شُهد لهم بالإمامة وعُرف عظم شأنهم في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفًا عن سلف، (كالأئمة الأربعة وغيرهم) دون مَنْ رُمِيَ بالبدعة، أو شُهرَ بلقبٍ غير مَرْضِيٍّ مثل الخوارج والروافض والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة.. وما تفرع عنهم كالفلاسفة، والمتكلمين، والصوفية، والقرآنيين والعلمانيين، وأصحاب الطرق والأفكار الضالة^(١).

إذن نخلص من ذلك: أن السلفية اصطلاح جامع يُطلق للدلالة على منهج «أتباع أهل السنة والجماعة» في تلقي الإسلام وفهمه والعمل به، وللدلالة على الملتزمين بهذا المنهج قديمًا وحديثًا^(٢).

- فكل من التزم بعقائد وفقه هؤلاء الأئمة كان منسوبًا إليهم وإن باعدت بينه وبينهم الأماكن والأزمان، وكل مَنْ خالفهم فليس منهم وإن عاش بين أظهرهم وجمع بهم نفس المكان والزمان.

- أما عن مؤسس هذا المنهج: فالجواب: إن المنهج السلفي هو «منهج أهل السنة والجماعة»، وهو ليس من تأسيس بشر، إنما هو الإسلام الصحيح، كتابًا وسنةً، وبالفهم الصحيح علمًا وعملاً، وتمسك بما كان عليه الإسلام في زمن النبوة، وما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ، ومن تبعهم بإحسان.

(١) يراجع: «العقائد السلفية بأدلتها العقلية» للشيخ/ أحمد بن حجر آل بوطامي (١/ ١٤، ١٥) ط. دار الإبيان، وراجع بحث: «التحفة المهدية لمن سأل عن معنى السلفية» للشيخ أبي عبد السلام حسن بن قاسم الحسيني الريمي ص٨، ص٩، ص١٠، ص١١، للشيخ/ أبي عبد السلام حسن بن قاسم الحسيني الرِّيمي، ط. دار الإمام أحمد بالقاهرة.

(٢) للتوسع يراجع: «المنهج السلفي.. تعريفه-تاريخه-مجالاته-قواعده-خصائصه» د/ مفرح بن سليمان القوسي، ص٤٣، ط. دار الفضيلة.



والخلاصة: إن (المنهج السلفي) منهج قديم قَدِمَ الإسلام نفسه؛ حيث إنه لم ينشأ ويتطور بعد عصر الرسول كما نشأت الفرق بعد عصر الرسول، وشهدت تطوراً جليلاً بعد جيلٍ، كما أن منهج أهل السنة والجماعة لا يقوم كغيره من مذاهب الفرق الأخرى على نسقٍ من وضع أحد العلماء أو المفكرين^(١).

شبهة: قد يقول لك أحدهم: إنكم تخصّصون أنفسكم بمصطلح «السلف»، أو «أهل السنة والجماعة»، وهذا المصطلح مصطلح مُحدث لم يكن معروفاً في عهد النبي ﷺ ولا في زمن أصحابه رضي الله عنهم!!

والجواب: أولاً: إن إطلاق الأسماء على أي حقيقة لا ضرر منه مطلقاً (سواء في الشرعيات أو المباحات)، والاسم طالما أنه لم يشتمل على باطل فليس ممنوعاً شرعاً، ولقد سُمي بعض المهاجرين من أجل الهجرة، وسُمي البعض الآخر بالأنصار من أجل النصرة، وسُمي مَنْ جاء بعدهم بالتابعين لاتباعهم من سبقهم من المهاجرين والأنصار، فما هو الضير في تسمي من تلمس هدي السلف من المهاجرين والأنصار والتابعين بـ (أهل السنة والجماعة) أو (السلفيين)^(٢)!!

ثانياً: لقد كان المسلمون الأوائل -وهم الصحابة رضي الله عنهم - قبل بزوغ بذرة التفرق والانشقاق ليس لهم اسم يتميزون به؛ لأنهم كما ذُكر يمثلون الإسلام، والامتداد الطبيعي له، لكن لما حصلت تلك الفرق الضالة التي يشملها لفظ أهل الأهواء (لغلبة اتباع الهوى عليهم)، ولفظ أهل البدع (لاتباعهم ما هو خارجٌ عن الدين وأجنبي عنه)، وأهل الشبهات (لأنهم يلبسون الحق بالباطل، فيشبهون به على العامة) ..

لما حصلت تلك الفرق، منتسبة إلى الإسلام، منشقة عن العمود الفقري للمسلمين، ظهرت ألقابهم الشرعية المميزة لجماعة المسلمين لنفي الفرق والأهواء عنهم، سواء ما كان

(١) يراجع بحث: «أسئلة وأجوبة حول السلفية» د/ علاء بكر، ص ١٣، ط.الدار السلفية.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٦.



من الأسماء ثابتاً لهم بأصل الشرع «كمصطلح الجماعة»، «جماعة المسلمين»، «الفرقة الناجية»، «الطائفة المنصورة».

أو بواسطة التزامهم بالسنن أمام أهل البدع، ولهذا حَصَلَ الربط لهم بالصدر الأول، فيقال لهم: «السلفيون، أهل الحديث، أهل الأثر، أهل السنة والجماعة»^(١).

* ولعلَّ هذا يتضح باستقراء النصوص، فهذا يحيى بن يعمر البصري، وحيد بن عبد الرحمن الحميدي البصري (لَمَّا ظهرت القدرية في عصرهما، وصارت لهم مخالفات لأصول أهل السنة والجماعة) ذهباً إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فأخبراه بما حَصَلَ عندهم، فقال يحيى: «يا أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قِبلنا ناس يقرأون القرآن، ويتقنعون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف»، قال عبد الله بن عمر: «فإذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر: لو أن لأحدهم مثل أُحُدٍ ذهباً فأنفقه، ما قَبِلَ الله منه حتى يؤمن بالقدر...»^(٢).

بل وهذا زبيد بن الحارث اليامي: «لَمَّا ظَهَرَتِ المرجئة في عصره، ورأى أن لهم مخالفات لأصول أهل السنة والجماعة» وسارع إلى أبي وائل شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي، فأخبره زبيد بما حصل فأفتاه أبو وائل بما حفظ عن رسول الله ﷺ فقال: قال النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»^(٣).

* وبهذا اتضح لك لماذا كانت هذه التسمية ضروريةً وما زالت لتمييز الطائفة المهتدية باتباع منهج أهل السنة والجماعة عن سائر الطوائف المخالفة لهم باسم يشير إليهم من بين مَنْ يخالفهم، وهي نسبة قبل أن تكون اسماً علماً.

(١) للتوسع.. يراجع بحث: «حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية» للعلامة د/ بكر بن عبد الله أبو زيد، ص ٣٧، ط. مؤسسة قرطبة.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.



رابعاً: نحن لا نتعصب لهذا الاسم، بل نحب كل مسلم يشهد الشهادتين، ويعمل حسب استطاعته بمقتضاها، ونوالي كل مسلم حسب دينه واعتقاده وإيمانه، بل والفرق بيننا وبين غيرنا أننا لا نتعصب لهذا الاسم، ولا نعادي عليه، ولا نجعله شعاراً بديلاً عن الإسلام، بل نحن مسلمون أولاً وأخيراً، و(منهج أهل السنة والجماعة) لا يعني عندنا أكثر من الفهم الصحيح للإسلام الموافق للكتاب والسنة والمتبع للسلف الصالح - رضوان الله تعالى عليهم -^(١).

ومما يؤكد ذلك تلك المحاورة اللطيفة التي حدثت بين المحدث الشيخ الألباني -رحمه الله- وبين الأستاذ عبد الحليم أبو شقة «مؤلف كتاب: تحرير المرأة في عصر الرسالة»، والتي أسوقها -للأخ القارئ- تأكيداً لما قعدتُ سالفاً: أن السلفيين لا يتعصبون لهذا الاسم.

قال الشيخ: إن قيل لك.. ما مذهبك، فما أنت قائل؟

قال: مسلم.

قال الشيخ: هذا لا يكفي!

قال: لقد سمنا الله المسلمين، وتلا قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ﴾ [الحج: ٧٨].

قال الشيخ: هذا جوابٌ صحيح لو كنا في العهد الأول قبل انتشار الفرق، فلو سألنا الآن أي مسلم من هذه الفرق التي تختلف معنا جذرياً في العقيدة لما اختلف جوابه عن هذه الكلمة، فكلهم يقول: الشيعي الرافضي، والخارجي والدرزي، والنصيري العلوي، أنا مسلم، إذا هذا لا يكفي في هذه الأيام.
قال: إذا أقول: أنا مسلم على الكتاب والسنة.

(١) ينظر: «أسئلة وأجوبة حول السلفية» د/ علاء بكر، ص ٢٧.



قال الشيخ: هذا لا يكفي!

قال: لماذا؟

قال الشيخ: هل تجد واحداً من هؤلاء الذين ضربنا بهم المثل يقول: أنا مسلم لست على الكتاب والسنة.. فمن الذي يقول: أنا لست على الكتاب والسنة.
ثم أخذ الشيخ -رحمه الله- يبين له أهمية الضميمة التي نتبناها وهي (الكتاب والسنة بفهم سلفنا الصالح).

قال: إذا أنا مسلم على الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

قال الشيخ: إذا سألك سائل عن مذهبك فهل تقول له ذلك؟

قال: نعم.

قال الشيخ: ما رأيك أن نختصرها لغة؛ لأن خير الكلام ما قل ودل، فنقول: سني سلفي.

قال: قد أجاملك، وأقول لك: نعم، لكن اعتقادي ما سبق؛ لأن أول ما ينصرف فكر الإنسان عندما يسمع (أنك سلفي) إلى أشياء كثيرة من ممارسات فيها شدة تصل إلى الغلظة التي قد تقع من بعض السلفيين.

قال الشيخ: هَبْ صحة كلامك، فإذا قلت: مسلم، ألا ينصرف إلى شيعي رافضي أو درزي أو إسماعيلي..؟ قال: من الممكن لكنني أكون قد اتبعت الآية: ﴿هُوَ سَمَلَكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨].

قال الشيخ: لا يا أخي! إنك لم تتبع دلالة الآية؛ لأن الآية تعني: الإسلام الصحيح، ينبغي أن يخاطب الناس على قدر عقولهم.. فهل يفهم أحد منك أنك مسلم بالمعنى المراد في الآية؟ والمحاذير التي ذكرتها آنفاً قد تكون صحيحة أو غير ذلك؛ لأن قولك شدة قد يكون هذا في بعض الأفراد، وليس كمنهج عقدي علمي، فدعك من سلوك بعض



الأفراد؛ لأننا نتكلم عن المنهج لأننا وبهذا إذا قلنا شيعي أو درزي أو خارجي أو صوفي أو معتزلي ترد المحاذير التي ذكرتها.

* إذاً فليس هذا موضوعنا، فنحن نبحث عن اسم يدل على مذهب الإنسان الذي يدين الله به..

ثم قال الشيخ: أليس الصحابة كلهم مسلمين؟
قال: طبعاً.

قال الشيخ: لكن فيهم من سرق، وزنا، وهذا لا يُسوِّغ لأحدهم أن يقول: أنا لست مسلماً بل هو مسلم، ومؤمن بالله كمنهج، لكنه قد يخالف منهجه أحياناً؛ لأنه غير معصوم، ولذلك فنحن -بارك الله فيك- نتكلم عن كلمة تدل على عقيدتنا ومنطلقنا في حياتنا فيما يتعلق بشؤون ديننا الذي نتعبد لله به، وأما فلان متشدد أو متساهل فأمر آخر.
ثم قال الشيخ -رحمه الله-: أريدك أن تفكر في هذه الكلمة الموجزة حتى لا تبقى مصرّاً على كلمة مسلم وأنت تعلم أنه لا يوجد أحد يفهم منك ما تريده أبداً، فإذا خاطب الناس على قدر عقولهم^(١).

قد يقول قائل: وهل يجب على كل مسلم اتباع منهج أهل السنة والجماعة؟!
والجواب: نعم يجب على كل مسلم الالتزام بالمنهج الإسلامي الصحيح القويم، والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

- قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

(١) للتوسع.. راجع بحث: «لماذا اخترت المنهج السلفي» للشيخ/ سليم الهلالي، ص ٣٧، ٣٨، ط. دار ابن القيم، وابن عفان.



* قال ابن كثير - رحمه الله -: «أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول فصار في شق، وذلك عن عمد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح، وقوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥]، وهذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه أتباع السنة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ، وتعظيماً لنبیهم»^(١).

* وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن كلاً من الوصفين يقتضي الوعيد؛ لأنه مستلزم للآخر... فهكذا الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين، ومن شاقه اتباع غير سبيلهم وهذا ظاهر، ومن اتبع غير سبيل المؤمنين شاقه أيضاً، فإنه قد جعل له مدخلاً في الوعيد، فدل على أنه وصف مؤثر في الذم، فمن خرج عن إجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعاً، والآية توجب ذم ذلك»^(٢).

ولقد بين الله - تعالى - هؤلاء المؤمنين وحث على اتباعهم بقوله تعالى^(٣): ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُتَحَرِّينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٦٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/١٩٣، ١٩٤).

(٣) استفدت في هذه الجزئية من بحث «إرشاد البرية إلى شرعية الانتساب للسلفية ودحض الشبه البدعية» لأبي عبد السلام حسن بن قاسم الحسني الريمي السلفي، ص ٣٧، ص ٣٨، ص ٣٩، ص ٤٠، قدّم له الشيخ/ مقبل بن هادي الوادعي، ط. دار الآثار بصنعاء، الطبعة الثامنة سنة ٢٠٠٥ م.



- قال ابن كثير - رحمه الله -: «يخبر الله تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم والنعيم المقيم»^(١).

- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].
- قال السعدي - رحمه الله -: «فوصف الله من بعد الصحابة بالإيمان؛ لأن قولهم: «سبقونا بالإيمان» يعني المشاركة فيه، وأنهم تابعون للصحابة في عقائد الإيمان وأصوله، وهم أهل السنة والجماعة، الذين لا ينطبق الوصف التام إلا عليهم»^(٢).

- وقال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

- قال ابن كثير: يقول تعالى: «﴿فَإِنْ آمَنُوا﴾» يعني الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، «بمثل ما آمنتم به» يا أيها المؤمنون، والإيمان بجميع كتب الله ورسوله، ولم يفرقوا بين أحد منهم، «فقد اهتدوا» أي: هُذُوا للإيمان وأرشدوا إليه»^(٣).

والآية تتناول أيضًا متأخري هذه الأمة؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو معلوم عند أهل الأصول والتفسير؛ حيث إنه يجب عليهم أن يتبعوا ما كان عليه الأوائل من الصحابة في تمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ حتى يحصل لهم الهدى، وقد ثبت في حديث العرباض بن سارية أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فعلیکم بستی

(١) تفسير ابن كثير (٨/٢).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» للشيخ السعدي (٢٠٩/٥).

(٣) تفسير ابن كثير (١٩٢/١).



وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن ل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(١).

لماذا نتبع منهج أهل السنة والجماعة؟!

* إن لمنهج أهل السنة والجماعة، وأتباع منهج السلف الصالح خصائص عديدة، لا توجد في أي منهج آخر، ولا غرو في ذلك؛ إذ إنَّ المنهج مستمدٌّ من الوحي (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)، ومن أهم خصائص منهج (أهل السنة والجماعة وأتباع السلف الصالح):

هذا

- سلامة مصدر التلقي: وذلك باعتمادهم الدائم على الكتاب والسنة، ولعلَّ هذا من أهم ما يميز أهل السنة عن غيرهم.. حتى إنك تجد أن علماء المسلمين ينعتون أهل السنة والجماعة، ويصفونهم بأنهم (أهل الاتباع والأثر وأصحاب الحديث). فهم ثابتون في أصول الدين وفروعه، على ما أنزله الله وأوحاه على عبده ورسوله محمد ﷺ دون إعمال للعقول في النصوص الشرعية، ذلك أنَّ العقول لا تدرك الغيب، ولا تستقل بمعرفة الشرائع؛ لعجزها وقصورها، فكما أنَّ سمع الإنسان قاصر، وبصره كليل، وقوته محدودة فكذلك عقله؛ لأجل هذا فإن السلفيين يسلمون لنصوص الشرع (سواء فهموا منها

(١) رواه الترمذي (٢٦٧٦) وقال: حديث حسن صحيح، ورواه أبو داود (٤٦٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٩).



العلة أو الحكمة أم لا)، ولا يعرضون النصوص على عقولهم، بل يعرضون عقولهم على النصوص، وهم في هذا كله لا يقللون من شأن العقل، (وإنما يعملونه في مجالاته فقط)^(١).

- الاتباع لا الابتداع: فهم -أقصد أتباع منهج أهل السنة والجماعة- لا يُقدّمون بين يدي الله ورسوله، ولا يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ، ولا يرضون لأحد كائناً من كان أن يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ، وليس لهم إمام معظّم يأخذون كلامه كله، ويدعون ما خالفه إلا الرسول ﷺ؛ لأنهم أعلم الناس بالرسول ﷺ، فهم يعلمون هديّه، وأعماله، وأقواله، وتقريراته، لذلك فهم أشد الناس حبّاً له، واتباعاً لسنة، كذلك فهم جعلوا منهجهم قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فقدّروا نصوص القرآن والسنة حق قدرها، وعظّموها حق تعظيمها، فقدّموها على أقوال الناس جميعاً، وقدموا هديها على هدي الناس جميعاً، واحتكموا إليها في كل شأن عن رضا كامل، وصدور منشرة بلا ضيق ولا حرج، وسلّموا لله ولرسوله التسليم الكامل، في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم، هم الذين يصدق فيهم قول الله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ١٥].

- لأجل هذا أثنى علماء المسلمين على هذا المنهج وأهله، بل صار هذا الاسم -أقصد (السني أو السلفي)- شعاراً لكل متبع.

- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في تعريف أهل السنة: «هم المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان»^(٢).

(١) الحقيقة أنه لا تعارض بين النقل الصحيح والعقل الصحيح، وقد بيّن هذه الحقيقة (شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-) في مؤلفه العظيم: «درء تعارض العقل والنقل»، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم.
(٢) يراجع: «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٧٥).



وقال -رحمه الله- أيضًا: «ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله حيث قال: «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(١).

فهم يعلمون أن أَصْدَقَ الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويُقدِّمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد، وبهذا سُمُّوا (أهل الكتاب والسنة والجماعة)^(٢).

وسُمُّوا (أهل الجماعة) لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسمًا لنفس القوم المجتمعين..

والإجماع هو الأصل الثالث عند الأصوليين، والذي يعتمد عليه في العلم والدين، والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح، إذ بعدهم كثر الخلاف وانتشرت الفرقة في الأمة^(٣).

* أهل السنة والجماعة -كما ذكره ابن الجوزي- هم المتبعون لآثار الرسول ﷺ وآثار أصحابه^(٤)، فهم درجوا على منهاج النبوة (الكتاب والسنة)، ولم ينفصلوا عنها ولا لحظة واحدة لا باسم ولا برسم، فليس لهم شخص ينتمون إليه سوى النبي ﷺ ومن قفا أثره، وليس لهم رسم أو منهاج سوى منهاج النبوة؛ إذ الأصل لا يحتاج إلى سمة خاصة تميزه، إنما

(١) رواه أبو داود (٤٠٦٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣، ٤٤)، والحاكم (٩٧/١)، وغيرهم، وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (١٩/١).

(٢) ينظر كتاب: «الأزهار المشورة في تبيين أن أهل الحديث هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة» للشيخ/ فوزي بن عبد الله الأثري، ص ٢٦، ط. الفرقان.

(٣) ينظر: «لماذا اخترت المنهج السلفي» للشيخ/ سليم الهلالي، ص ٦٥.

(٤) يراجع: «تليس إبليس» لابن الجوزي، ص ٢١، ط. دار الكتب العلمية.



الذي يحتاج إلى اسمٍ معه هو الخارج عن هذا الأصل من تلکم الجماعات التي انشقت عن الأصل (جماعة المسلمين)، فهم بحق يمثلون الامتداد الطبيعي للإسلام في مجموعته وصفائه، وللمسلمين في اجتماعهم وائتلافهم، ولهذا لما جاء رجل إلى الإمام مالك -رحمه الله- فقال: يا أبا عبد الله أسألك عن مسألة أجعلك حجةً فيما بيني وبين الله عز وجل.. قال مالك: «ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، سَلْ»، قال: من هم أهل السنة؟ قال: «أهل السنة الذين ليس لهم لقب يُعرفون به، لا جهمي، ولا قدري، ولا رافضي»^(١).

*** كذلك من أهم خصائص أتباع منهج أهل السنة والجماعة:** الاهتمام بالكتاب والسنة، فهم يهتمون بالقرآن حفظاً، وتلاوةً، وتفسيراً، وبالحدیث درايةً وروايةً، بخلاف المبتدعة الضالین، الذين ابتدعوا في الدين، مستدرکين على وحي رب العالمين، والذين يهتمون بكلام شيوخهم، بل ويُقدِّمون كلام علمائهم على الكتاب والسنة، كذلك فإنهم يحملون العلم النبوي وينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

*** كذلك فهم يحكمون الكتاب والسنة الصحيحة في كل قضية من قضايا الحياة، سواء أكانت عقيدة أم عبادة أم سلوكاً أم معاملةً، خصوصاً عند التنازع والاختلاف.**

*** ومن خصائص أتباع منهج أهل السنة والجماعة:** تعظيم قدر السلف الصالح، والافتداء بهم، والاهتداء بهديهم؛ لأن طريقتهم هي الأسلم والأعلم والأحكم؛ لذلك تراهم دائماً وأبداً ينتهجون نهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان، في التمسك بالكتاب والسنة والعرض عليها بالنواجد، وتقديمها على كل قول وهدي، سواء في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق أو السياسة والاجتماع.

(١) يراجع: «حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية» للعلامة بكر أبو زيد -رحمه الله تعالى-، ص ٣٧، ط. مؤسسة قرطبة.



*** ومن خصائص منهج أهل السنة والجماعة:** تحرير العقول من الوهم والضلال^(١)، وتحرير النفوس من تأليه الأهواء والرجال؛ إذ إن تحرير العقول والنفوس أساس لتحرير الأبدان، وأصل له؛ لأنه من المحال أن يتحرر بدن يحمل عقلاً عبداً لغير الباري سبحانه وتعالى.

- لأجل هذا فإن هذا النوع من التحرير لا يقوم به ولا يقوى عليه إلا العلماء الربانيون المصلحون.

*** ومن خصائص أتباع منهج أهل السنة والجماعة:** الدعوة الدائمة إلى توحيد العبادة؛ إذ هو الأساس الذي بُنِيَ عليه الدولة الإسلامية الصحيحة، كذلك الدعوة إلى إحياء سنن الرسول ﷺ في العبادات والسلوك وجميع مرافق الحياة، وإنكار المنكرات والبدع المحدثات؛ لذلك تراهم يقفون بالمرصاد لكل الفرق الضالة التي حادت عن المنهج الإسلامي، كالجهمية، والمعتزلة، والخوارج، والروافض، والمرجئة، والقدرية، وأذناهم المعاصرين، وكل من شذ عن منهج الله، واتبع هواه، في كل زمان ومكان، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، كذلك فهم وضعوا نصب أعينهم قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، كذلك فهم يجتهدون في اتباع رسول الله ﷺ، ويحذرون مخالفة أمره، عملاً بقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فكانوا أشد الناس بُعداً عن مخالفة أمر رسول الله ﷺ، وأبعدهم عن الفتن، لذلك فهم أنقى الناس وأبعدهم عن الأهواء المضلة والبدع المكفرة.

(١) التحرير العقلي والمنهجي الذي يُنادى به دعاة السلفية هو: التحرير الذي يكون أساسه توحيد الله، وبه ومن خلاله فقط - توقظ في الأمة قوة التمييز بين الصالح من الرجال، والصحيح من المبادئ، وبين الطالح والزائف منها.. راجع: «مجلة الأصالة»، عدد (٢٤) ص ٩٠.



- كذلك من أعظم خصائص أتباع منهج أهل السنة والجماعة الأمانة العلمية: إذ الأمانة
زينة العلم، وروحه الذي يجعله زاكي الثمر، لذيد المطعم، وأهل السنة والجماعة من أتباع
منهج السلف الصالح لهم القدح الممل في ذلك الشأن، ومن مظاهر ذلك عندهم: الأمانة في
النقل، والبعد عن التزوير وقلب الحقائق، واجتناب بتر النصوص وتحريفها، كذلك فهم لا
يُحمّلون الكلام ما لا يحتمل، وهم أهل إنصاف، يذكرون ما لهم وما عليهم، ويرجعون للحق
إذا تبين لهم.

- من خصائص أتباع منهج أهل السنة والجماعة: عدم الاختلاف في أصول الاعتقاد،
وقواعد الدين، ولعلّ هذا مما يدل على أن منهج السلف الصالح هو المنهج الحق؛ حيث إن
أتباع هذا المنهج كانوا ولا زالوا في كل زمان ومكان لم يختلفوا على أمور العقيدة في أي قرن من
القرون، ويحمل الواحد منهم ما يحمله الآخر ولو تباعد الزمان والمكان، (بالرغم من أن أهل
السنة والجماعة لا يحصرهم مكان، ولا زمان، إنما قد يكثرون في بلد ويقبلون في آخر، ويكثرون
في زمان ويقبلون في زمان آخر، لكنهم لا ينقطعون، ففيهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى^(١)،
ولعلّ السبب في ذلك ما بيّنه الإمام (الأصبهاني) من أن أهل الحديث أخذوا الدين من
الكتاب والسنة بطريق النقل، فأورثهم الاتفاق، بينما أهل البدع أخذوا الدين من المعقولات
والآراء، فأورثهم الافتراق والاختلاف.

- كذلك فإن من خصائص أتباع منهج أهل السنة والجماعة «الوسطية والشمول»:
فالوسطية والشمول والاعتدال من أعظم ما يتميز به أتباع هذا المنهج؛ حيث إن هذا المنهج
في الحقيقة هو دعوة الحق ودعوة الإسلام، فكما أن أمة الإسلام وسط بين الأمم التي تنجح إلى
الغلو الضار، والأمم التي تميل إلى التفريط المهلك، كذلك فإن أتباع هذا المنهج متوسطون بين
فرق الأمة المبتدعة التي انحرفت عن الصراط المستقيم.

(١) انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٢٩٥)، نقلاً عن: «مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة» د/ ناصر
العقل، ص ٧٧، ط. دار الصفوة.



وتتجلى وسطية أهل السنة في شتى الأمور، سواء في باب العقيدة، أو الأحكام، أو السلوك، أو الأخلاق، أو غير ذلك..^(١)

- كذلك فإن أتباع هذا المنهج القويم هم الفرقة الناجية -يوم القيامة-، والطائفة المنصورة؛ لأن الله معهم، وهو مؤيدهم وناصرهم، وهم الغرباء الذين يُصلحون ما أفسدَ الناس، ويصلحون إذا فسد الناس..^(٢)

لأجل هذا حقَّ فيهم ما ثبت عن النبي ﷺ كما في حديث ثوبان.. «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله»، وفي لفظ: «حتى تقوم الساعة»..^(٣)

- كذلك ما صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»..^(٤) وفي رواية: ما الواحدة؟ قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»..^(٥)

(١) راجع: «طريق الهداية.. مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة» د/ محمد يسري، ص ٢٢٥، ص ٢٣٠، ط. دار اليسر.

(٢) يراجع بحث: «مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة.. المفهوم والخصائص» د/ محمد بن إبراهيم الحمد، ص ١٥: ٢٠، ط. أنصار السنة المحمدية.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أبو داود (٤٥٩٧)، والترمذي (٢٦٤٠) وقال: حديث حسن صحيح، والحديث بمعناه مروي من طرق كثيرة عن أنس، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، وعوف بن مالك، كذلك أخرجه أحمد (١٠٢/٤)، والدارمي (٢٤١/٢)، والحاكم (١٢٨/١) وصححه، كذلك صحح الحديث ابن تيمية والذهبي والعراقي والشاطبي والسيوطي والمناوي، انظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٠٤).

(٥) «صحيح الترمذي» للألباني (٢١٢٩)، وانظر الكلام على هذا الحديث رواية ودراية في رسالة الشيخ/ سليم الهلالي: «درء الارتباب عن حديث ما أنا عليه والأصحاب».



قال ابن تيمية: «فإذا كان وصف الفرقة الناجية أتباع الصحابة على عهد رسول الله ﷺ وذلك شعار (أهل السنة) كانت الفرقة الناجية هم (أهل السنة)»^(١).

وسئل علي بن المديني عن الفرقة الناجية.. فقال: «هم أهل الحديث».

وقال عبد الله بن المبارك عن حديث: «لا تزال طائفة من أمتي..» قال: «هم أهل السنة وأصحاب الحديث».

وقال البخاري: «هم أصحاب الحديث».

وقال أحمد بن سنان: «هم أهل العلم أصحاب الآثار»^(٢)^(٣).

(١) «منهاج السنة النبوية» (٣/٥٥٧).

(٢) للتوسع، راجع بحث: «نداء عام من علماء البلد الحرام في معتقد أهل الإسلام» للشيخ/ محمد بن عبد العزيز الأحمد، ص ٢٤، ط. مكتبة الطرفين، و«صفات التابعين» للشيخ/ عبد الملك علي الكليب، ط. مكتبة المعارف، وبحث: «خصائص أهل السنة» للشيخ/ أحمد فريد، ط. الدار لسلفية، و«ثبات عقيدة السلف وسلامتها من التغيرات» للشيخ/ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط. دار الفضيلة، و«نظرة في تاريخ العقيدة» د/ عمر سليمان الأشقر، ط. مكتبة الفلاح.

(٣) قد يقول: إنك بهذا الوصف تصف أتباع هذا المنهج بالعصمة؟

والجواب: لا يا أخي الحبيب، إنما لا نصف أتباع هذا المنهج بالعصمة، بل نقول: إن منهجهم هو المعصوم، أما آحادهم فيتصفون بالبشرية كسائر البشر، يصيبون ويخطئون، وقد يقع من الواحد منهم الظلم، والبغي، والعدوان، وارتكاب المخالفات، ويجري على آحادهم ما يجري على سائر البشر، فقد يغضب، ويقع في بعض المحرمات، ولكن ذلك قليل بالنسبة لأتباع المناهج الأخرى، ومن خالف الحق وأهله فإنه لا يقر على فعل ذلك، بل نعتقد أنه يبتعد عن السنة بقدر مخالفته.

* ثم إن ما عند أهل السنة من مخالفات وأخطاء فعند غيرهم أكثر مما عندهم، وما عند غيرهم من فضل وعلم وكمال فعند أهل السنة أكمله وأتمه، لهذا كان السلف يقولون: «أهل السنة والجماعة إن قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم، وأهل البدع وإن كثرت بهم أعمالهم قعدت بهم عقائدهم».

فنحن لا ندعي العصمة، ولا ندعي الكمال المطلق، ولكن نناشد معاشر المسلمين أن يأخذوا بمنهج أهل السنة، وأن يوطنوا أنفسهم على ذلك..

=



ومن أهم خصائص منهج أهل السنة والجماعة: ترك الخصومات في الدين، ومباينة أهل الخصومات؛ لأن الخصومات مدعاة للفرقة والفتنة، ومجلبة للتعصب واتباع الهوى، ومطية للانتصار للنفس، والتشفي من الآخرين، وذريعة للقول على الله بغير علم، كذلك فهم أوسع الناس أفقًا، وأبعدهم نظرًا، وأرحبهم بالخلاف المعتبر صدرًا، وأكثرهم للمعاذير التماسًا، كذلك فهم لا يأنفون من سماع الحق، ولا تخرج صدورهم من قبوله، ولا يستنكفون من الرجوع إليه، والأخذ به، كذلك فهم لا يلزمون الناس باجتهداتهم، ولا يضللون كل من خالفهم، ولا تضيق أعطانهم في الأمور الاجتهادية، التي تختلف فيها أفهام الناس، ويلتمسون المعاذير للمخالف^(١)، ويتعدون عن التعصب المقيت،

كذلك فإننا ننصح إخواننا أتباع منهج أهل السنة والجماعة، ونقول: ما أحرانا -نحن أهل السنة- أن نقوم بالسنة حق القيام، وأن نفتدي بسلفنا الصالح في كل أمورنا، لنرضي ربنا، ولئلا نصبح فتنة لغيرنا من الكفار والمبتدعة، فإذا ما رأوا ما عليه بعض أهل السنة من بُعد عن هذا المنهج قالوا: إذا كان خاصة المؤمنين بهذه المثابة فلا لوم علينا ولا تريب، وبذلك تدرس معالم الحق، وتنطمس أنوار الهدى..

ومما يدل على أن منهج السلف هو المنهج الحق ما ذكره (الأصبهاني) -رحمه الله- في كتابه «الحجة في بيان المحجة» حيث يقول: «ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد يجرون على طريقة لا يحدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، ترى فيهم إخلاصًا ولا تفرقًا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء عن قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا. أ.هـ.

وهذه الوحدة الفكرية هي إحدى سمات هذا المنهج وإحدى مميزاته، والأمر الذي قل أو ندر أن تجده في أي فرقة أخرى.

(١) مسألة الرد على المخالف من المسائل التي كثر فيها اللغظ والخوض بغير علم ولا هدى، والناس في هذا الباب على أصناف:

* فمنهم المتساهل في هذا الباب بحجة الحرص على جمع الكلمة.

* وعلى النقيض: منهم من أنكر هذا الأمر بالكلية.

=



والتقليد الأعمى، والحزبية الضيقة، ولا ينتصرون لأنفسهم، ولا يغضبون لها، ولا يوالون لِعُبَّةٍ جاهلية، أو عصبية مذهبية، أو راية حزبية، وإنما يوالون على الدين، فولاؤهم لله وبرأؤهم لله تعالى، ومواقفهم ثابتة لا تتبدل ولا تتغير.

- ومن خصائص أتباع منهج أهل السنة والجماعة: سلامتهم من تكفير بعضهم

لبعض: فهم - والله الحمد - سالمون من ذلك، فهم يردون على المخالف منهم ويوضحون الحق للناس، فهم يُحْطِّثُونَ، ولا يُكْفِرُونَ، ولا يُبَدِّعُونَ، ولا يُفْسِقُونَ إلا من استحق ذلك، (بالضوابط الشرعية المقررة المعروفة لدى أهل العلم)، ويؤكد هذا ما ذكره الإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي: «أنه ما من فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم اختلاف وتناقض، حتى يصل أمرهم إلى تكفير بعضهم لبعض، وتبري بعضهم من بعض، (كالخوارج، والروافض، والقدرية...)، حتى اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد، فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضاً.

وكانوا بمنزلة اليهود والنصارى حين كفر بعضهم بعضاً، حتى قالت اليهود: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

* ومنهم: المغالي فيه بسبب الجهل والهوى.

والحق: أن نقد مقالات أهل الزيغ والابتداع وأعمالهم ومسالكهم، أو الرد عليهم، والكشف بما عندهم من باطل بغرض النصيحة لهم وبيان الحق الذي خفي عليهم، هو وظيفة العلماء الربانيين، ولا يجوز التساهل في أداء هذه الوظيفة.



والحمد لله، فلقد عصم الله - تعالى - أهل السنة من هذا، فأهل السنة لا يكفّر بعضهم بعضاً وليس بينهم خلاف يوجب التبرّي والتكفير^(١)، فهم إذن أهل الجماعة القائمون بالحق، والله تعالى يحفظ الحق وأهله، فلا يقعون في تناقض وتناقض...»^(٢).

- كذلك فإن من خصائص أتباع منهج أهل السنة والجماعة: الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة، ويردون المتشابه إلى المحكم، كذلك الجمع بين العلم والعبادة بخلاف غيرهم، ويجمعون بين التوسع في الدنيا والزهد فيها، ويجمعون بين الخوف والرجاء والحب، كذلك فهم يجمعون بين الرحمة واللين والشدة والغلظة، ويجمعون بين العقل والعاطفة؛ لأجل هذا كله وغيره فهم أسلم الناس وأبعد الناس عن الحيرة والاضطراب والتخبط والتناقض، حتى إنه ليوجد عند عوام أهل السنة من برد اليقين، وحسن المعتقد، والبعد عن الحيرة، ما لا يوجد عند علماء الطوائف الأخرى، وحذاقهم من أهل الكلام وغيرهم، ممن اضطربوا في تقرير عقائدهم فحاروا وحبروا وتعبوا وأتعبوا، أما الكفار الذين تنكبوا الصراط المستقيم من الملاحدة وغيرهم، فلا تسلم عن يؤسهم وشقائهم، فهم يعيشون أدنى دركات الشقاء والنكد، فقد سلبوا الأمن، وشاعت فيهم الأمراض النفسية والعصبية، وكثر فيهم الرعب، وانتشر فيهم الانتحار والرغبة في التخلص من الحياة.

فهذه بعض مآثر أهل السنة والجماعة، وهذه بعض خصائصهم التي تميزوا بها عن غيرهم، وتلك هي الخصائص التي طبقها سلفنا الصالح - رحمهم الله ورضي عنهم - فنالوا الخيرات، وحصلوا على البركات.

قد تقول متشككاً: إذا كان منهج أهل السنة والجماعة هو المنهج الحق، فلماذا لم يتبعه كل المسلمين، ولماذا تكال التهم لهذا المنهج والمنتسبين له؟

(١) والمقصود بذلك «خلاف التضاد غير السائغ»، وهو خلاف أهل الأهواء وأرباب البدع.

(٢) «الفرق بين الفرق»، البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ص ٣٨٥، ط. دار التراث.



والجواب: ابتداءً لقد حذر النبي ﷺ من الفرقة والتحزب والانقسامات داخل المجتمع المسلم؛ لأن نهر الإسلام العظيم هو ما جاء به النبي ﷺ، والنبي ﷺ لم يأت بفرقة ولا بخلاف ولا بتشردم ولا بتمزق، وإنما جاء بالألفة والاتلاف.

وأنت إذا ما راجعت كتب الملل والنحل تجد أن الأمة الإسلامية مرت بمرحلتين:

المرحلة الأولى: هي مرحلة الاجتماع على الإيمان بما جاء به محمد ﷺ ومتابعته في هديه وسنته، ولقد ظلت الأمة كذلك على قلب رجل واحد، ما من خلاف حتى ظهرت المقالات المنحرفة والفرق الضالة، فلما ظهرت تلك المقالات والآراء الضالة، مرّت الأمة ولا تزال **بالمرحلة الثانية:** وهي مرحلة الاختلاف في الدين والتنازع، واتباع الأهواء المضلة، وظهور مقالات الخوارج والروافض والمرجئة والقدرية، وغيرها من المقالات الفاسدة التي لم يقل بها أحد من السلف الصالح، بل أنكروها وردوها.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يُقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشياً، وأطلقت المعتزلة ألسنتها ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتنح أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيّرت الأحوال تغيراً شديداً، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن». أ.هـ

وفي خضم هذا التفرق الذي أصاب الأمة وافتراقها إلى فرق وطوائف شتى كما أخبر بذلك محمد ﷺ عندما قال: «وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة..» نجد أن هناك تهاجراً وفرقة واختلافاً بين هذه الفرق والطوائف على أصول رئيسة في هذا المنهج حتى أصبح لكل فرقة أصولاً مختلفة عن غيرها من الفرق والطوائف، الأمر الذي عمّق الاختلاف والتفرق بين أهل القبلة، وابتعدوا كثيراً عن المنهج الحق حتى صدق حكم النبي ﷺ فيهم بالهلاك، حيث قال: «..كلها في النار إلا واحدة..»^(١).

(١) أخرجه ابن ماجة والحاكم في المستدرک، وذكر الألباني في «تحقيق السنة» لابن أبي عاصم أن إسناده جيد، وصحح الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة (١٤٩٢)، وصححه أيضاً في «ظلال الجنة» (٦٣).



إن من المستقر اليوم عند أهل الحق والاتباع، أن الأمة افترقت إلى فرق هالكة وفرقة ناجية، وهذا مصداق لما أخرجه النبي ﷺ في حديث الافتراق الثابت عنه، حيث قال مستثنيًا الفرقة الناجية من الهلاك والعذاب: «هم مثل ما أنا عليه وأصحابي»^(١).

ولعل الأخ القارئ الكريم يقول: أليس قرآننا هو قرآن هؤلاء، أليست السنة النبوية

الصحيحة هي الطريق الذي نسير عليه ويسيرون عليه، فكيف نشأ الاختلاف إذن؟

والجواب: إن أول ما يواجهنا ونحن نقرأ تاريخ الافتراق في هذا الدين، هو الاختلاف في مصدر التلقي^(٢)؛ حيث إن الأصول الثابتة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة والتي التزمها طائفة فأصبحوا هم أهل الإسلام المحض، وهم «السلف الصالح وأهل السنة والجماعة والطائفة الناجية»، بينما خرج عن هذه الأصول أو نازع فيها أو في شيء منها طوائف أخرى، فأصبحوا بذلك من أهل البدعة والفرقة.

فكانت النتيجة: أن دخلت هذه الطوائف في قضايا كثيرة من قضايا الدين في أبواب الإيمان والتوحيد وغيرهما، فخرجوا بذلك بشكل كلي أو جزئي عن الجماعة والسنة، ولعل هذا ما أشار إليه حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها»، قلت: يا رسول الله ﷺ، صفهم لنا، فقال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال:

(١) أخرجه الترمذي والحاكم في المستدرک، وذكر الألباني في «السلسلة الصحيحة» أن هذه الزيادة بشواهدا ترتفع إلى درجة الحسن.

(٢) راجع رسالة: «منهج التلقي بين السلف والخلف» د/ عبد العظيم بدوي، ط. الزهراء.



«تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»^(١). وفي رواية مسلم: «قوم يستنون بغير ستي ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر»^(٢).

والحديث يوضح لكل مسلم -خاصةً من كان متشككاً متذبذباً- المنهج الذي يعتصم به حال الاختلاف، وهو اعتزال تلك الفرق كلها، واعتزال تلك المقولات الفاسدة ومن يروجون لها، والتزام المسلم السنة ولو كان وحده..

أما عن كون أهل البدع يصفون «منهج أهل السنة والجماعة» وأتباعه بأوصاف قبيحة، ويكيلون لهم التهم والنقائص، كوصفهم بالتشدد، والتطرف، والتخلف، وضيق الأفق، وسوء الفهم، والأصولية، والوهابية، وأنهم نابذة وحشوية، وأنهم يكرهون (آل بيت النبي ﷺ)، ويبغضون أولياء الله تعالى...، وأنهم يكفرون من لم يتمذهب بمذهبهم...، وأنهم عملاء، وأنهم (أنصار السلطة)، وأن دعوتهم للتجارة بالدين لأغراض سياسية^(٣).

فالجواب عن ذلك: إن كل ما تقدّم ذكره من تهم ونقائص ما هي إلا من مزاعم خاطئة لا أساس لها من الصّحّة، لأنّ منهج أعداء أهل السنة والجماعة عندما أرادوا أن يقاوموا ويشوهوا هذه الدعوة استغلوا أن أصحابها بالمقارنة بجماهير المسلمين قلة، وأن

(١) متفق عليه.

(٢) مسلم (١٨٤٧).

(٣) للرد على هذه الشبهات ننصح بمراجعة: «إسلامية لا وهابية» للدكتور/ ناصر العقل، و«دعوى المناوئين لدعوة الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب» تأليف: د/ عبد العزيز العبد اللطيف، و«نقض كلام المفتريين على الحنابلة السلفيين» تأليف: أحمد بن حجر آل البوطامي، و«أكذوبة مذكرات الجاسوس البريطاني همفر» إعداد: سليمان بن صالح الخراشي.



عوام الأمة قد انغمسوا في البدع والمنكرات التي ينكرها السلفيون غاية الإنكار، فعمدوا إلى بث هذه المفاهيم المغرضة عن منهج أهل السنة والجماعة، حتى قال قائلهم: «إن الدعوة إلى منهج أهل السنة والجماعة دعوة متشددة ترهق الناس بما لا طاقة لهم به، وهي رجعية متأخرة ترفض التقدم الحديث، كذلك هذه الدعوة دعوة جامدة لا تتوافق مع هذا العصر، حتى إن دعاة هذا المنهج يرفضون بالكلية «التجديد والاجتهاد في الدين»، هكذا زعم هؤلاء من أهل الضلال..

ووجه الرد على هؤلاء من وجوه:

أولاً: نقول لكل من تكلم بالحق أو بالباطل عن هذا المنهج المبارك بغير أصالة علمية، قبل أن تتكلم عن هذا المنهج فاقراً وتعلم أصوله، واحرص على فهم هذه الأصول من خلال استقراء كلام علمائنا -رحمهم الله تعالى-، واجتهد أن تتميز بسمات «الباحث عن الحق»، من حيادية، وموضوعية، كذلك فاحرص على نبذ التقليد الأعمى «للأعراف والتقاليد، وكلام المشايخ».

ثانياً: من العدل والإنصاف أن تسأل أهل هذا المنهج عن أصول منهجهم، فمثلاً: إذا قرأت أو سمعت مثلاً عن هذا المنهج، وأنه «منهج جامد لا يقبل التجديد ولا الاجتهاد»، فمن العدل والإنصاف والتجرد أن تسأل «أهل هذا المنهج عن مثل هذه التهم التي تلحق بهم وبمنهجهم؛ ليجيبوك عن مثل هذه الشبهات، وليزيلوا لك اللبس... فمثلاً: الذين يصفون منهج أهل السنة والجماعة بالجمود وعدم قابليته للتجديد، لو سألوا أهل هذا المنهج لَعَلِمُوا أن التجديد في مفهوم أهل السنة والجماعة: هو تطهير الدين مما أُحِقَّ به من شوائب في أفهام الناس وسلوكهم؛ حتى تعود له في حياتهم نصاعته الأولى.



أما الاجتهاد فإنه العملية التي تتم بها تغطية حياتهم المتجددة بالأحكام المستمدة من النصوص الشرعية، فهو حركة حية للربط بين الواقع البشري في كل زمن، وتعاليم الشريعة الموحاة في القرآن والسنة.

فإذا كان مضمون منهج أهل السنة والجماعة ردَّ الحياة البشرية في كل تطوراتها إلى الكتاب والسنة - كما سلف - فإن التجديد والاجتهاد مقومها الحركي لتحقيق ذلك. فمنهج أهل السنة والجماعة، وهو يدعو للعودة إلى الأصول الأولى، لا يهدف إلى أن يكون نسخًا كربونية للسلف، بل أن تتمثل منهجهم وروحهم في فهمهم وسلوكهم وتعاملهم مع الدين والحياة، ومع هذا فإن منهج أهل السنة والجماعة معاش للعصر مواكب للتطور، متحرر من أسر الجمود والتقليد^(١)، بل إن أتباع منهج أهل السنة والجماعة لا يؤمنون بشد العربة إلى الوراء، ولا الالتزام الحرفي بكل جوانب الماضي، بل يؤكدون على عوامل التقدم الحضارية، لكنهم يضعون إطارًا علميًا للتطور، يحكمه الوحي الإلهي الذي ينبغي أن يشكل روح الحاضر ودستوره العام، كما كان في عصور الإسلام الذهبية.

إذن زعمُ خصوم (دعوة منهج أهل السنة والجماعة) أن دعوتهم دعوة رجعية زعمٌ باطلٌ، والافتداء بأسلافنا الصالحين يتطلب الارتفاع إلى مستواهم لا الرجوع إلى الزمن الذي عاصروه بوسائله، وأدواته، الاتباع إذن في القيم التي حققوها، وعاشوا من أجلها، لا في وسائل المعيشة التي استخدموها، فمنهج أهل السنة والجماعة هو العمل بقواعد الإسلام وقيمه لإصلاح الدين والدنيا، أما اعتقاد أن منهج أهل السنة والجماعة (مرحلة زمنية مباركة)

(١) راجع: شرح الكوكب المنير للشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحى، ج ٤ ص ٥٢٩ ط. العبيكان، وأصول الفقه أ/ محمد زكريا البرديسي ص ٤٧٦، ٤٧٧، وإيقاظ همم أولي البصائر للإمام صالح بن محمد ص ٥٨ ط. دار المعرفة بيروت، والقول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد للعلامة محمد بن عبد العظيم الموري ص ٣٢ ط. دار الوفاء المنصورة، و«السلف والسلفية» تأليف: د/ محمد عمارة، ص ٢٢، ص ٢٣، ط. وزارة الأوقاف المصرية، و: «السلفية وقضايا العصر» د/ عبد الرحمن بن زيد الزيندي، ص ١٠٤.



وقفت عند نهاية القرون الثلاثة الأولى، وانتهت إليها، وحطت رحلها أمامها، وانقطع بها، دعوة باطلة منكورة، لا دليل عليها ولا ينبغي التمسك بها، ونحن على يقين أن (منهج أهل السنة والجماعة) زمانه الزمان كله ومكانه الأرض كلها.

ثالثاً: نقول لكل من زعم قولاً عن منهج أهل السنة والجماعة، كمن يتهم «أتباع منهج أهل السنة والجماعة» بأنهم يكفرون كل من لم يكن على مذهبهم، وأنهم متشددون ولا يعرفون الوسطية...

نقول له: اقرأ كتب «أئمة السلف الصالح» فستجدها طافحةً بالتحذير من «تكفير المسلمين بغير الضوابط والحدود الشرعية»، وأما عن وصف «السلفيين» بأنهم من المتشددين، فنقول: هذا كذب وافتراء عليهم؛ إذ إن منهج أهل السنة والجماعة يمتاز بالشمولية والتوسط والاعتدال؛ حيث إن منهج أهل السنة والجماعة في الحقيقة «هو دعوة الحق ودعوة الإسلام»، ولقد تقدم أن منهج أهل السنة والجماعة إنما يدعو المسلمين إلى الالتزام بالكتاب والسنة على فهم السلف الأوائل، كذلك فإن منهج أهل السنة والجماعة أتت دعوته لإخراج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن شبه المحدثات والبدع إلى الوحدة التي أساسها السنة والعقيدة الصحيحة، بل ومن

عذاب المعصية إلى سعة الطاعة ونورها..

* قد تقول: ولكنكم تتعصبون جداً لبعض الأئمة كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وتهتمون بقراءة كتبهم أكثر من غيرها..

والجواب: أن هذا كذب وافتراء، فإن أتباع منهج أهل السنة والجماعة لا يهملون الكتب الشرعية النافعة، فغايتهم طلب الحق، وتحصيل العلم للعمل..

أما أن أتباع منهج أهل السنة والجماعة يكثر من القراءة في كتب الشيخين الجليلين «شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم»، فيرجع ذلك إلى عدة أسباب:



١ - فضل كل منهما^(١).

٢ - مدى قوتها العلمية؛ حيث إنها قد أحاطا بالعلوم الشرعية إحاطةً كبيرةً، ولهما في مختلف العلوم الشرعية الحظ الوافر، بل ما من فن من فنون العلم إلا ولهما فيه القدح المعلن.

٣ - لأن كتبهما استوعبت أبواب الإسلام كلها تقريباً، بغير تعصب لمذهب فقهي، أو لمنهج اعتزالي أو صوفي...

٤ - سهولة ألفاظهما ووضوح معانيهما مع التدرج العقلي المقنع مع استيفاء الأدلة الشرعية التفصيلية الدقيقة.

٥ - اتصافهما بالسير على العقيدة الصحيحة، بل ومعرفة مداخل الخصوم وأوجه مخالفتها للشرع، ثم الرد على هؤلاء بإجابات شافية وافية بالغة الدقة والوضوح والصواب.

٦ - لأن كتب الإمامين تربي القارئ على اتباع الحق بدليله دون أدنى تعصب، ولعل هذا يتضح عند استقراء «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» ابن تيمية، فمثلاً تجد شيخ الإسلام ابن تيمية يقول كلاماً من نور.. يقول -رحمه الله-: «وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء، بل يكونون مثل الإخوة المتحابين المتعاونين على البر والتقوى.. كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهداً بموافقته على كل ما يريده، وموالة من يواليه، ومعاداة من يعاديه، بل من فعل هذا كان من جنس جنكزخان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقاً موالياً، ومن خالفهم عدواً باغياً، بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله

(١) راجع كتب مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، ككتاب: «الكواكب الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» للإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي، وكتاب: «الرد الوافر على من زعم بأن من سمي ابن تيمية شيخ الإسلام فهو كافر» لابن ناصر الدين الدمشقي، وكتاب: «روائع الإمام ابن تيمية» د/ محمد عمارة، و: «تقريب فقه الإمام ابن القيم» للشيخ العلامة د/ بكر أبو زيد.



بأن يطيعوا الله ورسوله، ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله، ويحرموا ما حرّم الله ورسوله، ويراعوا حقوق المعلمين كما أمر الله ورسوله، فإن كان أستاذ أحد مظلومًا نصره، وإن كان ظالمًا لم يعاونه على الظلم بل يمنعه منه.

ثم يقول -رحمه الله- ناهيًا عن التعصب والتحزب «لشيخ معين، أو لطائفة معينة».. يقول: «ولا يشد الطالب وسطه لا لمعلمه ولا لغير معلمه؛ فإن شد الوسط لشخص معين وانتسابه إليه من بدع الجاهلية، ومن جنس التحالف الذي كان المشر كون يفعلونه...، وليس لمعلم أن يحالف تلامذته على هذا «يعني التحزب»، ولا لغير المعلم أن يأخذ أحدًا من تلامذته ليتنسبوا إليه على الوجه البدعي: لا ابتداء ولا إفادة، بل وليس أن يحدد حق الأول عليه، وليس للأول: أن يمنع أحدًا من إفادة التعلم من غيره، وليس للثاني أن يقول: شد لي وانتسب لي دون معلمك الأول، بل إن تعلم من اثنين فإنه براعي حق كل منهما ولا يتعصب لا للأول ولا للثاني، وإذا كان تعليم الأول له أكثر كانت رعايته لحقه أكثر..

ثم يقول -رحمه الله-: «ومن حالف شخصًا أو شيخًا على أن يوالي من والاه ويعادي من عاداه كان من جنس التتار المجاهدين في سبيل الشيطان، ومثل هذا ليس من المجاهدين في سبيل الله، ولا من جند المسلمين، ولا يجوز أن يكون مثل هؤلاء من عسكر المسلمين؛ بل هؤلاء من عسكر الشيطان، ولكن يحسن أن يقول لتلميذه: عليك عهد الله وميثاقه أن توالي من وإلى الله ورسوله، وتعادي من عادى الله ورسوله، وإذا كان الحق معي نصرت الحق، وإن كنت على الباطل لم تنصر الباطل، فمن التزم هذا كله كان من المجاهدين في سبيل الله تعالى الذين يريدون أن يكون الدين كله لله تعالى^(١).

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/١٨، ٢١).



وبهذا يتبين لك -أخي الشاب - أن أتباع هذا المنهج لا يتعصبون لأحد مهما علا شأنه وارتفع كعبه إلا رسول الله^(ص).

ولعلك تقول.. هذا تحيز لهذا المنهج دون غيره من المناهج، ولكن دعني أثبت لك صحة قولي ومدى صدقه عن طريق استقراء أصول هذا المنهج -وخاصةً- في أهم الجوانب وأعظم الأركان على الإطلاق وهو جانب العقيدة.

وأتباع منهج أهل السنة والجماعة وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى.. فهم وسط بين أهل التعطيل كالجهمية، وأهل التمثيل كالمشبهة..

فالجهمية مثلاً: ينكرون صفات الله عز وجل، بل غلاتهم ينكرون الأسماء، ويقولون: لا يجوز أن نثبت لله اسماً ولا صفة؛ لأنك إذا أثبت له اسماً شبهته بالمسميات، أو صفة شبهته بالموصوفات، إذاً لا نثبت اسماً ولا صفة، وما أضاف الله إلى نفسه من أسماء فهو من باب المجاز وليس من باب التسمي بهذه الأسماء.

(١) قلت: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد عادت هذه الحزبية من جديد، عادت بخيلها ورجلها، وأطاحت بكثير ممن ينتسبون إلى هذا المنهج المبارك، حتى أصبحوا هم في واد والكتاب والسنة في واد آخر، بل وتفرق المسلمون على إثر هذه الحزبية والطائفية إلى فرق، فتجد أن هذه الفرق أصلها فرقة واحدة ثم انقسمت منشطرة ثم منشطرة ثم منشطرة بمتواليات ملعونة أدت إلى تفرق الأمة وتشيع أتباعها إلى شيع وأحزاب، حتى تكالبت عليهم الأعداء فوجدت مرتعاً خصباً، وحيداً سهلاً، وللأسف: فلقد تصاعدت الخلافات بين هذه الجماعات في الآونة الأخيرة بل ونشبت بينهم المعارك الضارية، ولجأ بعضهم إلى أسلوب التبذيع والتفسيق والتجريح، وإني أدعو هؤلاء بود صادق إلى العودة إلى كتاب الله وسنة نبيه وأن يتركوا ما هم عليه ويطرحوه وراء ظهورهم، وخاصةً هذه الحزبية الممقوتة، التي فرقت شمل الأمة قديماً وحديثاً.. كذلك أقول لهؤلاء جميعاً: اجتمعوا على كلمة سواء، ووحداوا طاعتكم الله تعالى وسيروا على الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، ففي هذا الكفاء والشفاء، ووحداوا صفوفكم على طاعة الله وطاعة رسوله حتى تقوى شوكتكم ويتم لكم الظفر، والطريق الوحيد إلى توحيد الصفوف: هما هذان المصدران فقط لا غير، مع التجرد والعدل حتى ترتفع هذه الدعوى المنتنة التي أماتها النبي حينئذ ستوحد الصفوف، وتجتمع الكلمة، وتقوى الشوكة، ويتم الظفر والنصر إن شاء الله تعالى.



كذلك فإن المعتزلة ينكرون الصفات ويثبتون الأسماء، والأشاعرة يثبتون الأسماء وسبباً من الصفات، كل هؤلاء يشملهم اسم التعطيل^(١)، ولكن بعضهم معطل تعطيلاً كاملاً كالجهمية، وبعضهم تعطيلهم نسبي مثل: المعتزلة والأشاعرة. أما أهل التمثيل^(٢): فيثبتون لله الصفات، ويقولون: يجب أن نثبت لله الصفات لأنه أثبتها لنفسه، لكن يقولون: إنها مثل صفات المخلوقين..

فهؤلاء غلوا في الإثبات، وأهل التعطيل غلوا في التنزيه، فهؤلاء قالوا: يجب عليك أن تثبت لله وجهاً، وهذا الوجه مثل وجه أحسن واحد من بني آدم، فإذا سألت أحدهم: ما مستند قولك هذا؟ ردّ عليك قائلاً: إن الله خاطبنا، فإنما يخاطبنا بما نعقل ونفهم، قال تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ونحن لا نعقل ولا نفهم من الوجه إلا ما نشاهد، وأحسن ما نشاهده هو الإنسان، فهو على زعمهم -والعياذ بالله تعالى- على مثل أحسن واحد من الشباب الإنساني، ويدّعون -زوراً وهتافاً- أن هذا المعقول معقول!! أما أهل السنة «وأتباع السلف الصالح» فيقولون نأخذ بالحق الذي مع الجانبين، فنأخذ بالحق في باب التنزيه، فلا نمثل، ونأخذ بالحق في جانب الإثبات، فلا نعطل.. فمنهجهم: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.

(١) التعطيل: هو نفي الصفات الإلهية وعدم التسليم لها و إنكارها، لذا فإن الصفة الحقيقية عند المعطل هي معدومة الوجود سواء اكتفى بالتعطيل فقط، أو زاد على ذلك فأضاف تعديلاً للألفاظ أو تحريفاً للنصوص.

(٢) التمثيل: إثبات المماثل لله فيما يختص به من حقوق أو صفات، حيث يتضمن هذا النوع نقصاً في حق الله تعالى؛ لأن القائل يمثل الخالق بالمخلوق، وأما وجه الفارق بين التمثيل والتشبيه هو ما ذكره السهيلي وغيره من أن التمثيل يقتضي المساواة من كل وجه خلافاً للتشبيه، ويؤكد هذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول: «إن الممثل يعبد صتماً والمعطل يعبد عدماً».



والخلاصة: فإنه منهج وسط في باب الصفات بين طائفتين متطرفتين، طائفة غلت في التنزيه والنفي، وهم أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم، وطائفة غلت في الإثبات، وهم الممثلة..

كذلك فإن كل من قرأ في أصول أهل السنة «وأتباع منهج السلف» فسيجدهم وسطاً في كل شيء، فهم وسط في مسألة «قضية العمل وتأخيرها عن مسمى الإيمان» بين «المرجئة والوعيدية»، كذلك فهم وسط في «قضية تكفير الناس والحكم عليهم» بين «الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية»^(١)، فأتباع هذا المنهج وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، ونور بين ظلمتين، وأهل السنة وسط بين الخوارج والمرجئة، وبين الروافض والنواصب، وبين القدريّة والجبرية، وبين أهل التحريف والتكليف والتعطيل والتمثيل.. كذلك فهم وسط في كل شيء في «السلوك والأخلاق»، إذن لا وجه لاتهام أتباع هذا المنهج بما يسمى في هذه الأيام بالتعصب والتشدد؛ لأن اتهام هؤلاء هو في الحقيقة اتهام لهذا الدين^(٢).

أهل السنة والجماعة.. والآخر:

أما عن نظرة أتباع هذا المنهج المبارك لمن لا يتناسب إليهم، فإننا نقول: إن دعوة أهل السنة والجماعة تعني المنهج والطريق في فهم الإسلام والعمل به على طريقة الصحابة والسلف

(١) راجع: «منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل» للشيخ/ ابن عثيمين، والشيخ/ الألباني، اعتنى بها: أبو عبد الله النعماني الأثري، ص ٤٨، ٦٤، ط. مكتبة الصحابة.

(٢) وما يدل على أن أكثر خصوم هذه الدعوة المباركة لا يعرفون أصول هذه الدعوة، فضلاً عن كتبها ومنهج دعائها «أن مجموعة من الشباب ذهبوا إلى شيخ يطلبون منه شرحاً لكتاب «التوحيد الذي هو حق الله على العبيد»، فما كان منه إلا أن سبَّ المؤلف، ومنهجه ودعوته، ووصف الدعوة السلفية بأنها دعوة مستوردة، وأن أتباعها مكفّرة، وأنهم ييغضون آل البيت...»، فما كان من أحد الشباب إلا أن تحايل فنزع الغلاف الخارجي للكتاب، ثم أعطاه للشيخ مستفهماً عن مدى جودة الكتاب، فأخذه الشيخ منه ثم بدأ يقلب صفحات هذا الكتاب فأعجب به، وأثنى عليه، فلما علم أن هذا هو كتاب أحد الشيوخ والدعاة استغفر الله وصار من كبار الدعاة إلى التوحيد الصافي الخالص من البدع.



الصالح، (كما سبق بيانه) هي الإسلام الحق الصحيح، فيلزم أن ينتمي إليه كل مكلف، وإلا تعرّض للوعيد؛ لمخالفة الشرع كتاباً وسنةً، ومخالفته سبيل المؤمنين..

أما دعوة أهل السنة والجماعة بمعنى التزام الدعاة بعمل دعوي معين فلا يلزم أن من لم يتّمس إليها أن يكون خارجاً عن منهج هؤلاء من أهل السنة والجماعة..^(١)

أما الدعوات المعاصرة المنتشرة في الساحة الدعوية اليوم «إنما هي متفاوتة فيما بينها قرباً وبعداً عن مثل ما كان الرسول ﷺ وصحابته الكرام، فما كانت على ما عليه أهل السنة والجماعة وأهل الحديث وعقيدة السلف فهي تُنسب إلى أهل السنة والجماعة، ومن بعدُ عما عليه أهل السنة فيكون بُعدُه بمقدار مخالفته لأهل السنة والجماعة، فإن بلغ به الأمر مخالفة أهل السنة والجماعة في أمور كلية من كليات الدين، أو في قاعدة من قواعد الشريعة دخل في أهل الفرق الضالة»..^(٢)

ولعل كلام الإمام العلامة الشاطبي -رحمه الله تعالى- يبين ضابط الحكم على تجمع معين، وهل هذا التجمع من الفرق الضالة؟ فيقول: «وذلك أن هذه الفرق إنما تُعدُّ فرقاً لخلافها للفرقة الناجية في معنى كلي في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات؛ إذ الجزئي والفرعي الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعاً، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية»، ثم يقول -رحمه الله-: «ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة»..^(٣)

(١) راجع كتاب: «ابن تيمية والآخر» تأليف: عائض بن سعد الدوسري، تقديم: د/ محمد عمارة، ط. مكتبة الإمام البخاري.

(٢) «أسئلة وأجوبة حول السلفية» ص ١٠٥، ١٠٦.

(٣) «الاعتصام» للشاطبي (٢/ ٢٠٠).



شبهة. قد يعكر عليك -أخي الحبيب- أحدهم فيقول لك: ولكن أتباع هذا المنهج يهتمون بأخذ العلم عن شيوخ دعوتهم المنتسبين لمنهج «السلف» دون غيرهم من شيوخ الدعوات الأخرى، بل ويقلدونهم تماماً!!

والجواب: أن هذه فرية أكثر منها شبهة؛ لأن أتباع هذا المنهج يعلمون جيداً أن لعلماء المسلمين -وخاصةً أصحاب المعتقد السليم- منزلة عظيمة، فهم بالنسبة للأمة بمنزلة الروح من الجسد؛ لأجل هذا فإنه يُستفاد منهم جميعاً بدون جمود على قول أحد بعينه، ما دام قد توفر فيه شروط العلم والاجتهاد والفهم السديد، وحتى لا يكون هناك أثر لهذه الشبهة فإننا نقول وبالله التوفيق..

اعلم -بارك الله فيك- أن أتباع هذا المنهج رائدهم هو اتباع الدليل، وليس مجرد التقليد^(١) لمذهب من المذاهب أو عالم من العلماء دون النظر في دليله، ومدى صحة استدلاله، أما أن يقلد أي أحد من أهل العلم مطلقاً ففي هذا نظر؛ إذ إن العالم بالشرعية إذا اتَّبَعَ في قوله وانقاد الناس إليه في حكمه، فإنما يُتَّبَع من حيث هو عالم بالأدلة وحاكم بمقتضاها، لا من جهة أخرى، فهو في الحقيقة مبلِّغ عن رسول الله ﷺ المبلِّغ عن الله -عز وجل-، فيتلقى من ما بلغ من العلم بأنه بلغ، أو على غلبة الظن بأنه بلغ، لا من كونه منتصباً للحكم مطلقاً؛ إذ لا يثبت ذلك لأحد على الحقيقة، وإنما هو ثابت للشرعية المنزلة على رسول الله ﷺ وثبت ذلك له ﷺ وحده دون غيره من الخلق من جهة دليل العصمة، والبرهان أن جميع ما يقوله أو يفعله حق، فإن الرسالة المقترنة بالمعجزة على ذلك دلَّت، فغيره لم يثبت له عصمة بالمعجزة بحيث بمقتضاها يساوي النبي في الانتصاب للحكم بالإطلاق، بل إنما يكون منتصباً على شرط الحكم بمقتضى الشرعية بحيث إذا وجد الحكم في الشرع بخلاف ما حكم لم يكن حاكماً، إذا كان -بالغرض- خارجاً عن مقتضى الشرعية الحاكمة، وهو أمر متفق عليه بين العلماء،

(١) التقليد هو: الأخذ بمذهب الغير من غير معرفة دليله، نقلاً عن «القول السديد في كشف حقيقة التقليد» للشيخ/ محمد الأمين الشنقيطي، ط. دار الصحوة.



ولذلك إذا وقع النزاع في ميالة شرعية وجب ردها إلى الشريعة حيث يثبت الحق فيها لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] ^(١) ..

وهنا سؤال يطرح نفسه.. وهل كل تقليد يكون معتبراً؟!

والجواب: إن التقليد من حيث حكمه لشرعي لا ينزل منزلة واحدة فهناك التقليد الجائز.. وهو تقليد غير القادر على الاجتهاد ^(٢) لمن هو من أهل العلم والدين، ولم يتبين له أن قول غيره أرجح من قوله ^(٣)، كتقليد العامي لعالم معتبر من أهل الفتيا في نازلة نزلت به، وهذا تقليد معتبر مشروع، بل ومجمع على مشروعيته ^(٤).

أو كتقليد «غير القادر على الاجتهاد» - وإن لم يكن من العوام - لعجزه عن الاجتهاد، وإما لضيق الوقت عن الاجتهاد، وإما لعدم ظهور دليل له، أو عند العجز عن فهم الدلالة، أو عند تكافؤ الأدلة وعدم القدرة على الترجيح بين الأدلة المتعارضة ظاهراً؛ إذ إنه لما عجز سقط عن وجوب ما عجز عنه وانتقل إلى بدله وهو التقليد.

والذي عليه جماهير الأمة أن الاجتهاد جائز في الجملة والتقليد جائز في الجملة، لا يوجبون الاجتهاد على كل أحد ويحرمون التقليد، ولا يوجبون التقليد على كل أحد ويحرمون الاجتهاد، وأن الاجتهاد جائز للقادر على الاجتهاد، والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد «ومن كان مقلداً» لزم حكم التقليد، فلم يرجح ولم يزيغ، ولم يصوب، ولم يخطئ ^(٥).

(١) راجع شرح الكوكب المنير للشيخ أحمد «الاعتصام» للشاطبي ص ٥٠٢، ط. دار الرحمة، تحقيق: محمد رشيد رضا.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٠ / ٢٠٤)، وانظر: «الدرر البهية في التقليد والمذهبية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية»

للشيخ / محمد شاكر الشريف ص ٢٥، ط. مكتبة الصديق.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٠ / ٢٢٥).

(٤) «القول السديد في كشف حقيقة التقليد» ص ٨.

(٥) «مجموع الفتاوى» (٣٥ / ٢٣٣).



وهناك التقليد الحرام^(١) بلا خلاف: وهو تقليد المجتهد الذي ظهر له الحكم باجتهاده، مجتهداً آخر يرى خلاف ما ظهر له هو؛ للإجماع على أن المجتهد، إذا ظهر له الحكم باجتهاده، لا يجوز له أن يقلد غيره المخالف رأيه^(٢).

وقد نقل غير واحد من أهل العلم الإجماع على أنه لا يجوز للعالم أن يقلد غيره إذا كان قد اجتهد واستدل وتبين له الحق الذي جاء به الرسول، فهذا لا يجوز له تقليد من قال خلاف ذلك بلا نزاع^(٣).

وهناك تقليد عالم معين: وهو تقليد رجل واحد معين دون غيره من جمع العلماء؛ فإن هذا النوع من التقليد لم يرد له نص من كتاب ولا سنة، ولم يقل به أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا أحد من القرون الثلاثة المشهود لهم بالخير، وهو مخالف لأقوال الأئمة الأربعة رحمهم الله - فلم يقل أحد منهم بالجمود على قول رجل واحد دون غيره، من جميع علماء المسلمين، فتقليد العالم المعين دون غيره من بدع القرن الرابع، ومن يدعي خلاف ذلك فليعين لنا رجلاً واحداً من القرون الثلاثة الأولى، التزم مذهب رجل واحد معين ولن يستطيع ذلك أبداً؛ لأنه لم يقع البتة^(٤).

أما الإجابة عن الشبهة الأخرى: وهي اهتمام «أتباع منهج أهل السنة والجماعة» بكتب أهل السنة أكثر من غيرهم؛ وذلك لأنه لا خصلة من الخصال التي تُعد في المفاخر لأهل الإسلام من المعارف والعلوم، وأنواع الاجتهادات، إلا ولأهل السنة والجماعة في ميدانها القدح المعلن، والسهم الأوفر، فدونك أئمة أصول الدين وعلماء التوحيد ممن شهد لهم بالإمامة والعلم أكثرهم من أهل السنة؛ إذ هم القادة والسادة في هذا العلم، وأما أئمة الفقه في

(١) التقليد المحرم بالنص والإجماع: أن يعارض قول الله ورسوله بما يخالف ذلك، كائناً من كان المخالف لذلك، يُنظر:

فتاوى العز بن عبد السلام، تحقيق محمد جمعة كردي ص ٢٨٨ ط. مؤسسة الرسالة، و«مجموع الفتاوى» (١٦/٢٨).

(٢) «القول السديد في كشف حقيقة التقليد» ص ٨.

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٩/٢٦٠).

(٤) «القول السديد في كشف حقيقة التقليد» ص ٩.



عهد الصحابة والتابعين ومن بعدهم فقد ملأوا العالم علماً، وليس بينهم من لا يناصر السنة والجماعة، وهم أشهر من نار على علم، وأما أئمة الحديث والإسناد فهم سائرون على هذا المهيّج الرشيد، لا يوصم أحد منهم ببدعة، وفي طبقاتهم كتب خاصة تغني عن ذكر أسمائهم هنا، وآثارهم الخالدة لم تزل بأيدي حملة العلم مدى الدهر، وكذلك جمهرة أهل النحو واللغة والأدب كانوا على معتقد أهل السنة والجماعة، وكذلك أئمة القراءة وحملة التفسير بالرواية من عهد الصحابة إلى عهد محمد بن جرير الطبري وأقرانه ومن بعدهم، كانوا كلهم من أهل السنة لم يتدنس أحدهم بشيء من بدع الروافض والخوارج والقدرية، وكذلك مشاهير علماء المغازي والسير، والتواريخ، ونقد الأخبار، وحملة الرواية من أهل السنة والجماعة^(١). فيظهر بذلك أن جماع الفضل في العلوم في أهل السنة والجماعة، إذن نخلص من هذا أن أتباع هذا المنهج متبعون لا مبتدعون، بل يأخذون من أقوال أئمة أهل السنة ما وافق الكتاب والسنة دون تعصب لأحد منهم..

هيا.. سرّ على المنهج الحق

فإذا علمت كل ما تقدم ذكره آنفاً، واطمأن قلبك بالأدلة الرضوية والحجج القوية إلى أن منهج أهل السنة والجماعة هو المنهج الحق، فإنه يلزمك أن تلتزم بهذا المنهج القويم، وأن تتعرف على أصوله من أجل أن تكون من أهله، بل وأن تقف في وجه كل مبتدع ضال يحاول تشويه معالم هذا المنهج الأصيل، كذلك فأنا أدعوك للمشاركة في الذود عن هذا المنهج وهذه العقيدة الصافية المستهدفة اليوم من الداخل قبل الخارج^(٢)، عن طريق دعوة إخوانك في الجامعة إلى طريق السلامة والنجاة، وإلى هذا المنهج الصافي الذي لا لبس فيه ولا غموض ولا

(١) «الفرق بين الفرق» (ص ٢٨٧: ٢٨٩) بتصرف.

(٢) نحذر إخواننا من الشباب المسلم من مؤامرة عظيمة يتولى أمرها رؤوس البدعة والكفر؛ حيث إنه قد نشأ تحالف مشؤم بين هؤلاء وبين كثير من أبناء تيار العلمنة في مجتمعنا الإسلامي، لتشكيل هجين جديد يأخذ صفة الإسلام العصري المستنير - كما يسمونه - ليكون بديلاً عن الإسلام الحق والسنة الهادية، لذا فنحن نحذر شباب الإسلام - عامةً - والدارسين في الجامعات منهم - خاصةً - من هذا الغزو، والذي يُصاغ من الداخل ليكون الدين الجديد الذي يرضى عنه اليهود والنصارى والذين أشركوا.



تعقيد، وإلى هذا المنهج المتكامل في كل الأبواب «في العلم» و«العمل» و «الفكر» و «السلوك»...

واعلم -أخي الشاب- أنه متى خرجت الأمة عن هذا المنهج القويم الصافي، وأهمل دعائها هذا المنهج العظيم المتكامل.. ضعف أمرهم، وتزعزع كيانهم، وتفرقت كلمتهم، وارتكسوا في البدع والمحدثات والمهلكات التي تنغص عليهم عيشهم في الحياة الدنيا، وتبعدهم عن الله في الدنيا والآخرة، أما إذا سارت الأمة على مسار الأسلاف الصالحين، وعلى مسار الكتاب والسنة، وتركت مسارات أهل البدع أمنت الفشل والتنازع..

ونختم بنصيحة لكل شاب مسلم حريص على الخير باتباع المنهج السليم بعيداً عن الحزبية المذمومة أو المذهبية الجامدة أو العصبية الجاهلية؛ لأن كثرة الجماعات، وكثرة واختلاف المناهج فهذا مما يسبب الفشل والنزاع، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، نريد جماعة واحدة لا جماعات، نريد جماعة مسلمة تكون على المنهج الصحيح والدعوة الصحيحة حتى لو تفرقت في البلدان فإن مرجعها واحد، يُراجع بعضها بعضاً، ويستمد بعضها من بعض^(١)، وكل هذا وفق الكتاب والسنة، واتباع أئمة الأمة الربانيين في كل الأقطار والميادين.

(١) راجع: «الأجوبة المفيدة عن أسماء المناهج الجديدة» للشيخ/ صالح الفوزان ص ٢١، ط. دار المنهاج، ونصح بمطالعة بحث الالتزام بين الحقيقة والخيال د/ محمد علي يوسف ط. دار اللؤلؤة.

نصيحة من القلب

* والآن بعد أن بينت لك فضل الالتزام، ومدى أهميته لإصلاح الفرد والمجتمع، وسردت لك بعض الشبهات التي يتذرع بها البعض، ويحتج بها الكثيرون مِمَّنْ غلبتهم أهواؤهم فجانبوا الحق والصواب.. ها أنا أدعوك -أخي وحيبي في الله- للالتزام بهذا الدين الحنيف لتسعد في دنياك وآخرتك..

* أدعوك -أخي الشاب- بعد كل ما قرأته آنفًا، وأسألك -حيبي في الله- وأقول لك «ألا تريد الالتزام؟!!»، «ألا ترغب في التمسك بهذا الدين العظيم؟!!»، ألا تحب أن تتحمل التكاليف الشرعية بكل الحب مع كل الذل والخضوع لله تعالى؟!!

* أيها الأخ الشاب.. أليس الله -جلَّ جلاله- يُحسن إليك على الدوام بعدد الأنفاس مع إساءتك وغفلتك؟!!.. أليس الله [الذي خلقك ورزقك وستر عليك حتى وأنت تعصيه بل وتستعين على المعصية بنعمه -سبحانه-].. يغيث لهفتك، ويفرج كربتك من غير حاجة منه إليك؟!!، ألا يستحق منك المحبة كلها؟!!، ألا تستحي أن تشغل عن ربك وأوامره؟!!

* سألت شابًا جامعياً ذات يوم فقلت له: أسألك بالله.. هل طريق الالتزام والتدين خطأ؟!!، والطريق الذي أنت فيه أفضل؟!!، أجب عليَّ من قلبك.. قال: مِنْ قلبي!! قلت: نعم.

حوار مع شاب



قال: والله إني أعلمُ في قرارة نفسي أن طريق الالتزام هو الصحيح.. والطريق الذي أنا فيه خاطئ.

قلت: هل هناك عاقل في الدنيا يترك الطريق الصحيح، ويسلك الطريق الخاطئ؟! قال: لا.

قلت: إذن لازم كلامك.. أنك غير عاقل، قال: لا لا بل أنا عاقل، ولكن سأخبرك لماذا لم أسلك طريق الالتزام؟ فقلت: وأنا كلي آذانٌ مصغيةً..

قال: هذا الطريق صحيح ولكنه صعب، والطريق الذي سلكته خاطئ ولكنه سهل.. فقلت له: أنا معك، لكن أنت تركت الطريق الصعب إلى الأسهل أم إلى الأصعب؟! قال: إلى الأسهل، فقلت له: لا.. بل تركت الصعب إلى الكارثة.. إلى المصيبة.. إلى الدمار.. إلى الهلاك في الدنيا والآخرة، قال: كيف؟! قلت: أليس غض البصر عمّا حرم الله من أفلامٍ وصورٍ خليعة وفتياتٍ متبرجات كاسيات عاريات صعب!!، قال: جدًّا، قلت: لما تركت غض البصر.. وأطلقت لبصرك العنان للنظر إلى ما يغضبُ الله.. وقعت في الأصعب. قال: وما الأصعب؟ قلت: أن يملأ الله عينيك من جمر جهنم.. فانتبه، لأجل هذا فإن الأسهل أن تصبر قليلًا وتغضّ بصرك، حتى لا تقع في الأصعب وهو أن يملأ الله عينيك من جمر جهنم.. فسكت..

ثم قلت له: الأغنية التي تسمعها (وخاصة إذا كانت محببةً إلى نفسك).. لا شك أن صون سمعك عنها صعب.. أليس كذلك؟! قال: نعم، قلت: وإذا سمعت الأغاني وقعت في الأصعب.. قال: وما الأصعب؟! قلت: أن يصب في أذنك الرصاص المذاب يوم القيامة، بل وأن يضعف الإيمان في قلبك، وينبت بدلًا منه النفاق.. فأيهما الأصعب؟! قال: صحيح.. إن هذا هو الأصعب..



قلت له: قيامك.. لصلاة الفجر صعب. قال: نعم، قلت له أيها أصعب قيامك لصلاة الفجر، وتضحيتك بالراحة والنوم في سبيل الله، أو أن تصطدم رأسك بالصخرة في نار جهنم.. فقال: طبعًا بل الأصعب أن تصطدم رأسي بالصخرة في النار، قلت: إذا لقد تركت الطريق الصعب إلى ما هو أصعب، صحيح طريق الالتزام ليس سهلًا، ولكنه يوصل إلى الجنة..

ثم دعني أضرب لك مثالًا آخر..

أنت عندما ذهبت إلى المدرسة.. اثنتا عشرة سنة، ثم مرت بك بداية المرحلة الجامعية، ألم يحدث لك أن بدأ العام الدراسي بصعوبات «كالاستيقاظ المبكر، وكثرة الواجبات الدراسية، والهموم والقلق، والمشاكل، والامتحانات، والاضطرابات.. أليس في كل ما ذكرنا آفًا صعوبة؟ قال: نعم. قلت: لماذا يُصِرُّ الناس على صعوبة الدراسة؟ قال: من أجل تأمين المستقبل، قلت: إذا لماذا نصبر على صعوبة الالتزام؟!، هل من أجل تأمين المستقبل «كما يردد الناس»؟!، هل من أجل أن نعيش عيشة هنية، في بيت مريح، وفي وظيفة محترمة لمدة من العمر فقط؟!

* أما أننا نصبر على صعوبة الالتزام في هذه الدنيا.. لنؤمن مستقبلنا الأبدي السرمدي، لنصل إلى جنة عرضها السماوات والأرض..

- فقال لي: نعم.. كيف أتناسى هذا الأمر المهم؟، ولكن معنى كلامك أنك تدعوني لأن أهجر الدنيا.. كل الدنيا، فقلت له: لا.. لا أدعوك لذلك، لا أطلبك بترك العمل للدنيا، وعدم السعي في أطرافها.. كلا.. كلا ولكن اعمل للدنيا على قدر بقائك فيها، وللآخرة على قدر بقائك فيها..

ثم قلت له: أخي هل علمت المصيبة؟!، قال: أي مصيبة؟!، قلت: أن تترك طريق الالتزام وتسلك الطريق الآخر، وتسير معجبًا.. مخدوعًا بما فيه من اللذات والمتع البسيطة الزائلة، ثم



بعد عمرك هذا تقف في النهاية على جدار الموت.. وتسمع ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، لكنها فرصة واحدة.
* أخي الحبيب.. أما آن لك أن تفكر في آخرتك ولو شيئاً يسيراً، لترى كيف سيكون
حالك غداً!!

* أيها الأخ العاقل الرشيد.. حتى متى الانغماس في الملذات والغفلة عن النهاية؟!
- فردّ عليّ قائلاً: أنا أحسن من غيري من الشباب.. فقلت له: ولكن ما كلمتك إلا لما
رأيت منك النباهة، والفتنة ومدى حرصك على نفسك، لهذا أرجو الإجابة على أسئلتي بكل
صدق: هل خططت ورتبت نفسك للموت؟، هل استعددت له وتجهزت لحضوره؟، أما
علمت أنك حتماً سترحل من هذه الدنيا عاجلاً أم آجلاً؟، طالبت بك الأيام أو قصرت..
فماذا أعددت لهذا الرحيل؟، وماذا قدمت لما بعد الرحيل؟!

* فردّ عليّ قائلاً: أنا ما زلت في الجامعة وأنا صغير السن.. فقلت له: أمعك من ربك
ميثاق وعهد ألا يتوفاك إلا بعد توبتك؟، فقلت لا، ولكن أنت تزعم أنه يلزمه طريق
الالتزام «بمعنى الالتزام والتمسك بأصول الدين وفروعه، بكلياته وجزئياته، وأنا أقوم
ببعض الأوامر الشرعية، وهذا يكفي»..

فقلت له: هذا لا يكفي.. لأنه لا يجوز أن تعمل ببعض الأحكام الشرعية، وتكفر ببعضها،
كذلك فإنه يجب عليك ألا تثق بكثرة العمل.. لأنك لا تدري أيقبل منك العمل أم لا؟،
واعلم أنه يلزمك ألا تأمن ذنوبك فإنك لا تدري أكفرت عنك أم لا؟، ولقد صدق الحسن
البصري - رحمه الله - إذ يقول: «أبى قوم المداومة على العمل الصالح، والله ما المؤمن بالذي
يعمل شهراً أو شهرين أو عاماً أو عامين، لا والله ما جعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت!!

ثم قلت له: التزم بدين الله، وإن كان الطريق شاقاً أو طويلاً، واعلم بأن الالتزام هو الحياة
الحقيقية، هو السعادة الكاملة، هو هدوء النفس وجنة الصدر..



- فردّ علي قائلاً: إنَّ لي أصحابًا وزملاء في الجامعة يعيشون حياتهم طولًا وعرضًا وهم سعداء رغم أنهم لا يعرفون الالتزام!!، فقلت له: اصدق مع نفسك -أخي- كيف يجد أهل المعاصي راحتهم في معاصيهم؟! (لا والذي رفع السماء بغير عمد) إنها هم في غم وهم وحزن شديد، وحتى تتأكد من مدى صدق كلامي فانظر إلى أحوال هؤلاء.. ستجد أكثر هؤلاء في حالات نفسية وعصبية مضطربة، ربما تدفع أحدهم إلى الانتحار، وحب التخلص من الحياة، ناهيك عن الشعور بالملل والضيق والسامة والكآبة والتي قد تدفع الواحد منهم إلى ارتكاب أي محذور..

فقال لي: وماذا لي إذا عدت والتزمت؟! فقلت: أبشر إذا عدت إلى الله بجنة عرضها السموات والأرض، وقبل ذلك رضوان من الله ومغفرة وعفو ورحمة، ولك إذا عدت بركة في الرزق، وهناء في العيش ولذة في العبادة، وصحبة طيبة وإخوة صالحة..
أبشر فلك بعد التوبة أيضًا أن يبدل الله سيئاتك حسنات.. نعم أبشر هذا الخير العظيم، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]، هذا في الآخرة.. أما في الدنيا، وهي ما تحب أن تراه عاجلاً فأبشر بالسعادة والطمأنينة وأبشر ببهاء الوجه وهدوء النفس..
أبشر بالصحبة الطيبة [صحبة الأخيار وقراءة القرآن ومحبة الصالحين]، أبشر بحياة طيبة في الدنيا والآخرة.

* بشرى أخرى: قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].
تأمل يومًا واحدًا من أيام عودتك.. لقد كنت في سعادة لا تنكرها، وصفاء لا مثيل له.. سمعك يُعطر بآيات من القرآن وبحديث علماء الأمة ودعاتها.. أما بصرك فهو قراءة في المصحف أو نظر في ملكوت السموات والأرض!!، أما دمعك فليست من أجل مفارقة فتاة من الفتيات، لكنها اليوم هي خوف من الله ورجاء وطمع في رحمته.. أما قلبك فلا تتحدث



عنه.. فهو في سعادة وأمن وراحة وطمأنينة!! ثم ألا ترى بعد التزامك أنه قد زاد عقلك وذهبت خفته التي كانت تظهر لك بعد مشاهدة مباريات كرة القدم؟!، بل تأمل جلساءك في السابق!!، النطيحة والمتردية ممن أضاعوا الصلاة وغفلوا عن الحساب، واليوم رفعك الله مكاناً علياً ومنزلة رفيعة فصرت تسير في طريق الصلاح وأهله^(١).

* أخي أدعوك وأقول لك: جربت طرقاً كثيرة سنوات عديدة!! فهيا جرب هذا الطريق المبارك..

هيا أعلن ميلادك الجديد.. وتذكر: أن الإنسان في هذه الحياة الدنيا يأتي عندما يقذف من رحم أمه معلناً ميلاده الأول، ويفارق الدنيا حينها يحين الوقت.. هذا هو المعلوم عند الناس، ولكن عندما ننظر إلى الدنيا بعين البصيرة نجد أن الإنسان قد يولد مرتين، ويموت مرتين.. فأما المولد الأول: فهو المعلوم والمذكور آنفاً بحيث يشترك فيه كل الخلق مسلمهم وكافرهم برهم وفاجرهم، حتى الحيوانات.. وأما الميلاد الثاني: فهو الميلاد السعيد لكل عبدٍ أحبَّ ربه ومولاه، حين يخرج هذا العبد من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة، فهذا ميلاد خاص بالموفقين للهداية، صَوَّرَ ذلك الميلاد العظيم فاطر السماوات والأرض الرحمن الرحيم حيث قال: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

(١) ينظر: إلى من حجبه السحب، للشيخ/ عبد الملك القاسم، ص ٧٠، ٧١، دار القاسم.

من واقع الحياة

هي نصيحة من أحد إخواننا التائبين إلى إخوانه من الحائرين من التائبين الضالين.. قال: مرَّ عليَّ عشرون عامًا وأنا في ظلامٍ دامسٍ، أتخبط تخبطًا عشوائيًا، أعيش لحظتي لا أخطأها، ولا أنظر إلى المستقبل، فرح بشبابي مغرور بقوتي، فالحلال بالنسبة لي ما حلَّ في يديَّ والحرام ما صعب وتعسر عليَّ، حتى ظننت إنني الخالد من بين الناس الموتى.. عشرون سنة هي عمري، لا أحس للندى بطعم، رغم أن المال كثير، والأصدقاء أكثر.. فبدأت أسأل نفسي: ماذا ينقصني لتكتمل سعادتي؟، ظننت أنه لا ينقصني شيء، كان هناك في نفسي جوعٌ، وفي صدري ضيق؟ فإذا بي أتساءل: ما الذي يزيل هذا الجوع، وماذا يفرج هذا الضيق؟، لم تُشبع نفسي معازف ولا سهر، ولم يشرح صدري ملاهي ولا وتر، فالجوعة زادت، والضيق زاد، بدلت الأصدقاء، سافرت وعدت وجلت في كثير من الأمكنة والبلدان، أسرفت على نفسي كثيرًا، سهرت طويلًا ولهوت كثيرًا، تعبت، نعم تعبت، والجوعة دومًا تزداد، سهرت أتأمل أين موطن النقص؟، فإذا بالليل يطول، والناس هجوع، والأهل نيام، وألم الجوعة يعصرني، وضيق الصدر يكاد يقتلني، وجاء من أقصى الصمت صوت يقول لي: الله أكبر، الله أكبر.. حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح.. إنه صوت الحق غريب هذا الصوت إنني أسمعه منذ عشرين سنة، ما أحسست به إلا الآن، رغبت نفسي في إجابة النداء، فخرجت إلى الشارع أمشي في الظلام متجهًا إلى بيت الله، فلما دخلت إلى المسجد أحسست براحة نفسية، واطمئنان قلبي لم أشعر به قبل دخولي إلى هذا المكان الطاهر المقدس، ووقفت مع الناس، ولكنهم أناس من طراز خاص لم أعهده في حياتي، وجوههم بيضاء يشع منها نور الإيمان، ونفوسهم طيبة تسعد بصحبتهما، ثم أُقيمت الصلاة، فإذا بإمام يتقدم الصفوف «إنه شابٌّ في ريعان شبابه، وتما قوته، وجهه كالبدْرِ» فصلَّى بنا، فإذا به يقرأ آياتٍ من القرآن بصوته العذب، ولكن



وللأسف لم أعرف ماذا يقرأ لأنني لم أكن صديقاً للقرآن، بل كنت هاجراً له.. وفجأة.. وقف الصوت وإذا بالرجل يبكي، وتخرج الآيات بعد ذلك ممزوجة بالبكاء، حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]. وإذا به يبكي حتى انحبس صوته ويبكي من حولي المصلون، ويعلو البكاء، وتسيل الدموع والعبرات، في تلك اللحظة نزلت دموعاً من عيني أحسست ملوحتها، وشعرت بغصة، نزلت تلك الدمعة فتبعتها دموع وعبرات، أجهشت ببكاء صادق، صنع في نفسي أزيزاً كأزيز المرجل، وكأن هذا الإمام استمطر قلبي بكلام الله فنزل الدمع غزيراً حتى سال على خدي، فسقى أرضاً جديداً في قلب ميت، فأحيا بهذا الدمع بعد كلام الله موت فؤادي، وبسرعة قررت إعلان ميلادي الجديد بعد أداء هذه الصلاة، فانطلقت إلى الإمام الذي صليت خلفه، وأخذت بيده بعيداً عن الناس، وقلت له: يا شيخ.. أذنبت كثيراً وأسرفت على نفسي، لم أدع معصية إلا ارتكبتها، ولا موبقة إلا فعلتها، وإني ظانٌ أنني هالك، ولن يغفر الله لي، بل إني على يقين جازم لا يحتمل أدنى شك أو ريبة أن الله ساقطٌ عليّ، وأني سأكون من أهل النار حتماً، فإذا بالشيخ يقربني منه ويقول: إنَّ اعترافك بالخطأ والتقصير طريقك إلى الخير، فأجبت قائلاً: يا شيخ: ما فعلته من ذنوب يجعلني من أهل النار بل من الطبقة الأولى في النار، لقد حجزت مقعدي هناك، فقال له الإمام: ولماذا تجزم بذلك، فإنه باستطاعتك أن تكون من أهل الجنة، أو لم تسمع قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَعَبَّدُونَ لِلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. وفي تلك اللحظة أعلنت ميلادي، وأحيا الله فؤادي.

* فما ألدّه من ميلاد!!، وما أجملها من أيام!!، تلك الأيام والتي يتمرد فيها الإنسان على شيطانه، يوم يرتبط بالله الواحد الديان، يوم يذوق في نفسه حلاوة الإيمان، يوم تذرف بالدموع العينان، يوم يلهج بذكر الله اللسان، ذلك هو الميلاد.. إنَّ هذا الميلاد ليس له سببٌ معين، ولكنه شيء يهز نفسك هزاً، شيء يُشعرك بأنك ما خلقت عبثاً، وما وجدت في هذه



الدنيا سدىً ولا هملاً، إن هذا الميلاد لا يولده أيُّ إنسان، إنما يولده بعد توفيقِ الله من أخذ بالأَسباب، وقد تأتته تلك الأسباب، فقد يكون كافراً فيسلم، وقد يكون مسلماً عاصياً فتصيبه هزة فاستيقاظ من غفلة، فمحاسبة للنفس، فدمعة على الخد، فسجود لله من ذلك العبد، فعودة كاملة إلى الدين والحق، فثبات -نسأل الله الثبات- وقد يكون مستقيماً فيجدد ذلك الميلاد.

فيا أخيه!! يا من خَلَقَكَ الله فسواك، وهو الذي رزقك وكسأك، وأطعمك وسقأك، ومن كل خيرٍ سألتَه أعطأك، وبالرغم من ذلك عصيت وما شكرت وأذنبت وما استغفرت، تنتقل من معصية إلى معاصي، ومن ذنبٍ إلى ذنوبٍ، تُقابِلُ إحسانه -سبحانه وتعالى- إليك بالجحود والنكران، ومع هذا كله.. فلا تجعل ذنوبك خندقاً يحاصرُك ويلتف حولك فيعتصرُك، أنا أعلم أنك ستقول كيف أتوب؟ كيف سينظر إليَّ إخواني وأصحابي؟، ماذا سيقال عني؟! أعلم أنك تخاف أن تبتلى، ولكن أين أنت من رسولك محمد الذي اتهم في عرضه ودينه، وأوذى أشد أنواع الإيذاء فَضْرَبَ وَشْتَمَ وَوَضَعَ سِلا الجذور على ظهره الشريف، بل حورب هو ومن معه، وطُرِدَ وَشُرِّدَ من أرضه ووطنه.. فصبر واحتسب، فأظهر الله تعالى دينه على الدين كله، وانتشرت دعوته في ربوع الأرض.

أين أنت من أخيك بلال؟! الذي يوم أن أعلن اعتناقه للإسلام عذبه سيده «أمية بن خلف» عذاباً لا يحتمله بشر، ومع ذلك كان يُصْرِّح بالثبات على التوحيد، بقوله «أحد.. أحد»، رغم أنه يُعَذَّب، ويُجَارَب، ويُضْطَهَد، ويُشْرَد لا لشيء إلا لأنه آمن بالله رباً، وبالنبي محمد رسولاً، وبالقرآن كتاباً ودستوراً، وبالرغم من ذلك كله كان لا يتباطأ في نصرة دينه، بل كان يعلن توحيده لله تعالى، ويقرع بالشهادتين مسامع الكافرين.. -أخي وحيبي- إن بلاً لما صبر مع الصابرين فاز مع الفائزين، فكان من أهل جنات رب العالمين، وهلك سيده مع الهالكين، فلا تغتر أخي بهؤلاء الفاسدين المفسدين، ولا تغتر بدار لا بد من الرحيل عنها، ولا تخرب داراً لا بد من الخلود فيها.



وكأنني بك تقول: أذنبت كثيرًا وعصيت كثيرًا، أبشرك وأقول: لا عليك.. فالباب أمامك لا يزال مفتوحًا، والأمل بين يديك لا زال مطروحًا.. المهم.. أن تعجل بالتوبة، وأن تغسل الحوبة، قبل أن تقول: يا حسرة على ما فرطت في جنب الله، واعلم أن الله «ملك الملوك» يحبك إذا تبت وأنبت، وإياك أخي أن تظلم نفسك بتسويق التوبة والالتزام.

تحيل نفسك.. إن مت على غير توبة وأنت في أودية جهنم تهيئ، ومن طعامها تأكل طعامًا كله صديد وحميم، تصور نفسك في هذا الحال.. هل تتحمل ذلك العذاب؟ قال تعالى: ﴿أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْنَمَا فَتْسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْشِئُ ﴿١٢٦﴾ [طه: ١٢٤].

أخي أجب نداء الحق.. وسر على الجادة، واستقم كما أمرت.. ها أنا أذكرك.. إن نداء الحق يناديك فيأياك أن ترفض الإجابة وكأن الأمر لا يعنك، ها هو الداعي يناديك.. هيا أقبل على الله الرحمن الرحيم، عجل وأعلن ميلادك الجديد، قبل أن يدهمك الموت، عجل قبل هجوم هادم اللذات، حق لا تدركك الأحزان والحسرات، هيا -أخي- التزم بدينك فإن الله يريدك، ودين الله يحتاجك..

* فإذا ما من الله عليك بالتوبة النصوح، ورزقك الالتزام بشرائع هذا الدين المحكم فاحمد الله على هذه النعمة العظيمة واشكره على هذه المنة الجليلة، وتذكر أنه:

- كم من مغمورٍ في الشبهات تُشْرِقُ به شبهة وتُغرب به أخرى لا يدري كيف خلاصه؟!
- وكم مغموس في الشهوات مأسور بها لا يعلم متى معافاته؟!

فاشكر الله أيها النائب، وأيقن أن هذه منة محضة من الله وحده، لا حول لك ولا قوة فيها إلا باللطيف الخبير، فهو الذي لطف بك، وهداك، ولم يمتك وأنت غارق في الشبهات أو الشهوات، فله الحمد في الأولى وفي الآخرة، فهو الذي أرشدك، ويسر لك من يرشدك إلى منهج السلف الصالح، فما أكثر نعمه عليّ وعليك، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا



تَحْصُوهَا» [إبراهيم: ٣٤]، وإياك -أخي التائب- والعجب والغرور، أو المن على الله في ذلك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤].

* كما أحذرك -أخي الشاب- من بعض الشبهات الشيطانية، والتي كثيرًا ما نسمعها من بعض إخواننا «من الملتزمين الجدد» فتسمع بعضهم يقول:

«أنا لن أدخل جامعة، ولن أستكمل دراستي، ولن أستأنف ما قد بدأته من تعلم العلوم الحديثة «كالطب، والهندسة»، وإنما سأشغل وقتي كله بدراسة العلوم الشرعية فحسب...، ولمثل هذا نقول: إن تعلم العلوم الحديثة «كالطب، والهندسة» بنية إغناء المسلمين (في مثل هذه المجالات) عن الحاجة إلى الكفار والمشركين، وبقصد إعادة الدور الرائد لهذه الأمة عن طريق الاجتهاد في ابتكار واختراع المخترعات الحديثة والتي تساعد على أن تكون أمتنا المسلمة في الصدارة، مما يؤدي إلى رقي الأمة وعزتها ورفعتها، بل ويدفع ذلك الأمم الكافرة إلى التذلل إلى الأمة المسلمة، وإلى حاجتها إليها.. وبهذا يتحقق معنى العزة والتمكين لهذه الأمة في أرض الله، إنَّ مثل هذه النوايا المخلصة المباركة قرابة عظيمة يُتقربُ بها إلى الله جل شأنه..»

* فلا تحرم نفسك -أخي الحبيب- هذا الأجر الجزيل العظيم، واعلم أن إغناء المسلمين عن الحاجة إلى اليهود والنصارى والمشركين واجب، «وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» فيجب على طائفة من هذه الأمة أن تتخصص في مثل تلك العلوم، لما ذكرناه آنفًا..

ولقد سئل الشيخ صالح الفوزان [عضو هيئة كبار العلماء] عن حكم تعلم العلوم الحديثة «كالطب، الصيدلة..» فقال: لا بأس في ذلك ويؤجر عليه إن شاء الله، ولكن بشرط أن يكون قد تعلم من دينه ما يحتاج إليه، فلا بد أن يتعلم أولاً أمور الدين الضرورية، والتي لا يُعَدَّر



أحد بتركها، ثم يتعلم بعد ذلك أمور الطب وغيرها من العلوم، أما أن يقبل على علوم الطب وغيرها من العلوم الحديثة.. وهو يجهل «الأمور الضرورية في دينه.. فلا يجوز»^(١).
وبعض هؤلاء يقول «أنا لا أستطيع أن أدخل الجامعة لأنني لا أستطيع أن أخلص لله تعالى في عملي هذا؟

وقد أجاب عن هذه الشبهة (التي يغني بطلانها عن إبطالها) فضيلة شيخنا العلامة: ابن عثيمين - رحمه الله رحمة واسعة - فقال: «أقول لمن هذا حاله.. هذا وهم كبير وسوء ظن بنفسك، وكما ذكرت مرارًا أنه يمكن للطالب أن يدخل الجامعة ويخلص لله تعالى في هذا العمل، وله أجره إذا قصد أنه يريد أن ينال الشهادة ليتبوأ مكانًا قياديًا من الأمة، ليقدم دينه..»^(٢).

- وبعضهم يقول: «أنا لن أدخل إلى الجامعة، فهي مكان فتنة وغواية وإفساد»
فإذا قلت له: يا أخانا.. إنك إذا دخلت إلى جامعتك المختلطة فإنك ستدخل مضطربًا..
«والضرورات تبيح المحظورات وتقدر بقدرها»، كما أننا نظن أنك ستضبط بضوابط الشرع عند دخولك إلى الجامعة، بل وستجد أرضًا خصبة للدعوة إلى الله تعالى في أوساط الشباب المسلم هناك.

* فإن كنت لا تزال مترددًا شاكًا فيما ذكرنا، ولا زلت تجادل في ذلك وتقول: إن الجامعة مكان تتوفر فيه دواعي الفتنة، فلن أدخل إلى هذه الجامعة، ولن أدرس فيها.. فسأنقل إليك -

(١) نقلًا عن جريدة المسلمون، عدد (٦٦٥)، الصادر في ١٩ شعبان سنة ١٤١٨ هـ، ١٧ ديسمبر سنة ١٩٩٧ م.

(٢) تراجع: جريدة المسلمون عدد (٦٦٣)، الصادر في جمادى الآخرة سنة ١٤١٨ هـ، ١٧ أكتوبر سنة ١٩٩٧ م.



أخي الكريم- فتوى فضيلة الشيخ: عبد الله بن جبرين.. عندما سُئل عن حكم الدراسة في الجامعات المختلطة. فأجاب قائلًا: ننصح المسلم الذي يريد نجاة نفسه أن يتعد عن أسباب الشر والفتنة، ولا شك أن الاختلاط مع الشابات في المدارس والجامعات من أسباب وقوع الفساد وانتشار الزنا، ولو حاول الشخص أن يحفظ نفسه فلا بد أن يجد صعوبة، ولكن إذا ابتلى الشخص بذلك فعليه التحفظ والاعتزال، وغض البصر، وحفظ الفرج، وعدم القرب من النساء الأجنبية قدر المستطاع.. والله أعلم..^(١).



(١) تراجع: فتاوى إسلامية، جمع وترتيب الشيخ/ محمد المسند، (٣/١٠٢)، ط. دار الوطن.

A decorative rectangular border with ornate floral and leaf patterns at the corners and midpoints of the sides.

الفصل الثامن

«دستور الملتزم الجامعي»



فانون: احرم واحذر

- في خضم أمواج الحياة المتراكمة، والجري وراء ملذات الحياة والغايات المادية الفانية، يتناسى الإنسان ما عليه، ويتذكر ما له!

- وهنا يبرز الإسلام كدين عظيم شامل، لم يهمل أي جزئية، أ وموقفًا صغيرًا أو كبيرًا، مما يقع للإنسان أثناء سعيه وكده وتقلُّب في العاملين.

- فالإسلام دين النصيحة، وهي تعني في جوهرها: إيقاظ المسلم من غفوته، وتنبيهه إلى موضع زلته، وتحذيره من غفلته، وإرشاده إلى الصراط المستقيم الذي يدرك به غايته.

من أجل هذا؛ فإنه ينبغي على المسلم أن يسعى في نصح إخوانه وأقرانه وأهل زمانه، وقد عاب القرآن على من قبلنا من الأمم أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه؛ أي: لا يتناصحون، فاستحقوا بذلك لعنة الله.

ومدح القرآن أمتنا فوصفها بأنها تقيم النصيحة، وتؤدِّي ما أوجب الله عليها من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ قال

تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

- وللنصيحة أثر عظيم، ونفع كبير، فربَّ غافل قد سمع آيةً من كتاب الله، أو حديثًا لرسول الله ﷺ فانتبه من غفلته، وربَّ عاصٍ سمع مثل ذلك فتاب إلى الله توبة نصوحًا، ورب جائر أثر فيه كلام واعظ بليغ فأقلع عن جوره، وأقام العدل في نفسه ومع غيره.





- ولذلك؛ فإن المسلم الناصح ينصح لأخيه المسلم ويبين له عيوبه سرًا، ويستره ولا يفضحه، وأيضًا لا ينافقه ولا يداهنه ظنًا منه أنه بذلك يُبقي على المودة والمحبة بينهما؛ فإنه لا مودة ولا حب إلى في الله والله.

والمسلم المنصوح عليه أن يقبل النصيحة، وأن يشكر من نصحه؛ لأنه يحب له من الخير والطاعة ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر والمعصية ما يكره لنفسه.

ومع هذا، فإن طائفة من الناس لا تصغي لناصرها، وإن أصغت ردت نصيحته بقولهم: «عليك نفسك»! فأين هؤلاء من هذا الموقف العصيب: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۖ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾؟! [فاطر: ٣٧].

فإذا تقرر لديك -أيها القارئ الكريم- هذا الأصل المبارك، فإليك باقة من النصائح التي ذكرها أهل العلم، أسوقها إليك؛ عسى أن ينفعني الله وإياك بها، وهذا بيانها:

فانون «احرص.. واحذر»

أولاً: قانون احرص على...

- * ألا تشرك بالله شيئاً، وإن قتلت أو حرقت.
- * وألا تعقنّ والديك، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك.
- * ولا تتركَنَّ صلاة مكتوبة متعمداً؛ فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً، فقد أتى باباً عظيماً من الكبائر.
- * ولا تشربن خمراً أو مخدرًا؛ فإنهما رأس كل فاحشة.
- * وإياك والمعصية؛ فإن المعصية تحل سخط الله.
- * وعليك بالتقوى؛ فإنها جماع كل خير.
- * واعتزل شرور الناس، تنج من أذاهم.
- * واترك ما لا يعينك؛ فإن لك أمر محمود.
- * واطلب العلم لله، يكفك القليل.
- * وانظر إلى العلماء بعين الإجلال، وأنصت لهم عند المقال، واجعل مراجعتك لهم تفهمًا، لا تعنتًا.
- * واعرف زمانك، وأقبل على شأنك، واحفظ لسانك، وتحرّز من إخوانك.
- * ولا تغترّ بمدح الناس لك، ولا تصدّقهم على خلاف ما تعرف من نفسك.
- * وسلّم على من لقيته، أو دخلت عليه، أو مررت به من المسلمين.
- * وإذا دخلت منزلك، فسلّم على أهلك ومن فيه، فإن لم يكن فيه أحد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.
- * ولا تبدأ أحدًا من أهل الكتاب بالسلام، فإذا سلّم عليك أحد منهم فقل له: وعليك.
- * واستأذن على أمك وذوات محارمك إذا أردت الدخول عليهن.
- * واستأذن دائمًا بقولك: السلام عليكم، أأدخل؟ فإن أذن لك، وإلا فارجع.



- * ولا تنظر إلى عورة أحد إلا لضرورة، ولا تَظهر عورتك لأحد إلا زوجتك.
- * ولا تخل بامرأة أجنبية عنك ليست من محارمك، حتى لا يكون للشيطان عليك سبيل.
- * وأُمُرُ أولادك بالصلاة إذا بلغوا سبعاً، واضربهم عليها إذا بلغوا عشرًا؛ فإنك مسؤول عنهم أمام الله. ^(١)
- * وغض بصرك عما حَرَّمَ الله، تجد حلاوة للإيمان في قلبك.
- * ولا تحدّث الناس بما يكون بينك وبين زوجك من علاقة حميمة؛ فإن ذلك عليك حرام.
- * وعليك بالسواك؛ فإنه مطهرة للفم، مرضاة للرب.
- * وأكرم جارك وضيفك؛ فإن ذلك من أخلاق المسلمين.
- * وإياك والكذب والنميمة؛ فإن كليهما خلة ذميمة.
- * ولا تهجر أخاك -هجرًا بدعيًا ممنوعًا- فوق ثلاث ليال، وخيركما الذي يبدأ بالسلام.
- * ولا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي.
- * وإذا انتهيت إلى مجلس فسلم واجلس حيث ينتهي بك المجلس، وإذا أردت الانصراف فسلم؛ فليست الأولى بأحق من الآخرة.
- * وإذا شربت فناول مَنْ عن يمينك، وإذا سقيت قومًا فكن آخرهم شربًا.
- * وإياك أن تأكل أو تشرب بشمالك؛ فإن ذلك من فعل الشيطان.
- * وإذا أردت أن تأكل، فسم الله، وكُلْ بيمينك، وكل مما يليك، ولا تنفخ في طعام أو شراب، واحمد الله في آخره.

(١) ينظر: مقال «الدين النصيحة» للشيخ صفوت الشوافي، بمجلة التوحيد، العدد جمادى الأولى سنة ١٤٢١هـ، وانظر كتاب: «صفوت الشوافي في ركب العلماء، مع إطلالة شهرية على القراء» جمع وترتيب: أحمد سليمان ص ٣٢، ص ٣٣، ط. دار الإمام الألباني للتراث.



- * وإذا أردت قضاء الحاجة، فاستتر من الناس بعيداً عنهم، ولا تحدث أحداً ما دمت تقضي حاجتك؛ فإن ذلك ممقوت.
- * وإذا ثأبت فاكظم ذلك ما استطعت، وضع يدك على فمك، واغضض من صوتك إذا تكلمت.
- * وإذا عطست فاحمد الله بصوتٍ مسموع، وإذا عطس عندك أحد فقل له: يرحمك الله، ويقول هو لك: يهديكم الله ويصلح بالكم.
- * وإذا كنت في ثلاثة، فلا تتناج مع أحدهما دون الثالث؛ لأن ذلك يحزنه.
- * وإياك أن تتداوى بالحرام؛ فإن الله لم يجعل الشفاء في حرام.
- * وحافظ على عيادة المريض، ولا تطل الجلوس عنده.
- * ولا تكلف أجيرك من العمل ما لا يطيق.
- * وارفق بالدواب في ركوبها والحمل عليها، فإنها لا تستطيع الشكوى، ولك في الإحسان إليها أجر، وفي الإساءة إليها وزر.
- * ولا تلبس الحرير أو الذهب؛ فإن ذلك على الرجال حرام، والبس القصير من الثياب؛ فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك.
- * وإياك والقمار؛ فإنه موجب لغضب الله.
- * ولا تأكل من حرام؛ فإن ذلك يردُّ الدعاء.
- * ولا ترفع صوتك في بيت الله، ولا تنشده ضالة؛ فإن ذلك منهي عنه.
- * وإذا تكلمت فقل خيراً أو اصمت، فإن في السكوت سلامة.
- * وعليك بالجليس الصالح؛ فإنه خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء.
- * وإذا فُتح لك بابٌ خير، فسارع إليه، واثبت عليه.
- * وإياك أن تمشي بين الناس بالنميمة؛ فإن ذلك يوجب عذاب القبر.
- * وإياك والحسد والغل والحقد والبغضاء وسوء الظن، فإنها أمور مذمومة.



* وأحسن قراءة القرآن، واستمع إليه، وتدبّر معانيه، واعمل بما فيه، وسارع دائماً إلى امتثال أمر الله، واجتناب نهيه.

* كن صادق الكلمة، فلا تكذب، ووفّ العهد والوعد، فلا تخلف.

* عليك بالصبر والشجاعة، وكتمان السر، والصراحة في الحق، واعترف دائماً بخطئك.

* عليك بالوقار وإيثار الجد دائماً، ولا تمزح إلا صادقاً، وتواضع للناس من غير ذلة ولا خضوع ولا قلق، وخير التواضع ما كان لفقير ويّيم ومسكين وأرملة.

* أكثر من المشورة تصل إلى الصواب.

* وعليك بالقناعة؛ فإنها مالٌ لا ينفد.

* واعلم أن الموت آتٍ، وكل آتٍ قريب، فأكثر ذكره، واجعله يصرفك عن الرغبة في الدنيا، ويحملك على التقوى.

ثانياً: احذر من ...

الانحرافات والمخالفات الشرعية المنتشرة في الجامعات العامة والخاصة:

أولاً: المخالفات العقائدية:

(١) عدم الاعتناء بالتربية على أصل الأصول وهو (التوحيد)، مما أدى إلى عدم اعتزاز الكثيرين بالإسلام وعقائده، وسرعة الاستجابة للشبهات الإلحادية والتنصيرية والشيوعية وغيرها.

(٢) الاستجابة لشبهات المشككين من (الشيوعيين والوجوديين والعلمانيين) في الله ووجوده، وفي الرسول ونبوته وأخلاقه وغزواته، وفي الوحيين، وفي المراجع الشرعية، والكتب التراثية.



- (٣) الهزيمة النفسية والشعور بالدونية (وأن الأمة الإسلامية عبء على الأمم)^(١).
- (٤) سب الله تعالى، وسب الدين في كثير من الأحيان.
- (٥) انتشار بعض المظاهر الشركية القولية والفعلية والاعتقادية، مثل:
- الشرك في الأسماء والصفات الإلهية، الذبح للأولياء والصالحين، والنذر لأصحاب القبور، دعاء غير الله تعالى (سواء كانوا أولياء صالحين أو غير ذلك)، الاستغاثة بالمقبورين، والطواف بقبورهم والتمسح بها وتقبيل أعتابها، التوسل البدعي بالأموات من الأنبياء والصالحين، الاعتقاد في تأثير الكواكب والنجوم في الحوادث وحياة الناس (ومتابعة أخبار حظك اليوم والأبراج والاعتقاد في ذلك)، السحر والكهانة والعرافة (والذهاب للعرافين والدجالين والسحرة والمشعوذين والكهنة والمنجمين في الكنائس وغيرها بدعوى: فك العمل والسحر)، الغلو في الرسول والصالحين وتقديسهم وإقامة المشاهد والأضرحة على قبورهم، الرياء والسمعة بالعبادات وجميع القربات... ومنها: التعلم للدنيا فحسب، عمل الرقى والتمايم والأوراد الشركية، الحلف بغير الله تعالى (كالحلف بالنبي، والأولاد، والختمة الشريفة،

(١) لإزالة هذا الشعور ننصح بمطالعة (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) للشيخ/ أبي الحسن الندوي، (ماذا قدم الإسلام والمسلمون للعالم) د/ راغب السرجاني.

وبعد - أخي القارئ الكريم - ما هو وجه انتفاعك بهذه النصائح؟ أهو مجرد قراءة عابرة لأحد صفحات هذا الكتاب؟ أم تأمل؛ لكنه أن يزول في متاهات دنياك؟ أم هو تبصّر وعزم ثابت للعمل بكل ما هو مفيد؟ أخي القارئ، بإمكانك الانتفاع بها في نفسك ونفع غيرك فترشدهم إلى الخير، والدال على الخير كفاعله، وذلك بنشر هذه النصائح على لوحات ووضعها في الأماكن العامة بالجامعة، أو نشرها عبر وسائل التواصل الاجتماعي بين أهلك وجيرانك وزملائك، أو بأي طريقة أخرى تراها مناسبة.

ولكن، الحذر الحذر من أن تدعو غيرك من غير إقامتها في نفسك، فتكون ممثلاً قول الشاعر:

وَعَبْرَ تَقِيٍّ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالتَّقَى *** طَيْبٌ يَدَاوِي وَالطَّيِّبُ عَلِيلٌ



والكعبة)، والتلفظ بألفاظ لا تجوز، مثل: (توكلت على الله وعليك، الله في السماء وأنت في الأرض، يدي الحلق للي بلا ودان، أيام سوداء، وغير ذلك من الأمثال الشعبية والأقوال المنتشرة)^(١)، لبس الحظاظ والخيوط والحلقة جلبًا للرغائب ودفعًا للمصائب، الطيرة والتشاؤم بالأشياء (ترك الزواج في شهر صفر، واعتقاد أنه إذا وافق يوم الجمعة يوم ١٣ من الشهر يكون يوم نحس، وقولهم: فلان وشه فقر)، التسخط على القدر والفقر والأحوال، القراءة في كتب السحرة والعرافين محاكاة لهم، وضع التمام والحروز والخزعة الزرقاء في السيارات والبيوت (بغرض دفع العين، وجلب النفع).^(٢)

(٦) الإحداث والابتداع في الدين بدعوى: (البدعة الحسنة)، ومن ذلك: الاحتفال بالمولد النبوي، وليلة الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، وإحياء الموالد الخاصة بـ(السيدة زينب)، (السيد البدوي)، (القناوي)، (أبو العباس المرسي)...، وانتشار البدع والخزعات بين الطلاب والطالبات في كثير من أمور العقيدة والعبادات والاجتماعيات....^(٣)

(٧) اتباع الأشاعرة والماتريدية والطرق البدعية الصوفية وأفراخ المعتزلة^(٤).

-
- (١) راجع: (معجم المناهي اللفظية) للعلامة/ بكر أبو زيد، و(المناهي اللفظية) للشيخ/ ابن عثيمين.
(٢) راجع: رسالة ماجستير بعنوان: (الشرك بالله.. أنواعه وأحكامه) د/ ماجد محمد علي، ط. دار الإيمان بالأسكندرية، و(الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة) د/ علي بن نفيح العلياني، (جناية التأويل الفاسدة على العقيدة الإسلامية) د/ محمد أحمد نوح.
(٣) راجع: (الإبداع في مضار الابتداع) للشيخ/ علي محفوظ.
(٤) لمعرفة حقيقة هؤلاء راجع: (الأشاعرة في ميزان أهل السنة) للشيخ/ فيصل الجاسم، (الماتريدية) للشيخ/ شمس الدين الأفغاني، (موقف ابن تيمية من الأشاعرة) د/ عبد الرحمن بن صالح المحمود، (الأشاعرة.. عرض ونقد) د/ سفر الحوالي، (مصرع التصوف) للبقاعي، (غاية الأمان في الرد على النهائي) للآلوسي، (التصوف) للشيخ/ إحسان إلهي ظهير، (القول الفصل في حكم الاحتفال بغير الرسل)

=



- (٨) إساءة الظن بالله - خاصة - فيما يتعلق بمسألة «التأخر في الرزق والتوفيق في الامتحانات، والحياة والعمل والزواج».
- (٩) الأمن من مكر الله، واليأس من روح الله.
- (١٠) الاعتماد على الحول والقوة والأمور المادية.
- (١١) الاستهزاء بالدين والمتدينين.
- (١٢) ضياع معالم الولاء والبراء، وتمييع العقائد الدينية بدعوى: (الانفتاح على الآخر، حوار الأديان).^(١)
- (١٣) الاحتفال بالأعياد المبتدعة ك: (عيد الكريسماس، عيد الحب، عيد الأم...)^(٢).
- (١٤) الابتعاث إلى البلاد الأوروبية بغير (ضوابط شرعية).^(٣)

للشيخ/ إسماعيل الأنصاري، (فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف حول انحرافات الطرق الصوفية، تقديم الدكتور محمد يسري ط. دار اليسر، وكتاب رفع الملام عن شيخ الإسلام د/ عطية عدلان ط. دار اليسر).

(١) ومن مظاهر ذلك: تولي غير المسلمين، ومودتهم لأجل دينهم وسلوكهم، تمنى انتصارهم على المسلمين كما يحدث اليوم مع أهل (غزة)، اعتقاد مساواتهم بالمسلمين بدعوى (المواطنة العلمانية)، الوثوق بهم، نصرتهم ومساعدتهم على حرب المسلمين، اتخاذهم بطانة للحكام، مدهنتهم والتدليل لهم، مشاركتهم في أعيادهم الدينية على سبيل المجاملة، التشبه بهم في أخلاقهم وشعائهم كالموالد والأعياد، مدحهم والثناء عليهم بلا مسوغ، الثقة المطلقة فيهم، الترحم على موتاهم، السماح لهم بأنشطتهم التنصيرية، ادعاء أن المسلم أخ لغير المسلم، الخوف من تكفيرهم، الاحتفال بعيد الكريسماس... راجع: (الولاء والعداء في علاقة المسلم بغير المسلم) د/ عبد الله بن إبراهيم الطريفي ص ٧٠، ط. مؤسسة الجريسي، ورسالة دكتوراه بعنوان: (الدعوة للتقريب بين الأديان) د/ أحمد القاضي، ط. دار ابن الجوزي.

(٢) راجع: (أعياد الكفار.. وموقف المسلم منها) للأستاذ/ إبراهيم بن محمد الحقييل، ط. البيان-المتنبي الإسلامي-لندن.

(٣) ننصح بمراجعة قرار مجلس هيئة كبار العلماء حول الابتعاث إلى البلاد غير الإسلامية، وما فيه من المخاطر والمفاسد، وقد قرر المجلس:-



(١٥) الاجتراء على الصحابة وأئمة الإسلام بدعوى النقد العلمي - خاصة - في الكليات النظرية. ^(١)

ثانيًا: المخالفات الفكرية:

(١) التأثير بالشبهات التي تنادي بالعلمانية وإقصاء الدين عن الحياة - عمومًا -، والحياة الطلابية - خصوصًا -، مما أدى إلى فتور الوازع الديني في المجتمعات الطلابية. ^(٢)

[*] عدم إرسال أي طالب للدراسة في الخارج إلا بعد مرحلة الجامعة وبعد الزواج؛ حتى يصلب عوده ويستمسك بأصول دينه، ويعرف أساليب المذاهب الهدامة والمنحرفة، حتى يتوفر عنده العلم الذي يؤهله للتصدي للشبهات. [ينظر: حاشية قرار هيئة كبار العلماء في الابتعاث في دورته المنعقدة من يوم ٢٩ / ١٠ / ١٤٠١ هـ، إلى نهاية يوم الأربعاء ١١ / ١١ / ١٤٠١ هـ].

(١) للدفاع عن صحابة نبينا ﷺ... أنصح بمطالعة «دفاعًا عن الآل والأصحاب»، ط. جمعية الآل والأصحاب بالكويت، «التشيع» د/ أحمد بن سعد الغامدي، «موقف الشيعة من صحابة رسول الله ﷺ» د/ عبد القادر محمد عطا الصوفي، «منهج كتابة التاريخ الإسلامي» د/ محمد بن صامل السلمي، «تحقيق مواقف الفتن بين الصحابة» د/ محمد أمحزون.

(٢) للدين وظائف عديدة لإنقاذ الشباب.. منها:

- ١ - أنه طاقة متكاملة تتجاوز الجانب الجسمي والنفسي والاجتماعي.
- ٢ - يدفع الشاب لإيجاد هدف ومعنى للحياة من خلال الارتباط بالله.
- ٣ - تعمل العقيدة الإسلامية على توجيه سلوك الشاب وتشكيل وعيه / خاصة وأن المعتقدات (سواء كانت شعورية أو لا شعورية) تربط الفرد بالكون وتعطي لوجوده قيمة ومعنى.

وبدعوى «التنوير» وإخراج أجيال شابة علمانية» يتم حجب الوعي الديني الحقيقي عن المجتمعات الطلابية، والإهمال المتعمد لكل ما هو (ديني)، واستبدال ذلك بالوعي الزائف أو الصوري الخالي من المكونات الصحيحة للوعي الديني رغم أنه من المعلوم أن الوعي الديني الصحيح هو ضمانة الاستقامة وتجاوز الاستقلال والتضليل.

للتوسع راجع: كتاب (الدين.. بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان) تأليف د/ محمد عبد الله دراز ص ٤٤، ط. الأزهر الشريف، (وسوسيولوجيا التطرف الديني بمصر: جذور ومظاهر) للأستاذ الدكتور/ علي أبو طاحون ص ٣٠، ط. المكتب الجامعي الحديث، (طبيعة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه) للأستاذ/ محمد الزحيلي

=



- (٢) ظهور حالة من التمرد على الثوابت الدينية.
- (٣) ضعف الجهاز المناعي النقدي والفكري لدى الطلاب أدى إلى سرعة استجابة بعضهم للأفكار الشاذة (كالعلمانية - الليبرالية - الاشتراكية - الماركسية - التنصير - التشيع).
- (٤) النظرة المتدنية للدين والتدين والمتدينين بسبب (النسق الفكري المعرفي الرسمي والذي يظهر في وصم التدين بالدروشة وقصر التدين على مجرد الطقوس الشعائرية).
- (٥) تعدد مصادر التلقي أدى إلى وجود حالة من السيولة الفكرية، والفرقة الحقيقية.^(١)
- (٦) مسخ الهوية الإسلامية لدى الطلاب مما أدى إلى ظهور مد إلحادي حديث.
- (٧) انتشار ظاهرة «الإسلاموفوبيا»^(٢)، وتصديق الشائعات التي تهدف لربط «الإسلام» بالتطرف والإرهاب.
- (٨) تجريف عقول أكثر الطلاب، مما أدى إلى انتشار الخواء المعرفي، والضحالة الثقافية، والسطحية في التفكير، والجناية على المصطلحات^(٣) والتي كانت نتيجته:

ص ٥٠، ص ٥١ ط. جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، (التدين والصحة النفسية) للأستاذ/ صالح بن إبراهيم الصنيع ص ٣٦١، ط. دار الفضيلة، و(الحديث النبوي وعلم النفس) ل/ محمد عثمان نجاتي ص ٤٦، ص ٥٠، ط. دار الشروق، و(أثر الدين في ضبط السلوك الانحرافي للطلبة) «دراسة ميدانية بجامعة الجبيلي بو نعامة - خميس المليانة - بجمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية، إعداد الطالبين/ بن غانم وهيبة، زيتوني مريم، إشراف الدكتور/ مغزاني سليم.

- (١) ننصح بمراجعة رسالة (الافتراق: مفهومه - أسبابه - سبل الوقاية منه) تأليف د/ ناصر العقل، ط. دار الوطن للنشر، و(تصنيف الناس بين الظن واليقين) للعلامة/ بكر أبو زيد.
- (٢) راجع بحث: ظاهرة "الإسلاموفوبيا" ط. دار البشير للثقافة والعلوم، وكتاب الفتوحات الإسلامية تحرير أم تدمير كلاهما للدكتور محمد عمارة ط. دار البشير للثقافة والعلوم، وكتاب دفاع عن القرآن ضد منتقديه د/ عبد الرحمن بدوي، وكتاب أخلاق الحروب د/ راغب السرجاني ط. مؤسسة اقرأ.
- (٣) راجع: كتاب إزالة الشبهات عن بعض المصطلحات، د/ محمد عمارة، ط. دار السلام.



- * فقدان الهوية، والإحساس بالغربة والتخلف والحاجة إلى ثقافة «الغالب».
- * اللجوء إلى المصادر المجهولة على «الشبكة العنكبوتية»، والوثوق بـ «الميديا الإعلامية»، مما أدى لسرعة التأثير بالغزو الثقافي الموجه للأمة الإسلامية.
- (٩) ظهور الازدواجية الثقافية في الحياة المعاصرة، مما نتج عنه «تطبيق المنهج الانتقائي» مع الدين والأخلاق والثوابت.
- (١٠) الولع بالعلوم الإنسانية والاجتماعية والفلسفية والنظريات الغربية كـ (نظرية التطور، والانفجار العظيم) واعتقاد أنها مسلمّات نهائية لا ينكرها إلا جاهل.
- (١١) انتشار الإسلام الليبرالي، وتغلغل الأفكار الحداثيّة إلى عقول الكثير من الشباب تحت مسمى «التنوير»، «تجديد الخطاب الديني»^(١).

-
- (١) من أبرز سمات «الإسلام الليبرالي الغربي المعتدل» -زعموا- أنه إسلام «هيولامي» ليس إسلامًا لله تعالى، وإنما هو إسلام لأهواء كل من يدعي الانتساب إليه، فليس له صورة أو محتوى، لأنه دائم التغير والتشكل بأشكال تلك الأهواء التي لا تستقر على حال.
- (الإسلام الليبرالي) ليس ملكًا لأحد، وإنما هو أمر نسبي تابع لرؤى الناس وظروفهم، فلا فارق فيه بين سنة وشيعة، ولا بين سني وأشعري ومعتزلي وخارجي، ولا بين معترف بالسنة ومنكر لها، ولا بين سلفي وصوفي، كل هؤلاء متساوون، ولكلّ منهم من الحقوق ما لغيره في الوطن المسلم الذي يعيشون فيه.
- فالإسلام اشتراكي إذا كان هوى المنتسب اشتراكيًا، وأبوذر هو الاشتراكي الأول، وخديجة أم الاشتراكية.
- والإسلام رأسمالي إذا كان هوى المنتسب إليه رأسماليًا؛ لأن الله أحلّ البيع، أما الربا الذي حرمه الله فليس ربا البنوك (والذي هو من ضرورات الاقتصاد الحديث) وإنما هو ربا العرب الجاهليين الذي كان يؤخذ أضعافًا مضاعفة استغلالًا لحاجة المساكين.
- والإسلام ديمقراطي (إذا كان صاحبه ديمقراطيًا)؛ لأن الله يقول: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى﴾ [الشورى: ٣٨]، إذ ماذا تكون الشورى غير الديمقراطية؟ لكنه أيضًا دكتاتوري؛ لأنه يأمر بطاعة الحاكم وعدم الخروج عليه.
- والإسلام الليبرالي دين الجمال، فهو لا يعترض على شيء من الفنون الجميلة رسمًا ونحتًا، ولا على ما يرسم أو ينحت مكسوفًا كان أم عاريًا، متحركًا كان أم ساكنًا، ما دام الغرض منه تذوق الجمال وإدخال البهجة على النفوس.

=



- كذلك فهو دين المتع البريئة، فلا اعتراض فيه على غناء أو موسيقى، ولا على رقص بين رجال ونساء، إذ كيف يحرم الغناء والموسيقى من خلق الطيور المغردة ذات الأصوات الشجية؟!
- والإسلام المعتدل (دين السلام، فلا مكان فيه لحرب ولا قتال ولا دفاع عن النفس أو الحرمات)؛ لأن الله يقول: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ٧٧]، وأما الجهاد فإن المقصود منه جهاد النفس، وجهاد الكلمة والبيان، لأن الدعوة إلى الله لا تكون إلا بالحكمة والموعظة الحسنة.
- وكيف يكون في الإسلام قتال وهو الدين الوحيد الذي يعترف بالآخر -لاسيما- إذا كان منتمياً إلى دين إبراهيمي؟ فالدين عند الله الإسلام، وكل الأنبياء مسلمون، وعليه فكل من انتسب إلى دين من تلك الأديان فهو مسلم لا فرق بينه وبيننا نحن المنتسبين إلى الدين المحمدي، فإذا كنا نعتقد أنه لا معبود بحق إلا الله، فإن نصارى اليوم يعتقدون أنه لا نجاة إلا بعبادة المسيح ابن الله، واليهود يعتقدون أنه لا نجاة إلا لمن كان من الشعب (الذي اختاره الله، لندع الخلق إذن للخالق هو الذي يحكم بينها).
- والإسلام الليبرالي (دين الحرية) إذ لا إكراه في الدين، فمن شاء أن يدخل فيه دخل، ومن شاء أن يخرج منه خرج، ولا تثريب على داخل فيه أو خارج منه، فلا كلام في عصرنا عن ردة ومرتد، إن عصرنا هو عصر حرية التعبير، فدعوا كل إنسان يقول ما شاء وكيف شاء، ويدعو إليه ويدافع عنه، دعوا الأفكار تتصارع ولا تحكموا على واحد منها بالحرمان من الدخول في حلبة المصارعة.
- وإذا أراد المسلم أن يهاجر إلى بلد غير إسلامي ويعيش بين ظهرائي أهله، فله أن يفعل ذلك؛ لأن الأرض كلها لله، لكن عليه إذا اختار الهجرة أن يجعل ولائه الكامل لحكومة البلد الذي اختار الهجرة إليها ولدستورها، فعلى من يعيش في الولايات المتحدة مثلاً: أن يقرأ الدستور الأمريكي في أذن مولوده كما ينادي بالأذان في الأذن الأخرى، وعليه أن يحتفل بأعيادهم كـ(عيد الشكر، عيد الكريسماس) دون التقيد بضوابط دينه.
- في الإسلام الحديث: (نظم الحكم وأمور السياسة) هي من أمر الدنيا التي قال الرسول عنها: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»، فلا بأس على المسلمين أن يتخذوا من أنظمة الحكم ما يرونه مناسباً لعصرهم ومحققاً لطموحاتهم، وما دام الاتجاه الآن إلى مساواة الرجال بالنساء في كل شيء فيجب أن نغير أحكام الميراث فلا يكون فيها فرق بين ذكور وإناث، وأن نفسح المجال للمرأة لتحتل مكانها في الصفوف الأمامية من المسجد، وأن تخطب في المصلين وتؤمهم في صلاة الجمعة، وأن تنال حقها في الاختلاط بالرجال ومزاحمتهم في أماكن العمل وفصول الدراسة وقاعاتها، وأن ترتدي من الملابس ما شاءت وكيف شاءت ما دام اللبس مما يعتبر في عصرها محتشماً؛ لأن الحشمة مسألة نسبية تختلف باختلاف الثقافات والعادات والتقاليد.



(١٢) الفرع من «تطبيق الشريعة الإسلامية»^(١) في كافة مناحي الحياة، واستيراد حلول غربية علمانية بديلة عنها، وتصديق «الشبهات الإعلامية» عند عدم صلاحية تطبيق الشريعة

.. ولماذا يضطهد أناس خلق الله فيهم ميلاً طبيعياً إلى جنسهم رجالاً كانوا أم نساء؟ يجب أن نعطيهم حقوقهم في بلادنا الإسلامية كما تفعل الدول الراقية، أما قصة (لوط وقومه) وعقاب الله لهم فهي مجرد قصة رمزية لا حقيقة تاريخية.

.. وإذا كان من حق هؤلاء أن يقضوا شهوتهم بالطريقة التي تفرضها عليهم (حينانهم) فكذاك ينبغي أن يعامل بقية الرجال والنساء فيعطوا من الحرية ما أعطي هؤلاء متزوجين كانوا أم عزاباً ما داموا راشدين، وما داموا متراضين؛ لأن هذا هو نهج (الدول الراقية)، أما ما كان يقال من اختلاط الأنساب فقد وفرت لنا حبوب منع الحمل علاجاً شافياً له.

- وإذا أخذنا بهذا فإنه يغنينا عن مسألة تعدد الزوجات ومشكلاتها.

- هذا هو الدين الإسلامي الليبرالي «المعتدل» الذي تريده أمريكا وترضى عنه، وأما من ينادي بضرورة العودة إلى إسلام «الوحيين»، ويسعى للتحاكم لشريعة الله، وجمع كلمة المسلمين ليقسم «دار الإسلام الجامعة» لكل الدول الإسلامية، ويجهاد جهاداً شرعياً من أجل تحقيق تلك الغاية فهو إسلامي متشدد، تجب معاقبته للقضاء على «إرهابه الفكري»، لتحقيق «المواطنة العلمانية» المفتحة على الآخر.

للتوسع راجع: (الإسلام الذي يريده الغرب.. قراءة في وثيقة أمريكية) للشيخ/ صالح بن عبد الله الحساب الغامدي، تقديم الشيخ/ عبد الرحمن بن صالح المحمود، ط. مركز الفكر المعاصر، و(الإسلام لعصرنا) للشيخ/ جعفر شيخ إدريس ص ٢٦٧، ص ٢٦٨، ط. البيان للبحوث والدراسات، و(نموذج الحداثة وما بعدها في الفكر العربي الحديث.. دراسة نقدية) للأستاذ/ حميد سمير، ط. مركز تكوين، و(ثغور المراقبة) د/ طه عبد الرحمن، ط. مركز مغارب.

(١) يكثر في واقعنا المعاصر إثارة جدلية (العلاقة بين الدولة والدين)، وهل يلزم تطبيق الدول الإسلامية للشريعة في واقع متغير كواقعنا؟

* ولعل من أسباب هذه الإشكالية المفتعلة:

- الجناية على المصطلحات ودلالاتها.

- حيث نجح أعداء الأمة في تشويه مصطلح الشريعة، وقصره على الجانب الشعائري، والحدود بما يوهم الإنسان المعاصر (أن مهمة الشريعة هي تحويل المجتمع لمجازر وحشية).

- وعليه فلا بد من تحرير المصطلح وبيان حقيقة دلالته.

=



* ماذا يعني مصطلح "الشريعة الإسلامية"؟

* والجواب:

- الشريعة هي: كلمة جامعة لدين الإسلام الذي رضي به ربنا للأمة، وأتم علينا به النعمة.
- ولأنها وحى من الله، فهي بمثابة الحق المطلق لله، لذا أوجب علينا التزامها، وأمرنا باتباعها، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨].

* ماذا يعني تحكيم الشريعة بشكل تفصيلي في واقعنا المعاصر؟

١- يعني أن المسلم يحقق معنى شهادة "لا إله إلا الله"، ويؤدي حق الله على العبيد، وأصل أصول التوحيد.
٢- يعني أن كل مسلم يتساوى مع غيره من المسلمين في كل الحقوق، فلا فضل لأحد على أحد، ولا قوم على قوم، ولا طبقة على طبقة، ولا جنس على جنس، ولا أرض على أرض، ولا دماء على دماء، ولا عشيرة على عشيرة. إلا بالتقوى، فكل الناس أمام حكم الله سواء.

* وكذلك حقوق غير المسلمين مكفولة ومصونة. كما أمر الله تعالى ورسوله.

٣- يعني العدل بحيث يصير المسلم يتساوى في الكرامة والإنسانية والحياة الكريمة مع غيره، فلا طبقات تتعالى وتتكبر على غيرها بأية صورة، وبأي شكل.

٤- يعني أن ثروات البلاد ومواردها تُوزع بالتساوي بين جميع أفرادها. (إما في صورة خدمات متكاملة، وإما في صورة حق مادي مباشر ومُحدد).

٥- يعني أن المسلم شريك في ثروة بلاده، وله حق المأكل والمشرب والمسكن.. إلخ، وهي حقوق أصيلة وليست مجرد هبة، ولا منة من أحد.

* فالتكافل الاجتماعي - عندنا - قاعدة شرعية أصيلة من جانب الدولة، ومن جانب المجتمع.

٦- يعني تحقيق العدالة الاجتماعية (وهي: عدالة إنسانية شاملة لكل جوانب الحياة الإنسانية ومقوماتها، وليست مجرد عدالة اقتصادية محدودة، وهي تتناول جميع مظاهر الحياة وجوانب النشاط فيها، كما تتناول الشعور والسلوك والضمائر والوجدان والقيم التي تتناولها هذه العدالة ليست القيم الاقتصادية وحدها. وليست القيم المادية على وجه العموم، إنما هي ممتزجة بالقيم المعنوية والدينية والخلقية).

٧- تعني حق الملكية الفردية الذي يأتي بجهد الإنسان في الحياة من خلال عمله وجهده الحقيقي والمباح، وليس من خلال طرق يُحرّمها الإسلام كالربا، والسرقه، والاحتكار، والفساد، والمقامرة، والاحتيال.. إلخ، وكل مال تم جمعه من غير الطرق الشرعية فهو يرد إلى بيت مال المسلمين.

٨- يعني القضاء على الفساد والطغيان في كل صورته، وأشكاله. ومعاقبة صاحبه كائنًا من كان.

=



- ٩- يعني أن البلاد تتحرر من الهيمنة العالمية على دوران رأس المال، ومن السيطرة على الثروات، ومن بقاء المال في يد حفنة قليلة تتحكم في مصير ملايين البشر، والتحرر من التعامل بالربا، والاحتكار، والكنز.. إلخ.
- ١٠- يعني تحقيق كافة احتياجات الإنسان المشروعة بكل كرامة، وعزة. وبشكل يحقق إنسانيته، ويحفظ عليه الكليات الخمس: فهو إنسان حرٌّ، كريم، لا فرق بينه وبين غيره إلا بالتقوى. - كذلك تُحقق الشريعة وجوده: حيث توفر فرص العمل والحياة الكريمة لكل إنسان، وتُطلق طاقاته ليعمل ويُبدع. - كذلك فهي تُحقق رُقيَّة: في صورة الخدمات العامة من (تعليم - صحة - مواصلات - بيئة نظيفة -.. إلخ). - فهي (حقوق كاملة تؤديها الدولة، وتُحاسب على التقصير في أي جزء منها، وخدمات وحقوق حقيقية، وليست تجارة بالإنسان، أو مجرد شعارات، وأو "شكل خدمة" بينما المُسمى فارغ المضمون.
- * وتحقق له احتياجاته: بتوفير الحد الأدنى من الاحتياجات المادية لكل إنسان سواء كان قادرًا أو غير قادر، وترعى بشكل (خاص) الطفل واليتيم والمُطلَّقة والأرملة وكبار السن، (بل لكل رضيع في الإسلام راتب وكسوة وطعام، وفي نفس الوقت - وحتى يتحقق تنوع الحياة وراقيها - تُوفر البيئة الآمنة والعادلة والمنافسة الشريفة في التجارة والاستثمار والربح النظيف.
- ١١- يعني القضاء على كل بلطجي، ومحاربة كل فاسد بالطرق الشرعية.
- ١٢- يعني أن البلاد لا تخضع لإرادة مُحتل، أو غازٍ، أو عدو. ولا يُهيمن عليها - بأية صورة من الصور - أية دولة مُستعمرة مهما كانت، كما أن سلطة البلاد والأمة لا تُوالي أعداء الإسلام، ولا تتآمر على المسلمين.
- ١٣- يعني أن البلاد لها السيادة الكاملة، والإرادة الحرة، والتصرف الكامل في أرضها. فهي تتحرر من كل أشكال وصور الخضوع، والاحتلال، والاستغلال من غيرها.
- ١٤- يعني أن الحاكم مثل المحكوم لا فرق بينهم، فكل منهم له حقوق، وعليه واجبات.
- ١٥- يعني أن الحاكم مُوظف لدى الأمة، ويتقاضى أجرًا نظير خدمته. ويأتي باختيار أهل الحل والعقد في الأمة ومشورتهم، ومن حقهم عزله، ومراقبته، ومحاكمته.
- ١٦- يعني أن الحاكم ورجاله يعملون على راحة الأمة، وأهل الحل والعقد يراقبون الحاكم ويعاونونه، والأمة تراقب الجميع وتحاسبهم من خلال من يُمثلونها تمثيلًا حقيقيًا وعادلًا.
- ١٧- يعني حربًا على الفساد والاستبداد، فلا مجال لاستبداد أحد بالسلطة أو بالثروة. كي لا يستنسخ من جديد فرعون أو قارون.
- ١٨- يعني إقامة الحق والعدل الرّبّاني لكل إنسان، والتقاضي أمام قضاء عادل لا يُفرق بين أحد، ولا يخضع لسلطان أحد سوى سلطان الله، ولا يتحاكم إلى شرع سوى شرع الله.
- ١٩- يعني تحرر الإنسان من العبودية لغيره من البشر، حينما يُشرَّعون بأهوائهم نظم الحياة، وقيمها، وموازينها.

=



- ٢٠- يعني تحرر الإنسان من كل عبودية لغير الله. تذله، وتستعبده، وتقهره، وتسرقه، وتظلمه، وتُضيع عليه سعادة الدنيا والآخرة.
- ٢١- يعني أن الدولة مُلزَمة أن تكون ذات مكانة عالمية، وتُعد كل قوة، وتحقق كل نهضة ورقي، وتتخذ كل ما يلزم لتحقيق ريادتها.
- ٢٢- يعني أن الدولة والأمة مُلزَمة بحمل رسالة الله إلى العالمين، ودعوة الناس إلى صراط الله المستقيم.
- ٢٣- يعني الحكمة والتدرج في الإصلاح، لأن ما هدم في سنين لا يمكن بناؤه في أيام.
- ٢٤- يعني الحكم العادل، والقضاء النزيه الذي يحكم نصوص الوحي المعصوم، وليس الهوي العلماني، أو الدساتير المفصلة.
- ٢٥- تعني حفظ الكرامة والحرمان، وحفظ الحقوق والتوازن بينها وبين الواجبات.
- ٢٦- تعني عدم إكراه أحد على اعتناق ديننا، وفي المقابل حماية دماء وأموال وأنفس وأعراض وأموال أهل الذمة (وفق ضوابط الشريعة).
- ٢٧- تعني حرية العمل (بشرط أن يكون حلالاً نافعاً)، وحماية أتباعها من الفقر والبطالة والفواحش الاقتصادية.
- ٢٨- تعني ضبط ورعاية غريزة حب التملك، مع الموازنة بين الملكية الخاصة والعامة.
- ٢٩- تعني الحفاظ على رأي الإنسان وفكره، وحرية في الممارسة الحياتية (وفق ضوابط الشريعة).
- ٣٠- تعني الحفاظ على الفرد والمجتمع المسلم من أي اختراق عقائدي أو أخلاقي أو فكري أو ثقافي أو اقتصادي.
- ٣١- تعني تحقيق المصالح، ودفع المفساد، والعمل على خلق مجال للشوري، وتحريم وتجريم الاستبداد السياسي.
- ٣٢- تعني رعاية الفقير الصابر؛ فالشرع الذي أمر الفقير بالصبر على فقره.
- هو الشرع الذي أمر الغني بدفع الحق في ماله، وحثه على دفع الفقر عن إخوانه.
- هو ذات الشرع الذي حذر من استئثار ثلة من المجتمع بالثروة واحتكارها ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ وَبَيْنَكُمْ﴾ [الحشر: ٧].
- هو نفس الشرع الذي توعّد كل متخوض في المال الحرام، (خاصة ذاك الذي يأكل الأموال العامة ويفسد البلاد والعباد).
- الشرع أمر بالصبر على الفقر. وليس الإفقار.



في عصرنا الحديث، ووصف دعاة التحاكم للشرع بأقبح الأوصاف ك(إنهم تجار دين)... وتصديق الشبهات الإعلامية عن عدم صلاحية تطبيق الشريعة.
(١٣) الانقسام النكد بين العقيدة والسلوك تأثرًا بالأفكار التغريبية الوافدة.
(١٤) اتباع النعرات الجاهلية الداعية للتعصب «للوطنية» بدلًا من الاعتزاز بـ «الأممية الإسلامية»، مما أدى إلى عدم الإحساس بقضايا الأمة، مثل: «تهويد القدس، إعادة تقسيم المنطقة».
(١٥) الوقوع في الطرفية بين «الغلو والجفو»، مما أدى إلى الإسراف في سرعة ذم الآخرين سواء كانوا (جماعات، أو اتجاهات، أو أفراد مصلحين).^(١)

- فالشرع أمر الفقير بالصبر على الفقر، ولكن لم يلقه في العراء يواجه مصيره، ولم يجعله مهانًا ذليلاً بين قومه، ينظر فيرى المجتمع صار طبقات وهو في الدرك الأسفل والكل يدوسه !!! و يشقى ليحصل أبسط حق من حقوقه !!!

* بل جعل المجتمع سواسية كأسنان المشط، و جعل النسيج بين أفرادهِ متلاحمًا كلحمة نسيج الدم، فالمؤمن أخو المؤمن، لا يظلمه، ولا يسلمه، ولا يحقره.
هذا هو شرع الله.

فلا تسمعوا لمن يحدثكم عن سواه !!!

* إذا فهمنا شيئًا عن دلالة مصطلح "التحاكم للشريعة"، أدركنا لماذا تلاقت إرادات أهل الكفر والنفاق والغبي لأجل منع تحاكم أية دولة إسلامية للإسلام، وفهمنا لماذا يتم حظر مجرد تداول هذه الفكرة بين الساسة خوفًا من الرمي بالميل إلى الأفكار البالية المتطرفة؟!

* وللتوسع حول هذا المعنى راجع:

- الشريعة لماذا؟، تأليف د / محمد يسري. ط. دار اليسر .

- معوقات تطبيق الشريعة، للقااضي / محمد وفيق زين العابدين، ط. دار السلام.

(١) بسبب الظروف التي يحياها أكثر الشباب المسلم في ظل «الأنظمة العلمانية الاستبدادية» وقع الكثير منهم في حالة «اليأس» هيأتهم للوقوع في شباك «أهل الغلو» ممن يكفرون المسلمين بأدنى شبهة ويستحلون دمائهم، لمعرفة شبهات هؤلاء والرد عليهم.. راجع: (الأحاديث الواردة في تحريم دماء المسلمين والمعاهدين) جمع



(١٦) اتباع نمط التفكير الغربي، ورفض «الوصاية الدينية، وعدم الاستجابة للنصيحة الشرعية بدعوى أن كل إنسان حرٌّ في معتقداته وتصوراتهِ وسلوكياته وحياته.

(١٧) ترميز أهل السفه وأهل الباطل، والخط من قدر العلماء الربانيين والأئمة المصلحين، والنيل من كتب التراث بدعوى «إعادة قراءة التراث قراءة عصرية حداثة».

(١٨) اتباع «الإسلام العصري» الذي يدعو له «أدعياء الحداثة» معتمدين في ذلك على: (البنوية التفكيكية)، واستبدال النموذج الديني التقليدي بمفاهيم حداثة جديدة عن طريق (المنهج المعرفي التداولي الغربي) لتطبق على النصوص الشرعية، ثم «أنسنة تلك النصوص»، و«عقلنتها» والتأكيد على «تاريخيتها» لتحقيق «المقاصد» وتقديمها على النصوص الشرعية.^(١)

وترتيب د/ جمعان بن أحمد الزهراني، ط. دار الميمنة، و«شبهات التكفير» د/ عمر بن عبد العزيز، و(فتنة التفجيرات والاعتقالات: الأسباب- الآثار- العلاج) تأليف/ أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليمان، و(إعلان النكير على غلاة التكفير) للشيخ/ أحمد أبو العينين، وأنصح بالتحلي بالإنصاف في أثناء تقويم الرجال والأعمال، وفي هذا يمكن مطالعة كتاب منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال للأستاذ أحمد بن عبد الرحمن الصويان ص ١٦.

(١) الحقيقة التي لا مراء فيها أن شباب الأمة هم هدف التخريب الاعتقادي والأخلاقي الذي يتوسلون به إلى الغرب لإثبات قدرتهم على تطويع الدين وأهله، وقد تأملت في ظواهر الانحراف الثقافي التي تستهدف هؤلاء الشباب، فرأيت أنه إذا تشرب قلب الشاب «تعظيم المدنية الدنيوية»، و«الغلو في الحضارة المادية» بحيث أصبحت «معياره» في تقييم المجتمعات والشخصيات قاده ذلك «تدريجياً» إلى زهاء خمسة عشر كارثة: «التحيد العلمي للنص، والازدراء بالقرون المفضلة، والاستخفاف بقيمة العلوم الشرعية، واللهج بتعظيم الكفار، والسرور بالحديث الفكري المجرد، والتدهور السلوكي، والعزوف الدعوي، والتحول للمشروعات الفكرية الشخصية، واستداجة الموعظة والخطاب الإيماني، والحدة في محاسبة الإسلاميين، والرعاية وحسن الظن تجاه الدراسات المنحرفة، وتقليل الحمية لله ورسوله تجاه الكتابات المنتهكة للمحكمات، والتركيز على زلات المتدينين بما يفوق عدوان المجاهرين، والتلذذ بمناهضة فتاوى العلماء الراسخين، والولع برخص

=



(١٩) إصغاء السمع لشيوخ «السلطان»، أو «شيوخ أسلمة العلمانية» ممن يصدر
إعلامياً، وتفتح لهم أبواب الجامعات والمنتديات ليقوموا بشرعة أباطيل «العلمانية
والنظم الحاكمة» عن طريق:-

* إيهام العامة أن الدين مقسم إلى قشور ولباب، وأنه مجرد أقوال متباينة مختلفة.
* دفع العامة للتدين بالهوى وإقناعهم (أن هذا أمر جائز؛ لأن اختلاف العلماء رحمة، وأن
لكل أحد الحق في الاجتهاد الديني، وأنه لا بد من الاهتمام بالمقاصد دون النصوص
الشرعية)، كذلك فإن الخلاف يصح أن يحتج به كدليل، وأنه لا بد من التيسير على
الناس وتطويع الأحكام الشرعية لتحقيق رغبات المستفتين، مع تعميم قاعدة (عموم
البلوى) والأخذ بمبدأ التلقيق واتباع الأقوال الشاذة المرجوحة، ليأخذ كل واحد بما
شاء من الأقوال بلا ضابط شرعي.^(١)

العلماء وشذوذات الفقهاء. وباختصار: إن خطاب الغلو المدني العلماني الحدائي يبدأ بالتجديد وينتهي
بالتجريف». راجع: (مآلات الخطاب المدني) للشيخ/ إبراهيم السكران ص ٩٨، ط. دار الحضارة للنشر
والتوزيع.

(١) نتج عن ذلك:

- تفلت الشباب من الشرع متخذين فتاوى هؤلاء حجة.
- التهوين من مسائل الشرع المطهر تمهيداً للانسلاخ من الدين كلية.
- اتخاذ هذه الفتاوى ذريعة لسن تشريعات علمانية فوضوية تصادم الشرع.
- تشتت المسلمين بسبب تعدد مصادر التلقي.
- إعانة أعداء الإسلام للنيل من مصادره وثوابته وعلمائه.
- فتح الباب للاجتهاد في الدين من غير أهله بدعوى (حرية الفكر، وأن الدين للجميع، وليس حكراً على أحد).
- تمكين أنصاف المتعلمين، ومن عرفوا بالتساهل من (الفتاوى) في الفضائيات، بغرض (هندسة عقول الجماهير،
وإعادة تشكيل وعيهم).

=



(٢٠) ازدياد الشطط الفكري عند الفتيات، واتباع أدعياء تحرير المرأة من العلمانيين، بدعوى «الليبرالية التحررية»، و«حقوق المرأة النسوية في المجتمع الذكوري»، مما نتج عنه «تسليع المرأة»، واستخدامها لتمرير الكثير من الأفكار التحررية الإباحية في المجتمع المسلم المعاصر^(١).

ثالثاً: المخالفات الفقهية والتعبدية:

- ١ - الجهل بأبسط الأحكام الشرعية الواجبة على المسلم في حياته أو مماته.
- ٢ - الجهل بأحكام الطهارة الواجب على المسلم تعلمها، ومن ذلك: (عدم التنزه من البول، والتبول في الأماكن العامة دون حياء أو خجل، الاكتفاء بالمسح بالمناديل في حالة فقد الماء، اعتقاد ضرورة الاستنجاء قبل كل صلاة، الخروج إلى الشارع جنباً وقد أحدث حدثاً أكبر، والجهل بأحكام المسح على الخفين والجوربين.
- ٣ - الاستهانة بقيمة الصلاة، تأخير الصلاة عن وقتها بحجة الدراسة واللقاءات الطلابية، والتأخر عن المواصلات.^(٢)

للتوسع راجع: (العقل الفقهي.. معالم وضوابط) تأليف د/ أبو أمامة نوار بن الشلي، ط. دار السلام، و(منهج التيسير المعاصر) تأليف د/ عبد الله الطويل، ط. دار الفضيلة، و(زجر السفهاء عن تتبع رخص الفقهاء) للشيخ/ جاسم الفهد الدوسري، ط. الهداية بالكويت).

(١) للتوسع حول هذا المعنى، يُرجى مراجعة كتاب قضايا المرأة في الخطاب النسوي المعاصر الحجاب أنموذجاً للأستاذة ملاك إبراهيم الجهني، ط. مركز نماء للبحوث والدراسات، وكتاب البعد السياسي للحجاب لشهر زاد العربي، ط. الزهراء للإعلام العربي القاهرة، وكتاب التحرر الإسلامي للمرأة، د/ محمد عمارة، ط. دار الشروق القاهرة، حوار مع عبد الوهاب المسيري حول العلمانية والحداثة والعولمة، تحرير سوزان حربي، ط. دار الفكر دمشق، كتاب التبرج المسيس للأستاذ عبد الله وهبي.

(٢) يراجع: (ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك.. دراسة ميدانية على عينة من طلبة الجامعات المصرية)، تأليف د/ إبراهيم علي أحمد محمد خليل، ط. دار السلام، حيث أقام دراسة ميدانية سنة ٢٠١٠م على طلاب الجامعات المصرية في الوجهين البحري والقبلي ليخرج لنا بهذه النتيجة:

=



٤- الجهل بأحكام الصلاة وصفتها وشروط صحتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها، وتأديتها بلا خشوع أو طمأنينة..^(١)

٥- هجر المساجد، وترك صلاة الجماعة والجمعة، والجهل بأحكام المساجد وصلاة الجماعة، ومن ذلك: (كثرة الحركة في الصلاة، مسابقة الإمام، المرور بين يدي المصلي، الخروج من المسجد بسرعة بعد الأذان قاصداً، ورفع الصوت في المسجد لغير حاجة شرعية).

٦- الإفطار عمداً في رمضان بلا عذر شرعي بحجة (الاختبارات الدراسية)، والتفريط في صيام النوافل...

٧- الشح بالصدقات والزكوات لمن كان موسراً من الطلاب على إخوانه.

٨- قلة التعبد لله تعالى -عموماً-، وهجر القرآن الكريم والذكر.

٩- الجهل بأبسط الأحكام الشرعية المتعلقة بالدراسة التي درسها الطلاب، فضلاً عن الجهل بأحكام المهن التي سيمتهنها بعضهم..

١٠- الحرص على جمع المال من أي طريق (مما يدفع هؤلاء الشباب) للتعامل في معاملات مشبوهة أو محرمة، مثل: (أكل ميراث الأخوات والضعفاء)، والمعاملات الربوية، أخذ أموال الناس بغير حق بحجة (الفهولة)، الغلول وسرقة المال العام، أكل

أن نسبة تصل إلى أكثر من ٤٥٪ من عينة الطلاب موضع الاستبيان لا يؤدون الصلاة، وأن نسبة كبيرة من المصلين يؤدونها بصورة شكلية لم يتوفر فيها الخشوع الكامل، ولا شك أن النسب قد زادت في الآونة الأخيرة، لكن أردت بنقلي عمل شبه مقارنة بين أوضاع الطلاب في الجامعات فيما مضى حتى سنة ٢٠١٠م وأوضاعهم الكارثية الآن، والتي تؤكد سرعة التدهور الإيماني لدى أغلب الطلاب، وإلى الله المشتكى.

(١) تحولت العبادات إلى مجرد طقوس شعائرية بلا مقصد أو مضمون، وتلك كارثة، والواجب تقديم العبادات على العادات، والحرام قبل العيب، والشرع قبل الواقع، والسنة قبل المؤلف، والله قبل الناس، ولمعرفة ذلك راجع: (صفة صلاة النبي) للشيخ/ الألباني، و(صفة صلاة النبي) للشيخ/ عبد العزيز الطريفي، و(أسرار الصلاة) للإمام ابن القيم، و(أول مرة أصلي) د/ خالد أبو شادي.



أموال اليتامى، الغش في البيع والشراء، السرقة في الموازين، المماطلة في الديون، بيع الحرام، بيع العربون، بيع النجش، بين الدين بالدين، البيع أثناء الصلاة، الاستدانة بالربا، القمار، أكل مال الأجير، الكسب عن طريق خيانة صاحب العمل، أخذ المال على عمل محرم (كبيع السجائر، وفتح مقهى يقدم المحرمات، بيع ملابس للمتبرجات، المحاماة عن مجرم مذب)، التعامل في معاملات مشبوهة (كالتسويق الشبكي أو الهرمي).^(١)

- ١١ - سرقة جهد الآخرين، مثل: (سرقة الأبحاث العلمية، وتصوير المذكرات وطباعة الكتب بلا استئذان من أصحابها، بحجة: عدم كتم العلم، وأن العلم رحم بين أهله).^(٢)
- ١٢ - التساهل في تصفيف الشعر بطريقة مخالفة، ولبس (الذهب)، و(الحظاظات)، و(الحرير)، و(الشورتات)، والبناطيل الممزقة، والمباهاة ب(إظهار العورات).
- ١٣ - انتشار الأنكحة المحرمة في أوساط الطلاب تحايلاً على الحرام ك (نكاح الدم، الزواج العرفي، الزواج الإلكتروني، زواج الميسار).^(٣)

(١) يمكن للشباب مراجعة: (ما لا يسهل التاجر جهله) د/ صلاح الصاوي، (فقه المعاملات الحديثة) د/ عبد الوهاب أبو سليمان، ط. دار ابن الجوزي، (فقه البيع والاستيثاق والتطبيق المعاصر) د/ علي السالوس، ط. مؤسسة الريان.

- ولمعرفة حكم التسويق الشبكي والهرمي.. راجع بحث: (التسويق الشبكي تحت المجهر.. ل/ زاهر سالم بلفقيه) على الإنترنت، و(التسويق الشبكي من منظور فقهي) للدكتور/ أسامة عمر الأشقر، و(التسويق التجاري وأحكامه في الفقه الإسلامي) د/ حسين الشهراني، تقديم د/ عبد الرحمن الأطرم، و(حكم التسويق بعمولة هرمية (دراسة فقهية قانونية مقارنة) ل/ أحمد سمير القرني.

(٢) هذه كلها مجرد تبريرات للسرقة العلمية، ومن أراد التوسع فليراجع: (أحكام الملكية الفكرية والتجارية) تأليف د/ عبد الرازق شيخ نجيب، ط. كلية الحقوق والعلوم السياسية-الرياض، و(فقه النوازل.. دراسة تأصيلية تطبيقية) تأليف/ محمد حسين الجيزاني.

(٣) أنصح بمراجعة: (فقه الزواج) د/ عمر سليمان الأشقر، ط. دار النفائس.



- ١٤- تربية الكلاب لغير حاجة شرعية.
- ١٥- التوسع الطاعني في دراسة «التنمية البشرية»^(١) و«البرمجة اللغوية العصبية»، وبعض العلوم المساعدة، مما قد يكون له جوانب سلبية على مر الزمان.
- ١٦- الجهل بالأحكام الشرعية للألعاب الرياضية -خاصة- كرة القدم، وألعاب القوى، مما أدى إلى الوقوع في العديد من المفاسد والمنهيات.^(٢)
- ١٧- عدم توظيف «المواهب» التوظيف الأمثل الذي لا يصطدم بالشرع أو العرف، مثل: المواهب الفنية الصوتية أو الحركية أو اليدوية، ك(الشعر، والرقص، والغناء، والتصوير، والزخرفة والنحت، والعمارة والنحت)، والمواهب الخاصة بالتسابق بالدرجات البخارية، والتمثيل، والتصدر لاتحاد الطلاب.^(٣)
- ١٨- انتشار المزاح الذي يحوي (سوء الخلق والكذب).^(٤)
- ١٩- الجهل بأحكام الشريعة التي تخص المرأة المسلمة في شكلها وهيئتها وزينتها ولباسها.^(٥)

(١) راجع: كتاب التأصيل الشرعي للتنمية الذاتية تأليف الدكتور أبو اليزيد أبو زيد العجمي، ط. دار السلام.

(٢) راجع: (الألعاب الرياضية.. أحكامها، ضوابطها) للدكتور/ خالد سعد كنو، ط. دار النوادر، وكتاب (الضوابط الشرعية للألعاب الرياضية) للشيخ/ سعيد عبد العظيم.

(٣) لمعرفة الضوابط الشرعية للمواهب البشرية راجع: (حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية) للدكتور/ صالح بن أحمد الغزالي، ط. دار الوطن للنشر، و(أحكام التمثيل في الفقه الإسلامي) للدكتور/ محمد بن موسى بن مصطفى بن موسى، ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٢٧ هـ، و(التمثيل.. حقيقته، تاريخه، حكمه) د/ بكر أبو زيد، وبحث: (الترويح عن النفس في الفقه الإسلامي) للأستاذة/ نجلاء محمد الدويس، وفيه: «أحكام الرحلات».

(٤) راجع: (هدي السنة في المزاح) د/ عائض القريوتي، ط. مكتبة لينا، و(أحكام المزاح في الفقه الإسلامي) ل/ هند بنت عبد الله السياري.



٢٠- انتشار العديد من المخالفات النسائية، مثل: (التبرج، النمص، وصل الشعر، مصافحة الرجال الأجانب، سفر المرأة بغير محرم، التطيب في الشوارع، التشبه بالرجال، تأجيل الزواج من أجل الدراسة، السفر في رحلات مختلطة مع الشباب، إطلاق البصر للرجال...)..

رابعاً: المخالفات الخلقية والسلوكية:

- وبالبحث وجدت أن المخالفات الخلقية تنقسم إلى أقسام، منها:
- * المخالفات التي يشترك فيها الشباب مع الفتيات في الجامعة وغيرها...
- * ومنها ما يخص كل فئة وحدها..
- * ومنها ما هو نفسي...
- * ومنها ما هو مخالفات أخلاقية عامة.
- * ومنها ما هو مخالفات أخلاقية سلوكية.

[أولاً]: المخالفات الخلقية النفسية التي يشترك فيها الطلاب:

- عند الرصد والبحث وجد أن الكثير من الطلاب والطالبات يعانون من تضخم آفات القلوب، حتى إنها صارت سمة غالبية على أكثرهم لم يستطيعوا التخلي عنها أو التخفف منها، ومن ذلك:

انتشار ظاهرة «القسوة القلبية، وضعف المراقبة الذاتية»، «وحب التصدر والشهرة ولفت الأنظار»، «ظاهرة الكبر وحب المظهرية الجوفاء»^(١)، «ظاهرة الأنانية والأثرة»، «ظاهرة

(١) راجع: (جامع أحكام النساء) للشيخ/ مصطفى العدوي، و(أحكام اللباس والزينة في الإسلام) لـ/ سعد الدين محمد الكسبي، ط. المكتب الإسلامي.

(٢) من خلال استطلاع آراء الطلاب حول ظاهرة «الكبر» و«الأنانية» أثبتت الدراسة الميدانية أن هذه الظاهرة موجودة في بعض الطلاب بنسبة (٣٠٪)، يراجع: (ظاهرة الانقسام بين العقيدة والسلوك) تأليف د/ إبراهيم علي أحمد محمد خليل ص ٢٧٠.



الحسد المذموم»^(١)، «وظاهرة ضعف التعظيم القلبي للأمر - سبحانه - وأوامره»، وظاهرة «قلة الخوف من الله، وغياب مراقبة الله».

* النتيجة: تشتت قلوب هؤلاء وغلبة الشر عليهم، مما ولّد خفة الديانة عند الكثير منهم، وأدى إلى ضعف القيم الدينية والمعاني التربوية لدى الكثير من المجتمعات الطلابية، واستبدالها بالقيم الغربية الزائفة.^(٢)

- كذلك تحولت أوساط التربية الأخلاقية (كالأسرة والجامعة والرفاق والمجتمع) إلى أماكن تتن من سوء الأخلاق^(٣)، حيث غاب خلق الأدب مع الله، وقُلَّ احترام الشباب لذاته وشخصيته، وضعفت إرادة الإصلاح واكتساب العادات النافعة الطيبة لدى الكثير من الشباب.

[ثانيًا]: المخالفات الأخلاقية العامة:

- بعد انتشار المخالفات الأخلاقية النفسية، ظهر الانحراف السلوكي لدى كثير من القطاعات الطلابية^(٤) (كأثر من آثار تلك الانحرافات النفسية)، ولعلّ هذا واضحًا جليًا في:

(١) أثبتت الدراسة الميدانية أن «الحسد المذموم» منتشر، وبسؤالهم: ما إذا كانوا يشعرون بالضيق عند رؤية من هو أفضل منهم كانت نسبة (نعم) ٢٠.٧٪، وكانت نسبة (أحيانًا) ٤٧.٧٪، أي أن ما يقرب من (٧٠٪) من عينة البحث يشعرون بالضيق عند رؤية الأفضل. يراجع: (الانفصام بين العقيدة والسلوك ص ٢٤٨).

(٢) للتوسع يراجع بحث: (أثر العولمة في القيم من وجهة نظر طلبة الجامعة الأردنية وجامعة الكويت) بمجلة «العلوم الاجتماعية» المجلد (٣٥) العدد (٣)، ص ٢٠، للباحثين: د/ صالح الدعيلج حمد، و/ محمد سلامة عماد، ط. مجلس النشر العلمي - الكويت، و(مدخل إلى القيم الإسلامية) للدكتور/ جابر قميحة ص ٤١، ط. دار الكتاب اللبناني.

(٣) لإدراك أهمية التربية الأخلاقية، ينظر: (فلسفة التربية الإسلامية) د/ عمر التومي الشيباني ص ٢٢٢، ط. الدار العربية للكتب، و(التربية الأخلاقية الإسلامية) للأستاذ/ مقداد يالجن ص ٦٥٢، ط. دار عالم الكتاب - الرياض.

(٤) الظاهر أن للانحراف في القطاعات الشبابية الطلابية درجات، منهم: (أشباه المنحرفين)، ومنهم: (المعرضون لخطر الانحراف)، ومنهم: (المنحرف الحقيقي).



المخالفات السلوكية والأخلاقية والجرائم التي تحدث (كجرائم الاعتداء على النفسي وغيرها، وجرائم ضد ممتلكات الآخرين، وجرائم الاعتداء على الأخلاق والضوابط الاجتماعية، وجرائم ضد المجتمع).

*** والمخالفات الأخلاقية تنقسم إلى أقسام، منها:**

(أ) * مخالفات أخلاقية مع الله ورسوله وشرعه والعلماء المبلغين للشرع المطهر، مثل: (سوء الظن بالله ورسوله وشرعه، استبطاء الرزق، الجرأة على الله - سبحانه وتعالى -، سب الدين، التهاون بأوامر الله ورسوله، الإيمان ببعض الشرائع والاعتراض والكفر والاستهزاء وتأويل البعض الآخر، إدمان الفكر المادي النفعي مما أدى إلى اعتماد الكثيرين على الحول والقوة والأمور المادية، وتناسي القدرة الإلهية واعتبارها (دروشة)، الاستسلام لشبهات شياطين الإنس والجن التي تزين للطلاب (الإلحاد، والبدعة، واقتراف الذنوب كبيرها وصغيرها)، ضعف التسليم للشرع المحكم ومعارضة النصوص الشرعية بأحوال وقواعد وأفكار وضعية بدعوى (الاجتهاد المقاصدي لفم النصوص بطرق عصرية)، الكذب على النبي ﷺ، فقدان الهوية الدينية، الحط من قدر الأئمة والعلماء وكتب التراث (خاصة) كتب السنة كصحیح البخاري^(١)، والنيل من الأئمة الأربعة وشيخ الإسلام ابن تيمية^(٢)، السخرية من الدين والتدين وأنماطه وأهله^(٣)، محاولة اغتيال الوحي القرآني وادعاء

وهذا التقسيم ينفع كثيراً عند محاولات الاحتواء والعلاج الشمولي المتوازي مع كل فئة من هذه الفئات.

(١) ننصح بمراجعة كتاب: (أزمة البخاري) للأستاذ/ معتز عبد الرحمن، ط. المكتبة العصرية.

(٢) للتوسع.. راجع: (مناقب الأئمة الأربعة) للإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي، تحقيق/ سليمان مسلم الحرشي، ط. دار المؤيد، وكتاب (الأئمة الأربعة) للدكتور/ مصطفى الشكعة، ط. دار الكتاب اللبناني، وكتاب (فصل الخطاب في رد مزاعم العزاب في الدفاع عن شيخ الإسلام ابن تيمية)، للشيخ/ عبد القادر بن حبيب الله السندي، و(رفع الملام عن شيخ الإسلام ابن تيمية) للدكتور/ محمد عمارة، وكتاب (العصرانيون.. بين مزاعم التجديد وميادين التغريب) للأستاذ/ محمد حامد الناصر، وكتاب (ابن تيمية

=



أن القرآن به أخطاء فادحة لا يدركها إلا أهل التنوير والعلمنة، وأن السنة تصادم القرآن كما يروج لذلك العلمانيون والقرآنيون.

فينتج عن هذا: (شرعنة الحرام، وشيوع اللامبالاة فيما يتعلق بالعقائد والأحكام، وسرعة الاستجابة للمشككين، والمجادلة بالهوى والباطل، والجرأة على الفتوى في الدين بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، وانتشار الطرفية وغياب الوسطية، فإما غلو وإما ترخص جاف).

(ب) * مخالفات أخلاقية مع النفس:

والآخر) للكاتب/ عائض بن سعد الدوسري، ط. مكتبة البخاري، وكتاب (دعوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية).

(١) من أنماط التدين المعاصر:

- ١- التدين المعرفي العقلاني.
 - ٢- التدين الطقوسي الشعائري.
 - ٣- التدين العاطفي الوجداني الحماسي.
 - ٤- التدين النفعي المصلحي.
 - ٥- التدين التفاعلي (تدين رد الفعل بعد فترات من اتباع الشهوات والشبهات).
 - ٦- التدين الدافعي (العصبي) ضد الخوف والقلق والشعور بالذنب.
 - ٧- التدين المرضي (الذهاتي).
 - ٨- التدين بالغلو العاطفي أو السلوكي أو الفكري.
 - ٩- التدين الصوفي (بالحجاب والإلهام والعرفان).
 - ١٠- التدين الحق (بحيث يكون الفكرة المركزية المحركة والموجهة لكل نشاطات الشخص بشكل متوازن).
- ومن شبهات العلمانيين وأهل التغريب زعمهم: (قبول الدين) إلا أنهم يرفضون نمطاً من أنماط التدين المعاصر المذكورة سلفاً، وهذا من التليس، فإن غايتهم من ذلك هو النيل من الدين والتدين الحق وأهله.. راجع في ذلك: (سيكولوجية الدين) للأستاذ/ محمد عبد الفتاح المهدي ص ٣٥، ط. البيطاش للنشر والتوزيع - الإسكندرية سنة ٢٠٠٢م، وللتوسع راجع كتاب (التدين المنقوص) للأستاذ/ فهمي هويدي، و(نظرية الدين والتدين) للأستاذ/ محمد حشمت، ط. مفكرون الدولية.



- الجهل بمراد الله تعالى من العبد المسلم المكلف.
- الجهل بآداب الإسلام، وهجر التخلق بالآداب الشرعية^(١).
- ترك تركية النفس بالمشروع من العبادات.
- الانغماس في طلب الدنيا، وإهمال العمل لدار البقاء.
- التشتت والتخبط في الأهداف.
- اكتساب صفات ذميمة ك(موت الضمير، البخل، الأثرة والأنانية، الكذب، الإسراف، العبثية والفوضوية، السلبية واللامبالاة، الغضب السريع غير المحمود، الكبر والغطرسة والعجب، عدم الانضباط في الوقت، وتضييع الأوقات في غير نفع على [الكافيات، المتنديات، مواقع التواصل الاجتماعي]، إخلاف العهود، تتبع عثرات الناس وغيوبهم، إفشاء الأسرار، عدم الرغبة في الإصلاح، عدم الانتفاع بمواسم الخيرات، تقديم المفضول على الفاضل، التزعزع عند الفتن، عدم الاستعداد للتضحية والبذل، الهزيمة النفسية، قلة اليقين والتشكك في وعد الله لعباده بالنصر والتمكين، عند اليأس المؤدي للانتحار^(٢)، ظهور خلق التكلف في كل المعاملات).
- (ج) * مخالفات أخلاقية سلوكية مع الخلق -عموماً-:
- اتباع نمط الحياة الغربي وغلبة «الرمادية» في حياة الشباب أدى إلى الاستسلام لمداخل الشيطان، والتخلق بالأخلاق الغربية، والتشبع بالمفاهيم الأخلاقية العلمانية القائمة على

(١) لمعرفة الآداب الشرعية.. أنصح بقراءة: (منتقى الآداب الشرعية) للشيوخ/ ماجد بن سعود آل عوشن، ط. مطبعة دار طيبة-الرياض، و(الآداب الشرعية) للإمام ابن مفلح، ط. دار إحياء التراث الإسلامي، و(الذريعة إلى مكارم الشريعة) للراغب الأصفهاني، تحقيق د/ أبو اليزيد أبو زيد العجمي، ط. دار السلام-القاهرة.

(٢) ننصح بمراجعة: كتاب الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم، د/ حمد بن صالح السحلياني، ط. البيان، وكتاب استمتع بحياتك، د/ محمد العريفي.



- (نسبية الأخلاق، التحرر المطلق من القيود)، والتطرف في النظر للحياة والأحكام والمواقف، واتباع «ثقافة القطيع»، مما أدى إلى:
- * التفسخ الأخلاقي الاجتماعي.
 - * غياب صفة الأمانة بمفهومها الشمولي، نتيجة لكثرة الاحتكاك والاختلاط بالمجتمعات الرأسمالية.
 - * غياب مفهوم الصدق بمفهومه الشمولي، واستحلال الكذب بحجة «تيسير الأمور، وقضاء المصالح المعطلة.
 - * الحرص على صحبة السوء، وبغض «الرفقة الصالحة»، والتعاون على «الإثم والعدوان»، والقابلية لأي شيء غلط.
 - * الجهل بالحقوق والواجبات.
 - * التشبع بما لم يعط والتعالي على الخلق، والكبر والغطرسة.
 - * كثرة الخوض في الباطل، والقييل والقال، والغيبة، والنميمة، والوقية بين الناس.
 - * عدم الانتباه لخطورة الكلمة.
 - * حب التصدر والشهرة ولفت الأنظار - لاسيما - عن طريق «السوشيال ميديا».
 - * إفشاء الأسرار - خاصة - أسرار المجالس الخاصة.
 - * تتبع عثرات الناس وعيوبهم واتخاذها نقطة ضعف عندهم، وتهديدهم بالفضيحة.
 - * المجادلة بالهوى والباطل.
 - * انتشار الأحاديث التي تحوي إيهاءات جنسية، وألفاظ بذئية - خاصة - «تلك التي تحوي انتقاصًا من الأبوين».



* سماع الغناء بشكل سرطاني..^(١)

* ظاهرة «تخنث الشباب»، و«استرجال البنات»، و«تبرج النساء».

* انتشار ظاهرة «السلام» الغربي والتحية بكلمات أجنبية.

* التخلق بأخلاق العولمة وما بعد الحداثة..

* أما عن المخالفات الأخلاقية فيما يتعلق بالجنس الآخر في الجامعة:

- نجد أن الملاحظ انتشار ظاهرة الانفتاح الزائد على الجنس الآخر، والعلاقات العاطفية

«التي يتبعها غالبًا» انتشار الانحرافات الجنسية ك«العادة السرية، ومشاهدة المواقع

الإباحية»، والاختلاط المستهتر بين الجنسين^(٢)، التحرش الجنسي، المعاكسات،

والنظرة المحرمة، والارتباط المحرم بدعوى الحب، والخلوّة المحرمة (لاسيما) في

الكافيهات، والسيارات، والمنتديات، وشوارع (الحب في الجامعة)، أو (حارة اليهود).

- كذلك نجد أنه نتيجة للتأثر بالأعمال الدرامية الرومانسية، انتشرت ظاهرة «العشق

المحرم»، وظاهرة «الثائيات في أروقة الكليات وأرصفت الجامعات»^(٣).

(١) أكدت الدراسة الميدانية التي قدمها د/ إبراهيم علي أحمد خليل، أن نسبة الطلاب المحبين لسماع الغناء بلغت

في الجامعات الحكومية (٦٥٪)، وبلغت في الجامعات الأزهرية (٦٢.٣٪).

- وأن نسبة الطلاب الذين يحفظون الأغاني أكثر من القرآن قد بلغت في الجامعات الحكومية (٥٥.١٪)، بينما بلغت

النسبة في الجامعات الأزهرية (٦٨.٥٪).

- تقارير الدراسة الميدانية التي قام بها د/ إبراهيم علي أحمد خليل، عن نسبة إدمان المواقع الإباحية بلغت في طلاب

الجامعة أكثر من (٦٨.٨٪)، (راجع ظاهرة.. الانفصام بين العقيدة والسلوك ص ١٣٤).

(٢) لمعرفة حكم الاختلاط وأثره في الجامعات.. راجع: (تربية المرأة والحجاب) للأستاذ/ محمد طلعت حرب

ص ٨٣، ط. مكتبة الآداب بالقاهرة، ويرجى مراجعة: (الاختلاط) للشيخ/ عبد العزيز الطريفي، وبحث: (أقيسة

الاختلاطين) للشيخ/ إبراهيم السكران.

(٣) أكدت الدراسة الميدانية العشوائية أن العلاقات العاطفية بين طلاب وطالبات الجامعات قد بلغت (٧٠.٧٪)،

وأن كثيرًا من هؤلاء يذهبون للكليات بهدف عمل علاقة مع الجنس الآخر. (راجع.. ظاهرة الانفصام بين

العقيدة والسلوك ص ١٤٥).



- غياب معاني «الحياء والعفة»، واتباع أساليب الغرب الإباحية في العلاقات بالجنس الآخر.
- المباهاة بإظهار العورات -خاصة- في حفلات التخرج^(١)، وحفلات «تنصيب اتحاد الطلاب»، والحفلات الراقصة، والمهرجانات الغنائية^(٢).
- انتشار خلق «الخيانة» والتلون والنفاق (شهادة الزور -عامه-، وفي أثناء التصويت في «انتخابات اتحادات الطلاب» -خاصة-) بحجة «أنه ذكاء اجتماعي».
- قطع الأرحام.
- إيذاء الزملاء والجيران والأصحاب حسياً ومعنوياً.
- المجاهرة بالمعاصي والتباهي بها بحجة «كل واحد حر، وانت مش ربنا اللي هيحاسبني».
- التفاجر بالأحساب والطعن في الأنساب.
- ندرة الاستجابة لنصح الناصحين المخلصين.
- كتمان العلم النافع بحجة (إنما أوتيته على علم).
- استحلال «الغش» -عموماً-، واعتياده في الامتحانات الدراسية -خصوصاً-^(٣).

(١) عن الدراسة الميدانية التي قدمها د/ إبراهيم علي أحمد خليل سنة ٢٠١٠م، أكدت أن نسبة الذين يذهبون للحفلات الراقصة (٢٠٪)، وأن نسبة من يذهبون (أحياناً) لهذه الحفلات (١٥٪)، (راجع.. ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك ص ٢٤٦).

(٢) أنصح بمراجعة فتوى: (حكم المهرجانات الغنائية) للشيخين/ ابن عثيمين، وابن جبرين.

(٣) من خلال الدراسة الميدانية التي أعدها د/ إبراهيم خليل، واستطلاع آراء الطلبة حول «الغش»، قال بعضهم: «مفيش نجاح بدون غش»، وأن أكثر من ٥٠٪ من طلاب العينة العشوائية قد أقرروا بأنهم «غشاشون»، وأن زملائهم قاموا «بإثبات حضورهم» في قاعات الدراسة كذباً وزوراً. (نقلاً عن ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك ص ٢١٥)، وينظر: تحقيق صفحي بمجلة (حواء) عدد مايو سنة ٢٠٠٣م (٢٤٣٢) بعنوان: (غشاشون



- الحرص على اختيار دراسة «سهلة» لأجل تضييع الأوقات في شوارع الجامعة والتسكع في «الكافيهات» و«المنتديات»، وتضييع «الأعمار» في غير نفع على «وسائل التواصل الاجتماعي»، أو مطالعة «القصص والروايات التافهة أو الجنسية أو العلمانية»^(١).
- الاستدانة بالربا، وأخذ أموال الناس بغير حق كما يفعل البعض من تنظيم (للرحلات المختلطة، والحفلات الغنائية الراقصة...) بغرض الكسب المالي السريع^(٢).
- استبطاء الرزق الحلال، والتطلع الزائد إلى محاكاة الطبقات الرأسمالية.
- التعصب الجاهلي لـ(أسرة - بلد - محافظة - فريق كروي - انتماء حزبي).
- الاستطالة على الضعيف والمملوك.
- كثرة «التدابير»، و«التقاطع»، و«التنازع بالألقاب المكروهة».
- انتشار ظاهرة «البلطجة بين الطلاب».
- انتشار ظاهرة «السرقعة»، وعدم «الانضباط في المعاملات المالية»، واستباحة المال العام.
- ظاهرة الحديث بألفاظ غريبة ومبهمة للظهور بمظهر «الشاب الكوول الروش»^(٣).

بدون كسوف ص ٧٨)، وينظر أيضًا: (جريدة الأخبار) في عددها الصادر يوم الخميس (٥/٦/٢٠٠٣م) عدد (٥٩٤٧)، تحت عنوان: (٢٥٠) حالة غش بتجارة عين شمس ص ٩.

(١) لمعرفة خطورة «الروايات» وأثرها في تشكيل عقل الشاب والفتاة.. راجع رسالة: (نظرات في القصص والروايات) للشيخ/ محمد صالح المنجد، ط. زاد الإسلامية.

(٢) في الدراسة الميدانية التي قدمها د/ إبراهيم علي أحمد خليل سنة ٢٠١٠م، أكدت أن نسبة الذين يذهبون للحفلات الراقصة أكثر من (٢٠٪) من مجموع الطلاب، وأن نسبة من يذهبون «أحيانًا» لهذه الحفلات «١٥٪».

(راجع.. ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك).

(٣) من خلال استطلاع آراء الطلاب حول ما إذا كانوا يستخدمون العبارات التي لا يفهمها إلا الأصدقاء وجدنا أن نسبة (١٧٪) أجابوا بـ«نعم»، ونسبة (٣٤.٢٪) أجابوا بـ«أحيانًا»، فيكون ما يقرب من (٥٢٪) من مجموع العينة يتحدثون بألفاظ غريبة، وهذه كارثة لغوية لها آثارها الضارة بعد ذلك.

يراجع: (ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك) ص ٢٣٥، وينظر: (جريدة صوت الأزهر).. يوم الجمعة ٩ أبريل سنة ٢٠٠٤م، عدد (٢٣٧) تحت عنوان: ألفاظ شباب اليوم ص ٩.



- محاكاة وتقليد «الغربيين والممثلين والراقصين» في الصورة والشكل الخارجي والملابس، وطريقة تصفيف الشعر، حتى في السيارات والدراجات البخارية، مما أدى إلى انتشار ظاهرة «الدياثة».
- كذلك أدى انتشار «حالة التخنث» بين الشباب إلى إظهار العديد من السلوكيات الشاذة من باب «التجمل للفتيات» مثل: «التريض بغرض الظهور بمظهر القوة والفتوة لجذب انتباه الفتيات، ولبس الحفظات، وسلاسل الذهب، والبنطال الممزق المقطع».
- كذلك انتشر التطلع لمحاكاة نجوم «ستار أكاديمي»، و«عرب أيدول»، و«على الهوا سوا»^(١)، لهذا أكثر الشباب من تعلم «الفنون المحرمة» لتحقيق ذلك.
- * أما عن الأخلاقيات والسلوكيات الفاسدة التي يشترك فيها الشباب والبنات فهي كثيرة،

منها:

- التدخين^(٢)، وشرب الشيشة^(٣).

- وهذه نتيجة الدراسة الميدانية.. حيث بلغت نسبة (١٨٪) لمن يستخدم بعض العبارات والجمل التي لا يفهمها إلا الأصحاب، بينما (٣٤.٢٪) يستخدمون مثل هذه الألفاظ أحياناً. يراجع: (ظاهرة الانقسام بين العقيدة والسلوك) ص ٢٤٤.

- (١) راجع: فتاوى العلماء التي تحذر من ذلك.. كـ(فتوى الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر البراك، والشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي)، وراجع: ... (بيان اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية).
- (٢) في الدراسة الميدانية التي قام بها الدكتور/ إبراهيم خليل سنة ٢٠١٠م، وجد أن عدد الطلاب الذين يدخنون السجائر (٥٢) من بين العدد الكلي وقدره (٦٢٢) بنسبة (٩٪)، ومن يدخل الشيشة نسبتهم (٤٪)، وبالتالي فالنسبة الكلية للمدخنين (١٣٪). راجع: (ظاهرة الانقسام بين العقيدة والسلوك) ص ١٦٨، وذكر د/ مصطفى سويف في كتابه (المخدرات والمجتمع، ص ١٤٧، ص ١٤٨، ط. عالم المعرفة) أن النسبة قد تصل إلى (٢٠٪) من خلال الواقع الوصفي للطلاب، وقد جاء ذلك في: (المجلة الاجتماعية القومية) عدد خاص، وجاء في: (المجلة الاجتماعية القومية... الصادرة عن المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، إشراف د/ مصطفى سويف) عن تعاطي المواد المؤثرة ص ٦٤، أن (تعاطي الحشيش يعتبر في المقام الأول بالنسبة لمتعاطي المخدرات، والذي يبلغ عددهم ٩٧٪ من مجموع المتعاطين للمواد المخدرة) راجع ص ٤٤.



- تعاطي المخدرات بأنواعها المختلفة^(١).
- غلبة «اللامبالاة» عليهم، حيث إن أكثرهم لا يدري.. (لماذا يعيش؟! أو كيف؟!).
- الوقوع في برائن الشبهات والشهوات بيسر وسهولة دون أدنى مقاومة.
- انتشار ظاهرة استحلال الفروج عن طريق شرعنة «الأنكحة الفاسدة» كـ«الزواج العرفي، وغيره»، ثم الوقوع في الزنا بدرجاته بلا خوف أو تردد^(٢).
- الوقوع في «التعصب الكروي المقيت»، والتلهي بمباريات الكرة عن الواقع.
- * أما عن الأخلاقيات السلوكية الفاسدة المتعلقة بالطالبات:
- * فقد نجحت الحملات العلمانية الممنهجة لمن يزعمون «تحرير المرأة» في:
 - ازدياد الشطط الفكري عند كثير من الفتيات، واتباع أدعياء تحرير المرأة من بني علمان، وإنكار الكثير مما (هو معلوم من الدين بالضرورة)، مما أدى إلى: غياب «الحياء» عن كثير من الفتيات.
 - تقليد الممثلات، ومحاكاة الراقصات والغانيات والساقطات في كل أنماط حياتهن.
 - الخضوع بالقول مع الشباب.
 - الاختلاط المستهتر بالشباب في كل الأماكن بلا حاجة أو ضرورة شرعية.
 - التطلع الدائم لجذب أنظار الشباب بأي وسيلة.

(١) من المؤسف أن تدخين الشيعة تسلل أيضًا إلى الفتيات، فأصبح من المألوف الآن أن نجد فتيات يجلسن على المقاهي والكافيهات يدخنن الشيعة. ينظر: (بنات الشيعة في خطر) تحقيق صحفي بمجلة الشباب (يوليو سنة ٢٠٠٣م)، عدد (٣١٢)، ص ٣٢، ص ٣٣.

(٢) من خلال الاستبيان الذي أجري مع بعض الطلاب تبين أن نسب شرب المخدرات في تصاعد، فقد تصل إلى نصف الطلاب أو أكثر.. ينظر: (ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك) ص ١٨٦، سنة ٢٠١٠م.

(٣) بينت الدراسة الميدانية أن نسبة من يفكرون جدًّا بالزواج العرفي في الجامعات (١٠.١٪)، بينما يرى (٧٦.٤٪) أن الزواج العرفي زنا، يراجع: (ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك) ص ١٦٦.



- السفر بلا محرم - خاصة - للرحلات.
- مصافحة الرجال الأجانب.
- انتشار ظاهرة «التبرج والسفور والعري» بشكل مستفز لافت للانتباه.
- التمرد على «الحجاب الشرعي» بدعوى أنه ليس فرضاً، أو أن في فرضيته خلافاً، أو «أن حرية الشكل والملبس والمظهر أمر شخصي لا علاقة للدين به»^(١).
- التمرد على كل القيم الشرعية، والأعراف المجتمعية «المتفقة مع الشرع المطهر»، بدعوى «التحرر من الظلامية والرجعية».
- انتشار ظاهرة «الحجاب المتبرج»، ولبس «البنطلون الممزق»، والكعب العالي، والعدسات الملونة، والعطر الفواح، والنمص، ولبس الباروكة، والمكياج الصاحب بدعوى «اتباع الموضة»^(٢).

(١) الدراسة الميدانية التي ذكرها د/ إبراهيم خليل عن رأي الشباب في الحجاب ومدى قناعتهم به، بينت أن مؤيدي الحجاب نسبتهم (٨٠٪) من العدد الكلي الممثل لعينة البحث، ومن يرونه ظاهرة إيجابية تدل على العودة لتعاليم الإسلام الصحيحة نسبتهم (٧٥.١٪) من مجموع العدد الكلي.

- كما ذكرت الدراسة.. أن آراء الشباب في مسألة الحجاب وأنه فرض ديني يجب ارتداؤه عند البلوغ وذلك بنسبة (٨٥.٢٪).

- كذلك أكدت الدراسة أن التبرج في جامعة القاهرة مستفز جداً، يليها جامعة الإسكندرية، ثم جامعة المنصورة، ثم الزقازيق، ثم جامعة بورسعيد، ثم طالبات جامعة أسيوط.

راجع: (ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك) تأليف د/ إبراهيم خليل ص ١٢٠، ص ١٢١، ط. دار السلام بالقاهرة، وللتوسع راجع: بحث الحجاب شريعة الله في اليهودية والنصرانية والإسلام، د/ سامي العمري، ط. مركز تكوين، وكتاب جدلية الحجاب للأستاذ صهيب محمود السقار تقديم الدكتور محمد العوضي، ط. مركز رواسخ.

(٢) ننصح بمراجعة: (مراوغات الحجاب) للأستاذ/ أحمد الصقر، ط. مؤسسة آسام للنشر، وكتاب (النساء والموضة والأزياء) د/ خالد الشايع، تقديم الشيخ/ صالح السدلان، ط. دار بلنسية، وبحث: (حكم لبس

=



- الاستجابة لثقافة «تسليع المرأة» التي تفرض على الفتيات عن طريق «النشرات الصادرة عن مراكز تحرير المرأة والميديا الإعلامية، والتي تظهر المرأة بشكل سلعة»^(١).
- الاستجابة للدعوى المطالبة بـ «تأجيل الزواج» بحجة الدراسة النظامية في الجامعة، أدت إلى انتشار العلاقات المحرمة بين الشباب والفتيات، وانتشار ظاهرة «الارتباط المحرم»، وذيوع ظاهرة تبادل الصور العارية وشبه العارية للفتيات بدعوى «الحب والارتباط».
- انتشار ظاهرة «الرقص» في قاعات الدروس، والمنتديات، والرحلات، وحفلات التخرج.
- انتشار ظاهرة «الغيرة النسائية المرضية» بين الفتيات، وتنافسهنَّ على الارتباط بالشباب الغني القوي الفتى مع التباهي بتلك العلاقات الآثمة.
- التشبه بالرجال في كثير من الأمور، في المشية، والكلام، والملبس، والمشرَب.
- الوقوع فريسة لابتنزاز شاب من الشباب بدعوى «أن لها ماضي سيء، وتاريخ في المنكرات».
- ركوب الدراجات البخارية، والدراجات العادية في الأماكن العامة، مما يجعلها أداة لفتنة الشباب.
- السخرية من الدين وأهله بدعوى «التشدد - التعصب».

البنطلون للمرأة) إعداد/ أبي إبراهيم هشام بن محمد، ط. مكتبة أحمد بن حنبل، وراجع: (حكم لبس المرأة للكعب العالي) على موقع / الإسلام سؤال وجواب.

(١) يحدث الآن فيما يسمى بـ«الصالونات الثقافية العلمانية» حالة من حالات مسخ الهوية، -خاصة- فيما يتعلق بقضية علاقة الإسلام بالمرأة، حيث يتم تصدير أن الإسلام ظلم للمرأة، وأن المجتمع المسلم مجتمع ذكوري مريض لا يعرف العدل والإنصاف مع البنات..



- الاشتراك في «الفنون المسرحية»، و«الفرق الموسيقية»، و«الفرق «الرقص الشعبي»»، بدعوى «النشاط الطلابي».

- ممارسة الرياضة في «قاعات رياضية مشتركة مع الشباب»، أو في الشوارع العامة بدعوى «أنها رياضة مهمة، وهذا شيء عادي».

- الاغترار بما عليه الكثير من الفتيات من مظاهر خادعة لا ترضي الله.

وأخيرًا: الأخلاق السلوكية الفاسدة بعد التخرج:

- ومن ذلك:

* إساءة الظن بالله - خاصة - فيما يتعلق بمسألة «الرزق»، و«العمل»، و«الزواج»، وكيفية «تسيير الحياة» - خاصة - كلما ازداد الضغط الحياتي.

* الخوف من المستقبل لما بعد الجامعة.

* تضييع الأوقات على المقاهي والكافيهات، وملاحقة الفتيات.

* محاولة كسب المال من حلال أو حرام بلا أدنى خجل أو وجل.

* مزاحمة المرأة للرجل في العمل بدعوى «إثبات الذات، وأن البنت مثل الولد».

* الإعراض عن تحمل المسؤولية الشخصية، أو استغلال الأوقات في «تنمية المهارات»،

وتعلم حرفة أو أي عمل من الأعمال المباحة والمتاحة^(١).

(١) ننصح كل شاب بالجد في الكسب الحلال، وهناك رسالة ننصح بمطالعتها بعنوان: (الحث على التجارة والصناعة والعمل... والإنكار على من يدعي التوكل في ترك العمل والحجة عليهم في ذلك) للإمام أبي بكر أحمد بن محمد الخلال البغدادي الحنبلي، اعتنى به (عبد الفتاح أبو غدة) ص ١، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، وراجع أحكام الحرفة وآثارها في الفقه الإسلامي، د عزيز بن فرحان محمد الجيلاني . ط. دار الصميعي، أو يمكنك الرجوع لتطبيق (أحكام المهن) التابع لمجموعة زاد، أو مراجعة منصة زادي للتعلم الشرعي المفتوح على: <https://zadi.net/> أو على الصفحة الرسمية للمنصة: <https://bit.ly/jT3SAj> وهذا شرح كيفية



* انتشار حالة من السلبية واللامبالاة خوفاً من سياسات المستبدين، وأجهزتهم الأمنية^(١).

* انتشار حالة من «الاكتئاب» أو «الإحباط»، و«التشتت»، و«الفوضوية»، مما قد يصل بالشباب للانعزال المجتمعي، والخلوة بنفسه لفترات طويلة فيما يعرف «بالانسحاب من الحياة»^(٢).

* تضييع الأوقات والأعمال في انتظار الوظائف الحكومية (دون سعي حقيقي لإيجاد فرصة عمل في أي سبيل آخر، بشرط «أن يكون حلالاً لا شبهة فيه»).

* اللجوء إلى وسائل وحيل محرمة للتعيين في أي وظيفة (كالوساطة - الرشوة - الشهادات المزورة - الادعاءات الباطلة - الكذب).

* كراهة الخير للأقران والزملاء، واستكثار الخير عليهم.

* مع استحكام حالة اليأس قد يحاول البعض تحريك الرأي العام للضغط على الأنظمة الحاكمة بأي وسيلة من الوسائل (سواء كانت ممنوعة أو مباحة)^(٣).

التسجيل في منصة زادي <https://bit.ly/2٧j٢V٢> كما يمكنك المشاركة في المسابقات من خلال هذا الرابط: <http://zadi.net/courses>

(١) يراجع في ذلك: (أثر النظم السياسية والتشريعية والقضائية على الشخصية المصرية والأزمة الأخلاقية) د/ محمد وفيق أبو آتلة، وهو بحث مقدم للمجالس القومية المتخصصة ص ٢٩، ص ٣٠.

(٢) أكدت الدراسة التي قام بها موقع «المصريون» عام ٢٠١٣م أن نسبة الطلاب التي تشعر بالقلق والإحباط بسبب الخوف من المستقبل الضبابي الذي ينتظرهم أكثر من (٧٠٪).

(٣) حاول بعض الشباب ابتكار بعض الوسائل للضغط على الأنظمة عن طريق «المظاهرات والاعتصامات والإضرابات، والمصيان المدني...»، دون معرفة حكم استخدام هذه الوسائل من الناحية الشرعية، لهذا ننصح بمراجعة رسالة: «المظاهرات والاعتصامات والإضرابات.. رؤية شرعية» د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، ط. دار الفضيلة، حيث عرض الشيخ لأدلة المجيزين، وأدلة المانعين، وذكر الراجح لديه، وبحث: «التظاهرات

=



- * انتشار ظاهرة الهجرة الشرعية وغير الشرعية إلى البلاد الأوروبية.
- * ضياع «الانتماء» للأمة والوطن، والتنكر لأية مزية أو حسنة لبلاده التي ولد فيها.
- * اليأس قد يدفع الشباب لاعتماد أفكار إلحادية^(١)، مثل: ماذا فعل الله لي لأؤمن به؟! أين الله من واقعنا؟!
- * الزواج من فتاة لجمالها، وبالطرق التقليدية، وارتكاب المحرمات والمنكرات في الخطبة والفرح.
- * تنشئة أسرة على النمط الغربي بلا التزام بالدين أو الشرع أو الخلق.
- * السفر لقضاء العطلة الصيفية والإجازة في المصايف المختلطة، بدعوى التنزه.
- * السفر لبلاد غير المسلمين لغير حاجة أو ضرورة شرعية بحجة السعي على طلب الرزق.
- * الانكباب على الدنيا والاغترار بزخارفها والتشتت وعدم الاتزان والتركيز وترك التخصص.

والاعتصامات.. رؤية شرعية» د/ حامد العلي، كما ننصح بقراءة بحث التظاهرات والاعتصامات للدكتور حامد العلي.

(١) يُنصح بمطالعة كتاب الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم د/ حمد بن صالح السحيباني، ط. مجلة البيان، وكتاب قيام الدول وسقوطها أ/ محمد العبد، ط. دار الصفوة، وكتاب مواجهة الصدمات النفسية من خلال تدبر قصة مريم عليها السلام ﷺ د/ فوزية بنت صالح بن محمد الخليفي، ط. دار الحضارة للنشر والتوزيع.



فتاویٰ شباہیہ



اقتضت حكمة الله تعالى وسنته أنه في آخر الزمان يكثر الجهل وأهله، ويقل العلم وأهله، ولا شك أن هذا يحزن كل مؤمن غيور على دينه، -خاصةً- ما نراه في هذه الآونة الأخيرة من تزايد الغناء الفكري والذي ظهر بجلاء ووضوح على شاشات التلفاز -عامةً- والقنوات الفضائية وشبكات الإنترنت -خاصةً-، ولعل من أسباب ظهور هذا الفساد الكبير ما يقوم به الإعلام العميل الموجه من السماح باستفتاء مَنْ يدعون العلم، وليسوا له بأهل، ولشديد الأسف ترى أمثال هؤلاء المضلين يتبادرون إلى الفتيا قبل أربابها، ويعترضون على الأحكام وليسوا من أصحابها، ويُقيّمون أقوال أهل العلم، وما هم في القافلة إلا أذئابها.

لأجل هذا رأيت -بعد الاستخارة والاستشارة- أن أقدم على جمع الفتاوى المهمة التي يسأل فيها الشباب بكثرة، وحرصت على جمعها من بطون كتب الفتاوى لكبار أهل العلم في زماننا مِمَّنْ اتفقت كلمة الأمة على قبول آرائهم وفتاواهم واجتهاداتهم العلمية، ولم أقتصر في هذا على جهة علمية بعينها، بل أخذت ما أعتقد أنه الحق، من أهل العلم داخل وخارج قطرنا المصري، إذ الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها -كما صحَّ عن رسول الله ﷺ-، جزاهم الله عنا خير الجزاء.

أولاً: أسئلة في العقيدة

س ١: ما الذي يجب على المسلم عمله من العقيدة حتى يكون مسلماً حقاً؟
ج: المسلمون يتفاوتون في قدرتهم العقلية، وفي فراغهم ومشاكلهم الحيوية، وفي تسير طرق التعلم وصعوبتها، فيجب على المسلم ما لا يجب على الآخر، وأقل ما يجب من ذلك على كل مكلف الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وفهم معنى ذلك إجمالاً، مع النطق بالشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وفهم معناها ولو إجمالاً، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة بالنسبة للأغنياء، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً، ثم معرفة حكم ما يتلى به من النوازل ليقدم على ما يجوز منها، ويتجنب ما لا يجوز منها، مع الحذر من كل ما حرم الله على عباده، وأكثر من تلاوة القرآن الكريم مع قراءة الكتب الدينية النافعة، ككتاب عقيدة المؤمن، شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين^(١).

س ٢: ما هي الكتب المفيدة التي يجب علينا مطالعتها حتى نفهم ديننا؟
ج: القرآن الكريم وكتب السنة، مثل «صحيح البخاري» و «صحيح مسلم» و «السنن الأربع»، وكتب العقيدة، مثل: كتاب «التوحيد»، و «فتح المجيد»، و «زاد المعاد» لابن القيم، و «العقيدة الواسطية»، و «شرح الطحاوية»، وأمثالها من كتب علماء السنة^(٢).
س ٣: ما هي ظواهر الشرك القولية والعملية الموجودة في المجتمع الإسلامي؟

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٧٥٠٣)، ط. العبيكان، وأنصح بالاطلاع على كتاب «اعتقاد أئمة السلف» للدكتور/ عبد الرحمن الخميس.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٧٤٤٣)، ط. العبيكان.



ج: الظواهر الشركية في المجتمعات الإسلامية كثيرة، منها: الاستغاثة والاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والنذر لغير الله، والذبح لغير الله كمن يذبح لولي، والحلف بغير الله كمن يحلف بالنبي والمصحف.

ومن وسال الشرك: اتخاذ القبور مساجد والصلاة فيها، وقد نهوا عن ذلك، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَكُسْحِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]. وعلم الله المسلمين أن يقولوا في كل ركعة من صلاتهم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وقال ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ».

وقال ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»..

وقال ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِهِمْ مَسَاجِدَ».

وقوله ﷺ: «أَلَا وَإِنْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فإني أنهاكم عن ذلك».

وقال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك».

إلى غير ذلك من مظاهر البدع الشركية^(١).

س ٤: هل يجوز الحلف بالشرف أو الكعبة؟

ج: لا يجوز الحلف بغير الله، بل هو شرك لأن الحلف بالشيء تعظيم له، ولا يجوز التعظيم لمخلوق، وقد كان الصحابة في أول الإسلام يقولون: «والكعبة» فأمرهم النبي ﷺ أن يقولوا: «ورب الكعبة»، فأما الشرف والنسب والأب ونحوه فكله حلف بغير الله، وقد

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١٩٩٤/١) (٥٢٧)، ط. العبيكان.



قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة السوداء في ظلمة الليل».

وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة، وحياتي... إلخ.. فجعل الحلف بالحياة من الشرك^(١).
س ٥: رجل يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولا يقوم بالأركان الأربعة: الصلاة والزكاة والصيام والحج، ولا يقوم بالأعمال الأخرى المطلوبة في الشريعة الإسلامية، هل يستحق هذا الرجل شفاعته النبي ﷺ يوم القيامة بحيث لا يدخل النار ولو لوقت محدود؟

ج: من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وترك الصلاة والزكاة والحج جاحداً لوجوب هذه الأركان الأربعة أو لواحد منها بعد البلاغ؛ فهو مرتد على الإسلام يستتاب، فإن تاب قُبِلت توبته وكان أهلاً للشفاعة يوم القيامة إن مات على ذلك، ومن قال من العلماء: أنه كافر كفراً عملياً لا يخرج به عن حظيرة الإسلام بتركه لهذه الأركان يرى أنه أهل للشفاعة فيه وإن كان مرتكباً لما هو دون الكبائر إن مات مؤمناً^(٢).

س ٦: ما حكم الاحتفال بأعياد الميلاد؟

ج: الاحتفال بأعياد الميلاد لا أصل له في الشرع المطهر، بل هو بدعة، لقول النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(٣).

ومن المعلوم أن النبي ﷺ لم يحتفل بمولده مدة حياته ولا أمر بذلك، ولا علمه أصحابه، وهكذا خلفاؤه الراشدون، وجميع أصحابه لم يفعلوا ذلك، وهم أعلم الناس بسنته، وهم أحب الناس لرسول الله ﷺ وأحرصهم على اتباع ما جاء به، فلو كان الاحتفال

(١) فتاوى إسلامية (١/ ١٠٨) الفتوى لسماحة الشيخ ابن جبرين رحمه الله.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٥٢٥٣) (٣/ ٩٨) ط. العبيكان.

(٣) متفق عليه.



بمولده ﷺ مشروعاً لبادروا إليه، وهكذا العلماء في القرون المفضلة، لم يفعله أحد منهم ولم يأمر واحد منهم به^(١).

س ٧: هل يجوز شرعاً الاحتفال بأعياد الكافرين «كعيد الكريسماس»؟
ج: أولاً: السُّنة إظهار الشعائر الدينية الإسلامية بين المسلمين، وترك إظهارها المخالف لهدي الرسول ﷺ، وقد ثبت عنه أنه قال: «عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين». ثانياً: لا يجوز للمسلم أن يشارك الكفار في أعيادهم ويظهر الفرح والسرور بهذه المناسبة، أو يعطل الأعمال سواء كانت دينية أو دنيوية، لأن هذا من مشابهة أعداء الله المحرمة، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ تشبه بقوم فهو منهم»^(٢).

س ٨: ما حكم السفر إلى بلاد الغرب للعمل أو للسياحة؟

ج: السفر إلى بلاد الكفار لا يجوز إلا بثلاثة شروط:

* الشرط الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.

* الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

* الشرط الثالث: أن يكون محتاجاً إلى ذلك.

فإن لم تتم هذه الشروط فإنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار؛ لما في ذلك من الفتنة أو خوف الفتنة، وفيه إضاعة المال؛ لأن الإنسان ينفق أموالاً كثيرة في هذه الأسفار. أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك لعلاج أو تلقي علم لا يوجد في بلده، وكان على علم ودين على ما وصفنا فهذا لا بأس به^(٣).

(١) الشيخ ابن باز نقلاً عن «فتاوى إسلامية»، جمع وترتيب: محمد السيد (١٥/١٠٩) ط. دار الوطن.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة، رقم (٢٥٤٠).

(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين (٣/٣٤) ط. أصدقاء المجتمع، ونحن ننصح إخواننا الشباب بما نصح به شيخنا، ونقول لهم: من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.



س ٩: أنا طالب جامعي.. لي صديق وأخ نصراني، وهو زميلي في الدراسة، أحبه جداً أكثر من بعض زملائي المسلمين، فأخبرني زميل لي بأن هذا حرام، فهل هذا صحيح؟
ج: أما قول: (يا أخي) لغير المسلم، فهذا حرام ولا يجوز؛ لأن الأخ إما أن يكون من النسب أو الرضاع، لأنه إذا انتفت أخوة النسب والرضاع لم يبق إلا أخوة الدين، والكافر ليس أخاً لمؤمن في دينه، وتذكر وتذكر قول نبي الله تعالى نوح: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ [هود: ٤٥-٤٦].

* وأما قول: صديق ورفيق ونحوهما، فإن كانت كلمة عابرة يقصد بها نداء من جهل اسمه منهم، فهذا لا بأس به، وإن قصد بها معناها تودداً وتقرباً منهم، فلقد قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].
فكل كما علمت من الآية الكريمة^(١).

س ١٠: هل الإنسان مسير أم مخير؟

ج: الإنسان مخير ومسير، أما كونه مخيراً؛ فلأن الله سبحانه أعطاه عقلاً وسمعاً وبصراً وإرادةً، فهو يعرف بذلك الخير من الشر، والنافع من الضار، ويختار ما يناسبه، وبذلك تعلقت به التكاليف من الأمر والنهي، واستحق الثواب على طاعة الله ورسوله، وأما كونه مسيراً فلأنه لا يخرج بأفعاله وأقواله عن قدر الله ومشيئته، كما قال سبحانه: ﴿مَا

(١) نقلاً عن «مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين» (٣/ ١١٤) ط. دار الوطن، وأنصح بمراجعة كتاب «الولاء والبراء» للشيخ القحطاني.



أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا
إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ [الحديد: ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢].

وفي الباب آيات كثيرة وأحاديث صحيحة كلها تدل على ما ذكرنا لمن تأمل الكتاب
والسنة^(١).

س ١١: أرجو التكرم ببيان علامات الساعة وأشراتها؟!

ج: أشرط الساعة كثيرة، منها: ما أجاب به النبي ﷺ جبريل عليه السلام، من قوله له: «إذا
ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول الإبل البهم في البنيان»..

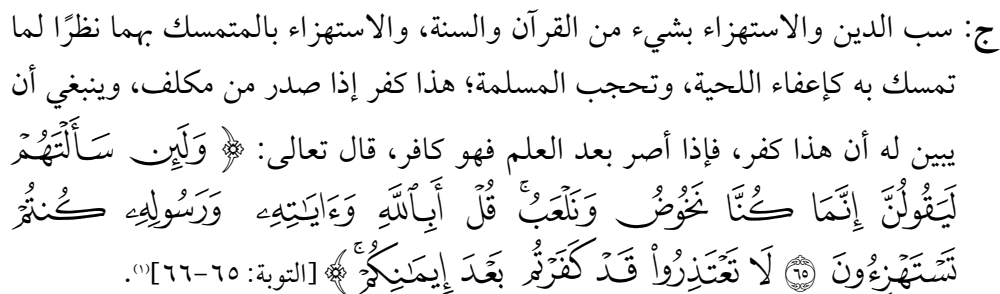
ومنها خروج المسيح الدجال، ونزول عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام- من
السماء، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض منها، واستفاضة المال حتى
يعطى الرجل الكثير من المال فيظل ساخطاً، ومنها كثرة الفتن حتى لا يبقى بيت من
بيوت العرب إلا دخلته، وعليك بقراءة كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير رحمه الله،
ففيه شرح الكثير منها، وفيه عظات وعبر وبيان ما يقى الإنسان به نفسه من الفتن^(٢).

س ١٢: ما حكم الدين في رجل سب الدين؟ هل يحكم بكفر فاعله على الفور؟

(١) راجع فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٧٧) (٤٥١٣).

(٢) فتاوى اللجنة (٥٢٥٣) (٣/ ٩٨) ط. العيكان.

(٣) ويمكنك الاستفادة من كتاب «نهاية العالم» للشيخ/ العريفي، وكتاب «الصحيح المسند من أشرط الفتن
والملاحم» للشيخ/ مصطفى العدوي.



س ١٣: بعض الشباب يطلق أحكام الكفر على الزاني وشارب الخمر، فما حكم ذلك؟
ج: لا يُقال لمن زنى أو شرب الخمر: أنت كافرٌ، عند أهل السنة والجماعة، بل يُقال فيه: إنه مؤمن بقدر ما فيه من الإيمان، فاسق بقدر ما فيه من معصية، وما ورد من قول النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» الحديث، فمحمولٌ على نفي كمال الإيمان الواجب لا على نفي أصل الإيمان، بدليل أنه ثبتَ عن النبي ﷺ من حديث أبي ذر عند البخاري أنه قال: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة».. قلت: يا رسول الله: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق».. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي ذر»، وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: «وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي ذر»، قال أبو عبد الله: هذا عند الموت أو قبله إذا تاب وندم وقال: (لا إله إلا الله) غفر له؛ وبذلك يجمع بين أدلة الوعد والوعيد، ويعمل بها كلها ولا يرد شيء منها، لكن من استحل الزنى أو السرقة أو شرب الخمر وغيرها من المحرمات المجمع على تحريمها؛ كفر عند أهل السنة والجماعة^(٧).

(۱) فتویٰ رقم (۴۴۴۰) (۱/۲۵۶).

(٢) فتوى اللجنة الدائمة برقم (٤٨٥٠).



س ١٤ : ظهرت جماعة يقال لها: الشيعة، فما حكم الدين في هؤلاء، خاصة وأنهم بدأوا في الانتشار في الجامعة؟

ج: الشيعة، والصواب أن يقال الرافضة؛ لأن تشيعهم لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تشيع متطرف غال، لا يقبله علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالرافضة كما وصفهم شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم» حيث قال (٣٩١): «إنهم أكذب طوائف أهل الأهواء وأعظمهم شركا، فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم، ولا أبعد عن التوحيد، حتى إنهم يخربون مساجد الله التي يُذكر فيها اسمه، فيعطلون عنها الجمعة والجماعات، ويعمرون المشاهد التي أقيمت على القبور التي نهى الله ورسوله عن اتخاذها.

وقال في الفتاوى - ص ٣٥٦ / ج ٣ - من مجموع ابن قاسم:

وأصل قول الرافضة: أن النبي ﷺ نص لعلي نصًا قاطعًا للعذر وأنه إمام معصوم، ومن خالفه كفر، وأن المهاجرين والأنصار كتموا النص، وكفروا بالإمام المعصوم، واتبعوا أهواءهم، وبدلوا الدين، وغيروا الشريعة، وظلموا واعتدوا، بل كفروا إلا نفرًا قليلًا، إما بضعة عشر أو أكثر، ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين، وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا، إلى أن قال: ومنهم ظهرت أمهات الزندقة والنفاق: كزندقة القرامطة الباطنية وأمثالهم..

وأما خطرهم على الإسلام فكبير جدًا كما هو معلوم في التاريخ؛ حيث أنهم يدينون «بالتقية» والتي حقيقتها النفاق، والمنافقون أضروا على الإسلام من ذوي الكفر الصريح؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ



حُشِبُ مُسْنَدَهُ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرَهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿[المنافقون: ٤]﴾^(١)

س ١٥ : كنا نتحدث في الجامعة، ثم ذكر أحد الزملاء ما فعله حزب الله والشيعة من مواقف البطولة في العراق ولبنان، فقال أحد الإخوة: إنهم أعداء الله ورسوله، وهم خونة، فهل هذا صحيح؟ وهل في مثل هذا الوقت العصيب نجهر بخلافنا، كأهل السنة معهم؛ والأمة تترنح تحت ضربات الأعداء؟!

ج: الشيعة الرافضة شر أهل البدع المنتسبة إلى القبلة، وفي تكفيرهم نزاع بين أهل العلم، والراجح أن كثيراً من عقائدهم وأقوالهم كفرية؛ لكن لا يكفر المعين منهم إلا بعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع، والجهل غالب عليهم والتأويل كذلك وارد، لهذا فلا يمكن تكفيرهم بالعموم ولا تكفير المعين إلا بعد قيام الحجة.. أما تعميم القول أنهم أعداء الله ورسوله ففيه نظر، ولا يجوز إلا في كافر قد تبين كفره، ولكن كما ذكرنا هم شر أهل البدع، وهم يكفرون أهل السنة في الأغلب، وخيانتهم لهم عبر العصور ثابتة متكررة، وإن كان انتصار المبتدع على الكافر أحب إلينا من عكسه، لكن مع الحذر من بدعته.

كذلك فإنه يجب التحذير من الإعجاب بهم ومن النظر إلى عواقب ذلك الإعجاب؛ من الميل إليهم، والسكوت على بدعتهم، وما أصاب الأمة الإسلامية ما أصابها إلا بسبب انتشار الشرك والنفاق والبدعة، فلا يجوز السكوت على ذلك لأن الوقت هو

(١) المجموع الثمين (٨٦/٣) الشيخ ابن عثيمين.



وقت نصيحة للأمة بالثبات على الحق الصافي دون شوائب، ومجانبة أصحاب الفسوق والعصيان والبدع والضلالات^(١).

س ١٦: هل يتوقف على صحة المنهج والاعتقاد جنة أو نار؟

ج: نعم، المنهج والاعتقاد إذا كان صحيحًا صار صاحبه من أهل الجنة، فإذا كان على منهج رسول الله ﷺ ومنهج السلف الصالح، يصير من أهل الجنة بإذن الله، وإذا صار على منهج وعقيدة أهل الضلال، فهو متوَعَّد بالنار، فصحة المنهج والاعتقاد يترتب عليها جنة أو نار^(٢).

س ١٧: في هذا الزمان عديد من الجماعات، وكل منها دعي الانضواء تحت الفرقة الناجية، ولا ندري أيها على حق فنتبعه، فأَيُّ الجماعات نتبع؟

ج: كل من هذه الجماعات تدخل في الفرقة الناجية؛ إلا من أتى منهم بمكفر يُخرج عن أصل الإيمان، لكنهم تتفاوت درجاتهم قوةً وضعفًا بقدر إصابتهم للحق وعملهم له، وخطئهم في فهم الأدلة والعمل، فأهداهم أسعدهم بالدليل فهمًا وعملاً، فاعرف وجهات نظرهم، وكن مع أتبعهم للحق وألزمهم له، ولا تبخس الآخرين أخوتهم في الإسلام، فترد عليهم ما أصابوا فيه من الحق، بل اتبع الحق حيثما كان ولو على لسان من يخالفك في بعض المسائل، فالحق رائد المؤمن، وقوة الدليل من الكتاب والسنة هي الفيصل بين الحق والباطل^(٣).

س ١٨: من هي الفرقة الناجية في هذا العصر؟ وما هي صفاتها؟

(١) راجع كلام الشيخ/ أبي إسحاق الحويني، نقلًا عن مجلة «الهدى النبوي»، باب الفتاوى، ص ٥٩، عدد (٧٥١)

الجماديان سنة ١٤٢٥ هـ، وانظر للتوسع فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف حول الشيعة، ط. دار اليسر.

(٢) الشيخ/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، نقلًا عن الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة، ص ١٢٥، ط. دار المنهاج.

(٣) فتاوى اللجنة (١٦٣/٢) رقم (٧١٢٢).



ج: الفرقة الناجية المنصورة في هذا العصر إلى قيام الساعة هي التي قال الرسول ﷺ فيها لما سئل، حين قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة». من هي؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

وقال عنهم الله تعالى: ﴿وَالسَّيْقُونِ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ومن صفات هذه الفرقة أنها متمسكة بما كان عليه النبي وأصحابه، ومن صفاتها أنها تصبر على الحق، ولا تلتفت إلى أقوال المخذلين المخالفين، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، قال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك».

ومن صفاتها أنها تحب السلف الصالح، وتنهي عليهم، وتدعو لهم، وتمسك بآثارهم. ومن صفاها: عدم تنقيصهم لأحد من السلف، سواء الصحابة أو من بعدهم^(١).

س ١٩: كثيراً ما نسمع عن «أهل السنة»، فمن هم أهل السنة والجماعة؟

ج: أهل السنة والجماعة هم الذين تمسكوا بالسنة، واجتهدوا عليها، ولم يلتفتوا إلى سواها، لا في الأمور العلمية العقدية، ولا في الأمور العملية الحكومية، ولهذا سمو أهل السنة؛ لأنهم متمسكون بها، وسموا أهل الجماعة لأنهم مجتمعون عليها. وإذا تأملت أحوال أهل البدع وجدتهم مختلفين فيما هم عليه من المنهاج العقدي أو العملي، مما يدل على أنهم بعيدون عن السنة بقدر ما أحدثوا من البدع^(٢).

(١) راجع كلام الشيخ/ صالح الفوزان، نقلاً عن الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة، ص ١٢٧، ط. دار المنهاج.



س ٢٠: ما المراد بقول النبي ﷺ عن الأمة حيث يقول في حديث: «كلهم في النار إلا واحدة، وما الواحدة؟ وهل الاثنان والسبعون فرقة كلهم خالدون في النار على حكم المشرك أم لا؟ وإذا قيل: (أمة النبي ﷺ) هل هذه الأمة تقال لأتباعه وغير الأتباع فقط؟

ج: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، وبعد: المراد بالأمة في هذا الحديث أمة الإجابة، وأنها تنقسم إلا ثلاث وسبعين.. اثنان وسبعون منها منحرفة مبتدعة بدعاً لا تخرج من ملة الإسلام، فتعذب ببدعتها وانحرافها إلا من عفا الله عنه وغفر له، ومأواها الجنة، والفرقة الواحدة الناجية هي أهل السنة والجماعة الذين استنوا سنة النبي ﷺ ولزموا ما كان عليه هو وأصحابه (رضي الله عنهم) وهم الذين قال فيهم النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله»^(١).

أما من أخرجته بدعته عن الإسلام فإنه من أمة الدعوة لا الإجابة فيخلد في النار، وهذا هو الراجح، وقيل: المراد بالأمة في هذا الحديث أمة الدعوة، وهي عامة تشمل كل من بعث إليهم النبي ﷺ من آمن منهم ومن كفر، والمراد بالواحدة أمة الإجابة، وهي خاصة بمن آمن بالنبي ﷺ إيماناً صادقاً ومات على ذلك، وهذه هي الفرقة الناجية من النار، إما بلا سابقة عذاب وإما بعد سابقة عذاب، ومآلها الجنة.. وأنا الاثنان والسبعون فرقة فهي ما عدا الفرقة الناجية، وكلها كافرة مخلدة في النار، وبهذا يتبين أن

(١) الشيخ ابن عثيمين، نقلاً من «مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين» (٣/٣) ط. دار الوطن.

(٢) أصل الحديث عند الإمام البخاري (٣٦٣٩)، ورواه أحمد (٣٤/٥، ٢٧٩، ٢٧٨، ٢٦٩).



أمة الدعوة أعم من أمة الإجابة، فكل من كان من أمة الإجابة فهو من أمة الدعوة وليس العكس^(١).

س ٢١: بالنسبة لبعض الدول المسلمة التي تبيح كثيرًا من المنكرات كالمسكرات والزنا فهل يعد ذلك من الكفر البواح الذي يجيز الخروج عليها؟

ج: هناك فرق بين من يستبيح ما حرم الله، وبين من يفعل ما حرم الله وهو غير مستبيح له، كالذي يشرب الخمر وهو يعتقد أنه حرام، أو يأكل الربا، وهو يعتقد أنه حرام، أو يزني وهو يعتقد أن الزنا حرام فهذا لا يكفر، هذا يكون فاسقًا ناقص الإيمان. وإن كان عليه حد يطبق عليه الحد؛ حد الزنا، حد السرقة، حد الشرب، لكن لا يحكم بكفره؛ لأنه لم يستبيح هذا الشيء، أما من استباح هذه الأشياء، فإنه يكفر؛ لأن من استباح شيئًا مجمع على تحريمه، فإنه يكفر ولو لم يفعله فكيف إذا فعله^(٢).

(١) اللجنة الدائمة، نقلًا عن «مجلة التوحيد» العدد (٤١٣) جمادى الأولى سنة ١٤٢٧ هـ.

(٢) الشيخ/ صالح الفوزان، نقلًا عن «التكفير وضوابطه».. اعتنى به أبو عبد الرحمن عادل بن علي، ص ٤٦، ط. دار الإمام أحمد، وانظر أيضًا: كتاب «دروس العام»، جمع وترتيب الشيخ/ عبد الملك القاسم، ط. دار القاسم، ص ٣٥٩.

قلت «القائل علي»: إن التكفير موضوع هام، كثر فيه الخوض قديمًا وحديثًا، وهو مضلة أفهام، ومزلة أقدام، ولخطورة هذا الموضوع اهتم به العلماء، فألفوا فيه كتبًا كثيرة، من أجل درء الخطر عن هذه الأمة، وبيان الحق من الباطل في هذا الباب.. ولنعلم جميعًا: أنه لا يجوز أن يتكلم في هذا الباب من ليس عنده علم أو معرفة أو بصيرة، ولا يحكم بالكفر إلا على من كفره الله ورسوله؛ لارتكابه ناقضًا من نواقض الإسلام المجمع عليها بين العلماء.. وليحذر كل من أطلق حكم التكفير على مسلم معين بغير الضوابط الشرعية التي قررها علماء أهل السنة والجماعة في هذا الباب، وليعلم أنه قد ارتكب جريمتين عظيمتين:

إحدهما أعظم من الأخرى، وهي: أنه قال على الله بغير علم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [النعام: ٢١].

=



س ٢٢: سئل فضيلة الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -: السحر والكهانة والتنجيم والعرافة، هل بينهما اختلاف في المعنى؟ وهل هي سواء في الحكم؟
ج: السحر: عبارة عن عزائم ورقى وعقد يفعلها السحرة بقصد التأثير على الناس بالقتل أو الأمراض أو التفريق بين الزوجين، وهو كفر وعمل خبيث ومرض اجتماعي شنيع يجب استئصاله وإزالته وإراحة المسلمين من شره.
والكهانة: ادعاء علم الغيب بواسطة استخدام الجن. قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في «فتح المجيد»: وأكثر ما يقع في هذا ما يخبر به الجن أولياءهم من الإنس عن الأشياء الغائبة بما يقع في الأرض من الأخبار؛ فيظنه الجاهل كشفاً وكرامةً، وقد اغتر كثير من الناس بهم حتى أنهم يظنون المخبر بذلك عن الجن ولياً لله، وهو من أولاء الشيطان.
ويجوز الذهاب إلى الكهان: روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه بما يقول: لم تقبل صلاته أربعين يوماً»^(١).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

الجريمة الثانية: أنه جنى على هذا المسلم، فحكم عليه بالكفر وأخرجه من الإسلام، وهذا يترتب عليه أحكام؛ منها أن الرجل إذا كان متزوجاً فإنه يلزم زوجته أن تفارقه، كذلك فهو لا يرث ولا يورث، وإذا مات لا يغسل، ولا يكفن ولا يصلى عليه، ولا يدعى له، ولا يُدفن في مقابر المسلمين.. فالذي حكم عليه بالكفر بغير حق يتحمل هذه الأمور كلها؛ لأنها تنبني على كلامه وعلى قوله، لقد قال ﷺ: «من قال لأخيه يا كافر، أو يا منافق، أو يا خبيث، أو يا عدو الله، وهو ليس كذلك، إلا حاد عليه».. فالواجب علينا جميعاً تقوى الله، وحفظ اللسان من التسرع في الحكم على الخلق بالكفر، ولنعلم أن التكفير حكم شرعي لا يجوز إطلاقه إلا من العلماء الراسخين في العلم، إذ هم أعلم الناس بمراد الله، كذلك فهم أثبت الناس وأعلمهم بشروط وقوع الكفر على معين، وانتفاء الموانع عنه، خلافاً للجهال والمشرعين، وأنصاف المتعلمين، فإن أرخص شيء عندهم هو التكفير، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) صحيح مسلم (٤/ ٧٥١).



قال البغوي: والعراف: هو الذي يدّعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة، وقيل: هو الكاهن.
والتنجيم: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، وهو من أعمال الجاهلية.

س ٢٣: ما هي الوسيلة الشرعية للوقاية من السحر؟

ج: أن يسأل الله -جل وعلا- العافية، ويتعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق [ثلاث مرات]، وأن يقول: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم» [ثلاث مرات في اليوم والليلة]، كذلك يقرأ آية الكرسي بعد كل صلاة وعند النوم، وقراءة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، والمعوذتين، بعد كل صلاة وبعد الفجر والمغرب [ثلاث مرات]، والإكثار من ذكر الله جل وعلا، والإكثار من قراءة كتابه العظيم، وسؤاله -سبحانه وتعالى- أن يكفيك شر كل ذي شر، وأن يقول: «أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما خلق، وذراً وبرأ، ومن شر كل طارق، إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن»^(١).

س ٢٤: اختلف الشباب حول مسألة التكفير إلى قولين:

الفريق الأول يقول: يجوز لنا إطلاق على كل من وقع في الكفر، وظهر منه صرفه أي نوع من أنواع العبادة لغير الله «كالاستغاثة، والنذر، والذبح، والطواف حول القبور.. إلخ» أو من احتكم إلى غير شرع الله طائعاً مختاراً راضياً كالعلمانيين لعموم النصوص والفتاوى الصادرة بهذا الشأن.

(١) راجع كلام الشيخ/ صالح الفوزان، نقلاً عن «دروس العام» ص ٤٥٦، ط. دار القاسم، وأنصح بالاطلاع على كتاب «ارقي نفسك وأهلك» للدكتور/ الجريسي، وكتاب «الرقية النافعة» دكتور/ سعيد عبد العظيم.



الفريق الثاني يقول: إن التكفير أمر خطير، لا يجوز لكل أحد أن يتكلم فيه، وهو من صلاحيات العلماء الراسخين والقضاة الشرعيين، ويجب التفريق بين الفعل والفاعل، والقول والقائل، فلا يجوز إطلاق الكفر على من صرف نوعاً من أنواع العبادة المذكورة حتى ينظر إلى إقامة الحجة، وبيان المحجة، وإزالة الشبهة.. وهذا ليس للشباب، بل للعلماء والقضاة الشرعيين فقط، فما قولكم فضيلة الشيخ؟

ج: أولاً: يجب التفريق بين المطلق والمقيد في حالة حكاية مذاهب العلماء في هذه المسألة أو غيرها. فمثلاً يستدل البعض بقول عالم من العلماء: إن نذر، أو ذبح، أو استغاث بغير الله؛ فهو مشرك، حلال الدم والمال.. إلخ!! فيقول هذا المستدل: إن مذهب هذا العالم هو عدم العذر بالجهل في مسائل العقيدة، أو التوحيد، والدليل أنه قال: مشرك، ولم يقل: حتى تقام عليه الحجة!! وقد يرد على هذا الاستدلال: أنه نص عام، وليس فيه تعيين شخص معين، فعند التعيين لا بد من قيام الحجة، والعالم لم ينف ذلك.

* والصحيح في مثل هذه النصوص: أنه لا يجوز نسب قول أو رأي لعالم في مسألة ما إلا بجمع النصوص المختلفة عنه في هذه المسألة أو تلك، ثم بعد ذلك استخلاص رأيه؛ لأن الأخذ بقول دون بقية الأقوال وجمعها إلى بعضها من عادة أهل الزيغ والضلال.

* كما أنه لا يلزم أن يُقال في كل نص من النصوص العامة: ما لم تقم عليه الحجة!

لأن العلماء في كثير من الأحيان لا يذكرون الأعذار، فهم حين يقولون: مَنْ فعل كذا فقد كفر، لا يقولون: إلا إن كان متأولاً أو جاهلاً أو مكرهاً، إلخ!! ولعل هذا يشبه قولهم: أن الزاني والسارق وشارب الخمر لا يكفرون، لا يلزم أن يقال في كل نص: إلا إن كان مستحلاً!

فنصيحتي لأي أحد لزيد وعمر أن يتركوا هذه المسألة، ويتوجهوا لطلب العلم الشرعي على أيدي العلماء المتخصصين.



لأن هذه الطرق تؤدي إلى بلبلة الأكفار.

وثانيًا: الأمة الإسلامية تجني الولايات بسبب هذا الفكر الخبيث الذي انتشر بين أوساط الشباب، وسببه: عدم الرجوع إلى أهل العلم، والذي يجر من بعده إلى التفجير، وقتل الأبرياء من المسلمين والمعاهدين^(١).

س ٢٥: يحتفل بعض الناس في اليوم الرابع عشر من شهر فبراير ١٤ / ٢ من كل عام ميلادي بيوم الحب (فالتين داي **valentine day**) ويتهادون الورود الحمراء، ويلبسون اللون الأحمر ويهتثون بعضهم، وتقوم بعض المحلات بصنع حلويات باللون الأحمر، ويرسم عليها قلوب، وتعمل بعض المحلات إعلانًا على بضائعها التي تخص هذا اليوم، فما هو رأيكم في:

أولًا: الاحتفال بهذا اليوم المسمى بعيد الحب؟

ثانيًا: الشراء من المحلات في هذا اليوم؟

ثالثًا: بيع أصحاب المحلات غير المحتفلة لمن يحتفل ببعض ما يُهدى في هذا اليوم؟
وجزاكم الله خيرًا.

ج: وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء؛ أجابت بأنه دلت الأدلة الصريحة من الكتاب والسنة وعلى ذلك أجمع سلف الأمة أن الأعياد في الإسلام اثنان فقط، هما: عيد الفطر وعيد الأضحى، وما عداهما من الأعياد سواء كانت متعلقة بشخص أو جماعة أو حدث، أو أي معنى من المعاني فهي أعياد مبتدعة لا يجوز لأهل الإسلام فعلها ولا إقرارها ولا إظهار الفرح بها، ولا الإعانة عليها بشيء؛ لأن ذلك من تعدي حدود الله، ومن يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه، وإذا انضاف إلى العيد المخترع كونه من أعياد الكفار فهذا إثم؛ لأن في ذلك تشبهًا بهم ونوع موالة لهم، وقد نهى الله - سبحانه - المؤمنين عن

(١) راجع كلام الشيخ/ صالح الفوزان، نقلًا عن «الأسئلة العراقية» ص ٢٠، ٢١.



التشبه بهم وعن موالاتهم في كتابه العزيز، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من تشبه بقوم فهو منهم».

وعيد الحب هو من جنس ما ذكر؛ لأنه من الأعياد الوثنية النصرانية، فلا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفعله أو يقره أو يهنئ به؛ بل الواجب تركه واجتنابه استجابةً لله ورسوله، وبُعْدًا عن أسباب سخط الله وعقوبته، كما يحرم على المسلم الإعانة على هذا العيد أو غيره من الأعياد المحرمة بأي شيء؛ من أكل، أو شرب، أو بيع، أو شراء، أو صناعة، أو هدية، أو مراسلة، أو إعلان أو غير ذلك؛ لأن ذلك كله من التعاون على الإثم والعدوان ومعصية الله والرسول، والله - جل وعلا - يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

ويجب على المسلم الاعتصام بالكتاب والسنة في جميع أحواله، لا سيما في أوقات الفتن وكثرة الفساد، وعليه أن يكون فطنًا حذرًا من الوقوع في ضلالات المغضوب عليهم والضالين والفاسقين الذين لا يرجون الله وقارًا، ولا يرفعون بالإسلام رأسًا، وعلى المسلم أن يلجأ إلى الله تعالى بطلب هدايته والثبات عليها؛ فإنه لا هادي إلا هو سبحانه وتعالى.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم^(١).

س ٢٦: هل يصح قولنا: لا حول الله؟

ج: هذا خطأ في التعبير، والصحيح قولهم: «لا حول ولا قوة إلا بالله».. والواجب أن تعدل على الوجه الذي يراد بها حتى نتجنب الوقوع في الخطأ^(٢).

(١) فتوى اللجنة الدائمة الصادرة برقم (٢١٢٠٣) بتاريخ ٢٣/ ١١/ ١٤٢٠ هـ.

(٢) الشيخ/ ابن عثيمين.



س ٢٧: كثيرًا ما يقول الشباب في هذه الأيام: «هذه أيام سوداء»، «يا خيبة الزمن»، «زمان غدار»، فما حكم هذه الكلمات؟

ج: الأول: أن تكون سبًّا وقدحًا في الزمن، فهذا حرام ولا يجوز؛ لأن ما حصل من الزمن فهو من الله عز وجل، فمن سبه فقد سب الله، ولهذا قال تعالى في الحديث القدسي: «يؤذيني ابن آدم يعيب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار».

الثاني: أن يقولها على سبيل الإخبار، فهذا لا بأس به، ومنه قوله تعالى عن لوط عليه السلام: ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧] أي شديد. وكل الناس يقولون: هذا يوم شديد، وهذا يوم فيه كذا وكذا من الأمور، وليس فيه شيء.

وأما قوله: «هذا الزمان غدار»، فهذا سب؛ لأن الغدر صفة ذم ولا يجوز^(١).

س ٢٨: ما قولكم في هذه الألفاظ: «شاءت الظروف أن يحصل كذا وكذا»، و «شاءت الأقدار كذا وكذا»؟

ج: قول: «شاءت الأقدار» و «شاءت الظروف» ألفاظ منكرة؛ لأن الظروف جمع ظرف، وهو الأزمان، والزمن لا مشيئة له، وكذلك الأقدار جمع قدر، والقدر لا مشيئة له، وإنما الذي يشاء فهو الله عز وجل، نعم لو قال الإنسان: «اقتضى قدر الله كذا وكذا» فلا بأس، أما المشيئة فلا يجوز أن تضاف للأقدار؛ لأن المشيئة هي الإرادة ولا إرادة للوصف، وإنما الإرادة للموصوف^(٢).

س ٢٩: تسمع من يقول: «حرية الفكر» و «حرية الاعتقاد» و «حرية الإبداع» مطلقاً، فما تعليقكم على ذلك؟

(١) الشيخ/ ابن عثيمين «مجموع الفتاوى والرسائل» (٣/ ١٣٥).

(٢) الشيخ/ ابن عثيمين، «مجموع الفتاوى والرسائل» (٣/ ١٣٦).



ج: تعليقنا على ذلك أن الذي يجيز أن يكون الإنسان حر الاعتقاد يعتقد ما شاء من الأديان فإنه كافر؛ لأن كل من اعتقد أن أحدًا يسوغ له أن يدين بغير دين محمد، فإنه كافر بالله عز وجل، يستتاب، فإن تاب، وإلا وجب قتله، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] ^(١).

كذلك فإن هذا الكلام يحتاج إلى ضابط ألا وهو «فيما يخالف الشريعة الإسلامية». س ٣٠: هل هذه العبارة صحيحة «بفضل الدكتور فلان تغير هذا الأمر» أو «بجهدي صار الأمر كذا»؟

ج: هذه العبارة صحيحة إذا كان للمذكور أثر في حصوله، فإن الإنسان له فضل على أخيه إذا أحسن إليه، فإذا كان للإنسان في هذا الأمر أثر حقيقي فلا بأس أن يقال: «هذا بفضل فلان»، أو «مجهود فلان»، أو ما أشبه ذلك؛ لأن إضافة الشيء إلى سببه المعلوم جائزة شرعاً وحسباً، ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال في عمه أبي طالب: «لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».

وكان أبو طالب يعذب في نار جهنم في ضحضاح من نار، وعليه نعلان يغلي منهما دماغه، وهو أهون أهل النار عذاباً والعياذ بالله، فقال النبي ﷺ: «لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».

أما إذا أضاف الشيء إلى سبب وليس بصحيح فإن هذا لا يجوز، وقد يكون شرعاً، كما لو أضاف حدوث أمر لا يحدثه إلا الله إلى أحد من المخلوقين، أو أضاف شيئاً إلى أحد من الأموات أنه هو الذي جلبه له، فإن هذا من الشرك في الربوبية ^(٢).

(١) الشيخ/ ابن عثيمين، نقلاً عن مجموع الفتاوى والرسائل، (٣/ ١٣٧) بتصرف.

(٢) الشيخ/ ابن عثيمين «مجموع الفتاوى والرسائل» (٣/ ١٢٦).



س ٣١: نسمع كثيراً في الجامعة من يقول: «المجاهد الشهيد فلان» فما حكم هذا القول؟

ج: الشهادة لأحد بأنه شهيد تكون على وجهين:

أحدهما: أن تُقيد بوصف، مثل أن يقال: كل من قُتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن مات بالطاعون فهو شهيد، ونحو ذلك فهذا جائز كما جاءت به النصوص؛ لأنك تشهد بما أخبر به الرسول ﷺ.

والثاني: أن تُقيد الشهادة لشخص معين، مثل أن تقول لشخص بعينه: إنه شهيد، فهذا لا يجوز إلا لمن شهد له النبي ﷺ واتفقت الأمة على الشهادة له بذلك، لأن الشهادة بالشيء لا تكون إلا عن علم به، وشرط كون الإنسان شهيداً أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وهي نية باطنة لا سبيل إلى العلم بها.

ولكن من كان ظاهره الصلاح فإننا نرجو له ذلك، ولا نشهد له به، ولا نسيء به الظن، والرجاء مرتبة بين المرتبتين؛ ولكننا نعامله في الدنيا بأحكام الشهداء، فإذا كان مقتولاً في الجهاد في سبيل الله دُفن بدمه في ثيابه من غير صلاة عليه، وإن كان من الشهداء الآخرين فإنه يغسل ويكفن ويصلى عليه.

ولأننا لو شهدنا لأحد بعينه أنه شهيد لزم من تلك الشهادة أن تشهد له بالجنة، وهذا خلاف ما كان عليه أهل السنة؛ فإنهم لا يشهدون بالجنة إلا لمن شهد له النبي ﷺ بالوصف أو بالشخص، وذهب آخرون منهم إلى جواز الشهادة بذلك لمن اتفقت الأمة على الثناء عليه، وإلى هذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - وبهذا تبين أنه لا يجوز أن نشهد لشخص بعينه أنه شهيد إلا بنص أو اتفاق؛ لكن من كان ظاهره الصلاح فإننا نرجو له ذلك^(١).

(١) راجع كلام الشيخ/ ابن عثيمين، نقلاً عن «مجموع الفتاوى والرسائل» (٣/ ١١١٧)، ط. دار الوطن.



س ٣٢: هل يجوز أن نقول لمن أسرف على نفسه في المعاصي: «فلان بعيد عن الهداية، أو عن الجنة، أو عن مغفرة الله»؟

ج: لا يجوز هذا القول؛ لأنه من باب التألي على الله - عز وجل - وقد ثبت في الصحيح أن رجلاً كان مسرفاً على نفسه، وكان يمر به رجل آخر، فيقول: «والله لا يغفر الله لفلان»... فقال الله عز وجل: «مَنْ ذا الذي يتألى عليَّ ألا أغفر لفلان، قد غفرت له، وأحببت عملك»..

فلا يجوز للإنسان أن يستبعد رحمة الله - عز وجل - كم من إنسان قد بلغ في الكفر مبلغاً عظيماً، ثم هداه الله فصار من الأئمة الذين يهدون بأمر الله - عز وجل -، والواجب على من قال ذلك أن يتوب إلى الله، حيث يندم على ما فعل ويعزم على ألا يعود في المستقبل^(١).

س ٣٣: سئل الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - عن وصف الإنسان بأنه حيوان ناطق؟

ج: الحيوان الناطق يطلق على الإنسان كما ذكره أهل المنطق، وليس فيه عندهم عيب؛ لأنه تعريف بحقيقة الإنسان، لكنه في العرف قول يعتبر قدحاً في الإنسان، ولهذا إذا خاطب الإنسان به عامياً فإن العامي سيعتقد أن هذا قدح فيه، وحينئذ لا يجوز أن يخاطب به العامي؛ لأن كل شيء يسيء إلى المسلم فهو حرام، أما إذا خوطب به من يفهم الأمر على حسب اصطلاح المناطقة، فإن هذا لا حرج فيه؛ لأن الإنسان لا شك أنه حيوان باعتبار أن فيه حياة، وإن الفضل الذي يميزه عن غيره من بقية الحيوانات هو النطق، ولهذا قالوا: إن كلمة «حيوان» جنس، وكلمة «ناطق» فصل، والجنس يعم المعروف وغيره، والفصل يميز المعروف عن غيره^(٢).

(١) راجع فتوى الشيخ/ ابن عثيمين، نقلاً عن «مجموع الفتاوى والرسائل» (٣/ ١٢٣).

(٢) انظر «مجموع الفتاوى والرسائل» (٣/ ١٢٦).



س ٣٤: ما حكم الدين في العلمانية، وهل الخلاف بين الإسلام والعلمانية يدخل في الأصول أم هو في نطاق الفروع؟!
ج: أجاب الشيخ الشعراوي قائلاً:
«العلمانية ضد الدين، والخلاف بين العلمانية والإسلام هو في أصل الأصول... هات لنا جزءاً طبقت فيه الشريعة تطبيقاً صحيحاً وحدث منه فساد، وفي المقابل هاتوا جزءاً حكّمته الأهواء ونتج عنه صلاح...
ثم قال رحمه الله: لقد انطلق أعداء الله في حربهم على الإسلام من منطلقات شتى، وأظهروا مذاهب مختلفة أسموها العلمانية واليسارية وغير ذلك، وكلها متفق على العداء للإسلام وأهله، والحرب على منهج الله»^(١).

(١) راجع «فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف حول العلمانية»، من ص ٧٦ إلى ص ٨٥، ط. دار اليسر.

ثانياً: من مشكلات الشباب

س ١: أنا شاب أعاني من حالة نفسية سيئة للغاية والوسواس القهري، وكنت دائماً أتمنى الموت، فهل يجوز ذلك؟

ج: لا يجوز لك أن تتمنى الموت؛ لعموم قوله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا محالة فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»... ونصحك بالتوبة والاستغفار، وكثرة الطاعات، والمحافظة على الفرائض، والقرب من أهل الخير، وكثرة مجالستهم، والبعد عن الأشرار ومجالستهم، وعسى الله أن يعافيك ويشرح صدرك للحق^(١).

س ٢: أحياناً يوسوس لي الشيطان فيسألني: من خلق هذا؟ إلى أن يقول: ومن خلق الله تعالى.. فماذا أصنع بهذا الوسواس؟

ج: قد أخبر النبي ﷺ أن الشيطان يأتي إلى الإنسان فيقول له: من خلق كذا، ومن خلق كذا.. إلى أن يقول له: ومن خلق الله. وأعلمنا رسول الله ﷺ بالدواء الناجح، وهو أن نستعيز بالله من الشيطان الرجيم، وننتهي عن هذا^(٢).

س ٣: أريد أن أخلص لله في عملي، فماذا أفعل؟
ج: عليك بأداء شعائر الإسلام؛ امتثالاً لأمر الله، وطلباً لمثوبته، ولا تلتفت إلى ما يتتابك من الوسوسة بأن عملك هذا رياء، وحارب ما استطعت^(٣).

(١) «فتاوى اللجنة الدائمة» (٣/ ٣٨٢) رقم (٦٣٤٥)، وأنصح بالاطلاع على كتاب «الوسوسة» للشيخ/ فؤاد سراج عبد الغفار، وكتاب «علاج الوسواس القهري» للأستاذ/ عمرو عبد المنعم سليم.
(٢) «فتاوى إسلامية» (٤/ ٤٦٩) الشيخ/ ابن عثيمين.
(٣) «فتاوى اللجنة الدائمة» (٣/ ٣٨٢) رقم (٦٣٤٥)، وأنصح بالاطلاع على كتاب «الوسوسة» للشيخ/ فؤاد سراج عبد الغفار، وكتاب «علاج الوسواس القهري» للأستاذ/ عمرو عبد المنعم سليم.



س ٤: من نقص إيمانه ماذا يفعل؟

ج: عليك بتلاوة القرآن وتدبره والعمل بما فيه، وقراءة ما يوضحه من سنة رسول الله ﷺ والرجوع إلى كلام أهل العلم المعبرين في العقيدة والفقه، وعليك الإكثار من الأعمال الصالحة ومجالسة أهل الخير، وادفع عنك وساوس الشيطان بكثرة ذكر الله والاستغفار، وحاسب نفسك فيما مضى منك، فإن كنت مسيئاً فتب إلى الله واستغفره، وأقلع عن الذنوب واندم على فعلك، واعزم على عدم العودة إلى مثل ذلك^(١).

س ٥: ما الطرق التي يدخل بها الشيطان على الإنسان؟

ج: الطرق التي يدخل بها الشيطان على الإنسان كثيرة، منها أن يأتيه من جهة شهوة فرجه، فيغريه بالزنا، ويسول له من الخلوة بالنساء الأجنيات، والنظر إليهن، ومخالطتهن، وسماع غنائهن، ونحو ذلك، ولا يزال يفتنه حتى يقع في الفاحشة، ومنها أن يأتيه من جهة شهوة بطنه، فيغريه بأكل الحرام وشرب الخمر وتناول المخدرات ونحو ذلك، ومنها أن يأتيه عن طريق غريزة حب التملك، والميل إلى الغنى والثراء، فيغريه بالتوسع في أسباب الكسب حلاله وحرامه، فلا يبالي بأكل أموال الناس بالباطل من ربا وسرقة وغصب واختلاس وغش ونحو ذلك، ومنها أن يأتيه من جهة غريزة حب التسلط والتعالي والتعاضم فيستكبر ويتجبر على الناس ويحقرهم ويسخر منهم إلى غير ذلك من المداخل الكثيرة^(٢).

(١) اللجنة الدائمة (١٣٣/٢) رقم الفتوى (٨٦٩١)، ونصح الأخ الفارئ بمراجعة «بحث تعطير الأنفاس بذكر أحاديث الإخلاص» د/ سيد العفاني، ويراجع بحث: ديب النمل للمستشار محمد وفيق زين العابدين، ط. دار ابن رجب.

(٢) اللجنة الدائمة (١٨٨/٣) رقم (١٢١٦).

(٣) راجع «فتاوى إسلامية» (٤/ ٢٧٤).



س ٦: لقد أغواني الشيطان وفعلت فاحشة الزنا، وأنا أعلم أنها فاحشة كبيرة، وأريد أن أتوب إلى الله - عز وجل - فهل يتوب الله عليّ؟

ج: التوبة بابها مفتوح إلى أن تطلع الشمس من مغربها، فمن تاب إلى الله توبةً نصوحًا من الشرك فما دونه تاب الله عليه، والتوبة النصوح هي المشتملة على الإقلاع عن الذنوب، والندم على ما فات منها، والعزم الصادق على ألا يعود فيها خوفًا من الله سبحانه، وتعظيمًا له، ورجاء لعفوه ومغفرته، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَبَادِيُ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقد أجمع العلماء على أن هذه الآية نزلت في التائبين، ويزاد على الشروط الثلاثة المذكورة في صحة التوبة شرط رابع فيما إذا كانت الحقوق لأدمين، وهو أن يؤدي إليهم حقوقهم من مال أو غيره، أو يستحلهم منها؛ لقول النبي ﷺ: «من كان عنده لأخيه مظلمة من عرض أو شيء فليتحلله اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم؛ إن كان له عمل صالح أخذ من حسناته بقدر مظلمته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»^(١).

والواجب على المسلم أن يحذر الشرك ووسائله وجميع المعاصي؛ لأنه قد يتلى بشيء من ذلك ثم لا يوفق للتوبة^(٢).

س ٧: ما حكم الدين في شاب زنى بفتاة، ولم يطبق عليهما الحد الشرعي في الدنيا ولم يتوبا؟
ج: عقيدة أهل السنة والجماعة أن من مات من المسلمين مصرًا على كبيرة من كبائر الذنوب كالزنا مثلاً؛ يكون تحت مشيئة الله سبحانه، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه على

(١) أخرجه البخاري.

(٢) فتاوى إسلامية (١٥٦/٤) الشيخ/ ابن عثيمين.



الكبيرة التي مات مصرًا عليها، ومآله إلى الجنة؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وللأحاديث الصحيحة المتواترة الدالة على إخراج عصاة الموحدين من النار، ولحديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كنا عند النبي ﷺ فقال: «أتبايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا ولا تنزوا ولا تسرقوا».. وقرأ آية النساء الآية المذكورة وأكثر لفظ سفيان قرأ الآية: «فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب في ذلك شيئًا فعوقب فهو كفارة له، ومن أصاب منها شيئًا من ذلك فستره الله فهو إلى الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له»^(١).

س ٨: لقد اخترت فتاة على خلق ودين لتكون زوجة لي، ولكنني عندما أخبرت والدي بذلك رفض، وحاولت إقناعه ولكنه أصر، وأردت أن أعرف السبب فقال: ليس هناك من سبب، وأنا حائر بين طاعة والدي أو صرف النظر عن هذه الفتاة التي اخترتها، فماذا أفعل؟

ج: هذا السؤال يقتضي أن نوجه النصيحة إلى والدك الذي منعك من الزواج بهذه المرأة التي وصفتها بأنها ذات خلق ودين، فإن الواجب عليه أن يأذن لك في تزوجها إلا أن يكون لديه سبب شرعي يعلمه ويبينه حتى تقتنع أنت، وعليه أن يقدر هذا الأمر في نفسه لو كان أبوه منعه أن يتزوج امرأة أعجبهته في دينها وأخلاقها، أفلا يرى أن ذلك فيه شيء من الغضاظة عليه وكبت حريته، فإذا كان هو لا يرضى أن يقع من والده عليه مثل هذا فكيف يرضى أن يقع منه على ولده مثل هذا، قد قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه».

فلا يحل لأبيك أن يمنعك من التزوج بهذه المرأة بدون سبب شرعي، وإذا كان هناك سبب شرعي فليبينه لك حتى تكون على بصيرة، أما النصيحة التي أوجهها إليك أيها

(١) رواه البخاري.. فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٥٠٣) رقم (٢٢٣٥).



السائل فأنا أقول: إذا كان يمكنك أن تعدل عن هذه المرأة إلى امرأة أخرى إرضاءً لأبيك وحثاً على لَمّ الشمل وعدم الفرقة فافعل.
وإذا كان لا يمكنك بحيث يكون قلبك متعلقاً بها وتخشى أيضاً أنك لو خطبت امرأة أخرى أن يمنعك أبوك من زواجك بها أيضاً؛ لأن بعض الناس قد يكون في قلبه غيرة أو حسد ولو لأبنائه، فيمنعهم ما يريدون.
أقول: إذا كنت تخشى هذا ولا تتمكن من الصبر عن هذه المرأة التي تعلق بها قلبك فلا حرج عليك أن تتزوجها ولو كره والدك^(١).

س ٩: تزوجت فتاةً فوجدتها ليست بكرًا، فساورني الشكوك، فماذا أفعل؟
ج: نرى ألا تهتم من ذلك، فإن البكارة قد تزول بغير الجماع، كالوثبة وكثرة الحيض والإصبع ونحو ذلك، ومع هذا فلا مانع من سؤال الفتاة عن سبب زوال البكارة فإن ادعت ممكناً ونفت الزنا، فالقول قولها، وإن ادعت وطء شبهة أو إكراهًا فهي معذورة، وإن اعترفت بالزنا وأظهرت الندم والتوبة، فالله يقبل التوبة عن عباده^(٢).

س ١٠: أنا شاب في بداية حياتي، فماذا أفعل لأرضي ربي؟
ج: عليك بتقوى الله وطاعته وطاعة رسوله ﷺ، والاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله، والتزام ما يعينك واجتناب ما لا يعينك، والبعد عن الفتن، وملازمة الأخيار ومجانبة الأشرار، والإكثار من تلاوة القرآن مع تدبر معانيه، والمحافظة على الأذكار الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، مع تذلل وحضور القلب، والقراءة في الكتب التي تكثر فيها الحكم والمواعظ، مثل كتاب «الفوائد» وكتاب «الداء والدواء» وكلاهما لابن القيم، وادع الله في سجودك بما ورد في السنة من الأدعية، مع تضرع وخشوع، عسى أن يهديك

(١) الشيخ/ ابن عثيمين «فتاوى إسلامية» (٤/ ١٩٣).

(٢) الشيخ/ ابن عثيمين «فتاوى إسلامية» (٣/ ١٦٠).



ويشرح صدرك للخير، ويدفع عنك الفتن ما ظهر منها وما بطن، ومن الكتب المفيدة «زاد المعاد في هدي خير العباد» و «إغاثة اللهفان» وكلاهما لابن القيم رحمه الله، و «فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد» مع العناية بالصحيحين وتفسير ابن كثير^(١).

س ١١: ما قولكم لمن قيل له: (اتق الله في نفسك) من بعض المعاصي مثل: حلق الحية، وشرب الدخان، وإطلاق البصر، وسماع الأغاني، من يقول: الإيمان في القلب؟! ج: هذه الكلمة كثيرًا ما يقولها بعض الجهال أو المغلطين، وهي كلمة حق يراد بها باطل؛ لأن قائلها يريد ما هو عليه من المعاصي، لأنه يزعم أنه يكفي الإيمان الذي في القلب عن عمل الطاعات وترك المحرمات، وهذه مخالطة مكشوفة، فإن الإيمان ليس في القلب فقط، بل الإيمان كما عرفه أهل السنة والجماعة: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح.

قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني؛ ولكنه ما وقر في القلب وصدفته الأعمال، وعمل المعاصي وترك الطاعات دليل على أنه ليس في القلب إيمان، أو فيه إيمان ناقص، والله تعالى يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾ [آل عمران: ١٣٠].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [البقرة: ٦٢].

فالإيمان لا يسمى إيمانًا كاملاً إلا مع العمل الصالح وترك المعاصي^(٢).

(١) فتاوى إسلامية (٤/ ٤٩٤).

(٢) الفتوى للشيخ/ صالح الفوزان.



س ١٢: يحتج بعض الشباب عند ارتكابهم للحرام بفعل غالب الناس، ويقولون: «لماذا
تخصونا نحن، الناس يفعلون كذا وكذا».

ج: هذا ليس بحجة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَطَعُ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

ولقوله: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٣) [يوسف: ١٠٣]..

والحجة فيما قاله الله ورسوله، وفيما كان عليه السلف الصالح^(١).

س ١٣: أنا شاب كنت مصرّاً على معصية، ثم ندمت على فعلها وتبت إلى الله، ولكن بعد
ذلك بمدة عدت إلى هذه المعصية، ثم ندمت وتبت، ثم عدت، فماذا أفعل؟

ج: إذا علم الله منك الصدق في التوبة والإخلاص، ثم طرأ عليك فيما بعد تغير، وتسلب
عليك الشيطان وغير من حالك، فالله يغفر ما مضى مما قد تبت منه توبة خالصة
نصوحاً، ولا تعد إلى هذا الذنب مرة أخرى، ولا يعد إليك عقاب الذنب الماضي
بعودتك إلى نفس الذنب مرة أخرى.

أما إذا علم الله منك عدم الصدق في التوبة في المرة الأولى، فذنبك لم يغفر؛ لعدم توفر
الإخلاص في التوبة الأولى ولعدم النصح فيها، وليس لأنك عدت إلى الذنب مرة
أخرى^(٢).

س ١٤: أريد أن أحافظ على التزامي بالدين وتمسكي بالشرعية خاصة ونحن في زمان كثرت
فيه المناهج والأفكار الدخيلة؟

ج: الضوابط الشرعية التي تحافظ بها على دينك:

(١) الشيخ/ ابن عثيمين «مجموع الفتاوى والرسائل» (٣/ ١٣٩).

(٢) الشيخ/ عبد الرزاق عفيفي، نقلاً عن «فتاوى ورسائل الشيخ» ص ٦٣٠، ط. دار الفضيلة.



أولاً: أن ترجع إلى أهل العلم والبصيرة، وأن تتعلم منهم، وأن تستشيرهم في كل الأمور خاصة ما يجول في فكرك.

ثانياً: أن تتروى في الأمور كلها، ولا تتعجل، ولا تتسرع في الحكم على الناس، بل عليك أن تثبت من كل قول يأتيك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

ثالثاً: احرص على التزود بالعلم عن طريق مجالسة أهل العلم، والاستماع لأرائهم، وكذلك بقراءة كتب السلف الصالح، وسير المصلحين من سلف هذه الأمة وعلمائها، وكيف كانوا يعالجون الأمور، وكيف كانوا يعظون الناس، وكيف كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وكيف كانوا يحكمون على الأشياء، وهذا مدون في سيرهم وفي تراجمهم، وفي أخبارهم، وفي قصص الماضين من أهل الخير وأهل الصلاح وأهل الصدق: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

رابعاً: اعلم أن العبرة بالصواب، والصواب والحق ما وافق الكتاب والسنة بفهم السلف، وأما الناس عدا رسول الله ﷺ يصيبون ويخطئون^(١).

س ١٥: ما الحد الذي إذا زاد عنه الإنسان في الدين يعتبر غلوًا، وما تعريف الغلو وكذلك حد التفريط في الدين؟

ج: الحد الذي إذا زاد عنه الإنسان في الدين يعتبر غلوًا هو الزيادة عن المشروع، وقد نهى النبي ﷺ عن الغلو فقال: «إياكم والغلو في الدين»^(٢).

(١) الشيخ صالح الفوزان، نقلاً عن: «الأجوبة المفيدة» ص ٢٤٦.

(٢) رواه أحمد وغيره بإسناد صحيح.



أما التفريط: فهو التقصير في القيام بما أوجب الله من فعل بعض المعاصي، كالزنا والغيبة والنميمة، أو ترك بعض الواجبات: كبر الوالدين، وصلة الأرحام، ورد السلام، ونحو ذلك، وبالله التوفيق^(١)

س ١٦: ما حكم الاستهزاء بالملتزمين بأوامر الله ورسوله خاصة وأن كثيراً من وسائل الإعلام تستهزئ بالدين وأهله، وتجعلهم مادة للسخرية؟

ج: الاستهزاء بالملتزمين بأوامر الله ورسوله لكونهم التزموا بذلك محرم وخطير جداً على المرء؛ لأنه يخشى أن تكون كراهية لكرهية ما هم عليه من الاستقامة على دين الله، وحينئذ يكون استهزاؤه بهم استهزاء بطريقهم الذي هم عليه؛ فيشبهون ما قال الله عنهم: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

فإنها نزلت في قوم من المنافقين قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء - يعنون رسول الله ﷺ وأصحابه - أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء، فأنزل الله فيهم هذه الآية، فليحذر الذين يسخرون من أهل الحق لكونهم من أهل الدين، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ٣٢ وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَفَظِينَ ٣٣ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ٣٤ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ٣٥ هَلْ تُوِبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ [المطففين: ٢٩-٣٦].

س ١٧: إذا أمرني والداي أن أترك أصحاباً طيبين وزملاء أحياناً، فهل تجب علي طاعتهم؟

(١) اللجنة الدائمة، رقم (٨٩٤٦).



ج: ليس عليك طاعتها في معصية الله، ولا فيما يضرّك؛ لقول النبي ﷺ: «إنما الطاعة في المعروف».

وقوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

فالذي ينهك عن صحبة الأخيار لا تطعه، لا الوالدين ولا غيرهما، لكن تخاطب والديك بالكلام الطيب، وبالتي هي أحسن، كأن تقول: يا والدي بارك الله فيك، ويا أمي حفظك الله، هؤلاء طيبون، وكلّمهم بكل أدب وبلين، ورد عليهم بالكلام الطيب والأسلوب الحسن، لا بالعنف والشدة، وإذا منعك فلا تخبرهما أنك تتبع الأخيار وتتصل بهم، ولكن عليك ألا تطعهما إلا في الطاعة والمعروف، وإذا أمرك بمصاحبة الأشرار، أو أمرك بالتدخين أو شرب الخمر والزنا أو بغير ذلك فلا تطعهما، ولا غيرهما في ذلك، وبالله التوفيق^(١).

س ١٨: لقد كنت من الشباب المستهتر، فمَنَّ الله تعالى عليّ بالهداية، ولكنني في حيرة شديدة ولا أعرف لمن أقرأ، ولا لمن أستمع، ومن هم العلماء الذين يقتدى بهم؟
ج: جزاك الله خيراً، وثبتك على الحق والهدى، أما عن إجابة سؤالك لما تقرأ وتسمع، فاستمع إلى أهل العلم، وها هي أوصافهم: فهم أهل العلم بالله تعالى، الذين تفقهوا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتحلوا بالعلم النافع، وكذلك يتحلون بالعمل الصالح، فلا يُقْتَدَى بعالم لا يعمل بعلمه، ولا يُقْتَدَى بجاهل ليس عنده علم، ولا يُقْتَدَى إلا بمن جمع بين الأمرين: العلم النافع والعمل الصالح، وهم والحمد لله كثير، وعرف عنهم العلم والتقوى والورع.. وعلى رأسهم سماحة الشيخ/ابن باز رحمه الله تعالى، وفضيلة الشيخ/محمد بن صالح العثيمين، وفضيلة الشيخ/الألباني، وغيرهم من هذا حذوهم من العلماء الربانيين.

(١) الشيخ/ابن باز، نقلاً عن: «فتاوى إسلامية» (٤/٢٠٦).



فلا يجوز الأخذ عن الجاهل ولو كانوا متعالمين، ولا الأخذ عن المنحرفين في العقيدة بشرك أو تعطيل، ولا الأخذ عن المبتدعة والمنحرفين وإن سمو علماء..

فالأصناف الثلاثة: أهل العلم النافع والعمل الصالح، وأهل العلم بدون عمل، وأهل العمل بدون علم، وقد ذكر الله تعالى هذه الأصناف في آخر سورة الفاتحة، وأمرنا أن نسأله أن يهدينا إلى طريق الصنف الأول، وأن يجنبنا طريق الصنفين الآخرين، قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

س ١٩: سئل الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - عن يسهر ولا يستطيع أن يصلي الفجر إلا بعد خروج الوقت، فهل تقبل منه؟ وحكم بقية الصلوات التي يصلّيها في الوقت؟
ج: أما صلاة الفجر التي يؤخرها عن وقتها وهو قادر على أن يصلّيها في الوقت؛ لأن بإمكانه أن ينام مبكراً، فإن صلاته هذه لا تقبل منه؛ لأن الرجل إذا أخر الصلاة عن وقتها بدون عذر، ثم صلاها فإنها لا تقبل منه؛ لقول النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». والذي يؤخر الصلاة عن وقتها عمداً بلا عذر قد عمل عملاً ليس عليه أمر الله ورسوله، فيكون مردوداً عليه. لكن قد يقول: إنني أنا، وقد قال النبي ﷺ: «من نام عن صلاة، أو نسيها فليصلها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك». فنقول: إذا كان بإمكانه أن ينام مبكراً ليستيقظ مبكراً، أو يجعل عنده ساعة تنبهه، أو يوصي من ينبهه فإن تأخير الصلاة وعدم قيامه يعتبر تعمداً لتأخير الصلاة عن وقتها فلا تقبل منه، أما بقية الصلوات التي كان يصلّيها في وقتها فإنها مقبولة^(١).

س ٢٠: أرشدوني إلى الطريقة التي تعينني على حفظ كتاب الله؟

(١) هذه فتوى الشيخ/ صالح الفوزان، نقلاً عن «الأجوبة المفيدة» ص ٢٥٤.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١٢/ ٢١).



ج: نوصيك بالعناية بالحفظ، واختيار الأوقات المناسبة للحفظ، كآخر بالليل، أو بعد صلاة
الفجر، أو في بقية الأوقات التي تكون فيها مرتاح النفس؛ حتى تستطيع الحفظ
والمذاكرة، مع سؤال الله التوفيق والإعانة، فمن استعان بالله صادقاً أعانه الله ويسر
أمره^(١).

(١) مجلة البحوث الإسلامية (٣٨/ ١٣٣).

ثالثاً: أسئلة فقهية شبابية

س ١: شاب أحدث حدثاً أكبر، كيف يغتسل من الجنابة؟
ج: الغسل طهارةً واجبةً من الحدث الأكبر كالجنابة والحيض، وكيفية الغسل على النحو التالي:

أن ينوي الغسل بقلبه دون النطق بالنية، ثم يسمي فيقول: «بسم الله»، ثم يتوضأ وضوءاً كاملاً، ثم يحثي الماء على رأسه فإذا أرواه أفاض عليه ثلاث مرات، ثم يغسل سائر بدنه^(١).

س ٢: ما حكم المسح على الجوربين؟

ج: في المسح على الجوربين في الوضوء خلاف؛ فمن أهل العلم من منعه، ومنهم من أجازته، والصحيح أنه جائز إذا لبسهما على طهارة، وكانا ساترين للقدمين والكعبين لمدة يوم وليلة للمقيم، وثلاثة أيام للمسافر، إلى غير ذلك من شروط المسح؛ لما ثبت عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: توضأ النبي ﷺ ومسح على الجوربين والنعلين^(٢).

وقد عمل به ابن مسعود والبراء بن عازب وأنس بن مالك وأبو أمامة وسهل ابن سعد وغيرهم، وهو قول جماعة من أهل العلم^(٣).

س ٣: أنا طالب أزهرى، وأستيقظ في بعض الأيام ويكون الجو شديد البرودة وأنا جنب، ولا أقدر على الاغتسال في الصباح، وأذهب إلى المعهد، فهل يجوز لي قراءة بعض الكتب الشرعية التي أدرسها؛ مع العلم أنها تحوي آيات من كتاب الله؟ أرجو الإفادة.

(١) الشيخ/ ابن عثيمين «أحكام الطهارة» ص ٥٩، ط. جهاز الإرشاد والتوجيه بالسعودية.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) اللجنة الدائمة، رقم (١٩٤٦).



ج: لا يجوز تأخير غسل الجنابة حتى تذهب إلى المعهد وتعود؛ لأن معنى ذلك أن تترك الصلاة طول النهار، وذلك كبيرة من الكبائر، والحمد لله الناس الآن في سعة والحمد لله، فيمكنك تسخين الماء بأي من الوسائل المتوفرة، وإياك أن تنزل من بيتك وأنت على جنابة^(١).

س ٤: ما هي رخص السفر للطلاب المسافرين؟

ج: رخص السفر أربعة:

* صلاة الرباعية ركعتين.

* الفطر في رمضان، ويقضيه عدة من أيام آخر.

* المسح على الخفين ثلاثة أيام بلياليها ابتداء من أول مرة مسح.

* سقوط المطالبة براتبة الظهر والمغرب والعشاء، أما راتبة الفجر وبقية النوافل فإنها باقية على مشروعيتها واستحبابها؛ فيصلّي المسافر صلاة الليل وسنة الفجر وركعتي الضحى وسنة الوضوء وركعتي دخول المسجد وركعتي القدوم من السفر، فإن من السنة إذا قدم الإنسان من سفر أن يبدأ قبل دخول بيته بدخول بيت الله «المسجد» فيصلّي فيه ركعتين.

وهكذا بقية التطوع بالصلاة فإنه لا يزال مشروعاً بالنسبة للمسافر ما عدا ما قلت سابقاً، وهي راتبة الظهر وراتبة المغرب وراتبة العشاء؛ لأن النبي ﷺ كان لا يصلّي هذه الرواتب الثلاث^(٢).

س ٥: أنا طالب جامعي، أدرس في جامعة القاهرة، وأسافر كثيراً بغرض الدراسة؛ ولكن لا أعرف شيئاً عن قصر الصلاة، فأرجو الإفادة؟

(١) انظر فتوى لجنة الفتوى بأنصار السنة، نقلاً عن مجلة التوحيد، عدد ٤١٣، جمادى الأولى سنة ١٤٢٧ هـ.

(٢) الشيخ/ ابن عثيمين، من «فتاوى إسلامية» (١/ ٤٠٤).



ج: أجمع العلماء على مشروعية القصر في الصلاة في السفر، ومن قال غير ذلك فقد شذ عن إجماع المسلمين، وإنما وقع الخلاف في خمس مسائل:

الأولى: حكم القصر: والراجح فيه أنه سنة لإتمام عثمان، وإتمام من أدركه من الصحابة خلفه، ولا شك في أن الصحابة كانوا يقصرون في الأسفار حتى عثمان، وإنما أتم في منى متأولاً، ولم يرد أنه أتم في سفره غيره.

الثانية: مسافة القصر: لأنه لم يرد عن النبي ﷺ تحديد لها، فمن أخذ بالإحصاء لأسفاره ﷺ، قال بالأربعة برد، ومن قال بالإطلاق قال مطلق السفر، لكن النبي ﷺ خرج معه أهل مكة في الحج فقصروا خلفه، ولم يأمرهم بالإتمام، وتأخير البيان عن محله لا يجوز كما هو مقرر في علم الأصول فالمعتبر ليس للمسافر، إنما هي هيئة المسافر وحاله، فهؤلاء حملوا معهم ما يتزودون به في سفرهم، وكانت هيئتهم هيئة المسافرين، أما ما لم يشتمل على هذه الهيئة كالموظف الذي يعمل كل يوم في مكان بعيد يقطع له مسافة طويلة بوسيلة سفر سريعة في كل يوم فليس ذلك بحال يجيز القصر.

الثالثة: السفر الذي يجب فيه القصر: والراجح أنه كل سفر مباح، فلا يقصر في سفر المعصية.

الرابعة: الموطن الذي يبدأ فيه القصر: هو خروجه من حدود بلده، وينتهي بدخولها، وله القصر خارجها وهو برّاها.

الخامسة: إذا أقام في بلد غير دار إقامته فهل يقصر أم يتم؟ الجواب: إن كان حاله حال الغزاة الذين ينتظرون الفتح ليرجعوا بعده أو من حبس لدين يطلبه أو خوف في الطريق يرقبه، فإنه يقصر ما بقي الحال كذلك، وإن كان حاله معرفة نهاية السفر فإن كانت مدة



مكثه أقل من أربعة أيام قصر، وإن كانت أكثر يتم من حين وصوله إلى هذه البلد.. والله أعلم^(١).

س٦: هل يجوز لنا الجمع بين الصلاتين ونحن مقيمون في المدينة في حالة الحصص الدراسية التي لا نستطيع الخروج منها؟

ج: عليك أن تؤدي الصلوات في أوقاتها، ولا تعتبر الدراسة عذرًا لك يرخص لك من أجله تأخير أي صلاة عن وقتها الذي بينه رسول الله ﷺ، فعليك أن تنسق بين دراستك وأداء الصلوات في أوقاتها^(٢).

س٧: أنا شاب لا زلت أدرس، ووالدي رجل غني، وهو يتعامل بالربا وغيره من البيوع المحرمة، فما موقفي من هذا وخصوصًا أنه هو الذي ينفق عليّ، وقد بينت له أن الربا حرام مرارًا؛ ولكن بدون جدوى، فماذا أفعل؟

ج: الدراسة التي يشير إليها السائل هي قطعًا ليست من الأمور الواجبة، وإنما هي سبيل إلى الرزق هذه الأيام، فإذا كان الأمر أنه يعيش تحت كنف أبيه، وهو واثق من أن والده يتعامل بالربا، فعليه أن يتعاطى كل الأسباب للخلاص من هذه المعيشة القائمة على المعصية، ولو أدى الأمر إلى ترك الدراسة؛ لأن الدراسة بذاتها ليست واجبًا عينيًا، وعليه أن يسعى لكسب الرزق الحلال بكد يمينه، وعرق جبينه، هذا خير له وأبقى، فباستطاعة السائل أن يدع الدراسة ولو مؤقتًا، ويسعى أن يوجد لنفسه رزقًا يعف به نفسه ويستغني عن إنفاق أبيه عليه، وإن اضطر غير باغ ولا عاد، أي أن يظل تحت إنفاق أبيه، فليس له أن يتوسع في الطلب منه، وإنما يأخذ بقدر ما يسد به رمقه، ويستغني به عن الناس^(٣).

(١) دار الفتوى بأنصار السنة، نقلاً عن «مجلة التوحيد»، العدد السادس، جمادى الثاني سنة ١٤١٧ هـ.

(٢) اللجنة الدائمة رقم (٦٣٥٤).

(٣) الفتوى للشيخ الألباني، نقلاً عن مجلة الأضالة، ص ٣٩، العدد العاشر، عام ١٤١٤ هـ.



س ٨: ما حكم من يحفظ القرآن للاختبار ثم ينساه؟
ج: من أكثر قراءة القرآن لكنه لم يحفظه؛ لضعف ذاكرته يؤجر على قراءته، ويُعذر في عدم حفظه؛ لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].
ومن حفظ القرآن للاختبار مثلاً، ثم نسيه فقد أساء، وفاته خير كثير^(١).

س ٩: ما حكم الدراسة في المدارس والجامعات المختلطة؟
ج: ننصح المسلم الذي يريد نجاة نفسه أن يبتعد عن أسباب الشر والفتنة، ولا شك أن الاختلاط مع الشابات في المدارس والجامعات من أسباب وقوع الفساد وانتشار الزنا، ولو حاول الشخص أن يحفظ نفسه فلا بد أن يجد صعوبة، لكن إذا ابتلي الشخص بذلك فعليه التحفظ، والاعتزال، وغض البصر، وحفظ الفرج، وعدم القرب من النساء قدر استطاعته، والله أعلم^(٢).

س ١٠: هل يجوز للرجل أن ينظر إلى المرأة الأجنبية أكثر من نظر الفجأة؟ وهل يجوز للطلاب الرجال أن يحضروا محاضرة تلقيها امرأة متبرجة؟
ج: لا يجوز له النظر إليها أكثر من نظر الفجأة إلا إذا دعت الضرورة إليها في حالة الإنقاذ من غرق أو حريق أو هدم أو نحو ذلك أو في حالة كشف طبي أو علاج مرض إذا لم يتيسر من يقوم بذلك من النساء^(٣).

س ١١: أنا طالب جامعي، وفي بعض الأحيان أسلم على الفتيات، فهل سلامي عليهن بنية طيبة في الكلية حلال أم حرام؟

(١) اللجنة الدائمة (٦٣/٤) (٧٧٣١).

(٢) الشيخ ابن جبرين، «فتاوى إسلامية» (١٠٢/٣).

(٣) اللجنة الدائمة، «فتاوى إسلامية»، (٦٨/٣).



ج: لا يجوز الدراسة مع الفتيات في محل واحد، وفي مدرسة واحدة، وفي كرسي واحد، بل هذا من أعظم أسباب الفتنة، فلا يجوز للطالب ولا للطالبة هذا الاشتراك لما فيه من الفتن، وأما السلام فلا بأس أن يسلم عليهما سلاماً شرعياً ليس فيه تعرض لأسباب الفتنة، ولا حرج أن تسلم عليه أيضاً من دون مصافحة؛ لأن المصافحة لا تجوز للأجنبي، بل يكون السلام من بعيد مع الحجاب، ومع البعد عن أسباب الفتنة، ومع عدم الخلوة، فالسلام الشرعي الذي ليس فيه فتنة لا بأس به، أما إذا كان السلام عليها مما يسبب الفتنة أو سلامها عليه كذلك، أي كونه عن شهوة وعن رغبة فيما حرم الله، فهذا ممنوع شرعاً، وبالله التوفيق^(١).

س ١٢: إذا كان الرجل يقوم بعمل المراسلة عن طريق النت مع المرأة الأجنبية، فما الحكم؟
ج: لا يجوز هذا العمل؛ فإنه يثير الشهوة بين الاثنين، ويدفع الغريزة إلى التماس اللقاء والاتصال، وكثيراً ما يحدث بسبب تلك المغازلة والمراسلة فتن، وتغرس حب الزنا في القلب مما يوقع في الفواحش أو يسببها، فننصح من أراد مصلحة نفسه وحمايتها عن المراسلة والمكالمة ونحوها حفظاً للدين والعرض، والله الموفق^(٢).

س ١٣: أنا شاب في الجامعة ومفتون بالنساء، فماذا أفعل؟
ج: عليك أن تغض بصرك عن التطلع إلى النساء، وتقطع تفكيرك فيهن، وتذكر ما أعد الله لأهل التعفف والبعد عن الحرام، وعليك أيضاً أن تبادر إلى الزواج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فهناك ينقطع التفكير وتقتصر على المباح الحلال، والله أعلم^(٣).
وأنصح هذا الشاب بسماع شريط «هتقدر تغمض عينيك» للشيخ علي قاسم على «الإنترنت».

(١) الشيخ ابن باز - رحمه الله - «فتاوى إسلامية»، (٣/ ٧٠).

(٢) الشيخ ابن جبرين، «فتاوى إسلامية»، (٣/ ٧٩).

(٣) الشيخ ابن جبرين، «فتاوى إسلامية»، (٣/ ١٠٦).



س ١٤: ما حكم العلاقات قبل الزواج؟

ج: قول السائل قبل الزواج، إن أراد قبل الدخول وبعد العقد فلا حرج.. لأنها بالعقد تكون زوجته، وإن لم تحصل مراسم الدخول، وأما إذا كان قبل العقد أثناء الخطبة أو قبل ذلك فإنه حرام ولا يجوز لإنسان أن يستمتع مع امرأة أجنبية منه لا بالكلام ولا بنظر ولا بخلوة؛ فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم، ولا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم».

والحاصل أنه.. إذا كان هذا الاجتماع بعد العقد فلا حرج فيه، وإن كان قبل العقد ولو بعد الخطبة والقبول فإنه لا يجوز، وهو حرام عليهما؛ لأنها أجنبية حتى يعقد له عليها^(١).

س ١٥: ما الحكم فيما لو قام شاب غير متزوج وتكلم مع شابة غير متزوجة في الهاتف؟

ج: لا يجوز التكلم مع المرأة الأجنبية بما يثير الشهوة؛ كمغازلة، وتغنج، وخضوع في القول، سواء كان في التليفون أو في غيره؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢] أما الكلام العارض لحاجة فلا بأس به إذا سلم من المفسدة؛ ولكن بقدر الضرورة^(٢).

س ١٦: ما حكم التفكير بفعل الأشياء المحرمة، كأن يفكر شخص أن يسرق مثلاً، أو يفكر أن يزني، وهو يعلم من ذات حاله أنه لن يفعل ذلك؟

(١) «فتاوى إسلامية»، (٣/ ١٨٠)، ابن عثيمين.

(٢) الشيخ ابن جبرين، «فتاوى إسلامية».



ج: ما يقع في نفس الإنسان من الأفكار السيئة كأن يفكر في الزنا أو السرقة أو نحو ذلك، ولا يفعل شيئاً من ذلك فإنه يُعْفَى عنه ولا يلحقه بذلك ذنب؛ لقول النبي ﷺ: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم»^(١). وقوله ﷺ: «من همَّ بسيئة ولم يفعلها لم تُكتب عليه». وفي لفظ: «كُتِبَتْ له حسنة؛ لأنه تركها من جرّائي»^(٢). والمعنى: أنه من ترك السيئة التي همَّ بها من أجل الله؛ كتبها الله له حسنة، وإن تركها لأسباب أخرى لم تُكتب عليه سيئة ولم تُكتب له حسنة، وهذا من فضل الله سبحانه ورحمة لعباده، فله الحمد والشكر^(٣).

س ١٧: ما حكم العادة السرية؟

ج: العادة السرية؛ وهي الاستمنا باليد محرمة، ويجب على كل مسلم الحذر منها؛ لأن فعلها مخالف لقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۚ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥-٧]. ولما في هذه العادة السرية من الأضرار الكثيرة، والله ولي التوفيق^(٤).

س ١٨: ما هو الزواج العرفي؟ وهل يختلف في شيء على الزواج العادي المعروف؟

ج: الزواج العرفي يطلقه بعضهم على المؤقت، وهو نكاح المتعة، وهذا لا يجوز، وذلك إذا حددوا مدة وقت العقد بأن قالوا: نزوجها لك لمدة سنة أو نصف سنة، وبعدها نخلعها منك أو نأخذها، فهذا هو نكاح المتعة، وهو لا يجوز، وإنما يفعله الرافضة اعتماداً على

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) الشيخ ابن باز، «فتاوى إسلامية»، (٤/٥١٥).

(٤) الشيخ ابن عثيمين، «فتاوى إسلامية»، (٣/١٠٦).



أحاديث قديمة منسوخة، والحكم أنه محرم ومنسوخ فلا يجوز، أما النكاح العادي فهو الذي ينكحها نكاح رغبة فيدفع لها صداقها كاملاً ولو خلعها بعد ذلك مباشرة فلا مانع من ذلك^(١).

س ١٩: هل الظن السيئ حرام كله؟ أرجو بهذا الإفادة، جزاكم الله خيراً.
ج: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وليس كل الظن إثماً، فالظن المبني على قرائن تكاد تكون كاليقين لا بأس به، وأما الظن الذي بمجرد الوهم فإن ذلك لا يجوز، فلو فرضنا أن رجلاً رأى مع رجل آخر امرأة، والرجل هذا ظاهره العدالة فإنه لا يحل له أن يتهمه بأن هذه المرأة أجنبية منه؛ لأن هذا من الظن الذي يَأْثُمُ به الإنسان.

أما إذا كان لهذا الظن سبب شرعي فإنه لا بأس به وإلا حرج على الإنسان أن يظنه، والعلماء قالوا: يحرم ظن السوء بمسلم ظاهره العدالة، والله أعلم^(٢).

س ٢٠: تكثر بين أوساط الشباب بالجامعة مجالس النيمة؛ حيث يتجمع بعض الشباب ليسامروا أنفسهم بالغبية والنيمة، فهل يجوز لي مجالستهم؟

ج: هؤلاء الجماعة الذين يتسامرون في أكل لحوم إخوانهم، هؤلاء في الحقيقة سفهاء، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

فهؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس في مجالسهم قد فعلوا كبيرة من الكبائر، والواجب عليك نصيحتهم فإن امتثلوا وتركوا ما هم عليه فذاك، وإلا يجب عليك أن تقوم عنهم؛

(١) الشيخ ابن جبرين، «فتاوى إسلامية»، (٣/ ٢٣٢).

(٢) الشيخ ابن عثيمين، «فتاوى إسلامية»، (٤/ ٥٣٧).



لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ إِذَا مَثَلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

فيكون الجالس في مكان الغيبة كالمغتتاب، فعليك أن تفارق مجالسهم وألا تجلس معهم^(١).

س ٢١: رجل يجتمع مع أصدقائه وفي أثناء الجلسة يشربون المخدرات والخمور، فما حكم الجلوس معهم؟

ج: لا يجوز القعود مع الفسقة المعلنين بالمعاصي؛ كشرب الخمور، واستعمالات اللهو، والأغاني المحرمة والمزامير والطبول ونحوها، وعلى الإنسان أن ينصح أصدقاءه بالبعد عن هذه المعاصي؛ يحذرهم من العقوبة عليها وآثارها السيئة، فإن لم يقبلوا فليبتعد عنهم حتى لا يشقى معهم^(٢).

س ٢٢: ما حكم الدين في شباب يلعنون بعضهم بعضاً؟

ج: لعن المسلم بغير حق من كبائر الذنوب ومن المعاصي الظاهرة، وإذا كان اللعن للوالدين صار الإثم أكبر وأعظم؛ لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لعن المؤمن كقتله»^(٣).

وقال ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»^(٤).

وقال ﷺ لأصحابه: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قالوا: بلى يا رسول الله. فقال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقول الزور، أو قال: وشهادة الزور»^(٥).

(١) الشيخ ابن عثيمين، «فتاوى إسلامية»، (٤/٤٥٦).

(٢) الشيخ ابن جبرين، «فتاوى إسلامية»، (٤/٤٥٧).

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.



ولا شك أن لعن الوالدين من أقبح العقوق، فالواجب على المسلم عمومًا، وعلى الأولاد خصوصًا مع والديهم الحذر من هذه الجريمة وتطهير ألسنتهم منها، حذرًا من غضب الله وعقابه، وحرصًا على بقاء المودة والأخوة بين المسلم وإخوانه وبين الولد ووالديه^(١).

س ٢٣: ما حكم الفكاكة «النكت» في ديننا الإسلامي، وهل هي من لهو الحديث؟ علمًا بأنها ليست استهزاءً بالدين، أفتونا مأجورين.

ج: التفكه بالكلام والتنكيت إذا كانت بحق وصدق فلا بأس به، ولا سيما مع الإكثار من ذلك، وقد كان النبي ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقًا ﷺ، وأما ما كان بالكذب فلا يجوز؛ لقوله ﷺ: «ويل للذي يحدث فيكذب؛ ليضحك به القوم، ويل له، ثم ويل له»، والله ولي التوفيق^(٢).

س ٢٤: ما حكم ما يفعله الشباب من قذف أعراض بعض البنات واتهامهن بالزنا؟

ج: القذف: هو الرمي بفاحشة الزنا واللواط، هذا هو القذف، وحكمه: هو محرم وكبيرة من كبائر الذنوب، ورمي الإنسان بالزنا واللواط كبيرة من كبائر الذنوب، والله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٢٤ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٢٥ يَوْمَذِ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٣-٢٥]. هذا جزاؤه في الآخرة، أما جزاؤه في الدنيا فهو عدة أمور:

(١) متفق عليه.

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات ابن باز»، (١٤٤/٧)، ط. ابن تيمية.

(٣) الشيخ ابن باز، «فتاوى إسلامية»، (٤/٤٥٦).



الأول: يقام عليه الحد، بأن يُجلد ثمانين جلدةً إذا لم يأت بأربعة شهود يشهدون على ما نطق به؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤].

الثاني: سقوط عدالته؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

الثالث: وصفه بالفسق؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤]. والحاصل أن القذف بجريمة الزنا أو اللواط كبيرة من كبائر الذنوب، يجب على المسلم أن يظهر لسانه منه، وأن يحترم أعراض المسلمين ولا يخوض فيها^(١).

س ٢٥: ما هو الحكم فيما يفعله الناس في الحفلات من التصفيق والتصفيح؟
ج: الحكم في ذلك أنه متلقًى من غير المسلمين فيما يظهر، فلذلك ينبغي للمسلم ألا يستعمله، وأما إذا أعجبه شيء يكبر أو يسبح الله عز وجل، وليس أيضاً على سبيل التكبير الجماعي كما يفعل بعض الناس، إنما يسبح الإنسان بينه وبين نفسه، وأما التكبير الجماعي أو التسبيح الجماعي عندما يأتي شيء يدعو للعجب، فهذا لا أعلم له أصلاً^(٢).

س ٢٦: ما حكم رفض الزواج بحجة إكمال الدراسة؟

(١) فتوى الشيخ صالح الفوزان، نقلاً عن «المنتقى»، (٣٠٧/٥).

(٢) الشيخ ابن عثيمين، «فتاوى إسلامية»، (٣٣٣/٤).



ج: نصيحتي لجميع الشباب والفتيات البدار بالزواج والمسارة إليه إذا تيسرت أسبابه؛
لقول النبي ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر
وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(١).

س٢٧: نلاحظ أن بعض الطلبة في مطاعم المدن الجامعية يأخذون أكثر مما هو محدد لهم
في الوجبة، فما حكم ذلك؟

ج: لا يجوز ذلك؛ لأن الصنف الذي أخذه زائد عما حُدد له محرم عليه؛ لأنه أكل للمال
بالباطل إلا أن يدفع قيمته أو أن يستأذن من تكفل بإطعام الطلبة، أو أن يرضى بذلك
بعد إخباره لأن الحق له^(٢).

س٢٨: هل يجوز شرعاً تحضير الغائب وكتابة اسمه ضمن الحاضرين؟

ج: في هذا الفعل ثلاثة محاذير:

* المحذور الأول: الكذب.

* المحذور الثاني: خيانة المسؤولين في المصلحة.

* المحذور الثالث: أنه يجعل هذا الغائب مستحقاً للراتب المترتب على الحضور، فيأخذه
ويأكله بالباطل، وواحد من هذه المحاذير يكفي بالقول في تحريم هذا التصرف الذي
ظاهر سؤال السائل أنه من الأمور الإنسانية، والأمور الإنسانية ليست محمودةً على
الإطلاق، بل ما وافق الشرع منها محمود، وما خالف الشرع فهو مذموم^(٣).

س٢٩: هل يُعذر الشخص في عدم طلبه للعلم: لسبب انشغاله بدراسته التي ليس لها علاقة
بالعلم الشرعي، أو بسبب عمله أو غير ذلك؟

(١) متفق عليه، وانظر: الفتوى للشيخ ابن باز، «فتاوى إسلامية»، (٣/ ١١٠)، انصح كل فتاة بالاطلاع على كتاب
تأخر سن الزواج أسبابه وأخطاره وطرق علاجه، د/ عبد الرب نواب الدين آل نواب، ط. دار العاصمة.

(٢) الشيخ ابن عثيمين، «فتاوى إسلامية»، (٤/ ٣٢٩).

(٣) الشيخ ابن عثيمين، «فتاوى إسلامية»، (٤/ ٣٢٩).



ج: طلب العلم الشرعي فرض كفاية إذا قام به من يكفي صار في حق الآخرين سنة، وقد يكون طلب العلم واجباً على الإنسان عيناً يعني فرض عين، كما لو أراد الإنسان أن يتعبد لله بعبادة، فإنه يجب عليه أن يعرف فقه هذه العبادة، وعلى هذا فإن الذي يشغله عن طلب العلم الشرعي حماية كفايته وأهله، مع محافظته على ما يجب الحفاظ عليه من العبادة، نقول: إن هذا معذور ولا حرج عليه؛ ولكنه ينبغي عليه أن يتعلم من العلم الشرعي بقدر ما يستطيع^(١).

س ٣٠: أريد أن أقوم بدعوة ناجحة مع زملائي في الجامعة، فماذا أفعل؟

ج: أولاً: الدعوة الناجحة هي الدعوة إلى الله تعالى على علم وبصيرة، قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَكْفَوِرُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِّنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

ففي هذه الآية بيان شروط العلم والكسب الحلال وامتناله لما يدعو إليه، فيتجنب ما نهى الله عنه، ويمثل ما أمر الله به والنية الحسنة، وتفويض الأمر إلى الله تعالى والتوكل عليه، وأنه هو الذي بيده التوفيق والإلهام.

ومن الشروط أيضاً ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالنَّاصِيَةِ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]^(٢).

س ٣١: هل يجوز ما يسمى بالتمثيل الإسلامي كتمثيل الصحابة؟

(١) الشيخ ابن عثيمين، «فتاوى إسلامية»، (١/ ١٧٥).

(٢) اللجنة الدائمة، «فتاوى إسلامية»، (٤/ ٢٦٩).



ج: تمثيل الصحابة أو أحد منهم ممنوع؛ لما فيه من الامتحان لهم والاستخفاف بهم وتعرضهم للنيل منهم، وإن ظن فيه مصلحة فما يؤدي إليه من المفساد أرجح، وما كانت مفسدته أرجح فهو ممنوع، وقد صدر قرار من مجلس هيئة كبار العلماء في منع ذلك.

س ٣٢: ما حكم دراسة القانون بكلية الحقوق؟

ج: إذا كان من يريد دراسة القوانين الوضعية لديه فكرة قوية وعلمية يميز بها الحق من الباطل، وكان لديه حصانة إسلامية يأمن معها من الانحراف عن الحق، وقصد بتلك الدراسة المقارنة بين أحكام الإسلام وأحكام القوانين الوضعية وبيان ميزة أحكام الإسلام عليها، وبيان شمولها لكل ما يحتاجه الناس في صلاح دينهم ودنياهم، إحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل.. والرد على من استهوتهم القوانين الوضعية فزعم صلاحيتها وشمولها وكفايتها إن كان كذلك فدراسته إياها جائزة، وإلا فلا يجوز له دراستها، وعليه أن يستغني بدراسة الأحكام الإسلامية في كتاب الله تعالى والثابت عن رسول الله ﷺ على ما درج عليه أئمة علماء الإسلام وطريق سلف الأمة في دراستها والاستنباط منها.

ثانياً: إذا كان في الاشتغال بالمحاماة أو القضاء إحقاق للحق وإبطال للباطل، ورد الحقوق إلى أربابها، ونصر للمظلوم؛ فهو مشروع لما في ذلك من التعاون على البر والتقوى، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].
وبالله التوفيق^(١).

(١) اللجنة الدائمة (١/ ٥٤٨)، واللجنة الدائمة، الفتوى رقم (٢٠٤٤) ولمعرفة أحكام التمثيل ننصح بمطالعة كتاب التمثيل د/ بكر أبو زيد، ط. دار العاصمة، وننصح كل من التحق بكليات الحقوق أن يتعرف على تاريخ القوانين



س ٣٣: ما حكم دراسة الفلسفة والمنطق؟

ج: إذا كان عالمًا واثقًا من نفسه لا يخشى الفتنة في دينه من قراءتها، ولا من مجالسة أهلها وقصد بقراءتها الرد على ما فيها من باطل، ونصرة للحق؛ جاز له دراستها لذلك، وإلا حرم عليه دراستها ومخالطة أهلها؛ بعدًا عن الباطل وأهله واتقاء للفتنة، وبالله التوفيق^(١).

س ٣٤: ما حكم الدين في دراسة الكيمياء وتدريسها في المدارس والجامعات للطلاب؟

ج: ليس علم الكيمياء الذي يدرس لطلاب المدارس من جنس الكيمياء التي منعها العلماء، وقالوا: إنها سحر، وحذروا الناس منها، يزعم أصحابها أنهم يجعلون الحديد -مثلًا- ذهبًا، ويغشون الناس، ويأكلون أموالهم بالباطل، أما التي تدرس في المدارس في هذا الزمن فهي تحليل المادة إلى عناصرها التي تركبت منها، أو تحويل العناصر إلى مادة تركيب منها تخالف صفاتها تلك العناصر بواسطة صناعات وعملية تجرى عليها؛ فإنها حقيقة واقعية، بخلاف الكيمياء المزعومة فإنها تمويه وخداع وليست من أنواع السحر الذي جاءت به النصوص في الكتاب والسنة بتحريمه والتحذير منه، وبالله التوفيق^(٢).

س ٣٥: ما حكم الدين في نظرية التطور والارتقاء؟

الوضعية العلمانية وكيف تسللت إلى مجتمعاتنا الإسلامية وذلك بقراءة كتاب العلمانية للدكتور محمد عمارة، كتاب معوقات تطبيق الشريعة للقاضي محمد وفيق زين العابدين، ط. دار السلام، وكتاب التشريع الجنائي مقارنة بالقانون الوضعي للمستشار عبد القادر عودة، ط. دار الحديث، وبحث الحكم بغير ما أنزل الله للدكتور عبد الرحمن صالح المحمود ط. دار طيبة، ولمعرفة أحكام المحاماة، يُراجع كتاب أحكام المحامي في الفقه الإسلامي د/ عبد الكريم محمد الطير.

(١) اللجنة الدائمة، فتوى رقم (٩٤٠٦)، ويُراجع كتاب الفلسفة الإسلامية، د/ محمود مزروعة، ط. دار اليسر، ورسالة الفلسفة، د/ عبد الحليم محمود، ط. أنصار السنة المحمدية.

(٢) اللجنة الدائمة، الفتوى رقم (١١١٣٧)، (٤٤٧).



ج: هذا القول ليس بصحيح، والدليل على ذلك أن الله يبين في القرآن أطوار خلق آدم ﷺ، فقال تعالى: ﴿إِن مِّثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

ثم إن هذا التراب، بُلَّ حتى صار طيناً لازباً يعلق بالأيدي، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصفافات: ١١].

ثم صار حمماً مسنوناً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦].

ثم ما لبس صار صلصالاً كالفخار، قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤].

وصوره الله على الصورة التي أرادها ونفخ فيه من روحه، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨-٢٩].

هذه هي الأطوار التي مرت على خلق آدم من جهة القرآن، وأما الأطوار التي مرت على خلق ذرية آدم، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسْنَا الْعِظْلَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخِرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤] (١).

(١) اللجنة الدائمة (١/ ٣١)، رقم الفتوى (٥١٦٧)، ننصح الطبيب المسلم بمراجعة كتاب الجنابة العمد للطبيب على الأعضاء البشرية د/ محمد يسري إبراهيم ط. دار اليسر، والأحكام الشرعية للأعمال الطبية د/ أحمد شرف الدين، والجراحات الطبية والآثار المترتبة عليها د/ محمد بن محمد مختار الشنقيطي، دراسات فقهية في قضايا



س ٣٦: أنا طالب بكلية الطب أدرس أمراض النساء والتوليد، ويوجد حالات عملية يحتم على الطالب مشاهدتها، وهذا يستلزم وجودنا وإلا رسبنا، فما الحكم في ذلك؟
ج: الأصل وجوب ستر العورة من الرجال والنساء، وعورة الرجل من السرة إلى الركبة، والحرية كلها عورة إلا وجهها وكفيها في الصلاة والإحرام، وإذا كانت ترى الرجال ويرونها وجب عليها ستر وجهها وبدنها سواء كانت في الصلاة أو في إحرام حج أو عمرة، ويجوز كشف العورة إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك، ويجوز الاطلاع عليها إذا اقتضت المصلحة ذلك، ومن ذلك اطلاع الطلاب على النساء في أثناء إجراء عمليات تتعلق بأمراض النساء والولادة، وهذا سيتعلق به عدد من المصالح، والشرعية جاءت لجلب المصالح ودرء المفاسد^(١).

س ٣٧: هل يجوز شراء هيكل عظمي للتعليم؟
ج: لا يجوز ذلك؛ لأنه شراء ميت، ولو كان مسلمًا كان أشد تحريمًا، وأما الهيكل البلاستيكي فلا شيء فيه، ولا يمنع دخول الملائكة المنزل^(٢).
س ٣٨: طالب حصل على الشهادة الجامعية عن طريق الغش، ثم عُيِّن في عمل، فما حكم راتبه؟

ج: عليه التوبة إلى الله مما فعل والندم، وأما الوظيفة فصحيحة، وما أخذ صحيح ما دام يؤدي المهمة التي أُسندت إليه، ويقوم بها والحمد لله، ولكن كما قلنا عليه التوبة إلى الله من هذا العمل السيئ المنكر والتوبة تجب ما قبلها^(٣).

طبية معاصرة د/ عمر سليمان الأشقر وآخرون ط. دار النفائس، ونصح الصيدلي المسلم بمطالعة فقه الصيدلي المسلم د/ خالد أبو زيد الطماوي ط. دار العصيمي.

(١) اللجنة الدائمة.

(٢) الشيخ أبو إسحاق الحويني، نقلًا عن «مجلة الهدي النبوي».

(٣) الشيخ ابن باز، «فتاوى إسلامية»، (٤/ ٣٠١).



س ٣٩: شاب كان له محل يبيع فيه أسطوانات الغناء المحرمة، والسجائر، وملابس للمتبرجات، ثم هداه الله، وحول تجارته إلى أشياء حلال لا شبهة فيها، فما الحكم في المال الذي كسبه وأكله من بيع الأشرطة المحرمة التي كان يسجلها ويبيعها؟

ج: ما أكله من هذا المال الحرام فإنه يتوب إلى الله منه ويستغفره، وما أكله يكفيه التوبة منه، وليس في وسعنا استرجاعه من جوفه ومن بطنه، وما بقي من المواد المحرمة المسجلة على الأشرطة فيسهل عليه التخلص منها بمحوها، ويسجل عليها قرآن وأذكار، أو كتاب في التوحيد والعلم.

أما ما مضى منه قاله يتوب عليه، وما بقي من الكسب الحرام فلينفقه في وجوه البر، ليس على سبيل الصدقة، إنما يتخلص من الأموال المحرمة في وجوه الخير والبر؛ لأن الصدقة لا تكون إلا من كسب طيب.. غفر الله لنا وله^(١).

س ٤٠: أنا شاب أمتلك «سير» يقوم بعض مرتاديه بعمل «شات»؛ محادثة مع بنات، والعكس، وأنا دائم النصح لهم، فهل عليّ بعد ذلك إثم، علماً بأنني إذا طردتهم ذهبوا لغيري؟!!

ج: من علمت أنه يستعمل شبكة الإنترنت استعمالاً محرماً حرم عليه إعانته على ذلك وتأجير مكانك وجهازك له، أما إذا لم تعلم إلا بعد فعله، فعليك النصح له ولغيره، وكونهم يذهبون لغيرك لا يبيح لك إعانتهم على محرم، واعلم أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه^(٢).

(١) الشيخ عبد الرزاق عفيفي، «مجموع الفتاوى والرسائل»، ص ٦٣١.

(٢) الشيخ أبو إسحاق الحويني، نقلاً عن «مجلة الهدي النبوي»، عدد (٧٥١)، ص ٥٨.



س ٤١: سبق أن استفسرنا من فضيلتكم عن سماع الأغاني وأجبونا بأن الأغاني المأجنة حرام سماعها، لهذا ما حكم سماع الأغاني الدينية والوطنية وأغاني الأطفال وأعياد الميلاد؟

ج: العزف حرام مطلقاً، والأغاني الدينية والوطنية وأغاني الأطفال إذا كانت مصحوبة بالعزف، فهي بدعة ويحرم حضورها والمشاركة فيها.
ومن الأدلة على تحريم الأغاني والأناشيد المشتملة على العزوف قول النبي ﷺ: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف»^(١).

س ٤٢: ما حكم وضع النغمات الموسيقية بالجوال «المحمول»، وما توجيهكم لأصحاب محلات الجوال الذين يضعون النغمات الموسيقية المحرمة بجوالات الشباب، ويأخذون ما لا مقابل ذلك؟!

ج: الموسيقى محرمة بالجوال وغيره، لكنها أعظم حرمة إذا كانت بالجوال؛ لأن في ذلك أذية للناس حيث يسمعونها إذا تم الاتصال على الجوال، وهذا داخل في أذية المؤمنين، ومن آذى المؤمنين فقد احتمل إثماً وبهتاناً مبيناً: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].
ويشتد الإثم إذا كان صاحب المحل يضع النغمة، ويساعد الشباب على الإثم والعدوان، وهذا من التعاون على الأمر المحرم، وقد نهانا الله - عز وجل - عن التعاون على الحرام فقال: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وإذا كان هؤلاء يأخذون أجره على ذلك فهذا الكسب خبيث محرم، وهو من أكل المال بالباطل.. ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

(١) رواه البخاري في صحيحه مع أحاديث أخرى وردت في هذا الباب.. اللجنة الدائمة، «فتاوى إسلامية»، (٣٩٠/٤).



وليعلم هؤلاء أن طيب المطعم من أسباب إصابة الدعاء، وأن الكسب الخيث مانع من إجابة الدعاء، قال ﷺ: «أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة».

وذكر ﷺ: «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب. ومطعمه حرام ومشربه حرام فأنى يستجاب له»^(١).

س ٤٣: ما حكم شرب الشيشة؟ وهل حكمها حكم الدخان؟ وهل تعتبر الشيشة والدخان من المخدرات المحرمة؟

ج: شرب الشيشة والدخان بأنواعه من المحرمات؛ لما فيهما من الأضرار الكثيرة، وقد أوضح الأطباء العارفون بذلك كثرة أضرارهما، وقد حرم الله على المسلمين أن يستعملوا ما يضرهم، فالواجب على كل من يتعاطاهما تركهما والحذر منهما؛ لقول الله - عز وجل - يخاطب نبيه ﷺ: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الْطَيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٤].

وقوله - سبحانه - في سورة الأعراف في وصفه نبيه محمداً ﷺ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وجميع أنواع التدخين والشيشة من جملة الخبائث الضارة للإنسان، فتكون جميع أنواعها محرمة بنص هاتين الآيتين وما جاء في معناهما، والله أعلم^(٢).

س ٤٤: ما حكم شرب البيرة؟ وكذا ما شابهها من المشروبات؟

ج: إذا كانت البيرة ليست مما يسكر فلا بأس، أما إذا كانت مشتملة على شيء من مادة السكر فلا يجوز شربها، وهكذا بقية المسكرات سواء أكانت مشروبة أو مأكولة يجب الحذر منها، ولا يجوز شرب شيء منها ولا أكله؛ لقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(١) رواه البخاري ومسلم... نقلاً عن «مجلة الهدى النبوي»، العدد (٧٦٢) الربيعان ١٤٢٧هـ.

(٢) الشيخ ابن باز، «فتاوى إسلامية»، (٣/ ٤٤٣).



ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].
ولقوله ﷺ: «كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام»^(١).

وثبت عنه ﷺ أنه لعن الخمر وشاربها وساقياها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها^(٢).

س ٤٥: ما هو حكم لعب الورق والشطرنج؟

ج: حكم اللعب بهذه الأشياء المنع؛ لكونها من آلات اللهو الصادة عن ذكر الله وعن الصلاة، وهذا هو المعروف عند أهل العلم؛ لأنها تشغل وتلهي وتصد عن الخير، وفيها مبالغة قد تفضي إلى شر عظيم بين اللاعبين، وقد تشغلهم عن ما أوجبه الله عليهم^(٣).

س ٤٦: ما حكم لبس السروال القصير مثلاً في المباراة الرياضية خارج أوقات الصلاة، وما حكم لبس الشورت القصير في الشوارع والنوادي خاصة في الحر الشديد؟

ج: نرى أنه لا يجوز لبس السراويل القصيرة، «كالشورت» الذي يستر العورة المغلظة فقط، وتبدو معه الفخذان أو أكثرهما سواء كان في اللعب في مباراة أو في الأسواق أو غير ذلك ولو في غير الصلاة، وقد يُعفى عن ذلك داخل البيت إذا كان الإنسان في مهمته الخاصة بحيث لا يطلع عليه الناس، والدليل أنه ﷺ رأى جرهد الأسلمي وقد انحسر إزاره عن بعض فخذيه، فقال: «غط فخذك؛ فإن الفخذ عورة»، والله الموفق^(٤).

(١) رواه مسلم.

(٢) الشيخ ابن باز، «فتاوى إسلامية»، (٣/ ٤٤١)، لمعرفة أحكام الشُّطرنج راجع رسالة أحكام الشُّطرنج في الفقه الإسلامي للشيخ مشهور حسن سلمان.

(٣) الشيخ ابن باز، «مجموع فتاوى ومقالات ابن باز»، (٨/ ٩٨).

(٤) الشيخ ابن جبرين، «فتاوى إسلامية»، (٤/ ٢٤٦).



س ٤٧: ما حكم الإسلام في الملاكمة، ومصارعة الثيران، والمصارعة الحرة؟
ج: الملاكمة ومصارعة الثيران من المحرمات المنكرة؛ لما في الملاكمة من الأضرار الكثيرة، ولما في مصارعة الثيران من تعذيب للحيوان بغير حق.
أما المصارعة الحرة التي ليس فيها خطر ولا أذى ولا كشف للعورات فلا حرج فيها؛ لحديث مصارعة النبي ﷺ ليزيد بن ركانة فصرعه ﷺ؛ ولأن الأصل في مثل هذا الإباحة إلا ما حرمه الشرع المطهر^(١).

س ٤٨: ما الحكم في الدخول إلى ملاعب كرة القدم لمشاهدة إحدى المباريات؟
ج: الدخول في الملعب لمشاهدة إحدى مباريات كرة القدم إن كان لا يترتب عليه ترك واجب كالصلاة وليس فيه رؤية عورة، ولا يترتب عليه شحناء ولا عداوة، فلا شيء فيه، والأفضل ترك ذلك لأنه لهو، والغالب أن حضوره يجر إلى تفويت واجب وفعل محرم، وبالله التوفيق^(٢).

س ٤٩: ما الحكم فيما يفعله بعض الرجال من لبس السلاسل، ولبس الشورت القصير؟
ج: اتخاذ السلاسل للتجمل بها محرم عند الرجال؛ لأن ذلك من شيم النساء، وهو تشبه بالمرأة، وقد لعن الرسول ﷺ المتشبهين من الرجل بالنساء، ويزداد تحريمًا وإثمًا إذا كان من الذهب، فإنه حرام على الرجل من الوجهين؛ من جهة أنه ذهب، ومن جهة أنه تشبه بالمرأة، وأعظم من ذلك وأخبث إذا كان فيه صليب، فإن هذا حرام حتى على المرأة أن تلبس حليًا فيه صورة سواء كانت صورة إنسان أو حيوان، طائر أو غير طائر أو كان فيه صورة صليب، وهذا أعني ما فيه صور حرام على الرجال والنساء فلا يجوز

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٤١١).

فائدة: ننصح كل من يمارس الرياضة بقراءة رسالة «الضوابط الشرعية للألعاب الرياضية» د/ سعيد عبد العظيم.

(٢) اللجنة الدائمة، «فتاوى إسلامية»، (٤/ ٤٣٣).



لأي منهما أن يلبس ما فيه صورة إنسان أو حيوان أو صليب، كذلك لا يجلبس ملابس قصيرة يظهر عورة الرجل... والله أعلم^(١).

س ٥٠: ما حكم الدين فيما يسمى بالحظاظه؟

ج: تعليق الأساور أو لبسها، وربط الخيوط من الشعر أو غيره كالحظاظه؛ من يفعل ذلك يعتقد أن هذه الأشياء تمنع الضرر أو تدفع بذاته عمن لبسها، فهذا شرك أكبر، يُخرج من الملة، وإن كان يعتقد أن الله هو الضار النافع، إنما هذه الأشياء أسباب فقط؛ فهذا محرم وشرك أصغر يجر إلى الشرك الأكبر، وقد عقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - باباً في كتاب «التوحيد» في هذا الموضوع، فقال: «باب: من الشرك لبس الحلقة والخيوط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه»، أورد فيه أدلة، منها: حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا فِييْده حلقة من صفر، فقال: «ما هذا؟» قال: من الواهنة. قال: «انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً»^(٢).

س ٥١: أرجو من فضيلتكم بيان حكم حلق اللحية، أو أخذ شيء منها، وما هي حدود اللحية الشرعية؟

ج: حلق اللحية محرم؛ لأنه معصية لرسول الله ﷺ، فإن النبي ﷺ قال: «أعفوا اللحى وحفوا الشوارب»..

ولأنه خروج عن هدي المرسلين إلى هدي المجوس والمشركون.

(١) فتاوى الشيخ ابن عثيمين، «فتاوى إسلامية»، (٤/ ٤٣٣).

(٢) رواه أحمد بسند لا بأس به، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي.. الشيخ صالح الفوزان، «المنتقى»، (١/ ١٦٤).



وحد اللحية كما ذكره أهل اللغة هي شعر الوجه واللحيين والخدين، بمعنى أن كل ما على الخدين وعلى اللحيين والذقن فهو من اللحية، وأخذ شيء منها داخل في المعصية أيضاً؛ لأن النبي ﷺ قال: «اعفوا اللحى...»، و: «أرخوا اللحى...»، و: «وفروا اللحى...»، و: «أوفوا اللحى...»..

وهذا يدل على أنه لا يجوز حلقها؛ لأنه أعظم وأبين مخالفة من أخذ شيء منها^(١).

س ٥٢: هل إسبال الملابس لغير الخيلاء محرم أم لا؟

ج: إسبال الملابس للرجال محرم سواء كان للخيلاء أو غير الخيلاء؛ ولكن إذا كان للخيلاء، فإن عقوبته أشد وأعظم؛ لحديث أبي ذر الثابت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»..

قال أبو ذر: من هم يا رسول الله، خابوا وخسروا؟! قال: «المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»^(٢).

وهذا الحديث مطلق، ولكنه مقيد بحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه»^(٣).

ويكون الإطلاق في حديث أبي ذر مقيداً بحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وإذا كان خيلاء فإن الله لا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم، وهذه العقوبة أعظم من العقوبة التي وردت

(١) الشيخ ابن عثيمين، «فتاوى إسلامية»، (٤/ ٤١٩).

فائدة: نصح إخواننا بمراجعة كتاب: «أدلة تحريم حلق اللحية» د/ محمد بن إسماعيل، ففيه الجواب النافع الناجع.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.



فيمَن نزل إزاره إلى ما تحت الكعبين لغير الخيلاء، فإن هذا قال فيه النبي ﷺ: «ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار»^(١).

ثم إن بعض الناس إذا أنكر عليه الإسبال، قال: إنني لم أفعله خيلاء، فنقول له: الإسبال نوعان: نوع عقوبته أن يعذَّب الإنسان عليه في موضع المخالفة فقط، وهو ما أسفل الكعبين بدون خيلاء، فهذا يعاقب عليه في موضع المخالفة فقط بأن يعذَّب بالنار مقابل ما فيه المخالفة، وهو ما نزل عن الكعبين، ولا يعاقب فاعله بأن لا ينظر الله إليه ولا يزكيه، ونوع عقوبته أن الله لا يكلمه ولا ينظر إليه يوم القيامة ولا يزكيه وله عذاب أليم، وهذا فيمن جره خيلاء، هكذا نقول له^(٢).

س ٥٣: ما حكم من ترك بعض شعر الرأس أطول من بعض، «كحلق الشعر كابوريا...»؟
ج: روى أبو داود، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ نهى عن القزع، وقال: «احلقه كله، أو دعه كله».

قال في شرح الإقناع: فيدخل في القزع، حلق مواضع من جوانب الرأس، أو أن يحلق وسطه ويترك جوانبه كما تفعله عامة النصاري، أو حلق جوانبه وترك وسطه كما يفعل كثير من السفهاء، وأن يحلق مقدمه ويترك مؤخره.

وسئل أحمد عن حلق القفا، فقال: هو من فعل المجوس، ومن تشبه بقوم فهو منهم. وبهذا يعلم أنه لا يجوز ترك بعض شعر الرأس أطول من بعض^(٣).

س ٥٤: من المعلوم وجوب مقاطعة صاحب المعصية، ولكن إذا أردنا دعوته فماذا نفعل، هل نتودد إليه ونجالسه، أم ماذا نفعل؟ أفتونا مأجورين.

(١) رواه البخاري وأحمد.

(٢) «أسئلة مهمة» للشيخ ابن عثيمين، ص ٣٠، ط. مكتبة الإيمان بالمناصرة.

(٣) اللجنة الدائمة، الفتوى رقم (٦٦٧).



ج: مقاطعة صاحب المعصية ليست معلومةً كما قال السائل، ولكن مقاطعة المعصية هي المعلومة، وصاحب المعصية إذا لم يكن على معصية فإنه لا يُقَاطَع ولا يُهَجَر إلا أن يكون في ذلك فائدة بحيث يرتدع إذا رأى الناس قد قاطعوه، فإن مقاطعته في هذه الحالة تكون مطلوبةً، وإلا فلا تنبغي مقاطعته، وأما الجلوس والتحدث إليه للتأليف والدعوة إلى الهدى والتقوى فإن هذا أمر مطلوب، وأما مجالسته والتحدث إليه مدهنةً وعدم مبالاة بما فعل من المعاصي فإن هذا لا يجوز؛ لأن لكل مقام مقالاً^(١).

س ٥٥: ما حكم الدين في بعض الشباب ومنهم بعض طلبة العلم الذين صار منهجهم التجريح في بعضهم البعض؟

ج: الذي أراه أن هذ عمل محرم، فإن كان لا يجوز لإنسان أن يغتاب أخاه المؤمن، وإن كان عالمًا، فكيف يسوغ له أن يغتاب إخوانه العلماء من المؤمنين، والواجب على الإنسان المؤمن أن يكف لسانه عن الغيبة في إخوانه المؤمنين. وليعلم هذا الذي ابتلي بهذه البلوى أنه إذا جرح العالم فسيكون سببًا في رد ما يقوله هذا العالم من الحق، وجرح العالم في الواقع ليس جرحًا شخصيًا، بل هو جرح لإرث محمد ﷺ، ولست أقول: إن كل عالم معصوم؛ بل كل إنسان معرض للخطأ، وأنت إذا رأيت من عالم خطأ فيما تعتقده، فاتصل به وتفاهم معه، فإن تبين لك أن الحق معه وجب عليك اتباعه، وإن لم يتبين لك؛ ولكن وجدت لقوله مساغًا، فاحذر من خطئه؛ ولكن لا تجرحه^(٢).

(١) الشيخ ابن عثيمين، «فتاوى إسلامية»، (٤/٢٧٦).

(٢) فتوى الشيخ ابن عثيمين (بتصرف)، «فتاوى إسلامية» (٤/٢٧٨) (١).

نصح هؤلاء الشباب بمراجعة بحث: «حرمة أهل العلم» د/ محمد إسماعيل، و: «قواعد في التعامل مع العلماء» للشيخ/ اللويحق.



س٥٦: انتشر بين الشباب عمومًا ظاهرة «التسويق الشبكي والهرمي»، فما حكم الإسلام في هذه المعاملات؟

ج: الظاهر - والله أعلم - حرمة التعامل مع هذه الشركات؛ لأسباب كثيرة، منها:
«انتشار السرقة والنصب، والغرر، والجهالة في البيع»، ومن أراد التوسع فليراجع بحث:
«التسويق الشبكي تحت المجهر» للشيخ/ زهير سالم، على الشبكة العنكبوتية
الإنترنت.

نصيحة عامة:

أَكْثَرُ من الاطلاع على فتاوى كبار أهل العلم في كتبهم، مثل:
* «المنار المنيف من فتاوى علماء الأزهر الشريف» ط. دار اليسر.
* «فتاوى كبار علماء البلد الحرام» ط. دار الوطن.
* «فتاوى إسلامية»، جمع وترتيب الشيخ/ عبد العزيز المسند، وغيرها من كتب
الفتاوى.

* وغيرها من مواقع الفتاوى العلمية النافعة، ك:
- موقع «الإسلام.. سؤال وجواب»، للشيخ/ محمد صالح المنجد.

قَبْلَ أَنْ أَضَعَ الْقَلَمَ



* في ختام بحثي أقول:

الكلمة أمانة، وخير الأمانة ما كان لله سبحانه وبحمده، والمؤمن ريحانة في قوله وعمله، وقلبه ولسانه، وسره وإعلانه..

- وهذه الصفحات بعض أمانات، أضعها بين يدي المسلمين والمسلمات، وأوصيهم بحفظها من الآفات، فإنها طريق الخلود وضياء الوجود.

- وهذا الكتاب مجموعة من الأبواب والمباحث، نقحتها جميعاً... فلا تترك منها باباً... فإن خلف كل باب (الأجر والثواب)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله، والسعي إلى الآخرة بقلوب عامرة، ونفوس طاهرة، وعيون ساهرة، وشفاه ذاكرة.

- فإن وفقني الله بمغفرة، وإن أخفقت فمعذرة.

أسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، هو - سبحانه - أهل التقوى وأهل المغفرة.

- فأليك أخي الشاب - في كل مكان من أرض الله - كتبت هذا الكتاب.

باقية ورد من الفردوس الأعلى أهديها إليك، فتقبلها مني، فإن الزهور لا ترد.

- وقد جمعتها لك من حقائق القرآن وبساتين السنة، فحافظ عليها من الذبول.

- فما زلت بخير ما دمت بخير...

فإنها الطريق إلى الجنة...

«طريق الأوبة..»

محمد وصحبه..

جمعنا الله صحبة.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

مقيّد أوابده، وجامع فرائده، وناقل فوائده، الفقير

إلى ربه الخلاق/ علي قاسم علي^(١)

(١) من كانت له أية ملاحظة أو نصيحة، فليتواصل معي على الصفحة الرسمية للشيخ علي قاسم على الفيس بوك،

أو خدمة الدين للجميع على الواتس آب ورقمها ٠١٠٢٠١٠١٢٤٩٣٣٣ / أو خدمة deen4all على

التليجرام، أو على القناة الرسمية للشيخ علي قاسم على اليوتيوب

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	- المقدمة
١٤	- نبض الكتاب
٣١	الفصل الأول: افهمونا
٣٢	- «الشباب» لغة
٣٢	- متى تبدأ مرحلة الشباب، ومتى تنتهي؟!
٣٤	- علامات الشباب
٣٧	- الأعمار الثلاثة للإنسان
٤٠	- ملحوظات مهمة
٤٤	- خصائص المرحلة الشبابية
٤٥	- سمات المراهق في جوانب النمو خاصة حتى سن (١٧) سنة
٤٥	- النمو الجسمي
٤٥	- مظاهر التغير في هذه المرحلة
٥٣	- النمو الجنسي
٦٠	- الصراع الجنسي
٦٤	- الاستعفاف نظام حياة
٦٥	- النمو العقلي والمعرفي
٦٦	- مظاهر التغير في هذه المرحلة
٧٠	- النمو الانفعالي
٧١	- أبرز سمات النمو الانفعالي



- ٧٣ - علامات النضج الانفعالي
- ٧٥ - معوقات النضج الانفعالي
- ٧٨ - نماذج من مشكلات الشباب
- ٨١ - النمو الاجتماعي
- ٨٢ - السلوك الاجتماعي في مرحلة المراهقة
- ٨٦ - السمات العامة لهذه المظاهر
- ٨٧ - مراحل التطبيع الاجتماعي
- ٨٨ - مظاهر النضج الاجتماعي
- ٩٠ - حقوق المراهق الاجتماعية
- ٩٠ - النمو الخلقي
- ٩٢ - أسباب سلوكيات الشباب الخاطئة
- ٩٣ - من أسباب الخلل الخلقي
- ٩٥ - حاجات المراهق
- ٩٥ - المراهق والتدين
- ٩٨ - النضج الديني
- ١٠٠ - أشكال الانحراف الديني
- ١٠٠ - التفرغ الديني
- ١٠١ - النمو النفسي
- ١٠٣ - تحديد الهوية
- ١٠٤ - مسارات البحث عن الهوية
- ١٠٥ - الهوية المهنية
- ١٠٨ - منظومة أنماط الشباب



- ١١٢ - الشباب المغترب المنسحب
- ١١٣ - شباب الرفض المعتدل
- ١١٤ - شباب الرفض المتطرف
- ١٢٠ - خلاصة أهم خصائص النمو في مرحلة المراهقة
- ١٢٤ - التغيرات النفسية في سن المراهقة
- ١٢٤ - مرحلة المراهقة المبكرة (١٢ - ١٤ سنة)
- ١٢٤ - مرحلة المراهقة الوسطى (١٤ - ١٨ سنة)
- ١٢٤ - مرحلة المراهقة المتأخرة (١٧ - ٢١ سنة)
- ١٢٥ - الشباب لماذا؟!
- ١٢٦ ١ - لفضل هذه المرحلة العمرية في الكتاب والسنة
- ١٤٥ ٢ - لأهمية مرحلة الشباب
- ١٤٦ ٣ - لأنهم عماد الأمم
- ١٤٧ ٤ - لأن الشباب أسرع استجابة من غيرهم
- ١٥٠ ٥ - لأن الأعداء يتربصون بالشباب
- ١٥١ ٦ - لعناية الإسلام بهم أشد أنواع العناية
- ١٥٢ - تربيتهم على الجلد والخشونة والرجولة
- ١٥٥ - أغراض الرياضة
- ١٥٩ تربيتهم على التنافس والتسابق على الخير
- ١٦١ تربيتهم على الاستقامة والجدية
- ١٦٢ - حسن تصريف الطاقات
- ١٦٥ * أقسام الشباب
- ١٦٥ - القسم الأول: الشباب المستقيم



- ١٦٧ - القسم الثاني: الشباب المنحرف
- ١٦٨ - القسم الثالث: الشباب المغرور
- ١٩٦ * انحراف الشباب لماذا؟
- ١٧١ * أسباب انحراف الشباب:
- ١٧٤ (١) الفراغ الديني وسوء فهم مقاصد الدين وحقائق الشريعة
- ١٧٦ * أنواع الجهل
- ١٨١ - خطورة الجهل بكتاب الله
- ١٨٣ - خطورة الجهل بالسنة النبوية الصحيحة
- ١٨٧ * سوء فهم النصوص النبوية
- ١٨٩ * الجهل بالعلوم الإنسانية والتجريبية
- ١٩٥ * الغزو القديم الحديث
- ٢٢٦ * التحلل من القيم الدينية والأخلاق السلوكية
- ٢٢٧ - أسباب التدهور الأخلاقي
- ٢٢٩ - مظاهر التحلل من القيم والأخلاق الإسلامية
- ٢٣٢ - الحصاد المر
- ٢٤٠ - الفجوة الواسعة بين الآباء والأبناء
- ٢٤٦ ٥- الفراغ
- ٢٥٦ ٦- مناهج التعليم في المدارس والجامعات
- ٢٦٠ - التعليم بين الأمس واليوم
- ٢٨٨ * اعرف عدوك
- ٢٩٠ - وسائل الإعلام بأنواعها
- ٢٩٥ - الإعلام بخطر أجهزة الإعلام



- ٣٠٨ - نتائج محزنة لأهل الإيمان، مبشرة لأهل الكفران
- ٣١٥ - الفصل الثاني: وداعاً للثانوية.. وأهلاً بالكلية
- ٣١٦ - ليلة النتيجة
- ٣١٧ - رسالة عاجلة من الله لكل طلاب المرحلة الثانوية
- ٣١٩ - قبل اختيار الكلية ماذا تفعل؟!
- ٣٢٠ - مفاتيح النجاح
- ٣٢٠ - المفتاح الأول: حمد الله تعالى على نعمة النجاح
- ٣٢٣ - المفتاح الثاني: الجأ إلى ربك وتضرع إليه
- ٣٢٤ - صلاة الاستخارة لماذا؟!
- ٣٣٠ - ماذا تفعل قبل الاستخارة؟!
- ٣٣١ - كيف تؤدي صلاة الاستخارة؟!
- ٣٣٤ - بعض الأحكام المتعلقة بصلاة الاستخارة
- ٣٣٩ - نتيجة الاستخارة
- ٣٤٠ - قصة شاب
- ٣٤١ - وماذا بعد الاستخارة
- ٣٤٦ - بعد نتيجة الثانوية العامة
- ٣٤٦ - كيف أنجح في الجامعة؟!
- ٣٤٧ - وبدأ العام الدراسي
- ٣٤٧ - أولاً: تحقيق الإخلاص
- ٣٥٢ - لماذا نحقق الإخلاص؟!
- ٣٥٣ - درجات الإخلاص
- ٣٥٥ - دبيب النمل (الرياء) احذروه



- ٣٥٨ - علاج الرياء
- ٣٦٠ - سؤال مهم
- ٣٦٢ ثانيًا: عليك بالنوم مبكرًا والاستيقاظ مبكرًا
- ٣٦٣ - هدي رسول الله في النوم
- ٣٦٣ - إذا استيقظت من نومك فافعل
- ٣٦٦ - آداب دخول الخلاء
- ٣٦٨ - صفة الغسل والوضوء الصحيحة
- ٣٧٢ - الحذر الحذر
- ٣٧٥ - كيف تصلي الفجر؟
- ٣٧٧ - حسنات كالجبال
- ٣٨٢ - صفة الصلاة الصحيحة
- ٣٨٩ - أوقات للسير إلى الله
- ٣٩٠ - سلوك المسلم في بيته
- ٣٩٠ - المسلم بارٌّ بوالديه
- ٣٩٣ - نصيحة لك
- ٣٩٦ - قبل مغادرة المنزل
- ٣٩٧ - تذكر الهدي النبوي في ارتداء الملابس
- ٤٠٢ - احذروا التقليد
- ٤٠٥ - الفصل الثالث: للطريق أحكام
- ٤٠٦ - عند خروجك ماذا تفعل؟
- ٤٠٧ - اتبع هدي النبي في تصفيف شعرك
- ٤٠٩ - اتبع هدي النبي في لبس النعلين



- ٤١١ - في طريقك للجامعة.. ماذا تفعل؟!
٤١٣ - المشاريع الاستثمارية للحفاظ على الدقائق الغالية
٣١٤ ١ - من آداب الطريق:
٤١٦ * غض البصر لماذا؟
٤٢٣ * نتائج إطلاق البصر إلى الحرام
٤٢٤ * نتائج إطلاق البصر على المستوى الفردي
٤٣٠ * نتائج إطلاق البصر على المستوى الجماعي
٤٣٢ * هل من معتبر؟!
٤٣٥ * هتقدر تغمض عينيك
٤٣٦ * ماذا أفعل كي أغض بصري؟!
٤٤٨ * يا يوسف هذا العصر
٤٥٠ * لكن.. غض البصر صعب
٤٥٠ * الحلول العملية المعينة على غض البصر
٤٥٥ * خطوات الشياطين لإفساد المتدينين
٤٥٧ * أصوم.. ولكن
٤٦٠ * إن ضعفت نفسي أمام النساء.. ماذا أفعل؟!
٤٦٢ ٢ - من آداب الطريق: «أفشوا السلام بينكم»
٤٦٢ * إفشاء السلام.. لماذا؟!
٤٦٤ * ولإفشاء السلام.. فقه!!
٤٦٦ * كيفية السلام!!
٤٦٧ * هل للسلام آداب؟!
٤٧٦ ٣ - من آداب الطريق: كف الأذى عن المسلمين



- ٤٧٨ * صور من أذية المسلمين
- ٤٨١ ٤ - من آداب الطريق: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٤٨٣ * حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٤٩٢ * موقف الناس من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٤٩٥ * الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. لماذا؟!
- ٥٠٢ * مسائل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٥٠٩ * كيف أغير المنكر؟!
- ٥١١ * متى تنكر بيدك؟!
- ٥٣٤ * مسائل عمت بها البلوى؟!
- ٥٣٩ * حوار مع سائق
- ٥٥٤ * هواية جمع الحسنات
- ٥٥٥ الفصل الرابع: (الدحيح.. وطريق الـ ١٠٠٪)
- ٥٥٧ * أسرار التفوق
- ٥٥٨ * التفوق الدراسي.. لماذا؟!
- ٥٥٨ ١ - للظفر بفضل التعلم
- ٥٥٩ ٢ - لأنك لازلت شاباً قوياً فتياً
- ٥٥٩ ٣ - لأن الإسلام أولى عناية بالعلم وأهله
- ٥٦٠ ٤ - لأن العلم من أسباب نهضة الأمم والشعوب
- ٥٦٤ * مفاتيح التفوق
- ٥٦٥ ١ - الهمة العالية والنية الصالحة
- ٥٦٥ ٣ - التحلي بصفات طالب العلم النجيب
- ٥٧٨ ٤ - احذر لصوص التفوق الدراسي



- ٥٨١ * خطوات مقترحة لتنظيم الوقت
- ٥٨٦ * جدول مقترح لتنظيم الوقت
- ٥٩١ ٥- احذر فوضى المذاكرة غير الممنهجة
- ٥٩١ * كيف تنظم مذاكرتك؟!
- ٥٩٤ - المذاكرة الجيدة.. كيف؟!
- ٦٠٠ - حل مشكلاتك
- ٦٠٠ - كيف تحفظ؟!
- ٦٠٣ - تعلم فن التسميع
- ٦١٩ - الطرق المبتكرة للمذاكرة
- ٦٠٦ - كيف تفهم؟
- ٦٠٧ - مشكلة السرحان
- ٦٠٧ - مشكلة الكسل والملل
- ٦٠٨ - مشكلة النسيان
- ٦١٠ - مشكلة ضعف التركيز
- ٦١٠ - هل أذاكر وحدي أم مع زملائي؟!
- ٦١٠ - أستحي من مناقشة أستاذي أو المحاضر لي
- ٦١٥ - قبل الامتحان.. ماذا تفعل؟!
- ٦١٥ - ٥٥ سرًا لحصد أعلى الدرجات
- ٦٢٢ - جدول مقترح للمذاكرة في رمضان
- ٦٢٥ **الفصل الخامس: نقطة بداية STARTING POINT**
- ٥٢٦ * من داخل الجامعات
- ٦٧٨ * بعد الجامعة



- ٦٣٠ * لا يستويان
- ٦٣١ * فارق كبير بين الصنفين
- ٦٣٣ * لماذا ألتزم بديني؟!
- ٦٣٤ ١ - لعظمة هذا الدين
- ٦٣٤ * فضل الإسلام
- ٦٣٨ ٢ - لأن الشارع الحكيم أمرنا بالمداومة على التمسك بشعره
- ٦٣٩ ٣ - لأن نبينا أوجب علينا التمسك بالشرع
- ٦٤٠ ٤ - لأن الله فطرنا على الالتزام بشرائعه
- ٦٤٠ ٥ - لأنه لا سبيل إلى الدرجات العلى في الجنة إلا بالالتزام
- ٦٤١ ٦ - لأن الالتزام طريق الكمال
- ٦٤١ * مراحل الالتزام
- ٦٤٥ * كيف ألتزم؟!
- ٦٤٥ ١ - استعن بربك وخالك
- ٦٤٥ ٢ - اصدق الله يصدقك
- ٦٤٦ ٣ - استشعر الالتزام بالدين في الظاهر والباطن
- ٦٤٧ ٤ - خالط الجادين من الملتزمين
- ٦٥٠ ٥ - عليك بتزكية نفسك وتربيتها
- ٦٥٢ * التربية لماذا؟!
- ٦٥٢ ١ - لأن التربية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالإنسانية
- ٦٥٤ ٢ - لأن التربية سبب في الحفاظ على حياة الأفراد والأمم والشعوب
- ٦٥٤ ٣ - لأن التربية مهمة الأنبياء - خاصة - سيد الأنبياء ﷺ
- ٦٥٥ ٤ - لأن التربية عصمة من الفتن



- ٦٥٦ ٥- لأن التربية وسيلة قوية للتحكم في النفس البشرية
- ٦٥٧ ٦- لأن التربية من أسباب دخول الجنة
- ٦٥٨ ٧- لأن التربية وقاية من مفسد الزمن
- ٦٥٩ ٨- التربية سبيل مهم للحفاظ على الشباب عند التساقط
- ٦٦٠ ٩- التربية طريق الخلاص والتمكين
- ٦٦٨ * معالم المنهج التربوي الصحيح
- ٦٦٩ أولاً: الربانية
- ٦٦٩ ثانياً: الوسطية
- ٦٦٩ ثالثاً: السلفية
- ٦٧٠ رابعاً: الإيجابية
- ٦٧٢ * إهمال تربية النفس وخطورة ذلك
- ٦٧٣ * نصيحة ألبانية
- ٦٧٤ * كيف تربي نفسك؟
- ٦٧٥ * للتربية أنواع:
- ٦٧٥ أولاً: التربية الإيمانية
- ٦٧٦ * معنى التربية الإيمانية
- ٦٧٨ * الإيمان لماذا؟
- ٦٨٢ * كيف تربي نفسك إيماناً؟!
- ٦٨٣ ١- الاستعانة الصادقة بالله
- ٦٨٣ ٢- مجاهدة النفس على إخلاص العمل لله تعالى
- ٦٨٤ ٣- إحياء شعار (إلى القرآن من جديد)
- ٦٨٤ * القرآن لماذا؟!



- ٦٨٩ * كيف يكون القرآن رفيقي؟
- ٦٩٢ * تأدب مع القرآن
- ٦٩٤ * كيف أحفظ القرآن؟!
- ٦٩٥ * فرصة العمر لحفظ القرآن
- ٦٩٦ * برنامج ميسر لحفظ القرآن
- ٦٩٧ * إلى القرآن من جديد
- ٦٩٨ * كيف نتدبر القرآن؟!
- ٧٠١ * السرعة أم الجودة؟!
- ٧٠١ * قلبك أولاً
- ٧٠٣ ٤- استشعار الخوف من الله في السر والعلن
- ٧٠٣ ٥- كثرة ذكر الله
- ٧٠٦ ٦- كثرة التعب
- ٧٠٨ ٧- العناية بالفرائض
- ٧٠٨ ٨- النظر في أحوال سلفنا الصالح
- ٧١٠ ٩- المواعظ من أسباب النماء الإيماني
- ٧١١ ١٠- التفكير في خلق الله
- ٧١٣ ١١- التعاون المشروع في أداء العبادات
- ٧١٦ ١٢- التنافس والتسابق في الخير
- ٧١٧ ١٣- تصحيح العقيدة
- ٧١٨ * مختصر جامع للعقيدة الإسلامية
- ٧٥٣ ١٤- التفكير والتدبر في أسماء الله وصفاته
- ٧٥٥ ١٥- المشاركة في الدعوة إلى دين الله الرحمن



- ٧٥٦ * الجزء من جنس العمل
- ٧٥٧ * للإيمان ثمرات
- ٧٦٣ * لا بديل عن العلم
- ٧٦٣ ثانيًا: التربية العلمية
- ٧٦٤ * لماذا نطلب العلم؟!
- ٧٦٧ * للعلم الشرعي فضله العظيم
- ٧٧٣ * نصيحة غالية
- ٧٧٥ * العلوم الشرعية قسمان
- ٧٨٠ * وسائل تحقيق التربية العلمية:
- ٧٨٠ ١- أن يسأل العبد ربه العلم النافع
- ٧٨١ ٢- اجتنب جميع المعاصي صغيرها وكبيرها
- ٧٨٢ ٣- إدراك مقاصد طلب العلم
- ٧٨٢ ٤- العمل بالعلم
- ٧٨٢ ٥- القراءة مع الزملاء والأصدقاء وطلاب العلم قراءة منهجية
- ٧٨٢ ٦- الاهتمام الكامل بدراسة الأصول الواجبة في كل علم
- ٧٨٣ * العلم في الإسلام
- ٧٨٣ ٧- من الوسائل المهمة في البناء العلمي والعقلي
- ٧٩٢ ٨- عليك بالاجتهاد والسعي في طلب العلم بمنهجية
- ٧٩٣ ٩- كثرة الاطلاع والقراءات الخاصة المرتبة المنتقاة
- ٧٩٣ * ولكن!!
- ٧٩٥ * أسئلة حائرة
- ٧٩٥ * المنهجية في طلب العلم



- ٧٩٥ * خطورة هجر المنهجية
- ٧٩٧ * شبهة والرد عليها
- ٧٩٨ * من هو العالم؟
- ٧٩٩ * كيف نتلقى العلم؟
- ٨١١ * أسماء أئمة العلم قديماً وحديثاً
- ٨٣٥ * للعلم آفات.. فاحذرهما
- ٨٣٣ * يا شباب!!
- ٨٣٤ * ما هي أهم الكتب التي ينصح بقراءتها؟!
- ٨٣٨ ١- مرحلة (بداية الهداية)
- ٨٣٧ ٢- مرحلة (سنة أولى التزام)
- ٨٢٣ ٣- المرحلة الأولى (لتربية طالب علم مجتهد)
- ٨٢٥ ٤- المرحلة الثانية (لتربية طالب علم مجتهد)
- ٨٢٨ ٥- المرحلة الثالثة (لتربية طالب علم متخصص)
- ٨٣٢ ٦- المرحلة الرابعة (لتربية طالب علم متخصص)
- ٧- في بيتنا ملحد
- ٨٣٧ صناعة محاور ومناظر
- ٨٤٨ - ملاحظات مهمة
- ٨٧٤ - ثالثاً: التربية السلوكية والأخلاقية
- ٨٧٤ * تعريف الخلق
- ٨٧٥ التربية السلوكية والأخلاقية.. لماذا؟!
- ٨٧٥ ١- لمنزلة الأخلاق في دين الإسلام
- ٨٧٦ ٢- لأن الله يحب المتخلق بالأخلاق الحميدة



- ٨٧٦ ٣- اتباعاً لنبينا نبي الأخلاق
- ٨٧٩ ٤- اتباعاً لأصحاب نبينا
- ٨٧٩ ٥- كسباً لحب نبينا ﷺ والقرب منه
- ٨٧٩ ٦- شوقاً للجنان وتثقيلاً في الميزان يوم نلقى الرحمن
- ٨٨٠ ٧- لأن حسن الخلق هو الدين كله
- ٨٨٠ ٨- لأن سوء الخلق من أعظم أسباب دخول نار جهنم
- ٨٨٠ ٩- لأن الأخلاق هي قلب العبادة وثمرتها
- ٨٨١ ١٠- لأن حسن الأخلاق ثمرة للإيمان الصادق
- ٨٨١ ١١- لأن الأخلاق الحسنة طريقنا لقلوب الخلق
- ٨٨١ ١٢- لأن التحلي بالأخلاق الحميدة هو دعوة للخلق
- ٨٨١ * الدعاة الصامتون
- ٨٨١ * الرسول قدوة لنا
- ٨٨٣ * اقرؤوا التاريخ
- ٨٨٣ * فبهدهم اقتده
- ٨٨٤ ١٣- لأننا في عصر الإفلاس الأخلاقي، والتلوث السلوكي
- ٨٨٤ ١٤- لأن الأخلاق من أسباب جمع الأمة على كلمة سواء
- ٨٨٥ ١٥- لأن حسن الخلق مدعاة للتوفيق والنصر
- ٨٨٧ * أسئلة حائرة
- ٨٨٨ * القرآن يجيب
- ٨٨٩ ١٦- نتخلق بأخلاق الإسلام حماية للأمة من المفسد
- ٨٩١ * التذكرة الوفية ببعض الآداب الإسلامية
- ٨٩١ أولاً: الأدب مع الله



- ٨٩١ ثانيًا: الأدب مع كتابه
- ٨٩٣ ثالثًا: الأدب مع النبي الكريم
- ٨٩٤ رابعًا: الأدب مع خلق الله
- ٨٩٥ * القواعد الأساسية لاكتساب الأخلاق
- ٩٠٥ * كيف نتعامل مع الخلق؟
- ٩٠٦ * كيف أغير من أخلاقي؟!
- ٩٠٩ * واحذر
- ٩١٠ رابعًا: التربية على أن يكون الشخص اجتماعيًا
- ٩١٠ * وسائل عامة في بناء الجانب الاجتماعي لدى الشباب المسلم
- ٩١٠ ١- تعلم الآداب والأحكام الشرعية المتعلقة بالحياة الاجتماعية
- ٩١٠ ٢- الأنشطة والبرامج الترويحية
- ٩١٢ ٣- إنشاء الجمعيات الخيرية
- ٩١٢ ٤- التعاون مع الجمعيات الخيرية
- ٩١٣ ٥- الإعداد للحياة المادية
- ٩١٤ ٦- إكساب الخبرات
- ٩١٤ ٧- تنمية المثابرة والعزيمة عند الملل والسأم
- ٩١٤ ٨- تنمية تقدير المسؤولية
- ٩١٤ ٩- تنمية مهارات إتقان العمل
- ٩١٥ ١٠- الارتقاء بالوعي الاجتماعي
- ٩١٥ ١١- تنمية مشاعر البر والصلة
- ٩١٥ ١٢- تنمية القدرة على بناء علاقات اجتماعية ناجحة
- ٩١٦ ١٣- تنمية روح التعاون والعمل الجماعي المؤسسي



- ٩١٧ ١٤- التربية على الاهتمام بأحوال المسلمين
- ٩١٨ ١٥- غرس الشعور بشرف الانتماء للأمة الإسلامية
- ٩١٩ * خامسًا: التربية النفسية
- ٩٢٠ - وسائل عامة في البناء النفسي:
- ٩٢٠ ١- العدل في التعامل
- ٩٢٠ ٢- الاهتمام ومراعاة المشاعر
- ٩٢١ ٣- الاعتدال في رعاية الشباب
- ٤- تدعيم الدور الاجتماعي للمؤسسات التعليمية لتتمكن من الوفاء بحاجات
- ٩٢٢ الطالب الاجتماعية والنفسية
- ٩٢٣ ٥- تحقيق الاستقرار الأسري
- ٩٢٣ ٦- تفعيل دور الأسرة
- ٩٢٣ ٧- تفريغ الطاقة بشكل إيجابي
- ٩٢٤ ٨- ملء الفراغ
- ٩٢٤ ٩- غرس الثقة بالنفس
- ٩٢٥ ١٠- تحسين مفهوم الذات
- ٩٢٥ ١١- إشباع الحاجات النفسية
- ٩٢٧ ١٢- توجيه الانفعالات وضبطها حول موضوع معين
- ٩٢٧ ١٣- توجيه العواطف وضبطها
- ٩٢٩ ١٤- الوقاية من الانحرافات والاضطرابات النفسية
- ٩٣٠ ١٥- تهذيب الدوافع وإشباعها بالطرق المشروعة
- ٩٣٠ ١٦- تقوية الإرادة
- ٩٣٢ - سادسًا: التربية الفكرية والدعوية



٩٣٣	الفصل السادس: المسار
٩٣٤	- قصة منتكس
٩٣٥	- احذر التآكل الإيماني
٩٣٥	- الالتزام الأجوف
٩٣٦	- مظاهر ضعف الالتزام
٩٤٦	- التساقت لماذا؟!
٩٤٦	- أسباب انتكاس تتعلق بالدعوة والصحة وضغط البيئة
٩٥١	- أسباب تتعلق بالمنتكس ذاته
٩٧٣	- نتائج «التساقت» أو ما نسميه «الانتكاسة الإيمانية»!!
٩٧٤	- نداء إلى من عرفته مستقيمًا!!
٩٧٩	- توبة منتكس
١٠١١	الفصل السابع: الالتزاموفوبيا
١٠١٢	- احذر المرجفين المثبطين
١٠١٢	* الالتزام شبهات وردود
١٠١٤	الشبهة الأولى: أنا لا ألتزم بأي أم من أمور الدين إلا بعد الاقتناع الكامل
١٠١٩	الشبهة الثانية: الدين يسر
١٠٢٨	الشبهة الثالثة: أتبع رَوْحَ النصوص فقط
١٠٣٢	الشبهة الرابعة: الأعمال بالنيات
١٠٣٩	الشبهة الخامسة: سوف وأخواتها
١٠٤١	الشبهة السادسة: والله لا يغفر الله لي
١٠٥٢	الشبهة السابعة: عندما أحقق أهدافي سألتزم
١٠٥٧	الشبهة الثامنة: ربي غفور رحيم



- ١٠٥٩ الشبهة التاسعة: ثقافة القطيع حائل دون الالتزام
- ١٠٦٢ الشبهة العاشرة: لو أراد الله هدايتي لهداني
- ١٠٦٦ الشبهة الحادية عشر: أنتم إرهابيون وتجار دين
- ١٠٧٠ الشبهة الثانية عشر: مَنْ أصدق. وأي المناهج أتبع؟
- ١١١٨ * نصيحة من القلب
- ١١٢٣ * هيا.. أعلن ميلادك الجديد
- ١١٢٤ * من واقع الحياة
- ١١٢٧ * أخي.. أجب نداء الحق
- ١١٣١ الفصل الثامن: دستور الملتزم الجامعي
- ١١٣٢ - قانون.. احرص واحذر
- ١١٣٧ - المخالفات العقائدية
- ١١٤١ - المخالفات الفكرية
- ١١٥٢ - المخالفات الفقهية والتعبدية
- ١١٥٦ - المخالفات الخلقية والسلوكية
- ١١٧٢ ** فتاوى شبابية
- ١٢٣٧ ** قبل أن أضع القلم
- ١٢٣٩ فهرس الكتاب
- ١٢٥٨ - صدر للمؤلف



* صدر للمؤلف:

- كتاب (ماذا يريد الله منك؟!).
 - كتاب (لماذا تطلق بصرك؟!).
 - كتاب (الحياء المفتقد).
 - رسالة (انت عايش ليه؟!).
 - رسالة (هتقدر تغمض عينيك).
 - رسالة (دعوة إلى الحياء من جديد).
 - رسالة (فقه التصديق الغائب).
 - رسالة (الفتاوى النافعة إلى شباب الجامعة).
 - رسالة (من فتاوى الأعلام).
 - رسالة (كلام من الآخر).
 - رسالة (كلام صريح جداً).
 - رسالة (هل تعرف مولاك؟!).
 - (هؤلاء هم الرجال!!).
 - رسالة (١٨+) للشيخ/ علي قاسم، و: د/ حازم شومان.
- * يصدر للمؤلف بمشيئة الله:**
- كتاب (النجاح الدعوي).. الجزء الثاني من كتاب (طريق).
- * يصدر للمؤلف بمشيئة الله تعالى:**
- كتاب (المصلحون المفسدون).
- * يصدر قريباً بمشيئة الله تعالى:**
- سلسلة (قبل العشرين)، تقرأ فيها..
- يا فاشل - يا فاشل.



- جرعة أمل.
- معاناة شاب.
- الأسطورة والـ ٤٠ حرامي.
- في بيتنا ملحد!!
- أخيراً.. عرفت ربي!!
- أنا لسه صغيرة!!
- فاشونيستا!!
- قبل أن تنفذ الصلاحية.
- ارتبط بشياكة.
- سوق المتعة.
- امسك حرامي.
- خارج الصندوق.
- الناجح يرفع إيده.
- وهم «الفوتو داي».
- ملتزم ومش ملتزم.
- * ويصدر قريباً بمشيئة الله تعالى:
سلسلة: (إعادة بدء التشغيل Restarting)
لعلاج مظاهر التآكل الإيماني، والانتكاس القلبي.

* وترقبوا الإصدارات التربوية الجديدة للمؤلف بمشيئة الله تعالى:
سلسلة: (نحو التزام أفضل)
تقرأ فيها عن:



- الالتزام .. لماذا؟
- الالتزام الحقيقي ..
- دعوني ألتزم ..
- الالتزام المزيف ..
- انتكاسة قلب ..
- الالتزام وفوبيا ..

* وقرّبوا الإصدارات المنهجية الجديدة للمؤلف ..

سلسلة: (أصول الوصول إلى المنهج الحق)

تقرأ فيها:

- الواقع المر ..
- حوار مع نفس تائهة ..
- منهج أم مناهج؟!
- من هو العالم؟!
- أسئلة حائرة ..

* ويصدر للمؤلف قريباً بإذن الله:

الاختيارات الفقهية للإمام البغوي.

الدرس البلاغي الصوتي في القرآن الكريم سورتا النمل ومحمد أنموذجا "رسالة ماجستير".

